

(فهرسة الجزء الاول من السيرة الحلبية)

صحيفة	
٤	باب نسبه الشريف صلى الله عليه وسلم
٤٠	باب تزويج عبد الله ابي النبي صلى الله عليه وسلم آمنة أمه صلى الله عليه وسلم وحفر زمزم وما يتعلق بذلك
٥٨	باب ذكر حمل أمه به صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الانبياء والمرسلين
٦٣	باب وفاة والده صلى الله عليه وسلم
٦٧	باب ذكر مولده صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم
١٠٣	باب تسميته صلى الله عليه وسلم محمدا وأحمد
١١١	باب ذكر رضاعه صلى الله عليه وسلم وما اتصل به
١٣٩	باب وفاة أمه صلى الله عليه وسلم وحضانة أم أيمن له وكفالة جده عبد المطلب اياه
١٥٠	باب وفاة عبد المطلب وكفالة عمه ابي طالب له صلى الله عليه وسلم
١٥٦	باب ذكر سفره صلى الله عليه وسلم مع عمه ابي طالب الى الشام
١٦٢	باب ما حفظه الله تعالى به في صغره صلى الله عليه وسلم من أمر الجاهلية
١٦٧	باب رعيته صلى الله عليه وسلم الغنم
١٦٩	باب حضوره صلى الله عليه وسلم حرب الفجار
١٧٢	باب شهوده صلى الله عليه وسلم حلف الفضول
١٧٧	باب سفره صلى الله عليه وسلم الى الشام ثانيا
١٨٣	باب تزوجه صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد رضي الله عنها
١٨٨	باب بنيان قريش الكعبة شرفها الله تعالى
٢٤٥	باب ما جاء من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أحبار اليهود وعن الرهبان من النصارى وعن الكهان من العرب على ألسنة الجان وعلى غير ألسنتهم وما سمع من الهواتف ومن بعض الوحوش ومن بعض الاشجار وطرد الشياطين من استراق السمع عند مبعثه بكثرة تساقط النجوم وما وجد من ذكره صلى الله عليه وسلم وذكر صفته في الكتب القديمة وما وجد فيه اسمه مكتوبا من النبات والاحجار وغيرهما
٢٩٨	باب سلام الحجر والشجر عليه صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه
٢٩٩	باب بيان حين المبعث وعموم بعثته صلى الله عليه وسلم
٣١١	باب بدء الوحي له صلى الله عليه وسلم
٣٥١	باب ذكر وضوئه وصلاته صلى الله عليه وسلم اول البعثة
٣٥٧	باب ذكر اول الناس ايمانا به صلى الله عليه وسلم
٣٧٧	باب استخفائه صلى الله عليه وسلم واصحابه في دار الارقم بن ابي الارقم رضي الله تعالى عنهما ودعائه صلى الله عليه وسلم الى الاسلام جهرة وكلام قريش لابي طالب في ان يخلي بينهم وبينه وما لقي هو واصحابه من الاذى واسلام عمه حمزة رضي الله تعالى عنه

صحيفة

٤٠٢ باب عرض قريش عليه صلى الله عليه وسلم أشياء من خوارق العادات وغير العادات ليكف عنهم لما رأوا المسلمين يزيدون ويكثرون وسؤالهم له أشياء من خوارق العادات معينات وغير معينات وبعثهم الى احبار يهود بالمدينة يسألونهم عن صفة النبي صلى الله عليه وسلم وعما جابه وحديث الزبيدي وحديث المستهزئين به صلى الله عليه وسلم ومن حديثهم حديث الاراشي ومن قصد اذيته صلى الله عليه وسلم فرد خائبا

٤٣١ باب الهجرة الاولى الى ارض الحبشة وسبب رجوع من هاجر اليها من المسلمين الى مكة واسلام عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه

٤٤٩ باب اجتماع المشركين على منابذة بني هاشم وبني المطلب ابني عبد مناف وكتابة الصحيفة

٤٥٠ باب الهجرة الثانية الى الحبشة

٤٦١ باب ذكر خبر وفد نجران

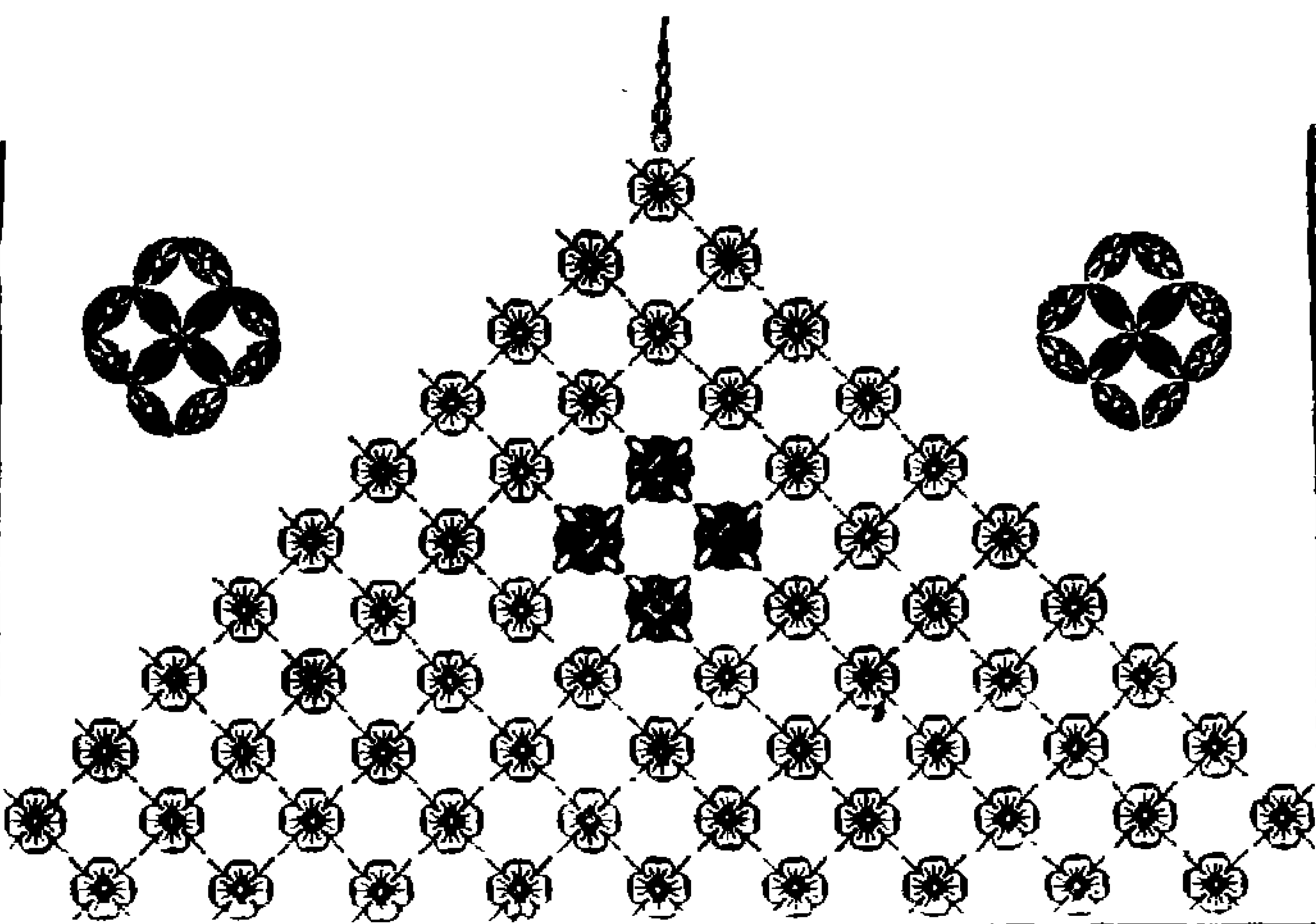
٤٦١ باب ذكر وفاة عمه ابي طالب وزوجته صلى الله عليه وسلم خديجة رضى الله تعالى عنها

٤٧١ باب ذكر خروج النبي صلى الله عليه وسلم الى الطائف

٤٨٦ باب ذكر خبر الطفيل بن عمرو الدوسي واسلامه رضى الله تعالى عنه

٤٨٧ باب ذكر الاسراء والمعراج وفرض الصلوات الخمس

(تمت)



حمدا لمن نضر وجوه أهل الحديث وصلاة وسلاما على من نزل عليه احسن الحديث وعلى آله واصحابه أهل التقدم فى القديم والحديث صلاة وسلاما دائمين ما سارت الائمة فى جمع سير المصطفى السير الحثيث (وبعد) فيقول أفقر المحتاجين واحوج المفتقرين لعفو ذى الفضل والطول المتين على بن برهان الدين الحلبى الشافعى ان سيرة المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام من أهم ما اهتم به العلماء الاعلام وحفاظ ملة الاسلام كيف لا وهو الموصل لعلم الحلال والحرام والحامل على التخلق بالاخلاق العظام وقد قال الزهرى رحمه الله فى علم المغازى خير الدنيا والآخرة وهو اول من ألف فى السير قال بعضهم أول سيرة الفت فى الاسلام سيرة الزهرى وعن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه أنه قال كان ابى يعلمنا مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه فيقول يابنى هذه شرف آبائكم فلا تنسوا ذكرها وأحسن ما الف فى ذلك وتداولته الاكياس سيرة الحافظ أبى الفتح بن سيد الناس لما جمعت من تلك الدرارى والدرر ومن ثم سماها عيون الاثر غير انه أطال بذكر الاسناد الذى كان للمحدثين به مزيد الاعتداد وعليه لهم كثير الاعتماد اذ هو من خصائص هذه الامة ومفاخر الائمة لكنه صار الآن لقصور الهمم لا تقبله الطباع ولا تعتد اليه الاطماع وأما سيرة الشمس الشامى فهو وان أتى فيها بما يعد فى صفائح وجوه الصحائف حسنات لكنه اتى فيها بما هو فى اسماع ذوى الافهام كالعادات

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين * (اما بعد) * فيقول العبد الفقير المرتجى من ربه الغفران أحمد بن زينى بن احمد دحلان غفر الله له ولوالديه ولاشياخه ومحبيه والمسلمين اجمعين انه لما من الله تعالى على بقراءة الشفا فى حقوق النبى المصطفى صلى الله عليه وسلم وكان ذلك بمدينته المنورة فى عام الثامن والسبعين بعد المائتين والالف يسر الله لى مطالعة جملة من شروح الشفا مع مراجعة المواهب وشرحها للعلامة الزرقانى ومع مراجعة شئ من كتب السير كسيرة ابن سيد الناس وسيرة ابن هشام والسيرة الشامية والسيرة الحلبية وهذه الكتب هى اصح الكتب المؤلفة فى هذا الشان فأحببت أن الخص ما احتوت عليه من سيرته صلى الله عليه وسلم ومن المعجزات وخوارق العادات الدالة على صدق اشرف المخلوقات صلى الله عليه وسلم لانى رأيتها منتشرة فى تلك الكتب مخلوطة بمباحث لها تعلق بها الا انها زائدة على المراد بحيث يعسر على القاصرين فى هذه الازمان أن يفهموها ويقفوا على حقيقتها لصعوبتها وطولها ولا وانتشارها فيحملهم ذلك على اهمالها وعدم قراءتها فلا يكون عندهم علم ولا اطلاع عليها ولا يكاد يعلم ذلك ويطلع عليه الا الراسخون

ولا يخفى ان السير تجمع الصحيح والسقيم والضعيف والبلاغ والمرسل والمنقطع والمعضل دون الموضوع ومن ثم قال الزين العراقي رحمه الله

وليعلم الطالب أن السيرا * تجمع ما صح وما قد انكرا

وقد قال الامام أحمد بن حنبل وغيره من الائمة اذا روينا في الحلال والحرام شددنا واذا روينا في الفضائل ونحوها تساهلنا وفي الاصل والذي ذهب اليه كثير من أهل العلم الترخص في الرقائق وما لا حكم فيه من اخبار المغازي وما يجري مجرى ذلك وانه يقبل منها ما لا يقبل في الحلال والحرام لعدم تعلق الاحكام بها فلما رأيت السيرتين المذكورتين على الوجه الذي لا يكاد ينظر اليه لما اشتملتا عليه عن لي أن الخص من تينك السيرتين انموذجا لطيفا يروق للاحداق ويحلو للاذواق يقرأ مع ما ضممته اليه بين يدي المشايخ على غاية الانسجام ونهاية الانتظام ولازلت في ذلك أقدم رجلا وأؤخر اخرى لكوني لست من اهل هذا الشان ولا ممن يسابق في ميدانه على خيل الرهان حتى اشار علي بذلك وبسلوك تلك المسالك من اشارته واجبة الاتباع ومخالفة أمره لا تستطاع ذو البديهة المطاوعة والفضائل البارعة والفواضل الكثيرة النافعة من اذا سئل عن اي معضلة أشكلت على ذوي المعرفة والوقوف لا تراه يتوقف ولا يخرج عن صوب الصواب ولا يتعسف ولا أخبر في كثير من الاوقات عن شيء من المغيبات وكاد أن يتخلف وهو الاستاذ الاعظم والملاذ الاكرم مولانا الشيخ أبو عبد الله وأبو المواهب محمد فخر الاسلام البكري الصديقي كيف لا وهو محل نظر والده من نشر ذكره ملأ المشارق والمغارب وسرى سره في سائر المسارى والمسارب ولي الله والقائم بخدمته في الاسرار والاعلان والعارف به الذي لم يتمار في انه القطب الفرد الجامع اثنان مولانا الاستاذ أبو عبد الله وأبو بكر محمد البكري الصديقي ولا بدع فانه نتيجة صدر العلماء العاملين واستاذ جميع الاستاذين والمعدود من المجتهدين صاحب التصانيف المفيدة في العلوم العديدة مولانا الاستاذ محمد أبو الحسن تاج العارفين البكري الصديقي أعاد الله تعالى علي وعلى أحبابي من بركاتهم وجعلنا في الآخرة من جملة اتباعهم فلما اشار علي ذلك الاستاذ بتلك الاشارة ورأيتها منه اعظم بشارة شرعت معتمدا في ذلك على من يبلغ كل مؤمل أمله ولم يخيب من قصده وأمله وقد يسر الله تعالى ذلك على أسلوب لطيف ومسلك شريف لا تمله الاسماع ولا تنفر منه الطباع والزيادة التي أخذتها من سيرة الشمس الشامي على سيرة ابي الفتح بن سيد الناس الموسومة بعيون الاثر ان كثرت ميزتها بقولي في أولها قال وفي آخرها انتهى وان قلت أتيت بلفظة اي وجعلت في آخر القولة دائرة هكذا ○ بالحمرة وربما أقول وفي السيرة الشامية وربما عبرت عن الزيادة القليلة بقال وعن الكثيرة بأي وما ليس

في العلم مع ان الاطلاع على سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ومعجزاته من اعظم الاسباب التي يحصل بها قوة الايمان ورسوخه في القلوب لما في ذلك من التبصر والاعتبار حتى تصير أطوار النبي صلى الله عليه وسلم واحواله كأنها مشاهدة للنظار قال الزهري في علم المغازي خير الدنيا والآخرة وهو اول من ألف في السير وكان سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه يعلم بنيه سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ومغازيه وسراياه ويقول يابني هذه شرف آبائكم فلا تنسوا ذكرها وفي ذكر السير ايضا معرفة فضائل النبي صلى الله عليه وسلم وكمالاته وفضائل الصحابة وقريش وسائر العرب وكل ذلك من الاسباب المقوية للايمان وفيها معرفة معاني كثير من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية الى غير ذلك من الفضائل التي لا يمكن حصرها وينبغي قبل الشروع في ذلك التبرك بذكر شيء من فضائل قريش وفضائل سائر العرب ويعلم من ذلك فضائل النبي صلى الله عليه وسلم واهل بيته واصحابه بالاولى لان العرب انما فضلوا بسببه صلى الله عليه وسلم والاحاديث الواردة في ذلك كثيرة فمن ذلك ماروى عن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه قال قيل يارسول الله قتل فلان لرجل من ثقيف فقال ابعده الله انه كان يبغض قريشا وفي الجامع الصغير مرفوعا قريش صلاح الناس ولا يصلح الناس الا بهم كما أن الطعام لا يصلح الا بالملح قريش خالصة الله تعالى فمن نصب لها حربا سلب ومن ارادها بسوء خزي في الدنيا والآخرة وعن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يرد هوان قريش أهانه الله وعن أم هانئ بنت ابي

بعده تلك الدائرة فهو من الاصل أعنى عيون الاثر غالبا وقد يكون من زيادتى على الاصل والشامى كما يعلم بالوقوف عليهما وربما ميزت تلك الزيادة بقولى فى أولها اقول وفى آخرها والله اعلم وقد يكون من الزيادة ما أقول وفى السيرة الهشامية بتقديم الهاء على الشين وحيث اقول قال فى الاصل أوذكر فى الاصل أو نحو ذلك فالمراد به عيون الاثر عن لى أن اذكر من ابيات القصيدة الهمزية المنسوبة لعالم الشعراء واشعر العلماء وهو الشيخ شرف الدين البوصيرى ناظم القصيدة المعروفة بالبردة ما تضمنته تلك الابيات واشارت اليه من ذلك السياق فانه أحلى فى الاذواق وربما احل ذلك النظم بما يوضح معناه ويظهر تركيب مبناه وربما أذكر ايضا من ابيات تائية الامام السبكى ما يناسب المقام وربما اذكر ايضا بعض أبيات من كلام صاحب الاصل من قصائده النبوية المجموعة بديوانه المسمى ببشرى اللبيب بذكرى الحبيب وقد سميت مجموع ذلك انسان العيون فى سيرة الامين المأمون واسأل من لا مسؤل الا اياه أن يجعل ذلك وسيلة لرضاه آمين

(باب نسبه الشريف)

صلى الله عليه وسلم هو محمد صلى الله عليه وسلم *ابن عبد الله* ومعنى عبد الله الخاضع الذليل له تعالى وقد جاء احب أسمائكم وفى رواية أحب الاسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن وجاء احب الاسماء الى الله ما تعبد به وقد سمى صلى الله عليه وسلم بعبد الله فى القرآن قال الله تعالى وانه لما قام عبد الله يدعوه وعبد الله هذا هو *ابن عبد المطلب* ويدعى شيبة الحمد لكثرة حمد الناس له اى لانه كان مفزع قريش فى النوائب وملجأهم فى الامور فكان شريف قريش وسيدها كمالا وفعالا من غير مدافع وقيل قيل له شيبة الحمد لانه ولد وفى رأسه شيبة اى وفى لفظ كان وسط رأسه ابيض أو سمى بذلك تفاؤلا بأنه سيبلغ سن الشيب ○ قيل اسمه عامر وعاش مائة واربعين سنة اى وكان ممن حرم الخمر على نفسه فى الجاهلية ○ وكان مجاب الدعوة وكان يقال له الفياض لجوده ومطعم طير السماء لانه كان يرفع من مائدته للطير والوحوش فى رؤس الجبال قال وكان من حلماء قريش وحكمائها وكان نديمه حرب بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف والد ابى سفيان وكان فى جوار عبد المطلب يهودى فاغلظ ذلك اليهودى القول على حرب فى سوق من اسواق تهامة فأغرى عليه حرب من قتله فلما علم عبد المطلب بذلك ترك منادمة حرب ولم يفارقه حتى اخذ منه مائة ناقة دفعها لابن عم اليهودى حفظا لجواره ثم نادم عبد الله بن جدعان انتهى ملخصا وقيل له عبد المطلب لان عمه المطلب لما جاء به صغيرا من المدينة اردفه خلفه اى وكان بهيئة رثة اى ثياب خلقة فصار كل من يسأل عنه ويقول من هذا يقول عبدى اى حياء ان يقول ابن اخى فلما دخل مكة احسن من حاله واظهر انه ابن اخيه وصار يقول لمن يقول له عبد

المطلب

طالب رضى الله عنها قالت فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا بسبع خصال لم يعطها احد قبلهم ولا يعطاها احد بعدهم النبوة فيهم والخلافة فيهم والحجابة فيهم والسقاية فيهم ونصروا على اصحاب الفيل وعبدوا الله سبع سنين لم يعبده احد غيرهم ونزلت فيهم سورة من القرآن لم يذكر فيها احد غيرهم لئلاف قريش • قوله وعبدوا الله سبع سنين فى رواية عشر سنين قال بعضهم المراد منها السنون التى كانت فى اول بعثته صلى الله عليه وسلم فان اول المؤمنين الذين اتبعوه كانوا من قريش وصبروا معه على كثير من الاذى الحاصل من بقية قريش الذين لم يسلموا واستمر الاسلام يتقوى بمن اسلم منهم حتى فشا وظهر باسلام الاوس والخزرج وذلك القدر يبلغ عشر سنين وعن انس رضى الله عنه حب قريش ايمان وبغضهم كفر • وعن ابى هريرة رضى الله عنه الناس تبع لقريش مسلمهم تبع لمسلمهم وكافرهم تبع لكافرهم وقال صلى الله عليه وسلم العلم فى قريش وقال ايضا الائمة فى قريش وقال ايضا لا تسبوا قريشا فان عالمها يملأ طباق الارض علما قال جماعة منهم الامام احمد رضى الله عنه هذا العالم هو الشافعى رضى الله عنه لانه لم ينتشر فى طباق الارض من علم عالم من قريش من الصحابة وغيرهم ما انتشر من علم الشافعى رضى الله عنه وقال صلى الله عليه وسلم قدموا قريشا ولا تقدموها وفى رواية ولا تعالوها اى لا تغالبوها ولا تكاثروها فيه وفى رواية ولا تملوها اى لا تعلوا عليها بمعنى لا تجعلوها فى المقام الادنى الذى هو مقام التعلم والقصد أن لا تحتقر وقال صلى الله عليه وسلم احبوا قريشا فان من احبهم احبه الله وقال صلى الله عليه وسلم

لولا ان تبطر قريش لاخبرتها بالذى لها عند الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم يوما يا أيها الناس ان قريشا اهل امانة من بغاها العواثر اى من طلب لها المكايد كبه الله لمنخريه اى كبه الله على وجهه ○ قال ذلك ثلاث مرات وقال صلى الله عليه وسلم

خيار قريش خيار الناس وشرار قريش خيار شرار الناس وفى رواية وشرار قريش شرار الناس والرواية الاولى أصح وأثبت وقال صلى الله عليه وسلم قريش ولاة هذا الامر فبر الناس تبع لبرهم وفاجرهم تبع لفاجرهم وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب العرب فبحبى أحبهم ومن أبغض العرب فببغضى أبغضهم ● وروى الترمذى عن سلمان رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا سلمان لا تبغضنى فتفارق دينك قلت يا رسول الله كيف أبغضك وبك هدانى الله قال تبغض العرب فتبغضنى وروى الطبرانى عن على رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبغض العرب الا منافق وروى الترمذى عن عثمان رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من غش العرب لم يدخل فى شفاعتى ولم تنله مودتى وقال صلى الله عليه وسلم أحبوا العرب لثلاث لانى عربى والقرآن عربى وكلام أهل الجنة عربى وقال صلى الله عليه وسلم ان لواء الحمد بيدى يوم

القيامة وان اقرب الخلائق من لوائى يومئذ العرب وقال صلى الله عليه وسلم اذا ذلت العرب ذل الاسلام وعن ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا خير العرب مضر وخير مضر عبد مناف وخير عبد مناف بنو هاشم وخير بنى هاشم بنو عبد المطلب والله

المطلب ويحكم انما هو شيبة ابن اخى هاشم ○ لكن غلب عليه الوصف المذكور فقيل له عبد المطلب اى وقيل لانه تربى فى حجر عمه المطلب وكان عادة العرب أن تقول لليتيم الذى يتربى فى حجر احد هو عبده وكان عبد المطلب يأمر أولاده بترك الظلم والبغى ويحثهم على مكارم الاخلاق وينهاهم عن دنيئات الامور وكان يقول لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم منه وتصيبه عقوبة الى أن هلك رجل ظلوم من اهل الشام لم تصبه عقوبة فقيل لعبد المطلب فى ذلك ففكر وقال والله ان وراء هذه الدار دارا يجزى فيها المحسن باحسانه ويعاقب المسىء باساءته اى فالظلوم شأنه فى الدنيا ذلك حتى اذا خرج من الدنيا ولم تصبه العقوبة فهى معدة له فى الآخرة ورفض فى آخر عمره عبادة الاصنام ووحد الله سبحانه وتعالى وتؤثر عنه سنن جاء القرآن بأكثرها وجاءت السنة بها منها الوفاء بالنذر والمنع من نكاح المحارم وقطع يد السارق والنهى عن قتل الموؤدة وتحريم الخمر والزنا وأن لا يطوف بالبيت عريان كذا فى كلام سبط ابن الجوزى ❊ ابن هاشم ❊ وهاشم هو عمرو العلا اى العالى مرتبته وهو أخو عبد شمس وكانا توأمين وكانت رجل هاشم اى اصبعها ملصقة بجبهة عبد شمس ولم يمكن نزعها الا بسيلان دم فكانوا يقولون سيكون بينهما دم فكان بين ولديهما اى بين بنى العباس وبين بنى أمية سنة ثلاث وثلاثين ومائة من الهجرة ووقعت العداوة بين هاشم وبين ابن أخيه امية بن عبد شمس لان هاشما لما سادقومه بعد ابيه عبد مناف حسده امية ابن اخيه فتكلف أن يصنع كما يصنع هاشم فعجز فعيرته قريش وقالوا له أتتشبه بهاشم ثم دعا هاشما للمنافرة فأبى هاشم ذلك لسنه وعلو قدره فلم تدعه قريش فقال هاشم لامية أنافرك على خمسين ناقة سود الحدق تنحر بمكة والجلاء عن مكة عشر سنين فرضى أمية بذلك وجعلا بينهما الكاهن الخزاعى وكان بعسفان فخرج كل منهما فى نفر فنزلوا على الكاهن فقال قبل أن يخبروه خبرهم والقمر الباهر والكوكب الزاهر والغمام الماطر وما بالجو من طائر وما اهتدى بعلم مسافر من منجد وغائر لقد سبق هاشم أمية الى المفاخر فنصر هاشم على امية فعاد هاشم الى مكة ونحر الابل واطعم الناس وخرج أمية الى الشام فأقام بها عشر سنين فكانت هذه أول عداوة وقعت بين هاشم وامية وتوارث ذلك بنوهما وكان يقال لهاشم وأخوته عبد شمس والمطلب ونوفل أقداح النضار اى الذهب ويقال لهم المجيرون لكرمهم وفخرهم وسيادتهم على سائر العرب قال بعضهم ولا يعرف بنو اب تباينوا فى محال موتهم مثلهم فان هاشما مات بغزة اى كما سيأتى وعبد شمس مات بمكة وقبره بأجياد ونوفلا مات بالعراق والمطلب مات ببرعا من ارض اليمن اى وقيل له هاشم لانه أول من هشم الثريد بعد جده ابراهيم فان ابراهيم اول من فعل ذلك اى ثرد الثريد واطعمه المساكين ○ وفيه ان اول من ثرد الثريد واطعمه بمكة بعد ابراهيم

ما افترق فرقتان منذ خلق الله آدم الا كنت في خيرهما وأفتى بعض العلماء بقتل من سب العرب وفي الصحيحين آية الايمان حب الانصار وآية النفاق بغضهم وروى الطبراني حب قريش ايمان وبغضهم كفر وحب الانصار من الايمان وبغضهم من

جد هاشم قصي ففي الامتاع وقصي أول من ثرد الثريد واطعمه بمكة وفيه ايضا هاشم عمرو العلا أول من اطعم الثريد بمكة وسيأتي ان أول من فعل ذلك عمرو بن لحي فليتأمل وقد يقال لامنافاة لان الاولية في ذلك اضافية فأولية قصي لكونه من قريش وأولية عمرو بن لحي لكونه من خزاعة واولية هاشم باعتبار شدة مجاعة حصلت لقريش والى ذلك يشير صاحب الاصل بقوله

واطعم في المحل عمرو العلا * فالمسنتين به خصب عام

(وقال أيضا)

عمرو العلا ذو الندى من لا يسابقه * مر السحاب ولا ريح تجاريه
جفانه كالجوابي للوفود اذا * لبوا بمكة ناداهم مناديه
أو امحلوا اخصبوا منها وقد ملئت * قوتا لحاضره منهم وباديه

وقد قيل فيه

قل للذي طلب السماحة والندى * هلا مررت بآل عبد مناف
الرائشون وليس يوجد رائش * والقائلون هلم للاضياف

* وعن بعض الصحابة قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضي الله تعالى عنه على باب بني شيبة فمر رجل وهو يقول

يا أيها الرجل المحول رحله * ألا نزلت بآل عبد الدار
هبلتك أمك لو نزلت برحلهم * منعوك من عدم ومن اقتار

فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبي بكر رضي الله عنه فقال أهكذا قال الشاعر قال لا والذي بعثك بالحق ولكنه قال

يا أيها الرجل المحول رحله * ألا نزلت بآل عبد مناف
هبلتك أمك لو نزلت برحلهم * منعوك من عدم ومن اقراف
الخالطين غنيهم بفقيرهم * حتى يعود فقيرهم كالكافي

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هكذا سمعت الرواة ينشدونه وكان هاشم بعد أبيه عبد مناف على السقاية والرفادة فكان يعمل الطعام للحجاج يأكل منه من لم يكن له سعة ولا زاد ويقال لذلك الرفادة واتفق انه أصاب الناس سنة جدب شديد فخرج هاشم الى الشام وقيل بلغه ذلك وهو بغزة من الشام فاشترى دقيقا وكعكا وقدم به مكة في الموسم فهشم الخبز والكعك ونحر الجزور وجعله ثريدا وأطعم الناس حتى أشبعهم فسمي بذلك هاشما وكان يقال له أبو البطحاء وسيد البطحاء قال بعضهم لم تزل مائدته منصوبة لا ترفع في السراء والضراء قال ابن الصلاح وروينا عن الامام سهل الصعلوكي رضي الله عنه انه قال

الكفر ومن أحب العرب فقد أحبني ومن أبغض العرب فقد أبغضني * وروى ابن عساكر عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم حب أبي بكر وعمر من الايمان وبغضهما كفر وحب الانصار من الايمان وبغضهم كفر وحب العرب من الايمان وبغضهم كفر ومن سب أصحابي فعليه لعنة الله ومن حفظني فيهم فأنا أحفظه يوم القيامة قال بعض شراح الشفا والاحاديث كثيرة في هذا الباب وبالجملة من أحب شيأ أحب كل شئ يحبه وهذه سيرة السلف فيجب على كل أحد أن يحب أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وجميع الصحابة من العرب والعجم لاسيما جنسه صلى الله عليه وسلم ولا يكون من الخوارج في بغض أهل البيت فانه لا ينفعه حينئذ حب الصحابة ولا من الروافض في بغض الصحابة فانه لا ينفعه حينئذ حب أهل البيت ولا من الاروام الذين يكرهون العرب بالطبع الملام ويرمونهم بسوء الكلام فانه يخشى منه سوء الختام

(باب فيما ورد على لسان الانبياء عليهم الصلاة والسلام من التنويه بشأنه صلى الله عليه وسلم مع ما ورد من ذلك على لسان آبائه) يروى من طرق شتى ان الله تعالى في لما خلق آدم عليه السلام الهمه الله ان قال يارب لم كنيتني أبا محمد قال الله تعالى يا آدم ارفع رأسك فرفع راسه فرأى نور محمد صلى

فى قوله صلى الله عليه وسلم فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام أراد فضل ثريد عمرو العلا الذى عظم نفعه وقدره وعم خيره وبره وبقى له واعقبه ذكره وقد أبعد سهل فى تأويل الحديث والذى أراه ان معناه تفضيل الثريد من الطعام على باقى الطعام لان سائر بمعنى باقى أى فالمراد أى ثريد لا خصوص ثريد عمرو العلا حتى يكون أفضل من ثريد غيره وكان هاشم يحمل ابن السبيل ويؤمن الخائف قال وقد ذكر انه كان اذا اهل هلال ذى الحجة قام صبيحته واسند ظهره الى الكعبة من تلقاء بابها او يخطب ويقول فى خطبته يا معشر قريش انكم سادة العرب أحسنها وجوها وأعظمها أحلاما أى عقولا وأوسط العرب أى أشرفها انسابا وأقرب العرب بالعرب ارحاما يا معشر قريش انكم جيران بيت الله تعالى أكرمكم الله تعالى بولايته وخصكم بجواره دون بنى اسمعيل وانه يأتيكم زوار الله يعظمون بيته فهم اضيافه وأحق من أكرم اضياف الله أنتم فأكرموا ضيفه وزواره فانهم يأتون شعثا غبرا من كل بلد على ضوامر كالقداح فأكرموا ضيفه وزوار بيته فورب هذه البنية لو كان لى مال يحتمل ذلك لكفيتكموه وانا مخرج من طيب مالى وحلاله مالم يقطع فيه رحم ولم يؤخذ بظلم ولم يدخل فيه حرام فمن شاء منكم ان يفعل مثل ذلك فعل واسألكم بحرمة هذا البيت أن لا يخرج رجل منكم من ماله لكرامة زوار بيت الله وتقويتهم الا طيبا لم يؤخذ ظلما ولم يقطع فيه رحم ولم يؤخذ غصبا فكانوا يجتهدون فى ذلك ويخرجونه من أموالهم فيضعونه فى دار الندوة انتهى وقيل فى تسمية شيبة الحمد عبد المطلب غير ما تقدم فقد قيل انما سمى شيبة الحمد عبد المطلب لان أباه هاشما قال للمطلب الذى هو أخو هاشم وهو بمكة حين حضرته الوفاة أدرك عبدك يعنى شيبة الحمد بيثرب فمن ثم سمى عبد المطلب كذا فى المواهب وقدمه على ما تقدم وفيه انه حكى غير واحد ان هاشما خرج تاجرا الى الشام فنزل على شخص من بنى النجار بالمدينة وتزوج بنته على شرط انها لا تلد ولدا الا فى اهلها أى ثم مضى لوجهه قبل ان يدخل بها ثم انصرف راجعا فبنى بها فى اهلها ثم ارتحل بها الى مكة فلما أثقلت بالحمل خرج بها فوضعها عند اهلها بالمدينة ومضى الى الشام فمات بغزة قيل وعمره حينئذ عشرون سنة وقيل أربع وقيل خمس وعشرون وولدت شيبة الحمد فمكث بالمدينة سبع سنين وقيل ثمان فمر رجل على غلمان يلعبون اى ينتضلون بالسهام واذا غلام فيهم اذا أصاب قال انا ابن سيد البطحاء فقال له الرجل ممن انت يا غلام فقال انا شيبة بن هاشم بن عبد مناف فلما قدم الرجل مكة وجد المطلب جالسا بالحجر فقص عليه ما راى فذهب الى المدينة فلما رآه عرف شبه ابيه فيه ففاضت عيناه وضمه اليه خفية من امه وفى لفظ أنه عرفه بالشبه وقال لمن كان يلعب معه اهذا ابن هاشم قالوا نعم فعرفهم انه عمه فقالوا له ان كنت تريد اخذه فالساعة

الله عليه وسلم فى سرادق العرش فقال يا رب ما هذا النور قال هذا النور نور نبى من ذريتك اسمه فى السماء احمد وفى الارض محمد لولاه ما خلقتك ولا خلقت سماء ولا أرضا وروى الحاكم فى صحيحه عن عمر رضى الله عنه مرفوعا ان آدم عليه السلام رأى اسم محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبا على العرش وان الله تعالى قال لآدم عليه السلام لولا محمد ما خلقتك وفى المواهب ان آدم عليه السلام رأى مكتوبا على ساق العرش وعلى كل موضع فى الجنة من قصر وغرفة ونحور الحور العين وورق شجرة طوبى وورق سدرة المنتهى واطراف الحجب وبين اعين الملائكة اسم محمد صلى الله عليه وسلم مقرونا باسم الله تعالى وهو لا اله الا الله محمد رسول الله فقال آدم يا رب هذا محمد من هو فقال الله له هذا ولدك الذى لولاه ما خلقتك فقال يا رب بحرمة هذا الولد ارحم هذا الوالد فنودى يا آدم لو تشفعت الينا بمحمد صلى الله عليه وسلم فى أهل السماء والارض لشفعناك وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اقترف آدم الخطيئة قال يا رب أسألك بحق محمد صلى الله عليه وسلم الا ما غفرت لى فقال الله تعالى يا آدم وكيف عرفت محمدا ولم أخلقه قال يا رب لانك لما خلقتنى بيدك اى من غير واسطة ام واب ونفخت فى من روحك اى من الروح المبتدأة منك المشرفة بالاضافة اليك رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت أنك لم تضف الى اسمك الا احب الخلق اليك فقال الله تعالى صدقت يا آدم انه لاحب الخلق الى واذ سألتنى بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك

قبل ان تعلم به امه فانها ان علمت بذلك لم تدعك وحالت بينك وبينه فدعاه المطلب وقال يا ابن اخي انا عمك وقد اردت الذهاب بك الى قومك واناخ ناقته فجلس على عجز الناقة فانطلق به ولم تعلم به امه حتى كان الليل فقامت تدعوه فأخبرت ان عمه قد ذهب به وكساه حلة يمانية ثم قدم به مكة فقالت قريش هذا عبد المطلب اى فان هذا السياق يدل على ان عبد المطلب انما ولد بعد موت ابيه هاشم بغزة وكون عمه المطلب كساه حلة لا ينافي ماسبق انه دخل به مكة وثيابه رثة خلقة لانه يجوز ان تكون هذه الحلة البسه له عند اخذه ثم نزعت منه فى السفر اى او ان هذه الحلة اشتراها بمكة كما يصرح به كلام بعضهم وماوقع هنا من تصرف الراوى على انه يجوز ان يكون اشترى له حلتين واحدة البسه اياها بالمدينة واخرى اشتراها بمكة والبسه اياه ○ وفى السيرة الهشامية ان أم عبد المطلب كانت لا تنكح الرجال اشرفها فى قومها حتى يشرطوا لها ان امرها بيدها اذا كرهت رجلا فارقته اى وانها لا تلد ولدا الا فى أهلها كما تقدم وان عمه المطلب لما جاء لاخذه قالت له لست بمرسلته معك فقال لها المطلب انى غير منصرف حتى أخرج به معى ان ابن أخى قد بلغ وهو غريب فى غير قومه ونحن اهل بيت شرف فى قومنا وقومه وعشيرته وبلده خير من الاقامة فى غيرهم فقال شيبة لعمه انى لست بمفارقها الا ان تأذن لى فأذنت له ودفعته اليه فأردفه خلفه على بعيره ويحتاج الى الجمع بين هذا وماقبله فقالت قريش عبد المطلب ابتاعه اى ظنا منهم انه اشتراه من المدينة فان الشمس أثرت فيه وعليه ثياب اخلاق فقال لهم ويحكم انما هو ابن أخى هاشم ولا يخالف هذا ماسبق من انه صار يقول لمن يسأله عنه من هذا فيقول عبدى لانه يجوز ان يكون بعض الناس قال من عند نفسه هذا عبد المطلب ظنا منه وبعضهم سأله فأجابه بقوله هذا عبدى كما تقدم ولما دخل مكة قال لهم ويحكم الى آخره وهاشم ❊ بن عبد مناف ❊ وعبد مناف اسمه المغيرة اى وكان يقال له قمر البطحاء لحسنه وجماله وهذا هو الجد الثالث لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الجد الرابع لعثمان بن عفان والجد التاسع لامامنا الشافعى رضى الله تعالى عنهما ووجد كتاب فى حجر انا المغيرة بن قصى أوصى قريشا بتقوى الله جل وعلا وصلة الرحم ومناف اصله مناة اسم صنم كان أعظم اصنامهم وكانت أمه جعلته خادما لذلك الصنم وقيل وهبته له لانه كان أول ولد لقصى على ماقيل لان عبد مناف ❊ بن قصى ❊ اى ويسمى قصى زيدا وعن امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه ان اسمه يزيد ويدعى مجمعا ايضا وقيل له قصى لانه قصى اى بعد عن عشيرته الى اخواله بنى كلب فى ناديهم وقيل بعدا الى قضاعة مع امه لانها كانت منهم اقول لامنافاة لجواز ان تكون ام قصى من بنى كلب وابوها من قضاعة وانها رحلت بعد موت عبد مناف الى بنى كلب ثم لما تزوجت من قضاعة رحلت اليها ولعل قضاعة كانت جهة الشام فلا

رواه البيهقى فى دلائله ❊ وروى أبو الشيخ والحاكم عن ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ومر أمتك ٨ أن يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت آدم ولا الجنة ولا النار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسكن صححه الحاكم وروى الديلمى عن ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا أتانى جبريل فقال ان الله تعالى يقول لولاك ما خلقت الجنة ولولاك ما خلقت النار ❊ وروى ابن سبع عن على رضى الله عنه ان الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم من اجلك اسطح البطحاء وأموج الموج وارفع السماء وأجعل الثواب والعقاب قال العلامة الزرقانى وهذا ليس لغيره من نبى ولا ملك ولله در من قال

ومن عجب اكرام الف لواحد
لعين تفدى الف عين وتكرم

❊(وقال آخر)❊

وكان لدى الفردوس فى زمن الصبا
وأثواب شمل الانس محكمة السدى
يشاهد فى عدن ضياء مشعشعا
يزيد على الانوار فى الضوء والهدى
فقال الهى ما الضياء الذى ارى
جنود السما تعشو اليه ترددا
فقال نبى خير من وطئ الثرى
وافضل من فى الخير راح او اغتدى
تخيرته من قبل خلقك سيدا
والبسته قبل النبيين سوددا
واعددته يوم القيامة شافعا
مطاعا اذا ما الغير حاد وحيدا
فيشفع فى انقاذ كل موحد ❊ ويدخله جنات عدن مخلدا
وانه له اسما من اسمه به ❊ ولكننى احببت منها محمدا
فقال الهى امنن على بنوبة ❊ تكون على غسل الخطيئة مسعدا
بحرمة هذا الاسم والزلفة التى ❊ خصصته بها دون الخليقة احمدا

آقلني عثاري يا الهي فانّي * عدوّ العيناجار في القصد واعتدى فتاب عليه ربه وهو آمن * جناية ما أخطاه لا متعمدا

(وعن ابن عباس رضى الله عنهما) ان الله تعالى خلق حوّاء من ضلع آدم الايسر ٩ وهو نائم فلما استيقظ ورآها سكن ومال اليها فمد يده اليها فقالت الملائكة مه يا آدم تريد بذلك نهيه فقال ولم وقد خلقها الله لى فقالوا حتى تؤدى مهرها قال وما مهرها قالوا أن تصلى على محمد صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات (وفى رواية) ان آدم عليه السلام لما طلب منه المهر قال يارب وما أعطيها قال يا آدم صل على حبيبى محمد بن عبد الله عشرين مرة (وروى ابن عساكر) عن سلمان الفارسى رضى الله عنه قال هبط جبريل عليه السلام على النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان ربك يقول لك ان كنت اتخذت ابراهيم خليلا فقد اتخذتك حبيبا وما خلقت خلقا أكرم علىّ منك ولقد خلقت الدنيا وأهلها لاعرفهم كرامتك ومنزلتك عندى ولولاك ما خلقت الدنيا وما أحسن قول العارف بالله سيدى على وفى رضى الله عنه

سكن الفؤاد فعش هنيئا يا جسد * ذاك النعيم هو المقيم الى الابد
أصبحت فى كنف الحبيب ومن يكن * جار الكريم فعيشه عيش الرغد
عش فى أمان الله تحت لوائه * لا خوف فى هذا الجناب ولا نكد
لا تختشى فقرا وعندك بيت من * كل المنى لك من أياديه مدد
رب الجمال ومرسل الجدوى ومن * هو فى المحاسن كلها فرد أحد
قطب النهى غوث العوالم كلها * أعلى علىّ صار أحمد من حمد
روح الوجود حياة من هو واجد * لولاه ما تم الوجود لمن وجد
عيسى وآدم والصدور جميعهم * هم أعين هو نورها لما ورد

يخالف ما قيل وقيل له قصى لانه بعد مع أمه الى الشام لان أمه تزوجت بعد موت أبيه وهو فطيم بشخص يقال له ربيعة بن حزام وقيل حزام بن ربيعة العذرى فرحل بها الى الشام وكان قصى لا يعرف له أبا الا زوج أمه المذكور فلما كبر وقع بينه وبين آل زوج امه شر اى فانه ناضل رجلا منهم فنضله قصى اى غلبه فغضب ذلك الرجل وعير قصيا بالغربة وقال له الا تلحق بقومك وبلادك فانك لست منا وفى لفظ لما قيل له ذلك قال ممن أنا قيل له سل امك فشكا ذلك الى امه فقالت له بلادك خير من بلادهم وقومك خير من قومهم انت اكرم ابا منهم انت ابن كلاب بن مرة وقومك بمكة عند البيت الحرام تفد اليه العرب وقد قالت لى كاهنة رأتك صغيرا انك تلى أمرا جليلا فلما أراد الخروج الى مكة قالت له امه لا تعجل حتى يدخل الشهر الحرام فتخرج مع حجاج قضاعة فانى اخاف عليك فشخص مع الحجاج فقدم قصى مكة على قومه مع حجاج قضاعة فعرفوا له فضله وشرفه فأكرموه وقدموه عليهم فسادفيهم ثم تزوج بنت حليل بالحاء المهملة المضمومة الخزاعى وكان امر مكة والبيت اليه وهو آخر من ولى امر البيت والحكم بمكة من خزاعة فجاءته بأولاده الآتى ذكرهم فلما انتشر ولده وكثر ماله وعظم شرفه مات حليل فرأى قصى انه اولى بأمر مكة من خزاعة لان قريشا اقرب الى اسمعيل من خزاعة فدعا قريشا وبنى كنانة الى اخراج خزاعة من مكة فأجابوه الى ذلك وانضم له قضاعة جاءبهم اخو قصى لامه فأزاح قصى يد خزاعة وولى امر مكة وقيل ان حليلا جعل امر البيت لقصى ولا منافاة لجواز أن تكون خزاعة لم ترض بما فعله حليل من أن يكون امر البيت لقصى فحاربهم واخرجهم من مكة وقيل ان حليلا اوصى بذلك لابى غبشان بضم الغين المعجمة بعد ان اوصى بذلك لابنته زوج قصى وقالت له لا قدرة لى على فتح البيت واغلاقه وان قصيا اخذ ذلك منه بزق خمر فقالت العرب اخسر صفقة من أبى غبشان وقيل ان ابا غبشان أعطى ذلك لبنت حليل زوج قصى واعطاه قصى اثوابا وابعرة فكان أبو غبشان آخر من ملك امر مكة والبيت من خزاعة ولا يخالف ذلك ما تقدم من ان حليلا آخر من ولى امر البيت والحكم بمكة لجواز أن يكون المراد آخر من ولى ذلك واستمر كذلك الى ان مات قال بعضهم وكان ابو غبشان خالا لقصى وكان فى عقله شئ فخدعه قصى فاشترى منه امر مكة والبيت بأذواد من الابل والجمع بين هذه الروايات من ان قصيا اخذه من ابى غبشان بزق خمر وبين انه اخذ ذلك بأثواب وابعرة وبين انه اخذ ذلك بأذواد من الابل ممكن لجواز ان يكون جمع بين الخمر والاثواب والابل فوقع الاقتصار على بعضها من بعض الرواة تأمل (ثم جمع قصى) قريشا بعد تفرقها فى البلاد وجعلها اثنى عشر قبيلة كما سيأتى ومن ثم قيل له مجمع وفى كلام بعضهم ولذلك سماه النبى صلى الله عليه وسلم مجمعا والى ذلك يشير قول

٢ حل ل

لوأبصر الشيطان طلعة نوره * فى وجه آدم كان أول من سجد * أولو رأى النمروذ نور جماله * عبد الجليل مع الخليل ولا عند
لكن جمال الله جل فلا يرى * الا بتخصيص من الله الصمد * فابشر بمن سكن الجوانح منذ يا
أنا قد ملأت من المنى عيناويد
عين الوفا معنى الصفا سر الندى
نور الهدى روح النهى جسد الرشد

هو الصلاة من السلام المرتضى
الجامع المخصوص مادام الابد

(روى عن ابن عباس) رضى الله عنهما أنه لما نفخ فى آدم الروح صار نور محمد صلى الله عليه وسلم يلمع من جبهته كالشمس قال بعض العارفين لكن ابليس لم يبصر ذلك لخذلانه ولما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم كان استقبالهم لذلك النور فالمسجود له حقيقة هو الله تعالى وآدم عليه السلام كالقبلة وتلك القبلة المقصد الاعظم منها انما هو النور المحمدى الذى فى جبهته ولما حملت حواء عليها السلام بشيث انتقل ذلك النور اليها ثم لما وضعته عليه السلام ظهر ذلك النور فى جبهته وكان هو وصى آدم عليه السلام على ذريته وأوصاه آدم أن لا يضع ذلك النور الا فى المطهرات من النساء ولم تزل هذه الوصية جارية بينهم تنتقل من قرن الى قرن الى ان وصل ذلك النور الى جده عبد المطلب ثم الى ابنه عبد الله ثم الى أمه آمنة وطهر الله تعالى هذا النسب الشريف من سفاح الجاهلية (روى البيهقى) فى سننه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ولدنى من سفاح الجاهلية شئ ما ولدنى الا نكاح الاسلام اى نكاح كنكاح الاسلام يعنى بعقد صحيح (وروى ابو نعيم) فى

الشاعر

قصى لعمرى كان يدعى مجمعا * به جمع الله القبائل من فهر

وهذا البيت من قصيدة مدح بها عبد المطلب مدحه بها حذافة بن غانم فان ركبا من جذام فقدوا رجلا منهم غالته بيوت مكة فلقوا حذافة فأخذوه فربطوه ثم انطلقوا به فتلقاهم عبد المطلب مقبلا من الطائف معه ابنه ابو لهب يقوده وقد ذهب بصره فلما نظر اليه حذافة هتف به فقال عبد المطلب لابى لهب ويلك ماهذا قال هذا حذافة بن غانم مربوطا مع ركب قال الحقهم واسألهم ماشأنهم فلحقهم فأخبروه الخبر فرجع الى عبد المطلب فقال ما معك قال والله ما معى شئ قال الحقهم لا أم لك واعطهم ما بيدك واطلق الرجل فلحقهم أبو لهب فقال قد عرفتم تجارتى ومالى وأنا أحلف لكم لاعطينكم عشرين أوقية ذهبا وعشرا من الابل وفرسا وهذا ردائى رهنا بذلك فقبلوه منه وأطلقوا حذافة فأقبل به فلما سمع عبد المطلب صوت أبى لهب قال وأبى انك لعاص ارجع لا أم لك قال يا أبتاه هذا الرجل معى فناداه يا حذافة أسمعنى صوتك فقال ها أناذا بأبى أنت يا ساقى الحجيج اردفنى فأردفه خلفه حتى دخل مكة فقال حذافة هذه القصيدة ومطلعها

بنو شيبة الحمد الذى كان وجهه * يضئ ظلام الليل كالقمر البدر

هى قصيدة جيدة فان قيل كيف قبل القوم من أبى لهب رهن ردائه على ماذكر لهم فى أن يخلوا عن الرجل مع أن رداءه لا يقع موقعا من ذلك أجيب بأن سنة العرب وطريقتهم أن الواحد منهم اذا رهن غيره ولو شيأ حقيرا على أمر جليل لا يغدر بل يحرص على وفاء مارهن عليه ومن ثم لما اجدبت ارض تميم بدعاء النبى صلى الله عليه وسلم عليهم ذهب سيدهم حاجب بن زرارة والد عطارد رضى الله تعالى عنه الى كسرى ليأخذ منه امانا لقومه لينزلوا ريف العراق لاجل المرعى فقال له كسرى انتم قوم غدر وأخاف على الرعايا منكم فقال له حاجب أنا ضامن أن لا تفعل قومى شيأ من ذلك فقال له كسرى ومن لى بوفائك قال هذه قوسى رهينة فضحك كسرى وجلساؤه وضحكوا منه فقيل له العرب لو رهن احدهم شيأ لابد أن يفى به فلما اخصبت ارض تميم بدعاء النبى صلى الله عليه وسلم لهم لما وفد اليه جماعة منهم واسلموا ومات حاجب امر عطارد رضى الله عنه قومه بالذهاب الى بلادهم وجاء عطارد رضى الله عنه الى كسرى فطلب قوس ابيه فقال انك لم تسلم الى شيأ فقال ايها الملك انا وارث ابى وقد وفينا بالضمان فان لم تدفع الى قوس ابى صار عارا علينا وسبة فدفعها اليه وكساه حلة فلما وفد عطارد على النبى صلى الله عليه وسلم واسلم دفعها للنبى صلى الله عليه وسلم فلم يقبلها وقال انما يلبس هذا الحلة من لا خلاق له فكانت بنو تميم تعد ذلك القوس من مفاخرهم والى هذا اشار بعض الشعراء وقد احسن

واجاد وتلطف بقوله

تزهو علينا بقوس حاجبها * تيه تميم بقوس حاجبها

وصار قصي رئيس القريش على الاطلاق حين ازاح بني خزاعة عن البيت واجلاهم عن مكة بعد أن لم يسلوا لقصي في ولاية امر البيت ولم يجيزوا ما فعل حليل وابو غبشان على ما تقدم وذلك بعد ان اقتتلوا آخر ايام منى بعد ان حذرتهم قريش الظلم والبغي وذكرتهم ما صارت اليه جرهم حين ألحدوا في الحرم بالظلم فأبت خزاعة فاقتتلوا قتالا شديدا وكثر القتل والجراح في الفريقين الا انه في خزاعة اكثر ثم تداعوا الصلح واتفقوا على ان يحكموا بينهم رجلا من العرب فحكموا يعمر بن عوف وكان رجلا شريفا فقال لهم موعدكم فناء الكعبة غدا فلما اجتمعوا قام يعمر فقال ألا اني قد شدخت ما كان بينكم من دم تحت قدمي هاتين فلا تباعة لاحد على احد في دم وقيل قضى بأن كل دم اصابته قريش من خزاعة موضوع وان ما اصابته خزاعة من قريش فيه الدية وقضى لقصي بأنه اولى بولاية مكة فتولاها قيل وكان يعشر من دخل مكة من غير اهلها اي بتجارة وكانت خزاعة قد ازالت بني جرهم عن ولاية البيت فان مضاض بن عمرو الجرهمي الاكبر ولي امر البيت بعد نابت بن اسمعيل عليه الصلاة والسلام فانه كان جدا لنابت وغيره من اولاد اسمعيل لامهم واستمرت جرهم ولاة البيت والحكام بمكة لا ينازعهم ولد اسمعيل في ذلك لخؤلتهم واعظاما لان يكون بمكة بغي ثم ان جرهما بغوا بمكة وظلموا من يدخلها من غير اهلها واكلوا مال الكعبة الذي يهدى لها حتى ان الرجل منهم كان اذا اراد أن يزني ولم يجد مكانا دخل البيت فزنى فيه فأجمعت اي عزمت خزاعة لحربهم واخراجهم من مكة ففعلوا ذلك بعد ان سلط الله تعالى على جرهم دواب تشبه النغف بالغين المعجمة والفاء وهو دود يكون في انوف الابل والغنم فهلك منهم ثمانون كهلا في ليلة واحدة سوى الشباب وقيل سلط الله عليهم الرعاف فأفنى غالبهم اي وجاز أن يكون ذلك الدم ناشئا عن ذلك الدود فلا مخالفة وذهب من بقي الى اليمن مع عمرو بن الحرث الجرهمي آخر من ملك امر مكة من جرهم وحزنت جرهم على ما فارقوا من امر مكة وملكها حزنا شديدا وقال عمرو أبياتا تامنها

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * انيس ولم يسمر بمكة سامر

وكنا ولاة البيت من بعد نابت * نطوف بذاك البيت والخير ظاهر

بلى نحن كنا اهلها فأبادنا * صروف الليالي والدهور البواتر

(ومن غريب الاتفاق) ما حكاه بعضهم قال كنت اكتب بين يدي الوزير يحيى بن خالد البرمكي ايام الرشيد فأخذه النوم فنام برهة ثم انتبه مذعورا فقال الامر كما كان والله

الدلائل عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام قال قلبت مشارق الارض ومغاربها فلم ار رجلا افضل من محمد عليه الصلاة والسلام ولم ار بني اب افضل من بني هاشم ١١ (وفي الشفاء) أن آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة قال اللهم بحق محمد اغفر لي خطيئتي وتقبل توبتي فتاب الله عليه وغفر له وهذا تأويل قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه وقيل ان الكلمات هي ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقيل اللهم لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك اني ظلمت نفسي فاغفر لي فانك خير الغافرين وقيل اللهم لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك اني ظلمت نفسي فتب علي انك أنت التواب الرحيم قال بعضهم ولا مانع من كون آدم عليه السلام اتى بالجميع (وصح) في احاديث كثيرة انه صلى الله عليه وسلم كان في صلب نوح عليه السلام حين ركب السفينة وفي صلب ابراهيم عليه السلام حين قذف به في النار وانه هو المراد من قول ابراهيم عليه السلام ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم وقد قال صلى الله عليه وسلم أنا دعوة أبي ابراهيم وبشرى عيسى عليه السلام ه واما ما نقل عن آبائه من ذكره عليه السلام والتنويه بشأنه فكثير (فمن ذلك) ما روي عن جده كعب بن لؤي فانه كان يجمع قومه يوم العروبة وهو المسمى يوم الجمعة ويعظهم ويذكرهم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم ويخبرهم بأنه من ولده ويأمرهم باتباعه فمما كان يقوله لهم سيأتي لحرمكم نبأ عظيم وسيخرج منه نبي كريم وينشد ابياتا آخرها

ذهب ملكنا وذل عزنا وانقضت ايام دولتنا قلت وماذاك أصلح الله الوزير قال سمعت منشدا انشدني كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر
... كأن لم يكن بين الحجون البيت وأجبته من غير روية بلى نحن كنا اهلها

البيت فلما كان اليوم الثالث وانا بين يديه على عادتي اذ جاء انسان وأكب عليه واخبره ان الرشيد قتل جعفرا الساعة قال أوقد فعل قال نعم فما زاد أن رمى القلم من يده وقال هكذا تقوم الساعة بغتة (ومما يؤثر عن يحيى هذا) ينبغي للانسان أن يكتب احسن مايسمع ويحفظ احسن ما يكتب ويحدث بأحسن مايحفظ وقال من لم يبت على سرور الوعد لم يجد للصنيعة طعما وصارت خزاعة بعد جرهم ولاة البيت والحكام بمكة كما تقدم وكان كبير خزاعة عمرو بن لحي وهو ابن بنت عمرو بن الحرث الجرهمي آخر ملوك جرهم المتقدم ذكره وقد بلغ عمرو بن لحي في العرب من الشرف مالم يبلغه عربي قبله ولا بعده في الجاهلية وهو اول من اطعم الحجيج بمكة سدائف الابل ولحمانها على الثريد والسدائف جمع سديف وهو شحم السنام وذهب شرفه في العرب كل مذهب حتى صار قوله دينا متبعا لايخالف وفي كلام بعضهم صار عمرو للعرب ربا لايبتدع لهم بدعة الا اتخذوها شريعة لانه كان يطعم الناس ويكسوهم في الموسم وربما نحر لهم في الموسم عشرة آلاف بدنة وكسا عشرة آلاف حلة وهو اول من غير دين ابراهيم اي فقد قال بعضهم تظافرت نصوص العلماء على أن العرب من عهد ابراهيم استمرت على دينه اي من رفض عبادة الاصنام الى زمن عمرو بن لحي فهو اول من غير دين ابراهيم وشرع للعرب الضلالات فعبد الاصنام وسيب السائبة وبحر البحيرة وقيل اول من بحر البحيرة رجل من بني مدلج كانت له ناقتان فجدع اذنيهما وحرم البانهما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيته في النار يخبطانه باخفافهما ويعضانه بأفواههما وعمرو اول من وصل الوصيلة وحمى الحامي ونصب الاصنام حول الكعبة واتى بهبل من ارض الجزيرة ونصبه في بطن الكعبة فكانت العرب تستقسم عنده بالازلام على ماسيأتي واول من ادخل الشرك في التلبية فانه كان يلبي بتلبية ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وهي لبيك اللهم لبيك لبيك لاشريك لك لبيك فعند ذلك تمثل له الشيطان في صورة شيخ يلبي معه فلما قال عمرو لبيك لاشريك لك قال له ذلك الشيخ الا شريكا هو لك فانكر عمرو ذلك فقال له ذلك الشيخ تملكه وما ملك وهذا لا بأس به فقال ذلك عمرو فتبعه العرب على ذلك اي فيوحدونه بالتلبية ثم يدخلون معه اصنامهم ويجعلون ملكها بيده قال تعالى توبيخا لهم وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون وهو أول من احل ايضا اكل الميتة فان كل القبائل من ولد اسمعيل لم تزل تحرم اكل الميتة حتى جاء عمرو بن لحي فزعم ان الله تعالى لا يرضى تحريم اكل الميتة قال كيف

على فضله يأتي النبي محمد * فيخبر اخبارا صدوق خبيرها
وينشد ايضا
ياليتني شاهد فحواء دعوته * حين العشيرة تبغي الحق خذلانا ١٢ (ومن خطبه) التي كان يخطبها أما بعد فاسمعوا وافهموا وتعلموا واعلموا ليل داج ونهار صاح والارض مهاد والسماء بناء والجبال اوتاد والنجوم أعلام والاولون كالآخرين فصلوا أرحامكم واحفظوا أصهاركم وثمروا اموالكم الدار أمامكم والظن غير ماتقولون وكان بينه وبين مبعثه صلى الله عليه وسلم خمسمائة وستون سنة وقيل وعشرون وكانوا يؤرخون بموته حتى كان عام الفيل فأرخوا به ثم بموت عبد المطلب ثم كان التاريخ في الاسلام بالهجرة (ومن ذلك) مانقل عن جده صلى الله عليه وسلم كنانة بن خزيمة انه كان شيخا عظيما تقصده العرب لعلمه وفضله وكان يقول قد آن خروج نبي من مكة يدعى أحمد يدعو الى الله تعالى والى البر والاحسان ومكارم الاخلاق فاتبعوه تزدادوا شرفا وعزا الى عزكم ولا تعتدوا أي لا تكذبوا ماجاء به فهو الحق وتواتر أن جده صلى الله عليه وسلم الياس كان يسمع من صلبه تلبية النبي صلى الله عليه وسلم المعروفة في الحج وكان كبيرا عند العرب يدعونه سيد العشيرة ولا يقضون أمرا دونه وهو أول من أهدى البدن الى البيت وجاء في الحديث لاتسبوا الياس فانه كان مؤمنا وكان في العرب مثل لقمان الحكيم في قومه وجاء في الحديث أيضا لاتسبوا ربيعة ولا مضر فانهما كانا مؤمنين وفي رواية لاتسبوا مضر لاتسبوا ربيعة فانه كان على دين اسمعيل ومن كلامه من يزرع خيرا يحصد غبطة ومن يزرع شرا يحصد ندامة وجاء أن خزيمة ومدركة ونزارا

لاتأ كلون ماقتل اللهوتأ كلون ماقتلتم (وروى البخارى) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت جهنم يحطم بعضها بعضا ورأيت عمرا يجر قصبه فى النار وفى رواية أمعاءه اى وهى المرادة بالقصب بضم القاف وفى رواية رأيته يؤذى اهل النار بريح قصبه ويقال للامعاء الاقتاب واحدها قتب بكسر القاف وسكون المثناة الفوقية آخره باء موحدة ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتابه فى النار والاندلاق الخروج بسرعة (وقال صلى الله عليه وسلم) لاكثم بن الجون الخزاعى واسمه عبد العزى وأكثم بالثاء المثلثة وهو فى اللغة واسع البطن يا اكثم رأيت عمرو بن لحى يجر قصبه فى النار فما رأيت رجلا أشبه من رجل منك به ولا بك منه فقال اكثم فعسى أن يضرنى شبهه يارسول الله قال لا انك مؤمن وهو كافر انه اول من غير دين اسمعيل فنصب الاوثان اى ودين اسمعيل هو دين ابراهيم عليهما الصلاة والسلام فان العرب من عهد ابراهيم عليه السلام استمرت على دينه لم يغيره احد الى عهد عمرو المذكور كما تقدم وفى كلام بعضهم أن اكثم هذا هو ابو معبد زوج ام معبد التى مر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الهجرة واكثم هذا هو الذى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت الدجال فاذا اشبه الناس به اكثم بن عبد العزى فقام اكثم فقال ايضرنى شبهى اياه فقال لا انت مؤمن وهو كافر ورده ابن عبد البر حيث قال الحديث الذى فيه ذكر الدجال لا يصح انما يصح ما قاله فى ذكر عمرو بن لحى وانما كان عمرو بن لحى أول من نصب الاوثان لانه خرج من مكة الى الشام فى بعض اموره فرأى بأرض البلقاء العماليق ولد عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح ورآهم يعبدون الاصنام فقال لهم ما هذه قالوا هذه اصنام نعبدها فنستمطرها فتمطرنا ونستنصرها فتنصرنا فقال لهم افلا تعطونى منها صنما فأسير به الى أرض العرب فأعطوه صنما يقال له هبل فقدم به مكة فنصبه فى بطن الكعبة على بئرها وامر الناس بعبادته وتعظيمه فكان الرجل اذا قدم من سفره بدأ به قبل اهله بعد طوافه بالبيت وحلق رأسه عنده وكان عند هبل سبع قداح قدح فيه مكتوب العقل اذا اختلفوا فيمن يحمله منهم ضربوا به فعلى من خرج حمله وقدح مكتوب فيه نعم وقدح مكتوب فيه لا وذلك للامر الذى يريدونه وقدح فيه منكم وقدح فيه ملصق من غيركم اذا اختلفوا فى ولد هل هو منهم اولا وقدح فيه بها وقدح فيه ما بها اذا ارادوا ارضا يحفرون بها للماء وكان هبل من العقيق على صورة انسان وعاش عمرو بن لحى هذا ثلثمائة سنة واربعين سنة ورأى من ولده وولد ولده الف مقاتل اى ومكث هو وولده من بعده فى ولاية البيت خمسمائة سنة وكان آخرهم حليل الذى تزوج قصى ابنته كما تقدم وقيل كان لعمرو تابع من الجن فقال له اذهب الى جدة

كل منهم كان يرى نور النبى صلى الله عليه وسلم بين عينيه وان نزارا لما ولد ونظر أبوه الى نور النبى صلى الله عليه وسلم بين عينيه فرح فرحا شديدا ونحر وأطعم وقال ان هذا كله نزر أى قليل بحق هذا المولود فسمى نزارا لذلك وكان أجل أهل زمانه وأكبرهم عقلا وجاء ان الله لما سلط بختنصر على العرب أمر الله أرمياء عليه السلام أن يحمل معه معد بن عدنان على البراق كى لا تصيبه النقمة وقال فانى سأخرج من صلبه نبيا كريما أختم به الرسل ففعل أرمياء ذلك واحتمله معه الى ارض الشام فنشأ مع بنى اسرائيل ثم عاد بعد أن هدأت الفتن بموت بختنصر (وحكى الزبير بن بكار) أن أول من وضع انصاب الحرم عدنان قيل وهو أول من كسا الكعبة أو كسيت فى زمنه وجاء انه انما سمى عدنان من العدن وهو الاقامة لان الله أقام ملائكة لحفظه وسبب ذلك ان أعين الجن والانس كانت اليه وأرادوا قتله وقالوا ان تركنا هذا الغلام حتى يدرك مدرك الرجال ليخرجن من ظهره من يسود الناس فوكل الله به من يحفظه (روى أبو جعفر) فى تاريخه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان عدنان ومعد وربيعة وخزيمة واسد على ملة ابراهيم فلا تذكروهم الا بخير وجاء ايضا ان مضر انما سمى بذلك لانه كان يمضر القلوب اى يأخذها لحسنه وجماله ولم يره احد الا احبه لما كان يشاهد فى وجهه من نور النبى صلى الله عليه وسلم (ومن كلامه) خير الخير اعجله فاحملوا انفسكم على مكروهها واصرفوها عن هواها فيما افسدها فليس بين الصلاح والفساد الا صبر فواق وهو ما بين الحلبتين وهو اول من حدا للابل وذلك انه سقط عن بعيره وهو شاب فانكسرت يده فقال

يايداه يايداه فأتت اليه الابل من المرعى فلما صح وركب حدا وكان من احسن الناس صوتا وقيل بل كسرت يده ولى له فصاح فاجتمعت اليه الابل فوضع الحداء وزاد الناس فيه ويقال لمضر مضر الحمراء وسبب ذلك انه لما اقتسم هو واخوه ربيعة مال والدهما نزار اخذ مضر الذهب فقيل له مضر الحمراء واخذ ربيعة الخيل فقيل له ربيعة الفرس قيل ان قبر مضر بالروحاء وجاء ان معدا سمى بذلك لانه كان صاحب حروب وغارات على بنى اسرائيل ولم يحارب احدا الارجع بالنصر بسبب نور النبى صلى الله عليه وسلم الذى فى جبهته وخزيمة قيل انه تصغير خزمة وانما سمى بذلك لانه خزم اى جمع فيه نور النبى صلى الله عليه وسلم الذى كان فى آبائه ومدركة سمى بذلك لانه ادرك كل عز وفخر بسبب نور النبى صلى الله عليه وسلم وكان ظاهرا بينا فيه والنضر انما لقب بذلك لنضارة وجهه واشراقه وجماله من نور النبى صلى الله عليه وسلم قيل ان ام النضر برة بنت اد بن طابخة تزوجها ابوه كنانة بعد ابيه خزيمة فولدت له النضر على ما كان عليه اهل الجاهلية اذا مات رجل خلف على زوجته اكبر بنيه من غيرها ولذا قال تعالى ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف وهذا كله غلط فاحش قال ابو عثمان الجاحظ ان كنانة خلف على زوجة ابيه فماتت ولم تلد له ذكرا ولا انثى فنكح بنت اخيها وهى برة بنت مر بن اد بن طابخة فولدت له النضر قال وانما غلط كثير لما سمعوا ان كنانة خلف على زوجة ابيه لاتفاق اسمى الزوجتين وتقارب النسب قال وهذا هو الذى عليه مشايخنا من أهل العلم والنسب ومعاذ الله أن يكون أصاب نسبه صلى الله عليه وسلم نكاح

وات منها بالآلهة التى كانت تعبد فى زمن نوح وادريس عليهما السلام وهى ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر فذهب واتى بها الى مكة ودعا الى عبادتها فانتشرت عبادة الاصنام فى العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان وقيل لهذيل ويغوث لمذحج بالذال المعجمة على وزن مسجد ابو قبيلة من اليمن ويعوق لمراد وقيل لهمدان ونسر لحمير وكانوا هؤلاء على صور عباد ماتوا فحزن اهل عصرهم عليهم فصورلهم ابليس اللعين امثالهم من صفر ونحاس ليستأنسوا بهم فجعلوها فى مؤخر المسجد فلما هلك اهل ذلك العصر قال اللعين لاولادهم هذه آلهة آبائكم تعبدونها ثم ان الطوفان دفنها فى ساحل جدة فأخرجها اللعين (وفى كلام بعضهم) ان آدم كان له خمسة اولاد صلحاء وهم ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر فمات ود فحزن الناس عليه حزنا شديدا واجتمعوا حول قبره لا يكادون يفارقونه وذلك بأرض بابل فلما راى ابليس ذلك من فعلهم جاء اليهم فى صورة انسان وقال لهم هل لكم ان اصور لكم صورته اذا نظرتم اليها ذكرتموه قالوا نعم فصور لهم صورته ثم صار كلما مات واحد منهم صور صورته وسموا تلك الصور بأسمائهم ثم لما تقادم الزمان وماتت الآباء والابناء وابناء الابناء قال لمن حدث بعدهم ان الذين كانوا قبلكم يعبدون هذه الصور فعبدوها فأرسل الله اليهم نوحا فنهاهم عن عبادتها فلم يجيبوه لذلك وكان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فأول ما حدثت عبادة الاصنام فى قوم نوح فأرسله الله تعالى اليهم فنهاهم عن ذلك ويقال ان عمرو بن لحى هو الذى نصب مناة على ساحل البحر مما يلى قديد وكانت الازد يحجون اليه ويعظمونه وكذلك الاوس والخزرج وغسان (وذكر الشيخ عبد الوهاب الشعرانى) فى تفسيره لبعض الآيات القرآنية عند قوله تعالى ولله يسجد من فى السموات والارض ان أصل وضع الاصنام انما هو من قوة التنزيه من العلماء الاقدمين فانهم نزهوا الله تعالى عن كل شئ وأمروا بذلك عامتهم فلما رأوا ان بعض عامتهم صرح بالتعطيل وضعوا لهم الاصنام وكسوها الديباج والحلى والجواهر وعظموها بالسجود وغيره ليتذكروا بها الحق الذى غاب عن عقولهم وغاب عن أولئك العلماء ان ذلك لا يجوز الا باذن من الله تعالى هذا كلامه (وكان فى زمان جرهم) رجل فاجر يقال له اساف فجر بامرأة يقال لها نائلة فى جوف الكعبة اى قبلها فيها كما فى تاريخ الازرقى وقيل زنا بها فمسخا حجرين فأخرجتهما ونصبا على الصفا والمروة ليكونا عبرة فلما كان زمن عمرو بن لحى اخذهما ونصبهما حول الكعبة اى على زمزم وجعلا فى وجهها وصار من يطوف يتمسح بهما يبدأ باساف ويختم بنائلة وذلك قبل أن يقدم عمرو بهبل وبتلك الاصنام وكانت قريش تذبح ذبائحها عندهما (وذكر) أنه صلى الله عليه وسلم لما كسر نائلة

عند فتح مكة خرجت منها امرأة سوداء شمطاء تخمش وجهها وهي تنادي بالويل والثبور وكان عمرو يخبر قومه بأن الرب يشتي بالطائف عند اللات ويصيف عند العزى فكانوا يعظمونهما وكانوا يهدون الى العزى كما يهدون الى الكعبة وقصي هو الذي امر قريشا أن يبنوا بيوتهم داخل الحرم حول البيت وقال لهم ان فعلتم ذلك هابتكم العرب ولم تستحل قتالكم فبنوا حول البيت من جهاته الاربع وجعلوا أبواب بيوتهم جهته لكل بطن منهم باب ينسب الآن اليه كباب بني شيبة وباب بني سهم وباب بني مخزوم وباب بني جمح وتركوا قدر الطواف بالبيت فبنى قصي دار الندوة وهي أول دار بنيت بمكة واستقر الامر على أنه ليس حول الكعبة الا قدر المطاف وليس حوله جدار زمنه صلى الله عليه وسلم وزمن ولاية الصديق رضي الله عنه فلما كان زمن ولاية عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه اشترى تلك الدور من اهلها وهدمها وبنى المسجد المحيط بها ثم لما كان زمن ولاية عثمان رضي الله تعالى عنه اشترى دورا أخر وغالى في ثمنها وهدمها وزاد في سعة المسجد ثم ان ابن الزبير رضي الله عنهما زاد في المسجد زيادة كثيرة ثم ان عبد الملك بن مروان رفع جداره وسقفه بالساج وعمره عمارة حسنة ولم يزد فيه شيأ ثم ان الوليد بن عبد الملك وسع المسجد وحمل اليه أعمدة الرخام ثم زاد فيه المهدي والد الرشيد مرتين واستقر بناؤه على ذلك الى الآن وكانت قريش قبل ذلك أي قبل بنائهم منازلهم في الحرم يحترمون الحرم ولا يبيتون فيه ليلا واذا أراد أحدهم قضاء حاجة الانسان خرج الى الحل (وقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم) لما كان بمكة اذا أراد حاجة الانسان خرج الى المغمس بكسر الميم أفصح من فتحها وهو على ثلثي فرسخ من مكة وهابت قريش قطع شجر الحرم التي في منازلهم التي بنوها فقد كان بمكة شجر كثير من العضاه والسلم وشكوا ذلك الى قصي فأمرهم بقطعها فهابوا ذلك فقالوا انكره ان ترى العرب انا استخففنا بحرمنا فقال قصي انما تقطعونه لمنازلكم وما تريدون به فسادا بهله الله أي لعنه على من أراد فسادا فقطعها قصي بيده ويد أعوانه (وفي كلام السهيلي عن الواقدي) الاصح ان قريشا حين أرادوا البنيان قالوا لقصي كيف نصنع في شجر الحرم فحذرهم قطعها وخوفهم العقوبة في ذلك فكان احدهم يحدق بالبنيان حول الشجرة حتى تكون في منزله قال وأول من ترخص في قطع شجر الحرم للبنيان عبد الله بن الزبير حين ابتنى دورا بقعيقعان لكنه جعل فداء كل شجرة بقرة فليتأمل الجمع (وأنزل قصي القبائل) من قريش اي فانه جعلها اثنتي عشرة قبيلة كما تقدم في نواحي مكة بطاحها وظواهرها ومن ثم قيل لمن سكن البطاح قريش البطاح ولمن سكن الظواهر قريش الظواهر والاولى اشرف من الثانية ومن الاولى بنو هاشم والى ذلك يشير صاحب الاصل في وصفه صلى الله عليه وسلم بقوله

مقت وقد قال صلى الله عليه وسلم مازلت أخرج من نكاح كنكاح الاسلام ومن قال غير هذا فقد اخطأ وشك في هذا الخبر والحمد لله الذي طهره من كل وصم تطهيرا قال الدميري وهذا ارجو به الفوز ١٥ الجاحظ في منقلبه وانه يتجاوز عنه فيما سطره في كتبه قال الحافظ الشامي وهو من النفائس التي يرحل اليها وهو الذي ينثلج له الصدر ويذهب وحره ويزيل الشك ويطفئ شرره انتهى وقد أجمع العلماء على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا انتسب ينتهي الى عدنان ولم يتجاوزه ويقول كذب النسابون وذلك لانه اختلف فيما بين عدنان واسمعيل اختلافا كثيرا ومن اسمعيل الى آدم متفق على أكثره وفيه خلف يسير في عدد الآباء وفي ضبط بعض الاسماء وعن ابن عباس رضي الله عنهما بين عدنان واسمعيل ثلاثون أبا لا يعرفون وقيل أقل وقيل اكثر وقال عروة ابن الزبير ما وجدت احدا يعرف بعد معد بن عدنان (وسئل مالك) عن الرجل يرفع نسبه الى آدم فكره ذلك وقال على سبيل الانكار من اخبره بذلك فينبغي لمن اراد ان يذكر نسب النبي صلى الله عليه وسلم ان يوصله الى عدنان بن أدد ويقف اقتداء به صلى الله عليه وسلم واجمعوا على ان عدنان ينتهي نسبه الى اسمعيل عليه السلام فهو صلى الله عليه وسلم محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان

ولله در القائل

ونسبة عز هاشم من اصولها * ومحتدها المرضي اكرم محتد * سمت رتبة علياء اعظم بقدرها *

ولم اسم الابالنبي محمد * وزعم الله آخر حيث قال   قالوا ابو الصقر من شيبان قلت لهم * كلا لعمري ولكن منه شيبان
وكم اب قد علا بابن ذرى شرف * ١٦ كما علا برسول الله عدنان (قال الماوردي) في كتاب اعلام النبوة واذا اختبرت حال
نسبه صلى الله عليه وسلم وعرفت طهارة مولده علمت انه سلالة آباء كرام ليس فيهم مسترذل بل كلهم سادة قادة وشرف النسب وطهارة المولد من شروط النبوة (وفهر) اسمه قريش واليه تنتهي وتجتمع قبائل قريش ومافوقه كناني وسمي قريشا لانه كان يقرش اي يفتش على حاجة المحتاج فيسدها بماله وقيل كان بنوه يقرشون اهل الموسم عن حوائجهم فيرفدونهم (وكلاب) اسمه حكيم سمي بكلاب لانه كان يكثر الصيد بالكلاب وقيل من المكالبة اى المضايقة لمضايقته على أعدائه وقيل من الكلاب جمع كلب كأنهم يريدون الكثرة (وسئل) اعرابي لم تسمون أبناءكم بشر الاسماء نحو كلب وذئب وعبيدكم بأحسن الاسماء نحو رزق ومرزوق ورباح فقال انما نسمي ابناءنا لاعدائنا وعبيدنا لانفسنا يريد أن الابناء عدة للاعداء وسهام في نحورهم فاختاروا لهم هذه الاسماء (وقصي) اسمه زيد أو يزيد ويقال له مجمع به جمع الله القبائل من قريش في مكة بعد تفرقها قال الشاعر

ابوكم قصي كان يدعى مجمعا * به جمع الله القبائل من فهر

وهذا البيت من قصيدة مدح بها حذافة بن غانم عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم حيث أنجده من كربة وقعت له   وبنو
فو جده مربوطا ربطه ركب من جذام ادعوا عليه قتيلا قتله بمكة ففداه عبد المطلب بمال واطلقه وكان مع عبد المطلب حين

من بني هاشم بن عبد مناف * وبنو هاشم بحار الحباء
من قريش البطاح من عرف النا * س لهم فضلهم بغير امتراء

قال بعضهم كان قصي أول رجل من بني كنانة أصاب ملكا ولما حضر الحج قال لقريش قد حضر الحج وقد سمعت العرب بما صنعتم وهم لكم معظمون ولا أعلم مكرمة عند العرب أعظم من الطعام فليخرج كل انسان منكم من ماله خرجا ففعلوا فجمع من ذلك شيأ كثيرا فلما جاء أوائل الحج نحر على كل طريق من طرق مكة جزورا ونحر بمكة وجعل الثريد واللحم وسقي الماء المحلى بالزبيب وسقي اللبن وهو أول من أوقد النار بمزدلفة ليراها الناس من عرفة ليلة النفر (ومما يؤثر عن قصي) من اكرم لئيما اشركه في لؤمه ومن استحسن قبيحا نزل الى قبحه ومن لم تصلحه الكرامة اصلحه الهوان ومن طلب فوق قدره استحق الحرمان والحسود العدو الخفي ولما احتضر قال لاولاده اجتنبوا الخمرة فانها تصلح الابدان وتفسد الاذهان (وحاز قصي شرف مكة كله) فكان بيده السقاية والرفادة والحجابة والندوة واللواء والقيادة وكان عبد الدار اكبر اولاد قصي وعبد مناف أشرفهم أي لانه شرف في زمان أبيه قصي وذهب شرفه كل مذهب وكان يليه في الشرف اخوه المطلب كان يقال لهما البدران وكانت قريش تسمي عبد مناف الفياض لكثرة جوده فأعطى قصي ولده عبد الدار جميع تلك الوظائف التي هي السقاية والرفادة والحجابة والندوة واللواء والقيادة أي فانه قال له أما والله يابني لالحقنك بالقوم يعني اخويه عبد مناف والمطلب وان كانوا قد شرفوا عليك لايدخل رجل منهم الكعبة حتى تكون انت تفتحها له اى بسبب الحجابة للبيت ولايعقد لقريش لواء لحربهم الا انت بيدك اى وهذا هو المراد باللواء ولا يشرب رجل بمكة الا من سقايتك وهذا هو المراد بالسقاية ولا يأكل احد من اهل الموسم الا من طعامك اى وهذا هو المراد بالرفادة ولا تقطع قريش امرا من امورها الا في دارك يعني دار الندوة اى ولا يكون احد قائدا لقوم الا انت وذلك بسبب القيادة فلما مات عبد الدار وأخوه عبد مناف اراد بنو عبد مناف وهم هاشم وعبد شمس والمطلب وهؤلاء اخوة لاب وام امهم عاتكة بنت مرة ونوفل اخوهم لابيهم امه واقدة بنت حرمل ان يأخذوا تلك الوظائف من بني عمهم عبد الدار واجمعوا على المحاربة اى واخرج بنو عبد مناف جفنة مملوأة طيبا فوضعوها لاحلافهم في المسجد عند باب الكعبة ثم غمس القوم ايديهم فيها وتعاقدوا هم وحلفاؤهم ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيدا على انفسهم فسموا المطيبين اى اخرجتها لهم ام حكيم البيضاء بنت عبد المطلب عمة النبي صلى الله عليه وسلم وتوأمة ابيه ووضعتها في الحجر وقالت من تطيب بهذا فهو منا فتطيب منها مع بني عبد مناف بنو زهرة وبنو اسد بن عبد العزى

وبنو تيم بن مرة وبنو الحرث بن فهر فالمطيبون من قريش خمس قبائل وتعاقد بنو عبد الدار واحلافهم وهم بنو مخزوم وبنو سهم وبنو جمح وبنو عدى بن كعب على أن لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضا فسموا الاحلاف فتحالفهم بعد أن أخرجوا جفنة مملوأة دما من دم جزور نحروها ثم قالوا من ادخل يده فى دمها فلعق منه فهو منا وصاروا يضعون أيديهم فيها ويلعقونها فسموا لعقة الدم وقيل الذين لعقوا الدم فسموا لعقة الدم بنو عدى خاصة ثم اصطلحوا على أن تكون السقاية والرفادة والقيادة لبنى عبد مناف والحجابة واللواء لبنى عبد الدار ودار الندوة بينهم بالاشتراك وتحالفوا على ذلك هذا والذى رأيته فى الشرق فيما يحاضر به من آداب المشرق ولما شرف عبد مناف بن قصى فى حياة ابيه وذهب شرفه كل مذهب وكان قصى يحب ابنه عبد الدار اراد أن يبقى له ذكرا فأعطاه الحجابة ودار الندوة واللواء واعطى عبد مناف السقاية والرفادة والقيادة وجعل عبد الدار الحجابة لولده عثمان وجعل دار الندوة لولده عبد مناف بن عبد الدار ثم وليها عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ثم وليها اولاده من بعده والسقاية كانت حياضا من أدم توضع بفناء الكعبة وينقل اليها الماء العذب من الآبار على الابل فى المزاود والقرب قبل حفر زمزم وربما قذف فيها التمر والزبيب فى غالب الاحوال ليسقى الحاج ايام الموسم حتى يتفرقوا وهذه السقاية قام بها وبالرفادة بعد عبد مناف ولده هاشم وبعده ولده عبد المطلب وكان شريفا مطاعا جوادا وكانت قريش تسميه الفياض لكثرة جوده فلما كبر عبد المطلب فوض اليه امر السقاية والرفادة فلما مات المطلب وثب عليه عمه نوفل بن عبد مناف وغصبه أركاحا اى افنية ودورا فسأل عبد المطلب رجالا من قومه النصرة على عمه نوفل فأبوا وقالوا لا ندخل بينك وبين عمك فكتب الى اخواله بنى النجار بالمدينة يعلمهم صنع عمه نوفل فلما وقف عليه ابو سعد بن عدى بن النجار على كتابه بكى وسار من المدينة فى ثمانين راكبا حتى قدم مكة فنزل الابطح فتلقاه عبد المطلب وقال له المنزل يا خال فقال لا والله حتى القى نوفلا فقال تركته فى الحجر جالسا فى مشايخ قريش فأقبل ابو سعد حتى وقف عليهم فقام نوفل قائما وقال يا ابا سعد أنعم صباحا فقال له أبو سعد لا أنعم الله لك صباحا وسل سيفه وقال ورب هذه البنية لئن لم ترد على ابن أختى أركاحه لاملأن منك هذا السيف فقال قد رددتها عليه فأشهد عليه مشايخ قريش ثم نزل على عبد المطلب فأقام عنده ثلاثا ثم اعتمر ورجع الى المدينة ولما جرى ذلك حالف نوفل وبنو بنى أخيه عبد شمس على بنى هاشم وحالفت بنو هاشم خزاعة على بنى نوفل وبنى عبد شمس اى فان خزاعة قالت نحن أولى بنصرة عبد المطلب لان عبد مناف جد عبد المطلب امه حبى بنت حليل سيد خزاعة كما تقدم فقالوا لعبد المطلب هل فلما الف

أطلقه ابنه أبو لهب فقال يمدح عبد المطلب وبنيه بنو شيبة الحمد الذى كان وجهه • يضئ ظلام الليل كالقمر البدر الى أن قال أبوكم قصى كان يدعى مجمعا به جمع الله القبائل من فهر ومن ١٧ كلام قصى من أكرم لئيما شاركه فى لؤمه ومن استحسن قبيحا ترك الى قبحه ومن لم تصلحه الكرامة اصلحه الهوان ومن طلب فوق قدره استحق الحرمان والحسود هو العدو الخفى ولما احتضر قال لبنيه اجتنبوا الخمرة فانها تصلح الابدان وتفسد الاذهان وتزوج قصى من خزاعة حبى بنت حليل الخزاعى فولدت له عبد مناف وكانت ولاية الحرم لخزاعة وانتهت الى حليل الخزاعى فأوصى بها لابنته زوج قصى فقالت لا قدرة لى على فتح البيت واغلاقه فجعل ابو هاذلك لابى غبشان الخزاعى فاشترى منه قصى امر البيت وامر مكة بزق من خمر ثم زاد ما أزوادا من الابل واثوابا فنازعته خزاعة فدعا قريشا وبنى كنانة لاعانته فأعانوه حتى ازاح يد خزاعة وذلك بعد أن اقتتلوا ايام منى بعد أن حذرتهم قريش الظلم والبغى وذكرتهم ما صارت اليه جرهم حين الحدوا فى الحرم بالظلم فأبت خزاعة فاقتتلوا قتالا شديدا وكثر القتل والجراح فى الفريقين الا انه فى خزاعة اكثر ثم تداعوا الصلح واتفقوا على أنهم يحكمون بينهم رجلا من العرب فحكموا يعمر ابن عوف وكان رجلا شريفا فقال لهم موعدكم فناء الكعبة غدا

٢ سل ل فلما اجتمعوا قام يعمر فقال ألا انى قد شدخت ما كان بينكم من دم تحت قدمى هاتين فلا تباعة لاحد على احد وقضى لقصى بأنه اولى بولاية مكة فتولاها وكانت خزاعة قد ازالت يد جرهم عن ولاية البيت فان مضاض بن جبر والجرهمى

الاكبر ولي امر البيت بعد نابت بن اسمعيل عليه الصلاة والسلام لانه كان جدا لنابت وغيره من اولاد اسمعيل لامهم لان اسمعيل تزوج من جرهم فجاءه الاولاد منهم ١٨ فاخذ ولاية البيت بعد نابت بن اسمعيل مضاض بن عمرو الجرهمي واستمرت

جرهم ولاة البيت والحكام
لاينازعهم ولد اسمعيل في ذلك
لخؤولتهم واعظاما لان يكون بمكة
بغي ثم ان جرهما بغوا بمكة وظلموا
من يدخلها من غير اهلها واكلوا
مال الكعبة الذي يهدى لها
فاجمعت خزاعة لحربهم واخراجهم
من مكة ففعلوا ذلك بعد أن سلط
الله على جرهم دواب تشبه النغف
بالغين المعجمة والفاء وهو دود
يكون في انوف الابل والغنم فهلك
منهم ثمانون كهلا في ليلة واحدة
سوى الشباب وقيل سلط الله
عليهم الرعاف فأفنى غالبهم وذهب
من بقي الى اليمن مع عمرو بن الحرث
الجرهمي آخر من ملك أمر مكة من
جرهم وحزنت جرهم على ما فارقوا
من أمر مكة وملكها حزنا شديدا
وقال عمرو بن الحرث أبياتا منها
كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
انيس ولم يسمر بمكة سامر
وكنا ولاة البيت من بعد نابت
نطوف بذاك البيت والخير ظاهر
بلى نحن كنا اهلها فأبادنا
صروف الليالي والدهور البواتر
ثم استمر الامر في خزاعة الى أن
تزوج قصي منهم وحصل ما تقدم
ذكره فازاح يد خزاعة وولي امر
مكة وشرفها فكان بيده السقاية
والرفادة والحجابة والندوة واللواء

والقيادة وكان عبد الدار اكبر اولاد قصي واحبهم اليه وكان عبد مناف اشرفهم لانه شرف في زمن ابيه فقال
وذهب شرفه كل مذهب وكانت قريش تسميه الفياض لكرمه فاعطى قصي تلك الوظائف ولده عبد الدار لمحبته له وقال أما والله

فدخلوا دار الندوة وتحالفوا وتعاقدوا وكتبوا بينهم كتابا باسمك اللهم هذا ما تحالف عليه بنو هاشم ورجالات عمرو بن ربيعة من خزاعة على النصرة والمواساة ما بل بحر صوفة وما أشرقت الشمس على ثبير وهب بفلاة بعير وما أقام الاخشبان واعتمر بمكة انسان والمراد من ذلك الابد وعبد المطلب لما حفر زمزم صار ينقل الماء منها لتلك الاحواض ويقذف فيها التمر والزبيب ثم بعده قام بها ولده ابو طالب ثم اتفق أن ابا طالب أملق اي افتقر في بعض السنين فاستدان من اخيه العباس عشرة آلاف درهم الى الموسم الآخر فصرفها ابو طالب في الحجيج عامه ذلك فيما يتعلق بالسقاية فلما كان العام المقبل لم يكن مع ابي طالب شيء فقال لاخيه العباس أسلفني اربعة عشر الفا أيضا الى العام المقبل لاعطيك جميع مالك فقال له العباس بشرط ان لم تعطني تترك السقاية لاكفلها فقال نعم فلما جاء العام الآخر لم يكن مع ابي طالب ما يعطيه لاخيه العباس فترك له السقاية فصارت للعباس ثم لولده عبد الله بن عباس واستمر ذلك في بني العباس الى زمن السفاح ثم ترك بنو العباس ذلك * والرفادة اطعام الحاج ايام الموسم حتى يتفرقوا فان قريشا كانت على زمن قصي تخرجه من اموالها في كل موسم فتدفعه الى قصي فيصنع به طعاما للحاج يأكل منه من لم يكن معه سعة ولا زاد كما تقدم حتى قام بها بعده ولده عبد مناف ثم بعد عبد مناف ولده هاشم ثم بعده هاشم ولده عبد المطلب ثم ولده ابو طالب وقيل ولده العباس ثم استمر ذلك الى زمنه صلى الله عليه وسلم وزمن الخلفاء بعده ثم استمر ذلك في الخلفاء الى أن انقرضت الخلافة من بغداد ثم من مصر وأما القيادة وهي امارة الركب فقام بها بعد عبد مناف ولده عبد شمس ثم كانت بعد عبد شمس لابنه امية ثم لابنه حرب ثم لابنه ابي سفيان فكان يقود الناس في غزواتهم فقاد الناس يوم احد ويوم الاحزاب ومن ثم لما قال الوليد ابن عبد الملك لخالد بن يزيد بن معاوية لست في العير ولا في النفير قال له ويحك العير والنفير عيبتي اي وعائي لان العيبة ما يجعل فيه الثياب جدي ابو سفيان صاحب العير وجدي عتبة بن ربيعة صاحب النفير * ودار الندوة كانت قريش تجتمع فيها للمشاورة في امورها ولا يدخلها الا من بلغ الاربعين وكانت الجارية اذا حاضت تدخل دار الندوة ثم يشق عليها بعض ولد عبد الدار درعها ثم يدرعها اياه وانقلب بها فتحجب وهذه كانت سنة قصي فكان لا ينكح رجل امرأة من قريش الا في دار قصي التي هي دار الندوة ولا يعقد لواء حرب الا فيها ولا تدرع جارية من قريش الا في تلك الدار فيشق عنها درعها او يدرعها بيده فكانت قريش بعد موت قصي يتبعون ما كان عليه في حياته كالدين المتبع ولا زالت هذه الدار في يد بني عبد الدار الى أن صارت الى حكيم بن حزام فباعها في الاسلام بمائة الف درهم فلامه عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما وقال اتبيع مكرمة آبائك وشرفهم

يابني لا تهلكك بالقوم يعني بقية اخوته وبني عمه وان كانوا اشرف اعليك لا يدخل رجل منهم الكعبة حتى تكون انت تفتحها ولا يعقد لقريش لواء الحرب الا أن تعقده انت ولا يشرب رجل بمكة الا من سقايتك ولا يأكل احد من اهل الموسم الا من طعامك وهذا هو المراد من الرفادة ولا تقطع قريش امرا من امورها الا في دارك يعني دار الندوة ولا يكون احد قائد القوم في قتال الا انت فلما مات عبد الدار واخوه عبد مناف اختلف ابناؤهم فاراد بنو عبد مناف وهم هاشم والمطلب وعبد شمس ونوفل أن يأخذوا تلك الوظائف من بني عمهم عبد الدار واجمعوا على المحاربة واخرج بنو عبد مناف جفنة مملوأة طيبا فوضعوها لمن اراد ان يحالفهم ويكون معهم في المسجد عند باب الكعبة فغمس جماعة من قريش أيديهم فيها للاشارة الى انهم معهم وتحالفوا بعد ان تطيبوا منها معهم فسموا المطيبين وهم بنو عبد مناف وبنو زهرة وبنو أسد ابن عبد العزى بن قصي وبنو تيم بن مرة وبنو الحرث بن فهر فالمطيبون قبائل خمسة وتعاقد بنو عبد الدار مع أحلافهم وهم بنو مخزوم وبنو سهم وبنو جمح وبنو عدي بن كعب على ان لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضا لتحالفهم بعد أن اخرجوا جفنة مملوأة دما من دم جزور نحروها ثم قالوا من ادخل يده فيها فلعق منها فهو منا ففعلوا ذلك ولذا سموا لعقة الدم ثم اصطلحوا على أن تكون الرفادة والقيادة والسقاية لبني عبد مناف والحجابة واللواء لبني عبد الدار ودار الندوة بينهم بالاشتراك وقيل ان دار الندوة بقيت في يد بني عبد الدار حتى باعها بعض من أبنائهم على حكيم بن حزام بن اسد بن عبد

فقال حكيم رضي الله عنه ذهبت المكارم الا التقوى والله لقد اشتريتها في الجاهلية بزق خمر وقد بعتها بمائة الف واشهدكم أن ثمنها في سبيل الله تعالى فأينا المغبون * قيل وقصي هو جماع قريش فلا يقال لاحد من اولاد من فوقه قرشي ونسب هذا القول لبعض الرافضة وهو قول باطل لانه توصل به الى أن لا يكون سيدنا ابو بكر وسيدنا عمر رضي الله تعالى عنهما من قريش فلا حق لهما في الامامة العظمى التي هي الخلافة لقوله صلى الله عليه وسلم الائمة من قريش ولقوله صلى الله عليه وسلم لقريش انتم اولى الناس بهذا الامر ما كنتم على الحق الا أن تعدلوا عنه لانهما لم يلتقيا مع النبي صلى الله عليه وسلم الا فيما بعد قصي لان ابا بكر رضي الله تعالى عنه يجتمع معه في مرة كما سيأتي لان تيم بن مرة بينه وبين ابي بكر رضي الله عنه خمسة آباء وعمر رضي الله عنه يجتمع معه في كعب كما سيأتي وبين عمر رضي الله عنه وكعب سبعة آباء ○ *وقصي ابن كلاب* اي واسمه حكيم وقيل عروة ولقب بكلاب لانه كان يحب الصيد واكثر صيده كان بالكلاب وهو الجد الثالث لآمنة امه صلى الله عليه وسلم ففي كلاب يجتمع نسب ابيه وامه *ابن مرة* وهو الجد السادس لابي بكر رضي الله تعالى عنه والامام مالك رضي الله تعالى عنه يجتمع معه صلى الله عليه وسلم في هذا الجد الذي هو مرة ايضا *ابن كعب* اي وهو الجد الثامن لعمر رضي الله تعالى عنه وكان كعب يجمع قومه يوم العروبة اي يوم الرحمة الذي هو يوم الجمعة ويقال انه اول من سماه يوم الجمعة لاجتماع قريش فيه اليه لكن في الحديث كان اهل الجاهلية يسمون يوم الجمعة يوم العروبة واسمه عند الله تعالى يوم الجمعة قال ابن دحية ولم تسم العروبة الجمعة الا مذ جاء الاسلام وسيأتي في ذلك كلام فكانت قريش تجتمع الى كعب ثم يعظهم ويذكرهم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم ويعلمهم بأنه من ولده ويأمرهم باتباعه ويقول سيأتي لحرمكم نبأ عظيم وسيخرج منه نبي كريم وينشد ابياتا آخرها

على غفلة يأتي النبي محمد * فيخبر أخبارا صدوق خبيرها

وينشد ايضا

يا ليتني شاهد فحواء دعوته * حين العشيرة تبغي الحق خذلانا

وكان بينه وبين مبعثه صلى الله عليه وسلم خمسمائة سنة وستون سنة وفي الامتاع وعشرون سنة لان الحق ان الخمسمائة والستين انما هي بين موت كعب والفيل الذي هو مولده صلى الله عليه وسلم كما ذكره ابو نعيم في الدلائل النبوية وقيل ان كعبا اول من قال أما بعد فكان يقول أما بعد فاسمعوا وافهموا وتعلموا واعلموا ليل داج وفي رواية ليل ساج ونهار صاح والارض مهاد والسماء بناء والجبال اوتاد والنجوم أعلام والاولون كالآخرين فصلوا أرحامكم واحفظوا أصهاركم وثمروا أموالكم الدار

العزى بن قصي فاشتراها بزق خمر ثم باعها في الاسلام بمائة الف درهم فقال له عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أتبيع مكرمة آبائك وشرفهم فقال حكيم ذهبت المكارم الا التقوى والله لقد اشتريتها في الجاهلية بزق خمر ولأبيعنها بمائة الف واشهدكم ان ثمنها في سبيل الله فأينا المغبون وكانت دار الندوة لقريش يجتمعون فيها للمشاورة ولا يدخلها الا من بلغ الاربعين وكانت الجارية اذا حاضت تدخل دار الندوة ثم يشق عليها بعض ولد عبد الدار درعها ثم يدرعها اياه وينقلب بها فتحجب وكانوا لا يعقدون عقد نكاح الا في دار قصي اعني دار الندوة ولا يعقد لواء حرب الا فيها • وأما القيادة وهي امارة الركب فقام بها من أبناء عبد مناف عبد شمس ثم ابنه أمية ثم ابنه حرب ثم ابنه أبو سفيان فكان يقود الناس في غزواتهم قاد الناس يوم أحد ويوم الاحزاب واما يوم بدر فقاد الناس عتبة بن ربيعة بن عبد شمس لانه أكبر من ابي سفيان اذ هو ابن عم أبيه وأيضا كان أبو سفيان مع العير ولم يكن حاضرا بمكة وقت خروج النفير واما الرفادة وهي اطعام الحاج أيام الموسم حتى يتفرقوا فان قريشا كانت على زمن قصي تخرج من أموالها في كل موسم فتدفعه الى قصي فيصنع به طعاما للحاج يأكله من لم يكن معه سعة ولا زاد ثم قام بذلك بعد قصي ابنه عبد مناف ثم ابنه هاشم ثم ابنه عبد المطلب ثم ابنه أبو طالب ثم أخوه العباس واستمر ذلك الى زمنه صلى الله عليه وسلم وزمن الخلفاء بعده الى أن انقرضت قوله الخلافة من بغداد ومن مصر واما السقاية فقام بها ايضا عبد مناف ثم ابنه هاشم ثم ابنه المطلب ثم اخوه عبد المطلب بن هاشم

أما كم والظن غير ما تقولون اى وقيل له كعب لعلوه وارتفاعه لان كل شيء علا وارتفع فهو كعب ومن ثم قيل الكعبة كعبة ولعلوه وارتفاع شأنه أرخوا بموته حتى كان عام الفيل أرخوا به ثم أرخوا بعد عام الفيل بموت عبد المطلب ﴿وكعب ابن لؤي﴾ اى بالهمزة اكثر من عدمها اى وفي سبب تصغيره خلاف ﴿ابن غالب بن فهر﴾ سماه ابوه فهرا وقيل هو لقب واسمه قريش والمناسب أن يكون لقبا لقولهم انما سمي قريشا لانه كان يقرش اى يفتش على خلة حاجة المحتاج فيسدها بماله وكان بنوه يقرشون أهل الموسم عن حوائجهم فيرفدونهم فسموا بذلك قريشا قال بعضهم وهو جماع قريش عند الاكثر قال الزبير بن بكار أجمع النسابون من قريش وغيرهم على ان قريشا انما تفرقت من فهر وفهر هذا هو الجد السادس لابي عبيدة بن الجراح ولما جاء حسان بن عبد كلال من اليمن في حمير وغيرهم لاخذ احجار الكعبة الى اليمن ليبني بها بيتا ويجعل حج الناس اليه ونزل بنخلة خرج فهر الى مقاتلته بعد أن جمع قبائل العرب فقاتله واسره وانهزمت حمير ومن انضم اليهم واستمر حسان في الاسر ثلاث سنين ثم افتدى نفسه بمال كثير وخرج فمات بين مكة واليمن فهابت العرب فهرا وعظموه وعلا امره ومما يؤثر عن فهر قوله لولده غالب قليل ما في يديك اغنى لك من كثير ما اخلق وجهك وان صار اليك ○ ﴿وفهر هو ابن مالك﴾ قيل له ذلك لانه ملك العرب ﴿ابن النضر﴾ اى ولقب به لنضارته وحسنه وجماله واسمه قيس وهو جماع قريش عند الفقهاء فلا يقال لاحد من اولاد من فوقه قرشي ○ ويقال لكل من أولاده الذين منهم مالك واولاده قرشي فقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش فقال من ولد النضر اى وعلى ان جماع قريش فهر كما تقدم فمالك واولاده والنضر جده واولاده ليسوا من قريش ○ ﴿والنضر ابن كنانة﴾ قيل له كنانة لانه لم يزل في كن من قومه وقيل لسترة على قومه وحفظه لاسرارهم وكان شيخا حسنا عظيم القدر تحج اليه العرب لعلمه وفضله وكان يقول قد آن خروج نبي من مكة يدعى احمد يدعو الى الله والى البر والاحسان ومكارم الاخلاق فاتبعوه تزدادوا شرفا وعزا الى عزكم ولا تعتدوا اى تكذبوا ما جاء به فهو الحق قال ابن دحية رحمه الله كان كنانة يأنف أن يأكل وحده فاذا لم يجد احدا اكل لقمة ورمى لقمة الى صخرة ينصبها بين يديه أنفة من أن يأكل وحده ومما يؤثر عنه رب صورة تخالف المخبرة قد غرت بجمالها واختبر قبح فعالها فاحذر الصور واطلب الخبر ﴿وكنانة ابن خزيمة بن مدركة﴾ ومدركة اسمه عمرو وقيل له مدركة لانه ادرك كل عز وفخر كان في آبائه وكان فيه نور رسول الله صلى الله عليه وسلم اى ولعل المراد ظهوره فيه ﴿ومدركة ابن الياس﴾ بهمزة قطع مكسورة وقيل مفتوحة ايضا وقيل همزة وصل ونسب للجمهور وقيل سمي بذلك لان اباه مضر كان قد كبر سنه ولم يولد له ولد

فوض عمه المطلب السقاية اليه فلما هلك المطلب وثب أخوه نوفل بن عبد مناف على ابن أخيه عبد المطلب واغتصبه أركاحا اى أفنية ودورا فسأل عبد المطلب رجالا من قومه النصرة على عمه نوفل فأبوا وقالوا لا ندخل بينك وبين عمك فكتب الى أخواله بنى النجار بالمدينة بما فعله معه عمه نوفل فلما وقف خاله أبو سعد بن عدى النجارى على كتابه بكى وسار من المدينة فى ثمانين راكبا حتى قدم مكة فنزل الابطح فتلقاه عبد المطلب وقال له المنزل يا خال فقال لا والله حتى ألقى نوفلا فقال تركته فى الحجر جالسا فى مشايخ قريش فاقبل ابو سعد حتى وقف عليهم فقام نوفل قائما وقال يا ابا سعد أنعم صباحا فقال له ابو سعد لا أنعم الله لك صباحا وسل سيفه وقال ورب هذه البنية لئن لم ترد على ابن أختى أركاحه لاملأن منك هذا السيف فقال قد رددتها عليه فاشهد عليه مشايخ قريش ثم نزل على عبد المطلب فأقام عنده ثلاثا ثم اعتمر ورجع الى المدينة وبعد أن جرى ذلك حالف نوفل وبنو بنى أخيه عبد شمس على بنى هاشم وحالفت بنو هاشم بنى المطلب وخزاعة على بنى نوفل وبنى عبد شمس اى فان خزاعة قالت نحن اولى بنصرة عبد المطلب وقالوا له ان أم عبد مناف حبى بنت حليل الخزاعى فهلم فلنحالفك فدخلوا دار الندوة وتحالفوا وتعاقدوا وكتبوا بينهم كتابا باسمك اللهم هذا ما تحالف عليه بنو هاشم ورجالات عمرو بن ربيعة من خزاعة على النصرة والمواساة ما بل بحر صوفة وما أشرقت الشمس على ثبير وهب اى كام بفلاة بعير وما أقام الاخشبان واعتمر بمكة انسان اى المراد من ذلك الابد قيل ان السقاية انتقلت من ابى طالب الى أخيه العباس فى حياة ابى طالب وسبب ذلك ان ابا

فولد له هذا الولد فسماه الياس وعظم امره عند العرب حتى كانت تدعوه بكبير قومه وسيد عشيرته وكانت لا تقضى امرا دونه وهو اول من اهدى البدن الى البيت واول من ظفر بمقام ابراهيم لما غرق البيت فى زمن نوح عليه السلام فوضعه فى زاوية البيت كذا فى حياة الحيوان فليتأمل وجاء فى حديث لا تسبوا الياس فانه كان مؤمنا وقيل انه جماع قريش اى فلا يقال لاولاد من فوقه قرشى وكان الياس يسمع من صلبه تلبية النبى صلى الله عليه وسلم المعروفة فى الحج قيل وكان فى العرب مثل لقمان الحكيم فى قومه وهو اول من مات بعلة السل ولما مات حزنت عليه زوجته خندف حزنا شديدا لم يظلها سقف بعد موته حتى ماتت ومن ثم قيل احزن من خندف ﴿والياس ابن مضر﴾ قيل هو جماع قريش فلا يقال لاولاد من فوق مضر قرشى ففى جماع قريش خمسة اقوال قيل قصى وقيل فهر وقيل النضر وقيل الياس وقيل مضر ويقال له مضر الحمراء قيل لانه لما اقتسم هو واخوه ربيعة مال والدهما اعنى نزارا اخذ مضر الذهب فقيل له مضر الحمراء واخذ ربيعة الخيل ومن ثم قيل له ربيعة الفرس وجاء فى حديث لا تسبوا ربيعة ولا مضر فانهما كانا مؤمنين اى وفى رواية لا تسبوا مضر فانه كان على ملة ابراهيم وفى حديث غريب لا تسبوا مضر فانه كان على دين اسمعيل ومما حفظ عنه من يزرع شرا يحصد ندامة (اقول) سيأتى فى بناء قريش الكعبة انهم وجدوا فيها كتبا بالسريانية من جملتها كتاب فيه من يزرع خيرا يحصد غبطة ومن يزرع شرا يحصد ندامة الى آخر ما يأتى وعن ابى عبيدة البكرى أن قبر مضر بالروحاء مزار والروحاء على ليلتين من المدينة والله أعلم وكان مضر من أحسن الناس صوتا وهو أول من حدا الابل فانه وقع فانكسرت يده فصار يقول يا يداه يا يداه فجاءت اليه الابل من المرعى فلما صح وركب حدا وقيل أول من سن الحداء للابل عبد لمضر ضرب مضر يده ضربا وجيعا فصار يقول يا يداه يا يداه فجاءت اليه الابل من مرعاها اى لان الحداء مما ينشط الابل لاسيما ان كان بصوت حسن فانها عند سماعه تمد أعناقها وتصغى الى الحادى وتسرع فى سيرها وتستخف الاحمال الثقيلة فربما قطعت المسافة البعيدة فى زمن قصير وربما أخذت ثلاثة أيام فى يوم واحد وفى ذلك حكاية مشهورة ولاجل ما ذكر ذكر أئمتنا أنه مستحب * وفى الاذكار للامام النووى رضى الله تعالى عنه باب استحباب الحداء للسرعة فى السير وتنشيط النفوس وترويحها وتسهيل السير عليها فيه أحاديث كثيرة مشهورة ﴿ومضر ابن نزار﴾ بكسر النون كان يرى نور النبى صلى الله عليه وسلم بين عينيه وهو أول من كتب الكتاب العربى على الصحيح والامام احمد بن حنبل رضى الله تعالى عنه يجتمع معه صلى الله عليه وسلم فى هذا الجد الذى هو نزار ﴿ابن معد بن عدنان﴾ هذا هو النسب المجمع عليه فى نسبه صلى الله عليه وسلم عند العلماء

طالب كان يقذف فى الماء التمر والزبيب تبعا لابيه عبد المطلب فاتفق انه أملق اى افتقر فى بعض السنين فاستدان من أخيه العباس عشرة آلاف درهم الى الموسم ٢٢ الآخر فصرفها أبو طالب فى الحجيج عامه ذلك فيما يتعلق بالسقاية فلما كان العام المقبل لم يكن مع ابى طالب شئ فقال لاخيه العباس أسلفنى اربعة عشر الفا الى العام المقبل لاعطيك جميع مالك فقال العباس بشرط ان لم تعطنى تترك السقاية لاكفلها فقال نعم فلما جاء العام الآخر لم يكن مع ابى طالب ما يعطيه لاخيه العباس فترك له السقاية فصارت الى العباس ثم لولده عبد الله وهكذا واما الحجابة فكانت فى بنى عبد الدار حتى جاء الاسلام فلما كان فتح مكة طلبها العباس من النبى صلى الله عليه وسلم فأراد ان يعطيه مفتاح الكعبة لتكون الحجابة عنده مع السقاية فأنزل الله تعالى ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها فرده صلى الله عليه وسلم الى عثمان بن طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار الحجبى ثم صارت بعده لاخيه شيبة ثم بقيت فى بنى شيبة وكذلك اللواء كان بيدهم فكانوا يحملون لواء قريش فى حروبها ولهذا قتل منهم جماعة يوم أحد كلما قتل واحد أخذ اللواء بعده واحد آخر منهم ❊ (واما عبد مناف بن قصى) ❊ فاسمه المغيرة وكان يقال له قمر البطحاء لحسنه وجماله ووجد على بعض الاحجار كتابة منها أنا المغيرة بن قصى أوصى قريشا بتقوى الله جل وعلا وصلة الرحم وكان نور النبى صلى الله عليه وسلم يضئ فى وجهه وكان فى يده لواء نزار وقوس اسمعيل واياه عنى القائل بقوله كانت قريش بيضة فتفلقت ❊ فالمح خالصه لعبد مناف (وابنه هاشم) اسمه و ولدها

بالانساب ومن ثم لما قال فقهاؤنا شرط الامام الاعظم أن يكون قرشيا فان لم يوجد قرشى جامعا للشروط التى ذكروها فكنانى قال بعضهم وقياس ذلك أن يقال فان لم يوجد كنانى فخزيمى فان لم يوجد خزيمى فمدركى فان لم يوجد مدركى فالياسى فان لم يوجد الياسى فمضرى فان لم يوجد مضرى فنزارى فان لم يوجد نزارى فمعدى فان لم يوجد معدى فعدنانى فان لم يوجد عدنانى فمن ولد اسمعيل لان من فوق عدنان لا يصح فيه شئ ولا يمكن حفظ النسب فيه منه الى اسمعيل وقيل لمعد لانه كان صاحب حروب وغارات على بنى اسرائيل ولم يحارب احدا الا رجع بالنصر والظفر قال بعضهم ولا يخرج عربى فى الانساب عن عدنان وقحطان قيل وولد عدنان يقال لهم قيس وولد قحطان يقال لهم يمن ولما سلط الله بختنصر على العرب امر الله تعالى ارمياء أن يحمل معه معد بن عدنان على البراق كيلا تصيبه النقمة وقال فانى سأخرج من صلبه نبيا كريما أختم به الرسل ففعل أرمياء ذلك واحتمله معه الى ارض الشام فنشأ مع بنى اسرائيل ثم عاد بعد ان هدأت الفتن اى بموت بختنصر وكان عدنان فى زمن عيسى عليه السلام وقيل فى زمن موسى عليه السلام قال الحافظ ابن حجر وهو اولى اى ومما يضعف الاول ما فى الطبرانى عن ابى امامة الباهلى رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لما بلغ ولد معد بن عدنان أربعين رجلا وقعوا فى عسكر موسى عليه الصلاة والسلام فانتهبوه فدعا عليهم موسى عليه الصلاة والسلام فأوحى الله تعالى اليه لا تدع عليهم فان منهم النبى الامى البشير النذير الحديث اذ يبعد بقاء معد الى زمن عيسى عليه الصلاة والسلام ومعلوم انه لا خلاف فى ان عدنان من ولد اسمعيل نبى الله تعالى اى أرسله الله تعالى الى جرهم والى العماليق والى قبائل اليمن فى زمن أبيه ابراهيم وكذا بعث أخوه اسحق الى أهل الشام وبعث ولده يعقوب الى الكنعانيين فى حياة ابراهيم فكانوا أنبياء على عهد ابراهيم عليه الصلاة والسلام وذكر بعضهم أن من العماليق فرعون موسى عليه الصلاة والسلام ومنهم الريان بن الوليد فرعون يوسف عليه الصلاة والسلام وكان اسمعيل بكر ابيه جاءله وقد بلغ ابوه من العمر سبعين سنة وقيل ستا وثمانين سنة ولد بين الرملة وايليا وكان بين عدنان واسمعيل اربعون ابا وقيل سبعة وثلاثون ❊ وفى النهر لابى حيان رحمه الله ان ابراهيم هو الجد الحادى والثلاثون لنبينا صلى الله عليه وسلم هذا كلامه ولا يخفى ان اسمعيل اول من تسمى بهذا الاسم من بنى آدم ومعناه بالعبرانية مطيع الله وأول من تكلم بالعربية اى البينة الفصيحة والا فقد تعلم اصل العربية من جرهم ثم ألهمه الله تعالى العربية الفصيحة البينة فنطق بها ❊ وفى الحديث أول من فتق لسانه بالعربية البينة اسمعيل وهو ابن اربع عشرة سنة (وفى كلام بعضهم) لما خرج ابراهيم بهاجر

وولدها اسمعيل الى مكة على البراق واحتمل معه قربة ماء ومزودا فيه تمر فلما انزلهما بها وولى راجعا تبعته هاجر وهى تقول آلله امرك أن تدعنى وهذا الصبى فى هذا المحل الموحش الذى ليس به انيس قال نعم فقالت اذا لا يضيعنا ولا زالت تأكل من التمر وتشرب من الماء الى أن نفد الماء الحديث وكان انزاله اياهما بموضع الحجر وذلك لمضى مائة سنة من عمر ابراهيم وكون اسمعيل اول من تكلم بالعربية البينة لا ينافى ما قيل أول من تكلم بالعربية يعرب بن قحطان وقحطان اول من قيل له ابيت اللعن واول من قيل له أنعم صباحا ويعرب هذا قيل له أيمن لان هودا نبى الله عليه السلام قال له أنت ايمن ولدى وسمى اليمن يمنا بنزوله فيه وهو اول من قال القريض والرجز وقيل سمى اليمن يمنا لانه على يمين الكعبة وقيل ان اول من كتب الكتاب العربى اسمعيل والصحيح ان اول من كتب ذلك نزار بن معد كما تقدم وكذا كون اسمعيل اول من تكلم بالعربية البينة لا ينافى ما قيل اول من تكلم بالعربية آدم فى الجنة فلما اهبط الى الارض تكلم بالسريانية قيل وسميت سريانية لان الله تعالى علمها آدم سرا من الملائكة وأنطقه بها قيل واول من كتب الكتاب العربى والفارسى والسريانى والعبرانى وغيرها من بقية الاثنى عشر كتابا وهى الحميرى واليونانى والرومى والقبطى والبربرى والاندلسى والهندى والصينى آدم عليه السلام كتبها فى طين وطبخه فلما اصاب الارض الغرق وجد كل قوم كتابا فكتبوه فأصاب اسمعيل الكتاب العربى اى وأما ما جاء اول من خط بالقلم ادريس فالمراد به خط الرمل (وفى كلام بعضهم) اول من تكلم بالعربية المحضة وهى عربية قريش التى نزل بها القرآن اسمعيل وأما عربية قحطان وحمير فكانت قبل اسمعيل ويقال لمن يتكلم بلغة هؤلاء العرب العاربة ويقال لمن يتكلم بلغة اسمعيل العرب المستعربة وهى لغة الحجاز وما والاها * وجاء من احسن أن يتكلم بالعربية فلا يتكلم بالفارسية فانه يورث النفاق وقد ذكر بعضهم أن اهل الكهف كلهم اعجام ولا يتكلمون الا بالعربية وأنهم يكونون وزراء المهدى واشتهر على السنة الناس أنه صلى الله عليه وسلم قال انا أفصح من نطق بالضاد قال جمع لا اصل له ومعناه صحيح لان المعنى انا افصح العرب لكونهم هم الذين ينطقون بالضاد ولا توجد فى غير لغتهم * واسمعيل عليه السلام اول من ركب الخيل وكانت وحوشا اى ومن ثم قيل لها العراب اولما سيأتى وقد قال صلى الله عليه وسلم اركبوا الخيل فانها ميراث ابيكم اسمعيل عليه السلام وفى رواية اوحى الله تعالى الى اسمعيل أن اخرج الى اجياد الموضع المعروف سمى بذلك لانه قتل فيه مائة رجل من العمالقة من جياد الرجال فادع يأتيك الكنز فخرج الى اجياد فألهمه الله تعالى دعاء فدعا به فلم يبق على وجه الارض فرس بأرض العرب الا جاءته وامكنته من

عمرو ويقال له عمرو العلا لعلو رتبته وهو اخو عبد شمس وكانا توأمين وكانت رجل هاشم اى اصبعها ملتصقة بجبهة عبد شمس ولم يمكن نزعها الا بسيلان دم فكانوا يقولون سيكون بينهما دم فكان بين ولديهما اى أن اشتد الامر بين بنى العباس وبنى أمية سنة مائة وثلاث وثلاثين من الهجرة واول العداوة وقعت بين هاشم وبين ابن اخيه امية بن عبد شمس لان هاشما لما ساد قومه بعد ابيه عبد مناف حسده ابن اخيه امية بن عبد شمس فتكلف أن يصنع كما يصنع هاشم فعجز فعيرته قريش وقالوا له أتتشبه بهاشم ثم دعا أمية هاشما للمنافرة فأبى هاشم ذلك لسنه وعلو قدره فلم تدعه قريش فقال هاشم لامية أنافرك على خمسين ناقة سود الحدق تنحر بمكة والجلاء عن مكة عشر سنين فرضى امية بذلك وجعلا بينهما الكاهن الخزاعى وكان بعسفان فخرج كل منهما فى نفر فنزلوا على الكاهن فقال قبل أن يخبروه خبرهم والقمر الباهر والكوكب الزاهر والغمام الماطر وما بالجو من طائر وما اهتدى بعلم مسافر من منجد وغائر لقد سبق هاشم امية الى المفاخر فنفر هاشم على امية فعاد هاشم الى مكة ونحر الابل واطعم الناس وخرج امية الى الشام فأقام بها عشر سنين فكانت هذه اول عداوة وقعت بين هاشم وامية وتوارثت ذلك بنوهما وكان يقال لهاشم واخوته عبد شمس والمطلب ونوفل اقداح النضار اى الذهب ويقال لهم المجبرون لجبرهم وفخرهم وسيادتهم على العرب ووقعت مجاعة شديدة فى قريش بسبب جدب شديد حصل لهم فخرج هاشم الى الشام فاشترى دقيقا وكعكا وقدم به مكة فى الموسم فهشم الخبز والكعك ونحر جزرا وجعل ذلك ثريدا

نواصيها وذللها الله تعالى له فاركبوها واعلفوها فانها ميامين وهي ميراث ابيكم اسمعيل (وذكر) الحافظ السيوطي رحمه الله ان له كتابا في الخيل سماه جر الذيل في علم الخيل وفي العرائس أن الله تعالى لما اراد ان يخلق الخيل قال للريح الجنوب اني خالق منك خلقا فأجعله عزا لاوليائي ومذلة على أعدائي وجمالا لاهل طاعتي فقالت افعل ماتشاء فقبض قبضة فخلق فرسا فقال لها خلقتك عربيا وجعلت الخير معقودا بناصيتك والغنائم مجموعة على ظهرك وعطفت عليك صاحبك وجعلتك تطير بلا جناح فأنت للطلب وأنت للهرب (وعن وهب) انه قيل لسليمان صلوات الله وسلامه عليه ان خيلا بلقاء لها اجنحة تطير بها وترد ماء كذا فقال للشياطين علي بها فصبروا في العين التي ترده خمرا فشربت فسكرت فربطوها وساسوها حتى تأنست * قيل ويجوز أن يكون المراد من تلك الخيل الفرس الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم أتيت بمقاليد الدنيا على فرس أبلق جاءني به جبريل عليه السلام * وجاء ان الله تعالى لما عرض على آدم عليه السلام كل شيء مما خلق قال له اختر من خلقي ماشئت فاختار الفرس فقيل له اخترت عزك وعز ولدك خالدا ماخلدوا وباقيا مابقوا ابد الآبدين ودهر الداهرين وهذا صريح في أن الخيل خلقت قبل آدم (وقد سئل) الامام السبكي هل خلقت الخيل قبل آدم او بعده وهل خلقت الذكور قبل الاناث او الاناث قبل الذكور فأجاب بانا نختار أن خلق الخيل قبل آدم عليه السلام لان الدواب خلقت يوم الخميس وآدم خلق يوم الجمعة بعد العصر وان الذكور خلقت قبل الاناث لامرين أحدهما ان الذكر اشرف من الانثى والثاني حرارة الذكر اقوى من الانثى ولذلك كان خلق آدم قبل خلق حواء فليتأمل * وقد ذكر الامام السهيلي أن في الفرس عشرين عضوا كل عضو منها يسمى باسم طائر ذكرها وبينها الاصمعي فمنها النسر والنعامة والقطاة والذباب والعصفور والغراب والصرد والصقر قالوا وفي الحيوان أعضاء باردة يابسة كالعظام تطير السوداء وأعضاء باردة رطبة كالدماغ تطير البلغم * وأعضاء حارة يابسة كالقلب تطير الصفراء وأعضاء حارة رطبة كالكبد تطير الدم وعن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن شيء أحب اليه بعد النساء من الخيل وجاء مامن ليلة الا والفرس يدعو فيها ويقول رب انك سخرتني لابن آدم وجعلت رزقي في يده اللهم فاجعلني احب اليه من اهله وولده وقيل لبعض الحكماء اي المال اشرف قال فرس يتبعها فرس وفي بطنها فرس ومن ثم قيل ظهر الخيل حرز وبطنها كنز * وفي الحديث لما اراد ذو القرنين ان يسلك في الظلمة الى عين الحياة قال اي الدواب في الليل ابصر فقالوا الخيل فقال اي الخيل ابصر فقالوا الاناث قال فاي الاناث أبصر قالوا البكارة فجمع من عسكره ستة آلاف فرس كذلك واعطى الله اسمعيل

وأطعم الناس حتى اشبعهم فسمي بذلك هاشما وكان يقال له ابو البطحاء وسيد البطحاء ولم تزل مائدته منصوبة لا ترفع في السراء والضراء قال الامام ابو سهل الصعلوكي ٢٤ في قوله صلى الله عليه وسلم فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام اراد فضل ثريد هاشم الذي عظم نفعه وقدره وعم خيره وبره وبقي له ولعقبه ذكره وقال ابن الصلاح الاولى حمل الحديث على العموم وان المراد تفضيل الثريد من الطعام على باقي الطعام لان سائر بمعنى باقي فالمراد اي ثريد وهذا لا ينافي بقاء المزية لثريد هاشم على غيره من انواع الثريد ولبعضهم

عمرو العلا هشم الثريد لقومه
ورجال مكة مسنتون عجاف

ولآخر

عمرو العلا ذو الندى من لا يسابقه
مر السحاب ولا ريح تجاريه
جفانه كالجوابي للوفود اذا
لبوا بمكة ناداهم مناديه
وأمحلوا خصبوا منها وقد ملئت
قوتا لحاضرهم منهم وباديه

ولآخر

قل للذي طلب السماحة والندى
هلا مررت بآل عبد مناف
الرائشون وليس يوجد رائش
والقائلون هلم للاضياف

وعن بعض الصحابة رضي الله عنه قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا بكر رضي الله عنه على باب بني شيبة فمر رجل وهو يقول

يا أيها الرجل المحول رحله
الا نزلت بآل عبد الدار
هبلتك امك لو نزلت برحلهم
منعوك من عدم ومن اقتار

فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابي بكر رضي الله عنه وقال اهكذا قال الشاعر قال لا والذي بعثك بالحق لكنه قال * يا أيها الرجل المحول رحله *

القوس العربية وكان لا يرى شيأ الا أصابه وفى الحديث ارموا بنى اسمعيل فان اباكم كان راميا اى قال ذلك لجماعة مرّ عليهم وهم يتضاون فقال حسن هذا اللهو مرتين او ثلاثا زاد فى بعض الروايات ارموا وأنا مع بنى فلان فامسك الفريق الآخر فقال لهم ما بالكم لا ترمون فقالوا يا رسول الله كيف نرمى وأنت معهم اذا ينضلونا قال ارموا وأنا معكم كلكم أخرجه البخارى فى صحيحه زاد البيهقى فى دلائل النبوة فرموا عامة يومهم ذلك ثم تفرقوا على السواء ما نضل بعضهم بعضا وقد جاء أحب اللهو الى اجراء الخيل والرمى ارموا واركبوا وأن ترموا أحب الى من ان تركبوا وقد جاء أحب اللهو الى الله تعالى اجراء الخيل والرمى وجاء كل شئ يلهو به الرجل باطل الا رمى الرجل بقوسه أو تأديبه فرسه او ملاعبته امرأته فانهن من الحق وجاء علموا أولادكم السباحة والرمى وفى رواية الرماية وفى رواية علموا بنيكم الرمى فانه نكاية العدو وقد جاء تعلموا الرمى فان ما بين الهدفين روضة من رياض الجنة وروى مرفوعا حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرمى وجاء من تعلم الرمى ثم نسيه فليس منا وفى رواية فهو نعمة جحدها قال الحافظ السيوطى رضى الله عنه والاحاديث المتعلقة بالرمى كثيرة قال وقد الفت كتابا فى الرمى سميته غرس الانشاب فى الرمى بالنشاب وفى العرائس كان اسمعيل مولعا بالصيد مخصوصا بالقنص والفروسية والرمى والصراع والرمى سنة اذا نوى به التأهب للجهاد لقوله تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة وقوله صلى الله عليه وسلم القوة الرمى على حد قوله الحج عرفة والافقد قال ابن عباس رضى الله عنهما فى الآية وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة قال الرمى والسيوف والسلاح وسئل الحافظ السيوطى رضى الله عنه هل ٢ ماذكره الطبرى والمسعودى فى تاريخيهما أن اول من رمى بالقوس العربية آدم عليه الصلاة والسلام وذلك لما امره الله تعالى بالزراعة حين اهبط من الجنة وزرع أرسل الله تعالى له طائرين يخرجان ما بذره ويأكلانه فشكى الى الله تعالى ذلك فهبط عليه جبريل وبيده قوس ووتر وسهمان فقال آدم ما هذا يا جبريل فأعطاه القوس وقال هذه قوة الله تعالى واعطاه الوتر وقال هذه شدة الله تعالى واعطاه السهمين وقال هذه نكاية الله تعالى وعلمه الرمى بهما فرمى الطائرين فقتلهما وجعلهما اى السهمين عدة فى غربته وانسا عند وحشته ثم صار القوس العربية الى ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ثم الى ولده اسمعيل وهو يدل على ان قوس ابراهيم هى القوس التى هبطت على آدم عليه السلام من الجنة وانه ادخرها لابراهيم وهو خلاف قول بعضهم انها غيرها اهبطت الى ابراهيم عليه السلام من الجنة فأجاب الحافظ السيوطى رضى الله عنه بقوله راجعت تاريخ الطبرى فى تاريخ آدم وابراهيم عليهما الصلاة والسلام فلم

الانزات بآل عبد مناف * هبلتك أمك لو نزلت برحلهم منعوك من عدم ومن اقراف * الخالطين غنيهم بفقيرهم حتى يعود فقيرهم كالكاف * فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هكذا ٢٥ سمعت الرواة ينشدونه وفى المواهب وشروحها ان نور النبى صلى الله عليه وسلم كان يتوقد شعاعه فى وجه هاشم ويتلألأ ضياؤه لا يراه حبر الا قبل يده ولا يمر بشئ الا خضع له تغدو اليه قبائل العرب ووفود الاحبار يحملون بناتهم يعرضون عليه ان يتزوج بهن حتى بعث اليه هرقل ملك الروم وقال ان لى ابنة لم تلد النساء أجمل منها ولا أبهى وجها فاقدم الىّ حتى أزوجكها فقد بلغنى جودك وكرمك وانما أراد بذلك نور المصطفى صلى الله عليه وسلم الموصوف عندهم فى الانجيل فأبى هاشم ذلك وكان هاشم يحمل ابن السبيل ويؤدى الحق ويؤمن الخائف وكان اذا هل هلال ذى الحجة قام صبيحته وأسند ظهره الى الكعبة من تلقاء بابها ويخطب ويقول فى خطبته يا معشر قريش انكم سادة العرب أحسنها وجوها وأعظمها أحلاما اى عقولا وأوسط العرب اى أشرفها انسابا وأقرب العرب بالعرب أرحاما يا معشر قريش انكم جيران بيت الله أكرمكم الله بولايته وخصكم بجواره دون بقية بنى اسمعيل وانه يأتيكم زوار الله يعظمون بيته فهم أضيافه وأحق من أكرم أضياف الله أنتم

٤ حل ل دا كرموا ضيفه وزواريته فورب هذه البنية لو كان لى مال يحتمل ذلك لكفيتكموه وأنا مخرج من طيب مالى وحلاله ما لم يقطع فيه رحم ولم يؤخذ بظلم ولم يدخل فيه حرام فمن شاء منكم ان يفعل مثل ذلك فعل وأسألكم بحرمة هذا

٢ قوله ماذكره الخ هكذا فى النسخ التى بأيدينا بالاخير ولعل الخبر صحيح اونحوه بدليل الجواب اه مصححه

أحد منه ولا تبعد صحته فان الله تعالى علم آدم علم كل شيء وذكر ان ابن ابي الدنيا ذكر في كتاب الرمي من طريق الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال أول من عمل القسي ابراهيم عمل لاسمعيل ولاسحق قوسين فكانا يرميان بهما وتقدم أن اسحق جاء لابراهيم بعد اسمعيل بثلاث عشرة وقيل بأربع عشرة سنة اي جاءت به أمه سارة في الليلة التي خسف الله تعالى بقوم لوط فيها ولها من العمر تسعون سنة وفي جامع ابن رشد ديرفعه كان اللواط في قوم لوط في النساء قبل الرجال بأربعين سنة ثم استغنى النساء بالنساء والرجال بالرجال فخسف الله تعالى بهم قيل ولا يعمل عمل قوم لوط من الحيوان الا الحمار والخنزير وكان اول من اتخذ القسي الفارسية نمروذ فليتأمل الجمع وقد يقال لا منافاة لجواز ان يكون ابراهيم عليه السلام أول من عمل القسي بعد ذهاب تلك القوس فالاولية اضافية ومعلوم ان اسمعيل بن ابراهيم خليل الله تعالى عليهما الصلاة والسلام اي ولم يبعث بشريعة مستقلة من العرب بعد اسمعيل الا محمد صلى الله عليه وسلم واما خالد بن سنان وان كان من ولد اسمعيل على ما قيل فقال بعضهم لم يكن في بني اسمعيل نبي غيره قبل محمد صلى الله عليه وسلم الا انه لم يبعث بشريعة مستقلة بل بتقرير شريعة عيسى عليه السلام اي وكان بينه وبين عيسى ثلثمائة سنة وخالد هذا هو الذي أطفأ النار التي خرجت بالبادية بين مكة والمدينة كادت العرب أن تعبدها كالمجوس كان يرى ضوؤها من مسافة ثمان ليال وربما كان يخرج منها العنق فيذهب في الارض فلا يجد شيأ الا أكله فأمر الله تعالى خالد بن سنان باطفائها وكانت تخرج من بئر ثم تنتشر فلما خرجت وانتشرت أخذ خالد بن سنان يضربها ويقول بدا بدا كل هدى وهي تتأخر حتى نزلت الى البئر فنزل الى البئر خلفها فوجد كلابا تحتها فضربها وضرب النار حتى أطفأها ويذكر أنه كان هو السبب في خروجها فانه لما دعا قومه وكذبوه وقالوا له انما تخوفنا بالنار فان تسل علينا هذه الحرة نارا اتبعناك فتوضأ ثم قال اللهم ان قومي كذبوني ولم يؤمنوا بي الا ان تسيل عليهم هذه الحرة نارا فأسالها عليهم نارا فخرجت فقالوا يا خالد ارددها فانا مؤمنون بك فردها قيل وكان خالد بن سنان اذا استسقى يدخل راسه في جيبه فيجيء المطر ولا يقلع الا ان رفع راسه قيل وقدمت ابنته وهي عجوز على النبي صلى الله عليه وسلم فتلقاها بالخير واكرمها وبسط لها رداءه وقال لها مرحبا بابنة أخي مرحبا بابنة نبي ضيعه قومه فأسلمت وهذا الحديث مرسل رجاله ثقات وفي البخاري انا اولى الناس بابن مريم في الدنيا والآخرة وليس بيني وبينه نبي قال بعضهم وبه يرد على من قال كان بينهما خالد بن سنان وقد يقال مراده صلى الله عليه وسلم بالنبي الرسول الذي يأتي بشريعة مستقلة وحينئذ لا يشكل هذا بما علمت انه لم يأت بشريعة مستقلة ولا ما جاء في رواية أخرى ليس بيني

البيت أن لا يخرج رجل منكم من ماله لكرامة زوار بيت الله وتقويتهم الا طيبا لم يؤخذ ظلما ولم يقطع فيه رحم ولم يؤخذ غصبا فكانوا يجتهدون في ذلك ويخرجونه من أموالهم فيضعونه في دار الندوة ومما نقل من شعر أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم قوله في مدح النبي صلى الله عليه وسلم

اذا اجتمعت يوما قريش لمفخر
فعبد مناف سرها وصميمها
وان حصلت انساب عبد منافها
ففي هاشم اشرافها وقديمها
وان فخرت يوما فان محمدا
هو المصطفى من سرها وكريمها

(وأما عبد المطلب بن هاشم) فكان من حلماء قريش وحكمائها وكان مجاب الدعوة محرما الخمر على نفسه وهو أول من تحنث بحراء والتحنث التعبد الليالي ذوات العدد كان اذا دخل شهر رمضان صعده وأطعم المساكين وكان صعوده للتخلي عن الناس يتفكر في جلال الله وعظمته وكان يرفع من مائدته للطير والوحوش في رؤس الجبال ولذلك كان يقال له مطعم الطير ويقال له الفياض ولد وفي رأسه شيبة فقيل له شيبة الحمد ولعل وجه اضافته الى الحمد رجاء انه يكبر ويشيخ ويكثر حمد الناس له وقد حقق الله ذلك فكثر حمدهم له لانه كان مفزع قريش في النوائب وملجأهم في الامور وشريفهم وسيدهم كمالا وفعالا عاش مائة وأربعين سنة قيل انما قيل له عبد المطلب لان أباه هاشما قال لاخيه المطلب حين حضرته الوفاة أدرك عبدك يعني شيبة الحمد بيثرب وقيل ان هاشما تزوج بالمدينة من بني عدي بن النجار من الخزرج فولد له شيبة الحمد ومات أبوه وبقي عند أمه فمر رجل على غلمان وهم يلعبون اي يتناضلون بالسهام واذا

وبينه نبي ولا رسول ولامانى كلام البيضاوى تبعا للكشاف من ان بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم اربعة أنبياء ثلاثة من بنى اسرائيل وواحدا من العرب وهو خالد بن سنان وبعده حنظلة بن صفوان عليهما السلام أرسله الله تعالى لاصحاب الرس بعد خالد بمائة سنة لانه يجوز أن يكون كل من هؤلاء الثلاثة لم يبعث بشريعة مستقلة بل كان مقررا لشريعة عيسى عليه الصلاة والسلام ايضا كخالد بن سنان والرس البئر الغير المطوية اى الغير المبنية كذا فى الكشاف والذى فى القاموس كالصحاح المطوية باسقاط غير فانهم قتلوا حنظلة ودسوه فيها اى وحين دسوه فيها اغار ماؤها وعطشوا وابعد ريهم ويبست أشجارهم وانقطعت ثمارهم بعد ان كان ماؤها ريهم ويكفى أرضهم جميعا وتبدلوا بعد الانس الوحشة وبعد الاجتماع الفرقة لانهم كانوا ممن يعبد الاصنام اى وكان ابتلاهم الله تعالى بطير عظيم ذى عنق طويل كان فيه من كل لون فكان ينقض على صبيانهم يخطفهم اذا أعوزه الصيد وكان اذا خطف أحدا منهم أغرب به اى ذهب به الى جهة المغرب فقيل له لطول عنقه ولذهابه الى جهة المغرب عنقاء مغرب فشكوا ذلك الى حنظلة عليه السلام فدعا على تلك العنقاء فأرسل الله تعالى عليها صاعقة فأهلكتها ولم تعقب وكان جزاؤه منهم أن قتلوه وفعلوا به ما تقدم وذكر بعضهم أن حنظلة هذا كان من العرب من ولد اسمعيل أيضا عليه الصلاة والسلام ثم رأيت ابن كثير ذكر ان حنظلة هذا كان قبل موسى عليه السلام وانه لما ذكر ان فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فتحت تستر المدينة المعروفة وجدوا تابوتا وفى لفظ سريرا عليه دانيال عليه السلام ووجدوا طول انفه شبرا وقيل ذراعا ووجدوا عند رأسه مصحفا فيه ما يحدث الى يوم القيامة وان من وفاته الى ذلك اليوم ثلثمائة سنة وقال ان كان تاريخ وفاته القدر المذكور فليس بنبى بل هو رجل صالح لان عيسى ابن مريم عليه السلام ليس بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم نبى بنص الحديث فى البخارى * أقول قد علمت الجواب عن ذلك بأن المراد بالنبى الرسول وفيه ان هذا يبعده عطف الرسول على النبى المتقدم فى بعض الروايات الا أن يجعل من عطف التفسير والله أعلم والفترة التى كانت بينهما اربعمائة سنة وقيل ستمائة وقيل بزيادة عشرين سنة قالت عائشة رضى الله تعالى عنها ما وجدنا أحدا يعرف ما وراء عدنان ولا قحطان الا تخرصا اى كذبا لان الخراص الكذاب كذا قيل * أقول لعل المراد بالكذب الخبر المقطوع بصحته لان الخرص حقيقته الحزر والتخمين وكل من تكلم كلاما بناء على ذلك قيل له خراص ثم قيل للكذاب خراص توسعا وحينئذ كان القياس ان يقال الا خرصا اى حزرا وتخمينا وعلى هذا كأن الصديقة رضى الله تعالى عنها ارادت المبالغة للتنفير عن الخوض فى

غلام فيهم اذا أصاب قال أنا ابن سيد البطحا فقال له الرجل ممن أنت يا غلام فقال أنا شيبة الحمد بن هاشم بن عبد مناف فلما قدم الرجل مكة وجد المطلب جالسا بالحجر فقص عليه ما رأى فذهب المطلب الى المدينة فعرف شبه أبيه فيه ففاضت عيناه وضمه اليه خفية من أمه وقال له يا ابن أخى أنا عمك وقد أردت الذهاب بك الى قومك وأناخ راحلته فجلس على عجز الناقة فانطلق به ولم تعلم أمه حتى كان الليل فقامت تدعوه فأخبرت أن عمه قد ذهب به وقيل انه استأذن امه وقال لها ان ابن أخى غريب فى غير قومه ونحن اهل بيت شرف فى قومنا وقومه وعشيرته وبلده خير من الاقامة فى غيرهم فأذنت له فأردفه خلفه وكساه حلة يمانية فلما قدم به مكة قالت قريش هذا عبد المطلب وقيل ان الشمس اثرت فى شيبة الحمد فقالت قريش هذا عبد المطلب فقال المطلب لهم ويحكم انما هو ابن اخى هاشم وقيل انما قيل له عبد المطلب لانه تربى يتيما فى حجر المطلب وكانوا يسمون اليتيم عبدا لمن تربى فى حجره فنشأ عبد المطلب على أكمل الصفات وانتهت اليه الرياسة بعد عمه المطلب وكان يأمر اولاده بترك الظلم والبغى ويحثهم على مكارم الاخلاق وينهاهم عن دنيات الامور وكان يقول لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم الله منه وتصيبه عقوبة الى ان هلك رجل ظلوم من ارض الشأم ولم تصبه عقوبة فقيل لعبد المطلب فى ذلك ففكر وقال والله ان وراء هذه الدار دارا يجزى فيها المحسن باحسانه ويعاقب المسئ باساءته اى فالظلوم شأنه ان تصيبه عقوبة فاذا خرج من الدنيا ولم تصبه عقوبة فهى معدة له فى الآخرة ورفض عبد المطلب فى آخر عمره عبادة الاصنام

ووحد الله ويؤثر عنه سنن جاء القرآن بأكثرها وجاءت السنة بها منها الوفاء بالنذر والمنع من نكاح المحارم وقطع يد السارق
والنهى عن قتل الموؤدة وتحريم الخمر ٢٨ والزنا وان لا يطوف بالبيت عريان نقله الحلبى فى السيرة عن ابن الجوزى وزاد فى
المواهب وشرحها كان عبد المطلب يفوح منه رائحة المسك الاذفر وكان نور رسول الله صلى الله عليه وسلم يضىء فى غرته وفيه يقول القائل
على شيبة الحمد الذى كان وجهه
يضىء ظلام الليل كالقمر البدر
وكانت قريش اذا اصابها قحط شديد تأخذ بيد عبد المطلب فتخرج به الى جبل ثبير يستسقى الله لهم لما جربوه من قضاء الحوائج على يديه ببركة نور النبى صلى الله عليه وسلم ولما جعله الله فيه من مخالفة ما كان عليه الجاهلية بالهام من الله تعالى فكان يسأل الله لهم الغيث فيغيثهم ولما وجد النبى صلى الله عليه وسلم كان يحضره عبد المطلب معه فى الاستسقاء فيسقون به وامر ابا طالب ان يحضر النبى صلى الله عليه وسلم معه فى الاستسقاء ولما قدم اصحاب الفيل مكة هلكوا بدعاء عبد المطلب ومما نقل عنه فى ذلك اليوم
لاهم ان المرء يمنع رحله فامنع رحالك
وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك
وقال يا معشر قريش لا يصل الى هدم البيت لان لهذا البيت ربا يحميه ويحفظه ومن شعره حين اراد ذبح ابنه عبد الله وكان يضرب بالقداح عليه قوله يا رب انت الملك المحمود وانت ربى الملك المعبود
من عندك الطارف والتليد وكان نديمه فى الجاهلية حرب بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف والد ابى سفيان وكان فى جوار عبد

ذلك والله أعلم وعن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم انتسب حتى بلغ النضر بن كنانة ثم قال فمن قال غير ذلك اى مما زاد على ذلك فقد كذب أقول اطلاق الكذب على من زاد على كنانة الى عدنان يخالف ما سبق من أن المجمع عليه الى عدنان الا أن يقال لا مخالفة لانه يجوز أن يكون عمرو بن العاص لم يسمع ما زاد على النضر بن كنانة الى عدنان مع ذكره صلى الله عليه وسلم له الذى سمعه غيره وفى اطلاقه الكذب على ذلك التأويل السابق وأخرج الجلال السيوطى فى الجامع الصغير عن البيهقى أنه صلى الله عليه وسلم انتسب فقال أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الى أن قال ابن مضر بن نزار وهذا هو الترتيب المألوف وهو الابتداء بالاب ثم بالجد ثم بأبى الجد وهكذا وقد جاء فى القرآن على خلافه فى قوله تعالى حكاية عن سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحق ويعقوب قال بعضهم والحكمة فى ذلك انه لم يرد مجرد ذكر الآباء وانما ذكرهم ليذكر ملتهم التى اتبعها فبدأ بصاحب الملة ثم بمن أخذها عنه أولا فأولا على الترتيب والله أعلم وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا انتسب لم يجاوز معد بن عدنان بن أدد ثم يمسك ويقول كذب النسابون مرتين اوثلاثا قال البيهقى والاصح ان ذلك اى قوله كذب النسابون من قول ابن مسعود رضى الله عنه اى لا من قوله صلى الله عليه وسلم * اقول والدليل على ذلك ما جاء كان ابن مسعود اذا قرأ قوله تعالى ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله قال كذب النسابون يعنى الذين يدعون علم الانساب ونفى الله تعالى علمها عن العباد ولا مانع أن يكون هذا القول صدر منه صلى الله عليه وسلم أولا ثم تابعه ابن مسعود عليه وقد يقال هذه الرواية تقتضى اما الزيادة على المجمع عليه واما النقص عنه اى زيادة أدد او نقص عدنان فهى مخالفة لما قبلها وفى كلام بعضهم ان بين عدنان وأدد آد فيقال عدنان بن أد بن أدد قيل له أدد لانه كان مديد الصوت وكان طويل العز والشرف قيل وهو اول من تعلم الكتابة اى العربية من ولد اسمعيل وتقدم ان الصحيح ان اول من كتب نزار وانظر هل يشكل على ذلك ما رواه الهيثم ابن عدى ان الناقل لهذه الكتابة يعنى العربية من الحيرة الى الحجاز حرب بن أمية بن عبد شمس وقد يقال الاولية اضافية اى من قريش وعدنان سمى بذلك قيل لان اعين الانس والجن كانت اليه ناظرة قال بعضهم اختلف الناس فيما بين عدنان واسمعيل من الآباء فقيل سبعة وقيل تسعة وقيل خمسة عشر وقيل اربعون والله اعلم قال الله عزوجل وقرونا بين ذلك كثيرا اى لا يكاد يحاط بها فقد جاء كان ما بين آدم ونوح عليهما السلام عشرة قرون وبين نوح وابراهيم عليهما السلام عشرة قرون وعن ابن عباس

المطلب يهودي فأغلظ ذلك اليهودي القول على حرب في سوق من اسواق تهامة فأغرى عليه حربا من قتله فلما علم عبد المطلب بذلك ترك منادمة حرب ولم يفارقه حتى اخذ منه مائة ناقة دفعها لابن عم اليهودي 29 ثم نادم عبد الله بن جدعان التيمي

ويروى ان حربا كان لا يلتقي مع احد من رؤساء قريش او غيرهم في عقبة او مضيق الا تأخروا وتقدم هو ولا يستطيع احد أن يتقدم عليه فالتقى حرب مع رجل من بني تميم في عقبة فتقدمه التميمي فقال حرب أنا حرب بن امية فلم يلتفت اليه التميمي ومر قبله فقال حرب موعدك مكة فبقي التميمي دهرا ثم اراد دخول مكة فقال من يجيرني من حرب بن امية فقيل له عبد المطلب بن هاشم فأتى التميمي ليلا دار الزبير بن عبد المطلب فدق الباب فقال الزبير لاخيه الغيداق قد جاءنا رجل اما مستجير او طالب حاجة او طالب قرى وقد اعطيناه ما اراد فخرج الزبير فأنشد الرجل

لاقيت حربا في الثنية مقبلا
والصبح ابلج ضوءه للباري
فدعا بصوت واكتنى ليروعني
ودعا بدعوته يريد فخاري
فتركته كالكلب ينبح وحده
واتيت اهل معالم وفخار
ليثا هزبرا يستجار بقربه
رحب المنازل مكرما للجار
ولقد حلفت بمكة وبزمزم
والبيت ذي الاحجار والاستار
ان الزبير لمانعي من خوفه
ما كبر الحجاج في الامصار

فقال الزبير للتميمي تقدم فانا لا نتقدم على من نجيره فتقدم التميمي ودخل المسجد فرآه حرب فقام اليه فلطمه فعدا عليه الزبير بالسيف فعدا حرب حتى دخل دار عبد المطلب فقال أجرني من الزبير فاكفأ عليه جفنة كان أبوه هاشم يطعم الناس فيها فبقي

رضي الله عنهما ان مدة الدنيا اي من آدم عليه السلام سبعة آلاف سنة اي وقد مضى منها قبل وجود النبي صلى الله عليه وسلم خمسة آلاف وسبعمائة واربعون سنة وعن ابي خيثمة وثمانمائة سنة قلت وفي كلام بعضهم من خلق آدم الى بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم خمسة آلاف سنة وثمانمائة سنة وثلاثون سنة وقد جاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من طرق صحاح انه قال الدنيا سبعة ايام كل يوم الف سنة وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر يوم منها وفي كلام الحافظ السيوطي دلت الاحاديث والآثار على ان مدة هذه الامة تزيد على الالف سنة ولا تبلغ الزيادة خمسمائة سنة اصلا وانما تزيد بنحو اربعمائة سنة تقريبا وما اشتهر على السنة الناس ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يمكث في قبره اكثر من الف سنة باطل لا اصل له هذا كلامه وقوله لا تبلغ الزيادة خمسمائة سنة هل يخالفه ما اخرجه ابو داود لن يعجز الله ان يؤخر هذه الامة نصف يوم يعني خمسمائة سنة وفي كلام بعضهم قد اكثر المنجمون في تقدير مدة الدنيا فقال بعضهم عمرها سبعة آلاف سنة بعدد النجوم السيارة اي وهي سبعة وبعضهم اثنا عشر الف سنة بعدد البروج وبعضهم ثلثمائة الف وستون الفا بعدد درجات الفلك وكلها تحكمات عقلية لا دليل عليها وفي كلام الشيخ محيي الدين بن العربي اكمل الله خلق الموجودات من الجمادات والنباتات والحيوان بعد انتهاء خلق العالم الطبيعي باحدى وسبعين الف سنة ثم خلق الله الدنيا بعد ان انقضى من مدة خلق العالم الطبيعي أربع وخمسون الف سنة ثم خلق الله تعالى الآخرة يعني الجنة والنار بعد الدنيا بتسعة آلاف سنة ولم يجعل الله تعالى للجنة والنار امدا ينتهي اليه بقاؤهما فلهما الدوام قال وخلق الله تعالى طينة آدم بعد ان مضى من عمر الدنيا سبع عشرة الف سنة ومن عمر الآخرة التي لا نهاية لها في الدوام ثمانية آلاف سنة وخلق الله تعالى الجان في الارض قبل آدم بستين الف سنة اي ولعل هذا هو المعنى بقول بعضهم خلق الله قبل آدم خلقا في صورة البهائم ثم اماتهم قبل وهم الجن والبن والطم والرم والحس والبس فأفسدوا في الارض وسفكوا الدماء كما سيأتي قال الشيخ محيي الدين وقد طفت بالكعبة مع قوم لا اعرفهم فقال لي واحد منهم اما تعرفني فقلت لا قال انا من اجدادك الاول فقلت له كم لك منذ مت قال لي بضع واربعون الف سنة فقلت ليس لآدم هذا القدر من السنين فقال لي عن اي آدم تقول عن هذا الاقرب اليك ام عن غيره فتذكرت حديثا روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق مائة الف آدم فقلت قد يكون ذلك الجد الذي نسبني اليه من اولئك والتاريخ في ذلك مجهول مع حدوث العالم بلا شك هذا كلامه وفي كلام الشيخ عبد الوهاب الشعراني وكان وهب بن منبه رضي الله تعالى عنه يقول سأل بنو اسرائيل

تحتها ساعة ثم قال له عبد المطلب اخرج فقال كيف أخرج وسبعة من ولدك قد اجتمعوا بسيوفهم على الباب فألقى عليه عبد المطلب رداء نخرج عليهم فعلموا انه اجاره ٣٠ فتفرقوا والى هذه القصة اشار ابن عباس رضى الله عنهما حين دخل على معاوية رضى الله عنه فى ايام خلافته وعنده وفود العرب فذكر كلاما فيه افتخار وذكر فى كلامه حرب بن امية فقال له ابن عباس رضى الله عنهما نحن اكفأ عليه اناءه وأجاره بردائه فسكت معاوية رضى الله عنه وكان عبد المطلب يكرم النبى صلى الله عليه وسلم ويعظمه وهو صغير ويقول ان لابنى هذا لشانا عظيما وذلك مما كان يسمعه من الكهان والرهبان قبل مولده وبعده وكان عبد المطلب معظما فى قريش وكانوا يفرشون له حول الكعبة فيجلس ويجتمع حوله رؤساء قريش ولا يستطيع احد ان يجلس على فراشه ولا ان يطأه بقدمه وكان النبى صلى الله عليه وسلم وهو صغير يزاحم الناس فيدخل حتى يجلس بجنب جده عبد المطلب وربما جاء قبل جده عبد المطلب فجلس على فراشه فاذا أراد أحد من أعمامه أن يمنعه يزجره جده عبد المطلب ويقول دعوه ان له لشأنا ثم يجلسه عليه معه ويمسح ظهره ويسره ما يراه يصنع وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان عبد المطلب كان يقول لهم دعوا ابنى يجلس فانه يحس من نفسه بشئ اى بشرف وأرجو أن يبلغ من الشرف مالم يبلغه عربى قبله ولا بعده وفى رواية دعوا ابنى انه ليؤنس ملكا اى يعلم من نفسه نجاة أن له ملكا وفى رواية ردوا ابنى الى مجلسى فانه تحدثه نفسه بملك عظيم وسيكون له شأن وعن ابن عباس رضى الله عنهما ايضا

المسيح عليه الصلاة والسلام ان يحيى لهم سام بن نوح عليهما الصلاة والسلام فقال أرونى قبره فوقف على قبره وقال ياسام قم باذن الله تعالى فقام واذا رأسه ولحيته بيضاء فقال انك مت وشعرك أسود فقال لما سمعت النداء ظننت انها القيامة فشاب رأسى ولحيتى الآن فقال له عيسى عليه السلام كم لك من السنين ميت قال خمسة آلاف سنة الى الآن لم تذهب عنى حرارة طلوع روحى وسبب الاختلاف فيما بين عدنان وآدم ان قدماء العرب لم يكونوا أصحاب كتب يرجعون اليها وانما كانوا يرجعون الى حفظ بعضهم من بعض ولعله لا يخالفه ما تقدم من ان أول من كتب معد أو نزار وفى كلام سبط بن الجوزى أن سبب الاختلاف المذكور اختلاف اليهود فانهم اختلفوا اختلافا متفاوتا فيما بين آدم ونوح وفيما بين الانبياء من السنين قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لو شاء رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعلمه لعلمه اى لو أراد ان يعلم ذلك للناس لعلمه لهم وهذا اولى من يعلمه بفتح الياء وسكون العين وذكر ابن الجوزى ان بين آدم ونوح شيثا وادريس وبين نوح وابراهيم هودا وصالحا وبين ابراهيم وموسى بن عمران اسمعيل واسحق ولوطا وهو ابن اخت ابراهيم وكان كاتبا لابراهيم وشعيب وكان يقال له خطيب الانبياء ويعقوب ويوسف ولد يوسف ليعقوب وله من العمر احدى وتسعون سنة وكان فراقه له وليوسف من العمر ثمانى عشرة سنة وبقيا مفترقين احدى وعشرين سنة وبقيا مجتمعين بعد ذلك سبع عشرة سنة هذا وفى الاتقان القى يوسف فى الجب وهو ابن ثنتى عشرة سنة ولقى اباه بعد الثمانين وعاش مائة وعشرين سنة وكان كاتبه العزيز قيل وسبب الفرقة بين سيدنا يعقوب وسيدنا يوسف عليهما السلام ان سيدنا يعقوب ذبح جديا بين يدى امه فلم يرض الله تعالى له ذلك فأراه دما بدم وفرقة بفرقة وحرقة بحرقة وموسى بن عمران بن منشا وبين موسى بن عمران وهو اول انبياء بنى اسرائيل وداود يوشع وكان يوشع كهرون يكتب لموسى ويذكر ان مما اوصى به داود ولده سليمان عليهما السلام لما استخلفه يا بنى اياك والهزل فان نفعه قليل ويهيج العداوة بين الاخوان اى ومن ثم قيل لا تمازح الصبيان فتهون عليهم ولا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا تمازح الدنىء فيجترئ عليك ولكل شئ بذر وبذر العداوة المزاح وقد قيل المزاح يذهب بالمهابة ويورث الضغينة وقيل آكد اسباب القطيعة المزاح وقد قيل من كثر مزاحه لم يخل من استخفاف به او حقد عليه واقطع طمعك من الناس فان ذلك هو الغنى واياك وما تعتذر فيه من القول او الفعل وعود لسانك الصدق والزم الاحسان ولا تجالس السفهاء واذا غضبت فالصق نفسك بالارض اى وقد جاء فى الحديث اذا جهل على احدكم جاهل فان كان قائما جلس وان كان جالسا فليضطجع وممن مات من الانبياء

قال سمعت ابي يقول كان لعبد المطلب مفروش في الحجر يجلس عليه لا يجلس عليه غيره وكان حرب بن امية فمن دونه من عظماء قريش يجلسون حوله دون المفرش فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وهو غلام لم يبلغ الحلم فجلس على الفرش فجذبه رجل فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد المطلب مالابني يبكي قالوا أراد أن يجلس على الفرش فمنعوه فقال عبد المطلب دعوا ابني يجلس عليه فانه يحس من نفسه بشرف وأرجو أن يبلغ من الشرف مالم يبلغه عربي قبله ولا بعده فكانوا بعد ذلك لايردونه عنه حضر عبد المطلب اوغاب وفي السيرة الحلبية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث جدي عبد المطلب في زي الملوك وأبهة الاشراف *(ومما أكرم الله به عبد المطلب) وكان من الارهاصات لنبوة النبي صلى الله عليه وسلم حفر بئر زمزم وحاصل القصة أن عمرو بن الحرث الجرهمي لما احدث قومه جرهم بحرم الله تعالى الحوادث خاف نزول العذاب بهم فعمد الى أنفس الاموال وهي غزالان من ذهب وسيوف وأدراع وحجر الركن وقيل حجر المقام فجعلها في زمزم وبالغ في طمها وفر الى اليمن بقومه فلم تزل زمزم من ذلك العهد مجهولة الى أن رفعت الحجب عنها برؤيا رآها عبد المطلب دلته على حفرها بامارات عليها روى ابن اسحق بسنده الى علي رضي الله عنه قال قال عبد المطلب اني لنائم في الحجر اذ أتاني آت فقال احفر طيبة فقلت وما طيبة فذهب عني فلما كان الغد رجعت الى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال احفر برة فقلت وما برة فذهب عني فلما كان الغد رجعت الى مضجعي فنمت فجاءني فقال احفر المضنونة

فجاء داود وولده سليمان وابراهيم الخليل عليهم أفضل الصلاة والسلام ثم بعد يوشع كالب بن يوفنا وهو خليفة يوشع ثم حزقيل وهو خليفة كالب ويقال له ابن العجوز لان أمه سألت الله تعالى أن يرزقها ولدا بعدما كبرت وعقمت فجاءت به وهو ذو الكفل لانه تكفل بسبعين نبيا وانجاهم من القتل والياس ثم طالوت الملك اى فان شمويل عليه السلام لما حضرته الوفاة سأله بنو اسرائيل أن يقيم فيهم ملكا فأقام فيهم طالوت ملكا ولم يكن من أعيانهم بل كان راعيا وقيل سقاء وقيل غير ذلك وبين داود وعيسى عليهما السلام وهو آخر أنبياء بني اسرائيل أيوب ثم يونس ثم شعيا ثم ٢ أحصيا ثم زكريا ويحيى عليهم السلام وفي النهر لابي حيان في تفسير قوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل كان بينه وبين عيسى من الرسل يوشع وشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعياء وأرمياء وعزير اى وهو من أولاد هرون بن عمران وحزقيل والياس ويونس وزكرياء ويحيى وكان بين موسى وعيسى الف نبي هذا كلامه وكان يحيى يكتب لعيسى وتقدم الكلام على من بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ومما يدل على شرف هذا النسب وارتفاع شأنه وفخامته وعلو مكانه ماجاء عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال قيل يارسول الله قتل فلان لرجل من ثقيف فقال أبعده الله انه كان يبغض قريشا وفي الجامع الصغير قريش صلاح الناس ولايصلح الناس الابهم كما أن الطعام لايصلح الابالملح قريش خالصة الله تعالى فمن نصب لها حربا سلب ومن أرادها بسوء خزي في الدنيا والآخرة قال وعن سعد بن ابي وقاص ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يرد هوان قريش اهانه الله تعالى اه اى واشد الاهانة ما كان في الآخرة وحينئذ اما ان يراد بالارادة العزم والتصميم او المراد المبالغة او يكون ذلك من خصائص قريش فلا ينافي ان حكم الله المطرد في عدله ان لايعاقب على مجرد الارادات انما يعاقب ويجازي على الافعال والاقوال الواقعة او ماهو منزل منزلة الواقعة كالتصميم فان من خصائص هذه الامة عدم مؤاخذتها بما تحدث به نفسها وعن ام هانئ بنت ابي طالب رضي الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل قريشا اى ذكر تفضيلهم بسبع خصال لم يعطها احد قبلهم ولا يعطاها احد بعدهم النبوة فيهم والخلافة فيهم والحجابة فيهم والسقاية فيهم ونصروا على الفيل اى على اصحابه وعبدوا الله سبع سنين وفي لفظ عشر سنين لم يعبده احد غيرهم ونزلت فيهم سورة من القرآن لم يذكر فيها احد غيرهم لايلاف قريش وتسمية لايلاف قريش سورة يرد ماقيل ان سورة الفيل ولايلاف قريش سورة واحدة ولينظر مامعنى عبادتهم الله تعالى دون غيرهم في تلك المدة وعن انس رضي الله تعالى عنه حب قريش ايمان وبغضهم كفر وعن ابي هريرة رضي الله

فقلت وما المضنونة فذهب عنى فلما كان الغد رجعت الى مضجعى فنمت فيه فجاءنى فقال احفر زمزم قلت وما زمزم قال لا تنزف ابدا ولا تذم تسقى الحجيج الاعظم بين الفرث والدم عند نقرة الغراب الاعصم عند قرية النمل فلما كان الغد ذهب عبد المطلب وولده الحرث فوجد قرية النمل بين اساف ونائلة اعنى الصنمين اللذين يذبحون عندهما ووجد الغراب ينقر عندها بين الفرث والدم اى فى محلهما وقوله برة بفتح الموحدة وتشديد المهملة سميت بذلك لكثرة منافعها وسعة مائها وهو اسم صادق عليها لانها فاضت للابرار وغاضت عن الفجار وسميت ايضا المضنونة لانه اضن بها على غير المؤمن فلا يتضلع منها منافق وفى الحديث مرفوعا من شرب من زمزم فليتضلع فانه افرق ما بيننا وبين المنافقين لا يستطيعون ان يتضلعوا منها رواه الدارقطنى وروى الزبير بن بكار ان عبد المطلب قيل له احفر المضنونة ضننت بها على الناس الا عليك وقوله لا تنزف اى لا يفرغ ماؤها ولا يلحق قعرها وقوله ولا تذم اى لا توجد قليلة الماء من قول العرب بئر ذمة اى قليل ماؤها والغراب الاعصم فسره النبى صلى الله عليه وسلم بأنه الذى احدى رجليه بيضاء رواه ابن ابى شيبة فلما بين لعبد المطلب شأنها ودل على موضعها وعرف انه صدق غدا بمعوله ومعه ولده الحرث ليس له يومئذ ولد غيره فجعل يحفر ثلاثة ايام فلما بدا له الطى كبر وقال هذا طى اسمعيل فقاموا اليه فقالوا انها بئر ابينا اسمعيل وان لنا فيها حقا اى فاشركنا معك فيها فقال ما انا بفاعل ان هذا الامر قد خصصت به دونكم واعطيته من بينكم قالوا له فأنصفنا فانا غير تاركيك

تعالى عنه الناس تبع لقريش مسلمهم تبع لمسلمهم وكافرهم تبع لكافرهم وقال صلى الله عليه وسلم العلم فى قريش اى وقال الائمة من قريش وقد جمع الحافظ ابن حجر طرق هذا الحديث فى كتاب سماه لذة العيش فى طرق حديث الائمة من قريش وفى الحديث عالم قريش يملأ طباق الارض علما وفى رواية لا تسبوا قريشا فان عالمها يملأ الارض علما وفى رواية اللهم اهد قريشا فان عالمها يملأ طباق الارض علما قال جماعة من الائمة منهم الامام أحمد هذا العالم هو الشافعى رضى الله تعالى عنه لانه لم ينتشر فى طباق الارض من علم عالم قرشى من الصحابة وغيرهم ما انتشر من علم الشافعى وفى كلام بعضهم ليس فى الائمة المتبوعين فى الفروع قرشى غيره وفيه أن الامام مالك بن أنس من قريش ويجاب بأنه انما يكون قرشيا على القول الباطل من أن جماع قريش قصى وقد ذكر السبكى انهم ذكروا ان من خواص الشافعى رضى الله تعالى عنه من بين الائمة ان من تعرض اليه او الى مذهبه بسوء أو نقص هلك قريبا وأخذوا ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم من أهان قريشا أهانه الله تعالى هذا كلامه قال الحافظ العراقى اسناد هذا الحديث يعنى لا تسبوا قريشا فان عالمها يملأ الارض علما لا يخلو عن ضعف وبه يرد ما زعمه الصغانى من أنه موضوع وحاشا الامام أحمد أن يحتج بحديث موضوع أو يستأنس به على فضل الشافعى وقال ابن حجر الهيتمى هو حديث معمول به فى مثل ذلك اى فى المناقب وزعم وضعه حسد أو غلط فاحش اى وعن الربيع قال رأيت فى المنام كأن آدم مات فسألت عن ذلك فقيل لى هذا موت أعلم أهل الارض لان الله علم آدم الاسماء كلها فما كان الا يسيرا حتى مات الشافعى رضى الله تعالى عنه ورضى عنا به ومما يؤثر عن امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه من اطراك فى وجهك بما ليس فيك فقد شتمك ومن نقل اليك نقل عنك ومن نم عندك نم عليك ومن اذا أرضيته قال فيك ما ليس فيك اذا اسخطته قال فيك ما ليس فيك وقال صلى الله عليه وسلم قدموا قريشا ولا تقدموها اى لا تتقدموها وفى رواية ولا تعالموها اى لا تغالبوها بالعلم ولا تكاثروها فيه وفى رواية ولا تعلموها اى لا تجعلوها فى المقام الادنى الذى هو مقام المتعلم بالنسبة للمعلم وقال صلى الله عليه وسلم احبوا قريشا فانه من احبهم احبه الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم لولا ان تبطر قريش لاخبرتها بالذى لها عند الله عز وجل وفى السنن المأثورة عن امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه رواية المزنى عنه قال الطحاوى حدثنا المزنى قال حدثنا الشافعى رضى الله تعالى عنه ان قتادة بن النعمان وقع بقريش وكأنه نال منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا يا قتادة لا تشتم قريشا فانك لعلك ترى منهم رجالا اذا رأيتهم عجبت بهم لولا ان تطغى قريش لاخبرتها بالذى لها عند الله تعالى

اى لولا انها اذا علمت مالها عند الله من الخير المدخر لها تركت العمل بل ربما ارتكبت ما لا يحل اتكالا على ذلك لا علمتها به لكن فى رواية لاخبرتها بما لخيارها عند الله من الثواب وهذا دليل على علو منزلتها وارتفاع قدرها عند الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم يوما يا أيها الناس ان قريشا أهل أمانة من بغاها العواثر اى من طلب لها المكايد أكبه الله تعالى لمنخريه اى أكبه الله على وجهه قال ذلك ثلاث مرات وعن سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه انه كان بالمسجد فمر عليه سعيد بن العاص فسلم عليه فقال له والله يا ابن أخى ما قتلت أباك يوم بدر ومالى أن أكون اعتذر من قتل مشرك فقال له سعيد بن العاص لو قتلته كنت على الحق وكان على الباطل فعجب عمر من قوله وقال قريش أفضل الناس أحلاما وأعظم الناس أمانة ومن يرد بقريش سوأ يكبه الله لفيه هذا كلامه والذى قتل العاص والد سعيد على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه وقيل سعد بن ابى وقاص رضى الله تعالى عنه فعن سعد بن ابى وقاص رضى الله تعالى عنه قال قتلت يوم بدر العاص وأخذت سيفه ذا الكتيفة وقال صلى الله عليه وسلم شرار قريش خير شرار الناس وفى رواية خيار قريش خيار الناس وشرار قريش شرار الناس اى ولعله سقط من هذه الرواية قبل شرار الثانية لفظ خيار لتوافق الرواية قبلها المقتضى لذلك المقام ويحتمل ابقاء ذلك على ظاهره لانه ممن يقتدى به فكانوا أشر الاشرار ويكون هذا هو المراد بوصفهم بأنهم خيار شرار الناس ثم رأيت فى كتاب السنن المأثورة عن امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه ما رواه المزنى عنه خيار قريش خيار الناس وشرار قريش خيار شرار الناس وفى الحديث ولاة هذا الامر فبر الناس تبع لبرهم وفاجرهم تبع لفاجرهم ومن ثم قال الطحاوى قريش أهل أمانة هكذا قرأه علينا المزنى أهل أمانة اى بالنون وانما هو أهل امامة اى بالميم وفى كلام فقهائنا قريش قطب العرب وفيهم الفتوة * ومما يدل على شرف هذا النسب أيضا ما جاء عن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه ان الله اختار العرب على الناس واختارنى على من أنا منه من أولئك العرب وما جاء عن واثلة بن الاسقع رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله اصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم أقول وجاء بلفظ آخر عن واثلة بن الاسقع وهو ان الله اصطفى من ولد آدم ابراهيم عليهما السلام واتخذه خليلا واصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل ثم اصطفى من ولد اسمعيل نزار ثم اصطفى من ولد نزار مضر ثم اصطفى من ولد مضر كنانة ثم اصطفى من كنانة قريشا ثم اصطفى من قريش بنى هاشم ثم اصطفى من بنى هاشم بنى عبد المطلب ثم اصطفانى من بنى عبد المطلب والله أعلم قال وفى رواية ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل واصطفى

حتى تخاصمك فيها قال فاجعلوا بينى وبينكم من شئتم أحاكمكم اليه قالوا كاهنة سعد بن هذيم قال نعم وكانت باشراف الشام فركب عبد المطلب ومعه نفر من بنى عبد مناف وركب من كل قبيلة من قريش نفر فخرجوا حتى اذا كانوا بمفازة بين الحجاز والشام ظمئ عبد المطلب وأصحابه حتى أيقنوا بالهلكة فاستسقوا من معهم من قبائل قريش فابوا وقالوا انا بمفازة نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم فلما رأى ما صنع القوم وما يتخوف على نفسه وأصحابه قال ماذا ترون قالوا ما رأينا الا تبع لرأيك فمرنا بما شئت فأمرهم فحفروا قبورهم وقال من مات واراه أصحابه حتى يكون الآخر ضيعته أيسر من ركب وقعدوا ينتظرون الموت عطشا ثم قال والله ان القاءنا بأيدينا للموت عجز لنضرب فى الارض عسى الله أن يرزقنا ماء ببعض البلاد وركب راحلته فلما انبعثت به انفجرت من تحت خفها عين ماء عذب فكبر عبد المطلب وأصحابه ثم نزل فشربوا واستقوا حتى ملؤا أسقيتهم ثم دعا قبائل قريش فقال هلم الى الماء فقد سقانا الله فاستقوا وشربوا ثم قالوا قد والله قضى لك علينا يا عبد المطلب والله لانخاصمك فى زمزم أبدا ان الذى أسقاك هذا الماء بهذه الفلاة لهو الذى أسقاك زمزم فارجع الى سقايتك راشدا فرجع ورجعوا معه ولم يصلوا الى الكاهنة وخلوا بينه وبين زمزم ثم آذاه عدى بن نوفل بن عبد مناف وقال له يا عبد المطلب أتستطيل علينا وأنت فذ لا ولد لك فقال أبالقلة تعيرنى فوالله لئن آتانى الله عشرة من الولد ذكورا لانحرن أحدهم عند الكعبة وقيل سفه عليه وعلى ابنه ناس من قريش ونازعوهما

من ولد اسمعيل كنانة واصطفى من بنى كنانة قريشا واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم وماجاء عن جعفر بن محمد عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانى جبريل فقال لى يامحمد ان الله بعثنى فطفت شرق الارض ومغربها وسهلها وجبلها فلم أجد حيا خيرا من مضر ثم أمرنى فطفت فى مضر فلم أجد حيا خيرا من كنانة ثم أمرنى فطفت فى كنانة فلم أجد حيا خيرا من قريش ثم أمرنى فطفت فى قريش فلم أجد حيا خيرا من بنى هاشم ثم أمرنى أن اختار فى أنفسهم اى اختار نفسا من أنفسهم فلم أجد نفسا خيرا من نفسك انتهى وفى الوفا عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى قوله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم قال ليس من العرب قبيلة الا ولدت النبى صلى الله عليه وسلم مضرها وربيعتها ويمانيها وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق فاختار من الخلق بنى آدم واختار من بنى آدم العرب واختار من العرب مضر واختار من مضر قريشا واختار من قريش بنى هاشم واختارنى من بنى هاشم فأنا خيار من خيار الى خيار انتهى وقوله واختار من مضر قريشا يدل على ان مضر ليس جماع قريش والا كانت أولاده كلها قريشا وعن ابى هريرة يرفعه بسند حسنه الحافظ العراقى ان الله حين خلق الخلق بعث جبريل فقسم الناس قسمين قسم العرب قسما وقسم العجم قسما وكانت خيرة الله فى العرب ثم قسم العرب قسمين فقسم اليمن قسما وقسم مضر قسما وكانت خيرة الله فى مضر وقسم مضر قسمين فكانت قريش قسما وكانت خيرة الله فى قريش ثم أخرجنى من خيار من أنا منه قال بعضهم وماجاء فى فضل قريش فهو ثابت لبنى هاشم والمطلب لانهم أخص وماثبت للاعم يثبت للاخص ولا عكس وفى الشفاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى قسم الخلق قسمين فجعلنى من خيرهم قسما فذلك قوله تعالى أصحاب اليمين وأصحاب الشمال فأنا من أصحاب اليمين وأنا خير أصحاب اليمين ثم جعل القسمين أثلاثا فجعلنى فى خيرها ثلثا فذلك قوله تعالى أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة والسابقون السابقون فأنا خير السابقين ثم جعل الاثلاث قبائل فجعلنى من خيرها قبيلة وذلك قوله تعالى وجعلناكم شعوبا وقبائل الآية فأنا أبر ولد آدم وأكرمهم على الله تعالى ولا فخر وجعل القبائل بيوتا فجعلنى فى خيرها بيتا ولا فخر فذلك قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت الآية هذا كلام الشفاء فليتأمل والى شرف هذا النسب يشير صاحب الهمزية رحمه الله تعالى بقوله

وبدا للوجود منك كريم * من كريم آباؤه كرماء

نسب تحسب العلا بحلاه * قلدتها نجومها الجوزاء

وقاتلوهما واشتد بذلك بلواه وكان معه ولده الحرث ولم يكن له ولد سواه فنذر لئن جاءه عشرة بنين وصاروا له أعوانا ليذبحن أحدهم قربانا لله عند الكعبة واحتفر ٣٤ عبد المطلب زمزم فى عامه ذلك هو وابنه الحرث قال ابن اسحق فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر عندها بين اساف ونائلة التى كانت قريش تنحر عندهما ذبائحها فجاء بالمعول وقام يحفر حيث أمر فقالت قريش والله ما نتركك تحفر بين وثنينا اللذين ننحر عندهما فقال لابنه ذرنى حتى أحفر فوالله لامضين لما أمرت به فلما عرفوا أنه غير تارك خلوا بينه وبين الحفر وكفوا عنه فلم يحفر الا يسيرا حتى بدا له الطى فكبر وعرف أنه قد صدق فلما تمادى به الحفر وجد الغزالين والاسياف والادراع التى دفنتها جرهم فقالت قريش انا معك فى هذا شركاء فقال لا ولكن هلم الى أمر نصف بينى وبينكم نضرب عليها القداح قالوا كيف نصنع قال اجعل للكعبة قدحين ولى قدحين ولكم قدحين فمن خرج قدحاه على شئ كان له ومن تخلف قدحاه فلا شئ له قالوا أنصفت فجعل قدحين أصفرين للكعبة وأسودين له وأحمرين لقريش فخرج الاصفران على الغزالين للكعبة والاسودان على الاسياف والادراع له وتخلف قدحا قريش فضرب الاسياف بابا للكعبة وضرب بالباب الغزالين من ذهب فكان أول ذهب حليته الكعبة ثم أتم حفر زمزم وأقام سقاية الحاج فكانت له فخرا وعزا على قريش وعلى سائر العرب قال الزهرى انه اتخذ عليها حوضا حيدا يستقى منه فكان يخرب بالليل حسدا له فلما أهمه ذلك قيل له فى النوم قل لا أحلها لمغتسل وهى لشارب حل وبل فلما أصبح قال

حبذا عقد سودد وفخار * أنت فيه اليتيمة العصماء

اى ظهر لهذا العالم منك كريم اى جامع لكل صفة كمال وهذا على حد قولهم لى من فلان صديق حميم وذلك الكريم الذى ظهر وجد من أب كريم سالم من نقص الجاهلية آباؤه الشامل للامهات جميعهم كرماء اى سالمون من نقائص الجاهلية اى ما يعد فى الاسلام نقصا من أوصاف الجاهلية وهذا نسب لا أجل منه ولجلالته اذا تأملته تظن بسبب ما تحلى به من الكمالات اى معاليه اجعات الجوزاء نجومها التى يقال لها نطاق الجوزاء قلادة لتلك المعالى وهذه القلادة نعم هى قلادة سيادة وتفخر موصوفة بأنك فى تلك القلادة الدرة اليتيمة التى لا مشابه لها المحفوظة عن الاعين لجلالتها لا يقال شمول الآباء للامهات لا يناسب قوله نسب لان النسب الشرعى فى الآباء خاصة لانا نقول المراد بالنسب ما يعم اللغوى أو قد يقال سلامة آبائه من النقائص انما هو من حيث أبوه اى كونه متفرعا عنه وذلك يستلزم أن تكون أمهاته كذلك وسيأتى لم ازل أنقل من اصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات وسيأتى الكلام على ذلك مستوفى وقد قال الماوردى فى كتاب أعلام النبوة واذا اختبرت حال نسبه صلى الله عليه وسلم وعرفت طهارة مولده صلى الله عليه وسلم علمت انه سلالة آباء كرام ليس فيهم مسترذل بل كلهم سادة قادة وشرف النسب وطهارة المولد من شروط النبوة هذا كلامه ومن كلام عمه ابى طالب

اذا اجتمعت يوما قريش لمفخر * فعبد مناف سرها وصميمها
وان حصلت أنساب عبد منافها * ففى هاشم أشرافها وقديمها
وان فخرت يوما فان محمدا * هو المصطفى من سرها وكريمها

بالرفع عطفا على المصطفى وسر القوم وسطهم فأشرف القوم قومه وأشرف القبائل قبيلته وأشرف الافخاذ فخذه وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب العرب فبحبى أحبهم ومن أبغض العرب فببغضى أبغضهم وعن سلمان الفارسى رضى الله تعالى عنه قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا سلمان لا تبغضنى فتفارق دينك قلت يا رسول الله كيف أبغضك وبك هدانى الله تعالى قال تبغض العرب فتبغضنى وعن على رضى الله تعالى عنه قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبغض العرب الا منافق وفى الترمذى عن عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من غش العرب لم يدخل فى شفاعتى ولم تنله مودتى قال الترمذى هذا حديث غريب وقال صلى الله عليه وسلم ألا ان أحب العرب فبحبى أحبهم ومن أبغض العرب فببغضى أبغضهم وقال صلى الله عليه وسلم احبوا العرب لثلاث لانى عربى والقرآن عربى وكلام أهل الجنة عربى وقال صلى الله عليه وسلم

ذلك فكان من أراده بمكروه رمى بداء فى جسده حتى انتهوا عنه وقوله حل بكسر الحاء المهملة ضد الحرام وبل بكسر الباء مباح وقيل شفاء قال ابن اسحق فنافت زمزم على آبار كانت قبلها وانصرف الناس اليها لمكانها من المسجد الحرام وفضلها على ما سواها ولانها بئر اسمعيل وفتخر بها بنو عبد مناف على قريش كلها وعلى سائر العرب فكان منها شرب الحاج وكان لعبد المطلب ابل كثيرة يجمعها فى الموسم ويسقى لبنها بالعسل فى حوض من أدم عند زمزم ويشترى الزبيب فينبذه بماء زمزم ويسقيه الحاج ليكسر غلظها وكانت اذ ذاك غليظة فلما توفى قام بالسقاية أبو طالب ثم العباس وكان له كرم بالطائف فكان يحمل زبيبه اليها ويسقيه الحاج أيام الموسم فلما دخل صلى الله عليه وسلم مكة عام الفتح قبض السقاية منه ثم ردها اليه ولما تكامل بنو عبد المطلب عشرة بعد حفر زمزم بثلاثين سنة وهم الحرث والزبير وحجل وضرار والمقوم وأبو لهب والعباس وحمزة وأبو طالب وعبد الله وأقر الله عينه بهم نام ليلة عند الكعبة المطهرة فرأى فى المنام قائلا يقول يا عبد المطلب أوف بنذرك لرب هذا البيت فاستيقظ فزعا مرعوبا وأمر بذبح كبش وأطعمه للفقراء والمساكين ثم نام فرأى أن قرب ما هو أكبر من ذلك فاستيقظ من نومه وقرب ثورا ثم نام فرأى أن قرب ما هو أكبر من ذلك فانتبه وقرب جملا وأطعمه للمساكين ثم نام فنودى أن قرب ما هو أكبر من ذلك فقال وما هو أكبر من ذلك قال قرب أحد أولادك الذى نذرته فاغتم غما شديدا وجمع أولاده وأخبرهم بنذره ودعاهم الى الوفاء بالنذر فقالوا انا نطيعك فمن تذبح منا قال ليأخذ كل

ان لواء الحمد يوم القيامة بيدى وان أقرب الخلق من لوائى يومئذ العرب وقال صلى الله عليه وسلم اذا ذلت العرب ذل الاسلام وفى كلام فقهائنا العرب أولى الامم لانهم المخاطبون أولا والدين عربى وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما خير العرب مضر وخير مضر عبد مناف وخير بنى عبد مناف بنو هاشم وخير بنى هاشم بنو عبد المطلب والله ماافترق فرقتان منذ خلق الله تعالى آدم الا كنت فى خيرهما (أقول) وفى لفظ آخر عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله حين خلقنى جعلنى من خير خلقه ثم حين خلق القبائل جعلنى من خيرهم قبيلة وحين خلق الانفس جعلنى من خير أنفسهم ثم حين خلق البيوت جعلنى من خير بيوتهم فأنا خيرهم بيتا وأنا خيرهم نسبا وفى لفظ آخر عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قسم الخلق قسمين فجعلنى فى خيرهم قسما ثم جعل القسمين أثلاثا فجعلنى فى خيرها ثلثا ثم جعل الثلث قبائل فجعلنى فى خيرها قبيلة ثم جعل القبائل بيوتا فجعلنى فى خيرها بيتا وتقدم عن الشفاء مثل ذلك مع زيادة الاستدلال بالآيات وتقدم الامر بالتأمل فى ذلك والله أعلم وفيه أنه ورد النهى فى الاحاديث الكثيرة عن الانتساب الى الآباء فى الجاهلية على سبيل الافتخار من ذلك لاتفتخروا بآبائكم الذين ماتوا فى الجاهلية فوالذى نفسى بيده مايدحرج الجعل بانفه خير من آبائكم الذين ماتوا فى الجاهلية اى والذى يدحرجه الجعل هو النتن وجاء فى الحديث ليدعن الناس فخرهم فى الجاهلية أو ليكونن أبغض الى الله تعالى من الخنافس وجاء آفة الحسب الفخر اى عاهة الشرف بالآباء التعاظم بذلك وأجاب الامام الحليمى بأنه صلى الله عليه وسلم لم يرد بذلك الفخر انما أراد تعريف منازل أولئك ومراتبهم اى ومن ثم جاء فى بعض الروايات قوله ولا فخر اى فهو من التعريف بما يجب اعتقاده وان لزم منه الفخر وهو اشارة الى نعمة الله تعالى عليه فهو من التحدث بالنعمة وان لزم من ذلك الفخر أيضا وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى وتقلبك فى الساجدين قال من نبى الى نبى حتى أخرجت نبيا اى وجدت الانبياء فى آبائه فسيأتى أنه قذف بى فى صلب آدم ثم فى صلب نوح ثم فى صلب ابراهيم عليهما الصلاة والسلام بدليل مايأتى فيه وفى لفظ آخر عنه مازال النبى صلى الله عليه وسلم يتقلب فى اصلاب الانبياء اى المذكورين أو غيرهم حتى ولدته أمه اى وهذا كما لايخفى لاينافى وقوع من ليس نبيا فى آبائه فالمراد وقوع الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم فى نسبه عليه الصلاة والسلام كما علمت ضرورة ان آباءه كلهم ليسوا أنبياء لكن قال غيره لازال نوره صلى الله عليه وسلم ينقل من ساجد الى ساجد قال أبو حيان واستدل بذلك اى بما ذكر من الآية المذكورة اى المفسرة بما ذكر الرافضة على أن آباء النبى صلى الله عليه وسلم كانوا

مؤمنين

واحد منكم قدحا والقدح بكسر القاف السهم قبل ان يراش و يوضع فيه النصل ثم ليكتب فيه اسمه ثم ائتوا به ففعلوا واخذوا قداحهم ودخلوا على هبل وهو اسم اصنم عظيم كان فى جوف الكعبة وكانوا يعظمونه ويضربون بالقداح عنده وكان له قيم يدفعون القداح له فيضرب بها فدفع عبد المطلب الى القيم تلك القداح وقام يدعو الله تعالى ويقول اللهم انى نذرت نحر احدهم وانى اقرع بينهم فأصب بذلك من شئت ثم ضرب السادن القدح فخرج على عبد الله وكان احبهم اليه فقبض عبد المطلب على يد ولده عبد الله وأخذ الشفرة ثم أقبل الى اساف ونائلة صنمين عند الكعبة تذبح وتنحر عندهما النسائك وأصلهما رجل وامرأة الرجل من جرهم يقال له اساف بن يعلى والمرأة نائلة بنت زيد من جرهم أيضا وكان اساف يتعشقها فى ارض اليمن فحجا فدخلا الكعبة فوجدا غفلة من الناس وخلوة من البيت ففجر بها فيه فمسخا فأصبحوا فوجدوهما ممسوخين فوضعوهما موضعهما ليتعظ بهما الناس فلما طال مكثهما وعبدت الاصنام عبدا معها فلما جاء عبد المطلب بابنه ليذبحه قام اليه سادات قريش فقالوا ماتريد ان تصنع والله لاندعك تذبحه حتى نعذر فيه ولئن فعلت هذا لايزال الرجل يأتى بابنه فيذبحه فما بقاء الناس على هذا وقال المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكان عبد الله ابن أخت القوم والله لاتذبحه أبدا حتى نعذر فيه فان كان فداؤه بأموالنا فديناه وقالوا له انطلق الى فلانة الكاهنة فلعلها أن تأمرك بامر فيه فرج لك فانطلقوا حتى اتوها بخيبر فقص

مؤمنين اى لان الساجد لا يكون الا مؤمنا فقد عبر عن الايمان بالسجود وسيأتى مزيد الكلام فى ذلك وهو استدلال ظاهرى والا فالآية تقبل معناها وتصفحك احوال المتهجدين من اصحابك لانه لما نسخ فرض قيام الليل عليه وعليهم بناء على أنه كان واجبا عليه وعلى امته وهو الاصح وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه كان واجبا على الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبله صلى الله عليه وسلم طاف صلى الله عليه وسلم تلك الليلة على بيوت أصحابه لينظر حالهم اى هل تركوا قيام الليل لكونه نسخ وجوبه بالصلوات الخمس ليلة المعراج حرصا على كثرة طاعتهم فوجدها كبيوت الزنابير اى لان الله عز وجل افترض عليه صلى الله عليه وسلم اى وعلى أمته قيام الليل او نصفه او أقل او اكثر فى اول سورة المزمل ثم نسخ ذلك فى آخر السورة بما تيسر اى وكان نزول ذلك بعد سنة ثم نسخ ذلك بالصلوات الخمس ليلة المعراج كما سيأتى وجعل بعضهم ذلك من نسخ الناسخ فيصير منسوخا لما علمت أن آخر هذه السورة ناسخ لاولها ومنسوخ بفرض الصلوات الخمس واعترض بان الاخبار دالة على أن قوله تعالى فاقرؤا ما تيسر من القرآن انما نزل بالمدينة يدل على ذلك قوله علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله لان القتال فى سبيل الله انما كان بالمدينة فقوله تعالى فاقرؤا ما تيسر اختيار لا ايجاب وقيل معنى وتقلبك فى الساجدين وتقلبك فى أركان الصلاة قائما وقاعدا وراكعا وساجدا فى الساجدين اى فى المصلين ففى الساجدين ليس متعلقا بتقلبك بل بساجدا المحذوف لا يقال يعارض جعل الساجدين عبارة عن المؤمنين ان من جملة آبائه صلى الله عليه وسلم آزر والد ابراهيم الخليل صلى الله على نبينا وعليه وسلم وكان كافرا لانا نقول اجمع أهل الكتابين على أن آزر كان عمه والعرب تسمى العم أبا كما تسمى الخالة أما فقد حكى الله عن يعقوب عليه السلام أنه قال آبائى ابراهيم واسمعيل ومعلوم أن اسمعيل انما هو عمه اى ويدل لذلك ان أبا ابراهيم كان اسمه تارخ بالمثناة فوق والمعجمة كما عليه جمهور أهل النسب وقيل بالمهملة وعليه اقتصر الحافظ فى الفتح لا آزر لكن ادعى بعضهم انه لقب له لان آزر اسم صنم كان يعبده فصار له اسمان آزر وتارخ كيعقوب واسرائيل قال بعضهم وقد تساهل من أخذ بظاهر الآية كالقاضى البيضاوى وغيره فقال ان أبا ابراهيم مات على الكفر وما قيل انه عمه فعدول عن الظاهر من غير دليل ويوافقه ما فى النهر نقلا عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن آزر كان اسم أبيه ويرد ذلك قول الحافظ السيوطى رحمه الله يستنبط من قول ابراهيم عليه السلام ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب وكان ذلك بعد موت عمه بمدة طويلة أن المذكور فى القرآن بالكفر والتبرى من الاستغفار له اى فى

على عبد المطلب القصة فقالت لهم ارجعوا عنى حتى يأتينى تابعى فأسأله فرجعوا من عندها فلما خرجوا عنها قام عبد المطلب يدعو الله تعالى ثم غدوا عليها فقالت لهم قد جاءنى الخبر كم دية الرجل عندكم قالوا عشرة من الابل فقالت ارجعوا الى بلادكم ثم قربوا صاحبكم اى أحضروه الى موضع ضرب القداح ثم قربوا عشرة من الابل ثم اضربوا عليها وعليه القداح فان خرجت القداح على صاحبكم فزيدوا فى الابل عشرة ثم اضربوا ايضا وهكذا حتى يرضى ربكم فخرج القوم عنها ورجعوا الى مكة وقربوا عبد الله وعشرة من الابل وقام عبد المطلب يدعو فخرجت القداح على ولده عبد الله فلم يزل يزيد عشرا عشرا وهى تخرج على عبد الله حتى بلغت الابل مائة فخرجت القداح على الابل فقالت قريش ومن حضر قد انتهى رضا ربك يا عبد المطلب فزعموا أنه قال لا والله حتى اضرب عليها القداح ثلاث مرات فضربوا على عبد الله وعلى الابل فقام عبد المطلب يدعو فخرجت على الابل ثم عادوا الثانية وهو قائم يدعو فضربوا فخرجت على الابل ثم الثالثة وهو قائم فخرجت على الابل فنحرت وتركت لا يصد عنها انسان ولا طائر ولا سبع ولهذا روى أنه صلى الله عليه وسلم قال أنا ابن الذبيحين وروى الحاكم فى المستدرك عن معاوية ابن ابى سفيان رضى الله عنهما قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه اعرابى فقال يا رسول الله خلفت البلاد يابسة والماء يابسا وخلفت المال عابسا هلك المال وضاع العيال فعد على بما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين قال معاوية رضى الله عنه فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه ويعنى

بالذبيحين عبد الله واسمعيل بن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام وفى هذا الحديث دلالة على أن الذبيح هو اسمعيل لا اسحق وفى ذلك خلاف مشهور ومما يدل على أن الذبيح اسمعيل عليه السلام ان الذبح كان بمكة ولذلك جعلت القرابين يوم النحر بها كما جعل السعى بين الصفا والمروة ورمى الجمار تذكيرا لشأن اسمعيل وامه ومعلوم أنهما هما اللذان كانا بمكة دون اسحق وامه ولو كان الذبح بالشأم كما يزعم اهل الكتاب ومن تلقى عنهم لكانت القرابين والنحر بالشأم لا بمكة وايضا مما يدل على أنه اسمعيل عليه السلام ظاهر القرآن الكريم فان الله سمى الذبيح حليما فى قوله تعالى فبشرناه بغلام حليم لانه لا أحلم ممن سلم نفسه للذبح طاعة لربه مع كونه مراهقا ابن ثمان سنين أو ثلاث عشرة سنة ولما ذكر اسحق عليه السلام سماه عليما فى قوله انا نبشرك بغلام عليم وبشروه بغلام عليم وايضا فان الله بعد ان قص فى كتابه قصة الذبح قال وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين فهذا يدل على تقدم قصة الذبح فتكون مع اسمعيل وايضا فان الله تعالى أجرى العادة البشرية أن اكبر الاولاد احب الى الوالدين ممن بعده وابراهيم عليه السلام لما سأل الله الولد ووهبه له تعلقت شعبة من قلبه بمحبته فأمر بذبح المحبوب فلما أقدم على ذبحه وكانت محبة الله عنده اعظم من محبة الولد خلصت الخلة حينئذ من شوائب المشاركة فلم يبق فى الذبح مصلحة اذ كانت المصلحة انما هى العزم وتوطين النفس وقد حصل المقصود فنسخ الامر وفدى الذبيح وصدق الخليل الرؤيا عليهما الصلاة والسلام ولبعضهم

قوله تعالى وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه هو عمه لا أبوه الحقيق قال فلله الحمد على ما الهم اى ولا يخفى أن هذا لا يتم الا اذا كان أبوه الحقيقى حيا وقت التبرى منه وأن التبرى سببه الموت اى موت عمه على الكفر لا الوحى بانه يموت كافرا فليتأمل وحينئذ يكون أبوه الحقيقى هو المعنى بقول أبى هريرة أحسن كلمة قالها ابو ابراهيم أن قال لما رأى ولده وقد القى فى النار على تلك الحالة اى فى روضة خضراء وحوله النار لم تحرق منه الا كتافه نعم الرب ربك يا ابراهيم وكان سنه حين ألقى فى النار ست عشرة سنة كما فى الكشاف وفى كلام غيره كان سنه ثلاثين سنة بعد ما نجى ثلاث عشرة سنة وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال ان قريشا كانت نورا بين يدى الله تعالى قبل أن يخلق آدم عليه السلام بألفى عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه فلما خلق الله تعالى آدم عليه السلام ألقى ذلك النور فى صلبه قال صلى الله عليه وسلم فأهبطنى الله تعالى الى الارض فى صلب آدم وجعلنى فى صلب نوح وقذفنى فى صلب ابراهيم عليهم الصلاة والسلام ثم لم يزل ينقلنى من الاصلاب الكريمة والارحام الطاهرة حتى أخرجنى من بين أبوى لم يلتقيا على سفاح قط (أقول) قوله صلى الله عليه وسلم فأهبطنى ينبغى أن لا يكون معطوفا على ما قبله من قوله ان قريشا كانت نورا بين يدى الله تعالى الخ فيكون نوره صلى الله عليه وسلم من جملة نور قريش وأنه صلى الله عليه وسلم انفرد عن نور قريش وأودع فى صلب نوح عليه السلام الخ بل على ما يأتى من قوله كنت نورا بين يدى ربى قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف عام اللازم لذلك أن يكون نوره سابقا على نور قريش ويكون نور قريش من نوره صلى الله عليه وسلم وحكمة اقتصاره صلى الله عليه وسلم على من ذكر من الانبياء عليهم السلام لا تخفى وهى أنهم آباء الانبياء عليهم الصلاة والسلام فمن ذرية نوح هود وصالح عليهما السلام ومن ذرية ابراهيم اسمعيل واسحق ويعقوب ويوسف وشعيب وموسى وهرون بناء على أنه شقيق موسى أو لابيه والا فسيأتى أن نوره انتقل الى شيث وتقدم أنه صلى الله عليه وسلم من ذرية اسمعيل وعن على بن الحسين رضى الله عنهما عن ابيه عن جده أن النبى صلى الله عليه وسلم قال كنت نورا بين يدى ربى قبل خلق آدم عليه السلام بأربعة عشر ألف عام ورأيت فى كتاب التشريفات فى الخصائص والمعجزات لم أقف على اسم مؤلفه عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل جبريل عليه السلام فقال يا جبريل كم عمرت من السنين فقال يا رسول الله لست اعلم غير أن فى الحجاب الرابع نجما يطلع فى كل سبعين الف سنة مرة رأيته اثنين وسبعين الف مرة فقال يا جبريل وعزة ربى جل جلاله أنا ذلك الكوكب رواه البخارى هذا كلامه فلما خلق الله آدم عليه السلام جعل ذلك النور فى ظهره اى

فهو

ان الذبيح فديت اسمعيل * نطق الكتاب بذاك والتنزيل
شرف به خص الاله نبينا * وأبانه التفسير والتأويل

وروى فيما ذكره المعافى بن زكريا أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه سأل رجلا أسلم من علماء اليهود اى ابنى ابراهيم امر بذبحه فقال والله يا امير المؤمنين ان اليهود ليعلمون أنه اسمعيل ولكنهم يحسدونكم معشر العرب أن يكون الذبيح أباكم فهم يجحدون ذلك ويزعمون أنه اسحق * واعلم ان بعض العلماء ذكر ان اعمام النبى صلى الله عليه وسلم اثنا عشر فزادوا على العشرة السابقين الغيداق وقثم وعبد الكعبة فيكون اولاد عبد المطلب ثلاثة عشر وان حمزة والعباس تأخرت ولادتهما عن قصة الذبح فيكون الموجود وقت الذبح عشرة غير عبد الله والد النبى صلى الله عليه وسلم وقيل الغيداق هو حجل وعبد الكعبة هو المقوم وقثم لا وجود له فالاعمام تسعة فقط وعبد الله تمام العشرة ولما انصرف عبد الله مع ابيه من نحر الابل مر على امرأة من بنى اسد بن عبد العزى وهى عند الكعبة فقالت له حين نظرت الى وجهه وفيه نور المصطفى صلى الله عليه وسلم وكان عبد الله احسن رجل رؤى فى قريش لك مثل الابل التى نحرت عنك وقع علىّ الآن فقال لها

أما الحرام فالممات دونه
والحل لا حل فأستبينه
يحمى الكريم عرضه ودينه * فكيف بالامر الذى تبغينه

وفى السيرة الحلبية من شعر عبد الله والد النبى صلى الله عليه وسلم

لقد حكم البادون فى كل بلدة * بأن لنا فضلا على سادة الارض

فهو حالة كونه نورا سابق على قريش حالة كونهم انوارا بل سيأتى ما يدل على أن نوره صلى الله عليه وسلم سابق على سائر المخلوقات بل وتلك المخلوقات خلقت من ذلك النور وآدم وذريته وحينئذ يحتاج الى بيان وجه كون آدم خلق من نوره صلى الله عليه وسلم وجعل نوره صلى الله عليه وسلم فى ظهر آدم عليه السلام فقد تقدم فى الخبر لما خلق الله تعالى آدم جعل ذلك النور فى ظهره اى فكان يلمع فى جبينه فيغلب على سائر نوره الخ ما يأتى ثم انتقل الى ولده شيث الذى هو وصيه وكان من جملة ما وصاه به أنه يوصى من انتقل اليه ذلك النور من ولده أنه لا يضع ذلك النور الذى انتقل اليه الا فى المطهرة من النساء ولم تزل هذه الوصية معمولا بها فى القرون الماضية الى ان وصل ذلك النور الى عبد المطلب اى وهذا السياق يدل على أن ذلك النور كان ظاهرا فيمن ينتقل اليه من آبائه وهو قد يخالف ما تقدم من تخصيص بعض آبائه بذلك ولم تلد حواء ولدا مفردا الا شيث كرامة لهذا النور قيل مكث فى بطنها حتى نبتت أسنانه وكان ينظر الى وجهه من صفاء بطنها وهو الثالث من ولد آدم عليه السلام وكانت تلد ذكرا وأنثى معا اى فقد قيل انها ولدت لآدم اربعين ولدا فى عشرين بطنا وقيل ولدت مائة وعشرين ولدا وقيل مائة وثمانين ولدا وقيل خمسمائة ويقال ان آدم عليه السلام ما مات بكى عليه من ولده وولد ولده اربعون ألفا ولم يحفظ من نسل آدم الا ما كان من صلب شيث دون اخوته اى فانهم لم يعقبوا اصلا فهو ابو البشر وعن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما قال قلت يا رسول الله بأبى انت وأمى اخبرنى عن اول شئ خلقه الله تعالى قبل الاشياء قال يا جابر ان الله تعالى قد خلق قبل الاشياء نور نبيك من نوره الحديث وفيه أنه اصل لكل موجود والله سبحانه وتعالى اعلم * واختلف الناس فى عد طبقات انساب العرب وترتيبها والذى فى الاصل عن الزبير بن بكار أنها ست طبقات وان اولها شعب ثم قبيلة ثم عمارة بكسر العين المهملة ثم بطن ثم فخذ ثم فصيلة قال وقد نظمها الزين العراقى فى قوله

للعرب العرباء طباق عدة * فصلها الزبير وهى ستة
اعم ذاك الشعب فالقبيلة * عمارة بطن فخذ فصيلة

اى فالشعب اصل القبائل والقبيلة اصل العمارة والعمارة اصل البطون والبطن اصل الفخذ والفخذ اصل الفصيلة فيقال مضر شعب رسول الله صلى الله عليه وسلم اى وقيل شعبه خزيمة وكنانة قبيلته صلى الله عليه وسلم وقريش عمارته صلى الله عليه وسلم وقصى بطنه صلى الله عليه وسلم وهاشم فخذه صلى الله عليه وسلم وبنو العباس فصيلته صلى الله عليه وسلم وقيل بعد الفصيلة العشيرة وليس بعد العشيرة شئ وقيل بعدها الفصيلة قال ثم الرهط وزاد بعضهم الذرية والعترة والاسرة ولم يرتب بينها وقد ذكرها محمد بن سعد انثى

وانّ أبى ذو المجد والسودد الذى * تشابهما ما بين نشز الى خفض

اى ارتفاع وانخفاض وروى ابونعيم ٤٠ عن ابن عباس رضى الله عنهما لما خرج عبد المطلب بعد نحر الابل بابنه عبد الله ليزوجه مر به على كاهنة من تبالة قد قرأت الكتب يقال لها فاطمة بنت مر الخثعمية وكانت من اجمل النساء وأعفهن فرأت نور النبوة فى وجه عبد الله فعرضت نفسها عليه فلما ابى قالت

انى رأيت مخيلة نشأت
فتلألأت بحاتم القطر
فلمأتها نورا يضىء به
ما حوله كاضاءة الفجر
ورأيت سقياها حيا بلد
وقعت به وعمارة القفر
ورأيته شرفا ابوء به
ما كل قادح زنده يورى
لله ما زهرية سلبت
منك الذى سلبت وما تدرى

وقد روى عن العباس رضى الله عنه انه لما بنى عبد الله بآمنة رضى الله عنهما أحصوا مائتى امرأة من بنى مخزوم وبنى عبد مناف متن ولم يتزوجن اسفا على ما فاتهن من عبد الله وانه لم تبق امرأة فى قريش الا مرضت ليلة دخل عبد الله بآمنة *(ومن الارهاصات) التى وقعت قبل وجود النبى صلى الله عليه وسلم قصة اصحاب الفيل وما حصل لهم من العذاب الوبيل ببركة دعاء عبد المطلب وتأييدا لقريش وتمهيدا لمولد النبى صلى الله عليه وسلم وبعثته وأمر ابرهة سائس الفيل أن يحضر فيله الاعظم بين يديه ليرهب عبد المطلب لما حضر لطلب اطلاق ابله التى اخذها جنود ابرهة فقلت فلما نظر الفيل الى عبد المطلب برك كما يبرك البعير وخر ساجدا وكان ابرهة قبل ذلك ارسل رجلا من قومه الى اهل مكة ليدخل

عشر فقال الجذم ثم الجمهور ثم الشعب ثم القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ ثم العشيرة ثم الفصيلة ثم الرهط ثم الاسرة ثم الذرية وسكت عن العترة وفى كلام بعضهم الاسباط بطون بنى اسرائيل والشعب فى لسان العرب الشجرة الملتفة الكثيرة الاغصان والاوراق والقبائل بطون العرب والشعوب بطون العجم فليتأمل

(باب تزويج عبد الله أبى النبى صلى الله عليه وسلم آمنة أمه صلى الله عليه وسلم وحفر زمزم وما يتعلق بذلك)

قيل خرج عبد المطلب ومعه ولده عبد الله وكان احسن رجل فى قريش خلقا وخلقا وكان نور النبى صلى الله عليه وسلم بينا فى وجهه وفى رواية أنه كان احسن رجل رئى بكسر الراء وبضمها ثم همزة مفتوحة منظرا فى قريش وفى رواية أنه كان اكمل بنى ابيه وأحسنهم واعفهم وأحبهم الى قريش وقد هدى الله تعالى والده فسماه بأحب الاسماء الى الله تعالى ففى الحديث احب الاسماء الى الله تعالى عبد الله وعبد الرحمن وهو الذبيح وذلك لان أباه عبد المطلب حين أمر فى النوم بحفر زمزم بئر اسمعيل عليه السلام اى لان الله تعالى اخرج زمزم لاسمعيل بواسطة جبريل كما يأتى ان شاء الله تعالى فى بناء الكعبة أخرج زمزم مرتين مرة لآدم ومرة لاسمعيل عليهما الصلاة والسلام وكانت جرهم قد دفنتها اى فان جرهما لما استخفت بأمر البيت الحرام وارتكبوا الامور العظام قام فيهم رئيسهم مضاض بكسر الميم وحكى ضمها ابن عمرو خطيبا ووعظهم فلم يرعووا فلما رأى ذلك منهم عمد الى غزالتين من ذهب كانتا فى الكعبة وما وجد فيها من الاموال اى السيوف والدروع على ما سيأتى التى كانت تهدى الى الكعبة ودفنها فى بئر زمزم وفى مرآة الزمان أن هاتين الغزالتين اهداهما للكعبة وكذا السيوف ساسان اول ملوك الفرس الثانية ورد بان الفرس لم يحكموا على البيت ولا حجوه هذا كلامه وفيه ان هذا لا ينافى ذلك فليتأمل وكانت بئر زمزم نضب ماؤها اى ذهب فحفرها مضاض بالليل واعمق الحفر ودفن فيها ذلك اى ودفن الحجر الاسود ايضا كما قيل وطم البئر واعتزل قومه فسلط الله تعالى عليهم خزاعة فأخرجتهم من الحرم وتفرقوا وهلكوا كما تقدم ثم لا زالت زمزم مطموسة لا يعرف محلها مدة خزاعة ومدة قصى ومن بعده الى زمن عبد المطلب ورؤياه التى أمر فيها بحفرها قيل وتلك المدة خمسمائة سنة اى وكان قصى احتفر بئرا فى الدار التى سكنتها أم هانئ اخت على رضى الله تعالى عنهما وهى اول سقاية احتفرت بمكة فعن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه قال قال عبد المطلب انى لنائم فى الحجر اذ أتانى آت فقال احفر طيبة فقلت وما طيبة فذهب وتركنى فلما كان الغد رجعت الى مضجعى فنمت فيه فجاءنى فقال احفر برة فقلت وما برة فذهب وتركنى فلما كان الغد رجعت الى مضجعى فنمت فيه فجاءنى وقال احفر المضنونة

الرعب في قلوبهم فلما دخل مكة ورأى عبد المطلب خضع وتلجلج لسانه وخر مغشيا عليه فكان يخور كما يخور الثور عند ذبحه فلما
افاق خر ساجدا لعبد المطلب وقال أشهد انك سيد قريش حقا وكان هذا الرسول قد قال له ابرهة اسأل عن سيد اهل
البلد وشريفهم ثم قل له ان الملك يقول لم آت لحربكم انما جئت لهدم هذا البيت فان لم تعرضوا دونه بحرب فلا حاجة لي بدمائكم فان هو لم يرد حربا فأتني به فدخل فسأل عن سيد أهل البلد وشريفهم فقالوا له عبد المطلب فقال ما أمره به أبرهة بعد ان أفاق من غشيته فقال عبد المطلب والله ما نريد حربه وما لنا بذلك من طاقة هذا بيت الله الحرام وبيت خليله ابراهيم فان يمنعه فهو بيته وحرمه وان يخل بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه ثم ذهب معه الى أبرهة واستأذن له وقال أيها الملك هذا سيد قريش يستأذن عليك وهو صاحب عير مكة ويطعم الناس في السهل والجبل والوحوش والطير في رؤس الجبال فأذن له أبرهة وكان عبد المطلب أوسم الناس وأجملهم وأعظمهم فعظم في عين أبرهة فأجله وأكرمه وكره أن يجلس تحته وان تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه فنزل عن سريره فجلس على بساطه وأجلسه معه الى جنبه ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك فقال له حاجتي أن يرد الملك على مائتي بعير أصابها فقال لترجمانه قل له كنت أعجبتني حين رأيتك
ثم قد زهدت فيك أتكلمني في مائتي بعير وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئت لاهدمه لا تكلمني فيه
فقال عبد المطلب اني انا رب الابل وان للبيت ربا سيمنعه قال ما كان ليمتنع مني قال أنت وذاك فرد عليه ابله فقلدها وأشعرها

فقلت وما المضنونة فذهب وتركني فلما كان الغد رجعت الى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال احفر زمزم فقلت وما زمزم قال لا تنزف ولا تذم تسقي الحجيج الاعظم وهي بين الفرث والدم عند نقرة الغراب الاعصم عند قرية النمل وقوله لا تنزف اي لا يفرغ ماؤها ولا يلحق قعرها وفيه انه ذكر انه وقع فيها عبد حبشي فمات بها او انتفخ فنزحت من أجله ووجد واقعرها فوجدوا ماءها يفور من ثلاثة أعين أقواها وأكثرها التي من ناحية الحجر الاسود وقوله ولا تذم بالذال المعجمة اي لا توجد قليلة الماء من قولهم بئر ذمة اي قليلة الماء قيل وليس المراد انه لا يذمها أحد لان خالد بن عبد الله القسري أمير العراق من جهة الوليد بن عبد الملك ذمها وسماها أم جعلان واحتفر بئرا خارج مكة باسم الوليد بن عبد الملك وجعل يفضلها على زمزم ويحمل الناس على التبرك بها وفيه ان هذا جراءة منه على الله تعالى وقلة حياء منه وهو الذي كان يعلن ويفصح بلعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه على المنبر فلا عبرة بذمه وقيل لزمزم طيبة لانها للطيبين والطيبات من ولد ابراهيم وقيل لها برة لانها افاضت للابرار وقيل لها المضنونة لانها ضن بها على غير المؤمنين فلا يتضلع منها منافق وقد جاء في رواية يقول الله تعالى ضننت بها على الناس الا عليك واهل المراد الا على اتباعك فيكون بمعنى ما قبله وفي رواية انه قيل لعبد المطلب احفر زمزم ولم يذكر له علامتها فجاء الى قومه وقال لهم اني قد أمرت أن أحفر زمزم قالوا فهل بين لك أين هي قال لا قالوا فارجع الى مضجعك الذي رأيت فيه ما رأيت فان يكن حقا من الله تعالى بين لك وان يكن من الشيطان فلن يعود اليك فرجع عبد المطلب الى مضجعه فنام فيه فأتاه فقال احفر زمزم انك ان حفرتها لن تندم وهي ميراث من أبيك الاعظم لا تنزف أبدا ولا تذم تسقي الحجيج الاعظم فقال عبد المطلب أين هي فقال هي بين الفرث والدم عند قرية النمل حيث ينقر الغراب الاعصم غدا اي والاعصم قيل أحمر المنقار والرجلين وقيل أبيض البطن وعلى هذا اقتصر الامام الغزالي حيث قال في قوله صلى الله عليه وسلم مثل المرأة الصالحة في النساء مثل الغراب الاعصم بين مائة غراب يعني الابيض البطن هذا كلامه وقيل الاعصم أبيض الجناحين وقيل أبيض احدى الرجلين فلما كان الغد ذهب عبد المطلب وولده الحرث ليس له ولد غيره فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر عندها بين الفرث والدم اي في محلهما وذلك بين اساف ونائلة الصنمين اللذين تقدم ذكرهما وتقدم ان قريشا كانت تذبح عندهما ذبائحها اي التي كانت تتقرب بها وهذا يبعد ما جاء في رواية أنه لما قام يحفرها رأى ما رسم له من قرية النمل ونقرة الغراب ولم ير الفرث والدم فبينما هو كذلك ندت بقرة من ذابحها فلم يدركها حتى دخلت المسجد فنحرها في الموضع الذي رسم له وقد يقال لا يبعد لانه يجوز

وجعلها وجعلها هديا للبيت وبثها في الحرم وانصرف الى قريش وأخبرهم الخبر ثم جاءهم الى البيت ودعا الله تعالى ثم امرهم

بالخروج من مكة والتحرز في رؤس الجبال والشعاب تخوفا عليهم من معرة الحبشة ثم أقبل الحبشة يريدون دخول
الحرم فأرسل الله عليهم طيرا ابابيل واهلكهم كما قص ذلك في كتابه سبحانه وتعالى فكانت تلك القصة ارهاصا له صلى الله عليه وسلم والصحيح أن قصة الفيل كانت قبل ميلاده صلى الله عليه وسلم وكانت في عام الولادة على الصحيح أيضا وجاء في بعض الروايات ان نور النبي صلى الله عليه وسلم استدار في وجه عبد المطلب لما أقبل على أبرهة مع ان النور كان قد انتقل الى ابنه عبد الله بل الى آمنة أم النبي صلى الله عليه وسلم لانها في ذلك الوقت كانت حاملا به على الصحيح وأجاب المحققون عن ذلك بان النور وان كان قد انتقل عن عبد المطلب في ذلك الوقت الا انه كان يستدير في وجهه مثل ذلك النور الذي كان قبل انتقاله و يكون ذلك عند الاحتياج اليه كما في هذه القصة وذلك من جملة الارهاصات أيضا * ومن ذلك رؤيا جده عبد المطلب روى ابو نعيم من طريق ابي بكر بن عبد الله بن ابي الجهم عن ابيه عن جده قال سمعت ابا طالب يحدث عن عبد المطلب قال بينما انا نائم في الحجر اذ رأيت رؤيا هالتني ففزعت منها فزعا شديدا فاتيت كاهنة قريش فقلت لها اني رأيت الليلة كأن شجرة نبتت من ظهري قد نال رأسها السماء وضربت بأغصانها المشرق والمغرب فكلما
وما رأيت نورا أزهر منها أعظم من نور الشمس سبعين ضعفا ورأيت العرب والعجم لها ساجدين وهي تزداد كل ساعة عظما ونورا

ان يكون فهم أن يكون الفرث والدم موجودين بالفعل فلا يلزم من كون المحل المذكور محلهما وجودهما فيه في ذلك الوقت فلم يكتف بنقرة الغراب في محلهما فأرسل الله تلك البقرة ليرى الامر عيانا وذكر السهيلي رحمه الله ذكره هذه العلامات الثلاث حكمة لا بأس بها ولعل اسافا ونائلة نقلا بعد ذلك الى الصفا والمروة بعد ان نقلهما عمرو بن لحي من جوف الكعبة الى المحل المذكور فلا يخالف ما ذكره القاضي البيضاوي وغيره ان اسافا كان على الصفا ونائلة على المروة وكان أهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما اى ومن ثم لما جاء الاسلام وكسرت الاصنام كره المسلمون الطواف اى السعي بينهما وقالوا يا رسول الله هذا كان شعارنا في الجاهلية لاجل التمسح بالصنمين فأنزل الله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله الآية ويقال ان بقرة نحرت بالحزورة بوزن قسورة فانفلتت ودخلت المسجد في موضع زمزم فوقعت مكانها فاحتمل لحمها فأقبل غراب أعصم فوقع في الفرث فليتأمل الجمع وقد يقال لا منافاة لان قوله في الرواية الاولى فندت بقرة من ذابحها اى ممن شرع في ذبحها ولم يتمه حتى دخلت المسجد فنحرها اى تمم ذبحها فقد نحرت بالحزورة وبالمسجد أو يراد بنحرها في الحزورة ذبحها وبنحرها في المسجد سلخها وتقطيع لحمها فقد رأينا الحيوان بعد ذبحه يذهب الى موضع آخر ثم يقع به وعند ذلك جاء عبد المطلب بالمعول وقام ليحفر فقامت اليه قريش فقالوا له والله لا نتركك تحفر بين وثنينا اللذين ننحر عندهما فقال عبد المطلب لولده الحرث ذدعني اى امنع عني حتى أحفر فوالله لامضين لما أمرت به فلما رأوه غير نازع خلوا بينه وبين الحفر وكفوا عنه فلم يحفر الا يسيرا حتى بدا له الطي اى البناء فكبر وقال هذا طي اسمعيل عليه السلام اى بناؤه فعرفت قريش انه أصاب حاجته فقاموا اليه وقالوا والله يا عبد المطلب انها بئر أبينا اسمعيل وان لنا فيها حقا فأشركنا معك فقال ما أنا بفاعل ان هذا الامر قد خصصت به دونكم فقالوا مخاصموك فيها فقال اجعلوا بيني وبينكم من شئتم أحاكمكم اليه قالوا كاهنة بني سعد بن هذيم وكانت بأعالي الشام اى ولعلها التي لما حضرتها الوفاة طلبت شقا وسطيحا وتفلت في فيهما وذكرت ان سطيحا يخلفها في كهانتها ثم ماتت في يومها ذلك وسطيح سيأتي ترجمته وأما شق فقيل له ذلك لانه كان شق انسان يدا واحدة ورجلا واحدة وعينا واحدة فركب عبد المطلب ومعه نفر من بني عبد مناف وركب من كل قبيلة من قريش نفر وكان اذ ذاك ما بين الحجاز والشام مفازات لا ماء بها فلما كان عبد المطلب ببعض تلك المفاوز فني ماؤه وماء أصحابه فظمؤا ظمأ شديدا حتى أيقنوا بالهلكة فاستسقوا ممن معهم من قبائل قريش فأبوا عليهم وقالوا نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم فقال عبد المطلب لاصحابه ماذا ترون قالوا ما رأينا الا تبع لرأيك فقال اني أرى أن يحفر كل أحد منكم حفيرة يكون فيها الى أن يموت

وارتفاعا ساعة تخفى وساعة تظهر ورأيت رهطا من قريش قد تعلقوا باغصانها وقوما من قريش يريدون قطعها فاذا دنوا منها
أخذهم شاب لم أر قط احسن منه وجها ولا أطيب ريحا فيكسر أظهرهم ويقلع أعينهم فرفعت يدى لأتناول منها نصيبا

فكلما مات رجل دفنه أصحابه فى حفرته ثم واروه حتى يكون آخرهم رجلا واحدا فضيعة رجل واحد اى تركه بلا مواراة أيسر من ضيعة ركب جميعا فقالوا نعم ما أمرت به فحفر كل حفيرة لنفسه ثم قعدوا ينتظرون الموت ثم قال عبد المطلب لاصحابه والله ان القاءنا بأيدينا هكذا الى الموت لعجز فلنضرب فى الارض فعسى الله أن يرزقنا فانطلقوا كل ذلك وقومهم ينظرون اليهم ماهم فاعلون فتقدم عبد المطلب الى راحلته فركبها فلما انبعثت انفجرت من تحت خفها عين ماء عذب فكبر عبد المطلب وكبر أصحابه ثم نزل فشرب وشرب أصحابه وملؤا أسقيتهم ثم دعا القبائل فقال هلموا الى الماء فقد سقانا الله فاشربوا واستقوا فجاؤا فشربوا واستقوا ثم قالوا لعبد المطلب قد والله قضى لك علينا يا عبد المطلب والله لانخاصمك فى زمزم أبدا ان الذى سقاك الماء بهذه الفلاة لهو الذى سقاك زمزم فارجع الى سقايتك راشدا فرجع ورجعوا معه ولم يصلوا الى الكاهنة فلما جاء وأخذ فى الحفر وجد فيها الغزالتين من الذهب اللتين دفنتهما جرهم ووجد فيها أسيافا وادراعا فقالت له قريش يا عبد المطلب لنا معك فى هذا شرك فقال لا ولكن هلموا الى أمر نصف بينى وبينكم والنصف بكسر النون وسكون الصاد المهملة وبفتحها النصفة بفتحات نضرب عليها بالقداح قالوا وكيف تصنع قال اجعل للكعبة قدحين ولى قدحين ولكم قدحين فمن خرج قدحاه على شئ كان له ومن تخلف قدحاه فلا شئ له قالوا أنصفت فجعل قدحين أصفرين للكعبة وقدحين أسودين لعبد المطلب وقدحين أبيضين لقريش ثم أعطوها لصاحب القداح الذى يضرب بها عند هبل اى وجعلوا الغزالتين قسما والاسياف والادراع قسما آخر وقام عبد المطلب يدعو بدعاء مذكور فى الامتاع فضرب صاحب القداح فخرج الاصفران على الغزالتين وخرج الاسودان على الاسياف والادراع وتخلف قدحا قريش فضرب عبد المطلب الاسياف بابا للكعبة وضرب فى الباب الغزالتين فكان أول ذهب حليت به الكعبة ذلك ومن ثم جاء عن ابن عباس رضى الله عنهما والله ان أول من جعل باب الكعبة ذهبا لعبد المطلب وفى شفاء الغرام ان عبد المطلب علق الغزالتين فى الكعبة فكان أول من علق المعاليق بالكعبة وسيأتى الجمع بين كونهما علقا بالكعبة وبين جعلهما حلية لباب الكعبة وقد كان بالكعبة بعد ذلك معاليق فان عمر رضى الله تعالى عنه لما فتحت مدائن كسرى كان مما بعث اليه منها هلالان فعلقا بالكعبة وعلق بها عبد الملك بن مروان شمستين وقدحين من قوارير وعلق بها الوليد بن يزيد سريرا وعلق بها السفاح صحفة خضراء وعلق بها المنصور القارورة الفرعونية وبعث المأمون ياقوتة كانت تعلق كل سنة فى وجه الكعبة فى زمن الموسم فى سلسلة من ذهب ولما أسلم بعض الملوك فى زمنه أرسل اليها بصنمه الذى كان يعبده

فلم أنل فقلت لمن النصيب فقال النصيب لهؤلاء الذين تعلقوا بها وسبقوك فانتبهت مذعورا فرأيت وجه الكاهنة قد تغير ثم قالت لئن صدقت رؤياك ليخرجن من صلبك رجل يملك المشرق والمغرب ويدين له الناس فقال عبد المطلب لابى طالب لعلك أن تكون هو المولود فكان ابو طالب يحدث بهذا الحديث والنبي صلى الله عليه وسلم قد خرج اى بعث ويقول كانت الشجرة والله أبا القاسم الامين فيقال له ألا تؤمن به فيقول السبة والعار اى أخشى أو عنقى وروى أبو على القيروانى فى كتاب البستان ان عبد المطلب رأى فى منامه كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف فى السماء وطرف فى الارض وطرف فى المشرق وطرف فى المغرب ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها نور واذا اهل المشرق والمغرب كأنهم يتعلقون بها فقصها فعبرت بمولود يكون من صلبه ويتبعه اهل المشرق والمغرب ويحمده اهل السماء والارض وقد صح فى أحاديث كثيرة أنه صلى الله عليه وسلم قال لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات وفى رواية لم يزل الله ينقلنى من الاصلاب الحسيبة الى الارحام الطاهرة وعلى هذا حمل بعضهم قوله تعالى الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين وروى البخارى بعثت من خير قرون بنى آدم قرنا فقرنا حتى كنت فى القرن

وكان من ذهب متوجا ومكللا بالجواهر والياقوت الاحمر والاخضر والزبرجد فجعل في خزانة الكعبة ثم ان الغزالتين سرقتا وأبيعتا من قوم تجار قدموا مكة بخمر فشربوها فاشتروا بثمنهما خمرا وقد ذكر ان أبا لهب مع جماعة نفدت خمرهم في بعض الايام وأقبلت قافلة من الشام معها خمر فسرقوا غزالة واشتروا بها خمرا وطلبتها قريش وكان أشدهم طلبا لها عبد الله بن جدعان فعلوا بهم فقطعوا بعضهم وهرب بعضهم وكان فيمن هرب أبو لهب هرب الى أخواله من خزاعة فمنعوا عنه قريشا ومن ثم كان يقال لابي لهب سارق غزالة الكعبة وقد قيل منافع الخمر المذكورة فيها انهم كانوا يتغالون فيها اذا جلبوها من النواحي لكثرة ما يربحون فيها الا انه كان المشتري اذا ترك المماكسة في شرائها عدوه فضيلة له ومكرمة فكانت أرباحهم تتكثر بسبب ذلك وما قيل في منافعها انها تقوي الضعيف وتهضم الطعام وتعين على الباه وتسلي المحزون وتشجع الجبان وتصفي اللون وتنعش الحرارة الغريزية وتزيد في الهمة والاستعلاء فذلك كان قبل تحريمها ثم لما حرمت سلبت جميع هذه المنافع وصارت ضررا صرفا فينشأ عنها الصداع والرعشة في الدنيا لشاربها وفي الآخرة يسقى عصارة أهل النار وفي كلام بعضهم من لازم شربها حصل له خلل في جوهر العقل وفساد الدماغ والبخر في الفم وضعف البصر والعصب وموت الفجأة وعمية للقلب ومسخطة للرب ومن ثم جاء انها اي الخمر ليست بدواء ولكنها داء وجاء اجتنبوا الخمر فانها مفتاح كل شر اي كان مغلقا وجاء الخمر أم الفواحش وفي رواية أم الخبائث وجاء في الخمر لا طيب الله من تطيب بها ولا شفى الله من استشفى بها وقد قيل لا منافاة بين كون الغزالتين علقتا في الكعبة وسرقتا أو سرقت احداهما وبين كون عبد المطلب جعلهما حليا للباب لانه يجوز أن يكون عبد المطلب استخلص الغزالتين أو الغزالة من التجار ثم جعلهما حليا للباب بعد ان كان علقهما وفي الامتاع وكان الناس قبل ظهور زمزم تشرب من آبار حفرت بمكة وأول من حفر بها بئرا قصي كما تقدم وكان الماء العذب بمكة قليلا ولما حفر عبد المطلب زمزم بنى عليها حوضا وصار هو وولده يملآنه فيكسره قوم من قريش ليلا حسدا فيصلحه نهارا حين يصبح فلما أكثروا من ذلك وجاء شخص واغتسل به غضب عبد المطلب غضبا شديدا فأري في المنام ان قل اللهم اني لا أحلها لمغتسل وهي لشارب حل وبل اي حلال مباح ثم كفيتهم فقام عبد المطلب حين اختلفت قريش في المسجد ونادى بذلك فلم يكن يفسد حوضه أحد أو اغتسل الا رمي في جسده بداء ثم ان عبد المطلب لما قال لولده الحرث ذدعني اي امنع عني حتى أحفر وعلم أنه لا قدرة له على ذلك نذر ان رزق عشرة من الولد الذكور يمنعونه ممن يتعدى عليه ليذبحن أحدهم عند الكعبة اي وقيل ان سبب

الذي كنت فيه وفي السيرة الحلبية قال الحافظ السيوطي الذي تلخص أن أجداده صلى الله عليه وسلم من آدم الى مرة بن كعب مصرح بإيمانهم اي في الاحاديث وأقوال السلف وبقي بين مرة وعبد المطلب أربعة أجداد لم أظفر فيهم بنقل وقد ذكر في عبد المطلب ثلاثة أقوال الاشبه انه لم تبلغه الدعوة لانه مات وسن النبي صلى الله عليه وسلم ثمان سنين وقيل انه كان على ملة ابراهيم عليه السلام اي لم يعبد الاصنام وقيل ان الله احياه بعد البعثة حتى آمن به ثم مات قال بعضهم وقوله صلى الله عليه وسلم من أصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات دليل على أن آباء النبي صلى الله عليه وسلم وأمهاته الى آدم وحواء ليس فيهم كافر لان الكافر لا يوصف بأنه طاهر وقد أشار الى ذلك صاحب الهمزية حيث قال

لم تزل في ضمائر الكون تختا
ر لك الامهات والآباء

وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ولدني بغي قط منذ خرجت من صلب آدم ولم تزل تتنازعني الامم كابرا عن كابر حتى خرجت من أفضل حيين من العرب هاشم وزهرة وفي رواية خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم الى أن ولدني أبي وأمي ولم يصبني من سفاح الجاهلية شيء ما ولدني الا نكاح أهل الاسلام ولما أراد الله انتقال النور من جده عبد المطلب تزوج فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمرو بن مخزوم فولدت له أبا طالب وعبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم فانتقل النور الى عبد الله وكان قد تزوج ذلك قبلها بزوجات قيل أول زوجة تزوجها قيلة بنت جندب ويقال صفية بنت جندب وهي أم ولده الحرث وأن سبب تزوجه أنه

بعد أن بلغ الحلم نام يوما فى الحجر فانتبه مكحولا مدهونا قد كسى حلة البهاء والجمال فبقى متحيرا لايدرى من فعل ذلك به فأخذ بيده عمه المطلب ثم انطلق به الى كهنة قريش فأخبرهم بذلك فقالوا ان اله السماء قد أذن لهذا الغلام ان يتزوج فزوجه قيلة بنت جندب فولدت له الحرث ثم لما تزوج فاطمة بنت عمرو المخزومية وولدت له عبد الله انتقل النور اليه وكان اى عبد الله أحسن رجل فى قريش خلقا وخلقا وفى رواية كان أكمل بنى أبيه وأحسنهم وأعفهم وأحبهم الى قريش وكان نور النبى صلى الله عليه وسلم بينا فى وجهه وفى رواية يرى فى وجهه كالكوكب الدرى وفى شرح المواهب كان يتلألأ نورا فى قريش وكان أجملهم فشغفت به نساء قريش وكدن أن تذهل عقولهن * قال أهل السير فلقى عبد الله فى زمنه من النساء من العناء مثل مالقى يوسف فى زمنه من امرأة العزيز وقد هدى الله والده فسماه بأحب الاسماء الى الله ففى الحديث أحب الاسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن وهو الذبيح كما تقدم وكان ذا عفة وكرم وسماحة ولما بلغ من العمر ثمان عشرة سنة خرج مع أبيه ليزوجه آمنة بنت وهب فمر على جملة من النساء فصارت كل واحدة تعرض نفسها عليه وهو يأبى ديانته وعفته فأتى عبد المطلب عم آمنة وهو وهب بن عبد مناف بن زهرة ابن قصى وقيل ان وهبا المذكور أبوها لاعمها فزوج آمنة لعبد الله وهى يومئذ أفضل امرأة فى قريش نسبا وموضعا فدخل بها عبد الله حين أملك عليها فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم وانتقل ذلك النور اليها وعن قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أجرى فرسه مع أبى أيوب

ذلك أن عدى بن نوفل بن عبد مناف أبا المطعم قال له يا عبد المطلب تستطيل علينا وأنت فذ لا ولد لك اى متعدد بل لك ولد واحد ولا مال لك وما أنت الا واحد من قومك فقال له عبد المطلب أتقول هذا وانما كان نوفل أبوك فى حجر هاشم اى لان هاشما كان خلف على أم نوفل وهو صغير فقال له عدى وأنت أيضا قد كنت فى يثرب عند غير أبيك كنت عند أخوالك من بنى النجار حتى ردك عمك المطلب فقال له عبد المطلب أو بالقلة تعيرنى فلله على النذر لئن آتانى الله عشرة من الاولاد الذكور لانحرن أحدهم عند الكعبة وفى لفظ ان أجعل أحدهم لله نحيرة قيل ان عبد المطلب نذر ان يذبح ولدا ان سهل الله له حفر زمزم فعن معاوية رضى الله عنه ان عبد المطلب لما أمر بحفر زمزم نذر لله ان سهل الامر بها أن ينحر بعض ولده فلما صاروا عشرة اى وحفر زمزم أمر فى النوم بالوفاء بنذره اى قيل له قرب أحد أولادك اى بعد ان نسى ذلك وقد قيل له قبل ذلك أوف بنذرك فذبح كبشا وأطعمه الفقراء ثم قيل له فى النوم قرب ماهو أكبر من ذلك فذبح ثورا ثم قيل له فى النوم قرب ماهو أكبر من ذلك فذبح جملا ثم قيل له فى النوم قرب ماهو أكبر من ذلك فقال وماهو أكبر من ذلك فقيل له قرب أحد أولادك الذى نذرت ذبحه فضرب بالقداح على أولاده بعد ان جمعهم وأخبرهم بنذره ودعاهم الى الوفاء وأطاعوه ويقال ان أول من أطاعه عبد الله وكتب اسم كل واحد على قدح ودفعت تلك القداح للسادن والقائم بخدمة هبل وضرب بتلك القداح فخرجت على عبد الله اى وكان أصغر ولده وأحبهم اليه مع ماتقدم من أوصافه فأخذه عبد المطلب بيده وأخذ الشفرة ثم أقبل به على اساف ونائلة وألقاه على الارض ووضع رجله على عنقه فجذب العباس عبد الله من تحت رجل أبيه حتى أثر فى وجهه شجة لم تزل فى وجه عبد الله الى أن مات كذا قيل وفيه ان العباس لما ولد صلى الله عليه وسلم كان عمره ثلاث سنين ونحوها لعنه رضى الله عنه اذكر مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابن ثلاثة أعوام أو نحوها فجىء به حتى نظرت اليه وجعلت النسوة يقلن لى قبل أخاك فقبلته وقيل منعه أخواله بنو مخزوم وقالوا له والله ما احسنت عشرة أمه وقالوا له أرض ربك وافد ابنك ففداه بمائة ناقة وفى رواية واعظمت قريش ذلك اى وقامت سادة قريش من انديتها اليه ومنعوه من ذلك وقالوا له والله لاتفعل حتى تستفتى فيه فلانة الكاهنة اى لعلك تعذر فيه الى ربك انك فعلت هذا لايزال الرجل يأتى بابنه حتى يذبحه اى ويكون سنة ولعل المراد اذا وقع له مثل ماوقع لك من النذر وقال له بعض عظماء قريش لاتفعل ان كان فداؤه بأموالنا فديناه وتلك الكاهنة قيل اسمها قطبة وقيل غير ذلك كانت بخيبر فأتيها فاسألها فان أمرتك بذبحه ذبحته وان أمرتك بأمر لك وله فيه فرج قبلته فأتاها

الانصاري رضي الله عنه فسبقته فرس المصطفى صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم أنا ابن العواتك انه لهو الجواد البحر
يعني فرسه وقال في بعض غزواته ٤٦ أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب أنا ابن العواتك وجاء أنا ابن العواتك
من سليم والعاتكة في الاصل المتلطخة بالطيب او الطاهرة وعن بعض الطالبيين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في يوم احد أنا ابن الفواطم واختلف الناس في عدد العواتك من جداته صلى الله عليه وسلم فمن مكثر ومن مقل * وقد نقل الحافظ ابن عساكر ان العواتك من جداته صلى الله عليه وسلم أربع عشرة وقيل احدى عشرة وأولاهن أم لؤي بن غالب واللواتي من سليم منهن عاتكة بنت هلال أم عبد مناف وعاتكة بنت الاوقص بن مرة بن هلال أم هاشم وعاتكة بنت مرة بن هلال أم أبي أمه صلى الله عليه وسلم وهب وقيل أراد بالعواتك من سليم ثلاثة من بني سليم أبكارا أرضعنه كل واحدة منهن تسمى عاتكة (وأما الفواطم) من جداته فقيل عشر وقيل خمس وقيل ست وقيل ثمان منهن فاطمة أم عبد الله وفاطمة أم قصي وقيل لم يرد خصوص الامهات التي في عمود نسبه بل أراد الاعم حتى يشمل فاطمة أم أسد بن هاشم وفاطمة بنت أسد التي هي أم علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وفاطمة أمها وهؤلاء الفواطم غير الثلاث الفواطم اللاتي قال صلى الله عليه وسلم فيهن لعلي وقد دفع اليه ثوبا حريرا اقسم هذا بين الفواطم الثلاث فان هؤلاء فاطمة بنت رسول الله زوجته صلى الله عليه وسلم وفاطمة بنت حمزة وفاطمة بنت أسد ومن جداته الفواطم أم عمرو بن عائذ وفاطمة بنت عبد الله بن رزام وامها

اى مع بعض قومه وفيهم جماعة من أخوال عبد الله بن مخزوم فسألها وقص عليها القصة فقالت ارجعوا عني اليوم حتى يأتي تابعي فأسأله فرجعوا من عندها ثم غدوا عليها فقالت لهم قد جاءني الخبر كم الدية فيكم فقالوا عشرة من الابل فقالت تخرج عشرة من الابل وتقدح وكلما وقعت عليه يزاد الابل حتى تخرج القداح عليها فضرب على عشرة فخرجت عليه فلازال يزيد عشرة عشرة حتى بلغت مائة فخرجت القداح عليها فقالت قريش ومن حضره قد انتهى رضا ربك فقال عبد المطلب لا والله حتى اضرب عليها ثلاث مرات اى ففعل ذلك وذبح الابل عند الكعبة لا يصد عنها أحد اى من آدمي ووحش وطير قال الزهري فكان عبد المطلب أول من سن دية النفس مائة من الابل اى بعد ان كانت عشرة كما تقدم وقيل أول من سن ذلك أبو سيارة العدواني وقيل عامر بن الظرب فجرت في قريش اى وعلى ذلك فأولية عبد المطلب اضافية ثم فشت في العرب وأقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأول من ودى بالابل من العرب زيد بن بكر من هوازن قتله أخوه اى وأما ما قيل ان القدح بعد المائة خرج على عبد الله أيضا ولا زال يخرج عليه حتى جعلوا الابل ثلثمائة فخرج على الابل فنحرها عبد المطلب فضعيف جدا وقد ذكر الحافظ ابن كثير أن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما سألته امرأة انها نذرت ذبح ولدها عند الكعبة فأمرها بذبح مائة من الابل أخذا من هذه القصة ثم سألت عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما عن ذلك فلم يفتها بشيء فبلغ مروان بن الحكم وكان أميرا على المدينة فأمر المرأة أن تعمل ما استطاعت من خير بدل ذبح ولدها وقال ان ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم لم يصيبا الفتيا ولا يخفى ان هذا النذر باطل عند امامنا الشافعي فلا يلزم به شيء وعند أبي حنيفة ومحمد يلزمها ذبح شاة في أيام النحر في الحرم أخذا من قصة ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام قال القاضي البيضاوي وليس فيه ما يدل عليه وفي الكشاف أنه صلى الله عليه وسلم قال أنا ابن الذبيحين اى عبد الله واسمعيل وعن بعضهم قال كنا عند معاوية رضي الله تعالى عنه فتذاكر القوم الذبيح هل هو اسمعيل أو اسحق فقال معاوية على الخبير سقطتم كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه أعرابي اى يشكو جدب أرضه فقال يا رسول الله خلفت البلاد يابسة هلك المال وضاع العيال فعد على مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه فقال القوم من الذبيحان يا أمير المؤمنين قال عبد الله واسمعيل قال الحافظ السيوطي هذا حديث غريب وفي اسناده من لا يعرف حاله قال بعضهم لما أحب ابراهيم ولده اسمعيل بطبع البشرية اى لاسيما وهو بكره ووحيده اذ ذاك وقد أجرى الله العادة البشرية أن بكر الاولاد أحب الى الوالدين وخصوصا اذا كان لا ولد له غيره أمره الله

فاطمة بنت الحرث وفاطمة بنت نصر بن عوف ام ام عبد مناف والله اعلم *(والسبب)* الذى دعا عبد المطلب لاختيار بنى زهرة
أنه قدم اليمن مرة فنزل على حبر من اليهود فقال ممن الرجل فقال من بنى هاشم قال اتأذن لى ان انظر بعضك قلت نعم
مالم يكن عورة ففتح احدى منخرى فنظر فيها ثم نظر فى الاخرى فقال اشهد ان فى احدى يديك ملكا وفى الاخرى نبوة وانما نجد ذلك اى كلا من الملك والنبوة فى بنى زهرة فكيف ذلك قلت لا ادرى قال هل لك من شاعة اى زوجة من بنى زهرة قلت اما اليوم فلا فقال اذا تزوجت فتزوج منهم فتزوج عبد المطلب هالة بنت وهيب بن عبد مناف ام حمزة وصفية قيل وام العباس ايضا وقيل غير ذلك وزوج ابنه عبد الله آمنة بنت وهب رجاء لما اخبره به الحبر وقيل الذى دعا عبد المطلب لاختيار آمنة من بنى زهرة لولده عبد الله ان سودة بنت زهرة الكاهنة عمة وهب والد آمنة امه صلى الله عليه وسلم كان من امرها انها لما ولدت رآها ابوها سوداء وكانوا يئدون من البنات من كانت على هذه الصفة اى يدفنونها حية ويمسكون من لم تكن على هذه الصفة فأمر أبوها بوأدها وأرسلها الى الحجون لتدفن هنالك فلما حفر لها الحافر وأراد دفنها سمع هاتفا يقول لا تئد الصبية وخلها البرية فالتفت فلم ير شيأ فعاد لدفنها فسمع الهاتف يسجع بسجع آخر فى ذلك المعنى
فرجع الى أبيها وأخبره بما سمع فقال ان لها لشأنا ما وتركها فكانت كاهنة قريش فقالت يوما لبنى زهرة فيكم نذيرة او تلد نذيرا انه
شأن وبرهان وقيل ان الكاهن الذى فى اليمن قال له ارى نبوة وملكا واراهما فى المنافين عبد مناف بن قصى وعبد مناف بن زهرة

بذبحه ليخلص سره من حب غيره بأبلغ الاسباب الذى هو الذبح للولد فلما امتثل وخلص سره له ورجع عن عادة الطبع فداه بذبح عظيم لان مقام الخلة يقتضى توحيد المحبوب بالمحبة فلما خلصت الخلة من شائبة المشاركة لم يبق فى الذبح مصلحة فنسخ الامر وفدى هذا وجاء مما يدل على أن الذبيح اسحق حديث سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اى النسب أشرف وفى رواية من أكرم الناس فقال يوسف صديق الله بن يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله عليهم السلام كذا روى قال بعضهم والثابت يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم وما زاد على ذلك من الراوى *وما ذكر أن يعقوب لما بلغه ان ولده بنيامين أخذ بسبب السرقة كتب الى العزيز وهو يومئذ ولده يوسف بسم الله الرحمن الرحيم من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله الى عزيز مصر أما بعد فانا أهل بيت موكل بنا البلاء أما جدى فربطت يداه ورجلاه ورمى به فى النار ليحرق فنجاه الله وجعلت النار عليه بردا وسلاما وأما أبى فوضع السكين على قفاه ليذبح ففداه الله وأما أنا فكان لى ابن وكان أحب أولادى الى فذهب فذهبت عيناى من بكائى عليه ثم كان لى ابن وكان أخاه من أمه وكنت أتسلى به وانك حبسته وانا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته على والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام لم يثبت ففى كلام القاضى البيضاوى وما روى أن يعقوب كتب الى يوسف من يعقوب بن اسحق ذبيح الله لم يثبت اى ولعله لم يثبت أيضا ما فى أنس الجليل أن موسى لما أراد مفارقة شعيب وذهابه الى وطنه بمملكة فرعون بسط شعيب يديه وقال يا رب ابراهيم الخليل واسمعيل الصفى واسحق الذبيح ويعقوب الكظيم ويوسف الصديق رد على قوتى وبصرى فأمن موسى على دعائه فرد الله عليه بصره وقوته وذكر أن يعقوب رأى ملك الموت فى منامه فقال له هل قبضت روح يوسف فقال لا والله هو حى وعلمه ما يدعو به وهو يا ذا المعروف الدائم الذى لا ينقطع معروفه أبدا ولا يحصيه غيره فرج عنى *وذكر ان سبب ذبح اسحق اى على القول بأنه الذبيح أن الخليل قال لسارة ان جاءنى منك ولد فهو لله ذبيح فجاءت سارة باسحق وكان بينه وبين ولادة هاجر لاسمعيل ثلاث عشرة أو أربع عشرة سنة واسحق اسمه بالعبرانية الضحاك وجاء فى حديث راويه ضعيف الذبيح اسحق وان داود سأل ربه فقال اى ربى اجعلنى مثل آبائى ابراهيم واسحق ويعقوب فأوحى الله اليه انى ابتليت ابراهيم بالنار فصبر وابتليت اسحق بالذبح فصبر وابتليت يعقوب اى بفقد ولده يوسف فصبر الحديث وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى وبشرناه باسحق نبيا قال بشر به نبيا حين فداه الله تعالى من الذبح ولم تكن البشارة بالنبوة عنده ولده اى لما صبر الاب على ما أمر به وسلم الولد لامر الله

* ولما حملت به امه صلى الله عليه وسلم ظهر لها كثير من خوارق العادات ارهاصا النبوته صلى الله عليه وسلم (منها) انها لم تشك لحمله ثقلا واتاها آت فى المنام فقال لها انك حملت بسيد هذه الامة ونبيها وتوفى ابوه وامه حامل به وكانت وفاته بالمدينة وكان قد رجع ضعيفا مع قريش لما رجعوا من تجارتهم ومروا بالمدينة فتخلف عند بنى عدى بن النجار وهم اخوال ابيه عبد المطلب لان امه منهم فأقام عندهم مريضا شهرا فلما قدم اصحابه مكة سألهم عبد المطلب عنه فقالوا خلفناه مريضا عند اخواله فبعث عبد المطلب اليه اخاه الحرث وقيل الزبير فوجده قد توفى بالمدينة ودفن بها فقالت آمنة زوجته ترثيه

عفا جانب البطحاء من آل هاشم
وجاور لحدا خارجا فى الغمائم
دعته المنايا دعوة فأجابها
وما تركت فى الناس مثل ابن هاشم
عشية راحوا يحملون سريره
تعاوره اصحابه فى التزاحم
فان تك غالته المنون وريبها
فقد كان معطاء كثير التراحم

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما توفى عبد الله قالت الملائكة يا الهنا وسيدنا بقى نبيك يتيما لا اب له فقال الله تعالى انا له حافظ ونصير وفى رواية انا وليه وحافظه وحاميه وربه وعونه ورازقه وكافيه فصلوا عليه وتبركوا باسمه وقيل لجعفر الصادق رضى الله عنه لم يتم النبى صلى الله عليه وسلم اى ما حكمة ذلك قال لئلا يكون عليه حق لمخلوق والمراد الحقوق الثابتة بعد البلوغ لان امه ماتت وعمره ست سنين وليعلم ان العزيز من اعزه الله وان قوته ليست من الآباء والامهات ولا من المال بل قوته من الله تعالى وايضا ليرحم الفقير واليتيم

تعالى جعلت المجازاة على ذلك باعطاء النبوة قال الحافظ السيوطى وجزم بهذا القول عياض فى الشفاء والبيهقى فى التعريف والاعلام وكنت ملت اليه فى علم التفسير وأنا الآن متوقف عن ذلك اى كون اسحق هو الذبيح هذا كلامه وقد تنبأ كل من اسمعيل واسحق ويعقوب فى حياة ابراهيم عليهم الصلاة والسلام فبعث الله اسمعيل بجرهم واسحق الى أرض الشام ويعقوب الى أرض كنعان ولا ينافى ذلك اى كون اسحق هو الذبيح تبسمه صلى الله عليه وسلم من قول القائل له يا ابن الذبيحين ولم ينكر عليه لان العرب كما تقدم تسمى العم أبا * وفى الهدى اسمعيل هو الذبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم وأما القول بأنه اسحق فمردود بأكثر من عشرين وجها ونقل عن الامام ابن تيمية ان هذا القول متلقى من أهل الكتاب مع انه باطل بنص كتابهم الذى هو التوراة فان فيه ان الله أمر ابراهيم أن يذبح ابنه بكره وفى لفظ وحيده وقد حرفوا ذلك فى التوراة التى بأيديهم اذبح ابنك اسحق اى ومن ثم ذكر المعافى بن زكريا ان عمر بن عبد العزيز سأل رجلا أسلم من علماء اليهود اى ابنى ابراهيم أمر بذبحه فقال والله يا أمير المؤمنين ان اليهود يعلمون انه اسمعيل ولكنهم يحسدونكم معشر العرب أن يكون أباكم للفضل الذى ذكره الله تعالى عنه فهم يجحدون ذلك ويزعمون انه اسحق لان اسحق أبوهم ولى رسالة فى ذلك سميتها القول المليح فى تعيين الذبيح رجحت فيها القول بأن الذبيح اسمعيل جوابا عن سؤال رفعه الى بعض الفضلاء وعلى أن الذبيح اسمعيل فمحل الذبح بمنى وعلى أنه اسحق فمحله معروف بالارض المقدسة على ميلين من بيت المقدس وفى كلام ابن القيم تأييد كون الذبيح اسمعيل لا اسحق ولو كان الذبيح بالشام كما يزعم أهل الكتاب لكانت القرابين والنحر بالشام لا بمكة واستشكل كون أولاد عبد المطلب عند ارادة ذبح عبد الله كانوا عشرة بأن حمزة ثم العباس انما ولدا بعد ذلك وانما كانوا عشرة بهما وحينئذ يشكل قول بعضهم فلما تكامل بنوه عشرة وهم الحرث والزبير وحجل وضرار والمقوم وأبولهب والعباس وحمزة وأبوطالب وعبد الله هذا كلامه وأجيب عن الاول بأنه يجوز أن يكون له حينئذ اى عند ارادة الذبح ولد اولد اى فقد ذكر ان لولده الحرث ولدين أبوسفيان ونوفل وولد الولد يقال له ولد حقيقة هذا وذكر بعضهم ان اعمامه صلى الله عليه وسلم كانوا اثنى عشر بل قيل ثلاثة عشر وان عبد الله ثالث عشرهم وعليه فلا اشكال ولا يشكل كون حمزة أصغر من عبد الله والعباس أصغر من حمزة وكلاهما أصغر من عبد الله على ما تقدم من أن عبد الله كان أصغر بنى أبيه وقت الذبح لانه يجوز أن يكون المراد انه كان أصغرهم حين أراد ذبحه اى لا بقيد كونهم عشرة أو بذلك القيد ولا ينافيه كونه ثالث عشرهم لان المراد به واحد من الثلاثة عشر وكان عبد الله كما

تقدم

ولما دنت ولادته أتاها آت في المنام فقال لها قولي اذا ولدتيه أعيذه بالواحد من شر كل حاسد ثم سميه محمدا وفي السيرة الحلبية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان من دلالة حمل آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم أن كل دابة لقريش نطقت تلك الليلة التي حمل فيها وقالت حمل برسول الله صلى الله عليه وسلم ورب الكعبة ولم يبق سرير لملك من ملوك الدنيا الا أصبح منكوسا ومثل هذا لا يقال من قبل الرأي اه * ومن علامات حمل آمنة به صلى الله عليه وسلم انتقال النور الذي كان في عبد الله اليها وعن كعب الاحبار أن في صبيحة تلك الليلة اصبحت أصنام الدنيا منكوسة ووقع ذلك ايضا عند ولادته صلى الله عليه وسلم (وروى) الحاكم باسناد صحيح أن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا له يا رسول الله اخبرنا عن نفسك فقال أنا دعوة ابي ابراهيم وبشرى اخي عيسى ورأت امي حين حملت بي كأنه خرج منها نور اضاءت له قصور بصرى من ارض الشأم وصح ايضا أنها رأت ذلك عند الولادة قيل ان الذي عند الحمل كان مناما والذي عند الولادة كان يقظة وكانت تلك السنة التي حمل فيها برسول الله صلى الله عليه وسلم سنة الفتح والابتهاج فان قريشا كانت قبل ذلك في جدب وضيق عيش عظيم فاخضرت الارض وحملت الاشجار وأتاهم الرعد والمطر من كل جانب في تلك السنة وأذن الله تلك السنة لنساء الدنيا أن يحملن ذكورا كرامة لرسول الله صلى الله عليه وسلم

٧ حل ل

* وولد صلى الله عليه وسلم مختونا اي على صورة المختون مكحولا نظيفا ما به قذر ولبعضهم

تقدم أحسن فتى يرى في قريش وأجملهم وكان نور النبي صلى الله عليه وسلم يرى في وجهه كالكوكب الدري اي المضيء المنسوب الى الدر حتى شغفت به نساء قريش واقي منهن عناء ولينظر ما هذا العناء الذي لقيه منهن * قيل انه لما تزوج آمنة لم تبق امرأة من قريش من بني مخزوم وعبد شمس وعبد مناف الا مرضت اي اسفا على عدم تزوجها به فخرج مع أبيه ليزوجه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بضم الزاي واسكان الهاء وأما الزهرة التي هي النجم فبضم الزاي وفتح الهاء والزهرة في الاصل هي البياض اي وأم وهب اسمها قيلة بنت أبي كبشة اي وكان عمر عبد الله حينئذ نحو ثمان عشرة سنة ○ فمر على امرأة من بني أسد بن عبد العزى اي يقال لها قتيلة وقيل رقية وهي أخت ورقة بن نوفل وهي عند الكعبة وكانت تسمع من أخيها ورقة انه كائن في هذه الامة نبي اي وان من دلائله أن يكون نورا في وجه أبيه أو انها الهمت ذلك فقالت لعبد الله اي وقد رأت نور النبوة في غرته ○ أين تذهب يا عبد الله قال مع أبي قالت لك مثل الابل التي نحرت عنك وقع علي الآن قال أنا مع ابي ولا أستطيع خلافه ولا فراقه وأنشد

أما الحرام فالممات دونه * والحل لا حل فأستبينه

يحمي الكريم عرضه ودينه * فكيف بالامر الذي تبغينه

قال ومن شعر عبد الله والده صلى الله عليه وسلم كما في تذكرة الصلاح الصفدي

لقد حكم البادون في كل بلدة * بأن لنا فضلا على سادة الارض

وأن أبي ذو المجد والسودد الذي * يشار به ما بين نشز الى خفض

اي ارتفاع وانخفاض (وعن ابي يزيد المدني) ان عبد المطلب لما خرج بابنه عبد الله ليزوجه فمر به على امرأة كاهنة من اهل تبالة بضم التاء المثناة فوق بلدة باليمن قد قرأت الكتب يقال لها فاطمة بنت مر الخثعمية فرأت نور النبوة في وجه عبد الله فقالت له يا فتى هل لك أن تقع علي الآن وأعطيك مائة من الابل فقال عبد الله ما تقدم اه (أقول) قال الكلبي كانت اي تلك الكاهنة من اجمل النساء وأعفهن فدعته الى نكاحها فأبى ولا منافاة لانه جاز أن تكون ارادت بقولها وقع علي الآن اي بعد النكاح وفهم عبد الله أنها تريد الامر من غير سبق نكاح فانشد الشعر المتقدم الدال على طهارته وعفته وهذا بناء على اتحاد الواقعة وان المرأة في هاتين الواقعتين واحدة وأنه اختلف في اسمها وأنه مر على تلك المرأة في ذهابه مع ابيه ليزوجه آمنة ويدل لذلك فأتى المرأة التي عرضت عليه ما عرضت وظاهر سياق المواهب يقتضي أنهما قضيتان وأن الاولى عند انصرافه مع ابيه ليزوجه آمنة وقوله قد قرأت الكتب اي فجاز أنها رأت في تلك الكتب أن النبي صلى الله عليه وسلم المنتظر يكون نورا في وجه ابيه وأنه يكون من اولاد عبد المطلب

اوأنها الهمت ذلك فطمعت أن يكون ذلك النبي منها ويؤيد الثاني ماسيأتي عنها والله اعلم * فأتى عبد المطلب عم آمنة وهو وهيب بن عبد مناف بن زهرة وهو يومئذ سيد بني زهرة نسبا وشرفا وكانت في حجره لموت أبيها وهب بن عبد مناف وقيل أتى عبد المطلب الى وهب بن عبد مناف فزوجه ابنته آمنة وقدم هذا في الاستيعاب فزوجها العبد الله وهي يومئذ افضل امرأة في قريش نسبا وموضعا فدخل بها عبد الله حين أملك عليها مكانه فوقع عليها فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم وانتقل ذلك النور اليها * قيل وقع عليها يوم الاثنين في شعب أبي طالب عند الجمرة الوسطى (اقول) فيه انه سيأتي في فتح مكة انه نزل بالحجون بفتح الحاء المهملة عند شعب ابي طالب بالمكان الذي حصرت فيه بنو هاشم وبنو المطلب ويمكن أن يقال ذلك الشعب الذي كان في الحجون كان محلا لسكن ابي طالب في غير ايام منى وهذا الشعب الذي عند الجمرة الوسطى كان ينزل فيه ابو طالب ايام منى فلا مخالفة والله اعلم * ثم أقام عندها ثلاثة ايام وكانت تلك السنة عندهم اذا دخل الرجل على امرأته اي عند اهلها اي فهي واهلها كانوا بشعب ابي طالب ثم خرج من عندها فأتى المرأة التي عرضت عليه ما عرضت فقال لها مالك لا تعرضين علي اليوم ما عرضت بالامس فقالت له فارقك النور الذي كان معك بالامس فليس لي اليوم بك حاجة * قال وفي رواية أنه لما مر عليها بعد أن وقع على آمنة قال لها مالك لا تعرضين علي ما عرضت بالامس قالت من أنت قال انا فلان قالت له ما انت هو لقد رأيت بين عينيك نورا ما أراه الآن ما صنعت بعدي فأخبرها فقالت والله ما أنا بصاحبة ريبة ولكن رأيت في وجهك نورا فأردت أن يكون في وابى الله الا أن يجعله حيث اراد اذهب فأخبرها أنها حملت بخير اهل الارض اه (أقول) وفي رواية ان المرأة التي عرضت نفسها عليه هي ليلى العدوية وأن عبد الله كان في بناء له وعليه الطين والغبار وانه قال حتى اغسل ما علي وأرجع اليك وأنه رجع اليها بعد أن وقع على آمنة وانتقل منه النور اليها وقال لها هل لك فيما قلت قالت لا قال ولم قالت لقد دخلت بنور وما خرجت به * اي وفي سيرة ابن هشام مررت بي وبين عينيك غرة فدعوتك فابيت ودخلت على آمنة فذهبت بها وانى كنت اي وحيث كنت ألممت بآمنة لتلدن ملكا ولا يخفى ان تعدد الواقعة ممكن وان هذا السياق يدل على ان هذه المرأة كان عندها علم بان عبد الله تزوج آمنة وأنه يريد الدخول بها وانها علمت أنه كائن نبي يكون له الملك والسلطان وغير خاف ان عرض عبد الله نفسه على المرأة لم يكن لريبة بل ليستبين الامر الذي دعاها الى بذل القدر الكثير من الابل في مقابلة هذا الشيء على خلاف عادة النساء مع الرجال ولا يخالف ذلك بل يؤكده ما في الوفاء من قوله ثم تذكر الخثعمية وجمالها وما عرضت عليه فأقبل

وفي الرسل مختون لعمرك خلقة * ثمان وتسع طيبون اكارم
وهم زكريا شيث ادريس يوسف * وحنظلة عيسى وموسى وآدم
ونوح شعيب سام لوط وصالح * سليمان يحيى هود يس خاتم

وقيل ختنه جده وقد يجمع بأنه تمم ختانه جريا على المعتاد * ولما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع على الارض مقبوضة اصابع يده يشير بالسبابة كالمسبح بها وفي رواية عن امه أنها قالت فلما خرج من بطني نظرت اليه فاذا هو ساجد قد رفع اصبعيه كالمتضرع المبتهل وفي رواية شاخصا ببصره الى السماء وفي رواية أنه قبض قبضة من تراب فبلغ ذلك رجلا من بني لهب فقال لصاحبه لئن صدق هذا الغلام ليغلبن هذا المولود اهل الارض اي لانه قبض عليها وصارت في يده * وروى ابن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأت أمي حين وضعتني أنه سطع منها نور اضاء له قصور بصرى وفي رواية أنها قالت لما وضعته خرج معه نور اضاء له ما بين المشرق والمغرب فأضاءت له قصور الشام واسواقها حتى رأيت اعناق الابل ببصرى ولذلك قال عمه العباس رضي الله عنه في قصيدة مدحه بها لما رجع من تبوك

وانت لما ولدت أشرقت الـ * ـأرض وضاءت بنورك الافق
فنحن في ذلك الضياء وفي النور وسبل الرشاد نستبق

(وقال البوصيري في الهمزية) اليها

وتراءت قصور قيصر بالرو * م يراها من داره البطحاء

(قال في المواهب) وخروج هذا النور عند وضعه اشارة

الى مايجى به من النور الذى اهتدى به اهل الارض وزالت به ظلمة الشرك كما قال تعالى قد جاكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ٥١ ويهديهم الى صراط مستقيم (روى) السهيلى أنه صلى الله عليه وسلم لما ولد تكلم فقال جلال ربى الرفيع وروى ايضا انه قال الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا وعن عثمان بن ابى العاص عن أمه رضى الله عنها أنها قالت شهدت ولادة النبى صلى الله عليه وسلم ليلا قالت فلم انظر من البيت الا نورا وانى لانظر الى النجوم تدنو حتى انى لاقول ليقعن على وقولها ليلا اى قرب الفجر جمعا بين الروايات * قال بعض المفسرين ان الله أقسم بالليلة التى ولد فيها فى قوله تعالى والضحى والليل وقيل المراد ليلة الاسراء * وعن الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنها قالت لما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع على يدى فسمعت قائلا يقول رحمك الله والى ذلك يشير قول البوصيرى فى الهمزة

شمتته الاملاك اذ وضعته
وشفتنا بقولها الشفاء

قال بعضهم لعله عطس فحمد الله فشمتته الملائكة ويدل لهذا الحديث الذى فيه أنه قال حين خروجه الحمد لله كثيرا * وعن آمنة أم النبى صلى الله عليه وسلم ورضى عنها أنها قالت لما اخذنى ما يأخذ النساء اى عند الولادة رأيت نسوة كالنخل طولا كأنهن من بنات عبد مناف يحدقن بى ما رايت اضوأ منهن وجوها وكأن واحدة من النساء تقدمت الى فاستندت اليها وأخذنى المخاض واشتد على الطلق وكأن واحدة منهن تقدمت الى

اليها الحديث والله اعلم (وعن الكلبى) أنه قال كتبت للنبى صلى الله عليه وسلم خمسمائة أم اى من قبل أمه وابيه فما وجدت فيهن سفاحا والمراد بالسفاح الزنا اى فان المرأة كانت تسافح الرجل مدة ثم يتزوجها ان أراد ٥ ولا شيأ مما كان من امر الجاهلية اى من نكاح الام اى زوجة الاب لانه كان فى الجاهلية يباح اذا مات الرجل أن يخلفه على زوجته اكبر أولاده من غيرها وفى كلام بعضهم كان أقبح ما يصنعه اهل الجاهلية الجمع بين الاختين وكانوا يعيبون المتزوج بامرأة الاب ويسمونه الضيزن والضيزن الذى يزاحم اباه فى امرأته ويقال له نكاح المقت وهو العقد على الرابة وهى امرأة الاب والراب زوج الام * وما قيل ان هذا اى نكاح امرأة الاب وقع فى نسبه صلى الله عليه وسلم لان خزيمة أحد آبائه صلى الله عليه وسلم لما مات خلف على زوجته اكبر أولاده وهو كنانة فجاء منها بالنضر فهو قول ساقط غلط لان الذى خلف عليها كنانة بعد موت ابيه ماتت ولم تلد منه ومنشأ الغلط أنه تزوج بعدها بنت اخيها وكان اسمها موافقا لاسمها فجاء منها بالنضر وبهذا يعلم ان قول الامام السهيلى نكاح زوجة الاب كان مباحا فى الجاهلية بشرع متقدم ولم يكن من المحرمات التى انتهكوها ولا من العظائم التى ابتدعوها لانه أمر كان فى عمود نسبه صلى الله عليه وسلم فكنانة تزوج امرأة ابيه خزيمة وهى برة بنت مرة فولدت له النضر بن كنانة وهاشم ايضا قد تزوج امرأة ابيه واقدة فولدت له ضعيفة ولكن هذا خارج من عمود نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم لانها اى واقدة لم تلد جده صلى الله عليه وسلم وقد قال صلى الله عليه وسلم أنا من نكاح لا من سفاح ولذلك قال الله تعالى ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف اى الا ما قد سلف من تحليل ذلك قبل الاسلام وفائدة هذا الاستثناء أن لا يعاب نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعلم أنه لم يكن فى اجداده صلى الله عليه وسلم من كان من بغية ولا من سفاح الا ترى أنه لم يقل فى شئ نهى عنه فى القرآن اى مما لم يبح اهم الا ما قد سلف نحو قوله تعالى ولا تقربوا الزنا ولم يقل الا ما قد سلف ولا تقتلوا النفس التى حرم الله ولم يقل الا ما قد سلف ولا فى شئ من المعاصى التى نهى عنها الا فى هذه وفى الجمع بين الاختين لان الجمع بين الاختين قد كان مباحا ايضا فى شرع من كان قبلنا وقد جمع يعقوب عليه السلام بين راحيل واختها ليا فقوله الا ما قد سلف التفات الى هذا المعنى هذا كلامه فلا التفات اليه ولا معول عليه على أن قوله ان يعقوب جمع بين الاختين ينازعه قول القاضى البيضاوى ان يعقوب عليه السلام انما تزوج ليا بعد موت اختها راحيل (وفى أسباب النزول) للواحدى ان فى البخارى عن اسباط قال المفسرون كان اهل المدينة فى الجاهلية وفى اول الاسلام اذا مات الرجل وله امرأة جاء ابنه من غيرها فألقى ثوبه على

وناولتني شربة من الماء اشد بياضا من اللبن وأبرد من الثلج واحلى من الشهد فقالت لى اشربي فشربت ثم قالت الثانية ازدادي فازددت ثم مسحت بيدها على بطني ٥٢ وقالت بسم الله اخرج باذن الله فقلن لى اى تلك النسوة نحن آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وهؤلاء من الحور العين قال بعضهم لعل ذلك كان قبل وجود الشفاء وأم عثمان عندها ولعل الحكمة فى شهود مريم وآسية كونهما تصيران زوجتين له صلى الله عليه وسلم فى الجنة مع كلثم اخت موسى عليه السلام وقد حمى الله هؤلاء النسوة أن يطأهن احد فقد روى أن آسية لما زفت الى فرعون اخذه الله عنها وكان هذا حاله معها وقد رضى عنها بالنظر اليها * قالت أمه صلى الله عليه وسلم ورأيت ثلاثة اعلام مضروبات علما بالمشرق وعلما بالمغرب وعلما على ظهر الكعبة ولما ولد صلى الله عليه وسلم وضعت عليه جفنة فانفلقت عنه فلقتين لان عادتهم اذا ولد لهم مولود فى الليل وضعوه تحت الاناء لا ينظرون اليه حتى يصبحوا فلما ولد صلى الله عليه وسلم وضعوه فى رواية تحت برمة ضخمة فلما أصبحوا اتوا البرمة فاذا هى قد انفلقت ثنتين وعيناه الى السماء وهو يمص ابهامه يشخب اى يسيل لبنا * ولما ولد صلى الله عليه وسلم ارسلت الى جده وكان يطوف بالبيت تلك الليلة فجاء اليها فقالت له يا أبا الحرث ولد لك مولود له امر عجيب فذعر عبد المطلب وقال ليس بشرا سويا فقالت بلى ولكن سقط ساجدا ثم رفع رأسه واصبعيه الى السماء من ما خرجته له ونظر اليه واخذه ودخل به الكعبة ودعا الله تعالى ثم خرج فدفعه اليها وعن عكرمة أن ابليس لما ولد رسول الله

تلك المرأة وصار احق بها من نفسها ومن غيرها فان شاء أن يتزوجها تزوجها من غير صداق الا الصداق الذى اصدقها الميت وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها ولم يعطها شيأ وان شاء عضلها وضارها لتفتدى منه فمات بعض الانصار فجاء ولد من غيرها وطرح ثوبه عليها ثم تركها فلم يقربها ولم ينفق عليها اضارها لتفتدى منه فأتت تلك المرأة وشكت حالها النبى صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى الآية ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الآية (وقيل) توفى ابو قيس فخطب ابنه قيس امرأة ابيه فقالت انى اعدك ولدا ولكنى آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأستأمره فأتته فاخبرته فانزل الله تعالى الآية * وعن البراء ابن عازب رضى الله عنه قال لقيت خالى يعنى أبا الدرداء رضى الله تعالى عنه ومعه الراية فقلت أين تريد قال ارسلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رجل تزوج امرأة ابيه أن أضرب عنقه زاد فى رواية واجد وآخذ ماله (وذكر) بعضهم ان فى الجاهلية كان اذا اراد الشخص أن يتزوج يقول خطب ويقول اهل الزوجة نكح ويكون ذلك قائما مقام الايجاب والقبول * ومن نكاح الجاهلية الجمع بين الاختين فانه كان مباحا عندهم اى مع استقباحهم له كما تقدم (وذكر) بعضهم أن قبل نزول التوراة كان يجوز الجمع بين الاختين اى ثم حرم ذلك بنزولها قال وقد افتخر رسول الله صلى الله عليه وسلم بجداته اى تحدث بنعمة ربه قاصدا به التنبيه على شرف هؤلاء النسوة وفضلهن على غيرهن فقال انا ابن العواتك والفواطم * وعن قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اجرى فرسه مع ابى ايوب الانصارى فسبقته فرس المصطفى فقال صلى الله عليه وسلم أنا ابن العواتك انه لهو الجواد البحر يعنى فرسه * وقال صلى الله عليه وسلم فى بعض غزواته اى فى غزوة حنين وفى غزوة أحد انا النبى لا كذب انا ابن عبد المطلب انا ابن العواتك (وجاء) انا ابن العواتك من سليم والعاتكة فى الاصل المتلطخة بالطيب او الطاهرة وعن بعض الطالبين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى يوم احد انا ابن الفواطم اى ولا ينافيه ما سبق أنه قال فى ذلك اليوم انا ابن العواتك لانه يجوز أن يكون قال كلا من الكلمتين فى ذلك اليوم (واختلف) الناس فى عدد العواتك من جداته صلى الله عليه وسلم فمن مكثر ومن مقل وقد نقل الحافظ ابن عساكر ان العواتك من جداته صلى الله عليه وسلم أربع عشرة وقيل احدى عشرة اى وأولهن أم لؤى بن غالب واللواتى من بنى سليم منهن عاتكة بنت هلال ام عبد مناف وعاتكة بنت الاوقص بن مرة بن هلال ام هاشم وعاتكة بنت مرة بن هلال أم ابى امه وهب * اى وقيل أراد بالعواتك من سليم ثلاثة من بنى سليم ابكارا أرضعنه كما سيأتى فى قصة الرضاع وكل واحدة منهن تسمى عاتكة (قال) وعن سعد أن الفواطم من جداته عشرة اه (أقول) وقيل خمس وقيل ست وقيل ثمان ولم اقف على

من اسمه فاطمة من جداته من جهة أبيه الاعلى اثنتين فاطمة أم عبد الله وفاطمة أم قصى الآن يكون صلى الله عليه وسلم لم يرد الامهات التى فى عمود نسبه صلى الله عليه وسلم بل اراد الاعم حتى يشمل فاطمة أم أسد بن هاشم وفاطمة بنت أسد التى هى أم على بن ابى طالب كرم الله وجهه وفاطمة أمها وهؤلاء الفواطم غير الثلاثة الفواطم اللاتى قال صلى الله عليه وسلم فيهن لعلى وقد دفع اليه ثوبا حريرا وقال له اقسم هذا بين الفواطم الثلاثة فان هؤلاء فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة بنت حمزة وفاطمة بنت أسد ثم رأيت بعضهم عد فيهن ام عمرو بن عائذ وفاطمة بنت عبد الله بن رزام وامها فاطمة بنت الحرث وفاطمة بنت نصر بن عوف أم ام عبد مناف والله اعلم (وعن عائشة) وابن عباس رضى الله تعالى عنهم عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال خرجت من نكاح غير سفاح اى زنا فقد تقدم أن المرأة كانت تسافح الرجل مدة ثم يتزوجها ان أراد فكانت العرب تستحل الزنا الا أن الشريف منهم كان يتورع عنه علانية والا بعض أفرادهم حرمه على نفسه فى الجاهلية * اى وفى حديث غريب خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم الى أن ولدنى ابى وأمى ولم يصبنى من سفاح الجاهلية شئ ماولدنى الا نكاح الاسلام * قال وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماولدنى بغى قط منذ خرجت من صلب آدم ولم تزل تتنازعنى الامم كابرا عن كابر حتى خرجت من افضل حيين من العرب هاشم وزهرة اه (أقول) والبغايا كن فى الجاهلية ينصبن على أبوابهن رايات تكون علما فمن أرادهن دخل عليهن فاذا حملت احداهن و وضعت حملها جمعوا لها ودعوا لهم القافة ثم الحقوا ولدها بالذى يرون به شبهه فالتاط اى تعلق والتحق به ودعى ابنه لا يمتنع من ذلك والله اعلم * قال وعن انس رضى الله تعالى عنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد جاءكم رسول من أنفسكم بفتح الفاء وقال انا أنفسكم نسبا وصهرا وحسبا ليس فى آبائى من لدن آدم سفاح كلها نكاح وفى رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما كنكاح الاسلام اى يخطب الرجل الى الرجل موليته فيصدقها ثم يعقد عليها اه (وعن الامام السبكى) الانكحة التى فى نسبه صلى الله عليه وسلم منه الى آدم كلها مستجمعة شروط الصحة كانكحة الاسلام ولم يقع فى نسبه صلى الله عليه وسلم منه الى آدم الا نكاح صحيح مستجمع لشرائط الصحة كنكاح الاسلام الموجود اليوم قال فاعتقد هذا بقلبك وتمسك به ولا تزل عنه فتخسر الدنيا والآخرة (قال بعضهم) وهذا من أعظم العناية به صلى الله عليه وسلم أن اجرى الله سبحانه وتعالى نكاح آبائه من آدم الى أن اخرجه من بين ابويه على نمط واحد وفق شريعته صلى الله عليه وسلم ولم يكن كما كان يقع فى الجاهلية اذا اراد الرجل أن يتزوج قال خطب

صلى الله عليه وسلم ورأى تساقط النجوم قال لجنوده قد ولد الليلة ولد يفسد علينا امرنا فقال له جنوده لو ذهبت اليه فخبلته فلما دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الله جبريل فركضه برجله ركضة وقع بعدن * وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان الشياطين كانوا لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويأتون باخبارها مما سيقع فى الارض فيلقونها على الكهنة فلما ولد عيسى عليه السلام حجبوا عن ثلاث سموات وعن وهب عن اربع سموات * ولما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم حجبوا عن الكل وحرست السماء بالشهب فما يريد احد منهم استراق السمع الا رمى بشهاب وازداد ذلك عند المبعث * وقد أخبرت الاحبار والرهبان بليلة ولادته صلى الله عليه وسلم فعن حسان بن ثابت رضى الله عنه قال انى لغلام يفعة اى غلام مرتفع ابن سبع اوثمان اعقل مارأيت وسمعت اذا يهودى بيثرب يصرخ ذات غداة على أطمة اى محل مرتفع يامعشر يهود فاجتمعوا اليه وانا أسمع وقالوا ويلك مالك قال طلع نجم احمد الذى ولد به فى هذه الليلة اى الذى طلوعه علامة على ولادته صلى الله عليه وسلم فى تلك الليلة فى بعض الكتب القديمة * وعن كعب الاحبار قال رأيت فى التوراة ان الله تعالى اخبر موسى عن وقت خروج محمد صلى الله عليه وسلم اى من بطن أمه وموسى اخبر قومه ان الكوكب المعروف عندكم سمه كذا اذا تحرك وسار عن موضعه فهو وقت خروج محمد صلى الله عليه وسلم وصار ذلك مما يتوارثه العلماء من بنى اسرائيل وعن عائشة رضى الله عنها ترويه عمن كان موجودا وقت ولادته صلى الله عليه وسلم قالت كان

وتقول اهل الزوجة نكح كما تقدم ويكون ذلك قائما مقام الايجاب والقبول والمراد بنكاح الاسلام مايفيد الحل حتى يشمل التسرى بناء على ان أم اسمعيل كانت مملوكة لابراهيم حين حملت باسمعيل ولم يعتقها ولم يعقد عليها قبل ذلك (وعن عائشة) رضى الله تعالى عنها كما في البخارى أن النكاح في الجاهلية كان على اربعة انحاء نكاح كنكاح الناس اليوم اى بايجاب وقبول شرعيين دون أن يقول الزوج خطب ويقول اهل الزوجة نكح وحينئذ يزيد على ذلك النكاح الذى كان يقال فيه ذلك ونكاح البغايا ونكاح الاستبضاع ونكاح الجمع اى ومن انكحة الجاهلية نكاح زوجة الاب لا كبرا ولاده والجمع بين الاختين على ما تقدم وحينئذ يكون المراد ليس في نسبه صلى الله عليه وسلم نكاح زوجة الاب خلافا لما تقدم عن السهيلى ولا الجمع بين الاختين ولا نكاح البغايا وهو أن يطأ البغى جماعة متفرقين واحدا بعد واحد فاذا حملت وولدت ألحق الولد بمن غلب عليه شبهه منهم ولا الاستبضاع وذلك ان المرأة كانت في الجاهلية اذا طهرت من حيضها يقول لها زوجها ارسلى الى فلان استبضعى منه ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبدا حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذى تستبضع منه فاذا تبين حملها اصابها زوجها اذا احب وليس فيه نكاح الجمع وهو أن تجتمع جماعة دون العشرة ويدخلون على امرأة من البغايا ذوات الرايات كلهم يطؤها فاذا حملت ووضعت ومر عليها ليال بعد أن تضع حملها أرسلت اليهم فلم يستطع رجل أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها فتقول لهم قد عرفتم الذى كان من امركم وقد ولدت فهو ابنك يا فلان تسمى من احبت منهم فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع منه الرجل ان لم يغلب شبهه عليه فنكاح البغايا قسمان وحينئذ يحتمل أن يكون ام عمرو بن العاص رضى الله عنه من القسم الثانى من نكاح البغايا فانه يقال انه وطئها اربعة وهم العاص وأبو لهب وامية بن خلف وابو سفيان بن حرب وادعى كلهم عمرا فألحقته بالعاص وقيل لها لم اخترت العاص قالت لانه كان ينفق على بناتى ويحتمل أن يكون من القسم الاول ويدل عليه ما قيل انه ألحق بالعاص لغلبة شبهه عليه وكان عمرو يعير بذلك عيره بذلك على وعثمان والحسن وعمار بن ياسر وغيرهم من الصحابة رضى الله تعالى عنهم وسيأتى ذلك في قصة قتل عثمان عند الكلام على بناء مسجد المدينة (قال) وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال لم أزل انقل من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات اى وفى رواية لم يزل الله ينقلنى من الاصلاب الحسيبة الى الارحام الطاهرة * وروى البخارى بعثت من خير قرون بنى آدم قرنا فقرنا حتى كنت فى القرن الذى كنت فيه اه * وقد تقدم فى قوله تعالى وتقلبك فى الساجدين قيل من ساجد الى ساجد وتقدم ما فيه ومن جملته قول ابى حيان ان ذلك استدل به بعض الرافضة على ان آباء النبى صلى الله

يهودى يسكن مكة فلما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى مجلس من مجالس قريش هل ولد فيكم الليلة مولود فقال القوم والله ما نعلمه فقال ٥٤ احفظوا ما اقول لكم ولد هذه الليلة نبى هذه الامة الاخيرة وهو منكم معاشر قريش على كتفه شامة فيها شعرات متواترات اى متتابعات كأنهن عرف فرس اى وتلك العلامة هى خاتم النبوة اى علامتها والدليل عليها لا يرضع ليلتين وذلك فى الكتب القديمة من دلائل نبوته وعند قول اليهودى ما ذكر تفرق القوم من مجالسهم وهم متعجبون من قوله فلما صاروا الى منازلهم أخبر كل انسان منهم أهله فقالوا قد ولد الليلة لعبد الله بن عبد المطلب غلام سموه محمدا فالتقى القوم حتى جاؤا اليهودى فاخبروه الخبر اى قالوا له أعلمت ولد فينا مولود فقال اذهبوا معى حتى انظر اليه فخرجوا حتى ادخلوه على أمه فقالوا اخرجى الينا ابنك فاخرجته وكشفوا عن ظهره فرأى تلك الشامة فخر مغشيا عليه فلما أفاق قالوا ويلك ما لك قال والله ذهبت النبوة من بنى اسرائيل أفرحتم به يا معشر قريش أما والله ليسطون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق الى المغرب * وعن الواقدى أنه كان بمكة يهودى يقال له يوسف لما كان اليوم اى الوقت الذى ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يعلم به احد من قريش قال يا معشر قريش قد ولد نبى هذه الامة هذه الليلة فى بحرتكم اى ناحيتكم هذه وجعل يطوف فى أنديتهم فلا يجد عليه خبرا حتى انتهى الى مجلس عبد المطلب فسأل فقيل له قد ولد لعبد الله بن عبد المطلب غلام فقال هو نبى والتوراة وكان بمر الظهران

راهب من أهل الشام يدعى عيص وكان قد آتاه الله علما كثيرا وكان يلزم صومعة له ويدخل مكة فيلقى الناس ويقول يوشك اى يقرب أن يولد فيكم مولود يا اهل مكة تدين له العرب اى تذل وتخضع ٥٥ ويملك العجم اى أرضهم او بلادهم هذا زمانه فمن ادركه اى أدرك بعثته واتبعه اصاب حاجته اى مايؤمله من الخير ومن ادركه وخالفه أخطأ حاجته فكان لا يولد مولود بمكة الا و يسئل عنه فيقول ماجاء بعد اى الآن فلما كان صبيحة اليوم ى الوقت الذى ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عبد المطلب حتى اتى عيصا فوقف على اصل صومعته فناداه فقال من هذا فقال أنا عبد المطلب فقال كن أباه فقد ولد ذلك المولود الذى كنت أحدثكم به وان نجمه طلع البارحة وعلامة ذلك ايضا أنه وجع فيشتكى اى لا يرضع ثلاثا ثم يعافى فاحفظ لسانك لا تذكر ما قلته لك لاحد من قومك فانه لم يحسد أحد حسده ولم يبغ على احد كما يبغى عليه قال فما عمره قال ان طال عمره لم يبلغ السبعين يموت فى وتر دونها وذلك جل اعمار أمته وتنكست الاصنام عند ولادته صلى الله عليه وسلم وتقدم أنها تنكست ايضا عند الحمل وعن عبد المطلب قال كنت فى الكعبة فرأيت الاصنام سقطت من أماكنها وخرت سجدا وسمعت من جدار الكعبة قائلا يقول ولد المصطفى المختار الذى تهلك بيده الكفار ويطهر من عبادة الاصنام ويأمر بعبادة الملك العلام * وفى السيرة الحلبية أن نفرا من قريش منهم ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل وعبيد الله بن جحش كانوا يجتمعون الى صنم فدخلوا عليه ليلة مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأوه منكسا على وجهه فانكروا

عليه وسلم كانوا مؤمنين اى متمسكين بشرائع انبيائهم ثم رأيت الحافظ السيوطى قال الذى تلخص ان أجداده صلى الله عليه وسلم من آدم الى مرة بن كعب مصرح بايمانهم اى فى الاحاديث واقوال السلف وبقى بين مرة وعبد المطلب اربعة أجداد لم اظفر فيهم بنقل وعبد المطلب سيأتى الكلام فيه وقد ذكر فى عبد المطلب ثلاثة أقوال احدها وهو الاشبه أنه لم تبلغه الدعوة اى لانه سيأتى انه مات وسنه صلى الله عليه وسلم ثمان سنين والثانى انه كان على ملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام اى لم يعبد الاصنام والثالث ان الله تعالى احياه له بعد البعثة حتى آمن به ثم مات وهذا أضعف الاقوال وأوهاها لم يرد قط فى حديث ضعيف ولا غيره ولم يقل به احد من أئمة السنة وانما حكى عن بعض الشيعة (قال بعضهم) وقوله صلى الله عليه وسلم من أصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات دليل على ان آباء النبى صلى الله عليه وسلم وأمهاته الى آدم وحواء ليس فيهم كافر لان الكافر لا يوصف بانه طاهر وفيه ان الطاهرية فيه يجوز أن يكون المراد بها ما قابل انكحة الجاهلية المتقدمة وقد اشار الى اسلام آبائه وأمهاته صاحب الهمزية بقوله

لم تزل فى ضمائر الكون تختا * ر لك الامهات والآباء

اى لان الكافر لا يقال انه مختار لله (والسبب) الذى دعا عبد المطلب لاختيار بنى زهرة ما حدث به ولده العباس رضى الله تعالى عنه قال قال عبد المطلب قدمنا اليمن فى رحلة الشتاء فنزلنا على حبر من اليهود يقرأ الزبور اى الكتاب ولعل المراد به التوراة فقال من الرجل قلت من قريش قال من أيهم قلت من بنى هاشم قال اتأذن لى أن انظر بعضك قلت نعم ما لم يكن عورة قال ففتح احدى منخرى فنظر فيه ثم نظر فى الاخرى فقال انا أشهد ان فى احدى يديك وهو مراد الاصل بقوله فى منخريك ملكا وفى الاخرى نبوة وانما نجد ذلك اى كلا من الملك والنبوة فى بنى زهرة فكيف ذلك قلت لا أدرى قال هل لك من شاعة قلت وما الشاعة قال الزوجة اى لانها تشايع اى تتابع وتناصر زوجها قلت أما اليوم فلا اى ليست لى زوجة من بنى زهرة ان كان معه غيرها ومطلقا ان لم يكن معه غيرها فقال اذا تزوجت فتزوج منهم اى وهذا الذى ينظر فى الاعضاء وفى خيلان الوجه فيحكم على صاحبها بطريق الفراسة يقال له حزاء بالمهملة وتشديد الزاى آخره همزة منونة (وقد ذكر الشيخ عبد الوهاب الشعرانى) عن شيخه سيدى على الخواص نفعنا الله تعالى ببركاتهما أنه كان اذا نظر لانف انسان يعرف جميع زلاته السابقة واللاحقة الى أن يموت على التعيين من صحة فراسته هذا كلامه * اى ومن ذلك ان معاوية بن ابى سفيان رضى الله عنهما تزوج امرأة ولم يدخل بها فقال لزوجته ميسون أم ابنه يزيد اذهبى فانظرى اليها فأتتها فنظرت اليها ثم رجعت اليه وقالت هى بديعة الحسن والجمال مارأيت

ذلك فاخذوه فردوه الى حاله فانقلب انقلابا عنيفا فردوه فانقلب كذلك الثالثة فقالوا ان هذا الامر حدث ثم أنشد بعضهم ابياتا يخاطب بها الصنم ويتعجب من ذلك الامر ويسأله فيها عن سبب تنكسه فسمع هاتفا من جوف الصنم بصوت جهير اى مرتفع يقول

تردى لمولود أنارت بنوره
جميع فجاج الارض بالشرق والغرب

قال فى الهمزية

وتوالت بشرى الهواتف أن قد
ولد المصطفى وحق الهناء

وتزلزلت الكعبة واضطربت ليلة ولادته صلى الله عليه وسلم ولم تسكن ثلاثة ايام ولياليهن وكان ذلك اول علامة رأت قريش من مولد النبى صلى الله عليه وسلم وارتجس اى اضطرب وانشق ايوان كسرى أنوشروان وكان مبنيا بناء فى غاية الاحكام بحيث لا تعمل فيه الفؤس وسمع لشقه صوت هائل وسقط منه أربع عشرة شرافة وليس ذلك لخلل فى بنائه وانما أراد الله أن يكون ذلك آية لنبيه صلى الله عليه وسلم باقية على وجه الارض يروى أن الرشيد اراد هدم الايوان فقال له وزيره يحيى بن خالد البرمكى يا أمير المؤمنين لا تهدم بناء هو آية الاسلام وخمدت نار فارس اى مع ايقاد خدامها لها اى وكتب صاحب فارس لكسرى ان بيوت النار خمدت تلك الليلة ولم تخمد قبل ذلك بألف عام وغاضت اى غارت بحيرة ساوة بحيث صارت يابسة كأن لم يكن بها شئ من الماء مع شدة اتساعها اى وكتب لكسرى عامله بذلك ايضا والى ذلك يشير البوصيرى فى الهمزية بقوله

وتداعى ايوان كسرى ولولا * آية منك ماتداعى البناء

مثلها الكن رايت خالا اسود تحت سرتها وذلك يدل على ان رأس زوجها يقطع ويوضع فى حجرها فطلقها معاوية رضى الله تعالى عنه ثم تزوجها النعمان بن بشير رضى الله تعالى عنه وكان واليا على حمص فدعا لابن الزبير وترك مروان ثم خاف من اهل حمص لما تبعوا مروان ففر هاربا فتبعه جماعة منها فقطعوا رأسه ووضعوها فى حجر تلك المرأة ثم بعثوا بتلك الرأس الى مروان وقتل النعمان هذا من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم لان أمه لما ولدته وكان أول مولود ولد للانصار بعد الهجرة على ماسيأتى حملته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بتمرة فمضغها ثم وضعها فى فيه فحنكه بها فقالت يارسول الله ادع الله تعالى أن يكثر ماله وولده فقال أماترضين أن يعيش حميدا ويقتل شهيدا ويدخل الجنة وهو الذى اشار على يزيد بن معاوية باكرام آل البيت لما قتل الحسين ممن كان مع الحسين من أولاده واولاد اخيه واقاربه وقال له عاملهم بما كان يعاملهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم لو رآهم على هذه الحالة فرق لهم يزيد واكرمهم وردهم وامر باكرامهم على ماسيأتى ذكره ان شاء الله تعالى * ومما روى عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان للشيطان مصالى وفخوخا وان مصاليه وفخوخه البطر بنعم الله والفخر بعطاء الله والتكبر على عباد الله واتباع الهوى فى غير ذات الله (وقد ذكر) ان حمص نزل بها تسعمائة من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فيهم سبعون بدريا (وفى حياة الحيوان) ان حمص لا تعيش بها العقارب واذا طرحت فيها عقرب غريبة ماتت لوقتها قيل لطلسم بها * وفى حديث ضعيف ان حمص من مدن الجنة وقيل الحزاء هو الكاهن وقيل هو الذى يحزر الاشياء ويقدرها بظنه ويقال للذى ينظر فى النجوم فانه ينظر فيها بظنه فربما اخطأ اى لان من علوم العرب الكهانة والعيافة والقيافة والزجر والخط اى الرمل والطب ومعرفة الانواء ومهاب الرياح (فلما رجع) عبد المطلب الى مكة تزوج هالة بنت وهيب بن عبد مناف فولدت له حمزة وصفية وزوج ابنه عبد الله آمنة بنت وهب اخى وهيب فولدت له رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم فكانت قريش تقول فلج عبد الله على ابيه اى فاز وظفر لان الفلج بالفاء واللام المفتوحتين والجيم الفوز والظفر اى فاز وظفر بما لم ينله ابوه من وجود هذا المولود العظيم الذى وجد عند ولادته مالم يوجد عند ولادة غيره * اى وفى كلام ابن المحدث ان عبد المطلب خطب هالة بنت وهيب عم آمنة فى مجلس خطبة عبد الله لآمنة وتزوجا وتزوجا ولما تم ابتنيا بهما ثم رأيت فى اسد الغابة مايوافقه وهو ان عبد المطلب تزوج هو وعبد الله فى مجلس واحد قيل وفيه تصريح بان عبد الله كان موجودا حين قال الحبر لعبد المطلب ان النبوة موجودة فيه وكيف تكون موجودة فيه مع انتقالها لعبد الله وقد يقال من أين ان عبد المطلب تزوج هالة عقب مجيئه من عند الحبر حتى

يكون

وغدا كل بيت نار وفيه * كربة من خمودها وبلاء
وعيون للفرس غارت فهل كا * ن لنيرانهم بها اطفاء

ورأى الموبذان وهو القاضي الكبير وقيل خادم النيران الكبير ورئيس الاحكام في منامه ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها وكان كسرى قد رأى ماهاله وأفزعه من ارتجاس الايوان وسقوط الشرفات فلما أصبح تصبر ولم يظهر الانزعاج لهذا الامر الذي رآه تشجعا ثم رأى انه لا يدخر هذا الامر عن مرازبته اى فرسانه وشجعانه فجمعهم ولبس تاجه وجلس على سريره ثم بعث اليهم فلما اجتمعوا قال تدرون فيم بعثت اليكم قالوا لا الا أن يخبرنا الملك فبيناهم كذلك اذ ورد عليه كتاب بخمود النيران وكتاب من صاحب ايليا يخبره أن بحيرة ساوة غاضت تلك الليلة وورد عليه كتاب صاحب الشام يخبره ان وادي سماوة انقطع تلك الليلة وكتاب صاحب طبرية ان الماء لم يجر في بحيرة طبرية فازداد غما الى غمه ثم أخبرهم بما رأى وما هاله من ارتجاس الايوان وسقوط الشرفات فقال الموبذان فانا اصلح الله الملك رأيت في هذه الليلة رؤيا ثم قص عليه رؤياه في الابل فقال اى شئ هذا يا موبذان قال حدث يكون في ناحية العرب فابعث الى عاملك بالحيرة يوجه اليك رجلا من علمائهم فانهم أصحاب علم بالحدثان فكتب كسرى عند ذلك من كسرى ملك الملوك الى النعمان بن المنذر أما بعد فوجه الى رجلا عالما بما ٨ حل ل أريد ان اسأله عنه فوجه اليه بعبد المسيح الغساني وهو معدود من المعمرين عاش مائة وخمسين سنة فلما ورد عليه قال ألك علم بما اريد أن أسألك عنه قال ليسألني الملك عما أحب فان كان عندى علم منه أعلمته والا اخبرته بمن يعلمه فأخبره بالذى وجه اليه فيه قال علم ذلك عند خال لى يسكن مشارف الشام اى أعاليها وهى الجابية المدينة المعروفة يقال له سطيح

يكون قول الحبر لعبد المطلب صادرا بعد وجود عبد الله جاز ان يكون ذلك صدر من الحبر لعبد المطلب قبل ولادة عبد الله وفيه ان هذا لا يحسن الا لو كانت ام عبد الله من بنى زهرة الا أن يقال يجوز أن يكون عبد الله وجد من بنى زهرة لجواز ان يكون عبد المطلب تزوج من بنى زهرة غيرهالة فولدها عبد الله * ثم ان قول الحبر لعبد المطلب انه يجد في احدى يديه الملك وانه يكون في بنى زهرة مشكل ايضا لان الملك لم يكن الا في اولاد ولده العباس ولا يستقيم الا لو كانت أم العباس من بنى زهرة اما هالة التى هى ام حمزة وغيرها وام العباس ليست من بنى زهرة خلافا لما وقع في كلام بعضهم ان العباس ولدته هالة فهو شقيق حمزة لانه خلاف ما اشتهر عن الحفاظ الا ان يقال جاز ان يكون الملك والنبوة اللذان عناهما الحبر هما نبوته وملكه صلى الله عليه وسلم لانه صلى الله عليه وسلم اعطيهما اى كلا من الملك والنبوة المنتقلين اليه من ابيه عبد الله بناء على ان أم عبد الله من بنى زهرة ولعله لا ينافيه قول بعضهم تزوج عبد المطلب فاطمة بنت عمرو وجعل مهرها مائة ناقة ومائة رطل من الذهب فولدت له اباطالب وعبد الله والد النبى صلى الله عليه وسلم لانه يجوز أن تكون فاطمة هذه من بنى زهرة وحينئذ لا يشكل قول الحبر اذا تزوجت فتزوج منهم اى من بنى زهرة بعد قوله ألك شاعة وقيل الذى دعا عبد المطلب لاختيار آمنة من بنى زهرة لولده عبد الله أن سودة بنت زهرة الكاهنة وهى عمة وهب والد آمنة أمه صلى الله عليه وسلم كان من أمرها انها لما ولدت رآها أبوها زرقاء شيماء اى سوداء وكانوا يئدون من البنات من كانت على هذه الصفة اى يدفنونها حية ويمسكون من لم يكن على هذه الصفة مع ذل وكآبة اى لانه سيأتى ان الجاهلية كانوا يدفنون البنات وهن أحياء خصوصا كندة قبيلة من العرب خوف العار أو خوف الفقر والاملاق وكان عمرو بن نفيل يحيى الموؤدة لاجل الاملاق يقول للرجل اذا أراد أن يفعل ذلك لا تفعل أنا أكفيك مؤنتها فيأخذها فاذا ترعرعت قال لابيها ان شئت دفعتها اليك وان شئت كفيتك مؤنتها وكان صعصعة جد الفرزدق يفعل مثل ذلك فأمر أبوها بوأدها وأرسلها الى الحجون لتدفن هنالك فلما حفر لها الحافر وأراد دفنها سمع هاتفا يقول لا تئد الصبية وخلها في البرية فالتفت فلم ير شيأ فعاد لدفنها فسمع الهاتف يسجع بسجع آخر في المعنى فرجع الى أبيها وأخبره بما سمع فقال ان لها لشأنا وتركها فكانت كاهنة قريش فقالت يوما لبنى زهرة فيكم نذيرة أو تلد نذيرا فاعرضوا على بناتكن فعرضن عليها فقالت في كل واحدة منهن قولا ظهر بعد حين حتى عرضت عليها آمنة بنت وهب فقالت هذه النذيرة أو تلد نذيرا له شأن

قال فانه فاسأله عما سألك عنه ثم ائتني بتفسيره فخرج عبد المسيح حتى انتهى الى سطيح وقد اشفى على الضريح اى الموت وعمره اذ ذاك ثلثمائة سنة وقيل سبعمائة سنة وكان جسدا ملقى لا جوارح له وكان لا يقدر على الجلوس الا اذا غضب فانه ينتفخ فيجلس وكان وجهه فى صدره ولم يكن له ٥٨ رأس ولا عنق وفى كلام غير واحد لم يكن له عظم سوى رأسه وفى لفظ لم يكن له عظم ولاعصب الا الجمجمة والكفين ولم يتحرك منه الا اللسان وكان لسطيح سرير اذا اريد نقله من مكان الى مكان يطوى من رجليه الى ترقوته كما يطوى الثوب ويوضع على السرير فيذهب به الى حيث يشاء واذا اريد استخباره ليخبر عن المغيبات يحرك كما يحرك سقاء اللبن الذى يمخض ليخرج زبده فينتفخ ويمتلئ ويعلوه النفس فيخبر عما يسأل عنه وكانت جمجمته اذا لمست أثر اللمس فيها للينها فسلم عبد المسيح على سطيح وكلمه فلم يرد عليه سطيح جوابا فانشأ يقول عبد المسيح الابيات المشهورة التى أولها

* أصم أم يسمع غطريف اليمن *

فلما سمع سطيح شعر عبد المسيح رفع رأسه وقال عبد المسيح على جمل مشيح اى سريع جاء الى سطيح وقد وافى الضريح بعثك ملك ساسان لارتجاس الايوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت فى بلادها ياعبد المسيح اذا كثرت التلاوة وظهر صاحب الهراوة وغاضت بحيرة ساوة وخمدت نار فارس فليست بابل للفرس مقاما ولا الشأم لسطيح شاما يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرفات وكل ماهو آت آت ثم مات سطيح من ساعته * وذكر الطبرى أن ابرويز بن هرمز جاءه جاء فى المنام فقيل له سلم مافى يديك الى صاحب الهراوة فلم يزل مذعورا حتى كتب له النعمان بظهور النبى صلى الله عليه وسلم بتهامة وعند موت سطيح نهض عبد المسيح الى رحله وهو يقول

وبرهان منيرا اى فاختيار عبد المطلب لآمنة من بنى زهرة لعبد الله واضح من سياق قصة هذه الكاهنة وأما اختياره التزوج ببعض نساء بنى زهرة فسببه ما تقدم عن الحبر بناء على ان أم عبد الله كانت من بنى زهرة وأما جعل الشمس الشامى ما تقدم عن الحبر سببا لتزويج عبد المطلب ابنه عبد الله امرأة من بنى زهرة ففيه نظر ظاهر اذ كيف يتأتى ذلك مع قوله اذا تزوجت فتزوج منهم بعد قوله الشاعة اى زوجة ثم رأيت ابن دحية رحمه الله تعالى ذكر فى التنوير عن البرقى أن سبب تزويج عبد الله آمنة ان عبد المطلب كان يأتى اليمن وكان ينزل فيها على عظيم من عظمائهم فنزل عنده مرة فاذا عنده رجل ممن قرأ الكتب فقال له ائذن لى أن افتش منخرك فقال دونك فانظر فقال أرى نبوة وملكا وأراهما فى المنافين عبد مناف بن قصى وعبد مناف بن زهرة فلما انصرف عبد المطلب انطلق بابنه عبد الله فتزوج عبد المطلب هالة بنت وهيب فولدت له حمزة وزوج ابنه عبد الله آمنة فولدت له رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا واضح لانه اسقط قول الحبر لعبد المطلب هل لك من شاعة الى آخره فاحتاط عبد المطلب فتزوج من بنى زهرة وزوج ولده عبد الله منهم وحينئذ كان المناسب للبرقى رحمه الله تعالى أن يزيد بعد قوله ان سبب تزويج عبد الله آمنة قوله وتزويج عبد المطلب هالة

(باب ذكر حمل أمه به صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الانبياء والمرسلين)

عن الزهرى رحمه الله تعالى قال قالت آمنة لقد علقت به صلى الله عليه وسلم فما وجدت له مشقة حتى وضعته وعنها انها كانت تقول ماشعرت بفتح أوله وثانيه اى ما علمت بأنى حملت به ولا وجدت له ثقلا بفتح القاف كما تجد النساء الا أنى أنكرت رفع حيضتى بكسر الحاء الهيئة التى تلزمها الحائض من التجنب وأما بالفتح فالمرة الواحدة من دفعات الحيض اى والذى ينبغى أن يكون الثانى هو المراد واستعملت المرة فى مطلق الدم الذى تراه الحائض وربما يؤيد أن هذا هو المراد أن بعضهم نقل ان الحيضة بالكسر اسم للحيض قالت وربما ترفعنى وتعود اى فلم يكن رفعها لها لا على الحمل اى وهذا ربما يفيد ان حيضها تكرر قبل حملها به صلى الله عليه وسلم ولم أقف على مقدار تكرره وقد ذكر أن مريم عليها السلام حاضت قبل حملها بعيسى عليه الصلاة والسلام حيضتين قالت آمنة وأتانى آت اى من الملائكة وأنا بين النائمة واليقظانة وفى رواية بين النائم اى الشخص النائم واليقظان فقال هل شعرت بأنك قد حملت بسيد هذه الامة ونبيها اى وفى رواية بسيد الانام اى على ذلك وأمهلنى حتى دنت ولادتى أتانى فقال قولى اى اذا ولدتيه اعيذه بالواحد *

ابياتامنها شمر فانك ماضى العزم شمير * ولا يفزعنك تفريق وتغيير
والخير والشر مقرونان فى قرن * والخير متبع والشر محذور

فلما قدم عبد المسيح على كسرى وأخبره بما قال سطيح قال كسرى الى ان يملك منا أربعة عشر ملكا كانت امور وامور فملك منهم بعضهم فى خلافة عمر رضى الله عنه وملك الباقون فى خلافة عثمان رضى الله عنه وكان مدة ملكهم ثلاثة آلاف سنة ومائة وأربعة وستين سنة ومن ملوك بنى ساسان سابور ذو الاكتاف قيل له ذلك لانه كان يخلع اكتاف من ظفر به من العرب ولما جاء لمنازل بنى تميم فروا منه ومن جيشه وتركوا عمير بن تميم وهو ابن ثلثمائة سنة وكان معلقا فى قفة لعدم قدرته على الجلوس فأخذ وجىء به اليه واستنطقه فوجد عنده أدبا ومعرفة فقال للملك أيها الملك لم تفعل فعلك هذا بالعرب فقال يزعمون أن ملكا سيصير اليهم على يد نبى يبعث فى آخر الزمان فقال له عمير فأين حلم الملوك وعقلهم ان يكن هذا الامر باطلا فلن يضرك وان يكن حقا ألفوك ولم تتخذ عندهم يدا يكافئونك عليها و يعظمونك بها فى دولتهم فانصرف سابور وترك تعرضه للعرب وعن العباس رضى الله عنه عم النبى صلى الله عليه وسلم قال يارسول الله دعانى الى الدخول فى دينك اشارة اى علامة لنبوتك رأيتك فى المهد تناغى القمر اى تحدثه فتشير اليه باصبعك فحيث ما اشرت اليه مال قال كنت احدثه و يحدثنى و يلهينى عن البكاء واسمع وجبته اى سقطته حين يسجد تحت العرش وكان مهده صلى الله عليه وسلم يتحرك بتحريك الملائكة وتقدم أن أمه رأت من يقول لها فسميه اذا ولدتيه محمدا * وعن أبى جعفر محمد الباقر رضى الله عنه قال امرت أمه آمنة فى المنام وهى حامل برسول الله صلى الله عليه وسلم أن تسميه أحمد ولا مانع

من شر كل حاسد اى ثم سميه محمدا فان اسمه فى التوراة والانجيل احمد يحمده أهل السماء وأهل الارض وفى القرآن محمد اى والقرآن كله وسيأتى عن محمد الباقر رضى الله تعالى عنه أن تسميه أحمد قال بعضهم ويذكر بعد هذا البيت أبيات لا أصل لها واذا ثبت انها قالت له ذلك بعد ولادته كان دليلا لما يقوله بعض الناس ان آمنة رقت النبى صلى الله عليه وسلم من العين (أقول) ظاهر هذا السياق انها لم تعلم بحملها الا من قول الملك لانها لم تجد ماتستدل به على ذلك لانها لم تجد ثقلا وعادتها انقطاع حيضها بعد عدم وجوده فى زمنه المعتاد لها اى ولم تعول على مفارقة النور لعبد الله وانتقال النور الى وجهها على ماذكر بعضهم فنى كلام هذا البعض لما فارق النور وجه عبد الله انتقل الى وجه آمنة ولا على خروج النور منها مناما او يقظة بناء على أنه غير الحمل على ما يأتى لخفاء دلالة ماذكر على ذلك ولعل أباه صلى الله عليه وسلم عبد الله لم يبلغها قول المرأة التى عرضت نفسها عليه اذهب فأخبرها أنها حملت بخير أهل الارض والثقل فى ابتداء الحمل الذى حملت عليه بعض الروايات كما سيأتى يجوز أن يكون بعد اخبار الملك لها لكن فى المواهب فى رواية عن كعب رضى الله تعالى عنه أن مجىء الملك لها كان بعد ان مضى من حملها ستة أشهر فليتأمل فان الستة أشهر لا يقال انها ابتداء الحمل ونص الرواية كانت آمنة تحدث وتقول أتانى آت حين مر بى من حملى ستة أشهر فى المنام وقال لى يا آمنة انك حملت بخير العالمين فاذا ولدتيه فسميه محمدا واكتمى شأنك الا أن يقال يجوز تعدد الملك أو تكرر مجىء الملك لها فليتأمل والله أعلم * وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كان من دلالة حمل آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم أن كل دابة لقريش نطقت تلك الليلة اى التى حمل فيها اى فى اليوم قبلها برسول الله صلى الله عليه وسلم اى بناء على ما هو الظاهر مما تقدم انه حين وقع عليها انتقل اليها ذلك النور وقالت حمل برسول الله صلى الله عليه وسلم ورب الكعبة ولم يبق سرير الملك من ملوك الدنيا الا أصبح منكوسا اى ومثل هذا لا يقال من قبل الرأى (أقول) دلالة الاول على مطلق الحمل به صلى الله عليه وسلم لا على خصوص حمل آمنة به صلى الله عليه وسلم حينئذ واضحة وأما دلالة الثانى عليه فقد يتوقف فيها الا أن يقال ان ذلك كان من علامة الحمل به فى الكتب القديمة مع أن المدعى فى كلام ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انما هو خصوص حمل آمنة به على ان السياق يدل على أن المراد علم أمه بحملها به والله أعلم * وعن كعب الاحبار رضى الله تعالى عنه ان فى صبيحة تلك الليلة أصبحت أصنام الدنيا منكوسة اى ولعل ذلك كان من علامة حمل أمه

من رؤية الامرين فأخبرت جده فسماه وقيل ألهم ذلك أيضا ولا مانع منهما ولما سماه محمدا قيل له ما حملك على أن تسميه محمدا وليس من أسماء آبائك ولا قومك فقال رجوت أن يحمد في السماء والارض وقد حقق الله رجاءه (فائدة) جرت العادة أن الناس اذا سمعوا ذكر وضعه صلى الله عليه وسلم يقومون تعظيما له صلى الله عليه وسلم وهذا القيام مستحسن لما فيه من تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وقد فعل ذلك كثير من علماء الامة الذين يقتدى بهم قال الحلبي في السيرة فقد حكى بعضهم أن الامام السبكي اجتمع عنده كثير من علماء عصره فانشد منشد قول الصرصري في مدحه صلى الله عليه وسلم

قليل لمدح المصطفى الخط بالذهب
على ورق من خط أحسن من كتب
وأن تنهض الاشراف عند سماعه
قياما صفوفا أو جثيا على الركب

فعند ذلك قام الامام السبكي وجميع من بالمجلس فحصل أنس كبير في ذلك المجلس وعمل المولد واجتماع الناس له كذلك مستحسن قال الامام أبو شامة شيخ النووي ومن أحسن ما ابتدع في زماننا ما يفعل كل عام في اليوم الموافق ليوم مولده صلى الله عليه وسلم من الصدقات والمعروف واظهار الزينة والسرور فان ذلك مع ما فيه من الاحسان للفقراء مشعر بمحبة النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه في قلب فاعل ذلك وشكر الله تعالى على ما من به من ايجاد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أرسله رحمة للعالمين قال السخاوي ان عمل المولد حدث بعد القرون الثلاثة ثم لا زال اهل الاسلام من سائر الاقطار والمدن الكبار امه يعملون المولد ويتصدقون في لياليه بأنواع الصدقات ويعتنون بقراءة مولده الكريم ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم وقال ابن الجوزي من خواصه انه أمان في ذلك العام وبشرى عاجلة بنيل البغية والمرام وأول من أحدثه من الملوك الملك المظفر

به في الكتب القديمة وقول الصادق لا يتخلف وسيأتي ان عند ولادته أيضا تنكست الاصنام ولا مانع من التعدد قال وروى الحاكم وصححه أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله اخبرنا عن نفسك فقال أنا دعوة أبي ابراهيم وبشرى أخي عيسى ورأت أمي حين حملت بي كأنه خرج منها نور وفي لفظ سراج وفي لفظ شهاب أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام قال الحافظ العراقي وسيأتي انها رأت النور خرج منها عند الولادة وهو أولى لكون طرقه متصلة ويجوز أن يكون خرج منها النور مرتين مرة حين حملت به ومرة حين وضعته اي وكلاهما يقظة ولا مانع من ذلك أو هذه اي رؤية النور حين حملت به كانت مناما كما تصرح به الرواية الآتية وتلك يقظة فلا تعارض بين الحديثين اهـ (أقول) الرواية الآتية هي رواية شداد بن أوس ولفظها انها رأت في المنام ان الذي في بطنها خرج نورا أي وهي تفيد أن ذلك النور هو نفس حملها فهو بعد تحقق الحمل ووجوده والرواية التي هنا تفيد أن النور غيره وانه كان وقت ابتداء وجود الحمل فلا يصح حمل احداهما على الاخرى الا أن يقال المراد بحين حملت زمن حملها وان النور كان هو ذلك الحمل لكن الذي ينبغي أن تكون رواية شداد التي حملت عليها الرواية الاولى حاصلة قبيل الولادة فتكون رأت النور عند الولادة مناما ويقظة تأنيسا لها على أنه يجوز ابقاء الروايات الثلاث على ظاهرها وانها رأت مناما انها خرج منها نور عند ابتداء الحمل ثم رأت كذلك عند قرب ولادتها ان الذي في بطنها خرج نورا ثم رأت يقظة عند وضعه خروج النور وسيأتي في رواية عن امه انها قالت لما وضعته خرج معه نور وهي لا تخالف هذه الرواية الثالثة حتى تكون رابعة فبصرى أول بقعة من الشام خلص اليها نور النبوة وعلى انه مرتين ناسب قدومه صلى الله عليه وسلم لها مرتين مرة مع عمه ابي طالب ومرة مع ميسرة غلام خديجة رضي الله تعالى عنها كما سيأتي وبها مبرك الناقة التي يقال ان ناقته صلى الله عليه وسلم بركت فيه فأثر ذلك فيه وبني على ذلك المحل مسجد ولهذا كانت أول مدينة فتحت من أرض الشام في الاسلام وكان فتحها صلحا في خلافة ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه على يد خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه وبها قبر سعد بن عبادة وهي من أرض حوران والله أعلم ووقع الاختلاف في مدة حمله صلى الله عليه وسلم فعن ابن عائذ اي بالياء المثناة تحت والذال المعجمة انه صلى الله عليه وسلم بقي في بطن امه تسعة اشهر كملا لا تشكو وجعا ولا مغصا ولا ريحا ولا ما يعرض لذوات الحمل من النساء اي وقد ولد عند وجود المشتري وهو كوكب نير سعد فقد كانت ولادته صلى الله عليه وسلم عند وجود السعد الاكبر والنجم الانور وكانت

أمه صلى الله عليه وسلم تقول ما رأيت من حمل هو أخف منه ولا أعظم بركة منه وروى ابن حبان رحمه الله عن حليمة رضى الله تعالى عنها عن آمنة أم النبى صلى الله عليه وسلم انها قالت ان لابنى هذا شأنا انى حملت به فلم أجد حملا قط كان أخف علىّ ولا أعظم منه بركة وقيل بقى عشرة أشهر وقيل ستة أشهر وقيل سبعة اشهر وقيل ثمانية أشهر اى ويكون ذلك آية كما ان عيسى عليه السلام ولد فى الشهر الثامن كما قيل به مع نص الحكماء والمنجمين على أن من يولد فى الشهر الثامن لا يعيش بخلاف التاسع والسابع والسادس الذى هو أقل مدة الحمل اى فقد قال الحكماء فى بيان سبب ذلك أن الولد عند استكماله سبعة أشهر يتحرك للخروج حركة عنيفة أقوى من حركته فى الشهر السادس فان خرج عاش وان لم يخرج استراح فى البطن عقب تلك الحركة المضعفة له فلا يتحرك فى الشهر الثامن ولذلك تقل حركته فى البطن فى ذلك الشهر فاذا تحرك للخروج وخرج فقد ضعف غاية الضعف فلا يعيش لاستيلاء حركتين مضعفتين له مع ضعفه وفى كلام الشيخ محيى الدين بن العربى رحمه الله تعالى لم أر للثمانية صورة فى نجوم المنازل ولهذا كان المولود اذا ولد فى الشهر الثامن يموت ولا يعيش وعلى فرض أن يعيش يكون معلولا لا ينتفع بنفسه وذلك لان الشهر الثامن يغلب فيه على الجنين البرد واليبس وهو طبع الموت اى وقيل بل كان حمله ووضعه فى ساعة واحدة وقيل فى ثلاث ساعات اى وقيل بذلك فى عيسى عليه السلام اى وكانت تلك السنة التى حمل فيها برسول الله صلى الله عليه وسلم يقال لها سنة الفتح والابتهاج فان قريشا كانت قبل ذلك فى جدب وضيق عظيم فاخضرت الارض وحملت الاشجار وأتاهم الرغد من كل جانب فى تلك السنة وفى حديث مطعون فيه قد أذن الله تلك السنة لنساء الدنيا ان يحملن ذكورا كرامة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اى ولم أقف على ما يجرى على ألسنة المداح من أنه صلى الله عليه وسلم كان يذكر الله فى بطن أمه كما نقل عن عيسى عليه السلام انه كان يكلم أمه اذا خلت عن الناس ويسبح الله ويذكره اذا كانت مع الناس وهى تسمع وعن شداد بن أوس رضى الله تعالى عنه قال بينا نحن جلوس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أقبل شيخ كبير من بنى عامر هو مدرة قومه اى المقدم فيهم يتوكأ على عصا فمثل بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم ونسبه الى جده فقال يا ابن عبد المطلب انى انبئت انك تزعم انك رسول الله الى الناس أرسلك بما أرسل به ابراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الانبياء الا انك فهت بعظيم وانما كانت الانبياء والخلفاء اى معظمهم فى بيتين من بنى اسرائيل وأنت ممن يعبد هذه الحجارة والاوثان

أبو سعيد صاحب اربل وألف له الحافظ ابن دحية تأليفا سماه التنوير فى مولد البشير النذير فأجازه الملك المظفر بألف دينار وصنع الملك المظفر المولد وكان يعمله فى ربيع الاول ويحتفل به احتفالا هائلا وكان شهما شجاعا بطلا عاقلا عالما عادلا وطالت مدته فى الملك الى أن مات وهو محاصر الفرنج بمدينة عكا سنة ثلاثين وستمائة محمود السيرة والسريرة قال سبط ابن الجوزى فى مرآة الزمان حكى لى بعض من حضر سماط المظفر فى بعض الموالد فذكر أنه عد فيه خمسة آلاف رأس غنم شواء وعشرة آلاف دجاجة ومائة ألف زبدية وثلاثين ألف صحن حلوى وكان يحضر عنده فى المولد أعيان العلماء والصوفية فيخلع عليهم ويطلق لهم البخور وكان يصرف على المولد ثلثمائة ألف دينار واستنبط الحافظ ابن حجر تخريج عمل المولد على أصل ثابت فى السنة وهو ما فى الصحيحين أن النبى صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم فقالوا هو يوم أغرق الله فيه فرعون ونجى موسى ونحن نصومه شكرا فقال نحن أولى بموسى منكم وقد جوزى أبو لهب بتخفيف العذاب عنه يوم الاثنين بسبب اعتاقه ثويبة لما بشرته بولادته صلى الله عليه وسلم وانه يخرج له من بين اصبعيه ماء يشرب به كما أخبر بذلك العباس فى منام رأى فيه أبا لهب ورحم الله القائل وهو حافظ الشام شمس الدين محمد بن ناصر حيث قال

اذا كان هذا كافر جاء ذمه * وتبت يداه فى الجحيم مخلدا
اتى انه فى يوم الاثنين دائما * يخفف عنه للسرور بأحمدا
فما الظن بالعبد الذى كان عمره * بأحمد مسرورا ومات موحدا

(باب فى ذكر شئ من الخوارق التى ظهرت فى زمن رضاعه صلى الله عليه وسلم) أول من ارضعه صلى الله عليه وسلم أمه ثم ثويبة

الاسلمية مولاة ابى لهب التى اعتقها حين بشرته بولادته صلى الله عليه وسلم * واختلفوا فى انها ادركت البعثة وأسلمت ام لا وكان من عادة العرب اذا ولد لهم مولود يلتمسون له مرضعة من غير نسائهم ليكون أنجب للولد وأفصح له فجاء نسوة من بنى سعد الى مكة يلتمسون الرضعاء ومعهم حليمة السعدية ٦٢ فكل امرأة أخذت رضيعا الا حليمة قالت حليمة فما منا امرأة الا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه اذا قيل لها يتيم فلما أجمعنا الانطلاق اى عزمنا عليه قلت لصاحبى تعنى زوجها والله انى لاكره أن أرجع من بين صواحبى ولم آخذ رضيعا والله لاذهبن الى ذلك فلآخذنه فقال لا بأس عليك أن تفعلى عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة فذهبت اليه فأخذته وفى رواية قالت فاستقبلنى عبد المطلب فقال من أنت فقلت امرأة من بنى سعد فقال ما اسمك فقلت حليمة فتبسم عبد المطلب وقال بخ بخ سعد وحلم خصلتان فيهما خير الدهر وعز الابد يا حليمة ان عندى غلاما يتيما وقد عرضته على نساء بنى سعد فأبين ان يقبلن وقلن ما عند اليتيم من الخير انما نلتمس الكرامة من الآباء فهل لك أن ترضعيه فعسى أن تسعدى به فقلت ألا تذرنى حتى أشاور صاحبى قال بلى فانصرفت الى صاحبى فأخبرته فكأن الله قذف فى قلبه فرحا وسرورا فقال لى يا حليمة خذيه فرجعت الى عبد المطلب فوجدته قاعدا ينتظرنى فقلت هلم الصبى فاستهل وجهه فرحا فأخذنى وأدخلنى بيت آمنة فقالت لى اهلا وسهلا وادخلتنى فى البيت الذى فيه محمد صلى الله عليه وسلم فاذا هو مدرج فى ثوب صوف امرلك ابيض من اللبن وتحته حريرة خضراء راقد عليها على قفاه يغط تفوح منه رائحة المسك فاشفقت اى خفت ان اوقظه من نومه لحسنه وجماله فوضعت يدى على صدره فتبسم ضاحكا وفتح عينيه الى فخرج منهما نور حتى دخل عنان السماء وأنا انظر فقبلته

فالك وللنبوة ولكن لكل حق حقيقة فانبئنى بحقيقة قولك وبدء شأنك قال فأعجب النبى صلى الله عليه وسلم بمسئلته ثم قال يا أخا بنى عامر ان لهذا الحديث الذى سألتنى عنه نبأ ومجلسا فاجلس فثنى رجليه ثم برك كما يبرك البعير فاستقبله النبى صلى الله عليه وسلم بالحديث فقال يا اخا بنى عامر ان حقيقة قولى وبدء شأنى انى دعوة ابى ابراهيم عليه السلام اى حيث قال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم اى وعند ذلك قيل له قد استجيب لك وهو كائن فى آخر الزمان كذا فى تفسير ابن جرير قال فى ينبوع الحياة أجمعوا على ان الرسول المذكور ههنا هو محمد صلى الله عليه وسلم (أقول) وفيه ان جبريل عليه السلام أعلم ابراهيم عليه السلام قبل ذلك بأنه يوجد نبى من العرب من ذريه ولده اسمعيل فقد جاء ان ابراهيم لما أمر باخراج هاجر أم ولده اسمعيل عليه السلام حمل هو وهى وولدها على البراق فلما أتى مكة قال له جبريل انزل فقال حيث لا زرع ولا ضرع قال نعم ههنا يخرج النبى الامى من ذرية ولدك يعنى اسمعيل عليه السلام الذى تتم به الكلمة العليا الا أن يقال الغرض من دعائه صلى الله عليه وسلم بذلك تحقيق حصوله وتقدم ان أم اسمعيل قالت لابراهيم ما قاله لجبريل والله أعلم ثم قال وبشرى أخى عيسى وفى رواية ان آخر من بشر بى عيسى عليه السلام اى آخر نبى بشر بى من الانبياء عيسى بدليل الرواية الاخرى وكان آخر من بشر بى عيسى لان الانبياء بشرت به قومها والى ذلك يشير صاحب الهمزية بقوله

مامضت فترة من الرسل الا * بشرت قومها بك الانبياء

وبشرى عيسى فى قوله تعالى واذ قال عيسى بن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد اى والمبشر بهم من الانبياء قبل وجودهم أيضا أربعة اسحق ويعقوب ويحيى وعيسى قال الله تعالى فى حق سارة فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب قيل بشرت بأن تبقى الى أن يولد يعقوب لولدها اسحق وقال فى حق زكريا ان الله يبشرك بيحيى وقال فى حق مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح ثم قال وانى كنت بكر أبى وأمى وانها حملتنى كأثقل ماتحمل النساء وجعلت تشكو الى صواحبها ثقل ماتجد ثم انها رأت فى المنام ان الذى فى بطنها خرج نورا قالت فجعلت أتبع بصرى النور والنور يسبق بصرى حتى أضاءت له مشارق الارض ومغاربها الحديث وسيأتى تتمته فى الرضاع اى وقال ابن الجوزى ممن روى عن أمه صلى الله عليه وسلم هو صلى الله عليه وسلم لما قيل له يا رسول الله ما كان بدء

بثن ضيفه وحالته وما حملنى على اخذه اى فى ابتداء الامر الا انى لم أجد غيره والافما ذكرته من أوصافه مقتض لاخذه وفى شرح الزرقانى على المواهب انها لما دخلت عليه صلى الله عليه وسلم سمع جده هاتفا يقول

ان ابن آمنة الامين محمدا * خير الانام وخيرة الاخيار
ما ان له غير الحليمة مرضع * نعم الامينة هى على الابرار
مأمونة من كل عيب فاحش * ونقية الاثواب والاوزار
لاتسلمنه الى سواها انه * أمر وحكم جاء من جبار

أمرك قال دعوة أبى ابراهيم وبشرى عيسى ورؤيا أمى قالت خرج منى نور أضاءت له قصور الشام قال الحافظ أبو نعيم الثقل الذى وقع فى هذه الرواية كان فى ابتداء الحمل والخفة التى جاءت فيما سبق من الروايات كانت عند استمرار الحمل ليكون ذلك خارجا عن المعتاد كذا قال (أقول) قد قدمنا أنه يجوز أن يكون هذا الثقل الواقع فى ابتداء الحمل كان بعد اخبار الملك لها بالحمل فلا يخالف ما سبق وفيه ما سبق والجواب عنه لكن تقدم عن الزهرى قال قالت آمنة لقد علقت به فما وجدت له مشقة حتى وضعته ويمكن أن يكون المراد بالمشقة ما تقدم فى بعض الروايات لم تشتك وجعا ولا مغصا ولا ريحا ولا ما يعرض لذوات الحمل من النساء اى فمع وجود الثقل لم يحصل لها المشقة المذكورة وحينئذ لا ينافى ذلك شكواها ما تجده من ثقله والله تعالى أعلم

(باب وفاة والده صلى الله عليه وسلم)

عن ابن اسحق لم يلبث عبد الله بن عبد المطلب ان توفى وأم رسول الله صلى الله عليه وسلم حامل به اى كما عليه اكثر العلماء ○ اى وصححه الحافظ الدمياطى وسيأتى فى بعض الروايات ما يدل على ان ذلك من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم فى الكتب القديمة قيل وان موت والده صلى الله عليه وسلم كان بعد ان تم لها من حملها شهران وقيل قبل ولادته بشهرين وقيل كان فى المهد حين توفى ابوه ابن شهرين وذكر السهيلى ان عليه اكثر العلماء فليتأمل مع ما قبله وقيل كان ابن سبعة اشهر اى وقيل ابن تسعة اشهر قيل وعليه الاكثرون والحق انه قول كثيرين لا الاكثرين ○ وقيل ابن ثمانية عشر شهرا وقيل ابن ثمانية وعشرين شهرا اى وما يأتى فى الرضاع من ان المراضع أبته ليتمه يخالفه لتمام زمن الرضاع وكذا يخالف القول الذى قبله لانه لم يبق من زمن الرضاع الاشهران وكانت وفاته بالمدينة خرج اليها يمتار تمرا اولزيارة أخواله اى اخوال أبيه عبد المطلب ○ بنى عدى بن النجار اى ولا مانع من قصد الامرين معا وقيل خرج الى غزة فى عير من عيرات قريش والعيرات بكسر العين وفتح المثناة تحت جمع عير وهى التى تحمل الميرة خرجوا للتجارة ففرغوا من تجارتهم وانصرفوا فمروا بالمدينة وعبد الله مريض فقال انا أتخلف عند اخوالى بنى عدى بن النجار والنجار هذا اسمه تيم وقيل له النجار لانه اختتن بقدوم اى وهو آلة النجار وقيل لانه نجر وجه رجل بقدوم فأقام عندهم مريضا شهرا اى وهذا أثبت من الاول ○ ومضى أصحابه فقدموا مكة فسألهم أبوه عبد المطلب عنه فقالوا خلفناه عند أخواله بنى عدى بن النجار وهو مريض فبعث اليه أخاه

قالت حليمة ثم أعطيته ثديى الايمن فأقبل عليه بما شاء من لبن ثم حولته الى الايسر فأبى وكانت تلك حاله بعد قال أهل العلم ألهمه الله ان له شريكا فعدل وفى رواية ان أحد ثديى حليمة كان لايدر اللبن فلما وضعته فى فم رسول الله صلى الله عليه وسلم در اللبن منه قالت وشرب أخوه معه حتى روى ثم نام وما كانا ننام معه قبل ذلك اى لعدم نومه من الجوع قالت وقام زوجى الى شارفنا فاذا هى حافل اى ممتلئة الضرع من اللبن فحلب منها ما شرب وشربت حتى انتهينا ريا وشبعا وبتنا بخير ليلة يقول صواحبى حين اصبحنا والله يا حليمة لقد أخذنا نسمة مباركة فقلت والله انى لارجو ذلك ثم خرجنا وركبت أتانى وحملته معى عليها فوالله انها قطعت بالركب ما يقدر على مرافقتها شئ من حمرهم حتى ان صواحبى يقلن لى يا بنت أبى ذؤيب ويحك اربعى علينا اى اعطفى علينا بالرفق وعدم الشدة فى السير اليست هذه اتانك التى كنت عليها تخفضك طورا وترفعك طورا آخر فاقول لهن بلى والله انها لهى فيقلن والله ان لها لشأنا قالت حليمة وكنت اسمع أتانى تنطق وتقول والله ان لى لشأنا ثم شأنا بعثنى الله بعد موتى ورد لى سمنى بعد هزالى ويحكن يا نساء بنى سعد انكن لفى غفلة وهل تدرين من على ظهرى خير النبيين وسيد

المرسلين وخير الأولين والآخرين وحبيب رب العالمين ذكره في السيرة الحلبية وذكر انها لما أرادت فراق مكة رأت تلك الاتان سجدت أو خفضت رأسها نحو الكعبة ثلاث سجدات ورفعت رأسها الى السماء ثم مشت قالت ثم قدمنا منازلنا بنى سعد ولا أعلم ارضا من أرض الله أجدب منها ٦٤ فكانت غنمي تروح علىّ حين قدمنا شباعا لبنا اى غزيرات اللبن فنحلب ونشرب وفي رواية فنحلب ماشاء الله وما يحلب انسان قطرة لبن ولا يجدها في ضرع حتى كان المقيم في المنازل من قومنا يقول لرعاتهم ويحكم اسرحوا حيث يسرح راعى بنت ابي ذؤيب يعنونني فتروح أغنامهم جياعا ماتبض بقطرة لبن وتروح غنمي شباعا لبنا فلم نزل نعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفطمته وكان يشب شبابا لا يشبه الغلمان فلم يقطع سنتيه حتى كان غلاما جفرا اى غليظا شديدا وعن حليمة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ شهرين يحبى الى كل جانب وفي ثلاثة أشهر كان يقوم على قدميه وفي أربعة كان يمسك الجدار ويمشى وفي خمسة حصلت له القدرة على المشى فلما بلغ ثمانية أشهر كان يتكلم بحيث يسمع كلامه ولما بلغ تسعة اشهر كان يتكلم بالكلام الفصيح ولما بلغ عشرة أشهر كان يرمى بالسهام مع الصبيان وعن حليمة أيضا رضى الله عنها قالت انه لفى حجرى اذ مرت بنا غنيمات فأقبلت واحدة منهن حتى سجدت له وقبلت رأسه ثم ذهبت الى صواحبها قالت رضى الله عنها وكان ينزل عليه كل يوم نور كنور الشمس ثم ينجلي عنه والى قصة ارضاعه صلى الله عليه وسلم يشير صاحب الهمزية حيث يقول

وبدت في رضاعه معجزات * ليس فيها عن العيون خفاء
اذ أبته ليتمه مرضعات * قلن مافى اليتيم عنا غناء

الحرث وهو اكبر اولاد عبد المطلب كما تقدم اى ومن ثم كان يكنى به ولم يدرك الاسلام فوجده قد توفى اى وفي أسد الغابة ان عبد المطلب ارسل اليه ابنه الزبير شقيق عبد الله فشهد وفاته ودفن في دار التابعة بالتاء المثناة فوق والباء الموحدة والعين المهملة اى وهو رجل من بنى عدى بن النجار اى فقد جاء انه صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة ونظر الى تلك الدار عرفها وقال ههنا نزلت بى أمى وفي هذه الدار قبر ابى عبد الله واحسنت العوم في بئر بنى عدى بن النجار ومن هذا وما جاء عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهم انه صلى الله عليه وسلم كان هو واصحابه يسبحون في غدير اى في الجحفة فقال النبي عليه السلام لاصحابه ليسبح كل رجل منكم الى صاحبه فسبح كل رجل الى صاحبه وبقى النبي عليه السلام وابو بكر فسبح النبي عليه السلام الى ابى بكر رضى الله تعالى عنه حتى اعتنقه وقال أنا وصاحبى انا وصاحبى وفي رواية أنا الى صاحبى انا الى صاحبى يعلم رد قول بعضهم وقد سئل هل عام صلى الله عليه وسلم الظاهر لا لانه لم يثبت أنه صلى الله عليه وسلم سافر في بحر ولا بالحرمين بحر قال وقيل قد توفى ودفن ابوه بالابواء محل بين مكة والمدينة اه (اقول) سيأتى ان الذى بالابواء قبر امه صلى الله عليه وسلم على الاصح فلعل قائل ذلك اشتبه عليه الامر لانه يجوز ان يكون سمعه صلى الله عليه وسلم يقول وهو بالابواء هذا قبر احد ابوى وقد ذكر بعضهم في حكمة تربيته صلى الله عليه وسلم يتيما مالا نطيل به وقد جاء ارحموا اليتامى وأكرموا الغرباء فانى كنت في الصغر يتيما وفي الكبر غريبا وقد جاء ان الله ينظر كل يوم الى الغريب الف نظرة والله أعلم واورد الخطيب عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان الله احيا له اباه وآمن به وفي المواهب احيا الله له ابويه حتى آمنا به قال السهيلى وفي اسناده مجاهيل وقال الحافظ ابن كثير انه حديث منكر جدا وسنده مجهول وقال ابن دحية هو حديث موضوع قال ويرده القرآن والاجماع وعلى ثبوته يكون ناسخا اى معارضا لقوله صلى الله عليه وسلم وقد سأله رجل ابن ابى فقال في النار فلما قفا اى ولى دعاه وقال له ان ابى واباك في النار وفيه ان هذا رواه مسلم فلا يكون ذلك الحديث ناسخا اى معارضا له (أقول) هو على تقدير ثبوته يكون معارضا على ان حديث مسلم هذا لم تتفق الرواة على قوله فيه ان ابى واباك في النار وهذه اللفظة انما رواها حماد بن سلمة عن ثابت عن انس وخالفه معمر عن ثابت عن انس فروى بدل ذلك اذا مررت بقبر كافر فبشره بالنار وقد نصوا على ان معمرا أثبت من حماد فان حمادا تكلم في حفظه ووقع في احاديثه مناكير ذكروا ان ربيبه دسها في كتبه وكان حماد لا يحفظ فحدث بها فوهم فيها واما معمر فلم

يتكلم

فأتته من آل سعد فتاة * قد أبتها لفقرها الرضعاء
ارضعته لبانها فسقتها * وبنيها ألبانهن الشاء
اصبحت شولا عجافا وأمست * مابها شائل ولا عجفاء
اخصب العيش عندها بعد محل * اذ غدا للنبي منها غذاء
يا لها منة لقد ضوعف الاجر عليها من جنسها والجزاء ٦٥
واذا سخر الاله أناسا * لسعيد فانهم سعداء

وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال كان اول كلام تكلم به صلى الله عليه وسلم حين فطم الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا وتكلم بهذا ايضا عند خروجه من بطن أمه كما تقدم وفى رواية اول كلام تكلم به فى بعض الليالى وهو عند حليمة لا اله الا الله قدوسا قدوسا نامت العيون والرحمن لا تأخذه سنة ولا نوم وكان لا يمس شيأ الا قال بسم الله وعن حليمة رضى الله عنها قالت لما دخلت به الى منزلى لم يبق منزل من منازل بنى سعد الا شممنا منه ريح المسك وألقيت محبته واعتقاد بركته فى قلوب الناس حتى ان أحدهم كان اذا نزل به أذى فى جسده اخذ كفه صلى الله عليه وسلم فيضعها على موضع الاذى فيبرأ باذن الله تعالى سريعا وكذا اذا اعتل لهم بعير او شاة قالت حليمة رضى الله عنها فقدمنا مكة على أمه اى بعد أن بلغ سنتين ونحن احرص شئ على مكثه فينا لما نرى من بركته فكلمنا أمه وقلت لها لو تركت ابنى عندى حتى يغلظ وفى رواية قلنا نرجع به هذه السنة الاخرى

فانى أخشى عليه وباء مكة اى مرضها او وخمها فلم نزل بها حتى ردته معنا وقيل ان أمه آمنة رضى الله عنها قالت لحليمة رضى الله عنها ارجعى بابنى على الفور فانى اخاف عليه وباء مكة اى كما تخافين أنت ايضا عليه ذلك قالت حليمة فرجعنا به فوالله انه بعد مقدمنا بشهرين او ثلاثة مع اخيه تعنى من الرضاع لفى بهم لنا خلف بيوتنا اذ أتى اخوه يشتد اى يعدو فقال لى

يتكلم فى حفظه ولا استنكر شئ من حديثه وايضا ما رواه معمر ورد من حديث سعد بن ابى وقاص رضى الله تعالى عنه فقد اخرج البزار والطبرانى والبيهقى من طريق ابراهيم بن سعد عن الزهرى عن عائذ بن سعد عن ابيه أن اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أين ابى فقال فى النار قال فأين ابوك قال حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار وهذا الاسناد على شرط الشيخين فاللفظ الاول من تصرف الراوى رواه بالمعنى بحسب ما فهم فاخطأ وذكر الحافظ السيوطى أن مثل هذا وقع فى الصحيحين فى روايات كثيرة من ذلك حديث مسلم عن انس فى نفى قراءة البسملة والثابت من طريق آخر نفى سماعها ففهم منه الراوى نفى قراءتها فرواه بالمعنى على ما فهمه فأخطأ كذا أجاب امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه عن حديث نفى قراءة البسملة والذى ينبغى أن يقال يجوز أن يكون هذا اى ما فى الصحيح كان قبل أن يسأل الله تعالى أن يحييه له فأحياه وآمن به كما أشار اليه الاصل أو أنه قال ذلك لمصلحة ايمان ذلك السائل بدليل أنه لم يتدارك صلى الله عليه وسلم الا بعد ما وقع فظهر له صلى الله عليه وسلم من حاله أنه تعرض له فتنة اى يرتد عن الاسلام فأتى له بما هو شبيه بالمشاكلة مريدا بابيه عمه ابا طالب لا عبد الله لانه كان يقال لابى طالب قل لابنك يرجع عن شتم آلهتنا وقالوا له اعطنا ابنك وخذ هذا مكانه فقال اعطيكم ابنى تقتلونه الى غير ذلك مما يأتى على انه تقدم أن العرب تسمى العم أبا لا يقال على ثبوت هذا الحديث وصحته التى صرح بها غير واحد من الحفاظ ولم يلتفتوا لمن طعن فيه كيف ينفع الايمان بعد الموت لانا نقول هذا من جملة خصوصياته صلى الله عليه وسلم لكن قال بعضهم من ادعى الخصوصية فعليه الدليل اى لان الخصوصية لا تثبت بمجرد الاحتمال ولا تثبت الا بحديث صحيح وفى كلام القرطبى قد احيا الله سبحانه وتعالى على يديه صلى الله عليه وسلم جماعة من الموتى واذا ثبت ذلك فما يمنع ايمان أبويه بعد احيائهما ويكون ذلك زيادة فى كرامته وفضيلته صلى الله عليه وسلم ولو لم يكن احياء أبويه نافعا لايمانهما وتصديقهما لما احييا كما ان رد الشمس لو لم يكن نافعا فى بقاء الوقت لم ترد والله اعلم قال الواقدى المعروف عندنا وعند اهل العلم ان آمنة وعبد الله لم يلدا غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقل سبط ابن الجوزى ان عبد الله لم يتزوج قط غير آمنة ولم تتزوج آمنة قط غيره ونقل اجماع علماء النقل على ان آمنة لم تحمل بغير النبى صلى الله عليه وسلم ومعنى قولها لم أحمل حملا اخف منه المفيد أنها حملت بغيره صلى الله عليه وسلم أنه خرج على وجه المبالغة اه (اقول) هذه الرواية لم أقف عليها والذى تقدم ما رأيت من حمل

ولا بيه ذلك اخي القرشي قد اخذه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه فشقا بطنه فهما يسوطانه اي يدخلان يديهما في بطنه قالت فخرجت أنا وابوه نحوه فوجدناه قائما ممتقعا وجهه اي متغيرا لما ناله من رؤية الملائكة لا من الشق لانه بغير ألم قالت فالتزمته والتزمه ابوه فقلنا مالك يا بني ٦٦ قال جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فقال احدهما لصاحبه أهو هو قال نعم فاقبلا يبتدراني فأخذني فأضجعاني فشقا بطني فالتمسا فيه شيئا فوجداه وأخذاه وطرحاه ولا ادري ماهو قالت حليمة فرجعنا به الى خبائنا وقال لي ابوه يا حليمة لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد اصيب يعني بشيء من الجن فألحقيه باهله قبل أن يظهر ذلك به واخرجي من أمانتك وفي رواية قالت قال زوجي ارى أن تردّيه على أمه لتعالجه والله ان أصابه ما اصابه الا حسدا من آل فلان لما يرون من عظيم بركته قالت فحملناه وقدمنا به مكة على أمه قيل وهو ابن اربع وقيل خمس وقيل سنتين وأشهر وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن حليمة رضي الله عنها كانت تحدث أنه صلى الله عليه وسلم لما ترعرع كان يخرج فينظر الى الصبيان يلعبون فيجتنبهم فقال لي يا أماه مالي لا ارى اخوتي بالنهار يعني اخوته من الرضاع وهم اخوه عبد الله وأختاه أنيسة والشيماء اولاد الحرث قالت فدتك نفسي انهم يرعون غنمنا فيروحون من ليل الى ليل قال ابعثيني معهم فكان يخرج مسرورا ويعود مسرورا قالت فلما كان يوم من ذلك خرجوا فلما انتصف النهار أتاني اخوه وفي رواية ابنى ضمرة يعدو وفزعا وجبينه يرشح عرقا باكيا ينادي يا أمه ويا ابت الحقا أخي محمدا فما تلحقانه الا ميتا قلت وما قصته قال بينا نحن قيام اذ أتاه رجل فاختطفه من وسطنا وعلا ذروة الجبل ونحن ننظر اليه حتى شق صدره الى عانته ولا ادري مافعل به قالت حليمة فانطلقت أنا وابوه نسعى

هو أخف منه * وفي رواية اخرى حملت به فلم اجد حملا قط أخف منه على وجل الرؤية والوجدان على العلم الحاصل باخبار غيرها من ذوات الحمل لها عن حالهن ممكن فلا يقتضي ذلك أنها حملت بغيره ولا ينافيه قولها اخف علي لان المراد علي فيما علمت والله اعلم قال والحافظ ابن حجر نسب سبط ابن الجوزي في نقل الاجماع الى المجازفة فقال وجازف سبط ابن الجوزي كعادته في نقل الاجماع ولا يمتنع أن تكون آمنة اسقطت من عبد الله سقطا فأشارت بقولها المذكور اليه اه (أقول) وحينئذ تكون حملت بذلك السقط بعد ولادته صلى الله عليه وسلم بناء على أن والده صلى الله عليه وسلم لم يمت وهو حمل بل بعد وضعه وانها وجدت المشقة في حمل ذلك السقط وأن اخبارها بذلك تأخر عن حملها بذلك السقط وأنها رأت في حملها بذلك السقط من لشدة مالم تجده في حمله صلى الله عليه وسلم وأما حملها بذلك السقط قبل حملها به صلى الله عليه وسلم فلا يتأتى لمخالفته لما تقدم من أن عبد الله دخل بها حين أملك عليها وانتقل اليها النور عند ذلك ولانه يخرج بذلك عن كونه بكر أبيه وامه واما روايتها حملت الاولاد فما وجدت حملا فقال فيها الواقدي لا تعرف عند اهل العلم كما يناذلك في الكوكب المنير على أن امكان حملها بسقط لا يقدح في نقل الاجماع على أنها لم تحمل بغيره صلى الله عليه وسلم لامكان أن مراده حملا تاما وفي الخصائص الصغرى للجلال السيوطي ولم يلد أبواه غيره صلى الله عليه وسلم والله اعلم قال وترك عبد الله جاريته ام أيمن بركة الحبشية أسلمت قديما هي وولدها ايمن وكان من عبد حبشي يقال له عبيد اه (أقول) في كلام ابن الجوزي أنه صلى الله عليه وسلم أعتقها حين تزوج خديجة وزوجها عبيد الحبشي ابن زيد من بني الحرث فولدت له أيمن ولا ينافيه ما في الاصابة كانت أم أيمن تزوجت في الجاهلية بمكة عبيد الحبشي ابن زيد وكان قدم مكة واقام بها ثم نقل أم ايمن الى يثرب فولدت له ايمن ثم مات عنها فرجعت الى مكة فتزوجها زيد بن حارثة قاله البلاذري والله اعلم قال وقد زوجها صلى الله عليه وسلم اي بعد النبوة مولاه زيد بن حارثة اي واغا رغب زيد فيها لما سمعه صلى الله عليه وسلم يقول من سره أن يتزوج امرأة من اهل الجنة فليتزوج بام أيمن فجاءت منه بأسامة فكان يقال له الحب بن الحب (وقيل) أعتقها عبد الله قبل موته وقيل كانت لامه صلى الله عليه وسلم وترك اي عبد الله خمسة أجمال وقطعة من غنم فورث ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابيه اه اي فهو صلى الله عليه وسلم يرث ولا يورث قال صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة ودعوى بعضهم أنه صلى الله عليه وسلم

سعيا شديدا فاذا انحن به قاعدا على ذروة الجبل شاخصا ببصره الى السماء يتبسم ويضحك فاكببت عليه وقبلته بين عينيه وقلت فدتك نفسى ما الذى دهاك قال خيرا بينا أنا الساعة قائم اذ أتانى رهط ثلاثة بيد أحدهم ابريق فضة وفى يد الآخر طست من زمردة خضراء فأخذونى وانطلقوا بى الى ذروة الجبل فعمد أحدهم فأضجعنى الى الارض ثم شق من صدرى الى عانتى وأنا انظر اليه فلم اجد لذلك حسا ولا ألما الى آخر القصة وفى رواية أنها لما قدمت به مكة لترده بعد هذه القصة أضلته فى اعالى مكة فقالت انى قدمت بمحمد فى هذه الليلة فلما كنت باعالى مكة اضلنى فوالله ما ادرى اين هو فقام عبد المطلب يدعو الله أن يرده عليه وانشد

يارب رد ولدى محمدا
اردده ربى واصطنع عندى يدا

فسمع هاتفا من السماء يقول ايها الناس لا تضجوا ان لمحمد ربا لن يخذله وان يضيعه فقال عبد المطلب من لنا به فقال انه بوادى تهامة عند الشجرة اليمنى فركب عبد المطلب نحوه وتبعه ورقة بن نوفل فوجداه صلى الله عليه وسلم تحت شجرة يجذب غصنا من اغصانها فقال له جده من انت يا غلام فقال انا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قال وانا جدك فدتك نفسى واحتمله وعانقه وهو يبكى ثم رجع الى مكة وهو قدامه على قربوس فرسه ونحر الشاء والبقر وأطعم اهل مكة وعلى هذه القصة حمل بعض المفسرين قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى قيل ان هذه القصة تكررت وانه حصل له ضياع مرة اخرى ووجده ابو جهل فاركبه بين يديه على ناقته وجاء به الى جده وقال ماتدرى ما وقع من ابنك فسأله فقال أنخت الناقة واركبته من خلفى فأبت أن تقوم فأركبته امامى فقامت قالت حليمة فلما قدمت به قالت أمه ما اقدمك به ولقد كنت حريصة عليه وعلى مكثه عندك قالت قد بلغ الله وقضيت الذى على وتخوفت الاحداث فأديته عليك

لم يرث بناته اللاتى متن فى حياته فعلى تقدير صحته جاز أن يكون صلى الله عليه وسلم ترك أخذ ميراثه تعففا وسيأتى وقال ابن الجوزى وأصاب ام ايمن هذه عطش فى طريقها لما هاجرت اى الى المدينة على قدميها وليس معها أحد وذلك فى حر شديد فسمعت شيأ فوق رأسها فتدلى عليها من السماء دلو من ماء برشاء ابيض فشربت منه حتى رويت وكانت تقول ما اصابنى عطش بعد ذلك ولو تعرضت للعطش بالصوم فى الهواجر ما عطشت اى وفى مزيل الخفاء قال الواقدى كانت أم ايمن عسرة اللسان فكانت اذا دخلت على قوم قالت سلام لا عليكم اى بدل سلام الله عليكم فرخص لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تقول سلام عليكم او السلام عليكم هذا كلامه فليتأمل فان هذا يقتضى ان الصيغة الاصلية فى السلام سلام الله عليكم مع ان الصيغة فى السلام اما السلام عليكم أو سلام عليكم وكذا عليكم السلام ولم يذكر ائمتنا تلك الصيغة وعن عائشة رضى الله تعالى عنها شرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وأم ايمن عنده فقالت يارسول الله اسقنى فقلت لها ألرسول الله صلى الله عليه وسلم تقولين هذا فقالت ماخدمته اكثر فقال النبى صلى الله عليه وسلم صدقت فسقاها وذكر بعض المؤرخين ان بركة هذه من سبى الحبشة اصحاب الفيل وكانت سوداء اى لونها أسود ولهذا خرج ابنها اسامة فى السواد اى وكان أبوه زيد أبيض ومن ثم كان المنافقون يطعنون فى نسب اسامة ويقولون هذا ليس هو ابن زيد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتشوش من ذلك وقد روى الشيخان عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت دخل على النبى صلى الله عليه وسلم مسرورا فقال ألم ترى أن مجززا المدلجى قد دخل على فرأى اسامة وزيدا عليهما قطيفة قد غطيا رؤسهما وقد بدت أقدامهما فقال ان هذه الاقدام بعضها من بعض وقد جعل ائمتنا ذلك اصلا لوجوب الاخذ بقول القائف فى الحاق النسب قال الابى رحمه الله والمعروف أن الحبشية انما هى بركة أخرى جارية ام حبيبة قدمت معها من الحبشة وكانت تكنى أم يوسف كانت تخدم النبى صلى الله عليه وسلم اى وهى التى شربت بوله صلى الله عليه وسلم كما سيأتى قيل وورث صلى الله عليه وسلم من أبيه مولاه شقران وكان عبدا حبشيا فاعتقه بعد بدر وقيل اشتراه من عبد الرحمن بن عوف وأعتقه وقيل بل وهبه عبد الرحمن بن عوف له صلى الله عليه وسلم

(باب ذكر مولده صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم)

كما تصبين قالت ماشأنك فأصدقينى خبرك قالت فلم تدعنى حتى أخبرتها قالت فتخوفت عليه الشيطان قلت نعم قالت كلا والله ما للشيطان عليه سبيل وان لابنى هذا لشأنا ألا أخبرك خبره قلت بلى قالت رأيت حين حملت به انه خرج منى نور اضاءله قصور بصرى من ارض الشام ثم حملت به ٦٨ فوالله مارأيت اى علمت من حمل قط كان اخف منه ولا أيسر ووقع حين ولدته وانه لواضع يده بالارض وارفع رأسه الى السماء دعيه عنك وانطلقى راشدة وعن حليمة رضى الله عنها أنه مر بها جماعة من اليهود فقالت ألا تحدثونى عن ابنى هذا حملته امه كذا ووضعته كذا ورأت عند ولادته كذا وذكرت لهم كل ماسمعته من امه وكل مارأته هى بعد ان أخذته واسندت الجميع الى نفسها كأنها هى التى حملته ووضعته فقال أولئك اليهود بعضهم لبعض اقتلوه فقالوا أويتيم هو فقالت لا هذا أبوه وانا امه فقالوا لو كان يتيما لقتلناه لان ذلك عندهم من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم وعن حليمة ايضا رضى الله عنها انها نزلت به صلى الله عليه وسلم بسوق عكاظ وكان سوقا للجاهلية بين الطائف ونخلة المحل المعروف كانت العرب اذا قصدت الحج اقامت بهذا السوق شهر شوال يتفاخرون ويتناشدون الاشعار ويبيعون ويشترون وانما سمى عكاظ لان المعاكظة المفاخرة يقال عكظ الرجل صاحبه اذا فاخره وغلبه فى المفاخرة قيل كان سوق عكاظ لثقيف وقيس عيلان فلما وصلت حليمة به سوق عكاظ رآه كاهن من الكهان فقال يا اهل عكاظ اقتلوا هذا الغلام فان له ملكا

صرح

فزاغت اى مالت به وحادت عن الطريق فأنجاه الله وفى الوفاء للسيد السمهودى لما قامت سوق عكاظ انطلقت حليمة برسول الله صلى الله عليه وسلم الى عراف من هذيل يريه الناس صبيانهم فلما نظر اليه صاح يامعشر هذيل يامعشر العرب فاجتمع الناس من

عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم مسرورا اى مقطوع السرة وجاء أن ابراهيم عليه الصلاة والسلام حين ولد نزل جبريل عليه السلام وقطع سرته وأذن فى اذنه وكساه ثوبا ابيض وولد نبينا صلى الله عليه وسلم مختونا اى على صورة المختون اى ومكحولا ونظيفا ما به قذر (أقول) اى لم يصاحبه قذر وبلل فلا ينافى جواز وجود البلل والقذر بعده اى فى زمن امكان النفاس فلا يستدل بذلك على أن امه صلى الله عليه وسلم لم تر نفاسا فان النفاس عندنا معاشر الشافعية هو البلل الحاصل بعد الولادة فى زمن امكانه وهو قبل مضى خمسة عشر يوما لا الحاصل مع الولد والله اعلم قال وعن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كرامتى على ربى انى ولدت مختونا ولم ير احد سوأتى اى الا يرى احد سوأتى عند الختان قال الحاكم تواترت الاخبار بانه صلى الله عليه وسلم ولد مختونا وتعقبه الذهبى فقال ما اعلم صحة ذلك فكيف يكون متواترا واجيب بانه أراد بالتواتر الاشتهار فقد جاءت أحاديث كثيرة فى ذلك قال الحافظ ابن كثير فمن الحفاظ من صححها ومنهم من ضعفها ومنهم من رآها من الحسان اى وقد يدعى أنه لا مخالفة بين هذه الاقوال الثلاثة لانه يجوز أن يكون من قال صحيحة أراد صحيحة لغيرها والصحيحة لغيرها قد تكون حسنة لغيرها ومن قال ضعيفة أراد فى حد ذاتها وفى الهدى ان الشيخ جمال الدين بن طلحة صنف فى أنه ولد مختونا مصنفا اجلب فيه من الاحاديث التى لاخطام لها ولا زمام ورد عليه فى ذلك الشيخ جمال الدين بن العديم وذكر أنه صلى الله عليه وسلم ختن على عادة العرب وولد من الانبياء على صورة المختون ايضا غير نبينا صلى الله عليه وسلم ستة عشر نبيا وقد نظم الجميع بعضهم فقال

وفى الرسل مختون لعمرك خلقة * ثمان وتسع طيبون اكارم
وهم زكريا شيث ادريس يوسف * وحنظلة عيسى وموسى وآدم
ونوح شعيب سام لوط وصالح * سليمان يحيى هود يس خاتم

وليس هذا من خصائص الانبياء عليهم الصلاة والسلام بل غيرهم من الناس يولد كذلك ومن خرافات العامة أن يقولوا لمن يولد كذلك ختنه القمر اى لان العرب تزعم ان المولود فى القمر تنفسخ قلفته فيصير كالمختون وربما قالت العامة ختنته الملائكة وبهذا يرد على ماذكره الجلال السيوطى فى الخصائص الصغرى ان من خصائصه صلى الله عليه وسلم ولادته مختونا وقيل ختن صلى الله عليه وسلم اى ختنه الملك الذى هو جبريل كما

اهل الموسم فقال اقتلوا هذا الصبي فانسلت به حليمة فجعل الناس يقولون اي صبي هذا فقال هذا الصبي فلا يرون احدا فيه قال له ماهو فيقول رأيت غلاما والآلهة ليقتلن اهل دينكم وليكسرن آلهتكم وليظهرن امره عليكم فطلب فلم يوجد وعنها رضي الله تعالى عنها أنها لما رجعت به مرت بذي المجاز وهو سوق للجاهلية على فرسخ ٦٩ من عرفة اي وهذا السوق قبله سوق مجنة كانت العرب تنتقل اليه بعد انقضائهم من سوق عكاظ فتقيم به عشرين يوما من ذي القعدة ثم تنتقل الى هذا السوق الذي هو سوق ذي المجاز فتقيم به الى أيام الحج وكان بهذا السوق عراف اي منجم يأتون اليه بالصبيان ينظر اليهم فلما نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اي نظر الى خاتم النبوة والى الحمرة في عينيه صاح يا معشر العرب اقتلوا هذا الصبي فليقتلن أهل دينكم وليكسرن اصنامكم وليظهرن امره عليكم ان هذا لينتظر امرا من السماء وجعل يغري بالنبي صلى الله عليه وسلم فلم يلبث أن وله فذهب عقله حتى مات وفي السيرة الشامية ان نفرا نصارى من الحبشة رأوه مع امه السعدية حين رجعت به الى أمه بعد فطامه فنظروا اليه وقبلوه ورأوا خاتم النبوة بين كتفيه وحمرة في عينيه وقالوا لها هل يشتكي عينيه قالت لا ولكن هذه الحمرة لا تفارقه ثم قالوا لها لنأخذن هذا الغلام فلنذهبن به الى ملكنا وبلدنا فان هذا الغلام كائن له شأن نحن نعرف امره فأبت وأتت به الى أمه وقصة شق الصدر جاءت بروايات كثيرة في بعضها عنه صلى الله عليه وسلم بعد أن ذكر القصة قال بينا نحن كذلك اذ بالحي قد أقبلوا بحذافيرهم اي بأجمعهم واذا بظئري اي مرضعتي أمام الحي تهتف اي تصيح باعلى صوتها وتقول واضعيفاه فأكبوا علي يعني الملائكة وضموني الى صدورهم وقبلوا رأسي وما بين عيني وقالوا حبذا أنت من ضعيف ثم

صرح به بعضهم يوم شق قلبه صلى الله عليه وسلم عند ظئره اي مرضعته حليمة قال الذهبي انه خبر منكر وقيل ختنه جده يوم سابع ولادته صلى الله عليه وسلم قال العراقي وسنده غير صحيح اه اي لما عق عنه صلى الله عليه وسلم بكبش كما سيأتي (أقول) وقد يجمع بانه يجوز أن يكون ولد مختونا غير تام الختان كما هو الغالب في ذلك فتمم جده ختانه لكن ينازع فيه ما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم من كرامتي على ربي اني ولدت مختونا ولم ير احد سوأتي اي لاجل الختان كما هو الظاهر ان صح كما قدمناه وفي كلام بعضهم ان عيسى عليه السلام ختن بآلة وعلى صحته يجمع بنحو ما تقدم والظاهر أن المراد بالآلة التي ختن بها عيسى والتي ختن بها صلى الله عليه وسلم بناء على ان جده ختنه كانت بالآلة المعروفة التي هي الموسى والانقلت لان ذلك مما تتوفر الدواعي على نقله لا يقال عدم وجود القلفة نقص من اصل الخلقة الانسانية فقد قالوا في حكمة وجود العلقة السوداء التي هي حظ الشيطان فيه ولم يخلق بدونها بل خلق بها تكملة للخلق الانساني لانا نقول انما لم يخلق بتلك القلفة ليحصل كمال الخلقة الانسانية لان هذه القلفة لما كانت تزال ولا بد من كل احد مع ما يلزم على ازالتها من كشف العورة كان نقص الخلقة الانسانية عنها عين الكمال بخلاف العلقة السوداء وكره الحسن أن يختن الولد يوم السابع لان فيه تشبها باليهود اي لان ابراهيم عليه السلام لما ختن ولده اسحق عليه السلام يوم سابع ولادته اتخذه بنو اسرائيل في ذلك اليوم سنة وختن ولده اسمعيل عليه السلام لثلاث عشرة سنة قال ابو العباس بن تيمية فصار ختان اسمعيل عليه السلام اي في ذلك الوقت سنة في ولده يعني العرب ويؤيده قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كانوا لا يختنون الغلام حتى يدرك اي لان الثلاث عشر هي مظنة الادراك ومن ثم لما سئل ابن عباس عن سنه حين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأنا يومئذ مختون اي في أوائل زمن الختان والله اعلم ولما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع على الارض مقبوضة اصابع يده يشير بالسبابة كالمسبح بها (أقول) وفي رواية عن امه أنها قالت لما خرج من بطني نظرت اليه فاذا هو ساجد قد رفع اصبعيه كالمتضرع المبتهل ولا مخالفة لجواز أن يراد باصبعيه السبابتان من اليدين والله اعلم وفي سجوده اشارة الى أن مبدأ امره على القرب من الحضرة الالهية قال وروى ابن سعد أنه صلى الله عليه وسلم لما ولد وقع على يديه رافعا رأسه الى السماء وفي رواية وقع على كفيه وركبتيه شاخصا ببصره الى السماء اه (أقول) وفي رواية وقع جاثيا على ركبتيه ولا يخالف هذا ما سبق

قالت ظئرى واوحيداه فأكبوا على فضموني الى صدورهم وقبلوا رأسى ومابين عينى وقالوا حبذا أنت من وحيد وما أنت بوحيد ان الله معك وملائكته والمؤمنين من اهل الارض ثم قالت ظئرى وايتيماه استضعفت من بين أصحابك فقتلت لضعفك فأكبوا على وضموني الى صدورهم ٧٠ وقبلوا رأسى ومابين عينى وقالوا حبذا أنت من يتيم ما أكرمك على الله لو تعلم ما اريد بك من الخير اقرت عينك فوصلوا يعنى الحى الى شفير الوادى فلما ابصرتنى أمى وهى ظئرى قالت لا أراك الاحيا بعد فخاءت حتى اكبت على وضمتنى الى صدرها فوالذى نفسى بيده انى فى حجرها قد ضمتنى اليها ويدى فى ايديهم يعنى الملائكة والقوم لا يعرفونهم اى لا يبصرونهم فأقبل بعض القوم يقول ان هذا الغلام قد اصابه لمم اى طرف من الجنون او طائف من الجن وهى اللمة فانطلقوا به الى كاهن حتى ينظر اليه ويداويه فقلت يا هؤلاء مابى مما تذكرون شئ ان آرابى اى أعضائى سليمة وفؤادى صحيح وليس بى قلبة اى علة فقال ابى وهو زوج ظئرى ألا ترون كلامه صحيحا انى لارجو أن لا يكون بابنى بأس واتفقوا على أن يذهبوا بى الى الكاهن فلما انصرفوا بى اليه قصوا عليه قصتى فقال اسكتوا حتى اسمع من الغلام فانه اعلم بامره منكم فسألنى فقصصت عليه امرى من اوله الى آخره فوثب الى وضمنى الى صدره ثم نادى باعلى صوته ياللعرب ياللعرب من شر قد اقترب اقتلوا هذا الغلام واقتلونى معه فواللات والعزى لئن تركتموه وأدرك مدرك الرجال ليبدلن دينكم وليسفهن عقولكم المهملة وعقول آبائكم وليخالفن امركم وليأتينكم بدين لم تسمعوا بمثله فعمدت ظئرى فنزعتنى من حجره وقالت لانت أعته واجن ولو علمت ان هذا قولك ما اتيتك به فاطلب لنفسك من يقتلك فانا غير قاتلى هذا الغلام ثم احتملونى الى أهلهم ثم اصبحت فزعا مما

من أنها نظرت اليه فاذا هو ساجد لجواز أن يكون سجوده بعد رفع رأسه وشخوص بصره الى السماء ولا مخالفة بين كونه وقع على الارض مقبوضة اصابع يده ووقوعه على كفيه لجواز أن يكون قبض اصابعه ماعدا السبابة بعد ذلك ولا ينافيه قوله مقبوضة المنصوب على الحال لقرب زمنهما من الوقوع على الارض والاقتصار على الركبتين لا ينافى الجمع بينهما وبين الكفين ورأيت فى كلام بعضهم أنه صلى الله عليه وسلم ولد واضعا احدى يديه على عينيه والاخرى على سوأتيه فليتأمل والله اعلم والى رفع رأسه صلى الله عليه وسلم وشخوص بصره الى السماء يشير صاحب الهمزية بقوله

رافعا رأسه وفى ذلك الرفـ * ـع الى كل سودد ايماء

رامقا طرفه السماء ومرمى * عين من شأنه العلو العلاء

اى وضعته حالة كونه رافعا رأسه الى السماء وفى ذلك الرفع الذى هو اول فعل وقع منه بعد بروزه صلى الله عليه وسلم الى هذا العالم اشارة الى حصول كل رفعة وسيادة ووضعته حالة كونه رامقا ببصره الى السماء وسر ذلك الاشارة الى علو مرماه اذ مرمى عين الذى قصده ارتفاع مكانه الرفعة والشرف قال وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم قبض قبضة من تراب وأهوى ساجدا فبلغ ذلك رجلا من بنى لهب فقال لصاحبه لئن صدق هذا الفأل ليغلبن هذا المولود اهل الارض اى لانه قبض عليها وصارت فى يده والفأل بالهمز وبدونه يقال فيما يسر والتطير فيما يسوء فالفأل ضد الطيرة بكسر الطاء وقد جاء انى أتفاءل ولا أتطير وقيل له صلى الله عليه وسلم ما الفأل قال الكلمة الصالحة يسمعها احدكم وقال صلى الله عليه وسلم لا عدوى ولا طيرة ويعجبنى الفأل الكلمة الحسنة والكلمة الطيبة وفى رواية واحب الفأل الصالح وفرق بعضهم بين الفأل والتفاؤل بان الاول يكون فى سماع الآدميين والثانى يكون فى الطير باسمائها وأصواتها ومرها وقوله لا عدوى معارض لما جاء أنه كان فى وفد ثقيف رجل مجذوم فأرسل اليه النبى صلى الله عليه وسلم انا قد بايعناك فارجع فرجع ولم يصافحه وجاء لا تديموا النظر للمجذومين وسيأتى الجواب عنه بما يحصل به الجمع بينه وبين ما جاء أنه اخذ بيد مجذوم فوضعها معه فى القصعة وقال كل بسم الله عز وجل وتوكلا عليه وبنو لهب بكسر اللام وسكون الهاء حى من الازد أعلم الناس بالزجر اى زجر الطير والتفاؤل بها او بغيرها فقد كان فى الجاهلية اذا أراد الشخص أن يخرج لحاجة جاء الى الطير وازعجها عن اوكارها فان مر الطائر على اليمين سمى سانحا واستبشر مريد الحاجة بقضائها وان مر على اليسار سمى بارحا بالموحدة والراء والحاء

فعلوا يعني الملائكة واصبح أثر الشق ما بين صدري الى منتهى عانتي ولعل الحكمة في بقاء أثر التئام الشق الدلالة على وجود الشق وقد اشار الى هذه القصة صاحب الهمزية بقوله

واتت جده وقد فصلته * وبها من فصاله البرحاء

71 اذ أحاطت به ملائكة الله * فظنت بانهم قرناء

ورأى وجدها به ومن الوجد * لهيب تصلى به الاحشاء

فارقته كرها وكان لديها * ثاويا لا يمل منه الثواء

شق عن قلبه وأخرج منه * مضغة عند غسله سوداء

ختمته يمنى الامين وقد او * دع ما لم يذع له أنباء

صان أسراره الختام فلا الفض * مـلم به ولا الافضاء

وقد تكرر شق الصدر هذه المرة الاولى لينشأ على اكمل الحالات وأتم الصفات والمرة الثانية عند بلوغه عشر سنين او عشرين سنة وفي الدر المنثور عن زوائد مسند الامام احمد عن أبيّ بن كعب عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قلت يا رسول الله ما اول ما رأيت من امر النبوة فاستوى رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا وقال لقد سألت يا ابا هريرة اني لفي صحراء وانا ابن عشرين سنة واشهر اذا بكلام فوق رأسي واذا رجل يقول أهو هو فاستقبلاني بوجوه لم أرها لخلق قط وثياب لم ارها على احد قط فاقبلا الي يمشيان حتى اخذ كل منهما بعضدي لا اجد لاحدهما مسا فقال احدهما لصاحبه أضجعه فأضجعني بلا قصر ولا هصر اي من غير اتعاب فقال احدهما لصاحبه افلق صدره ففلقه فيما ارى بلا دم ولا وجع فقال له اخرج الغل والحسد فأخرج شيأ كهيئة العلقة ثم نبذها فقال له أدخل الرأفة والرحمة فاذا الذي ادخل يشبه الفضة ثم نقر ابهام رجلي اليمنى وقال اغد واسلم فرجعت وعندي رأفة على الصغير ورحمة على الكبير قيل ان

المهملة وفعد مريد الحاجة عنها انفاوذ بعدم قضائها اي وهذا ما فسر به امامنا الشافعي الحديث الآتي أقروا الطير في مكانها فعن سفيان بن عيينة قال قلت للشافعي رضي الله تعالى عنه يا ابا عبد الله ما معنى هذا الحديث فقال علم العرب كان في زجر الطير كان الرجل منهم اذا أراد سفرا جاء الى الطير في مكانها فطيرها الحديث ويحكى عن وائل ابن حجر وكان زاجرا حسن الزجر أنه خرج يوما من عند زياد بالكوفة وهو الذي ألحقه معاوية بابيه ابي سفيان وهو والد عبيد الله بن زياد الذي قاتل الحسين وكان أميرها المغيرة ابن شعبة فرأى غرابا ينعق بالغين المعجمة اي يصيح فرجع الى زياد وقال له هذا غراب يرحلك من ههنا الى خير فقدم رسول معاوية الى زياد من يومه بولاية البصرة وقد ذكر ان ابا ذؤيب الهذلي الشاعر كان مسلما على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجتمع به قال بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليل ولما كان وقت السحر هتف بي هاتف وانا نائم وهو يقول

قبض النبي محمد فعيوننا * تذري الدموع عليه بالتسجام

قال فقمت من نومي فزعا فرأيت في السماء نجما الاسعد الذابح فتفاءلت به وعلمت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قبض فركبت ناقتي وجئتها حتى اذا كنت بالغابة زجرت الطير فأخبرني بوفاته صلى الله عليه وسلم فلما قدمت المدينة فاذا فيها ضجيج بالبكاء كضجيج الحاج فسألت فقيل لي قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مسجى وقد خلا به أهله وابو هذيل هذا هو القائل

امن المنون وريبه تتوجع * والدهر ليس بمعتب من يجزع

واذا المنية أنشبت اظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع

وتجلدي للشامتين اريهم * اني لريب الدهر لا أتضعضع

والنفس راغبة اذ رغبتها * واذا ترد الى قليل تقنع

ومن زجر الطير ما حكاه بعضهم قال جاء اعرابي الى دار القاضي ابي الحسين الازدي المالكي فجاء غراب فقعد على نخلة في تلك الدار وصاح ثم طار فقال الاعرابي هذا الغراب يقول ان صاحب هذه الدار يموت بعد سبعة ايام فصاح الناس عليه وزجروه فقام وانصرف فبعد سابع يوم مات هذا القاضي وقد جاء النهي عن ذلك اي عن الزجر والطيرة في قوله صلى الله عليه وسلم اقروا الطير على مكانها اي لا تزجروها وجاء الطيرة شرك وجاء من أرجعته الطيرة عن حاجته فقد أشرك اي حيث اعتقد أنها تؤثر وجاء

الصواب ان ذلك وعمره عشر سنين وان ذكر العشرين غلط من بعض الرواة والمرة الثالثة عند ابتداء الوحى والمرة الرابعة عند المعراج والحكمة فى الشق الثانى الذى كان وعمره عشر سنين قال فى السيرة الشامية ان العشر قريب من سن التكليف فشق قلبه وقدس حتى لا يتلبس بشئ مما يعاب على الرجال والشق الثالث قال الحافظ ابن حجر الحكمة فيه زيادة الكرامة ليتلقى ما يوحى اليه بقلب قوى فى أكمل الاحوال من التطهير والحكمة فى الرابع الزيادة فى اكرامه ليتأهب للمناجاة وعن حليمة رضى الله تعالى عنها أنها كانت بعد رجوعها به صلى الله عليه وسلم من مكة لا تدعه يذهب مكانا بعيدا فغفلت عنه يوما فى الظهيرة فخرجت تطلبه فوجدته مع اخته من الرضاع وهى الشيماء وكانت تحضنه مع أمها ولذلك تدعى ام النبى صلى الله عليه وسلم ايضا وكانت ترقصه وتقول

هذا أخ لى لم تلده امى

وليس من نسل ابى وعمى

فأنمه اللهم فيمن تنمى

ومما كانت ترقصه به اخته الشيماء

يا ربنا ابق لنا محمدا

حتى أراه يافعا وأمردا

ثم اراه سيدا مسوّدا

واكبت أعاديه معا والحسدا

واعطه عزا يدوم ابدا

قال الازدى ما احسن ما اجاب الله به دعاءها فقالت حليمة فى هذا الحر اى ما ينبغى أن يكون الخروج والوقوف فى هذا الحر فقالت اخته يا امه ما وجد اخى حرا رأيت غمامة تظل عليه اذا وقف وقفت واذا سار سارت حتى اذا انتهى الى هذا الموضع فجعلت تقول حقا يا بنية قالت اى والله فجعلت تقول اعوذ بالله من شر ما تحذر على ابنى وفى كلام بعضهم ان حليمة رضى الله عنها فى بعض الاوقات رات الغمامة تظله اذا وقف وقفت واذا سار سارت ووفدت عليه حليمة رضى الله عنها بعد تزوجه بخديجة رضى الله عنها تشكو اليه ضيق العيش فكلم لها خديجة وترامت

اذا رأى احدكم من الطيرة ما يكره فليقل اللهم لا يأتى بالحسنات الا أنت ولا يدفع السيئات الا أنت ولا حول ولا قوة الا بك وفى رواية اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا اله غيرك ثم يمضى لحاجته وقد جاء لا عدوى ولا طيرة ولا هام وفى لفظ ولا هامة بالتخفيف زاد فى رواية ولا صفر والهامة هو أنه كان اهل الجاهلية يزعمون أنه اذا قتل القتيل ولم يؤخذ بثاره يخرج له طائر يقول عند قبره اسقونى من دم قاتلى اسقونى من دم قاتلى ولا يزال يقول ذلك حتى يؤخذ بثار القتيل كانت العرب تسميه الهامة بالتخفيف واما الهامة بالتشديد فواحدة الهوام وهى الحيات والعقارب وما شاكلها ومن ثم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى تعويذه للحسن والحسين أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة ثم يقول هكذا ابراهيم عليه السلام كان يعوذ اسمعيل واسحق وقوله ولا صفر ذكر الامام النووى ان المراد به حية صفراء تكون فى جوف الانسان اذا جاع تؤذيه كذا كانت العرب تزعم ذلك قال وهذا التفسير هو الصحيح الذى عليه عامة العلماء وقد ذكره مسلم عن جابر راوى الحديث فتعين اعتماده * وروى ابن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأت أمى حين وضعتنى سطع منها نور أضاءت له قصور بصرى وفى رواية أنها قالت لما وضعته خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق والمغرب وأضاءت له قصور الشام وأسواقها حتى رأيت اعناق الابل ببصرى وفى الخصائص الصغرى ورأت أمه عند ولادته نورا خرج منها اضاء له قصور الشام وكذلك أمهات الانبياء عليهم السلام يرين اه ولعل المراد يرين مطلق النور لا الذى تضىء منه قصور الشام وقوله قصور الشام الخ ظاهر فى أن المراد جميع الاقليم لا خصوص بصرى واهل الاقتصار على بصرى فى الروايات لكون النور كان بها أتم ومن ثم قالت حتى رأيت اعناق الابل ببصرى او رأت مرة وصول النور الى بصرى خاصة ومرة جاوزها تأمل والى هذا النور يشير عمه العباس رضى الله تعالى عنه بقوله فى قصيدته التى امتدح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم عند رجوعه صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك وقد قال له فى مرجعه من تلك الغزوة يا رسول الله انى أريد ان امتدحك فقال له رسول الله قل لا يفضض الله فاك فقال قصيدة منها

وانت لما ولدت أشرقت الا رض وضاءت بنورك الافق

فنحن فى ذلك الضياء وفى النـو ر وسبل الرشاد نخترق

والى ذلك يشير صاحب الهمزية رحمه الله بقوله

وتراءت قصور قيصر بالرو * م يراها من داره البطحاء

اى رؤيت قصور ملك الروم فى بلاد الروم يبصرها لذى داره بمكة قال وهذا ظاهر فى انها رأت ذلك النور يقظة وتقدم فى حديث شداد أنها رأته مناما وقد تقدم الجمع اه اى وتقدم ما فى ذلك الجمع (وذكر) أن امام امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه رأت وهى حامل به ان النجم المسمى بالمشترى خرج من فرجها فوقع فى مصر ثم وقع فى كل بلدة منه شظية فتأول ذلك أصحاب تأويل الرؤيا بأنه اتلد عالما يكون علمه بمصر أولا ثم ينتشر الى سائر البلدان (وروى) السهيلى عن الواقدى انه صلى الله عليه وسلم لما ولد تكلم فقال جلال ربى الرفيع وروى ان أول ما تكلم به لما ولدته أمه حين خروجه من بطنها الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا ولا مانع من انه صلى الله عليه وسلم تكلم بكل ذلك والاولية فى الرواية الثانية اضافية لما لا يخفى * وقد وقع الاختلاف فى وقت ولادته صلى الله عليه وسلم اى هل كان ليلا أو نهارا وعلى الثانى فى اى وقت من ذلك النهار وفى شهره وفى عامه وفى محله فقيل ولد يوم الاثنين قال بعضهم لا خلاف فيه والله بل أخطأ من قال ولد يوم الجمعة اى نعن قتادة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن يوم الاثنين فقال ذلك يوم ولدت فيه وذكر الزبير بن بكار والحافظ ابن عساكر ان ذلك كان حين طلوع الفجر ويدل له قول جده عبد المطلب ولد لى الليلة مع الصبح مولود وعن سعيد بن المسيب ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ابهار النهار اى وسطه وكان ذلك اليوم لمضى ثنتى عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الاول اى وكان ذلك فى فصل الربيع وقد أشار الى ذلك بعضهم بقوله

يقول لنا لسان الحال منه * وقول الحق يعذب للسميع
فوجهى والزمان وشهر وضعى * ربيع فى ربيع فى ربيع

قال وحكى الاجماع عليه وعليه العمل الآن اى فى الامصار خصوصا أهل مكة فى زيارتهم موضع مولده صلى الله عليه وسلم وقيل لعشر ليال مضت من ربيع وصحح اه اى صححه الحافظ الدمياطى اى لان الاول قال فيه ابن دحية ذكره ابن اسحق مقطوعا دون اسناد وذلك لا يصح أصلا ولو أسنده ابن اسحق لم يقبل منه لتجريح أهل العلم له فقد قال كل من ابن المدينى وابن معين ان ابن اسحق ليس بحجة ووصفه مالك رضى الله تعالى عنه بالكذب قيل وانما طعن فيه مالك لانه بلغه عنه أنه قال هاتوا حديث مالك فأنا طبيب بعلله فعند ذلك قال مالك وما ابن اسحق انما هو رجل من الدجاجلة أخرجناه من المدينة قال

رضى الله عنها فاعطاها عشرين رأسا من غنم وبكرات من الابل وفى رواية أربعين شاة وبعيرا ووفدت عليه يوم حنين فبسط لها رداءه فجلست عليه وفى رواية قدمت مع زوجها وولدها فبسط لهم رداءه وفى رواية وأجلسهم على ثوبه وفى كلام القاضى عياض ثم جاءت أبا بكر فبسط لها رداءه ثم جاءت عمر ففعل ذلك (قال فى السيرة الحلبية) ٧٣ نقلا عن ابن الاثير فتكون قد عمرت دهرا طويلا وعن ابى الطفيل قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم لحما بالجعرانة بعد رجوعه من حنين والطائف وانا غلام شاب فأقبلت امرأة فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم بسط لها رداءه فقيل من هذه فقيل أمه التى أرضعته وفى رواية استأذنت امرأة على النبى صلى الله عليه وسلم قد كانت ترضعه فلما دخلت عليه قال أمى أمى وعمد الى ردائه فبسطه لها فقعدت عليه * قال ابن حجر فى شرح الهمزية من سعادة حليمة توفيقها للاسلام هى وزوجها وبنوها وغلط من أنكر اسلامها بل أسلمت وهاجرت وتوفيت بالمدينة ودفنت بالبقيع وقبرها معروف يزار رضى الله عنها * وفى السيرة الحلبية أن بنتها الشيماء أخت النبى صلى الله عليه وسلم من الرضاع كانت فى السبى يوم حنين فلما أخذها المسلمون قالت أنا أخت صاحبكم فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت له يا رسول الله أنا أختك قال وما علامة ذلك قالت عضة عضضتنيها فى ظهرى وأنا متوركتك فعرف رسول الله صلى

١٠ حل ل الله عليه وسلم العلامة فقام لها قائما وبسط لها رداءه وأجلسها عليه ودمعت عيناه وكلام المواهب يقتضى انهما قضيتان فى كل منهما قام وبسط رداءه واحدة عند مجىء أخته وواحدة عند مجىء أمه خلافا لمن وهم فى ذلك وأنكر مجىء الام وقال بل هى الاخت فقط (قال) ابن عبد البر فى الاستيعاب حليمة السعدية أم النبى صلى الله عليه وسلم من الرضاع جاءت

اليه يوم حنين فقام لها وبسط لها رداءه فجلست عليه وروت عنه وروى عنها عبد الله بن جعفر ثم قال حذافة أخت النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاع يقال لها الشيماء أغارت خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم على هوازن فأخذوها فيمن أخذوا من السبي الحديث وقد ألف الحافظ مغلطاي ألبفا في اسلام حليمة رضي الله عنها ردا على من أنكر

(باب وفاة أمه صلى الله عليه وسلم)

ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع سنين وقيل خمسا وقيل ستا وقيل أكثر من ذلك توفيت أمه روى الزهري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ست سنين خرجت به أمه الى أخوال جده وهم بنو عدي بن النجار بالمدينة تزورهم ومعه أم أيمن بركة الحبشية فأقامت به عندهم شهرا وكان صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة يذكر أمورا كانت في مقامه ذلك ونظر الى الدار فقال ههنا نزلت بي أمي وأحسنت العوم في بئر بني عدي بن النجار وكان قوم من اليهود يختلفون ينظرون الي قالت أم أيمن فسمعت أحدهم يقول هو نبي هذه الامة وهذه دار هجرته ثم رجعت به أمه الى مكة وفي رواية أبي نعيم قال صلى الله عليه وسلم فنظر الي رجل من اليهود يختلف ينظر الي فقال يا غلام ما اسمك قلت أحمد ونظر الى ظهري فسمعته يقول هذا نبي هذه الامة ثم راح الى اخوانه فأخبرهم فأخبروا أمي فخافت علي فخرجنا من المدينة فلما كانت بالابواء توفيت ودفنت فيها وقيل بالحجون وقيل جمعا بين الروايتين انها دفنت أولا بالابواء ثم نبشت ونقلت الى مكة ودفنت بالحجون والابواء موضع من أعمال الفرع بين مكة والمدينة وكان عمرها حين توفيت في حدود العشرين سنة (وروى ابو نعيم) في دلائل النبوة من طريق الزهري عن أسماء بنت رهم عن أمها قالت

بعضهم وابن اسحق من جملة من يروى عنه شيخ مالك يحيى بن سعيد وقال بعضهم ابن اسحق ثقة ثقة لكنه مدلس وقيل ولد لسبع عشرة ليلة خلت منه وقيل لثمان مضت منه قال ابن دحية وهو الذي لا يصح غيره وعليه اجمع اهل التاريخ وقال القطب القسطلاني هو اختيار اكثر أهل الحديث اي كالحميدي وشيخه ابن حزم * وقيل لليلتين خلتا منه وبه جزم ابن عبد البر وقيل لثمان عشرة ليلة خلت منه رواه ابن ابي شيبة وهو حديث معلول وقيل لاثنتي عشرة بقين منه وقيل لاثنتي عشرة وقيل لثمان ليال خلت من رمضان وصححه كثير من العلماء وهذا هو الموافق لما تقدم من أن أمه صلى الله عليه وسلم حملت به في أيام التشريق او في يوم عاشوراء وانه مكث في بطنها تسعة أشهر كوامل لكن قال بعضهم ان هذا القول غريب جدا ومستند قائله انه أوحي اليه صلى الله عليه وسلم في رمضان فيكون مولده في رمضان وعلى انها حملت به في أيام التشريق الذي لم يذكروا غيره يعلم ما في بقية الاقوال قال وقيل ولد في صفر وقيل في ربيع الآخر وقيل في محرم وقيل في عاشوراء اي كما ولد عيسى عليه السلام وقيل لخمس بقين منه اه * أي وذكر الذهبي أن القول بأنه ولد صلى الله عليه وسلم في عاشوراء من الافك اي الكذب وفيه ان كان ذلك لانه لا يجامع انها حملت به صلى الله عليه وسلم في أيام التشريق وأنه مكث في بطنها تسعة أشهر كوامل لا يختص الافك بهذا القول بل يأتي فيما عدا القول بأنه ولد في رمضان ثم رأيت بعضهم حكى انه حمل به في شهر رجب وحينئذ يصح القول المشهور بولادته في ربيع الاول * وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ولد يوم الاثنين في ربيع الاول وأنزلت عليه النبوة يوم الاثنين في ربيع الاول وهاجر الى المدينة يوم الاثنين في ربيع الاول وأنزلت عليه البقرة يوم الاثنين في ربيع الاول وتوفي يوم الاثنين في ربيع الاول قال بعضهم وهذا غريب جدا (وقيل) لم يولد نهارا بل ولد ليلا فعن عثمان بن ابي العاص عن امه رضي الله تعالى عنهما انها شهدت ولادة النبي صلى الله عليه وسلم ليلا قالت فما شيء أنظر اليه من البيت الا نور واني لانظر الى النجوم تدنو حتى اني لاقول لتقعن علي قال ابن دحية وهو حديث مقطوع * قال بعضهم ولا يصح عندي بوجه انه ولد ليلا لقوله صلى الله عليه وسلم الثابت عنه بنقل العدل عن العدل انه سئل عن صوم يوم الاثنين فقال فيه ولدت واليوم انما هو النهار بنص القرآن وأيضا الصوم لا يكون الا نهارا وأفاد البدر الزركشي ان هذا الحديث اي المتقدم عن أم عثمان بن ابي العاص على تقدير صحته لا دلالة فيه على انه ولد ليلا قال فان زمان النبوة صالح

للخوارق

شهدت آمنة أم النبي صلى الله عليه وسلم فى علتها التى ماتت بها ومحمد عليه الصلاة والسلام غلام يفع اى مرتفع له خمس سنين عند رأسها فنظرت أمه الى وجهه ثم قالت

بارك فيك الله من غلام * يا ابن الذى من حومة الحمام
نجا بعون الملك العلام * فودى غداة الضرب بالسهام
بمائة من ابل سوام

ان صح ما أبصرت فى المنام
فأنت مبعوث الى الانام
تبعث فى الحل وفى الحرام
تبعث فى التحقيق والاسلام
دين أبيك البر ابراهام
فالله أنهاك عن الاصنام
أن لا تواليها مع الاقوام

ثم قالت كل حى ميت وكل جديد بال وكل كبير يفنى وأنا ميتة وذكرى باق و ولدت طهرا قالت فكنا نسمع نوح الجن عليها فحفظنا من ذلك

تبكى الفتاة البرة الامينه
ذات الجمال العفة الرزينه
زوجة عبد الله والقرينه
أم نبى الله ذى السكينه
وصاحب المنبر بالمدينه
صارت لدى حفرتها رهينه
لو فوديت لفوديت ثمينه
وللمنايا شفرة سنينه
لا تبق ظعانا ولا ظعينه
الا أتت وقطعت وتينه
أما دلات أيها الحزينه
عن الذى ذو العرش يعلى دينه
فكلنا والهة حزينه
نبكيك للعطلة أو للزينه
أو للضعيفات وللمسكينه

(قال الزرقانى فى شرح المواهب) نقلا عن الجلال السيوطى بعد ذكر أبياتها السابقة وهذا القول منها صريح فى أنها موحدة اذ ذكرت دين ابراهيم و بعث ابنها صلى الله عليه وسلم بالاسلام من عند الله ونهيه عن الاصنام وموالاتها وهل التوحيد شئ غير هذا فان التوحيد هو الاعتراف بالله والهيته وانه لا شريك له والبراءة من عبادة الاصنام ونحوها وهذا القدر كاف فى التبرى من الكفر وثبوت صفة التوحيد فى زمن الجاهلية قبل البعثة

للخوارق ويجوز أن تسقط النجوم نهارا اى فضلا عن ان تكاد تسقط سيما ان قلنا ولد عند الفجر لان ذلك ملحق بالليل والى التردد فى وقت ولادته صلى الله عليه وسلم هل هو فى الليل والنهار اشار صاحب الهمزية بقوله

ليلة المولد الذى كان للدين * سرور بيومه وازدهاء
فهنيأ به لآمنة الفضل * الذى شرفت به حواء
من لحواء انها حملت أحمد * أو انها به نفساء
يوم نالت بوضعه ابنة وهب * من فخار ما لم تنله النساء

اى ليلة المولد الذى وجد فيه الفرح والافتخار للدين بيومه وقد أضاف كلا من الليل واليوم للولادة مراعاة للخلاف فى ذلك فهنيأ لآمنة الفضل الذى حصل لها بسبب ولادتها له صلى الله عليه وسلم اى لا يشوب ذلك الفضل كدر ولا مشقة الذى شرفت بذلك الفضل حواء التى هى ام البشر ومن يشفع لحواء فى انها حملت به وأنه أدما بها انفاس به يوم اعطيت آمنة بنت وهب بسبب وضعه من الفخار وهو ما يمدح به من الخصال العالية والشيم المرضية ما لم يعطها غيرها من النساء * وقد أقسم الله بليلة مولده صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى والضحى والليل وقيل أراد بالليل ليلة الاسرى ولا مانع أن يكون الاقسام وقع بهما اى استعمل الليل فيهما * ويدل لكون ولادته صلى الله عليه وسلم كانت ليلا قول بعض اليهود ممن عنده علم الكتاب لقريش هل ولد فيكم الليلة مولود قالوا لا نعلم قال ولد الليلة نبى هذه الامة الاخيرة الى آخر ما يأتى وسيأتى ما يدل على ذلك وهو وضع تحت الجفنة * وولادته صلى الله عليه وسلم قيل كانت فى عام الفيل قيل فى يومه نعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفيل وعن قيس بن مخرمة ولدت أنا و رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفيل فنحن لدان قال الحافظ ابن حجر المحفوظ لفظ العام اى بدل لفظ اليوم وقد يراد باليوم مطلق الوقت فيصدق بالعام كما يقال يوم الفتح ويوم بدر وعليه فلدان معناه متقاربان فى السن بالموحدة وعلى أن المراد باليوم حقيقته يكون بالنون * وفى تاريخ ابن حبان ولد عام الفيل فى اليوم الذى بعث الله تعالى الطير الابابيل فيه على أصحاب الفيل * وعند ابن سعد ولد يوم الفيل يعنى عام الفيل اه اى لما تقدم عن ابن حجر وعليه فيكون قول ابن حبان فى اليوم تفسيرا للعام على ان المراد باليوم مطلق الوقت الصادق بالعام * وقيل ولد بعد الفيل بخمسين يوما كما ذهب اليه جمع منهم السهيلى قال بعضهم وهو المشهور قال وقيل بخمسة

وانما يشترط قدر زائد على هذا بعد البعثة ولا يظن بكل من كان فى الجاهلية أنه كان كافرا على العموم فقد تحنف فيها جماعة فلا بدع أن تكون أمه صلى الله عليه وسلم منهم كيف وأكثر من تحنف منهم انما كان سبب تحنفه ما سمعه من أهل الكتاب والكهان قرب زمنه صلى الله عليه وسلم من انه قرب ٧٦ بعث نبى من الحرم صفته كذا وأمه صلى الله عليه وسلم سمعت من ذلك اكثر مما سمعه غيرها وشاهدت فى حمله وولادته من آياته الباهرة ما يحمل على التحنف ضرورة ورأت النور الذى خرج منها أضاءت له قصور الشأم حتى رأتها وقالت لحليمة حين جاءت به وقد شق صدره أخشيتما عليه الشيطان كلا والله ما للشيطان عليه سبيل وانه لكائن لابنى هذا شأن فى كلمات أخر من هذا النمط وقدمت به المدينة عام وفاتها وسمعت كلام اليهود فيه وشهادتهم له بالنبوة ورجعت به الى مكة فهذا كله مما يؤيد أنها تحنفت فى حياتها وأما أبوه رضى الله عنه فنقل عنه كلمات وأشعار تدل على توحيده أيضا كقوله حين عرضت المرأة نفسها عليه

أما الحرام فالممات دونه
والحل لاحل فاستبينه
يحمى الكريم عرضه ودينه
فكيف بالامر الذى تبغينه

مع ما كان عليه من العفة حتى افتتن به النساء ولم ينلن منه شيأ وكان نور النبى صلى الله عليه وسلم يضىء فى وجهه كالكوكب وقد قال صلى الله عليه وسلم لم أزل أنقل من اصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات فالكافر لا يوصف بأنه طاهر ففيه دليل على طهارة آبائه وأمهاته من الكفر قال فى المواهب وقد روى أن آمنة آمنت به ان صلى الله عليه وسلم بعد موتها فروى الطبرانى وابن شاهين عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم نزل بالحجون كئيبا حزينا وفى رواية وهو بالحزين فأقام به ماشاء الله ثم رجع مسرورا قال يخاطب عائشة رضى الله عنها سألت ربى فأحيالى أمى

وخمسين يوما وقيل بأربعين يوما وقيل بشهر وقيل بعشر سنين وقيل بثلاث وعشرين سنة وقيل بثلاثين سنة وقيل بأربعين سنة وقيل بسبعين سنة اه اى وعلى انه بعد الفيل بخمسة وخمسين يوما اقتصر الحافظ الدمياطى رحمه الله وعبارة المواهب حكاه الدمياطى فى آخرين وكونه فى عام الفيل قال الحافظ ابن كثير هو المشهور وعند الجمهور وقال ابراهيم بن المنذر شيخ البخارى رحمه الله لا يشك فيه أحد من العلماء ونقل غير واحد فيه الاجماع وقال كل قول يخالفه وهم * اى وقيل قبل عام الفيل بخمس عشرة سنة قال بعضهم وهذا غريب منكر وضعيف أيضا (أقول) والقول بأنه ولد قبل عام الفيل أو فيه أو بعده بعشر سنين يقتضى تضعيف ماذكره الحافظ أبو سعيد النيسابورى ان نور النبى صلى الله عليه وسلم كان يضىء فى غرة جده عبد المطلب وكانت قريش اذا أصابها قحط أخذت بيد عبد المطلب الى جبل ثبير يستسقون به فيسقيهم الله تعالى ببركة ذلك النور وانه لما قدم صاحب الفيل لهدم الكعبة لتكون كنيسته التى بناها ويقال انها القليس كجميز لارتفاع بنائها وعلوها ومنه القلانس لانها فى اعلى الرؤس مكان الكعبة فى الحج اليها وقد اجتهد ابرهة فى زخرفتها فجعل فيها الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب كان ينقل ذلك من قصر بلقيس صاحبة سليمان عليه السلام وجعل فيها صلبانا من الذهب والفضة ومنابر من العاج والابنوس وشدد على عمالها بحيث اذا طلعت الشمس قبل أن يأخذ العامل فى عمله قطع يده فنام رجل منهم ذات يوم حتى طلعت الشمس فجاءت معه أمه وهى امرأة عجوز فتضرعت اليه فى أن لا يقطع يد ولدها فأبى الا قطع يده فقالت له اضرب بمعولك اليوم فاليوم لك وغدا لغيرك فقال لها ويحك ما قلت فقالت نعم كما صار هذا الملك من غيرك اليك فكذلك يصير منك الى غيرك فأخذته موعظتها فعفا عنه ورجع عن هذا الامر فعند ذلك ركب عبد المطلب فى قريش الى جبل ثبير فاستدار ذلك النور فى وجه عبد المطلب كالهلال وألقى شعاعه على البيت الحرام مثل السراج فلما نظر عبد المطلب لذلك قال يا معشر قريش ارجعوا فقد كفيتم هذا الامر فوالله ما استدار هذا النور منى الا أن يكون الظفر لنا فرجعوا فلما دخل رسول صاحب الفيل الى مكة ونظر الى وجه عبد المطلب خضع وتلجلج لسانه وخر مغشيا عليه اى فكان يخور كما يخور الثور عند ذبحه فلما أفاق خر ساجدا لعبد المطلب اى فان صاحب الفيل أمره أن يقول لقريش ان الملك انما جاء لهدم البيت فان لم تحولوا بينه وبينه لم يزد على هدمه وان حلتم بينه وبينه أتى عليكم فقال له عبد المطلب ما عندنا منعة ولا ندفع عن هذا البيت وله رب

فآمنت بي ثم ردها الى الى ما كانت عليه من الموت وروى السهيلي من حديث عائشة رضي الله عنها أيضا احياء أبويه صلى الله عليه وسلم حتى آمنا به واقطه بسنده الى عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه ان يحيي أبويه فأحياهما الله فآمنا به ثم أماتهما قال السهيلي والله قادر على كل شيء وليس تعجز رحمته وقدرته عن شيء ونبيه صلى الله عليه وسلم أهل أن يخصه بما شاء من فضله وينعم عليه بما شاء من كرامته ورواه الخطيب البغدادي وقد جزم بعض العلماء بان أبويه صلى الله عليه وسلم ناجيان وليسا في النار بل في الجنة تمسكا بهذا الحديث ونحوه قال السيوطي مال الى أن الله أحياهما حتى آمنا به طائفة من الائمة وحفاظ الحديث واستندوا الى هذا الحديث وادعى بعضهم أنه موضوع وهذا مردود والحق أنه ضعيف لا موضوع والضعيف يعمل به في الفضائل واقد أحسن الحافظ شمس الدين محمد بن ناصر الدمشقي حيث قال

حبا الله النبي مزيد فضل
على فضل وكان به رؤفا
فأحيا أمه وكذا أباه
لايمان به فضلا منيفا
فسلم فالقديم بذا قدير
وان كان الحديث به ضعيفا

وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماولدني بغي قط منذ خرجت من صلب آدم ولم تزل تتنازعني الامم كابرا عن كابر حتى خرجت من أفضل حيين من العرب هاشم وزهرة قال الزرقاني في شرح المواهب بعد ذكر حديث احيائهما وقد جعل هؤلاء الائمة هذا الحديث ناسخا للاحاديث الواردة بما يخالفه ونصوا على أنه متأخر عنها فلا تعارض بينه وبينها وقال الشهاب ابن حجر في مولده وفي شرح الهمزية ان الحديث غير ضعيف بل صححه غير واحد من الحفاظ ولم يلتفتوا للطعن فيه وعلى ذلك قول بعضهم

ان شاء منعه اي وفي لفظ قال عبد المطلب والله ما نريد حربه وما لنا منه بذلك طاقة هذا بيت الله الحرام وبيت ابراهيم خليل الله فان يمنعه منه فهو بيته وحرمه وان لم يحل بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه وامر ابرهة رسوله أيضا أن يأتي له بسيد القوم فقال لعبد المطلب قد أمرني أن آتيه بك فقال عبد المطلب افعل فجاءه راعي ابله وخيله وأخبره ان الحبشة أخذت الابل والخيل التي كانت ترعى بذي المجاز (وفي سيرة ابن هشام) بل وفي غالب السير الاقتصار على الابل وانها كانت مائتي بعير وقيل اربعمائة ناقة فركب عبد المطلب بصحبة رسول صاحب الفيل وركب معه ولده الحرث فاستؤذن له على ابرهة اي قيل له أيها الملك هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك وهو صاحب عين مكة يعني زمزم وهو يطعم الناس بالسهل والوحوش في رؤس الجبال فأذن له فلما دخل ورآه ابرهة أجله وأكرمه عن أن يجلسه تحته وكره أن تراه الحبشة يجلسه على سرير ملكه فنزل عن سريره وأجلسه معه على البساط وقال الترجمانه اسأله عن حاجته فذكر ابله وخيله فذكر الترجمان له ذلك فقال للترجمان بلسان الحبشة قل له كنت أعجبتني اذ رأيتك ثم قد زهدت فيك اذ سألتني ابلا وخيلا وتركت أن تسأل عن البيت الذي هو عزك فقال له الترجمان ذلك فقال عبد المطلب أنا رب الابل والخيل التي سألتها الملك وأما البيت فله رب ان شاء أن يمنعه من الملك فقال ابرهة ما كان ليمنعه مني فرد عليه ما كان أخذه له وانصرف وابرهة بلسان الحبشة الابيض الوجه ثم ان الفيل لما نظر الى وجه عبد المطلب برك كما يبرك البعير وخر ساجدا وأنطق الله سبحانه وتعالى الفيل فقال السلام على النور الذي في ظهرك يا عبد المطلب (وفي كلام بعضهم) أن ابرهة لما بلغه مجيء عبد المطلب اليه أمر أن عبد المطلب قبل دخوله عليه أن يذهب به الى الفيلة ليراها ويرى الفيل العظيم وكان ابيض اللون (اقول) رأيت أن ملك الصين كان في مربطه ألف فيل ابيض وكان مع الفرس في قتال ابي عبيد بن مسعود الثقفي أمير الجيش في خلافة الصديق أفيلة كثيرة عليها الجلاجل وقدموا بين أيديهم فيلا عظيما ابيض وصارت خيول المسلمين كلما حملت وسمعت حس الجلاجل نفرت فأمر أبو عبيد المسلمين أن يقتلوا الفيلة فقتلوها عن آخرها وتقدم أبو عبيد لهذا الفيل العظيم الابيض فضربه بالسيف فقطع زلومه فصاح الفيل صيحة هائلة وحمل على ابي عبيد فتخبطه برجله ووقف فوقه فقتله فحمل على الفيل شخص كان ابو عبيد أوصى أن يكون أميرا بعده فقتله ثم آخر حتى قتل سبعة من ثقيف كان قد نص أبو عبيد عليهم واحدا بعد واحد وهذا من أغرب الاتفاقات والله أعلم وانما أرى

ايقنت ان ابا النبي وأمه * احياهما الرب الكريم البارى حتى له شهدا بصدق رسالة * سلم فتلك كرامة المختار
هذا الحديث ومن يقول بضعفه * فهو الضعيف عن الحقيقة عار قال الزرقانى الذى يظهر لى أن المراد صححوا العمل به
فى الاعتقاد وان كان ضعيفا لكونه ٧٨ فى مرتبته فيرجع لكلام السيوطى وقال التلمسانى روى اسلام أمه بسند صحيح
وكذا روى اسلام أبيه وكلاهما
بعد الموت تشريفا له وسيذكر فى
المواهب فى المعجزات ان الله احيا
على يده صلى الله عليه وسلم خمسة
منهم الابوان قال القرطبى فى
التذكرة ان فضائله صلى الله عليه
وسلم وخصائصه لم تزل تتوالى
وتتتابع الى حين مماته فيكون
احياؤهما مما افضله الله به واكرمه
ولا يرد ذلك اجماع ولا قرآن وليس
احياؤهما او ايمانهما يمتنع عقلا
ولا شرعا فقد ورد فى الكتاب
العزيز احياء قتيل بنى اسرائيل
واخباره بقاتله كما قص الله ذلك
فى سورة البقرة وكان عيسى عليه
السلام يحيى الموتى وكذلك نبينا
صلى الله عليه وسلم أحيا الله على
يده جماعة من الموتى قال الزرقانى
فأحيا ابنة الرجل الذى قال
لا أومن بك حتى تحيى لى ابنتى فجاء
الى قبرها وناداها فقالت لبيك
وسعديك رواه البيهقى فى الدلائل
وأباه وأمه وتوفى شاب من الانصار
فتوسلت أمه وهى عجوز عمياء
بهجرتها الله ورسوله فاحياه الله
رواه البيهقى وابن عدى وغيرهما
ولما مات زيد بن حارثة الانصارى
من سراة الانصار كشفوا عنه
فسمعوا على لسانه قائلا يقول محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث رواه ابن ابى الدنيا فى كتاب من عاش الله
بعد الموت وأخرج ابن الضحاك ان أنصاريا توفى فلما كفن وحمل قال محمد رسول الله هذا ملخص ما ذكره المصنف يعنى صاحب
المواهب فى المعجزات قال القرطبى بعد ذكر ما تقدم عنه واذا ثبت هذا فما يمتنع ايمانهما بعد احيائهما ويكون ذلك زيادة فى

عبد المطلب الفيلة ارهابا له وتخويفا فان العرب لم تكن تعرف الافيال وكانت الافيال كلها ما عدا الفيل الاعظم تسجد لابرهة * وأما الفيل الاعظم فلم يسجد الا للنجاشى فلما رأت الفيلة عبد المطلب سجدت حتى الفيل الاعظم وقيل ان ابرهة لم يخرج الا بالفيل الاعظم ولما بلغ ابرهة سجود الفيلة لعبد المطلب تطير ثم أمر بادخال عبد المطلب عليه فلما رآه ألقيت له الهيبة فى قلبه فنزل عن سريره تعظيما لعبد المطلب ثم رأيت العلامة ابن حجر فى شرح الهمزية حاول الجواب عن هذا الذى تقدم عن الحافظ النيسابورى من أن النور استدار فى وجه عبد المطلب الى آخره اى وقول الفيل السلام على النور الذى فى ظهرك يا عبد المطلب مع ان ولادته صلى الله عليه وسلم فى ذلك الوقت يلزمها أن يكون النور انتقل من عبد المطلب الى عبد الله ثم انتقل من عبد الله الى آمنة بأن النور وان انتقل من عبد المطلب لكن الله سبحانه وتعالى أكرم عبد المطلب فأحدث ذلك النور فى ظهره وفى وجهه وأطلع الفيل عليه هذا كلامه فليتأمل وذكر بعضهم أن الفيل مع عظم خلقته صوته ضئيل اى ضعيف ويفرق اى يخاف من السنور الذى هو القط ويفزع منه (وفى المواهب) والمشهور انه صلى الله عليه وسلم ولد بعد الفيل لان قصة الفيل كانت توطئة لنبوته ومقدمة لظهوره وبعثته هذا كلامه وفيه انه قد يقال الارهاصات انما تكون بعد وجوده وقبل مبعثه الذى هو دعواه الرسالة لا قبل وجوده بالكلية الذى هو المراد بظهوره وحينئذ فقول القاضى البيضاوى انها من الارهاصات اذ روى انها وقعت فى السنة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم اى بعد وجوده ومن ثم قال ابن القيم فى الهدى ان مما جرت به عادة الله تعالى أن يقدم بين يدى الامور العظيمة مقدمات تكون كالمدخل لها فمن ذلك قصة مبعثه صلى الله عليه وسلم تقدمها قصة الفيل هذا كلامه قال فلما شرع ابرهة فى الذهاب الى مكة ووصل الفيل الى أول الحرم والمواهب اسقط هذا وهو يوهم انهم دخلوا مكة وان الفيل برك دون البيت فليتأمل وعند وصوله الى أول الحرم برك فصاروا يضربون رأسه ويدخلون الكلاليب فى مراق بطنه فلا يقوم فوجهوا وجهه الى جهة اليمن فقام يهرول وكذا الى جهة الشام فعل ذلك مرارا فأمر ابرهة أن يسقى الفيل الخمر ليذهب تمييزه فسقوه فثبت على أمره ويقال انما برك لان نفيل بن حبيب الخثعمى قام الى جنب الفيل فعرك اذنه وقال ابرك محمودا وارجع راشدا من حيث جئت فانك فى بلد الله الحرام * ثم أرسل أذنه فبرك قال السهيلى رحمه الله الفيل لا يبرك فيحتمل أن يكون بروكه سقوطه الى الارض لما جاءه من أمر

الله سبحانه ويحتمل أن يكون فعل البرك وهو الذي يلزم موضعه ولا يبرح فعبر بالبروك عن ذلك قال وقد سمعت من يقول ان في الفيلة صنفا منها يبرك كما يبرك الجمل وعند ذلك أرسل الله سبحانه وتعالى عليهم الطير الابابيل خرجت من البحر امثال الخطاطيف ويقال ان حمام الحرم من نسل تلك الطير فأهلكتهم وقد يقال ان هذا اشتباه لان الذي قيل انه من نسل الابابيل انما هو شئ يشبه الزرازير يكون بباب ابراهيم من الحرم والا فسيأتي أن حمام الحرم من نسل الحمام الذي عشش على فم الغار على ما سيأتي فيه وفي حياة الحيوان ان الطير الابابيل تعشش وتفرخ بين السماء والارض * ولما هلك صاحب الفيل وقومه عزت قريش وهابتهم الناس كلهم وقالوا أهل الله لان الله معهم وفي لفظ لان الله سبحانه وتعالى قاتل عنهم وكفاهم مؤنة عدوهم الذي لم يكن لسائر العرب بقتاله قدرة وغنموا أموال أصحاب الفيل اي ومن حينئذ مزقت الحبشة كل ممزق وخرب ما حول تلك الكنيسة التي بناها ابرهة فلم يعمرها أحد وكثرت حولها السباع والحيات ومردة الجن وكان كل من أراد أن يأخذ منها شيأ أصابته الجن واستمرت كذلك الى زمن السفاح الذي هو أول خلفاء بني العباس فذكر له أمرها فبعث اليها عامله على اليمن فخربها وأخذ خشبها المرصع بالذهب والآلات المفضضة التي تساوي قناطير من الذهب فحصل له منها مال عظيم وحينئذ عفا رسمها وانقطع خبرها واندرست آثارها وقد كان عبد المطلب أمر قريشا أن تخرج من مكة وتكون في رؤس الجبال خوفا عليهم من المعرة وخرج هو واياهم الى ذلك بعد أن أخذ بحلقة باب الكعبة ومعه نفر من قريش يدعون الله سبحانه وتعالى ويستنصرونه على ابرهة وجنده وقال

لاهم ان العبد يمـ * ـنع رحله فامنع حلالك
لا يغلبن صليبهم * ومحالهم غدوا محالك

اي فانهم كانوا نصارى ولاهم أصله اللهم فان العرب تحذف الالف واللام وتكتفي بما بقي وكذلك تقول لاه أبوك تريد لله أبوك والحلال بكسر الحاء المهملة جمع حلة وهي البيوت المجتمعة والمحال بكسر الميم القوة والشدة والغدو بالغين المعجمة أصله الغد وهو اليوم الذي يأتي بعد يومك الذي أنت فيه ويقال ان عبد المطلب جمع قومه وعقد راية وعسكر بمنى وجمع ابن ظفر بينه وبين ما تقدم من انه خرج مع قومه الى رؤس الجبال بأنه يحتمل انه أمر أن تكون الذرية في رؤس الجبال اي وخرج معهم تأنيسا لهم ثم رجع وجمع اليه المقاتلة اي ويؤيد ذلك قول المواهب ثم ان ابرهة أمر رجلا من قومه يهزم

كرامته وفضيلته وقد تمسك القائل بنجاتهما أيضا بانهما ماتا قبل البعثة في زمن الفترة التي عم الجهل فيها وفقد فيها من يبلغ الدعوة على وجهها خصوصا وقد ماتا في حداثة السن فان والده صلى الله عليه وسلم عاش نحو ثمان عشرة سنة ووالدته ماتت وهي في حدود العشرين تقريبا ومثل هذا العمر لا يسع الفحص عن المطلوب في ذلك الزمان وحكم من لم تبلغه الدعوة انه يموت ناجيا ولا يعذب ويدخل الجنة لقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقد أطبقت الائمة الاشاعرة من أهل الاصول والشافعية من الفقهاء على أن من مات ولم تبلغه الدعوة يموت ناجيا ويدخل الجنة قال الجلال السيوطي هذا مذهب لا خلاف فيه بين الشافعية في الفقه والاشاعرة في الاصول ونص على ذلك الشافعي في الام والمختصر وتبعه سائر الاصحاب فلم يشر احد منهم لخلاف واستدلوا على ذلك بعدة آيات منها وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وهي مسئلة فقهية مقررة في كتب الفقه وهي فرع من فروع قاعدة أصولية متفق عليها عند الاشاعرة وهي قاعدة شكر المنعم واجب بالسمع لا بالعقل ومرجعها الى قاعدة كلامية هي التحسين والتقبيح العقليان وانكارهما متفق عليه بين الاشاعرة وترجع مسئلة من لم تبلغه الدعوة الى قاعدة ثانية أصولية وهي ان الغافل لا يكلف وهذا هو الصواب في الاصول لقوله تعالى ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون ثم اختلفت عبارة الاصحاب فيمن لم تبلغه الدعوة فأحسنها من قال انه ناج واياها اختار السبكي ومنهم من قال كأهل الفترة ومنهم من قال مسلم قال الغزالي والتحقيق أن يقال في معنى المسلم وقد مشى على هذا في والدي رسول الله صلى الله عليه وسلم قوم من العلماء فصرحوا بانهما لم تبلغهما الدعوة قال السيوطي وكان شيخنا شيخ الاسلام شرف الدين المناوي يقول به ويجيب به اذا سئل

عنهما قال وقد ورد فى أهل الفترة احاديث انهم موقوفون الى أن يمتحنوا يوم القيامة فمن أطاع منهم دخل الجنة ومن عصى دخل النار وهى كثيرة ومعانيها متقاربة والصحيح منها ثلاثة (الاول) حديث الاسود بن سريع وابى هريرة معا مرفوعا أربعة يحتجون يوم القيامة رجل أصم لا يسمع شيأ ورجل أحمق ورجل هرم ورجل مات فى فترة الحديث أخرجه الامام

أحمد وابن راهويه والبيهقى وصححه وفيه وأما الذى مات فى الفترة فيقول رب ما أتانى لك رسول فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه فيرسل اليهم أن ادخلوا النار فمن دخلها كانت عليه بردا وسلاما ومن لم يدخلها سحب اليها (والثانى) حديث ابى هريرة رضى الله عنه موقوفا وله حكم المرفوع لان مثله لا يقال من قبل الرأى اخرجه عبد الرزاق وابن جرير وابن ابى حاتم وابن المنذر فى تفاسيرهم واسناده صحيح على شرط الشيخين (والثالث) حديث ثوبان مرفوعا أخرجه البزار والحاكم فى المستدرك وقال صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبى قال الحافظ ابن حجر والظن بآله صلى الله عليه وسلم كلهم الذين ماتوا فى الفترة أن يطيعوا عند الامتحان لتقر بهم عينه صلى الله عليه وسلم قال القاضى عياض فى الاحاديث التى فيها انه صلى الله عليه وسلم جاء قبر أمه فبكى بكاء ثلاثا بكاؤه صلى الله عليه وسلم ليس لتعذيبها وانما هو أسف على ما فاتها من ادراك أيامه والايمان به قال الزرقانى وقد رحم الله بكاءه فاحياها له حتى آمنت به ثم قال وما ألطف هذه العبارة من القاضى عياض فانها صريحة فى ان البكاء انما هو لكونها لم تحز شرف الدخول فى هذه الامة لا لكونها على غير الحنيفية وقال الفخر الرازى فى تفسيره ان أبوى النبى صلى الله عليه وسلم كانا على الحنيفية دين ابراهيم عليه السلام كما كان زيد بن عمرو بن نفيل وأضرابه بل ان آباء الانبياء كلهم ما كانوا كفارا

الجيش فلما وصل مكة ونظر الى وجه عبد المطلب خضع الى آخر ما تقدم فاسقاط المواهب كون قريش جيشت جيشا مع قوله ثم ان ابرهة أرسل رجلا من قومه ليهزم الجيش لا يحسن ثم ركب عبد المطلب لما استبطأ مجىء القوم الى مكة ينظر ما الخبر فوجدهم قد هلكوا اى غالبهم وذهب غالب من بقى فاحتمل ما شاء من صفراء وبيضاء ثم آذن اى اعلم أهل مكة بهلاك القوم فخرجوا فانتهبوا * وفى كلام سبط ابن الجوزى وسبب غنا عثمان بن عفان أن أباه عفان وعبد المطلب وأبا مسعود الثقفى لما هلك ابرهة وقومه كانوا أول من نزل مخيم الحبشة فأخذوا من أموال ابرهة وأصحابه شيأ كثيرا ودفنوه عن قريش فكانوا أغنى قريش وأكثرهم مالا ولما مات عفان ورثه عثمان رضى الله تعالى عنه اى ومن جملة من سلم من قوم ابرهة ولم يذهب بل بقى بمكة سائس الفيل وقائده فعن عائشة رضى الله تعالى عنها أدركت قائد الفيل وسائسه بمكة أعميين مقعدين يستطعمان الناس (وأورد على هذا) ان الحجاج خرب الكعبة بضرب المنجنيق ولم يصبه شئ ويجاب بأن الحجاج لم يجئ لهدم الكعبة ولا لتخريبها ولم يقصد ذلك وانما قصد التضييق على عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما ليسلم نفسه وهذا أولى من جواب المواهب كما لا يخفى والله أعلم وكان مولده صلى الله عليه وسلم بمكة فى الدار التى صارت تدعى لمحمد بن يوسف أخى الحجاج اى وكانت قبل ذلك لعقيل بن ابى طالب ولم تزل بيد أولاده بعد وفاته الى أن باعوها لمحمد بن يوسف أخى الحجاج بمائة ألف دينار قاله الفاكهى اى فأدخلها فى داره وسماها البيضاء اى لانها بنيت بالجص ثم طليت به فكانت كلها بيضاء وصارت تعرف بدار ابن يوسف لكن سيأتى فى فتح مكة انه قيل له صلى الله عليه وسلم يا رسول الله تنزل فى الدور قال هل ترك لنا عقيل من رباع أو دور فان هذا السياق يدل على أن عقيلا باع تلك الدار فلم يبق بيده ولا بيد أولاده بعده الا أن يقال المراد باع ما عدا هذه الدار التى هى مولده صلى الله عليه وسلم اى لانه كما سيأتى فى الفتح باع دار أبيه ابى طالب لانه وطالبا أخاه ورثا ابا طالب لانهما كانا كافرين عند موت ابى طالب دون جعفر وعلى رضى الله تعالى عنهما فانهما كانا مسلمين وعقيل أسلم بعد دون طالب فان طالبا اختطفته الجن ولم يعلم به وان عقيلا باع دار رسول الله صلى الله عليه وسلم التى هى دار خديجة اى التى يقال لها مولد فاطمة رضى الله تعالى عنها وهى الآن مسجد يصلى فيه بناه معاوية رضى الله تعالى عنه أيام خلافته قيل وهو أفضل موضع بمكة بعد المسجد الحرام اى واشتهر بمولد فاطمة رضى الله تعالى عنها الشرفها والا فهو مولد بقية اخوتها من خديجة واهل معاوية

رضى

تشريفا المقام النبوة وكذلك أمهاتهم وان آزر لم يكن أبا لابراهيم عليه السلام بل كان عمه ويدل لذلك قوله تعالى وتقلبك فى
الساجدين مع قوله صلى الله عليه وسلم لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات وقال تعالى انما المشركون نجس
فوجب أن لا يكون أحد من أجداده مشركا وقد ارتضى كلامه هذا أئمة محققون منهم العلامة المحقق السنوسى

رضى الله تعالى عنه اشترى تلك الدار ممن اشتراها من عقيل ويدل لما قلناه قول بعضهم
لم يتعرض صلى الله عليه وسلم عند فتح مكة لتلك الدار التى أبقاها فى يد عقيل اى التى هى
دار خديجة فانه لم يزل بها صلى الله عليه وسلم حتى هاجر فأخذها عقيل * وفى كلام بعضهم
لما فتح النبى صلى الله عليه وسلم مكة ضرب مخبه بالحجون فقيل له الا تنزل منزلك من الشعب
فقال وهل ترك لنا عقيل منزلا وكان عقيل قد باع منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومنازل اخوته حين هاجروا من مكة ومنزل كل من هاجر من بنى هاشم وفى كلام
بعضهم كان عقيل تخلف عنهم فى الاسلام والهجرة فانه أسلم عام الحديبية التى هى السنة
السادسة وباع دورهم فلم يرجع النبى صلى الله عليه وسلم فى شئ منها * وهى اى تلك الدار
التى ولد بها صلى الله عليه وسلم عند الصفا قد بنتها زبيدة زوجة الرشيد أم الامين مسجدا
لما حجت * وفى كلام ابن دحية أن الخيزران أم هارون الرشيد لما حجت أخرجت تلك
الدار من دار ابن يوسف وجعلتها مسجدا ويجوز أن تكون زبيدة جددت ذلك المسجد
الذى بنته الخيزران فنسب لكل منهما وسيأتى أن الخيزران بنت دار الارقم مسجدا
وهى عند الصفا ايضا ولعل الامر التبس على بعض الرواة لان كلا منهما عند الصفا
وقيل ولد صلى الله عليه وسلم فى شعب بنى هاشم (أقول) قد يقال لا مخالفة لانه يجوز أن
تكون تلك الدار من شعب بنى هاشم ثم رأيت التصريح بذلك ولا ينافيه ما تقدم فى
الكلام على الحل من أن شعب ابى طالب وهو من جملة بنى هاشم كان عند الحجون لانه
يجوز أن يكون أبو طالب انفرد عنهم بذلك الشعب والله اعلم قال وقيل ولد صلى الله
عليه وسلم فى الردم اى ردم بنى جمح وهم بطن من قريش ونسب لبنى جمح لانه ردم على من
قتلوا فى الجاهلية من بنى الحرث فقد وقع بين بنى جمح وبين بنى الحرث فى الجاهلية
مقتلة وكان الظفر فيها لبنى جمح على بنى الحرث فقتلوا منهم جمعا كثيرا وردم على تلك
القتلى بذلك المحل وقيل ولد بعسفان انتهى (أقول) مما يرد القول بكونه ولد بعسفان
ما ذكره بعض فقهائنا أن من جملة ما يجب على الولى أن يعلم موليه اذا ميز أنه صلى الله عليه
وسلم ولد بمكة ودفن بالمدينة الا أن يقال ذاك بناء على ما هو الاصح عندهم والردم هو
المحل الذى كانت ترى منه الكعبة قبل الآن ويقال له الآن المدعى لانه يؤتى فيه
بالدعاء الذى يقال عند رؤية الكعبة ولم أقف على أنه صلى الله عليه وسلم وقف به ولعله
لم يكن مرتفعا فى زمنه صلى الله عليه وسلم لانه اعا رفعه وبناه سيدنا عمر رضى الله تعالى
عنه فى خلافته لما جاء السيل العظيم الذى يقال له سيل ام نهشل وهى بنت عبيدة بن

والتلمسانى محشى الشفاء فقالا
لم يتقدم لوالديه صلى الله عليه
وسلم شرك وكانا مسلمين لانه عليه
الصلاة والسلام انتقل من
الاصلاب الكريمة الى الارحام
الطاهرة ولا يكون ذلك الامع
الايمان بالله تعالى وما نقله
المؤرخون قلة حياء وأدب
وهذا لازم فى جميع الآباء وقد
أيد الجلال السيوطى كلام الفخر
الرازى بأدلة كثيرة وألف فى
ذلك رسائل فجزاه الله خيرا
وشكر سعيه فمن تلك الادلة
حديث البخارى بعثت من خير
قرون بنى آدم قرنا فقرنا حتى
بعثت من القرن الذى كنت فيه
مع ما ثبت أن الارض لم تخل من
سبعة مسلمين فصاعدا يدفع الله
بهم عن أهل الارض وأخرج
عبد الرزاق وابن المنذر بسند
صحيح على شرط الشيخين عن على
رضى الله عنه قال لم يزل على
وجه الارض سبعة مسلمون
فصاعدا ولولا ذلك لهلكت
الارض ومن عليها وأخرج
الامام أحمد فى الزهد بسند صحيح
على شرط الشيخين عن ابن
عباس رضى الله عنهما قال

١١ ـل ل ماخلت الارض من بعد نوح من سبعة يدفع الله بهم عن أهل الارض واذا قرنت بين هاتين المقدمتين اعنى
بعثت من خير قرون بنى آدم الخ وأن الارض لم تخل من سبعة مسلمين الخ أنتج ما قاله الامام لانه ان كان كل جد من أجداده من
جملة السبعة المذكورين فى زمانهم ففيه المدعى وان كانوا غيرهم فاما أن يكونوا على الحنيفية دين ابراهيم عليه السلام فهو

المدقق واما أن يكونوا على الشرك فيلزم أحد أمرين اما أن يكون غيرهم خيرا منهم وهو باطل لمخالفته الحديث الصحيح واما ان يكونوا خيرا وهم على الشرك وهو باطل بالاجماع وقال تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك فثبت أنهم على التوحيد ليكونوا خير أهل الارض فى زمانهم وساق نصوصا ٨٢ وأدلة كثيرة فى ايمان الآباء الطاهرين من آدم الى ابراهيم عليهما السلام ثم قال وقد صحت الاحاديث فى البخارى وغيره وتظافرت نصوص العلماء بأن العرب من عهد ابراهيم على دينه لم يكفر منهم احد الى أن جاء عمرو بن عامر الخزاعى الذى يقال له عمرو بن لحى فهو أول من عبد الاصنام وغير دين ابراهيم وكان قريبا من كنانة جد النبى صلى الله عليه وسلم ثم ساق أدلة تشهد بأن عدنان ومعدا وربيعة ومضر وخزيمة وأسد او الياس وكعبا على ملة ابراهيم ثم قال فتلخص من مجموع ما سقناه أن اجداده من آدم الى كعب وولده مرة مصرح بايمانهم الا آزر فانه مختلف فيه فان كان والد ابراهيم فانه يستثنى وان كان عمه كما هو أحد القولين فهو خارج عن الاجداد وسلمت سلسلة النسب قال الحافظ ابن ناصر رحمه الله

تنقل أحمد نورا عظيما
تلألأ فى جباه الساجدينا
تنقل فيهم قرنا فقرنا
الى أن جاء خير المرسلينا

قال السهيلى ان عبد المطلب لم تبلغه الدعوة وجاءت أدلة كثيرة تشهد بان عبد المطلب كان على الحنيفية والتوحيد وذكر ابن سيد الناس ان الله احياه حتى آمن به صلى الله عليه وسلم لكن هذا لم يرد صباح به حديث صحيح ولا ضعيف فالاكثرون على انه لم تبلغه الدعوة أو انه كان على الحنيفية ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم يبعث جدى عبد المطلب فى زى الملوك وأبهة الاشراف ذكره فى السيرة الحلبية عن ابن عباس رضى الله عنهما ويؤيده أيضا ما اتضح

سعيد بن العاص فانه اخذها والقاها اسفل مكة فوجدت هنالك ميتة ونقل المقام الى أن القاه باسفل مكة أيضا فجىء به وجعل عند الكعبة وكوتب عمر رضى الله عنه بذلك فحضر وهو فزع مرعوب ودخل مكة معتمرا فوجد محل المقام دثر وصار لا يعرف فهاله ذلك ثم قال أنشد الله عبدا عنده علم من محل هذا المقام فقال المطلب بن رفاعة رضى الله تعالى عنه أنا يا امير المؤمنين عندى علم بذلك فقد كنت اخشى عليه مثل ذلك فاخذت قدره من موضعه الى باب الحجر ومن موضعه الى زمزم بحفاظ وقال له اجلس عندى وأرسل فأرسل فجىء بذلك الحفاظ فقيس به ووضع المقام بمحله الآن وأحكم ذلك واستمر الى الآن فعند ذلك بنى هذا المحل الذى يقال له الردم بالصخرات العظيمة ورفعه فصار لا يعلوه السيل وصارت الكعبة تشاهد منه والآن قد حالت الابنية فصارت لا ترى ومع ذلك لا بأس بالوقوف عنده والدعاء فيه تبركا بمن سلف ولعل هذا محمل قول من قال أول من نقل المقام الى محله وكان ملصقا بالكعبة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فلا ينافى أن الناقل له هو صلى الله عليه وسلم كما سيأتى لكن رأيت ابن كثير قال وقد كان هذا الحجر اى الذى هو المقام ملصقا بباب الكعبة على ما كان عليه من قديم الزمان الى أيام عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فاخره عنه لئلا يشغل المصلين عنده الطائفون بالبيت هذا كلامه وقوله من قديم الزمان ظاهره من عهد ابراهيم على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام فليتأمل ٭ وعن كعب الاحبار انى أجد فى التوراة عبدى أحمد المختار مولده بمكة اى وهو ظاهر فى أن كعب الاحبار كان قبل الاسلام على دين اليهودية (قال) وعن عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه عن أمه الشفاء اى بكسر الشين المعجمة وتخفيف الفاء وقيل بفتحها وتشديد الفاء مقصورا قالت لما ولدت آمنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع على يدى اى فهى دايته صلى الله عليه وسلم ووقع فى كلام ابن دحية أن ام ايمن دايته صلى الله عليه وسلم وقد يقال اطلاق الداية على ام ايمن لانها قامت بخدمته صلى الله عليه وسلم ومن ثم قيل لها حاضنته وللشفاء قابلته وقد قيل فى اسم الوالدة والقابلة الامن والشفاء وفى اسم الحاضنة البركة والنماء وفى اسم مرضعته اولا التى هى ثويبة الثواب وفى اسم مرضعته المستقلة برضاعه التى هى حليمة السعدية الحلم والسعد قالت ام عبد الرحمن فاستهل فسمعت قائلا يقول يرحمك الله تعالى أو رحمك ربك اى أو يرحمك ربك ولهذا القول الذى لا يقال الا عند العطاس اى الذى هو التشميت بالشين المعجمة والمهملة حمل بعضهم الاستهلال الذى هو فى المشهور

لهمن المبشرات التى بشر بها على ألسنة الاحبار والكهان مع مارآه من المنامات والاشارات حتى تبين له أن محمدا صلى الله عليه وسلم هو النبى الموعود به آخر الزمن حتى ذكره بعضهم فى الصحابة منهم الحافظ ابن حجر فى الاصابة وابن السكن لما جاء عنه أنه ذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم سيبعث كما ذكروا بحيرا الراهب وأنظاره ممن مات قبل البعثة من الصحابة وان كان الصحيح عند المحققين عدم ثبوت الصحبة لانها متوقفة على الاجتماع بعد البعثة وقد روى عن عبد المطلب اخبار كثيرة تقتضى أنه عرف بها نبوة النبى صلى الله عليه وسلم فمن ذلك أن قوما من بنى مدلج وهم القافة المعروفون بالآثار والعلامات قالوا له فى حق النبى صلى الله عليه وسلم احتفظ به فانا لم نر قدما اشبه بالقدم الذى فى المقام منه اى وهى قدم ابراهيم عليه السلام وبينا عبد المطلب يوما فى الحجر وعنده أسقف نجران والاسقف رئيس النصارى فى دينهم وذلك الاسقف يحدثه ويقول انا نجد صفة نبى بقى من ولد اسمعيل وهذا البلد مولده ومن صفته كذا وكذا فأتى برسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر اليه والى عينيه والى ظهره وقدميه فقال هو هو ماهذا منك قال هذا ابنى قال ما نجد اباه حيا قال هو ابن ابنى وقد مات ابوه وامه حبلى به قال صدقت قال عبد المطلب لبنيه تحفظوا بابن اخيكم ألا تسمعون ما يقال فيه وعن ام ايمن رضى الله عنها قالت كنت احضن النبى صلى الله عليه وسلم اى اقوم بتربيته وحفظه فغفلت عنه يوما فلم ادر الا بعبد المطلب قائما على رأسى يقول يا بركة قلت لبيك قال اتدرين اين وجدت ابنى قلت لا ادرى قال وجدته مع غلمان قريبا من السدرة لا تغفلى عن ابنى فان اهل الكتاب يزعمون انه نبى هذه الامة وأنا لا آمن عليه منهم وكان عبد المطلب لا يأكل طعاما الا يقول على با بنى اى احضروه ويجلسه

صياح المولود اول ما يولد يقال استهل المولود اذا رفع صوته على العطاس مع الاعتراف بانه لم يجئ فى شئ من الاحاديث تصريح بانه صلى الله عليه وسلم لما ولد عطس انتهى اى فقد قال الحافظ السيوطى لم أقف فى شئ من الاحاديث يدل على أنه صلى الله عليه وسلم لما ولد عطس بعد مراجعة احاديث المولد من مظانها اى وعطس بفتح الطاء يعطس بالكسر والضم وحكى الفتح ولعله من تداخل اللغتين لكن فى الجامع الصغير استهلال الصبى العطاس وحينئذ يكون استهلال المولود له معنيان هما مجرد رفع الصوت والعطاس وحمل هنا على العطاس بقرينة الجواب الذى لا يقال الا عند العطاس وقد أشار الى التشميت صاحب الهمزية رحمه الله بقوله

شمتته الاملاك اذ وضعته * وشفتنا بقولها الشفاء

اى قالت له الاملاك رحمك الله أو رحمك ربك وقت وضع امه له وفرحتنا بقولها المذكور الشفاء التى هى ام عبد الرحمن بن عوف (اقول) قال بعضهم ولعله صلى الله عليه وسلم حمد الله بعد عطاسه لما استقر من شرعه الشريف انه لا يسن التشميت الا لمن حمد الله تعالى هذا كلامه ويدل لما ترجاه ما تقدم انه صلى الله عليه وسلم حين خروجه من بطن امه قال الحمد لله كثيرا * وفى كلام بعض شراح الهمزية ويجوز أن يكون شمت من غير حمد تعظيما لقدره صلى الله عليه وسلم وقد جاء العاطس ان حمد الله تعالى فشمتوه وان لم يحمد فلا تشمتوه وجاء اذا عطس فحمد الله تعالى فحق على كل من سمعه أن يشمته وفى الصحيح أن رجلا عطس عند النبى صلى الله عليه وسلم وحمد الله فشمته وعطس آخر فلم يحمد الله فلم يشمته * وفى حديث حسن اذا عطس احدكم فليشمته جليسه فاذا زاد على ثلاث فهو مزكوم فلا يشمت بعد ثلاث وتمسك بذلك اى بالامر بالتشميت بصيغة افعل التى الاصل فيها الوجوب وبقوله حق اهل الظاهر على وجوب التشميت على كل من سمع وذهب بعض الائمة الى وجوبه على الكفاية وهو منقول عن مشهور مذهب مالك رضى الله تعالى عنه اى وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ليس على ابليس اشد من تشميت العاطس * وعن سالم بن عبيد الله الاشجعى وكان من اهل الصفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عطس احدكم فليحمد الله عز وجل وليقل من عنده يرحمك الله وليرد عليه بقوله يغفر الله لى ولكم (ومن لطيف) ما اتفق ان الخليفة المنصور وشى عنده ببعض عماله فلما حضر عنده عطس المنصور فلم يشمته ذلك العامل فقال له المنصور ما منعك من التشميت فقال انك لم تحمد الله فقال حمدت فى نفسى فقال قد شمتك فى نفسى فقال له

بجنبه وربما اقعده على فخذه ويؤثره باطيب طعامه وعن رقيقة بنت ابى صيفى بن هاشم بن عبد مناف قيل ادركت الاسلام ولها صحبة قالت تتابعت على قريش سنون اى ازمنة قحط وجدب ذهبت بالاموال واشفين اى اشرفن على الانفس فسمعت قائلا يقول فى المنام يامعشر قريش ٨٤ ان هذا النبى المبعوث منكم هذا ابان اى وقت خروجه وبه يأتيكم الحيا والخصب فانظروا رجلا من اوساطكم اى اشرافكم نسبا طوالا عظاما اى طويلا عظيما ابيض مقرون الحاجبين اهدب الاشفار اى طويل شعر الاجفان اسيل الخدين اى لاشعر بهما رقيق العرنين اى الانف فليخرج هو وجميع ولده وليخرج منكم من كل بطن رجل فيتطهروا ويتطيبوا ثم استلموا الركن ثم ارقوا الى رأس ابى قبيس ثم يتقدم هذا الرجل فيستسقى وتؤمنون فانكم تسقون فاصبحت وقصت رؤياها عليهم فنظروا فوجدوا هذه الصفة صفة عبد المطلب فاجتمعوا عليه واخرجوا من كل بطن رجلا وفعلوا ما امرتم به ثم علوا على ابى قبيس ومعهم النبى صلى الله عليه وسلم وهو غلام فتقدم عبد المطلب فقال لاهم هؤلاء عبيدك واماؤك وبنوا مائك وقد نزل بنا ماترى وتتابعت علينا هذه السنون فذهبت بالظلف والخف والحافر اى البقر والابل والخيل والبغال والحمير فاشفت على الانفس اى اشرفت على ذهابها فاذهب عنا الجدب وائتنا بالحيا والخصب فمابرحوا حتى سالت الاودية قال وسمعت شيخان قريش وهى تقول لعبد المطلب هنيئا لك يا ابا البطحاء بك عاش اهل البطحاء وفى هذه القصة تقول رقيقة واشتد

بشيبة الحمد اسقى الله بلدتنا * وقد عدمنا الحيا واجلوذ المطر * فجاء بالماء جونى له سبل * دانى فعاشت به الانعام والشجر

ارجع لى عملك فانك ذالم تحابى لا تحابى غيرى قال بعضهم والحكمة فى قول العاطس ماذكرانه ربما كان العطاس سببا لالتواء عنقه فيحمد الله على معافاته من ذلك وقال غيره لان الاذى وهى الابخرة المحتقنة تندفع به عن الدماغ الذى فيه قوة التذكر والتفكر اى فهو بحران الرأس كما ان العرق بحران بدن المريض وذلك نعمة جليلة وفائدة عظيمة ينبغى أن يحمد الله تعالى عليها اى ولان الاطباء كما زعمه بعضهم نصوا على ان العطاس من أنواع الصرع اعاذنا الله تعالى من الصرع وقد ينازع فيه ماتقدم وماذكره بعض الاطباء أن العطاس للدماغ كالسعال للرئة قال والعطاس أنفع الاشياء لتخفيف الرأس وهو مما يعين على نقص المواد المحتبسة ويسكن ثقل الرأس فيحصل منه النشاط والخفة وفى نوادر الاصول للترمذى قال صلى الله عليه وسلم هذا جبريل يخبركم عن الله تعالى مامن مؤمن يعطس ثلاث عطسات متواليات الا كان الايمان فى قلبه ثابتا وفى الجامع الصغير ان الله تعالى يحب العطاس ويكره التثاؤب والعطسة الشديدة من الشيطان وفى الحديث العطاس شاهد عدل وفى حديث حسن أصدق الحديث ماعطس عنده وقد جاء أن روح آدم عليه السلام لما نزلت الى خياشيمه عطس فلما نزلت الى فيه * ولسانه قال الله تعالى له قل الحمد لله رب العالمين فقالها آدم عليه السلام فقال الحق يرحمك الله يا آدم ولذلك خلقتك وفى رواية وللرحمة خلقتك اى للموت وقد روى الترمذى مرفوعا بسند ضعيف العطاس والنعاس والتثاؤب فى الصلاة من الشيطان وروى ابن ابى شيبة موقوفا بسند ضعيف ايضا ان الله يكره التثاؤب ويحب العطاس فى الصلاة اى فمع كون كل واحد من العطاس والتثاؤب فى الصلاة من الشيطان العطاس فيها احب الى الله تعالى من التثاؤب فيها والتثاؤب فيها أكره الى الله تعالى من العطاس فيها لان الكراهة مقولة بالتشكيك ويمكن حمل كون العطاس من الشيطان على شدته ورفع الصوت به كما تقدم التقييد بذلك فى الرواية السابقة ومن ثم جاء اذا عطس احدكم اى هم بالعطاس فليضع كفيه على وجهه وليخفض صوته اى ولا ينافى وجود الشفاء وجود ام عثمان بن العاص عند امه صلى الله عليه وسلم عند ولادته ماروى عنها انها قالت لما اخذنى ما يأخذ النساء اى عند الولادة وانى لوحيدة فى المنزل رأيت نسوة كالنخل طولا كأنهن من بنات عبد مناف يحدقن بى وفى كلام ابن المحدث ودخل على نساء طوال كأنهن من بنات عبد المطلب مارأيت اضوأ منهن وجوها وكان واحدة من النساء تقدمت الى فاستندت اليها واخذنى المخاض

واشتد على الطلق وكأن واحدة منهن تقدمت الى وناولتنى شربة من الماء اشد بياضا من اللبن وأبرد من الثلج واحلى من الشهد فقالت لى اشربى فشربت ثم قالت الثالثة ازدادى فازددت ثم مسحت بيدها على بطنى وقالت بسم الله اخرج باذن الله تعالى فقلن لى اى تلك النسوة نحن آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وهؤلاء من الحور العين لجواز وجود الشفاء وأم عثمان عندها بعد ذلك وتأخر خروجه صلى الله عليه وسلم عن القول المذكور حتى نزل على يد الشفاء لما تقدم من قولها وقع على يدى ولعل حكمة شهود آسية ومريم لولادته كونهما يصيران زوجتين له صلى الله عليه وسلم فى الجنة مع كلثم أخت موسى ففى الجامع الصغير ان الله تعالى زوجنى فى الجنة مريم بنت عمران وامرأة فرعون واخت موسى وسيأتى عند موت خديجة أنه صلى الله عليه وسلم قال لها أشعرت ان الله تعالى قد اعلمنى أنه سيزوجنى وفى رواية أما علمت ان الله تعالى قد زوجنى معك فى الجنة مريم ابنة عمران وكلثم اخت موسى وآسية امرأة فرعون فقالت الله اعلمك بهذا قال نعم قالت بالرفاء والبنين (وقد حمى) الله هؤلاء النسوة عن أن يطأهن احد فقد ذكر أن آسية لما ذكرت لفرعون احب أن يتزوجها فتزوجها على كره منها ومن أبيها مع بذله لها الاموال الجليلة فلما زفت له وهم بها اخذه الله عنها وكان ذلك حاله معها وكان قد رضى منها بالنظر اليها * وأما مريم فقيل انها ما تزوجت بابن عمها يوسف النجار ولم يقربها وانما تزوجها ليرفقها الى مصر لما أرادت الذهاب الى مصر بولدها عيسى عليه السلام وأقاموا بها اثنتى عشرة سنة ثم عادت مريم وولدها الى الشام ونزلا الناصرة * وأخت موسى عليه السلام لم يذكر أنها تزوجت وهذا يفيد أن بنات عبد مناف او بنات عبد المطلب على ما تقدم كن متميزات عن غيرهن من النساء فى افراط الطول (وقد رأيت) ان على بن عبد الله ابن عباس وهو جد الخليفتين السفاح والمنصور اول خلفاء بنى العباس أبواهما محمد كان مفرطا فى الطول كان اذا طاف كان الناس حوله وهو راكب وكان مع هذا الطول الى منكب ابيه عبد الله بن عباس وكان عبد الله بن عباس الى منكب ابيه العباس وكان العباس الى منكب ابيه عبد المطلب لكن ابن الجوزى اقتصر فى ذكر الطوال على عمر بن الخطاب والزبير بن العوام وقيس بن سعد وحبيب بن سلمة وعلى بن عبد الله بن العباس وسكت عن عبد الله بن عباس وعن أبيه العباس وعن ابيه عبد المطلب (وفى المواهب) أن العباس كان معتدلا وقيل كان طوالا ورأيت ان عليا هذا جد الخلفاء العباسيين كان على غاية من العبادة والزهادة والعلم والعمل وحسن الشكل حتى قيل

منا من الله بالميمون طائره * وخير من بشرت حقا به مضر مبارك الاسم يستسقى الغمام به * ما فى الانام له عدل ولا خطر ولما سقوا لم يصل المطر الى بلاد قيس ومضر فاجتمع عظماؤهم وقالوا لقد أصبحنا فى جهد وجدب وقد سقى الله الناس بعبد المطلب فاقصدوه ولعله يسأل الله فيكم فقدموا مكة ودخلوا على عبد المطلب فحيوه بالسلام فقال لهم افلحت الوجوه وقام خطيبهم فقال قد اصابتنا سنون مجدبات وقد بان لنا اثرك وصح عندنا خبرك فاشفع لنا عند من شفعك وأجرى الغمام لك فقال عبد المطلب سمعا وطاعة موعدكم غداء عرفات ثم أصبح غاديا اليها وخرج معه الناس وأولاده ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صغير فنصب لعبد المطلب كرسى فجلس عليه وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه فى حجره ثم قام عبد المطلب ورفع يديه وقال اللهم رب البرق الخاطف والرعد القاصف رب الارباب وملين الصعاب هذه قيس ومضر من خير البشر قد تشعثت رؤسها وحدبت ظهورها تشكو اليك شدة الهزال وذهاب النفوس والاموال اللهم فأتح لهم سحابا خوارة وسماء خرارة لتضحك أرضهم ويزول ضرهم فما استتم كلامه حتى نشأت سحابة وكفاء لها دوى وقصدت نحو بلادهم فقال عبد المطلب يا معشر قيس ومضر انصرفوا فقد سقيتم فرجعوا وقد سقوا * وذكر ابن الجوزى أنه صلى الله عليه وسلم فى سنة سبع من مولده اصابه رمد شديد فعولج بمكة فلم يفد فقيل لعبد المطلب ان فى ناحية عكاظ راهبا يعالج الاعين فركب اليه فناداه وديره مغلق فلم يجبه فتزلزل ديره حتى خاف أن يسقط عليه فخرج مبادرا فقال يا عبد المطلب ان هذا الغلام نبى هذه الامة ولو لم أخرج اليك لخرب على ديرى فارجع به واحفظه لا يقتله بعض اهل الكتاب ثم عالجه وأعطاه ما يعالج به وفى رواية أن الراهب اخرج صحيفة وجعل ينظر اليها

والى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال هو والله خاتم النبيين ثم قال يا عبد المطلب هذا رمد قال نعم قال ان دواءه معه خذ من ريقه وضعه على عينيه فأخذ عبد المطلب من ريقه صلى الله عليه وسلم ووضعه على عينيه صلى الله عليه وسلم فبرأ لوقته ثم قال الراهب يا عبد المطلب وتالله هذا الذى ٨٦ أقسم على الله به فأبرئ المرضى وأشفى الاعين من الرمد وتقدم جملة من مناقب عبد المطلب وفيها ما يدل على توحيده منها أمره ابنيه بمكارم الاخلاق وتحنثه بغار حرا واطعامه المساكين حتى كان يرفع للطير والوحوش فى رؤس الجبال من مائدته وقطعه يد السارق ووفاؤه بالنذر وتحريمه الخمر على نفسه ومنعه من الزنا ومن نكاح المحارم وقتل الموؤدة وأن لا يطوف بالبيت عريان ومن ذلك قوله والله ان وراء هذه الدار دارا يجزى فيها المحسن باحسانه ويعاقب فيها المسىء باساءته ومن ذلك قوله حين دعائه لاهل مكة عند مجىء اصحاب الفيل

لاهم ان المرء يمـ * ـنع رحله فامنع رحالك

وانصر على آل الصليـ * ـب وعابديه اليوم آلك

ومن ذلك قوله حين اراد ذبح ابنه عبد الله فكان يضرب القداح ويقول يارب أنت الملك المحمود وانت ربى الملك المعبود من عندك الطارف والتليد فهل التوحيد شئ غير هذا كلا والله وأما فروع الشريعة فانها متوقفة على البعثة بالاجماع فلا يكلف احد بها قبل ذلك وتقدم أنه كان يوضع له فراش فى ظل الكعبة لا يجلس عليه احد غيره ويحدق به أشراف قريش فيجىء النبى صلى الله عليه وسلم ويجلس معه فأراد بعض أعمامه ان ينعه قبل فقال عبد المطلب ردوا ابنى الى مجلسى فانه تحدثه نفسه بملك عظيم وسيكون له شأن وارجو أن يبلغ من الشرف مالم يبلغه عربى قبله ولا بعده ولما مات كان صلى الله عليه وسلم يبكى خلف سريره (وروى أبو نعيم فى الحلية) والبيهقى أن سيف بن ذى يزن الحميرى

أنه كان اجمل شريف على وجه الارض وكان يصلى فى كل ليلة ألف ركعة ولذلك كان يدعى السجاد وان سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه هو الذى سماه عليا وكناه أبا الحسن فقد روى أن عليا رضى الله تعالى عنه افتقد عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما فى وقت صلاة الظهر فقال لاصحابه ما بال ابى العباس يعنى عبد الله لم يحضر فقالوا ولد له مولود فلما صلى على كرم الله وجهه قال امضوا بنا اليه فأتاه فهنأه فقال شكرت الواهب وبورك لك فى الموهوب زاد بعضهم ورزقت بره وبلغ أشده ما سميته قال أو يجوز لى أن اسميه حتى تسميه فأمر به فأخرج اليه فأخذه فحنكه ودعا له ثم رده اليه وقال خذ اليك أبا الاملاك قد سميته عليا وكنيته ابا الحسن فلما ولى معاوية الخلافة قال لابن عباس ليس لكم اسمه ولا كنيته يعنى على بن ابى طالب كرم الله وجهه كراهة فى ذلك وقد كنيته أبا محمد فجرت عليه وقد يخالف ذلك ما ذكر بعضهم ان عليا المذكور لما قدم على عبد الملك بن مروان قال له غير اسمك او كنيتك فلا صبر لى على اسمك وهو على وكنيتك وهى أبو الحسن قال اما الاسم فلا أغيره واما الكنية فأكتنى بابى محمد وانما قال عبد الملك ذلك كراهة فى اسم على بن ابى طالب وكنيته وعلى هذا دخل هو وولدا ولده محمد وهما السفاح والمنصور وهما صغيران يوما على هشام بن عبد الملك بن مروان وهو خليفة فاكرمه هشام فصار يوصيه عليهما ويقول له سيليان هذا الامر يعنى الخلافة فصار هشام يتعجب من سلامة باطنه وينسبه فى ذلك الى الحمق ويقال ان الوليد بن عبد الملك اى لما ولى الخلافة وبلغه عنه أنه يقول ذلك ضربه بالسياط على قوله المذكور وأركبه بعيرا وجعل وجهه مما يلى ذنب البعير وصائح يصيح عليه هذا على بن عبد الله بن عباس الكذاب قال بعضهم فأتيته وقلت له ما هذا الذى يسنده اليك من الكذب قال بلغهم عنى انى أقول ان هذا الامر يعنى الخلافة ستكون فى ولدى والله لتكونن فيهم فكان الامر على ما ذكر فقد ولى السفاح الخلافة ثم المنصور * وفى دلائل النبوة للبيهقى ان عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما قدم على معاوية رضى الله تعالى عنه فأجازه وأحسن جائزته ثم قال يا ابا العباس هل تكون لكم دولة قال اعفنى يا امير المؤمنين قال اتخبرنى قال نعم قال فمن أنصاركم قال اهل خراسان اى وهو ابو مسلم الخراسانى يجىء بجيش معه رايات سود يسلب دولة بنى أمية ويجعل الدولة لبنى العباس يقال ان أبا مسلم هذا قتل ستمائة الف رجل صبرا غير الذى قتله فى الحروب وهذه الرايات السود غير التى عناها صلى الله عليه وسلم بقوله اذا رأيتم الرايات السود قد جاءت من

الماولى على الحبشة وذلك بعد مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنتين اتاه وفود العرب واشرافها وشعراؤها تهنئه بملك ملوك الحبشة وبولايته عليهم لان ملك اليمن كان لحمير فانتزعته الحبشة منهم واستمر فى يد الحبشة سبعين سنة ثم ان سيف بن ذى يزن الحميرى استنقذ ملك اليمن من الحبشة واستقر فيه على ما كان عليه آباؤه فجاءت العرب تهنئه من كل جانب وكان من جملتهم وفد قريش وفيهم عبد المطلب وأمية بن عبد شمس وغالب رؤسائهم كعبد الله بن جدعان التيمى وأسد بن عبد العزى ووهب بن عبد مناف بن زهرة وقصى بن عبد الدار فأخبر بمكانهم وكان فى قصره بصنعاء وهو مضمخ بالمسك وعليه بردان والتاج على رأسه وسيفه بين يديه وملوك حمير عن يمينه وشماله فأذن لهم فدخلوا عليه ودنا منه عبد المطلب (وفى الوفاء للسيد السمهودى) وجدوه جالسا على سرير من الذهب وحوله أشراف اليمن على كراسى من الذهب فوضعت لهم كراسى من الذهب فجلسوا عليها الا عبد المطلب فانه قام بين يديه واستاذنه فى الكلام فقال ان كنت ممن يتكلم بين يدى الملوك فقد أذنا لك فقال ان الله أحلك ايها الملك محلا رفيعا شامخا وانبتك نباتا طالت أرومته وعظمت جرثومته وانت ملك العرب الذى له تنقاد وعمودها الذى عليه العماد وكهفها الذى يلجأ اليه العباد سلفك خير سلف وانت فيهم خير خلف فلن يهلك ذكر من أنت خلفه وان يخمل ذكر من انت سلفه نحن اهل بيت حرم الله وسدنة بيته أشخصنا اليك الذى ابهجنا من كشف الكرب الذى اثقلنا فنحن وفد التهنئة لا وفد الترزئة اى التعزية فعند ذلك قال له الملك من أنت ايها المتكلم قال عبد المطلب بن هاشم قال ابن اختنا لان أم عبد المطلب من الخزرج وهم من اليمن قال نعم قال ادن ثم اقبل عليه وعلى القوم وقال مرحبا واهلا وناقة ورحلا ومستناخا سهلا

قبل خراسان فأتوها فان فيها خليفة الله المهدى فان تلك الرايات تأتى قبيل قيام الساعة ثم صارت الخلافة فى أولاد المنصور وقول على فى ولدى واضح لان ولد الولد ولد (وقد حكى) فى مرآة الزمان عن المأمون أنه قال حدثنى ابى يعنى هرون الرشيد عن ابيه المهدى عن أبيه المنصور عن ابيه محمد بن على عن ابيه على عن أبيه عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال سيد القوم خادمهم وذكر أنه مما يؤثر عن المأمون أنه كان يقول استخدام الرجل ضيفه لؤم * وكان يقول لو عرف الناس حبى للعفو لتقربوا الى بالجرائم وانى اخاف أنى لا أوجر على العفو اى لانه صار لى طبيعة وسجية (قالت امه صلى الله عليه وسلم) ورأيت ثلاثة اعلام مضروبات علما بالمشرق وعلما بالمغرب وعلما على ظهر الكعبة والله اعلم ولما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعت عليه جفنة بفتح الجيم فانفلقت عنه فلقتين قال وهذا مما يؤيد أنه صلى الله عليه وسلم ولد ليلا فعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال كان فى عهد الجاهلية اذا ولد لهم مولود من تحت الليل وضعوه تحت الاناء لا ينظرون اليه حتى يصبحوا فلما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعوه تحت برمة زاد فى لفظ ضخمة والبرمة القدر فلما أصبحوا اتوا البرمة فاذا هى قد انفلقت ثنتين وعيناه الى السماء فتعجبوا من ذلك وعن أمه انها قالت فوضعت عليه الاناء فوجدته قد تفلق الاناء عنه وهو يمص ابهامه يشخب أى يسيل لبنا اه * اى وفى العرائس أن فرعون لما امر بذبح أبناء بنى اسرائيل جعلت المرأة اى بعض النساء كما لا يخفى اذا ولدت الغلام انطلقت به سرا الى واد أو غار فأخفته فيه فيقيض الله سبحانه وتعالى له ملكا من الملائكة يطعمه ويسقيه حتى يختلط بالناس وكان الذى أتى السامرى لما جعلته امه فى غار من الملائكة جبريل عليه السلام فكان اى السامرى يمص من احدى ابهاميه سمنا ومن الاخرى عسلا ومن ثم اذا جاع المرضع يمص ابهامه فيروى من المص قد جعل الله له فيه رزقا والسامرى هذا كان منافقا يظهر الاسلام لموسى عليه السلام ويخفى الكفر وفى رواية أن عبد المطلب هو الذى دفعه للنسوة ليضعوه تحت الاناء (أقول) هذا هو الموافق لما سيأتى عن ابن اسحق من أن امه صلى الله عليه وسلم لما ولدته ارسلت الى جده اى وكان يطوف بالبيت تلك الليلة فجاء اليها اى فقالت له يا أبا الحرث ولد لك مولود له امر عجيب فذعر عبد المطلب وقال أليس بشرا سويا فقالت نعم ولكن سقط ساجدا ثم رفع رأسه واصبعيه الى السماء فأخرجته له ونظر اليه وأخذه ودخل به الكعبة ثم خرج فدفعه اليها وبه يظهر التوقف فى قول ابن

وملكا جلا اى كثير العطاء قد سمع مقالتكم وعرف قرابتكم وقبل وسيلتكم فانكم أهل الليل والنهار ولكم الكرامة ما اقمتم والحباء اى العطاء اذا ظعنتم ثم أمرهم بالنهوض الى دار الضيافة والوفود وأجرى عليهم الارزاق فأقاموا بذلك شهرا لا يصلون اليه ولا يؤذن لهم بالانصراف ٨٨ ثم انتبه لهم انتباهة فأرسل الى عبد المطلب فأدناه ثم قال يا عبد المطلب انى مفض اليك من سر علم لو غيرك يكون لم نبح له به ولكن رأيتك معدنه فأطلعتك طلعه اى علمه فليكن عندك مخبأ حتى يأذن الله عز وجل فيه انى اجد فى الكتاب المكنون والعلم المخزون الذى ادخرناه لانفسنا واحتجبناه دون غيرنا خبرا عظيما وخطرا جسيما فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة للناس عامة ولرهطك كافة ولك خاصة فقال له عبد المطلب مثلك ايها الملك سر وبر فما هو فداك اهل الوبر زمرا بعد زمر قال اذا ولد غلام بتهامة بين كتفيه شامة كانت له الامامة ولكم به الزعامة الى يوم القيامة فقال له عبد المطلب أيها الملك ابت بخير ما آب بمثله وافد قوم ولولا هيبة الملك واعظامه لسألته من مساره اياى اى مسارته اياى بما أزداد به سرورا فقال له الملك هذا حينه الذى يولد فيه أو قد ولد اسمه محمد يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعمه قد ولدناه مرارا والله باعثه جهارا وجاعل له منا أنصارا يعز بهم أولياءه ويذل بهم أعداءه ويضرب بهم الناس عن عرض اى جميعا ويستفتح بهم كرائم الارض يعبد الرحمن ويدحض الشيطان اى يزجره ويخمد النيران ويكسر الاوثان قوله فصل وحكمه عدل اى أمر بالمعروف ويفعله وينهى عن المنكر ويبطله قال له عبد المطلب جد جدك ودام ملكك وعلا كعبك فهل الملك سارى فصاح فقد وضح لى بعض الايضاح قال والبيت ذى الحجب والعلامات على النقب انك لجده يا عبد المطلب غير كذب ثلج

دريدا كفنت عليه جفنة لئلا يراه أحد قبل جده فجاء جده والجفنة قد انفلقت عنه الا ان يقال يجوز أن يكون جده أخذه بعد انفلاق الجفنة ثم دخل به الكعبة ثم بعد خروجه به من الكعبة دفعه لها والنسوة ليضعوه تحت جفنة أخرى الى أن يصبح فانفلقت تلك الجفنة الاخرى حتى لا ينافى ذلك ما تقدم عن أمه فوجدت الاناء قد انفلق وهو يمص ابهامه (وعن اياس) الذى يضرب به المثل فى الذكاء قال أذكر الليلة التى وضعت فيها وضعت امى على رأسى جفنة وقال لامه ماشئ سمعته لما ولدت قالت يا بنى طست سقط من فوق الدار الى اسفل ففزعت فولدت تلك الساعة (قال بعضهم) يولد فى كل مائة سنة رجل تام العقل وان اياسا منهم ولعل هذا هو المراد بما جاء فى الحديث يبعث الله على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الامة أمر دينها والمراد برأسها آخرها بان يدرك اوائل المائة التى تليها بان تنقضى تلك المائة وهو حى الا انى لم اقف على ان اياسا هذا كان من المجددين والله أعلم (وفى تفسير ابن مخلد) الذى قال فى حقه ابن حزم ما صنف مثله اصلا ان ابليس رن اى صوت بحزن وكآبة اربع رنات رنة حين لعن ورنة حين اهبط ورنة حين ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم اى وهو المراد بقول بعضهم يوم بعثه ورنة حين أنزلت عليه صلى الله عليه وسلم فاتحة الكتاب والى رنته حين ولادته صلى الله عليه وسلم اشار صاحب الاصل بقوله

لمولده قد رن ابليس رنة * فسحقا له ماذا يفيد رنينه

وعن عطاء الخراسانى لما نزل قوله تعالى ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما صرخ ابليس صرخة عظيمة اجتمع اليه فيها جنوده من أقطار الارض قائلين ما هذه الصرخة التى أفزعتنا قال أمر نزل بى لم ينزل قط اعظم منه قالوا وما هو فتلا عليهم الآية وقال لهم فهل عندكم من حيلة قالوا ما عندنا من حيلة فقال اطلبوا فانى سأطلب قال فلبثوا ما شاء الله ثم صرخ أخرى فاجتمعوا اليه وقالوا ما هذه الصرخة التى لم نسمع منك مثلها الا التى قبلها قال هل وجدتم شيأ قالوا لا قال لكنى قد وجدت قالوا وما الذى وجدت قال أزين لهم البدع التى يتخذونها دينا ثم لا يستغفرون اى لان صاحب البدعة يراها بجهله حقا وصوابا ولا يراها ذنبا حتى يستغفر الله منها وقد جاء فى الحديث أبى الله ان يقبل عمل صاحب بدعة حتى يدع بدعته اى لا يثيبه على عمله ما دام متلبسا بتلك البدعة (وعن الحسن) قال بلغنى ان ابليس قال سولت لامة محمد صلى الله عليه وسلم المعاصى فقطموا ظهرى بالاستغفار فسولت لهم ذنوبا لا يستغفرون الله منها وهى الاهواء

صدرك وعلا كعبك فهل أحسست بشئ مما ذكرت لك قال نعم أيها الملك انه كان لى ابن وكنت به معجبا وعليه رفيقا وانى زوجته كريمة من كرائم قومى آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة فجاء بغلام فسميته محمدا مات أبوه وأمه وكفلته أنا وعمه يعنى أبا طالب فقال له الملك ان الذى قلت لك كما قلت لك فاحتفظ من ابنك واحذر عليه اليهود فانهم له اعداء وان يجعل الله لهم عليه سبيلا اى لحفظه والخوف عليه منهم من باب الاحتياط والاعلام بقدره ثم قال له واطو ماذكرته لك عن هؤلاء الرهط الذين معك فانى لست آمن أن تداخلهم النفاسة فى أن تكون لهم الرسالة فينصبون له الحبائل و يبغون له الغوائل وهم فاعلون ذلك وأبناؤهم من غير شك ولولا اعلم ان الموت مجتاحى اى مهلكى قبل مبعثه لسرت بخيلى و رجلى حتى أصير بيثرب دار ملكه فانى أجد فى الكتاب الناطق والعلم السابق ان يثرب احكام أمره وأهل نصرته وموضع قبره ولولا انى أقيه الآفات وأحذر عليه العاهات لاعلنت على حداثة سنه أمره وأعليت على أسنان العرب كعبه ولكن سأصرف ذلك اليك من غير تقصير بمن معك ثم دعا بالقوم وأمر لكل واحد منهم بعشرة اعبد سود وعشرة اماء سود وحلتين من حلل البرود وعشرة أرطال ذهبا وعشرة أرطال فضة ومائة من الابل وكرسيا مملوأ عنبرا وأمر لعبد المطلب بعشرة اضعاف ذلك وقال اذا جاء الحول فأتنى

١٢ حل ل بخبره وما يكون من أمره فمات الملك قبل أن يحول الحول وكان عبد المطلب كثيرا ما يقول لمن معه لا يغبطنى رجل منكم بجزيل عطاء الملك ولكن يغبطنى بما يبقى لى ولعقبى ذكره وفخره فاذا قيل له ما هو قال سيعلم ما أقول ولو بعد حين قال الزرقانى فى شرح المواهب وما ذكره الفخر الرازى من تفسير قوله تعالى وتقلبك فى الساجدين بتنقله فى أصلاب

اى البدع وقد جاء فى الحديث اخاف على أمتى بعدى ثلاثا ضلالة الاهواء الحديث وأهل الاهواء هم اهل البدع (وعن عكرمة) أن ابليس لما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى تساقط النجوم قال اى لجنوده لقد ولد الليلة ولد يفسد علينا أمرنا وهذا يدل على أن تساقط النجوم كان عند ابليس علامة على وجود نبينا صلى الله عليه وسلم فقال له جنوده لو ذهبت اليه فخبلته فلما دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الله جبريل عليه السلام فركضه برجله ركضة وقع بعدن وكون تساقط النجوم كان عند ابليس علامة على وجود نبينا صلى الله عليه وسلم مشكل مع قول بعضهم لما رجمت الشياطين ومنعت من مقاعدها فى السماء لاستراق السمع شكوا ذلك لابليس فقال لهم هذا أمر حدث فى الارض وأمرهم أن يأتوه بتربة من كل أرض فصار يشمها الى أن اتى بتربة من أرض تهامة فلما شمها قال من ههنا الحدث هكذا ساقه بعضهم عند ولادته صلى الله عليه وسلم الا أن يقال لا اشكال لان تساقط النجوم وان كان علامة على وجود نبينا صلى الله عليه وسلم لكن فى اى أرض على ان بعضهم أنكر كون ماذكر كان عند الولادة وقد تقدم أن المذكور فى كلام غيره انما هو عند مبعثه صلى الله عليه وسلم كما سيأتى ولعله من خلط بعض الرواة وعبارة بعضهم روى ان الشياطين كانت تصعد الى السماء ثم تجاوز سماء الدنيا الى غيرها فلما ولد عيسى عليه الصلاة والسلام منعوا من مجاوزة سماء الدنيا وصاروا يسترقون السمع فى سماء الدنيا حتى ولد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فمنعوا من التردد الى السماء الاقليلا اى فصاروا يسترقون السمع فى سماء الدنيا فى بعض الاحايين وفى أكثر الاحايين يسترقون دونها حتى بعث النبى صلى الله عليه وسلم فمنعوا أصلا فصاروا لا يسترقون السمع الادون سماء الدنيا ثم رأيتنى نقلت فى الكوكب المنير فى مولد البشير النذير عن ابن عباس رضى الله عنهما ان الشياطين كانوا لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها و يأتون باخبارها مما سيقع فى الارض فيلقونها على الكهنة فلما ولد عيسى عليه الصلاة والسلام حجبوا عن ثلاث سموات وعن وهب عن أربع سموات ولما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم حجبوا عن الكل وحرست بالشهب فما يريد احد منهم استراق السمع الا رمى بشهاب وسيأتى عند المبعث ايضاح هذا المحل وقد اخبرت الاحبار والرهبان بليلة ولادته صلى الله عليه وسلم فعن حسان بن ثابت رضى الله عنه قال انى لغلام يفعة اى غلام مرتفع ابن سبع سنين أو ثمان اعقل ما رأيت وسمعت اذ يهودى بيثرب يصيح ذات يوم غداة على أطمة اى محل مرتفع يا معشر يهود فاجتمعوا اليه وأنا أسمع وقالوا ويلك

الطاهرين وأرحام الطاهرات هو وجه من وجوه فى تفسير الآية وليس مراده الحصر فى هذا الوجه ولكن هذا الوجه هو الاولى بالقبول فقد أخرج ابن سعد والبزار والطبرانى وأبو نعيم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى قوله تعالى وتقلبك فى الساجدين قال من نبى الى نبى ومن نبى الى نبى حتى اخرجتك نبيا ٩٠ ففسر تقلبه فى الساجدين بتقلبه فى أصلاب الانبياء ولو مع الوسائط وحمل الآية على أعم منهم وهم المصلون الذين لم يزالوا فى ذرية ابراهيم أوضح وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج فى قوله تعالى رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى قال فلن تزال من ذرية ابراهيم ناس على الفطرة يعبدون الله تعالى وعن ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد فى قوله تعالى وجعلها كلمة باقية فى عقبه أنها لا اله الا الله باقية فى عقب ابراهيم عليه السلام وعن قتادة فى الآية قال هى شهادة أن لا اله الا الله والتوحيد لا يزال فى ذريته من يقولها من بعده قال الشهاب ابن حجر الهيتمى ان أهل الكتابين والتاريخ اجمعوا على ان آزر لم يكن أبا لابراهيم حقيقة وانما كان عمه والعرب تسمى العم أبا كما جزم به الفخر بل فى القرآن ذلك قال تعالى واله آبائك ابراهيم واسمعيل مع انه عم يعقوب وقد سبق الرازى على ذلك جماعة من السلف فقد روى بالاسانيد عن ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وابن جريج والسدى قالوا ليس آزر أبا ابراهيم انما هو ابراهيم بن تارخ ووقفت على أثر فى تاريخ ابن المنذر صرح فيه بانه عمه قال الزرقانى وبه يعلم عدم صحة ما تحامل به بعض المتأخرين جدا هو تخطأ من قال انه عمه وزعم انه تبع الشيعة وانه مخالف للكتاب والسنة وأهلها وغيرهم وزعم اتفاق المفسرين وغيرهم على ان والد ابراهيم كان كافرا وانما الخلاف فى اسمه وأطال فى بيان ذلك بما لا طائل تحته وحاصله انه احتجاج فقيه بمحل النزاع وغلطته

مالك قال طلع نجم احمد الذى ولد به فى هذه الليلة اى الذى طلوعه علامة على ولادته صلى الله عليه وسلم فى تلك الليلة فى بعض الكتب القديمة وحسان هذا سيأتى انه ممن عاش فى الجاهلية ستين سنة وفى الاسلام مثلها وكذا عاش هذا القدر وهو مائة وعشرون سنة أبوه وجده ووالد جده قال بعضهم ولا يعرف أربعة تناسلوا وتساوت اعمارهم سواهم وكان حسان رضى الله عنه يضرب بلسانه ارنبة أنفه وكذا ابنه وأبوه وجده وعن كعب الاحبار رضى الله عنه رأيت فى التوراة ان الله تعالى اخبر موسى عن وقت خروج محمد صلى الله عليه وسلم اى من بطن أمه وموسى عليه السلام اخبر قومه أن الكوكب المعروف عندكم اسمه كذا اذا تحرك وسار عن موضعه فهو وقت خروج محمد صلى الله عليه وسلم اى وصار ذلك مما يتوارثه العلماء من بنى اسرائيل وعن عائشة رضى الله عنها قالت كان يهودى يسكن مكة فلما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى مجلس من مجالس قريش هل ولد فيكم الليلة مولود فقال القوم والله ما نعلمه قال احفظوا ما اقول لكم ولد هذه الليلة نبى هذه الامة الاخيرة اى وهو منكم معاشر قريش على كتفه اى عند كتفه علامة اى شامة فيها شعرات متواترات اى متتابعات كأنهن عرف فرس اى وتلك العلامة هى خاتم النبوة اى علامتها والدليل عليها الا يرضع ليلتين وذلك فى الكتب القديمة من دلائل نبوته اى وعدم رضاعه لعله لتوعك يصيبه وفى كلام الحافظ ابن حجر وأقره تعليلا لعدم رضاعه لان عفريتا من الجن وضع يده على فيه وعند قول اليهودى ما ذكر تفرق القوم من مجالسهم وهم متعجبون من قوله فلما صاروا الى منازلهم أخبر كل انسان منهم آله وفى لفظ اهله فقالوا والله ولد الليلة لعبد الله بن عبد المطلب غلام سموه محمدا فالتقى القوم حتى جاؤا اليهودى وأخبروه الخبر اى قالوا اعلمت ولد فينا مولود قال اذهبوا معى حتى أنظر اليه فخرجوا حتى أدخلوه على أمه فقال أخرجى الينا ابنك فأخرجته وكشفوا عن ظهره فرأى تلك الشامة فخر مغشيا عليه فلما أفاق قالوا ويلك مالك قال والله ذهبت النبوة من بنى اسرائيل أفرحتم به يا معشر قريش أما والله ليسطون عليكم سطوة يخرج خبرها من المشرق الى المغرب اى وعن الواقدى رحمه الله انه كان بمكة يهودى يقال له يوسف فلما كان اليوم اى الوقت الذى ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يعلم به أحد من قريش قال يا معشر قريش قد ولد نبى هذه الامة الليلة فى بحرتكم اى ناحيتكم هذه وجعل يطوف فى أنديتهم فلا يجد خبرا حتى انتهى الى مجالس عبد المطلب فسأل فقيل له قد ولد لابن عبد المطلب اى لعبد الله غلام فقال

هو نبي والتوراة وكان بمر الظهران راهب من أهل الشام يدعى عيص وقد كان آتاه الله علما كثيرا وكان يلزم صومعة له ويدخل مكة فيلقى الناس ويقول يوشك اى يقرب أن يولد فيكم مولود يا أهل مكة تدين له العرب اى تذل وتخضع ويملك العجم اى أرضها وبلادها هذا زمانه فمن أدركه اى ادرك بعثته واتبعه أصاب حاجته اى مايؤمله من الخير ومن ادركه وخالفه اخطأ حاجته فكان لا يولد بمكة مولود الا ويسأل عنه ويقول ماجاء بعد اى الآن فلما كان صبيحة اليوم اى الوقت الذى ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عبد المطلب حتى أتى عيصا فوقف على اصل صومعته فناداه فقال من هذا فقال أنا عبد المطلب اى وقيل الجائى له عبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم بناء على انه لم يمت وأمه حامل به اى ولعل قائله أخذ ذلك من قول الراهب لما قيل له ماترى عليه اى على ذلك المولود فقال كن أباه فقد ولد ذلك المولود الذى كنت أحدثكم عنه وان نجمه اى الذى طلوعه علامة على وجوده طلع البارحة وعلامة ذلك اى ايضا أنه الآن وجع فيشتكى ثلاثا ثم يعافى (أقول) اى ولا يرضع فى تلك الثلاث ليلتين فلا يخالف ماسبق من قول الآخر لا يرضع ليلتين ولا دلالة فى قوله كن أباه على ان الجائى للراهب عبد الله لان عبد المطلب كان يقال له أبو النبي صلى الله عليه وسلم ويقال للنبي صلى الله عليه وسلم ابن عبد المطلب وقال النبي صلى الله عليه وسلم أنا ابن عبد المطلب كما تقدم والله أعلم ثم قال له فاحفظ لسانك اى لا تذكر ماقلته لك لاحد من قومك فانه لم يحسد حسده أحد ولم يبغ على احد كما يبغى عليه قال فما عمره قال ان طال عمره لم يبلغ السبعين يموت فى وتر دونها فى احدى وستين أو ثلاث وستين زاد فى رواية وذلك جل اعمار أمته وعند ولادته صلى الله عليه وسلم تنكست الاصنام اى أصنام الدنيا وتقدم ايضا أنها انتكست عند الحمل به وتقدم أنه لا مانع من تعدد ذلك وجاء ان عيسى عليه السلام لما وضعته امه خر كل شئ يعبد من دون الله فى مشارق الارض ومغاربها ساجدا لوجهه وفزع ابليس فعن وهب ابن منبه لما كانت الليلة التى ولد فيها عيسى صلى الله على نبينا وعليه وسلم أصبحت الاصنام فى جميع الارض منكسة على رؤسهم وكلما ردوها على قوائمها انقلبت فحارت الشياطين لذلك ولم تعلم السبب فشكت الى ابليس فطاف ابليس فى الارض ثم عاد اليهم فقال رأيت مولودا والملائكة قد حفت به فلم استطع أن ادنو اليه وما كان نبي قبله أشد على وعليكم منه وانى لارجو أن اضل به اكثر من يهتدى به (أقول) قد علمت أن تنكيس الاصنام تكرر لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم عند الحمل وعند الولادة فالخاص به

هى الخطأ وحصره القول به للشيعة باطل كيف وقد قال أولئك السلف انه عمه وحكاه الرازى ونقله حافظ السنة فى عصره وأقره وايده بما لا محيص عنه ان فى ذلك لعبرة لأولى الابصار وقد وافق الرازى على الاستدلال بهذه الآية لهذا المعنى الماوردى من ائمة الشافعية وناهيك بهما وأما الاخبار الواردة فى تعذيب بعض أهل الفترة المعارضة للقول بنجاتهم فقد أجاب العلماء عنها بأجوبة كثيرة منها أنها اخبار آحاد فلا تعارض القاطع كقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ومع ضعف اكثر تلك الاخبار وقبول صحيحها للتأويل او أنها منسوخة بما ورد فى الابوين مما يخالفها (فمن الاحاديث المعارضة) مارواه ابن ماجه عن ابن عمر رضى الله عنهما قال جاء اعرابى الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان أبى كان يصل الرحم وكان وكان فأين هو قال فى النار فكأنه وجد من ذلك فقال أين ابوك أنت فقال حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار فأسلم الاعرابى بعد فقال لقد كلفنى رسول الله صلى الله عليه وسلم تعبا ما مررت بقبر كافر الا بشرته بالنار وأجمل صلى الله عليه وسلم الجواب بقوله حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار جريا على عادته اذا سأله أعرابى وخاف من افصاح الجواب له فتنة واضطراب قلب أجابه بجواب فيه تورية وايهام ولهذا لم يفصح له بحقيقة الحال ومخالفة أبيه لابيه فى الحل الذى هو فيه خشية ارتداده لما جبلت عليه النفوس من كراهة الاستئثار عليها ولما كانت عليه العرب من الجفاء وغلظ القلوب فاورد له جوابا موهما اطيبا للقلب فتعين الاعتماد على هذا اللفظ وتقديمه على غيره مما غيره الرواة وعبروه بالمعنى كرواية مسلم ان رجلا قال يارسول الله اين أبى قال فى النار فلما قفا دعاه فقال ان أبى واباك فى النار فهذه الرواية منكرة وللعلماء فيها كلام كثير لخصه الزرقانى فى شرح المواهب وأحسن

مايقال فيها ان الرواة تصرفوا فيها واختلفت رواياتهم وأن الصواب هي الرواية الاولى فهي في غاية الاتقان تبين بها ان اللفظ العام هو الصادر من النبي صلى الله عليه وسلم ورآه الاعرابي بعد اسلامه أمرا مقتضيا للامتثال فلم يسعه الا امتثاله ثم لو فرض اتفاق الرواة على رواية مسلم كان معارضا ٩٢ بالادلة القرآنية والادلة الواردة في أهل الفترة والحديث الصحيح اذا عارضته ادلة أخرى وجب تأويله وتقديم تلك الادلة عليه كما هو مقرر في الاصول *(فان قيل)* حيث قررت أن اهل الفترة لا يقضى عليهم بشئ حتى يمتحنوا فكيف حكم صلى الله عليه وسلم على أبي السائل بانه في النار أجاب السيوطي بجواز أنه يعصى عند الامتحان وأوحى اليه صلى الله عليه وسلم بذلك فحكم بانه من أهل النار وبان حديثه متقدم على احاديث أهل الفترة فيكون منسوخا بها او بجواز أنه عاش حتى ادرك البعثة وبلغته وأصر ومات في عهده وهذا لاعذر له البتة قال الزرقاني وفي الثالث نظر لانه لو كان كذلك لما كان لسؤاله عن الاب الكريم وجه اذ الفرق لائح لان أباه بلغته البعثة والاب الشريف لم تبلغه اللهم الا أن يجاب بان الاعرابي توهم أنه لا يكفي بلوغ البعثة حتى يشاهد النبي ولا ينكر هذا منه لانه لم يكن حينئذ تفقه في الدين بل لم يكن أسلم كما صرح به في حديث سعد وابن عمر رضي الله عنهما وبعضهم روى هذه القصة بان السؤال عن الام وجمع بانه سأل مرة عن ابيه ومرة عن أمه

(ومن الاحاديث المعارضة للنجاة) حديث مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا استأذنت ربي أن استغفر لامي فلم يأذن لي واستأذنته أن ازور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فانها تذكر الآخرة واجيب كما في الزرقاني بان حديث عدم الاذن في الاستغفار لا يلزم منه الكفر بدليل أنه صلى الله عليه وسلم كان ممنوعا في اول الاسلام من الصلاة على من عليه دين لم يترك له

ما كان عند الحمل لا ما كان عند الولادة لمشاركة عيسى عليه السلام له في ذلك وبهذا يعلم ما في قول الجلال السيوطي في خصائصه الصغرى ان من خصائصه صلى الله عليه وسلم تنكيس الاصنام لمولده وعن عبد المطلب قال كنت في الكعبة فرأيت الاصنام سقطت من اماكنها وخرت سجدا وسمعت صوتا من جدار الكعبة يقول ولد المصطفى المختار الذي تهلك بيده الكفار ويطهر من عبادة الاصنام ويأمر بعبادة الملك العلام ولا يقال قال ابليس في حق عيسى عليه السلام لا استطيع أن ادنو اليه وتقدم في حق نبينا صلى الله عليه وسلم ان ابليس دنا منه فركضه جبريل عليه السلام لانا نقول يجوز أن يكون الدنو في حق نبينا صلى الله عليه وسلم دنوا الى محله الذي هو فيه لا الى جسده والدنو المنفي في حق عيسى عليه السلام دنو الى جسده فان قيل جاء في الحديث ما من مولود يولد الا يمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا الا مريم وابنها رواه الشيخان اى لقول أم مريم انى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم وفي رواية كل ابن آدم يطعن الشيطان في جنبه باصبعه حين يولد غير عيسى ابن مريم ذهب يطعن فطعن في الحجاب اى وهي المشيمة التي يكون فيها الولد ولعل المراد بجنبه جنبه الايسر وعن قتادة كل مولود يمسه الشيطان باصبعه في جنبه فيستهل صارخا الا عيسى ابن مريم وأمه مريم ضرب الله عليهما حجابا فأصابت الطعنة الحجاب فلم ينفذ اليهما منه شئ ولعل هذا الحجاب هو المشيمة ويحتمل أن يكون غيرها وجاء عن مجاهد ان مثل عيسى في عدم طعن الشيطان في جسده حين يولد سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام وذلك لا يقال من قبل الرأى وعلى تقدير صحة ذلك يكون تخصيص عيسى وأمه بالذكر كان قبل أن يعلم صلى الله عليه وسلم بان سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام كعيسى وأمه وهذا الكلام يرد بيان القاضي عياض للضرر المنفي في قوله صلى الله عليه وسلم من قال اذا اراد أن يأتي أهله بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فانه ان قدر بينهما في ذلك الوقت ولد من ذلك الجماع لم يضره الشيطان أبدا بأن المراد انه لا يطعن فيه عند ولادته بخلاف غيره وهذا اى عدم قربه من نبينا صلى الله عليه وسلم يجوز أن يكون في حق خصوص ابليس فلا ينافي ما تقدم عن الحافظ ابن حجر ان عدم ارتضاعه صلى الله عليه وسلم في ليلتين بوضع عفريت من الجن يده في فيه على تسليم صحته وصاحب الكشاف أخرج المس ومثله الطعن عن حقيقته وقال المراد به طمع الشيطان في اغوائه وتبعه القاضي على ذلك وسيأتي في شق صدره صلى الله عليه وسلم كلام يتعلق بذلك وفي كلام الشيخ محيي الدين

ابن العربي * اعلم أنه لابد لجميع بني آدم من العقوبة والالم شيأ بعد شئ الى دخولهم الجنة لانه اذا نقل الى البرزخ فلابد له من الالم أدناه سؤال منكر ونكير فاذا بعث فلابد له من ألم الخوف على نفسه أو غيره واول الالم في الدنيا استهلال المولود حين ولادته صارخا لما يجده من مفارقة الرحم وسخونته فيضربه الهواء عند خروجه من الرحم فيحس بألم البرد فيبكي فان مات فقد أخذ حظه من البلاء وقال بعد ذلك في قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه الصلاة والسلام والسلام علي يوم ولدت معناه السلامة من ابليس الموكل بطعن الاطفال عند الولادة حين يصرخ الولد اذا خرج من طعنته فلم يصرخ عيسى عليه السلام بل وقع ساجدا لله حين خرج فليتأمل هذا مع قوله ان استهلال المولود وصراخه حين يولد لحسه ألم البرد الذي يجده بعد مفارقة سخونة الرحم وقوله بل وقع ساجدا يدل على ان سجود نبينا صلى الله عليه وسلم حين ولد ليس من خصائصه والله اعلم وذكر أن نفرا من قريش منهم ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل وعبد الله بن جحش كانوا يجتمعون الى صنم فدخلوا عليه ليلة ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأوه منكسا على وجهه فانكروا ذلك فأخذوه فردوه الى حاله فانقلب انقلابا عنيفا فردوه فانقلب كذلك الثالثة فقالوا ان هذا الامر حدث ثم أنشد بعضهم ابياتا يخاطب بها الصنم ويتعجب من أمره ويسأله فيها عن سبب تنكسه فسمع هاتفا من جوف الصنم بصوت جهير اى مرتفع يقول

تردى لمولود أضاءت بنوره * جميع فجاج الارض بالشرق والغرب

الابيات والى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله

وتوالت بشرى الهواتف ان قد * ولد المصطفى وحق الهناء

اى تتابعت بشارة الهواتف جمع هاتف وهو ما يسمع صوته ولا يرى شخصه بان قد ولد المصطفى المختار على الخلق كلهم وثبت لهم الفرح والسرور وليلة ولادته صلى الله عليه وسلم تزلزلت الكعبة ولم تسكن ثلاثة أيام ولياليهن وكان ذلك أول علامة رأت قريش من مولد النبي صلى الله عليه وسلم وارتجس اى اضطرب وانشق ايوان كسرى أنوشروان ومعنى أنوشروان مجدد الملك اى وكان بناء محكما مبنيا بالحجارة الكبار والجص بحيث لا تعمل فيه الفؤوس مكث في بنائه نيفا وعشرين سنة اى وسمع لشقه صوت هائل وسقط من ذلك الايوان أربع عشرة شرفة بضم الشين المعجمة وسكون الراء اى وليس ذلك لخلل في بنائه وانما أراد الله تعالى أن يكون ذلك آية لنبيه صلى الله عليه وسلم باقية على وجه الارض اى وقد ذكر أن الرشيد امر وزيره يحيى بن خالد البرمكي اى والد جعفر والفضل بهدم ايوان كسرى

رفاه ومن الاستغفار له مع أنه من المسلمين وعلل بان استغفاره مجاب على الفور فلو استغفر لها لوصل ثواب دعائه الى منزلة في الجنة والمديون محبوس عن مقامه الكريم حتى يقضى دينه فقد تكون أمه مع كونها متحنفة محبوسة في البرزخ عن الجنة لامور أخر غير الكفر اقتضت أن لا يؤذن له في الاستغفار لها الى أن اذن الله فيه بعد ذلك قال وأما حديث أمي مع أمكما على ضعف اسناده فلا يلزم منه كونهما في النار لجواز أنه اراد بالمعية كونهما معها في دار البرزخ أو غير ذلك وعبر بذلك تورية وايهاما تطيبا لقلوبهما قال وأحسن منه أنه صدر ذلك منه قبل أن يوحى اليه أنها من اهل الجنة كما قال في تبع لا أدري تبعا ألعينا كان أم لا اخرجه الحاكم وابن شاهين عن ابي هريرة رضي الله عنه وقال بعد أن اوحي اليه في شأنه لا تسبوا تبعا فانه كان قد أسلم اخرجه ابن شاهين في الناسخ والمنسوخ عن سهل وابن عباس رضي الله عنهما فكأنه أولا لم يوح اليه في شأنها بشئ ولم يبلغه القول الذي قالته عند موتها ولا تذكره فأطلق القول بانهما مع أمهما جريا على قاعدة اهل الجاهلية ثم أوحي اليه امرها بعد قال ويمكن الجواب بانها كانت موحدة غير أنها لم يبلغها شأن البعث والنشور وذلك اصل كبير فأحياها الله له حتى آمنت بالبعث وبجميع ما في شريعته ولذا تأخر احياؤها الى حجة الوداع حتى تمت الشريعة ونزل اليوم اكملت لكم دينكم فأحييت حتى آمنت بجميع ما أنزل عليه وهذا معنى نفيس بليغ وتقدم عن القاضي عياض ان الاحاديث التي فيها البكاء عند قبر أمه تحمل على أن بكاءه ليس لتعذيبها وانما كان اسفا على ما فاتها من ادراك أيامه اى بعثته والايمان به وقد رحم الله بكاءه فأحياها حتى آمنت * (ومن الاحاديث المعارضة للنجاة) * ما رواه الحاكم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوما الى المقابر اى اشار الى أنه يريد

الذهاب اليها فاتبعناه فجاء حتى جلس الى قبر منها فناجاه طويلا ثم بكى فبكينا لبكائه ثم قام فقام اليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فدعاه ثم دعانا فقال ما أبكاكم فقلنا بكينا لبكائك فقال ان القبر الذي جلست عنده قبر آمنة واني استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي واني استأذنته في الدعاء وفي رواية في الاستغفار لها فلم يأذن لي وانزل علي ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى فأخذني ما يأخذ الولد للوالد اى من الرقة والشفقة والجواب عنه انه حديث ضعيف ضعفه ابن معين وغيره قال الذهبي فيه ابو ايوب بن هانئ ضعيف قال السيوطي فهذه علة تقدح في صحته فلا عبرة بتصحيح الحاكم له مع انه معارض بالاحاديث التي فيها ان الآية نزلت في ابي طالب واما ما ذكره بعض المفسرين من ان قوله تعالى انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسئل عن أصحاب الجحيم نزلت في الابوين فذلك باطل لا أصل له بل الآية نزلت في اليهود والنصارى قال ابو حيان في البحر وسوابق الآيات ولواحقها تدل على ذلك وقيل انها نزلت في ابي طالب وسيأتي الكلام عليه فان قلت قد صحت أحاديث بتعذيب بعض أهل الفترة كحديث البخاري ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار وكحديث مسلم رأيت صاحب المحجن في النار وهو الذي يسرق الحاج بمحجنه فاذا بصر به احد قال انما تعلق بمحجني وان غفل عنه ذهب به واجيب عن ذلك بأجوبة احدها انها اخبار آحاد تفيد الظن فلا تعارض القطع بأنهم غير معذبين المأخوذ السماء
من الآيات القرآنية فوجب تقديم الآيات عليها وان صحت الثاني قصر التعذيب المذكور في هذه الاحاديث على هؤلاء اتباعا للوارد ولا نقيس عليهم غيرهم فلا تنافي القاطع والله أعلم بالسبب الموقع لهم في العذاب وان كنا نحن لا نعلمه الثالث قصر التعذيب

فقال له يحيى لا تهدم بناء دل على فخامة شأن بانيه قال بل يا مجوسي ثم أمر بنقضه فقدر له نفقة على هدمه فاستكثرها الرشيد فقال له يحيى ليس يحسن بك ان تعجز عن هدم شئ بناه غيرك هذا والذي رأيته في بعض المجاميع ان المنصور لما بنى بغداد أحب ان ينقض ايوان كسرى فان بينه وبينها مرحلة ويبني به فاستشار خالد بن برمك فنهاه وقال هو آية الاسلام ومن رآه علم ان من هذا بناؤه لا يزول أمره وهو مصلى علي بن ابي طالب كرم الله وجهه والمؤنة في نقضه اكثر من الانفاق عليه ولا مانع من تكرر طلب نقضه من المنصور ومن ولد ولده الرشيد وانما قال الرشيد ليحيى بن خالد يا مجوسي لان جده والد خالد البرمكي وهو برمك كان من خراسان وكان أولا مجوسيا ثم اسلم وكان كاتبا عارفا محصلا لعلوم كثيرة جاء الى الشام في دولة بني أمية فاتصل بعبد الملك بن مروان فحسن موقعه عنده وعلا قدره ثم لما أن زالت دولة بني أمية وجاءت دولة بني العباس صار وزيرا للسفاح ثم لاخيه المنصور من بني العباس ورأيت عن برمك هذا حكاية عجيبة وهي انه سار الى زيارة ملك الهند فاكرمه وأمر به واحضر له طعاما وقال كل فأكلت حتى انتهيت فقال لي كل فقلت لا اقدر والله أيها الملك فأمر باحضار قضيب فأخذه الملك وامرّ به على صدري فكأني لم آكل شيأ قط ثم أكلت اكلا كثيرا حتى انتهيت فقال لي كل فقلت لا والله لا اقدر أيها الملك فأمر بالقضيب على صدري فكأني لم آكل شيأ فأكلت حتى انتهيت فقال لي كل فقلت والله ما اقدر على ذلك فأراد أن يمر بالقضيب على صدري فقلت أيها الملك ان الذي دخل يحتاج الى ان يخرج فقال صدقت وامسك عني فسألته عن القضيب فقال تحفة من تحف الملوك ومما يحفظ عن يحيى بن خالد هذا زيادة على ما تقدم عنه اذا احببت انسانا من غير سبب فارج خيره واذا أبغضت انسانا من غير سبب فتوق شره ومما يحفظ عنه أيضا وقد قال له ولده وأظنه الفضل وقد كان معه مقيدا في حبس الرشيد بعد قتله لولده جعفر وصلبه ونهبه اموال البرامكة ومن يلوذ بهم يا أبت بعد العز ونفوذ الكلمة صرنا الى هذه الحالة فقال يا ولدي دعوة مظلوم سرت ليلا غفلنا عنها وما غفل الله عنها اى فقد قال ابو الدرداء اياكم ودمعة اليتيم ودعوة المظلوم فانها تسري بالليل والناس نيام اى ولان الله تعالى يقول انا أظلم الظالمين ان غفلت عن ظلم الظالم وقد قال صلى الله عليه وسلم اتق دعوة المظلوم فانما يسأل الله حقه وان الله تعالى لن يمنع ذا حق حقه وجاء اتقوا دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب وجاء اتقوا دعوة المظلوم فانها تحمل على الغمام يقول الله وعزتي وجلالي لانصرنك ولو بعد حين والمراد بالغمام الغمام الابيض الذي فوق

المذكور في هذه الاحاديث على من بدل وغير من أهل الفترة كعمرو بن لحي فانهم فعلوا من الضلال والاضلال ما لا يعذرون به كعبادة الاوثان وتغيير الشرائع وقد قسم العلماء أهل الفترة ثلاثة أقسام * (القسم الاول) من أدرك التوحيد وعرف الله ببصيرته اى بعقله وخبرته فنعه هذا التبصر عن عبادة غير الله ثم من هؤلاء ٩٥ من لم يدخل في شريعة كقس بن ساعدة الايادي فانه آمن بالبعثة في زمن الجاهلية وعرف الله بعقله وكان يقول سيعلم حق من هذا الوجه ويشير الى مكة قالوا له وما هذا الحق قال رجل من ولد لؤى بن غالب يدعوكم الى كلمة الاخلاص وعيش الابد ونعيم لا ينفد فان دعاكم فأجيبوه ولو علمت انى أعيش الى مبعثه لكنت أول من يسعى اليه في كلام آخر وروى العمرى عن ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا رحم الله قسا انى أرجو أن يبعثه الله أمة وحده وسيأتى شئ من اخباره وكزيد بن عمرو بن نفيل والد سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة وعم عمر بن الخطاب فانه كان ممن طلب التوحيد وخلع الاوثان وجانب الشرك ومات قبل البعثة وكان يقول انى خالفت قومى واتبعت ملة ابراهيم واسمعيل وما كانا يعبدان وكانا يصليان الى هذه القبلة وأنا انتظر نبيا من بنى اسمعيل يبعث ولا أرانى أدركه وانا أومن به واصدقه واشهد انه نبى وقال لعامر بن ربيعة ان طالت بك حياة فأقرئه منى السلام قال عامر فلما اعلمت النبى صلى الله عليه وسلم بخبره رد عليه السلام وترحم عليه وقال رأيته في الجنة يسحب ذيولا ومن هذا القسم ابو بكر الصديق رضى الله عنه فانه ما كان يفعل ما يفعلون في الجاهلية وما سجد لصنم قط ولذا قال بعض المحققين كل من ابى بكر وعلى رضى الله عنهما يلقب بالصديق وانه يقال فيه كرم الله وجهه لكن اشتهر الصديق في ابى بكر وكرم الله وجهه في على رضى الله عنهما وكل منهما لم يسجد

السماء السابعة المعنى بقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام اى لا تقوى على حمله اذا سقط ونصر دعوة المظلوم استجابتها ولو بعد زمن طويل فهو سبحانه وتعالى وان أمهل الظالم لا يهمله وجاء اتقوا دعوة المظلوم فانها تصعد الى السماء كأنها شرارة اى تصعد الى السماء السابعة فما فوقها وجاء اتقوا دعوة المظلوم وان كان كافرا فانه ليس دونها حجاب وقد قال القائل

تنام عيناك والمظلوم منتبه * يدعو عليك وعين الله لم تنم

ومما قيل في يحيى بن خالد هذا من المدح البليغ

سألت الندى هل أنت حر فقال لا * ولكننى عبد ليحيى بن خالد

فقلت شراء قال لا بل وراثة * توارثنى من والد بعد والد

ومما يحفظ عن والد خالد التهنئة بعد ثلاث استخفاف بالمولود . ومما يحفظ عن جعفر ولد يحيى قوله شر المال ما لزمك الاثم في كسبه وحرمت الاجر في انفاقه وقوله المسىء لا يظن في الناس الا سوأ لانه يراهم بعين طبعه ومما قيل في جعفر من المدح قول الشاعر

تروم الملوك ندى جعفر * ولا يصنعون كما يصنع

وليس بأوسعهم في الغنى * ولكن معروفه أوسع

وخمدت نار فارس اى مع ايقاد خدامها لها اى كتب له صاحب فارس ان بيوت النار خمدت تلك الليلة ولم تخمد قبل ذلك بألف عام وغاضت اى غارت بحيرة ساوة اى بحيث صارت يابسة كأن لم يكن بها شئ من الماء مع شدة اتساعها اى كتب له بذلك عامله باليمن والى هذا يشير صاحب الاصل بقوله

لمولده ايوان كسرى تشققت * مبانيه وانحطت عليه شؤنه

لمولده خرت علا شرفاته * فلا شرف للفرس يبقى حصينه

لمولده نيران فارس اخمدت * فنورهم اخماده كان حينه

لمولده غاضت بحيرة ساوة * واعقب ذاك المد جور بشينه

كأن لم يكن بالامس ريا لناهل * وورد العين المستهام معينه

والى ذلك أيضا يشير صاحب الهمزية رحمه الله بقوله

وتداعى ايوان كسرى ولولا * آية منك ما تداعى البناء

وغدا كل بيت نار وفيه * كربة من خمودها وبلاء

وعيون للفرس غارت فهل كا * ن لنيرانهم بها اطفاء

اصنم قط ومنهم من دخل في شريعة حق قائمة الرسم كتبع وقومه من حمير وأهل نجران وورقة بن نوفل فانهم تنصروا في الجاهلية قبل نسخ دين النصرانية قال الزرقاني ولا بدع أن يكون الابوان الشريفان كالقسم الاول أعني زيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة بل الابوان أولى بذلك كما تقدم

(القسم الثاني) من أهل الفترة من غير وبدل وأشرك ولم يوحد وشرع لنفسه وحلل وحرم وهم الاكثر من العرب كعمرو بن لحي بن قمعة ابن الياس بن مضر أول من سن للعرب عبادة الاصنام وغير دين ابراهيم وجد مقعة بن خندف ابو خزاعة وخندف زوج الياس بن مضر وقد ذكر ابن اسحق في سبب تغيير عمرو بن لحي وتبديله واشراكه انه خرج الى الشأم وبها يومئذ العماليق وهم يعبدون الاصنام فاستوهبهم واحدا منها وجاء به الى مكة فنصبه الى الكعبة وهو هبل وقيل كان له تابع من الجن يقال له ابو ثمامة جاءه ليلة فقال اجب ابا ثمامه فقال لبيك من تهامه ادخل بلا ملامه فقال ائت سيف جده تجد آلهة معده فخذها ولا تهب وادع الى عبادتها تجب قال فتوجه الى جدة فوجد الاصنام التي كانت تعبد زمن نوح فحملها الى مكة ودعا الى عبادتها فانتشرت بسبب ذلك عبادة الاصنام في العرب وكانت التلبية من زمن ابراهيم عليه السلام لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك حتى كان عمرو بن لحي فبيناهو يلبي تمثل له الشيطان في صورة شيخ يلبي معه فقال عمرو لبيك لا شريك لك فقال الشيخ الا شريكا هو لك فانكر ذلك عمرو فقال ماهذا فقال قل تملكه وما ملك فانه لا بأس به يسكن فقالها عمرو فدانت بها العرب وشرع لهم الاحكام فبحر البحيرة وسيب السوائب ووصل الوصيلة وحمى الحامي فكانوا اذا انتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا أذنها اي شقوها وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب ولا تطرد من ماء ولا مرعى وسموها البحيرة

اي ومن العجائب التي ظهرت ليلة ولادته صلى الله عليه وسلم انهدام ايوان كسرى أنوشروان الذي كان يجلس به مع ارباب مملكته وكان من أعاجيب الدنيا سعة وبناء واحكاما ولولا وجود علامة صادرة عنك الى الوجود ما تهدم هذا البناء العجيب الاحكام ومن ذلك أيضا انه صار تلك الليلة كل واحد من بيوت نار فارس التي كانوا يعبدونها خامدة نيرانه والحال ان في ذلك البيت غما وبلاء عظيما من أجل سكون لهب تلك النيران التي كانوا يعبدونها في وقت واحد ومن ذلك أيضا غور ماء عيون الفرس في الارض حتى لم يبق منها قطرة وحينئذ يستفهم توبيخا وتقريعا لهم فيقال هل تلك المياه التي غارت كان بها اطفاء لتلك النيران ويقال في جوابه لا بل اطفاؤها انما هو لوجود هذا النبي العظيم وظهوره ورأى الموبذان اي القاضي الكبير وفي كلام ابن المحدث هو خادم النار الكبير ورئيس حكامهم وعنه يأخذون مسائل شرائعهم ورأى في نومه ابلا صعابا تقود خيلا عرابا اي وهي خلاف البراذين قد قطعت دجلة اي وهي نهر بغداد وانتشرت في بلادها اي والابل كناية عن الناس ورأى كسرى ما هاله وافزعه اي الذي هو ارتجاس الايوان وسقوط شرافاته فلما أصبح تصبر اي لم يظهر الانزعاج لهذا الامر الذي رآه تشجعا ثم رأى انه لا يدخر ذلك اي هذا الامر الذي هاله وافزعه عن مرازبته بضم الزاي اي فرسانه وشجعانه فجمعهم ولبس تاجه وجلس على سريره ثم بعث اليهم فلما اجتمعوا عنده قال أتدرون فيم بعثت اليكم قالوا لا الا ان يخبرنا الملك فبينما هم كذلك اذ ورد عليهم كتاب بخمود النيران اي وورد عليه كتاب من صاحب ايليا يخبره ان بحيرة ساوة غاضت تلك الليلة وورد عليه كتاب صاحب الشام يخبره ان وادي السماوة انقطع تلك الليلة وورد عليه كتاب صاحب طبرية يخبره ان الماء لم يجر في بحيرة طبرية فازداد غما الى غمه ثم أخبرهم بما رأى وما هاله اي وهو ارتجاس الايوان وسقوط شرافاته فقال الموبذان وانا اصلح الله الملك قد رأيت في هذه الليلة رؤيا ثم قص عليه رؤياه في الابل فقال اي شيء يكون هذا يا موبذان قال حدث يكون في ناحية العرب فابعث الى عاملك بالحيرة يوجه اليك رجلا من علمائهم فانهم أصحاب علم بالحدثان فكتب كسرى عند ذلك من كسرى ملك الملوك الى النعمان بن المنذر أما بعد فوجه الي برجل عالم بما اريد ان اسأله عنه فوجه اليه بعبد المسيح الغساني اي وهو معدود من المعمرين عاش مائة وخمسين سنة فلما ورد عليه قال ألك علم بما اريد ان اسألك عنه قال ليسألني الملك عما احب فان كان عندي علم منه والا أخبرته بمن يعلمه فأخبره بالذي وجه اليه فيه قال علم ذلك عند خالي

وكان الرجل منهم يقول ان شفيت من مرضى اوقدمت من سفرى فناقتى سائبة ويجعلها كالبحيرة فى تحريم الانتفاع بها واذا ولدت الشاة أنثى فهى لهم او ذكرا فهو لآلهتهم وان ولدتهما وصلت الانثى أخاها فلا يذبح الذكر لآلهتهم واذا انتجت من صلب الفحل عشرة أبطن حرموا ظهره ولم يمنعوه من ماء ولا مرعى وقالوا قد حمى ظهره وكل هذه الاقسام يجعلونها لطواغيتهم وتبعته العرب فى غير ذلك ايضا مما يطول ذكره كعبادة الجن والملائكة وخرق البنين والبنات واتخذوا بيوتا لها سدنة وحجاب يضاهون بها الكعبة كاللات والعزى ومناة *(القسم الثالث)* وهم من لم يشرك ولم يوحد ولا دخل فى شريعة نبى ولا ابتكر لنفسه شريعة ولا اخترع دينا بل بقى مدة عمره على حين غفلة عن هذا كله وفى الجاهلية من كان على ذلك واذا انقسم أهل الفترة الى الثلاثة الاقسام فيحمل من صح تعذيبه على القسم الثانى لاجل كفرهم بما تعدوا به من الخبائث وقد سمى الله هذا القسم كفارا ومشركين فانا نجد القرآن كلما حكى حال أحد منهم سجل عليهم بالكفر والشرك كقوله تعالى فى مقام الرد والانكار لما ابتدعوه ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب واكثرهم لا يعقلون وانما قيل لهم لا يعقلون لانهم قلدوا فيه الآباء وهذا شأن اكثرهم بخلاف القليل منهم فانه تباعد عن ذلك ووحد الله وهم اهل القسم الاول * واما القسم الثالث فهم أهل الفترة حقيقة وهم غير معذبين اتفاقا اذا علمت ذلك تعلم أن والدى النبى صلى الله عليه وسلم اما أن يكونا من اهل القسم الاول كما دلت على ذلك أشعارهم وأقوالهم المنقولة عنهم فيما تقدم واما أن يكونا من القسم الثالث لم تبلغهما دعوة لتأخر زمنهما او بعد ما بينهما او بين الانبياء

يسكن مشارف الشام بالفاء اى اعاليها اى وهى الجابية المدينة المعروفة يقال له سطيح قال فأته فاسأله عما سألتك عنه ثم ائتنى بتفسيره فخرج عبد المسيح حتى انتهى الى سطيح وقد اشفى اى أشرف على الضريح اى الموت اى احتضر وعمره اذ ذاك ثلثمائة سنة وقيل سبعمائة سنة اى ولم يذكره ابن الجوزى فى المعمرين وكان جسدا ملقى لا جوارح له وكان لا يقدر على الجلوس الا اذا غضب فانه ينتفخ فيجلس وكان وجهه فى صدره ولم يكن له رأس ولا عنق وفى كلام غير واحد لم يكن له عظم سوى عظم رأسه وفى لفظ لم يكن له عظم ولا عصب الا الجمجمة والكفين ولم يتحرك منه الا اللسان قيل لكونه مخلوقا من ماء امرأة لان ماء الرجل يكون منه العظم والعصب اى كما سيأتى عنه صلى الله عليه وسلم من قوله نطفة الرجل يخلق منها العظم والعصب ونطفة المرأة يخلق منها اللحم والدم قال صلى الله عليه وسلم ذلك لما سأله اليهود فقالوا له مم يخلق الولد فلما قال لهم ما ذكر قالوا له هكذا كان يقول من قبلك اى من الانبياء عليهم الصلاة والسلام وفيه ان عيسى عليه الصلاة والسلام على تسليم أنه خلق من نطفة وهى نطفة أمه كان فيه العظم والعصب فقد قيل تمثل لها الملك فى صفة شاب امرد حتى انحدرت شهوتها الى أقصى رحمها وقيل لم يخلق من نطفة اصلا وقد صرح بالاول الشيخ محيى الدين بن العربى رحمه الله حيث قال أنكر الطبيعيون وجود ولد من ماء احد الزوجين دون الآخر وذلك مردود عليهم بعيسى عليه السلام فانه خلق من ماء أمه فقط وذلك ان الملك لما تمثل لها بشرا سويا اشتدت اللذة بالنظر اليه فنزل الماء منها الى الرحم فتكون عيسى عليه السلام من ذلك الماء المتولد عن النفخ الموجب للذة منها فهو من ماء أمه فقط هذا كلامه اى وكون سطيح كان وجهه فى صدره لم يختص سطيح بهذا الوصف فقد رأيت ان عمرا ذا الاذعار انما قيل له ذلك لانه سبى امة وجوهها فى صدورها فذعرت الناس منهم وعمر وهذا كان فى زمن سليمان بن داود عليهما السلام وقيل قبله بقليل وملكت بعده بلقيس بعد قتلها اله وكان لسطيح سرير من الجريد والخوص اذا أريد نقله الى مكان يطوى من رجليه الى ترقوته وفى لفظ الى جمجمته كما يطوى الثوب فيوضع على ذلك السرير فيذهب الى حيث يشاء واذا أريد استخباره ليخبر عن المغيبات يحرك كما يحرك وطب المخيض اى سقاء اللبن الذى يمخض ليخرج زبده فينتفخ ويمتلئ ويعلوه النفس فيسئل فيخبر عما يسئل عنه وكانت جمجمته اذا لمست أثر اللمس فيها للينها قيل وهو اول كاهن كان فى العرب وهذا يدل على أنه سابق على شق وقد تقدم فى حفر زمزم ان الكاهنة التى ذهب اليها عبد المطلب وقريش ليتحاكموا عندها

السابقين وكونهما فى زمن جاهلية عم الجهل فيها شرقا وغربا وفقد فيها من يعرف الشرائع ويبلغ الدعوة على وجهها الا نفرا يسيرا من احبار أهل الكتاب مفرقين فى أقطار الارض كالشأم وغيرها وما عهد لهما تقلب فى الاسفار سوى المدينة ولا اعطياء عمرا طويلا يسع التفحص عن المطلوب مع زيادة أن امه صلى الله عليه وسلم مخدرة مصونة محجبة فى البيت عن الاجتماع بالرجال لا تجد من يخبرها واذا كان النساء اليوم مع فشو الاسلام شرقا وغربا لا يدرين غالب أحكام الشريعة لعدم مخالطتهن الفقهاء فما ظنك بزمان الجاهلية والفترة الذى رجاله لا يعرفون ذلك فضلا عن نسائه ولهذا لما بعث صلى الله عليه وسلم تعجب اهل مكة وقالوا أبعث الله بشرا رسولا وقالوا لو شاء ربنا لانزل ملائكة فلو كان عندهم علم من بعثة الرسل ما أنكروا ذلك وربما كانوا يظنون أن ابراهيم عليه السلام بعث بما هم عليه فانهم لم يجدوا من يبلغهم شريعته على وجهها لدثورها وفقد من يعرفها اذ كان بينهم وبينها ازيد من ثلاثة آلاف سنة واما اهل القسم الاول كقس بن ساعدة وزيد بن عمرو فقد قال عليه الصلاة والسلام فى كل منهما انه يبعث أمة وحده واستغفر لهما وترحم عليهما وأخبر بأنهما كانا على دين ابراهيم واسمعيل عليهما السلام وذلك بهداية وتوفيق من الله تعالى واذا صح ذلك لمثل هذين فلا مانع من حصول مثله لآبائه الكرام وأمهاته الفخام واختلفوا فى ثبوت الصحبة لقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل حتى والاكثرون على عدم ثبوت الصحبة لان اجتماعهم بالنبى صلى الله عليه وسلم كان قبل بعثته وارساله الى الخلق فهم مؤمنون به بالغيب قبل ظهوره ولذا اجاب عنه عليه الصلاة والسلام أنهم يبعثون بينه وبين عيسى عليه السلام وأما عثمان بن الحويرث وتبع

تفلت فى فم سطيح وفم شق وذكرت ان سطيحا يخلفها ومن ثم قال بعضهم لم يكن احد أشرف فى الكهانة ولا اعلم بها ولا أبعد فيها صيتا من سطيح وكان فى غسان (وذكر بعضهم) ان سطيحا كان فى زمن نزار بن معد بن عدنان وهو الذى قسم الميراث بين بنى نزار وهم مضر واخوته وهو يؤيد ما تقدم من أنه عمر سبعمائة سنة ثم شق وعبد المسيح وهؤلاء كانوا رؤس الكهنة وأهل العلم الغامض منهم بالكهانة اى والافهم اى من اهل العلم الغامض مسيلمة الكذاب فى بنى حنيفة وسجاح كانت فى بنى تميم وسجاح أخرى كانت فى بنى سعد والكهانة هى الاخبار عن الغيب والكهانة من خواص النفس الانسانية لان لها استعداد الانسلاخ من البشرية الى الروحانية التى فوقها فسلم عبد المسيح على سطيح وكلمه فلم يرد عليه سطيح جوابا فانشأ عبد المسيح يقول

* اصم ام يسمع غطريف اليمن * اى سيدهم الى آخر أبيات ذكرها فلما سمع سطيح شعر عبد المسيح رفع رأسه (اقول) قد يقال لا منافاة بين اثبات الرأس هنا ونفيه فى قوله ولم يكن له رأس لانه يجوز ان يكون المراد بالرأس المثبت الوجه لكن قد تقدم أنه لم يكن له عظم سوى ما فى رأسه او الا جمجمته ففى ذلك اثبات الرأس وقد يقال لما كان رأسه وتلك الجمجمة يؤثر فيهما اللمس لانهما لمخالفتهما الرأس من غيره ساغ اثبات الرأس له ونفيه عنه والله اعلم وعند رفع رأسه قال عبد المسيح على جمل مشيح اى سريع الى سطيح وقد وافى على الضريح اى القبر والمراد به الموت كما تقدم بعثك ملك ساسان لارتجاس الايوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت فى بلادها يا عبد المسيح اذا كثرت التلاوة اى تلاوة القرآن وظهر صاحب الهراوة وغاضت بحيرة ساوة وخمدت نار فارس فليست بابل للفرس مقاما ولا الشام لسطيح شاما يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرفات وكل ماهو آت آت ثم قضى سطيح مكانه اى مات من ساعته والهراوة بكسر الهاء وهى العصا الضخمة اى وهو النبى صلى الله عليه وسلم لانه كان يمسك العصا كثيرا عند مشيه وكان يمشى بالعصا بين يديه وتغرز له فيصلى اليها التى هى العنزة وفى الحديث حمل العصا علامة المؤمن وسنة الانبياء وفى الحديث من بلغ اربعين سنة ولم يأخذ العصا عذب اى عدم أخذ العصا من الكبر والعجب وقد يقال مراد سطيح بالعصا العنزة التى تغرز ويصلى اليها فى غير المسجد لانه لم يحفظ ان ذلك كان لمن قبله من الانبياء وذكر الطبرى ان ابرويز بن هرمز جاءه جاء فى المنام فقيل له سلم ما فى يدك الى صاحب الهراوة فلم يزل مذعورا من ذلك

وقومه وأهل نجران فحكمهم حكم أهل الدين الذى دخلوا فيه مالم يلحق أحدهم الاسلام الناسخ لكل دين لكن تبع لم يدرك الاسلام قطعا وقال فيه صلى الله عليه وسلم قبل أن يوحى اليه فيه لا ادرى تبعا ألعينا كان ام لا ثم لما اوحى الله فيه قال لا تسبوا تبعا فانه كان قد أسلم اى وحد الله وصدق بالنبى صلى الله عليه وسلم قبل ٩٩ ظهوره وأخرج ابو نعيم عن عبد الله بن سلام رضى الله عنه قال لم يمت تبع حتى صدق بالنبى صلى الله عليه وسلم لما كانت يهود يثرب يخبرونه قال الامام جلال الدين السيوطى انى لم ادّع أن مسئلة الابوين اجماعية بل هى مسئلة اختلافية فحكمها حكم سائر المسائل المختلف فيها غير أنى اخترت اقوال القائلين بالنجاة لانه الانسب بهذا المقام والحذر الحذر من ذكرهما بما فيه نقص فان ذلك قد يؤذى النبى صلى الله عليه وسلم لان العرف جار بأنه اذا ذكر أبو الشخص بما ينقصه أو وصف بوصف قائم به وذلك الوصف فيه نقص تأذى ولده بذكر ذلك له عند المخاطبة كيف وقد روى ابن منده وغيره عن ابى هريرة رضى الله عنه قال جاءت سبيعة بنت أبى لهب الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ان الناس يقولون أنت بنت حطب النار فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مغضب فقال مابال أقوام يؤذوننى فى قرابتى من آذانى فقد آذى الله وروى الطبرانى والامام احمد والترمذى عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الاموات فتؤذوا الاحياء ولا ريب ان أذاه صلى الله عليه وسلم كفر يقتل فاعله ان لم يتب وعند المالكية يقتل وان تاب فاذا سئل العبد عن الابوين الشريفين فليقل هما ناجيان فى الجنة اما لانهما أحييا حتى آمنا به كما جزم به الحافظ السهيلى والقرطبى وناصر الدين بن المنير وغيرهم من المحققين وأما لانهما ماتا فى الفترة

حتى كتب اليه النعمان بظهوره والنبى صلى الله عليه وسلم بتهامة فعلم أن الامر سيصير اليه وعند موت سطيح نهض عبد المسيح الى راحلته وهو يقول شعرا منه

شمر فانك ماضى العزم شمير * ولا يغرنك تفريق وتغيير
والناس اولاد علات فمن علموا * ان قد أقل فمحقور ومهجور
وهم بنو الام امان رأوا نشبا * فذاك بالغيب محفوظ ومنصور
والخير والشر مقرونان فى قرن * فالخير متبع والشر محذور

فلما قدم عبد المسيح على كسرى وأخبره بما قاله سطيح قال له كسرى الى أن يملك منا اربعة عشر ملكا كانت امور وأمور فملك منهم عشرة فى أربع سنين وملك الباقون الى خلافة عثمان رضى الله عنه اى فقد ذكر ان آخر من هلك منهم كان فى اول خلافة عثمان رضى الله عنه ○ اى وكانت مدة ملكهم ثلاثة آلاف سنة ومائة سنة وأربعا وستين سنة ومن ملوك بنى ساسان سابور ذو الاكتاف قيل له ذلك لانه كان يخلع اكتاف من ظفر به من العرب ولما جاء لمنازل بنى تميم وجدهم فروا منه ومن جيشه ووجد بها عمير بن تميم وهو ابن ثلثمائة سنة وكان معلقا فى قفة لعدم قدرته على الجلوس فأخذ وجىء به اليه فاستنطقه فوجد عنده أدبا ومعرفة فقال للملك أيها الملك لم تفعل فعلك هذا بالعرب فقال يزعمون ان ملكنا يصير اليهم على يد نبى يبعث فى آخر الزمان فقال له عمير فاين حلم الملوك وعقلهم ان يكن هذا الامر باطلا فلن يضرك وان يكن حقا الفوك ولم تتخذ عندهم يدا يكافؤنك عليها ويعظمونك بها فى دولتك فانصرف سابور وترك تعرضه للعرب وأحسن اليهم بعد ذلك وقول سطيح يملك منهم ملوك وملكات لم أقف على أنه ملك منهم من النساء الا واحدة وهى بوران ولما بلغه صلى الله عليه وسلم ذلك قال لا يفلح قوم ملكتهم امرأة فملكت سنة ثم هلكت وذكر ابن اسحق رحمه الله ان امه صلى الله عليه وسلم لما ولدته ارسلت خلف جده عبد المطلب أنه قد ولد لك غلام فانظر اليه فأتاه ونظر اليه وحدثته بما رأته فأخذه عبد المطلب ودخل به الكعبة اى وقام يدعو الله اى وأهله يؤمنون ويشكر له ما أعطاه * ثم خرج به الى أمه فدفعه اليها وقد تقدم الوعد بذلك وتقدم ما فيه قال وتكلم صلى الله عليه وسلم فى المهد فى أوائل ولادته واول كلام تكلم به أن قال الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا اه (أقول) وتقدم انه قال حين ولد جلال ربى الرفيع كما أورده السهيلى عن الواقدى وأنه روى أنه تكلم حين خروجه من بطن أمه فقال الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا ولا مانع من تكرر ذلك حين

قبل البعثة ولا تعذيب قبلها كما جزم به الابى فى شرح مسلم واما انهما كانا على الحنيفية والتوحيد لم يتقدم لهما شرك كما قطع به الامام السنوسى والتلمسانى محشى الشفاء فهذه خلاصة أقوال المحققين ولا تلتفت الى قول من خالف شيأ من ذلك وقد نقل العلامة الطحطاوى من علماء الحنفية المتأخرين فى حواشيه على الدر المختار فى كتاب النكاح جملة من أقوال المحققين وذكر أن المحققين من الحنفية على هذا الاعتقاد ولا عبرة بمخالفة من خالف فى ذلك قال العلامة الزرقانى فى شرح المواهب وسئل القاضى أبو بكر ابن العربى أحد أئمة المالكية عن رجل قال ان أبا النبى صلى الله عليه وسلم فى النار فأجاب بانه ملعون لقوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا ولا أذى اعظم من أن يقال ابوه فى النار وأخرج ابن عساكر وابو نعيم أن رجلا من كتاب الشام استعمل على كورة من كوره رجلا كان ابوه يزن بالمنانية فبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فقال له ما حملك على أن تستعمل على كورة من كور المسلمين رجلا كان أبوه يزن بالمنانية فقال أصلح الله امير المؤمنين وما على من كان ابوه كان أبو النبى صلى الله عليه وسلم مشركا فقال عمر آه ثم سكت ثم رفع رأسه ثم قال أأقطع لسانه أأقطع يده ورجله أأضرب عنقه ثم قال لا تل لى شيأ ما بقيت وعزله عن الدواوين واقد أطنب الجلال السيوطى رضى الله عنه فى الاستدلال لايمانهما فالله يثيبه على قصده الجميل وجملة مؤلفاته فى ذلك ستة منها تأليف سماه مسالك الحنفا فى نجاة آباء المصطفى صلى الله عليه وسلم قال فى مسالك الحنفا وقد سئلت ان أنظم فى هذه المسئلة ابياتا أختم بها هذا التأليف فقلت الى

خروجه وحين وضعه فى المهد ثم زاد فى المرة الثالثة وسبحان الله بكرة وأصيلا وحينئذ يكون تكلمه حين خروجه من بطن أمه لم يشاركه فيه غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام الا الخليل والا نوحا كما سيأتى بخلاف تكلمه فى المهد على أنه سيأتى أنه يجوز أن يكون المراد بالتكلم فى المهد التكلم فى غير أوان الكلام ويقال انه قال ذلك عند فطامه * وتقدم أنه قال الحمد لله لما عطس على الاحتمال الذى أبداه بعضهم كما تقدم بما فيه ولا مانع من وجود هذه الامور الثلاثة التى هى جلال ربى الرفيع والله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا حين ولادته وعلم ترتيبها يتوقف على نقل وحينئذ تكون الاولية فى الواقعة فى بعض ذلك اما حقيقية او اضافية وقدمنا ان الاولية فى قوله جلال ربى الرفيع بالنسبة لقوله الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا اضافية * قال وقد تكلم جماعة فى المهد نظمهم الجلال السيوطى رحمه الله تعالى فى قوله

تكلم فى المهد النبى محمد * ويحيى وعيسى والخليل ومريم
ومبرى جريج ثم شاهد يوسف * وطفل لدى الاخدود يرويه مسلم
وطفل عليه مر بالامة التى * يقال لها تزنى ولا تتكلم
وماشطة فى عهد فرعون طفلها * وفى زمن الهادى المبارك يختم اهـ

قال بعضهم لكن هو صلى الله عليه وسلم حصر من تكلم فى المهد فى ثلاثة ولم يذكر نفسه اى فقد روى عن ابى هريرة مرفوعا لم يتكلم فى المهد الا ثلاثة عيسى وصاحب جريج وابن المرأة التى مر عليها بامرأة يقال لها انها زنت وقد يقال هذا الحصر اضافى اى ثلاثة من بنى اسرائيل أو ان ذلك كان قبل أن يعلم بما زاد وذكر أن عيسى عليه السلام تكلم فى المهد وهو ابن ليلة وقيل وهو ابن أربعين يوما اشار بسبابته وقال بصوت رفيع انى عبد الله لما مر بنو اسرائيل على مريم عليها السلام وهى حاملة له صلى الله عليه وسلم وأنكروا عليها ذلك واشارت اليهم أن كلموه وضربوا بايديهم على وجوههم تعجبا وقالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا قال لهم ماقصه الله سبحانه وتعالى ثم يأتى فى الكلام على قصة الاسراء والمعراج ذكرت ذلك وان عيسى تكلم يوم ولادته قال لابن خال أمه يوسف النجار وقد خرج فى طلب امه وقد خرجت لما اخذها ما يأخذ النساء من الطلق عند الولادة خارج بيت المقدس وجلست تحت نخلة يابسة فاخضرت النخلة من ساعتها وتدلت عراجينها وجرت من تحتها عين ماء ووضعته تحتها ابشر يا يوسف وطب نفسا وقر عينا فقد أخرجنى ربى من ظلمة الارحام الى ضوء الدنيا وسآتى بنى اسرائيل وأدعوهم

ان الذى بعث النبى محمدا * أنجى به الثقلين مما يجحف
ولامه وأبيه حكم شائع * أبداه اهل العلم فيما صنفوا
فجماعة أجروهما مجرى الذى * آباته خير الدعاة المسعف
والحكم فيمن لم تجئه دعوة * ان لا عذاب عليه حكم مؤلف
فبذاك قال الشافعية كلهم * والاشعرية ما بهم متوقف
وبسورة الاسراء فيه حجة ١٠١ وبنحوها فى الذكر آى تعرف

الى طاعة الله فانصرف يوسف الى زكريا عليهما السلام وأخبره بولادة مريم وقول ولدها ماذكر صلى الله عليه وسلم (وفى النطق المفهوم) أن عيسى عليه السلام كلم يوسف المذكور وهو فى بطن امه فقد قيل انه اول من علم بحمل مريم عليها السلام فقال لها مقرعا لها يا مريم هل تنبت الارض زرعها من غير بذر وهل يكون ولد من غير فحل فقال له عيسى عليه السلام وهو فى بطن أمه قم فانطلق الى صلاتك واستغفر الله مما وقع فى قلبك وعن ابى هريرة رضى الله عنه أن عيسى عليه السلام تكلم فى المهد ثلاث مرات ثم لم يتكلم حتى بلغ المدة التى يتكلم فيها الصبيان عادة اى ولعل المرة الثالثة هى التى حمد الله فيها بحمد لم تسمع الآذان مثله فقال اللهم أنت القريب فى علوك المتعالى فى دنوك الرفيع على كل شئ من خلقك حارت الابصار دون النظر اليك * ومبرى جريج تكلم كذلك اى فى بطن أمه قيل له من ابوك فقال الراعى عبد بنى فلان وتكلم بعد خروجه من بطن أمه فقد تكلم مرتين مرة فى بطن امه ومرة وهو طفل كذا فى النطق المفهوم ولم أقف على وقت كلامه ولا على ما تكلم به حينئذ وأما يحيى عليه السلام فتكلم وهو ابن ثلاث سنين قال لعيسى أشهد انك عبد الله ورسوله والخليل تكلم وقت ولادته وسيأتى ما تكلم به وفى كون ابن ثلاث سنين وفى كون من تكلم وقت ولادته يكون فى المهد نظر الا أن يكون المراد بالتكلم فى المهد التكلم فى غير أوان الكلام ولم أقف على سن من تكلم فى المهد حين تكلم غير من ذكر وغير الطفل الذى لذى الاخدود فانه لما جىء بأمه لتلقى فى نار الاخدود لتكفر وهو معها مرضع فتقاعست قال لها يا اماه اصبرى فانك على الحق قال ابن قتيبة كان سنه سبعة اشهر (وفى النطق المفهوم) ان شاهد يوسف الصديق عليه السلام كان عمره شهرين وكان ابن داية زليخا * وفى الخصائص الصغرى وخص صلى الله عليه وسلم بكلام الصبيان فى المراضع وشهادتهم له بالنبوة ذكر ذلك البدر الدماميني رحمه الله هذا كلامه وفيه نظر لانه لم يشهد له بالنبوة من هؤلاء الا مبارك اليمامة حسبما وقفت عليه ورأيت فى الاجوبة المسكتة لابن عون رحمه الله أن اليهود قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ألست لم تزل نبيا قال نعم قالوا فلم لم تنطق فى المهد كما نطق عيسى قال ان الله خلق عيسى من غير فحل فلولا أنه نطق فى المهد لما كان لمريم عذر وأخذت بما يؤخذ به مثلها وأنا ولدت بين أبوين هذا كلامه وهو يخالف ما تقدم من أنه صلى الله عليه وسلم تكلم فى المهد الا أن يقال مرادهم لم تنطق فى المهد بمثل الذى نطق به عيسى او أن ذلك منه صلى الله عليه وسلم ارخاء للعنان فليتأمل * ثم رايت ان ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام لما سقط على الارض استوى قائما على قدميه

وابعض أهل الفقه فى تعليله
معنى ارق من النسيم وألطف
وقضا الامام الفخر رازى الورى
منحى به للسامعين تشنف
اذهم على الفطر الذى ولدوا ولم
يظهر عناد منهم وتخالف
قال الالى ولدوا النبى المصطفى
كل على التوحيد اذ يتحنف
من آدم لابيه عبد الله ما
فيهم أخو شرك ولا مستنكف
فالمشركون كما بسورة توبة
نجس وكلهم بطهر يوصف
وبسورة الشعراء فيه تقلب
فى الساجدين فكلهم متحنف
هذا كلام الشيخ فخر الدين فى
اسراره هبطت عليه الذرف
فجزاه رب العرش خير جزائه
وحباه جنات النعيم تزخرف
ولقد تدين فى زمان الجاهلي
ة فرقة دين الهدى وتحنفوا
زيد بن عمرو وابن نوفل هكذا الص
ديق ما شرك عليه يعكف
قد فسر السبكى بذاك مقالة
للاشعرى وما سواه مزيف
اذ لم تزل عين الرضا منه على الص
ديق وهو بطول عمر احنف
عادت عليه صحبة الهادى فما
فى الجاهلية للضلالة يعرف

فلامه وأبوه احرى سيما * ورات من الآيات ما لا يوصف
وجماعة ذهبوا الى احيائه * ابويه حتى آمنا لا تعرفوا
وروى ابن شاهين حديثا مسندا * فى ذاك لكن الحديث مضعف
هذى مسالك لو تفرد بعضها * لكفى فكيف بها اذا تتألف
وبحسب من لا يرتضيها صمته * أدبا ولكن اين من هو منصف
صلى الاله على النبى محمد * ما جدد الدين الحنيف محنف

وعلى صحابته الكرام وآله * أوفى رضا يدوم لا يتوقف * (باب في وفاة جده عبد المطلب ووصيته لأبي طالب) *
كان جده عبد المطلب هو الكافل له صلى الله عليه وسلم بعد وفاة ابيه وأمه وكان يرق عليه رقة لا يرقها على ولده وكان يدنيه ويقربه
ويدخله عنده اذا خلا كما تقدم الكلام على ذلك مستوفى وكانت وفاة جده وعمر النبي صلى الله عليه وسلم ثمان
سنين وقيل اكثر وقيل أقل وكان
عمر عبد المطلب حين توفى مائة
واربعين سنة وقيل مائة وعشرة
وقيل اقل ودفن بالحجون عند قبر
جده قصى ولما حضرته الوفاة
أوصى به الى عمه شقيق ابيه أبي
طالب وكان ابو طالب ممن حرم
الخمر على نفسه في الجاهلية كأبيه
عبد المطلب واسمه على الصحيح
عبد مناف وزعمت الروافض
ان اسمه عمران وأنه المراد من
قوله تعالى ان الله اصطفى آدم
ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران
على العالمين قال الحافظ ابن كثير
وقد أخطؤا في ذلك خطأ كثيرا
ولم يتأملوا القرآن قبل أن يقولوا
هذا البهتان فقد ذكر بعد هذه
قوله تعالى رب اني نذرت لك ما في
بطني محررا وحين أوصى به جده
لابي طالب أحبه حبا شديدا
لا يحبه أحدا من ولده فكان
لا ينام الا الى جنبه وكان يخصه
بأحسن الطعام وقيل اقترع ابو
طالب هو والزبير شقيقه فيمن
يكفله منهما فخرجت القرعة لابي
طالب وقيل بل هو صلى الله عليه
وسلم اختار ابا طالب لما كان
يراه من شفقته عليه ومو الاته له
وقيل انه كان مشاركا لعبد المطلب في كفالته وقيل كفله الزبير حين مات عبد المطلب ثم كفله أبو طالب يوم يتحرك
موت الزبير وهو مردود عند المحققين وكفالة جده وعمه له صلى الله عليه وسلم بعد موت أبيه وامه مذكورة في الكتب القديمة
فهي من علامات نبوته ففي خبر سيف ذي يزن يموت ابوه وأمه ويكفله جده وعمه ولما مات عبد المطلب بكى الناس عليه بكاء كثيرا

وقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد الحمد لله الذي هدانا لهذا قال في
النطق المفهوم ولد بالغار الذي ولد به نوح وادريس عليهما الصلاة والسلام * ويقال لهذا
الغار في التوراة غار النور ويضم لهؤلاء ما ذكره الشيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله
قال قلت لابنتي زينب مرة وهي في سن الرضاعة قريبا عمرها من سنة ما تقولين في الرجل
يجامع حليلته ولم ينزل فقالت يجب عليه الغسل فتعجب الحاضرون من ذلك ثم اني فارقت
تلك البنت وغبت عنها سنة في مكة وكنت أذنت لوالدتها في الحج فجاءت مع الحج الشامي فلما
خرجت لملاقاتها رأتني من فوق الجمل وهي ترضع فقالت بصوت فصيح قبل أن تراني امها
هذا ابي وضحكت وأرمت نفسها الي قال وقد رأيت اي علمت من اجاب امه بالتشميت
وهو في بطنها حين عطست وسمع الحاضرون كلهم صوته من جوفها اشهد عندي الثقات
بذلك قال وهذا واحد يخصه الله بعلمه وهو في بطن أمه ولا يحجبك قوله تعالى والله اخرجكم
من بطون امهاتكم لا تعلمون شيأ لانه لا يلزم من العالم حضوره مع علمه دائما (وفي النطق
المفهوم) أن يوسف صلوات الله وسلامه عليه تكلم في بطن امه فقال أنا المفقود والمغيب
عن وجه أبي زمانا طويلا فأخبرت امه والده بذلك فقال لها اكتمي أمرك وفيه أن نوحا
عليه السلام تكلم عقب ولادته فان امه ولدته في غار خوفا على نفسها وعليه فلما وضعته
وأرادت الانصراف قالت وانوحاه فقال لها لا تخافي أحدا علي يا اماه فان الذي خلقني
يحفظني وفيه أن ام موسى عليه السلام لما وضعت موسى استوى قاعدا وقال يا اماه
لا تخافي اي من فرعون ان الله معنا ومبارك اليمامة * قال بعض الصحابة دخلت دارا
بمكة فرأيت فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعت فيها عجبا جاءه رجل بصبي يوم ولد
وقد لفه في خرقة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا غلام من انا قال الغلام بلسان طلق
انت رسول الله قال صدقت بارك الله فيك ثم ان الغلام لم يتكلم بشيء فكنا نسميه مبارك
اليمامة وكانت هذه القصة في حجة الوداع وكان صلى الله عليه وسلم يناغي القمر وهو
في مهده اي يحدثه يقال ناغت المرأة الصبي اذا كلمته بما يسره ويعجبه وعد ذلك من
خصائصه ففي حديث فيه مجهول وقيل فيه انه غريب المتن والاسناد عن عمه العباس
رضي الله عنه انه قال يا رسول الله دعاني الى الدخول في دينك اشارة اي علامة نبوتك
رأيتك في المهد تناغي القمر اي تحدثه وتشير اليه باصبعك فحيثما اشرت اليه مال قال
كنت احدثه ويحدثني ويلهيني عن البكاء وأسمع وجبته اي سقطته حين يسجد تحت
العرش اي ولم أقف على سنه صلى الله عليه وسلم حين ذلك وكان مهده صلى الله عليه وسلم

قال بعضهم لم يبك على احد بعد موته ما بكى على عبد المطلب وكان صلى الله عليه وسلم يمشى خلف سريره ويبكى وهو ابن ثمان ولم يقم لموته سوق بمكة أياما كثيرة ومما رثته به ابنته أميمة قولها

اعينى جودا بدمع درر * على ماجد الخير والمعتصر
على ماجد الجد وارى الزناد * جميل المحيا عظيم الخطر
على شيبة الحمد ذى المكرمات * وذى المجد والعز والمفتخر
وذى الحلم والفضل فى النائبات * كثير المفاخر جم الفخر

وكان ابو طالب مقلا من المال فكان عياله اذا أكلوا وحدهم جميعا أو فرادى لم يشبعوا واذا أكل معهم النبى صلى الله عليه وسلم شبعوا فكان أبو طالب اذا اراد أن يغديهم أو يعشيهم يقول لهم كما أنتم حتى يأتى ابنى فيأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأكل معهم فيشبعون فيفضلون من طعامهم واذا كان لبنا شرب رسول الله صلى الله عليه وسلم أولهم ثم تناول العيال القعب اى القدح من الخشب فيشربون منه فيروون من عند آخرهم اى جميعهم من القعب الواحد وان كان أحدهم وحده يشرب قعبا واحدا فيقول أبو طالب انك لمبارك وكان ابو طالب يقرب الى الصبيان أول بكرة النهار شيأ يأكلونه فيجلسون وينتهبون فيكف رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ولا ينتهب معهم تكرما منه واستحياء ونزاهة نفس وقناعة قلب فلما رأى ذلك ابو طالب عزل له طعاما على حدته ولا ينافى ما قبله لانه يجوز أن يكون ذلك خاصا بما يحضر فى البكرة الذى يقال له الفطور دون الغداء والعشاء فانه كان يأكل معهم وهو المتقدم والله أعلم وكان الصبيان يصبحون شعثا رمصا مصفرة ألوانهم ويصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم دهينا كحيلا صقيلا كأنه فى انعم عيش لطفا من الله به قالت أم ايمن ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو جوعا

بتحريك الملائكة وعده ابن سبع رحمه الله تعالى من خصائصه

(باب تسميته صلى الله عليه وسلم محمدا واحمد)

لا يخفى أن جميع اسمائه صلى الله عليه وسلم مشتقة من صفات قامت به توجب له المدح والكمال فله من كل وصف اسم قال وكما أن لله عز وجل الف اسم للنبى صلى الله عليه وسلم ألف اسم عن ابى جعفر محمد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب رضى الله عنه وهو الباقر من بقر العلم أتقنه قال امرت آمنة اى فى المنام وهى حامل برسول الله صلى الله عليه وسلم أن تسميه احمد وعن ابن اسحق رحمه الله أن تسميه محمدا وقد تقدم * قال والثانى هو المشهور فى الروايات اى وعلى الاول اقتصر الحافظ الدمياطى رحمه الله والمسمى له بمحمد جده عبد المطلب فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عق عنه اى يوم سابع ولادته جده بكبش وسماه محمدا فقيل له يا ابا الحرث ما حملك على ان تسميه محمدا ولم تسمه باسم آبائه وفى لفظ وليس من اسماء آبائك ولا قومك قال اردت أن يحمده الله فى السماء ويحمده الناس فى الارض اه (اقول) وهذا هو الموافق لما اشتهر أن جده سماه محمدا بالهام من الله تعالى تفاؤلا بان يكثر حمد الخلق له لكثرة خصاله الحميدة التى يحمد عليها ولذلك كان ابلغ من محمود والى ذلك يشير حسان رضى الله عنه بقوله

فشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد

وهذا الالهام لا ينافى ان تكون امه قالت له انها امرت ان تسميه بذلك وقد حقق الله رجاءه بانه صلى الله عليه وسلم تكاملت فيه الخصال المحمودة والخلال المحبوبة فتكاملت له صلى الله عليه وسلم المحبة من الخالق والخليقة فظهر معنى اسمه على الحقيقة * وفى الخصائص الصغرى وخص صلى الله عليه وسلم باشتقاق اسمه من اسم الله تعالى وبانه صلى الله عليه وسلم سمى احمد ولم يسم به احد قبله ولافادته الكثرة فى معناه لانه لا يقال الا لمن حمد المرة بعد المرة لما يوجد فيه من المحاسن والمناقب ادعى بعضهم انه من صيغ المبالغة اى الصيغ المفيدة للمبالغة بالمعنى المذكور استعمالا لا وضعا لان الصيغ الموضوعة لافادة المبالغة منحصرة فى الصيغ الخمسة وليس هذا منها وهذا السياق يدل على ان تسميته صلى الله عليه وسلم بذلك كانت فى يوم العقيقة وان العقيقة كانت فى اليوم السابع من ولادته وتقدم ولد الليلة لعبد الله بن عبد المطلب غلام سموه محمدا وهو يدل على ان تسميته صلى الله عليه وسلم بذلك كانت فى ليلة ولادته او يومها وقد يقال لا منافاة لانه يجوز ان يكون قوله هنا وسماه محمدا معناه اظهر تسميته بذلك لعموم الناس

قط ولا عطشا الا فى صغره ولا فى كبره وكان يغدو واذا أصبح فيشرب من ماء زمزم شربة فربما عرضنا عليه الغداء فيقول أنا شبعان وهذا فى بعض الاوقات فلا ينافى ماسبق وكان يوضع لابى طالب وسادة يجلس عليها فجاء النبى صلى الله عليه وسلم فجلس عليها فقال ان ابن أخى ليحس بنعيم اى بشرف عظيم وكان ابو طالب يحبه حبا شديدا لا يحب أولاده كذلك ولذا لا ينام الا الى جنبه ويخرج به متى خرج *(وقد اخرج ابن عساكر)* عن جلهمة بن عرفطة قال قدمت مكة وهم فى قحط وشدة من احتباس المطر عنهم فقائل منهم يقول اعمدوا اللات والعزى وقائل منهم يقول اعمدوا لمناة الثالثة الاخرى فقال شيخ وسيم حسن الوجه جيد الرأى انى تؤفكون وفيكم بقية ابراهيم وسلالة اسمعيل قالوا كأنك عنيت أبا طالب فقال ايها فقاموا بأجمعهم فقمت معهم فدققنا الباب عليه فخرج الينا فثاروا اليه فقالوا يا أبا طالب أقحط الوادى واجدب العيال فهلم فاستسق فخرج أبو طالب ومعه غلام وهو النبى صلى الله عليه وسلم كأنه شمس دجن تجلت عنه سحابة قتماء وحوله اغيلمة فأخذه ابو طالب فألصق ظهر الغلام بالكعبة ولاذ الغلام اى اشار باصبعه الى السماء كالمتضرع الملتجئ ومافى السماء قزعة فأقبل السحاب من ههنا وههنا واغدودق الوادى اى امطر وكثر قطره وأخصب النادى والبادى وفى هذا يقول ابوطالب يذكر قريشا حين تمالؤا على اذيته صلى الله عليه وسلم بعد البعثة يذكرهم يده وبركته عليهم من صغره

وابيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل
يلوذ به الهلاك من آل هاشم * فهم عنده فى نعمة وفواضل

فهذا الاستسقاء شاهده ابو طالب فقال البيت بعد مشاهدته وقد شاهده مرة اخرى قبل هذه فروى الخطابى حديثا فيه

وهذا التعليل للتسمية بهذا الاسم يرشد الى ماقيل اقتضت الحكمة ان يكون بين الاسم والمسمى تناسب فى الحسن والقبح واللطافة والكثافة ومن ثم غير صلى الله عليه وسلم الاسم القبيح بالحسن وهو كثير وربما غير الاسم الحسن بالقبيح للمعنى المذكور كتسميته لابى الحكم بابى جهل وتسميته لابى عامر الراهب بالفاسق وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال لبعض أصحابه ادع لى انسانا يحلب ناقتى فجاء بانسان فقال له ما اسمك فقال حرب فقال اذهب فجاء بآخر فقال ما اسمك فقال يعيش فقال احلبها ويروى أنه صلى الله عليه وسلم طلب شخصا يحفر له بئرا فجاء رجل فقال له ما اسمك قال مرة فقال اذهب وليس هذا من الطيرة التى كرهها ونهى عنها وانما هو من كراهة الاسم القبيح ومن ثم كان صلى الله عليه وسلم يكتب لامرائه اذا ابردتم لى بريدا فابردوه اى اذا أرسلتم لى رسولا فارسلوه حسن الاسم حسن الوجه ومن ثم لما قال له سيدنا عمر رضى الله عنه لما قال لمن اراد أن يحلب له ناقته او يحفر له البئر ماتقدم لا ادرى أقول ام اسكت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قل قال قد كنت نهيتنا عن التطير فقال له صلى الله عليه وسلم ما تطيرت ولكن آثرت الاسم الحسن وللجلال السيوطى كتاب فيمن غير رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه ولم أقف عليه ورأيت فى كلام بعضهم أن حزن بن ابى وهب اسلم يوم الفتح وهو جد سعيد بن المسيب اراد النبى صلى الله عليه وسلم تغيير اسمه وتسميته سهلا فامتنع وقال لا اغير اسما سمانيه أبواى قال سعيد فلم تزل الحزونة فينا والله اعلم اى وفى حديث انه صلى الله عليه وسلم عق عن نفسه بعد ماجاءته النبوة قال الامام احمد هذا منكر اى حديث منكر والحديث المنكر من اقسام الضعيف لا انه باطل كما قد يتوهم والحافظ السيوطى لم يتعرض لذلك وجعله اصلا لعمل المولد قال لان العقيقة لا تعاد مرة ثانية فيحمل ذلك على ان هذا الذى فعله النبى صلى الله عليه وسلم اظهارا للشكر على ايجاد الله تعالى اياه رحمة للعالمين وتشريعا لامته كما كان يصلى على نفسه لذلك قال فيستحب لنا اظهار الشكر بمولده صلى الله عليه وسلم هذا كلامه ويروى أن عبد المطلب انما سماه محمدا الرؤيا رآها اى فى منامه رأى كأن سلسلة خرجت من ظهره لها طرف فى السماء وطرف فى الارض وطرف فى المشرق وطرف فى المغرب ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها نور واذا أهل المشرق واهل المغرب يتعلقون بها فقصها فعبرت له بمولود يكون من صلبه يتبعه اهل المشرق والمغرب ويحمده أهل السماء والارض فلذلك سماه محمدا اى مع ما حدثته به امه بما رأته على ماتقدم وعن ابى نعيم عن عبد المطلب قال بينما أنا نائم فى الحجر اذ رأيت

رؤيا

ان قريشا تتابعت عليهم سنو جدب فى حياة عبد المطلب فارتقى هو ومن حضره من قريش اباقبيس فقام عبد المطلب واعتضده صلى الله عليه وسلم فرفعه على عاتقه وهو يومئذ غلام قد أيفع او قرب ثم دعا فسقوا فى الحال فقد شاهد ابو طالب ما دله على ما قال اعنى قوله وأبيض يستسقى الغمام بوجهه وهو من ابيات من قصيدة طويلة

رؤياها لتى ففزعت منها فزعا شديدا فأتيت كاهنة قريش فلما نظرت الى عرفت فى وجهى التغير فقالت ما بال سيدهم قد أتى متغير اللون هل رابه من حدثان الدهر شئ فقلت لها بلى فقلت لها انى رأيت الليلة وانا نائم فى الحجر كأن شجرة نبتت قد نال رأسها السماء وضربت باغصانها المشرق والمغرب وما رأيت نورا ازهر منها ورأيت العرب والعجم ساجدين لها وهى تزداد كل ساعة عظما ونورا وارتفاعا ورأيت رهطا من قريش قد تعلقوا باغصانها ورأيت قوما من قريش يريدون قطعها فاذا دنوا منها أخرهم شاب لم أر قط احسن منه وجها ولا اطيب منه ريحا فيكسر أظهرهم ويقلع اعينهم فرفعت يدى لاتناول منها نصيبا فلم أنله فانتبهت مذعورا فزعا فرأيت وجه الكاهنة قد تغير ثم قالت ان صدقت رؤياك ليخرجن من صلبك رجل يملك المشرق والمغرب وتدين له الناس وعند ذلك قال عبد المطلب لابنه أبى طالب لعلك أن تكون هذا المولود فكان ابو طالب يحدث بهذا الحديث بعدما ولد صلى الله عليه وسلم ويقول كانت الشجرة هى محمد صلى الله عليه وسلم وفى الامتاع لما مات قثم بن عبد المطلب قبل مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين وهو ابن تسع سنين وجد عليه وجدا شديدا فلما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم سماه قثم حتى أخبرته امه آمنة انها أمرت فى منامها ان تسميه محمدا فسماه محمدا اى ولا مخالفة بين هذه الروايات على تقدير صحتها كما لا يخفى لانه يجوز أن يكون نسى تلك الرؤيا ثم تذكرها ويكون معنى سؤاله ما حملك على أن تسميه محمدا وليس من أسماء قومك اى لم استقر أمرك على أن تسميه محمدا وذكر بعضهم أنه لا يعرف فى العرب من تسمى بهذا الاسم يعنى محمدا قبله الا ثلاثة طمع آباؤهم حين وفدوا على بعض الملوك وكان عنده علم من الكتاب الاول وأخبرهم بمبعث النبى صلى الله عليه وسلم اى باحجاز وبقرب زمنه وباسمه المذكور الذى هو محمد وهو يدل على أن اسمه فى بعض الكتب القديمة محمد وكان كل واحد منهم قد خلف زوجته حاملا فنذر كل واحد منهم ان ولد له ولد ذكر أن يسميه محمدا ففعلوا ذلك وفى الشفاء ان فى هذين الاسمين محمد وأحمد من بدائع آياته اى المصطفى وعجائب خصائصه ان الله تعالى حماهما عن أن يسمى بهما احد قبل زمانه اى قبل شيوع وجوده أما احمد الذى أتى فى الكتب القديمة وبشرت به الانبياء عليهم الصلاة والسلام فمنع الله تعالى بحكمته أن يتسمى به أحد غيره ولا يدعى به مدعو قبله منذ خلقت الدنيا وفى حياته زاد الزين العراقى ولا فى زمن أصحابه رضى الله تعالى عنهم حتى لا يدخل لبس أو شك على ضعيف القلب اى فالتسمية به من خصائصه صلى الله عليه وسلم

نحو ثمانين بيتا الا لابى طالب على الصواب خلافا لمن قال انها لعبد المطلب فقد اخرج البيهقى عن انس رضى الله عنه قال جاء اعرابى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا الجدب والقحط وانشد أبياتا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يجر رداءه حتى صعد المنبر فرفع يديه الى السماء ودعا فارتديه حتى التقت السماء بابراقها ثم بعد ذلك جاؤا يضجون من المطر خوف الغرق فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال لله در أبى طالب لو كان حيا اقرت عيناه من ينشدنا قوله فقال على رضى الله عنه كأنك تريد قوله وابيض يستسقى وذكر أبياتا فقال صلى الله عليه وسلم اجل فهذا نص صريح من الصادق صلى الله عليه وسلم بأن اباطالب منشئ البيت واول القصيدة

ولما رأيت القوم لاود عندهم
وقد قطعوا كل العرا والوسائل
وقد جاهرونا بالعداوة والاذى
وقد طاوعوا أمر العدو المزايل
وقد حالفوا قوما علينا أظنة
يعضون غيظا خلفنا بالانامل
صبرت لهم نفسى بسمراء سمحة

١٤ حل ل وابيض عضب من تراث المقاول اعبد مناف أنتم خير قومكم * فلا تشركوا فى امركم كل واغل
فقد خفت ان لم يصلح الله أمركم * تكونوا كما كانت احاديث وائل أعوذ برب الناس من كل طاعن * علينا بسوء او ملح بباطل
ومن كاشح يسعى لنا بمعيبة * ومن ملحق فى الدين ما لم نحاول وثور ومن أرسى ثبيرا مكانه * وراق ابرفى حراء ونازل

وبالبيت حق البيت فى بطن مكة * وبالله ان الله ليس بغافل
كذبتم وبيت الله نبزى محمدا * ولما نطاعن دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله * ونذهل عن أبنائنا والحلائل
قال الزرقانى وما أحلى قوله فى ختامها عن ابن اسحق
لعمرى لقد كلفت وجدا بأحمد وأحببته دأب المحب المواصل

فمن مثله فى الناس اى مؤمل
اذا قاسه الحكام عند التفاضل
حليم رشيد عاقل غير طائش
يوالى الها ليس عنه بغافل
فوالله لولا أن اجئ بسبة
تجر على اشياخنا فى المحافل
لكنا اتبعناه على كل حالة
من الدهر جدا غير قول التهازل
لقد علموا أن ابننا لا مكذب
لدينا ولا يعنى بقول الاباطل
فأصبح فينا احمد فى أرومة
تقصر عنها سورة المتطاول
حدبت بنفسى دونه وحميته
ودافعت عنه بالذرا والكلاكل
قال الامام عبد الواحد السفاقسى فى شرح البخارى ان فى شعر ابى طالب هذا دليلا على أنه كان يعرف نبوة النبى صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث لما أخبره به بحيرا الراهب وغيره من شأنه مع ما شاهده من احواله ومنها الاستسقاء به فى صغره ومعرفة ابى طالب بنبوته صلى الله عليه وسلم جاءت فى كثير من الاخبار زيادة على اخذها من شعره وتمسك بها الشيعة فى أنه كان مسلما وألف على بن حمزة البصرى الرافضى جزأ جمع فيه شعر أبى طالب وقال انه كان مسلما وانه مات على الاسلام وان الحشوية تزعم أنه مات كافرا وانهم بذلك يستجيزون لعنه ثم بالغ فى سبهم والرد عليهم قال الحافظ ابن حجر وقد اكثر فى هذا الجزء من الاحاديث الواهية الدالة على اسلام أبى طالب ولا يثبت شئ من ذلك واستدل لدعواه بما لا دلالة فيه والحاصل أن مذهب اهل السنة من المذاهب الاربعة عدم اسلامه
ـــل

على جميع الناس ممن تقدمه خلافا لما يوهمه كلام الجلال السيوطى فى الخصائص الصغرى أنه من خصائصه على الانبياء فقط ومن ثم ذهب بعضهم الى أفضليته على محمد وقال الصلاح الصفدى ان احمد أبلغ من محمد كما ان أحمر واصفر ابلغ من محمر ومصفر ولعله لكونه منقولا عن افعل التفضيل لانه صلى الله عليه وسلم أحمد الحامدين لرب العالمين لانه يفتح عليه فى المقام المحمود بمحامد لم تفتح على أحد قبله (وفى الهدى) لو كان اسمه أحمد باعتبار حمده لربه لكان الاولى أن يسمى الحماد كما سميت بذلك أمته واما هذا فهو الذى يحمده أهل السماء والارض واهل الدنيا والآخرة لكثرة خصاله المحمودة التى تزيد على عد العادين واحصاء المحصين اى أحق الناس وأولاهم بان يحمد فهو كمحمد فى المعنى فهو مأخوذ من الفعل الواقع على المفعول لا الواقع من الفاعل وحينئذ فالفرق بين محمد واحمد أن محمدا من كثر حمد الناس له وأحمد من يكون حمد الناس له افضل من حمد غيره * وسيأتى عن الشفاء أنه احمد المحمودين وأحمد الحامدين فيجوز أن يكون احمد مأخوذا من الفعل الواقع على المفعول كما يجوز أن يكون مأخوذا من الفعل الواقع من الفاعل وفى كلام السهيلى ثم انه لم يكن محمدا حتى كان قبل احمد فبأحمد ذكر قبل أن يذكر بمحمد لان حمده لربه كان قبل حمد الناس له وأطال فى بيان ذلك (وفى كلام) بعض فقهائنا معاشر الشافعية أنه ليس فى احمد من التعظيم ما فى محمد لانه أشهر اسمائه الشريفة وافضلها فلذلك لا يكفى الاتيان به فى التشهد بدل محمد وقد جاء احب الاسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن * قال بعضهم وعبد الله أحب من عبد الرحمن لاضافة العبد الى الله المختص به تعالى اتفاقا والرحمن مختص به على الاصح * ومن ثم سمى نبينا صلى الله عليه وسلم فى القرآن بعبد الله فى قوله تعالى وأنه لما قام عبد الله يدعوه وعلى ما ذكر هنا يكون بعد عبد الرحمن المذكور فى القرآن فى قوله تعالى وعباد الرحمن أحمد ثم محمد اى وبعدهما ابراهيم خلافا لمن جعله بعد عبد الرحمن وذكر بعضهم ان أول من تسمى بأحمد بعد نبينا صلى الله عليه وسلم ولد لجعفر بن أبى طالب وعليه يشكل ما تقدم عن الزين العراقى وقيل والد الخليل اى ولعل المراد به الخليل بن أحمد صاحب العروض ثم رأيت الزين العراقى صرح بذلك حيث قال وأول من تسمى فى الاسلام أحمد والد الخليل بن أحمد العروضى ويشكل على ذلك وعلى قوله لم يسم به احد فى زمن الصحابة تسمية ولد جعفر بن ابى طالب بذلك الا أن يقال لم يصح ذلك عند العراقى أو يقال مراد العراقى أصحابه الذين تخلفوا عنه بعد وفاته فلا يرد جعفر لانه مات فى حياته صلى الله عليه وسلم وهو خامس خمسة

وانقياده على حسب ما نطق به القرآن وجاءت به السنة وان كان عنده تصديق قلبي بنبوته فان ذلك غير نافع بدون انقياد ظاهري
روى البخاري أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول له عند موته قبل الغرغرة يا عم قل لا اله الا الله كلمة استحل لك بها الشفاعة وفي رواية
أحاج وفي رواية اشهد لك بها عند الله وفي رواية يوم القيامة فلما رأى ابو طالب ١٠٧ حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم
على ايمانه قال له يا ابن أخي لولا مخافة قول قريش اني انما قلتها جزعا من الموت لقلتها ولو قلتها لا أقولها الا لاسرك بها وجاء في بعض الروايات عند غير البخاري فلما تقارب من ابي طالب الموت نظر اليه العباس فرآه يحرك شفتيه فأصغى اليه باذنه فقال يا ابن أخي والله لقد قال اخي الكلمة التي أمرته بها ولم يصرح العباس بلفظ لا اله الا الله لكونه لم يكن أسلم حينئذ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم اسمع وفي رواية قال العباس انه اسلم عند الموت وبهذا احتج الرافضة ومن تبعهم على اسلامه لكن اجاب عنه القائلون بعدم اسلامه بان شهادة العباس لابي طالب بالاسلام مردودة لكون العباس شهد بها في حال كفره قبل أن يسلم مع أن الاحاديث الصحيحة الثابتة في البخاري وغيره قد اثبتت لابي طالب الوفاة على الكفر فقد روى البخاري من حديث سعيد بن المسيب عن ابيه ان أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل وعبد الله بن ابي أمية بن المغيرة
المخزومي فقال اي عم قل لا اله الا الله كلمة احاج لك بها عند الله فقال ابو جهل وعبد الله يا ابا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزالا يرددانه حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم به هو على ملة عبد المطلب وأبى ان يقول لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لاستغفرن لك ما لم انه عنك فأنزل الله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا

كل يسمى الخليل بن أحمد وزاد بعضهم سادسا وكذلك محمدا ايضا لم يتسم به احد قبل وجوده صلى الله عليه وسلم وميلاده الا بعد أن شاع ان نبيا يبعث اسمه محمد اي بالحجاز وقرب زمنه فسمى قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك وحمى الله تعالى هؤلاء أن يدعي احد منهم النبوة أو يدعيها احد له او يظهر عليه شيء من سماتها اي علاماتها حتى تحققت له صلى الله عليه وسلم وفي دعوى أن الذي في الكتب القديمة انما هو أحمد مخالفة لما سبق وما يأتي عن التوراة والانجيل اي فالمراد بالكتب القديمة غالبها فلا ينافي أن في بعضها اسمه محمد وفي بعضها اسمه احمد وفي بعضها الجمع بين محمد وأحمد قال بعضهم سمعت محمد بن عدي وقد قيل له كيف سماك أبوك في الجاهلية محمدا قال سألت ابي عما سألتني عنه قال خرجت رابع اربعة من تميم نريد الشام فنزلنا عند غدير عند دير فاشرف علينا الديراني وقال ان هذه للغة قوم ما هي لغة اهل هذه البلاد فقلنا له نحن قوم من مضر فقال من اي المضاير فقلنا من خندف فقال لنا ان الله سيبعث فيكم نبيا وشيكا اي سريعا فسارعوا اليه وخذوا بحظكم ترشدوا فانه خاتم النبيين فقلنا له ما اسمه قال محمد ثم دخل ديره فوالله ما بقي أحد منا الا زرع قوله في قلبه فأضمر كل واحد منا ان رزقه الله غلاما سماه محمدا رغبة فيما قاله اي فنذر كل واحد منا ذلك فلا يخالف ما سبق قال فلما انصرفنا ولد لكل واحد منا غلام فسماه محمدا رجاء أن يكون احدهم هو والله اعلم حيث يجعل رسالاته (اقول) يجوز أن يكون هؤلاء الاربعة منهم الثلاثة الذين وفدوا على بعض الملوك وحينئذ تكرر لهم هذا القول من الملك ومن صاحب الدير واضمار ذلك لا ينافي نذره المتقدم فالمراد باضماره نذره كما قدمناه ويجوز أن يكونوا غيرهم فيكونوا سبعة وذكر ابن ظفر ان سفيان ابن مجاشع نزل على حي من تميم فوجدهم مجتمعين على كاهنتهم وهي تقول العزيز من والاه والذليل من خالاه فقال لها سفيان من تذكرين لله أبوك فقالت صاحب هدى وعلم وحرب وسلم فقال سفيان من هو لله ابوك فقالت نبي مؤيد قد آن حين يوجد ودنا أوان يولد يبعث للاحمر والاسود اسمه محمد فقال سفيان أعربي أم عجمي فقالت أما والسماء ذات العنان والشجر ذوات الافنان انه لمن معد بن عدنان حسبك فقد اكثرت يا سفيان فأمسك عن سؤالها ومضى الى اهله وكانت امرأته حاملا فولدت له ولدا فسماه محمدا رجاء منه أن يكون هو النبي الموصوف والله اعلم وقد عد بعضهم ممن سمي بمحمد ستة عشر ونظمهم في قوله

ان الذين سموا باسم محمد * من قبل خير الخلق ضعف ثمان

أولى قربى وقوله هو على ملة عبد المطلب لا ينافى ما تقدم أن المحققين على نجاة عبد المطلب لانه أراد حكاية ظاهر الحال لهم مع أن عبد المطلب له عذر وهو عدم ادراكه البعثة وقد تقدم الكلام عليه مستوفى وانزل الله أيضا فى ابى طالب خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لا تهدى ١٠٨ من احببت ولكن الله يهدى من يشاء وفى صحيح البخارى ومسلم عن العباس رضى الله عنه أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان اباطالب كان يحوطك وينصرك ويغضب لك فهل ينفعه ذلك قال نعم وجدته فى غمرات من النار فأخرجته الى ضحضاح وهو مارق من الماء على وجه الارض الى نحو الكعبين فاستعير للنار وفى رواية لولا انا لكان فى الدرك الاسفل من النار قال الزرقانى لو كانت تلك الشهادة عند العباس لم يسأل عنه لعلمه بحاله ففيه دليل على ضعف تلك الرواية وقال الحافظ ابن حجر لو كانت طريقه يعنى حديث العباس السابق صحيحة لعارضه هذا الحديث الذى هو اصح منه فضلا عن انه لا يصح وروى ابوداود والنسائى وابن الجارود وابن خزيمة عن على رضى الله عنه قال لما مات ابو طالب أخبرت النبى صلى الله عليه وسلم بموته فبكى وقال اذهب فاغسله وكفنه وواره غفر الله له ورحمه وهذا قبل نزول ما كان للنبى الآية وفى رواية لما مات أبو طالب قلت يارسول الله ان عمك الشيخ الضال قد مات قال اذهب فواره قلت انه مات مشركا قال اذهب فواره فلما واريته رجعت الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال اغتسل وروى مسلم عنه صلى الله عليه وسلم ان اهون اهل النار عذابا أبو طالب وروى البخارى ومسلم عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم ذكر عنده عمه ابو طالب فقال لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة فيجعل فى ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلى منه دماغه زاد فى رواية حتى يسيل على قدميه

ابن البراء مجاشع بن ربيعة * ثم ابن مسلم يحمدى حرمانى
ليثى السليمى وابن اسامة * سعدى وابن سواءة همدانى
وابن الجلاح مع الاسيدى يافتى * ثم الفقيمى هكذا الحرانى

قال بعضهم وفاته آخران لم يذكرهما وهما محمد بن الحرث ومحمد بن عمر بن مغفل بضم اوله وسكون المعجمة وكسر الفاء ثم لام ووقع النزاع الكثير والخلاف الشهير فى اول من سمى بذلك الاسم منهم (اقول) وفى شرح الكفاية لابن الهائم ويمكن ان يكون من زاد على أولئك الاربعة او السبعة سمع ذلك من بعضهم فاقتدى به فى ذلك طمعا فيما طمع فيه ومثل ذلك وقع لبنى اسرائيل فان يوسف صلوات الله وسلامه عليه لما حضرته الوفاة اعلم بنى اسرائيل بحضور اجله وكان اول انبيائهم فقالوا له يا نبى الله انا نحب ان تعلمنا بما يؤل اليه امرنا بعدك ومن بين اظهرنا فى امر ديننا فقال لهم ان أموركم لم تزل مستقيمة حتى يظهر فيكم رجل جبار من القبط يدعى الربوبية يذبح ابناءكم ويستحيى نساءكم ثم يخرج من بنى اسرائيل رجل اسمه موسى بن عمران فينجيكم الله به من ايدى القبط فجعل كل واحد من بنى اسرائيل اذا جاءه ولد يسميه عمران رجاء أن يكون ذلك النبى منه ولا يخفى ان بين عمران أبى موسى وعمران ابى مريم أم عيسى وهو آخر انبياء بنى اسرائيل ألف وثمانمائة سنة والله اعلم والذى ادرك الاسلام ممن تسمى باسمه عليه الصلاة والسلام محمد بن ربيعة ومحمد بن الحرث ومحمد بن مسلمة وادعى بعضهم أن محمد ابن مسلمة ولد بعد مولد النبى صلى الله عليه وسلم باكثر من خمسة عشر سنة اى وقد ذكر ابن الجوزى ان اول من تسمى فى الاسلام بمحمد محمد بن حاطب وعن ابن عباس اسمى فى القرآن اى كالتوراة محمد وفى الانجيل احمد وأما فضل التسمية بهذا الاسم اعنى محمدا فقد جاء فى أحاديث كثيرة واخبار شهيرة اى منها أنه صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى وعزتى وجلالى لا أعذب احدا تسمى باسمك فى النار اى باسمك المشهور وهو محمد أو احمد ومنها ما من مائدة وضعت فحضر عليها من اسمه احمد أو محمد اى وفى رواية فيها اسمى الا قدس الله ذلك المنزل كل يوم مرتين ومنها قال يوقف عبدان اى اسم أحدهما احمد والآخر محمد بين يدى الله تعالى فيؤمر بهما الى الجنة فيقولان ربنا بما استأهلنا الجنة ولم نعمل عملا تجازينا به الجنة فيقول الله تعالى ادخلا الجنة فانى آليت على نفسى أن لا يدخل النار من اسمه احمد أو محمد لكن قال بعضهم ولم يصح فى فضل التسمية بمحمد حديث وكل ما ورد فيه فهو موضوع قال بعض الحفاظ وأصحها اى أقربها للصحة

قال البيهقى ان هذا الحديث يخصص قوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين من خصائصه صلى الله عليه وسلم هذه الشفاعة لعمه
ابى طالب ويؤخذ من الحديث أنه يجوز أن الله يضع عن بعض الكافرين بعض جزاء معاصيهم تطييبا لقلب الشافع قال
السهيلى ان أباطالب كان مع النبى صلى الله عليه وسلم بجملته متحيزا ناصراله الا انه كان مثبتا لقدميه على ملة
قريش حتى قال عند الموت انه
على ذلك فسلط العذاب على
قدميه خاصة لتثبيته اياهما على
تلك الملة فيكون من مشاكلة
الجزاء للعمل ثبتنا الله على الصراط
المستقيم قال القرافى فى قوله السابق
لقد علموا أن ابننا لا مكذب
لدينا ولا يعنى بقول الاباطل
تصريح باللسان واعتقاد بالجنان
غير أنه لم يذعن وكان يقول انى لاعلم
أن ما يقوله ابن أخى حق ولولا أخاف
أن يعيرنى نساء قريش لاتبعته
وفى شعره من هذا النحو كثير
كقوله حين اجتمعت قريش
وجاؤه بعمارة بن الوليد وقالوا له
خذه بدل محمد ويكون كالابن
لك واعطنا محمدا نقتله فقال
ما أنصفتمونى يامعشر قريش
آخذ ابنكم أربيه واعطيكم ابنى
تقتلونه ثم قال

والله لن يصلوا اليك بجمعهم
حتى أوسد فى التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة
وابشر بذاك وقر منك عيونا
ودعوتنى وعلمت أنك ناصحى
ولقد دعوت وكنت ثم أمينا
لولا المسبة أو حذار ملامة
لوجدتنى سمحا بذاك مبينا

وروى انه لما حضرت اباطالب الوفاة جمع اليه وجوه قريش وفى رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما لما اشتكى ابو طالب وبلغ
قريشا ثقله قال بعضها لبعض ان حمزة وعمر قد أسلما وفشا امر محمد فانطلقوا بنا الى ابى طالب يأخذ لنا على ابن اخيه ويعطه
منافانا نخاف أن يموت هذا الشيخ فيكون منا شئ يعنون القتل للنبى صلى الله عليه وسلم فتعيرنا العرب يقولون تركوه حتى اذا

للمصة من ولد له مولود فسماه محمدا حبالى وتبركا باسمى كان هو ومولوده فى الجنة * وعن
ابى رافع عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سميتموه محمدا
فلا تضربوه ولا تحرموه وفى رواية طعن فيها بان بعض رواتها متهم بالوضع فلا تسبوه
ولا تجبهوه ولا تعنفوه وشرفوه وعظموه واكرموه وبروا قسمه وأوسعوا له فى المجالس
ولا تقبحوا له وجها بورك فى محمد وفى بيت فيه محمد وفى مجلس فيه محمد وفى رواية تسمونه
محمدا ثم تسبونه وفى رواية طعن فيها أما يستحى احدكم أن يقول يا محمد ثم يضربه وعن
ابن عباس رضى الله تعالى عنهما من ولد له ثلاثة اولاد فلم يسم احدهم محمدا فقد جهل
اى وفى رواية فهو من الجفاء وفى أخرى فقد جفانى وذكر بعضهم وان لم يرد فى المرفوع
من اراد أن يكون حمل زوجته ذكرا فليضع يده على بطنها وليقل ان كان هذا الحمل ذكرا
فقد سميته محمدا فانه يكون ذكرا وجاء عن عطاء قال ما سمى مولود فى بطن أمه محمدا
الا كان ذكرا قال ابن الجوزى فى الموضوعات وقد رفع هذا بعضهم اى وروى ما جمع قوم
قط فى مشورة فيهم رجل اسمه محمد لم يدخلوه فى مشورتهم الا لم يبارك فيه اى فى الامر الذى
اجتمعوا له وفى رواية فيهم رجل اسمه محمد أو احمد فشاوروه الا خير لهم اى الا حصل لهم
الخير فيما تشاوروا فيه وما كان اسم محمد فى بيت الا جعل الله فى ذلك البيت بركة واتهم
راوى ذلك بانه مجروح وروى ما قعد قوم قط على طعام حلال فيهم رجل اسمه اسمى
الا تضاعفت فيهم البركة اى اسمه المشهور وهو احمد أو محمد كما تقدم وفى الشفاء ان لله
ملائكة سياحين فى الارض عبادتهم اى بالباء الموحدة كل دار فيها اسم محمد اى حراسة
اهل كل دار فيها اسم محمد وقد ذكر الحافظ السيوطى ان هذا الحديث غير ثابت * وعن
الحسين بن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنهما قال من كان له حمل فنوى أن يسميه
محمدا حوله الله تعالى ذكرا وان كان انثى قال بعض رواة الحديث فنويت سبعة كلهم
سميتهم محمدا * وعنه صلى الله عليه وسلم من كان له ذو بطن فاجمع أن يسميه محمدا رزقه
الله تعالى غلاما * وشكت اليه صلى الله عليه وسلم امرأة بانها لا يعيش لها ولد فقال لها
اجعلى لله عليك أن تسميه اى الولد الذى ترزقينه محمدا ففعلت فعاش ولدها وعن على
رضى الله تعالى عنه مرفوعا ليس احد من اهل الجنة الا يدعى باسمه اى ولا يكنى الا آدم
صلى الله عليه وسلم فانه يدعى أبا محمد تعظيما له وتوقيرا للنبى صلى الله عليه وسلم اى لان
العرب اذا عظمت انسانا كنته ويكنى الانسان باجل ولده قاله الحافظ الدمياطى وفى
رواية ليس احد اى من اهل الجنة يكنى الا آدم فانه يكنى ابا محمد اى وفى حديث معضل

مات عمه تناولوه فمشى اليه عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وابو جهل وأمية بن خلف وابو سفيان بن حرب في رجال من أشرافهم فأخبروه بما جاؤا له فبعث ابو طالب اليه صلى الله عليه وسلم فجاءه فأخبره بمرادهم وقال يا ابن اخي هؤلاء أشراف قومك وقد اجتمعوا لك ليعطوك وليأخذوا منك أعط سادات قومك ماسألوك فقد انصفوك أن تكف عن شتم آلهتهم ويدعوك وإلهك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارأيتكم ان اعطيتكم ماسألتم هل تعطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقال ابو جهل نعطيكها وعشرا معها فما هي قال تقولوا لا اله الا الله وتخلعون ماتعبدون من دونه فصفقوا بأيديهم وقالوا يا محمد اتريد أن تجعل الآلهة الها واحدا ان امرك لعجيب فأنزل الله ص والقرآن ذي الذكر الآيات وفي رواية قالوا يسعك لحاجاتنا جميعا اله واحد سلنا غير هذه الكلمة وقال ابو طالب يا ابن اخي هل من كلمة غير هذه الكلمة فان قومك قد كرهوها قال يا عم ما أنا بالذي يقول غيرها ثم قال لو جئتموني بالشمس حتى تضعوها في يدي ما سألتكم غيرها فقال بعضهم لبعض والله ماهذا الرجل يعطيكم شيأ مما تريدون فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم حتى يحكم الله بينكم وبينه ثم قالوا عند قيامهم والله لنشتمنك والهك الذي يأمرك بهذا وفي رواية لتكفن عن سب آلهتنا أو لنسبن الذي يأمرك بهذا وقال ابو طالب عند ذلك والله يا ابن اخي ما رأيتك سألتهم شططا اي أمرا بعيدا فلما قال ذلك طمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فجعل يقول اي عم فأنت قلها أستحل لك بها الشفاعة يوم القيامة فلما رأى حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له والله يا ابن اخي لولا مخافة السب عليك وعلى بني ابيك من بعدي وأن يظن قريش اني انما قلتها جزعا من الموت لاقررت بها

اذا كان يوم القيامة نادى مناد يا محمد قم فادخل الجنة بغير حساب فيقوم كل من اسمه محمد يتوهم ان النداء له فلكرامة محمد صلى الله عليه وسلم لا يمنعون * وفي الحلية لابي نعيم عن وهب بن منبه قال كان رجل عصى الله مائة سنة اي في بني اسرائيل ثم مات وأخذوه وألقوه في مزبلة فاوحى الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام أن اخرجه فصل عليه قال يارب ان بني اسرائيل شهدوا أنه عصاك مائة سنة فأوحى الله اليه هكذا الا أنه كان كلما نشر التوراة ونظر الى اسم محمد قبله ووضعه على عينيه فشكرت له ذلك وغفرت له وزوجته سبعين حوراء * ومن الفوائد أنه جرت عادة كثير من الناس اذا سمعوا بذكر وضعه صلى الله عليه وسلم ان يقوموا تعظيما له صلى الله عليه وسلم وهذا القيام بدعة لا أصل لها اي لكن هي بدعة حسنة لانه ليس كل بدعة مذمومة وقد قال سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه في اجتماع الناس لصلاة التراويح نعمت البدعة وقد قال العز بن عبد السلام ان البدعة تعتريها الاحكام الخمسة وذكر من امثلة كل مايطول ذكره ولا ينافي ذلك قوله صلى الله عليه وسلم اياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة وقوله صلى الله عليه وسلم من أحدث في امرنا اي شرعنا ماليس منه فهو رد عليه لان هذا عام اريد به خاص فقد قال امامنا الشافعي قدس الله سره ما احدث وخالف كتابا او سنة أو اجماعا او أثرا فهو البدعة الضلالة وما أحدث من الخير ولم يخالف شيأ من ذلك فهو البدعة المحمودة وقد وجد القيام عند ذكر اسمه صلى الله عليه وسلم من عالم الامة ومقتدى الائمة دينا وورعا الامام تقي الدين السبكي وتابعه على ذلك مشايخ الاسلام في عصره فقد حكى بعضهم ان الامام السبكي اجتمع عنده جمع كثير من علماء عصره فانشد منشد قول الصرصري في مدحه صلى الله عليه وسلم

قليل لمدح المصطفى الخط بالذهب * على ورق من خط أحسن من كتب
وان تنهض الاشراف عند سماعه * قياما صفوفا او جثيا على الركب

فعند ذلك قام الامام السبكي رحمه الله وجميع من في المجلس فحصل انس كبير بذلك المجلس ويكفي مثل ذلك في الاقتداء وقد قال ابن حجر الهيثمي والحاصل أن البدعة الحسنة متفق على ندبها وعمل المولد واجتماع الناس له كذلك اي بدعة حسنة ومن ثم قال الامام أبو شامة شيخ الامام النووي ومن أحسن ما ابتدع في زماننا ما يفعل كل عام في اليوم الموافق ليوم مولده صلى الله عليه وسلم من الصدقات والمعروف واظهار الزينة والسرور فان ذلك مع مافيه من الاحسان للفقراء مشعر بمحبته صلى الله عليه وسلم وتعظيمه

وتعظيمه فى قلب فاعل ذلك وشكر الله على مامنّ به من ايجاد رسوله صلى الله عليه وسلم الذى ارسله رحمة للعالمين هذا كلامه قال السخاوى لم يفعله أحد من السلف فى القرون الثلاثة وانما حدث بعد ثم لازال اهل الاسلام من سائر الاقطار والمدن الكبار يعملون المولد ويتصدقون فى لياليه بأنواع الصدقات ويعتنون بقراءة مولده الكريم ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم قال ابن الجوزى من خواصه أنه امان فى ذلك العام و بشرى عاجلة بنيل البغية والمرام واول من احدثه من الملوك صاحب اربل وصنف له ابن دحية كتابا فى المولد سماه التنوير بمولد البشير النذير فأجازه بألف دينار وقد استخرج له الحافظ ابن حجر أصلا من السنة وكذا الحافظ السيوطى وردا على الفاكهانى المالكى فى قوله ان عمل المولد بدعة مذمومة

* (باب ذكر رضاعه صلى الله عليه وسلم وما اتصل به) *

يقال انه صلى الله عليه وسلم ارتضع من ثمانية من النساء وقيل من عشرة بزيادة خولة بنت المنذر وأم ايمن بركة قالت اول من ارضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثويبة اى بعد ارضاع أمه له كما سيأتى قال وثويبة هى جارية عمه ابى لهب وقد اعتقها حين بشرته بولادته صلى الله عليه وسلم اى فانها قالت له أما شعرت أن آمنة ولدت ولدا وفى لفظ غلاما لاخيك عبد الله فقال لها أنت حرة فجوزى بتخفيف العذاب عنه يوم الاثنين بان يسقى ماء فى جهنم فى تلك الليلة اى ليلة الاثنين فى مثل النقرة التى بين السبابة والابهام اهـ اى ان سبب تخفيف العذاب عنه يوم الاثنين مايسقاه تلك الليلة فى تلك النقرة * ويذكر أن بعض اهل ابى لهب اى وهو أخوه العباس رضى الله تعالى عنه رآه فى النوم فى حالة سيئة فعن العباس رضى الله تعالى عنه قال مكثت حولا بعد موت ابى لهب لا أراه فى نوم ثم رأيته فى شر حال فقلت له ماذا لقيت فقال له ابو لهب لم أذق بعدكم رخاء وفى لفظ فقال له بشر خيبة بفتح الخاء المعجمة وقيل بكسر الخاء وهى سوء الحال غير أنى سقيت فى هذه واشار الى النقرة المذكورة بعتاقتى ثويبة ذكره الحافظ الدمياطى والذى فى المواهب وقد رؤى ابو لهب بعد موته فى النوم فقيل له ما حالك فقال فى النار الا أنه يخفف عنى كل ليلة اثنين وامص من بين اصبعى هاتين ماء واشار برأس اصبعيه وان ذلك باعتاقى لثويبة عند ما بشرتنى بولادة النبى صلى الله عليه وسلم وبارضاعها له فليتأمل وقيل انه اعتقها لما هاجر صلى الله عليه وسلم الى المدينة اى فان خديجة رضى الله تعالى عنها كانت تكرمها وطلبت من ابى لهب أن تبتاعها منه لتعتقها فأبى ابو لهب فلما هاجر رسول الله

عمك لما رأى من شدة وجدك لكنى أموت على ملة الاشياخ فأنزل الله تعالى انك لا تهدى من احببت الآية وفى رواية ان اباطالب قال عند موته يامعشر بنى هاشم اطيعوا محمدا وصدقوه تفلحوا وترشدوا فقال النبى صلى الله عليه وسلم ياعم تأمرهم بالنصيحة لانفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن اخى قال اريد أن تقول لا اله الا الله اشهد لك بها عند الله فقال يا ابن اخى قد علمت انك صادق لكنى اكره ان يقال الخ الحديث واجتمعوا مرة اخرى عند ابى طالب فأوصاهم ابو طالب فقال يامعشر العرب انتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب فيكم السيد المطاع وفيكم المقدم الشجاع والواسع الباع واعلموا أنكم لم تتركوا للعرب فى المآثر نصيبا الا احرزتموه ولا شرفا الا ادركتموه فلكم بذلك على الناس الفضيلة ولهم به اليكم الوسيلة والناس لكم حرب وعلى حربكم الب وانى اوصيكم بتعظيم هذه البنية يعنى الكعبة فان فيها مرضاة للرب وقواما للمعاش وثباتا للوطأة صلوا ارحامكم فان فى صلة الرحم منسأة اى فسحة فى الاجل وزيادة فى العدد واتركوا البغى والعقوق ففيهما هلكت القرون قبلكم اجيبوا الداعى واعطوا السائل فان فيهما شرف الحياة والممات وعليكم بصدق الحديث واداء الامانة فان فيهما محبة فى الخاص ومكرمة فى العام واوصيكم بمحمد خيرا فانه الامين فى قريش والصديق فى العرب وهو الجامع لكل ما اوصيتكم به وقد جاءنا بامر قبله الجنان وانكره اللسان مخافة الشنآن وايم الله كأنى انظر الى صعاليك العرب واهل الاطراف والمستضعفين من الناس قد اجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا امره فخاض بهم غمرات الموت فصارت رؤساء قريش وصناديدها اذنابا ودورها خرابا وضعفاؤها اربابا واذا اعظمهم عليه احوجهم اليه وابعدهم منه أحظاهم عنده قد محضته

صلى الله عليه وسلم الى المدينة اعتقها ابو لهب (اقول) قد يقال لا منافاة لجواز أن يكون لما اعتقها لم يظهر عتقها وابأوه بيعها لكونها كانت معتوقة ثم اظهر عتقها بعد الهجرة والله اعلم وارضاعها له صلى الله عليه وسلم كان أياما قلائل قبل ان تقدم حليمة وكان بلبن ابن لها يقال له مسروح وهو بضم الميم وسين مهملة ساكنة ثم راء مضمومة ثم حاء مهملة كذا فى النور وفى السيرة الشامية بفتح الميم وكانت قد ارضعت قبله اباسفيان ابن عمه صلى الله عليه وسلم الحرث وفى كلام بعضهم كان تربا له صلى الله عليه وسلم وكان يشبهه وكان يألفه الفا شديدا قبل النبوة فلما بعث صلى الله عليه وسلم عاداه وهجره وهجا اصحابه رضى الله تعالى عنهم فانه كان شاعرا مجيدا وسيأتى اسلامه رضى الله تعالى عنه عند توجهه صلى الله عليه وسلم لفتح مكة وارضعت ثويبة رضى الله تعالى عنها قبلهما عمه صلى الله عليه وسلم حمزة بن عبد المطلب وكان اسن منه صلى الله عليه وسلم بسنتين وقيل بأربع سنين (أقول) هذا يخالف ما تقدم من ان عبد المطلب تزوج من بنى زهرة هالة وأتى منها بحمزة وأن عبد الله تزوج من بنى زهرة آمنة وذلك فى مجلس واحد وان آمنة حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم عند دخول عبد الله بها وأنه دخل بها حين املاك عليها فكيف يكون حمزة أسن منه صلى الله عليه وسلم بسنتين الا أن يقال ليس فيما تقدم تصريح بان عبد المطلب وعبد الله دخلا على زوجتيهما فى وقت واحد وعبارة السهيلى هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة عم آمنة بنت وهب أم النبى صلى الله عليه وسلم تزوجها عبد المطلب وتزوج ابنه عبد الله آمنة فى ساعة واحدة فولدت هالة لعبد المطلب حمزة وولدت آمنة لعبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارضعتهما ثويبة هذا كلامه وليس فيه كقول أسد الغابة المتقدم ان عبد المطلب تزوج هو وعبد الله فى مجلس واحد تصريح بانهما دخلا بزوجتيهما فى وقت واحد لامكان حمل التزوج على الخطبة المصرح بها فيما تقدم عن ابن المحدث ان عبد المطلب خطب هالة فى مجلس خطبة عبد الله لآمنة والله اعلم ثم رأيت فى الاستيعاب قال كان اى حمزة أسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع سنين وهذا لا يصح عندى لان الحديث الثابت ان حمزة ارضعته ثويبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أن تكون ارضعتهما فى زمانين هذا لفظه وفيه ما علمت وفيه ايضا على تسليم أنها ارضعتهما فى زمانين لكن بلبن ابنها مسروح كما سيأتى ويبعد بقاء ابن ابنها مسروح أربع سنين ثم ارضعت به رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيأتى الجواب عنه وأرضعت ثويبة رضى الله تعالى عنها بعده صلى الله عليه وسلم اباسلمة بن عبد

الاسد

العرب ودادها واعطته قيادها يامعشر قريش كونوا له ولاة ولحزبه حماة وفى رواية دونكم ابن ابيكم كونوا له ولاة ولحزبه حماة والله لا يسلك احد سبيله الا رشد ولا يأخذ احد بهديه الا سعد ولو كان لنفسى مدة ولاجلى تأخير لكففت عنه الهزاهز ولدفعت عنه الدواهى ثم هلك على كفره وقال لهم مرة لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد وما اتبعتم امره فاطيعوه ترشدوا * قال الزرقانى فانظر واعتبر كيف وقع جميع ما قاله من باب الفراسة الصادقة وكيف هذه المعرفة التامة بالحق ومع ذلك سبق فيه قدر القهار ان فى ذلك لعبرة لأولى الابصار ولهذا الحب الطبيعى كان اهون اهل النار عذابا كما فى صحيح مسلم والحاصل ان ظاهر النصوص الشرعية من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية كلها تدل على انه مات على كفره وأنه كان عنده تصديق بالنبى صلى الله عليه وسلم ولكن عنده عدم انقياد واستسلام فلم ينفعه تصديقه واما حديث العباس رضى الله عنه الذى فيه أنه نطق بالشهادتين عند وفاته فانه حديث ضعيف لا يعارض تلك النصوص وقالت الشيعة باسلامه تمسكا بذلك الحديث وبكثير من اشعاره لكن مذهب اهل السنة على خلافه ونقل الشيخ السحيمى فى شرحه على شرح جوهرة التوحيد عن الامام الشعرانى والسبكى وجماعة ان ذلك الحديث اعنى حديث العباس ثبت عند بعض اهل الكشف وصح عندهم اسلامه وأن الله تعالى ابهم امره بحسب ظاهر الشريعة تطييبا لقلوب الصحابة الذين كان آباؤهم كفارا لانه لو صرح لهم بنجاته مع كفر آبائهم وتعذيبهم لنفرت قلوبهم وتوغرت صدورهم كما تقدم نظيره فى حديث الذى قال ابن أبى وايضا لو ظهر لهم اسلامه لعادوه وقاتلوه مع النبى صلى الله عليه وسلم ولما تمكن من حمايته والدفع عنه

فجعل الله ظاهر حاله كحال آبائهم وأنجاه في باطن الامر لكثرة نصرته للنبي صلى الله عليه وسلم وحمايته له ومدافعته عنه ولكن هذا القول اعني القول باسلامه عند بعض أهل الحقيقة مخالف لظاهر الشريعة فلا ينبغي التكلم به بين العوام بل لا ينبغي كثرة الخوض في شأنه وانما يفوض الامر فيه الى الله تعالى فانه اسلم للعبد قال في السيرة الحلبية نقلا عن الهدى النبوي لابن القيم وكان من حكمة احكم الحاكمين بقاؤه على دين قومه لما في ذلك من المصالح التي تبدو لمن تأملها وكذلك اقرباؤه وبنو عمه الذين تأخر اسلام من اسلم منهم ولو اسلم ابو طالب وبادر اقرباؤه وبنو عمه الى الاسلام به لقيل قوم أرادوا الفخر برجل منهم وتعصبوا له فلما بادر اليه الاباعد وقاتلوا على حبه من كان منهم حتى ان الشخص منهم يقتل اباه واخاه علم ان ذلك انما هو على بصيرة صادقة ويقين ثابت ولما مات ابو طالب نالت قريش من النبي صلى الله عليه وسلم من الاذى ما لم تكن تطمع فيه في حياة ابي طالب حتى ان بعض سفهاء قريش نثر على رأس النبي صلى الله عليه وسلم التراب فدخل صلى الله عليه وسلم بيته والتراب على رأسه فقامت اليه بعض بناته وجعلت تزيله عن رأسه وتبكي ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها لا تبكي يا بنية فان الله مانع اباك وكان صلى الله عليه وسلم يقول ما نالت مني قريش شيأ اكرهه حتى مات ابو طالب ولما رأى قريشا تهجموا على أذيته قال يا عم ما اسرع ما وجدت فقدك ولما بلغ ابا لهب ذلك قام بنصرته اياما وقال له يا محمد امض لما اردت وما كنت صانعا اذ كان ابو طالب حيا فاصنعه لا واللات والعزى لا يصلون اليك حتى اموت واتفق أن ابن الغيطلة سب النبي صلى الله عليه وسلم فاقبل عليه ابو لهب ونال منه فولى وهو يصيح يا معشر قريش صبا ابو عتبة يعني ابا لهب فاقبلت قريش على ابي لهب وقالوا له فارقت

الاسد اي ابن عمته الذي كان زوجا لام حبيبة بنت ابي سفيان أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها فقد ارضعت ثويبة حمزة ثم اباسفيان ابن عمه الحرث ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اباسلمة وهو مخالف بظاهره لقول المحب الطبري وارضعته ثويبة جارية ابي لهب وارضعت معه حمزة بن عبد المطلب واباسلمة عبدالله بن عبد الاسد بلبن ابنها مسروح هذا كلامه وفيه ما علمت وقد يجاب بانه يمكن بان تكون لم تحمل على ولدها مسروح في المدة المذكورة فاستمر لبنها او ايضا هي ارضعت بين حمزة ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عمه اباسفيان بن الحرث كما علمت (وذكر بعضهم) ان اباسلمة أول من يدعى للحساب اليسير وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثا واحدا فعن ام سلمة رضي الله تعالى عنها قالت أتاني ابو سلمة يوما من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لقد سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قولا سررت به قال لا تصيب احدا من المسلمين مصيبة فيسترجع عند مصيبته ثم يقول اللهم اجرني في مصيبتي واخلف علي خيرا منها الا فعل به قال الترمذي حسن غريب ويدل لكون ابي سلمة اخا له صلى الله عليه وسلم من الرضاعة ما جاء عن ام حبيبة قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له هل لك في اختي بنت ابي سفيان اي وهي عزة بعين مهملة ثم زاي أي وفي رواية هل لك في اختي حمنة بنت ابي سفيان والذي في مسلم انكح اختي عزة اي وفي البخاري انكح اختي بنت ابي سفيان قال أو تحبين ذلك قالت نعم لست لك بمخلية بضم الميم وسكون الخاء وكسر اللام وبالتحتية اي لست لك بتاركة عدم أخذها وأحب من شاركني في خير اختي فقال النبي صلى الله عليه وسلم فان ذلك لا يحل لي قالت فوالله انا نتحدث انك تخطب درة اي وفي لفظ انا لنتحدث انك تخطب درة اي وفي لفظ تريدان تنكح درة بنت ابي سلمة اي بضم الدال المهملة واما ضبطه بفتح الذال المعجمة قال بعضهم هو تصحيف لا شك فيه نعني بدرة بنتها من ابي سلمة قال ابنة ابي سلمة قلت نعم فقال والله لو لم تكن ربيبتي في حجري ما حلت لي انها لابنة اخي من الرضاعة ارضعتني واباها ثويبة اي وفي رواية لولا اني لم انكح ام سلمة يعني ام حبيبة التي هي امها لم تحل لي ان اباها اخي من الرضاعة اي واشتمل على فرض ان لا تكون بنت اخي من الرضاعة لا تحل لي ان اجمعها معك فلا تعرضن علي بناتكن ولا اخواتكن قيل وفي هذا اي في قوله لو لم تكن ربيبتي في حجري وفي قوله تعالى وربائبكم اللاتي في حجوركم حجة لداود الظاهري ان الربيبة لا تحرم الا اذا كانت في حجر زوج امها فان لم تكن في حجره فهي حلال له اي وقيل لها ربيبة لانها مأخوذة من الرب وهو الاصلاح لان زوج امها يقوم

باصلاح احوالها قال ولك ان تقول كان الظاهر الاقتصار على الاخوات لان ام حبيبة هي التي عرضت اختها ولم تعرض بنتها التي هي درة وقد يجاب بانه صلى الله عليه وسلم جعل خطاب ام حبيبة خطابا بالجميع زوجاته صلى الله عليه وسلم لان هذا الحكم لا يختص بواحدة دون أخرى اه (أقول) فيه ان هذا واضح لو كان في زوجاته صلى الله عليه وسلم من عرض عليه بنته الا ان يقال المراد لا تعرضن لا ينبغي لكن أن تعرضن وذلك لا يستلزم وقوع العرض بالفعل ثم رأيت الامام النووي رحمه الله ذكر ان هذا من ام حبيبة اى من عرض اختها محمول على انها لم تكن تعلم تحريم الجمع بين الاختين عليه صلى الله عليه وسلم قال وكذا لم تعلم من عرض بنت ام سلمة تحريم الربيبة هذا كلامه وهو يقتضي ان بعض الناس عرض عليه بنت ام سلمة واذا كان من عرضها عليه احدى نسائه اتجه قوله فلا تعرضن على بناتكن تأمل وبهذا الحديث استدل من قال انه لا يجوز له صلى الله عليه وسلم ان يجمع بين المرأة واختها وهو الراجح من وجهين ومقابله يقول خص بجواز ذلك له ولا يجمع بين المرأة وبنتها خلافا لوجه حكاه الرافعي وهذا الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم لو لم انكح ام سلمة لم تحل لي يرد هذا الوجه وعبارة الخصائص الصغرى وله صلى الله عليه وسلم الجمع بين المرأة واختها وعمتها وخالتها في احد الوجهين وبين المرأة وبنتها في وجه حكاه الرافعي وتبعه في الروضة وجزموا بانه غلط والله اعلم * ومما يدل ايضا على ان عمه صلى الله عليه وسلم حمزة اخوه من الرضاعة ما جاء عن علي رضي الله تعالى عنه قال قلت يا رسول الله مالك لا تنوق في قريش اى بمثناتين فوقية مفتوحتين ثم واو مشددة ثم قاف اى لا تتشوق اليهم مأخوذ من التوق الذي هو الشوق وفي رواية بالتاء والنون اى لا تختار ولا تتزوج منهم قال أوعندك قلت نعم ابنة حمزة اى عمه وهي امامة وهي أحسن فتاة في قريش قال تلك ابنة اخي من الرضاعة اى وهذا من علي رضي الله تعالى عنه محمول على انه لم يكن يعلم بتحريم بنت الاخ من الرضاعة عليه صلى الله عليه وسلم او انه لم يكن يعلم ان عمه حمزة اخ له صلى الله عليه وسلم من الرضاعة وفيه انه جاء في رواية اما علمت انه اخي من الرضاعة وان الله قد حرم من الرضاعة ما حرم من النسب الا ان يراد بقوله قد علمت اى اعلم قال ولعله لم يقل ارضعتني واياه ثويبة كما قال ذلك في ابي سلمة لان ثويبة ارضعت حمزة ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ابا سلمة لان حمزة رضيعه ايضا من امرأة من بني سعد غير حليمة كان حمزة رضي الله تعالى عنه مسترضعا عندها في بني سعد ارضعته صلى الله عليه وسلم يوما وهي عند حليمة

دين عبد المطلب فقال ما فارقته وفي لفظ قالوا له أصبوت قال ما فارقت دين عبد المطلب ولكن أمنع ابن اخي ان يضام حتى يمضي لما يريد قالوا لقد احسنت واجملت ووصلت الرحم فمكث صلى الله عليه وسلم اياما لا يتعرض له احد من قريش وهابوا ابا لهب الى أن جاء ابو جهل وعقبة بن ابي معيط الى ابي لهب فقالا له اخبرك ابن اخيك أين مدخل ابيك يزعم انه في النار فقال ابو لهب يا محمد أين مدخل عبد المطلب قال مع قومه فخرج ابو لهب الى ابي جهل وعقبة فقال قد سألته فقال مع قومه فقالا يزعم انه في النار فقال يا محمد أيدخل عبد المطلب النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم وفي رواية من مات على عبادة غير الله فهو في النار فترك ابو لهب نصرة النبي صلى الله عليه وسلم وحمايته وتقدم الكلام على عبد المطلب مستوفى وانه مات في الفترة او انه كان موحدا وانما اجمل عليه الصلاة والسلام لهم الجواب مجاراة لهم لانهم كانوا يعتقدون انهم على ما كان عليه عبد المطلب ولو اراد ان يبين لهم الفرق بين اهل الفترة وغيرهم لربما كان سببا لزيادة كفرهم وعنادهم وبقائهم على عبادة أصنامهم وهو صلى الله عليه وسلم يريد تنفيرهم عن عبادة الاصنام فاللائق بالمقام ان يجعل الكلام عاما وان يكون التعذيب لكل من عبد غير الله على العموم من غير ان يفصل لهم ويظهر الفرق بين اهل الفترة وغيرهم لان ذلك أبلغ في تنفيرهم ومن تأمل اجماله الجواب لهم يعلم سر ذلك فانه قال لهم نعم وفي رواية من مات على عبادة غير الله فهو في النار وجاء في رواية من مات على مثل ما مات عليه اى عبد المطلب فهذه يحتمل انها من تصرف الرواة ويحتمل انها مجاراة لهم ولم يقل لهم صراحة عبد المطلب في النار وهكذا كانت عادته صلى الله عليه وسلم في اجابة الجاهلين يجيب كل انسان على حسب حاله اللائق به وبفهمه وعقله ويأتي بالكلام محتملا تعريضا

للصدق ومن تأمل الحديث السابق في سؤال الرجل الذي قال له ابن ابي بعسلم سر ذلك ولا يشكل عليه شئ من امثاله فالنبي صلى الله عليه وسلم كان اعقل العالمين واعلمهم فيخاطب كل واحد على حسب حاله وكانت وفاة ابي طالب سنة عشر من النبوة وانما قدمنا الكلام عليه لمناسبة الكلام له وانجراره من نجاة آبائه الى ذكر الكلام على ابي طالب والاختلاف فيه فله مناسبة تامة بما نحن فيه والله اعلم

• (ومن الارهاصات) التي ظهرت على يديه صلى الله عليه وسلم وهو صغير انه كان مع عمه ابي طالب بذي المجاز وهو موضع على فرسخ من عرفة كان سوقا للجاهلية فعطش عمه ابو طالب فشكا الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا ابن اخي قد عطشت فأهوى بعقبه الى الارض وفي رواية الى صخرة فركضها برجله وقال شيأ قال ابو طالب فاذا أنا بالماء لم أر مثله فقال اشرب فشربت حتى رويت فركضها فعادت كما كانت وسافر صلى الله عليه وسلم الى اليمن وعمره بضع عشرة سنة وكان معه في ذلك السفر عمه الزبير فمروا بواد فيه فحل من الابل يمنع من يجتاز فلما رآه الفحل برك وحك الارض بصدره فنزل صلى الله عليه وسلم عن بعيره وركب ذلك الفحل حتى جاوز الوادي ثم خلى عنه فلما رجعوا من سفرهم مروا بواد مملوء ماء يتدفق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتبعوني ثم اقتحمه فاتبعوه فأيبس الله الماء فلما وصلوا الى مكة تحدثوا بذلك فقال الناس ان لهذا الغلام شأنا (وفي السيرة) لهشامية ان رجلا من لهب كان قائفا وكان اذا قدم مكة أتاه رجال قريش بغلمانهم ينظر اليهم ويقتاف لهم فيهم فأتى ابو طالب بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو غلام مع من يأتيه فنظر اليه ثم شغل عنه فلما فرغ قال علي بالغلام وجعل يقول ويلكم ردوا علي الغلام الذي رأيت آنفا فوالله ليكونن له شأن فلما رأى ابو طالب حرصه عليه غيبه عنه وانطلق به

اي فهو رضيعه صلى الله عليه وسلم من جهة ثويبة ومن جهة تلك المرأة السعدية ولم اقف على اسم تلك المرأة اه اي ولو اقتصر على ثويبة لأوهم انه لم يرتضع معه على غيرها وذكر في الاصل ان بعضهم ذكر من مراضعه صلى الله عليه وسلم خولة بنت المنذر (اقول) وتقدم ذلك ونسب هذا البعض في ذلك للوهم وان خولة بنت المنذر التي هي ام بردة انما كانت مرضعة لولده ابراهيم وقد يجاب عنه بانه يجوز ان تكون خولة بنت المنذر اثنتان واحدة ارضعته صلى الله عليه وسلم وواحدة ارضعت ولده ابراهيم وان خولة التي ارضعته صلى الله عليه وسلم هي السعدية التي كانت ترضع حمزة التي قال فيها الشمس الشامي لم اقف على اسم تلك المرأة والله اعلم ولم يذكر اسلام ثويبة الا ابن منده قال الحافظ ابن حجر وفي طبقات ابن سعد ما يدل على انها لم تسلم ولكن لا يدفع نقل ابن منده به وفي الخصائص الصغرى لم ترضعه صلى الله عليه وسلم مرضعة الا اسلمت ولم اقف على اسلام ابنها مسروح (اقول) ومما يدل على عدم اسلامه ما جاء بسند ضعيف اذا كان يوم القيامة اشفع لاخ لي في الجاهلية قال الحافظ السيوطي يعني اخاه من الرضاعة لانه لم يدرك الاسلام لا يقال من أين انه مسروح جاز ان يكون ابن حليمة وهو عبد الله الذي كان يرضع معه صلى الله عليه وسلم بناء على انه لم يدرك الاسلام لانه لم يعرف له اسلام لانا نقول سيأتي عن شرح الهمزية لابن حجر ان عبد الله ولد حليمة اسلم والله اعلم اي وقد يدل على عدم اسلام ثويبة وابنها المذكور والذي هو مسروح ما جاء انه صلى الله عليه وسلم كان يبعث لها بصلة وكسوة وهي بمكة حتى جاءه خبر وفاتها مرجعه صلى الله عليه وسلم من خيبر سنة سبع فقال ما فعل ابنها مسروح فقيل مات قبلها اي ولو كانا اسلما لهاجرا الى المدينة (اقول) وهذا بظاهره يدل على ان مسروحا أدرك الاسلام وقد ينافي علم وفاتهما مرجعه صلى الله عليه وسلم من خيبر ما ذكر السهيلي انه عليه الصلاة والسلام كان يصلهما من المدينة فلما فتح مكة سأل عنها وعن ابنها مسروح فأخبر انهما ماتا وقد يقال لا منافاة لانه يجوز ان يكون سؤاله الثاني للتثبت لوصوله محل اقامتهما والقول بانهما لو كانا اسلما لهاجرا الى المدينة يقال عليه يجوز ان تكون الهجرة تعذرت عليهما لمارض عرض لهما والله اعلم قال وجاء ان امه ارضعته صلى الله عليه وسلم تسعة ايام (اقول) وعن عيون المعارف للقضاعي سبعة ايام وفي الامتاع انها ارضعته صلى الله عليه وسلم سبعة اشهر ثم ارضعته ثويبة اياما قلائل هذا كلامه وقوله ثم ارضعته ثويبة يخالف ما تقدم من ان أول من ارضعه ثويبة الا ان يقال المراد أول من ارضعه غير امه ثويبة فلا

ولما بلغ صلى الله عليه وسلم ثنتي عشرة سنة وقيل تسع سنين سافر عمه ابو طالب الى الشأم فصب به النبي صلى الله عليه وسلم من الصبابة وكثرة الشوق وفي رواية فضبث بالضاد والباء والثاء اى لزمه وقبض عليه وفي رواية فمسك بزمام ناقة ابي طالب وقال ياعم الى من تكلني لا أب لي ولا ام فأخذه معه واردفه خلفه فنزلوا على صاحب دير فقال صاحب الدير ماهذا الغلام منك قال ابني قال ماهو بابنك وما ينبغي ان يكون له اب حي لان من كانت هذه الصفة صفته فهو نبي اى النبي المنتظر بدليل قوله ومن علامة ذلك النبي في الكتب القديمة أن يموت ابوه وأمه حامل به وان تموت أمه وهو صغير قال ابو طالب لصاحب الدير وما النبي قال الذي يأتيه الخبر من السماء فينبئ اهل الارض قال ابو طالب الله أجل مما تقول قال فاتق عليه اليهود ثم خرج حتى نزل براهب ايضا صاحب دير فقال ماهذا الغلام منك قال ابني قال ماهو بابنك وما ينبغي أن يكون له اب حي قال ولم قال لان وجهه وجه نبي وعينه عين نبي اى النبي الذى يبعث لهذه الامة الاخيرة لان ماذكر علامته في الكتب القديمة قال ابو طالب سبحان الله الله أجل مما تقول ثم قال ابو طالب للنبي صلى الله عليه وسلم يا ابن أخي الا تسمع مايقول قال اى عم لا تنكر لله قدرة فلما نزل الركب بصرى وبها راهب يقال له بحيرا واسمه جرجيس أو سرجيس في صومعة له وكان قد انتهى اليه علم النصرانية يتوارثونها كابرا عن كابر عن أوصياء عيسى عليه السلام وقيل كان بحيرا من أحبار اليهود وكان قد سمع مناديا قبل وجوده صلى الله يد خلق عليه وسلم ينادي ويقول الا ان خير أهل الارض ثلاثة رباب بن البراء وبحيرا وآخر لم يأت بعد وفي رواية والثالث المنتظر يعني النبي صلى الله عليه وسلم وكانت قريش كثيرا ماتمر على بحيرا فلا يكلمهم حتى كان ذلك العام صنع لهم طعاما كثيرا وقد كان رأى

مخالفة وبهذا يرد نقل ابن المحدث عن الاصل ان اول لبن نزل جوفه صلى الله عليه وسلم لبن ثويبة فانه فهم ذلك من قول الاصل اول من ارضعه ثويبة لما علمت ان الاولية اضافية لا حقيقية الا ان يدعى ذلك في نقل ابن المحدث ايضا اى اول لبن نزل جوفه صلى الله عليه وسلم بعد لبن امه والله اعلم قال وارضعه صلى الله عليه وسلم ثلاث نسوة اى ابكار من بني سليم أخرجن ثديهن فوضعنها في فيه فدرت في فيه فرضع منهن وارضعته صلى الله عليه وسلم ام فروة اه اى وهؤلاء النسوة الابكار كل واحدة منهن تسمى عاتكة وهن التي عناهن صلى الله عليه وسلم بقوله انا ابن العواتك من سليم على ما تقدم وما تقدم من ان ام أيمن ارضعته صلى الله عليه وسلم لم يذكره في الخصائص الصغرى ورد بانها حاضنته لا مرضعته وعلى تقدير صحته ينظر بلبن اى ولدلها كان فانه لا يعرف لها ولد الا ايمن واسامة الا ان يقال جاز ان لبنها در له صلى الله عليه وسلم من غير وجود ولد كما تقدم في النسوة الابكار وارضعته صلى الله عليه وسلم حليمة بنت ابي ذؤيب وتكنى ام كبشة اى باسم بنت لها اسمها كبشة ويكنى بها ايضا والدها الذي هو زوج حليمة اى وكانت من هوازن اى من بني سعد بن بكر بن هوازن وسيأتي الكلام على اسلامها وعنها انها كانت تحدث انها خرجت من بلدها ومعها ابن لها ترضعه اسمه عبد الله ومعها زوجها قال وهو الحرث بن عبد العزى ويكنى ابا ذؤيب اى كما يكنى ابا كبشة ادرك الاسلام واسلم فقد روى ابو داود بسند صحيح عن عمرو بن السائب انه بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما فاقبل ابوه من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم واجلسه بين يديه وعن ابن اسحق بلغني ان الحرث انما اسلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وهو يؤيد قول بعضهم لم يذكر الحرث كثير ممن ألف في الصحابة اه (أقول) يدل للاول ظاهر ماروى أن الحرث هذا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد نزول القرآن عليه صلى الله عليه وسلم فقالت له قريش اوتسمع ياحارث مايقول ابنك فقال ومايقول قالوا يزعم ان الله يبعث من في القبور وأن لله دارين يعذب فيهما من عصاه ويكرم فيهما من اطاعه اى يعذب في احداهما من عصاه وهي النار ويكرم في الاخرى من اطاعه وهي الجنة فقد شتت أمرنا وفرق جماعتنا فأتاه فقال اى بني مالك ولقومك يشكونك ويزعمون انك تقول كذا اى ان الناس يبعثون بعد الموت ثم يصيرون الى جنة ونار فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم أنا أقول ذلك وفي لفظ انا ازعم ذلك ولو قد كان ذلك اليوم يا أبت فلآخذن بيدك حتى أعرفك حديثك اليوم فأسلم الحرث بعد ذلك وحسن اسلامه اى وقد كان يقول حين أسلم لو أخذ ابني بيدي فعرفني ماقال لم يرسلني حتى

وهو بصومعته رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الركب حين اقبلوا وغمامة تظله من بين القوم ثم لما نزلوا فى ظل شجرة نظر الغمامة قد اظلت الشجرة ومالت أغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان وجدهم سبقوه صلى الله عليه وسلم الى فىء الشجرة فلما جلس مال فىء الشجرة عليه ثم أرسل اليهم انى قد صنعت لكم طعاما يا معشر قريش وأحب ان تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم وعبدكم وحركم فقال له رجل منهم يا بحيرا ان لك اليوم لشأنا ما كنت تصنع هذا بنا وكنا نمر عليك كثيرا فما شأنك اليوم فقال له بحيرا صدقت قد كان ما تقول ولكنكم ضيف وقد أحببت أن اكرمكم وأصنع لكم طعاما فتأكلون منه كلكم فاجتمعوا اليه وتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم لحداثة سنه فى رحال القوم اى تحت الشجرة فلما نظر بحيرا فى القوم ولم ير فى احد منهم الصفة التى هى علامة النبى المبعوث آخر الزمان التى يجدها عنده ولم ير الغمامة على احد من القوم ورآها متخلفة على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معشر قريش لا يتخلف أحد منكم عن طعامى فقالوا يا بحيرا ما تخلف أحد عن طعامك ينبغى له ان يأتيك الا غلام وهو احدث القوم سنا قال لا تفعلوا ادعوه فليحضر هذا الغلام معكم فما أقبح أن تحضروا ويتخلف رجل واحد مع انى أراه من انفسكم فقال القوم هو والله اوسطنا نسبا وهو ابن أخى هذا الرجل يعنون آبا طالب وهو من ولد عبد المطلب وما تخلف عن طعام من بيننا ثم قام اليه عمه الحرث بن عبد المطلب فاحتضنه وجاء به واجلسه مع القوم وقيل الذى قام اليه وجاء به ابو بكر رضى الله عنه لانه كان مع القوم لكن هذا مشكل من حيث انه اصغر من النبى صلى الله عليه وسلم فالظاهر هو الاول ولما سار به من احتضنه لم تزل الغمامة تسير على راسه فلما رآه بحيرا جعل يلحظه

بدخلق الجنة وانما قلنا ظاهر لانه قد يقال قوله بعد ذلك يصدق بما بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فلا دلالة فى ذلك على انه أسلم فى حياته صلى الله عليه وسلم وفى شرح الهمزية لابن حجر ومن سعادتها يعنى حليمة توفيقها للاسلام هى وزوجها وبنوها وهم عبد الله والشيما وانيسة هذا كلامه * وفى الاصابة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا اى على ثوب فأقبل أبوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم اقبلت أمه صلى الله عليه وسلم فوضع لها شق ثوبه من الجانب الآخر فجلست عليه ثم اقبل أخوه صلى الله عليه وسلم من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس بين يديه ورجاله ثقات ولعل المراد بجلوسه بين يديه جلوسه مقابله وحينئذ ففاعل جلس النبى صلى الله عليه وسلم وضمير يديه راجع لاخيه اى قام صلى الله عليه وسلم عن محل جلوسه على الثوب وأجلس أخاه على الثوب مكانه وجلس صلى الله عليه وسلم قبالة أخيه وفعل صلى الله عليه وسلم ذلك ليكون أخوه هو وابواه جميعا على الثوب والله أعلم قالت وخرجت فى نسوة من بنى سعد أى ابن بكر بن هوازن عشرة يطلبن الرضعاء فى سنة شهباء أى ذات جدب وقحط لم تبق شيأ على أتان قمراء بفتح القاف والمد أى شديدة البياض ومعنا شارف اى ناقة مسنة ما تبض بالضاد المعجمة وربما روى بالمهملة اى ما ترشح بقطرة لبن قالت وما كنا ننام ليلتنا اجمع من صبينا الذى معنا من بكائه من الجوع ما فى ثديى وفى رواية ثديى ما يغنيه وما فى شارفنا ما يغذيه بمعجمتين وقيل بمعجمة ثم مهملة وقيل باسكان العين المهملة وكسر الذال المعجمة وضم الباء الموحدة اى ما يكفيه بحيث يرفع رأسه وينقطع عن الرضاعة قالت حليمة ولكنا نرجو الغيث والفرج فخرجت على أتانى تلك فلقد ادمت بالدال المهملة وتشديد الميم بالركب اى حبسته بتأخرها عنه لشدة عنائها او تعبها لضعفها وهزالها حتى شق ذلك عليهم حتى قدمنا مكة نلتمس اى نطلب الرضعاء جمع رضيع وأدم مأخوذ من الماء الدائم يقال ادم بالركب اذا أبطأ حتى حبسهم ويروى بالمعجمة اى جاء بما يذم عليه وهو هنا الابطاء (أقول) لانه كان من شيم العرب واخلاقهم اذا ولد لهم ولد يلتمسون له مرضعة فى غير قبيلتهم ليكون انجب للولد وأفصح له وقيل لانهم كانوا يرون انه عار على المرأة ان ترضع ولدها انتهى اى تستقل برضاعه ويدل للاول ما جاء انه صلى الله عليه وسلم كان يقول لاصحابه انا أعربكم أى افصحكم عربية أنا قرشى واسترضعت فى بنى سعد وجاء ان أبا بكر رضى الله تعالى عنه لما قال له صلى الله عليه وسلم ما رأيت أفصح منك يا رسول الله فقال له ما يمنعنى وأنا من قريش وأرضعت فى بنى سعد فهذا كان يحملهم على دفع

لحظا شديدا و ينظر الى اشياء من جسده كان يجدها عنده من صفته صلى الله عليه وسلم حتى اذا فرغ القوم من طعامهم
وتفرقوا قام اليه بحيرا فقال له اسألك بحق اللات والعزى الا ما اخبرتني عما اسألك عنه وانما قال له بحيرا بحق اللات والعزى لانه
سمع قومه يحلفون بهما وقال في الشفاء 118 انه اخبره بذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسألني باللات والعزى
شيأ فوالله ما ابغض شيأ قط
بغضهما فقال بحيرا فبالله الا
ما اخبرتني عما اسألك عنه فقال
له سلني عما بدا لك فجعل يسأله عن
اشياء من حاله من نومه وهيئته
واموره فيخبره رسول الله صلى
الله عليه وسلم فيوافق ذلك ما عند
بحيرا من صفة النبي المبعوث آخر
الزمن التي عنده ثم كشف عن
ظهره فرأى خاتم النبوة على الصفة
التي عنده فقبل موضع الخاتم
فقالت قريش ان لمحمد عند هذا
الراهب لقدرا فلما فرغ أقبل
على عمه ابي طالب فقال له ما هذا
الغلام منك قال ابني قال ما هو
ابنك وما ينبغي لهذا الغلام
ان يكون ابوه حيا قال فانه ابن
اخي قال فما فعل ابوه قال مات
وامه حبلى به قال صدقت ثم قال
فما فعلت امه قال توفيت قريبا
قال صدقت فارجع بابن اخيك
الى بلاده واحذر عليه يهود لئن
رأوه وعرفوا منه ما عرفت
ليبغينه شرا فانه كائن لابن اخيك
هذا شأن عظيم نجده في كتبنا
ورويناه عن آبائنا واعلم أني قد
أديت اليك النصيحة فأسرع به
الى بلده وفي رواية لما قال له ابن
أخي قال له بحيرا أشفيق عليه أنت قال نعم قال فوالله لئن قدمت به الشأم اي جاوزت هذا المحل ووصلت الى داخل
الشأم الذي هو محل اليهود لتقتلنه اليهود فرجع به الى مكة ويقال انه قال لذلك الراهب ان كان الامر كما وصفت فهو في حصن
من الله ثم تخوف عليه عمه على ما جرت به العادة من طلب التوقي فبعثه مع بعض غلمانه وفي رواية فخرج به عمه أبو طالب

الرضعاء الى المراضع الاعرابيات ومن ثم نقل عن عبد الملك بن مروان أنه كان يقول
اضر بنا حب الوليد يعني ولده لانه لحبنه له أبقاه مع امه في المصر ولم يسترضعه في البادية مع
الاعراب فصار لحانا لاعربية له وأخوه سليمان استرضع في البادية مع الاعراب فصار عربيا
غير لحان * قالت حليمة فما منا امرأة الا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتأباه اذا قيل لها يتيم وذلك أنا انما نرجو المعروف من أبي الصبي فكنا نقول يتيم ما عسى
أن تصنع أمه وجده فكنا نكرهه لذلك فما بقيت امرأة معي الا أخذت رضيعا غيري فلما
أجمعنا الانطلاق أي عزمنا عليه قلت لصاحبي والله اني لاكره ان ارجع من بين صواحبي
ولم آخذ رضيعا والله لاذهبن الى ذلك الرضيع فلآخذنه قال لا عليك اي لا بأس عليك
أن تفعلي عسى الله ان يجعل لنا فيه بركة فذهبت اليه فأخذته أقول وهذا السياق
قد يخالف قول بعضهم ان عبد المطلب خرج يلتمس له المراضع فالتمس له حليمة ابنة أبي
ذؤيب الا أن يقال جاز أن يكون التماسه للمراضع غير حليمة كان عند قدومهن وأبين
ان يقبلن ثم طلب من حليمة ذلك بعد ان لم يجد رضيعا ويدل لذلك قول صاحب شفاء
الصدور ان حليمة قالت استقبلني عبد المطلب فقال من أنت فقلت أنا امرأة من بني سعد
قال ما اسمك قلت حليمة فتبسم عبد المطلب وقال بخ بخ سعد وحلم خصلتان فيهما خير
الدهر وعز الابد يا حليمة ان عندي غلاما يتيما وقد عرضته على نساء بني سعد فأبين أن
يقبلن وقلن ما عند اليتيم من الخير انما نلتمس الكرامة من الآباء فهل لك أن ترضعيه
وعسى ان تسعدي به فقلت الا تذرني حتى أشاور صاحبي فانصرفت الى صاحبي فأخبرته
فكأن الله قذف في قلبه فرحا وسرورا فقال لي يا حليمة خذيه فرجعت الى عبد المطلب
فوجدته قاعدا ينتظرني فقلت هلم الصبي فاستهل وجهه فرحا فأخذني وأدخلني بيت
آمنة فقالت لي أهلا وسهلا وأدخلتني في البيت الذي فيه محمد صلى الله عليه وسلم فاذا هو
مدرج في ثوب صوف أبيض من اللبن وتحته حريرة خضراء راقد على قفاه يغط يفوح
منه رائحة المسك فأشفقت اي خفت أن أوقظه من نومه لحسنه وجماله فوضعت يدي
على صدره فتبسم ضاحكا وفتح عينيه الي فخرج من عينيه نور حتى دخل خلال السماء
وأنا أنظر فقبلته بين عينيه وأخذته وما حملني على اخذه اي أكد أخذه الا أني لم أجد غيره
والا فاذكرته من اوصافه مقتض لاخذه أي وهذه الرواية ربما تدل على انها لم تره قبل
ذلك وان اباءها كان قبل رؤيتها له قالت فلما أخذته رجعت به الى رحلي فلما وضعته في
حجري أقبل ثدياي بما شاء الله من لبن فشرب حتى روي اي من الثدي الايمن وعرضت

عليه الايسر فأباه قالت حليمة وكانت تلك حالته بعد اى بعد ذلك لا يقبل الا ثديا واحدا وهو الايمن وفى السبعيات للهمدانى ان أحد ثديى حليمة كان لا يدر اللبن منه فلما وضعته فى فم رسول الله صلى الله عليه وسلم در اللبن منه قالت وشرب معه أخوه حتى روى ثم نام وما كنا ننام معه قبل ذلك اى فعدم نومه من الجوع فقام زوجى الى شارفنا تلك فاذا هى لحافل اى ممتلئة الضرع من اللبن فحلب منها ما شرب وشربت حتى انتهينا ريا وشبعا فبتنا بخير ليلة يقول صاحبى حين أصبحنا تعلمى والله يا حليمة لقد أخذت نسمة مباركة قالت والله انى لأرجو ذلك ثم خرجنا وركبت أتانى وحملته صلى الله عليه وسلم معى عليها فوالله اقطعت بالركب اى صيرته خلفها ما يقدر عليها أى على مرافقتها ومصاحبتها شئ من حمرهن حتى ان صواحبى يقلن لى يا بنت أبى ذؤيب ويحك اربعى اى اعطفى علينا بالرفق وعدم الشدة فى السير أليس هذا أتانك التى كنت خرجت عليها تخفضك طورا وترفعك أخرى فأقول لهن بلى والله انها لهى فيقلن والله ان لها لشأنا أى وقالت حليمة فكنت أسمع أتانى تنطق وتقول والله ان لى لشأنا ثم شأنا أنى بعثنى الله بعد موتى ورد لى سمنى بعد هزالى ويحكن يا نساء بنى سعد انكن لفى غفلة وهل تدرين من على ظهرى على ظهرى خير النبيين وسيد المرسلين وخير الاولين والآخرين وحبيب رب العالمين ذكره فى النطق المفهوم (وذكرت) انها لما أرادت فراق مكة رأت تلك الاتان سجدت أى خفضت رأسها نحو الكعبة ثلاث سجدات ورفعت رأسها الى السماء ثم مشت قالت ثم قدمنا منازل بنى سعد ولا أعلم أرضا من اراضى الله اجدب منها فكانت غنمى تروح على حين قدمنا به شباعا لبنا اى غزيرات اللبن فنحلب ونشرب وفى لفظ فنحلب ما شئنا والله ما يحلب انسان قطرة لبن ولا يجدها فى ضرع حتى كان الحاضر أى المقيم فى المنازل من قومنا يقول لرعاتهم ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعى بنت أبى ذؤيب يعنونى فتروح أغنامهم جياعا تبض بقطرة لبن وتروح غنمى شباعا لبنا فلم نزل نعرف من الله تعالى الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلته وكان يشب شبابا لا يشبه الغلمان فلم يقطع سنتيه حتى كان غلاما جفرا أى غليظا شديدا وعن حليمة رضى الله تعالى عنها انه صلى الله عليه وسلم لما بلغ شهرين كان يحبى الى كل جانب اى وهذا يضعف ما تقدم عن الامتاع من ان أمه صلى الله عليه وسلم أرضعته سبعة أشهر قالت حليمة فلما بلغ صلى الله عليه وسلم ثمانية أشهر كان يتكلم بحيث يسمع كلامه ولما بلغ تسعة أشهر كان يتكلم بالكلام الفصيح ولما بلغ عشرة أشهر كان يرمى السهام مع الصبيان وعنها رضى الله تعالى عنها انها قالت انه فى

حتى أقدمه مكة وفى رواية أن بحيرا قال هذا سيد العالمين هذا رسول رب العالمين هذا يبعثه الله رحمة للعالمين فقال الاشياخ من قريش ما أعلمك فقال انكم حين أشرفتم على العقبة لم يبق حجر ولا شجر الا خر ساجدا ولا يسجد الا لنبى وان الغمامة صارت تظله دونهم وانى لأعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه وفى رواية أن سبعة من الروم عرفوه صلى الله عليه وسلم وأرادوا قتله فردهم بحيرا وقال لهم أفرأيتم أمرا أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس رده قالوا لا فبايعوا بحيرا على مسالمة النبى صلى الله عليه وسلم وعدم أخذه وأذيته وجاء فى بعض الروايات ان النبى صلى الله عليه وسلم رجع الى مكة ومعه أبو بكر وبلال فقيل ان هذه الزيادة خطأ وقيل انها صحيحة وان بلالا كان مع أمية بن خلف فى تلك العير وكذا كان فى العير أبو بكر رضى الله عنه مع بعض أقاربه فرجعوا مع النبى صلى الله عليه وسلم لمتقاربتهما له فى السن وجاء فى بعض الروايات حتى اذا نزلوا منزلا وهو سوق بصرى من أرض الشام وفى ذلك المحل سدرة فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ظلها ومضى أبو بكر الى راهب يقال له بحيرا يسأله عن شئ فقال من الذى فى ظل السدرة فقال له محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فقال له والله هذا نبى هذه الامة ما استظل تحتها بعد عيسى بن مريم الا محمد أى وقد قال عيسى لا يستظل تحتها بعدى الا النبى الهاشمى قال الحافظ ابن حجر يحتمل أن يكون سفر ابى بكر رضى الله عنه معه صلى الله عليه وسلم فى سفرة أخرى وهى سفرته مع ميسرة غلام خديجة وان ذلك الراهب ليس هو بحيرا بل نسطورا فاشتبه الامر على بعض الرواة * واختلف العلماء فى بحيرا ونسطورا ونحوهما ممن صدق بنبوته صلى الله عليه وسلم هل يعدون فى الصحابة والتحقيق أن من لم يدرك الرسالة لا يعد من الصحابة وبحيرا هذا غير بحيرا الذى قدم

من الحبشة مع جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه فان ذلك صحابي روى عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثا في التحذير من شرب الخمر وقد حفظ الله النبي صلى الله عليه وسلم مما كان عليه الجاهلية من أقذارهم ومعايبهم بحسب ما آل اليه شرعه لما يريد الله تعالى به من كرامته حتى صار أحسنهم خلقا وأعظمهم من الفحش والاخلاق التي تدنس الرجال تنزها وأفضل قومه مروأة وأكرمهم مخالطة وخيرهم جوارا وأكثرهم حلما وأحفظهم أمانة وأصدقهم حديثا فسموه الامين لما جمع الله فيه من الامور الصالحة الجيدة والفعال السديدة من الحلم والصبر والشكر والعدل والزهد والتواضع والعفة والجود والشجاعة والحياء والمروأة (فمن ذلك) ماذكره في السيرة الحلبية عن ابن اسحق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد رأيتني اى رأيت نفسي في غلمان من قريش ننقل الحجارة لبعض ما يلعب به الغلمان وكلنا قد تعرى واخذ ازاره وجعله على رقبته يحمل عليها الحجارة فاني لاقبل معهم كذلك وادبر اذ لكمني لاكم اى من الملائكة ما أراها لكمة وجيعة وفي لفظ لكمني لكمة شديدة لم تكن وجيعة ثم قال شد عليك ازارك فأخذته فشددته على ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتي وازاري على من بين اصحابي ووقع له مثل ذلك عند اصلاح أبي طالب بئر زمزم فعن ابن اسحق وصححه أبو نعيم قال كان أبو طالب يعالج زمزم وكان النبي صلى الله عليه وسلم ينقل الحجارة وهو غلام فأخذ ازاره واتقى به الحجارة فغشي عليه فلما أفاق سأله أبو طالب فقال أتاني آت عليه ثياب بيض فقال لي استتر فما رؤيت عورته من يومئذ ووقع له مثل ذلك عند بنيان قريش الكعبة (ومن ذلك) ما جاء عن علي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ماهممت بقبيح مما هم به أهل الجاهلية غير

حجري ذات يوم اذ مرت به غنيمات فأقبلت واحدة منهن حتى سجدت له وقبلت رأسه ثم ذهبت الى صواحبها * أقول وقد سجدت له صلى الله عليه وسلم الغنم وكذا الجمل بعد بعثته والهجرة فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل حائطا أي بستانا للانصار ومعه أبو بكر وعمر ورجال من الانصار وفي الحائط غنم فسجدت له فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه يارسول الله كنا أحق بالسجود لك من هذه الغنم فقال انه لا ينبغي في امتي ان يسجد أحد لاحد ولو كان ينبغي لاحد أن يسجد لاحد لامرت المرأة أن تسجد لزوجها زاد في رواية ولو ان رجلا أمر زوجته ان تنقل من جبل الى جبل لكان نولها اى حقها أن تفعل وحرب جمل بكسر الراء اى اشتد غضبه فصار لا يقدر أحد يدخل عليه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لاصحابه افتحوا عنه فقالوا انا نخشى عليك يارسول الله فقال افتحوا عنه ففتحوا عنه فلما رآه الجمل خر ساجدا اى فأخذ بناصيته ثم دفعه لصاحبه وقال استعمله وأحسن علفه فقال القوم يارسول الله كنا أحق أن نسجد لك من هذه البهيمة فقال كلا الحديث وفي هذا دلالة على عظيم حق الزوج على زوجته وجاء مما يدل على ذلك أيضا ماروى ان أسماء بنت يزيد الانصارية أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ان الله بعثك الى الرجال والنساء فآمنابك واتبعناك ونحن معاشر النساء مقصورات مخدرات قواعد بيوت ومواضع شهوات الرجال وحاملات أولادهم وان الرجال فضلوا بالجماعات وشهود الجنائز والجهاد واذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم أموالهم وربينا لهم أولادهم أفنشاركهم في الاجر يارسول الله فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجهه الى أصحابه وقال هل سمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالا عن دينها من هذه قالوا بلى يارسول الله فقال انصرفي ياأسماء واعلمي بانك من النساء ان حسن تبعل احداكن لزوجها وطلبها لمرضاته واتباعها لموافقته يعدل كل ماذكرت للرجال اى من حضور الجماعات وشهود الجنائز والجهاد فانصرفت اسماء وهي تهلل وتكبر استبشارا بما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم والتبعل ملاعبة المرأة لزوجها والله أعلم * قالت حليمة وكان ينزل عليه صلى الله عليه وسلم كل يوم نور كنور الشمس ثم ينجلي عنه والى قصة رضاعه صلى الله عليه وسلم يشير صاحب الهمزية بقوله

وبدت في رضاعه معجزات * ليس فيها عن العيون خفاء

اذ أبته ليتمه مرضعات * قلن ما في اليتيم عنا غناء

فاتته من آل سعد فتاة * قد أبتها لفقرها الرضعاء

أرضعته لبانها فسقتها * وبنيها ألبانهن الشاء

أصبحت شوّلا عجافا وأمست * ما بها شائل ولا عجفاء

أخصب العيش عندها بعد محل * إذ غدا للنبي منها غذاء

يا لها منة لقد ضوعف الأجـ * ـر عليها من جنسها والجزاء

وإذا سخر الإله أناسا * لسعيد فإنهم سعداء

اى وظهرت فى رضاعه وفى زمن رضاعه صلى الله عليه وسلم امور خارقة للعادة لوضوحها لا تخفى على العيون فمن ذلك ان المراضع أبت أن تأخذه صلى الله عليه وسلم لاجل يتمه فبعد ان تركته أتته فتاة من آل سعد قد أبتها أهل الرضعاء لفقرها فسقته لبانها فسقتها وبنيها الشاء ألبانها وكانت تلك الشياه لا لبن بها بل هزيلات فصارت ذات ألبان وسمن ومن ذلك ان العيش كثر عندها بعد شدة المحل لاجل حصول غذاء النبى صلى الله عليه وسلم يا لها اى لتلك الخصلة الصادرة من حليمة وهى سقيه لبانها نعمة منها عليه لقد كرر الثواب والجزاء على تلك النعمة من جنس تلك النعمة لان الجزاء من جنس العمل فلما سقت اللبن سقيته ولا بدع فان الله تعالى اذا سخر اناسا لمحبة سعيد والقيام بخدمته فانهم بسبب ذلك سعداء اقول لم أقف على رواية فيها ان حليمة أبتها أهل الرضعاء لفقرها وكان الناظم أخذ ذلك من قولها فما بقيت امرأة قدمت معى الا أخذت رضيعا غيرى وما حملنى على اخذه الا انى لم أجد غيره ولا دلالة فى ذلك واستثنى الحافظ ابن حجر عن بعض الوعاظ يذكر عند اجتماع الناس للمولد حادثات اى وقائع تتعلق به صلى الله عليه وسلم جاءت بها الاخبار هى مخلة بالتعظيم حتى يظهر من السامعين لها حزن فيبقى صلى الله عليه وسلم فى حيز من يرحم لا فى حيز من يعظم من ذلك انهم يقولون ان المراضع حضرن ولم يأخذنه لعدم ماله ونحو ذلك فما قولكم فى ذلك فأجاب بما نصه ينبغى لمن يكون فطنا ان يحذف من الخبر اى الحديث ما يوهم فى المخبر عنه نقصا ولا يضره ذلك بل يجب كما وقع لامامنا الشافعى رضى الله تعالى عنها حيث قال فى بعض نصوصه وقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة لها شرف فكلم فيه فقال لو سرقت فلانة لامرأة شريفة لقطعتها يعنى فاطمة بنت النبى صلى الله عليه وسلم فلم يصرح باسمها تأدبا معها ان تذكر فى هذا المعرض وان كان صلى الله عليه وسلم ذكرها الا ان ذلك منه صلى الله عليه وسلم حسن دال على ان الخلق عنده صلى الله عليه وسلم فى الشرع سواء فهذا من كمال أدب الامام رضى الله

أكرمنى الله بالنبوة الامرتين من الدهر كلتاهما عصمنى الله عز وجل من فعلهما اما الاولى كان معى من قريش بأعلى مكة فى غنم لاهله يرعاها وفى رواية قلت لبعض فتيان مكة ونحن فى رعاية غنم أهلنا ابصر لى غنمى حتى أسمر هذه الليلة بمكة كما يسمر الفتيان قال نعم وأصل السمر الحديث ليلا فخرجت فلما جئت ادنى دار من دور مكة سمعت غناء وصوت دفوف ومزامير فقلت من هذا قالوا فلان تزوج فلانة فلهوت بذلك الصوت حتى غلبتنى عيناى فنمت فما أيقظنى الا مس الشمس فرجعت الى صاحبى فقال ما فعلت فأخبرته ثم فعلت الليلة الاخرى مثل ذلك (ومن ذلك) ما جاء عن أم أيمن قالت كانوا فى الجاهلية يجعلون لهم عيدا عند بوانة وهو صنم تعبده قريش وتعظمه وتنسك اى تذبح له وتحلق عنده وتعكف عليه يوما الى الليل فى كل سنة فكان أبو طالب يحضر مع قومه ويكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحضر ذلك العيد معه فيأبى ذلك قالت حتى رأيت أبا طالب غضب عليه ورأيت عماته غضبن عليه أشد الغضب وجعلن يقلن انا نخاف عليك مما تصنع من اجتناب آلهتنا وما تريد يا محمد أن تحضر لقومك عيدا ولا تكثر لهم جمعا فلم يزالوا به حتى ذهب معهم ثم رجع فزعا مرعوبا فقلن ما دهاك فقال انى أخشى ان يكون بى لمم اى لمة وهى المس من الشيطان فقلن ما كان الله عز وجل ليبتليك بالشيطان وفيك من خصال الخير ما فيك

حل ل فما الذى رأيت قال انى كلما دنوت من صنم منها اى من تلك الاصنام التى عند ذلك الصنم الكبير الذى هو بوانة تمثل لى رجل أبيض طويل يصيح بى وراءك يا محمد لا تمسه قالت فما عاد الى عيدهم حتى تنبأ صلى الله عليه وسلم (ومن ذلك) ما رويته عائشة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سمعت زيد بن عمرو بن نفيل يعيب كل ما ذبح لغير الله فكان يقول

لقريش الشاة خلقها الله وأنزل لها الماء من السماء وانبت لها من الارض الكلأ ثم تذبحونها على غير اسم الله قال فما ذقت شيأ ذبح على النصب اى الاصنام حتى اكرمنى الله تعالى برسالته اى فكان ما سمعه من زيد سببا لتركه ما ذبح على الاصنام اى مؤكدا لما عنده فلا ينافى ان السبب ١٢٢ الاصلى حفظ الله له مما كانت عليه الجاهلية وزيد بن عمرو هذا كان قبل النبوة زمن الفترة على دين ابراهيم عليه السلام فانه لم يدخل فى يهودية ولا نصرانية واعتزل الاوثان والذبائح التى تذبح للاوثان ونهى عن الوأد وكان يحييها اى اذا أراد احد ذلك اخذ الموؤدة من أبيها وكفلها وكان اذا دخل الكعبة يقول لبيك حقا تعبدا ورقا عذت بما عاذ به ابراهيم ويسجد مستقبلا للكعبة قال ولده سعيد رضى الله عنه للنبى صلى الله عليه وسلم يوما يارسول الله ان زيدا كان كما قد رأيت وبلغك فاستغفر له قال نعم واستغفر له وقال انه يبعث يوم القيامة أمة وحده اى يقوم مقام جماعة وزيد بن عمرو بن نفيل رابع اربعة تركوا الاوثان والميتة وما يذبح للاوثان حتى ان قريشا كانوا يوما فى عيد لصنم من أصنامهم ينحرون عنده ويعكفون عليه ويطوفون به فى ذلك اليوم فقال بعض هؤلاء الاربعة لبعض تعلمون والله ماقومكم على شئ لقد أخطؤا دين أبيهم ابراهيم عليه الصلاة والسلام فما حجر يطوف به لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ثم تفرقوا فى البلاد يلتمسون الحنيفية دين ابراهيم عليه السلام وهؤلاء الاربعة هم زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعبيد الله ابن جحش بن وهو عمته صلى الله عليه وسلم أميمة وعثمان بن الحويرث فأما زيد بن عمرو بن نفيل فهو ابن أخى الخطاب والد سيدنا عمر رضى الله عنه ولم يدرك البعثة وكذا ورقة بن نوفل على الصحيح وأما عثمان بن الحويرث فلم يدرك البعثة أيضا وقدم على قيصر ملك الروم وتنصر

تعالى عنه وارضاه ونفعنا ببركاته أى فاذا جازه فذف بعض الحديث الموهم نقصا فى بعض أهل بيته فيا بالك بما يوهم النقص فيه صلى الله عليه وسلم وهذا من الحافظ يدل على أن اباه المراضع له صلى الله عليه وسلم وارد حيث اقره ولم ينكره والله أعلم قال وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كان أول كلام تكلم به صلى الله عليه وسلم حين فطمته حليمة رضى الله تعالى عنها الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا أى وقد تقدم انه صلى الله عليه وسلم تكلم بهذا عند خروجه من بطن امه وفى رواية اول كلام تكلم صلى الله عليه وسلم به فى بعض الليالى اى وهو عند حليمة لا اله الا الله قدوسا قدوسا نامت العيون والرحمن لا تأخذه سنة ولا نوم وكان صلى الله عليه وسلم لا يمس شيأ الا قال بسم الله وعن حليمة رضى الله عنها لما دخلت به صلى الله عليه وسلم الى منزلى لم يبق منزل من منازل بنى سعد الا شممنا منه ريح المسك والقيت محبته صلى الله عليه وسلم اى واعتقاد بركته فى قلوب الناس حتى ان أحدهم كان اذا نزل به اذى فى جسده اخذ كفه صلى الله عليه وسلم فيضعها على موضع الاذى فيبرأ باذن الله تعالى سريعا وكذلك اذا اعتل لهم بعير او شاة انتهى قالت حليمة فقدمنا مكة على أمه صلى الله عليه وسلم اى بعد ان بلغ سنتين ونحن احرص شئ على مكثه فينا لما نرى من بركته صلى الله عليه وسلم فكلمنا أمه وقلت لها لو تركتى بنى عندى حتى يغلظ وفى كلام ابن الاثير قلنا لها دعينا نرجع به هذه السنة الاخرى فانى اخشى عليه وباء مكة اى مرضها ووخمها فلم نزل بها حتى ردته صلى الله عليه وسلم معنا وقيل ان أمه صلى الله عليه وسلم آمنة قالت لحليمة ارجعى بابنى فانى اخاف عليه وباء مكة فوالله ليكونن له شأن اى ولا مخالفة بينهما لجواز ان حليمة لما قالت لها ما تقدم قالت لحليمة ارجعى بابنى على الفور فانى أخاف عليه وباء مكة اى كما تخافين عليه ذلك قالت حليمة فرجعنا به صلى الله عليه وسلم فوالله انه بعد مقدمنا به صلى الله عليه وسلم بأشهر عبارة ابن الاثير بعد مقدمنا بشهرين اوثلاثة مع أخيه يعنى من الرضاعة لفى بهم لنا ولعل هذا لا ينافيه قول المحب الطبرى فلما شب وبلغ سنتين لانه ألغى اى ذلك الكسر فبينما هو صلى الله عليه وسلم وأخوه فى بهم لنا خلف بيوتنا والبهم أولاد الضأن اذ أتى أخوه يشتد اى يعدو فقال لى ولابيه ذاك أخى القرشى قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعاه فشقا بطنه فهما يسوطانه اى يدخلان يديهما فى بطنه قالت فخرجت أنا وأبوه نحوه فوجدناه قائما منتقعا وجهه وفى لفظ لونه اى متغيرا اى صار لونه كلون النقع الذى هو الغبار

وهو صفة الوان الموتى وذلك لما ناله من الفزع ى من رؤية الملائكة لا من مشقة نشأت عن ذلك الشق لما يأتي في بعض الروايات فلم أجد لذلك حسا ولا ألما ومن ثم قال ابن الجوزي فشقه وما شق عليه واطلاقه شامل لهذه المرة التي هي الاولى وقد قال بعضهم انه لم ينتقع لونه الا وهو صلى الله عليه وسلم صغير في بني سعد قالت فالتزمته والتزمه أبوه فقلنا له مالك يا بني فقال صلى الله عليه وسلم جاءني رجلان عليهما ثياب بيض أي وهما جبريل وميكائيل اي وهما المراد بقوله في رواية فاقبل الي طيران أبيضان كأنهما نسران فقال أحدهما لصاحبه اهو هو قال نعم فأقبلا يبتدراني فأخذاني فأضجعاني فشقا بطني فالتمسا فيه شيأ اي طلباه فوجداه فأخذاه وطرحاه ولا أدري ماهو اي وسيأتي ان هذا الذي قال صلى الله عليه وسلم فيه وما أدري ماهو انه علقة سوداء استخرجاها من قلبه بعد شق بطنه ففي هذه الرواية طي ذكر القلب وشقه وسيأتي ذكر ذلك في بعض الروايات وفي رواية غريبة نزل عليه كركيان فشق أحدهما بمنقاره جوفه ومج الآخر فيه بمنقاره ثلجا أو بردا وقد يقال ان الطيرين تارة شبها بالنسرين وتارة شبها بالكركيين وفي كون مجيء جبريل وميكائيل على صورة النسر لطيفة لان النسر سيد الطيور فقد جاء في الحديث هبط علي جبريل فقال يا محمد ان لكل شيء سيدا فسيد البشر آدم وأنت سيد ولد آدم وسيد الروم صهيب وسيد فارس سلمان وسيد الحبش بلال وسيد الشجر السدر وسيد الطير النسر وفي بحر العلوم وسيد الملائكة اسرافيل وسيد الشهداء هابيل وسيد الجبال جبل موسى وسيد الانعام الثور وسيد الوحوش الفيل وسيد السباع الاسد زاد بعضهم وسيد الشهور رمضان وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام العربية وسيد العربية القرآن وسيد القرآن سورة البقرة قالت حليمة فرجعنا به صلى الله عليه وسلم الى خبائنا اي محل الاقامة وقال لي أبوه يا حليمة لقد خشيت ان يكون هذا الغلام قد أصيب فالحقيه بأهله قبل أن يظهر به ذلك وفي رواية قال الناس يا حليمة رديه على جده واخرجي من أمانتك وفي رواية وقال زوجي أرى ان ترديه على أمه لتحمله والله ان أصابه ما أصابه الا حسد من آل فلان لما يرون من عظيم بركته قالت فحملناه فقدمنا به مكة على امه قال الواقدي وكان ابن عباس يقول رجع الى أمه وهو ابن خمس سنين اي وزاد في الاستيعاب ويومين من مولده صلى الله عليه وسلم وكان غيره اي غير ابن عباس يقول رجع الى أمه وهو ابن أربع سنين وذكر الاموي انه رجع الى أمه وهو ابن ست سنين انتهى أقول سياق ماقبله يدل على

عنده وأما عبيد الله بن جحش فأدرك البعثة وأسلم وهاجر الى الحبشة مع من هاجر من المسلمين ثم تنصر هناك ومات على نصرانيته وهو الذي كان تزوج بأم حبيبة بنت أبي سفيان قبل النبي صلى الله عليه وسلم وكان زيد بن عمرو بن نفيل يقول لقريش والذي نفس زيد بن عمرو بيده ما أصبح منكم أحد على دين ابراهيم غيري حتى ان عمه الخطاب أخرجه من مكة وأسكنه بحراء ووكل به من يمنعه من دخول مكة كراهة ان يفسد عليهم دينهم ثم خرج يطلب الحنيفية دين ابراهيم ويسأل الاحبار والرهبان عن ذلك حتى وصل الموصل ثم اقبل الى الشام فجاء الى راهب به كان انتهى اليه علم النصرانية فسأله عن ذلك فقال انك لتطلب دينا ما أنت بواجد من يحملك عليه اليوم ولكن قد أظلك زمان نبي يخرج من بلدك التي خرجت منها يبعث بدين ابراهيم الحنيفية فالحق به فانه مبعوث الآن هذا زمانه فخرج سريعا يريد مكة حتى اذا توسط بلاد لخم عدوا عليه وقتلوه ودفن بمكان يقال له ميفعة وقيل دفن بأصل جبل حراء يروى انه قال لعامر بن ربيعة أنا انتظر نبيا من ولد اسمعيل ولا أرى اني ادركه وانا أدين به واصدقه واشهد انه نبي وان طالت بك حياة فرأيته فسلم مني عليه قال عامر فلما اسلمت بلغته صلى الله عليه وسلم السلام عن زيد فرد السلام عليه وترحم عليه وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فوجدت لزيد بن عمرو دوحتين اي شجرتين عظيمتين (ومن ذلك) ماروى عن علي رضي الله عنه قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم هل عبدت وثنا قط قال لا قالوا هل شربت خمرا قال لا ومازلت أعرف ان الذي هم عليه كفر وما كنت أدري ما الكتاب ولا الايمان اي كيفية الدعوة اليهما وعنه صلى الله عليه وسلم قال لما نشأت بغضت الى الاصنام وبغض الى الشعر *(باب رعايته صلى الله

عليه وسلم الغنم) لزيادة الرحمة في قلبه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مابعث الله نبيا الا رعى الغنم فقال له أصحابه وانت يارسول الله قال وأنا رعيتها لاهل مكة بالقراريط اى وهي من أجزاء الدراهم والدنانير يشترى بها الحوائج الحقيرة وقيل القراريط ١٢٤ هنا اسم موضع بمكة وفى رواية بالقراريط باجياد فالاول لبيان الاجرة والثاني لبيان المكان ومن حكمة الله ان الرجل اذا استرعى الغنم التي هي أضعف البهائم سكن قلبه لرأفة واللطف فاذا انتقل من ذلك الى رعاية الخلق كان قد هذب اولا من الحدة الطبيعية والظلم الغريزي فيكون في أعدل الاحوال ووقع الافتخار بين اصحاب الابل واصحاب الغنم عند النبي صلى الله عليه وسلم فاستطال اصحاب الابل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث موسى وهو راعى غنم وبعث داود وهو راعى غنم وبعثت أنا وانا راعى غنم أهلي باجياد وهو موضع باسفل مكة من شعابها وقال صلى الله عليه وسلم الغنم بركة والابل عز لاهلها وقال في الغنم منها معاشنا وصوفها رياشنا ودفؤها كساؤنا وفى رواية منها معاش وصوفها رياش وفى الحديث الفخر والخيلاء في اصحاب الابل والسكينة والوقار في أهل الغنم وعن جابر رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نجنى الكباث وهو النضيج من ثمر الاراك فقال صلى الله عليه وسلم عليكم بالاسود من ثمر الاراك فانه أطيبه فاني كنت أجتنيه اذ كنت ارعى الغنم قلنا وكنت ترعى الغنم يارسول الله قال نعم ومامن نبي الا وقد رعاها ولا ينبغي لاحد عبر برعاية الغنم أن يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرعى الغنم فان قال ذلك أدب لان ذلك كمال في حق الانبياء عليهم الصلاة والسلام دون غيرهم فلا ينبغي الاحتجاج به ويجرى ذلك في كل مايكون كمالا في حق النبي صلى الله عليه وسلم

ان قدوم حليمة به على أمه كان عقب الوقعة المذكورة وتقدم ان سنه حينئذ كان سنتين واشهرا وسيأتي مافيه والله أعلم وعن ابن عباس ان حليمة كانت تحدث انه صلى الله عليه وسلم لما ترعرع كان يخرج فينظر الى الصبيان يلعبون فيجتنبهم فقال لى يوما ياماه مالى لاأرى اخوتي بالنهار يعني اخوته من الرضاعة وهم أخوه عبد الله واختاه أنيسة والشيماء بفتح المعجمة وسكون التحتية اولاد الحرث قالت فدتك نفسي انهم يرعون غنما لنا فيروحون من ليل الى ليل قال ابعثيني معهم فكان عليه السلام يخرج مسرورا ويعود مسرورا أى وهذا لايخالف قولها السابق كان مع أخيه في بهم لنا خلف بيوتنا ولا قوله صلى الله عليه وسلم الآتي فبينما أنا مع اخ لى خلف بيوتنا نرعى بهما لنا ولا قوله فبينما أنا ذات يوم منتبذا من أهلي في بطن واد مع اتراب لى من الفتيان كما لايخفى قالت حليمة فلما كان يوما من ذلك خرجوا فلما انتصف النهار أتاني أخوه اى وفى رواية اذ أتى ابني ضمرة يعدو وفزعا وجبينه يرشح باكيا ينادي ياأبت وياامه الحقا أخي محمدا فما تلحقانه الاميتا قلت وماقصته قال بينا نحن قيام اذ أتاه رجل فاختطفه من وسطنا وعلا به ذروة الجبل ونحن ننظر اليه حتى شق صدره الى عانته ولا ادرى مافعل به (أقول) ولعل ضمرة هذا هو أخوه عبد الله المتقدم ذكره لقب بذلك لخفة جسمه ولا يخالف ذلك قوله صلى الله عليه وسلم الآتي ان اترابه الذين كانوا معه انطلقوا هرابا مسرعين الى الحي يؤذنونهم ويستصرخونهم لانه يجوز أن يكون ضمرة سبقهم والله أعلم قالت حليمة فانطلقت أنا وابوه نسعى سعيا فاذا نحن به قاعدا على ذروة الجبل شاخصا ببصره الى السماء يتبسم ويضحك فاكببت عليه وقبلته بين عينيه وقلت له فدتك نفسي ما الذي دهاك قال خيرا كذا بالنصب ياأماه بينا أنا الساعة قائم اذ أتاني رهط ثلاثة بيد احدهم ابريق فضة وفى يد الآخر طست من زمردة خضراء والزمردة بالضم والزاى المعجمة الزبرجد وهو معرب فأخذوني وانطلقوا بي الى ذروة الجبل فاضجعوني على الجبل اضجاعا لطيفا وفيه ان هذا يخالف قوله صلى الله عليه وسلم الآتي فأخذوني حتى أتوا شفير الوادي فعمد أحدهم فاضجعني الى الارض ثم شق من صدري الى عانتي وسيأتي الجمع بينهما وقوله ثم شق من صدري الى عانتي هو المراد ببطنه فيما تقدم وما يأتي قال وأنا انظر اليه فلم أجد لذلك حسا ولا ألما الحديث وفى هذه الرواية طى ذكر القلب وشقه أيضا (أقول) ولامنافاة في تلك الرواية بين قولها فوجدناه قائما وبين قولها في هذه الرواية فاذا نحن به قاعدا على ذروة الجبل لجواز أن تكون أرادت بقولها قائما كونه حيا وبكونه قاعدا

فاعدا كونه ما كثا كما لامنافاة بين قولها فى تلك الرواية متقعا وجهه وبين قولها فى هذه الرواية يتبسم ويضحك لان ذلك لا ينافى الفزع اولجواز أن يكون تبسمه وضحكه تعجبا لما رأى من الحالة التى عليها امه من التعب والشدة والله أعلم قال وذكر ابن اسحق أن حليمة لما قدمت به صلى الله عليه وسلم مكة لترده على أمه اى بعد شق صدره صلى الله عليه وسلم وقد بلغ اربع سنين اوخمسا اوستا على ما تقدم اضلته فى اعالى مكة فأتت جده عبد المطلب فقالت انى قدمت بمحمد هذه الليلة فلما كنت باعالى مكة اضلنى فوالله ما أدرى اين هو فقام عبد المطلب عند الكعبة يدعو الله أن يرده عليه وفى مرآة الزمان انه أنشد

يارب رد ولدى محمدا ❊ اردده ربى واصطنع عندى يدا

وسيأتى ان هذا البيت أنشده عبد المطلب حين بعث النبى صلى الله عليه وسلم ابردا بلاله ضلت وقد يقال لا مانع من تكرر ذلك منه فسمع هاتفا من السماء يقول أيها الناس لا تضجوا ان لمحمد ربا لن يخذله ولا يضيعه فقال عبد المطلب من لنا به فقال انه بوادى تهامة عند الشجرة اليمنى فركب عبد المطلب نحوه وتبعه ورقة بن نوفل وسيأتى بعض ترجمة ورقة فوجداه صلى الله عليه وسلم قائما تحت شجرة يجذب غصنا من اغصانها فقال له جده من أنت يا غلام فقال أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فقال وأنا عبد المطلب جدك فدتك نفسى واحتمله وعانقه وهو يبكى ثم رجع الى مكة وهو قدامه على قربوس فرسه ونحر الشياه والبقر وأطعم أهل مكة اقول وقول جده له من أنت يا غلام لعله لكونه وجده على حالة لا توجد لمن يكون فى سنه عادة كما تقدم عن حليمة من قولها كان يشب شبابا لا يشبهه الغلمان وفى السيرة الهشامية ان الذى وجده هو ورقة بن نوفل ورجل آخر من قريش فأتيا به عبد المطلب اى ويقال ان عمرو بن نفيل رآه وهو لا يعرفه فقال له من أنت يا غلام فقال انا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم فاحتمله بين يديه على الراحلة حتى اتى به عبد المطلب وفى كلام بعض المفسرين فى تفسير قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ضللت عن جدى عبد المطلب وأنا صبى وصار ينشد وهو متعلق باستار الكعبة ❊ يارب رد ولدى محمدا ❊ البيت فجاء أبو جهل بين يديه على ناقة وقال لجدى الا تدرى ما وقع من ابنك فسأله فقال انخت الناقة واركبته من خلفى فابت أن تقوم فاركبته من امامى فقامت ويحتاج الى جمع على تقدير صحة كل ما ذكر وقد يقال لا مانع من تعدد ذلك ويدل لذلك ان بعض المفسرين قال فى تفسير

دون غيره كالامية فمن قيل له انت امى فقال كان النبى صلى الله عليه وسلم أميا ادب ❊ وحضر النبى صلى الله عليه وسلم حرب الفجار وكان له من العمر اربع عشرة سنة وكان يقول حضرته مع عمومتى ورميت فيه بأسهم وما احب أنى لم اكن فعلت وقيل لم يرم وانما كان يناول عمومته السهام وسببه ان بدر بن معشر الغفارى كان له مجلس يجلس فيه بسوق عكاظ ويفتخر على الناس فبسط يوما رجله وقال انا اعز العرب فمن زعم أنه اعز منى فليضربها بالسيف فوثب عليه رجل فضربه بالسيف على ركبته فأسقطها وقيل جرحه فقط فاقتتلوا اربعة ايام وكان ابو طالب يحضر ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غلام فاذا جاء هزمت هوازن واذا لم يجئ هزمت كنانة فقالوا لا أبا لك لا تغب عنا ففعل ذلك ويروى أنه صلى الله عليه وسلم طعن فى تلك الحروب أبا براء ملاعب الاسنة وكان رئيس بنى قيس وحامل رايتهم والطعن يحتمل أن يكون برمح أو بسهم وسميت حرب الفجار لان العرب فجرت فيه لانه وقع فى الشهر الحرام ويسمى الفجار الاول ولهم حروب تسمى حرب الفجار غيره وكانها اربعة وفى اليوم الثالث من حرب الفجار قيد أمية وحرب ابنا امية بن عبد شمس وأبو سفيان بن حرب انفسهم كيلا يفروا فسموا العنابس اى الاسود وحرب والد ابى سفيان وأمية اخوه ماتا على الكفر وابو سفيان أسلم كما سيأتى ثم تواعدوا للعام المقبل بعكاظ فلما كان العام المقبل جاؤا للوعد وكان أمر قريش وكنانة الى عبد الله بن جدعان التيمى وقيل كان الى حرب بن امية والد ابى سفيان لانه كان رئيس قريش وكنانة يومئذ وكان عتبة بن ربيعة بن عبد شمس يتيما فى حجره وهو ابن خمس عشرة فضن اى بخل به حرب وأشفق اى خاف من خروجه معه فخرج عتبة بغير اذنه فلم يشعر الا وهو على بعير بين الصفين ينادى يا معشر مضر علام تفانون فقالت له

هوازن ماتدعوا اليه قال الصلح على أن ندفع لكم دية قتلاكم ونعفو عن دمائنا فان قريشا وكنانة كان لهم الظفر على هوازن يقتلونهم قتلا ذريعا قالوا وكيف قال ندفع لكم رهنا منا الى أن نوفى لكم ذلك قالوا ومن لنا بهذا قال أنا قالوا ومن انت قال عتبة بن ربيعة بن عبد شمس فرضيت به ١٢٦ هوازن وكنانة وقريش ودفعوا الى هوازن اربعين رجلا فيهم حكيم بن حزام وهو ابن اخى خديجة بنت خويلد زوج النبى صلى الله عليه وسلم فلما رأت هوازن الرهن فى ايديهم عفوا عن الدماء وأطلقوهم وانقضت حرب الفجار وقيل ودت قريش قتلى هوازن ووضعت الحرب أوزارها وعتبة بن ربيعة قتل يوم بدر كافرا وهو والد هند أم معاوية زوج ابى سفيان رضى الله عنهم وكان يقال لم يسد مملق اى فقير الا عتبة بن ربيعة وأبو طالب فانهما سادا بغير مال وفى كلام بعضهم ساد عتبة بن ربيعة وابو طالب وكانا أفلس من ابى المزلق وهو رجل من بنى عبد شمس لم يكن يجد مؤنة ليلته وكذا ابوه وجده وجد جده كلهم يعرفون بالافلاس * وحضر صلى الله عليه وسلم حلف الفضول وهو اشرف حلف فى العرب والحلف اليمين والعهد وكان عند منصرف قريش من حرب الفجار واول من دعا اليه الزبير بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمع اليه بنو هاشم وزهرة وبنو أسد بن عبد العزى وذلك فى دار عبد الله بن جدعان التيمى كان بنو تيم فى حياته كأهل بيت واحد يقوتهم وكان يذبح فى داره كل يوم جزورا وينادى مناديه من اراد الشحم واللحم فعليه بدار ابن جدعان وكان يطبخ عنده الفالوذج ويطعمه قريشا وكان قبل ذلك يطعم التمر والسويق ويسقى اللبن فاتفق ان أمية بن ابى الصلت مر على بنى عبد المدان فرأى طعامهم لباب البر والشهد فقال أمية

ولقد رأيت الفاعلين وفعلهم * فرأيت اكرمهم بنى المدان

قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى قيل ضل عن حليمة مرضعته وقيل ضل عن جده عبد المطلب وهو صغير قالت حليمة فقالت أمه ما اقدمك به يا ظئر اى يا مرضعة ولقد كنت حريصة عليه وعلى مكثه عندك قلت قد بلغ والله وقضيت الذى على وتخوفت عليه الاحداث فأديته اليك كما تحبين فقالت ما هذا شأنك فاصدقينى خبرك قالت فلم تدعنى حتى اخبرتها قالت افتخوفت عليه الشيطان قلت نعم قالت كلا والله ما للشيطان عليه سبيل وان لابنى شأنا افلا أخبرك خبره قلت بلى قالت رأيت حين حملت به انه خرج منى نور اضاءله قصور بصرى من أرض الشام ثم حملت به فوالله ما رأيت اى ما علمت من حمل قط كان أخف على ولا ايسر منه ووقع حين ولدته وانه لواضع يده بالارض رافع رأسه الى السماء دعيه عنك وانطلقى راشدة قال وعن حليمة انه مر عليها جماعة من اليهود فقالت الا تحدثونى عن ابنى هذا حملته كذا ووضعته كذا ورأيت كذا كما وصفت لها امه أى فانها ذكرت لها ذلك مرتين عند دفعه لها وعند اخذه منها انتهى (أقول) ولا ينافى ذلك قول آمنة لحليمة الا أخبرك خبره وقول حليمة لها بلى لجواز ان تكون امه لم تكن متذكرة انها أخبرتها بذلك قبل ذلك وان حليمة كذلك او جوزت حليمة انها تخبرها بزيادة عما اخبرتها به أولا بناء على اتحاد ما اخبرتها به اولا وثانيا والله أعلم قالت ولما اخبرت أولئك اليهود بذلك قال بعضهم لبعض اقتلوه فقالوا أيتيم هو فقالت لا هذا ابوه وانا امه فقالوا لو كان يتيما قتلناه اقول وهذا يدل على ان ماذكرته امه لحليمة من انها حين حملت به خرج منها نور الى آخر ما تقدم وان يكون لا أب له مذكورا فى بعض الكتب القديمة انه من علامة نبوة النبى المنتظر والله اعلم قال وعنها انها نزلت به سوق عكاظ اى وكان سوقا للجاهلية بين الطائف ونخلة المحل المعروف كانت العرب اذا حجت اقامت بهذا السوق شهر شوال فكانوا يتفاخرون فيه وللمفاخرة فيه سمى عكاظ يقال عكظ الرجل صاحبه اذا فاخره وغلبه فى المفاخرة وفى كلام بعضهم كان سوق عكاظ لثقيف وقيس عيلان فرآه كاهن من الكهان فقال يا أهل سوق عكاظ اقتلوا هذا الغلام فان له ملكا فزاغت اى مالت به وحادت عن الطريق فانجاه الله تعالى اى وفى الوفا لما قامت سوق عكاظ انطلقت حليمة برسول الله صلى الله عليه وسلم الى عراف من هذيل يريه الناس صبيانهم فلما نظر اليه صاح يا معشر هذيل يا معشر العرب فاجتمع اليه الناس من أهل الموسم فقال اقتلوا هذا الصبى فانسلت حليمة به فجعل الناس يقولون اى صبى فيقول هذا الصبى فلا يرون شيأ فيقال له ما هو فيقول رأيت غلاما والآلهة

البر يابك بالشم ادطعامهم * لايعلمن به بنو جدعان فبلغ شعره عبد الله بن جدعان فأرسل الى بصرى الشأم يحمل اليه البر والشهد والسمن وجعل ينادى مناديه ألا هلموا الى جفنة عبد الله بن جدعان ومن مدح امية بن ابي الصلت في ابن جدعان قوله أأذكر حاجتى ام قد كفانى * حياؤك أن شيمتك الثناء كريم لايغيره صباح عن الخلق الجميل ولا مساء يبارى الريح مكرمة وجودا اذا ما الضب أجحره الشتاء وكان عبد الله ذا شرف وسن وهو من جملة من حرم الخمر على نفسه في الجاهلية بعد ان كان مغرما بها وسبب ذلك انه سكر ليلة فصار يمد يده ويقبض على ضوء القمر ليمسكه فضحك منه جلساؤه ثم اخبروه بذلك حين صحا فحلف لايشربها أبدا وممن حرمها على نفسه في الجاهلية عثمان بن مظعون الجمحي وقال لااشرب شيأ يذهب عقلي ويضحك بي من هو ادنى مني ويحملنى على أن انكح كريمتى من لا اريد فلما أرادوا حلف الفضول صنع لهم عبد الله ابن جدعان طعاما وتعاقدوا وتعاهدوا بالله ليكونن مع المظلوم حتى يؤدى اليه حقه مابل بحر صوفة وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابن جدعان كان يطعم الطعام ويقرى الضيف ويفعل المعروف فهل ينفعه ذلك يوم القيامة فقال لا لانه لم يقل يوما رب اغفرلى خطيئتى يوم الدين رواه مسلم اى لم يكن مسلما لان القول المذكور لايصدر الا من مسلم وكان يكنى ابا زهير وقال صلى الله عليه وسلم في اسرى بدر لو كان ابو زهير حيا فاستوهبهم لوهبتهم له وقد ذكر ان جفنة ابن جدعان كان يأكل منها الراكب على البعير وازدحم النبي صلى الله عليه وسلم مرة هو وأبو جهل وهما غلامان على مائدة لابن جدعان فدفع النبي صلى الله عليه وسلم ابا جهل فوقع على ركبته فجرحه جرحا أثر

ليقتلن أهل دينكم وليكسرن آلهتكم وليظهرن امره عليكم فطلب فلم يوجد وعنها رضى الله عنها انها لما رجعت به مرت بذى المجاز وهو سوق للجاهلية على فرسخ من عرفة أي وهذا السوق قبله سوق يقال له سوق مجنة كانت العرب تنتقل اليه بعد انقضائهم من سوق عكاظ فتقيم فيه عشرين يوما من ذى القعدة ثم تنتقل الى هذا السوق الذى هو سوق ذى المجاز فتقيم به الى أيام الحج وكان بهذا السوق عراف اى منجم يؤتى اليه بالصبيان ينظر اليهم فلما نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اى نظر الى خاتم النبوة والى الحمرة في عينيه صاح يامعشر العرب اقتلوا هذا الصبى فليقتلن أهل دينكم وليكسرن اصنامكم وليظهرن امره عليكم ان هذا لينتظر امرا من السماء وجعل يغرى بالنبى صلى الله عليه وسلم فلم يلبث ان وله فذهب عقله حتى مات اه اى وفي السيرة الهشامية ان نفرا نصارى من الحبشة رأوه صلى الله عليه وسلم مع امه السعدية حين رجعت به الى امه بعد فطامه فنظروا اليه وقلبوه اى رأوا خاتم النبوة بين كتفيه وحمرة في عينيه وقالوا لها هل يشتكى عينيه قالت لا ولكن هذه الحمرة لاتفارقه ○ ثم قالوا لها النأخذن هذا الغلام فلنذهبن به الى ملكنا وبلدنا فان هذا الغلام كائن له شأن نحن نعرف أمره فلم تكد تنفلت به صلى الله عليه وسلم منهم واتت به الى امه وعنه صلى الله عليه وسلم واسترضعت في بنى سعد فبينما أنا مع أخ لى خلف بيوتنا نرعى بهما لنا اتانى رجلان عليهما ثياب بيض بيد احدهما طست من ذهب مملوءة ثلجا فأخذانى فشقا بطنى ثم استخرجا قلبى فشقاه فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها اى وقيل هذا حظ الشيطان منك يا حبيب الله وفي رواية فاستخرجا منه علقتين سوداوين اى ولا مخالفة لجواز ان تكون تلك العلقة انفلقت نصفين وفي رواية فاستخرجا منه مغمز الشيطان اى وهو المعبر عنه في الرواية قبلها بحظ الشيطان ولا ينافى ذلك قوله في الرواية السابقة ولا أدرى ماهو لجواز أن يكون اخباره صلى الله عليه وسلم بهذا بعد ان علمه والمراد بمغمز الشيطان محل غمزه اى محل ما يلقيه من الامور التى لاتنبغى لان تلك العلقة خلقها الله تعالى في قلوب البشر قابلة لما يلقيه الشيطان فيها فأزيلت من قلبه فلم يبق فيه مكان لان يلقى الشيطان فيه شيأ فلم يكن للشيطان فيه حظ وليست هى محل غمزه عند ولادته صلى الله عليه وسلم كما يوهمه كلام غير واحد وفيه ان هذا يقتضى ان يكون قبل ازالة ذلك كان للشيطان عليه سبيل أجاب السبكى بانه لايلزم من وجود القابل لما يلقيه الشيطان حصول الالقاء اى بالفعل فليتأمل وسئل السبكى رحمه الله تعالى فلم خلق الله ذلك القابل في هذه الذات الشريفة وكان من الممكن

فيها وقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم قال كنت استظل بجفنة عبد الله بن جدعان فى صكة عمى اى فى الهاجرة وسميت الهاجرة بذلك
لان عمى تصغير اعمى على الترخيم رجل من العماليق أوقع بالعدو القتل فى مثل ذلك الوقت وكان عبد الله بن جدعان فى ابتداء
أمره صعلوكا وكان مع ذلك شريرا ١٢٨ فتاكا لايزال يجنى فيعقل عنه ابوه حتى ابغضته عشيرته وطرده ابوه وحلف لا يؤويه
ابدا فخرج هائما فى شعاب مكة
يتمنى الموت فرأى شقا فى جبل
فدخل فاذا ثعبان عظيم له عينان
تتقدان كالسراج فلما قرب منه
حمل عليه الثعبان فلما تأخر
انساب اى رجع عنه فلا زال
كذلك حتى غلب على ظنه ان هذا
مصنوع فقرب منه ومسكه بيده
فاذا هو من ذهب وعيناه ياقوتتان
فكسره ثم دخل المحل الذى كان
هذا الثعبان على بابه فوجد فيه
رجالا من الملوك موتى ووجد فى
ذلك المحل أموالا كثيرة من
الذهب والفضة وجواهر من
الياقوت واللؤلؤ والزبرجد
فأخذ منه ما أخذ ثم علم ذلك الشق
بعلامة وصار ينقل منه شيأ
فشيأ ووجد فى ذلك الكنز لوحا
من رخام مكتوبا عليه أنا نفيلة بن
جرهم بن قحطان بن هود نبى الله
عشت خمسمائة عام وقطعت
غور الارض ظاهرها وباطنها فى
طلب الثروة والمجد والملك فلم
يكن ذلك ينجى من الموت ثم بعث
عبد الله بن جدعان الى ابيه بالمال
الذى دفعه فى جناياته ووصل
عشيرته كلهم وجعل ينفق من
ذلك الكنز ويطعم الناس ويفعل
المعروف وفى رواية تحالفوا على أن يردوا الفضول على اهلها ولا يعز ظالم على مظلوم وحينئذ فالمراد بالفضول يتيم
ما يؤخذ ظلما زاد بعضهم ما بل بحر صوفة وما رسا حرا وثبير مكانيهما والمراد الابد وكان معهم فى ذلك الحلف رسول الله صلى
الله عليه وسلم وكان يقول ما احب ان لى بحلف حضرته فى دار ابن جدعان حمر النعم اى الابل وانى اغدر به بالغين المعجمة والدال

ان لا يخلقه الله فيها واجاب بأنه من جملة الاجزاء الانسانية فخلقت تكملة للخلق
الانسانى ثم نزعت تكرمة له صلى الله عليه وسلم اى وليظهر للخلق بذلك التكرمة ليتحققوا
كمال باطنه كما تحققوا كمال ظاهره اى لانه لو خلق صلى الله عليه وسلم خاليا عنها لم تظهر تلك
الكرامة وفيه انه يرد على ذلك ولادته صلى الله عليه وسلم من غير قلفة واجيب بالفرق بينهما
بان القلفة لما كانت تزال ولا بد من كل أحد مع ما يلزم على ازالتها من كشف العورة كان
نقص الخلقة الانسانية عنها عين الكمال وقد تقدم كل ذلك وذكر السهيلى رحمه الله ما يفيد
ان هذه العلقة هى محل مغمز الشيطان عند الولادة حيث قال ان عيسى عليه الصلاة
والسلام لما لم يخلق من منى الرجال وانما خلق من نفخة روح القدس اعيذ من مغمز
الشيطان قال ولا يدل هذا على فضل عيسى عليه الصلاة والسلام على محمد صلى الله عليه
وسلم لان محمدا صلى الله عليه وسلم قد نزع منه ذلك الغمز هذا كلامه وقد علمت انه انما هو
محل ما يلقيه الشيطان من الامور التى لا تنبغى وان ذلك مخلوق فى كل أحد من الانبياء
عيسى عليه السلام وغيره ولم تنزع الا من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قال صلى الله عليه
وسلم ثم غسلا قلبى بذلك الثلج اى الذى فى ذلك الطست حتى أنقياه اى وملآه حكمة وايمانا
كما فى بعض الروايات اى وفى رواية ثم قال احدهما لصاحبه ائتنى بالسكينة فأتى بها
فذراها فى قلبى وهذه السكينة يحتمل ان تكون هى الحكمة والايمان ويحتمل ان تكون
غيرهما وهذه الرواية فيها ان الطست كان من ذهب وكذا فى الرواية الآتية وفى
الرواية قبل هذه كانت من زمردة خضراء ويحتاج الى الجمع وسنذكره فى هذه الرواية
وكذا الرواية الآتية ان الثلج كان فى الطست وفى الرواية قبل هذه كان فى يد احدهما
ابريق فضة ويحتاج الى الجمع لان الواقعة لم تتعدد وهو عند حليمة وفى غسله بالثلج اشعار
بثلج اليقين وبرده على الفؤاد ذكره السهيلى رحمه الله وذكر فى حكمة كون الطست من
ذهب كلاما طويلا قال صلى الله عليه وسلم وجعل الخاتم بين كتفى كما هو الآن وفى الروايات
السابقة طى ذكر الخاتم وتتمة الجواب الذى اجاب به صلى الله عليه وسلم الحابى عامر التى
وعدنا بذكرها هنا هو قوله صلى الله عليه وسلم وكنت مسترضعا فى بنى سعد فبينا انا ذات
يوم منتبذا اى منفردا من اهلى فى بطن واد مع اتراب لى اى المقاربين بالموحدة او النون لى
فى السن من الصبيان اذ اتى رهط ثلاثة معهم طست من ذهب ملآن ثلجا فأخذونى من
بين اصحابى فخرج اصحابى هرابا حتى اتوا على شفير الوادى ثم اقبلوا على الرهط فقالوا
ما اربكم اى ما حاجتكم الى هذا الغلام فانه ليس منا هذا ابن سيد قريش وهو مرتضع فينا

المهملة اى لا احب الغدر به وان أعطيت حمر الابل فى ذلك وفى رواية لقد شهدت فى دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب ان لى حمر النعم اى بفواته ولو دعى به فى الاسلام لاجبت اى لو قال قائل من المظلومين يا آل حلف الفضول لاجبت لان الاسلام انما جاء باقامة الحق ونصرة المظلوم ووقع فى بعض الروايات انه حضر حلف المطيبين 129 وذلك خطأ لان حلف المطيبين كان قبل

وجوده صلى الله عليه وسلم لانه وقع بين بنى عبد مناف بن قصى وهم هاشم واخوته عبد شمس والمطلب ونوفل وبنى زهرة وبنى أسد بن عبد العزى وبنى تيم وبنى الحرث بن فهر وهم المطيبون مع بنى عمهم عبد الدار بن قصى واحلافهم بنى مخزوم وبنى سهم وبنى جمح وبنى عدى ويقال لهم الاحلاف وأجيب بان الذين تعاقدوا فى حلف الفضول جل المطيبين وهم أهل العقد الاول فأطلق عليه انه هو السبب فى هذا الحلف أعنى حلف الفضول الواقع فى دار عبد الله بن جدعان والحامل عليه ان رجلا من زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاصى ابن وائل السهمى وكان من أهل الشرف والقدر بمكة فحبس عنه حقه فاستعدى عليه الزبيدى الاحلاف بنى عبد الدار ومخزوم وجمح وسهم وعدى بن كعب فأبوا أن يعينوا على العاصى وانتهروه اى اظهروا له الشر فرقى على ابى قبيس عند طلوع الشمس وقريش فى انديتهم حول الكعبة فقال بأعلى صوته

يا آل فهر لمظلوم بضاعته * ببطن مكة نائى الدار والنفر

17 حل ل ومحرم اشعث لم يقض عمرته * يا للرجال وبين الحجر والحجر ان الحرام لمن تمت مكارمه

ولا حرام لثوب الفاجر الغدر فقام فى ذلك الزبير بن عبد المطلب وعبد الله بن جدعان ومن معهم وقيل قام فيه العباس وابو سفيان وتعاقدوا وتعاهدوا ليكونن يدا واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يردوا اليه حقه شريفا أو وضيعا ثم مشوا الى

يتيم ليس له أب فما يرد عليكم أن يفيدكم قتله وماذا تصيبون من ذلك فان كنتم لابد قاتلوه اى ان كان لابد لكم من قتل واحد فاختاروا منا من شئتم فليأتكم مكانه فاقتلوه ودعوا هذا الغلام فانه يتيم فلما رأى الصبيان ان القوم لا يجيبون جوابا انطلقوا هرابا مسرعين الى الحى يؤذنونهم اى يعلمونهم ويستصرخونهم على القوم فعمد أحدهم الى فاضجعنى على الارض اضجاعا لطيفا ثم شق بطنى ما بين مفرق صدرى الى منتهى عانتى وأنا انظر اليه فلم اجد لذلك مسا اى ادنى مشقة واستخرج احشاء بطنى ثم غسلها بذلك الثلج فانعم غسلها اى بالغ فى غسلها ثم اعادها مكانها اى وقد طوى ذكر استخراج الاحشاء وغسلها فى الروايات السابقة ولا يخفى ان من جملة الاحشاء ظاهر القلب ثم قال الثانى منهم لصاحبه تنح عنه فنحاه عنى ثم أدخل يده فى جوفى فاخرج قلبى وأنا انظر اليه فصدعه ثم أخرج منه مضغة سوداء تقدم التعبير عنها بالعلقة السوداء ثم رمى بها ثم قال بيده يمنة منه كأنه يتناول شيأ واذا بخاتم فى يده من نور يحار الناظرون دونه فختم به قلبى اى بعد التئام شقه فامتلأ نورا وذلك نور النبوة والحكمة وقد تقدم وملأه حكمة وايمانا وأن السكينة ذرت فيه ثم أعاده مكانه فوجدت برد الخاتم فى قلبى دهرا وفى رواية فانا الساعة اجد برد الخاتم فى عروقى ومفاصلى (اقول) نقل شيخ بعض مشايخنا الشيخ نجم الدين الغيطى عن مغازى بن عائذ فى حديثه صلى الله عليه وسلم لاخى بنى عامر وأقبل اى الملك وفى يده خاتم له شعاع فوضعه بين كتفيه وثدييه فليتأمل وقوله فصدعه يدل بظاهره على أن صدعه كان بيد الملك فلم يشقه بآلة وحينئذ يكون المراد بالشق الصدع بلا آلة وقد طوى فى هذه الرواية ذكر ملء قلبه حكمة وايمانا وانه ذر فيه السكينة وذكر فى هذه الرواية ان الختم كان لقلبه صلى الله عليه وسلم وفى الرواية قبلها انه كان بين كتفيه وفى رواية ابن عائذ وبين ثدييه ويحتاج الى الجمع والظاهر ان متعاطى الختم جبريل ويدل عليه قول صاحب الهمزية رحمه الله فى هذه القصة * ختمته يمنى الامين * وسيأتى التصريح بذلك لكن فى غير هذه القصة والله أعلم قال صلى الله عليه وسلم ثم قال الثالث لصاحبه تنح عنه فنحاه عنى فأمر يده ما بين مفرق صدرى الى منتهى عانتى فالتأم ذلك الشق باذن الله تعالى وختم عليه وفى رواية قال احدهما للآخر خطه فخاطه وختم عليه (اقول) وقد يقال معنى خطه ألحمه فخاطه اى لحمه اى مر بيده عليه فالتحم اى فلا يخالف ما سبق ولا ينافيه ما فى الحديث الصحيح انهم كانوا يرون اثر المخيط فى صدره صلى الله عليه وسلم لجواز ان يكون المراد يرون اثرا كأثر المخيط فى صدره صلى الله عليه

العاص بن وائل فانتزعوا منه سلعة الزبيدى فدفعوها اليه * وذكر السهيلى ان رجلا من خثعم قدم مكة معتمرا أو حاجا ومعه بنت له من اضوأ نساء العالمين فاغتصبها منه نبيه بن الحجاج فقيل له عليك بحلف الفضول فوقف عند الكعبة ونادى يا لحلف الفضول فاذا هم يعنقون اليه من كل جانب وقد جردوا أسيافهم يقولون جاءك الغوث فمالك فقال ان نبيها ظلمنى فى بنتى فانتزعها منى قسرا فساروا اليه فقالوا أخرجها فقال أفعل ولكن متعونى بها الليلة فقالوا والله ولا شخب لقحة اى مقدار زمن ذلك فأخرجها اليهم وفى سيرة الحافظ الدمياطى قال كان بين الحسين بن على بن ابى طالب رضى الله عنهما وبين الوليد بن عتبة بن ابى سفيان منازعة فى مال يتعلق بالحسين فقال الحسين للوليد احلف بالله لتنصفنى من حقى أو لآخذن سيفى ثم لأقومن فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لأدعون لحلف الفضول اى لحلف كحلف الفضول وهو نصرة المظلوم على من ظلمه ووافقه على ذلك جماعة منهم عبد الله بن الزبير لانه كان اذ ذاك بالمدينة فلما بلغ ذلك الوليد بن عتبة انصف الحسين من حقه حتى رضى والله أعلم

(باب سفره صلى الله عليه وسلم) الى الشام ثانيا مع ميسرة غلام خديجة رضى الله عنها وذلك لما بلغ صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة وسبب ذلك ان عمه أبا طالب قال له يا ابن أخى أنا رجل لا مال لى وقد اشتد علينا الزمان وألحت علينا سنون منكرة وليس لنا مادة ولا تجارة وهذه عير قومك قد حضر خروجها الى الشام وخديجة تبعث رجالا من قومك يتجرون فى مالها ويصيبون منافع فلو جئتها لفضلتك على غيرك لما يبلغها عنك من طهارتك وان كنت أكره أن تأتى الشام وأخاف عليك من يهود ولكن لا نجد من ذلك بدا فقال صلى الله عليه وسلم لعلها ترسل الى فى ذلك فقال أبو طالب انى أخاف أن تولى غيرك فتطلب أمرا مدبرا فافترقا فبلغ خديجة

وسلم وهو اثر من ريد جبريل عليه السلام وهذا طوى ذكره فى الروايات السابقة وقوله ختم عليه يقتضى ان الختم كان فى صدره صلى الله عليه وسلم وهو الموافق لما تقدم عن ابن عائذ انه بين ثدييه لكنه زاد بين كتفيه وتقدم ان الختم كان بقلبه وقد يقال فى الجمع لا مانع من تعدد الختم فى المحال المذكورة اى فى قلبه وصدره وبين كتفيه فختم القلب لحفظ ما فيه وختم الصدر وبين الكتفين مبالغة فى حفظ ذلك لان الصدر وعاؤه القريب والجسد وعاؤه البعيد وخص بين الكتفين لانه اقرب الى القلب من بقية الجسد ولعله أولى من جواب القاضى عياض رحمه الله بان الذى بين كتفيه هو اثر ذلك الختم الذى كان فى صدره اذ هو خلاف الظاهر من قوله وجعل الخاتم بين كتفى وفيه السكوت عن ختم قلبه ولا يحسن ان يراد بالصدر القلب من باب تسمية الحال باسم محله لانه يصير ساكتا عن ختم الصدر وأولى من جواب الحافظ ابن حجر رحمه الله أيضا بانه يجوز ان يكون الختم بقلبه ظهر من وراء ظهره عند كتفه الايسر لان القلب فى ذلك الجانب لما علمت وفيهما ان الذى عند الايسر خاتم النبوة اى الذى هو علامة على النبوة الذى ولد صلى الله عليه وسلم به على ما هو الصحيح وفى الخصائص الصغرى وخص صلى الله عليه وسلم بجعل خاتم النبوة بظهره بازاء قلبه حيث يدخل الشيطان لغيره وسائر الانبياء كان الخاتم فى يمينهم اى فقد أخرج الحاكم فى المستدرك عن وهب بن منبه قال لم يبعث الله نبيا الا وقد كان عليه شامات النبوة فى يده اليمنى الا نبينا صلى الله عليه وسلم فان شامة النبوة كانت بين كتفيه هذا كلامه ولم اقف على بيان تلك الشامات التى كانت للانبياء ما هى وكتب الشهاب القسطلانى على هامش الخصائص قوله وجعل خاتم النبوة بظهره الخ مشكل اذ مفهومه ان موضع الدخول لقلوب الانبياء غير نبينا لم يختم ولا يخفى ما فيه من المحظور فما أشنعها من عبارة وأخطأها من اشارة هذا كلامه ولك ان تقول المراد بغيره فى قوله حيث يدخل الشيطان لغيره من غير الانبياء لما علم وتقرر فى النفوس من عصمة الانبياء من الشيطان واختص نبينا صلى الله عليه وسلم من بين سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام بالختم فى المحل المذكور مبالغة فى حفظه من الشيطان وقطع اطماعه فليتأمل لا يقال كل من جواب القاضى والحافظ ابن حجر يجوز ان يكون مبنيا على ان خاتم النبوة هو اثر هذا الختم وهو موافق لما تمسك به القائل بان خاتم النبوة لم يولد به وانما حدث بعد الولادة لانا نقول على تسليم انه حدث بعد الولادة فقد وجد عقبها فعن أبى نعيم فى الدلائل انه صلى الله عليه وسلم لما ولد ذكرت امه ان الملك غمسه

فى

في الماء الذي انبعه ثلاث غمسات ثم أخرج صرة من حرير ابيض فاذا فيها خاتم فضرب على كتفه كالبيضة المكنونة وبذلك يعلم ان خاتم النبوة ليس اثرا لهذا الخاتم وكلام السهيلي يقتضي انه هو حيث قال ان هذا الحديث الذي في شق صدره في الرضاعة فيه فائدة من تبيين العلم وذلك ان خاتم النبوة لم يدر انه خلق به او وضع فيه بعد ما ولد أو حين نبئ فبين في هذا الحديث متى وضع وكيف وضع ومن وضعه زادنا الله تعالى علما وأوزعنا شكر ما علم هذا كلامه ثم رأيت عن الحافظ ابن حجر ما يوافقه حيث قال ومقتضى الاحاديث التي فيها شق الصدر ووضع الخاتم انه لم يكن موجودا حين ولادته وانما كان اول وضعه لما شق صدره عند حليمة خلافا لمن قال ولد به أو حين وضع هذا كلامه ولا يخفى ان ما قلناه من ان هذا الخاتم غير خاتم النبوة أولى لان به يجتمع القولان وتندفع المخالفة والجمع أولى من التضعيف لما صح من انه صلى الله عليه وسلم ولد به وعلى انه هو يلزم ان يكون خاتم النبوة تعدد محله فوجد بين كتفيه وفي صدره وفي قلبه لا يقال قد اشير الى الجواب عن ذلك بان الموجود بين كتفيه انما هو اثر ما في صدره وقلبه لانا نقول يبطله ما تقدم عن الدلائل لابي نعيم وما تقدم عن بعض الروايات فاقبل الملك وفي يده خاتم فوضعه بين كتفيه وثدييه وايضا يلزم عليه أن يكون خاتم النبوة تكرر الاتيان به ثانيا في قصة المبعث وثالثا في قصة الاسراء ففي قصة المبعث فاكفاني كما يكفأ الاناء ثم ختم في ظهري وفي قصة الاسراء ثم ختم بين كتفيه بخاتم النبوة وكل منهما يبطل كون ما في ظهره أو بين كتفيه اثرا لذلك الختم الذي وجد في صدره او قلبه الا ان يقال ما في قصة المبعث وقصة الاسراء غير خاتم النبوة وان خاتم النبوة انما هو الاثر الحاصل من ختم صدره وقلبه في قصة الرضاعة وانه تكرر الختم على ذلك الاثر في المبعث وفي قصة الاسراء وفيه انه لا معنى لتكرر الختم في محل واحد ولا يقال الغرض منه المبالغة في الحفظ لان ذلك انما يكون عند تعدد محل الختم لا عند اعادته ثانيا وثالثا في محل واحد وايضا هو خلاف ظاهر كلامهم من انه في الحال الثلاثة خاتم النبوة ويؤيده ان المتبادر من القول في قصة الاسراء ثم ختم بين كتفيه بخاتم النبوة انه جعل خاتم النبوة بين كتفيه والا فما معنى كون الخاتم بمعنى الطابع اى خاتم النبوة فان قلت على دعوى الغيرية يحتاج الى الجواب عن قوله بخاتم النبوة قلت قد يقال هذا ليس برواية عن الشارع وانما وقعت تلك العبارة عن بعضهم ويجوز أن يكون الباء في كلامهم بمعنى مع اى مع خاتم النبوة فتأمل والله أعلم قال صلى الله عليه وسلم ثم أخذ بيدي فانهضني من

ما كان من محاورة عمه له وقد علمت قبل ذلك صدق حديثه وعظم أمانته وكرم اخلاقه فقالت ما علمت انه يريد هذا وأرسلت اليه وقالت دعاني الى البعثة اليك ما بلغني من صدق حديثك وعظم أمانتك وكرم اخلاقك وأنا أعطيك ضعف ما اعطي رجلا من قومك فذكر ذلك صلى الله عليه وسلم لعمه فقال ان هذا الرزق ساقه الله اليك فخرج ومعه ميسرة غلام خديجة رضي الله عنها في تجارة لها وقالت لميسرة لا تعص له أمرا ولا تخالف له رأيا وجعل عمومته يوصون به أهل العير ومن حين مسيره صلى الله عليه وسلم ظللته الغمامة وكانت خديجة تاجرة ذات شرف ومال كثير وتجارة تبعث بها الى الشام فتكون عيرها كعامة قريش وكانت تستأجر الرجال وتدفع اليهم المال مضاربة وكانت قريش قوما تجارا ومن لم يكن منهم تاجرا فليس عندهم بشيء فسار صلى الله عليه وسلم حتى بلغ سوق بصرى فنزل تحت ظل شجرة قريبة من صومعة نسطورا الراهب فاطلع نسطورا الى ميسرة وكان يعرفه فقال يا ميسرة من هذا الذي تحت هذه الشجرة فقال رجل من قريش من أهل الحرم فقال لهم الراهب ما نزل تحت هذه الشجرة بعد عيسى عليه السلام الا نبي وفي رواية ان الراهب دنا اليه صلى الله عليه وسلم بعد ان عرف العلامات الدالة على نبوته المذكورة في الكتب القديمة كحمرة عينيه وقبل رأسه وقدميه وقال آمنت بك وأنا أشهد انك الذي ذكر الله في التوراة فلما رأى الخاتم قبله وفي رواية قال يا محمد قد عرفت فيك العلامات كلها الدالة على نبوتك المذكورة في الكتب القديمة خلا خصلة واحدة فاوضح لي عن كتفك فأوضح له فاذا هو بخاتم النبوة يتلألأ فأقبل عليه يقبله ويقول أشهد انك رسول الله النبي الامي الذي بشر بك عيسى فانه قال لا ينزل بعدي تحت هذه الشجرة الا النبي الامي الهاشمي العربي المكي صاحب الحوض والشفاعة ولواء الحمد ولا بعد في بقاء

الشجرة من زمن عيسى الى زمنه صلى الله عليه وسلم لاحتمال ان بقاءها معجزة أو انها كانت شجرة زيتون لان شجر الزيتون يعمر ثلاثة آلاف سنة ولا مانع أيضا ان الله صرف الخلق عن النزول تحتها حتى نزل صلى الله عليه وسلم أو المراد ينزل تحتها فيميل ظلها اليه فهذا لم يكن لغيره وفي رواية قال ١٣٢ لميسرة أفي عينيه حمرة قال ميسرة نعم لا تفارقه أبدا قال هو هو وهو آخر الانبياء

ويا ليتني أدركه حين يؤمر بالخروج فوعى ذلك ميسرة ثم حضر صلى الله عليه وسلم سوق بصرى فباع سلعته التي خرج بها وكان بينه وبين رجل اختلاف في سلعة فقال الرجل احلف باللات والعزى فقال ما حلفت بهما قط فقال الرجل القول قولك ثم قال الرجل لميسرة وخلا به هذا نبي والذي نفسي بيده انه الذي تجده احبارنا منعوتا في كتبهم فوعى ذلك ميسرة ثم انصرف أهل العير جميعا وكان ميسرة يرى في الهاجرة ملكين يظلانه في الشمس ولما رجعوا الى مكة في ساعة الظهيرة وخديجة في علية اي غرفة عالية اهارأت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بعيره وملكان يظلانه رواه أبو نعيم وزاد غيره فأرته نساءها فعجبن لذلك ودخل عليها صلى الله عليه وسلم فأخبرها بما ربحوا فسرت فلما دخل عليها ميسرة أخبرته بما رأت فقال قد رأيت هذا منذ خرجنا وأخبرها بقول نسطورا وقول الآخر الذي حالفه في البيع وقدم صلى الله عليه وسلم بتجارتها فربحت ضعف ما كانت تربح واضعفت له ما كانت سمته

له وفي رواية باعوا امتاعهم وربحوا ربحا ما ربحوا مثله قط حتى قال ميسرة يا محمد اتجرنا لخديجة أربعين سفرة ما رأينا فيها قط أكثر من هذا الربح على وجهك وقبل ان يصلوا الى بصرى عيي بعيران لخديجة وتخلف معهما ميسرة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول الركب فخاف ميسرة على نفسه وخاف على البعيرين فانطلق يسعى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

مكاني انهما اطيقا ثم قال الاول للذي شق صدري زنه بعشرين من امته فوزنني فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من أمته فوزنني فرجحتهم ثم قال زنه بالف من أمته فوزنني فرجحتهم ثم قال دعه فلو وزنته بامته كلهم لرجحهم كلهم ثم ضموني الى صدورهم وقبلوا رأسي وما بين عيني ثم قالوا يا حبيب الله لم ترع انك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت عيناك (اقول) في بعض الروايات زنه بعشرة ثم قال زنه بمائة ففي هذه الرواية طي ذكر وزنه بعشرين وفي تلك الرواية طي ذكر وزنه بعشرة والله اعلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينا نحن كذلك اذا بالحي قد اقبلوا بحذافيرهم اي بجمعهم واذا بظئري اي مرضعتي امام الحي تهتف اي تصيح باعلى صوتها وتقول واضعيفاه فاكبوا علي يعني الملائكة الذين هم أولئك الرهط الثلاثة وضموني الى صدورهم وقبلوا رأسي وما بين عيني وقالوا حبذا أنت من ضعيف ثم قالت ظئري يا وحيداه فاكبوا علي فضموني الى صدورهم وقبلوا رأسي وما بين عيني وقالوا حبذا أنت من وحيد وما أنت بوحيد ان الله معك وملائكته والمؤمنين من أهل الارض ثم قالت ظئري يا يتيماه استضعفت من بين أصحابك فقتلت لضعفك فاكبوا علي وضموني الى صدورهم وقبلوا رأسي وما بين عيني وقالوا حبذا أنت من يتيم ما أكرمك على الله لو تعلم ما أريد بك من الخير لقرت عينك فوصلوا يعني الحي الى شفير الوادي فلما أبصرتني امي وهي ظئري قالت لا أراك الا حيا بعد فجاءت حتى أكبت علي ثم ضمتني الى صدرها فوالذي نفسي بيده اني لفي حجرها قد ضمتني اليها ويدي في أيديهم يعني الملائكة وجعل القوم لا يعرفونهم اي لا يبصرونهم فاقبل بعض القوم يقول ان هذا الغلام قد اصابه لمم اي طرف من الجنون او طائف من الجن اي وهي اللمة فانطلقوا به الى كاهن حتى ينظر اليه ويداويه فقلت يا هذا ما بي مما تذكر ان آرابي اي أعضائي سليمة وفؤادي صحيح ليس بي قلبة اي علة يقلب بها الى من ينظر فيها فقال ابي وهو زوج ظئري الا ترون كلامه صحيحا اني لارجو أن لا يكون بابني بأس واتفقوا على ان يذهبوا بي اليه اي الى الكاهن فلما انصرفوا بي اليه فقصوا عليه قصتي فقال اسكتوا حتى أسمع من الغلام فانه اعلم بامره منكم فسألني فقصصت عليه أمري من أوله الى آخره فوثب قائما الي وضمني الى صدره ثم نادى باعلى صوته يا للعرب يا للعرب من شر قد اقترب اقتلوا هذا الغلام واقتلوني معه فواللات والعزى لئن تركتموه فادرك مدرك الرجال ليبدلن دينكم وليسفهن عقولكم وعقول آبائكم وليخالفن امركم وليأتينكم بدين لم تسمعوا بمثله وفي رواية ليسفهن احلامكم اي عقولكم وليكذبن أوثانكم وليدعونكم الى رب لم تعرفونه ودين تنكرونه

فاخبر بذلك فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البعيرين ووضع يده على اخفافهما وعوذهما فانطلقا فى اول الركب ولهما رغاء وألقى الله محبة النبى صلى الله عليه وسلم فى قلب ميسرة حتى كأنه عبده ولما بلغوا مر الظهران أمره النبى صلى الله عليه وسلم بالتقدم قبله ليخبرها بربح تلك التجارة ويعجل البشرى لها وفى رؤية ميسرة للملائكة الذين يظلونه عليه الصلاة والسلام دليل على جواز رؤية الملك ووقع رؤية جبريل عليه السلام لجمع من الصحابة رضى الله عنهم قال الغزالى فى كتابه المسمى المنقذ من الضلالة ان الصوفية يشاهدون الملائكة فى يقظتهم لحصول طهارة نفوسهم وتزكية قلوبهم وقطعهم العلائق وحسمهم مواد أسباب الدنيا من الجاه والمال واقبالهم على الله بالكلية علما دائما وعملا مستمرا نقله الحلبى فى السيرة وذكر فيها أن خديجة رضى الله عنها استأجرت النبى صلى الله عليه وسلم أيضا سفرتين الى جرش بضم الجيم وفتح الراء وبالشين وهو موضع باليمن وهو المراد بقول بعضهم سوق حباشة وذلك يفيد انه صلى الله عليه وسلم سافر لها سفرات (وتزوج) صلى الله عليه وسلم خديجة بعد ذلك بشهرين وعشرين يوما وكانت تدعى فى الجاهلية والاسلام بالطاهرة لشدة عفتها وصيانتها وتسمى أيضا سيدة نساء قريش وكانت تحت النباش ويكنى بابى هالة بن زرارة التميمى ومات فى الجاهلية وكانت ولدت له هند بن أبى هالة وهو من الصحابة رضى الله عنه كان يروى عنه الحسن بن على رضى الله عنه ويقول حدثنى خالى لانه أخو فاطمة رضى الله عنها لامها وقتل رضى الله عنه مع على يوم الجمل وولدت له أيضا ذكرا آخر يسمى هالة فهند وهالة ذكران ثم بعد موت أبى هالة تزوجها عتيق بن عابد بالباء المخزومى فولدت له بنتا اسمها هند أسلمت وصحبت النبى صلى الله عليه وسلم ولم تروشيأ وقيل ان عتيقا تزوجها

فمدت ظئرى وانتزعتنى من حجره وقالت لانت اعنه وأجن ولو علمت ان هذا قولك ما اتيتك به فاطلب لنفسك من يقتلك فانا غير قاتلى هذا الغلام * ثم احتملونى الى أهلهم واصبحت مفزعا مما فعلوا يعنى الملائكة بى * اى من حلى من بين أترابى والقائى الى الارض لا من خصوص الشق لما تقدم وأصبح اثر الشق ما بين صدرى الى منتهى عانتى اى أثر التئام الشق الناشئ عن أمر اريد الملك كانه الشراك اه (اقول) الشراك احد سيور النعل الذى هو المداس الذى يكون على وجهها ولعل حكمة بقائه ليدل على وجود الشق واعلم أنه حيث كانت قصة شق صدره الشريف فى زمن الرضاع عند حليمة واحدة يكون هذه الروايات المراد منها واحد وان بعضها وقع فيه الاختصار عما وقعت به الاطالة فى بعضها وان اخباره صلى الله عليه وسلم بان الملائكة كانوا ثلاثة لا ينافى اخباره بانهم كانوا اثنين ونسبة الاخذ والاضجاع والشق للبطن او الصدر الى الثلاثة أو الى الاثنين لا ينافى ان متعاطى ذلك واحد منهم كما اخبر به اخوه وجاء التصريح به فى بعض الروايات وأن التعبير فى بعضها بشق البطن هو المراد بشق الصدر الى منتهى العانة فى بعضها وأنه ليس المراد بشق البطن او شق الصدر شق القلب لما تقدم فى الرواية واستخرج احشاء بطنى ثم غسلها ثم اعادها مكانها ثم قال لصاحبه تنح عنه فنحاه عنى ثم ادخل يده فى جوفى فاخرج قلبى فصدعه الحديث وأنه يجوز ان يكون الطست كان متعددا واحدا من زمردة خضراء وواحدا من ذهب وأن الاول كان فارغا معدا لان يلقى فيه ما يغسل به باطنه اى مع احشائه ومنها اى من جملة الاحشاء ظاهر قلبه من الابريق الفضة وان الثانى كان مملوأ ثلجا معدا لان يغسل به قلبه اى داخل قلبه وحينئذ يكون فى بعض الروايات اقتصر على القلب وفى بعضها جمع بينه وبين الاحشاء فى ذلك ويحتاج الى الجمع بين كون الشق فى ذروة الجبل وكونه فى شفير الوادى وكون المخرج علقة وكونه مضغة وقد يقال جاز أن تكون ذروة الجبل قريبة من شفير الوادى وأنه عبر عن الذى اخرجه والقاه تارة بالعلقة وتارة بالمضغة ولعل تلك المضغة كانت قريبة من العلقة ولا يخفى أن هذه العلقة يحتمل أنها غير حبة القلب التى اخذت منها المحبة وهى علقة سوداء فى صميمه المسماة بسويداء القلب ويحتمل أنها هى والله اعلم وقد اشار الى هذه القصة صاحب الهمزية بقوله

وأتت جده وقد فصلته * وبها من فصاله البرحاء
اذ أحاطت به ملائكة الله فظنت بانهم قرناء

قبل النباش وكان لها حين تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم من العمر أربعون سنة وبعض أخرى وكانت عرضت نفسها عليه فقالت يا ابن عم انى قد رغبت فيك لقرابتك ووساطتك فى قومك وامانتك وحسن خلقك وصدق حديثك (وعن نفيسة بنت منية) قالت كانت خديجة امرأة ١٣٤ حازمة جلدة شريفة مع ما اراد الله بها من الكرامة والخير وهى يومئذ اوسط قريش نسبا وأعظمهم شرفا وأكثرهم مالا وكل قومها كان حريصا على نكاحها لو قدر على ذلك قد طلبوها وبذلوا لها الاموال فارسلتنى دسيسا الى محمد صلى الله عليه وسلم بعد ان رجع فى عيرها من الشام فقلت يا محمد ما يمنعك ان تتزوج فقال ما بيدى ما اتزوج به قلت فان كفيت ذلك ودعيت الى المال والجمال والشرف والكفاءة ألا تجيب قال فمن هى قلت خديجة قال وكيف لى بذلك فذهبت فاخبرتها فارسلت اليه ان ائت لساعة كذا وأرسلت الى عمها عمرو بن اسد ليزوجها فذكر صلى الله عليه وسلم ذلك لاعمامه وسبب عرضها نفسها ما حدثها به غلامها ميسرة مع ما رأته من الآيات وقد ذكرت ما رأته من الآيات وما حدثها به ميسرة لابن عمها ورقة بن نوفل وكان قد تدين بشريعة عيسى عليه السلام قبل نسخها فقال لها ان كان هذا حقا يا خديجة فان محمدا نبى هذه الامة وقد عرفت انه كائن لهذه الامة نبى منتظر وهذا زمانه وذكر ابن اسحق انه كان لنساء قريش عيد يجتمعن فيه فاجتمعن يوما فيه فجاءهن يهودى فقال يا معشر نساء قريش انه يوشك فيكن نبى فأيتكن استطاعت أن   ابهامى
تكون فراشا له فلتفعل فحصبنه بالحجارة وقبحنه وأغلظن له واغضت خديجة على قوله ولم تعرض فيما عرض فيه النساء ووقر ذلك فى نفسها فلما اخبرها ميسرة بما رأى من الآيات مع ما رأته هى قالت ان كان ما قال اليهودى حقا ما ذاك الا هذا فلما اخبر

ورأى وجدها به ومن الوجد لهيب تصلى به الاحشاء
فارقته كرها وكان لديها * ثاويا لا يمل منه الثواء
شق عن قلبه واخرج منه * مضغة عند غسله سوداء
ختمته يمنى الامين وقد أو * دع مالم يذع له أنباء
صان اسراره الختام فلا الفض * ملم به ولا الافضاء

اى واتت حليمة به جده والحال أنهم بافطمته والحال انه ملحق بها من اجل فطامه ورده التألم الزائد وردها له لاجل أنه احدقت به ملائكة الله فظنتهم شياطين ورأى شدة محبتها له وتعلقها به وقد حصل لها من الوجد الذى به الهب تحترق الاحشاء به وهى ما تحويه الضلوع وفارقته بعد ردها له كارهة لفراقه والحال انه كان مقيما عندها لا تمل ذلك منه وقد شق عن قلبه واخرج من ذلك القلب عند غسله مضغة سوداء ختمت على ذلك القلب يمين الامين جبريل بخاتم والحال ان ذلك القلب الشريف قد أودع من الاسرار الالهية مالم تنشره اخبار لان تلك الاسرار لا يعلمها الا الله تعالى حفظ ذلك الختام أسراره التى أودعت فيه فلا الكسر واقع بذلك الختم ولا الاشاعة واقعة لتلك الاسرار * اقول قد علمت ان صدره الشريف شق مرتين غير هذه المرة مرة عند مجيء الوحى ومرة عند المعراج وزاد بعضهم أنه شق عند بلوغه عشر سنين كما فى مسلم ولما بلغ عمره صلى الله عليه وسلم عشرين سنة اى واملها هى المعنية بقول صاحب المواهب وروى خامسة ولم تثبت وستأتى تلك الخامسة عن الدر المنثور وسيأتى ما فيها والله اعلم قال وفى المرة التى كان ابن عشر سنين اى واشهر قال صلى الله عليه وسلم جاءنى رجلان فقال احدهما لصاحبه اضجعه فأضجعنى لحلاوة القفا ثم شقا بطنى فكان احدهما يختلف بالماء فى طست من ذهب والآخر يغسل جوفى ثم شق قلبى فقال اخرج الغل والحسد منه فأخرج منه العلقة * والمتبادر أن أل فى العلقة للعهد وهى العلقة السوداء التى تقدم أنها حظ الشيطان وأنها مغمزه فهى محل الغل والحسد وفيه انه تقدم ايضا ان تلك العلقة اخرجت وألقيت قبل هذه المرة وتكرر نبذها مستحيل الا ان تحمل العلقة على جزء بقى من اجزائها بناء على جواز أنها تجزأت اكثر من جزءين المعبر عنهما فيما تقدم عن بعض الروايات بعلقتين سوداوين الا ان يقال المراد بقوله فاخرج منه العلقة اى اخرج ما هو كالعلقة اى شيأ يشبه العلقة كما سيأتى التصريح بذلك فى بعض الروايات فأدخل شيأ كهيئة الفضة ثم اخرج ذرورا كان معه فذره عليه اى على شق القلب ليلتحم به ثم نقر

اعمامه بذلك فرضوا وخرج معه ابوطالب وحمزة حتى دخلا على خويلد ابيها وقيل على عمها عمرو بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب فخطبها ابو طالب من خويلد او عمرو والنبي صلى الله عليه وسلم فرضي واصدقها عشرين بكرة وقيل اثنتي عشرة اوقية ونشا والنش نصف اوقية وقيل على اربعمائة دينار وخطب أبو طالب وحضر رؤساء مضر وحضر ابو بكر رضي الله عنه ذلك العقد فقال ابو طالب الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن أخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن برجل الارجح به شرفا ونبلا وفضلا وعقلا فان كان في المال قل فان المال ظل زائل وامر حائل ومحمد من قد عرفتم قرابته وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها ما آجله وعاجله كذا وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل جسيم فلما اتم أبو طالب الخطبة تكلم ورقة بن نوفل فقال الحمد لله الذي جعلنا كما ذكرت وفضلنا على ما عددت فنحن سادة العرب وقادتها وانتم اهل ذلك كله لا تنكر العشيرة فضلكم ولا يرد احد من الناس فخركم وشرفكم وقد رغبنا في الاتصال بحبلكم وشرفكم فاشهدوا علي معاشر قريش بأني قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبد الله على كذا ثم سكت فقال أبو طالب قد احببت ان يشركك عمها فقال عمها اشهدوا علي يا معشر قريش اني قد انكحت محمد بن عبد الله خديجة بنت خويلد فقبل النبي صلى الله عليه وسلم النكاح وشهد على ذلك صناديد قريش والمحققون على ان الذي انكحها عمها عمرو بن اسد وان اباها خويلدا مات قبل حرب الفجار وقيل لما تزوجها صلى الله عليه وسلم ذهب ليخرج فقالت له الى اين يا محمد اذهب وانحر جزورا أو جزورين

ابهامي ثم قال اغدوا واسلم (أقول) لم يذكر في هذه المرة الختم وظاهر هذه الرواية أن الصدر انحم بمجرد ذر الذرور وتقدم في قصة الرضاع أن ذلك كان من امر اريد الملك واستمرار التمام الشق بشاهد كالشراك وفي الدر المنثور عن زوائد مسند الامام أحمد عن أبي بن كعب عن ابي هريرة قال يا رسول الله ما اول ما رأيت من امر النبوة فاستوى رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا وقال لقد سألت يا أباهريرة اني لفي صحراء ابن عشرين سنة وأشهر اذا بكلام فوق رأسي واذا برجل يقول لرجل أهو هو فاستقبلاني بوجوه لم ارها لخلق قط وثياب لم أرها على احد قط فأقبلا الي يمشيان حتى اخذ كل واحد منهما بعضدي لا اجد لاخذهما مسا فقال احدهما لصاحبه أضجعه فأضجعاني بلا قصر ولا هصر اي من غير اتعاب فقال احدهما لصاحبه افلق صدره ففلقه فيما أرى بلا دم ولا وجع فقال له أخرج الغل والحسد فأخرج شيأ كهيئة العلقة ثم نبذها فطرحها فقال له أدخل الرأفة والرحمة فاذا مثل الذي اخرج اي ادخل شبه الفضة ثم نقر ابهام رجلي اليمنى وقال اغدو واسلم فرجعت أغدو بها رأفة على الصغير ورحمة على الكبير ولم يذكر في هذه المرة الغسل فضلا عما يغسل به ولم يذكر الختم ولكن قول الرجل للآخر أهو هو يدل على ان الرجلين ليسا جبريل وميكائيل لانهما يعرفانه وقد فعلا به ذلك في قصة الرضاع وقد يدعي ان هذه الرواية هي عين الرواية قبلها وذكر عشرين سنة غلط من الراوي وانما هي عشر سنين ثم رأيت ما يصرح بذلك وهو كان سنه عشر حجج وقد تحمل هذه المرة اي كونه ابن عشرين سنة على ان ذلك كان في المنام وان كان خلاف ظاهر السياق وقال صلى الله عليه وسلم في المرة التي هي عند ابتداء الوحي جاءني جبريل وميكائيل فأخذني جبريل وألقاني لحلاوة القفا ثم شق عن قلبي فاستخرجه ثم استخرج منه ما شاء الله أن يستخرج ولم يبين ذلك ما هو ثم غسله في طست من ماء زمزم ثم أعاده مكانه ثم لأمه اي بذلك الذرور او بامر اريد او بهما جميعا ثم اكفاني كما يكفى الاناء ثم ختم في ظهري يحتمل أن يكون المراد في غير المحل الذي ختمه في قصة الرضاع وهو بين كتفيه ويحتمل أن المراد بظهره المحل الذي ختمه في قصة الرضاع وفيه أنه لا معنى لوضع الختم على الختم كما تقدم ويمكن أن تكون الحكمة في الجمع بين جبريل وميكائيل ان ميكائيل ملك الرزق الذي به حياة الاجساد والاشباح وجبريل ملك الوحي الذي به حياة القلوب والارواح والمرة التي هي عند المعراج سيأتي الكلام عليها وفيها أن الختم وقع بين كتفيه وفيه ما علمت وقد علمت أن شق الصدر والبطن غير شق القلب وان شق القلب واخراج العلقة السوداء التي هي حظ

واطعم الناس ففعل وهى أول وليمة اولمها صلى الله عليه وسلم وفى رواية فأمرت خديجة جواريها ان يرقصن ويضربن بالدفوف
وقالت مر عمك يعقر بكرا من بكراتك واطعم الناس وهلم فقل مع أهلك فاطعم الناس ودخل صلى الله عليه وسلم فقال معها فأقر
الله عينه وفرح ابو طالب فرحا شديدا وقال الحمد لله الذى اذهب عنا الكرب ودفع عنا الهموم ويروى ان النبى
صلى الله عليه وسلم جاء يوما عند خديجة قبل ان تتزوج به فأخذت يده وضمته الى صدرها ثم قالت بأبى انت وامى ما افعل هذا الشئ ولكن ارجو ان تكون انت النبى الذى سيبعث فان تكن هو فاعرف حقى ومنزلتى وادع الاله الذى سيبعثك لى فقال لها والله لئن كنت انا هو لقد اصطنعت عندى ما لا اضيعه ابدا وان يكن غيرى فان الاله الذى تصنعين هذا لاجله لا يضيعك ابدا وقد اشار صاحب الهمزية لبعض ما تقدم بقوله

ورأته خديجة والتقى وال
زهد فيه سجية والحياء
وأتاها ان الغمامة والسر
ح اظلته منهما افياء
واحاديث ان وعد رسول الله
بالبعث حان منه الوفاء
فدعته الى الزواج وما ا
حسن ما يبلغ المنى الاذكياء

قال بعضهم وتظليل الغمام له صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة تأسيسا لها وانقطع ذلك بعد النبوة (وحضر) صلى الله عليه وسلم بنيان قريش الكعبة وكان عمره خمسا وثلاثين سنة
وذلك انه جاء سيل ودخل الكعبة وصدع جدرانها بعد توهينها من حريق اصابها بسبب ان امرأة بخرتها فطارت شرارة فى باب الكعبة فاحترقت جدرانها فلما ارادوا ان يضعوا الحجر الاسود واختصموا فيه فقالوا نحكم بيننا اول من يخرج من هذه السكة فكان صلى الله عليه وسلم اول من خرج فحكم بينهم ان يجعلوه فى ثوب ثم يرفعه من كل قبيلة رجل وفى رواية

الشيطان ومغمزه مما اختص به صلى الله عليه وسلم عن الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وما فى بعض الآثار ان التابوت اى تابوت بنى اسرائيل كان فيه الطست الذى غسلت فيه قلوب الانبياء المراد ظاهر قلوبهم لان القلب من جملة الاحشاء التى غسلت بغسل الصدر او البطن كما تقدم على ان ابن دحية ذكر انه اثر باطل وقد يطلق الصدر على القلب من باب تسمية الحال باسم محله ومنه ما وقع فى قصة المعراج ثم اتى بطست ممتلئ حكمة وايمانا فافرغ فى صدره ومنه قول الجلال السيوطى فى الخصائص الصغرى ان شق صدره الشريف من خصائصه صلى الله عليه وسلم على الاصح من القولين اى شق قلبه وسيأتى الكلام على ذلك فى الكلام على المعراج بما هو ابسط مما هنا وعن حليمة رضى الله تعالى عنها انها كانت بعد رجوعها به صلى الله عليه وسلم من مكة لا تدعه أن يذهب مكانا بعيدا اى عنها فغفلت عنه صلى الله عليه وسلم يوما فى الظهيرة فخرجت تطلبه فوجدته مع اخته اى من الرضاعة وهى الشيماء وكانت تحضنه مع امها اى ولذلك تدعى ام النبى ايضا ○ اى وكانت ترقصه بقولها

هذا اخ لى لم تلده أمى * وليس من نسل ابى وعمى * فأنمه اللهم فيما تنمى

فقالت فى هذا الحر اى لا ينبغى أن يكون فى هذا الحر فقالت اخته يا أمه ما وجد اخى حرا رأيت غمامة تظل عليه اذا وقف وقفت واذا سار سارت حتى انتهى الى هذا الموضع فجعلت تقول أحقا يا بنية قالت اى والله فجعلت تقول أعوذ بالله من شر ما يحذر على ابنى اى وفى كلام بعضهم ورأت يعنى حليمة الغمامة تظله اذا وقف وقفت واذا سار سارت وقد يقال الرؤية فى حق حليمة علمية وفى حق اخته بصرية فلا مخالفة او أنها بصرتها بعد الاخبار بها كما يدل على ذلك القول بانه افزعها ذلك من أمره اى وفى كونها فزعت من ذلك بعد اخبار اخته لها بذلك شئ فقدمت به على أمه (اقول) عن الواقدى أن حليمة لما قدمت به صلى الله عليه وسلم الى مكة اتردّه لامه رأت غمامة تظله فى الطريق ان سار سارت وان وقف وقفت وسياق هذه الرواية يقتضى انها ردته الى امه عقب مجيئها به من مكة وان ذلك كان قبل شق صدره عندها وحينئذ تكون هذه قدمة ثانية لحليمة الى مكة كانت قبل شق صدره ففى القدمة الاولى كان سنه صلى الله عليه وسلم سنتين وفى هذه القدمة كان سنه صلى الله عليه وسلم سنتين وأشهرا وتكون هذه المرة الثانية محل قول حليمة فوالله أنه بعد مقدمنا باشهر وقول ابن الاثير بشهرين أو ثلاثة واما فى القدمة الثالثة وهى التى بعد شق صدره وتركها له صلى الله عليه وسلم عند امه كان سنه اربع سنين وفيها

انهم قالوا نحكم أول من يدخل من باب بني شيبة فكان صلى الله عليه وسلم أول من دخل منه فأخبروه فأمر بثوب فوضع الحجر في وسطه وامر كل فخذ من قبائل قريش ان يأخذ بطائفة من الثوب فرفعوه ثم أخذه فوضعه بيده وذكر ابن اسحق ان الذى أشار عليهم أن يحكموا أول داخل أبو امية المخزومي أخو الوليد بن المغيرة واسم ابي أمية حذيفة وكان أسن قريش وهو والد أم سلمة وعبد الله بن أبي امية وكان أحد رجال قريش المشهورين بالكرم وكان يعرف بزاد الراكب لانه اذا سافر لا يتزود معه أحد بل يكفي كل من سافر معه الزاد ثم انه مات على دين قومه ولم يدرك الاسلام ولما مات أبو امية رثاه أبو طالب وغيره ورثاه أبو احيحة بقوله

ألا هلك الماجد الرافد
وكل قريش له حامد
ومن هو عصمة أيتامنا
وغيث اذا فقد الراعد

وذكر السهيلي أن ابليس كان معهم في صورة شيخ نجدي فصاح بأعلى صوته يا معشر قريش أقد رضيتم أن يضع هذا الركن وهو شرفكم غلام يتيم دون ذوي اسنانكم فكاد يثير شرا بينهم ثم سكتوا وحضر صلى الله عليه وسلم معهم بناءها وكان ينقل معهم الحجارة من اجياد وكان يضعون ازرهم على عواتقهم ويحملون الحجارة فقال العباس للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل ازارك على رقبتك يقيك من الحجارة ففعل فخر الى الارض وطمحت عيناه الى السماء ونودي يا محمد غط

١٨ حل ل

عورتك فلم ير عريانا بعد ذلك وبقي بنيان قريش هذا الى أن هدمها عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما وبناها على قواعد ابراهيم ثم لما قتله الحجاج ردها على بناء قريش وهو على الهيئة الموجودة الآن *(فائدة)* لما حوصر عبد الله بن الزبير رضي الله عنه قاتل قتالا شديدا وثبت معه أناس ثم اشتد الامر عليهم فانصرفوا وأخذوا لانفسهم ذمة من الحجاج ولم يبق

كانت وفاتها على ما يأتي وقيل خمس سنين قاله ابن عباس وقيل ست سنين ويكون بعض الرواة اشتبه عليه الامر وظن ان هذه القدمة الثانية التي قبل شق صدره هي الثالثة التي بعد شق صدره صلى الله عليه وسلم فلزم الاشكال فتأمل ذلك تأملا جيدا ولا تكن ممن يفهم تقليدا والله أعلم ووفدت عليه صلى الله عليه وسلم حليمة بعد تزويجه خديجة تشكو اليه ضيق العيش فكلم لها خديجة فاعطتها عشرين رأسا من غنم وبكرات جمع بكرة وهي الثنية من الابل اى وفي رواية أربعين شاة وبعيرا اهـ ووفدت عليه يوم حنين فبسط لها رداءه فجلست عليه اى فقد قال بعضهم لم تر بعد انه رآها مرتين احداهما بعد تزوجه خديجة اى وعليه تكون هذه المرة هي التي قدمت فيها مع زوجها وولدها واجلسهم على ردائه اى ثوبه الذي كان جالسا عليه كما تقدم والمرة الثانية يوم حنين * وفي كلام القاضي عياض ثم جاءت ابا بكر ففعل ذلك اى بسط لها رداءه ثم جاءت عمر ففعل كذلك اهـ وفي كلام ابن كثير ان حديث مجيء امه صلى الله عليه وسلم اليه في حنين غريب وان كان محفوظا فقد عمرت دهرا طويلا لان من وقت ارضعت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى وقت الجعرانة اى بعد رجوعه من حنين ازيد من ستين سنة واقل ما كان عمرها حين ارضعته عليه الصلاة والسلام ثلاثين سنة وكونها وفدت على أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما تزيد المدة على المائة وعن أبي الطفيل قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم لحما بالجعرانة اى بعد رجوعه من حنين كما تقدم والطائف وانا غلام شاب فاقبلت امرأة فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم بسط لها رداءه فقيل من هذه فقيل امه التي ارضعته صلى الله عليه وسلم وفي رواية استأذنت امرأة على النبي صلى الله عليه وسلم قد كانت ترضعه فلما دخلت عليه قال أمي أمي وعمد الى ردائه فبسطه لها فقعدت عليه اهـ وتقدم عن شرح الهمزية لابن حجر ان من سعادة حليمة توفيقها للاسلام هي وزوجها وبنوها وفي الاصل ومن الناس من ينكر اسلامها واشار بذلك الى شيخه الحافظ الدمياطي فانه من جملة المنكرين حيث قال اى في سيرته حليمة لا يعرف لها صحبة ولا اسلام وقد وهم غير واحد فذكروها في الصحابة وليس بشيء وكان الانسب ان يقول ذكروا اسلامها وليس بشيء ويوافقه قول الحافظ ابن كثير الظاهر ان حليمة لم تدرك البعثة ورده بعضهم فقال اسلامها لاشك فيه عند جماهير العلماء ولا يعول على قول بعض المتأخرين انه لم يثبت فقد روى ابن حبان حديثا صحيحا دالا على اسلامها وانكر الحافظ الدمياطي وفودها

أحد معه الا عبد الله بن صفوان بن امية نقاتل معه أشد القتال فأذن له عبد الله فى الانصراف وان يأخذ لنفسه عهدا وذمة من الحجاج فأبي وقال انى أقاتل على دينى فلم يزل يقاتل حتى قتل وهو متمسك بالكعبة ووقع لعبد الله بن الزبير مثله رضى الله عنهما فقتل وهو متعلق بالكعبة بعد ان ١٣٨ أصيب بنيف وتسعين ما بين ضربة سيف وطعنة رمح رضى الله عنه *(باب ما جاء من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم)* عن احبار اليهود وعن الرهبان من النصارى وعن الكهان من العرب على ألسنة الجان وعلى غير ألسنتهم وما سمع من الهواتف ومن بعض الوحوش ومن بعض الاشجار ومن طرد الشياطين من استراق السمع عند مبعثه بكثرة تساقط النجوم وما وجد من ذكره وصفته فى الكتب القديمة وما وجد فيه اسمه مكتوبا من النبات والاحجار وغيرهما قال ابن اسحق كانت الاحبار من اليهود والرهبان من النصارى والكهان من العرب قد تحدثوا بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه لما تقارب زمنه (أما الاحبار) من اليهود والرهبان من النصارى فلما وجدوا فى كتبهم من صفته وصفة زمانه وأما الكهان من العرب فجاءتهم به الشياطين فيما تسترق من السمع اذ كانت لا تحجب عن ذلك كما حجبت عند الولادة والبعث وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع منهما ذكر بعض اموره ولا تلق العرب لذلك بالا حتى بعثه الله تعالى ووقعت تلك الامور التى كانوا يذكرونها فعرفوها * وفى هذا تصريح بأن الملائكة كانت تذكره صلى الله عليه وسلم فى السماء قبل وجوده فأما عبد اخبار الاحبار من اليهود فمنها ما تقدم ذكره ومنها ما جاء عن سلمة بن سلامة رضى الله عنه وكان من اصحاب بدر قال كان لنا جار من يهود بنى عبد الاشهل فذكر عند قوم أصحاب أوثان القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار فقالوا له ويحك يا فلان أو

عليه فى حنين وقال الوافدة عليه فى ذلك انما هى اخته من الرضاعة وهى الشيماء (اقول) وعلى صحة ما قاله الحافظ الدمياطى لا ينافيه قوله صلى الله عليه وسلم أمى أمى لانه كان يقال لاخته الشيماء ام النبى صلى الله عليه وسلم لانها كانت تحضنه مع امها كما تقدم ولا قول بعض الصحابة امه التى ارضعته لانه يجوز انه لما قيل امه حملها على المرضعة له صلى الله عليه وسلم لتيقن موت امه من النسب وعلى كون الوافدة عليه فى حنين اخته اقتصر فى الهدى والله أعلم (اقول) قال الحافظ ابن حجر بعد ان أورد عدة آثار فى مجىء امه من الرضاعة اليه صلى الله عليه وسلم فى حنين وفى تعدد هذه الطرق ما يقتضى ان لها اصلا أصيلا وفى اتفاق الطرق على انها أمه رد على من زعم ان التى قدمت عليه اخته اه (اقول) لا رد فى ذلك لانه علم ان أخته المذكورة كان يقال لها ام النبى صلى الله عليه وسلم ووصف بعض الصحابة لها بانها امه من الرضاعة تقدم انه يجوز ان يكون بحسب ما فهم ومما يعين انها اخته ما سيأتى انها لما اخذت فى حنين من جملة سبى هوازن قالت للمسلمين انا اخت صاحبكم فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت له يا رسول الله انا اختك قال وما علامة ذلك قالت عضة عضضتنيها فى ظهرى وانا متوركتك فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم العلامة فقام لها قائما وبسط لها رداءه واجلسها عليه ودمعت عيناه الى آخر ما يأتى * وكلام المواهب يقتضى انهما قضيتان واحدة كانت فيها اخته والاخرى كانت فيها أمه من الرضاعة حيث قال وقد روى ان خيلا له صلى الله عليه وسلم اغارت على هوازن فأخذوها يعنى اخته من الرضاعة التى هى الشيماء فقالت انا أخت صاحبكم الى ان قال فبسط لها رداءه واجلسها عليه فأسلمت ثم قال وجاءته يعنى امه من الرضاعة التى هى حليمة يوم حنين فقام اليها وبسط رداءه لها وجلست عليه وهذا كما ترى يوهم ان الخيل التى اغارت على هوازن التى كانت فيها أخته لم تكن فى حنين وان أمه لم تكن يوم حنين فى سبى هوازن مع ان القصة واحدة وان سبى هوازن كان يوم حنين فيلزم ان يكون جاء اليه يوم حنين كل من امه واخته من الرضاعة الاولى فى غير السبى والثانية فى السبى وانه فرش لكل رداءه وهو تابع فى ذلك لابن عبد البر حيث قال فى الاستيعاب حليمة السعدية ام النبى صلى الله عليه وسلم من الرضاعة جاءت اليه يوم حنين فقام لها وبسط لها رداءه فجلست عليه وروت عنه وروى عنها عبد الله بن جعفر ثم قال حذافة اخت النبى صلى الله عليه وسلم من الرضاعة يقال لها الشيماء اغارت خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم على هوازن فأخذوها فيما اخذوا من السبى الحديث وكون

عبـد الله بن جعفر روى عن حليمة قال الحافظ ابن حجر لا يتهيأ له السماع منها الا بعـد الهجرة بسبع سنين فاكثر لانه قدم من الحبشة مع أبيه الذى هو جعفر بن أبى طالب فى خيبر سنة سبع وتعدد حياتها وبقاؤها الى ذلك الزمن وفيه ان حنينا بعد خيبر وبعد من ذلك وقوفها على أبى بكر وعمر وقد تقدم مايشعر باستبعاد ذلك عن ابن كثير والذى يتجه ان الوافدة عليـه فى حنين اخته لا امه كما يقول الحافظ الدمياطى والله اعلم قال قال أبو الفرج بن الجوزى ثم قدمت اى حليمة عليه بعد النبوة فاسلمت وبايعت اى فلا يقال سلمنا ان حليمة هى القادمة عليه اى بعد النبوة فما الدليل على اسلامها اه (اقول) كان من حقه ان يقول بدل هذه العبارة التى ذكرها وانما قال يعنى ابن الجوزى فاسلمت بعـد قوله قدمت عليـه بعد النبوة لانه لا يلزم من قدومها عليه بعد النبوة اسلامها وفى كون قول ابن الجوزى فاسلمت دليلا على اسلامها نظر بل هى دعوى تحتاج الى دليـل الآن يقال قول ابن الجوزى فاسلمت دليل لنا على اسلامها والله أعلم وذكر الذهبى ان التى وفدت عليه صـلى الله عليه وسـلم فى الجعرانة يجوز ان تكون ثويبة ونظر فيـه بان ثويبة توفيت سنة سبع اى من الهجرة اى مرجعه من خيبر على ما تقدم (اقول) ذكر فى النور ان الحافظ مغلطاى له مؤلف فى اسـلام حليمة سماه التحفة الجسيمة فى اسـلام حليمة وذكر بعضهم انه صلى الله عليه وسلم لم ترضعه مرضعة الا واسلمت لكن هذا البعض قال ومرضعاته صلى الله عليه وسلم اربع امه وحليمة السعدية وثويبة وام أيمن ايضا وهو يؤيد ما تقدم عن ابن منده من اسلام ثويبة وأما اسـلام امه آمنة فسـيذكره وكون ام أيمن ارضعته صـلى الله عليه وسلم تقدم ما فيه والله سبحانه وتعالى أعلم

•(باب وفاة أمه صلى الله عليه وسلم وحضانة ام أيمن له وكفالة جده عبد المطلب اياه)•

اى اختصاصه بذلك ذكر ابن اسحق ان رسول الله صلى الله عليه وسـلم ماتت امه لما بلغ ست سنين وقيل كان سنه اربع سنين وبه صدر فى المواهب اى وهو يرد القول بان حليمة لما ردته الى أمه كان عمره خمس او ست سنين قال وقيل كان سنه صلى الله عليه وسلم سبع سنين وقيل ثمان وقيل تسع وقيل اثنتى عشرة وشهرا وعشرة أيام اه ووفاتها كانت بالابواء وهو محل بين مكة والمدينة اى وهو الى المدينة اقرب وسمى بذلك لان السيول تتبوأه اى تحل فيه ودفنت به فقد جاء انه صلى الله عليه وسلم لما مر بالابواء فى عمرة الحديبية قال ان الله أذن لمحمد فى زيارة قبر أمه فاتاه واصلحه وبكى عنده وبكى المسلمون لبكائه صلى الله عليه وسـلم وقيل له فى ذلك فقال ادركتنى رحمتها فبكيت وكان موتها وهى راجعة به صلى الله

ترى هذا كائنا ان الناس يبعثون بعد موتهم الى دار فيها جنة ونار يجزون فيها باعمالهم قال نعم والذى يحلف به ويود الشخص أن له بحظه من تلك النار أعظم تنور يحمونه ثم يدخلونه اياه فيطبقون عليه اى ويحمونه من تلك النار غدا فقالوا له ويحك وما آية ذلك قال نبى يبعث من نحو هذه البلاد وأشار بيده الى مكة واليمن قالوا ومن يراه فنظر الى وأنا من أحدثهم سنا فقال ان يستكمل هـذا الغلام عمره يدركه قال سلمة والله ماذهب الليل والنهار حتى بعث الله محمدا صـلى الله عليه وسلم وهو أى ذلك اليهودى بين أظهرنا فآمنا به وكفر بغيا وحسـدا فقلنا له ويحك يا فلان ألست الذى قلت لنا ما قلت قال بلى ولكن ليس به (ومن ذلك) ما جاء عن عمرو بن عبسـة السلمى رضى الله عنـه قال رغبت عن آلهة قومى فى الجاهلية اى تركت عبادتها قال فلقيت رجـلا من أهل الكتاب من أهل تيماء وهى قرية بين المدينـة والشام فقلت انى امرؤ ممن يعبـد الحجارة فترى الرجل منهم ليس معه اله فيخرج فيأتى باربعة احجار فيعين ثلاثة لقدره أى يستنجى بها ويجعـل أحسنها الها يعبده ثم لعله يجـد ما هو أحسن منـه شكلا قبل أن يرتحل فيتركه ويأخذ غيره واذا نزل منزلا سواه ورأى ما هو أحسن منـه تركه وأخـذ ذلك الاحسن فرأيت انه اله باطـل لا ينفع ولا يضر فدلنى على خير من هذا فقال يخرج من مكة رجل يرغب عن آلهة قومه ويدعو الى غيرها فاذا رأيت ذلك فاتبعه فانه يأتى بأفضل الدين فلم يكن لى همة منذ قال لى ذلك الا مكة آتى فأسأل هل حدث حدث فيقال لا ثم قدمت مرة فسألت فقيـل لى حدث رجل يرغب عن آلهة قومه ويدعو الى غيرها فشددت راحلتى برحلها ثم قدمت منزلى الذى كنت أنزله بمكة فسألت عنه فوجدته مستخفيا ووجدت قريشا عليه أشداء فتلطفت له حتى دخلت عليه فسألته اى شئ أنت قال نبى قلت من نبأك قال الله قلت وبم

أرسلك قال بعبادته وحده لاشريك له وبحقن الدماء وكسر الاوثان وصلة الرحم وأمان السبيل فقلت نعم ما أرسلت به قد آمنت بك وصدقتك أتأمرني ان أمكث معك أو انصرف فقال ألا ترى كراهة الناس ما جئت به فلا تستطيع ان تمكث معي كن في أهلك فاذا سمعت بي قد خرجت ١٤٠ مخرجا فاتبعني فكنت في أهلي حتى خرج الى المدينة فسرت اليه وقلت يا نبي الله أتعرفني قال نعم أنت السلمي الذي أتيتني بمكة (ومن ذلك) ما حدث به عاصم ابن عمرو بن قتادة عن رجال من قومه قالوا انما دعانا الى الاسلام مع رحمة الله او هداه ما نسمع من احبارهم ودكنا أهل شرك أصحاب أوثان وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور فاذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا قد تقارب زمان نبي يبعث [illegible]م قتل عاد وارم اى يستأصلكم بالقتل فكان كثيرا ما نسمع ذلك منهم فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أجبناه حين دعانا الى الله عزوجل وعرفنا ما كانوا يتواعدونا به فبادرناهم اليه فآمنا به وكفروا ففي ذلك نزلت هذه الآية فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين (ومن ذلك) ما حدث به شيخ من بني قريظة ان رجلا من يهود من أهل الشام يقال له ابن الهيبان قدم علينا قبل الاسلام بسنين فحل بين اظهرنا فوالله ما رأينا رجلا قط لا يصلي الخمس أفضل منه أى لا نظن أحدا من غير المسلمين أفضل منه لان المسلمين يصلون الخمس فلا نافية لا زائدة فأقام عندنا فكنا اذا قحط المطر أى حبس قلنا اخرج يا ابن الهيبان فاستسق لنا فيقول لا والله حتى تقدموا بين يدى نجواكم صدقة فنقول له كم فيقول صاعا من تمر ومدين من شعير فنخرجها ثم يخرج بنا الى ظاهر حرتنا فيستسقي انا فوالله ما يبرح من محله حتى يمر السحاب ونسقى قد فعل ذلك غير مرة اى لا مرة ولا مرتين ولا ثلاثا بل أكثر من ذلك ثم حضرته

عليه وسلم من المدينة من زيارة اخواله اى اخوال جده عبد المطلب لان ام عبد المطلب من بني عدى بن النجار كما تقدم بعد ان مكثت عندهم شهرا ومرضت في الطريق ومعها ام أيمن بركة الحبشية التي ورثها من ابيه عبد الله على ما تقدم فحضنته وجاءت به الى جده عبد المطلب اى بعد خمسة أيام من موت أمه فضمه اليه ورق عليه رقة لم يرقها على ولده هذا وفي كلام بعضهم وبقي النبي صلى الله عليه وسلم بعد موت أمه بالابواء حتى أتاه الخبر الى مكة وجاءت ام أيمن مولاة أبيه عبد الله فاحتملته وذلك لخامسة من موت امه فليتأمل وكون موت أمه صلى الله عليه وسلم كان في حياة عبد المطلب هو المشهور والذى لا يكاد يعرف غيره وبه يرد قول من قال ان موت عبد المطلب كان قبل موت أمه صلى الله عليه وسلم بسنتين اى وكان صلى الله عليه وسلم يقول لام أيمن انت أمي بعد أمي ويقول أم أيمن أمي بعد امي وفي القاموس دار رابغة بالغين المعجمة بمكة فيها مدفن أمه صلى الله عليه وسلم ولم اقف على محل تلك الدار من مكة قال وقيل توفيت اى دفنت بالحجون بشعب أبي ذؤيب وغلط قائله وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت حج بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فمر على عقبة الحجون وهو باك حزين مغتم فبكيت لبكائه ثم انه طفق اى شرع يقول يا حميراء استمسكي فاستندت الى جنب البعير فمكث عني طويلا ثم عاد الى وهو فرح متبسم فقلت له بأبي انت وأمي يا رسول الله نزلت من عندي وانت باك حزين مغتم فبكيت لبكائك ثم انك عدت الى وانت فرح متبسم فم ذاك قال ذهبت لقبر أمي فسألت ربي ان يحييها فأحياها فآمنت وردها الله تعالى وهذا الحديث قد حكم بضعفه جماعة منهم الحافظ أبو الفضل بن ناصر الدين والجوزقاني وابن الجوزي والذهبي في الميزان واقره على ذلك الحافظ ابن حجر في لسان الميزان وجعله ابن شاهين ومن تبعه ناسخا الاحاديث النهي عن الاستغفار اى لها منها ما جاء انه صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة اى ولعله في عمرة القضاء لانه لم يقدم مكة نهارا مع أصحابه قبل حجة الوداع الا في ذلك أتى رسم قبر أمه فجلس اليه فناجاه طويلا ثم بكى قال ابن مسعود فبكينا لبكائه صلى الله عليه وسلم ثم قام ثم دعانا فقال ما أبكاكم قلنا بكينا لبكائك فقال ان القبر الذى جلست عنده قبر آمنة الحديث وفي رواية اتى قبر أمه فجلس اليه فجعل يخاطبه ثم قام مستعبرا فقال بعض الصحابة يا رسول الله قد رأينا ما صنعت قال اني استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فاذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي وفي رواية ان جبريل عليه السلام ضرب في صدره صلى الله عليه وسلم وقال لا تستغفر لمن مات مشركا فما روي

الوفاة عندنا فلما عرف انه ميت قال يا معشر يهود ما ترونه أخرجني من أهل الخمر والخمير الى أرض البؤس والجوع فقلنا أنت اعلم قال انما قدمت هذه الارض أتوكف اى اتوقع خروج نبي قد اظل زمانه اى اقبل وقرب كأنه لقربه أظلهم اى ألقى عليهم ظله وهذه البلاد مهاجره وكنت أرجو ان يبعث فاتبعه وقد أظلكم زمانه فلا تسبقن اليه يا معشر يهود فانه يبعث بسفك الدماء وسبي الذراري والنساء ممن خالفه فلا يمنعنكم ذلك منه فلما بعث الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم وحاصر بني قريظة قال لهم نفر من هذل اخوة بني قريظة وهم ثعلبة ابن سعيد وأسد بن سعيد ويقال أسيد بالتصغير واسد بن عبيد وكانوا شبابا احداثا يا بني قريظة والله انه لهو بصفته فنزلوا واسلموا فأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهليهم (ومن ذلك) خبر العباس رضي الله عنه قال خرجت في تجارة الى اليمن في ركب فيه ابو سفيان بن حرب فورد كتاب حنظلة بن ابي سفيان ان محمدا قائم في ابطح يقول انا رسول الله ادعوكم الى الله ففشا ذلك في مجالس أهل اليمن فجاءنا حبر من اليهود فقال بلغني ان فيكم عم هذا الرجل الذي قال ما قال قال العباس فقلت نعم قال نشدتك الله هل كان لابن اخيك صبوة قلت لا والله ولا كذب ولا خان وما كان اسمه عند قريش الا الامين قال هل كتب بيده فأردت ان أقول نعم فخشيت من ابي سفيان أن يكذبني ويرد علي فقلت لا يكتب فوثب الحبر وترك رداءه وقال ذبحت اليهود وقتلت اليهود قال العباس فلما رجعنا الى منزلنا قال ابو سفيان يا ابا الفضل ان يهود تفزع من ابن أخيك فقلت قد رأيت لعلك تؤمن به قال لا أومن به حتى أرى الخيل في كداء اى بالفتح والمد قلت ما تقول قال كلمة جاءت على في الا اني اعلم ان الله لا يترك خيلا تطلع على كداء قال العباس فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ونظر

باكيا أكثر منه يومئذ وفي رواية استأذنته في الدعاء لها اى بالاستغفار فلم يأذن لي وانزل علي ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى فأخذني ما يأخذ الولد للوالد قال القاضي عياض بكاؤه صلى الله عليه وسلم على ما فاتها من ادراك ايامه والايمان به اى النافع اجماعا وكونه ناسخا لذلك غير جيد لان أحاديث النهي عن الاستغفار بعض طرقها صحيح رواه مسلم وابن حبان في صحيحيهما ونص مسلم استأذنت ربي ان استغفر لامي فلم يأذن لي واستأذنته في ان أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فانها تذكر الآخرة * وفي لفظ تذكركم الموت وهذا الحديث اى حديث عائشة رضي الله تعالى عنها على تسليم ضعفه اى دون وضعه لا يكون ناسخا للاحاديث الصحيحة (أقول) ذكر الواحدي في أسباب النزول ان آيتي ما كان للنبي والذين آمنوا وما كان استغفار ابراهيم لابيه نزلتا لما استغفر صلى الله عليه وسلم لعمه ابي طالب بعد موته فقال المسلمون ما يمنعنا ان نستغفر لآبائنا ولذي قرابتنا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لعمه وقد استغفر ابراهيم لابيه اى فنزولهما كان عقب موت ابي طالب لا يقال جاز ان تكون آية ما كان للنبي تكرر نزولها لما استغفر صلى الله عليه وسلم لعمه ولما استغفر لامه لانا نقول كونه يعود للاستغفار بعد ان نهي عنه فيه ما فيه أو المراد بالنسخ المعارضة يعني قول ابن شاهين انه ناسخ أحاديث النهي عن الاستغفار اى معارض لها اذ لا معنى للنسخ هنا على انه لا معارضة لان النهي عن الاستغفار لها كان قبل أن تؤمن واذا ثبت ما تقدم عن عائشة رضي الله تعالى عنها وما بعده كان دليلا لمن يقول قبر أمه صلى الله عليه وسلم بمكة وعلى كونها دفنت بالابواء اقتصر الحافظ الدمياطي في سيرته وكذا ابن هشام في سيرته وفي الوفاء عن ابن سعد ان كون قبرها بمكة غلط وانما قبرها بالابواء وقد يقال على تقدير صحة الحديثين اى انها دفنت بالابواء وانها دفنت بمكة يجوز انها تكون دفنت أولا بالابواء ثم نقلت من ذلك المحل الى مكة فعلم ان بكاءه صلى الله عليه وسلم كان قبل أن يحييها الله له وتؤمن به ومن ثم قال الحافظ السيوطي ان هذا الحديث اى حديث عائشة قيل انه موضوع لكن الصواب ضعفه لا وضعه هذا كلامه ويجوز أن يكون قوله للشخصين أمي وأمكما في النار على تقدير صحته التي ادعاها الحاكم في المستدرك كان قبل احيائها وايمانها به كما تقدم نظير ذلك في أبيه صلى الله عليه وسلم وقولنا على تقدير صحة الحديث اشارة لما تقرر في علوم الحديث انه لا يقبل تفرد الحاكم بالتصحيح في المستدرك لما عرف من تساهله فيه في التصحيح وقد بين الذهبي ضعف

ابو سفيان الى الخيل قد طلعت من كداء قلت يا ابا سفيان تذكر تلك الكلمة قال اى والله انى لاذكرها *(ومن ذلك)* ما جاء عن أمية بن ابى الصلت الثقفى قال لابى سفيان انى لاجد فى الكتب صفة نبى يبعث فى بلادنا فكنت اظن انى هو وكنت اتحدث بذلك ثم ظهر لى انه من بنى عبد مناف فنظرت ١٤٢ فلم أجد من هو متصف باخلاقه الا عتبة بن ربيعة الا انه قد جاوز الاربعين ولم يوح اليه فعرفت انه غيره قال ابو سفيان فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم قلت لامية فقال أمية اما انه حق فاتبعه فقلت له فما يمنعك قال الحياء من نساء ثقيف انى كنت أخبرهن انى هو فكيف الآن أتبع فتى من بنى عبد مناف (واما اخبار الرهبان) من النصارى فمنها ما تقدم ذكره ومنها خبر طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه قال حضرت سوق بصرى فاذا راهب فى صومعته يقول سلوا اهل فيكم احد من أهل الحرم فقلت نعم انا قال هل ظهر احمد قلت ومن احمد قال ابن عبد الله بن عبد المطلب هذا شهره الذى يخرج فيه اى يبعث فيه وهو آخر الانبياء مخرجه من الحرم ومهاجره الى نخل وحرة وسباخ فاياك أن تسبق اليه قال طلحة فوقع فى قلبى ما قال الراهب فلما قدمت مكة حدثت ابا بكر رضى الله عنه فخرج ابو بكر حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فسر بذلك وأسلم طلحة فاخذ نوفل بن العدوية ابا بكر وطلحة فشدهما فى حبل فلذلك سميا القرينين *(ومنها)* ما حدث به سعيد بن العاص بن سعيد قال لما قتل ابى العاص يوم بدر كنت فى حجر عمى ابان بن سعيد وكان يكثر السب قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج تاجرا الى الشام فمكث سنة ثم قدم فاول شئ سأل عنه ان قال ما فعل محمد قال له عمى عبد الله ابن سعيد هو والله اعز ما كان واعلاه فسكت ولم يسبه كما كان يسبه ثم صنع طعاما وارسل الى سراة بنى أمية اى اشرافهم فقال

هذا الحديث وحلف على عدم صحته يمينا وتقدم الجواب عما يقال كيف ينفع الايمان بعد الموت وتقدم ما فيه على ان هذا اى منع الاستغفار لها انما يأتى على القول بأن من بدل أو غير أو عبد الاصنام من أهل الفترة معذب وهو قول ضعيف مبنى على وجوب الايمان والتوحيد بالعقل والذى عليه أكثر أهل السنة والجماعة انه لا يجب ذلك الا بارسال الرسل ومن المقررات العرب لم يرسل اليهم رسول بعد اسمعيل وان اسمعيل انتهت رسالته بموته كبقية الرسل لان ثبوت الرسالة بعد الموت من خصائص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فعليه أهل الفترة من العرب لا تعذيب عليهم وان غيروا أو بدلوا أو عبدوا الاصنام والاحاديث الواردة بتعذيب من ذكر اى من غير أو بدل أو عبد الاصنام مؤولة أو خرجت مخرج الزجر للحمل على الاسلام ثم رأيت بعضهم رجح ان التكليف بوجوب الايمان بالله تعالى وتوحيده اى بعدم عبادة الاصنام يكفى فيه وجود رسول دعا الى ذلك وان لم يكن ذلك الرسول مرسلا لذلك الشخص بان لم يدرك زمنه حيث بلغه انه دعا الى ذلك أو أمكنه علم ذلك وان التكليف بغير ذلك من الفروع لا بد فيه من ان يكون ذلك الرسول مرسلا لذلك الشخص وقد بلغته دعوته وعلى هذا فمن لم يدرك زمن نبينا صلى الله عليه وسلم ولا زمن من قبله من الرسل معذب على الاشراك بالله بعبادة الاصنام لانه على فرض ان لا تبلغه دعوة أحد من الرسل السابقين الى الايمان بالله وتوحيده لكنه كان متمكنا من علم ذلك فهو تعذيب بعد بعث الرسل لا قبله وحينئذ لا يشكل ما أخرجه الطبرانى فى الاوسط بسند صحيح عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما بعث الله نبيا الى قوم ثم قبضه الا جعل بعده فترة يملأ من تلك الفترة جهنم ولعل المراد المبالغة فى الكثرة والا فقد أخرج الشيخان عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوى بعضها الى بعض وتقول قط قط اى حسبى بعزتك وكرمك وأما بالنسبة لغير الايمان والتوحيد من الفروع فلا تعذيب على تلك الفروع لعدم بعثة رسول اليهم فاهل الفترة وان كانوا مقرين بالله الا انهم اشركوا بعبادة الاصنام فقد حكى الله تعالى عنهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقد جاء النهى عن ذلك على ألسنة الرسل السابقين ووجه التفرقة بين الايمان والتوحيد وغير ذلك ان الشرائع بالنسبة للايمان بالله وتوحيده كالشريعة الواحدة لاتفاق جميع الشرائع عليه قيل وهو المراد من قوله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا فقد

قال بعضهم المراد من الآية استواء الشرائع كلها في أصل التوحيد اي ومن ثم قال في تمام الآية ولا تتفرقوا فيه وقال لقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره وقال والى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ومن ثم قاتل بعض الانبياء غير قومه على الشرك بعبادة الاصنام ولو لم يكن الايمان والتوحيد لازما لهم لم يقاتلهم بخلاف غيره من الفروع فان الشرائع فيها مختلفة قال بعضهم سبب اختلاف الشرائع اختلاف الامم في الاستعداد والقابلية والدليل على أن الانبياء متفقون على الايمان والتوحيد ما جاء انه صلى الله عليه وسلم قال الانبياء أولاد علات اي أصل دينهم واحد وهو التوحيد وان اختلفت فروع شرائعهم لان العلات الضرائر فأولادهم اخوة من الاب وامهاتهم مختلفة وقد جاء هذا التفسير في نفس الحديث ففي بعض الروايات الانبياء اخوة من علات أمهاتهم شتى ودينهم واحد وبه يعلم ما في كلام العلامة ابن حجر الهيتمي حيث ذكر ان الحق الواضح الذي لا غبار عليه ان أهل الفترة جميعهم ناجون وهم من لم يرسل اليهم رسول يكلفهم بالايمان بالله عز وجل فالعرب حتى في زمن أنبياء بني اسرائيل أهل فترة لان تلك الرسل لم يؤمروا بدعايتهم الى الله تعالى وتعليمهم الايمان قال نعم من ورد فيه حديث صحيح من أهل الفترة بانه من أهل النار فان أمكن تأويله فذاك والا لزمنا ان نؤمن بهذا الفرد بخصوصه قال وأما قول الفخر الرازي لم تزل دعوة الرسل الى التوحيد معلومة فجوابه ان كل رسول انما أرسل الى قوم مخصوصين فمن لم يرسل اليه لا يعذب وجواب ما صح من تعذيب أهل الفترة انها اخبار آحاد فلا تعارض القطع أو يقصر التعذيب على ذلك الفرد بخصوصه اي حيث لا يقبل التأويل كما تقدم هذا كلامه هذا وقد جاء انهم اي أهل الفترة يمتحنون يوم القيامة فقد أخرج البزار عن ثوبان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة جاء أهل الجاهلية يحملون أوثانهم على ظهورهم فيسألهم ربهم فيقولون ربنا لم ترسل لنا رسولا ولم يأتنا لك أمر ولو أرسلت الينا رسولا لكنا أطوع عبادك فيقول لهم ربهم أرأيتم ان أمرتكم بان تطيعوني فيأخذ على ذلك مواثيقهم فيرسل اليهم ان ادخلوا النار فينطلقون حتى اذا رأوها فرقوا فرجعوا فقالوا ربنا فرقنا منها ولا نستطيع ان ندخلها فيقول ادخلوها داخرين فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو دخلوها أول مرة كانت عليهم بردا وسلاما قال الحافظ ابن حجر فالظن بآله صلى الله عليه وسلم يعني الذين ماتوا قبل البعثة انهم يطيعون عند الامتحان اكراما له صلى الله عليه وسلم لتقر

لهم اني كنت بقرية فرأيت بها راهبا يقال له بكالم ينزل الى الارض منذ أربعين سنة اي من صومعته فنزل يوما فاجتمعوا ينظرون اليه فجئت فقلت ان لي حاجة فقال ممن الرجل فقلت اني من قريش وان رجلا هنالك يزعم أن الله أرسله قال ما اسمه فقلت محمد قال كم منذ خرج فقلت عشرين سنة فقال ألا أصفه لك قلت بلى فوصفه فما أخطأ في صفته شيئا ثم قال لي هو والله نبي هذه الامة والله ليظهرن ثم دخل صومعته وقال اقرأ لي عليه السلام وكان ذلك في زمن الحديبية لانها كانت سنة ست من الهجرة فالعشرون تقريب *(ومنها)* ما حدث به حكيم بن حزام رضي الله عنه قال دخلنا الشام لتجارة قبل ان اسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فأرسل الينا ملك الروم فجئناه فقال من اي العرب أنتم من هذا الذي يزعم انه نبي قال فقلت يجمعني واياه الجد الخامس فقال هل أنتم صادقي فيما أسألكم عنه فقلنا نعم فقال هل أنتم ممن اتبعه أم ممن رد عليه فقلنا ممن رد عليه وعاداه فسألنا عن أشياء مما جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرناه ثم نهض واستنهضنا معه فأتى محلا في قصره وأمر بفتحه وجاء الى ستر فأمر بكشفه فاذا صورة رجل قال أتعرفون من هذه صورته قلنا لا قال هذه صورة آدم ثم تتبع أبوابا يفتحها ويكشف عن صور الانبياء ويقول هذا صاحبكم فنقول لا فيقول هذه صورة فلان حتى فتح بابا وكشف عن صورة فقال أتعرفون هذا قلنا نعم هذه صورة محمد بن عبد الله صاحبنا قال اتدرون متى صورت هذه الصورة قلنا لا قال منذ ألف سنة وان صاحبكم لنبي مرسل فاتبعوه ولوددت اني عنده فأشرب غسالة قدميه (ووقع) نظير ذلك لجبير بن مطعم وانه راى صورة ابي بكر رضي الله عنه آخذة بعقب تلك الصورة وكذا صورة عمر آخذة بعقب ابي بكر فقال هل تعرفون الذي أخذ بعقبه قلنا هو ابو بكر فقال هل تعرفون

عينه ويرجوان يدخل عبد المطلب الجنة فى جماعة من يدخلها الا أنما الا أبا طالب فانه ادرك البعثة ولم يؤمن به اى بعد ان طلب منه الايمان * ومما استدل به الحافظ السيوطى على أن أبويه صلى الله عليه وسلم ليسا فى النار قال لانهما لو كانا فى النار لكانا أهون عذابا من أبى طالب لانهما أقرب منه وأبسط عذرا لانهما لم يدركا البعثة ولا عرض عليهما الاسلام فامتنعا بخلاف أبى طالب وقد أخبر الصادق صلى الله عليه وسلم انه اهون أهل النار عذابا فليسا أبواه صلى الله عليه وسلم من أهلها قال وهذا يسمى عند أهل الاصول دلالة الاشارة وكان يوضع لعبد المطلب فراش فى ظل الكعبة لا يجلس عليه أحد من أهل بيته اى ولا أحد من اشراف قريش أجلالا له فكان بنوه وسادات قريش يحدقون به فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى وهو غلام جفر اى شديد قوى حتى يجلس عليه فيأخذه اعمامه ليؤخروه عنه فيقول عبد المطلب اذا رأى اى علم ذلك منهم دعوا ابنى فوالله ان له لشأنا ثم يجلسه عليه معه ويمسح ظهره ويسره ما يراه يصنع قال وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما دعوا ابنى يجلس فانه يحس من نفسه بشئ اى بشرف وارجوان يبلغ من الشرف مالم يبلغه به عربى قبله ولا بعده وفى رواية دعوا ابنى انه ليؤنس ملكا اى يعلم من نفسه ان له ملكا وفى لفظ ردوا ابنى الى مجلسى فانه تحدثه نفسه بملك عظيم وسيكون له شأن وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال سمعت أبى يقول كان لعبد المطلب مفرش فى الحجر لا يجلس عليه غيره وكان حرب بن أمية فمن دونه من عظماء قريش يجلسون حوله دون المفرش فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وهو غلام لم يبلغ الحلم فجلس على المفرش فجذبه رجل فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد المطلب وذلك بعد ما كف بصره مالابنى يبكى قالوا له أراد أن يجلس على المفرش فمنعوه فقال عبد المطلب دعوا ابنى يجلس عليه فانه يحس من نفسه بشرف اى يتيقن فى نفسه شرفا وارجوان يبلغ من الشرف مالم يبلغه عربى قبله ولا بعده اى فكانوا بعد ذلك لا يردونه عنه حضر عبد المطلب أو غاب اى ولعل هذا كان فى آخر الامر فلا ينافى ما تقدم الدال ظاهرا على تكرر ذلك منه صلى الله عليه وسلم من اختلاف قول عبد المطلب والا فيحتمل أن اختلاف قول عبد المطلب جاء من اختلاف الرواة وقال لعبد المطلب قوم من بنى مدلج اى وهم القافة العارفون بالآثار والعلامات احتفظ به فانا لم نر قدما اشبه بالقدم التى فى المقام منه اى وهى قدم ابراهيم عليه الصلاة والسلام (اقول) اى فان ابراهيم عليه الصلاة والسلام اثرت قدماه فى المقام وهو الحجر الذى

كان

الذى أخذ بعقبه قلنا هو عمر بن الخطاب قال أشهد ان هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وان هذا هو الخليفة من بعده (ومنها) ماحدث به سلمان الفارسى رضى الله عنه قال كنت رجلا فارسيا من اهل اصبهان من قرية يقال لها جى بفتح الجيم وشد الياء وفى لفظ من قرية من قرى الاهواز يقال لها رامهرمز وفى لفظ ولدت برامهرمز وبها انشأت واما ابى فمن اصبهان وكان ابى دهقان قريته اى كبير اهل قريته وكنت أحب خلق الله الى ابى لم يزل حبه اياى حتى حبسنى فى بيت كما تحبس الجارية واجتهدت فى المجوسية حتى كنت قطن النار اى قاطنها بمعنى خادمها الذى يوقدها لا يتركها تخبو اى تطفأ ساعة وكانت لابى ضيعة عظيمة فشغل عنها فى بنيان له يوما فقال لى يا بنى انى قد شغلت فى بنيانى هذا اليوم فاذهب الى الضيعة وأمرنى فيها ببعض ما يريد ثم قال لى ولا تحتبس عنى فانك ان احتبست عنى كنت اهم الى من ضيعتى وشغلتنى عن كل شئ من امرى فخرجت اريد ضيعته التى امرنى بها او بعثنى اليها فمررت بكنيسة من كنائس النصارى فسمعت اصواتهم فيها وهم يصلون وكنت لا ادرى ما امر الناس لحبس ابى اياى فى بيته فلما سمعت اصواتهم دخلت عليهم انظر ماذا يصنعون فلما رأيتهم أعجبتنى صلاتهم ورغبت فى امرهم وقلت والله هذا خير من الذى نحن فيه فوالله ما برحت عنهم حتى غربت الشمس وتركت ضيعة ابى فلم آتها ثم قلت لهم أين اصل هذا الدين قالوا بالشام فرجعت الى ابى وقد بعث فى طلبى وشغلته عن عمله كله فلما جئته قال اى بنى اين كنت ألم أكن عهدت اليك ما عهدت قلت يا ابت مررت بناس يصلون فى كنيسة لهم فأعجبنى ما رأيته من دينهم فوالله مازلت عندهم حتى غربت الشمس قال اى بنى ليس فى ذلك الدين خير دينك ودين آبائك خير منه فقلت له كلا والله انه لخير من ديننا فخاف منى

أن اهرب فجعل في رجلي قيدا ثم حبسني في بيته وبعثت الى النصارى قلت لهم اذا قدم عليكم ركب من الشام فأخبروني بهم فقدم عليهم تجار من النصارى فأخبروني فقلت لهم اذا قضوا حوائجهم وارادوا الرجعة فأخبروني بهم فأخبروني فألقيت الحديد من رجلي ثم قدمت معهم الى الشام فلما قدمتها قلت من أجل هذا الدين علما قالوا الاسقف في الكنيسة والاسقف بتخفيف الفاء وتشديدها هو عالم النصارى ورئيسهم في الدين فجئته فقلت له اني قد رغبت في هذا الدين وأحببت أن أكون معك فأخدمك في كنيستك وأتعلم منك وأصلي معك قال ادخل فدخلت معه فكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها فاذا جمعوا اليه شيأ منها اكتنزها لنفسه ولم يعطها المساكين حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق فأبغضته بغضا شديدا لما رأيت منه ثم مات فاجتمعت النصارى ليدفنوه فقلت لهم ان هذا رجل سوء يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها فاذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها شيأ فقالوا لي وما علمك بذلك فقلت انا أدلكم على كنزه فأريتهم موضعه فاستخرجوا سبع قلال مملوأة ذهبا وورقا وفي رواية وجدوا ثلاثة قماقم فيها نصف أردب فضة فلما رأوها قالوا والله لا ندفنه أبدا فصلبوه ورموه بالحجارة ولم يصلوا عليه صلاتهم مع أن هذا الراهب كان يصوم الدهر وكان نقيا من الشهوات ومن ثم قال في الفتوحات المكية اجمع اهل كل ملة على ان الزهد في الدنيا مطلوب وقالوا ان الفراغ من الدنيا احب لكل عاقل خوفا عليه من الدنيا التي حذرنا الله منها بقوله انما أموالكم وأولادكم فتنة قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني رحمه الله ومن قواعد الرهبان أنهم لا يدخرون قوت الغد ولا يكنزون ذهبا ولا فضة وقال رأيت شخصا قال لراهب انظر لي هذا الدينار هو

كان يقوم عليه عند بناء البيت كما سيأتي وهو الذي يزار الآن بالمكان الذي يقال له مقام ابراهيم اي وقد أشار الى ذلك عمه أبو طالب في قصيدته بقوله فيها

وبالحجر المسود اذ يلثمونه * اذا اكتنفوه في الضحى والاصائل
وموطئ ابراهيم في الصخر رطبة * على قدميه حافيا غير ناعل

قال الحافظ ابن كثير يعني ان رجله الكريمة غاصت في الصخرة فصارت على قدر قدمه حافية لا منتعلة * وعن أنس رضي الله تعالى عنه رأيت في المقام اثر أصابع ابراهيم وعقبه واخمص قدميه غير ان مسح الناس بأيديهم اذهب ذلك أي ومشابهة قدمه صلى الله عليه وسلم لقدم سيدنا ابراهيم تدل على ان تلك الاقدام بعضها من بعض كما تقدم في قول مجزز المدلجي في زيد بن أسامة رضي الله عنهما وقد ناما وغطيا رؤسهما وبدت اقدامهما ان هذه الاقدام بعضها من بعض فسر بذلك صلى الله عليه وسلم لان في ذلك ردا على من كان يطعن في نسب اسامة بن زيد كما تقدم (وذكر) بعضهم ان نبينا صلى الله عليه وسلم اثر قدمه في الحجر أيضا فقد أثر في صخرة بيت المقدس ليلة الاسراء وان ذلك الاثر موجود الى الآن وذكر الجلال السيوطي انه لم يقف لذلك اي لتأثير قدمه صلى الله عليه وسلم في الحجر على اصل ولا سند قال ولا رأيت من خرجه في شيء من كتب الحديث وقال مثل ذلك فيما اشتهر على الالسنة من ان مرفقه الشريف لما ألصقه بالحائط غاص في الحجر وأثر فيه وبه يسمى ذلك المحل بمكة بزقاق المرفق ومن العجب ان الجلال السيوطي مع قوله المذكور قال في الخصائص الصغرى ولا وطئ على صخر الا وأثر فيه هذا كلامه ولعله ظهر له صحة ذلك بعد انكاره ودعوى انه صلى الله عليه وسلم ما وطئ على صخر الا واثر فيه قد يتوقف فيه ثم رأيت الامام السبكي ذكر تأثير قدمه الشريف في الاحجار حيث قال في تائيته

واثر في الاحجار مشيك ثم لم * يؤثر برمل أو ببطحاء رطبة

قال شارحها ولعل عدم تأثير قدمه الشريف في الرمل كان ليلة ذهابه صلى الله عليه وسلم الى الغار أي فليس كان هذا شأنه في كل رمل مشى عليه وكان صلى الله عليه وسلم اذا رفع قدمه عن الرمل يقول لابي بكر ضع قدمك موضع قدمي فان الرمل لا ينم أراد به اخفاء أثر سيره ليتحير المشركون في طلبه وفيه ان هذا التعليل مقتض لتأثير قدمه الشريف في الرمل لا لعدم تأثيره في ذلك ويؤيد ذلك أنه سيأتي أنهم قصوا أثره الى ان انقطع الاثر عند الغار اي وقال لهم القائف هذا أثر قدم ابن ابي قحافة واما القدم الآخر

من ضرب اى الملوك فلم يرض وقال انظر الى الدينار منهى عنه عندنا قال ورأيت الرهبان مرة وهم يسحبون شخصا ويخرجونه من الكنيسة و يقولون له أتلفت علينا الرهبان فسألت عن ذلك فقالوا رأوا انه قامر بوطاعلى عاتقه فقلت ربط الدرهم مذموم فقالوا نعم عندنا وعند نبيكم صلى الله عليه وسلم قال سلمان وعند ذلك جاؤا برجل آخر وجعلوه مكانه فما رأيت رجلا لا يصلى الخمس أرى انه أفضل منه اى لا أظن أحدا من غير المسلمين افضل منه ولا ازهد فى الدنيا ولا ارغب فى الآخرة ولا أدأب ليلا ونهارا فأحببته حبا شديدا لم احبه شيأ قبله فأقمت معه زمانا حتى حضرته الوفاة فقلت له يافلان انى كنت معك وأحببتك حبا لم احبه شيأ قبلك وقد حضرك من أمر الله ماترى فالى من توصى بى قال أى بنى والله ما اعلم احدا على ما كنت عليه ولقد هلك الناس وبدلوا وتركوا اكثر ما كانوا عليه الا رجلا بالموصل وهو فلان فهو على ما كنت عليه فلما مات ودفن لحقت بصاحب الموصل فاخبرته خبرى وما امرنى به صاحبى فقال أقم عندى فأقمت عنده فوجدته على امر صاحبه فأقمت عنده خير رجل فلما احتضر قلت يافلان ان فلانا اوصى بى اليك وامرنى باللحوق بك وقد حضرك من امر الله ماترى فالى من توصى بى وبم تأمرنى قال يابنى والله ما اعلم رجلا على ما كنت عليه الا رجلا بنصيبين وهو فلان فالحق به فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيبين فأخبرته خبرى وما امرنى به صاحبى فقال اقم عندى فأقمت عنده فوجدته على امر صاحبيه فأقمت مع خير رجل فوالله مالبثت أن نزل به الموت فلما احتضر قلت له يافلان ان فلانا اوصى بى الى فلان ثم ان فلانا اوصى بى اليك فالى من توصى بى والى من تأمرنى فقلت فقال يابنى والله ما اعلم بقى احد على امرنا آمرك ان تأتيه الا رجلا بعمورية من ارض الروم فانه على مثل مانحن عليه فان

فلا اعرفه الا انه يشبه القدم الذى فى المقام يعنى مقام ابراهيم فقالت قريش ما وراء هذا شئ اى محل كما سيأتى وفيه أن هذا اى تميز قدمه الشريف من قدم سيدنا أبى بكر ربما ينافيه قوله لابى بكر ضع قدمك موضع قدمى فان الرمل لا ينم وقد يقال لا منافاة لانه يجوز ان يكون قدم ابى بكر لم يكن مساويا لقدمه صلى الله عليه وسلم ولا يضر فى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فان الرمل لا ينم لجواز ان يكون المراد لا يظهر فيه قدمى ظهورا بينا فصح قول القائف هذا أثر قدم ابن ابى قحافة واما القدم الآخر الى آخره ولم يعترض هذا الشارح على تأثير قدمه صلى الله عليه وسلم فى الحجارة بل أبدى لذلك حكما لا بأس بها فلتراجع وقوله فى الاحجار يدل على أنه تكرر تأثير قدمه الشريف فى الاحجار ولكن لم يكن ذلك شأنه صلى الله عليه وسلم فى كل حجر مشى عليه كما دلت عليه عبارة الجلال السيوطى والله أعلم * قال وبينا عبد المطلب يوما فى الحجر وعنده اسقف نجران والاسقف رئيس النصارى فى دينهم اشتق من السقف بالتحريك وهو طول الانحناء لانه يتخاشع اى يظهر الخشوع وذلك الاسقف يحادثه ويقول له انا نجد صفة نبى بقى من ولد اسمعيل وهذا البلد مولده ومن صفته كذا وكذا وأتى برسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر اليه الاسقف والى عينيه والى ظهره والى قدميه وقال هو هذا ماهذا منك قال هذا ابنى قال ما نجد أباه حيا قال هو ابن ابنى وقد مات ابوه وامه حبلى به قال صدقت فقال عبد المطلب لبنيه تحفظوا بابن اخيكم الا تسمعون ما يقال فيه انتهى * وعن ام أيمن كنت أحضن النبى صلى الله عليه وسلم اى أقوم بتربيته وحفظه فغفلت عنه يوما فلم ادر الا بعبد المطلب قائما على رأسى يقول يابركة قلت لبيك قال اتدرين أين وجدت ابنى قلت لا ادرى قال وجدته مع غلمان قريبا من السدرة لا تغفلى عن ابنى فان أهل الكتاب اى ومنهم سيف ابن ذى يزن كما سيأتى يزعمون انه نبى هذه الامة وأنا لا آمن عليه منهم وكان لا يأكل يعنى عبد المطلب طعاما الا يقول على بابنى اى أحضروه قال وكان عبد المطلب اذا اتى بطعام أجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنبه وربما اقعده على فخذه فيؤثره بأطيب طعامه انتهى * وعن بعضهم اى وهو حيدة بن معاوية العامرى كان من المعمرين وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلم قال بعضهم مات وهو ابن ألف رجل وامرأة قال حججت فى الجاهلية فبينا أنا أطوف بالبيت اذا رجل وفى رواية اذا شيخ طويل يطوف بالبيت وهو يقول * رد الى راكبى محمدا * وفى رواية

يارب ردرا كبى محمدا * اردده ربى واصطنع عندى يدا

أحببت فأته فلما مات ودفن لحقت بصاحب عمورية واخبرته خبرى فقال أقم عندى فأقمت عند خير رجل على هدى اصحابه
وامرهم فاكتسبت حتى كان لى بقرات وغنيمة ثم نزل به امر الله تعالى فلما احتضر قلت له يا فلان انى كنت مع فلان فأوصى بى
الى فلان ثم اوصى بى فلان الى فلان ثم اوصى بى فلان اليك فالى من توصى بى وبم تأمرنى فقال اى بنى والله ما اعلم
اصبح على ما كنا عليه أحد من الناس آمرك أن تأتيه ولكنه قد اظل اى أقبل وقرب زمان نبى مبعوث بدين ابراهيم يخرج بأرض العرب مهاجره الى أرض بين حرتين بينهما نخل له علامات يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة بين كتفيه خاتم النبوة فان استطعت ان تلحق بتلك البلاد فافعل ثم مات ودفن وهذا السياق يدل على ان الذين اجتمع بهم من النصارى على دين عيسى عليه السلام أربعة وفى كلام السهيلى انهم ثلاثون وقيل اربعة وعشرون قال سلمان ثم مر بى نفر من كلب تجار فقلت لهم احملونى الى ارض العرب واعطيكم بقراتى هذه وغنمى هذه فقالوا نعم فأعطيتهموها فحملونى حتى اذا بلغوا بى وادى القرى وهو محل من أعمال المدينة المنورة ظلمونى فباعونى من رجل يهودى فكنت عنده فرأيت النخل فرجوت ان يكون البلد الذى وصف لى صاحبى ولم يحقق ذلك فبينا انا عنده اذ قدم عليه ابن عم له من بنى قريظة من المدينة فابتاعنى منه فحملنى الى المدينة فوالله ما هو الا ان رأيتها فعرفتها
اى تحققتها بصفة صاحبى فأقمت بها او بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر مع ما انا فيه من شغل
الرق ثم هاجر الى المدينة فوالله انى لفى عذق اى نخل لسيدى أعمل فيه بعض العمل وسيدى جالس تحتى اذ أقبل ابن عم له حتى
وقف عليه فقال يا فلان قاتل الله بنى قيلة اى وهم الاوس والخزرج لان قيلة امهم والله انهم الآن مجتمعون بقباء على رجل

فقلت من هذا قالوا عبد المطلب بن هاشم بعث ابن ابنه فى طلب ابل له ضلت وما بعثه فى شئ الا جاء به قال وفى رواية هذا سيد قريش عبد المطلب له ابل كثيرة فاذا ضل منها شئ بعث فيه بنيه يطلبونها فاذا غابوا بعث ابن ابنه ولم يبعثه فى حاجة الا انجح فيها وقد بعثه فى حاجة اعيا عنها بنوه وقد أبطأ عليه انتهى فما برحت اى مازلت عن مكانى حتى جاء بالابل معه فقال له يا بنى حزنت عليك حزنا لا يفارقنى بعده أبدا وتقدم عن بعض المفسرين ما لا يحتاج الى اعادته هنا (وعن رقيقة) بنت أبى صيفى اى ابن هاشم بن عبد مناف زوجة عبد المطلب ذكرها ابن سعد فى المسلمات المهاجرات (أقول) وقال أبو نعيم لا أراها ادركت الاسلام وقال ابن حبان يقال ان لها صحبة والله أعلم قالت تتابعت على قريش سنون اى أزمنة قحط وجدب ذهبت بالاموال واشفين اى أشرفن على الانفس قالت فسمعت قائلا يقول فى المنام يا معشر قريش ان هذا النبى المبعوث منكم هذا ابان اى وقت خروجه وبه يأتيكم الحيا اى بالقصر المطر العام والخصب فانظروا رجلا من أوساطكم اى اشرافكم نسبا طوالا عظاما أى طويلا عظيما أبيض مقرون الحاجبين اهدب الاشفار أى طويل شعر الاجفان أسيل الخدين اى لا نتو بهما رقيق العرنين اى الانف وقيل أوله فليخرج هو وجميع ولده وليخرج منكم من كل بطن رجل فيتطهروا ويتطيبوا ثم استلموا الركن ثم ارقوا الى رأس ابى قبيس ثم يتقدم هذا الرجل فيستسقى وتؤمنون فانكم تسقون فاصبحت وقصت رؤياها عليهم فنظروا فوجدوا هذه الصفة صفة عبد المطلب فاجتمعوا عليه وأخرجوا من كل بطن رجلا ففعلوا ما أمرتم به ثم علوا على أبى قبيس ومعهم النبى صلى الله عليه وسلم وهو غلام فتقدم عبد المطلب فقال لاهم هؤلاء عبيدك وبنو عبيدك واماؤك وبنوا مائك وقد نزل بنا ما ترى وتتابعت علينا هذه السنون فذهبت بالظلف والخف والحافر اى الابل والبقر والخيل والبغال والحمير فأشفت على الانفس اى اشرفت على ذهابها فاذهب عنا الجدب وائتنا بالحيا والخصب فما برحوا حتى سالت الاودية قال وفى رواية أخرى عن رقيقة قالت تتابعت على قريش سنون جدبة اخلت اى ايبست الجلد وادقت العظم فبينا أنا نائمة اومهومة اى بين اليقظانة والنائمة اذ هاتف هو الذى يسمع صوته ولا يرى شخصه كما تقدم يصرخ بصوت صحل اى فيه بحوحة وهى خشونة الصوت وغلظه يقول يا معشر قريش ان هذا النبى المبعوث منكم قد أظلتكم أيامه اى قربت منكم وهذا ابان مخرجه فحيهلا بالحيا والخصب ألا فانظروا رجلا منكم وسطا عظاما أبيض بضا أى شديد البياض أوطف

قدم من مكة اليوم يزعمون انه نبي قال سلمان فلما سمعتها أخذتني العرواء وهي الحمى النافض حتى ظننت أني ساقط على سيدي
فنزلت عن النخلة فجعلت اقول لابن عمه ذلك ماتقول فغضب سيدي ولكمني لكمة شديدة ثم قال مالك ولهذا أقبل على عملك
فقلت لاشيء انما اردت ان استثبته فيما قال قال سلمان وقد كان عندي شيء جمعته وهو محتمل لان يكون تمرا
ولان يكون رطبا فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بقباء فدخلت عليه فقلت له انى قد بلغني أنك رجل صالح ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة وهذا شيء كان عندي للصدقة فرأيتكم احق به من غيركم فقربته اليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه كلوا وأمسك يده فلم يأكل فقلت في نفسي هذه واحدة اى من العلامات اعنى كونه لا يأكل الصدقة قال سلمان ثم انصرفت عنه فجمعت شيأ وتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمدينة فجئته فقلت انى رأيتك لاتأكل الصدقة وهذه هدية أكرمتك بها فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وامر اصحابه فأكلوا معه فقلت في نفسي هاتان ثنتان ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ببقيع الغرقد وقد تبع جنازة رجل من اصحابه وهو كلثوم بن الهدم الذي نزل عليه النبي صلى الله عليه وسلم بقباء لما قدم المدينة قال سلمان وكان عليه صلى الله عليه وسلم شملتان فجلس مع اصحابه فسلمت عليه ثم استدرت
انظر الى ظهره هل ارى الخاتم الذي وصف لي فألقى رداءه عن ظهره فنظرت الى الخاتم فعرفته خبرك
فأكببت عليه أقبله وأبكي فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم تحول فتحولت بين يديه فقصصت عليه حديثي قال ابن عباس
رضي الله عنهما فأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم * وفي شواهد النبوة لما جاء سلمان الى النبي صلى الله عليه وسلم لم يفهم النبي

الاهداب اى كثير شعر العينين أسهل الخد بن اشم العرنين اى مرتفع الانف له نفر يكظم عليه اى يسكت عليه ولا يظهره وسنى يهتدى اليها اى يرشد اليها فليخلص هو وولده وولد ولده وليداف أى يتقدم اليه من كل بطن رجل فليسنوا من الماء اى يفرغوه على أجسادهم اى يغتسلوا به وليمسوا من الطيب ثم يلتمسوا الركن وليطوفوا بالبيت العتيق سبعا ثم ليرقوا أباقبيس فليستسق الرجل وليؤمن القوم ألا وفيهم الطيب الطاهر فغثتم اذا ماشئتم اى جاءكم الغيث على ماتريدون قالت فاصبحت مذعورة قد اقشعر جلدى ووله أى ذهب عقلى واقتصصت رؤياى أى ذكرتها على وجهها فنمت اى فشت وكثرت في شعاب مكة فما بقى أبطحى الا قال هذا شيبة الحمد يعني عبد المطلب وقامت عنده قريش وانقض اليه من كل بطن رجل فسنوا من الماء ومسوا من الطيب واستلموا وطافوا ثم ارتقوا أباقبيس فطفق القوم يدنون حوله ما ان يدركه بعضهم مهلة وهي التؤدة والتأنى ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ايفع اى ارتفع او كرب اى قرب من ذلك فقام عبد المطلب فقال اللهم ساد الخلة وكاشف الكربة أنت عالم غير معلم ومسؤل غير مبخل وهذه عبيدك واماؤك بعذرات حرمك اى افنيته يشكون اليك سنتهم التى اقحلت اى أيبست الظلف والخف اى الابل والبقر فامطرن اللهم غيثا مريعا مغدقا فما برحوا حتى انفجرت السماء بمائها وكظ الوادى اى ضاق بثجيجه أى بسيله فلسمعت شيخان قريش وهي تقول لعبد المطلب هنيئا لك ابا البطحاء بك عاش أهل البطحاء انتهى أى والظاهر ان القصة واحدة فليتأمل الجمع وقد يدعى أن الاختلاف من الرواة منهم من عبر بالمعنى * وفي سقيا الناس بعبد المطلب وان ذلك ببركته صلى الله عليه وسلم تقول رقيقة

بشيبة الحمد أسقى الله بلدتنا * وقد عدمنا الحيا واجلوذ المطر

اى امتد زمن تأخره * فجاد بالماء جوني له سبل دان * اى مطر هاطل كثير الهطل قريب فعاشت به الانعام والشجر * منا من الله بالميمون طائره * اى المبارك حظه * وخير من بشرت يوما به مضر *

مبارك الاسم يستسقى الغمام به * ما في الانام له عدل ولا خطر

أى لا معادل ولا مماثل له * ولما سقوا لم يصل المطر الى بلاد قيس ومضر فاجتمع عظماؤهم وقالوا قد أصبحنا في جهد وجدب وقد سقى الله الناس بعبد المطلب فاقصدوه لعله يسأل الله تعالى فيكم فقدموا مكة ودخلوا على عبد المطلب فحيوه بالسلام فقال لهم أفلحت الوجوه وقام خطيبهم فقال قد أصابتنا سنون مجدبات وقد بان لنا أثرك وصح عندنا

خبرك فاشفع لنا عند من شفعك واجرى الغمام لك فقال عبد المطلب سمعا وطاعة موعدكم غدا عرفات ثم أصبح غاديا اليها وخرج معه الناس وولده ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فنصب لعبد المطلب كرسى فجلس عليه وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه فى حجره ثم قام عبد المطلب ورفع يديه ثم قال اللهم رب البرق الخاطف والرعد القاصف رب الارباب وملين الصعاب هذه قيس ومضر من خير البشر قد شعثت رؤسها وحدبت ظهورها تشكو اليك شدة الهزال وذهاب النفوس والاموال اللهم فأتح لهم سحابا خوارة وسماء خرارة لتضحك أرضهم ويزول ضرهم فما استتم كلامه حتى نشأت سحابة دكناء لها دوى وقصدت نحو عبد المطلب ثم قصدت نحو بلادهم فقال عبد المطلب يا معاشر قيس ومضر انصرفوا فقد سقيتم فرجعوا وقد سقوا (وذكر بعضهم) انهم كانوا فى الجاهلية يستسقون اذا أجدبوا فاذا أرادوا ذلك أخذوا من ثلاثة أشجار وهى سلع وعشر وشبرق من كل شجرة شيأ من عيدانها وجعلوا ذلك حزمة وربطوها على ظهر ثور صعب وأضرموا فيها النار ويرسلون ذلك الثور فاذا أحس بالنار عدا حتى يحترق ما على ظهره ويتساقط وقديم لك ذلك الثور فيسقون (وفى حياة الحيوان) كانت العرب اذا أرادت الاستسقاء جعلت النيران فى أذناب البقر واطلقوها فتمطر السماء فان الله يرحمها بسبب ذلك قال وذكر ابن الجوزى انه صلى الله عليه وسلم فى سنة سبع من مولده أصابه رمد شديد فعولج بمكة فلم يغن فقيل لعبد المطلب ان فى ناحية عكاظ راهبا يعالج الاعين فركب اليه ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فناداه وديره مغلق فلم يجبه فتزلزل ديره حتى خاف أن يسقط عليه فخرج مبادرا فقال يا عبد المطلب ان هذا الغلام نبى هذه الامة ولو لم اخرج اليك لخر على ديرى فارجع به واحفظه لا يقتله بعض أهل الكتاب ثم عالجه واعطاه ما يعالجه به هذا ورأيت فى كتاب سماه مؤلفه كريم الندماء ونديم الكرماء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رمد وهو صغير فمكث أياما يشكو فقال قائل لجده عبد المطلب ان بين مكة والمدينة راهبا يرقى من الرمد وقد شفى على يديه خلق كثير فأخذه جده وذهب به الى ذلك الراهب فلما رآه الراهب دخل الى صومعته فاغتسل ولبس ثيابه ثم أخرج صحيفة فجعل ينظر الى الصحيفة واليه صلى الله عليه وسلم ثم قال هو والله خاتم النبيين ثم قال يا عبد المطلب هو ارمد قال نعم قال ان دواءه معه يا عبد المطلب خذ من ريقه وضعه على عينيه فأخذ عبد المطلب من ريقه صلى الله عليه وسلم ووضعه على عينيه صلى الله عليه وسلم فبرأ لوقته ثم قال الراهب يا عبد المطلب وتالله هذا هو الذى أقسم على

صلى الله عليه وسلم كلامه فطلب ترجمانا فأتى بتاجر من اليهود كان يعرف الفارسية والعربية فمدح سلمان النبى صلى الله عليه وسلم وذم اليهود بالفارسية فغضب اليهودى وحرف الترجمة فقال النبى صلى الله عليه وسلم هذا الفارسى جاء ليلوذ بنا فنزل جبريل وترجم كلام سلمان فقال النبى صلى الله عليه وسلم لليهودى ذلك اى الذى ترجمه جبريل لليهودى فقال اليهودى يا محمد ان كنت تعرف الفارسية فما حاجتك الى فقال صلى الله عليه وسلم ما كنت أعلمها قبل والآن علمنى جبريل أو كما قال فقال اليهودى يا محمد قد كنت قبل هذا أتهمك والآن تحقق عندى انك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال أشهد أن لا اله الا الله واشهد أنك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام علم سلمان العربية فقال قل له ليغمض عينيه ويفتح فاه ففعل سلمان فتفل جبريل فى فيه فشرع سلمان يتكلم بالعربى الفصيح وهذا الذى قدمه سلمان للنبى صلى الله عليه وسلم صرح فى بعض الروايات بأنه سأل سيده أن يهب له شيأ فوهبه له فجاء به للنبى صلى الله عليه وسلم فلا يشكل ذلك بأنه مملوك لا ملك له ثم اسلم سلمان وصحب النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال له صلى الله عليه وسلم كاتب يا سلمان صاحبك قال فكاتبت صاحبى على ثلثمائة نخلة ودية وهى الصغيرة اسم لها بالتفقير بالفاء ثم القاف أى الحفر اى احفر لها واغرسها بتلك الحفر وتصيرحية واتعهدها الى أن تثمر وعلى أربعين أوقية من ذهب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعينوا أخاكم فأعانونى بالنخل الرجل بستين والرجل بعشرين ودية فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم تفقر أى احفر لها فاذا فرغت فائتنى أكن أنا اضعها بيدى قال ففقرت لها وأعانى أصحابى حتى اذا فرغت جئته صلى الله عليه وسلم فخرج معى اليها فجعلنا نقرب اليه

الله به فأبرئ المرضى واشفى الاعين من الرمد فليتأمل فان تعدد الواقعة لا يخلو عن بعد والله أعلم

(باب وفاة عبد المطلب وكفالة عمه ابى طالب له صلى الله عليه وسلم)

ثم لما كان سنه صلى الله عليه وسلم ثمان سنين اى بناء على الراجح من الاقوال المتكاثرة ويرجحه ما يأتى توفى عبد المطلب وله من العمر خمس وتسعون سنة وقيل مائة وعشرون وقيل وأربعون اى ولعل ضعف هذا القول اقتضى عدم ذكر ابن الجوزى لعبد المطلب فى المعمرين قال وقيل اثنان وثمانون اى وعليه اقتصر الحافظ الدمياطى قال وقيل مائة واربعة وأربعون اه وقد قيل له صلى الله عليه وسلم يارسول الله أتذكر موت عبد المطلب قال نعم وأنا يومئذ ابن ثمان سنين * وعن أم أيمن انها كانت تحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبكى خلف سرير عبد المطلب وهو ابن ثمان سنين ودفن بالحجون عند جده قصى (وجاء) عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث جدى عبد المطلب فى زى الملوك وابهة الاشراف * ولما حضرته الوفاة أوصى به صلى الله عليه وسلم الى عمه شقيق أبيه أبى طالب اى وكان ابو طالب ممن حرم الخمر على نفسه فى الجاهلية كأبيه عبد المطلب كما تقدم واسمه على الصحيح عبد مناف وزعمت الروافض ان اسمه عمران وانه المراد من قوله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين قال الحافظ ابن كثير وقد أخطؤا فى ذلك خطأ كبيرا ولم يتأملوا القرآن قبل أن يقولوا هذا البهتان فقد ذكر بعد هذه قوله تعالى اذ قالت امرأة عمران رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا * وحين أوصى به جده لابى طالب أحبه حبا شديدا لا يحبه لاحد من ولده فكان لا ينام الا الى جنبه وكان يخصه بأحسن الطعام اى وقيل اقترع أبو طالب هو والزبير شقيقه فيمن يكفله صلى الله عليه وسلم منهما فخرجت القرعة لابى طالب وقيل بل هو صلى الله عليه وسلم اختار أبا طالب لما كان يراه من شفقته عليه وهو الائه له قبل موت عبد المطلب فسيأتى انه كان مشاركا له فى كفالته وقيل كفله الزبير حين مات عبد المطلب ثم كفله أبو طالب اى بعد موت الزبير وغلط قائله بأن الزبير شهد حلف الفضول ولرسول الله صلى الله عليه وسلم من العمر نيف وعشرون سنة كذا فى أسد الغابة مقتصرا على الاقتراع على ما قبله وفى كون عمره صلى الله عليه وسلم فى حلف الفضول كان نيفا وعشرين سنة نظر لما سيأتى ان عمره اذ ذاك كان أربع عشرة سنة وفى كلام بعضهم فلما مات عبد المطلب كفله عماه شقيقا أبيه الزبير وأبو طالب

الودى فوضعها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فما مات منها ودية واحدة وفى رواية فغرس رسول الله صلى الله عليه وسلم النخل كله الا نخلة غرسها عمر رضى الله عنه فأطعم النخل كله الا تلك النخلة التى غرسها عمر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من غرسها قالوا عمر فقلعها وغرسها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فأطعمت من عامها وقيل الا نخلة غرسها سلمان بيده قال الحلبى يحتمل أن كلا من عمر وسلمان غرس هذه النخلة أحدهما قبل الآخر أو اشتركا فى غرسها قال سلمان فأديت النخل وبقى على المال فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل البيضة اى بيضة الدجاج أو الحمام من الذهب فقال ما فعل الفارسى فدعيت له فقال خذ هذه فأدها عما عليك ياسلمان قلت واين تقع هذه يارسول الله مما على فقلبها على لسانه صلى الله عليه وسلم ثم قال خذها فان الله سيؤدى بها عنك فأخذتها فوزنت لهم منها والذى نفس سلمان بيده أربعين أوقية فأوفيتهم حقهم وبقى عندى مثل ما أعطيتهم والى هذه القصة أشار صاحب الهمزية بقوله

ووفى قدر بيضة من نضار
دين سلمان حين حان الوفاء
كان يدعى قنا فأعتق لما
أينعت من نخيله الاقناء
أفلا تعذرون سلمان لما
ان عرته من ذكره العرواء

قال سلمان وشهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق ثم لم يفتنى معه مشهد وقيل شهد بدرا وأحدا قبل ان يعتق اى وهو مكاتب فيكون أول مشاهده الخندق بعد عتقه ثم وقيل شغل عما قبله بالرق ووقع فى بعض الروايات فى قصة سلمان زيادة ونقص والذى تقدم هو أصح الروايات قال الحلبى فى السيرة ونقل بعضهم الاجماع على ان سلمان عاش مائتين وخمسين سنة وكان حبرا عالما فاضلا زاهدا متقشفا وكان يأخذ من

ثم مات عمه الزبير وله من العمر أربع عشرة سنة فانفرد به أبو طالب وكفالة جده وعمه له صلى الله عليه وسلم بعد موت أبيه وأمه مذكورة فى الكتب القديمة من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم * ففى خبر سيف بن ذى يزن يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعمه اى وفى سيرة ابن هشام عن ابن اسحق ان عبد المطلب لما حضرته الوفاة وعرف انه ميت جمع بناته وكن ست نسوة صفية وهى أم الزبير بن العوام وبرة وعاتكة وأم حكيم البيضاء اى وهى جدة عثمان بن عفان لامه وأميمة وأروى فقال لهن ابكين على حتى أسمع ما تقلن فى قبل ان أموت فقالت كل واحدة منهن شعرا فى وصفه مذكور فى تلك السيرة ولما سمع جميع ذلك أشار برأسه أن هكذا فابكينى ويقال انه انما أشار بذلك لما سمع قول أميمة وقد أمسك لسانه وكان من قولها

أعينى جودا بدمع درر * على ماجد الخيم والمعتصر
على ماجد الجد وارى الزناد * جميل المحيا عظيم الخطر
على شيبة الحمد ذى المكرمات * وذى المجد والعز والمفتخر
وذى الحلم والفضل فى النائبات * كثير المفاخر جم الفخر
له فضل مجد على قومه * متين يلوح كضوء القمر

قال ابن هشام رحمه الله لم أر أحدا من أهل العلم بالشعر يعرف هذا الشعر الا انه اى ابن اسحق لما رآه عن ابن المسيب كتبه قال بعضهم ولم يبك أحد بعد موته ما بكى عبد المطلب بعد موته ولم يقم لموته بمكة سوق أياما كثيرة (وروى) أبو نعيم والبيهقى ان سيف بن ذى يزن الحميرى لما ولى على الحبشة وذلك بعد مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنتين أتاه وفود العرب واشرافها وشعراؤها التهنئة اى بهلاك ملوك الحبشة وبولايته عليهم اى لان ملك اليمن كان لحمير فانتزعته الحبشة منهم واستمر فى يد الحبشة سبعين سنة ثم ان سيف بن ذى يزن الحميرى استنقذ ملك اليمن من الحبشة واستقر فيه على عادة آبائه وجاءت العرب تهنئه من كل جانب وكان من جملتهم وفد قريش وفيهم عبد المطلب وأمية بن عبد شمس وغالب وجهائهم اى كعبد الله بن جدعان بضم الجيم واسكان الدال المهملة وبالعين المهملة التيمى وهو ابن عم عائشة رضى الله تعالى عنها وكأسد بن عبد العزى ووهب بن عبد مناف وقصى بن عبد الدار فاخبر بمكانهم اى وكان فى قصره بصنعاء وهو مضمخ بالمسك وعليه بردان والتاج على رأسه وسيفه بين يديه وملوك حمير عن يمينه وشماله فاذن لهم فدخلوا عليه ودنا منه عبد المطلب وفى الوفاء وجده وجالسا على سرير من الذهب وحوله أشراف

بيت المال فى كل سنة خمسة آلاف وكان يتصدق بها ولا يأكل الا من عمل يده وكان له عباءة يفترش بعضها ويلبس بعضها قال بعضهم دخلت عليه وهو أمير على المدائن وهو يعمل الخوص فقلت له تعمل الخوص وأنت أمير وهو يجرى عليك رزقك فقال انى أحب ان آكل من عمل يدى وربما اشترى اللحم وطبخه ودعا المجذومين فأكلوا معه (وأما اخبار الكهان) لا على ألسنة الجان فكثيرة منها ما تقدم فى ليلة ولادته وفى أيام رضاعه ومنها أيضا خبر عمرو بن معديكرب رضى الله عنه قال والله لقد علمت أن محمدا رسول الله قبل أن يبعث فقيل وكيف ذلك قال فزعنا الى كاهن لنا فى أمر نزل بنا فقال الكاهن أقسم بالسماء ذات الابراج والارض ذات الادراج والريح ذات العجاج ان هذا الأمر آج واقاح ذات نتاج قالوا وما نتاجه قال ظهر نبى صادق بكتاب ناطق وحسام فالق قالوا ومن أين يظهر والى ماذا يدعو قال يظهر بصلاح ويدعو الى فلاح ويعطل القداح وينهى عن الراح والسفاح وعن الامور القباح قالوا ممن هو قال من ولد الشيخ الاكرم حافر زمزم وعزه سرمد وخصمه مكمد (ومنها) خبر قس ابن ساعدة الايادى وهو أول من قال البينة على المدعى واليمين على من أنكر وأول من اتكأ على عصا أو قوس او سيف عند الخطبة * وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قدم وفد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيكم يعرف قس بن ساعدة الايادى قالوا كلنا يا رسول الله نعرفه قال فما فعل قالوا هلك قال ما أنساه بعكاظ على جمل أحمر وهو يقول أيها الناس اجتمعوا واسمعوا وعوا من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت ان فى السماء لخبرا وان فى الارض لعبرا مهاد موضوع وسقف مرفوع ونجوم تمور وبحار لا تغور اقسم قس

قسمًا ما اقما لئن كان الامر رضا ليكونن سخطا ان لله دينا هو أحب اليه من دينكم الذي انتم عليه فمالي أرى الناس يذهبون
ولا يرجعون أرضوا بالمقام فقاموا أم تركوا هنالك فناموا ثم قال صلى الله عليه وسلم أيكم يروي قوله فأنشدوه

في الذاهبين الاولين * ن من القرون لنا بصائر ١٥٢ لما رأيت مواردا * للموت ليس بها مصادر
ورأيت قومي نحوها
تسعى الاصاغر والاكابر
لا يرجع الماضي الي
ولا من الباقين غابر
أيقنت أني لا محا
لة حيث صار القوم صائر

وفي رواية أخرى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قدم الجارود ابن عبد الله وكان سيد قومه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله والذي بعثك بالحق لقد وجدت صفتك في الانجيل وبشر بك ابن البتول وانا اشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله فآمن هو وكل سيد من قومه فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال له النبي صلى الله عليه وسلم يا جارود هل في جماعة وفد عبد القيس من يعرف لنا قسا قال كلنا نعرفه يا رسول الله وأنا كنت بين يدي القوم اقفو أثره كان من اسباط العرب عمر سبعمائة سنة وقيل تسعمائة وهو أول من ترك عبادة الاصنام من العرب وأول من قال أما بعد وأول من كتب من فلان الى فلان قال الجارود وكأني أنظر اليه يقسم بالرب الذي هو له ليبلغن الكتاب أجله وليوفين كل عامل عمله ثم أنشأ يقول

هاج للقلب من هواه ادكار * وليال خلالهن نهار
وجبال شوامخ راسيات * وعيون مياههن غزار
ونجوم تلوح في ظلم الليـ * ـل تراها في كل يوم تدار
والذي قد ذكرت دل على الله * نفوسا لها هدى واعتبار

اليمن على كراسي من الذهب فوضعت لهم كراسي من الذهب فجلسوا عليها الا عبد المطلب فانه قام بين يديه واستأذنه في الكلام فقال ان كنت ممن يتكلم بين يدي الملوك فقد أذنا لك فقال ان الله عز وجل أحلك أيها الملك محلا رفيعا شامخا اي مرتفعا باذخا اي عاليا منيعا وأنبتك نباتا طالت ارومته وعظمت جرثومته اي والارومة والجرثومة هما الاصل وثبت أصله وبسق اي طال فرعه في أطيب موضع وأكرم معدن وأنت أبيت اللعن اي أبيت ان تأتي من الامور ما يلعن عليه ملك العرب الذي له تنقاد وعمودها الذي عليه العماد وكهفها الذي تلجأ اليه العباد سلفك خير سلف وأنت لنا فيهم خير خلف فلن يهلك ذكر من أنت خلفه ولن يخمل ذكر من أنت سلفه نحن أهل حرم الله وسدنة بيته أشخصنا اي أحضرنا اليك الذي أبهجنا من كشف الكرب الذي فدحنا اي اثقلنا فنحن وفد التهنئة لا وفد الترزئة اي التعزية فعند ذلك قال له الملك من أنت أيها المتكلم قال عبد المطلب بن هاشم قال ابن اختنا بالتاء المثناة فوق لان أم عبد المطلب من الخزرج وهم من اليمن قال نعم قال ادنه ثم أقبل عليه وعلى القوم فقال مرحبا وأهلا وناقة ورحلا ومستناخا سهلا وملكا ربحلا اي كثير العطاء يعطي عطاء جزلا قد سمع الملك مقالتكم وعرف قرابتكم وقبل وسيلتكم فانكم أهل الليل والنهار ولكم الكرامة ما اقمتم والحباء اي العطاء اذا ظعنتم ثم أنهضوا الى دار الضيافة والوفود وأجرى عليهم الانزال فأقاموا بذلك شهرا لا يصلون اليه ولا يؤذن لهم بالانصراف ثم انتبه لهم انتباهة فارسل الى عبد المطلب فأدناه ثم قال له يا عبد المطلب اني مفض اليك من سر علمي أمرا لو غيرك يكون لم أبح له به ولكن رأيتك معدنه فأطلعتك طلعه اي عليه فليكن عندك مخبأ حتى يأذن الله عز وجل فيه اني أجد في الكتاب المكنون والعلم المخزون الذي ادخرناه لانفسنا واحتجبناه اي كتمناه دون غيرنا خبرا عظيما وخطرا جسيما فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة للناس عامة ولرهطك كافة ولك خاصة فقال له عبد المطلب مثلك أيها الملك سر وبر فما هو فداك أهل الوبر زمرا بعد زمر قال اذا ولد بتهامة غلام بين كتفيه شامة كانت له الامامة ولكم به الزعامة اي السيادة الى يوم القيامة فقال له عبد المطلب أيها الملك أبت اي رجعت بخير ما آب بمثله وافد قوم ولولا هيبة الملك واجلاله واعظامه اسألته من مساره اي من مساررته اياي بما أزداد به سرورا فقال له الملك هذا حينه الذي يولد فيه أو قد ولد اسمه محمد يموت أبوه وامه ويكفله جده وعمه قد ولدناه مرارا والله باعثه جهارا وجاعل له منا أنصارا يعز بهم أولياءه ويذل بهم أعداءه ويضرب بهم الناس

فقال النبي صلى الله عليه وسلم على رسالك يا جارود فلست أنساه بسوق عكاظ على جمل أورق وهو يتكلم بكلام له حلاوة ولا أحفظه فقال ابو بكر رضي الله عنه فاني احفظه يا رسول الله كنت حاضرا ذلك اليوم بسوق عكاظ فقال في خطبته يا أيها الناس اسمعوا وعوا واذا وعيتم فانتفعوا من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت ١٥٣ مطر ونبات وارزاق واقوات وآباء وأمهات وأحياء وأموات وجمع واشتات وآيات بعد آيات ان في السماء لخبرا وفي الارض لعبرا ليل داج وسماء ذات ابراج وأرض ذات فجاج وبحار ذات امواج مالي ارى الناس يذهبون فلا يرجعون ارضوا بالمقام فقاموا ام تركوا هنالك فناموا اقسم قس قسما حاتما لا حانثا فيه ولا آثما ان لله دينا هو أحب اليه من دينكم الذي أنتم عليه ونبيا قد حان حينه وأظلكم زمانه فطوبى لمن آمن به فهداه وويل لمن خالفه فعصاه ثم قال تبا لارباب الغفلة من الامم الخالية والقرون الماضية يا معشر اياد أين الآباء والاجداد وأين المريض والعواد وأين الفراعنة الشداد أين من بنى وشيد وزخرف ونجد وغره المال والولد أين من طغى وبغى وجمع فأوعى وقال أنا ربكم الاعلى ألم يكونوا أكثر منكم أموالا وأطول منكم آجالا وأبعد منكم آمالا طحنهم الثرى بكلكله ومزقهم بتطاوله فتلك عظامهم بالية وبيوتهم خاوية عمرتها الذئاب العاوية

٢٠ ــل ل كلا بل هو الله الواحد المعبود ليس بوالد ولا مولود ثم أنشأ يقول الابيات المتقدمة وفي رواية زيادة ان الصعب ذا القرنين ملك الخافقين واذل الثقلين وعمر ألفين ثم كان كلمحة عين وفي رواية قال في خطبته سيأتيكم حق من هذا الوجه وأشار بيده الى نحو مكة قالوا له وما هذا قال رجل أبلج أحور من ولد لؤي بن غالب يدعوكم الى كلمة الاخلاص

الناس عن عرض اي جميعا ويستفتح بهم كرائم الارض يعبد الرحمن ويدحض اي يزجر الشيطان ويخمد النيران ويكسر الاوثان قوله فصل وحكمه عدل ويأمر بالمعروف ويفعله وينهى عن المنكر ويبطله قال له عبد المطلب جد جدك ودام ملكك وعلا كعبك فهل الملك ساري بافصاح فقد وضح لي بعض الايضاح قال والبيت ذي الحجب والعلامات على النقب اي الطرق انك لجد يا عبد المطلب غير كذب قال فخر عبد المطلب ساجدا فقال له ارفع رأسك ثلج صدرك وعلا كعبك فهل أحسست بشيء مما ذكرت لك قال نعم أيها الملك انه كان لي ابن وكنت به معجبا وعليه رقيقا واني زوجته كريمة من كرائم قومي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة فجاءت بغلام فسميته محمدا مات أبوه وأمه وكفلته أنا وعمه يعني ابا طالب وهذا يدل على ان وفود عبد المطلب على سيف بن ذي يزن كان بعد موت أمه صلى الله عليه وسلم وحينئذ لا ينافي ذلك ما تقدم ان عمره صلى الله عليه وسلم كان سنتين لان ذلك كان سنه صلى الله عليه وسلم حين ولي سيف بن ذي يزن على الحبشة وتأخر وفود عبد المطلب عليه بعد موت أمه صلى الله عليه وسلم ويدل على ان أبا طالب كان مشاركا لعبد المطلب في كفالته صلى الله عليه وسلم في حياة عبد المطلب ثم اختص هو بذلك بعد موته اي وعبارة سيف بن ذي يزن صادقة بالحالين فقال له ان الذي قلت لك كما قلت فاحفظ على ابنك واحذر عليه من اليهود فانهم له أعداء ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا اي فحفظه والخوف عليه منهم من باب الاحتياط والاعلام بقدره قال واطو ما ذكرته لك عن هؤلاء الرهط الذين معك فاني لست آمن ان تداخلهم النفاسة من ان تكون له الرياسة فينصبون له الحبائل ويبغون له الغوائل وهم فاعلون ذلك أو ابناؤهم من غير شك ولولا أعلم ان الموت مجتاحي اي مهلكي قبل مبعثه لسرت بخيلي ورجلي حتى أصير بيثرب دار ملكه فاني أجد في الكتاب الناطق والعلم السابق ان يثرب دار ملكه واستحكام أمره واهل نصرته وموضع قبره ولولا اني اقيه الآفات وأحذر عليه العاهات لاعلنت على حداثة سنه أمره واعليت على اسنان العرب كعبه ولكن سأصرف ذلك اليك من غير تقصير بمن معك ثم دعا بالقوم وأمر لكل واحد منهم بعشرة أعبد سود وعشرة اماء سود وحلتين من حلل البرود وعشرة أرطال ذهبا وعشرة أرطال فضة ومائة من الابل وكرش مملوء عنبرا وأمر لعبد المطلب بعشرة اضعاف ذلك وقال اذا جاء الحول فأتني بخبره وما يكون من أمره فمات الملك قبل ان يحول عليه الحول وكان عبد المطلب كثيرا

ما يقول لمن معه لا يغبطني رجل منكم بحجز بل عطاء الملك ولكن يغبطني بما يبقى لي ولعقبي ذكره وفخره فاذا قيل له ما هو قال سيعلم ما أقول ولو بعد حين اهـ وهذا القصر الذي كان فيه الملك سيف بن ذي يزن يقال له بيت غمدان يقال انه كان هيكل الزهرة تعبد فيه الزهرة وكان سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه يقول لا افلحت العرب ما دام فيها غمدانها فلما ولي عثمان رضي الله تعالى عنه الخلافة هدمه وكان أبو طالب مقلا من المال فكان عياله اذا اكلوا جميعا او فرادى لم يشبعوا واذا أكل معهم النبي صلى الله عليه وسلم شبعوا فكان ابو طالب اذا أراد أن يغديهم او يعشيهم يقول لهم كما أنتم حتى يأتي ابني فيأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأكل معهم فيفضلون من طعامهم وان كان لبنا شرب رسول الله صلى الله عليه وسلم أولهم ثم تتناول العيال القعب اي القدح الذي من الخشب فيشربون منه فيروون من عند آخرهم اي جميعهم من القعب الواحد وان كان احدهم ليشرب قعبا واحدا فيقول ابو طالب انك لمبارك (اقول) وفي الامتاع وكان اي ابو طالب يقرب الى الصبيان يصبحهم اول البكرة فيجلسون وينتهبون فيكف رسول الله صلى الله عليه وسلم يده لا ينتهب معهم فلما رأى ذلك ابو طالب عزل له طعامه على حدة هذا كلامه ولا ينافي ما قبله لانه يجوز ان يكون ذلك خاصا بما يحضر في البكرة الذي يقال له الفطور دون الغداء والعشاء فانه كان يأكل معهم وهو المقدم والله أعلم وكان الصبيان يصبحون شعثا رمصا بضم الراء واسكان الميم ثم صاد مهملة ويصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم دهينا كحيلا قالت ام ايمن ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو جوعا قط ولا عطشا لا في صغره ولا في كبره وكان صلى الله عليه وسلم يغدو اذا أصبح فيشرب من ماء زمزم شربة فربما عرضنا عليه الغداء فيقول انا شبعان اي في بعض الاوقات فلا ينافي ما سبق وكان يوضع لابي طالب وسادة يجلس عليها فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فجلس عليها فقال ان ابن اخي ليحس بنعيم اي بشرف عظيم ٥ قال واستسقى ابو طالب برسول الله صلى الله عليه وسلم قال جلهمة بن عرفطة قدمت مكة وقريش في قحط فقائل منهم يقول اعتمدوا اللات والعزى وقائل منهم يقول اعتمدوا مناة الثالثة الاخرى فقال شيخ وسيم حسن الوجه جيد الرأي انى تؤفكون اي كيف تصرفون عن الحق وفيكم باقية ابراهيم وسلالة اسمعيل عليهما السلام اي فكيف تعدلون عنه الى الى ما لا يجدي قالوا كأنك عنيت ابا طالب قال ايها فقاموا باجمعهم وقمت معهم فدققنا عليه بابه فخرج الينا رجل حسن الوجه عليه ازار قد اتشح به فثاروا اي قاموا اليه

وعيش ونعيم لا ينفدان فاذا دعاكم فأجيبوه ولو علمت اني أعيش الى مبعثه لكنت أول من يسعى اليه وقد رويت هذه القصة من طرق متعددة يقوي بعضها بعضا كما قال الحافظ ابن كثير والحافظ ابن حجر ولا التفات لقول ابن الجوزي ببطلان هذا الحديث ثم ان بعض طرقه يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان حافظا لكلامه وبعضها على انه نسي فيحتمل أنه كان ناسيا ثم لما ذكره أبو بكر رضي الله عنه أو غيره تذكره فرواه بعد ذلك واختلاف روايات الوفد تدل على تعدد مجيء وفد عبد القيس ففي كل مرة ذكر شيأ وقد جاء في الحديث رحم الله قسا انه كان على دين اسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام وقيل انه أدرك الحواريين وكان على دين عيسى عليه السلام ومن شعره

الحمد لله الذي
لم يخلق الخلق عبث
أرسل فينا أحمدا
خير نبي قد بعث
صلى عليه الله ما
حج له ركب وحث

والجارود المتقدم ذكره كان متصلبا في الاسلام أدرك زمن الردة ولما ارتد قومه دعاهم الى الحق وقال أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وكفر من لم يشهد وله أشعار كثيرة منها قوله

شهدت بأن الله حق وسامحت
بنات فؤادي بالشهادة والنهض
فأبلغ رسول الله عني رسالة
بأني حنيف حيث كنت من الارض

وسكن البصرة وقتل بنهاوند سنة احدى وعشرين من الهجرة

(ومن ذلك) خبر نافع الجرشي نسبة الى جرش بضم الجيم وفتح الراء وبالشين المعجمة قبيلة من حمير وتسمى به فقالوا بلدهم أن بطنا من اليمن كان لهم كاهن في الجاهلية فلما ذكر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتشر في العرب جاؤا الى كاهنهم واجتمعوا اليه في أسفل جبل فنزل اليهم حين طلعت الشمس فوقف لهم قائما متكئا على قوس فرفع طرفه الى السماء طويلا

ثم قال أيها الناس ان الله أكرم محمدا واصطفاه وطهر قلبه وحشاه ومكنه فيكم أيها الناس قليل * (والحق) * بعضهم بهذا الباب ما نقل عن تبع من ذكره للنبي صلى الله عليه وسلم في أشعاره يروى أن الانصار شكوا الى تبع ما يلقون من اليهود من الاذى فأراد تخريب المدينة واستئصال اليهود فجاء حتى نزل بهم فقال له رجل معمر من علماء اليهود الملك أجل من أن يطرقه نزق أو يستخفه غضب وأمره أعظم من أن يضيق حلمه أو يحرم صفحه وهذه البلدة مهاجر نبي يبعث بدين ابراهيم عليه الصلاة والسلام فآمن تبع النبي صلى الله عليه وسلم ورجع وكسا الكعبة ومن شعر تبع قوله

شهدت على أحمد أنه
نبي من الله باري النسم
فلو مد عمري الى عمره
لكنت وزيرا له وابن عم
وجاهدت بالسيف أعداءه
وفرجت عن صدره كل غم
له أمة سميت في الزبور
وأمته هي خير الامم

(ومن ذلك قوله أيضا)

ويأتي بعدهم رجل عظيم
نبي لا يرخص في الحرام
يسمى أحمدا باليت أني
أعمر بعد مبعثه بعام

وهذا الذي منع تبعا من تخريب المدينة اسمه شامول وكان عالما من علماء اليهود وقال لتبع في رواية أيها الملك ان هذه البلدة مهاجر نبي من بني اسمعيل مولده مكة واسمه أحمد وهذه هجرته وان منزلك الذي أنت به سيكون فيه من القتلى من أصحابه وأعدائه أمر عظيم فقال تبع ومن يقاتله وهو نبي قال له قومه قال وأين قبره قال بهذه البلدة قال واذا قوتل لمن تكون النصرة قال له مرة وعليه أخرى ثم تكون العاقبة له فيظهر حتى لا ينازعه أحد ثم سأله عن صفته فأخبره بها ولما قال له شامول ما ذكر وقص القصة كان معه أحبار فقالوا لن نبرح ههنا لعلنا ندركه أو أبناؤنا فاعطى كل واحد منهم مالا وجارية فمكثوا بالمدينة واعدوا للنبي صلى

فقالوا يا أبا طالب اقحط الوادي واجدب العيال فهلم فاستسق لنا فخرج ابو طالب ومعه غلام كأنه شمس دجنة بدال مهملة فجيم مضمومتين اى ظلمة وفي رواية كأنه شمس دجن اى ظلام تجلت عنه سحابة قتماء اى من القتام بالفتح وهو الغبار وحوله اغيلمة جمع غلام فأخذه ابو طالب فألصق ظهره بالكعبة ولاذ اى طاف باصبعه الغلام زاد في بعض الروايات وبصبصت الاغيلمة حوله اى فتحت اعينها وما في السماء قزعة اى قطعة من سحاب فأقبل السحاب من ههنا ومن ههنا واغدودق اى كثر مطره وانفجر له الوادي واخصب النادي والبادي وفي ذلك يقول ابو طالب من قصيدة يمدح بها النبي صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم اكثر من ثمانين بيتا

وابيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل

اى ملجأ وغياثا لليتامى ومانع الارامل من الضياع والارامل المساكين من النساء والرجال وهو بالنساء اخص واكثر استعمالا (اقول) واخذت الشيعة من هذه القصيدة القول باسلام ابي طالب اى لانه صنفها بعد البعثة وسيأتي الكلام في اسلامه واما ما نقله الدميري في شرح المنهاج عن الطبراني وابن سعد أن هذه القصيدة التي منها هذا البيت من انشاء عبد المطلب فهو وهم لما درج عليه ائمة السير ان المنشئ لها هو ابو طالب واحتمال توارد كل من ابي طالب وعبد المطلب على هذه القصيدة بعيد جدا ومما يصرح بالوهم ما يأتي عن النبي صلى الله عليه وسلم من نسبة هذا البيت لابي طالب والله اعلم قال وعن ابي طالب قال كنت بذي المجاز اى وهو موضع على فرسخ من عرفة كان سوقا للجاهلية كما تقدم مع ابن اخي يعني النبي صلى الله عليه وسلم فأدركني العطش فشكوت اليه فقلت يا ابن اخي قد عطشت وما قلت له ذلك وأنا أرى عنده شيأ الا الجزع اى لم يحملني على ذلك الا الجزع وعدم الصبر قال فثنى وركه اى نزل عن دابته ثم قال يا عم عطشت قلت نعم فاهوى بعقبه الى الارض وفي رواية الى صخرة فركضها برجله وقال شيأ فاذا أنا بالماء لم أر مثله فقال اشرب فشربت حتى رويت فقال أرويت قلت نعم فركضها ثانية فعادت كما كانت وسافر اى وقد أتت عليه صلى الله عليه وسلم بضع عشرة سنة مع عمه الزبير بن عبد المطلب شقيق أبيه كما تقدم الى اليمن فمروا بواد فيه فحل من الابل يمنع من يجتاز فلما رآه البعير برك وحك الارض بكلكله اى صدره فنزل صلى الله عليه وسلم عن بعيره وركب ذلك الفحل وسار حتى جاوز الوادي ثم خلى عنه فلما رجعوا من سفرهم مروا بواد مملوء ماء يتدفق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتبعوني ثم

اقتصه فاتبعوه فايبس الله عز وجل الماء فلما وصلوا الى مكة تحدثوا بذلك فقال الناس ان لهذا الغلام شأنا اه اى وفى السيرة الهشامية ان رجلا من لهب كان قائفا وكان اذا قدم مكة أتاه رجال من قريش بغلمانهم ينظر اليهم ويقتاف لهم فيهم فأتى ابو طالب بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو غلام مع من يأتيه فنظر اليه صلى الله عليه وسلم ثم شغل عنه بشئ فلما فرغ قال على بالغلام وجعل يقول ويلكم ردوا على الغلام الذى رأيت آنفا فوالله ليكونن له شأن فلما رأى ابو طالب حرصه عليه غيبه عنه وانطلق به والله اعلم

(باب ذكر سفره صلى الله عليه وسلم مع عمه ابى طالب الى الشام)

عن ابن اسحق لما تهيأ ابو طالب للرحيل صب به رسول الله صلى الله عليه وسلم بفتح الصاد المهملة وتشديد الباء الموحدة والصبابة رقة الشوق قاله فى الاصل قال وعند بعض الرواة فضبث به اى بفتح الضاد المعجمة والباء الموحدة والثاء المثلثة كضرب لزمه وقبض عليه يقال ضبثت على الشئ اذا قبضت عليه فقد جاء أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام قل للملا من بنى اسرائيل لا يدعونى والخطايا بين اضباثهم اى قبضاتهم اى وهم يحملون الاوزار غير مقلعين عنها اى وعلى ما عند بعض الرواة اقتصر الحافظ الدمياطى فلفظه لما تهيأ يعنى اباطالب للرحيل ضبث به رسول الله صلى الله عليه وسلم فرق له ابو طالب وقال والله لاخرجن به معى ولا يفارقنى ولا أفارقه ابدا (اقول) رأيت بعضهم نقل عن سيرة الدمياطى وضبث به ابو طالب ضبابة لم يضبث مثلها الشئ قط وانه ضبط ضبث بالضاد المعجمة والباء الموحدة والثاء المثلثة قال وهو القبض على الشئ وهذا لا يناسب قوله ضبابة لم يضبث مثلها الشئ قط لان ذلك انما يناسب صب بالصاد المهملة اى الذى هو الرقة كما لا يخفى على ان مصدر ضبث انما هو الضبث ومن ثم لم اجد ذلك فى السيرة المذكورة والذى رأيته فيها ما قدمته عنها وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم مسك بزمام ناقة ابى طالب وقال يا عم الى من تكلنى لا أب لى ولا أم وكان سنه صلى الله عليه وسلم تسع سنين على الراجح وقيل اثنتى عشرة سنة وشهرين وعشرة أيام اى وهذا القيل صدر به فى الامتاع وقال انه أثبت اى ومن ثم اقتصر عليه المحب الطبرى وذكر انه لما سار به اردفه خلفه فنزلوا على صاحب دير فقال صاحب الدير ما هذا الغلام منك قال ابنى قال ما هو بابنك وما ينبغى أن يكون له أب حى هذا نبى اى لان من كانت هذه الصفة صفته فهو نبى اى النبى المنتظر ومن علامة ذلك النبى فى الكتب القديمة ان يموت أبوه وأمه حامل به كما تقدم وسيأتى او بعد وضعه بقليل من الزمن اى ومن علامته ايضا فى تلك الكتب موت امه وهو

الله عليه وسلم قيل هى دار ابى أيوب الانصارى رضى الله عنه التى نزل بها صلى الله عليه وسلم حين هجرته فما نزل الا فى داره وكتب كتابا أبقاه عندهم للنبى صلى الله عليه وسلم فصاروا يتوارثونه ويستحفظون عليه حتى بعث صلى الله عليه وسلم وهاجر فأخرجوه اليه والقصة مبسوطة فى الوفاء تاريخ المدينة للسيد السمهودى رحمه الله وسيأتى التعرض لها مع زيادة على ماهنا عند ذكر نزوله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة فى دار ابى أيوب الانصارى رضى الله عنه *(وألحق بذلك)* بعضهم اخبار كعب بن لؤى جد النبى صلى الله عليه وسلم فانه كان يخطب الناس يوم العروبة أعنى يوم الجمعة ويذكر فى خطبته النبى صلى الله عليه وسلم ويبشر به (فمن ذلك) قوله اما بعد فاسمعوا وتعلموا وافهموا واعلموا ليل داج ونهار ساج والارض مهاد والسماء بناء والجبال أوتاد والنجوم اعلام الى أن قال حرمكم زينوه وعظموه فسيأتى له نبأ عظيم وسيخرج منه نبى كريم وأنشد

نهار وليل كل يوم بحادث
سواء علينا ليلها ونهارها
يئوبان بالاحداث حين تاوبا
وبالنعم الضافى علينا ستورها
على غفلة يأتى النبى محمد
فيخبر اخبارا صدوق خبيرها

(ومن ذلك) خبر سفيان بن مجاشع التميمى جد الفرزدق كان قد احتمل عن قومه ديات فخرج لحى من تميم فاذا هم مجتمعون عند كاهنة فأتاهم وجلس عندهم فسمع الكاهنة تقول العزيز من والاه والذليل من لاحاه والموفور من والاه والموتور من عاداه فقال سفيان من تذكرين لله أبوك فقالت صاحب هدى وعلم وبطش وحلم وحرب وسلم ورأس صغير رؤس ورابض شموس وماحق بؤس وماهد رغوس وناعش ومنعوس فقال سفيان لله أبوك من هو قالت نبى مؤيد قد أتى حين يوجد ودنا أوان يولد يبعث الى الاحمر والاسود بكتاب لا يفند اسمه محمد قال سفيان لله أبوك أعربى أم عجمى فقالت أما

صغير كما تقدم في خبر سيف بن ذي يزن ولا ينافي ذلك الاقتصار من بعض اهل الكتب القديمة على الاول الذي هو موت أبيه وهو حمل قال أبو طالب لصاحب الدير وما النبي قال الذي يأتي اليه الخبر من السماء فينبئ أهل الارض قال أبو طالب الله أجل مما تقول قال فاتق عليه اليهود ثم خرج حتى نزل براهب أيضا صاحب دير فقال له ما هذا الغلام منك قال ابني قال ما هو بابنك وما ينبغي ان يكون له أب حي قال ولم قال لان وجهه وجه نبي وعينه عين نبي اي النبي الذي يبعث لهذه الامة الاخيرة لان ماذكر علامته في الكتب القديمة قال أبو طالب سبحان الله الله اجل مما تقول ثم قال ابو طالب للنبي صلى الله عليه وسلم يا ابن أخي ألا تسمع ما يقول قال اي عم لا تنكر لله قدرة والله أعلم فلما نزل الركب بصرى وبها راهب يقال له بحيرا بفتح الموحدة وكسر الحاء المهملة وسكون المثناة التحتية آخره راء مقصورة واسمه جرجيس وقيل سرجيس وحينئذ يكون بحيرا لقبه في صومعة له وكان انتهى اليه علم النصرانية اي لان تلك الصومعة كانت تكون لمن ينتهي اليه علم النصرانية يتوارثونها كابرا عن كابر عن اوصياء عيسى عليه الصلاة والسلام وفي تلك المدة انتهى علم النصرانية الى بحيرا وقيل كان بحيرا من احبار اليهود يهود تيماء O أقول لا منافاة لانه يجوز ان يكون تنصر بعد ان كان يهوديا كما وقع لورقة بن نوفل كما سيأتي هذا وقال ابن عساكر ان بحيرا كان يسكن قرية يقال لها الكفر بينها وبين بصرى ستة اميال وقيل كان يسكن البلقاء من ارض الشام بقرية يقال لها ميفعة ويحتاج الى الجمع وقد يقال يجوز انه كان يسكن في كل من القريتين كل واحدة يسكن فيها زمنا وكان في بعض الاحايين يأتي لتلك الصومعة فليتأمل وقد سمع مناد قبل وجوده صلى الله عليه وسلم ينادي ويقول ألا ان خير أهل الارض ثلاثة رئاب بن البراء وبحيرا الراهب وآخر لم يأت بعد وفي لفظ والثالث المنتظر يعني النبي صلى الله عليه وسلم ذكره ابن قتيبة قال ابن قتيبة وكان قبر رئاب وقبر ولده من بعده لا يزال يرى عندهما الطش وهو المطر الخفيف والله أعلم وكانت قريش كثيرا ما تمر على بحيرا فلا يكلمهم حتى كان ذلك العام صنع لهم طعاما كثيرا وقد كان رأى وهو بصومعته رسول الله صلى الله عليه وسلم في الركب حين اقبلوا وغمامة تظله من بين القوم ثم لما نزلوا في ظل شجرة نظر الى الغمامة قد اظلت الشجرة وتهصرت اي مالت O اغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية واخضلت اي كثرت اغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استظل تحتها اي وقد كان صلى الله عليه وسلم وجدهم سبقوه الى فيء

والسماء ذات العنان والشجر ذات الافنان انه لمن معد بن عدنان فأمسك عن سؤالها ثم ان سفيان ولد له ولد فسماه محمدا رجاء ان يكون هو النبي المذكور وهو احد من تسمي باسم النبي صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه وتقدمت قصة سيف بن ذي يزن احد ملوك اليمن وتكلمه مع عبد المطلب وبشارته بالنبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس ١٥٧ رضي الله عنهما انه قال لعبد المطلب ايضا أشهد ان في احدى يديك ملكا وفي الاخرى نبوة فكانت النبوة والخلافة العباسية (ومن ذلك) خبر زيد بن عمرو بن نفيل انه لقي راهبا بالجزيرة فسأله عن دين ابراهيم فقال له ان كل من رأيته من الاحبار والرهبان في ضلال وانك لتسأل عن دين الله وقد خرج في ارضك أو هو خارج نبي يدعو اليه فارجع اليه فصدقه فلقيه النبي صلى الله عليه وسلم قبل بعثته فقال يا عم مالي أرى قومك قد ابغضوك فقال اما والله ان ذلك لغير ثائرة مني اليهم ولكني اراهم على ضلالة فخرجت أبتغي هذا الدين ثم اخبره بما عرفه به الراهب من امره صلى الله عليه وسلم وان كان لا يعلم انه هو النبي الموعود به (ومن ذلك) ما اخرجه ابن عساكر عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال سافرت الى اليمن قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم فنزلت على عسكلان الحميري وكان شيخا كبيرا وكنت انزل عليه اذا اجئت اليمن فسألني مرة عن مكة والكعبة وزمزم وقال هل ظهر منكم احد خالف دينكم فقلت لا ثم قدمت عليه بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم وقد ضعف وثقل سمعه فنزلت عليه واجتمع عليه ولده وولد ولده واخبروه بمكاني فشد عليه عصابة واستند وقعد وقال لي انتسب يا أخا قريش فقلت أنا عبد الرحمن بن عوف بن عبد الحرث بن زهرة قال حسبك يا أخا زهرة ألا أبشرك ببشارة هي خير لك من التجارة قلت بلى قال انبئك وابشرك ان الله قد بعث في الشهر الاول من قومك نبيا وارتضاه صفيا وانزل

عليه كتابا وجعل له ثوابا ينهى عن الاصنام ويدعو الى الاسلام ويأمر بالحق ويفعله وينهى عن الباطل ويبطله فقلت
ممن هو قال لامن الازد ولا ثماله ولا من السرف ولا تباله هو من بنى هاشم وانتم اخواله يا عبد الرحمن أخف الوقعة وعجل
الرجعة ثم امض ووازره واحمل اليه هذه الابيات ١٥٨ اشهد بالله ذى المعالى * وفالق الليل والصباح انك ذو السر من قريش
يا ابن المفدى من الذباح
ارسلت تدعو الى يقين
يرشد للحق والفلاح
اشهد بالله رب موسى
انك ارسلت بالبطاح
فكن شفيعى الى مليك
يدعو البرايا الى الفلاح
قال عبد الرحمن فحفظت الابيات
وانصرفت فلما قدمت مكة لقيت
أبا بكر رضى الله عنه وأخبرته
الخبر فقال هذا محمد قد بعثه الله
فأته فلما أتيت بيت خديجة رضى
الله عنها رآنى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فضحك وقال لى أرى
وجها خليقا ان أرجو له خيرا
فما وراءك فقلت وديعة فقال
ارسلك مرسل برسالة هاتها
فأخبرته وأسلمت فقال اخو حمير
مؤمن مصدق بى وما شاهدنى
أولئك من اخوانى حقا *(ومن
ذلك)* خبر مخيريق اليهودى
كان عالما حبرا بالمدينة كثير
المال وكان يعرف رسول الله
صلى الله عليه وسلم بصفته الا انه
غلبه الف دينه فلما كانت غزوة
احد وكانت يوم السبت قال
يا معشر يهود انكم تعلمون ان
نصر محمد حق عليكم فقالوا اليوم
يوم السبت فقال انكم لا سبت لكم ثم أخذ سلاحه وخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه بأحد
وعهد الى قومه ان مت هذا اليوم فاموالى لمحمد يصنع بها ما رآه ثم اسلم على يد النبى صلى الله عليه وسلم وقاتل حتى قتل فجعل
النبى صلى الله عليه وسلم ماله صدقة بالمدينة وكان صلى الله عليه وسلم يقول مخيريق خير يهود (ومن ذلك) مارواه كعب الاحبار

الشجرة فلما جلس صلى الله عليه وسلم مال فىء الشجرة عليه ثم ارسل اليهم انى قد
صنعت لكم طعاما يا معشر قريش واحب ان تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم وعبدكم
وحركم فقال له رجل منهم لم أقف على اسم هذا الرجل يا بحيرا ان لك اليوم لشأنا ما كنت
تصنع هذا بنا وكنا نمر عليك كثيرا فما شأنك اليوم فقال له بحيرا صدقت قد كان ما تقول
ولكنكم ضيف وقد احببت ان اكرمكم واصنع لكم طعاما فتأكلون منه كلكم
فاجتمعوا اليه وتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم لحداثة سنه فى رحال
القوم اى تحت الشجرة فلما نظر بحيرا فى القوم ولم ير الصفة اى لم ير فى أحد منهم الصفة
التى هى علامة للنبى المبعوث آخر الزمان التى يجدها عنده اى ولم ير الغمامة على أحد من
القوم ورآها متخلفة على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معشر قريش
لا يتخلف احد منكم عن طعامى فقالوا يا بحيرا ما تخلف عن طعامك احد ينبغى له أن
يأتيك الا غلام وهو احدث القوم سنا قال لا تفعلوا ادعوه فليحضر هذا الغلام معكم اى
وقال فما أقبح أن تحضروا ويتخلف رجل واحد مع انى أراه من انفسكم فقال القوم هو
والله أوسطنا نسبا وهو ابن أخى هذا الرجل يعنون أبا طالب وهو من ولد عبد المطلب
فقال رجل من قريش واللات والعزى ان كان للؤما بنا ان يتخلف ابن عبد الله بن
عبد المطلب عن طعام من بيننا ثم قام اليه فاحتضنه اى وجاء به ٥ واجلسه مع القوم
اى وذلك الرجل هو عمه الحرث بن عبد المطلب ولعله لم يقل هو ابن اخى مع كونه اسن من
أبى طالب لان أبا طالب كان شقيقا لابيه عبد الله كما تقدم دون الحرث مع كون أبى
طالب هو المقدم فى الركب وقيل الذى جاء به صلى الله عليه وسلم أبو بكر رضى الله تعالى
عنه وقدمه ابن المحدث على ما قبله فليتأمل ولما سار به من احتضنه لم تزل الغمامة تسير
على رأسه صلى الله عليه وسلم فلما رآه بحيرا جعل يلحظه لحظا شديدا وينظر الى أشياء من
جسده قد كان يجدها عنده من صفته صلى الله عليه وسلم حتى اذا فرغ القوم من
طعامهم وتفرقوا قام اليه صلى الله عليه وسلم بحيرا فقال له أسألك بحق اللات والعزى
الا ما اخبرتنى عما اسألك عنه وانما قال له بحيرا ذلك لانه سمع قومه يحلفون بهما اى وفى
الشفاء انه اختبره بذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسألنى باللات والعزى
شيأ فوالله ما ابغضت شيأ قط بغضهما فقال بحيرا فبالله الا ما اخبرتنى عما اسألك عنه فقال له
سلنى عما بدا لك فجعل يسأله عن اشياء من حاله من نومه وهيئته واموره ويخبره رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته اى صفة النبى المبعوث آخر
الزمان

الزمان الى عنده اى ثم كشف عن ظهره فرأى خاتم النبوة على الصفة التى عنده فقبل موضع الخاتم فقالت قريش ان لمحمد عند هذا الراهب لقدرا فلما فرغ اقبل على عمه أبى طالب فقال لما هذا الغلام منك قال ابنى قال ما هو ابنك وما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا قال فانه ابن أخى قال فما فعل أبوه قال مات وأمه حبلى به قال صدقت اى ثم قال فما فعلت أمه قال توفيت قريبا قال صدقت فارجع بابن أخيك الى بلاده واحذر عليه اليهود فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغينه شرا فانه كائن لابن اخيك هذا شأن عظيم اى نجده فى كتبنا ورويناه عن آبائنا واعلم انى قد أديت اليك النصيحة فاسرع به الى بلده وفى لفظ لما قال له بحيرا أشفيق عليه أنت قال نعم قال فوالله لئن قدمت به الى الشام اى جاوزت هذا المحل ووصلت الى داخل الشام الذى هو محل اليهود لتقتلنه اليهود فرجع به الى مكة ويقال انه قال لذلك الراهب ان كان الامر كما وصفت فهو فى حصن من الله عز وجل وقد يقال لا مخالفة لان ما صدر من بحيرا كان على ما جرت به العادة من طلب التوقى فخرج به عمه ابو طالب حتى اقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام وفى الهدى فبعثه عمه مع بعض غلمانه الى المدينة فليتأمل وذكر ان نفرا من أهل الكتاب قد كانوا رأوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأى بحيرا وأرادوا به سوأ فردهم عنه بحيرا وذكرهم الله وما يجدونه فى الكتاب من ذكره وصفاته وانهم ان اجمعوا لما أرادوا لم يخلصوا اليه فعند ذلك تركوه وانصرفوا عنه وفى رواية اخرى خرج أبو طالب الى الشام وخرج معه النبى صلى الله عليه وسلم فى اشياخ من قريش فلما اشرفوا على الراهب بحيرا وكانوا قبل ذلك يمرون عليه فلا يخرج اليهم ولا يلتفت اليهم فجعل وهم يحلون رحالهم يتخللهم حتى جاء فأخذ بيد النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال هذا سيد العالمين هذا رسول رب العالمين هذا يبعثه الله رحمة للعالمين فقال الاشياخ من قريش ما علمك فقال انكم حين اشرفتم على العقبة لم يبق حجر ولا شجر الا خر ساجدا ولا يسجد الا لنبى اى وان الغمامة صارت تظله دونهم وانى لاعرفه بخاتم النبوة اسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة اى والغضروف رأس لوح الكتف ثم رجع وصنع لهم طعاما فلما أتاهم به كان النبى صلى الله عليه وسلم فى رعية الابل فارسلوا اليه فأقبل وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه الى فىء الشجرة فلما جلس مال فىء الشجرة عليه فقال الراهب انظروا الى فىء هذه الشجرة مال عليه فبينما هو قائم عليهم وهو يعاهدهم أن لا يذهبوا به الى أرض الروم اى داخل الشام

فى صفاته صلى الله عليه وسلم فانه كان من احبار اليهود فأسلم فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه وتوفى فى خلافة عثمان رضى الله عنه سنة ثنتين وثلاثين من الهجرة وكان يذكر اخبارا كثيرة فى صفات النبى صلى الله عليه وسلم حفظها من الكتب القديمة المنزلة وسأله عمر رضى الله عنه مرة عن صفته صلى الله عليه وسلم فى التوراة فقال ان فيها ان سيد الناس والصفوة من ولد آدم وخاتم النبيين يخرج من جبال فاران ومنبت القرظ من الوادى المقدس فيظهر التوحيد والحق ثم ينتقل الى طيبة فتكون حروبه وآياته بها ثم يقبض ويدفن بها *(ومن ذلك)* خبر ضغاطر وهو أسقف من كبار الروم اسلم على يد دحية الكلبى لما أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قيصر ملك الروم قال دحية لما خرج عظماء الروم من عند هرقل ادخلنى عليه وارسل الى أسقف كان صاحب أمرهم فسأله عن أمر النبى صلى الله عليه وسلم فقال له هذا الذى كنا ننتظره وبشرنا به عيسى عليه الصلاة والسلام أما انا فاصدقه ومتبعه فقال قيصر له ان فعلت ذهب ملكى قال دحية فقال لى الاسقف خذ هذا الكتاب واذهب به الى صاحبك واقرأ عليه السلام واخبره انى أشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وانى قد آمنت به وصدقته ثم ألقى ثيابه ولبس ثيابا بيضا وخرج ودعا الروم الى الاسلام وشهد شهادة الحق فقتلوه فلما رجع دحية الى هرقل قال له أما قلت لك انا نخافهم على انفسنا فضغاطر كان اعظم عندهم منى واخبار الاحبار والكهان وتصريحهم بصفاته صلى الله عليه وسلم وتصديقه لا يمكن حصره واستقصاؤه وما أنكر ذلك منهم من أنكره الا حسدا وبغيا والله الهادى الى سواء السبيل *(واما اخبار الكهان)* على ألسنة الجان فكثيرة منها اخبار سواد بن قارب رضى الله عنه وكان من دوس

قوم ابي هريرة رضي الله عنه كان يتكهن في الجاهلية وكان شاعرا ثم اسلم فعن محمد بن كعب القرظي قال بينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذات يوم جالس اذ مر به رجل فقيل له يا أمير المؤمنين اتعرف هذا المار قال ومن هذا قال سواد بن قارب الذي أتاه رئيه اى تابعه من الجن الذي يتراءى له ١٦٠ أتاه بظهور النبي صلى الله عليه وسلم وكان هذا القول لعمر رضي الله عنه بعد أن قال وهو على المنبر اى منبر النبي صلى الله عليه وسلم أيها الناس فيكم سواد بن قارب فلم يجبه احد فلما كانت السنة المقبلة زمن مجيء الناس للزيارة من الآفاق قال ايها الناس فيكم سواد بن قارب كان بدء اسلامه شيئا عجيبا قال البراء فبينما نحن كذلك اذ طلع سواد بن قارب فقالوا لعمر رضي الله عنه هذا سواد فأرسل اليه عمر رضي الله عنه فجاء فقال له أنت سواد بن قارب قال نعم قال انت أتاك رئيك بظهور النبي صلى الله عليه وسلم قال نعم قال فأنت على ما كنت عليه من كهانتك فغضب سواد بن قارب وقال ما استقبلني بهذا أحد منذ أسلمت يا أمير المؤمنين فقال عمر سبحان الله ما كنا عليه من الشرك اعظم اى ما كنا عليه من عبادة الاصنام اعظم مما كنت عليه من كهانتك وفى رواية ان عمر رضي الله عنه قال اللهم غفرا قد كنا فى الجاهلية على شر من هذا نعبد الاصنام والاوثان حتى اكرمنا الله برسوله صلى الله عليه وسلم وبالاسلام وفى كلام السهيلي ان عمر رضي الله عنه مازح سوادا رضي الله عنه فقال ما فعلت كهانتك يا سواد فغضب وقال له سواد قد كنت انا وانت على شر من هذا من عبادة الاصنام وأكل الميتات أفتعيرني بامر قد تبت منه فقال عمر رضي الله عنه اللهم غفرا ثم قال يا سواد حدثنا ببدء اسلامك كيف كان قال نعم يا أمير المؤمنين بينا أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان اذ أتاني رئيي وضربني برجله وقال قم يا سواد

لم يوافق

فانهم ان عرفوه قتلوه فالتفت فاذا سبعة من الروم قد اقبلوا فاستقبلهم فقال ما جاء بكم قالوا جئنا الى هذا النبي الذي هو خارج فى هذا الشهر اى مسافر فيه فلم يبق طريق الا بعث اليه باناس وانا قد اخبرنا خبره بطريقك هذا قال افرأيتم أمرا أراد الله ان يقضيه هل يستطيع احد من الناس رده قالوا لا فبايعوه اى بايعوا بحيرا على مسالمة النبي صلى الله عليه وسلم وعدم أخذه واذيته على حسب ما أرسلوا فيه واقاموا عند ذلك الراهب خوفا على انفسهم ممن ارسلهم اذا رجعوا بدونه قال بحيرا لقريش انشدكم الله اى اسألكم بالله ايكم وليه قالوا أبو طالب فلم يزل يناشده حتى رده أبو طالب وبعث معه بلالا وفى لفظ وبعث معه ابو بكر رضي الله تعالى عنه بلالا وزوده بحيرا من الكعك والزيت اى واذا كانت القصة واحدة فالاختلاف فى ايرادها من الرواة كما تقدم نظيره فبعض الرواة قدم فى هذه الرواية وأخر على انه فى الهدى قال وقع فى كتاب الترمذي وغيره ان عمه أى وأبا بكر رضي الله عنه بعث معه بلالا وهو من الغلط الواضح فان بلالا اذ ذاك لعله لم يكن موجودا وان كان فلم يكن مع عمه ولا مع ابي بكر وذكر فى الاصل ان فى هذه الرواية امورا منكرة حيث قال قلت ليس فى اسناد هذا الحديث الا من خرج له فى الصحيح ومع ذلك اى مع صحة سنده ففى متنه نكارة اى امور منكرة وهى ارسال ابى بكر مع النبي صلى الله عليه وسلم بلالا فان بلالا لم ينتقل لابى بكر الا بعد هذه السفرة باكثر من ثلاثين عاما ولان ابا بكر لم يبلغ العشر سنين حينئذ لانه صلى الله عليه وسلم اسن منه بازيد من عامين بقليل اى بشهر ولا ينافى ما يأتى وتقدم ان سنه صلى الله عليه وسلم حينئذ تسع سنين على الراجح اى فيكون سن ابى بكر نحو سبع سنين وكان بلال اصغر من ابى بكر رضي الله عنهما فلا يتجه هذا الجواب اى لان ابا بكر حينئذ لم يكن اهلا للارسال عادة وكذا بلال لم يكن اهلا لان يرسل وكون النبي صلى الله عليه وسلم أسن من ابى بكر هو ما عليه الجمهور من أهل العلم بالاخبار والسير والآثار وما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم سأل ابا بكر فقال له من الاكبر أنا أو أنت فقال له أبو بكر أنت أكرم وأكبر وأنا أسن قيل فيه انه وهم وان ذلك انما يعرف عن عمه العباس رضي الله تعالى عنه وكون بلال أصغر من أبي بكر ينازعه قول ابن حبان بلال كان تربا لابى بكر أى قرينه فى السن وبه يرد قول الذهبي بلال لم يكن خلق قال وذكر الحافظ ابن حجر ان ارسال أبي بكر معه بلالا وهم من بعض الرواة وهو مقتطع من حديث آخر ادرجه ذلك الراوى فى هذا الحديث انتهى أقول ولاجل هذا الوهم قال الذهبي فى الحديث اظنه موضوعا بعضه باطل اى

ابن قارب واسمع مقالتي واعقل ان كنت تعقل انه قد بعث رسول من لوى بن غالب يدعو الى دين الله عز وجل والى عبادته ثم أنشأ يقول عجبت للجن وتطلابها * وشدها العيس باقتابها تهوى الى مكة تبغي الهدى * ما صادق الجن ككذابها فارحل الى الصفوة من هاشم * ليس قداماها كأذنابها فقلت دعني أنام ١٦١ فاني أمسيت ناعسا فلما كانت الليلة الثانية أتاني فضربني برجله وقال قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل ان كنت تعقل انه قد بعث رسول من لوى بن غالب يدعو الى الله عز وجل والى عبادته ثم أنشأ يقول

عجبت للجن وتجبارها
وشدها العيس بأكوارها
تهوى الى مكة تبغي الهدى
ما مؤمن الجن ككفارها
فارحل الى الصفوة من هاشم
بين روابيها واحجارها

فقلت دعني أنام فاني امسيت ناعسا فلما كانت الليلة الثالثة أتاني فضربني برجله وقال قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل ان كنت تعقل انه بعث رسول من لوى بن غالب يدعو الى الله عز وجل والى عبادته ثم أنشأ يقول

عجبت للجن وتحساسها
وشدها العيس بأحلاسها
تهوى الى مكة تبغي الهدى
ما خير الجن كأنجاسها
فارحل الى الصفوة من هاشم
وأوم بعينيك الى راسها

فقمت فقلت قد امتحن الله قلبي فرحلت ناقتي حتى أتيت مكة وفي رواية المدينة قال البيهقي والرواية الاولى اصح فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حوله فلما رآني قال مرحبا بك يا سواد بن قارب قد علمنا ما جاء بك قلت يا رسول الله قد قلت شعرا فاسمع مقالتي فقال هات فأنشأت أقول

أتاني رئيي بعد ليل وهجعة * ولم يك فيما قد بلوت بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة * أتاك رسول من لوى بن غالب

لم يوافق الواقع اى فمع كون الحديث موضوعا بعضه موافق للواقع وبعضه لم يوافق الواقع وحينئذ فراد الاصل بالنكارة فى قوله فى متنه نكارة البطلان كما أشرت اليه وليس هذا من قبيل قولهم هذا حديث منكر الذى هو من اقسام الضعيف وهو يرجع الى الفردية ولا يلزم من الفردية ضعف متن الحديث فضلا عن بطلانه وقال الحافظ الدمياطي فى هذا الحديث وهمان أحدهما قوله فبايعوه واقاموا معه والوهم الثانى قوله وبعث معه أبو بكر بلالا ولم يكونا معه ولم يكن بلال اسلم ولا ملكه أبو بكر وفيه ان الحافظ الدمياطي فهم ان الضمير فى بايعوه للنبي صلى الله عليه وسلم وقد علمت أنه لبحيرا فلا وهم فيه وتوجيه الوهم الثانى بعدم وجود أبي بكر وبلال مع النبي صلى الله عليه وسلم واضح ان ثبت ذلك والا فمجرد النفي لا يرد به الاثبات وحينئذ لا حاجة معه الى ذكر ما بعده من ان بلالا لم يكن اسلم ولا ملكه أبو بكر الا أن يقال هو على تسليم وجود ابي بكر وبلال مع النبي صلى الله عليه وسلم وقد يقال على تسليم ذلك ارسال أبي بكر لبلال لا يتوقف على اسلام بلال ولا على ملك ابي بكر له جاز أن يكون سيد بلال وهو امية بن خلف أرسله فى ذلك العير لامر فأذن ابو بكر لبلال فى العود مع النبي صلى الله عليه وسلم ليكون خادما ويستأنس ويأمن به اعتمادا على رضا سيده بذلك اذ ليس من لازم ارساله أن يكون مملوكا له وكون أبي بكر لم يكن فى سن من يرسل عادة تقدم ما فيه والله أعلم (قال) وروى ابن منده بسند ضعيف عن ابي بكر رضي الله تعالى عنه انه صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان عشرة سنة والنبي صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة اى فالنبي صلى الله عليه وسلم أسن من ابي بكر بعامين اى وشهور كما تقدم ولعل هذه الزيادة على العامين التى هي الشهور الواردة فيه فى الرواية السابقة لم يذكرها ابن منده وهم يريدون الشام فى تجارتهم حتى اذا نزل منزلا وهو سوق بصرى من ارض الشام وفى ذلك المحل سدرة فقعد صلى الله عليه وسلم فى ظلها ومضى ابو بكر الى راهب يقال له بحيرا يسأله عن شئ فقال من الرجل الذى فى ظل السدرة قال له محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فقال له والله هذا نبي هذه الامة ما استظل تحتها بعد عيسى بن مريم عليه السلام الا محمد عليه الصلاة والسلام اى وقد قال عيسى لا يستظل تحتها بعدي الا النبي الامي الهاشمي كما سيأتي فى بعض الروايات قال الحافظ ابن حجر يحتمل ان يكون أى سفر ابي بكر معه صلى الله عليه وسلم فى سفرة أخرى بعد سفرة ابي طالب انتهى (أقول) وهي سفرته مع ميسرة غلام خديجة فانه لم يثبت انه صلى الله عليه وسلم سافر الى الشام اكثر من مرتين ويؤيده ما تقدم من قول الراوى وهم يريدون الشام فى

فشمرت عن ساقي الازار ووسطت * بي الذعلب الوجناء بين السباسب فاشهد ان الله لا رب غيره * وانك مأمون على كل غائب
وانك أدنى المرسلين وسيلة * الى الله يا ابن الاكرمين الاطايب فمرنا بما يأتيك يا خير مرسل * وان كان فيما جاء شيب الذوائب
وكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة سواك بمغن عن سواد بن قارب ففرح النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بمقالتي
فرحا شديدا حتى رؤى الفرح في وجوههم وضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال أفلحت يا سواد قال البراء فرأيت عمر رضي الله عنه التزمه وقال لقد كنت أشتهي ان أسمع هذا الحديث منك فهل يأتيك رئيك اليوم فقال منذ قرأت القرآن فلا ونعم العوض كتاب الله تعالى من الجن وهذا السياق يدل على أن سيدنا عمر رضي الله عنه لم يكن حاضرا عند النبي صلى الله عليه وسلم لما أخبره سواد ولما توفي النبي صلى الله عليه وسلم وخشي سواد على قومه الردة قام فيهم خطيبا وقال يا معشر دوس من سعادة القوم أن يتعظوا بغيرهم ومن شقاوتهم ان لا يتعظوا الا بأنفسهم وان من لا تنفعه التجارب ضرته ومن لم يسعه الحق لم يسعه الباطل وانما تسلمون اليوم بما أسلمتم به أمس ولا ينبغي لاهل البلاء الآن يكونوا أذكر من اهل العافية للعافية ولست أدري لعله يكون للناس جولة فان لم تكن فالسلامة منها الاناة والله يحبها فأحبوها فأجابه القوم بالسمع والطاعة *(ومن ذلك)* ان امرأة كانت كاهنة بالمدينة يقال لها حطيمة كان لها تابع من الجن فجاءها يوما فوقف على جدارها فقالت له مالك لا تدخل تحدثنا ونحدثك فقال انه قد بعث نبي بمكة يحرم الزنا فحدثت بذلك فكان أول خبر تحدث به بالمدينة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (وأما ما سمع) من جوف الاصنام فكثير أيضا فمنها خبر عباس بن مرداس رضي الله عنه قال كان لابيه

تجاراتهم لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يخرج تاجرا الا في تلك السفرة وسيأتي ان هذا القول قاله الراهب نسطورا لا بحيرا قاله لميسرة لا لابي بكر الآن يقال لا مانع ان يكون قال ذلك لميسرة ولابي بكر لكن يعكر عليه ما سيأتي ان سنه صلى الله عليه وسلم حين سافر مع ميسرة كان خمسا وعشرين سنة على الراجح لا عشر سنين وعلى هذا فالشجرة لم تكن الا عند صومعة الراهب نسطورا لا عند صومعة الراهب بحيرا وذكر بحيرا موضع نسطورا وهو مما وقع في شرف المصطفى للنيسابوري وهم من بعض الرواة سرى اليه من اتحاد محلهما وهو سوق بصرى الا ان يقال يجوز أن يكون الراهب نسطورا خلف بحيرا في تلك الصومعة لموته مثلا وهو اقرب من دعوى تعدد الشجرة فتكون واحدة عند صومعة بحيرا وواحدة عند صومعة نسطورا وكلاهما قال فيها عيسى ما ذكرا ومن دعوى اتحادها وانها بين صومعة بحيرا وصومعة نسطورا وان العير الذي كان فيه أبو طالب نزل جهة صومعة بحيرا والعير الذي كان فيه أبو بكر وميسرة نزل جهة صومعة نسطورا وسيأتي ان بحيرا ونسطورا ونحوهما ممن صدق بأنه صلى الله عليه وسلم نبي هذه الامة من اهل الفترة لا من اهل الاسلام لانهما لم يدركا البعثة اي الرسالة بناء على اقترانها بالنبوة او ان المراد بها النبوة أي لم يدركا النبوة فضلا عن الرسالة بناء على تأخرها عن النبوة ثم رأيت الحافظ ابن حجر قال في بحيرا ما ادري ادرك البعثة أم لا هذا كلامه في الاصابة وليس هذا بحيرا الراهب الصحابي الذي هو احد الثمانية الذين قدموا مع جعفر بن أبي طالب من الحبشة فمنه رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا شرب الرجل كأسا من خمر الحديث ومن قال ان هذا الحديث منكر ظن ان بحيرا هذا هو بحيرا المذكور هنا الذي لقي النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة والله أعلم

(باب ما حفظه الله تعالى به في صغره صلى الله عليه وسلم من أمر الجاهلية)

أي من اقذارهم ومعايبهم اي بحسب ما آل اليه شرعه لما يريد الله تعالى به من كرامته حتى صار احسنهم خلقا واصدقهم حديثا وأعظمهم امانة وأبعدهم من الفحش والاخلاق التي تدنس الرجال تنزيها وتكريما اي حتى كان صلى الله عليه وسلم أفضل قومه مروأة وأحسنهم خلقا واكرمهم مخالطة وخيرهم جوارا واعظمهم حلما وأمانة وأصدقهم حديثا فسموه الامين لما جمع الله عز وجل فيه من الامور الصالحة الحميدة والفعال السديدة من الحلم والصبر والشكر والعدل والزهد والتواضع والعفة والجود والشجاعة

مرداس السلمى وثن يعبده يقال له ضمار بكسر الضاد المعجمة وبالميم المخففة بعدها ألف ثم راء مهملة فلما حضرت مرداسا الوفاة قال للعباس ولده اى بنى اعبد ضمارا فانه ينفعك ولا يضرك فبيناعباس يوما عند ضمار اذ سمع من جوف ضمار مناديا يقول

من للقبائل من سليم كلها * أودى ضمار وعاش اهل المسجد
ان الذى ورث النبوة والهدى
بعد ابن مريم من قريش مهتدى
أودى ضمار وكان يعبد مرة
قبل الكتاب الى النبى محمد

فحرق عباس ضمارا ولحق بالنبى صلى الله عليه وسلم وفى لفظ ان عباس بن مرداس كان فى لقاح له نصف النهار اذ طلع عليه راكب على نعامة بيضاء وعليه ثياب بيض فقال يا عباس ألم تر الى السماء قد كفت احراسها وان الحرب قد جرعت أنفاسها وان الخيل وضعت أحلاسها وان الذى نزل عليه البر والتقوى صاحب الناقة القصوا قال العباس فراعنى ذلك فجئت وثنا لنا يقال له الضمار كنا نعبده ونكلم من جوفه فكنست حوله ثم تمسحت به فاذا صائح يصيح من جوفه

قل للقبائل من قريش كلها
هلك الضمار وفاز أهل المسجد
هلك الضمار وكان يعبد مرة
قبل الصلاة على النبى محمد
ان الذى ورث النبوة والهدى
بعد ابن مريم من قريش مهتدى

قال عباس فخرجت مع قومى بنى حارثة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت المسجد فلما رآنى صلى الله عليه وسلم تبسم وقال يا عباس كيف اسلامك فقصصت عليه القصة فقال صدقت واسلمت انا وقومى (ومن ذلك) * خبر مازن بن الغضوبة قال كنت أسدن اى أخدم صنما بقرية عمان يدعى سمائل وسمال يقال له باجر وفى لفظ باحم بالحاء المهملة فعترنا عنده ذات يوم عتيرة وهى الذبيحة مطلقا وقيل فى رجب خاصة فسمعنا صوتا من جوف الصنم يقول

والشجاعة والحياء والمروأة (فمن) ذلك ما ذكره ابن اسحق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد رأيتنى اى رأيت نفسى فى غلمان من قريش ننقل الحجارة لبعض ما يلعب به الغلمان كلنا قد تعرى واخذ ازاره وجعله على رقبته يحمل عليها الحجارة وانى لاقبل معهم كذلك وادبر اذ لكمنى لاكم اى من الملائكة ما أراها لكمة وجيعة وفى لفظ لكمنى لكمة شديدة وقد يقال لا منافاة لانها مع شدتها لم تكن وجيعة له صلى الله عليه وسلم ثم قال شد عليك ازارك فأخذته فشددته على ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتى وازارى على من بين اصحابى اى وقد وقع له صلى الله عليه وسلم مثل ذلك اى نقل الحجارة عاريا عند اصلاح ابى طالب لزمزم فعن ابن اسحق وصححه أبو نعيم قال كان ابو طالب يعالج زمزم وكان النبى صلى الله عليه وسلم ينقل الحجارة وهو غلام فأخذ ازاره واتقى به الحجارة فغشى عليه فلما أفاق سأله ابو طالب فقال أتانى آت عليه ثياب بيض فقال لى استتر فما رؤيت عورته صلى الله عليه وسلم من يومئذ وفى الخصائص الصغرى ونهى صلى الله عليه وسلم عن التعرى وكشف العورة من قبل ان يبعث بخمس سنين وقد وقع له صلى الله عليه وسلم مثل ذلك اى نهيه عن التعرى عند بنيان الكعبة كما سيأتى وسيأتى ما فيه (ومن) ذلك ما جاء عن على رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما هممت بقبيح مما هم به اهل الجاهلية اى ويفعلونه الا مرتين من الدهر كلتاهما عصمنى الله عز وجل منهما اى من فعلهما قلت لفتى كان معى من قريش بأعلى مكة فى غنم لاهله يرعاها أى وفى لفظ قلت ليلة لبعض فتيان مكة ونحن فى رعاية غنم أهلنا لم اقف على اسم هذا الفتى ابصر لى غنمى حتى اسمر هذه الليلة بمكة كما يسمر الفتيان قال نعم واصل السمر الحديث ليلا فخرجت فلما جئت أدنى دار من دور مكة سمعت غناء وصوت دفوف ومزامير فقلت ما هذا فقالوا فلان قد تزوج بفلانة لرجل من قريش تزوج امرأة من قريش فلهوت بذلك الصوت حتى غلبتنى عيناى فنمت فما أيقظنى الا مس الشمس اى وفى لفظ فجلست انظر اى اسمع وضرب الله على اذنى فوالله ما يقظنى الا حر الشمس فرجعت الى صاحبى فقال ما فعلت فأخبرته ثم فعلت الليلة الاخرى مثل ذلك (اقول) المناسب لقوله عصمنى الله ما فى الرواية الثانية لا ما ذكر فى الرواية الاولى الا أن يحمل قوله فى الرواية الاولى فلهوت على اردت ان الهو والله أعلم فقال صلى الله عليه وسلم والله ما هممت بغيرهما بسوء مما تعمله اهل الجاهلية اى ما هممت بسوء مما تعمله أهل الجاهلية غيرهما وفى لفظ فوالله ما هممت ولا عدت بعدهما الشئ من ذلك أى مما

يا مازن اسمع تسر ظهر خير وبطن شر بعث نبي من مضر بدين الله الاعز الاكبر فدع نحيتا من حجر تسلم من حر نار سقر

قال مازن ففزعت لذلك الصنم فسمعت صوتا منه يقول

أقبل الى اقبل * تسمع مالا تجهل هذا نبي مرسل * جاء بحق منزل

آمن به كي تعدل

عن حر نار تشعل

وقودها بالجندل

فقلت ان هذا العجب وانه لخير يراد بي قال مازن فبينما نحن كذلك اذ قدم رجل من أهل الحجاز فقلنا له ما الخبر وراءك قال قد ظهر رجل يقال له أحمد يقول لمن أتاه أجيبوا داعي الله فقلت هذا نبأ ما سمعته فنزلت الى الصنم فكسرته جذاذا وركبت راحلتي وأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرح لي الاسلام فاسلمت وقلت

كسرت بادر أجذاذا وكان لنا

ربا نطيف به ملأ بتضلال

بالهاشمي هدانا من ضلالتنا

ولم يكن دينه شيأ على بال

يارا كبا بلغا عمرا واخوتها

انى لما قال ربي بادر تالى

قال مازن فقلت يا رسول الله انى مولع بالطرب أى مغرم به وبشرب الخمر وبالهلوك الفاجرة من النساء التى تمايل وتتثنى عند جماعها وألحت اى دامت علينا السنون أى اعوام القحط والجدب فذهبن بالاموال وهزلن الذراري والعيال وليس لى ولد فادع الله أن يذهب عني ما اجد ويأتيني بالحيا ويهب لى ولدا فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم أبدله بالطرب قراءة القرآن وبالحرام الحلال وبالخمر ريا لا اثم فيه وبالعهر اى الزنا العفة وأته بالحيا وهب له ولدا قال مازن فأذهب الله عني ما كنت اجده وتعلمت شطر القرآن وحججت حججا وأخصب عمان يعني قريته وما حولها من قرى عمان وتزوجت أربع

تعظمه اهل الجاهلية ولا هممت به حتى اكرمني الله تعالى بنبوته (ومن ذلك) ما جاء عن ام ايمن رضي الله عنها انها قالت كان بوانة بضم الموحدة وبفتح الواو مخففة بعدها ألف ونون صنما تحضره قريش وتعظمه وتنسك اى تذبح له وتحلق عنده وتعكف عليه يوما الى الليل فى كل سنة فكان ابو طالب يحضر مع قومه ويكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحضر ذلك العيد معه فيأبى ذلك حتى قالت رأيت ابا طالب غضب عليه ورأيت عماته غضبن عليه يومئذ أشد الغضب وجعلن يقلن انا لنخاف عليك مما تصنع من اجتناب آلهتنا ويقلن ما تريد يا محمد ان تحضر لقومك عيدا ولا تكثر لهم جمعا فلم يزالوا به حتى ذهب فغاب عنهم ماشاء الله ثم رجع مرعوبا فزعا فقلن ما دهاك قال انى اخشى ان يكون بي لمم اى لمة وهو المس من الشيطان فقلن ما كان الله عز وجل ليبتليك بالشيطان وفيك من خصال الخير ما فيك فما الذي رأيت قال انى كلما دنوت من صنم منها اى من تلك الاصنام التى عند ذلك الصنم الكبير الذى هو بوانة تمثل لي رجل ابيض طويل اى وذلك من الملائكة يصيح بي وراءك يا محمد لا تمسه قالت فما عاد الى عيد لهم حتى تنبأ صلى الله عليه وسلم (اقول) ظاهر هذا السياق ان اللمم يكون من الشيطان وحينئذ يكون بمعنى اللمة وهى المس من الشيطان كما قدمناه فقد اطلق اللمم على اللمة والا فاللمم نوع من الجنون كما تقدم فى قصة الرضاع قد أصابه لمم او طائف من الجن اذ هو يدل على ان اللمم يكون من غير الشيطان كمرض وعبارة الصحاح اللمم طرف من الجنون وأصاب فلانا من الجن لمة وهى المس أى فقد غاير بينهما والله أعلم (ومن ذلك) ما روته عائشة رضي الله تعالى عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سمعت زيد بن عمرو بن نفيل يعيب كل ما ذبح لغير الله تعالى اى فكان يقول لقريش الشاة خلقها الله عز وجل وانزل لها من السماء الماء وانبت لها من الارض الكلأ ثم تذبحونها على غير اسم الله فما ذقت شيأ ذبح على النصب اى الاصنام حتى اكرمني الله تعالى برسالته اى وزيد بن عمرو كان قبل النبوة زمن الفترة على دين ابراهيم عليه السلام فانه لم يدخل فى يهودية ولا نصرانية واعتزل الاوثان والذبائح التى تذبح للاوثان ونهى عن الوأد وتقدم انه كان يحييها اذا أراد احد ذلك أخذ الموؤدة من أبيها وتكفلها وكان اذا دخل الكعبة يقول لبيك حقا تعبدا وصدقا وقيل ورقا عذت بما عاذ به ابراهيم ويسجد للكعبة قال صلى الله عليه وسلم انه يبعث امة وحده اى يقوم مقام جماعة انتهى اى فان ولده سعيدا قال يا رسول الله ان زيدا كان كما قد رأيت وبلغك فاستغفر له قال نعم استغفر له فانه يبعث يوم القيامة امة

امة وحده وفى البخارى عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم لقى زيد بن عمرو بن نفيل قبل ان ينزل على النبى صلى الله عليه وسلم الوحى وقد قدمت الى النبى صلى الله عليه وسلم سفرة أى فيها شاة ذبحت لغير الله عز وجل او قدمها النبى صلى الله عليه وسلم اليه فأبى ان يأكل منها وقال انى لست آكل ما تذبحون على انصابكم ولا آكل الا ما ذكر اسم الله عليه ولعل هذا كان قبل ما تقدم عنه صلى الله عليه وسلم وان ذلك كان هو السبب فى ذلك قال الامام السهيلى وفيه سؤال كيف وفق الله عز وجل زيدا الى ترك ما ذبح على النصب وما لم يذكر اسم الله عليه ورسوله صلى الله عليه وسلم كان أولى بهذه الفضيلة فى الجاهلية لما ثبت من عصمة الله تعالى له اى فكان صلى الله عليه وسلم يترك ذلك من عند نفسه لا تباعا لزيد بن عمرو وحينئذ لا يحسن الجواب الذى أشرنا اليه بقولنا وأجاب أى السهيلى بانه لم يثبت انه صلى الله عليه وسلم اكل من تلك السفرة أى ولا من غيرها سلمنا انه اكل قبل ذلك مما ذبح على النصب فتحريم ذلك لم يكن من شرع ابراهيم وانما كان تحريم ذلك فى الاسلام والاصل فى الاشياء قبل ورود الشرع على الاباحة هذا كلامه وفيه ان هذا التسليم يبطل عند الشمس الشامى ذلك من أمر الجاهلية التى حفظه الله تعالى منه فى صغره ويخالف ما ذكره بعضهم من ان زيد بن عمرو وهذا هو رابع أربعة من قريش فارقوا قومهم فتركوا الاوثان والميتة وما ذبح للاوثان * كانوا يوما فى عيد لصنم من اصنامهم ينحرون عنده ويعكفون عليه ويطوفون به فى ذلك اليوم فقال بعضهم لبعض تعلمون والله ما قومكم على شئ لقد اخطؤا دين أبيهم ابراهيم فما حجر نطوف به لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ثم تفرقوا فى البلاد يلتمسون الحنيفية دين ابراهيم وظاهر هذا السياق ان تركهم للاوثان كان بعد عبادتهم لها وسيأتى عن ابن الجوزى انهم لم يعبدوها وهؤلاء الثلاثة الذى زيد بن عمرو رابعهم ورقة بن نوفل وعبيد الله بن جحش ابن عمته صلى الله عليه وسلم أميمة وعثمان بن الحويرث وزاد ابن الجوزى على هؤلاء الاربعة جماعة آخرين سيأتى الكلام عليهم عند الكلام على أول من اسلم وزيد بن عمرو بن نفيل هذا كان ابن أخى الخطاب والد سيدنا عمر أخاه لامه فأما ورقة فلم يدرك البعثة على ما سيأتى وكان ممن دخل فى النصرانية اى بعد دخوله فى اليهودية كما سيأتى وأما عبيد الله بن جحش فادرك البعثة وأسلم وهاجر الى الحبشة مع من هاجر من المسلمين ثم تنصر هنالك كما سيأتى وكان يمر على المسلمين ويقول لهم فقحنا وصأصأتم اى ابصرنا وأنتم تلتمسون البصر ولم تبصروا ومات على النصرانية وأما عثمان بن الحويرث فلم يدرك

حوائر ووهب الله لى حبان يعنى ولده وانشأت اقول اليك رسول الله حنت مطيتى * تجوب الفيافى من عمان الى العرج لتشفع لى يا خير من وطئ الحصى * فيغفر لى ذنبى وارجع بالفلج الى معشر خالفت فى الله دينهم * ولا رأيهم رأيى ولا شرجهم شرجى وكنت امرأ بالعهر والخمر مولعا * شبابى حتى آذن الجسم بالنهج فبدلنى بالخمر خوفا وخشية وبالعهر احصانا فحصن لى فرجى فأصبحت همى فى الجهاد ونيتى فلله ما صومى ولله ما حجى قال مازن فلما رجعت الى قومى أنبونى أى عنفونى وشتمونى ولاموني وأمروا شاعرهم فهجانى فقلت ان هجوتهم فانما أهجو نفسى فتنحيت عنهم وبنيت مسجدا أتعبد فيه فكان لا يأتى هذا المسجد أحد مظلوم فيتعبد فيه ثلاثا ويدعو على من ظلمه الا استجيب له ولا دعا ذو عاهة من برص او غيره الا عوفى ثم ان القوم قدموا وطلبوا منى الرجوع اليهم فأسلموا كلهم ذكره الحلبى فى السيرة * (واما ما سمع) * من أجواف الذبائح فمنه ما جاء عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال كانوا يوما فى حى من قريش يقال لهم آل ذريح بالحاء المهملة وقد ذبحوا عجلا لهم والجزار يعالجه فسمعنا صوتا من جوف العجل ولا نرى شيأ يقول يا آل ذريح أمر نجيح صائح يصيح بلسان فصيح يشهد ان لا اله الا الله والمراد بالذريح العجل الذى ذبح لانه ملطخ بالدم الاحمر يقال أحمر ذريحى اى شديد الحمرة والذى فى البخارى يقول يا جليح أمر نجيح رجل فصيح يقول لا اله الا الله والمراد بالجليح العجل المذبوح ايضا لانه قد جلح جلده اى كشف عنه جلده (وأما ما سمع) من الهواتف ولم يجئ على ألسنة الكهان ولا سمع من جوف الاصنام ولا من جوف الذبائح فكثير من ذلك ما حدث به بعضهم وذكره للنبى صلى الله عليه وسلم قال يا رسول الله لقد رأيت من قس عجبا خرجت أطلب بعيرا لى حتى اذا

البعثة وقدم على قيصر ملك الروم وتنصر عنده وأما زيد بن عمرو بن نفيل هذا كان يوبخ قريشا ويقول لهم والذى نفس زيد بن عمرو بيده ما أصبح احد منكم على دين ابراهيم غيرى حتى ان عمه الخطاب أخرجه من مكة وأسكنه بحراء ووكل به من يمنعه من دخول مكة كراهة أن يفسد عليهم دينهم ثم خرج يطلب الحنيفية دين ابراهيم ويسأل الاحبار والرهبان عن ذلك حتى بلغ الموصل ثم أقبل الى الشام فجاء الى راهب به كان انتهى اليه علم أهل النصرانية فسأله عن ذلك فقال له انك لتطلب دينا ما أنت بواجد من يحملك عليه اليوم ولكن قد اظلك زمان نبى يخرج من بلادك التى خرجت منها يبعث بدين ابراهيم الحنيفية فالحق بها فانه مبعوث الآن هذا زمانه فخرج سريعا يريد مكة حتى اذا توسط بلاد لخم عدوا عليه وقتلوه ودفن بمكان يقال له ميفعة وقيل دفن بأصل جبل حراء هذا وفى كلام الواقدى عن زيد بن عمرو انه قال لعامر بن ربيعة وانا انتظر نبيا من ولد اسمعيل ولا ارى ان أدركه وانا أدين به واصدقه وأشهد انه نبى فان طالت بك مدة فرأيته فسلم منى عليه قال عامر فلما اسلمت بلغته صلى الله عليه وسلم عن زيد السلام قال فرد عليه السلام وترحم عليه وتقدم ان ولده سعيدا سأل النبى صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لابيه زيد فقال نعم استغفر له الحديث قال وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فوجدت لزيد بن عمرو دوحتين اى شجرتين عظيمتين قال الحافظ ابن كثير اسناده جيد قوى اى وقال الا انه ليس فى شئ من الكتب وفى رواية رأيته فى الجنة يسحب ذيولا (وعن الزهرى) نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكل ماذبح للجن وعلى اسمهم وأما ما قيل عند ذبحه بسم الله واسم محمد فحلال أكله وان كان القول المذكور حراما لايهامه التشريك وهذا من جملة المحال المستثناة من قوله تعالى لا اذكر الا وتذكر معى فقد جاء أتانى جبريل فقال ان ربى وربك يقول لك أتدرى كيف رفعت ذكرك اى على اى حال جعلت ذكرك مرفوعا مشرفا المذكور وذلك فى قوله تعالى ألم نشرح لك صدرك الى قوله ورفعنا لك ذكرك قلت الله أعلم قال لا اذكر الا وتذكر معى أى فى غالب المواطن وجوبا وندبا ومن ذلك ماروى عن على رضى الله تعالى عنه قال قيل للنبى صلى الله عليه وسلم هل عبدت وثنا قط قال لا قالوا هل شربت خمرا قط قال لا ومازلت اعرف ان الذى هم عليه كفر وما كنت أدرى ما الكتاب ولا الايمان انتهى (أقول) تحريم شرب الخمر فى الجاهلية ليس من خصائصه صلى الله عليه وسلم بل حرمها على نفسه فى الجاهلية جماعة كثيرون سيأتى ذكر بعضهم

عسعس الليل اى أدبر وكاد الصبح ان يتنفس هتف بى هاتف يقول   يا أيها الراقد فى الليل الاجم * قد بعث الله نبيا بالحرم
من هاشم اهل الوفاء والكرم * يجلو دجنات الليالى والبهم   فأدرت طرفى فما رأيت شخصا فأنشأت اقول
يا أيها الهاتف فى داجى الظلم   ١٦٦   أهلا وسهلا بك من طيف ألم   بين هداك الله فى لحن الكلم
من ذا الذى تدعو اليه يغتنم
فاذا بنحنحة وقائل يقول
ظهر النور وبطل الزور وبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بالحبور صاحب النجيب الاحمر والتاج الاغر والطرف الاحور صاحب قول شهادة ان لا اله الا الله فذلك محمد المبعوث الى الاسود والاحمر أهل المدر والوبر ثم أنشأ يقول

الحمد لله الذى
لم يخلق الخلق عبث
أرسل فينا احمدا
خير نبى قد بعث
عليه صلى الله ما
حج له ركب وحث

والى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله

وتغنت بمدحه الجن حتى
أطرب الانس منه ذاك الغناء

قال فلاح الصباح واذا بالفنيق أى الفحل الكريم من الابل يشقشق أى يهدر الى النوق فأمسكت خطامه وعلوت سنامه حتى لغب اى تعب فنزلت فى روضة خضراء فاذا أنا بقس بن ساعدة فى ظل شجرة وبيده قضيب من أراك ينكت به فى الارض
وهو يقول   يا ناعى الموت والملحود فى جدث * عليهم من بقايا بزهم خرق   دعهم فان لهم يوما يصاح بهم   وتقدم
فهم اذا انتبهوا من نومهم فرقوا   حتى يعودوا لحال غير حالهم * خلقا جديدا كما من قبله خلقوا
منهم عراة ومنهم فى ثيابهم * منها الجديد ومنها المنهج الخلق   قال فدنوت منه فسلمت عليه فرد على السلام فاذا بعين خوارة

ؤصعد بين قبرين واسدين عظيمين يلوذان به واذا باحدهما قدسبق الآخر الى الماء فتبعه الآخر يطلب الماء فضربه بالقضيب الذى بيده وقال ارجع ثكلتك أمك حتى يشرب الذى قبلك فرجع ثم ورد بعده فقلت ما هذان القبران قال هذان قبران لاخوين لى كانا يعبدان الله عزوجل فى هذا المكان لايشركان بالله شيأ اسم أحدهما سمعون والآخر سمعان فأدركهما الموت فقبرتهما وها أنا بين قبريهما حتى ألحق بهما ثم نظر اليهما وأنشد أبياتا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله قسا انى أرجو ان يبعثه الله أمة وحده اى يقوم مقام جماعة ولما مات قس قبر عندهما وتلك القبور الثلاثة بقرية يقال لها أم روحين من اعمال حلب وعليها بناء والناس يزورنهم وعليهم وقف ولهم خدام (ومن ذلك) ما ذكره الواقدى باسناده قال كان ابو هريرة رضى الله عنه يحدث ان قوما من خثعم كانوا عند صنم لهم جلوسا وكانوا يتحاكمون الى أصنامهم فبيناهم عند صنمهم اذسمعوا هاتفا يقول

يا أيها الناس ذووا الاحكام
ومسندوا الحكم الى الاصنام
أما ترون ما ارى أمامى
من ساطع يجلو دجى الظلام
ذاك نبى سيد الانام
من هاشم فى ذروة السنام
مستعلن بالبلد الحرام
جاء بهدم الكفر بالاسلام

قال أبو هريرة فأمسكوا ساعة حتى حفظوا ذلك ثم تفرقوا فلم يمض بهم ثالثهم حتى فجأهم خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قدظهر بمكة أى جاءهم ذلك بغتة (وأما خبر) زميل بن عمرو العذرى فهو انه قال كان لبنى عذرة وهى قبيلة من اليمن صنم يقال له خمام وكانوا يعظمونه وكان فى بنى هند بن حرام وكان سادنه رجلا يقال له طارق وكانوا يعترون أى يذبحون الذبائح عنده فلما ظهر النبى صلى الله عليه وسلم سمعنا صوتا يقول يا بنى هند بن حرام ظهر الحق وأودى خمام

وتقدم ذكر بعض منهم وكون شرب الخمر من الكفر على ما هو ظاهر السياق بمعنى ينبغى أن يجتنب كما يجتنب الكفر ولعل صدور هذا منه صلى الله عليه وسلم كان بعد تحريم الخمر ويكون الاتيان بذلك للمبالغة فى الزجر عنها والتباعد منها لانها أم الخبائث وقد كانت نفوس غالبهم التفتها وهذا محمل ما جاء أتانى جبريل فقال بشر أمتك انه من مات لايشرك بالله شيأ أى مصدقا بما جئت به دخل الجنة أى لابد وان يدخل الجنة وان دخل النار قلت ياجبريل وان زنى وان سرق قال نعم قلت وان سرق وان زنى قال نعم قلت وان سرق وان زنى قال نعم وان شرب الخمر والمراد بتحريمها تحريمها على الناس والافنى الخصائص الصغرى للسيوطى وحرمت عليه الخمر من قبل ما يبعث قبل ان تحرم على الناس بعشرين سنة والله أعلم قال واما ما رواه جابر بن عبد الله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشهد مع المشركين مشاهدهم فسمع ملكين خلفه واحد يقول لصاحبه اذهب بنا نقوم خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف نقوم خلفه وانما عهده باستلام الاصنام قبل فلم يعد بعد ذلك يشهد مع المشركين مشاهدهم قال الحافظ ابن حجر انكره الناس أى فقد قال الامام احمد كما فى الشفاء انه موضوع أو يشبه الموضوع وقال الدارقطنى ان ابن أبى شيبة وهم فى اسناده والحديث بالجملة منكر فلا يلتفت اليه والمنكر فيه قول الملك عهده باستلام الاصنام قبل فان ظاهره انه باشر الاستلام وليس ذلك مرادا أبدا بل المراد انه شاهد مباشرة المشركين استلام أصنامهم أى لشهوده بعض مشاهدهم التى تكون عند الاصنام وقال غيره والمراد بالمشاهد التى شهدها أى التى كان يشهدها مشاهد الحلف ونحوها كالضيافات الآتى بيانها لامشاهد استلام الاصنام فانه يرده ما تقدم عن أم أيمن انتهى أى من قولها ان بوانة كان صنما لقريش تعظمه وتعتكف عليه يوما الى الليل فى كل سنة الى آخره اى ويرده أيضا ما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم لبحيرا لما حلفه باللات والعزى لاتسألنى بهما فانى والله ما أبغضت شيأ قط بغضهما الا ان مثل اللات والعزى غيرهما من الاصنام فى ذلك وما سيأتى من قوله صلى الله عليه وسلم لخديجة رضى الله تعالى عنها والله ما أبغضت بغض هذه الاصنام شيأ قط وما جاء انه صلى الله عليه وسلم قال لما نشأت بغضت الى الاوثان وبغض الى الشعر والله سبحانه وتعالى أعلم

* (باب رعيته صلى الله عليه وسلم الغنم) *

قال رعيته بكسر الراء المراد الهيئة انتهى (أقول) المبين فى هذا الباب انما هو فعله صلى الله عليه وسلم الذى هو رعيه للغنم لابيان هيئة رعيه الغنم فرعيته بفتح الراء لا بكسرها والله

أى هلك ورفع منا الشرك الاسلام قال زميل ففزعنا لذلك وهالنا فمكثنا أياما ثم سمعنا صوتا يقول ياطارق ياطارق بعث النبي الصادق بوحى ناطق صدع صدعه بارض تهامه لناصريه السلامه ولخاذليه الندامه هذا الوداع منى الى يوم القيامه فوقع الصنم لوجهه فان

كان ذلك الصوت من جوف الصنم ويرشد اليه قوله هذا الوداع منى الى يوم القيامة فهو من غير هذا النوع وان لم يكن فهو من هذا النوع قال زميل فاشتريت راحلة ورحلت حتى أتيت النبي صلى الله عليه وسلم مع نفر من قومى وأنشدته

اليك رسول الله أعملت نصها
أكلفها حزنا وقوزا من الرمل
لانصر خير الناس نصرا موزرا
واعقد حبلا من حبالك فى حبلى
وأشهد أن الله لاشئ غيره
أدين له ما أثقلت قدمى نعلى

(ومن هذا النوع خبر تميم الدارى الآتى) ويكنى أبا رقية اسم ابنة له لم يولد له غيرها وقد روى له صلى الله عليه وسلم قصة الجساسة مع الدجال فقال حدثنى تميم الدارى الخ القصة المذكورة فى غير هذا الكتاب وهذا أولى ما يخرجه المحدثون فى رواية الكبار عن الصغار ومن رواية الكبار عن الصغار أيضا ما ذكر ان أبا بكر رضى الله عنه مر يوما على ابنته عائشة رضى الله عنها فقال هل سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاء كان يعلمناه وذكر ان عيسى بن مريم عليهما السلام كان يعلمه اصحابه ويقول لو كان على أحدكم جبل دين قضاه الله عنه قالت نعم يقول اللهم فارج الهم كاشف الغم مجيب دعوة المضطرين رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما أنت ترحمنى فارحمنى برحمة تغنينى بها عن رحمة من سواك قال أبو بكر رضى الله عنه فكان على دين وكنت له كارها فقلته فلم ألبث الايسيرا حتى قضيته (رجعنا الى خبر تميم الدارى) قال رضى الله عنه الابل

اعلم * عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بعث الله نبيا الا رعى الغنم قال له أصحابه وانت يارسول الله قال وأنا رعيتها لاهل مكة بالقراريط اى وهى اجزاء من الدراهم والدنانير يشترى بها الحوائج الحقيرة قال سويد بن سعيد يعنى كل شاة بقيراط وقيل القراريط موضع بمكة فقد قال ابراهيم الحربى قراريط موضع ولم يرد بذلك القراريط من الفضة اى والذهب قال وأيد هذا الثانى بان العرب لم تكن تعرف القراريط التى هى قطع الذهب والفضة بدليل انه جاء فى الصحيح ستفتحون ارضا يذكر فيها القيراط ولانه جاء فى بعض الروايات لاهلى ولا يرعى لاهله باجرة أى كما قضت بذلك العادة وأيضا جاء فى بعض الروايات بدل بالقراريط باجياد فدل ذلك على ان القراريط اسم محل عبر عنه تارة بالقراريط وتارة باجياد ورد بان أهل مكة لا يعرفون بها محلا يقال له القراريط وحينئذ يكون أراد باهله أهل مكة لا أقاربه التى تقضى العادة بانه لا يرعى لهم بالاجرة والاضافة تأتى لادنى ملابسة ويدل لذلك ما جاء فى رواية البخارى كنت ارعاها أى الغنم على قراريط لاهل مكة وذكره البخارى كذلك فى باب الاجارة وذلك يبعد ان المراد بالقراريط المحل وجعل على بمعنى الباء ويرد القول بان العرب لم تكن تعرف القراريط التى هى قطع الدراهم والدنانير أى ويمنع دلالة قوله صلى الله عليه وسلم ستفتحون أرضا يذكر فيها القيراط على ذلك لجواز أن يكون المراد يذكر فيها القيراط كثيرا لكثرة التعامل به فيها أو ان المراد بالقيراط ما يذكر فى المساحة وجمع الحافظ ابن حجر بأنه رعى لاهله أى أقاربه بغير أجرة ولغيرهم باجرة والمراد بقوله اهلى أهل مكة اى الشامل لاقاربه ولغيرهم قال فيتجه الخبران ويكون فى احد الحديثين بين الاجرة اى التى هى القراريط وفى الآخر بين المكان اى الذى هو اجياد فلا تنافى فى ذلك هذا كلامه ملخصا وعبارته تقتضى وقوع الامرين منه صلى الله عليه وسلم وهو مما يتوقف على النقل فى ذلك قال ابن الجوزى كان موسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم رعاة غنم وهذا يرد قول بعضهم لم يرد ابن اسحق برعايته صلى الله عليه وسلم الغنم الا رعايته اياها فى بنى سعد مع أخيه من الرضاع أى وقد يتوقف فى كون قول ابن الجوزى هذا بمجرده يرد قول هذا البعض نعم يرده ما تقدم وما يأتى وفى الهدى انه صلى الله عليه وسلم آجر نفسه قبل النبوة فى رعية الغنم (ومن حكمة الله) عز وجل فى ذلك ان الرجل اذا استرعى الغنم التى هى اضعف البهائم سكن قلبه الرأفة واللطف تعطفا فاذا انتقل من ذلك الى رعاية الخلق كان قد هذب أولا من الحدة الطبيعية والظلم الغريزى فيكون فى أعدل الاحوال ووقع الافتخار بين أصحاب

الابل وأصحاب الغنم اى عند النبي صلى الله عليه وسلم فاستطال أصحاب الابل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث موسى وهو راعى غنم وبعث داود وهو راعى غنم وبعثت أنا وأنا راعى غنم أهلى باجياد اى وهو موضع باسفل مكة من شعابها ويقال له جياد بغير همزة واهل المراد به قوله راعى غنم اى وكذا قوله وأنا راعى غنم اى وقد رعى الغنم وقد رعيت الغنم اذ الاخذ بظاهر الحالية بعيد ولتنظر حكمة الاقتصار على من ذكر من الانبياء مع قوله السابق مابعث الله نبيا الا رعى الغنم وما يأتى من قوله وما من نبي الا وقد رعاها وقد قال صلى الله عليه وسلم الغنم بركة والابل عز لاهلها وقال فى الغنم سمنها معاشنا وصوفها رياشنا ودفؤها كساؤنا وفى رواية سمنها معاش وصوفها رياش اى وفى الحديث الفخر والخيلاء فى اصحاب الابل والسكينة والوقار فى أهل الغنم ولعل هذا لا ينافى ماجاء فى الامثال قالوا احمق وفى لفظ اجهل من راعى ضأن ثمانين لان الضأن تنفر من كل شئ فيحتاج راعيها الى جمعها اى وذلك سبب لحمقه فليتأمل وفى رواية الفخر والخيلاء وفى لفظ والرياء فى أهل الخيل والوبر قال وفيما تقدم فى الباب قبل هذا من امر السمر دليل على ذلك اى على رعايته للغنم أيضا وما رواه جابر رضى الله تعالى عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نجنى الكباث بكاف فباء موحدة مفتوحتين فثاء مثلثة اى وهو النضيج من ثمر الاراك وفى الحديث عليكم بالاسود من ثمر الاراك فانه أطيبه فانى كنت اجتنيه اذ كنت ارعى الغنم قلنا وكيف ترعى الغنم يارسول الله قال نعم وما من نبي الا وقد رعاها اه (اقول) وحينئذ لا ينبغى لاحد عير برعاية الغنم ان يقول كان النبي صلى الله عليه وسلم يرعى الغنم فان قال ذلك أدب لان ذلك كماعات كمال فى حق الانبياء عليهم الصلاة والسلام دون غيرهم فلا ينبغى الاحتجاج به ويجرى ذلك فى كل ما يكون كمالا فى حق النبي صلى الله عليه وسلم دون غيره كالامية فمن قيل له أنت أمى فقال كان النبي صلى الله عليه وسلم اميا يؤدب والله أعلم

(باب حضوره صلى الله عليه وسلم حرب الفجار)

اى بكسر الفاء بمعنى المفاجرة كالقتال بمعنى المقاتلة وهو فجار البراض بفتح الباء الموحدة وتشديد الراء وضاد معجمة عن ابن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حضرته يعنى الحرب المذكورة مع عمومتى ورميت فيه باسهم وما أحب أنى لم أكن فعلت وكان له من العمر اربع عشرة سنة اى وهذا الفجار الرابع وأما الفجار الاول فكان عمره صلى الله عليه وسلم حينئذ عشر سنين وسببه اى هذا الفجار الاول ان بدر بن معشر الغفارى كان له

كنت بالشام حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجت الى بعض حاجاتى فأدركنى الليل فقلت أنا فى جوار عظيم هذا الوادى فلما أخذت مضجعى اذ مناد ينادى عذ بالله فان الجن لا تجير أحدا على الله قال فقلت أيما الله تقول فقال قد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلينا خلفه بالحجون واسلمنا واتبعناه وذهب كيد الجن ورميت بالشهب فانطلق الى محمد وأسلم فلما أصبحت ذهبت الى دير أيوب فسألت راهبه وأخبرته فقال صدقوك تجده يخرج من الحرم اى مكة ومهاجره الحرم اى المدينة وهو خير الانبياء فلا تسبق اليه قال تميم فطلبت الشخوص حتى جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية فسرت الى مكة فلقيت النبي صلى الله عليه وسلم وكان مستخفيا فآمنت به وقيل ان ماذكر غلط وان مسيره انما كان الى المدينة بعد الهجرة لان اسلامه كان سنة تسع من الهجرة والله أعلم *(ومن ذلك)* ما حدث به سعيد بن جبير رضى الله عنه ان رجلا من بنى تميم حدث عن بدء اسلامه قال انى لاسير برمل عالج ذات ليلة اذ غلبنى النوم فنزلت عن راحلتى وأنختها ونمت وتعوذت قبل نومى فقلت اعوذ بعظيم هذا الوادى من الجن فرأيت فى منامى رجلا بيده حربة يريد أن يضعها فى نحر ناقتى فانتبهت فزعا فنظرت يمينا وشمالا فلم أر شيأ فقلت هذا حلم ثم غفوت فرأيت مثل ذلك فانتبهت واذا بناقتى ترعد ثم غفوت فرأيت مثل ذلك فانتبهت فرأيت ناقتى

تضطرب فالتفت فاذا أنا برجل شاب كالذى رأيته فى منامى وبيده حربة ورجل شيخ ممسك بيده ويرده عن ناقتى وبينما هما يتنازعان اذ طلعت ثلاثة أثوار من الوحش فقال الشيخ للفتى قم فخذ أيها شئت فداء الناقة جارى الانسى فقام الفتى فأخذ منها ثورا وانصرف ثم التفت الى الشيخ وقال يافتى اذا نزلت واديا من الاودية فخفت هوله فقل أعوذ

بالله رب محمد من هول هذا الوادي ولا تعذ بأحد من الجن فقد بطل أمرها فقلت له وما محمد قال نبي عربي لا شرقي ولا غربي قلت أين مسكنه قال يثرب ذات النخل فركبت ناقتي وحثثت السير حتى أتيت المدينة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثني قبل أن أذكر له شيأ بما وقع لي ودعاني الى الاسلام فأسلمت * (ونظير هذا ما حدث به بعض الصحابة رضي الله عنهم) * قال خرجت في طلب ابل لي فأدركتها ثم أردت النوم وكنا اذا نزلنا بواد قلنا نعوذ بعزيز هذا الوادي فتوسدت ناقتي وقلت أعوذ بعزيز هذا الوادي فاذا هاتف يقول

ويحك عذ بالله ذي الجلال
ومنزل الحرام والحلال
ووحد الله ولا تبالي
ما كيد ذي الجن من الاهوال
اذ تذكر الله على الاحوال
وفي سهول الارض والجبال
قد صار كيد الجن في سفال
الا النبي وصالح الاعمال

فقلت له

يا أيها القائل ما تقول
أرشد عندك ام تضليل

فقال

جاء رسول الله ذو الخيرات
جاء بياسين وحاميمات
وسور بعد مفصلات
يأمر بالصلاة والزكاة
ويزجر الاقوام عن مناة
قد كن في الاسلام منكرات

فقلت أما انه لو كان لي من يؤدي ابلي هذه الى اهلي لاتيته حتى أسلم فقال أنا أؤديها فركبت بعيرا منها ثم قدمت فاذا النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر وفي رواية فوافيت الناس في صلاة الجمعة فبينا انا أنيخ راحلتي اذ خرج الي أبو ذر فقال لي يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم ادخل فدخلت فلما رآني قال فما فعل الرجل وفي رواية ما فعل الشيخ الذي ضمن لك أن يؤدي ابلك اي أما انه قد أداها سالمة وقد قص الله على نبيه ما كان عليه الناس قبل بعثته من ان الانسان اذا نزل منزلا مخوفا قال أعوذ بسيد

مجلس يجلس فيه بسوق عكاظ و يفتخر على الناس فبسط يوما رجله وقال أنا اعز العرب فمن زعم انه اعز مني فليضربها بالسيف فوثب عليه رجل فضرب بالسيف على ركبته فاندرها اى اسقطها وازالها وقيل جرحه جرحا يسيرا قال بعضهم وهو الاصح فاقتتلوا وسبب الفجار الثاني ان امرأة من بني عامر كانت جالسة بسوق عكاظ فأطاف بها شاب من قريش من بني كنانة فسألها ان تكشف وجهها فأبت فجلس خلفها وهي لا تشعر وعقد ذيلها بشوكة فلما قامت انكشف دبرها فضحك الناس منها فنادت المرأة يا آل عامر فثاروا بالسلاح ونادى الشاب يا بني كنانة فاقتتلوا وقوله فسألها أن تكشف وجهها فأبت يدل على ان النساء في الجاهلية كن يأبين كشف وجوههن وسبب الفجار الثالث انه كان لرجل من بني عامر دين على رجل من بني كنانة فلواه به اى مطله فجرت بينهما مخاصمة فاقتتل الحيان وقد ذكر ان عبد الله بن جدعان تحمل ذلك الدين في ماله وكان ذلك سببا لانقضاء الحرب وقيل لم يقاتل صلى الله عليه وسلم في فجار البراض وعليه اقتصر في الوفاء اى لم يرم فيه باسهم بل قال كنت انبل على اعمامي اى أرد عليهم نبل عدوهم اذا رموه وقد يقال لا مخالفة لانه ليس في هذه العبارة انه لم يرم بل فيها انه كان ينبل ويجوز ان يكون اغلب أحواله صلى الله عليه وسلم ذلك اى انه كان ينبل اى يرد النبل فلا ينافي انه رمى في بعض الاوقات باسهم اى وفي كلام بعضهم كان ابو طالب يحضر أيام الفجار اى فجار البراض وكانت أربعة أيام ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غلام فاذا جاء هزمت قيس ولعل المراد قيس هوازن فلا ينافي ما يأتي من الاقتصار على هوازن واذا لم يجيء هزموا اى في يوم من تلك الايام هزمت كنانة فقالوا لا ابا لك لا تغب عنا ففعل ذكره في الامتاع وذكر فيه انه صلى الله عليه وسلم طعن أبا براء ملاعب الاسنة في تلك الحروب اى في بعض تلك الايام وابو براء هذا كان رئيس بني قيس وحامل رايتهم في تلك الحرب والطعن ظاهر في الرمح محتمل للنبل وظاهر كلامهم انه لم يقاتل فيه بغير الرمي للاسهم على تقدير صحة تلك الرواية بذلك ولا يبعد أن يكون رمى ولم يصب أحدا اذ لو أصاب أحدا لنقل لانه مما توفر الدواعي على نقله الا أن يقال بجواز أن يكون أصاب غرة لم تذكر لنا فليتأمل قال وسميت الفجار لان العرب فجرت فيه لانه وقع في الشهر الحرام اه (اقول) ظاهره حروب الفجار الاربعة اى التي هي فجار البراض وغيرها وظاهر كلامهم صلى الله عليه وسلم انه لم يحضر الا في الفجار الرابع الذي هو فجار البراض ثم رأيت التصريح بذلك في الوفاء وسأذكره وسيأتي في الباب الذي يلي هذا ان حرب الفجار لم يكن في شهر حرام وسيأتي في هذا الباب ما يدل على ذلك

هذا الوادى من شر سفهائه بقوله تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن اى حين ينزلون فى أسفارهم بمكان مخوف يقول كل رجل أعوذ بسيد هذا المكان من شر سفهائه فزادوهم رهقا اى زادوا الجن باستعاذتهم بهم طغيانا فيقولون سدنا الانس والجن * (ومن ذلك) * ما حكاه وائل بن حجر الحضرمى ويكنى ١٧١ اباهنيدة كان أبوه من الملوك قال وفدت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بشر أصحابه بقدومى فقال يأتيكم وائل بن حجر من أرض بعيدة من حضرموت راغبا فى الله عز وجل وفى رسوله صلى الله عليه وسلم وهو بقية أبناء الملوك قال وائل فما لقينى أحد من الصحابة الا قال بشرنا بك رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل قدومك بثلاث فلما دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم رحب بى وأدنانى من نفسه وقرب مجلسى وبسط لى رداءه فأجلسنى عليه وقال اللهم بارك فى وائل بن حجر وولده وولد ولده ثم صعد المنبر وأقامنى بين يديه ثم قال أيها الناس هذا وائل بن حجر أتاكم من أرض بعيدة من حضرموت راغبا فى الاسلام فقلت يارسول الله بلغنى ظهورك وأنا فى ملك عظيم فمن الله على أن رفضت ذلك كله وآثرت دين الله قال صدقت اللهم بارك فى وائل بن حجر وولده وولد ولده قال وسبب وفودى على رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان لى صنم من العقيق فبينا أنا نائم فى الظهيرة اذ سمعت صوتا منكرا من المخدع الذى به الصنم فأتيت الصنم وسجدت بين يديه واذا قائل يقول

واعجبا لوائل بن حجر * يخال يدرى وهو ليس يدرى
ماذا يرجى من نحيت صخر * ليس بذى نفع ولاذى ضر * لو كان ذا حجر أطاع أمرى

قال فقلت أسمعت أيها الهاتف الناصح فماذا تأمرنى قال

ارحل الى يثرب ذات النخل * تدين دين الصائم المصلى * محمد النبى خير الرسل

اى ان القتال فى ذلك لم يكن فى الشهر الحرام وانما سببه كان فى الشهر الحرام وهو قتل البراض لعروة الرحال فقد قيل سبب القتال ان عروة الرحال بتشديد الحاء المهملة وكان من أهل هوازن أجار لطيمة للنعمان بن المنذر ملك الحيرة واللطيمة العير التى تحمل الطيب والبز للتجارة اى فان المنذر كان يرسل تلك اللطيمة لتباع فى سوق عكاظ ويشترى له بثمن ذلك أدم من ادم الطائف ويرسل تلك اللطيمة فى جوار رجل من أشراف العرب فلما جهز اللطيمة كان عنده جماعة من العرب كان فيهم البراض وهو من بنى كنانة وعروة الرحال وهو من هوازن فقال البراض أنا أجيرها على بنى كنانة يعنى قومه فقال له النعمان ما أريد الا من يجيرها على أهل نجد وتهامة فقال له عروة الرحال أنا أجيرها لك فقال له البراض أتجيرها على كنانة فقال نعم وعلى أهل الشيح والقيصوم ونال من البراض فخرج عروة الرحال مسافرا وخرج البراض خلفه يطلب غفلته فلما استغفله وثب عليه فقتله اى فانه شرب الخمر وغنته القينات فسكر ونام فجاءه البراض وأيقظه فقال له الرحال ناشدتك الله لا تقتلنى فانها كانت منى زلة وهفوة فلم يلتفت اليه وقتله وذلك فى الشهر الحرام فأتى آت كنانة وهم بعكاظ مع هوازن فقال لكنانة ان البراض قد قتل عروة الرحال وهو فى الشهر الحرام فانطلقوا وهوازن لا تشعر ثم بلغهم الخبر فاتبعوهم فادركوهم قبيل دخولهم الحرم فامسكت عنهم هوازن ثم التقوا بعد هذا اليوم وعاونت قريش كنانة ولا يخفى ان فى هذا تصريحا بان القتال لم يكن فى الشهر الحرام لانهم اذا كانوا فى الشهر الحرام لا يقاتلون مطلقا اى وان لم يدخلوا الحرم فكفهم عن قتالهم لقاربتهم دخول الحرم وقتالهم لهم فى اليوم الثانى دليل على أن قتالهم لم يكن فى الشهر الحرام ومكث القتال بينهم أربعة أيام اى كما تقدم (أقول) قال السهيلى الصواب ستة أيام والله أعلم قال وشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض تلك الايام أخرجه أعمامه معهم اى ويدل له ما تقدم من انه كان اذا حضر غلبت كنانة واذا لم يحضر هزمت وفى بعض تلك الايام وهو أشدها اى وهو اليوم الثالث قيد أمية وحرب أبنا امية بن عبد شمس وأبو سفيان بن حرب أنفسهم كيلا يفر وافسموا العنابس اى الاسود اه اى وحرب والد ابى سفيان وامية أخوه ماتا على الكفر وأبو سفيان أسلم كما سيأتى ثم تواعدوا للعام المقبل بعكاظ فلما كان العام المقبل جاؤا للوعد اى وكان أمر قريش وكنانة الى عبد الله بن جدعان وقيل كان الى حرب بن أمية والد أبى سفيان لانه كان رئيس قريش وكنانة يومئذ وكان عتبة بن أخيه ربيعة بن عبد شمس يتيما فى حجره فضن اى بخل به حرب واشفق اى خاف من خروجه معه

فخرج عتبة بغير اذنه فلم يشعر اى يعلم به الا وهو على بعير بين الصفين ينادي يا معشر مضر علام تفانون فقالت له هوازن ما تدعو اليه قال الصلح الصلح على أن ندفع لكم دية قتلا كم وتعفو عن دمائنا اى فان قريشا وكنانة كان لهم الظفر على هوازن يقتلوهم قتلا ذريعا اى وذلك لا ينافى انهزامهم فى بعض الايام قالوا وكيف قال ندفع لكم رهنا منا الى أن نوفى لكم ذلك قالوا ومن لنا بهذا قال أنا قالوا ومن أنت قال أنا عتبة بن ربيعة بن عبد شمس فرضيت به هوازن وكنانة وقريش ودفعوا الى هوازن أربعين رجلا فيهم حكيم بن حزام وهو ابن أخى خديجة بنت خويلد زوج النبى صلى الله عليه وسلم كما تقدم فلما رأت هوازن الرهن فى أيديهم عفوا عن الدماء وأطلقوهم وانقضت حرب الفجار وفى رواية وودت قريش قتلى هوازن ووضعت الحرب أوزارها وقد يقال على تقدير صحة هذه الرواية لو ادبردت التزمت ان تديها فكان انقضاؤها على يد عتبة بن ربيعة وهو ممن قتل كافرا ببدر وهو أبو هند زوج ابى سفيان أم معاوية رضى الله عنها وعن زوجها وولدها المذكور وكان يقال لم يسد مملق اى فقير الا عتبة بن ربيعة وأبو طالب فانهما سادا بغير مال اى وفى كلام بعضهم ساد عتبة بن ربيعة وابو طالب وكانا أفلس من أبي المزلق وهو رجل من بنى عبد شمس لم يكن يجد مؤنة ليلته وكذا أبوه وجده وأبو جده وجد جده كلهم يعرفون بالافلاس هذا والذى فى الوفاء الاقتصار على ان حرب الفجار كان مرتين المرة الاولى كانت المحاربة فيه ثلاث مرات المرة الاولى سببها اقضية بدر بن معشر الغفارى والمرة الثانية كان سببها اقضية المرأة والثالثة سببها اقضية الدين ولم يحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المرات وأما المرة الثانية فكانت بين هوازن وكنانة وقد حضرها صلى الله عليه وسلم وقد يقال لا خلاف فى المعنى

(باب شهوده صلى الله عليه وسلم حلف الفضول)

وهو أشرف حلف فى العرب والحلف فى الاصل اليمين والعهد وسمى العهد حلفا لانهم يحلفون عند عقده وكان عند منصرف قريش من حرب الفجار لان حرب الفجار كان فى شوال اى وقيل فى شعبان لا فى الشهر الحرام ○ اى وان كان سببه وهو قتل البراض لعروة الرحال كان فى الشهر الحرام كما تقدم وكون هذا الحلف كان منصرف قريش من حرب الفجار ظاهر فى انه كان بعد انقضاء الحرب وقبل مجىء الفريقين للموعد من قابل لان عند مجيئهم من قابل للموعد لم يقع حرب الا أن يقال اطلق عليه حرب باعتبار انهم كانوا عازمين على المحاربة وهذا الحلف كان فى ذى القعدة وأول من دعى اليه الزبير

ثم خر الصنم لوجهه فاندقت عنقه فقمت اليه فجعلته رفاتا ثم سرت مسرعا حتى أتيت المدينة فدخلت المسجد الحديث *(وأما ما سمع من بعض الوحوش)* فمنه ما حدث به أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه قال بينا راع يرعى بالجزيرة اذ عرض الذئب لشاة من شياهه فحال الراعى بين ١٧٢ الذئب وبين الشاة فأقعى الذئب على ذنبه وقال ألا تتقى الله تحول بينى وبين رزق ساقه الله الى فقال الراعى واعجبا من ذئب يكلمنى بكلام الانس فقال الذئب ألا أخبرك بأعجب منى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الحرتين وفى رواية بيثرب يحدث الناس بأنباء ما قد سبق وفى رواية يخبركم بما مضى وما هو كائن بعدكم فساق الراعى شياهه فأتى المدينة فغدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه بما قال الذئب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الراعى ان من اشراط الساعة كلام السباع للانس والذى نفس محمد بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم الرجل شراك نعله اى وهو أحد سيورها الذى يكون على وجهها وعذبة سوطه اى طرفه ويخبره بما فعل أهله وفى لفظ فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنودى بالصلاة جامعة ثم خرج فقال للاعرابى اخبرهم فاخبرهم وفى رواية أن راعى الغنم كان يهوديا وفى رواية أن الذئب قال له أنت أعجب منى واقف على غنمك وتركت نبيا لم يبعث الله قط أعظم قدرا منه وقد فتحت له أبواب الجنة وأشرف أهلها على أصحابه ينظرون قتالهم بما بينك وبينه الا هذا الشعب فتصير من جنود الله تعالى فقال له الراعى من لى بغنمى فقال الذئب أنا أرعاها حتى ترجع   ابن
فسلم اليه غنمه ومضى اليه صلى الله عليه وسلم وأسلم وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم عد الى غنمك تجدها بوفرها فوجدها كذلك وذبح للذئب منها شاة *(وأما ما سمع من بعض الاشجار)* فكثير فمن ذلك ما روى عن أبي بكر رضي الله عنه انه قيل له

هل رأيت قبل الاسلام شيأ من دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قال نعم بينا أنا قاعد فى ظل شجرة فى الجاهلية اذ تدلى على غصن من أغصانها حتى صار على رأسى فجعلت أنظر اليه وأقول ما هذا فسمعت صوتا من الشجرة يقول هذا النبى يخرج من وقت كذا وكذا فكن أنت أسعد الناس به *(وأما اخبار تساقط النجوم)* ١٧٣ وطرد الجن بها عن استراق السمع وما جاء عن العرب فيه فكثير فمن ذلك خبر ابن اسحق قال لما تقارب أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحضر مبعثه حجبت الشياطين عن السمع وحيل بينها وبين المقاعد التى كانت تقعد فيها فرموا بالنجوم فعرف الجن ان ذلك لامر حدث من الله فى العباد قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم حين بعثه يقص عليه خبرهم اذ حجبوا وانا لمسنا السماء اى طلبنا استراق السمع منها فوجدناها ملئت حرسا شديدا اى ملائكة أقوياء يمنعون عنها وشهبا وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع اى صالحة للسمع لخلوها عن الحرس والشهب فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا اى أرصد له ليرمى به ومن يخطف الخطفة منهم بخفة حركته تبعه شهاب ثاقب يقتله اى أو يحرق وجهه أو يخبله قبل ان يلقيها للكاهن وذلك لئلا يلتبس أمر الوحى بشئ من خبر الشياطين مدة نزوله وبعد انقضائه بموته صلى الله عليه وسلم لئلا تدخل الشبهة على ضعفاء العقول فربما توهموا عود الكهانة التى سببها استراق السمع وان أمر رسالته صلى الله عليه وسلم تم فاقتضت الحكمة حراسة السماء فى حياته صلى الله عليه وسلم وبعد موته ومن ثم قال لا كهانة بعد اليوم وقد حدث بعضهم ان أول العرب فزع من الرمى بالنجوم حين رمى بها ثقيف وانهم جاؤا الى رجل يقال له عمرو بن أمية وكان أدهى العرب وأنكرها رأيا اى ادهاها رأيا وكان ضريرا وكان يخبرهم بالحوادث فقالوا يا عمرو ألم تر اى تعلم ما حدث فى السماء

ابن عبد المطلب اى عم رسول الله صلى الله عليه وسلم شقيق أبيه كما تقدم ○ فاجتمع اليه بنو هاشم وزهرة وبنو اسد بن عبد العزى وذلك فى دار عبد الله بن جدعان التيمى كان بنو تيم فى حياته كأهل بيت واحد يقوتهم وكان يذبح فى داره كل يوم جزورا وينادى مناديه من أراد الشحم واللحم فعليه بدار ابن جدعان وكان يطبخ عنده الفالوذج فيطعمه قريشا اى وسبب ذلك انه كان أولا يطعم التمر والسويق ويسقى اللبن فاتفق ان امية بن أبي الصلت مر على بنى عبد المدان فرأى طعامهم لباب البر والشهد فقال امية

واقد رأيت الفاعلين وفعلهم * فرأيت أكرمهم بنى المدان
البر يلبك بالشهاد طعامهم * لاما يعللنا بنو جدعان

فبلغ شعره عبد الله بن جدعان فارسل الى بصرى الشام يحمل اليه البر والشهد والسمن وجعل ينادى مناد ألا هلموا الى جفنة عبد الله بن جدعان ومن مدح أمية بن أبي الصلت فى ابن جدعان قوله

أأذكر حاجتى أم قد كفانى * حياؤك ان شيمتك الحياء
اذا أثنى عليك المرء يوما * كفاه من تعرضك الثناء
كريم لا يغيره صباح * عن الخلق الجميل ولا مساء
يبارى الريح مكرمة وجودا * اذا ما الضب أجحره الشتاء

وكان عبد الله بن جدعان ذا شرف وسن وانه من جملة من حرم الخمر على نفسه فى الجاهلية ○ اى بعد ان كان بها مغرما وسبب ذلك انه سكر ليلة فصار يمد يده ويقبض على ضوء القمر ليمسكه فضحك منه جلساؤه ثم أخبروه بذلك حين صحا فحلف أن لا يشربها ابدا وممن حرمها على نفسه فى الجاهلية عثمان بن مظعون رضى الله تعالى عنه وقال لا أشرب شيأ يذهب عقلى ويضحك بى من هو أدنى منى ويحملنى على أن انكح كريمتى من لا أريد فصنع لهم عبد الله بن جدعان طعاما وتعاقدوا وتعاهدوا بالله ليكونن مع المظلوم حتى يؤدى اليه حقه ما بل بحر صوفة اى الابد وعن عائشة رضى الله تعالى عنها انها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابن جدعان كان يطعم الطعام ويقرى الضيف ويفعل المعروف فهل ينفعه ذلك يوم القيامة فقال لا لانه لم يقل يوما وفى رواية انه لم يقل ساعة من ليل أو نهار رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين رواه مسلم اى لم يكن مسلما لان القول المذكور لا يصدر الا عن مسلم فلا يقال مقتضى الحديث انه لو قال ذلك انفعه ما ذكر يوم القيامة

من الرمى بهذه النجوم قال بلى فانظروا فان كانت معالم النجوم هى التى يرمى بها فهو والله طى هذه الدنيا وهلاك هذا الخلق الذى فيها وان كانت نجوما غيرها وهى ثابتة على حالها فهو لامر أراده الله لهذا الخلق ونبى يبعث فى العرب فقد تحدث بذلك وقوله معالم النجوم اى النجوم المشهورة التى ١٧٤ يهتدى بها فى البرّ والبحر وتعرف بها الانواء من الشتاء والصيف * لا يقال قد رجمت الشياطين بالنجوم قبل ذلك عند مولده صلى الله عليه وسلم لانا نقول رجمت عند مبعثه بأكثر مما كان قبل ذلك وصارت تصيب ولا تخطئ ومن ثم حدث بعضهم قال لما بعث صلى الله عليه وسلم اى قرب زمن بعثه رجمت الشياطين بنجوم لم تكن ترجم بها قبل فأتوا عبد ياليل بن عمرو الثقفى وكان أعمى فقالوا ان الناس قد نزعوا وقد أعتقوا رقيقهم وسيبوا أنعامهم فقال لهم لا تعجلوا وانظروا فان كانت النجوم التى تعرف وهى التى يهتدى بها فى البرّ والبحر ويعرف بها الانواء فهو فناء الناس وان كانت لا تعرف فهى من حدث فنظروا فاذا النجوم لا تعرف فقالوا هذا من حدث فلم يلبثوا حتى سمعوا بالنبى صلى الله عليه وسلم وفى لفظ فما مكثوا الا يسيرا حتى قدم الطائف ابو سفيان بن حرب فقال ظهر محمد بن عبد الله يدعى انه نبى مرسل وقوله فيما تقدم انظروا فان كانت النجوم التى تعرف الخ يؤيد هذا ما جاء فى الحديث مما رواه مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال النجوم امنة السماء فاذا ذهبت النجوم أتى أهل السماء ما يوعدون وأنا امنة لاصحابى فاذا ذهبت أتى أصحابى ما يوعدون مدرج وأصحابى أمنة لامتى فاذا ذهب أصحابى أتى أمتى ما يوعدون ولا منافاة فى سؤال ثقيف فلا مانع من تكرر سؤالهم مرة لعمرو بن أمية ومرة لعبد ياليل وان كلا منهما كان أعمى ويحتمل اتحاد الواقعة ووقع الاختلاف فى اسم الذى سألوه فسماه بعضهم عمرو بن

مع كونه كان كافرا الا انه ممن أدرك البعثة ولم يؤمن وحينئذ يسأل عن الحكمة عن عدوله صلى الله عليه وسلم الى ذلك عن قوله لانه لم يؤمن بى اولم يكن مسلما اى وكان يكنى أبا زهير وقد قال صلى الله عليه وسلم فى أسرى بدر لو كان ابو زهير او مطعم بن عدى حيا فاستوهبهم لوهبتهم له وقد ذكر أن جفنة ابن جدعان كان يأكل منها الراكب على البعير اى وسيأتى فى غزوة بدر انه صلى الله عليه وسلم ذكر انه ازدحم هو وابو جهل وهما غلامان على مائدة لابن جدعان وانه صلى الله عليه وسلم دفع أبا جهل لعنه الله فوقع على ركبته فجرحت جرحا أثر فيها وقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم قال كنت أستظل بجفنة عبد الله بن جدعان فى صكة عمى اى فى الهاجرة وسميت الهاجرة بذلك لان عمى تصغير أعمى على الترخيم رجل من العماليق أوقع بالعدو القتل فى مثل ذلك الوقت وقيل هو رجل من عدوان كان فقيه العرب فى الجاهلية فقدم فى قومه معتمرا فلما كان على مرحلتين من مكة قال لقومه وهم فى نحر الظهيرة من أتى مكة غدا فى مثل هذا الوقت كان له اجر عمرتين فصكوا الابل صكة شديدة حتى اتوا مكة من الغد فى وقت الظهيرة ولعل هذا لا يخالفه قول ابن عباس رضى الله عنهما عجلنا الرواح للمسجد صكة الاعمى فقيل ما صكة الاعمى قال انه لا يبالى أية ساعة خرج وكان عبد الله بن جدعان فى ابتداء أمره صعلوكا وكان مع ذلك شريرا فتاكا لا يزال يجنى الجنايات فيعقل عنه ابوه وقومه حتى أبغضته عشيرته وطرده ابوه وحلف لا يأويه ابدا فخرج هائما فى شعاب مكة يتمنى الموت فرأى شقا فى جبل فدخل فاذا ثعبان عظيم له عينان تتقدان كالسراج فلما قرب منه حمل عليه الثعبان فلما تأخر انساب اى رجع عنه فلا زال كذلك حتى غلب على ظنه أن هذا مصنوع فقرب منه ومسكه بيده فاذا هو من ذهب وعيناه ياقوتتان فكسره ثم دخل المحل الذى كان هذا الثعبان على بابه فوجد فيه رجالا من الملوك ووجد فى ذلك المحل أموالا كثيرة من الذهب والفضة وجواهر كثيرة من الياقوت واللؤلؤ والزبرجد فأخذ منه ما أخذ ثم علم ذلك الشق بعلامة وصار ينقل منه ذلك شيأ فشيأ ووجد فى ذلك الكنز لوحا من رخام فيه أنا نفيلة بن جرهم بن قحطان بن هود نبى الله عشت خمسمائة عام وقطعت غور الارض باطنها وظاهرها فى طلب الثروة والمجد والملك فلم يكن ذلك ينجى من الموت ثم بعث عبد الله بن جدعان الى ابيه بالمال الذى دفعه فى جناياته ووصل عشيرته كلهم فسادهم وجعل ينفق من ذلك الكنز ويطعم الناس ويفعل المعروف قال وفى رواية تحالفوا على أن يردوا الفضول على أهلها ولا يغز ظالم على مظلوم اى وحينئذ فالمراد بالفضول ما يؤخذ ظلما وقيل ان هذا اى ردّ الفضول

أمية وسماه بعضهم عبدياليل بن عمرو وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال لما كان اليوم اى الوقت الذى تنبأ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم منعت الشياطين من خبر السماء بالشهب *(ومن ذلك)* خبر ابى لهب او لهيب بن مالك وكان من بنى لهب قال حضرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت عنده الكهانة فقلت بأبي أنت وامى نحن أول من عرف حراسة السماء ومنع الجن من استراق السمع وذلك انا اجتمعنا الى كاهن يقال له خطر بالخاء المعجمة والطاء المهملة ابن مالك وكان شيخا كبيرا قد أتت عليه مائتا سنة وثمانون سنة وكان من أعلم كهاننا فقلنا له يا خطر هل عندك علم بهذه النجوم التى يرمى بها فانا قد فزعنا لها وخفنا سوء عاقبتها فقال ائتونى بسحر اى قبيل الفجر أخبركم الخبر نخير أم ضرر أولامن أو حذر قال فانصرفنا عنه يومنا فلما كان من غد فى وقت السحر أتيناه فاذا هو قائم على قدميه شاخص الى السماء بعينيه فناديناه يا خطر يا خطر فأومأ الينا أن أمسكوا فانقض نجم عظيم من السماء فصرخ خطر رافعا صوته بقوله أصابه اصابه وخامره عقابه عاجله عذابه أحرقه شهابه زايله جوابه ياويله ماحاله بلبله بلباله عاوده خباله تقطعت حباله وغيرت أحواله ثم أمسك طويلا ثم قال يا معشر بنى قحطان أخبركم بالحق والبيان أقسم بالكعبة والاركان والبلد المؤتمن السدان قد منع السمع عتاة الجان بثاقب من ذى سلطان لاجل مبعوث عظيم الشان يبعث بالتنزيل والفرقان وبالهدى وفاضل القرآن تبطل به عبادة الاوثان فقلنا له ويلك يا خطر انك لتذكر أمرا عظيما فماترى لقومك قال أرى لقومى ما أرى لنفسى أن يتبعوا خير الانس برهانه مثل شعاع الشمس يبعث بمكة دار الحمس بحكم التنزيل غير اللبس فقلنا له يا خطر ومن هو قال والحياة والعيش انه لمن قريش ما فى حكمه

مدرج من بعض الرواة زاد بعضهم على ما بل بحر صوفة ومارسا حراء وثبير مكانهما اه اى والمراد الابد كما تقدم وكان معهم فى ذلك الحلف رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلى الله عليه وسلم ما أحب أن لى بحلف حضرته فى دار بنى جدعان حمر النعم اى الابل وأنى أغدر به بالغين المعجمة والدال المهملة اى لا احب الغدر به وان أعطيت حمر النعم فى ذلك قال وفى رواية لقد شهدت فى دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لى به حمر النعم اى بفواته ولو دعى به فى الاسلام لاجبت اى لو قال قائل من المظلومين يا آل حلف الفضول لاجبت لان الاسلام انما جاء باقامة الحق ونصرة المظلوم وفيه أن الاسلام قد رفع ما كان من دعوى الجاهلية من قولهم يا لفلان عند الحرب والتعصب وأجيب بأن هذا مستثنى فالدعوى به جائزة وفى أخرى ما شهدت حلفا لقريش الا حلف المطيبين شهدته مع عمومتى وما أحب أن لى به حمر النعم وانى كنت نقضته اى لا أحب نقضه وان دفع لى حمر الابل فى مقابلة نقضه والمطيبون هم هاشم وزهرة اى بنو زهرة بن كلاب وامية ومخزوم قال البيهقى كذا روى هذا التفسير اى أن المطيبين هاشم وزهرة وامية ومخزوم مدرجا ولا أدرى من قاله وعبارته فى السنن الكبرى لا أدرى هذا التفسير من قول ابى هريرة أو من دونه هذا كلامه فان النبى صلى الله عليه وسلم لم يدرك حلف المطيبين اى لانه كما تقدم وقع بين بنى عبد مناف بن قصى وهم هاشم واخوته عبد شمس والمطلب ونوفل وبنو زهرة وبنو أسد بن عبد العزى وبنو تيم وبنو الحرث بن فهر وهم المطيبون وبين بنى عمهم عبد الدار بن قصى وأحلافهم بنى مخزوم وغيرهم ويقال لهم الاحلاف كما تقدم وذلك قبل أن يولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحيث لم يدرك صلى الله عليه وسلم حلف المطيبين يصير المدرج لفظ المطيبين مع تفسيره بناء على ذكر لان المدرج تفسيره فقط بناء على ذكر كما يقتضيه كلام البيهقى وحينئذ تكون الرواية ما شهدت حلفا لقريش الاحلفا مع عمومتى الى آخره فظن الراوى أن حلف الفضول هو حلف المطيبين فذكر لفظ المطيبين وبينهم وقد يقال ذكر ابن اسحق انه لما قام عبد الله بن جدعان هو والزبير بن عبد المطلب فى الدعوى للتحالف أجابهما بنو هاشم وبنو المطلب وبنو أسد وبنو زهرة وبنو تيم هذا كلامه ولا يخفى أن هؤلاء أجل المطيبين أطلق على هذا الحلف الذى هو حلف الفضول حلف المطيبين لانهم العاقدون له فليتأمل وسمى بالفضول قيل لما تقدم من انهم تحالفوا على أن يردوا الفضول على أهلها وقيل لانه يشبه حلفا وقع الثلاثة من جرهم كل واحد يقال له الفضل وعبارة بعضهم لان الداعى اليه كان ثلاثة من

أشرافهم اسم كل واحد منهم فضل وهم الفضل بن فضالة والفضل بن وداعة والفضل بن الحرث والضمير فى أشرافهم يتبادر رجوعه الى قريش وهؤلاء الثلاثة تحالفوا على نصرة المظلوم على ظالمه فالفضول جمع الفضل وقيل لانهم اى هؤلاء الذين تحالفوا كانوا أخرجوا فضول أموالهم للاضياف وقيل لان قريشا قالوا عن هؤلاء الذين تحالفوا لقد دخل هؤلاء فى فضول من الامر والسبب فى هذا الحلف والحامل عليه أن رجلا من زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاص بن وائل وكان من أهل الشرف والقدر بمكة فحبس عنه حقه فاستعدى عليه الزبيدى الاحلاف عبد الدار ومخزوما وجمح وسهما وعدى بن كعب فأبوا أن يعينوا على العاص وانتهروه اى الزبيدى فلما رأى الزبيدى الشر رقى على أبى قبيس عند طلوع الشمس وقريش فى أنديتهم حول الكعبة فقال بأعلى صوته

يا آل فهر لمظلوم بضاعته * ببطن مكة نائى الدار والنفر
ومحرم أشعث لم يقض عمرته * يا للرجال وبين الحجر والحجر
ان الحرام لمن تمت مكارمه * ولا حرام لثوب الفاجر الغدر

والحرام بمعنى الاحترام فقام فى ذلك الزبير بن عبد المطلب اى مع عبد الله بن جدعان كما تقدم واجتمع اليه من تقدم وقيل قام فيه العباس وأبو سفيان وتعاقدوا وتعاهدوا ليكونن يدا واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدى اليه حقه شريفا أو وضيعا ثم مشوا الى العاص بن وائل فانتزعوا منه سلعة الزبيدى فدفعوها اليه اه (أقول) ذكر السهيلى أن رجلا من خثعم قدم مكة معتمرا او حاجا ومعه بنت له من أضوا نساء العالمين فاغتصبها منه نبيه بن الحجاج فقيل له عليك بحلف الفضول فوقف عند الكعبة ونادى يا لحلف الفضول فاذا هم يعنقون اليه من كل جانب وقد انتضوا اسيافهم اى جردوها يقولون جاءك الغوث فما لك فقال ان نبيها ظلمنى فى بنتى فانتزعها منى قسرا فساروا اليه حتى وقفوا على باب داره فخرج اليهم فقالوا له أخرج الجارية ويحك فقد علمت من نحن وما تعاهدنا عليه فقال أفعل ولكن متعونى بها الليلة فقالوا لا والله ولا شخب لقحة اى مقدار زمن ذلك فأخرجها اليهم وفى سيرة الحافظ الدمياطى انه كان بين الحسين بن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنهما و بين الوليد بن عتبة بن ابى سفيان منازعة فى مال متعلق بالحسين فقال الحسين للوليد احلف بالله لتنصفنى من حقى أو لآخذن سيفى ثم لاقومن فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لادعون لحلف الفضول اى لحلف الفضول وهو

نصرة

طيش ولا فى خلقه هيش فقلنا بين لنا من اى قريش فقال والبيت ذى الدعائم والركن ذى الاحائم انه لمن نسل هاشم من معشر أكارم يبعث بالملاحم وقتل كل ظالم ثم قال هذا هو البيان أخبرنى به رئيس الجان ثم قال الله أكبر جاء الحق فظهر وانقطع عن الجن الخبر ثم سكت وأغمى عليه فما أفاق الا بعد ثلاثة أيام فقال لا اله الا الله فلما سمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سبحان الله لقد نطق عن مثل نبوة اى وحى وانه ليبعث يوم القيامة أمة وحده اى يقوم مقام جماعة كما تقدم نظيره وقوله الحمس بضم الحاء المهملة واسكان الميم وبالسين هم قريش من الحماسة وهى الشدة سموا بذلك لتشددهم فى دينهم ولذلك تركوا الغزو لما فيه من استحلال الاموال والفروج ومالوا الى التجارة * (ومن ذلك) * ما رواه مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما عن نفر من الانصار قال بينما نحن جلوس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ رمى بنجم فظهر نوره فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنتم تقولون فى هذا النجم الذى يرمى به فى الجاهلية اى قبل المبعث قالوا يا رسول الله كنا نقول حين نراه يرمى به مات ملك وولد مولود فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ذلك كذلك ولكن الله سبحانه كان اذا قضى فى خلقه أمرا سمعه حملة العرش فسبحوا فسبح من تحتهم لتسبيحهم فيسبح من تحت ذلك فلا يزال التسبيح يهبط حتى ينتهى الى السماء الدنيا فيسبحوا ثم يقول بعضهم لبعض لم سبحتم فيقولون قضى الله فى خلقه كذا وكذا للامر الذى يكون فى الارض فيهبط به من سماء الى سماء اى يقول أهل كل سماء لمن يليهم حتى ينتهى الى السماء الدنيا فتسترقه الشياطين بالسمع على توهم واختلاس ثم يأتون به الى الكهان فيخطئون بعضا ويصيبون بعضا وفى البخارى اذا قضى الله الامر فى السماء ضربت

نصرة المظلوم على ظالمه ووافقه على ذلك جماعة منهم عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما لانه كان اذ ذاك في المدينة فلما بلغ ذلك الوليد بن عتبة أنصف الحسين من حقه حتى رضي والله أعلم

(باب سفره صلى الله عليه وسلم الى الشام ثانيا)

وذلك مع ميسرة غلام خديجة بنت خويلد رضي الله تعالى عنها لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة أي على الراجح من اقوال ستة وعليه جمهور العلماء وتلك اقوال ضعيفة لم تقم لها حجة على ساق وليس له صلى الله عليه وسلم اسم بمكة الا الامين لما تكامل فيه من خصال الخير كما تقدم وسبب ذلك ان عمه صلى الله عليه وسلم أبا طالب قال له يا ابن اخي انا رجل لا مال لي وقد اشتد الزمان أي القحط ○ والحت علينا أي اقبلت ودامت ○ سنون منكرة اى شديدة الجدب وليس لنا مادة أي ما عدنا وما يقومنا ولا تجارة وهذه عير قومك وتقدم انها الابل التي تحمل الميرة وفي رواية عيرات جمع عير ○ قد حضر خروجها الى الشام وخديجة بنت خويلد تبعث رجالا من قومك في عيراتها فيتجرون لها في مالها ويصيبون منافع فلو جئتها لوضعت نفسك عليها الا اسرعت اليك وفضلتك على غيرك لما يبلغها عنك من طهارتك وان كنت لا كره ان تاتي الشام واخاف عليك من يهود ولكن لا تجد لك من ذلك بدا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلعلها ان ترسل الي في ذلك فقال أبو طالب اني أخاف ان تولي غيرك فتطلب امرا مدبرا فافترقا فبلغ خديجة رضي الله تعالى عنها ما كان من محاورة عمه أبي طالب له فقالت ما علمت انه يريد هذا ثم ارسلت اليه صلى الله عليه وسلم فقالت اني دعاني الى البعثة اليك ما بلغني من صدق حديثك وعظم امانتك وكرم اخلاقك وانا اعطيك ضعف ما اعطي رجلا من قومك ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقي عمه أبا طالب فذكر له ذلك فقال ان هذا الرزق ساقه الله اليك فخرج صلى الله عليه وسلم مع غلامها ميسرة أي يريد الشام وقالت خديجة لميسرة لا تعص له أمرا ولا تخالف له رأيا وجعل عمومته يوصون به أهل العير أي ومن حين سيره صلى الله عليه وسلم أظلته الغمامة ○ فلما قدم صلى الله عليه وسلم الشام نزل في سوق بصرى في ظل شجرة قريبة من صومعة راهب يقال له نسطورا أي بالقصر فاطلع الراهب الى ميسرة وكان يعرفه فقال يا ميسرة من هذا الذي نزل تحت الشجرة فقال ميسرة رجل من قريش من أهل الحرم فقال له الراهب ما نزل تحت هذه الشجرة قط الا نبي أي صانها الله تعالى عن ان ينزل تحتها غير نبي ثم قال له أفي عينيه حمرة

الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كالسلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الذي قال الحق وهو العلي الكبير فتسمعها مسترقو السمع فربما أدرك الشهاب المستمع قبل ان يرمي بها الى صاحبه فيحرقه الحديث وقوله صلى الله عليه وسلم يرمى بها في الجاهلية صريح في انه كان يرمى بالنجوم للحراسة في زمن الفترة بينه صلى الله عليه وسلم وبين عيسى عليه السلام قبل مولده صلى الله عليه وسلم وربما يعارضه ما روي عن أبي بن كعب رضي الله عنه لم يرم بالنجوم بعد رفع عيسى عليه السلام حتى تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فرمي بها فلما رأت قريش أمرا لم تكن تراه فزعوا الى عبد ياليل الحديث وكذا حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال لما كان اليوم الذي تنبأ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم منعت الشياطين من خبر السماء ورموا بالشهب فذكرت الشياطين ذلك لابليس فقال لعله بعث نبي عليكم بالارض المقدسة أي لانها محل الانبياء فذهبوا ثم رجعوا فقالوا ليس بها أحد فخرج ابليس لطلبه بمكة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء منحدرا ومعه جبريل وفي رواية ان ابليس قال لما أخبروه بأنهم منعوا من خبر السماء قال ان هذا الحدث حدث في الارض فأتوني من تربة كل أرض فأتوه بذلك فجعل يشمها فلما شم تربة مكة قال من ههنا الحدث فنضوا فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث وأجيب بأن

الرمي قبل الولادة والمبعث كان قليلا جدا وعند الولادة كثر ازدياده وتخويفا وعند المبعث ازدادت كثرته وكان من كل جانب فلما كان مخالفا للرمي به قبل فزعوا من ذلك فهذا هو الذي أراده أبي بن كعب رضي الله عنه وابن عمر رضي الله عنهما فانه لم يكن معهودا من قبل وهو الذي أراده سبحانه وتعالى بقوله فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا وصار الرمي

قال ميسرة نعم لا تفارقه فقال الراهب هو هو وهو آخر الانبياء ويا ليت انى أدركه حين يؤمر بالخروج أى يبعث فوعى ذلك ميسرة أى والحمرة كانت فى بياض عينيه وهى الشكلة ومن ثم قيل فى وصفه صلى الله عليه وسلم اشكل العينين فهذه الشكلة من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم فى الكتب القديمة اى وقد تقدم ذلك قال وفى الشرف للنيسابورى فلما رأى الراهب الغمامة تظله صلى الله عليه وسلم فزع وقال ما انتم عليه اى أى شئ انتم عليه قال ميسرة غلام خديجة رضى الله تعالى عنها فدنا الى النبى صلى الله عليه وسلم سرا من ميسرة وقبل رأسه وقدمه وقال آمنت بك وانا أشهد انك الذى ذكره الله فى التوراة ثم قال يا محمد قد عرفت فيك العلامات كلها اى العلامات الدالة على نبوتك المذكورة فى الكتب القديمة خلا خصلة واحدة فاوضح لى عن كتفك فأوضح له فاذا هو بخاتم النبوة يتلألأ فأقبل عليه يقبله ويقول أشهد ان لا اله الا الله واشهد انك رسول الله النبى الامى الذى بشر بك عيسى بن مريم فانه قال لا ينزل بعدى تحت هذه الشجرة الا النبى الامى الهاشمى العربى المكى صاحب الحوض والشفاعة وصاحب لواء الحمد انتهى (أقول) قال فى النور ولم أجد احدا عد هذا الراهب الذى هو نسطورا فى الصحابة رضى الله تعالى عنهم كما عد بعضهم فيها بحيرا الراهب وينبغى أن يكون هذا مثله هذا كلامه وقد قدمنا انه سيأتى ان بحيرا ونسطورا ونحوهما ممن صدق بانه صلى الله عليه وسلم نبى هذه الامة من أهل الفترة لا من أهل الاسلام فضلا عن كونه صحابيا الان المسلم من أقر برسالته صلى الله عليه وسلم بعد وجودها الى آخر ما يأتى ومن ثم ذكر الحافظ ابن حجر فى الاصابة ان بحيرا ممن ذكر فى كتب الصحابة غلطا قال لان تعريف الصحابى لا ينطبق عليه وهو مسلم لقى النبى صلى الله عليه وسلم مؤمنا به ومات على ذلك قال فقولى مسلم يخرج من لقيه مؤمنا به قبل أن يبعث كهذا الرجل يعنى بحيرا هذا كلامه ومراده ما ذكرنا ولعل نسطورا هذا هو الذى تنسب اليه النسطورية من النصارى فان النصارى افترقت ثلاث فرق نسطورية قالوا عيسى ابن الله ويعقوبية قالوا عيسى هو الله عز وجل هبط الى الارض ثم صعد الى السماء وملكانية قالوا عيسى عبد الله ونبيه زاد بعضهم فرقة رابعة وهم اسرائيلية قالوا هو اله وامه اله والله اله هذا وفى القاموس النسطورية بالضم ويفتح امة من النصارى تخالف بقيتهم وهم أصحاب نسطورا الحكيم الذى ظهر فى أيام المأمون وتصرف فى الانجيل برأيه وقال ان الله واحد ذو أقانيم ثلاثة وهو بالرومية نسطورس كما افترقت اليهود ثلاث فرق فانها افترقت الى قرائية وربانية وسامرية

بعد المبعث لا يخطئ أبدا فمنهم من يقتله ومنهم من يحرق وجهه ومنهم من يخبله اى يصيره غولا يضل الناس فى البرارى فكان ذلك سببا لفزع العرب لانه قبل ذلك لم يكن من كل جانب ولم يكثر وكان يخطئ فيعود الشيطان الى محله ومكانه فيسترق السمع ويلقى مايسترقه الى كاهنه فلم تنقطع ١٧٨ الكهانة قبل مبعثه بالمرة بل كانت موجودة الى زمن مبعثه وعند مبعثه انقطعت بالمرة ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم لا كهانة اليوم وكانت قبل المبعث يرمى بها من جانب واحد وبعد المبعث من كل جانب والى هذا الاشارة بقوله تعالى ويقذفون من كل جانب دحورا فهذا سبب الفزع حتى انقطعت الكهانة ولما انقطعت الكهانة بعدم اخبار الجن قالت العرب هلك من فى السماء فجعل صاحب الابل ينحر كل يوم بعيرا وصاحب البقر يذبح كل يوم بقرة وصاحب الغنم كل يوم شاة حتى أسرعوا فى اتلاف أموالهم فقالت ثقيف بعد سؤال كاهنهم كما تقدم أيها الناس أمسكوا عن أموالكم فانه لم يمت من فى السماء ألستم ترون معالمكم من النجوم كما هى والشمس والقمر كذلك والمحققون على ان الذى يرمى به شعلة نار تنفصل من الكوكب والكوكب كما هو وقد أشار صاحب الهمزية الى هذه الآيات بقوله

بعث الله عند مبعثه الشهب ❊ حراسا وضاق عنها الفضاء

تطرد الجن عن مقاعد للسمع ❊ كما تطرد الذئاب الرعاء

فمحت آية الكهانة آيا ❊ ت من الوحى مالهن انمحاء

❊ (فائدة) ❊ وقع فى سنة تسع وتسعين من القرن السادس أن النجوم تساقطت وماجت وتطايرت تطاير الجراد ودام ذلك الى الفجر وفزع الخلق فلجئوا الى الله بالدعاء ولم يعهد ذلك الا عند ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحلبى فى السيرة (أقول) وقد وقع نظير ذلك فى سنة احدى واربعين من القرن

الثالث هاجت النجوم في السماء وتناثرت الكواكب كالجراد أكثر الليل فكان أمرا عجيبا لم ير مثله ووقع في سنة ثلثمائة تناثر النجوم تناثرا عجيبا الى ناحية المشرق والله أعلم * (وأما ما جاء من ذكره) * صلى الله عليه وسلم اى ذكر اسمه وصفته وصفة أمته في الكتب القديمة كالتوراة المنزلة على موسى والانجيل المنزل على عيسى ١٧٩ عليهما الصلاة والسلام وغيرهما قال تعالى وانه لفي زبر الاولين وقال الامام السبكي في تائيته

وفي كل كتب الله نعتك قد أتى
يقص علينا ملة بعد ملة

وقال آخر

من قبل مبعثه جاءت مبشرة
به زبور وتوراة وانجيل

فمن ذلك أنه قد جاء ان اسمه في التوراة أحمد يحمده اهل السماء والارض وقد قيل في سبب نزول قوله تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه أن عبد الله بن سلام رضي الله عنه دعا ابني أخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال في التوراة اني باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه أحمد من آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فأسلم سلمة وابى مهاجر فأنزل الله الآية واسمه في التوراة أيضا حماطا اى يحمي الحرم من الحرام وقدوميا اى الاول السابق واحيد وقيل أريد اى يحيد نار جهنم عن امته وطاب طاب اى طيب وفيها أيضا محمد حبيب الرحمن ووصفه فيها بالفصولا اى طيب النفس وفيها ايضا محمد بن عبد الله مولده بمكة ومهاجره الى طابة وملكه بالشام والتوراة كلمة عبرية مأخوذة من التورية وهي كتمان السر بالتعريض لان أكثرها تعاريض من غير تصريح واسمه في الانجيل المنحمنا ومعناه بالسريانية محمد وعن سهل مولى خيثمة قال كنت يتيما في حجر عمي فأخذت الانجيل فقرأته حتى مرت بي ورقة ملصقة بغيره ففتقتها فوجدت فيها وصف محمد صلى الله عليه وسلم فجاء عمي فلما

وساهر به ولا يخفى ان بقاء تلك الشجرة هذا الزمن الطويل قبل عيسى وبعده الى زمن نبينا صلى الله عليه وسلم على خلاف العادة وصرف غير الانبياء عن النزول تحت تلك الشجرة وكذا صرف الانبياء الذين وجدوا بعد عيسى على ما تقدم عن النزول تحت تلك الشجرة بعد عيسى الذي دلت عليه الرواية الاولى والرواية الثانية ممكن وان كانت الشجرة لا تبقى في العادة هذا الزمن الطويل ويبعد في العادة ان تكون شجرة تخلو عن ان ينزل تحتها أحد غير الانبياء لان هذا الامر مع كونه ممكنا خارق للعادة والانبياء اهم خرق العوائد سيما نبينا صلى الله عليه وسلم وبهذا يرد قول السهيلي يريد ما نزل تحت هذه الشجرة الساعة الا نبي ولم يرد ما نزل تحتها قط الا نبي لبعد العهد بالانبياء عليهم السلام قبل ذلك وان كان في لفظ الخبر قط اى كما تقدم فقد تكلم بها على جهة التأكيد للنفي والشجرة لا تعمر في العادة هذا العمر الطويل حتى يدرى انه لم ينزل تحتها الا عيسى أو غيره من الانبياء ويبعد في العادة أيضا ان تكون شجرة تخلو من أن ينزل تحتها أحد حتى يجيء نبي هذا كلامه وقد يقال يجوز أن تكون تلك الشجرة كانت شجرة زيتون فقد ذكر ان شجرة الزيتون تعمر ثلاثة آلاف سنة على ان في بعض الروايات ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة يابسة قد خر عودها فلما اطمأن تحتها اخضرت ونورت واعشوشب ما حولها وأينع ثمرها وتدلت اغصانها ترفرف على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعضهم المختار عند جمهور المحققين من اهل السنة ان كل ما جاز وقوعه للانبياء عليهم الصلاة والسلام من المعجزات جاز للاولياء مثله من الكرامات بشرط عدم التحدي لان المعجزة يعتبر فيها التحدي وان تكون بعد النبوة وما قبل النبوة كما هنا يقال له ارهاص وحينئذ لا يستبعد ما ذكر عن الشيخ رسلان رحمه الله انه كان اذا استند الى شجرة يابسة قد ماتت تورق ويخرج ثمرها في الحال على انه سيأتي في الكلام على غزاة الخندق ان كرامات الاولياء معجزات لانبيائهم ولما رأى الراهب ماذكر ولم يتمالك الراهب أن انحدر من صومعته وقال له باللات والعزى ما اسمك فقال له اليك عني ثكلتك امك ومع ذلك الراهب رق مكتوب فجعل ينظر في ذلك الرق ثم قال هو هو ومنزل التوراة فظن بعض القوم ان الراهب يريد بالنبي صلى الله عليه وسلم مكرا فانتضى سيفه وصاح يا آل غالب يا آل غالب فاقبل الناس يهرعون اليه من كل ناحية يقولون ما الذي راعك فلما نظر الراهب الى ذلك أقبل يسعى الى صومعته فدخلها واغلق عليه بابها ثم اشرف عليهم فقال يا قوم ما الذي راعكم مني فوالذي رفع السموات بغير عمد اني لاجد في هذه

رأى الورقة ضرب عنقى وقال مالك وفتح هذه الورقة وقرأتها فقلت فيها وصف النبي أحمد فقال انه لم يأت بعد الى الآن ❊ وفي الانجيل أيضا اسمه حنبط أي يفرق بين الحق والباطل ووصفه بأنه صاحب المدرعة ويركب الحمار والبعير ❊ وفي الانجيل ان أحببتموني فاحفظوا وصيتي وأنا أطلب ربي فيعطيكم بارقليط والبارقليط لا يجيئكم مالم أذهب فاذا جاء وبخ العالم على الخطيئة ولا يقول من تلقاء نفسه ولكنه ما يسمع يكلمهم به ويأتيهم بالحق ويخبرهم بالحوادث والغيوب اى وما جاء بذلك واخبر بالحوادث والغيوب الا محمد صلى الله عليه وسلم (ومن ذلك) ما جاء عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما فقلت اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة قال أجل والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين أنت عبدي ورسولي سميتك بالمتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب بالاسواق ولا يدفع بالسيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا اله الا الله يفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا قال عطاء ثم لقيت كعب الاحبار فسألته فما أخطأ في حرف وفي رواية عن كعب واعطى المفاتيح ليبصر به أعينا عورا ويسمع به آذانا صما ويقيم به سنة معوجة يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل عليه الا حلما ❊ (وعن بعض احبار اليهود) ❊ انه قال وقفت على جميع ما وصف به في التوراة الا هذين الوصفين وكنت اشتهي الوقوف عليهما فجاءه صلى الله عليه وسلم شخص يطلب منه ما يستعين به فذكر له انه صلى الله عليه وسلم لم يكن عنده ما يعينه به فقلت هذه دنانير تدفعها له وتكون على كذا من التمر ليوم كذا ففعل فجئت قبل الاجل بيومين أو ثلاث

الصحيفة ان النازل تحت هذه الشجرة هو رسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم يبعثه الله بالسيف المسلول وبالربح الاكبر وهو خاتم النبيين فمن أطاعه نجا ومن عصاه غوى ثم حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم سوق بصرى فباع سلعته التي خرج بها واشترى قال ولم اقف على تعيين ما باعه وما اشتراه انتهى وكان بينه صلى الله عليه وسلم وبين رجل اختلاف في سلعة فقال الرجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم احلف باللات والعزى فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما حلفت بهما قط فقال الرجل القول قولك ثم قال الرجل لميسرة وقد خلا به يا ميسرة هذا نبي والذي نفسي بيده انه لهو الذي تجده احبارنا منعوتا اى في الكتب فوعى ميسرة ذلك اى وقبل ان يصلوا الى بصرى عيي بعيران لخديجة وتخلف معهما ميسرة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول الركب فخاف ميسرة على نفسه وعلى البعيرين فانطلق يسعى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البعيرين فوضع يده على اخفافهما وعوذهما فانطلقا في اول الركب ولهما رغاء قال وفي الشرف انهم باعوا امتاعهم وربحوا ربحا ما ربحوا مثله قط قال ميسرة يا محمد اتجرنا لخديجة أربعين سنة ما ربحنا ربحا قط اكثر من هذا الربح على وجهك انتهى (وأقول) لا يخفى ما في قول ميسرة اتجرنا لخديجة اربعين سنة ولعلها مصحفة عن سفرة او هو على المبالغة والله أعلم ثم انصرف أهل العير جميعا راجعين مكة وكان ميسرة يرى ملكين يظللانه صلى الله عليه وسلم من الشمس وهو على بعيره اذا كانت الهاجرة واشتد الحر وهذا هو المعنى بقول الخصائص الصغرى وخص صلى الله عليه وسلم باظلال الملائكة له في سفره ويحتمل ان المراد في كل سفر سافره لكن لم اقف على اظلال الملائكة له صلى الله عليه وسلم في غير هذه السفرة وقد ألقى الله تعالى محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في قلب ميسرة فكان كأنه عبده فلما كانوا بمر الظهران اى وهو واد بين مكة وعسفان وهو الذي تسميه العامة بطن مرو وهو المعروف الآن بوادي فاطمة قال ميسرة للنبي صلى الله عليه وسلم هل لك ان تسبقني الى خديجة فتخبرها بالذي جرى لعلها تزيدك بكرة الى بكرتيك اى وفي رواية تخبرها بما صنع الله تعالى لها على وجهك فركب النبي صلى الله عليه وسلم وتقدم حتى دخل مكة في ساعة الظهيرة وخديجة في علية اى في غرفة مع نساء فرأت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل وهو راكب على بعيره وملكان يظللان عليه فأرته نساءها فعجبن لذلك ودخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فخبرها بما ربحوا وهو ضعف ما كانت تربح فسرت بذلك وقالت أين ميسرة

قال خلفته في البادية قالت عجل اليه ليعجل بالاقبال وانما أرادت ان تعلم أهو الذي رأت أم غيره فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم وصعدت خديجة تنظر فرأته على الحالة الاولى فاستيقنت انه هو فلما دخل عليها ميسرة أخبرته بما رأت فقال لها ميسرة قد رأيت هذا منذ خرجنا من الشام والى ذلك اشار الامام السبكي رحمه الله في تائيته بقوله

وميسرة قد عاين الملكين اذ * اظلاك لما سرت ثاني سفرة

واخبرها ميسرة بقول الراهب نسطورا وقول الآخر الذي حالفه أي استحلفه في البيع أي وقصة البعيرين وحينئذ اعطت خديجة له صلى الله عليه وسلم ضعف ما سمته له أي وما سمته له ضعف ما كانت تعطيه لرجل من قومه كما تقدم وقول ميسرة له صلى الله عليه وسلم فيما تقدم لعلها تزيدك بكرة الى بكرتيك يدل على انها سمت له بكرتين وكانت تسمي لغيره بكرة (وفي كلام بعضهم) وفي الروض الباسم استأجرته على اربع بكرات وفي الجامع الصغير ما نصه آجرت نفسي من خديجة سفرتين بقلوصين ثم رأيت في الامتاع ما يوافق ذلك ونصه وآجر صلى الله عليه وسلم نفسه من خديجة سفرتين بقلوصين وفي السفرة الاولى ارسلته مع عبدها ميسرة الى سوق حباشة أي وهو مكان بأرض اليمن بينه وبين مكة ست ليال كانوا يتباعون فيه ثلاثة ايام من أول رجب في كل عام فابتاعا منه بزا ورجعا الى مكة فربحا ربحا حسنا وفي السفرة الثانية أرسلته مع عبدها ميسرة الى الشام وفيه ان سفره مع ميسرة الى الشام سفرة ثالثة فعن مستدرك الحاكم وصححه واقره الذهبي عن جابر ان خديجة استأجرته صلى الله عليه وسلم سفرتين الى جرش بضم الجيم وفتح الراء موضع باليمن كل سفرة بقلوص وهي الشابة من الابل وهو يفيد انه صلى الله عليه وسلم سافر لها ثلاث سفرات كما تقدم ولعل سوق حباشة هو جرش والا لزم ان يكون صلى الله عليه وسلم سافر لها خمس سفرات اربعة الى اليمن وواحدة الى الشام وما تقدم عن الروض الباسم من انها استأجرته في سفرة الى الشام بأربع بكرات لا يناسب ما تقدم عن ميسرة (قد جاء في بعض الروايات) أن أبا طالب جاء لخديجة وقال لها هل لك ان تستأجري محمدا فقد بلغنا انك استأجرت فلانا ببكرتين ولسنا نرضى لمحمد دون أربع بكرات فقالت خديجة لو سألت لبعيد بغيض فعلنا فكيف وقد سألت لحبيب قريب * ثم لا يخفى ان كون سفره صلى الله عليه وسلم مع ميسرة بسوق حباشة قبل سفره معه الى الشام مخالف لظاهر ما تقدم من قول عمه أبي طالب وهذه عير قومك قد حضر خروجها الى الشام فلو جئتها فوضعت نفسك عليها وقول خديجة ما علمت انه يريد هذا وانما قلنا ظاهر لانه يجوز ان يكون بعد قول

فأخذت بمجامع قميصه وردائه ونظرت اليه بوجه غليظ وقلت ألا تقضيني يا محمد حقي انكم يا بني عبد المطلب أهل مطل فقال لي عمر اي عدو الله تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أسمع وهم بي فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سكون وتؤدة وتبسم وقال أنا وهو أحوج الى غير هذا منك يا عمر ان تأمرني بحسن الاداء وتأمره بحسن الطلب اذهب وفه حقه وزده عشرين صاعا مكان ما روعته فأسلم اليهودي وذكر القصة *(وفي التوراة)* لا يزال الملك في يهود الى أن يجيء الذي اياه تنتظر الامم اي لا يزال أمرهم ظاهرا الى أن يجيء الذي تنتظره الامم اي المرسل اليهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم وفي التوراة أيضا سوف اقيم نبيا مثلك من اخوتهم واجعل كلمتي في فيه وايما انسان لم يطع كلامه انتقم منه وفي قوله من اخوتهم رد على النصارى الزاعمين أن الرسول المذكور في التوراة هو المسيح عليه السلام ووجه الرد أن المسيح ليس من اخوتهم بل منهم لانه من نسل داود ويحتمل هذا ردا على بعض اليهود الزاعمين أن النبي المذكور في التوراة هو يوشع بن نون عليه السلام وقد قيل في تفسير قوله تعالى الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل انهم يجدون نعته يأمرهم بالمعروف وهو مكارم الاخلاق وصلة الارحام وينهاهم عن المنكر وهو الشرك ويحل لهم الطيبات وهي الشحوم التي حرمت على بني اسرائيل والبحيرة والسائبة والوصيلة والحامي التي حرمتها الجاهلية ويحرم عليهم الخبائث التي كانت تستحلها الجاهلية من الميتة والدم ولحم الخنزير ويضع عنهم اصرهم من تحريم العمل يوم السبت وعدم قبول دية المقتول وأن يقطعوا ما أصابه البول *(ومن ذلك)* ما جاء عن النعمان السبائي رضي الله عنه وكان من احبار يهود اليمن قال لما سمعت بذكر النبي صلى الله عليه وسلم قدمت عليه وسألته عن أشياء ثم قلت له ان أبي كان يختم على سفر

ويقول لاتقرأه على يهود حتى تسمع بنبي قد خرج بيثرب فاذا سمعت به فافتحه قال النعمان فلما سمعت بك فتحت السفر فاذا فيه صفتك كما أراك الساعة واذا فيه ما تحل وما تحرم واذا فيه أنت خير الانبياء وأمتك خير الامم واسمك احمد صلى الله عليه وسلم وأمتك الحامدون يحمدون الله فى السراء والضراء قربانهم دماؤهم أى يتقربون الى الله سبحانه وتعالى باراقة دمائهم فى الجهاد وأناجيلهم فى صدورهم اى يحفظون كتابهم لايحضرون قتالا الا وجبريل معهم يتحنن الله اليهم كتحنن الطير على فراخه ثم قال لى يعنى أباه فاذا سمعت به فاخرج اليه وآمن به وصدقه فكان النبي صلى الله عليه وسلم يحب ان يسمع اصحابه حديثه فأتاه يوما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يانعمان حدثنا فابتدأ النعمان الحديث من أوله فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم فقال اشهد انى رسول الله ثم ان النعمان قتله الاسود العنسى الذى ادعى النبوة وقطعه عضوا عضوا وهو يقول ان محمدا رسول الله وانك كذاب مفتر على الله ثم احرقه بالنار فلم يحترق كما وقع للخليل وقيل الذى أحرقه الاسود العنسى بالنار ولم يحترق ذؤيب بن كليب اوابن وهب ولما بلغه صلى الله عليه وسلم ذلك أخبر أصحابه فقال عمر رضى الله عنه الحمد لله الذى جعل من أمتنا مثل ابراهيم الخليل (وفى التوراة) فى صفة امته صلى الله عليه وسلم دويهم فى مساجدهم كدوى النحل وفى رواية أصواتهم بالليل فى جو السماء كأصوات النحل رهبان بالليل ليوث بالنهار واذا هم أحدهم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ان واحدة فان عملها كتبت له عشرا واذا هم بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة وان عملها كتبت عليه سيئة واحدة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الاول اى بجنس الكتب السابقة والكتاب الآخر وهو القرآن (وروى

أبي طالب وقولها المذكور ارسلته صلى الله عليه وسلم مع ميسرة الى سوق حباشة اقرب مسافته وقصر زمنه ثم ارسلته مع ميسرة الى الشام أو كانت خديجة لاتجوز ان أباطالب يرضى بسفره الى الشام وانه صلى الله عليه وسلم يوافق على ذلك فليتأمل وتقدم انه صلى الله عليه وسلم من حين سيره أى من مكة صارت الغمامة تظله فان كانت غير الملكين فالغمامة كانت تظله فى الذهاب والملكان يظلانه فى العود ولعل عدم ذكر ميسرة لخديجة تظليل الغمامة له صلى الله عليه وسلم فى ذهابه انه لم يفطن لها مثلا ولكن سيأتى فى كلام صاحب الهمزية مايدل على ان الملكين هما الغمامة وفيه وقوع رؤية البشر غير نبينا صلى الله عليه وسلم للملائكة غير جبريل وسيأتى رؤية جمع من الصحابة لجبريل وفى المنقذ من الضلال للغزالى ان الصوفية يشاهدون الملائكة فى يقظتهم أى لحصول طهارة نفوسهم وتزكية قلوبهم وقطعهم العلائق وحسمهم مواد اسباب الدنيا من الجاه والمال واقبالهم على الله تعالى بالكلية علما دائما وعملا مستمرا والله أعلم قال ولم اقف على اسم الرجل الذى حالفه أى استحلفه وقال الحافظ ابن حجر لم أقف على رواية صحيحة صريحة فيه بانه أى ميسرة بقى الى البعثة انتهى ثم ان خديجة ذكرت مارأته من الآيات وما حدثها به غلامها ميسرة لابن عمها ورقة بن نوفل وكان نصرانيا أى بعد ان كان يهوديا على ما يأتى قد تتبع الكتب فقال لها ان كان هذا حقا ياخديجة ان محمدا نبى هذه الامة وقد عرفت انه كائن لهذه الامة نبى منتظر هذا زمانه أى وكان صلى الله عليه وسلم يتجر قبل النبوة قبل أن يتجر لخديجة وكان شريكا للسائب بن أبى السائب صيفى ولما قدم عليه السائب يوم فتح مكة قال له مرحبا باخى وشريكى كان لايدارى أى لايرائى ولايمارى أى يخاصم صاحبه وهذا يدل على ان قوله كان لايدارى الخ من مقوله صلى الله عليه وسلم وقد قال فقهاؤنا والاصل فى الشركة خبر السائب بن يزيد انه كان شريكا للنبى صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وافتخر بشركته بعد المبعث أى قال كان صلى الله عليه وسلم نعم الشريك لايدارى ولايمارى ولايشارى والمشاراة المشاحة فى الامر واللجاج فيه وهو يدل على ان ذلك كان من مقول السائب ولامانع ان يكون كل من النبى صلى الله عليه وسلم والسائب قال فى حق الآخر كان لايدارى ولا يمارى وبهذا يندفع قول بعضهم اختلفت الروايات فى هذا الكلام الذى هو كان خير شريك كان لايشارى ولايمارى فنهم من يجعله من قول النبى صلى الله عليه وسلم فى السائب ومنهم من يجعله من قول السائب فى حق النبى صلى الله عليه وسلم ويمكن

ان لا يكون مخالفة بين السائب بن أبي السائب صيفي وبين السائب بن يزيد لانه يجوز ان يكون صيفي لقبا لوالده واسمه يزيد * وفي الاستيعاب وقع اضطراب هل الشريك كان أبا السائب او ولده السائب بن أبي السائب او ولد السائب وهو قيس بن السائب ابن أبي السائب لا أخا السائب وهو عبد الله بن أبي السائب قال وهذا اضطراب لا يثبت به شئ ولا تقوم به حجة والسائب بن أبي السائب من المؤلفة اعطاه صلى الله عليه وسلم يوم الجعرانة من غنائم حنين وبه يرد قول بعضهم ان السائب بن أبي السائب قتل يوم بدر كافرا (ومما يدل) على ان الشركة كانت لقيس بن السائب قوله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية شريكي فكان خير شريك كان لا يشاريني ولا يماريني ووجه الدلالة انه صلى الله عليه وسلم سمع قوله كان شريكي وأقره عليه وذكر في الامتاع ان حكيم بن حزام اشترى من رسول الله صلى الله عليه وسلم بزا من بز تهامة بسوق حباشة وقدم به مكة فكان ذلك سبب الارسال خديجة له صلى الله عليه وسلم مع عبدها ميسرة الى سوق حباشة ليشتري لها بزا وفي سفر السعادة انه صلى الله عليه وسلم وقع منه انه باع واشترى الا انه بعد الوحي وقبل الهجرة كان شراؤه أكثر من البيع وبعد الهجرة لم يبع الا ثلاث مرات وأما شراؤه فكثير وآجر واستأجر والاستئجار أغلب ووكل وتوكل وكان توكله أكثر

(باب تزوجه صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد رضى الله عنها)

ابن اسد بن عبد العزى بن قصي فهي تجتمع معه صلى الله عليه وسلم في قصي قال الحافظ ابن حجر وهي من اقرب نسائه صلى الله عليه وسلم اليه في النسب ولم يتزوج من ذرية قصي غيرها الا أم حبيبة هذا كلامه وعن نفيسة بنت منية رضى الله تعالى عنها أي وهي أخت يعلى ابن منية ففي الامتاع منية أخت يعلى ابن منية وعليه يكون ضمير وهي راجع لمنية لا لنفيسة قالت كانت خديجة بنت خويلد امرأة حازمة أي ضابطة جلدة أي قوية شريفة أي مع ما أراد الله تعالى لها من الكرامة والخير وهي يومئذ أوسط نساء قريش نسبا وأعظمهم شرفا وأكثرهم مالا أي وأحسنهم جمالا وكانت تدعى في الجاهلية بالطاهرة وفي لفظ كان يقال لها سيدة قريش لان الوسط في ذكر النسب من اوصاف المدح والتفضيل يقال فلان أوسط القبيلة اعرقها في نسبها وكل قومها كان حريصا على نكاحها لو قدر على ذلك قد طلبوها وذكروا لها الاموال فلم تقبل فارسلتني دسيسا أي خفية الى محمد صلى الله عليه وسلم بعد ان رجع في عيرها من الشام فقلت يا محمد ما يمنعك

الامام أحمد) وغيره باسناد صحيح ان الله تعالى قال لعيسى عليه السلام يا عيسى انى باعث بعدك أمة ان أصابهم ما يحبون حمدوا وشكروا وان أصابهم ما يكرهون صبروا واحتسبوا ولا حلم ولا علم قال كيف يكون لهم هذا ولا حلم ولا علم قال أعطيهم من حلمي وعلمي وحينئذ يكون المراد ولا حلم ولا علم لهم كامل وان الله تعالى يكمل علمهم وحلمهم من علمه وحلمه ويدل لذلك ما ذكره بعضهم ان هذه الامة آخر الامم فكان الحلم والعلم الذى قسم بين الامم كما شهد به حديث ان الله قسم بينكم أخلاقكم قل ودق جدا نصيب هذه الامة منه فلم تدرك الا اليسير من ذلك مع قصر أعمارهم فأعطاهم الله من حلمه وعلمه وجاء انهم يسمون في التوراة صفوة الرحمن وفي الانجيل حلماء علماء أبرارا اتقياء كأنهم من الفقه أنبياء وروى الدارقطني ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لكعب الاحبار كيف تجدني يعني في التوراة قال خليفة قرن من حديد أمير شديد لا تخاف في الله لومة لائم ثم الخليفة من بعدك تقتله أمة ظالمون له ثم يقع البلاء بعد *(وفى صحف شعيا)* اسمه صلى الله عليه وسلم ركن المتواضعين وفيها انى باعث نبيا أميا أفتح به آذانا صما وقلوبا غلفا وأعينا عميا مولده بمكة ومهاجره بطيبة وملكه بالشام رحيما بالمؤمنين يبكي للبهيمة المثقلة ويبكي لليتيم في حجر الارملة لو مر الى جانب السراج لم يطفئه من سكينته ولو يمشي على القضيب الزعزاع يعني اليابس لم يسمع من تحت قدميه وشعيا عليه السلام كان بعد داود وسليمان عليهما السلام وقبل زكريا ويحيى عليهما السلام ولما نهى بني اسرائيل عن ظلمهم وعتيهم طلبوه ليقتلوه فهرب منهم فمر بشجرة فانفلقت له ودخل فيها فأدركه الشيطان فأخذ بهدبة ثوبه فأبرزها فلما رأوا ذلك جاؤا بالمنشار فوضعوه على الشجرة فنشروها ونشروه معها وكان من جملة الرسل الذين عناهم الله بقوله وقفينا من

بعده بالرسل وهم سبعة وهو ثالث تلك الرسل السبعة وهو المبشر بعيسى وبمحمد صلى الله عليه وسلم فقال يخاطب بيت المقدس لما شكا له الخراب والقاء الجيف فيه أبشر يأتيك راكب الحمار يعني عيسى وبعده راكب الجمل يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ولعل ذلك باعتبار الاغلب في حقه صلى الله عليه وسلم من ركوبه للجمل فلا ينافي ذلك وصفه أيضا بانه يركب الحمار والجمل واسمه صلى الله عليه وسلم في الزبور حاط حاط والفلاح الذي يمحق الله به الباطل والفارق أي يفرق بين الحق والباطل وهو معنى فارقليط او بارقليط وقيل معناه الذي يعلم الاشياء الخفية وذكر صاحب الدر المنظم باسناده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمر رضي الله عنه يا عمر اتدري من أنا أنا الذي بعثني الله في التوراة لموسى وفي الانجيل لعيسى وفي الزبور لداود ولا فخر أي لا أقول ذلك على سبيل الافتخار بل على سبيل التحدث بالنعمة يا عمر أتدري من أنا انا اسمي في التوراة أحيد وفي الانجيل البارقليط وفي الزبور حماط وفي صحف ابراهيم طاب طاب ولا فخر وجاء في الزبور اني أنا الله لا اله الا أنا ومحمد رسولي ووصف بأنه يقوي الضعيف الذي لا ناصر له ويرحم المسكين ويبارك عليه في كل وقت ويدوم ذكره الى الابد ووصف بالجبار في الزبور تقلد أيها الجبار سيفك فان قيل قال الله تعالى وما أنت عليهم بجبار أجيب بأن الاول هو الذي يجبر الخلق الى الحق والثاني هو المتكبر وفي الزبور أيضا يا داود سيأتي من بعدك نبي اسمه أحمد ومحمد لا أغضب عليه أبدا ولا يعصيني ذكرها أبدا وقد غفرت له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وامته مرحومة يأتون يوم القيامة ونورهم مثل نور الانبياء وقوله وقد غفرت له الخ أي على فرض وقوع ذنب منه أو المراد بالذنب خلاف الاولى من باب حسنات الابرار سيئات المقربين اى ما يعد حسنة بالنسبة

ان تتزوج فقال ما بيدي ما اتزوج به قلت فان كفيت ذلك ودعيت الى المال والجمال والشرف والكفاية ألا تجيب قال فمن هي قلت خديجة قال وكيف لي بذلك بكسر الكاف لانه خطاب لنفيسة قالت بلى وانا افعل فذهبت فأخبرتها فارسلت اليه ان ائت لساعة كذا وكذا فارسلت الى عمها عمرو بن أسد ليزوجها فحضر ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم في عمومته فزوجه أحدهم اى وهو أبو طالب على ما يأتي وقال في خطبته وابن أخي له في خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك فقال عمرو بن أسد هذا الفحل لا يقدع انفه اى بالقاف والدال المهملة اى لا يضرب انفه لكونه كريما لان غير الكريم اذا أراد ركوب الناقة الكريمة يضرب انفه ليرتدع بخلاف الكريم وكون المزوج لها عمها عمرو بن أسد قال بعضهم هو المجمع عليه وقيل المزوج لها أخوها عمرو بن خويلد وعن الزهري ان المزوج لها أبوها خويلد بن أسد وكان سكرانا من الخمر فألقت عليه خديجة حلة وهي ثوب فوق ثوب لان الاعلى يحل فوق الاسفل وضمخته بخلوق اى لطخته بطيب مخلوط بزعفران ○ فلما صحا من سكره قال ما هذه الحلة والطيب فقيل له لانك أنكحت محمدا خديجة وقد ابتنى بها فأنكر ذلك ثم رضيه وامضاه أي لان خديجة استشعرت من أبيها انه يرغب عن أن يزوجها له فصنعت له طعاما وشرابا ودعت أباها ونفرا من قريش فطعموا وشربوا فلما سكر أبوها قالت له ان محمد بن عبد الله يخطبني فزوجني اياه فزوجها فخلقته وألبسته لان ذلك أي الباس الحلة وجعل الخلوق به كان عادتهم ان الاب يفعل به ذلك اذا زوج بنته فلما صحا من سكره قال ما هذا قالت له خديجة زوجتني من محمد بن عبد الله قال أنا ازوج يتيم أبي طالب لا لعمري فقالت له خديجة ألا تستحي تريد أن تسفه نفسك عند قريش تخبرهم انك كنت سكرانا فلم تزل به حتى رضي اى وهذا مما يدل على ان شرب الخمر كان عندهم مما يتنزه عنه ويدل له ان جماعة حرموها على انفسهم في الجاهلية منهم من تقدم ومنهم من يأتي وفي رواية انها عرضت نفسها عليه فقالت يا ابن عم اني قد رغبت فيك لقرابتك وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك فذكر ذلك صلى الله عليه وسلم لاعمامه فخرج معه عمه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه حتى دخل على خويلد بن أسد فخطبها اليه فزوجها (أقول) قال في النور ولعل الثلاثة اى أباها واخاها وعمها حضروا ذلك فنسب الفعل الى كل واحد منهم هذا كلامه وفي كون المزوج لها أبوها خويلدا وكونه حضر تزويجها نظر ظاهر لان المحفوظ عن أهل العلم ان خويلد بن اسد مات قبل حرب الفجار المتقدم

ذ كرها (قال بعضهم) وهو الذى نازع تبعا اى حين أراد أخذ الحجر الاسود الى اليمن فقام فى ذلك خويلد وقام معه جماعة من قريش ثم رأى تبع فى منامه ماردعه عن ذلك فترك الحجر الاسود مكانه وعلى كون المزوج له عمه حمزة اقتصر ابن هشام فى سيرته وذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أصدقها عشرين بكرة (وعبارة) المحب الطبرى فلما ذكر ذلك لاعمامه خرج معه منهم حمزة بن عبد المطلب حتى دخل على خويلد بن أسد فخطبها اليه ففعل وحضره أبو طالب ورؤساء مضر فخطب أبو طالب فقال الحمد لله القصة والله أعلم * قال وعن ابن اسحق انها قالت له يا محمد ألا تتزوج قال ومن قالت أنا قال ومن لى بك أنت أيم قريش وأنا يتيم قريش قالت اخطبنى الحديث اى وفيه اطلاق اليتيم على البالغ وذلك بحسب ما كان والمراد به المحتاج والا فالعرف اى الشرعى واللغوى خصه بغير البالغ ممن مات أبوه الحقيق وعن بعضهم قال مررت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم على اخت خديجة فنادتنى فانصرفت اليها ووقف لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت أما لصاحبك هذا من حاجة فى تزويج خديجة فأخبرته فقال بلى لعمرى فذكرت ذلك لها فقالت اغدوا علينا اذا أصبحنا فغدونا عليهم فوجدناهم قد ذبحوا بقرة وألبسوا أبا خديجة حلة الحديث * وفى الامتاع بعد أن ذكر ان السفير بينهما نفيسة بنت منية ذكر انه قيل كان السفير بينهما غلامها وقيل مولاة مولدة وقد يقال لا منافاة لجواز ان يكون كل ممن ذكر كان سفيرا (وفى الشرف) ان خديجة رضى الله تعالى عنها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم اذهب الى عمك فقل له تعجل الينا بالغداة فلما جاءها ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت له يا أبا طالب تدخل على عمى فكلمه يزوجنى من ابن أخيك محمد ابن عبد الله فقال ابو طالب يا خديجة لا تستهزئى فقالت هذا صنع الله فقام فذهب وجاء مع عشرة من قومه الى عمها الحديث اى وفى رواية ومعه بنو هاشم ورؤساء مضر ولا مخالفة لجواز ان يكون المراد ببنى هاشم أولئك العشرة وانهم كانوا هم المراد برؤساء مضر فى ذلك الوقت وذكر ابو الحسين بن فارس وغيره ان ابا طالب خطب يومئذ فقال الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وضئضئ معد اى معدنه وعنصر مضر اى أصله وجعلنا حضنة بيته اى المتكفلين بشأنه وسواس حرمه اى القائمين بخدمته وجعله لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا حكام الناس ثم ان ابن أخى هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به رجل الا رجح به شرفا ونبلا وفضلا وعقلا وان كان فى المال قل فان المال ظل زائل وأمر حائل وعارية مسترجعة وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل وقد

لمقام الابرار قد يعد سيئة بالنسبة لمقام المقربين لعلو مقامهم وارتفاع شأنهم * (وفى بعض) * ما جاء عن داود عليه السلام ان الله أظهر من صهيون اكليلا محمودا وصهيون اسم مكة والاكليل الامام الرئيس وهو محمد صلى الله عليه وسلم وفى صحف شيث اخوناخ ومعناه صحيح الاسلام وفى بعض الكتب المنزلة انى باعث رسولا من الاميين أشدده بكل جميل وأهب له كل خلق كريم واجعل الحكمة منطقه والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والحق شريعته والعدل سيرته والاسلام ملته ارفع به من الوضيعة واهدى به من الضلالة وأولف به بين قلوب متفرقة وأهواء مختلفة واجعل امته خير الامم * (واما ما جاء) * مما يدل على وجود اسمه الشريف اعنى لفظ محمد مكتوبا على الاحجار والنبات والحيوان وغير ذلك بقلم القدرة فكثير (ومن ذلك) ما جاء عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان نقش خاتم سليمان بن داود عليهما السلام لا اله الا الله محمد رسول الله * وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ان فص خاتم سليمان بن داود عليهما السلام كان سماويا اى من السماء الق اليه فوضعه فى خاتمه وكان به انتظام ملكه وكان نقشه انا الله لا اله الا انا محمد عبدى ورسولى فعلى هذا يكون ما تقدم عن جابر رضى الله عنه رواه بالمعنى وكان سليمان عليه السلام ينزعه اذا دخل الخلاء واذا جامع وكان عند نزعه يتنكر عليه أمر الناس ولم يجد من نفسه ما كان يجده قبل نزعه ووجد على بعض الحجارة القديمة مكتوبا محمد تقى مصلح وسيد أمين وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال لكعب الاحبار أخبرنا عن فضائل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مولده قال نعم يا أمير المؤمنين قرأت ان ابراهيم الخليل عليه السلام وجد حجرا مكتوبا عليه اربعة اسطر الاول

أنا الله لا اله الا أنا فاعبدوني والثاني انا الله لا اله الا انا محمد رسول الله طوبى لمن آمن به واتبعه والثالث انا الله لا اله الا انا الحرم لي والكعبة بيتي من دخل بيتي أمن من عذابي قال الحلبي واسقط الرابع ثم نقل عن بعضهم ان في سنة اربعة وخمسين وأربعمائة عصفت ريح شديدة بخراسان كريح عاد انقلبت منها الجبال وفرت منها الوحوش فظن الناس ان القيامة قد قامت وابتهلوا الى الله تعالى فنظروا واذا نور عظيم قد نزل من السماء على جبل من تلك الجبال ثم تأملوا الوحوش فاذا هي منصرفة الى ذلك الجبل الذي سقط فيه ذلك النور فساروا معها اليه فوجدوا فيه صخرة طولها ذراع في عرض ثلاثة اصابع وفيها ثلاثة اسطر سطر فيه لا اله الا الله فاعبدون وسطر فيه محمد رسول الله القرشي وسطر ثالث فيه احذروا وقعة المغرب انها تكون من سبعة او تسعة والقيامة قد أزفت اى قربت *(وجاء ان آدم عليه السلام)* قال طفت السموات فلم أر في السموات موضعا الا رأيت اسم محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبا عليه ولم أر في الجنة قصرا ولا غرفة الا واسم محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبا عليه ولقد رأيت اسمه صلى الله عليه وسلم على نحور الحور العين وورق آجام الجنة وشجرة طوبى وسدرة المنتهى والحجب وبين اعين الملائكة قيل ان أول شئ كتبه القلم في اللوح المحفوظ بسم الله الرحمن الرحيم اني انا الله لا اله الا انا محمد رسولي من استسلم لقضائي وصبر على بلائي وشكر على نعمائي ورضي بحكمي كتبته صديقا وبعثته يوم القيامة من الصديقين وفي رواية في مكتوب في صدر اللوح المحفوظ لا اله الا الله دينه الاسلام محمد عبده ورسوله فمن آمن بهذا ادخله الله الجنة وفي رواية لما أمر الله القلم ان يكتب ما كان وما يكون كتب على سرادق العرش لا اله الا الله محمد رسول الله قال الجلال السيوطي في الخصائص

خطب اليكم رغبة في كريمتكم خديجة وقد بذل لها من الصداق ما عاجله وآجله اثنتى عشرة اوقية ونشا اى وهو عشرون درهما والاوقية أربعون درهما اى وكانت الاواقي والنش من ذهب كما قال المحب الطبري اى فيكون جملة الصداق خمسمائة درهم شرعي وقيل أصدقها عشرين بكرة اى كما تقدم (اقول) لا منافاة لجواز ان تكون البكرات عوضا عن الصداق المذكور (وقال بعضهم) يجوز ان يكون ابو طالب اصدقها ما ذكر وزاد صلى الله عليه وسلم من عنده تلك البكرات في صداقها فكان الكل صداقا والله أعلم قال وما قيل ان عليا رضي الله تعالى عنه ضمن المهر فهو غلط لان عليا لم يكن ولد على جميع الاقوال في مقدار عمره وبه يرد قول بعضهم وكون علي ضمن المهر غلط لان عليا كان صغيرا لم يبلغ سبع سنين اى لانه ولد في الكعبة وعمره صلى الله عليه وسلم ثلاثون سنة فأكثر وسنه حين تزوج خديجة كان خمسا وعشرين سنة على ما تقدم او زيادة بشهرين وعشرة ايام وقيل خمسة عشر يوما على ما يأتي وقيل الذي ولد في الكعبة حكيم بن حزام قال بعضهم لا مانع من ولادة كليهما في الكعبة لكن في النور حكيم بن حزام ولد في جوف الكعبة ولا يعرف ذلك لغيره واما ماروى ان عليا ولد فيها فضعيف عند العلماء قال النووي وعند ذلك قال عمها عمرو بن أسد هو الفحل لا يقدع انفه وانكحها منه وقيل قائل ذلك ورقة بن نوفل اى فانه بعد ان خطب ابو طالب بما تقدم خطب ورقة فقال الحمد لله الذي جعلنا كما ذكرت وفضلنا على ما عددت فنحن سادة العرب وقادتها وأنتم اهل ذلك كله لا ينكر العرب فضلكم ولا يرد احد من الناس فخركم وشرفكم ورغبتنا في الاتصال بحبلكم وشرفكم فاشهدوا علي معاشر قريش انى قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبد الله وذكر المهر فقال ابو طالب قد احببت ان يشركك عمها فقال عمها اشهدوا علي معاشر قريش انى قد انكحت محمد بن عبد الله خديجة بنت خويلد واولم عليها صلى الله عليه وسلم نحر جزورا وقيل جزورين وأطعم الناس وامرت خديجة جواريها ان يرقصن ويضربن الدفوف وفرح ابو طالب فرحا شديدا وقال الحمد لله الذي اذهب عنا الكرب ودفع عنا الغموم وهي اول وليمة اولمها رسول الله صلى الله عليه وسلم (اقول) ولا ينافي هذا ما تقدم من قوله فوجدناهم قد نحروا بقرة وألبسوا خديجة حلة لجواز ان يكون ذلك كان عند العقد وهذا عند ارادة الدخول ولا ينافي ذلك ما تقدم من قوله وقد ابتنى بها لان تلك الرواية غير صحيحة ولا ينافي كون المزوج له عمه ابو طالب ما تقدم ان المزوج له عمه حمزة لجواز ان يكون حضر مع ابي طالب فنسب التزويج اليه أيضا والله أعلم والسبب

الكبرى ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم كتابة اسمه الشريف مع اسم الله تعالى على العرش وفيها ايضا قال الله تعالى ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن ومكتوب باسمه صلى الله عليه وسلم على سائر الملكوت اى من السماء والجنان ومافيها اوسائر مافى الملكوت وعن على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل انه قال يا محمد وعزتى وجلالى لولاك ما خلقت ارضا ولا سماء ولا رفعت هذه الخضراء ولا بسطت هذه الغبراء وفى رواية عنه ولا خلقت سماء ولا أرضا ولا طولا ولا عرضا ولله در القائل

لولاه ما كان فلك ولا فلك

كلا ولا بان تحريم وتحليل

*(ومن ذلك) ما حدث به بعضهم قال غزونا الهند فوقفت فى غيضة فاذا فيها شجر عليه ورق احمر مكتوب عليه بالبياض لا اله الا الله محمد رسول الله وعن بعضهم قال رأيت فى جزيرة شجرة عظيمة لها ورق كبير طيب الرائحة مكتوب عليه بالحمرة والبياض فى الخضرة كتابة بينة واضحة ابتدعها الله بقدرته ثلاثة أسطر الاول لا اله الا الله والثانى محمد رسول الله والثالث ان الدين عند الله الاسلام وعن بعضهم أيضا قال دخلت بلاد الهند فرأيت فى بعض قراها شجر ورد أسود ينفتح عن وردة كبيرة سوداء طيبة الرائحة مكتوب عليها بخط أبيض لا اله الا الله محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الفاروق فشككت فى ذلك وقلت انه معمول فعمدت الى وردة أخرى لم تفتح بعد فرأيت فيها كما رأيت فى سائر الورد وفى البلد شئ كثير وأهل تلك البلد يعبدون الحجارة * ونقل ابن مرزوق فى شرح البردة عن بعضهم قال عصفت بنا ريح ونحن فى لجج بحر الهند فأرسينا فى جزيرة فرأينا وردا أحمر ذكى الرائحة مكتوبا عليه بالاصفر براءة من الرحمن الرحيم الى جنات النعيم لا اله الا الله محمد رسول الله (ومن ذلك)

فى ذلك اى فى عرض خديجة رضى الله تعالى عنها نفسها عليه صلى الله عليه وسلم ايضا مع ماأراد الله تعالى بها من الخير ماذكره ابن اسحق قال كان لنساء قريش عيد يجتمعن فيه فى المسجد فاجتمعن يوما فيه فجاءهن يهودى وقال يامعشر نساء قريش انه يوشك فيكن نبى قرب وجوده فأيتكن استطاعت ان تكون فراشاله فلتفعل فحصبنه النساء اى رمينه بالحصباء وقبحنه وأغلظن له وأغضت خديجة على قوله ووقع ذلك فى نفسها فلما اخبرها ميسرة بما رآه من الآيات ومارأته هى اى وما قاله لها ورقة لما حدثته بما حدثها به ميسرة مما تقدم قالت ان كان ما قاله اليهودى حقا ماذاك الا هذا (وذكر ابو الفا كهى) عن أنس رضى الله تعالى عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم كان عند ابى طالب فاستأذن ابا طالب فى ان يتوجه الى خديجة اى ولعله بعد ان طلبت منه صلى الله عليه وسلم الحضور اليها وذلك قبل ان يتزوجها فاذن له وبعث بعده جارية له يقال لها نبعة فقال انظرى ماتقول له خديجة فخرجت خلفه فلما جاء صلى الله عليه وسلم الى خديجة اخذت بيده فضمتها الى صدرها ونحرها ثم قالت بابى انت وأمى والله ماأفعل هذا الشئ ولكنى ارجو ان تكون انت النبى الذى سيبعث فان تكن هو فاعرف حقى ومنزلتى وادع الاله الذى سيبعثك لى فقال لها والله لئن كنت انا هو لقد اصطنعت عندى مالا اضيعه ابدا وان يكن غيرى فان الاله الذى تصنعين هذا لاجله لا يضيعك ابدا فرجعت نبعة وأخبرت ابا طالب بذلك وكان تزوجه صلى الله عليه وسلم بخديجة رضى الله تعالى عنها بعد مجيئه من الشام بشهرين اوخمسة عشر يوما وعمره اذذاك خمس وعشرون سنة على ماهو الصحيح الذى عليه الجمهور وكما تقدم زاد بعضهم على الخمسة والعشرين سنة شهرين وعشرة أيام وقد أشار الى ما تقدم صاحب الهمزية بقوله

ورأته خديجة والتقى والزهد فيه سجية والحياء

وأتاها ان الغمامة والسرح أظلته منهما افياء

واحاديث ان وعد رسول الله بالبعث حان منه الوفاء

فدعته الى الزواج ومااحسن ما يبلغ المنى الاذكياء

اى وعلمته خديجة رضى الله تعالى عنها ذات الشرف الطاهر والمال الوافر الظاهر والحسب الفاخر والحال ان التقى والزهد والحياء فيه صلى الله عليه وسلم سجية وطبيعة وأتاها الخبر بأن الغمامة والشجر اظلته افياء اى ظلال حالة كون تلك الافياء من الغمامة والشجر وفيه ان هذا يدل على ان الملكين هما الغمامة (قال بعضهم) وتظليل

الغمامة له صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة تأسيسا لها وانقطع ذلك بعد النبوة وأتى خديجة الاحاديث والاخبار من بعض الاحبار بأن وعد الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بالبعث والارسال الى الخلق قرب الوفاء به منه تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم فبسبب ذلك خطبته الى ان يتزوج بها وعرضت نفسها عليه وما أحسن بلوغ الاذكياء ما يتمنونه وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي يومئذ بنت أربعين سنة قال وقيل خمس واربعين سنة وقيل ثلاثين وقيل ثمان وعشرين اه اى وقيل خمس وثلاثين وقيل خمس وعشرين وتزوجت قبله صلى الله عليه وسلم برجلين أولهما عتيق بن عابد اى بالموحدة والمهملة وقيل بالمثناة تحت والمعجمة ○ فولدت له بنتا اسمها هند وهي أم محمد بن صيفي المخزومي وثانيهما ابو هالة واسمه هند فولدت له ولدا اسمه هالة وولدا اسمه هند أيضا فهو هند بن هند اى وكان يقول انا أكرم الناس ابا واما واخا واختا ابي رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه زوج امه وامى خديجة وأخى القاسم واختى فاطمة قتل هند هذا مع على يوم الجمل رضي الله تعالى عنه وفي كلام السهيلي انه مات بالطاعون بالبصرة وكان قد مات في ذلك اليوم نحو من سبعين الفا فشغل الناس بجنائزهم عن جنازته فلم يوجد من يحملها فصاحت نادبته واهنداه بن هنداه واربيب رسول الله فلم تبق جنازة الا تركت واحتملت جنازته على اطراف الاصابع اعظاما لربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا وفي المواهب انها كانت تحت ابي هالة اولا ثم كانت تحت عتيق ثانيا وستأتى بقية ترجمتها رضي الله عنها في ازواجه صلى الله عليه وسلم

(باب بنيان قريش الكعبة شرفها الله تعالى)

لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وثلاثين سنة على ما هو الصحيح جاء سيل حتى اتى من فوق الردم الذى صنعوه لمنعه السيل فأخربه اى ودخلها وصدع جدرانها بعد توهينها من الحريق الذى اصابها وذلك ان امرأة بخرتها فطارت شرارة في ثياب الكعبة فاحترقت جدرانها فخافوا ان تفسدها السيول اى تذهبها بالمرة وقيل تبخير المرأة لها كان في زمن عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما ولا مانع من التعدد وكان ارتفاعها تسعة اذرع من عهد ابراهيم عليه الصلاة والسلام ولم يكن لها سقف اى وكان الناس يلقون الحلى والمتاع كالطيب اى الذى يهدى اليها في بئر داخلها عند بابها على يمين الداخل منه اعدت لذلك يقال لها خزانة الكعبة كما سيأتي ذلك فأراد شخص في ايام جرهم ان يسرق من ذلك شيأ فوقع على رأسه وانهار البئر عليه فهلك (وفي كلام بعضهم) فسقط

ما حكاه بعضهم قال رأيت في بلاد الهند شجرة تحمل ثمرا يشبه اللوز له قشران فاذا كسر خرج منه ورقة خضراء مطوية مكتوب عليها بالحمرة لا اله الا الله محمد رسول الله كتابة جلية وهم يتبركون بتلك الشجرة ويستسقون بها اذا منعوا الغيث وحكى الحافظ السلفي عن بعضهم أن شجرة ببلاد الهند لها أوراق خضر وعلى كل ورقة مكتوب بخط أشد خضرة من لون الورقة لا اله الا الله محمد رسول الله وكان أهل تلك البلد أهل أوثان وكانوا يقطعونها ويعفون آثارها فترجع الى ما كانت عليه في أقرب زمن فأذابوا الرصاص وجعلوه في أصلها فخرج من حول الرصاص أربع فروع كل فرع مكتوب عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فصاروا يتبركون بها ويستشفون بها من المرض اذا اشتد ويخلقونها بالزعفران وأحسن الطيب *(ومن ذلك)* انه وجد في سنة سبع أو تسع وثمانمائة حبة عنب مكتوب عليها بخط بارع بلون أسود محمد ومنه ما ذكره بعضهم انه اصطاد سمكة مكتوبا على جنبها الايمن لا اله الا الله وعلى جنبها الايسر محمد رسول الله قال فلما رأيتها ألقيتها في النهر احتراما لها وعن بعضهم قال ركبت بحر المغرب ومعنا غلام معه صنارة فأدلاها في البحر فاصطاد سمكة قدر شبر بيضاء فاذا مكتوب بالاسود على احدى اذنيها لا اله الا الله وعلى الاخرى محمد رسول الله فقذفناها في البحر وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا بطائر في فمه لؤلؤة خضراء فألقاها فأخذها النبي صلى الله عليه وسلم فوجد فيها دودة خضراء مكتوبا عليها بالاصفر لا اله الا الله محمد رسول الله ذكره الحلبي في السيرة (ومنه) أيضا ما حكاه بعضهم انه كان بطبرستان قوم يقولون لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا يقرون لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة ويحصل منهم افتتان ففي يوم شديد الحر ظهرت سحابة شديدة البياض

عليه بحجر فدسه فى تلك البئر حتى اخرج منها وانتزع المال منه فليتأمل الجمع وقد يقال على بعد جاز ان يكون هذا الرجل تكرر منه السرقة وكان هلاكه فى المرة الثانية فعند ذلك بعث الله حية بيضاء سوداء الرأس والذنب رأسها كرأس الجدى فاسكنها تلك البئر لحفظ تلك الامتعة وكانت قد تخرج منها الى ظاهر البيت فتشرق بالقاف اى تبرز للشمس على جدار الكعبة فيبرق لونها وربما التفت عليه فتصير رأسها عند ذنبها فلا يدنو منها احد الا كشت اى صوتت وفحت فاها معطوف على كشت ففى حياة الحيوان قال الجوهرى كشيش الافعى صوتها من جلدها الامن فيها فحرست بئره وخزانة البيت خمسمائة عام لا يقرب به احد اى لا يقرب بئره وخزانته الا اهلكته اى ولعل المراد لو قرب منه احد اهلكته اذ لو اهلكت احدا قرب من تلك البئر لنقل فلم تزل كذلك حتى كان زمن قريش ووجدهذا السيل والحريق أرادوا هدمها واعادة بنائها وان يشيدوا بنيانها اى يرفعوه و يرفعوا بابها حتى لا يدخلها الا من شاؤا واجتمعت القبائل من قريش تجمع الحجارة كل قبيلة تجمع على حدة وأعدوا لذلك نفقة اى طيبة ليس فيها مهر بغى ولا بيع ربا ولا مظلمة احد من الناس ٥ اى بعد ان قام ابو وهب عمرو بن عابد فتناول منها حجرا فوثب من يده حتى رجع الى موضعه فقال عند ذلك يا معشر قريش لا تدخلوا فى بنيانها من كسبكم الا طيبا الحديث اى وفى لفظ انه قال لهم لا تدخلوا فى نفقة هذا البيت مهر بغى اى زانية ولا بيع ربا وفى لفظ لا تجعلوا فى نفقة هذا البيت شيأ أصبتموه غصبا ولا قطعتم فيه رحما ولا انتهكتم فيه حرمة أو ذمة بينكم و بين أحد من الناس وابو وهب هذا خال عبد الله ابى النبى صلى الله عليه وسلم وكان شريفا فى قومه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم الحجارة روى الشيخان عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما قال لما بنيت الكعبة ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم والعباس رضى الله تعالى عنه ينقلان الحجارة فقال العباس للنبى صلى الله عليه وسلم اجعل ازارك على رقبتك يقيك الحجارة اى كبقية القوم فانهم كانوا يضعون ازرهم على عواتقهم ويحملون الحجارة ففعل صلى الله عليه وسلم فخر الى الارض فطمحت عيناه الى السماء اى ونودى عورتك فقال ازارى ازارى اى شدوا على ازارى فشد عليه وفى رواية فسقط فغشى عليه فضمه العباس الى نفسه وسأله عن شأنه فاخبره انه نودى من السماء ان شد عليك ازارك وهذا يبعده ما جاء فى رواية قال له العباس اى بعد ان أمر بستر عورته وسترها يا ابن أخى اجعل ازارك على رأسك فقال ما أصابنى ما أصابنى الا من التعرى وفى رواية بينا النبى صلى الله عليه وسلم

فلم تزل تنشأ حتى أخذت ما بين الخافقين وأحالت بين السماء والبلد فلما كان وقت الزوال ظهر بخط واضح لا اله الا الله محمد رسول الله فلم تزل كذلك الى وقت العصر فتاب كل من كان افتتن وأسلم أكثر من كان فى البلد من اليهود والنصارى *(ومن ذلك)* ماجاء عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال بلغنى فى قوله تعالى وكان تحته كنز لهما قال كان لوح من ذهب وقيل لوح من رخام مكتوب فيه عجبا لمن أيقن بالموت اى بأنه يموت كيف يفرح عجبا لمن أيقن بالحساب اى بأنه يحاسب كيف يغفل عجبا لمن أيقن بالقضاء والقدر كيف يحزن عجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وروى البيهقى وغيره عن على رضى الله عنه أن الكنز الذى ذكره الله فى كتابه لوح من ذهب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن أيقن بالقدر كيف ينصب اى يتعب عجبت لمن ذكر النار ثم يضحك عجبت لمن ذكر الحساب كيف يغفل لا اله الا الله محمد رسول الله وفى لفظ لا اله الا انا محمد عبدى ورسولى * قال الحلبى أقول قد يقال يجوز أن يكون ماذكر أولا فى أحد وجهى ذلك اللوح وماذكر ثانيا فى الوجه الثانى وان بعض الرواة زاد وبعضهم نقص وبعضهم روى بالمعنى وحفظ ذلك الكنز لاجل صلاح أبيهما وكان تاسع أب لهما وقد قال محمد بن المنكدر ان الله يحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده وبقعته التى هو فيها والدوائر حوله فلا يزالون فى حفظ الله وستره ويذكر أن هرون الرشيد هم بقتل بعض العلوية فلما دخل عليه أكرمه وخلى سبيله فقيل له بماذا دعوت حتى نجاك الله منه قال قلت يا من حفظ الكنز على الصبيين لصلاح أبيهما احفظنى منه لصلاح آبائى رضى الله عنهم *(ومن ذلك)* ماجاء عن جابر رضى الله عنه قال مكتوب بين كتفى آدم عليه السلام محمد رسول الله خاتم النبيين وقد ذكر بعضهم انه

يحمل الحجارة من اجياد وعليه نمرة فضاقت عليه النمرة فذهب يضعها على عاتقه فبدت عورته فنودي يا محمد خمر عورتك اي غطها فلم ير عريانا اي مكشوف العورة بعد ذلك اي وقد يقال هذا لا يخالف ما تقدم عن العباس رضي الله تعالى عنه لانه يجوز ان يكون ذلك صدر من العباس حينئذ وغايته انه سمى النمرة ازارا له قال واستبعد بعض الحفاظ ذلك اي وقوع هذا مع ما تقدم من نهيه عن ذلك اي الذي تضمنه الامر بالستر عند اصلاح عمه ابي طالب زمزم قبل هذا قال لانه صلى الله عليه وسلم اذا نهي عن شئ مرة لا يعود اليه ثانيا بوجه من الوجوه اه اي وقد عاد الى ذلك (اقول) يجوز ان يكون صلى الله عليه وسلم لم يفهم ان أمره بستر عورته أولا عزيمة بل جواز الترك وفي الثانية علم انه عزيمة لا يقال تقدم من كرامتي على ربي ان احدا لم ير عورتي وتقدم ان ذلك من خصائصه صلى الله عليه وسلم ففي الخصائص الصغرى انه صلى الله عليه وسلم لم تر عورته قط ولو رآها احد طمست عيناه لانه لا يلزم من كشف عورته صلى الله عليه وسلم رؤيتها كما لم يلزم من حضانته وتربيته ومجامعة زوجاته ذلك نعم عن عائشة رضي الله تعالى عنها ما رأيت منه صلى الله عليه وسلم والظاهر ان بقية زوجاته كذلك والله أعلم ثم عمدوا اليها يهدموها على شفق وحذر اي خوف من ان يمنعهم الله تعالى ما أرادوا اي بان يوقع بهم البلاء قبل ذلك سيما وقد شاهدوا ما وقع لعمرو بن عائذ اي قال وعند ابن اسحق ان الناس هابوا هدمها وفرقوا منه اي خافوا من انه يحصل لهم بسببه بلاء فقال الوليد بن المغيرة لهم اتريدون بهدمها الاصلاح ام الاساءة قالوا بل نريد الاصلاح قال فان الله لا يهلك المصلحين قالوا من الذي يعلوها فيهدمها قال انا اعلوها وانا ابدؤكم في هدمها فأخذ المعول ثم قام عليها وهو يقول اللهم لم ترع اي بالراء والعين المهملتين والضمير في ترع للكعبة اي لا تفزع الكعبة لا نريد الا الخير اي وفي رواية لم نزغ بالنون والزاي والمعجمة اي لم نمل عن دينك ثم هدم من ناحية الركنين فتربص الناس تلك الليلة وقالوا ننظر فان اصيب لم نهدم منها شيأ ورددناها كما كانت وان لم يصبه شئ هدمناها فقد رضي الله ما صنعنا فأصبح الوليد من ليلته غاديا الى عمله فهدم وهدم الناس معه حتى انتهى الهدم بهم الى الاساس أساس ابراهيم صلى الله عليه وسلم أفضوا الى حجارة خضر كالاسنمة اي اسنمة الابل وفي لفظ كالاسنة (قال السهيلي) وهو وهم من بعض النقلة عن ابن اسحق هذا كلامه اي وقد يقال هي كالاسنة في الخضرة وكالاسنمة في العظم لا يقال الاسنة زرق لانا نقول شديد الزرقة يرى أخضر أخذ بعضها بعض فادخل رجل ممن كان يهدم عتلته بين حجرين منهما ليقلع بها بعضها فلما تحرك الحجر

شاهد في بعض بلاد خراسان مولودا على أحد جنبيه مكتوب لا اله الا الله وعلى الآخر محمد رسول الله (ومنه) ما حكاه بعضهم قال ولد عندي في عام أربعة وسبعين وتسعمائة جدي أسود غرته بيضاء على شكل الدائرة ومكتوب فيها محمد بخط في غاية الحسن والبيان وما حكاه بعضهم أيضا قال شاهدت في بلدة من بلاد افريقية بالمغرب رجلا مكتوبا في بياض عينه اليمنى الاسفل بعرق أحمر كتابة مليحة محمد رسول الله وذكر الشيخ الشعراني نفعنا الله ببركاته في كتاب لواقح الانوار القدسية في قواعد السادة الصوفية قال وفي يوم كتابتي لهذا الموضع رأيت علما من أعلام النبوة وذلك ان شخصا أتاني برأس خروف شواها وأكلها وأراني مكتوبا فيها بخط الهي على الجبين لا اله الا الله محمد رسوله أرسله بالهدى ودين الحق يهدي به من يشاء من يشاء قال الشيخ عبد الوهاب وتكرير ذلك لحكمة فان الله لا يسهو وقد يقال لعل الحكمة التأكيد لعلو مقام الهداية كيف وهو المجانب للضلالة والغواية (وعن الزهري) قال شخصت الى هشام بن عبد الملك فلما كنت بالبلقاء رأيت مكتوبا على حجر بالعبراني فأرشدت الى شيخ يقرؤه فلما قرأه ضحك وقال أمر عجيب مكتوب عليه باسمك اللهم جاء الحق من ربك بلسان عربي مبين لا اله الا الله محمد رسول الله وكتبه موسى بن عمران

(باب سلام الشجر والحجر عليه صلى الله عليه وسلم قبل البعثة) عن سمرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث واني لاعرفه الآن قيل انه الحجر الاسود وقيل انه الذي في زقاق بمكة يعرف بزقاق الحجر وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد الله كرامته بالنبوة كان اذا خرج لحاجته أبعد حتى يفضي الى الشعاب وبطون الاودية فلا يمر بحجر ولا شجر الا قال

الصلاة والسلام عليك يارسول الله وكان يلتفت عن يمينه وشماله فلا يرى أحدا ولله در القائل
لم يبق من حجر صلب ولا شجر الا وسلم بل هنا معاوهنا وقال في الهمزية والجمادات أفصحت بالذى أخرس عنه لاحمد الفصحاء
(وعن على) رضى الله عنه قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله جبل ولا شجر
الا وهو يقول السلام عليك
يارسول الله والى ذلك اشار السبكي
في تائيته بقوله
وما جزت بالاحجار الا وسلمت
عليك بنطق شاهد قبل بعثة
(وفي كلام السبكي) يحتمل ان يكون
نطق الشجر والحجر كلاما مقرونا
بحياة وعلم ويحتمل ان يكون
صوتا مجردا غير مقرون بحياة
وعلى كل هو علم من اعلام النبوة
وفي كلام الشيخ محيي الدين بن
العربي رضى الله عنه أكثر
العقلاء بل كلهم يقولون عن
الجمادات انها لا تعقل فوقفوا
عند بصرهم والامر عندنا ليس
كذلك بل سر من الحياة سار في
جميع العالم وقد ورد أن كل شئ
سمع صوت المؤذن من رطب
ويابس يشهد له ولا يشهد الا من
علم وأطال في بيان ذلك وقال وقد
أخذ الله بابصار الانس والجن
عن ادراك حياة الجماد الا من شاء
الله كنحن وأضرابنا فانا لا نحتاج
الى دليل في ذلك لكون الحق
تعالى كشف لنا عن حياتها اعيانا
واسمعنا تسبيحها ونطقها وكذلك
اندكاك الجبل لما وقع التجلي
انما كان ذلك منه لمعرفته بعظمة
الله عز وجل ولولا ما عنده من العظمة ما تدكدك والله سبحانه وتعالى أعلم *(باب بيان خبر المبعث وعموم بعثته صلى الله عليه
وسلم)* قال ابن اسحق لما بلغ صلى الله عليه وسلم أربعين سنة بعثه الله رحمة للعالمين وكافة للناس أجمعين وكان الله قد أخذ له
الميثاق على كل نبي بعثه الله قبله بالايمان به والتصديق له والنصر على من خالفه وان يؤدوا ذلك الى كل من آمن بهم وصدقهم

الحجر تنفضت مكة اى تحركت باسرها وأبصر القوم برقة خرجت من تحت الحجر كادت
تخطف بصر الرجل فانتهوا عن ذلك الاساس ووجدت قريش في الركن كتابا بالسريانية
فلم يدر ماهو حتى قرأه لهم رجل من يهود فاذا هو أنا الله ذو بكة خلقتها يوم خلقت
السموات والارض وصورت الشمس والقمر وحففتها بسبعة املاك حنفاء لا يزول
اخشباها اى جبلاها وهما ابو قبيس وهو جبل مشرف على الصفا وقعيقعان وهو جبل
مشرف على مكة وجهه الى ابي قبيس يبارك لاهلها في الماء واللبن ووجدوا في المقام
اى محله كتابا آخر مكتوب فيه مكة بلد الله الحرام يأتيها رزقها من ثلاث سبل ووجدوا
كتابا آخر مكتوب فيه من يزرع خيرا يحصد غبطة اى ما يغبط اى يحسد حسدا محمودا
عليه ومن يزرع شرا يحصد ندامة اى ما يندم عليه تعملون السيئات وتجزون الحسنات
اجل اى نعم كما يجنى من الشوك العنب اى الثمر اى (وفي السيرة الشامية) ان ذلك وجد
مكتوبا في حجر في الكعبة وفي كلام بعضهم وجدوا حجرا فيه ثلاثة أسطر الاول انا الله
ذو بكة صنعتها يوم صنعت الشمس والقمر الى آخره وفي الثاني انا الله ذو بكة خلقت الرحم
وشققت لها اسما من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته وفي الثالث انا الله ذو بكة
خلقت الخير والشر فطوبى لمن كان الخير على يديه وويل لمن كان الشر على يديه قال ابن
المحدث ورأيت في مجموع انه وجد بها حجر مكتوب عليه انا الله ذو بكة مفقر الزناة ومعرى
تارك الصلاة أرخصها والاقوات فارغة واغليها والاقوات ملآنة اى فارغ محلها
وملآن محلها هذا كلامه وقد يقال لا مانع من ان يكون ذلك حجرا آخر او يكون هو
ذلك الحجر وماذكر مكتوب في محل آخر منه اى وفي الاصابة عن الاسود بن عبد يغوث عن
ابيه انهم وجدوا كتابا باسفل المقام فدعت قريش رجلا من حمير فقال ان فيه حرفا لو
حدثتكموه لقتلتموني قال وظننا ان فيه ذكر محمد صلى الله عليه وسلم فكتمناه وكان البحر قد
رمى بسفينة الى ساحل جدة اى الذي به جدة الآن وكان ساحل مكة قبل ذلك الذي يرمى
به السفن يقال له الشعيبة بضم الشين فلا يخالف قول غير واحد فلما كانت السفينة
بالشعيبة ساحل مكة انكسرت وفي لفظ حبسها الريح وتلك السفينة كانت لرجل
من تجار الروم اسمه باقوم وكان بانيا وقيل كانت تلك السفينة لقيصر ملك الروم يحمل
له فيها الرخام والخشب والحديد سرحها مع باقوم الى الكنيسة التي حرقها الفرس بالحبشة
فلما بلغت مرساها من جدة وقيل من الشعيبة بعث الله تعالى عليها ريحا فحطمها اى
كسرها فخرج الوليد بن المغيرة في نفر من قريش الى السفينة فابتاعوا خشبها فاعدوه

فهم وأمهم من جملة أمته صلى الله عليه وسلم وأوّل ما بدئ به صلى الله عليه وسلم من النبوّة حين أراد الله تعالى اكرامه ورحمة العباد به الرؤيا الصالحة فكان لا يرى رؤيا الا جاءت كفلق الصبح اى كضيائه وانارته فلا يشك فيها أحد كما لا يشك أحد فى وضوح ضياء الصبح ونوره وفى لفظ فكان لا يرى شيأ فى المنام الا كان اى وجده فى اليقظة كما رأى فالمراد بالصالحة الصادقة وانما بدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرؤيا لئلا يفجأه الملك الذى هو جبريل بالنبوّة اى الرسالة فلا تحملها القوى البشرية لان القوى البشرية لا تحمل رؤيا الملك وان لم يكن على صورته التى خلقه الله عليها ولا على سماع صوته ولا على ما يجىء به لا سيما الرسالة فكانت الرؤيا تأنيساله والمراد بالملك جبريل عليه السلام ومن لطف الله بنا عدم رؤيتنا للملائكة على الصورة التى خلقوا عليها لانهم خلقوا على أحسن صورة فلو كنا نراهم لطارت أعيننا وأرواحنا لحسن صورتهم وعن علقمة بن قيس قال أوّل ما يؤتى به الانبياء فى المنام اى ما يكون فى المنام حتى تهدأ قلوبهم ثم ينزل الوحى فى اليقظة لان رؤيا الانبياء وحى وصدق وحق لا أضغاث أحلام ولا تخييل من الشيطان اذ لا سبيل له عليهم لان قلوبهم نورانية فما يرونه فى المنام له حكم اليقظة لجميع ما يتطبع فى عالم مثالهم لا يكون الا حقا ومن ثم جاء نحن معاشر الانبياء تنام اعيننا ولا تنام قلوبنا وكانت مدة الرؤيا ستة اشهر ثم أوحى اليه فى اليقظة وفى البخارى الرؤيا الحسنة اى الصادقة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوّة قال بعضهم معناه ان النبى صلى الله عليه وسلم حين بعث أقام بمكة ثلاث عشرة سنة وبالمدينة عشر سنين يوحى اليه فمدة الوحى اليه فى اليقظة ثلاث وعشرون سنة ومدة الوحى اليه فى المنام التى هى الرؤيا ستة أشهر فمدة الرؤيا جزء من ستة

سقف الكعبة وقيل هابوا هدمها من اجل تلك الحية العظيمة فكانوا كلما ارادوا القرب منه اى البيت ليهدموه بدت لهم تلك الحية فاتحة فاها فبيناهى ذات يوم تشرف على جدار الكعبة كما كانت تصنع بعث الله طائرا أعظم من النسر فاختطفها وألقاها فى الحجون فالتقمتها الارض قيل وهى الدابة التى تكلم الناس يوم القيامة وقد جاء ان الدابة تخرج من شعب اجياد وفى حديث ان موسى عليه الصلاة والسلام سأل ربه ان يريه الدابة التى تكلم الناس فأخرجها له من الارض فرأى منظرا هاله وأفزعه فقال اى رب ردها فردها فقالت قريش عند ذلك انا نرجوا ان يكون الله تعالى قد رضى ما أردنا اى بعد ان اجتمعوا عند المقام وعجوا الى الله تعالى ربنا لن نراع أردنا تشريف بيتك وتزيينه فان كنت ترضى بذلك فاتممه واشغل عنا هذا الثعبان يعنون الحية والا فما بدا لك فافعل فسمعوا فى السماء صوتا ووجبة واذا بالطائر المذكور اخذها وذهب بها الى أجياد فقالوا ماذكر وقالوا عندنا عامل رفيق وعندنا اخشاب وقد كفانا الله الحية وذلك العامل هو باقوم الرومى الذى كان بالسفينة وكان بانيا كما تقدم فانهم جاؤا به معهم الى مكة اوهو باقوم مولى سعيد بن العاص وكان نجارا وتلك الاخشاب هى التى اشتروها من تلك السفينة التى كسرت (اقول) ومع اخذ الطائر لتلك الحية يجوز ان يقال هابوا هدمها حتى قدم عليه الوليد بن المغيرة فلا مخالفة بين ما تقدم عن ابن اسحق وبين هذا الظاهر فى انهم هدموها عند اخذ الطائر تلك الحية ولم يهابوا هدمها حتى فعل الوليد ما تقدم والله أعلم اى ثم لما أرادوا بناءها تجزأتها قريش اى بعد ان اشار عليهم بذلك ابو وهب عمرو بن عائذ فقال لهم انى أرى ان تقسموا أربعة أرباع فكان شق الباب لعبد مناف وزهرة وكان ما بين الركنين الاسود واليمانى لبنى مخزوم وقبائل من قريش انضموا اليهم وكان ظهر الكعبة لبنى جمح وبنى سهم ابنى عمرو وكان شق الحجر اى الجانب الذى فيه الحجر الآن لبنى عبد الدار ولبنى أسد ولبنى عدى والذى فى كلام المقريزى كان لبنى عبد مناف ما بين الحجر الاسود الى ركن الحجر اى وهو شق الباب وصار لاسد وعبد الدار وزهرة الحجر كله اى الجانب الذى فيه الحجر وصار لمخزوم دبر البيت وصار لسائر قريش ما بين الركن اليمانى الى الركن الاسود هذا كلامه فليتأمل وفى كلام بعضهم وسمى الركن اليمنى باليمانى لان رجلا من اليمن بناه وكان البانى لها باقوم النجار اى الذى هو مولى سعيد بن العاص (اقول) وكان المناسب ان يكون الذى بناها باقوم الرومى الذى كان صحبة السفينة التى كسرت لانه كما تقدم كان بانيا وسيأتى التصريح بذلك واما

باقوم

باقوم مولى سعيد بن العاص فتقدم انه كان نجارا الا ان يقال باقوم مولى سعيد كان نجارا بناء واشتهر بالوصف الاول فكان الباني لها وفيه يحتمل ان يكون باقوم الرومي البناء كان نجارا أيضا واشتهر بالوصف الاول ثم رأيت في كلام بعضهم التصريح بذلك فقال وكان أي باقوم الرومي نجارا بناء فقول القائل وكان الباني لها باقوم النجار مراده باقوم الرومي لا مولى سعيد (ثم رأيت) في بعض الروايات ما يؤيد ذلك وهو وصف باقوم الرومي بانه كان نجارا ونصها فخرجت قريش لتأخذ خشبها أي السفينة التي كسرت فوجدوا الرومي الذي فيها نجارا فقدموا به وبالخشب فقد دلت الروايتان على انه كان موصوفا بالوصفين ويحتمل ان يكون أحدهما بناها والآخر عمل سقفها أو انهما اشتركا فيهما لما علمت ان كلا منهما كان بانيا نجارا ثم رأيت عن ابن اسحق وكان بمكة قبطي يعرف نجر الخشب وتسويته فوافقهم على ان يعمل لهم سقف الكعبة ويساعده باقوم أي الرومي فالقبطي هو مولى سعيد بن العاص وحينئذ في هذه الرواية وصف باقوم الرومي بانه كان نجارا كالرواية التي قبلها وسيأتي في الرواية التي تلي هذه انه الذي بناها وهي في الاصابة اسم الرجل الذي بنى الكعبة لقريش باقوم وكان روميا وكان في سفينة حبستها الريح فخرجت اليها قريش فأخذوا خشبها وقالوا له ابنها على بنيان الكنائس وان باقوم الرومي اسلم ثم مات فلم يدع وارثا فدفع النبي صلى الله عليه وسلم ميراثه لسهيل بن عمرو ثم لما بنوها جعلوها مدما كا من خشب الساج ومدما كا من الحجارة من اسفلها الى اعلاها وزادوا فيها تسعة اذرع فكان ارتفاعها ثمانية عشر ذراعا ورفعوا بابها من الارض فكان لا يصعد اليها الا في درج وضاقت بهم النفقة عن بنيانها على تلك القواعد فاخرجوا منها الحجر * وفي لفظ أخرجوا من عرضها اذرعا من الحجر وبنوا عليه جدارا قصيرا علامة على انه من الكعبة * ولما بلغ البنيان موضع الحجر الاسود اختصموا كل قبيلة تريد ان ترفعه الى موضعه دون الاخرى حتى اعدوا للقتال فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوأة دما ثم تعاقدوا هم وبنو عدي أي تحالفوا على الموت وادخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة فسموا لعقة الدم وقد تقدم في حلف المطيبين ومكث النزاع بينهم أربع أو خمس ليال ثم اجتمعوا في المسجد الحرام وكان ابو أمية بن المغيرة واسمه حذيفة اسن قريش كلها يومئذ أي وهو والد ام سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها وهو أحد أجواد قريش المشهورين بالكرم وكان يعرف بزاد الراكب لانه اذا سافر لا يتزود معه أحد بل يكفي كل من سافر معه الزاد أي وذكر بعضهم ان ازواد الراكب

واربعين جزأ وحينئذ يكون المعنى ورؤياي جزء من ستة واربعين جزأ من نبوتي ولكن المراد مطلق الرؤيا ومطلق النبوة لا خصوص رؤياه ونبوته صلى الله عليه وسلم وانما هي أصل جعل غيرها مقيسا عليها او شبيها بها والحديث فيه روايات كثيرة أصحها رواية ستة واربعين جزأ وحملوا الروايات الاخر على اعتبار الاشخاص لتفاوتهم في مراتب الرؤيا ففي بعضها جزء من خمسين وفي بعضها اربعة واربعين او ستة وسبعين وغير ذلك (وجاء عن عمرو) بن شرحبيل رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لخديجة اذا خلوت سمعت نداء يا محمد يا محمد وفي رواية ارى نورا أي يقظة لا مناما وأسمع صوتا وقد خشيت ان يكون والله لهذا أمر وفي رواية والله ما أبغضت بغضي هذه الاصنام شيأ قط ولا الكهان واني لاخشى ان أكون كاهنا أي فيكون الذي يناديني تابعا من الجن لان الاصنام كانت الجن تدخل فيها وتخاطب سدنتها والكاهن يأتيه الجني بخبر السماء وفي رواية واخشى ان يكون بي جنون أي لمة من الجن فقالت كلا يا ابن عم ما كان الله ليفعل ذلك بك فوالله انك لتؤدي الامانة وتصل الرحم وتصدق الحديث وفي رواية ان خلقك الكريم فلا يكون للشيطان عليك سبيل استدلت رضي الله عنها بما فيه من الصفات العلية والاخلاق السنية على انه لا يفعل به الا خيرا لان من كان كذلك لا يجزى الا خيرا ونقل الماوردي عن الشعبي ان الله تعالى قرن اسرافيل بنبيه صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين يسمع حسه ولا يرى شخصه فعلمه الشيء بعد الشيء ولا يذكر له القرآن فكان في هذه المدة يبشر بالنبوة وأمهل هذه المدة ليتأهل لوحيه وفي رواية انه مكث خمس عشرة سنة يسمع الصوت احيانا فلا يرى شخصه وسبع سنين يرى نورا ولم ير شيأ غير ذلك وان المدة التي بشر فيها بالنبوة كانت ستة

اشهر من تلك المدة التي هي اثنتان وعشرون سنة *(وبعد ذلك)* حبب الله اليه صلى الله عليه وسلم الخلوة قال الابوصيري رحمه الله في الهمزية

الف النسك والعبادة والخلـوة طفلا وهكذا النجباء
واذا حلت الهـداية قلبا نشطت في العبادة الاعضاء

وقوله طفلا أي حين كان عند حليمة رضي الله عنها فقد قالت لما ترعرع صلى الله عليه وسلم كان يخرج الى الصبيان وهم يلعبون فيتجنبهم ولما قرب الزمن الذي اراد الله أن يرسله فيه ازداد محبته في الخلوة لان الخلوة يكون بها فراغ القلب والانقطاع عن الخلق فهي تفرغ القلب عن اشـغال الدنيا لدوام ذكر الله تعالى فيصفو وتشرق عليه انوار المعرفة فلم يكن شئ أحب اليه من ان يخلو وحده وكان يخلو بغار حراء بالمد والقصر فكان صلى الله عليه وسلم يتحنث فيه أي يتعبد الليالي ذوات العدد أي مع ايامها وغلب الليالي لانها أنسب بالخلوة وابهم العدد لاختلافه بالنسبة للمدد فتارة كان ثلاث ليال وتارة سبع ليال وتارة تسع ليال وتارة شهرا رمضان أو غيره فالليالي ذوات العـدد محمولة على القـدر الذي يتزود له فاذا فرغ زاده رجع الى مكة وتزود الى غيرها وكانت خديجـة رضي الله عنها تزوده الكعك والزيت لانه من شجرة مباركة ولبقاء الكعك بخلاف غيره لان اللبن واللحم سريع الفساد وكان أول من تحنث بحراء من قريش جده عبد المطلب كان اذا دخل شهر رمضان صعد حراء وأطعم المساكين ثم تبعه على ذلك من كان يتعبد كورقة بن نوفل وابي امية بن المغيرة قال السراج البلقيني في شرح البخاري لم يجئ في الاحاديث التي وقفنا عليها كيفية تعبده صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم كان يطعم من جاءه من المساكين لانه كان من نسك قريش فيذلك المحل أن يطعم الرجـل من جاءه من المساكين مع

من قريش ثلاثة زمعـة بن الاسود بن المطلب بن عبد مناف قتل يوم بدر كافرا ومسافر بن أبي عمرو بن أميـة وأبو أمية بن المغـيرة وهو اشهرهم بذلك وفي كلام بعضهم لا تعرف قريش زاد الراكب الا ابا أمية بن المغـيرة وحده يحتمل أن المراد لا تكاد تعرف قريش غيره بهذا الوصف لشهرته فلا مخالفة وأبو امية هذا مات على دينه ولعله لم يدرك الاسلام فقال يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيـه أول من يدخل من باب هـذا المسجد يقضي بينكم اي وهو باب بني شيبة وكان يقـال له في الجاهلية باب بني عبـد شمس الذي يقال له الآن باب السلام (وفي لفظ) اول من يدخل من باب الصفا أي وهو المقابل لما بين الركنين اليماني والاسود ففعلوا أي وفي كلام البلاذري ان الذي اشار على قريش بان يضع الركن اول من يدخل من باب بني شيبة مهشم بن المغيرة ويكنى أبا حذيفة وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز ان يكون اسمه حذيفة ويكنى بأبي حذيفة كما يكنى بأبي امية ومهشم لقبه وان الراوي عنه اختلف كلامه فتارة قيـل عنه يقضي بينكم وتارة قيل عنه يضع الركن والمشهور الاول ويدل له ما يأتي فكان اول داخل منه رسول الله صـلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا هذا الامين رضينا هذا محمد أي لانهم كانوا يتحاكمون اليه صلى الله عليه وسلم في الجاهلية لانه كان لا يداري ولا يماري فلما انتهى اليهم واخبروه الخبر قال صلى الله عليه وسلم هلم الى ثوبا فأتي به أي وفي رواية فوضع رسول الله صـلى الله عليه وسـلم ازاره وبسطه في الارض أي ويقال انه كساء ابيض من متاع الشام ويقال ان ذلك الثوب كان للوليد بن المغيرة فأخذ صلى الله عليه وسلم الحجر الاسود فوضعه فيه بيده الشريفة ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب أي بزاوية من زواياه ثم ارفعوه جميعا ففعلوا فكان في ربع عبـد مناف عتبة بن ربيعـة وكان في الربع الثاني زمعة وكان في الربع الثالث أبو حذيفة بن المغيرة وكان في الربع الرابع قيس بن عدي حتى اذا بلغوا به موضعه وضعه هو صلى الله عليه وسلم اي ولما مات أبو امية بن المغيرة رثاه أبو طالب بقصيدة طويلة ورثاه ابو وجيه بقوله

الاهلك الماجد الرافـد * وكل قريش له حامـد
ومن هو عصمة أيتامنا * وغيث اذا فقد الراعد

قال وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لما وضع رسول الله صلى الله عليه وسـلم الركن اي الحجر ذهب رجل من اهل نجد ليناول النبي صـلى الله عليه وسـلم حجرا يشد به الركن فقال العباس لا وناول العباس رسول الله صـلى الله عليه وسـلم ما شد به الركن فغضب

النجدي

الانقطاع عن الناس وقيل كان تعبده صلى الله عليه وسلم التفكر مع الانقطاع عن الناس لاسيما ان كانوا على باطل لان في الخلوة يخشع القلب وينسى المألوف من مخالطة ابناء الجنس المؤثرة في البنية البشرية ومن ثم قيل الخلوة صفوة الصفوة والتفكر لا يختص بذلك المحل الا أنه أتم فيه من التفكر في غيره لعدم وجود شاغل وقيل كان تعبده صلى الله عليه وسلم بالذكر وصححه بعضهم وقيل كان يتعبد قبل النبوة بشرع ابراهيم عليه السلام وقيل بشرع موسى عليه السلام وفي كلام الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله عنه تعبد صلى الله عليه وسلم قبل نبوته بشريعة ابراهيم عليه السلام حتى جاءه الوحي وجاءته الرسالة فالولي الكامل يجب عليه متابعة العمل بالشريعة المطهرة حتى يفتح له في قلبه عين الفهم عنه فيلهم معاني القرآن ويكون من المحدثين بفتح الدال ثم يصير الى ارشاد الخلق وكان صلى الله عليه وسلم اذا قضى جواره من شهره ذلك أول مايبدأ به قبل أن يدخل بيته الكعبة فيطوف بها سبعا او ماشاء الله ثم يرجع الى بيته حتى اذا جاء الشهر الذي أراد الله به ما أراد من كرامته وذلك الشهر رمضان وقيل ربيع الاول خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حرا كما كان يخرج لجواره حتى اذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته ورحم العباد بها وتلك الليلة ليلة سبع عشرة من ذلك الشهر أعني شهر رمضان وقيل ثامن ربيع وقيل السابع والعشرين من رجب اتاه جبريل مناما ليلة السبت أو ليلة الاحد ثم ظهر له بالرسالة يوم الاثنين فقال اقرأ قال صلى الله عليه وسلم فقلت ما أنا بقارئ أي انا أمي لا أحسن القراءة وكنت نائما بنمط وهو نوع من البسط فغطني به اى غمني بذلك النمط بأن جعله على فمه وأنفه قال حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ماذا أقرأ

النجدي وقال واعجبا القوم اهل شرف وعقول وأموال عمدوا الى رجل اصغرهم سنا واقلهم مالا فرأسوه عليهم في مكرمتهم وحرزهم كأنهم خدم له اما والله ليفرقنهم شيعا وليفرقن بينهم حظوظا فكاد يشر بينهم شرا فيما بينهم واهل هذا النجدي هو ابليس فقد ذكر السهيلي أن ابليس تمثل في صورة شيخ نجدي حين حكموا رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمر الركن من يرفعه وصاح يامعشر قريش أرضيتم ان يلي هذا الغلام دون أشرافكم وذوي أنسابكم انتهى وانما تصور بصورة نجدي لان في الحديث نجد يطلع منها قرن الشيطان ولما قال صلى الله عليه وسلم اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا قالوا وفي نجدنا فأعاد الاول والثاني قال هناك الزلازل والفتن وفيها يطلع قرن الشيطان (اقول) سيأتي انه تصور بهذه الصورة أيضا عند دخول قريش دار الندوة ليتشاوروا في كيفية قتله صلى الله عليه وسلم ودخل معهم وسيأتي ثم في حكمة تصوره بذلك غير ماذكر ولا مانع أن يكونا حكمة لماهنا ولما يأتي واعادوا الصور التي كانت في حيطانها لانه كان في حيطانها صور الانبياء بأنواع الاصباغ ومن جملتهم صورة ابراهيم وفي يده الازلام أي واسمعيل وفي يده الازلام وصورة الملائكة وصورة مريم كما سيأتي في فتح مكة وكساها زعماؤهم أرديتهم وكانت من الوصائل ولم يكسها احد بعد ذلك حتى كساها رسول الله صلى الله عليه وسلم الحبرات في حجة الوداع والله اعلم وهذه المرة الرابعة أي من بناء الكعبة بناء على أن أول من بناها الملائكة (ففي بعض الآثار) ان الله سبحانه وتعالى قبل ان يخلق السموات والارض كان عرشه على الماء أي العذب فلما اضطرب العرش كتب عليه لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسكن فلما اراد أن يخلق السموات والارض ارسل الريح على ذلك الماء فتموج فعلاه دخان فخلق من ذلك الدخان السموات ثم ازال ذلك الماء عن موضع الكعبة فيبس وفي لفظ أرسل على الماء ريحا هفافة فصفق الريح الماء أي ضرب بعضه بعضا فأبرز عنه خشفة الحديث وبسط الله سبحانه وتعالى من ذلك الموضع جميع الارض طولها والعرض فهي أصل الارض وسرتها او قد يخالفه مافي أنس الجليل كذا روي عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه انه قال وسط الدنيا بيت المقدس وارفع الارضين كلها الى السماء بيت المقدس وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ومعاذ بن جبل انه اقرب الى السماء باثني عشر ميلا ثم بين ذلك في انس الجليل ولما ماجت الارض وضع عليها الجبال فكان اول جبل وضع عليها أبو قبيس وحينئذ كان ينبغي أن يسمى أبا الجبال وان يكون افضلها مع ان أفضلها كما قال الجلال السيوطي استنباطا أحد لقوله

وفي رواية فقلت والله ماقرأت شيأقط وماأدري شيأ أقرؤه قال اقرأ باسم ربك وفي رواية انه فعل ذلك به ثلاثاثم قال اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم فقرأتها وانصرف عني وقد استقر ذلك في قلبي وفي رواية فكأنما كتب في قلبي كتابا أي حفظته فرجع الى خديجة فأخبرها وقال قد خشيت على نفسي فقالت كلا فوالله لايخزيك الله ابدا قال الحافظ الشامي ومن اللطائف ان هذه الكلمة اي كلمة كلا التي ابتدأت خديجة النطق بها عقب ماذكر لها عن القصة هي التي وقعت عقب الآيات المذكورة من هذه السورة فجرت على لسانها اتفاقا لانها لم تنزل الابعد في قصة أبي جهل على المشهور وفي بعض الروايات انه قبل نزول اقرأ عليه سمع صوت جبريل عليه السلام في الافق ورآه وهو يقول له يامحمد أنت رسول الله وأنا جبريل فأخبر خديجة رضي الله عنها فجمعت عليها ثيابها التي تجمل بها عند الخروج ثم انطلقت الى ورقة بن نوفل فأخبرته بما أخبرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ورقة قدوس قدوس والذي نفسي بيده لئن كنت صدقت ياخديجة لقد جاء الناموس الاكبر الذي كان يأتي موسى يعني جبريل وانه لنبي هذه الامة فقولي له يثبت وفي رواية قال وما لجبريل يذكر في هذه الارض التي تعبد فيها الاوثان جبريل أمين الله بينه وبين رسله لئن كنت صدقت ياخديجة الخ فرجعت خديجة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بقول ورقة وفي رواية ان ورقة بعد ان أخبرته خديجة بذلك لقي النبي صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت فقال له يا ابن أخي اخبرني بما رأيت وسمعت فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ورقة والذي نفسي بيده انك لنبي هذه الامة ولقد جاءك الناموس الاكبر الذي جاء موسى

صلى الله عليه وسلم احد يحبنا ونحبه ولما ورد انه على باب من ابواب الجنة قال ولانه من جملة أرض المدينة التي هي افضل البقاع أي عند جماعة الجمع ولانه مذكور في القرآن باسمه في قراءة من قرأ اذ تصعدون ولاتلوون على احد أي بضم الهمزة والحاء ثم فتق الارض فجعلها سبع أرضين وقد جاء بدأ الله خلق الارض في يومين غير مدحوة ثم خلق السموات فسواهن في يومين ثم دحا الارض بعد ذلك وجعل فيها الرواسي وغيرها في يومين وبهذا يظهر التوقف في قول مغلطاي ان لفظة بعد في قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها بمعنى قبل لان خلق الارض قبل خلق السماء لما علمت ان الارض خلقت قبل السماء غير مدحوة ثم بعد خلق السماء دحى الارض ثم رأيت بعضهم سأل ابن عباس عن ذلك حيث قال له يا امام اختلف على من القرآن آيات ثم ذكر منها انه قال قال الله تعالى ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين حتى بلغ طائعين ثم قال في الآية الاخرى أم السماء بناها ثم قال والارض بعد ذلك دحاها فأجابه ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أما قوله خلق الارض في يومين فان الارض خلقت قبل السماء وكانت السماء دخانا فسواهن سبع سموات في يومين بعد خلق الارض وأما قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها يقول جعل فيها جبلا وجعل فيها نهرا وجعل فيها شجرا وجعل فيها بحورا وبه يرد قول بعضهم خلق السماء قبل الارض والظلمة قبل النور والجنة قبل النار فليتأمل وقد جاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى ومن الارض مثلهن قال سبع أرضين في كل أرض نبي كنبيكم وآدم كآدمكم ونوح كنوحكم وابراهيم كابراهيمكم وعيسى كعيسكم رواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح الاسناد وقال البيهقي اسناده صحيح لكنه شاذ بالمرة اي لانه لا يلزم من صحة الاسناد صحة المتن فقد يكون فيه مع صحة اسناده مايمنع صحته فهو ضعيف قال الحافظ السيوطي ويمكن أن يؤول على ان المراد بهم النذر الذين كانوا يبلغون الجن عن أنبياء البشر ولايبعد أن يسمى كل منهم باسم النبي الذي يبلغ عنه هذا كلامه اي وحينئذ كان لنبينا صلى الله عليه وسلم رسول من الجن اسمه كاسمه ولعل المراد اسمه المشهور وهو محمد فليتأمل ولما خاطب الله السموات والارض بقوله ائتيا طوعا اوكرها قالتا أتينا طائعين كان المجيب من الارض موضع الكعبة ومن السماء ماحاذاها الذي هو محل البيت المعمور (وعن كعب) الاحبار رضي الله عنه لما أراد الله تعالى ان يخلق محمدا صلى الله عليه وسلم أمر جبريل أن يأتيه بالطينة التي هي قلب الارض وبهاؤها ونورها فقبض قبضة رسول الله

صلى

عليه السلام ولتكذبنه * ولتؤذينه * ولتقاتلنه * ولتخرجنه * ولئن أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصرا يعلمه ثم أدنى ورقة رأسه صلى الله عليه وسلم وقبل يافوخه اي وسط رأسه ثم انصرف صلى الله عليه وسلم الى منزله *(وقد جاء)* ان أبا بكر رضي الله عنه دخل على خديجة رضي الله عنها وليس عندها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له يا عتيق اذهب بمحمد الى ورقة اي بعد ان أخبرته بما أخبرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ ابو بكر بيده فقال انطلق بنا الى ورقة بن نوفل وذهب به الى ورقة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لورقة اذا خلوت وحدي سمعت نداء يا محمد فأنطلق هاربا فقال له لا تفعل اذا أتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول ثم ائتني اي وهذا كان قبل ان يرى جبريل ويجتمع به ويجيء اليه بالقرآن وحينئذ يكون تكرر سؤال ورقة فلا تنافي بين الروايات فيحمل سؤال ورقة الذي على يد أبي بكر رضي الله عنه على انه كان قبل ان يرى جبريل والذي وقع في المطاف كان حين سمع صوت جبريل ورآه ولم يجتمع به والمرة الثالثة بعد مجيء جبريل له يقظة بالقرآن فذهبت اليه خديجة ثم أخذت النبي صلى الله عليه وسلم وذهبت به اليه فتكلموا واقتصر على شيء وقد اشتملت آية اقرأ على براعة الاستهلال وهي أن يشتمل أول الكلام على ما يناسب الحال المتكلم فيه ويشير الى ما سبق الكلام لاجله فانها اشتملت على الامر بالقراءة والقراءة فيها باسم الله الى غير ذلك مما ذكره الجلال السيوطي في الاتقان قال فيه ومن ثم قيل انها جديرة أن تسمى عنوان القرآن لان عنوان الكتاب ما يجمع مقاصده بعبارة موجزة في أوله وكرر جبريل الغط ثلاثا للمبالغة وأخذ منه القاضي شريح أن المعلم لا يضرب الصبي على تعليم القرآن أكثر من ثلاث ضربات وذكر

صلى الله عليه وسلم من موضع قبره الشريف وهي بيضاء منيرة لها شعاع عظيم (وعن ابن عباس) رضي الله تعالى عنهما أصل طينة رسول الله صلى الله عليه وسلم من سرة الارض بمكة قال بعض العلماء هذا يشعر بأن ما أجاب من الارض الا تلك الطينة اي وقد ذكر الشيخ ابو العباس المرسي رحمه الله تعالى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوما لابي بكر الصديق رضي الله عنه أتعرف يوم يوم فقال ابو بكر نعم والذي بعثك بالحق نبيا يا رسول الله سألتني عن يوم المقادير يعني يوم الست بربكم ولقد سمعتك تقول حينئذ أشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وقد سئل الشيخ علي الخواص نفعنا الله تعالى ببركاته لم لم تتكلم الانبياء بلسان الباطن الذي تكلم به الصوفية فأجاب بأنه انما لم تتكلم الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم بذلك لاجل عموم خطابهم للامة ولا يعتبر بالاصالة الا فهم العامة دون فهم الخاصة الا لبعض تلويحات ومنه قوله صلى الله عليه وسلم للصديق رضي الله تعالى عنه أتعرف يوم يوم فقال نعم يا رسول الله الحديث وتلك الطينة لما تموج الماء رمى بها من مكة الى محل تربته صلى الله عليه وسلم ومدفنه بالمدينة وبهذا يندفع ما يقال مقتضى كون اصل طينته صلى الله عليه وسلم بمكة ان يكون مدفنه بها لان تربة الشخص تكون في محل دفنه ثم عجنها بطينة آدم ولعل هذه الطينة هي المعبر عنها بالنور في قوله صلى الله عليه وسلم وقد قال له جابر يا رسول الله أخبرني عن أول شيء خلقه الله تعالى قبل الاشياء قال يا جابر ان الله خلق قبل الاشياء نور نبيك من نوره ولم يكن في ذلك الوقت لا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا لوح ولا قلم الحديث (وجاء) أول ما خلق الله نوري وفي رواية أول ما خلق الله العقل قال الشيخ علي الخواص ومعناهما واحد لان حقيقته صلى الله عليه وسلم يعبر عنها بالعقل الاول وتارة بالنور فارواح الانبياء والاولياء مستمدة من روح محمد صلى الله عليه وسلم هذا كلامه وهذا هو المعنى بقول بعضهم لما تعلقت ارادة الحق بايجاد خلقه ابرز الحقيقة المحمدية من الانوار الصمدية في الحضرة الاحدية ثم سلخ منها العوالم كلها علوها وسفلها وفيه أن هذا لا يناسبه قوله ولم يكن في ذلك الوقت لا سماء ولا أرض اذ كيف يأتي ذلك مع قول كعب الاحبار أمر جبريل ان يأتيه بالطينة التي هي قلب الارض الى آخره ومع قول ابن عباس أصل طينة رسول الله صلى الله عليه وسلم من سرة الارض الا أن يقال ان ذلك النور بعد ايجاده أودع تلك الطينة التي هي قلب الارض وسرتها وحينئذ لا يخالف ذلك ما جاء ان الله خلق آدم من طين العزة من نور محمد صلى الله عليه وسلم فهو صلى الله عليه وسلم الجنس العالي لجميع الاجناس والاب الاكبر لجميع

السم على ان فى ذلك الغط اشارة الى انه صلى الله عليه وسلم يحصل له شدائد ثلاث ثم يحصل له الفرج بعد ذلك فكانت الاولى
ادخال قريش الشعب والتضييق عليه والثانية اتفاقهم على الاجماع على قتله والثالثة خروجه من أحب البلاد اليه وجاء
صلى الله عليه وسلم جبريل وميكائيل قبل قول جبريل له اقرأ فشق جبريل بطنه وقلبه الى آخر ما تقدم فى الكلام
على الرضاع ولما قرأ صلى الله عليه
وسلم تلك الآية رجع بها ترجف
بوادره جمع بادرة وهى اللحمة
التى بين المنكب والعنق تتحرك
عند الفزع وفى رواية يرجف
بها فؤاده اى قلبه ولا مانع من
الامرين حتى دخل صلى الله
عليه وسلم على خديجة فقال
زملونى زملونى اى غطونى
بالثياب فزملوه حتى ذهب عنه
الروع ثم أخبرها الخبر وقال لقد
خشيت على نفسى وفى رواية على
عقلى فقالت له خديجة كلا أبشر
فوالله لا يخزيك الله أبدا أى
لا يفضحك انك لتصل الرحم
وتصدق الحديث وتحمل الكل
أى الشئ الذى يحصل منه التعب
والاعياء لغيرك وتكسب
المعدوم بضم التاء والمعدوم الذى
لا مال له لان من لا مال له كالمعدوم
أى توصل اليه الخير الذى
لا يجده عند غيرك وتقرى الضيف
وتعين على نوائب الحق أى على
حوادثه فانطلقت به خديجة
حتى أتت ورقة بن نوفل فقالت له
اسمع من ابن أخيك قال ورقة
يا ابن أخى ماذا ترى فاخبره رسول
الله صلى الله عليه وسلم بما رأى
فقال له ورقة هذا الناموس الذى أنزل على موسى أى هذا صاحب الوحى وهو جبريل عليه السلام ياليتنى فيها وفى
جذعا اى ياليتنى اكون فى زمن الدعوة الى الله أى اظهارها شابا حتى أبالغ فى نصرتها ياليتنى اكون حيا حين يخرجك قومك
قال صلى الله عليه وسلم أومخرجى هم قال ورقة نعم لم يأت رجل بما جئت به الا عودى أى فتكون المعاداة سببا لاخراجه وقد جاء

الموجودات والناس هذا وقد جاء فى حديث بعض ر وانه متروك الحديث خلق الله
آدم من تراب الجابية وعجنه بماء الجنة وجاء خلق الله آدم من تربة دحنا ومسح ظهره
بنعمان الاراك ودحنا محل قريب من الطائف وتقدم انه يحتاج الى بيان وجه كون
آدم خلق من نوره وجعل نوره فى ظهر آدم ولما خلق الله آدم وقبل نفخ الروح فيه
استخرج ذلك النور من ظهره واخذ عليه العهد ألست بربكم فقد خص بذلك عن بقية
خلقه من بنى آدم فان بنى آدم ما اخرجوا من ظهر آدم وأخذ عليهم الميثاق الا بعد نفخ
الروح فى آدم ونقل بعضهم ان الله تعالى لما أخرج الذر وأعاده فى صلب آدم أمسك
روح عيسى الى أن اتى وقت خلقه ولا يخفى ان هذا يفيد ان اخذ العهد على الصديق
كان بعد نفخ الروح فى آدم وأخذ العهد عليه صلى الله عليه وسلم كان سابقا على ذلك
وحينئذ فيكون المراد بقول الصديق حينئذ لما قال له صلى الله عليه وسلم أتعرف يوم يوم
وقال نعم الى قوله واقد سمعتك تقول حينئذ اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله اى
حين أخذ العهد على بنى آدم لا حين أخذ العهد عليه صلى الله عليه وسلم كما قد يتبادر
فليتأمل ثم لما نفخت الروح فى آدم صار ذلك النور فى ظهر آدم فصارت الملائكة تقف
صفوفا خلف آدم يتعجبون من ظهور ذلك النور فقال آدم يارب ما بال هؤلاء ينظرون
الى ظهرى قال ينظرون الى نور محمد خاتم الانبياء الذى أخرجه من ظهرك فسأل الله تعالى
ان يجعله فى مقدمه لتستقبله الملائكة فجعله الله فى جبهته ثم سأل الله تعالى أن يجعله فى محل
يراه فكان فى سبابته فلما اهبط آدم الى الارض انتقل ذلك النور الى ظهره فكان يلمع فى
جبهته وفى رواية لما انتقل النور الى سبابته قال يارب هل بقى فى ظهرى من هذا النور شئ
قال نعم نور اخصاء أصحابه فقال يارب اجعله فى بقية اصابعى فكان نور أبى بكر فى الوسطى
ونور عمر فى البنصر ونور عثمان فى الخنصر ونور على فى الابهام فلما أكل من الشجرة عاد
ذلك النور الى ظهره كذا فى بحر العلوم عن ابن عباس ثم انتقل ذلك النور من آدم الى
ولده شيث ولما قال تعالى للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة وقالوا أتجعل فيها من
يفسد فيها يعنون الجن الذين افسدوا فيها وسفكوا الدماء غضب عليهم وفى لفظ ظنت
الملائكة أى علمت ان ما قالوا ردا على ربهم وانه قد غضب عليهم من فوقهم فلاذوا بالعرش
وطافوا به سبعة اطواف يسترضون ربهم فرضى عليهم وفى لفظ فنظر الله اليهم ونزلت
الرحمة عليهم فعند ذلك قال لهم ابنوا الى بيتا فى الارض يعوذ به من سخطت عليه من بنى
آدم أى الذى هو الخليفة فيطوفون حوله كما فعلتم بعرشى فارضى عنهم فبنوا الكعبة

وفي هذه الرواية اختصار بدليل ما قيل وضع الله تحت العرش البيت المعمور على أربع اساطين من زبرجد يغشاهن ياقوتة حمراء وقال للملائكة طوفوا بهذا البيت أى لارضى عنكم ثم قال لهم ابنوا لى بيتا فى الارض بمثاله وقدره أى فدعلوا وقدره عطف تفسير على مثاله فالمراد بالمثال القدر وفى لفظ لما قال تعالى للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة وقالوا اتجعل فيها من يفسد فيها الآية خافوا ان يكون الله تعالى عاتبا عليهم لاعتراضهم فى علمه فطافوا بالعرش سبعا يسترضون ربهم ويتضرعون اليه فامرهم ان يبنوا البيت المعمور فى السماء السابعة وان يجعلوا طوافهم به فكان ذلك اهون عليهم من الطواف بالعرش ثم أمرهم ان يبنوا فى كل سماء بيتا وفى كل ارض بيتا قال مجاهد هى اربعة عشر بيتا متقابلة لو سقط بيت منها لسقط على مقابله والبيت المعمور فى السماء السابعة وله حرمة كحرمة مكة فى الارض واسم البيت الذى فى السماء الدنيا بيت العزة وفى كلام بعضهم فى كل سماء بيت تعمره الملائكة بالعبادة كما يعمر اهل الارض البيت العتيق بالحج فى كل عام والاعتمار فى كل وقت والطواف فى كل اوان ولينظر ما معنى بناء الملائكة للبيوت فى السموات واذا لم يصح ان الملائكة بنت الكعبة تكون هذه المرة من بناء قريش هى المرة الثالثة بناء على ان أول من بناها آدم صلى الله عليه وسلم أى او ولده شيث فقد قال بعضهم ما تقدم من الاثرين الدالين على ان أول من بناها الملائكة لم يصح واحد منها او كانت قبل ذلك أى وكان محلها قبل بناء آدم لها خيمة من ياقوتة حمراء أنزلت لآدم من الجنة أى لها بابان باب من زمرد اخضر شرقى وباب غربى من ذهب منظومان من در الجنة فكان آدم يطوف بها ويأنس اليها وقد حج اليها من الهند ماشيا أربعين حجة ويجوز ان تكون تلك الخيمة هى البيت المعمور وعبر عنها بحمراء لان سقف البيت المعمور كان ياقوتة حمراء قال وذكر ان آدم لما اهبط الى الارض كان رجلاه بها ورأسه فى السماء وفى لفظ كان رأسه يمسح السحاب فصلع فاورث ولده الصلع أى بعض ولده فسمع تسبيح الملائكة ودعاءهم فاستأنس بذلك فهابته الملائكة أى صارت تفر منه فشكا الى الله تعالى فنقص الى ستين ذراعا بالذراع المتعارف وقيل بذراع آدم فلما فقد أصوات الملائكة حزن وشكا الى الله تعالى فقال يا آدم انى قد اهبطت بيتا يطاف به أى تطوف به الملائكة كما يطاف حول عرشى ويصلى عنده كما يصلى عند عرشى اى كان ذلك أى الطواف بالعرش والصلاة عنده شأن الملائكة أولا فلا ينافى ما تقدم انهم بعد ذلك صاروا يطوفون بالبيت المعمور كما تقدم فاخرج اليه أى طف به وصل عنده وهذا

ان كل نبى اذا كذبه قومه خرج من بين اظهرهم الى مكة يعبد الله عز وجل حتى يموت وفى رواية قال ورقة وان ادركت يومك أنصرك نصرا مؤزرا أى شديدا قويا من الازر وهو الشدة وفى رواية قال لخديجة ان ابن عمك لصادق وان هذا البدء نبوة وقوله صلى الله عليه وسلم لخديجة لقد خشيت على نفسى ليس معناه الشك فيما آتاه الله تعالى من النبوة ولكنه لعله خشى ان لا تحمل قوته مقاومة الملك واعباء الوحى بناء على انه قال ذلك بعد لقاء الملك وارساله اليه بالنبوة فان للنبوة اثقالا لا يستطيع حملها الا أولوا العزم من الرسل وفى كلام الحافظ ابن حجر اختلف العلماء فى هذه الخشية على اثنى عشر قولا واولاها بالصواب واسلمها من الارتياب ان المراد بها الموت أو المرض أو دوام المرض وقال الحافظ الاسماعيلى ان هذه الخشية كانت قبل ان يحصل له العلم الضرورى بأن الذى جاءه ملك من عند الله وأما بعد حصوله فلا وجاء فى بعض الروايات ان خديجة رضى الله عنها قبل ان تذهب به الى ورقة ذهبت به الى عداس وكان نصرانيا من اهل نينوى قرية سيدنا يونس عليه السلام فقالت له يا عداس اذكرك الله الا ما اخبرتنى هل عندك علم من جبريل أى فان هذا الاسم لم يكن معروفا بمكة ولا بغيرها من أرض العرب فقال عداس قدوس قدوس ماشأن جبريل يذكر بهذه الارض التى أهلها أهل اوثان فقالت اخبرنى بعلمك فيه قال هو أمين الله تعالى بينه وبين النبيين وهو صاحب موسى وعيسى عليهما السلام وعداس هذا كان راهبا وكان شيخا كبير السن وقد وقع حاجباه على عينيه من الكبر وهو غير عداس غلام عتبة بن ربيعة الذى اجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم فى الطائف واسلم على يديه يروى ان خديجة رضى الله عنها حين جاءت عداسا قالت له أنعم صباحا يا عداس فقال

كان هذا الكلام كلام خديجة سيدة نساء قريش قالت أجل قال ادنى منى فقعد بثقل منعى فدنت منه ثم قالت له ماتقدم يروى انه قال لها حين اخبرته بالخبر ياخديجة ان الشيطان ربما عرض للعبد فأراه امورا فخذى كتابى هذا وانطلقى به الى صاحبك فان كان مجنونا فانه سيذهب عنه وان كان من الله فلن يضره فانطلقت بالكتاب معها فلما دخلت منزلها اذا هى برسول الله صلى الله عليه وسلم مع جبريل يقرئه هذه الآيات ن والقلم ومايسطرون ماأنت بنعمة ربك بمجنون وان لك لاجرا غير ممنون وانك لعلى خلق عظيم فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون فلما سمعت خديجة قراءته اهتزت فرحا ثم قالت للنبى صلى الله عليه وسلم فداك ابى وامى امض معى الى عداس فلما رآه عداس كشف عن ظهره فاذا خاتم النبوة يلوح بين كتفيه فلما نظر عداس اليه خر ساجدا بقوله قدوس قدوس أنت والله النبى الذى بشر بك موسى وعيسى قال بعضهم الصواب ان هذه القصة بعد ذهابها به الى ورقة لان اقرأ سابقة فى النزول على نون والحاصل ان خديجة رضى الله عنها كانت فى بدء الوحى تتردد بين ورقة وعداس وغيرهما ممن له علم بالكتاب للتثبت فى الامر لشدة اعتنائها به صلى الله عليه وسلم وتثبتها فى أمره صلى الله عليه وسلم ولتقوى قلبه وتعينه على الحق فنعم الوزير كانت له صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنها وذكر ابن دحية انه صلى الله عليه وسلم لما اخبرها بجبريل ولم تكن سمعت به قط كتبت الى بحيرا الراهب وقيل سافرت بنفسها اليه فسألته عن جبريل فقال لها قدوس قدوس ياسيدة نساء قريش أنى لك بهذا الاسم فقالت بعلى وابن عمى أخبرنى بأنه يأتيه فقال لها انه السفير بين الله وبين أنبيائه وان الشيطان لايجترئ أن يتمثل به ولاأن يتسمى باسمه ❊ (وفى أسباب النزول) ❊ للواحدى عن على رضى الله عنه وكرم وجهه

الانبياء

البيت هو هذه الخيمة التى أنزلت لاجله وقد علمت انه يجوز ان تكون تلك الخيمة هى البيت المعمور وقيل اهبط آدم وطوله ستون ذراعا اى على الصفة التى خلق عليها وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم خلق الله تعالى آدم على صورته وطوله ستون ذراعا أى اوجده الله تعالى على الهيئة التى خلقه عليها لم ينتقل فى النشأة احوالا بل خلقه كاملا سويا من أول مانفخ فيه الروح فالضمير فى صورته يرجع لآدم وعلى رجوعه الى الحق سبحانه وتعالى المراد على صفته أى جعله قادرا مريدا متكلما سميعا بصيرا مدبرا حكيما وقد يخالف هذا قول ابن خزيمة قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته خرج على سبب وهو ان النبى صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يضرب وجه رجل فقال لاتضربه على وجهه فان الله تعالى خلق آدم على صورته اى صورة هذا الرجل فهو ينتقل اطوارا ولايخفى ان هذا خلاف الظاهر ومن ثم عبر بقوله اوجده وهذا القيل المتقدم من انه أهبط آدم وطوله ستون ذراعا يوافقه ماجاء فى الحديث المرفوع كان طوله ستين ذراعا فى سبعة اذرع عرضا ومن ثم قال الحافظ ابن حجر انما روى ان آدم لما اهبط كانت رجلاه فى الارض ورأسه فى السماء فحطه الله تعالى الى ستين ذراعا اى الذى تقدم ظاهر الخبر الصحيح يخالفه وهو انه خلق فى ابتداء الامر على طول ستين ذراعا وهو الصحيح وكان آدم امرد وفى الصحيحين فكل من يدخل الجنة يكون على صورة آدم وقد جاء فى صفة أهل الجنة جرد مرد على صورة آدم (وفى بعض الاخبار) ان آدم لما كثر بكاؤه على فراق الجنة نبتت لحيته ولم يصح ولم تنبت اللحية الا لولده وكان مهبطه بأرض الهند بجبل عال يراه البحريون من مسافة أيام وفيه أثر قدم آدم مغموسة فى الحجر ويرى على هذا الجبل كل ليلة كهيئة البرق من غير سحاب ولا بد له فى كل يوم من مطر يغسل قدمى آدم وذروة هذا الجبل أقرب ذرا جبال الارض الى السماء ولعل هذا وجه النظر الذى ابداه بعض الحفاظ فى قول بعضهم ان بيت المقدس اقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا قال بعض الحفاظ وفيه نظر قيل ونزل معه من ورق الجنة فبثه هنالك فمنه كان اصل الطيب بالهند وعن عطاء بن ابى رباح ان آدم هبط بأرض الهند ومعه اربعة أعواد من الجنة فهى هذه التى يتطيب الناس بها وجاء انه نزل بنخلة العجوة ثم لما امر آدم بالخروج لتلك الخيمة خرج اليها ومد له فى خطوه قيل كانت خطوته مسيرة ثلاثة أيام فقد قيل لمجاهد هل كان آدم يركب قال وأى شئ كان يحمله فوالله ان خطوته لمسيرة ثلاثة أيام وفيه ان هذا يقتضى ان آدم لم يكن يركب البراق فقول بعضهم ان

قال السامع النداء صلى الله عليه وسلم يا محمد قال لبيك قال قل اشهد أن لا اله الا الله وأشهد ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال قل الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين حتى فرغ من السورة فلما بلغ ولا الضالين فقال قل آمين كما هو رواية وكيع وابن أبي شيبة فأتى صلى الله عليه وسلم ورقة فذكر له ذلك فقال له ورقة ابشر فانى اشهد انك الذى بشر بك عيسى بن مريم عليهما السلام فانك على مثل ناموس موسى عليه السلام وانك نبي مرسل وانك ستؤمر بالجهاد بعد يومك وائن ادركنى ذلك لاجاهدن معك وهذا يدل على أن الفاتحة أول ما نزل قال فى الكشاف وعليه اكثر المفسرين واستبعده بعضهم فيحتمل أن المعنى انها من أول ما نزل لا أنها اول على الاطلاق وأما ما روى من أنها نزلت بالمدينة فيحتمل تكرر نزولها مبالغة فى شرفها لا ان ذلك أول نزولها اذ كثير من الآيات تكرر نزوله بحسب الوقائع وايضا فان الصلاة فرضت بمكة وما نقل ولا عرف أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه صلوا صلاة بغير الفاتحة قال الجلال السيوطي لم يحفظ أنه كانت صلاة فى الاسلام بغير الفاتحة فالحق أنها من اول القرآن نزولا وان الاول على الاطلاق اقرأ باسم ربك فيندفع التدافع الحاصل بين ظواهر الاحاديث وفى الحديث لو أن فاتحة الكتاب جعلت فى كفة الميزان والقرآن فى الكفة الاخرى لفضلت فاتحة الكتاب القرآن سبع مرات وفى حديث آخر فاتحة الكتاب شفاء من كل داء وفى لفظ فاتحة الكتاب تعدل ثلثى القرآن

(ثم لم يلبث) أن توفى ورقة قال سبط ابن الجوزى وهو آخر من مات فى الفترة وقد أدرك النبوة وصدق بنبوته ولم يدرك الرسالة بناء على تأخرها والراجح عند المحققين أنه لم يعد من الصحابة لعدم ادراكه الرسالة ولما توفى قال رسول الله صلى الله عليه

الانبياء كانت تركبه مراده مجموعهم لا جميعهم وقبض الله تعالى له ما كان فى الارض من مخاض أو بحر فلم يكن يضع قدمه فى شئ من الارض الا صار عمرانا وصار بين كل خطوة مفازة حتى انتهى الى مكة فاذا خيمة فى موضع الكعبة اى الموضع الذى به الكعبة الآن وتلك الخيمة ياقوتة حمراء من يواقيت الجنة مجوفة اى ولها اربعة اركان بيض وفيها ثلاث قناديل من ذهب فيها نور يلتهب من نور الجنة طولها ما بين السماء والارض كذا فى بعض الروايات ولعل وصف الخيمة بما ذكر لا ينافى ما تقدم أنه يجوز أن تكون تلك الخيمة هى البيت المعمور ووصف بانه ياقوتة حمراء لان سقفه كان ياقوتة حمراء لان التعدد بعيد فليتأمل ونزل مع تلك الخيمة الركن وهو الحجر الاسود ياقوتة بيضاء من أرض الجنة وكان كرسيا لآدم يجلس عليه اى ولعل المراد يجلس عليه فى الجنة (أقول) وهذا السياق يدل على أن آدم اهبط من الجنة الى أرض الهند ابتداء وذكر فى مثير الغرام عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن الله تعالى أهبط آدم الى موضع الكعبة وهو مثل الفلك من شدة رعدته ثم قال يا آدم تخط فتخطى فاذا هو بأرض الهند فمكث هنالك ما شاء الله ثم استوحش الى البيت فقيل له حج يا آدم فأقبل يتخطى فصار موضع كل قدم قرية وما بين ذلك مفازة حتى قدم مكة الحديث والسياق المذكور ايضا يدل على أن الخيمة والحجر الاسود نزلا بعد خروج آدم من الجنة ويدل لكون الحجر الاسود نزل عليه ما فى مثير الغرام وأنزل عليه الحجر الاسود وهو يتلألأ كأنه لؤلؤة بيضاء فأخذه آدم فضمه اليه استئناسا به هذا كلامه (وفى رواية) عنه انزل الركن والمقام مع آدم ليلة نزل آدم من الجنة فلما اصبح رأى الركن والمقام فعرفهما فضمهما اليه وانس بهما فليتأمل الجمع (وفى رواية) أن آدم نزل بتلك الياقوتة اى فعن كعب أنزل الله من السماء ياقوتة مجوفة مع آدم فقال له يا آدم هذا بيتى انزلته معك يطاف حوله كما يطاف حول عرشى ويصلى حوله كما يصلى حول عرشى اى على ما تقدم ونزل معه الملائكة فرفعوا قواعده من الحجارة ثم وضع البيت اى تلك الياقوتة عليها وحينئذ يحتاج الى الجمع بين هاتين الروايتين على تقدير صحتهما وقد يقال فى الجمع يجوز أن تكون المعية ليست حقيقية والمراد أنه نزل بعده قريبا من نزوله فلقرب الزمن عبر بالمعية فلا ينافى ما تقدم من قوله يا آدم انى قد أهبطت بيتا يطاف به فاخرج اليه وجاء أن آدم نزل من الجنة ومعه الحجر الاسود متأبطه اى تحت ابطه وهو ياقوتة من يواقيت الجنة ولولا أن الله تعالى طمس ضوأه ما استطاع احد أن ينظر اليه وكون آدم نزل بالحجر الاسود متأبطا له يخالف الرواية المتقدمة انه نزل مع تلك

الخيمة التي هي الياقوتة بعد نزوله وحينئذ يحتاج للجمع بين هاتين الروايتين على تقدير صحتهما وايضا يحتاج الى الجمع بين ذلك وبين ماروى عن وهب بن منبه رحمه الله أن آدم لما امره الله تعالى بالخروج من الجنة أخذ جوهرة من الجنة اى التي هي الحجر الاسود مسح بها دموعه فلما نزل الى الارض لم يزل يبكي ويستغفر الله ويمسح دموعه بتلك الجوهرة حتى اسودت من دموعه ثم لما بنى البيت امره جبريل عليه الصلاة والسلام أن يجعل تلك الجوهرة في الركن ففعل وفي بهجة الانوار أن الحجر الاسود كان في الابتداء ملكا صالحا ولما خلق الله تعالى آدم اباح له الجنة كلها الا الشجرة التي نهاه عنها ثم جعل ذلك الملك موكلا على آدم أن لا يأكل من تلك الشجرة فلما قدر الله تعالى أن آدم يأكل من تلك الشجرة غاب عنه ذلك الملك فنظر الله تعالى الى ذلك الملك بالهيبة فصار جوهرا ألا ترى أنه جاء في الاحاديث الحجر الاسود يأتي يوم القيامة وله يد ولسان وأذن وعين لانه كان في الابتداء ملكا (اقول) ورأيت في ترجمة كلام الشيخ كمال الدين الاخميمي أنه لما جاور بمكة رأى الحجر الاسود وقد خرج من مكانه وصار له يدان ورجلان ووجه ومشى ساعة ثم رجع الى مكانه وقد جاء اكثروا من استلام هذا الحجر فانكم توشكون أن تفقدوه بينما الناس يطوفون به ذات ليلة اذ أصبحوا وقد فقدوه ان الله عز وجل لا يترك شيأ من الجنة في الارض الا أعاده فيها قبل يوم القيامة اى فقد جاء ليس في الارض من الجنة الا الحجر الاسود والمقام فانهما جوهرتان من جواهر الجنة ما مسهما ذو عاهة الا شفاه الله تعالى وجاء استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل أن يرفع وقد هدم مرتين ويرفع في الثالثة والله أعلم (وجاء) أن آدم اتى ذلك اى تلك الخيمة اى التي هي البيت المعمور على ماتقدم ألف مرة من الهند ماشيا من ذلك ثلثمائة حجة وسبعمائة عمرة واول حجة حجها جاءه جبريل وهو واقف بعرفة فقال له يا آدم بر نسكك أما انا قد طفنا بهذا البيت قبل أن تخلق بخمسين ألف سنة وفي رواية لما حج آدم استقبلته الملائكة بالردم اى ردم بني جمح الذي هو محل المدعى فقالوا بر حجك يا آدم قد حججنا هذا البيت قبلك بألف عام (اقول) وفي تاريخ مكة للازرقي أن آدم عليه السلام حج على رجليه سبعين حجة ماشيا وأن الملائكة لقيته بالمأزمين فقالوا بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام والمأزمان موضع بين عرفة والمزدلفة قال الطبري ودون منى ايضا مأزمان والله اعلم بالمراد منهما هذا كلامه وجاء أنه وجد الملائكة بذي طوى وقالوا له يا آدم مازلنا ننتظرك ههنا منذ ألفي سنة وكان بعد ذلك اذا وصل الى المحل المذكور خلع نعليه ويحتاج للجمع بين كون

وسلم لقد رأيت القس يعني ورقة في الجنة وعليه ثياب الحرير والقس بفتح القاف وكسرها رئيس النصارى وفي رواية أبصرته في بطنان الجنة وعليه ثياب السندس وفي رواية لاتسبوا ورقة فاني رأيت له جنة او جنتين لانه آمن بي وصدقني وجزم ابن كثير باسلامه قال بعضهم وهو الراجح عند جهابذة الائمة بناء على أنه ادرك الدعوة الى الله تعالى التي هي الرسالة فقد روى انه مات في السنة الرابعة من المبعث ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم لانه آمن بي وصدقني وفي فتح الباري ان في سيرة ابن اسحق ان ورقة كان يمر ببلال وهو يعذب وذلك يقتضي أنه تأخر الى زمن الدعوة والى أن دخل بعض الناس في الاسلام يروى أن ورقة قال لخديجة في أول ابتداء الوحي قبل نزول شئ من القرآن وقيل بعد نزول اقرأ اذهبي الى المكان الذي رأى فيه مارأى فاذا اراه فتحسري فان يكن من عند الله لا يراه فتراءى له جبريل يوما وهو في بيت خديجة وكانت قد قالت للنبي صلى الله عليه وسلم أتستطيع ان تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك اذا جاءك قال نعم فلما رأى جبريل قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ياخديجة هذا جبريل قد جاءني اى قد رأيته قالت قم يابن عم فاجلس على فخذي فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس على فخذها قالت هل تراه قال نعم قالت فتحول فاجلس في حجري فتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس في حجرها قالت هل تراه قال نعم فألقت خمارها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في حجرها ثم قالت هل تراه قال لا قالت يا ابن عم اثبت وابشر فوالله انه لملك ماهذا شيطان والى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله

وأتاه في بيتها جبرئيل * ولذي اللب في الامور ارتياء

الملائكة

فأماطت عنها الخمار لتدرى * اهو الوحى ام هو الاغماء
فاختفى عند كشفها الرأس جبريـ * ـل فما عاد أو أعيد الغطاء
فاستبانت خديجة أنه الكنـ * ـز الذى حاولته والكيمياء

وفى السيرة الحلبية روى ابن اسحق عن شيوخه أنه صلى الله عليه وسلم كان يرقى من العين وهو بمكة قبل أن ينزل عليه القرآن فلما نزل عليه القرآن أصابه ما كان يصيبه قبل ذلك فقالت له خديجة اوجه اليك من يرقيك قال أما الآن فلا وهذا يدل على أنه كان يصيبه قبل نزول القرآن ما يشبه الاغماء بعد حصول الرعدة وتغميض عينيه وتربد وجهه ويغط كغطيط البكر ولعل ذلك كان تألفا ليتحمل أعباء الوحى حين نزوله عليه وانما كانت خديجة رضى الله عنها تفعل هذه الاشياء انتثبت فى الامر وبصير عندها ضروريا وأما هو صلى الله عليه وسلم فكان الامر ملتبسا عليه قبل ظهور الملك واما بعد ظهوره له فانه صار عنده علم ضرورى بأنه جبريل وأن الله ارسله اليه وانه هو رسول الله صلى الله عليه وسلم *(ثم بعد نزول) اقرأ اى نزول اوّل السورة كما تقدم فتر الوحى ليذهب عنه صلى الله عليه وسلم ما كان يجده من الرعب وليحصل له الشوق الى العود فحزن حزنا شديدا حتى غدا مرارا كى يتردى من رؤس شواهق الجبال فكلما وافى ذروة جبل كى يلقى نفسه منها تبدى له جبريل عليه السلام فقال يا محمد انك رسول الله حقا فيسكن لذلك جاشه اى قلبه وتقر نفسه ويرجع فاذا طالت عليه فترة الوحى غدا لمثل ذلك فاذا وافى الذروة تبدى له مثل ذلك وفى فتح البارى جزم ابن اسحق بأن مدة فترة الوحى كانت ثلاث سنين وجزم السهيلى بأنها كانت سنتين ونصفا وقيل خمسة عشر

الملائكة استقبلته بالردم وكونها اتيته بالمأزمين وكونه وجدهم بذى طوى وبين كونهم حجوا البيت قبله بألف عام وكونهم حجوا قبله بألفى عام وبخمسين ألف عام وهل الملائكة خلقوا دفعة واحدة أم خلقوا جيلا بعد جيل * ومما يدل على انهم جيلا بعد جيل ما جاء من نحو من قال سبحان الله وبحمده خلق الله ملكا له عينان وجناحان وشفتان ولسان يطير مع الملائكة ويستغفر لقائلها الى يوم القيامة وما جاء أن جبريل فى كل غداة يدخل بحر النور فينغمس فيه الحديث لكن فى سفر السعادة الحديث المنسوب الى أبى هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال يأمر الله تعالى جبريل كل غداة أن يدخل بحر النور فينغمس فيه انغماسة ثم يخرج فينتفض انتفاضة يخرج منه سبعون الف قطرة يخلق الله عز وجل من كل قطرة منها ملكا لهذا الحديث طرق كثيرة ولم يصح منها شئ ولم يثبت فى هذا المعنى حديث هذا لفظه والله اعلم وعند ذلك قال آدم للملائكة فما كنتم تقولون حوله قالوا كنا نقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر قال آدم زيدوا فيها ولا حول ولا قوة الا بالله فكان آدم اذا طاف يقولها وكان طوافه سبعة اسابيع بالليل وخمسة أسابيع بالنهار أى ولما فرغ من الطواف صلى ركعتين تجاه باب الكعبة ثم اتى الملتزم اى محله فقال اللهم انك تعلم سريرتى وعلانيتى فاقبل معذرتى وتعلم ما فى نفسى وما عندى فاغفر لى ذنبى وتعلم حاجتى فأعطنى سؤلى الحديث (اقول) قول الملائكة قد طفنا بهذا البيت لا يحسن أن يعنوا به تلك الخيمة المذكورة المعنية بقوله تعالى لآدم قد اهبطت بيتا الى آخر ما تقدم اوكونها أهبطت مع آدم بل المراد محل ذلك البيت الذى هو الخيمة قبل أن تنزل ويجوز أن يكون المراد تلك الخيمة اونفس تلك الخيمة بناء على أنها البيت المعمور وأن الملائكة طافوا بها قبل نزولها الى الارض كما تقدم قال وعن وهب بن منبه قرأت فى كتاب من كتب الاول ليس من ملك بعثه الله الى الارض الا أمره بزيارة البيت فينقض من تحت العرش محرما ملبيا حتى يستلم الحجر ثم يطوف سبعا بالبيت ويصلى فى جوفه ركعتين ثم يصعد (اقول) يجوز أن يكون المراد باحرامه بنية الطواف بالبيت لا احرامه بالعمرة بدليل قوله ثم يطوف سبعا بالبيت الى آخره ويجوز أن يكون المراد بالبيت فى كلام وهب محل تلك الخيمة ما يعم من وجد من الملائكة ومن بعث بعد ذلك ولا يخفى أن الاوّل يبعده قوله حتى يستلم الحجر وعلى الثانى يكون فيه دلالة على أن الحجر الاسود كان فى تلك الخيمة يبتدأ الطواف بها منه وجاء عن عطاء وسعيد ابن المسيب وغيرهما أن الله عز وجل اوحى الى آدم أن اهبط الى الارض ابن لى بيتا ثم

احتف به كما رأيت الملائكة تحف بيتي الذى فى السماء وفى رواية وطف به واذكرنى عنده كما رأيت الملائكة تصنع حول عرشي اى على ماتقدم وهذا السياق بظاهره يوافق ماتقدم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن هبوط آدم كان من الجنة الى موضع الكعبة ابتداء والله اعلم قال وجاء أن جبريل عليه السلام بعثه الله تعالى الى آدم وحواء فقال لهما ابنيا اى قال لهما ان الله تعالى يقول لكما ابنيالى بيتا فخط لهما جبريل فجعل آدم يحفر وحواء تنقل التراب حتى اجابه الماء ونودى من تحته حسبك يا آدم (وفى رواية) حتى اذا بلغ الارض السابعة فقذفت فيها الملائكة الصخر مايطيق الصخرة ثلاثون رجلا اه وفيه أنه ان كان امر آدم ببناء البيت بعد مجيئه الى تلك الخيمة من الهند ماشيا خالف ظاهر ماتقدم عن عطاء وسعيد بن المسيب اوحى الله تعالى الى آدم أن اهبط الى الارض ابن لى بيتا اذ ظاهره أنه اوحى اليه بذلك وهو فى الجنة الا أن يقال المراد بالارض فى قوله اهبط الى الارض ارض الحرم اى اذهب الى ارض الحرم ابن لى بيتا ثم لا يخفى أن قوله فقذفت فيه الملائكة الصخر يقتضى أن القاء الملائكة للصخر كان بعد حفر آدم وهو لا يخالف ماتقدم عن كعب انزل الله من السماء ياقوتة مجوفة مع آدم فقال له ياآدم هذا بيتى انزلته معك ونزل معه الملائكة فرفعوا قواعده من الحجارة ثم وضع البيت عليها فيكون القاء الملائكة للصخر بعد حفر آدم فلما تم ذلك الاس جعل ذلك البيت فوق تلك الصخور ويكون المراد بقوله ونزل معه الملائكة اى صحبوه من ارض الهند الى ارض الحرم (وجاء) فى بعض الروايات أن آدم وحواء لما اسساه نزل البيت من السماء من ذهب احمر وكل به من الملائكة سبعون ألف ملك فوضعوه على أس آدم ونزل الركن فوضع موضعه اليوم من البيت فطاف به آدم اى كما كان يطوف به قبل ذلك وبهذا تجتمع الروايات وحينئذ لا مانع أن ينسب بناء هذا الاساس الذى وضعت الملائكة عليه تلك الخيمة لآدم وأن ينسب للملائكة أما نسبته للملائكة فواضح واما نسبته لآدم فلانه السبب فيه اولانه كان اذا ألقت الملائكة الصخر يضع آدم بعضه على بعض وعلى نسبة بناء ذلك الاس للملائكة ولآدم يحمل القول بان اول من بنى الكعبة الملائكة والقول بأن اول من بنى الكعبة آدم فليتأمل وقد جاء ان آدم بناه من لبنان جبل بالشام ومن طور زيتا جبل من جبال القدس ومن طور سينا جبل بين مصر وايليا (وفى كلام بعضهم) انه جبل بالشام وهو الذى نودى منه موسى عليه الصلاة والسلام ومن الجودى وهو جبل بالجزيرة ومن حراء حتى استوى على وجه الارض (اقول) وفى رواية بناه من

يوما وقيل غير ذلك وكان صلى الله عليه وسلم فى مدة فترة الوحى يتردد الى غار حراء ويجاور فيه كما كان يصنع قبل مجىء الملك ونزول الوحى وعن يحيى بن بكير قال سألت جابر بن عبد الله رضى الله عنهما عن ابتداء الوحى اى بعد فترته فقال لا احدثك الا ما حدثنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحراء فلما قضيت جوارى هبطت فنوديت فنظرت عن يمينى فلم أر شيأ فنظرت عن شمالى فلم ارشيأ فنظرت من خلفى فلم ارشيأ فرفعت رأسى فرأيت شيأ بين السماء والارض وفى رواية فاذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى فرعبت منه فأتيت خديجة فقلت دثرونى دثرونى وفى رواية زملونى زملونى وصبوا على ماء باردا فنزلت هذه الآية يا أيها المدثر اى المتلفف بثيابه قم فانذر وربك فكبر ولم يقل بعد قوله فانذر وبشر مع أنه كما بعث بالنذارة بعث بالبشارة لان البشارة انما تكون لمن آمن ولم يكن احد آمن من قبل وهذا يدل على تقدم نبوته على رسالته وان نبوته كانت بنزول اقرأ ورسالته بيا أيها المدثر وقيل انهما مقترنان والمتأخر انما هو اظهار الدعوة يعنى أنه حصلت له النبوة والرسالة بنزول اقرأ ولكنه ما امر باظهار الدعوة الا بنزول يا أيها المدثر فبها حصل الجهر بالدعوة الى الله ذكر الشيخ محيي الدين بن العربى فى قوله تعالى يا أيها المدثر اعلم أن التدثر انما يكون من البرودة التى تحصل عقب الوحى وذلك أن الملك اذا ورد على النبى صلى الله عليه وسلم بعلم او حكم تلقى ذلك الروح الانسانى وعند ذلك تشتعل الحرارة الغريزية فيتغير الوجه لذلك وتنتقل الرطوبات الى سطح البدن لاستيلاء الحرارة فيكون من ذلك العرق فاذا سرى عنه ذلك سكن المزاج وقبل الجسم الهواء من خارج فيبرد المزاج فتأخذه القشعريرة فترد عليه الثياب ليسخن وذكر السهيلى أن من عادة العرب اذا قصدت الملاطفة أن

ستة

تسمى المخاطب باسم مشتق من الحالة التى هو عليها فلاطفه الحق بقوله يا أيها المدثر قم فانذر فبذلك علم رضاه الذى هو غاية مطلوبه وبه كان يهون عليه تحمل الشدائد ومن هذه الملاطفة قوله صلى الله عليه وسلم لعلى بن ابى طالب رضى الله عنه وقد نام وقد ترب جبينه قم أبا تراب وقوله صلى الله عليه وسلم لحذيفة وقد نام الى الاسفار قم يا نومان

ستة اجبل من ابى قبيس ومن رضوى ومن احد فالمتحصل من الروايتين أنه بناه من ثمانية اجبل ولا مانع من ذلك واستمر ذلك البيت الذى هو الخيمة الى زمن نوح عليه الصلاة والسلام فلما كان الغرق بعث الله تعالى سبعين الف ملك فرفعوه الى السماء الرابعة فهو البيت المعمور كما فى الكشاف وكان رفعه لئلا يصيبه الماء النجس وبقيت قواعده التى هى الاس وفى العرائس ثم طافت السفينة باهلها الارض كلها فى ستة اشهر لا تستقر على شئ حتى اتت الحرم فلم تدخله ودارت بالحرم أسبوعا وقد رفع الله البيت الذى كان يحجه آدم صيانة له من الغرق وهو البيت المعمور اى وكون حواء أسست البيت مع آدم يخالف ما جاء أن حواء اهبطت بجدة وحرم الله عليها دخول الحرم والنظر الى خيمة آدم والى شئ من مكة لاجل خطيئتها وانها أرادت ان تدخل مع آدم الى مكة فقال لها اليك عنى قد خرجت من الجنة بسببك فتريدين أن احرم هذا فكان آدم اذا أراد أن يلقاها اليلم بها خرج من الحرم كله حتى يلقاها بالحل وذكر محمد بن جرير ان الله اهبط آدم على جبل سرنديب بالهند اى وتقدم ما فيه وحواء بجدة بالحاء المهملة وقيل بالجيم فجاء آدم فى طلبها فتعارفا بالمحل الذى قيل له بسبب ذلك عرفة فاجتمعا بالمحل الذى قيل له بسبب ذلك جمع وزلفت اليه فى المحل الذى قيل له بسبب ذلك مزدلفة وهذا يدل على ان جمع غير مزدلفة وهو خلاف المشهور من ان جمع هو مزدلفة الا أن يقال كل من المحلين من جملة البقعة وأطلق كل من الاسمين على جميع تلك البقعة وقيل سمى المحل عرفة لان جبريل عليه الصلاة والسلام لما علم ابراهيم عليه الصلاة والسلام المناسك وانتهى الى عرفة وقال له اعرفت مناسكك قال نعم فسمى عرفة اى والمراد مناسكه التى قبل عرفة والا فمعظم المناسك بعد عرفة فليتأمل (وفى الخصائص) الصغرى عن رزين أنه روى ان آدم عليه السلام قال ان الله أعطى امة محمد صلى الله عليه وسلم اربع كرامات لم يعطنيها كانت توبتى بمكة واحدهم يتوب فى كل مكان الحديث وهو يدل على ان توبته كانت بسبب طوافه بالبيت ويذكر أن حواء عاشت بعد آدم سنة وجاء ان آدم لما فرغ من بناء البيت امره الله تعالى بالمسير الى أن يبنى بيت المقدس فسار وبناه ونسك فيه وحينئذ لا يشكل قوله صلى الله عليه وسلم وقد قيل له اى مسجد وضع فى الارض اولا المسجد الحرام قيل ثم اى قال بيت المقدس قيل كم كان بينهما قال اربعون سنة وحينئذ لا حاجة لجواب الامام البلقينى أن المراد ان المدة المذكورة بين ارضيهما فى الدحو اى دحيت ارض المسجد الحرام ثم بعد مضى مقدار اربعين سنة دحيت ارض بيت المقدس وفيه ان الامام البلقينى

(باب فى مراتب الوحى واقسامه) قد كمل الله تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم مراتب الوحى وأنواعه *(فاحدى تلك المراتب)* الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح روى ابن اسحق أن جبريل عليه السلام أتى النبى صلى الله عليه وسلم ليلة النبوة وغطه ثلاثا وقرأ عليه أول سورة اقرأ مناما ثم اتاه وفعل ذلك معه يقظة بل روى أنه صلى الله عليه وسلم ما كان يأتيه شئ يقظة الا وقد اريه قبل ذلك فى منامه وفى كلام الشيخ محيى الدين ما يدل على انه صلى الله عليه وسلم وجميع من يأتيه الوحى من الانبياء كان اذا جاءه الوحى يستلقى على ظهره حيث قال سبب اضطجاع الانبياء على ظهورهم عند نزول الوحى اليهم ان الوارد الالهى الذى هو صفة القيومية اذا جاءهم شغل الروح الانسانى عن تدبيره فلم يبق للجسم من يحفظ عليه قيامه وقعوده فرجع الى أصله وهو لصوقه بالارض *(الثانية)* ما كان يلقيه الملك فى قلبه من غير أن يراه ويخلق الله فيه علما ضروريا يعلم به أنه وحى لا بمجرد الهام *(الثالثة)* خطاب الملك له حين كان يتمثل له رجلا فيخاطبه حتى يعى عنه ما يقول فقد ثبت انه كان يأتيه فى صورة دحية بن خليفة الكلبى وكان جميلا وسيما اى حسن الوجه اذا قدم لتجارة خرجت النساء لتراه قال السراج البلقينى يجوز أن الآتى جبريل بشكله الاول الا انه انضم فصار على قدر هيئة الرجل ومثل ذلك القطن اذا جمع بعد نفشه وهذا على سبيل

انما أجاب بذلك بناء على ان سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام هو الباني للمسجد الحرام والباني لمسجد بيت المقدس سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام فان بينهما كما قيل اكثر من الف عام وكذا لا اشكال اذا كان الباني للمسجد الحرام آدم والباني لمسجد بيت المقدس احد أولاده كما قيل بذلك ومن ثم اجاب بعضهم بان سليمان انما كان مجدد البناء بيت المقدس وأما المؤسس له فسيدنا يعقوب بن اسحق بعد بناء جده ابراهيم للمسجد الحرام بالمدة المذكورة واما على أن الباني لهما آدم فلا اشكال وفي رواية ان اول من بنى الكعبة اى كلها بعد ان رفعت تلك الخيمة بعد موت آدم شيث ولد آدم بناها بالطين والحجارة اى فهى اولية اضافية ثم لما جاء الطوفان انهدم وبقى محله وقيل انه استمر ولم يهدمه احد الى زمن ابراهيم عليه الصلاة والسلام (فى رواية) أن ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما اراد بناء الكعبة جاء جبريل فضرب بجناحه الارض فابرز عن اس ثابت على الارض السابعة ثم بناها ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام على ذلك الاس ويقال له القواعد اى كما تقدم وهذا الاس كما علمت لآدم او للملائكة أولهما وانما قيل له اساس ابراهيم وقواعد ابراهيم لانه بنى على ذلك ولم ينقضه ومما يدل للقيل المذكور ما جاء فى بعض الروايات عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت دثر مكان البيت اى بسبب الطوفان بدليل ما جاء فى رواية قد درس مكان البيت بين نوح وابراهيم عليهما الصلاة والسلام وكان موضعه اكمة حمراء وكان يأتيه المظلوم والمتعوذ من اقطار الارض وما دعا عنده احد الا استجيب له وعن عائشة رضى الله تعالى عنها لم يحجه هود ولا صالح عليهما الصلاة والسلام لتشاغل هود بقومه عاد وتشاغل صالح بقومه ثمود وجاء ان بين المقام والركن وزمزم قبر تسعة وتسعين نبيا وجاء ان حول الكعبة اقبور ثلثمائة نبى وان ما بين الركن اليمانى الى الركن الاسود لقبور سبعين نبيا وكل نبى من الانبياء اذا كذبه قومه خرج من بين اظهرهم واتى مكة يعبد الله عز وجل بها حتى يموت وجاء ما بين الركن اليمانى والحجر الاسود روضة من رياض الجنة وان قبر هود وصالح وشعيب واسمعيل فى تلك البقعة (اقول) ويوافق ذلك قول بعضهم ان اسمعيل دفن حيال الموضع الذى فيه الحجر الاسود لكن جاء ان قبر اسمعيل فى الحجر وذكر المحب الطبرى ان البلاطة الخضراء التى بالحجر قبر اسمعيل عليه الصلاة والسلام وقد يقال لا منافاة بين كون هود وصالح لم يحجا البيت وبين كونهما دفنا فى تلك البقعة لانه يجوز أن يكونا ماتا قبل وصولهما الى البيت لحجهما ودفنا فى تلك البقعة على ان بعضهم ضعف كونهما لم يحجا اى ويدل له

التقريب قال فى فتح البارى والحق ان تمثل الملك رجلا ليس معناه ان ذاته انقلبت رجلا بل معناه انه ظهر بتلك الصورة تأنيسا لمن يخاطبه والظاهر ان القدر الزائد لا يزول ولا يفنى بل يخفى على الرائى فقط وقال العلامة القونوى يجوز أن الله خصه بقوة ملكية يتصرف فيها بحيث تكون روحه فى جسده الاصلى مدبرة له ويتصل اثرها بجسم آخر يصير حيا بما يتصل به من ذلك الاثر اى ان جسم الملك الاصلى باق بحاله لم يتغير وقد اقام ذلك الملك شبحا آخر من عالم المثال وروحه متصرفة فيهما جميعا فى وقت واحد وقد قيل انما سمى الابدال ابدالا لانهم قد يرحلون الى مكان ويقيمون فى مكانهم شبحا آخر شبيها بشبحهم الاصلى بدلا عنه وأثبت الصوفية عالما متوسطا بين عالم الاجساد والارواح سموه عالم المثال وقالوا انه الطف من عالم الاجساد واكثف من عالم الارواح وبنوا على ذلك تجسد الارواح وظهورها فى صور مختلفة وقد يستأنس لذلك بقوله تعالى فتمثل لها بشرا سويا والجواب بانه كان يندمج الى أن يصغر حجمه بقدر ما تحتمله ثم يعود كهيئته الاولى تكلف وما ذكره الصوفية احسن (الرابعة) كان يأتيه مخاطبا له بصوت فى مثل صلصلة الجرس والجرس مثال يشبه الجلجل الذى يعلقه الجهال فى رؤس الدواب والصلصلة المذكورة قيل صوت الملك بالوحى وقيل صوت أجنحة الملك والحكمة فى تقدمه أن يقرع سمعه الوحى وليس فيه مكان لغيره وكان هذا النوع اشده عليه لانه يرد فيه من الطباع البشرية الى الاوضاع الملكية فيوحى اليه كما انه يوحى الى الملائكة ولان الفهم من كلام مثل الصلصلة أثقل من كلام الرجل بالتخاطب والوحى كله شديد وهذا اشد وفائدة هذه الشدة ما يترتب على المشقة من زيادة الزلفى ورفع الدرجات ولان الكلام العظيم له مقدمات تؤذن بتعظيمه للاهتمام به وفى

لحديث لابن عباس رضى الله عنهما كان صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة قال بعضهم وانما كان شديدا عليه ليستجمع قلبه فيكون أوعى لما سمع لا يقال ان صوت الجرس مذموم منهى عنه فكيف يشبه الوحى به لانا نقول ان للصوت جهتين جهة قوة وبها وقع التشبيه وجهة طنين ومنها وقع التنفير ولا يلزم من التشبيه تساوى المشبه والمشبه به فى الصفات كلها بل يكفى اشتراكهما فى صفة ما ولما كان الوحى من المسائل العويصة التى لا يماط نقاب التغور عن وجهها الكل احد ضرب لها مثل فى الشاهد فمثلت بالصوت الذى يسمع ولا يفهم منه شئ تنبيها على ان الوحى يرد على القلب فى هيئة الجلال وأبهة الكبرياء فتأخذ هيبة الخطاب حين ورودها بمجامع القلب وتلاقى من ثقل القول ما لا علم له به مع وجود ذلك فاذا سرى عنه وجد القول المقول بينا ملقى فى الروع واقعا موقع المسموع وهذا الضرب من الوحى شبيه بما يوحى الى الملائكة على ما رواه أبو هريرة مرفوعا اذا قضى الله فى السماء أمرا ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنها سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير وقد روى الامام احمد والحاكم وصححه والترمذى والنسائى عن عمر رضى الله عنه قال كان صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحى يسمع عنده دوى كدوى النحل فأفهم قوله عنده ان ذلك بالنسبة للصحابة ولذا قال الحافظ أنه لا يعارض صلصلة الجرس لان سماع الدوى بالنسبة للحاضرين كما شبهه به عمر رضى الله عنه والصلصلة بالنسبة اليه كما شبهه به صلى الله عليه وسلم بالنسبة الى مقامه وجزم بعضهم بأن سماعه كدوى النحل حين يتمثل له رجلا وبه تعلم الصفة التى كان عليها حين خطابه بذلك الصوت وجاء فى بعض الروايات وصف هذا القسم الرابع بأن جبينه صلى الله عليه

انه قد جاء حجه هود وصالح ومن آمن معهما (وفى بعض الروايات) لم يحجه بين نوح وابراهيم احد من الانبياء ويحتاج الى الجمع بينه وبين ما تقدم من ان كل نبى اذا كذبه قومه الى آخره على تقدير صحتها وقد يقال لا يحتاج الى الجمع الا أن يثبت ان بين نوح وابراهيم احد من الانبياء كذبه قومه على انه لم يكن بين نوح وابراهيم أحد من الانبياء كذبه قومه الا هود وصالح وهو يؤيد القول بانهما لم يحجا وتقدم ضعفه وجاء فى حديث راويه متروك ان نوحا حجت به السفينة فوقفت بعرفات وباتت بمزدلفة وطافت به اى بالحرم كما تقدم ان السفينة لم تجاوز الحرم وهذا لا يناسبه قوله وسعت لان السعى بين الصفا والمروة الا أن يراد بالسعى نفس الطواف فهو من عطف التفسير وفى انس الجليل وورد حديث شريف أن السفينة طافت بيت المقدس اسبوعا واستوت على الجودى اى وجاء ان نوحا قال لاهل السفينة وهى تطوف بالبيت العتيق انكم فى حرم الله وحول بيته لا يمس احد امرأة وجعل بينهم وبين النساء حاجزا ويذكر ان ولده حاما تعدى ووطئ زوجته فدعا عليه بان يسود الله لون بنيه فاجاب الله دعاءه فى اولاده فجاء ولده أسود وهو ابو السودان وقيل فى سبب دعوة نوح وسوادهم غير ذلك وقد بينت ذلك فى كتابى اعلام الطراز المنقوش فى فضائل الحبوش والله اعلم وقبر آدم وابراهيم واسحق ويعقوب ويوسف فى بيت المقدس اى بعد نقل يوسف من بحر النيل كما سنذكره قال وقد جاء ان الله سبحانه وتعالى اوحى الى ابراهيم ان ابن لى بيتا فقال ابراهيم اى رب اين ابنيه فأوحى الله تعالى اليه ان اتبع السكينة اى وهى ريح لها وجه كوجه الانسان اى وقيل كوجه الهر وجناحان ولها لسان تتكلم به اى وفى الكشاف فى تفسير السكينة التى كانت فى التابوت الذى هو صندوق التوراة قيل هو صورة من زبرجد أو ياقوت لها رأس كرأس الهر وذنب كذنبه (وعن على) رضى الله تعالى عنه كان لها وجه كوجه الانسان هذا كلام الكشاف وفى رواية بعث الله ريحا يقال لها الخجوج لها جناحان ورأس فى صورة حية فكشفت لابراهيم واسمعيل صلى الله عليهما وسلم ما حول البيت من اساس البيت الاول (وفى رواية) أرسل الله سحابة فيها رأس فقال الرأس يا ابراهيم ان ربك يأمرك أن تأخذ بقدر هذه السحابة فجعل ينظر اليها ويخط قدرها ثم قال الرأس له قد فعلت قال نعم فارتفعت فليتأمل الجمع بين هذه الروايات وبينها وبين ما تقدم ان جبريل ضرب بجناحه الارض فابرز عن اس الى آخره وجاء ان السكينة جعلت تسير ودليله الصرد وهو الطائر المعروف اى وهو طائر فوق العصفور يصيد العصافير وغيرها لان له صفيرا مختلفا يصفر

وسلم يتفصد عرقا اى يسيل عرقا مبالغة فى كثرة معاناة التعب والكرب عند نزوله لطروه على طبع البشر وذلك ليبلو صبره فيرتاض لما كلفه من أعباء النبوة ويحصل ذلك له فى اليوم الشديد البرد فضلا عن غيره وان راحلته اذا أوحى عليه وهو عليها لتبرك به فى الارض ولقد جاءه الوحى مرة كذلك وفخذه على فخذ زيد بن ثابت الانصارى رضى الله عنه فثقلت عليه حتى كادت ترضها وفى مسلم عن ابى هريرة رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحى لم يستطع احد منا يرفع طرفه اليه حتى ينقضى الوحى وفى لفظ كان اذا نزل عليه الوحى استقبلته الرعدة وفى رواية كرب لذلك وتربد وجهه وغمض عينيه وربما غط كغطيط البكر وعن زيد بن ثابت رضى الله عنه كان اذا نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم السورة الشديدة أخذه من الكرب والشدة على قدر شدة السورة واذا نزل عليه السورة اللينة اصابه من ذلك على قدر لينها *(الخامسة)* أن يرى جبريل فى صورته التى خلقه الله عليها له ستمائة جناح كل جناح منها يسد أفق السماء حتى ما يرى فى السماء شئ فيوحى اليه ما شاء الله أن يوحيه اليه وهذا وقع له مرتين احداهما فى الارض حين سأله أن يريه نفسه فى الافق وكانت هذه فى اوائل البعثة بعد فترة الوحى والثانية عند سدرة المنتهى ليلة المعراج *(السادسة)* ما أوحاه الله اليه وهو فوق السموات من فرض الصلوات وغيرها بسماع الكلام الازلى الذى ليس بحرف ولا صوت من غير دا بلا واسطة مع الرؤية للذات المقدسة *(السابعة)* ما اوحاه اليه بلا واسطة ايضا بل بسماع الكلام الازلى لكن بلا رؤية كما وقع لموسى عليه الصلاة والسلام وزاد بعضهم ثامنة فقال وكل به اسرافيل عليه السلام قبل تتابع مجئ جبريل عليه السلام

الكل طائر يصيده بلغته فيدعوه الى القرب منه فاذا قرب منه قصمه من ساعته واكله ويقال له الصوام لانه ورد أنه اول طائر صام عاشوراء فعن بعض الصحابة رضى الله تعالى عنه رآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى يدى صرد فقال هذا اول طير صام عاشوراء لكن قال الذهبى هو حديث منكر وقال الحاكم حديث باطل ويذكر ان خالد ابن الوليد لما قتل طليحة الكذاب الذى ادعى النبوة فى زمنه صلى الله عليه وسلم وقوى امره بعد موته صلى الله عليه وسلم قال خالد لبعض اصحابه ممن اسلم ما كان يقول لكم طليحة من الوحى فقال كان يقول والحمام واليمام والصرد الصوام ليبلغن ملكنا العراق والشام وقد سمع نبى الله سليمان عليه الصلاة والسلام الصرد يصوت فقال يقول استغفروا الله يا مذنبين * وفى الكشاف ان ذلك صياح الهدهد ولا مانع أن يكون ذلك صياحهما وسمع طاوسا يصوت فقال يقول كما تدين تدان وسمع هدهدا يصوت فقال يقول من لا يرحم لا يرحم ويجمع بينه وبين ما تقدم بانه يجوز ان الهدهد تارة يقول استغفروا الله يا مذنبين وتارة يقول من لا يرحم لا يرحم وسمع خطافا يصوت فقال يقول قدموا خيرا تجدوه وسمع ديكا يصوت فقال يقول اذكروا الله يا غافلين وسمع بلبلا يصوت فقال يقول اذا اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة فقال أنها تقول ليت الخلق لم يخلقوا وسمع رخمة تصوت فقال تقول سبحان ربى الاعلى ملء سمائه وارضه وقال الحدأة تقول كل شئ هالك الا الله والقطاة تقول من سكت سلم والببغا تقول ويل لمن الدنيا همه والنسر يقول يا ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت والعقاب يقول فى البعد عن الناس انس * وعن سيدنا سليمان صلوات الله وسلامه عليه ليس من الطيور انصح لبنى آدم واشفق عليهم من البومة تقول اذا وقفت عند خربة أين الذين كانوا يتنعمون بالدنيا ويسعون فيها ويل لبنى آدم كيف ينامون وأمامهم الشدائد تزودوا يا غافلين وتهيؤا لسفركم * وعن انس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأينا طيرا اعمى يضرب بمنقاره على شجرة فقال النبى صلى الله عليه وسلم اتدرى ما يقول فقلت الله ورسوله اعلم فقال انه يقول اللهم أنت العدل وقد حجبت عنى بصرى وقد جعت فاقبلت جرادة فدخلت فى فيه ثم ضرب بمنقاره الشجرة فقال عليه الصلاة والسلام اتدرى ما يقول قلت لا قال انه يقول من توكل على الله كفاه ويقال لما قال سليمان للهدهد لاعذبنك عذابا شديدا قال له الهدهد اذكر يا نبى الله وقوفك بين يدى الله فلما سمع سليمان صلوات الله وسلامه عليه ذلك ارتعد فرقا وعفا عنه اى فان الهدهد كان

فكان يتراءى له ثلاث سنين ويأتيه بالكلمة والشيء ثم وكل به جبريل فجاءه بالقرآن وبعضهم نازع في هذه الصورة وزاد بعضهم تاسعة وهي العلم الذي يلقيه الله تعالى في قلبه وعلى لسانه عند الاجتهاد في الاحكام لا بواسطة ملك وبذلك فارق النفث في الروع وزاد بعضهم عاشرة وهي مجيء جبريل في صورة رجل غير دحية ٢٠٩ كما في الحديث الذي فيه بيان الاسلام والايمان والاحسان والحق ان هذه داخلة في المرتبة الثانية لان المقصود منها التمثل في صورة رجل وان كان الغالب أن يكون بصورة دحية وهذا لا ينافي انه قد يأتي بصورة غيره كما في الحديث المذكور فانه ذكر فيه انه جاءهم في صورة رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منهم أحد ودحية كان معروفا عندهم وبالغ بعضهم في تعديد انواع الوحي حتى أوصلها الى ستة وأربعين نوعا والتحقيق انها تعود الى ما ذكر وقد روي ان جبريل ظهر له صلى الله عليه وسلم في أول ما أوحي اليه في أحسن صورة وأطيب رائحة وهو بأعلى مكة وفي رواية بجبل حراء فقال يا محمد ان الله يقرئك السلام ويقول لك أنت رسولي الى الجن والانس فادعهم الى قول لا اله الا الله اي ومحمد رسول الله ثم ضرب برجله الارض فنبعت عين ماء فتوضأ منها جبريل ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر اليه ليريه كيفية الطهور للصلاة ثم أمره أن يتوضأ كما رآه يتوضأ ثم قام جبريل يصلي مستقبلا نحو

الكعبة وأمره أن يصلي معه فصلى ركعتين ثم عرج الى السماء ورجع صلى الله عليه وسلم الى أهله فكان لا يمر بحجر ولا مدر ولا شجر الا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله فسار صلى الله عليه وسلم حتى أتى خديجة رضي الله عنها فأخبرها فغشي عليها من الفرح ثم أخذ بيدها وأتى بها الى العين فتوضأ ليريها الوضوء ثم أمرها فتوضأت وصلى بها كما صلى به جبريل عليه السلام

دلالة على الماء فان الهدهد يرى الماء تحت الارض كما يرى الماء في الزجاجة فلما فقد سليمان الماء تفقد الهدهد فلم يجده فأرسل خلفه العقاب فرآه مقبلا من جهة اليمن فلما رآه الهدهد منقضا عليه قال له بحق من أقدرك علي الا ما رحمتني قيل لابن عباس يا سبحان الله الهدهد يرى الماء تحت الارض ولا يرى الفخ فقال اذا وقع القضاء عمي البصر قيل عن سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام العذاب الشديد الذي يعذب به الهدهد التفرقة بينه وبين الفه وقيل الزامه خدمة أقرانه وقيل صحبة الاضداد وقد قيل أضيق السجون معاشرة الاضداد وقيل الزوجة العجوز قال تعالى حكاية عنه علمنا منطق الطير قال بعضهم عبر عن أصواتها بالمنطق لما يتخيل منها من المعاني التي تدرك من النطق فسليمان صلوات الله وسلامه عليه فهم مما سمع من صوت طائر علم بقوته القدسية الغرض الذي أراده ذلك الطائر وهذا في طائر لم يفصح بالعبارة والا فقد يسمع من بعض الطيور الافصاح بالعبارة فنوع من الغربان يفصح بقوله الله حق وعن بعضهم قال شاهدت غرابا يقرأ سورة السجدة واذا وصل الى محل السجود سجد وقال سجد لك سوادي وآمن بك فؤادي والدرة تنطق بالعبارة الفصيحة وقد وقع لي اني دخلت منزلا لبعض اصحابنا وفيه درة لم أرها فاذا هي تقول لي مرحبا بالشيخ البكري وتكرر ذلك فعجبت من فصاحة عبارتها وكان عليه السلام يعرف نطق الحيوان غير الطير فقد جاء ان سليمان عليه الصلاة والسلام سمع النملة وقد احست بصوت جنود سليمان تقول للنمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فعند ذلك أمر سليمان الريح فوقفت حتى دخل النمل مساكنه ثم جاء سليمان الى تلك النملة وقال لها حذرت النمل ظلمي قالت اما سمعت قولي وهم لا يشعرون على اني لم ارد حطم النفوس اي اهلاكها انما اردت حطم القلوب خشية ان يشتغلن بالنظر اليك عن التسبيح اي فيفتتن فقد جاء مرفوعا آجال البهائم كلها وخشاش الارض في التسبيح فاذا انقضى تسبيحها قبض الله أرواحها وروي ما من صيد يصاد ولا شجرة تقطع الا بغفلتها عن ذكر الله تعالى وفي الحديث الثوب يسبح فاذا اتسخ انقطع تسبيحه وفي رواية ان النملة قالت له انما خشيت ان تنظر الى ما انعم الله به عليك فتكفر نعم الله عليها فقال لها عظيني قالت هل تدري لم جعل ملكك في فص خاتمك قال لا قالت اعلمك ان الدنيا لا تساوي قطعة من حجر ومن عجيب صنع الله تعالى ان النملة تغتذي بشم الطعام لانها لا جوف لها يكون به الطعام ويذكر ان هذه النملة التي خاطبت سيدنا سليمان اهدت له نبقة فوضعتها في كفه * ويحكى عنها لطيفة لا نطيل بذكرها وفي فتاوى الجلال

فكانت أول من صلى وفى رواية أنها قالت حين شاهدت ذلك أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله ثم توضأت وصلت فكان ذلك أول فرض الصلاة من حيث هى ركعتان بالغداة وركعتان بالعشى واليها الاشارة بقوله تعالى وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار ثم نسخت بالصلوات الخمس ولا يرد على هذا ان آية الوضوء مدنية لاحتمال ان النبى صلى الله عليه وسلم تعلم الوضوء قبل نزول الآية بتعليم جبريل وعلمه لاصحابه ثم نزلت الآية ببيانه وقال بعضهم ان الوضوء فرض مع الصلوات الخمس قبل الهجرة بسنة وانه قبل ذلك كان مطلوبا على وجه السنة والندب ونزلت الآية ببيانه بالمدينة وبهذا يحصل الجمع بين الاقوال *(ذكر أول من آمن بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم)* قال فى المواهب اللدنية أول من آمن بالله وصدق برسوله صلى الله عليه وسلم صديقة النساء خديجة رضى الله عنها فقامت باعباء الصديقية وكانت تقول للنبى صلى الله عليه وسلم أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا واستدلت على ذلك بما فيه من الصفات الجيدة كقرى الضيف وحمل الكل وعرفت أن من كان كذلك لا يخزى أبدا وهو من بديع علمها رضى الله عنها قال ابن اسحق وآزرته صلى الله عليه وسلم على أمره فخفف الله بذلك عنه فكان لا يسمع شيأ يكرهه من رد وتكذيب الا فرج الله عنه بها اذا رجع اليها تثبته وتخفف عنه وتصدقه وتهون عليه أمر الناس ولهذا السبق وحسن المعروف جزاها الله سبحانه فبعث جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو بغار حراء وقال له اقرأ عليها السلام من ربها ومنى وبشرها ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب فقالت هو السلام ومنه السلام وعلى جبريل السلام وعليك يا رسول الله السلام ورحمة الله وبركاته وهذا من وفور فقهها رضى الله عنها حيث جعلت مكان رد السلام على الله الثناء عليه

السيوطى قال الثعالبى فى زهرة الرياض لما تولى سليمان عليه الصلاة والسلام الملك جاءه جميع الحيوانات يهنؤنه الا نملة واحدة فجاءت تعزيه فعاتبها النمل فى ذلك فقالت كيف اهنيه وقد علمت ان الله تعالى اذا احب عبدا زوى عنه الدنيا وحبب اليه الآخرة وقد شغل سليمان بأمر لا يدرى ما عاقبته فهو بالتعزية أولى من التهنئة وجاء فى بعض الايام شراب من الجنة فقيل له ان شربته لم تمت فشاور جنده فكل اشار بشربه الا القنفذ فانه قال له لا تشربه فان الموت فى عز خير من البقاء فى سجن الدنيا قال صدقت فاراق الشراب فى البحر قال وصار ابراهيم واسمعيل صلوات الله وسلامه عليهما يتبعان الصرد حتى وصلا الى محل البيت صارت السكينة سحابة وقالت يا ابراهيم خذ قدر ظلى فابن عليه اى وفى لفظ لما أمر ابراهيم ببناء البيت ضاق به ذرعا فأرسل اليه السكينة وهى ريح خجوج ملتوية فى هبوبها الهار أس الحديث فحفر ابراهيم واسمعيل عليهما الصلاة والسلام فأبرز اى الحفر عن اس ثابت فى الارض فبنى ابراهيم واسمعيل يناول الحجارة اى التى تأتى بها الملائكة كما سيأتى حتى ارتفع البناء اه (أقول) يحتمل ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما أوحى الله اليه بذلك كان فى مكة عند اسمعيل وانهما كانا بمحل بعيد عن محل البيت ويحتمل انهما كانا بغيرها ثم جاء وقد قيل فى قوله تعالى ان ابراهيم كان أمة قانتا لله الآية اى قائما مقام الامة لانفراده بعبادة الله تعالى فى أرضه لانه لم يكن على وجه الارض من يعبد الله سواه والله أعلم قال ثم لما ارتفع البناء جاء بالمقام اى وهو الحجر المعروف فقام عليه وهو يبنى وهما يقولان ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم وصار كلما ارتفع البناء ارتفع به المقام فى الهواء فاثر قدم ابراهيم فى ذلك الحجر وقيل انما اثر فى صخرة اعتمد عليها وهو قائم حين غسلت زوجة اسمعيل له رأسه لان سارة كانت أخذت عليه عهدا حين استأذنها فى الذهاب الى مكة لينظر كيف حال اسمعيل وهاجر حلفها انه لا ينزل عن دابته اى التى هى البراق ولا يزيد على السلام واستطلاع الحال غيرة من سارة عليه من هاجر فحين اعتمد على الصخرة التى الله تعالى فيها اثر قدمه آية وفيه كيف يعتمد بقدمه على الصخرة وهو راكب دابته الا ان يقال لما مال بشقه اعتمد عليها باحدى رجليه مع ركوبه وهذا يدل على ان الموجود فى المقام أثر قدمه لا قدميه ووقوفه عليه فى حال البناء يدل على ان الموجود فيه أثر قدميه فلينظر وجعل ارتفاع البيت تسعة أذرع قيل وعرضه ثلاثين ذراعا قال بعضهم وهو خلاف المعروف ولم يجعل له سقفا ولا بناه بمدر وانما رصه رصا وجعل له بابا اى منفذا لاصقا بالارض غير مرتفع عنها ولم

ولم ينصب عليه باباً اى يقفل وانما جعله تبع الحميرى بعد ذلك وحفر له بئراً داخله عند بابه اى على يمين الداخل منه يلقى فيها ما يهدى اليه وكان يقال لها خزانة الكعبة كما تقدم ولما اراد أن يجعل حجراً يجعله علماً للناس اى يبتدؤن الطواف منه ويختمون به ذهب اسمعيل عليه الصلاة والسلام الى الوادى يطلب حجراً فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام بالحجر الاسود يتلألأ نوراً أى فكان نوره يضئ الى منتهى أبواب الحرم من كل ناحية وفى الكشاف انه أسود لما مسته الحيض فى الجاهلية وتقدم انه اسود من مسح آدم به دموعه وجاء ان خطايا بنى آدم سودته وأما شدة سواده فبسبب اصابة الحريق له اولاً فى زمن قريش وثانياً فى زمن عبد الله بن الزبير وقد كان رفع الى السماء حين غرقت الارض زمن نوح بناء على انه كان موجوداً فى تلك الخيمة كما تقدم وفى رواية أن ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما قال لاسمعيل يا بنى اطلب لى حجراً حسناً أضعه ههنا قال يا أبتى انى كسلان لغب اى تعب قال على بذلك فانطلق يأتيه بحجر فجاءه جبريل بالحجر من الهند وهو الحجر الذى خرج به آدم من الجنة اى كما تقدم فوضعه ابراهيم موضعه وقيل وضعه جبريل وبنى عليه ابراهيم وجاء اسمعيل بحجر من الوادى فوجد ابراهيم قد وضع ذلك الحجر اى أو بنى عليه فقال من أين هذا الحجر من جاءك به قال ابراهيم عليه الصلاة والسلام من لا يكلنى اليك ولا الى حجرك اى وفى لفظ جاءنى به من هو أنشط منك وفى لفظ ان اسمعيل جاء بحجر من الجبل قال غير هذا فرده مراراً لا يرضى ما يأتيه به وجاء ان الله تعالى استودع الحجر أبا قبيس حين أغرق الله الارض زمن نوح عليه الصلاة والسلام وقال اذا رأيت خليلى يبنى بيتى فأخرجه له اى فلما انتهى ابراهيم عليه الصلاة والسلام لمحل الحجر نادى أبو قبيس ابراهيم فقال يا ابراهيم هذا الركن فجاء فحفر عنه فجعله فى البيت وقيل تمخض أبو قبيس فانشق عنه (أقول) وفى لفظ قال يا ابراهيم يا خليل الرحمن ان لك عندى وديعة فخذها فاذا هو بحجر أبيض من يواقيت الجنة ومن ثم كان أبو قبيس يسمى فى الجاهلية الامين لحفظه ما استودع ويسمى ابا قبيس باسم رجل من جرهم اسمه قبيس هلك فيه وقيل باسم رجل من مذحج بنى فيه يقال له ابو قبيس وقيل لانه اقتبس منه الحجر الاسود فسمى بذلك ويحتاج الى الجمع بين ما ذكر على تقدير صحته وما ذكر فى ترجمة الياس أحد أجداده صلى الله عليه وسلم انه أول من وضع الركن اى الحجر الاسود حين غرق البيت وانهدم زمن نوح فكان أول من سقط عليه اى أول من علم به فوضعه فى زاوية البيت فليتأمل ذلك والله أعلم اى وعن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه قال عند المقام أشهد بالله يكررها السمعت

ثم غايرت بين ما يليق به وما يليق بغيره قال ابن هشام والقصب هنا اللؤلؤ المجوف وأبدى السهيلى لنفى النصب لطيفة هى انه صلى الله عليه وسلم لما دعاها الى الايمان أجابت طوعاً ولم تحوجه لرفع صوت ولا منازعة ولا نصب بل أزالت عنه كل نصب وآنسته من كل وحشة وهونت عليه كل عسير فناسب أن تكون منزلتها التى بشرها بها ربها بالصفة المقابلة لفعلها وصورة حالها رضى الله عنها واقراء السلام من ربها خصوصية لم تكن لسواها وتميزت أيضاً بانها لم تسؤه صلى الله عليه وسلم ولم تغاضبه قط وقد جازاها فلم يتزوج عليها مدة حياتها وبلغت منه ما لم تبلغه امرأة قط من زوجاته وولدت له صلى الله عليه وسلم من الذكور القاسم وعبد الله ويلقب بالطاهر والطيب ومن الاناث زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة رضى الله عنها وعنهن *(وأول ذكر آمن بعدها صديق الامة وأسبقها الى الاسلام أبو بكر رضى الله عنه) وكان رضى الله عنه صديقاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وكان يكثر غشيانه فى منزله ومحادثته وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال كنت أنا وأبو بكر على هذا الامر كفرسى رهان فسبقته فتبعنى ولو سبقنى لتبعته ففيه اشارة الى أن كلا منهما مجبول على التوحيد ولهذا لما بعث صلى الله عليه وسلم كان أشد الناس تصديقاً له أبو بكر رضى الله عنه روى الطبرانى برجال ثقات أن علياً رضى الله عنه كان يحلف بالله أن الله أنزل اسم أبى بكر من السماء الصديق وكان اسمه قبل الاسلام عبد الكعبة فغيره النبى صلى الله عليه وسلم الى عبد الله وقيل كان اسمه عبد الله وغلب عليه عتيق وقيل ان أمه استقبلت به البيت وقالت اللهم هذا عتيقك من الموت لانه كان لا يعيش لها ولد وقيل سمى عتيقاً لان النبى صلى الله عليه وسلم بشره بأن الله أعتقه من النار وقيل لانه ليس فى نسبه ما يعاب به وقيل لقدمه فى الخير وسبقه الى الاسلام وكنى بأبى بكر

لاية كاره الخصال الحميدة قال الزرقانى ولم أقف على من كناه به هل هو المصطفى صلى الله عليه وسلم أو غيره فلما أسلم آزر النبى صلى الله عليه وسلم فى نصر دين الله تعالى بنفسه وماله وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان أبا بكر رضى الله عنه أول الناس اسلاما واستشهد بقول حسان رضى الله عنه ٢١٢ اذا تذكرت شجوا من أخى ثقة * فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

خير البرية أتقاها وأعدلها
بعد النبى وأوفاها بما حملا
والثانى التالى المحمود مشهده
وأول الناس قدما صدق الرسلا

وقوله والثانى التالى اى الثانى للنبى صلى الله عليه وسلم فى الغار ففيه تلميح الى قوله تعالى ثانى اثنين اذ هما فى الغار وقوله التالى اى التابع له صلى الله عليه وسلم باذلا نفسه مفارقا أهله ورياسته فى طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وملازمته ومعاديا للناس فيه جاعلا نفسه وقاية عنه وغير ذلك من سيره الحميدة التى لا تحصى بحيث قال صلى الله عليه وسلم ان من أمن الناس على فى صحبته وماله أبا بكر وقال ما أحد أعظم عندى يدا من أبى بكر واسانى بنفسه وماله وقال ان أعظم الناس علينا منا أبو بكر زوجنى ابنته وواسانى بماله قال الشعبى عاتب الله أهل الارض جميعا فى هذه الآية اى آية الا تنصروه غير أبى بكر وقد جوزى بصحبة الغار الصحبة على الحوض كما فى حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال قال النبى صلى الله عليه وسلم لابى بكر أنت صاحبى على الحوض وصاحبى فى الغار فانعم الجزاء وقوله المحمود مشهده اى الممدوح مكان حضوره من الناس لانه كان رجلا مؤلفا لقومه محببا سهلا وكان أنسب قريش لقريش وأعلمهم بها وبما كان فيها من خير وشر وكان تاجرا وفى السيرة الحلبية كان أبو بكر رضى الله عنه صدرا معظما فى قريش على سعة من المال وكرم الاخلاق * وكان من رؤساء قريش ومحط مشورتهم وكان

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولولا أن نورهما طمس لاضاء ما بين المشرق والمغرب اى من نورهما ولعل طمس نور الحجر كان سببه ما تقدم فلا مخالفة وجاء انهما يقفان يوم القيامة وهما فى العظم مثل ابى قبيس يشهدان لمن وافاهما بالوفاء وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ولولا ما مسهما من أهل الشرك ما مسهما ذو عاهة الا شفاه الله تعالى وعن جعفر الصادق رضى الله تعالى عنه لما خلق الله الخلق قال لبنى آدم ألست بربكم قالوا بلى فكتب القلم اقرارهم ثم ألقم ذلك الكتاب الحجر فهذا الاستلام له انما هو بيعة على اقرارهم الذى كانوا أقروا به قال رضى الله تعالى عنه وكان أبى على يقول اذا استلم الحجر اللهم أمانتى أديتها وميثاقى وفيت به ليشهد لى عندك بالوفاء وفى كلام السهيلى ان العهد الذى أخذه الله تعالى على ذرية آدم حين مسح ظهره أن لا يشركوا به شيأ كتبه فى صك وألقمه الحجر الاسود ولذلك يقول المستلم اللهم ايمانا بك ووفاء بعهدك وقد جاء الحجر الاسود يمين الله فى الارض قال الامام ابن فورك وكان ذلك سببا لاشتغالى بعلم الكلام فانى لما سمعت ذلك سألت فقيها كنت اختلف اليه عن معناه فلم يحر جوابا فقيل لى سل عن ذلك فلانا من المتكلمين فسألته فأجاب بجواب شاف فقلت لا بد لى من معرفة هذا العلم فاشتغلت به وهذا الذى قاله السهيلى يروى عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فعن سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه أنه لما دخل المطاف قام عند الحجر وقال والله انى لاعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك ما قبلتك فقال له على رضى الله تعالى عنه بلى يا أمير المؤمنين هو يضر وينفع قال ولم قلت ذلك بكتاب الله قال وأين ذلك من كتاب الله قلت قال الله تعالى واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم الآية وكتب ذلك فى رق وكان هذا الحجر له عينان ولسان فقال له افتح فاك فألقمه ذلك الرق وجعله فى هذا الموضع فقال تشهد لمن وافاك بالموافاة يوم القيامة فقال عمر رضى الله تعالى عنه أعوذ بالله أن أعيش فى قوم لست فيهم يا أبا الحسن وعن قتادة قال ذكر لنا أن ابراهيم عليه الصلاة والسلام بنى البيت من خمسة أجبل من طور سينا وطور زيتا ولبنان والجودى وحراء وذكر لنا أن قواعده من حراء التى وضعها آدم مع الملائكة (اقول) تقدم أن تلك القواعد كانت من جبل لبنان ومن طور سيناء ومن طور زيتا ومن الجودى ومن حراء الا أن يقال يجوز أن يكون معظم ذلك كان من حراء فليتأمل وذكر بعضهم انه كان له ركنان وهما اليمانيان اى لم يجعل له ابراهيم عليه

الصلاة والسلام الا الركنين المذكورين فجعلت له قريش حين بنته أربعة أركان وذكر الحافظ ابن حجر أن ذا القرنين الاول وهو المذكور في القرآن في قصة موسى عليه الصلاة والسلام وهو اسكندر الرومي قدم مكة فوجد ابراهيم واسمعيل عليهما الصلاة والسلام يبنيان الكعبة فاستفهمهما عن ذلك فقالا نحن عبدان مأموران فقال لهما من يشهد لكما فقامت خمسة أكبش شهدت أي قالت نشهد أن ابراهيم واسمعيل عبدان مأموران بالبناء فقال رضيت وسلمت وقال لهما صدقتما وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لما كان ابراهيم عليه الصلاة والسلام بمكة وأقبل ذو القرنين عليها فلما كان بالابطح قيل له في هذه البلدة ابراهيم خليل الرحمن فقال ذو القرنين ما ينبغي لي أن أركب في بلدة فيها ابراهيم خليل الرحمن فنزل ذو القرنين ومشى الى ابراهيم عليه الصلاة والسلام فسلم عليه ابراهيم واعتنقه فكان هو أول من عانق عند السلام قال الفاكهي وأظن أن الاكبش المذكورة أي التي شهدت أحجارا ويحتمل أن تكون غنما ووصف ذي القرنين بالاكبر احتراز من ذي القرنين الاصغر وهو الاسكندر اليوناني فانه كان قريبا من زمن عيسى عليه الصلاة والسلام وبين عيسى وابراهيم عليهما الصلاة والسلام أكثر من ألفي سنة وكان كافرا والله أعلم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لما فرغ ابراهيم صلى الله عليه وسلم من بناء البيت قال يارب قد فرغت قال أذن في الناس بالحج قال اي رب ومن يبلغ صوتي قال الله جل ثناؤه أذن وعلي البلاغ قال اي رب كيف أقول قال قل يا أيها الناس كتب عليكم الحج الى البيت العتيق فأجيبوا ربكم عز وجل فوقف على المقام وارتفع به حتى كان أطول الجبال فنادى وأدخل أصبعيه في اذنيه وأقبل بوجهه شرقا وغربا ينادي بذلك ثلاث مرات أي وزويت الارض له يومئذ سهلها وجبلها وبحرها وبرها وانسها وجنها حتى أسمعهم جميعا فقالوا لبيك اللهم لبيك وبدأ بشق اليمن وحينئذ يكون أول من أجاب أهل اليمن وسيأتي التصريح بذلك في بعض الروايات وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان أهل اليمن أكثر اجابة ومن ثم جاء في الحديث الايمان يمان وقال صلى الله عليه وسلم في حق أهل اليمن يريد أقوام أن يضعوهم ويأبى الله الا أن يرفعهم وروى الطبراني باسناده عن علي رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب أهل اليمن فقد أحبني ومن أبغضهم فقد أبغضني ومما يؤثر عن ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه من علم أن كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه وقد ذكر في تفسير قوله تعالى فيه آيات بينات مقام ابراهيم هو نداء ابراهيم على المقام بما ذكر وقيل له

من أعف الناس رئيسا مكرما سخيا يبذل المال محببا في قومه حسن المجالسة وكان أعلم الناس بتعبير الرؤيا وبعلم الانساب وكذا عقيل بن أبي طالب الا أن أبا بكر كان يعلم خيرهم وشرهم ولا يعدد مساويهم فلذا كان محببا اليهم بخلاف عقيل فانه كان يعدد مساويهم وكان أبو بكر رضي الله عنه ذا خلق حسن ومعروف وكان رجال من قومه يأتونه ويألفونه لعلمه وتجارته وحسن مجالسته فلما أسلم وتبع النبي صلى الله عليه وسلم وآزره وشد عضده جعل يدعو الى الاسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس اليه فأسلم بدعائه فضلاء الصحابة رضي الله عنه وعنهم وسيأتي ذكر بعض من أسلم بدعائه وكان رضي الله عنه يتوقع ظهور نبوة النبي صلى الله عليه وسلم لما سمعه من ورقة ومن غيره من الاحبار والرهبان والكهان حتى انه أول من بادر الى التصديق به صلى الله عليه وسلم يروى ان أبا بكر رضي الله عنه كان يوما عند حكيم بن حزام اذ جاءت مولاة لحكيم فقالت ان عمتك خديجة تزعم في هذا اليوم أن زوجها نبي مرسل مثل موسى عليه السلام فانسل أبو بكر حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن خبره فقص عليه قصته المتضمنة لمجيء الوحي له وأخبره بأن الله أرسله فقال صدقت بأبي وأمي أنت وأهل الصدق أنت أنا أشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فسماه يومئذ الصديق بوحي من الله ولما سمعت خديجة رضي الله عنها مقالة أبي بكر رضي الله عنه خرجت وعليها خمار أحمر فقالت الحمد لله الذي هداك يا ابن أبي قحافة وقد جاء في تفسير قوله تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به أن الذي جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي صدق به أبو بكر رضي الله عنه قال ابن اسحق بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما دعوت أحدا الى الاسلام الا كانت عنده كبوة ونظر وتردد الا ما كان من أبي بكر رضي الله عنه ما عكم عنه حين

ذكرته اى انه بادر به قال السهيلي وكان من أسباب توفيق الله له وانه رأى القمر نزل مكة ثم تفرق على جميع منازلها وبيوتها فدخل في كل بيت منه شعبة ثم كان جميعه في حجره فقصها على بعض الكتابيين فعبرها له بأن النبي المنتظر الذى قد أظل زمانه تتبعه وتكون أسعد الناس به فلما دعاه صلى الله عليه وسلم الى الاسلام لم يتوقف وذكر ابن الاثير في أسد الغابة عن ابن مسعود رضي الله عنه ان أبا بكر رضي الله عنه خرج الى اليمن قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم قال فنزلت على شيخ قد قرأ الكتب وعلم من علم الناس كثيرا فقال احسبك حرميا قلت نعم قال واحسبك قرشيا قلت نعم قال واحسبك تيميا قلت نعم قال بقيت لى فيك واحدة قلت وما هى قال تكشف لى عن بطنك قلت لا أفعل أو تخبرنى لم ذاك قال أجد فى العلم الصحيح الصادق أن نبيا يبعث فى الحرم يعاونه على أمره فتى وكهل أما الفتى فخواض غمرات ودفاع معضلات وأما الكهل فأبيض نحيف على بطنه شامة وعلى فخذه الايسر علامة وما عليك أن تريني ما سألتك فقد تكاملت لى فيك الصفة الا ما خفى على قال فكشفت له بطنى فرأى شامة سوداء فوق سرتى فقال أنت هو ورب الكعبة وانى أوصيك بما هو فى أمره قلت وما هو قال اياك والميل عن الهدى وتمسك بالطريق الوسطى وخف الله فيما خولك وأعطاك فقضيت باليمن أربى ثم أتيت الشيخ لاودعه فقال أحامل أنت منى أبياتا الى ذلك النبى قلت نعم فذكر أبياتا فقدمت مكة وقد بعث صلى الله عليه وسلم فجاءنى صناديد قريش فقلت نابكم أو ظهر فيكم أمر قالوا أعظم الخطب يتيم ابى طالب يزعم انه نبى ولولا أنت ما انتظرنا به والكفاية فيك فصرفتهم على أحسن شئ وذهبت الى النبى صلى الله عليه وسلم فقرعت عليه الباب فخرج الى فقلت يا محمد فقدت منازل أهلك وتركت دين آبائك فقال انى رسول الله

البيت العتيق لانه أعتق من الجبابرة لم يدعه اى بحيث ينسب اليه جبار من الجبابرة الذين كانوا بمكة مع العمالقة وجرهم وقال القاضى تبعا للكشاف لانه أعتق من تسلط الجبابرة فكم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله تعالى قال وأما الحجاج فانما كان قصده اخراج ابن الزبير منه لما تحصن به دون التسلط عليه كذا قال قال بعضهم وعن عبد الله بن عمر بن انه قال انما سميت بكة اى بالموحدة لانها كانت تبك اعناق الجبابرة ولينظر من قصد ليهدمه من الجبابرة غير ابرهة ثم رأيت فى المشرف أن ثلاثة غيره قصدوا هدمه اثنان قاتلهما خزاعة ومنعتهما والثالث كان فى أول زمان قريش أراد هدمه حسدا على شرف الذكر لقريش به وأن يبنى عنده بيتا يصرف حجاج العرب اليه فلما قارب مكة أظلمت الارض وأيقن بالهلاك فأقلع عن تلك النية ونوى أن يكسو البيت وينحر عنده فانجلت الظلمة ففعل ذلك وفيه أن هذا الذى حصلت له الظلمة انما هو تبع الاول فانه لما عمد الى البيت يريد تخريبه أرسلت عليه ريح كتعت منه يديه ورجليه وأصابته وقومه ظلمة شديدة وفى رواية أصابه داء تمخض منه رأسه قيحا وصديدا اى يثج ثجا حتى لا يستطيع أحد أن يدنو منه فدعا بالاطباء فسألهم عن دائه فهالهم ما رأوا منه ولم يجد عندهم فرجا فعند ذلك قال له الحبر لعلك هممت بشئ فى حق هذا البيت فقال نعم أردت هدمه فقال له تب الى الله عما نويت فانه بيت الله وحرمه وأمره بتعظيم حرمته ففعل فبرأ من دائه وقيل لانه أول بيت وضع فى الارض وقيل لانه أعتق من الغرق بسبب الطوفان فى زمن نوح عليه الصلاة والسلام كذا فى الكشاف وغيره وفيه نظر ظاهر لما تقدم من دثوره بالطوفان ولما ذكر فى قصة نوح انه لما بعث الحمامة من السفينة لتأتيه بخبر الارض فوقعت بوادى الحرم فاذا الماء قد نضب من موضع الكعبة وكانت طينتها حمراء فاختضبت رجلاها الا أن يقال ان معنى أعتق انه لم يذهب بالمرة بل بقى أثره وفى الخميس عن ابن هشام أن ماء الطوفان لم يصل للكعبة ولكن قام حولها وبقيت هى فى هواء السماء اى بناء على أن الكعبة هى الخيمة التى كانت على زمن آدم عليه الصلاة والسلام وتقدم عن الكشاف انها رفعت الى السماء الرابعة وانها البيت المعمور وهذا كما علمت يدل على أن المراد بالكعبة الخيمة التى كانت لآدم وقوله قام حولها يريد انه لم يصل محل تلك الخيمة ولعله لا ينافيه ما تقدم فى قصة نوح فليتأمل وفى رواية ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام نادى يا أيها الناس ان الله كتب عليكم الحج وفى لفظ ان ربكم قد اتخذ بيتا وطلب منكم أن تحجوه فأجيبوا ربكم كرر ذلك ثلاث مرات فاسمع من فى أصلاب الرجال

البلد والى الناس كلهم فآمن بالله قلت ومادليلك قال الشيخ الذى لقيته باليمن قلت وكم لقيت من شيخ باليمن قال الذى أفادك الأبيات قلت ومن أخبرك بهذا يا حبيبى قال الملك المعظم الذى يأتى الانبياء قبلى قلت مد يدك فأنا أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله صلى الله عليك وسلم فانصرفت وقد سر رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامى وفى رواية فانصرفت ومابين لابتيها أشد سرورا منى باسلامى ولا أشد سرورا باسلامى من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الزرقانى يمكن الجمع بينه وبين ما تقدم من انه بلغه أمر النبى صلى الله عليه وسلم عند اجتماعه بحكيم بن حزام بأن سفره لليمن قبل البعثة كما صرح به ورجوعه بعد اسلام خديجة وتحقق الامر عندها فاتى صناديد قريش عند وصوله ثم اجتمع بحكيم بن حزام وسمع الخبر عنده من الجارية فأتى النبى صلى الله عليه وسلم وأظهر اسلامه بين يديه ولما أسلم أظهر اسلامه للناس ودعا الى الله ورسوله وفى السيرة الحلبية ان أبا بكر رضى الله عنه لم يسجد لصنم قط وكان نقش خاتمه رضى الله عنه نعم القادر الله وخاتم عمر كفى بالموت واعظا يا عمر وخاتم عثمان آمنت بالله مخلصا وخاتم على الملك لله وخاتم أبى عبيدة الحمد لله وفى المواهب وشرحها روى عن الحسن أن على بن أبى طالب رضى الله عنه جاءه رجل فقال يا أمير المؤمنين كيف سبق المهاجرون والانصار الى بيعة أبى بكر رضى الله عنه وأنت أسبق سابقة الى الاسلام واورى منه منقبة فقال له على رضى الله عنه ويلك ان ابا بكر رضى الله عنه سبقنى الى أربع لم أوتهن ولم اعتض منهن بشئ سبقنى الى افشاء الاسلام وقدم الهجرة ومصاحبته فى الغار وأقام الصلاة وأنا يومئذ بالشعب يظهر اسلامه وأخفيه تستحقرنى قريش وتستوفيه والله لو أن أبا بكر زال عن مرتبته ما بلغ الدين العبرين اى الجانبين ولكان الناس كرعة ككرعة

وأرحام النساء فأجابه من كان سبق فى علم الله أنه يحج الى يوم القيامة لبيك اللهم لبيك فليس حاج يحج الى أن تقوم الساعة الا من كان أجاب ابراهيم عليه الصلاة والسلام ومن لبى تلبية واحدة حج حجة واحدة ومن لبى مرتين حج حجتين وهكذا وفى لفظ لما نادى ابراهيم عليه الصلاة والسلام فما خلق الله من جبل ولا شجر ولا شئ من المطيعين له الا أجاب لبيك اللهم لبيك (أقول) لا يخفى انه يحتاج الى الجمع بين هذه الروايات فيما نادى به ابراهيم عليه الصلاة والسلام وسيأتى ومعلوم أن اجابة غير العقلاء اجابة اجلال وتعظيم ولعل المراد بالكتب مطلق الطلب لا خصوص الوجوب لانه لم يفرض الحج على هذه الامة الا بعد الهجرة فى السنة السادسة وقيل التاسعة وقيل العاشرة كما سيأتى وما بقية الامم من بعد ابراهيم فلم أقف على وجوب الحج عليها وقد ذكر بعض المتأخرين من أصحابنا أن الصحيح انه لم يجب الحج الا على هذه الامة واستغرب وفى الخصائص الصغرى وافترض عليهم اى على هذه الامة ما افترض على الانبياء والرسل وهو الوضوء والغسل من الجنابة والحج والجهاد وهو يفيد انه كان واجبا على الانبياء والرسل وفيه أن الاصل أن ما وجب فى حق نبى وجب فى حق أمته الا أن يقوم الدليل الصحيح على الخصوصية وقوله وهو الوضوء سيأتى ما فى الوضوء والله أعلم اى ثم أمر بالمقام فوضعه قبله اى ملاصقا بالبيت على يمين الداخل فكان يصلى اليه مستقبل الباب اى جهته وأول من أخره عن ذلك المحل ووضعه موضعه الآن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه اى وقد تقدم ذلك عن ابن كثير (أقول) وقيل ان أول من وضعه موضعه الآن النبى صلى الله عليه وسلم فى فتح مكة وسيأتى الجمع بين هذين القولين ويأتى ما فيه وذكر الطبرى ان محله أولا المنخفض اى الذى تسميه العامة المعجنة اى محل عجن الطين للكعبة وذلك المنخفض هو محل صلاة جبريل به صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس فى اليومين كما سيأتى ونازع فى ذلك العز بن جماعة وقال لو كان ذلك اشتهر عليه بالكتابة فى الحفرة ورد بان ذلك ليس بلازم والناقل ثقة وهو حجة على من لم ينقل وذكر ابن حجر الهيتمى أن فى رواية أخرى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام صعد أبا قبيس وقيل صعد ثبيرا وأذن وان أول من أجابه أهل اليمن اى لما تقدم أنه بدأ بشق اليمن ولا مانع من تعدد ذلك اى وقوفه على تلك الاماكن التى هى المقام وأبو قبيس وثبير ويجوز أن يكون قال فى بعض تلك الاماكن ما لم يقله فى غيره مما تقدم فلا مخالفة بين تلك الروايات فيما نادى به ابراهيم عليه الصلاة والسلام وجاء أنه لما فرغ من دعائه ذهب به جبريل

طالوت ويلك ان الله ذم الناس ومدح أبا بكر فقال الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وقوله سبقنى الى افشاء الاسلام يدل على أسبقية اسلام على رضى الله عنه وان ابابكر رضى الله عنه انما سبقه الى الافشاء والتحقيق ان كلا من ابى بكر وعلى رضى الله عنهما بادر بالتصديق والاسلام وعلى رضى الله عنه كان عند النبى صلى الله عليه وسلم وفى بيته فيحتمل انه أسلم مع اسلام خديجة رضى الله عنها ويحتمل انه قارن اسلامه اسلام أبى بكر رضى الله عنه ومثل ذلك زيد بن حارثة رضى الله عنه فانه كان مولى النبى صلى الله عليه وسلم وكان من السابقين فى الاسلام وكذا بلال رضى الله عنه كان من السابقين فى الاسلام ففى بعض الاحاديث ان أول الناس اسلاما خديجة رضى الله عنها وفى بعضها ابو بكر رضى الله عنه وفى بعضها على رضى الله عنه وفى بعضها زيد بن حارثة رضى الله عنه وفى بعضها بلال رضى الله عنه قال الحافظ ابن الصلاح والاورع أن لا يطلق القول فى تعيين أول المسلمين بل يقال أول من أسلم من الرجال البالغين الاحرار أبو بكر ومن الصبيان على ومن النساء خديجة ومن الموالى زيد بن حارثة ومن العبيد بلال وقال المحب الطبرى الاولى التوفيق بين الروايات كلها وتصديقها فيقال أول من أسلم مطلقا خديجة لم يتقدمها رجل ولا امرأة باجماع المسلمين وأول ذكر أسلم على بن ابى طالب وهو صبى لم يبلغ الحلم كان مستخفيا باسلامه وأول رجل عربى بالغ أسلم وأظهر اسلامه أبو بكر وأول من أسلم من الموالى زيد بن حارثة الكلبى وروى ابن منده عن ابن عباس رضى الله عنهما ان ابابكر رضى الله عنه صحب النبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمانى عشرة سنة وهم يريدون الشام فى تجارة فسمع

الخلافة

فأراه الصفا والمروة وحدود الحرم وأمره ان ينصب عليها الحجارة ففعل وعلمه المناسك اى مع اسمعيل عليهما الصلاة والسلام وفى العرائس خرج جبريل بهما يوم التروية الى منى فصلى بهما الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة ثم باتا بها حتى أصبحا فصلى بهما صلاة الصبح ثم غدا بهما الى عرفة فقام بهما هنالك حتى زالت الشمس جمع بين الصلاتين الظهر والعصر ثم رجع بهما الى الموقف من عرفة فوقف بهما على الموقف الذى يقف عليه الناس الآن فلما غربت الشمس دفع بهما الى مزدلفة فجمع بين الصلاتين المغرب والعشاء الآخرة ثم بات بهما حتى طلع الفجر ثم صلى بهما صلاة الغداة ثم وقف بهما على قزح حتى اذا أسفر أفاض بهما الى منى فأراهما كيف رمى الجمار ثم أمرهما بالذبح وأراهما المنحر من منى وأمرهما بالحلق ثم أفاض بهما الى البيت فليتأمل ذلك فان فيه التصريح بان ابراهيم واسمعيل صليا مع جبريل جماعة الصلوات الخمس وجمعا تقديما بين الظهر والعصر وتأخيرا بين المغرب والعشاء للنسك وهو مخالف لقول أئمتنا لم تجمع الصلوات الخمس الا لنبينا صلى الله عليه وسلم ففى الخصائص الصغرى وخص بمجموع الصلوات الخمس ولم تجتمع لاحد وبالعشاء ولم يصلها أحد وبالجماعة فى الصلاة الا ان يدعى ان المراد الجمع على جهة المداومة على ذلك لجواز أن يكون ابراهيم واسمعيل عليهما الصلاة والسلام لم يداوما على ذلك وفيه ما لا يخفى وفى الوفاء عن وهب قال أوحى الله تعالى الى آدم عليه السلام أنا الله ذو بكة أهلها جيرتى وزوارها وفدى وفى كنفى اعمره بأهل السماء وأهل الارض يأتونه أفواجا شعثا غبرا يعجون بالتكبير عجا ويرجون بالتلبية ترجيجا ويثجون بالبكاء ثجا فمن اعتمره لا يريد غيره فقد زارنى وضافنى ووفد الى ونزل بى وحق لى ان اتحفه بكرامتى اجعل ذلك البيت وذكره وشرفه ومجده وسناءه لنبى من ولدك يقال له ابراهيم ارفع له قواعده واقضى على يديه عمارته وأنيط له سقايته وأريه حله وحرمه واعلمه مشاعره ثم يعمره الامم والقرون حتى ينتهى الى نبى من ولدك يقال له محمد خاتم النبيين واجعله من سكانه وولاته وحجابه وسقاته فمن سأل عنى يومئذ فانا مع الشعث الغبر الموفين بنذورهم المقبلين على ربهم ولما دعا ابراهيم عليه الصلاة والسلام بقوله تعالى وارزقهم من الثمرات اى دعا بذلك وهو على ثنية كداء بالمد فعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام حين قال فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات كان على الثنية العليا ذكره السهيلى وعند ذلك نقل له الطائف من فلسطين من أرض الشام اى وبيركة دعائه عليه الصلاة والسلام يوجد بمكة الفواكه

ابو بكر رضى الله عنه كلام بحيرا الراهب وسؤاله حين قال من هذا الذى تحت الشجرة فأجابوه بأنه محمد بن عبد الله فقال هذا نبى الخ ما تقدم فوقع فى قلب ابى بكر اليقين حينئذ وفى رواية لقد آمن ابو بكر بالنبى صلى الله عليه وسلم زمن بحيرا فالمراد بهذا الايمان اللغوى وهو اليقين بصدقه وهو ما وقر وثبت فى قلبه فلهذا كان يتوقع بعثة النبى صلى الله عليه وسلم فلا ينافى انه أوّل المسلمين او ثانيهم او ثالثهم بعد النبوّة كما تقدم قال الحلبى فى السيرة وبنات النبى صلى الله عليه وسلم كنّ موجودات عند البعثة فيبعد تأخر ايمانهن فهن من أوّل الناس ايمانا بل هن ممن لم يتقدم لهن اشراك فلم يذكرن مع أوّل من آمن اكتفاء بذلك ولايمان أمهن ولذلك قال الحافظ ابن كثير ان اهل بيته صلى الله عليه وسلم آمنوا به قبل كل احد خديجة وبناته او زيد وزوجته وعلى رضى الله عنهم (واما فاطمة) رضى الله عنها فما ولدت الا بعد البعثة فلا يحتاج الى التنبيه عليها وقد روى ابن اسحق عن عائشة رضى الله عنها قالت لما أكرم الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالنبوّة أسلمت خديجة وبناته صلى الله عليه وسلم وكان ابو العاص زوج زينب عظيما فى قريش فكلمته قريش فى فراقها على أن يتزوج من احب نساءهم فأبى ولا يشكل تزويجه بزينب ولا تزويج رقية وأم كلثوم بولدى ابى لهب مع صيانة النبى صلى الله عليه وسلم من قبل البعثة عن الجاهلية لان تحريم المسلمة على الكافر لم يكن حينئذ حتى نزل قوله تعالى ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا وقوله تعالى فلا ترجعوهن الى الكفار بعد صلح الحديبية وقد كفاه الله ولدى ابى لهب فطلقاهما قبل الدخول ثم تزوجهما عثمان رضى الله عنه واحدة بعد واحدة واما ابو العاص فأسلم وهاجر وبقيت زينب رضى الله عنها عنده وعن النبى صلى الله عليه وسلم ما كلمنى أحد الا راجعنى فى الكلام

المختلفة الازمان من الربعية والصيفية والخريفية فى يوم واحد ذكره فى الكشاف ثم لما فرغ اى من بناء البيت وحج وطاف بالبيت لقيته الملائكة فى الطواف فسلموا عليه فقال لهم ما تقولون فى طوافكم قالوا كنا نقول قبل أبيك آدم سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر فأعلمناه بذلك فقال زيدوا ولا حول ولا قوة الا بالله فقال ابراهيم عليه الصلاة والسلام زيدوا فيها العلى العظيم فقالت الملائكة ذلك وكان بناء ابراهيم للبيت بعد ما مضى من عمره مائة سنة ثم بناه العماليق ثم بنته جرهم وقيل عكسه وقد يتوقف فى بناء العماليق له اما فى الاوّل فلان أول من نزل مكة مع هاجر وولدها اسمعيل جرهم وانهم بعد اسمعيل وبعض ولده كانوا ولاة البيت وأما فى الثانى فلان ولاية البيت كانت لخزاعة بعد جرهم كما تقدم وكيف يبنون البيت ولا ولاية لهم عليه الا أن يقال لا مانع ان يكونوا حينئذ أهل ثروة بخلاف جرهم وخزاعة ثم رأيت عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان العماليق كانوا فى عز وكانت لهم أموال كثيرة وان الله سلبهم ذلك لما تظاهروا بالمعاصى وسلط عليهم الذر حتى خرجوا من الحرم وتفرقوا وهلكوا والذر فى النمل كالزنبور فى النحل وفى تاريخ مكة للفاكهى ان العماليق قدموا مكة لما قدم وفد عاد للاستسقاء بالبيت وقيل كانوا بعرفة ولما أخرج الله تعالى زمزم لاسمعيل بواسطة جبريل ففى ربيع الابرار ان جبريل أخرج ماء زمزم مرتين مرة لآدم ومرة لاسمعيل وعند ذلك تحولوا الى مكة قال المقريزى لما علموا بذلك وقيل كانوا بعد جرهم ولا يصح ذلك ثم رأيت المقريزى قال وفى كتاب أخبار مكة للفاكهى ما يدل على تقدم بناء جرهم على بناء العمالقة ولا يصح ذلك لاتفاقهم على ان ولاية العمالقة على مكة كانت قبل ولاية جرهم وعلى انه لم يل مكة بعد جرهم الا خزاعة ولا يخفى ان هذا صريح فى ان العمالقة بنته ولا بد وان بناءهم له كان قبل بناء جرهم له والعماليق من ولد عملاق أو عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام قيل وهو أوّل من كتب بالعربية وقيل من ولد العيص بن اسحق بن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام ثم بناه قصى جده صلى الله عليه وسلم وسقفه بخشب الروم وجريد النخل ثم بنته قريش كما تقدم ثم بناه بعد قريش عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما اى ويكنى ابا خبيب بضم الخاء المعجمة وفتح الباء الموحدة وكنى بأبى خبيب لان خبيبا كان رجلا بالمدينة من الناس طويل الصلاة قليل الكلام اى وعبد الله رضى الله تعالى عنه كان مشابها له فى ذلك فكنى به هذا (وفى كلام ابن الجوزى) انه كان لعبد الله بن الزبير ولد يقال له خبيب حيث قال خبيب بن عبد الله بن الزبير ضربه عمر بن عبد العزيز بأمر الوليد مائة سوط فمات لانه لما حدث عن

النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اذا بلغ بنو ابى العاص أربعين رجلا وفى رواية ثلاثين رجلا وفى رواية اذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلا وفى رواية اذا بلغ بنو أمية أربعين رجلا اتخذوا عباد الله تعالى خولا اى عبيدا ومال الله دولا ودين الله دغلا وفى رواية بدل دين الله كتاب الله قال ابن كثير وهذا الحديث اى ذكر بنى أمية وذكر الاربعين منقطع ولما بلغ الوليد ما ذكر خبيب كتب لابن عمه عمر بن عبد العزيز وهو والى المدينة ان يضرب خبيبا هذا مائة سوط ففعل ثم برد ماء فى جرة وصبه اى فى يوم شات عليه وحبسه فلما اشتد وجعه أخرجه وندم على ما فعل فلما مات وسمع موته سقط الى الارض واسترجع واستعفى من ولاية المدينة فكان عمر بن عبد العزيز اذا قيل له ابشر قال كيف ابشر وخبيب على الطريق اى عائق لى (وفى دلائل النبوة) للبيهقى عن بعضهم قال كنت عند معاوية بن ابى سفيان ومعه ابن عباس على السرير فدخل عليه مروان بن الحكم فكلمه فى حاجته وقال اقض حاجتى يا أمير المؤمنين فوالله ان مؤنتى لعظيمة فانى أبو عشرة وعم عشرة وأخو عشرة فلما ادبر مروان قال معاوية لابن عباس رضى الله تعالى عنهما اشهدك بالله يا ابن عباس اما تعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلا اتخذوا مال الله بينهم دولا وعباد الله تعالى خولا وكتاب الله دغلا فاذا بلغوا تسعة وتسعين وأربعمائة كان هلاكهم أسرع من لوك تمرة فقال ابن عباس اللهم نعم ثم ذكر مروان حاجة فرد مروان ولده عبد الملك الى معاوية فكلمه فيها فلما ادبر عبد الملك قال معاوية أنشدك الله يا ابن عباس أما تعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر هذا فقال أبو الجبابرة الاربعة فقال ابن عباس اللهم نعم فان أربعة من ولده ولوا الخلافة فليتأمل هذا فانه ربما يدل على ان عبد الملك صحابيا الا ان يقال ذكره قبل وجوده فهو من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم وفى كلام ابن كثير هذا الحديث فيه غرابة ونكارة شديدة هذا (وقد رأيت) عن بعض حواشى الكشاف ان اعداء عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما هم الذين كانوا يكنونه بأبى خبيب لان خبيبا كان من أخس أولاده ويرده قول بعضهم يغاب للشرف كالخبيبين خبيب بن عبد الله بن الزبير وأخيه مصعب وذكر ابن الجوزى أيضا فيمن ضرب بالسياط من العلماء سعيد بن المسيب ضربه عبد الملك بن مروان مائة سوط لانه بعث ببيعة الوليد الى المدينة فلم يبايع سعيد فكتب ان يضرب مائة سوط ويصب عليه جرة ماء فى يوم شات ويلبس جبة صوف ففعل به ذلك اى كما فعل بخبيب (ثم رأيت) فى تاريخ الحافظ ابن كثير لما عهد عبد الملك لولده الوليد فى حياته وانتهت البيعة

الى

وابى على الا ابن ابى قحافة فانى لم أكلمه فى شئ الا قبله واستقام عليه ومن ثم كان أسد الصحابة رأيا واكملهم عقلا الخبر أتانى جبريل فقال ان الله امرك أن تستشير ابا بكر ونزل فيه وفى عمر رضى الله عنهما وشاورهم فى الامر فكان ابو بكر رضى الله عنه بمنزلة الوزير من رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يشاوره فى أموره كلها وقد جاء ان الله أيدنى بأربعة وزراء اثنين من اهل السماء جبريل وميكائيل واثنين من اهل الارض ابى بكر وعمر وفى حديث صحيح ان الله يكره ان يخطأ ابو بكر واما ورقة ابن نوفل فقد تقدم الكلام عليه وان بعضهم عده فى الصحابة وجعله اول من أسلم وبعضهم قال انه مات على ما كان عليه من شريعة عيسى عليه السلام وبعضهم جعله من اهل الفترة (واما عمر) بن الخطاب رضى الله عنه فسيأتى ذكر اسلامه فى باب بيان تعذيب قريش للمستضعفين بعد ذكر هجرة الناس الى الحبشة وسيأتى ايضا ان اسلامه انما كان بعد الهجرة الاولى وقيل الثانية فى السنة السادسة من المبعث (وأما عثمان) بن عفان رضى الله عنه فيأتى ذكر اسلامه قريبا فى عداد من أسلم بدعاية ابى بكر رضى الله عنه (واما حمزة) بن عبد المطلب رضى الله عنه فسيأتى ذكر قصة اسلامه عند ذكر ماوقع له صلى الله عليه وسلم من كفار قريش من الاذايا لان بعض تلك الاذايا كان سبب اسلامه رضى الله عنه وسيأتى ايضا ان اسلامه كان فى السنة الثانية من النبوة وقيل فى السادسة

* (ثم اسلم على بن ابى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه) * وتقدم ان بعضهم جعل اسلامه اسبق من اسلام ابى بكر رضى الله عنه وتقدم الجمع بين الاقوال بأنه اول من اسلم من الصبيان وان ابا بكر اول من اسلم من الاحرار البالغين وعن سلمان رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال اول الناس ورودا على الحوض اولها اسلاما على بن ابى طالب رضى الله

عنه ولما زوجه النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة رضي الله عنها قال لها زوجتك سيدا في الدنيا والآخرة وانه لاول اصحابي اسلاما
واكثرهم علما واعظمهم حلما وكان حين اسلم لم يبلغ الحلم كان سنه ثمان سنين وكان عند النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يوحى اليه
يطعمه ويقوم بأمره لان قريشا كان أصابهم قحط شديد وكان ابو طالب ٢١٩ كثير العيال فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لعمه العباس رضي الله
عنه ان أخاك ابا طالب كثير
العيال والناس فيما ترى من
الشدة فانطلق بنا اليه فلنخفف
من عياله تأخذ انت واحدا وانا
واحدا فجاآ اليه وقالا له انا نريد
ان نخفف عنك من عيالك حتى
ينكشف عن الناس ما هم فيه
فقال لهما ابو طالب اذا تركتما لي
عقيلا وطالبا فاصنعا ما شئتما
فأخذ رسول الله صلى الله عليه
وسلم عليا فضمه اليه واخذ العباس
جعفرا فضمه اليه وتركا له عقيلا
وطالبا فلم يزل علي مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقد تولى تسمية
علي النبي صلى الله عليه وسلم
بنفسه وغذاه اياما من ريقه
المبارك يمصه لسانه فعن فاطمة
بنت اسد ام علي رضي الله عنها
انها قالت لما ولدته سماه صلى الله
عليه وسلم عليا وبصق في فيه ثم انه
ألقمه لسانه فما زال يمصه حتى نام
قالت فلما كان من الغد طلبنا له
مرضعة فلم يقبل ثدي احد
فدعونا له محمدا فألقمه لسانه فنام
فكان كذلك ما شاء الله تعالى
وعنها رضي الله عنها انها ارادت
في الجاهلية ان تسجد لهبل وهي
حامل بعلي رضي الله عنه فتقوس في بطنها ومنعها من ذلك وكان علي رضي الله عنه اصغر اخوته فكان بينه وبين اخيه جعفر
عشر سنين وبين جعفر واخيه عقيل كذلك وبين عقيل واخيه طالب كذلك فكل واحد اكبر من الذي بعده بعشر سنين فأكبرهم
طالب ثم عقيل ثم جعفر ثم علي وكلهم اسلموا الا طالبا فانه اختطفته الجن فذهب ولم يعلم اسلامه وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم

الى المدينة امتنع سعيد بن المسيب ان يبايع فضربه نائب المدينة ستين سوطا وألبسه ثيابا
من شعر واركبه جملا وطاف به في المدينة ثم أودع السجن فلما بلغ ذلك عبد الملك أرسل
يعنف والي المدينة على ذلك ويأمره باخراجه من الحبس هذا كلامه (وفي كلام البلاذري)
وكان جابر بن الاسود عاملا لابن الزبير على المدينة وهو الذي ضرب سعيد بن المسيب
ستين سوطا اذ لم يبايع لابن الزبير هذا كلامه الان يقال لا مانع ان يكون سعيد فعل به
الامران لان ولاية ابن الزبير سابقة على ولاية عبد الملك والد الوليد ثم رأيت الحافظ ابن
كثير صرح بذلك حيث ذكر ان سعيد بن المسيب ضرب بالسياط المذكورة وفعل به
ما تقدم لما امتنع من المبايعة لابن الزبير وفعل به ذلك أيضا لما امتنع من البيعة للوليد
وفي طبقات الشيخ عبد الوهاب الشعراني رحمه الله تعالى في ترجمة سعيد بن المسيب
وضربه عبد الملك بن مروان حيث امتنع من مبايعته والبسه المسوح ونهى الناس
عن مجالسته فكان كل من جاس اليه يقول له قم لا تجالسني فانهم قد جلدوني ومنعوا
الناس عن مجالستي هذا كلامه الان يقال المراد امتنع من قبول مبايعة عبد الملك
لولده الوليد فلا مخالفة وانما امتنع سعيد بن المسيب من المبايعة للوليد لانه روى عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه سيكون في هذه الامة رجل يقال له الوليد فهو شر لامتي من
فرعون لقومه وفي رواية هو اضر على أمتي من فرعون على قومه زاد في رواية يسد به
ركن من أركان جهنم وفي لفظ زاوية من زوايا جهنم فكان الناس يرون انه الوليد بن
عبد الملك قال ابن كثير وهو الوليد بن يزيد بن عبد الملك لا الوليد بن عبد الملك الذي هو عمه
وكان سعيد بن المسيب اعبر الناس للرؤيا قال له رجل رأيت كأني ابول في يدي فقال
تحتك ذات محرم فنظر فاذا بينه وبين امرأته رضاعة وأخذ سعيد تعبير الرؤيا عن أسماء
بنت ابي بكر وهي أخذت ذلك عن والدها ابي بكر رضي الله تعالى عنهما وعن سعيد اخذ
ابن سيرين ذلك وعن ابن سيرين كان ابو بكر اعبر هذه الامة بعد النبي صلى الله عليه وسلم
وكان يعبر الرؤيا في زمنه صلى الله عليه وسلم وفي حضرته وعن الزهري رأى رسول الله
صلى الله عليه وسلم رؤيا فقصها على ابي بكر فقال رأيت كأني استبقت انا وانت درجة
فسبقتك بمرقاتين ونصف قال يا رسول الله يقبضك الله الى مغفرة ورحمة واعيش بعدك
سنتين ونصفا فكان كما عبر فقد عاش بعده صلى الله عليه وسلم سنتين وسبعة اشهر وقال له
رأيتني اردفت غنما سودا ثم اردفتها غنما بيضا حتى ما ترى السود فيها فقال ابو بكر يا رسول
الله أما الغنم السود فان العرب يسلمون ويكثرون والغنم البيض الاعاجم يسلمون حتى

قال لعقيل رضي الله عنهما احبك حبين حبا لقرابتك وحبا لما كنت اعلم من حب عمي اياك * (وسبب اسلام علي رضي الله عنه) * انه دخل على النبي صلى الله عليه وسلم ومعه خديجة رضي الله عنها وهما يصليان سرا فقال ماهذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دين الله الذي اصطفاه لنفسه وبعث به رسله فأدعوك الى الله وحده لاشريك له والى عبادته والى الكفر باللات والعزى فقال علي رضي الله عنه هذا امر لم اسمع به قبل اليوم فلست بقاض امرا حتى احدث اباطالب وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفشي عليه سره قبل ان يستعلن امره فقال له يا علي اذا لم تسلم فاكتم هذا فمكث علي ليلته ثم ان الله تبارك وتعالى هداه للاسلام فأصبح غاديا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم على يديه وذلك في اليوم الثاني من صلاته صلى الله عليه وسلم هو وخديجة رضي الله عنها وهو يوم الثلاثا كما في سيرة الدمياطي لان صلاته صلى الله عليه وسلم مع خديجة رضي الله عنها كانت آخر يوم الاثنين وكان علي رضي الله عنه يخفي اسلامه خوفا من ابيه الى ان اطلع عليه وأمره بالثبات عليه فأظهره حينئذ وفي اسد الغابة لابن الاثير ان اباطالب رأى النبي صلى الله عليه وسلم وعليا رضي الله عنه يصليان وعلي على يمينه فقال لجعفر صل جناح ابن عمك فصل على يساره فأسلم جعفر رضي الله عنه وكان اسلامه بعد اسلام اخيه علي رضي الله عنه بقليل وكان اسلام علي رضي الله عنه قبل بلوغه الحلم بل قيل ان عمره حينئذ ثمان سنين وقيل عشر ومما كتبه علي رضي الله عنه لمعاوية رضي الله عنه وهي

محمد النبي أخي وصهري * وحمزة سيد الشهداء عمي
وجعفر الذي يضحي ويمسي * يطير مع الملائكة ابن امي
وبنت محمد سكني وعرسي * مشوب لحمها بدمي ولحمي
وسبطا أحمد ابناي منها * فمن منكم له سهم كسهمي

لاترى العرب فيهم من كثرتهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك عبرها الملك سحيرا (وسبب بناء عبد الله بن الزبير للكعبة) ان يزيد بن معاوية لما وجه الجيش عشرين ألف فارس وسبعة آلاف راجل وأميرهم مسلم بن قتيبة لقتال أهل المدينة لما علم أنهم خرجوا عن طاعته اى واظهروا شتمه واعلنوا بانه ليس له دين لانه اشتهر عنه نكاح المحارم وادمان شرب الخمر وترك الصلاة وانه يلعب بالكلاب اى فقد ذكر بعض ثقات المؤرخين انه كان له قرد يحضره مجالس شرابه و يطرح له وسادة ويسقيه فضلة كاسه واتخذ له اتانا وحشية قد ريضت له وصنع لها سرجا من ذهب يركب عليها ويسابق بها الخيل في بعض الايام وكان يلبس عليه قباء وقلنسوة من الحرير الاحمر وقد استفتي إلكيا الهراسي من اكابر أئمتنا معاشر الشافعية كان من رؤس تلامذة امام الحرمين نظير الغزالي عن يزيد هذا هل هو من الصحابة وهل يجوز لعنه فأجاب بانه ليس من الصحابة لانه ولد في ايام عمر بن الخطاب وللامام أحمد قولان اى في لعنه تلويح وتصريح وكذلك الامام مالك وكذا ابي حنيفة ولنا قول واحد التصريح دون التلويح وكيف لايكون كذلك وهو اللاعب بالنرد والمتصيد بالفهود ومدمن الخمر وشعره في الخمر معلوم هذا كلامه وسئل الغزالي هل من صرح بلعن يزيد يكون فاسقا وهل يجوز الترحم عليه فأجاب بان من لعنه يكون فاسقا عاصيا لانه لايجوز لعن المسلم ولايجوز لعن البهائم فقد ورد النهي عن ذلك وحرمة المسلم اعظم من حرمة الكعبة بنص النبي صلى الله عليه وسلم ويزيد صح اسلامه وماصح أمره بقتل الحسين ولا رضاه بقتله ومالم يصح منه ذلك لايجوز ان يظن به ذلك فان اساءة الظن بالمسلم حرام واذا لم يعرف حقيقة الامر وجب احسان الظن به ومع هذا فالقتل ليس بكفر بل هو معصية وأما الترحم عليه فهو جائز بل هو مستحب لانه داخل في المؤمنين في قولنا في كل صلاة اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات هذا كلامه وكان على ماافتى به إلكيا الهراسي من جواز التصريح بلعنه استاذنا الاعظم الشيخ محمد البكري تبعا لوالده الاستاذ الشيخ ابي الحسن وقد رأيت في كلام بعض اتباع استاذنا المذكور في حق يزيد مالفظه زاده الله خزيا وضعه وفي اسفل سجين وضعه (وفي كلام ابن الجوزي) اجاز العلماء الورعون لعنه وصنف في اباحة لعنه مصنفا وقال السعد التفتازاني انى لاشك في اسلامه بل في ايمانه فلعنة الله عليه وعلى انصاره واعوانه وعلى هذا يكون مستثنى من عدم جواز لعن الكافر المعين بالشخص ولما خلعوا اى اهل المدينة بيعة يزيد وولوا عليهم عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة واخرجوا والي يزيد من المدينة وهو مروان بن الحكم

سبقتكمو الى الاسلام طرا * صغيرا ما بلغت اوان حلمى قال البيهقى هذا الشعر مما يجب على كل متوان فى على رضى الله عنه حفظه ليعلم مفاخره فى الاسلام وزعم المازنى وصوبه الزمخشرى ان عليا رضى الله عنه لم يقل غير بيتين هما

تلكم قريش تمنانى لتقتلنى * فلا وربك ما برّوا ولا ظفروا ٢٢١ فان هلكت فرهن ذمتى لهم * بذات ودقين لا يعفو لها اثر

ذكره فى القاموس قال الزرقانى وهو مردود بما فى مسلم فى غزوة خيبر من قول على رضى الله عنه مجيبا لمرحب اليهود

انا الذى سمتنى امى حيدره
كليث غابات كريه المنظره
اوفيهم بالصاع كيل السندره

وروى الزبير بن بكار فى عمارة المسجد النبوى عن ام سلمة رضى الله عنها انها قالت قال على رضى الله عنه

لا يستوى من يعمر المساجدا
يدأب فيها قائما وقاعدا
ومن يرى عن التراب حائدا

ولم يتقدم من على رضى الله عنه شرك ابدا لانه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كفالته كأحد اولاده تبعه فى جميع اموره وفى الحديث ثلاثة ما كفروا بالله قط مؤمن آل يس وعلى بن ابى طالب وآسية امرأة فرعون وفى حديث آخر سباق الاسلام ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين حزقيل مؤمن آل فرعون وحبيب النجار صاحب يس وعلى بن ابى طالب رضى الله عنهم والمراد من عدم كفره انه لم يسجد لصنم قط وتقدم ان ابا بكر رضى الله عنه كذلك ولما علم ابو طالب باسلام على رضى الله عنه وصلاته مع النبى صلى الله عليه وسلم قال لعلى رضى الله عنه اى بنى ما هذا الذى انت عليه فقال يا ابت آمنت بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم وصدقت ما جاء به ودخلت معه واتبعته فقال له اما انه لم يدعك الا الى الخير فالزمه ويذكر عنه انه كان يقول انى لاعلم ان ما يقوله ابن اخى لحق ولولا انى اخاف ان تعيرنى نساء قريش لاتبعته وعن ابن

وبنى أمية حتى قال بعضهم ما خرجنا عليه حتى خفنا ان نرمى بحجارة من السماء فكانت وقعة الحرة المشهورة التى كادت تبيد اهل المدينة عن آخرهم قتل فيها الجم الكثير من الصحابة والتابعين وقيل المقتول فيها من الصحابة ثلاثة منهم عبد الله بن حنظلة ونهبت المدينة وافتض فيها الف عذراء اى ولم تقم الجماعة ولا الاذان فى المسجد النبوى مدة المقاتلة وهى ثلاثة ايام (وفى كلام بعضهم) ووقع من ذلك الجيش الذى وجهه يزيد للمدينة من القتل والفساد العظيم والسبى واباحة المدينة وقتل من الصحابة رضى الله تعالى عنهم ومن التابعين خلق كثيرون وكانت عدة المقتولين من قريش والانصار ثلثمائة وستة رجال ومن قراء القرآن نحو سبعمائة نفس وفى التنوير لابن دحية وقتل من وجوه المهاجرين والانصار ألف وسبعمائة ومن حملة القرآن سبعمائة وجالت الخيل فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وراثت بين القبر الشريف والمنبر واختفت اهل المدينة حتى دخلت الكلاب المسجد وبالت على منبره صلى الله عليه وسلم ولم يرض أمير ذلك الجيش من أهل المدينة الا بان يبايعوا ليزيد على انهم خول اى عبيد له ان شاء باع وان شاء اعتق حتى قال له بعض اهل المدينة البيعة على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فضرب عنقه (وروى) البخارى ان عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما لما ارجف اهل المدينة بزيد دعا بنيه ومواليه وقال لهم انا بايعنا هذا الرجل على بيعة الله وبيعة رسوله وانه والله لا يبلغنى عن أحد منكم انه خلع يدا من طاعته الا كان التفصل بينى وبينه ثم لزم بيته ولزم ابو سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه بيته ايضا فدخل عليه جمع من الجيش بيته فقالوا له من انت ايها الشيخ فقال انا ابو سعيد الخدرى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا قد سمعنا خبرك ولنعم ما فعلت حين كففت يدك ولزمت بيتك ولكن هات المال فقال قد اخذه الذين دخلوا قبلكم على وما عندى شئ فقالوا كذبت ونتفوا لحيته (واما جابر بن عبد الله) رضى الله تعالى عنه فخرج فى يوم من تلك الايام وهو اعمى يمشى فى بعض ازقة المدينة وصار يعثر فى القتلى ويقول تعس من اخاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له قائل من الجيش من اخاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اخاف المدينة فقد اخاف ما بين جنبى فحمل عليه جماعة من الجيش ليقتلوه فاجاره منهم مروان وادخله بيته قال السهيلى وقتل فى ذلك اليوم من وجوه المهاجرين والانصار رضى الله تعالى عنهم ألف وسبعمائة وقتل من اخلاط الناس عشرة آلاف سوى النساء والصبيان فقد ذكر ان امرأة من الانصار

اسحق ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا حضرت الصلاة خرج الى شعاب مكة وخرج معه علي بن ابي طالب رضي الله عنه مستخفيا من قومه فيصليان فيها فاذا امسيا رجع كذلك ثم ان ابا طالب عثر اى اطلع عليهما وهما يصليان فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن اخي ماهذا الذي أراك تدين به قال هذا دين الله وملائكته ورسله ودين ابينا ابراهيم بعثني الله به رسولا الى العباد وانت احق من بذلت له النصيحة ودعوته الى الهدى واحق من اجابني الى الله تعالى واعانني عليه فقال له ابو طالب اني لا أستطيع ان افارق دين آبائي وما كانوا عليه وفي رواية انه قال له ما بالذي تقول من بأس ولكن والله لا تعلوني استي ابدا وهذا ينبغي ان يكون صدر منه قبل ان يقول لابنه جعفر صل جناح ابن عمك وصل على يساره لما رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي وعليا على يمينه لكن روي عن علي رضي الله عنه انه ضحك يوما وهو على المنبر فسئل عن ذلك فقال تذكرت ابا طالب حين فرضت الصلاة يعني الركعتين بالغداة والركعتين بالعشي ورآني اصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال ماهذا الفعل الذي أرى فلما اخبرناه قال هذا حسن ولكن لا افعله ابدا اني لا احب ان تعلوني استي فلما تذكرته الآن ضحكت وتقدم الكلام على ابي طالب فارجع اليه ان شئت ومناقب علي وفضائله رضي الله عنه افردت بالتأليف كبقية العشرة فلا حاجة الى التطويل *(ثم اسلم بعد اسلام علي رضي الله عنه زيد بن حارثة بن شرحبيل الكلبي مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم)* وهبته له عنها خديجة رضي الله عنها لما تزوج بها وكان اشتراه لها ابن اخيها حكيم بن حزام بن خويلد من سباء من الجاهلية لان عمته خديجة رضي الله عنها امرته ان يبتاع لها غلاما ظريفا عربيا فلما قدم سوق عكاظ وجد زيدا يباع وعمره ثمان سنين وقد اسر من اخواله

دخل عليها رجل من الجيش وهي ترضع صبيها وقد اخذوا ما وجدوه عندها ثم قال لها هات الذهب والا قتلتك وقتلت ولدك فقالت له ويحك ان قتلته فابوه ابو كبشة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا من النسوة اللاتي بايعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ الصبي من حجرها وثديها في فمه وضرب به الحائط حتى انتثر دماغه في الارض فاخرج من البيت حتى اسود نصف وجهه وصار مثلة في الناس قال السهيلي وصاحب هذه المرأة جدة للصبي لا امه اذ يبعد في العادة ان تبايع امرأة وتكون يوم الحرة في سن من ترضع اى ولدا صغيرا لها ووقعة الحرة هذه من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم ففي الحديث انه صلى الله عليه وسلم وقف بهذه الحرة وقال ليقتلن بهذا المكان رجال هم خيار أمتي بعد أصحابي (وعن عبد الله بن سلام) رضي الله تعالى عنه انه قال لقد وجدت قصة هذه الوقعة في كتاب يهوذ ابن يعقوب الذي لم يدخله تبديل وانه يقتل فيها رجال صالحون يجيئون يوم القيامة وسلاحهم على عواتقهم وهذه الوقعة كانت سنة ثلاث وستين ويقال كان يزيد أعذر أهل المدينة قبل هذه الواقعة فما ذكروه وبذل لهم من العطاء اضعاف ما يعطي الناس رغبة في استمالتهم الى الطاعة وتحذيرهم من الخلاف ولكن يأبى الله الا ما أراد وفي التنوير ان الله ابتلى أمير هذا الجيش الذي هو مسلم بن قتيبة بعد ثلاثة أيام من أخذه البيعة بمرض صار ينبح منه كالكلب الى ان مات وولي أمر الجيش بعده الحصين بن نمير بامر يزيد فانه وصى مسلم بن قتيبة لما ولاه امرة الجيش وقال له اذا أشرفت على الموت اى لانه كان مريضا بالاستسقاء فول أمر الجيش للحصين وهذا الذي وقع من يزيد فيه تصديق لقوله صلى الله عليه وسلم لا يزال أمر أمتي قائما بالقسط حتى يثلمه رجل من بني أمية يقال له يزيد وقد جاء عن سعيد بن المسيب رضي الله تعالى عنه لقد رأيتني ليالي الحرة ومافي مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم غيري وما يأتي وقت صلاة الا سمعت الاذان والاقامة من القبر الشريف ومما يؤثر عن سعيد بن المسيب الدنيا نذلة تميل الى الانذال ومن استغنى بالله افتقر اليه الناس ومن جملة من خلع يزيد وقتل من الصحابة في تلك الوقعة معقل بن سنان الاشجعي رضي الله تعالى عنه روى علقمة عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه انه سئل عن رجل تزوج امرأة ولم يسم لها صداقا ولم يدخل بها حتى مات فقال ابن مسعود لها مثل مهر نسائها لا وكس ولا شطط وعليها العدة ولها الميراث فقام معقل بن سنان قال قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بروع بنت واشق امرأة منا مثل ماقضيت ففرح ابن مسعود وسبب مقالة عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى

طيّ قال السهيلي ان امه خرجت به تريد اهلها فاصابتها خيل فأخذته فباعوه فاشتراه حكيم وقيل اشتراه من سوق حباشة بأربعمائة درهم ويقال بستمائة درهم فلما رأته خديجة رضي الله عنها اعجبها فأخذته واعلّ هذا مراد من قال فباعه من عمته خديجة اي اشتراه لها فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عندها اعجب به فاستوهبه منها فوهبته له فأعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبناه قبل الوحي وقيل ان الذي اشتراه لخديجة رضي الله عنها النبي صلى الله عليه وسلم فانه جاء الى خديجة رضي الله عنها فقال رأيت غلاما بالبطحاء قد اوقفوه ليبيعوه ولو كان لي ثمن لاشتريته قالت وكم ثمنه قال سبعمائة درهم قالت خذ سبعمائة درهم فاشتره فاشتراه فجاء به اليها وقال انه لو كان لي لاعتقته قالت هولك فأعتقه قال ابو عبيدة لم يكن اسمه زيدا ولكن النبي صلى الله عليه وسلم سماه بذلك حين تبناه وهو اسم جده قصي ثم انه خرج بابل لابي طالب الى الشام فمر بأرض قومه فعرفه عمه فقام اليه فقال من انت يا غلام قال غلام من اهل مكة قال من انفسهم قال لا قال فحر انت ام مملوك قال مملوك قال عربي انت ام عجمي قال عربي قال ممن اهلك قال من كلب قال من اي كلب قال من بني عبدود قال ويحك ابن من انت قال ابن حارثة بن شرحبيل قال واين اصبت قال في اخوالي قال ومن اخوالك قال طيّ قال ما اسم امك قال سعدى فالتزمه وقال ابن حارثة ودعا اباه فقال يا حارثة هذا ابنك فأتاه حارثة فلما نظر اليه عرفه وقال كيف صنع مولاك اليك قال يؤثرني على اهله وولده ورزقت منه حبا فلا اصنع الا ماشئت فركب معه ابوه وعمه واخوه وفي رواية ان ناسا من قومه حجوا فرأوا زيدا فعرفوه وعرفهم فانطلقوا فأعلموا اباه ووصفوا له مكانه فجاء ابوه وعمه قال الحلبي وقد يقال لا مخالفة لجواز ان يكون اجتماعه بعمه وابيه كان بعد

عنهما الا انه امتنع من المبايعة ليزيد ايضا هو والحسين رضي الله تعالى عنهما لما ارسل اليهما يطلب منهما المبايعة له فامتنعا من ذلك وفرا من المدينة الى مكة ثم لما قتل الحسين رضي الله تعالى عنه اي لان الحسين ارسل اليه اهل الكوفة ان يأتيهم ليبايعوه فأراد الذهاب اليهم فنهاه ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وبين له غدرهم وقتلهم لابيه وخذلانهم لاخيه الحسن رضي الله تعالى عنه ونهاه ابن عمر وابن الزبير رضي الله تعالى عنهم فأبى الا ان يذهب فبكى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقال واحبيباه وقال له ابن عمر استودعك الله من قتيل وكان اخوه الحسن قال له اياك وسفهاء الكوفة ان يستخفوك فيخرجوك ويسلموك فتندم ولات حين مناص وقد تذكر ذلك ليلة قتله فترحم على أخيه الحسن ولم يبق بمكة الا من حزن على مسيره وقدم امامه الى الكوفة مسلم بن عقيل فبايعه من اهل الكوفة للحسين اثنا عشر ألفا وقيل اكثر من ذلك ولما اشارف الكوفة جهز اليه اميرها من جانب يزيد وهو عبيد الله بن زياد عشرين ألف مقاتل وكان اكثرهم ممن بايع له لاجل السحت العاجل على الخير الآجل فلما وصلوا اليه ورأى كثرة الجيش طلب منهم احدى ثلاث اما ان يرجع من حيث جاء او يذهب الى بعض الثغور او يذهب الى يزيد يفعل فيه ما أراد فأبوا وطلبوا منه نزوله على حكم ابن زياد وبيعته ليزيد فأبى فقاتلوه الى ان اثخنته الجراحة فسقط الى الارض فحزوا رأسه وذلك يوم عاشوراء عام احدى وستين ووضع ذلك الرأس بين يدي عبيد الله بن زياد ولما جاء خبر قتل الحسين رضي الله تعالى عنه قام ابن الزبير رضي الله تعالى عنهما في الناس يعظم قتل الحسين وجعل يظاهر بعيب يزيد ويذكر شربه الخمر وغير ذلك ويثبط الناس عن بيعته ويذكر مساوي بني أمية ويطنب في ذلك ولما بلغ يزيد ذلك أقسم أن لا يؤتى به الا مغلولا فجاء اليه رجل من أهل الشأم في خيل من خيل الشام وتكلم مع ابن الزبير وعظم على ابن الزبير الفتنة وقال لا يستحل الحرم بسببك فان يزيد غير تاركك ولا تقوى عليه وأقسم أن لا يؤتى بك الا مغلولا وقد عملت لك غلا من فضة وتلبس فوقه الثياب وتبر قسم أمير المؤمنين فالصلح خير عاقبته وأجمل بك وبه فقال له انظر في أمري ثم دخل على امه أسماء رضي الله تعالى عنها واستشارها فقالت يا بني عش كريما ومت كريما ولا تمكن بني امية من نفسك فتلعب بك فامتنع وصار يبايع الناس سرا ثم اظهر المبايعة فاجتمع عليه اهل الحجاز ولحق به من انهزم من وقعة الحرة فلما جاء الجيش الى مكة حاصر عبد الله وضرب بالمنجنيق نصبه على ابي قبيس قيل وعلى الاقرع وهما اخشبا مكة فأصاب الكعبة من ناره ما حرق ثيابها وسقفها

اخبارأ واثك الناس فلما جاءاهله فى طلبه ليفدوه خيره رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المكث عنده والرجوع الى أهله فاختار المكث عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى لفظ لما قدم ابوه وعمه فى فدائه سألا عن النبى صلى الله عليه وسلم فقيل هو فى المسجد فدخلا عليه فقالا يا ابن عبد المطلب يا ابن هاشم يا ابن سيد قومه أنتم اهل حرم الله وجيرانه تفكون الاسير العانى وتطعمون الجائع جئناك فى ولدنا عندك فامنن علينا واحسن فى فدائه فانا سندفع لك فقال وماذاك قالوا زيد بن حارثة قال اوغير ذلك قالوا وما هو قال ادعوه فخيروه فان اختاركم فهو لكم من غير فداء وان اختارنى فوالله ما أنا بالذى أختار على الذى اختارنى فداء قالوا زدتنا على النصف وأحسنت فدعاه فقال اتعرف هؤلاء قال نعم ابى وعمى ولم يذكر اخاه لاستصغاره ولان الخطاب كان معهما وفى رواية ذكرها السهيلى ان زيدا لما جاء قال صلى الله عليه وسلم من هذان قال هذا ابى حارثة بن شرحبيل وهذا عمى كعب بن شرحبيل فقال له النبى صلى الله عليه وسلم انا من علمت وقد رايت صحبتى فاخترنى او اخترهما فقال زيد ما انا بالذى اختار عليك احدا انت منى مكان الاب والعم فقالا ويحك يا زيد تختار العبودية على الحرية وعلى ابيك وعمك واهل بيتك قال نعم ما انا بالذى اختار عليه احدا فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأى اخرجه الى الحجر الذى هو محل جلوس قريش فقال ان زيدا ابنى ارثه ويرثنى فطابت انفسهما وانصرفا قال ابن عبد البر ان سنه حين تبناه النبى صلى الله عليه وسلم كان ثمان سنين وانه حين تبناه طاف به على حلق قريش يقول هذا ابنى وارثا وموروثا ويشهدهم على ذلك وكان الرجل فى الجاهلية يعاقد الرجل يقول دمى دمك وهدمى هدمك وثأرى ثأرك وحربى حربك وسلمى سلمك ترثنى

فان الكعبة كانت فى زمن قريش مبنية مدماك من خشب الساج ومدماك من حجارة كما تقدم وذكر فى الشرف ان الله تعالى بعث عليهم صاعقة بعد العصر فاحرقت المنجنيق واحرقت تحته ثمانية عشر رجلا من أهل الشام ثم عملوا منجنيقا آخر فنصبوه على ابى قبيس ويذكر أن النار لما أصابت الكعبة أنت بحيث يسمع أنينها كأنين المريض آه آه وهذا من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم فقد جاء انذاره صلى الله عليه وسلم بتحريق الكعبة فعن ميمونة رضى الله تعالى عنها زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف انتم اذا مرج الدين فظهرت الرغبة والرهبة وحرق البيت العتيق وفى العرائس أن أول يوم تكلم الناس فى القدر ذلك اليوم فقيل احراق الكعبة من قدر الله وقيل ليس من قدر الله والمتكلم بذلك حينئذ قيل أبو معبد الجهنى وقيل ابو الاسود الدؤلى وقيل غير ذلك وقوله أول يوم تكلم الناس فى القدر لعل المراد أول يوم اشتهر واستفيض فيه الكلام من الناس فى القدر فلا يخالف ما حكى ان شخصا قال لعلى رضى الله تعالى عنه وهو بصفين يا أمير المؤمنين أخبرنا عن مسيرنا هذا أكان بقضاء الله وقدره فقال نعم والذى خلق الحبة وبرأ النسمة ما وطئنا موطئا ولا قطعنا واديا ولا علونا شرفا الا بقضائه وقدره والتكلم فى القدر ليس من خصائص هذه الامة فقد تكلمت فيه الامم قبلها ففى الحديث ما بعث الله نبيا الا فى امته قدرية يشوشون عليه أمر أمته ألا وان الله تعالى قد لعن القدرية على لسان سبعين نبيا وقد جاء فى ذم القدرية زيادة على ما تقدم منها القدرية مجوس هذه الامة ان مرضوا فلا تعودوهم وان ماتوا فلا تشهدوهم وجاء اتقوا القدر فانه شعبة من النصرانية وجاء اخاف على امتى التكذيب بالقدر وانما كانت القدرية مجوس هذه الامة لان طائفة من القدرية تقول بأن الخير من الله والشر من العبد وهؤلاء الطائفة اشبه بالمجوس القائلين بالاصلين النور والظلمة وان الخير من النور والشر من الظلمة وهم المانوية وانما كان القدر شعبة من النصرانية لان اكثر القدرية على انه ليس من افعال العبد من خير وشر ناشئا عن اقدار الله تعالى له على ذلك بل هو ناشئ عن قدرة العبد واختياره فقد اثبتوا لله تعالى شريكا كما ان النصارى اثبتوا الشريك لله تعالى فهذه الفرقة من القدرية اشبهت النصارى فكان القدر شعبة من النصرانية بهذا الاعتبار وقد اوضحت ذلك فى تعليقى المسمى بالمصباح المنير على الجامع الصغير وفيه أخر الكلام على القدر اشرار أمتى فى آخر الزمان فان الحق اسناد الفعل الى الله تعالى ايجادا وللعبد اكتسابا وقيل ان سبب بناء عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما

وارثك نطالب بي واطلب بك وتعقل عني وأعقل عنك فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف ثم لما استقر امر الاسلام ونظهر نسخ الله ذلك بالمواريث (وفي اسد الغابة) ان حارثة اسلم وقيل لم يثبت اسلامه الا المنذري ولما تبني رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا كان يقال له زيد بن محمد ولم يذكر في القرآن من الصحابة احد باسمه الا هو ٢٢٥ رضي الله عنه في قوله تعالى فلما قضى زيد منها وطرا قال ابن الجوزي الا ما روي في بعض التفاسير أن السجل الذي في قوله تعالى يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب اسم رجل كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم وقد أبدى السهيلي حكمة لذكر زيد باسمه في القران وهي انه لما نزل قوله تعالى ادعوهم لآبائهم وصار يقال له زيد بن حارثة ولا يقال له زيد بن محمد ونزع عنه هذا التشريف شرفه الله تعالى بذكر اسمه في القرآن دون غيره من الصحابة ولم يذكر في القرآن امرأة باسمها الا مريم رضي الله عنها ولزيد أخ اسمه جبلة اسلم رضي الله عنه وكان أسن منه سئل جبلة من أكبر أنت ام زيد فقال زيد أكبر مني وانا ولدت قبله اي لان زيدا افضل منه لسبقه الى الاسلام *(وأول من أسلم من النساء بعد خديجة رضي الله عنها) *أم الفضل زوج العباس وهي لبابة بنت الحرث الهذلية أخت ميمونة رضي الله عنها *ومن السابقات الى الاسلام أسماء بنت ابي بكر وام جميل فاطمة بنت الخطاب اخت عمر بن الخطاب رضي الله

٢٩ حل ل عنه وعنها وام ايمن بل ينبغي ان تكون سابقة على أم الفضل *(بيان من أسلم بدعاية ابي بكر رضي الله عنه)* لما أسلم ابو بكر الصديق رضي الله عنه دعا الى الله فأسلم بدعائه خلق كثير منهم عثمان بن عفان رضي الله عنه قال عثمان رضي الله عنه أخبرتني خالتي سعدى بنت كريز الصحابية العبشمية رضي الله عنها ان الله أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم وحتني

عنهما الكعبة أن امرأة بخرتها فطارت شرارة فعلقت بثيابها فحصل ذلك ولا مانع من التعدد وقد وقع أيضا احتراقها بتجمير المرأة في زمن قريش ولا مانع من تعدد ذلك كما تقدم وعد بعضهم أن من البدع تجمير المسجد وأن مالكا كرهه وقد روي أن مولى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كان يجمر المسجد النبوي اذا جلس عمر رضي الله تعالى عنه على المنبر يخطب ومع حرق الكعبة حرق قرنا الكبش الذي فدى به اسمعيل فانهما كانا معلقين بالسقف (أقول) ولعل تعليقهما في السقف كان بعد تعليقهما في الميزاب فقد ذكر بعضهم جاء الاسلام ورأس الكبش معلق بقرنيه في ميزاب الكعبة ويدل لتعليقهما في السقف ما جاء عن صفية بنت شيبة قالت لعثمان بن طلحة لم دعاك النبي صلى الله عليه وسلم بعد خروجه من البيت قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اني رأيت قرني الكبش في البيت فنسيت أن آمرك ان تخمرهما فخمرهما فانه لا ينبغي أن يكون في البيت شيء يشغل مصليا (وذكر الجلال المحلي) في قطعة التفسير أن الكبش المذكور هو الذي قربه هابيل جاء به جبريل فذبحه السيد ابراهيم عليه الصلاة والسلام مكبرا اي وحينئذ تكون النار التي انزلت في زمن هابيل لم تأكله بل رفعته الى السماء وحينئذ يكون قول بعضهم فنزلت النار فأكلته على التسمح ويدل لما ذكر الجلال ما جاء انه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه الصلاة والسلام ما كان ذبح ابراهيم اي مذبوحه قال الذي قرب ابن آدم قال بعضهم وهذا الحديث لم يثبت قيل ووصف بأنه عظيم لانه رعى في الجنة أربعين عاما وقيل كان الكبش اختراعا اخترعه الله هنالك في ذلك الوقت قال بعضهم فقد فدى من الموت بصورة الموت وهذا كله بناء على ان الذي قربه هابيل كان كبشا وقيل كان جملا سمينا وعليه اقتصر القاضي فلينظر الجمع على تقدير صحة كل وانصدع الحجر من تلك النار من ثلاثة أماكن وعند محاصرة الجيش لعبد الله جاء الخبر بموت يزيد ويقال ان ابن الزبير علم بموت يزيد قبل ان يعلم الجيش وهم اهل الشام فنادى فيهم يا أهل الشام قد أهلك الله طاغيتكم يعني يزيد فمن احب منكم أن يدخل فيما دخل فيه الناس فعل ومن احب أن يرجع الى شأنه فليفعل فانفل الجيش وبايع عبد الله بن الزبير جماعة بالخلافة ودخلوا في طاعته ظاهرا ويقال ان أمير الجيش طلب من ابن الزبير أن يحدثه فخرجا من الصفين حتى اختلفت رؤس فرسيهما وجعل فرس أمير الجيش ينفر ويكفها فقال له ابن الزبير مالك فقال ان حمام الحرم تحت رجليها فأكره ان أطأ حمام الحرم فقال تفعل هذا وأنت تقتل المسلمين فقال له تأذن لنا أن نطوف بالكعبة ثم نرجع الى بلادنا فأذن لهم فطافوا

الى اتباعه وكان لى مجلس من الصديق رضى الله عنه بجئته فأصبته وحده وصرت متفكرا فسألنى عن تفكرى فأخبرته بما سمعت من خالتى فحثنى ابو بكر رضى الله عنه ورغبنى فى الاسلام قال فما كان بأسرع من أن مر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه على رضى الله عنه يحمل له ثوبا فقام ابو بكر رضى الله عنه فسار النبى صلى الله عليه وسلم فقعد ثم أقبل على فقال أجب الله تعالى الى جنته فانى رسول الله اليك والى جميع خلقه قال فما تمالكت حين سمعته أن قلت أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله ثم لم ألبث ان زوجنى رقية رضى الله عنها وكانت من أجمل خلق الله وكان عثمان رضى الله عنه كذلك وكان يتمنى التزوج بها من قبل قال رضى الله عنه كنت بفناء الكعبة فقيل أنكح محمد عتبة بن ابى لهب بنته رقية فدخلتنى حسرة أن لا أكون سبقت اليها فانصرفت الى منزلى فوجدت خالتى سعدى بنت كريز فأخبرتنى ان الله أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم وذكر قصة اسلامه ثم لم ألبث أن تزوجت رقية اى بعد ان فارقها عتبة قبل أن يدخل بها كما يأتى ثم بعد أن توفيت تزوج بأختها أم كلثوم ولذا لقب بذى النورين ولم يعرف أحد تزوج بنتى نبى غيره رضى الله عنه وكان يختم القرآن كل ليلة فى الوتر وقال صلى الله عليه وسلم فى حقه لكل نبى رفيق فى الجنة ورفيقى فيها عثمان ابن عفان ولما أسلم عثمان رضى الله عنه أخذه عمه الحكم بن ابى العاص بن أمية والد مروان فأوثقه كتافا وقال ترغب عن ملة آبائك الى دين محمد والله لا أحلك أبدا حتى تدع ما أنت عليه فقال عثمان الا والله لا أدعه ولا أفارقه فلما رأى الحكم صلابته فى الحق تركه وقيل عذبه بالدخان ليرجع فما رجع وقيل ان المعذب بالدخان الزبير رضى الله عنه ليرجع عن الاسلام ولا مانع من تعداد ذلك (ومن أسلم بدعاية ابى بكر رضى الله عنه الزبير بن العوام بن خويلد بن

وقال له ان كان هذا الرجل قد هلك فأنت أحق الناس بهذا الامر يعنى الخلافة فارحل معى الى الشام فوالله لا يختلف عليك اثنان فلم يثق به ابن الزبير وأغلظ عليه القول فكر راجعا وهو يقول أعده بالملك وهو يعدنى بالقتل ومن ثم قيل كان فى ابن الزبير خلال لا تصلح معها الخلافة منها سوء الخلق وكثرة الخلاف ودخل فى طاعة ابن الزبير جميع أهل البلدان الا الشام ومصر فان مروان بن الحكم تغلب عليهما بعد موت معاوية بن يزيد بن معاوية فان معاوية هذا مكث فى الخلافة أربعين يوما وقيل عشرين يوما بعد ان كان مروان عزم على ان يبايع لابن الزبير بدمشق وقد كان ابن الزبير لما ولى اخاه نائبا عنه بالمدينة أمره باجلاء بنى أمية وفيهم مروان وابنه عبد الملك الى الشام فلما أراد مروان أن يبايع ابن الزبير بدمشق ثنى عزمه عن ذلك جماعة وقالوا له أنت شيخ قريش وسيدها وقد فعل معكم ابن الزبير ما فعل فأنت أحق بهذا الامر فوافقهم ومكث تسعة اشهر فى الخلافة فهو الرابع من خلفاء بنى امية وقام بالامر بعده ولده عبد الملك وهو أول من سمى عبد الملك فى الاسلام ثم عهد عبد الملك لاولاده الاربعة من بعده الوليد ثم سليمان ثم يزيد ثم هشام وادعى عمرو بن سعيد ان مروان عهد اليه بعد ابنه عبد الملك فضاق عبد الملك بذلك ذرعا واستثقل امر عمرو بدمشق فلم يزل به عبد الملك حتى قتله وفى كلام ابن ظفر ان عبد الملك لما خرج لقتال عبد الله بن الزبير خرج معه عمرو بن سعيد وقد انطوى على دغل نية وفساد طوية وطماعية فى نقل الخلافة فلما سار واعن دمشق أياما تمارض عمرو بن سعيد واستأذن عبد الملك فى العود الى دمشق فأذن له فلما عاد ودخل دمشق صعد المنبر وخطب خطبة نال فيها من عبد الملك ودعا الناس الى خلعه فأجابوه الى ذلك وبايعوه فاستولى على دمشق وحصن سورها وبذل الرغائب وبلغ ذلك عبد الملك وهو متوجه الى ابن الزبير فأشير على عبد الملك ان يرجع الى دمشق ويترك ابن الزبير لان ابن الزبير لم يعطه طاعة ولا وثب له على مملكة فهو فى صورة ظالم له وقصده لعمرو بن سعيد فى صورة مظلوم لانه نكث بيعته وخان امانته وافسد رعيته فرجع الى دمشق فظفر بعمرو بن سعيد ويقال ان سبب بناء عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنه للكعبة انه جاء سيل فطبقها فكان عبد الله رضى الله تعالى عنه يطوف سباحة اى ولا مانع من وجود الامرين الحرق والسيل فلما رأى عبد الله ما وقع فى الكعبة شاور من حضر ومن جملتهم عبد الله ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى هدمها فهابوا هدمها وقالوا نرى أن يصلح ما وهى ولا تهدم فقال لو أن بيت احدكم احترق لم يرض له الا بأكمل اصلاح ولا يكمل اصلاحها

أسد بن عبد العزى بن قصى)* وهو ابن ثمان سنين أو اثنتى عشرة سنة وكان عمه يؤذيه ويدخن عليه بالنار ويقول ارجع فيقول لا أكفر أبدا *(وأسلم بدعايته أبى بكر رضى الله عنه أيضا عبد الرحمن بن عوف بن عبد الحرث بن زهرة)* وكان اسمه قبل الاسلام عبد الكعبة فسماه النبى صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن قال وكان أمية بن خلف صديقا لى فقال لى يا ما أرغبت عن اسم سماك به أبواك فقلت نعم فقال أنا لا أعرف الرحمن ولكن أسميك بعبد الاله فكان يناديني بذلك *(وسبب اسلام عبد الرحمن ابن عوف الزهرى المذكور)* رضى الله عنه ما حدث به قال سافرت الى اليمن غير مرة وكنت اذا قدمت نزلت على عسكلان ابن عواكن الحميرى فكان يسألنى هل ظهر فيكم رجل له نبأله ذكر هل خالف أحد منكم عليكم فى دينكم فأقول لا حتى كانت السنة التى بعث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا علم لى بذلك قدمت اليمن فنزلت عليه الى آخر القصة المتقدم ذكرها فى أخبار الكهان التى ليست على ألسنة الجان وفى آخرها فلما قدمت مكة لقيت ابا بكر رضى الله عنه وأخبرته الخبر فقال هذا محمد قد بعثه الله فأته فلما أتيت بيت خديجة رضى الله عنها رآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك وقال لى أرى وجها خليقا ان أرجو له خيرا فما وراءك قلت وديعة فقال أرسلك مرسل برسالة هاتها فأخبرته وأسلمت فقال أخو حمير مؤمن مصدق بى وما شاهدنى أولئك من اخوانى حقا وعن على رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه أنت أمين فى أهل الارض أمين فى اهل السماء وهو من العشرة المبشرين بالجنة وجاء وصفه بالصادق الصالح البار *(وممن أسلم بدعاية أبى بكر رضى الله عنه)* أيضا سعد بن ابى وقاص الزهرى احد العشرة المبشرين بالجنة رضى الله عنه لقيه أبو بكر رضى الله

الا يهدمها وقد حدثته خالته عائشة رضى الله تعالى عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لها ألم ترى قومك يعنى قريشا حين بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد ابراهيم عليه الصلاة والسلام حين عجزت بهم النفقة لولا حدثان قومك بالجاهلية اى قرب عهدهم بها اى وفى لفظ لولا الناس حديثو عهد بالجاهلية اى قريب عهدهم بها اى وفى لفظ لولا الناس حديثو عهد بكفر وليس عندى من النفقة ما يقوى على بنائها لهدمتها وجعلت لها خلفا اى بابا من خلفها اى وفى لفظ لجعلت لها بابا يدخل منه وبابا يخرج الناس منه وفى لفظ وجعلت لها بابين بابا شرقيا وبابا غربيا والصقت بابها بالارض اى كما كان عليه فى زمن ابراهيم ولأدخلت الحجر فيها اى وفى رواية لادخلت نحو ستة اذرع وفى رواية ستة أذرع وشبرا وفى رواية وشبرا وفى رواية قريبا من سبعة اذرع فقد اضطربت الروايات فى القدر الذى اخرجته قريش وفى لفظ لادخلت فيها ما أخرج منها وفى لفظ لجعلتها على اساس ابراهيم ولزيد اى بان ازيد فى الكعبة من الحجر اى وذلك ما اخرجته قريش خشى صلى الله عليه وسلم ان تنكر قلوبهم هدم بنائهم الذى يعدونه من أكمل شرفهم فربما حصل لهم الارتداد عن الاسلام وقد ذكر بعضهم ان كل من بنى الكعبة بعد ابراهيم عليه الصلاة والسلام لم يبنها الا على قواعد ابراهيم غير ان قريشا ضاقت بهم النفقة اى الحلال الحديث وهذا بناء على ان من بعد ابراهيم وقبل قريش بناها كلها وليس كذلك بل الحاصل منهم انما هو ترميم لها فقوله لم يبنها الا على قواعد ابراهيم ليس على ظاهره بل المراد انه ابقاها على ذلك قال وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال لعبد الله دع بناء واحجارا اسلم عليها المسلمون وبعث عليها النبى صلى الله عليه وسلم اى فانه يوشك ان يأتى بعدك من يهدمها فلا يزال يهدم ويبنى فيتهاون الناس بحرمتها ولكن ارقعها اى رمها فقال عبد الله انى مستخير ربى ثلاثا ثم عازم على امرى فلما مضى الثلاث اجمع امره على ان ينقضها فتحاماها الناس وخشوا ان ينزل بأول الناس يصعدها امر من السماء حتى صعدها رجل فالقى منها حجارة فلم ير الناس أصابه شئ فتتابعوه اه اى وقيل أول فاعل لذلك عبد الله بن الزبير نفسه رضى الله تعالى عنه وخرج ناس كثير من مكة الى منى ومنهم ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فاقاموا بها ثلاثا مخافة ان يصيبهم عذاب شديد بسبب هدمها وأمر ابن الزبير جماعة من الحبشة بهدمها رجاء أن يكون فيهم الذى أخبر به صلى الله عليه وسلم انه يهدمها وفيه ان الذى اخبر النبى صلى الله عليه وسلم بانه يهدمها ذكر صفته حيث قال كأنى أنظر اليه اسود أفحج

ينقضها حجرا حجرا وجاء فى وصفه انه مع كونه افحج الساقين ازرق العينين افطس الانف كبير البطن ووصف ايضا بانه اصلع وفى لفظ اجلح وهو من ذهب شعر مقدم رأسه ووصف بانه اصعل اى صغير الرأس وبانه اصمع اى صغير الاذنين معه اصحابه ينقضونها حجرا حجرا ويتناولونها حتى يرموا بها الى البحر اى وقوله ويتناولونها حتى يرموا بها الى البحر لعله لم يثبت عند ابن الزبير وكذا تلك الاوصاف وهدم الحبشة لها يكون بعد موت عيسى عليه الصلاة والسلام ورفع القرآن من الصدور والمصاحف اى وورد ان اول ما يرفع رؤيته صلى الله عليه وسلم فى المنام والقرآن واول نعمة ترفع من الارض العسل وقيل يكون هدمها فى زمن عيسى عليه الصلاة والسلام وجمع بانه يهدم بعضها فى زمن عيسى عليه الصلاة والسلام فاذا جاءهم الصريخ هربوا فاذا مات عيسى عادوا وكملوا هدمها فهدمها عبد الله الى أن انتهى الهدم الى القواعد اى التى هى الاساس قال وفى رواية كشف له عن أساس ابراهيم عليه الصلاة والسلام فوجده داخلا فى الحجر ستة اذرع وشيأ وأحجار ذلك الاساس كأنها اعناق الابل حجارة حمراء آخذ بعضها فى بعض مشبكة كتشبك الاصابع وأصاب فيه قبر أم اسمعيل عليه الصلاة والسلام وهذا ربما يدل على انه لم يصب فيه قبر اسمعيل وهو يؤيد القول بان قبره فى حيال الموضع الذى فيه الحجر الاسود لا فى الحجر كما ذكره الطبرى وانه تحت البلاطة الخضراء التى بالحجر كما تقدم فدعا عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما خمسين رجلا من وجوه الناس واشرافهم واشهدهم على ذلك الاساس وادخل عبد الله بن المطيع العدوى عتلة كانت بيده فى ركن من اركان البيت فتزعزعت الاركان كلها فارتج جوانب البيت ورجفت مكة باسرها رجفة شديدة وطارت منه برقة فلم يبق دار من دور مكة الا دخلت فيها ففزعوا اه (اقول) تقدم فى بناء قريش انهم افضوا الى حجارة خضر كالاسنمة آخذ بعضها ببعض وان رجلا أدخل عتلته بين حجرين منها لفصل نحو ما ذكر وقد يقال لا مخالفة بين كون تلك الاحجار كانت خضراء وبين كونها حمراء لانه يجوز أن تكون حمرة تلك الاحجار ليست صافية بل هى قريبة من السواد ومن ثم وصفت بانها زرق كما تقدم والاسود يقال له اخضر كما ان الاخضر غير الصافى يقال له اسود والصافى يقال له ازرق والله أعلم وجعل عبد الله على تلك القواعد ستورا فطاف الناس بتلك الستور حتى بنى عليها وارتفع البناء وزاد فى ارتفاعها على ما كانت عليه فى بناء قريش تسعة اذرع فكانت سبعا وعشرين ذراعا زاد بعضهم وربع ذراع وبناها على مقتضى ما حدثته به خالته عائشة رضى الله تعالى عنها

عنه فدعاه الى الاسلام ورغبه فيه وحثه عليه فأتى النبى صلى الله عليه وسلم وسأله عن أمره فاخبره به فاسلم وكان عمره تسع عشرة سنة وهو من بنى زهرة ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم وقد أقبل عليه سعد هذا خالى فليرنى امرؤ خاله وفى كلام السهيلى أنه عم آمنة بنت وهب أم النبى صلى الله عليه وسلم وكرهت أمه اسلامه وكان بارا بها فقالت ألست تزعم أن الله يأمرك بصلة الرحم وبر الوالدين قال نعم فقالت والله لا أكلت طعاما ولا شربت شرابا حتى تكفر بما جاء به محمد وتمس اسافا ونائلة وكانوا يفتحون فاها أعنى أم سعد فى مدة حلفها ثم يلقون فيه الطعام والشراب فأبى أن يمتثل قولها وفيه أنزل الله تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما الآية وفى رواية أنها مكثت يوما وليلة لا تأكل ولا تشرب فأصبحت وقد جهدت ثم مكثت يوما وليلة لا تأكل ولا تشرب قال سعد فلما رأيت ذلك قلت لها تعلمين والله يا أمه لو كان لك مائة نفس تخرج نفسا نفسا ما تركت دين محمد فكلى ان شئت أو لا تأكلى فلما رأت ذلك أكلت وفى الانساب للبلاذرى عن سعد رضى الله عنه قال أخبرت أمى انى كنت أصلى العصر يعنى الركعتين اللتين كانوا يصلونهما بالعشى فجئت فوجدتها على بابها تصيح ألا اعوان يعينونى عليه من عشيرتى او عشيرته فأحبسه وأطبق عليه بابه حتى يموت او يدع هذا الدين المحدث فرجعت من حيث جئت وقلت لا أعود اليك ولا أقرب منزلك فهجرتها حينا ثم أرسلت الى ان عد الى منزلك ولا تضيفن فادخل الناس فيلزمنا عار فرجعت الى منزلى فترة تلقانى بالبشر ومرة تلقانى بالشر وتعيرنى بأخى عامر وتقول هو البر لا يفارق دينه ولا يكون تابعا فلما أسلم عامر لقى منها ما لم يلق أحد من الصياح والاذى حتى هاجر الى الحبشة ولقد جئت يوما والناس مجتمعون

فادخل فيه الحجر اى لانه يجوز أن يكون ادخال الحجر هو الذى سمعه من عائشة فعمل به دون غير ذلك من الروايات المتقدمة الدال على ان الحجر ليس من البيت وانما منه ستة اذرع وشبر أو قريب من سبعة اذرع وفيه ان هذا اى قوله فادخل فيه الحجر هو الموافق لما تقدم من ان قريشا اخرجت منه الحجر وهو واضح ان كان وجد الاساس خارجا عن جميع الحجر واما اذا لم يكن خارجا عن جميع الحجر كيف يتعداه ولا يبنى عليه اعتمادا على ما حدثته به خالته عائشة رضى الله تعالى عنها على انه سيأتى عن نص حديث عائشة رضى الله تعالى عنها انه صلى الله عليه وسلم قال لها فان بدا لقومك من بعدى ان يبنوا فهلمى لأريك ما تركوا منه فاراها قريبا من ستة اذرع فليتأمل وجعل لها خلفا اى بابا من خلفها وألصقه بالاس كالمقابل له قال ولما ارتفع البناء الى مكان الحجر الاسود وكان فى وقت الهدم وجد متصدعا بسبب الحريق كما تقدم فشده بالفضة ثم جعله فى ديباجة وادخله فى تابوت واقفل عليه وادخله دار الندوة فحين وصل البناء الى محله أمر ابنه حمزة وشخصا آخران يحملاه ويضعاه محله وقال اذا وضعتماه وفرغتما فكبرا حتى اسمعكما فاخفف صلاتى فانه صلى بالناس بالمسجد اغتناما لشغلهم عن وضعه لما احس منهم بالتناقض فى ذلك اى ان كل واحد يريد ان يضعه وخاف الخلاف فلما كبرا تسامع الناس بذلك فغضب جماعة من قريش حيث لم يحضرهم وكون الحجر وجد متصدعا بسبب الحريق وكون ابن الزبير شده كذلك بالفضة لا ينافى ما وقع بعد ذلك من ان أبا سعيد كبير القرامطة وهم طائفة ملاحدة ظهروا بالكوفة سنة سبعين ومائتين يزعمون ان لا غسل من الجنابة وحل الخمر وانه لا صوم فى السنة الا يومى النيروز والمهرجان ويزيدون فى اذانهم وان محمد بن الحنفية رسول الله وان الحج والعمرة الى بيت المقدس وافتتن بهم جماعة من الجهال وأهل البرارى وقويت شوكتهم حتى انقطع الحج من بغداد بسببه وسبب ولده ابى طاهر فان ولده ابا طاهر بنى دارا بالكوفة وسماها دار الهجرة وكثر فساده واستيلاؤه على البلاد وقتله المسلمين وتمكنت هيبته من القلوب وكثرت اتباعه وذهب اليه جيش الخليفة المقتدر بالله السادس عشر من خلفاء بنى العباس غير مامرة وهو يهزمهم ثم ان المقتدر سير ركب الحاج الى مكة فوافاهم ابو طاهر يوم التروية فقتل الحجيج بالمسجد الحرام وفى جوف الكعبة قتلا ذريعا وألقى القتلى فى بئر زمزم وضرب الحجر الاسود بدبوسه فكسره ثم اقتلعه وأخذه معه وقلع باب الكعبة ونزع كسوتها وشققها بين أصحابه وهدم قبة زمزم وارتحل عن مكة بعد ان أقام بها أحد عشر يوما ومعه الحجر

على أمى وعلى أخى عامر فقلت ما شأن الناس فقالوا هذه أمك قد أخذت اخاك عامرا وهى تعطى الله عهدا الا يظلها نخل ولا تأكل طعاما ولا تشرب شرابا حتى يدع صبأته فقلت لها والله يا أمه لا تستظلين ولا تأكلين ولا تشربين حتى تتبوئى مقعدك من النار * (ومن أسلم بدعاية ابى بكر رضى الله عنه أيضا طلحة بن عبيد الله التيمى رضى الله عنه) * احد العشرة المبشرين بالجنة لقيه ابو بكر رضى الله عنه فدعاه الى الله تعالى ورغبه فى الاسلام فلما استجاب له أخذه فجاء به الى النبى صلى الله عليه وسلم فأسلم وله قصة كانت هى السبب الاول فى اسلامه رضى الله عنه قال حضرت سوق بصرى فاذا راهب فى صومعته يقول سلوا أهل هذا الموسم هل ثم من أهل الحرم أحد فقلت نعم أنا قال هل ظهر احمد قلت ومن احمد قال ابن عبد الله بن عبد المطلب هذا شهره الذى يخرج فيه وهو آخر الانبياء مخرجه من الحرم ومهاجره الى أرض ذات نخل وسباخ فاياك أن تسبق اليه قال طلحة فوقع فى قلبى ما قال فخرجت سريعا حتى قدمت مكة فقلت هل كان من حدث قالوا نعم محمد بن عبد الله الامين يدعو الى الله تعالى وقد تبعه ابن ابى قحافة فخرجت حتى دخلت على ابى بكر رضى الله عنه فأخبرته بما قال الراهب فخرج ابو بكر رضى الله عنه حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فسر به فأسلمت ولما تظاهر ابو بكر وطلحة رضى الله عنهما بالاسلام اخذهما نوفل بن العدوية وكان يدعى اسد قريش فشدهما فى حبل يريد أن يفتنهما ويرجعا عن الاسلام ولم يمنعهما بنو تيم ولذلك سمى ابو بكر وطلحة القرينين ولشدة ابن العدوية وقوة شكيمته كان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اكفنا شر ابن العدوية وقد شارك طلحة رجل آخر فى اسمه واسم ابيه وقبيلته وهو طلحة بن عبيد الله التيمى فالاول أحد العشرة المبشرين بالجنة وهذا ليس كذلك وهو

الاسود وبقي عند القرامطة اكثر من عشرين سنة اي والناس يضعون أيديهم محله للتبرك ودفع لهم فيه خمسون ألف دينار فأبوا حتى أعيد في خلافة المطيع وهو الرابع والعشرون من خلفاء بني العباس فأعيد الحجر الى موضعه وجعل له طوق فضة شد به زنته ثلاثة آلاف وسبعمائة وتسعون درهما ونصف قال بعضهم تأملت الحجر وهو مقلوع فاذا السواد في رأسه فقط وسائره ابيض وطوله قدر عظم الذراع وبعد القرامطة في سنة ثلاث عشرة واربعمائة قام رجل من الملاحدة وضرب الحجر الاسود ثلاث ضربات بدبوس فتشقق وجه الحجر من تلك الضربات وتساقطت منه شظيات مثل الاظفار وخرج مكسره أسمر يضرب الى الصفرة محببا مثل حب الخشخاش فجمع بنو شيبة ذلك الفتات وعجنوه بالمسك واللك وحشوا في تلك الشقوق وطلوه بطلاء من ذلك وجعل طول الباب أحد عشر ذراعا والباب الآخر بازائه كذلك فلما فرغ من بنائها خلقها من داخلها وخارجها بالخلوق اي الطيب والزعفران وكساها القباطي اي وهي ثياب بيض رقاق من كتان تتخذ بمصر وفي كلام بعضهم اول من كسا الكعبة الديباج عبد الله بن الزبير (اقول) وبناء عبد الله للكعبة من جملة اعلام النبوة لانه من الاخبار بالمغيبات في نص حديث عائشة رضي الله تعالى عنها فان بدا لقومك من بعدي ان يبنوه فهلمي لاريك ماتركوا منه فأراها قريبا من ستة اذرع وتقدم ان هذا يرد قول بعضهم ان ابن الزبير أدخل في بنائه جميع الحجر قال بعضهم وهذا منه صلى الله عليه وسلم تصريح بالاذن في ان يفعل ذلك بعده صلى الله عليه وسلم عند القدرة عليه والتمكن منه وقد قال المحب الطبري وهذا الحديث يعني حديث عائشة رضي الله تعالى عنها يدل بتصريحه وتلويحه على جواز التغيير في البيت اذا كان لمصلحة ضرورية أو حاجية أو مستحسنة قال الشهاب ابن حجر الهيتمي ومن الواضح البين ان ماوهى وتشقق منها في حكم المنهدم او المشرف على الانهدام فيجوز اصلاحه بل يندب بل يجب هذا كلامه وفي شعبان سنة تسع وثلاثين وألف جاء سيل عظيم بعد صلاة العصر يوم الخميس لعشرين من الشهر المذكور وهدم معظم الكعبة سقط به الجدار الشامي بوجهيه وانحدر معه في الجدار الشرقي الى حد الباب ومن الجدار الغربي من الوجهين نحو السدس وهدم اكثر بيوت مكة واغرق في المسجد جملة من الناس خصوصا الاطفال فان الماء ارتفع الى ان سد الابواب وعند مجيء الخبر بذلك الى مصر جمع متوليها الوزير محمد باشاه وهو الوزير الاعظم الآن اي في سنة ثلاث واربعين وألف جمعا من العلماء كنت من جملتهم ووقعت الاشارة

الذي نزل فيه قوله تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا قال ان مات محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتزوجن عائشة رضي الله عنها وفي لفظ يتزوج محمد بنات عمنا ويحجبهن عنا ان مات لاتزوجن عائشة من بعده فنزلت الآية قال الحافظ السيوطي وقد كنت في وقفة شديدة من صحة هذا الخبر لان طلحة أحد العشرة أجل مقاما أن يصدر عنه ذلك حتى رأيت انه رجل آخر شاركه في اسمه واسم ابيه ونسبه نقله عنه الحلبي في السيرة والحاصل انه أسلم على يد ابي بكر رضي الله عنه من العشرة المبشرين بالجنة خمسة وهم عثمان وطلحة بن عبيد الله ويقال له طلحة الفياض وطلحة الجود والزبير بن العوام وسعد بن ابي وقاص وعبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنهم وزاد بعضهم سادسا وهو أبو عبيدة عامر بن الجراح وكان كل من ابي بكر وعثمان بن عفان وعبد الرحمن ابن عوف وطلحة بزازا وكان الزبير جزارا وكان سعد بن ابي وقاص يصنع النبل ثم دخل الناس في الاسلام أرسالا من الرجال والنساء * (ومن السابقين الى الاسلام) * سعيد بن زيد بن عمرو ابن نفيل العدوي أحد العشرة المبشرين وامرأته فاطمة بنت الخطاب بن نفيل أخت عمر رضي الله عنه فهي ثانية النساء اسلاما وقيل الثانية أم الفضل لبابة بنت الحرث الهلالية زوج العباس رضي الله عنهما ومن السابقات اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما وأما عائشة رضي الله عنها فما ولدت الا بعد البعثة ومن السابقين عبيدة بن الحرث بن المطلب بن عبد مناف المستشهد بالمبادرة يوم بدر ومنهم ابو سلمة عبد الله بن عبد الاسد المخزومي زوج أم سلمة قبل النبي صلى الله عليه وسلم أسلم بعد تسعة أنفس وقيل هو الحادي عشر ومنهم عثمان بن مظعون الجمحي وأخواه قدامة وعبد الله والارقم بن ابي الارقم المخزومي وهو الذي ينسب اليه دار

الارقم * (ومن السابقين الى الاسلام عبد الله بن مسعود الهذلى رضى الله عنه) * وسبب اسلامه ما حدث به قال كنت فى غنم لآل عقبة بن ابى معيط فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر رضى الله عنه فقال النبى صلى الله عليه وسلم هل عندك من لبن فقلت نعم ولكنى مؤتمن قال هل عندك من شاة لم ينز عليها الفحل قلت نعم فأتيته بشاة شصوص وهى التى لا ضرع لها او قيل لا لبن لها فمسح النبى صلى الله عليه وسلم مكان الضرع فاذا ضرع حافل مملوء لبنا فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم بصخرة منقورة فاحتلب النبى صلى الله عليه وسلم فسقى أبا بكر وسقانى ثم شرب ثم قال للضرع اقلص فرجع كما كان والى ذلك أشار السبكى فى تائيته بقوله

وربّ عناق ما نزا الفحل فوقها ... مسحت عليها باليمين فدرّت

فلما رأى ابن مسعود هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلم وقال يا رسول الله علمنى فمسح رأسه وقال بارك الله فيك فانك غلام معلم وكان صلى الله عليه وسلم يكرم عبد الله بن مسعود ويدنيه ولا يحجبه فلذلك كان كثير الولوج عليه صلى الله عليه وسلم وكان يمشى أمامه صلى الله عليه وسلم ويستره اذا اغتسل ويوقظه اذا نام ويلبسه نعليه اذا قام فاذا جلس أدخلهما فى ذراعيه ولذلك كان مشهورا عند الصحابة أيضا بأنه صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم وبشره صلى الله عليه وسلم بالجنة وقال رضيت لامتى ما رضى لها ابن أم عبد وسخطت لها ما سخط لها ابن أم عبد (ومن السابقين الى الاسلام ابو ذر الغفارى رضى الله عنه) واسمه جندب بن جنادة بضم الجيم فيهما وسبب اسلامه ما حدث به قال صليت قبل ان ألقى النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين لله أتوجه حيث يوجهنى ربى فبلغنا أن رجلا خرج بمكة يزعم انه نبى فقلت لاخى أنيس انطلق الى هذا الرجل فكلمه وأتنى بخبره فلما رجع أنيس قلت له ما عندك

بالمبادرة للعمارة وقد جعلت للوزير المذكور فى ذلك رسالة لطيفة وقعت منه موقعا كبيرا واعجب بها كثيرا حتى انه دفعها لمن عبر عنها باللغة التركية وارسل بها لحضرة مولانا السلطان مراد اعز الله انصاره وذكرت فيها ان الحق ان الكعبة لم تبن جميعها الا ثلاث مرات المرة الاولى بناء ابراهيم عليه الصلاة والسلام والثانية بناء قريش وكان بينهما ألفا سنة وسبعمائة سنة وخمس وسبعون سنة والثالثة بناء عبد الله بن الزبير وكان بينهما نحو اثنتين وثمانين سنة اى وأما بناء الملائكة وبناء آدم وبناء شيث لم يصح وأما بناء جرهم والعمالقة وقصى فانما كان ترميما ولم تبن بعد هدمها جميعها الا مرتين مرة زمن قريش ومرة زمن عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنه وحينئذ يكون ما جاء فى الحديث استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل أن يرفع وقد هدم مرتين ويرفع فى الثالثة معناه قد يهدم مرتين ويرفع فى الهدم الثالث من الدنيا * وذكر الامام البلقينى أن كون ابن الزبير اول من كسا الكعبة الديباج أشهر من القول بأن أول من كساها الديباج أم العباس بن عبد المطلب كما سيأتى وجاز أن يكون عبد الله بن الزبير كساها أولا القباطى ثم كساها الديباج والله أعلم وكان كسوتها أى فى زمن الجاهلية المسوح والانطاع فان أول من كساها تبع الحميرى كساها الانطاع ثم كساها الثياب الحبرية اى وفى رواية كساها الوصائل وهى برود حمر فيها خطوط خضر تعمل باليمن وفى كلام الامام البلقينى ويروى ان تبعا اليمانى لما كساها الخصف انتفضت فزال ذلك عنها فكساها المسوح والانطاع فانتفضت فزال ذلك عنها فكساها الوصائل فقبلتها قال والوصائل ثياب موصولة من ثياب اليمن (وفى الكشاف) كان تبع الحميرى مؤمنا وكان قومه كافرين ولذلك ذم الله قومه ولم يذمه وعن النبى صلى الله عليه وسلم لا تسبوا تبعا فانه كان قد أسلم وعنه عليه الصلاة والسلام ما أدرى أكان تبع نبيا أو غير نبى هذا وقد نقل الشمس الحموى فى كتابه المناهج الزهية والمباهج المرضية عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه كان نبيا وقيل أول من كساها عدنان بن أدد وكانت قريش تشترك فى كسوة الكعبة حتى نشأ ابو ربيعة بن المغيرة فقال لقريش انا اكسو الكعبة سنة وحدى وجميع قريش سنة اى وقيل كان يخرج نصف كسوة الكعبة فى كل سنة ففعل ذلك الى ان مات فسمته قريش العدل لانه عدل قريشا وحده فى كسوة الكعبة ويقال لبنيه بنو العدل وكانت كسوتها لا تنزع فكان كلما تجدد كسوة تجعل فوق واستمر ذلك الى زمنه صلى الله عليه وسلم ثم كساها النبى صلى الله عليه وسلم الثياب اليمانية وفى كلام

قال والله رأيت رجلا يأمر بخير وينهى عن شر وتزعم ان الله أرسله ورأيته يأمر بمكارم الاخلاق قلت فما يقول الناس فيه قال يقولون شاعر كاهن ساحر والله انه لصادق وانهم لكاذبون فقلت اكفنى حتى أذهب فأنظر قال نعم وكن على حذر من أهل مكة فحملت جرابى وعصاى حتى أقبلت وأتيت مكة فجعلت لا اعرفه وأكره ان أسأل عنه فمكثت فى المسجد ثلاثين ليلة ويوما وما كان لى طعام الا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت عكن بطنى وما وجدت على سخفة جوع والسخفة بالتحريك حرارة يجدها الانسان من الجوع فى ليلة لم يطف بالبيت أحد واذا برسول الله صلى الله عليه وسلم جاء فطاف بالبيت ثم صلى فلما قضى صلاته أتيته فقلت السلام عليك يا رسول الله أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فرأيت الاستبشار فى وجهه ثم قال من الرجل فقلت من غفار بكسر المعجمة قال متى كنت قال كنت هنا من ثلاثين بين يوم وليلة قال فمن كان يطعمك قلت ما كان لى من طعام الا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت عكن بطنى وما أجد على بطنى سخفة جوع قال مباركة انها طعام طعم وشفاء سقم وماء زمزم لما شرب له ان شربته لتشتفى شفاك الله وان شربته لتشبع اشبعك الله وان شربته لتقطع ظمأك قطعه الله وهى همزة جبريل وسقاية الله اسمعيل وجاء التضلع من ماء زمزم براءة من النفاق وجاء آية ما بيننا وبين المنافقين انهم لا يتضلعون من ماء زمزم وجاء ان أباذر أول من قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك التى هى تحية الاسلام من فهو أول من حيا رسول الله صلى الله عليه وسلم بتحية الاسلام وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا تأخذه فى الله لومة لائم وعلى ان يقول الحق ولو كان مرا ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أظلت الخضراء اى السماء ولا أقلت الغبراء اى

بعضهم أول من كسا الكعبة القباطى النبى صلى الله عليه وسلم وكساها ابو بكر وعمر وعثمان القباطى وكساها معاوية الديباج والقباطى والحبرات فكانت تكسى الديباج يوم عاشوراء والقباطى فى آخر رمضان والاقتصار على ذلك ربما يفيد أن عطف الحبرات على القباطى من عطف التفسير فليتأمل وكساها المأمون الديباج الاحمر والديباج الابيض والقباطى فكانت تكسى الاحمر يوم التروية والقباطى يوم هلال رجب والديباج الابيض يوم سبع وعشرين من رمضان قال بعضهم وهكذا كانت تكسى فى زمن المتوكل العباسى ثم فى زمن الناصر العباسى كسيت السواد من الحرير واستمر ذلك الى الآن فى كل سنة وكسوتها من غلة قريتين يقال لهما بيسوس وسندبيس من قرى القاهرة وقفهما على ذلك الملك الصالح اسمعيل بن الناصر محمد بن قلاون فى سنة نيف وخمسين وسبعمائة أى والآن زادت القرى على هاتين القريتين والحاصل أن أول من كساها على الاطلاق تبع الحميرى كما تقدم على الراجح وذلك قبل الاسلام بتسعمائة سنة قيل وسبب كسوة أم عمه صلى الله عليه وسلم لها الديباج أن العباس ضل وهو صبى فنذرت ان وجدته لتكسون الكعبة فوجدته فكست الكعبة الديباج اى وكانت من بيت مملكة وقيل أول من كساها الديباج عبد الملك بن مروان اى وهو المراد بقول ابن اسحق أول من كساها الديباج الحجاج لان الحجاج كان من امراء عبد الملك وقد سئل الامام البلقينى هل يجوز كسوة الكعبة بالحرير المنسوج بالذهب ويجوز اظهارها فى دوران المحمل الشريف فأجاب بجواز ذلك قال لما فيه من التعظيم لكسوتها الفاخرة التى ترجى بكسوتها الخلع السنية فى الدنيا والآخرة ويجوز اظهارها فى دوران المحمل الشريف فان فى ذلك المناسبة للحال المنيف هذا كلامه اى واول من حلى بابها بالذهب جده صلى الله عليه وسلم عبد المطلب فانه لما حفر بئر زمزم وجد فيها الاسياف والغزالتين من الذهب فضرب الاسياف بابا لها وجعل فى ذلك الباب الغزالتين فكان أول ذهب حليته الكعبة على ما تقدم واول من ذهب الكعبة فى الاسلام عبد الملك بن مروان وقيل عبد الله بن الزبير جعل على أساطينها صفائح الذهب وجعل مفاتيحها من الذهب وجعل الوليد بن عبد الملك الذهب على الميزاب يقال انه ارسل لعامله على مكة ستة وثلاثين ألف دينار يضرب منها على باب الكعبة وعلى الميزاب وعلى الاساطين التى داخلها وعلى أركانها من داخل وذكر ان الامين بن هرون الرشيد أرسل الى عامله بمكة بثمانية عشر ألف دينار ليضرب بها صفائح الذهب على بابى الكعبة فقلع ما كان على الباب

من الصفائح وزاد عليها ذلك وجعل مسامبرها وحلقتي الباب والعتب من الذهب وان أم المقتدر الخليفة العباسي أمرت غلامها لؤلؤا ان يلبس جميع اسطوانات البيت ذهبا ففعل (وقال عبد الله) بن الزبير لما فرغ من بنائها من كان لي عليه طاعة فليخرج فليعتمر من التنعيم ومن قدر أن ينحر بدنة فليفعل فان لم يقدر فشاة ومن لم يقدر فليتصدق بما تيسر وأخرج مائة بدنة فلما طاف استلم الاركان الاربعة جميعا فلم تزل الكعبة على بناء عبد الله بن الزبير تستلم أركانها الاربعة اى لانها على قواعد ابراهيم عليه الصلاة والسلام ويدخل اليها من باب ويخرج من باب حتى قتل اى قتله شخص من جيش الحجاج بحجر رماه به فوقع بين عينيه فقتل وهو بالمسجد لان الحجاج كان أميرا على الجيش الذى أرسله عبد الملك بن مروان لقتاله وكتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج أن اهدم مازاده ابن الزبير فيها اى يهدم البناء الذى جعله على آخر الزيادة التى أدخلها فى الكعبة وكانت قريش أخرجتها بدليل قوله وردها الى ما كانت عليه وسد الباب الذى فتح اى وأن يرفع الباب الاصلى الى ما كان عليه زمن قريش واترك سائرها اى لانه اعتقد أن ابن الزبير فعل ذلك من تلقاء نفسه فكتب الحجاج الى عبد الملك يخبره بأن عبد الله بن الزبير وضع البناء على أس قد نظر اليه العدول من أهل مكة اى وهم خمسون رجلا من وجوه الناس وأشرافهم كما تقدم فكتب اليه عبد الملك انا لسنا من تخبيط ابن الزبير فى شئ فنقض الحجاج ما أدخل من الحجر وسد الباب الثانى اى الذى فى ظهر الكعبة عند الركن اليمانى ونقص من الباب الاول خمسة أذرع اى ورفعه الى ما كان عليه فى زمن قريش فبنى تحته اربعة أذرع وشبرا وبنى داخلها الدرجة الموجودة اليوم (وفى لفظ) أن الحجاج لما ظفر بابن الزبير كتب الى عبد الملك بن مروان يخبره أن ابن الزبير زاد فى الكعبة ماليس فيها وأحدث فيها بابا آخر واستأذن فى رد ذلك على ما كانت عليه فى الجاهلية فكتب اليه عبد الملك أن يسد بابها الغربى ويهدم ما زاد فيها من الحجر ففعل ذلك الحجاج فسائرها قبل وقوع هذا الهدم بالسيل الواقع فى سنة تسع وثلاثين بعد الالف وبنائه على بنيان ابن الزبير الا الجانب الذى يلى الحجر فانه من بنيان الحجاج اى والبناء الذى تحت العتبة وهو اربعة أذرع وشبر فان باب الكعبة كان على عهد العماليق وجرهم وابراهيم عليه الصلاة والسلام لاصقا بالارض حتى رفعته قريش كما تقدم وما سد به الباب الغربى والردم كان بالحجارة التى كانت داخل أرض الكعبة اى التى وضعها عبد الله بن الزبير اى ولعله انما وضع فى ذلك المحل الحجارة التى تصلح للبناء فلا ينافى ما أخبرنى به بعض الثقات أن بعض بيوت مكة كان فيها

الارض أصدق من ابى ذر رضى الله عنه وقال صلى الله عليه وسلم فى حقه ابوذر يمشى فى الارض على زهد عيسى بن مريم عليه السلام وفى الحديث أبوذر زاهد أمتى وأصدقها وقد هاجر أبوذر رضى الله عنه الى الشام بعد وفاة ابى بكر رضى الله عنه واستمر بها الى أن ولى عثمان رضى الله عنه فاستقدمه من الشام لشكوى معاوية رضى الله عنه وأسكنه الربذة فكان بها حتى مات وذلك ان أباذر صار يغلظ القول لمعاوية ويكلمه بالكلام الخشن وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان القيا أبى ذر رضى الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم كانت بدلالة على رضى الله عنه وأنه قال له ما اقدمك هذا البلد فقال له أبوذر ان كتمت على أخبرتك وفى رواية ان أعطيتنى عهدا وميثاقا أن ترشدنى أخبرتك ففعل قال ابوذر فأخبرته فأرشدنى وأوصلنى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلمت وفى رواية أن عليا رضى الله عنه استضافه أبوذر رضى الله عنه ثلاثة ايام لا يسأله عن شئ وهو لا يخبره ثم فى الثالث قال له ما امرك وما اقدمك هذه البلدة قال ان كتمت على اخبرتك قال فانى افعل قال له بلغنا أنه خرج ههنا رجل يزعم أنه نبى فأرسلت اليه اخى ليكلمه فرجع ولم يشفنى من الخبر فأردت أن القاه فقال أما انك قد رشدت هذا وجهى اى خروجى اليه فاتبعنى ادخل حيث أدخل فان رأيت احدا اخافه عليك قمت الى الحائط كأنى أصلح نعلى وفى رواية كأنى اريق الماء فامض انت قال ابوذر فمضى ومضيت حتى دخل ودخلت معه على النبى صلى الله عليه وسلم فقلت له اعرض على الاسلام فاعرضه على فأسلمت مكانى الحديث ثم ان أبا بكر قال يا رسول الله ائذن لى فى طعامه الليلة قال ابوذر رضى الله عنه فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه فانطلقت معهما ففتح أبو بكر رضى الله عنه بابا

سفعل بفيض لنا من زبيب الطائف فكان ذلك اول طعام اكلته اى من الزبيب فلا ينافى اضافة على رضى الله عنه له ويمكن التوفيق بين رواية دخوله على النبى صلى الله عليه وسلم مع على رضى الله عنه فأسلم ورواية اجتماعه به فى الطواف فأسلم بان يكون ابوذر دخل عليه اولا مع على ثم لقيه فى الطواف ويكون المراد حينئذ باسلامه الثانى الثبات عليه بتكرير الشهادتين وعذره فى عدم اجتماعه به فى المسجد مدة ثلاثين يوما عدم خلو المطاف كما يرشد له قوله ففى ليلة لم يطف بالبيت أحد الخ والا فيبعد أن يكون صلى الله عليه وسلم لم يدخل المسجد للطواف فى مدة ثلاثين يوما وقوله من الرجل زيادة فى الاستفهام عنه لطول المدة ولان لقيه كان بالليل وهو يظن أنه قد سافر ولم يمكث هذه المدة وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال لابى ذر اكتم هذا الامر وارجع الى قومك فأخبرهم بأوتى فاذا بلغك ظهورنا فأقبل قلت والذى بعثك بالحق لاصرخن بهذا بين ظهرانيهم قال وكنت فى الاسلام خامسا وفى رواية رابعا اى من الاعراب فلا ينافى زيادة من أسلم غيره على خمسة قال ابوذر فلما اجتمعت قريش فى المسجد ناديت بأعلى صوتى أشهد ان لا اله الا الله واشهد أن محمدا رسول الله فقالوا قوموا الى هذا الصابى فقام على اهل الوادى بكل مدرة وعظم حتى خررت مغشيا على فاكب على العباس وقال ويلكم ألستم تعلمون أنه من غفار وان طريق تجارتكم عليهم فخلوا عنى قال فجئت زمزم فغسلت عنى الدماء فلما أصبحت الغد رجعت الى مثل ذلك فصنع بى فلن مثل ماصنع بالامس وأدركنى العباس وخلصنى فخرجت وأتيت انيسا فقال ماصنعت فقلت قد اسلمت وصدقت فقال مالى رغبة عن دينك فانى قد اسلمت وصدقت فأتينا أمنا فقالت مالى رغبة عن دينكما فانى اسلمت وصدقت فأتينا قومنا غفارا فاسلم

بعض الحجارة التى أخرجت من الكعبة زمن عبد الله بن الزبير ويقال ان ذلك البيت الذى كان فيه تلك الحجارة كان بيتا لعبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنه وبناء الحجاج كان فى السنة التى قتل فيها عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنه وهى سنة ثلاث وسبعين (قيل) ولما دخل عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنه وهو محاصر حاصره الحجاج خمسة أشهر وقيل سبعة اشهر وسبع عشرة ليلة على امه أسماء رضى الله تعالى عنهما قبل قتله بعشرة ايام وهى شاكية اى مريضة فقال لها كيف تجدينك ياأمه قالت ما اجدنى الا شاكية فقال لها ان فى الموت لراحة فقالت لعلك تمنيته لى ما احب أن اموت حتى يأتى على أحد طرفيك اما قتلت واما ظفرت بعدوك فقرت عينى ولما كان اليوم الذى قتل فيه دخل عليها فى المسجد فقالت له يابنى لا تقبلن منهم خطة تخاف فيها على نفسك الذى تخاف القتل فو الله لضربة بالسيف فى عز خير من ضربة سوط فى ذل ويقال ان الناس لازالوا ينسلون عن ابن الزبير الى الحجاج لطلب الامان وهو يؤمنهم حتى خرج اليه قريب من عشرة آلاف حتى كان من جملة من خرج اليه حمزة وخبيب ابنا عبد الله بن الزبير وأخذا لانفسهما أمانا من الحجاج فأمنهما ودخل عبد الله على أمه فشكا اليها خذلان الناس له وخروجهم الى الحجاج حتى أولاده واهله وأنه لم يبق معه الا اليسير والقوم يعطوننى ماشئت من الدنيا فما رأيك فقالت يابنى أنت اعلم بنفسك ان كنت تعلم انك على حق وتدعو الى حق فاصبر عليه فقد قتل اصحابك عليه ولا تمكن من رقبتك تلعب بها غلمان بنى امية ولئن كنت انما اردت الدنيا فلبئس العبد أنت اهلكت نفسك واهلكت من قتل معك كم خلودك فى الدنيا فدنا منها وقبل رأسها وقال والله ماركنت الى الدنيا ولا أحببت الحياة فيها وما دعانى الى الخروج الا الغضب لله أن تستحل حرمته وبعد أن قتل وصلب على الجذع فوق الثنية ومضت ثلاثة ايام جاءت أمه اسماء رضى الله تعالى عنها تقاد لان بصرها كان قد كف حتى وقفت عليه فدعت له طويلا ولم يقطر من عينها دمعة وقالت للحجاج أما آن لهذا الراكب أن ينزل فقال لها الحجاج المنافق رأيت كيف نصر الله الحق وأظهره ان ابنك ألحد فى هذا البيت وقد قال تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم وقد اذاقه الله ذلك العذاب الاليم (وفى كلام) سبط ابن الجوزى أن ابن الزبير لما قال لعثمان رضى الله تعالى عنه وهو محاصر ان عندى نجائب أعددتها لك فهل لك أن تنجو الى مكة فانهم لا يستحلونك بها قال له عثمان سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يلحد رجل فى الحرم من قريش أو بمكة يكون عليه نصف عذاب العالم

نصفهم وقال بعضهم اذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اسلمنا فلما جاء المدينة اسلم نصفهم الثانى لانه صلى الله عليه وسلم
قال لابى ذر انى قد وجهت الى أرض ذات نخل لا اراها الا يثرب فهل انت مبلغ قومك عسى الله أن ينفعهم بك ويأجرك فيهم
وقد ذكر ان اباذر رضى الله عنه وقف يوما عند الكعبة فى حجة حجها أو عمرة ٢٣٥ اعتمرها فاكتنفه الناس فقال لهم لوأن احدكم
أراد سفرا أليس يتخذ زادا فقالوا
بلى فقال سفر القيامة أبعد مما
تريدون فخذوا ما يصلحكم فقالوا
وما يصلحنا قال حجوا حجة لعظائم
الامور وصوموا يوما شديدا حره
ليوم النشور وصلوا فى ظلمة الليل
لوحشة القبور * (ومن السابقين
للاسلام) * خالد بن سعيد بن
العاص وهو اول من اسلم من
اخوته فيحمل عليه قول ابنته
أم خالد اول من اسلم ابى اى من
اخوته وسبب اسلامه انه رأى
فى النوم النار ورأى من فظاعتها
وأهوالها امرا مهولا ورأى
أنه على شفيرها وان أباه يريد ان
يلقيه فيها ورأى رسول الله صلى
الله عليه وسلم آخذا بحجزته
يمنعه من الوقوع فيها فقام من
نومه فزعا وعلم أن نجاته من النار
تكون على يد رسول الله صلى الله
عليه وسلم فأتى ابابكر رضى الله
عنه فذكر له ذلك فقال له ابو بكر
رضى الله عنه أريد بك خير هذا
رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاتبعه فأتاه فقال يامحمد ماتدعو
اليه قال ادعو الى الله وحده
لاشريك له وأن محمدا عبده ورسوله
وتخلع ماانت عليه من عبادة حجر
لايسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع فأسلم خالد وفى الوفاء للسيد السمهودى عن ام خالد بنت خالد بن سعيد أنها قالت كان خالد بن
سعيد ذات ليلة نائما قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رأيت كأنه غشيت مكة ظلمة حتى لا يبصر امرؤ كفه فبينما
هو كذلك اذ خرج نور من زمزم ثم علا فى السماء فأضاء فى البيت ثم اصاب مكة كلها ثم تحول الى يثرب فأصابها حتى انى لانظر

فلن اكون انا (وفى رواية) قال له لا لانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يلحد
بمكة كبش من قريش اسمه عبد الله عليه مثل نصف أوزار الناس هذا كلامه وعندى
أن المراد بعبد الله الحجاج لا ابن الزبير ولا مانع أن يكون الحجاج من قريش على ان الذى
فى الصواعق لابن حجر الهيثمى رحمه الله تعالى أن القائل لعثمان ذلك المغيرة بن شعبة ولما
سمعت سيدتنا أسماء رضى الله تعالى عنها الحجاج يقول فى ولدها المنافق قالت له كذبت
والله ما كان منافقا ولكنه كان صواما قواما برا كان اول مولود ولد فى الاسلام بالمدينة
وسر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وحنكه بيده وكبر المسلمون يومئذ حتى ارتجت
المدينة فرحا به كان عاملا بكتاب الله حافظا لحرم الله يبغض أن يعصى الله عز وجل قال
انصرفى فانك عجوز قد خرفت قالت والله ماخرفت ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول يخرج من ثقيف كذاب ومبير اما الكذاب فقد رأيناه تعنى المختار بن ابى
عبيد الثقفى والى العراق فانه لما قتل الحسين رضى الله تعالى عنه اتفق مع طائفة من
الشيعة ممن كان خذل الحسين ولما قتل ندموا على ذلك فوافقوا المختار على مقاتلة من
قتل الحسين من اهل الكوفة فتوجهوا اليه وقتلوا جميع من قاتل الحسين وملكوا
الكوفة وشكر الناس للمختار ذلك ثم قالت وأما المبير فأنت المبير ولما بلغ عبد الملك
ماقاله الحجاج لاسماء كتب اليه يلومه على ذلك اى ومن ثم أرسل اليها الحجاج فأبت أن
تأتيه فأعاد اليها الرسول وقال اما أن تأتينى أولا بعثن اليك من يسحبك بقرونك فأبت
وقالت والله لا آتيك حتى تبعث الى من يسحبنى بقرونى فعند ذلك اخذ نعليه ومشى
حتى دخل عليها فقال ياأمه ان امير المؤمنين أوصانى بك فهل لك من حاجة فقالت لست
لك بأم ولكنى أم المصلوب على رأس الثنية ومالى من حاجة ولكن انتظر حتى احدثك
ماسمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
يخرج من ثقيف كذاب ومبير فأما الكذاب فقد رأيناه وأما المبير فأنت فقال الحجاج مبير
للمنافقين ومن كذب المختار أنه ادعى النبوة وانه يأتيه الوحى ويسر ذلك لاصحابه
(وفى دلائل النبوة للبيهقى) عن بعضهم قال كنت أقوم بالسيف على رأس المختار
ابن أبى عبيد فسمعته يوما يقول قام جبريل عن هذه النمرقة وفى رواية من على هذا
الكرسى فأردت أن اضرب عنقه فتذكرت حديثا حدثته أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال اذا أمن الرجل الرجل على دمه ثم قتله رفع له لواء الغدر يوم القيامة فكففت
عنه ولعل هذا مستند مانقل عن كتاب الاملاء لامامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه من

الى السمر فى النخل فاستيقظت فقصصتها على اخى عمرو بن سعيد وكان جزل الرأى فقال يا اخى ان هذا الامر فى بنى عبد المطلب ألا ترى انه خرج من حفر ابيهم ثم انه ذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد مبعثه فقال يا خالد أنا ذلك النور وانا رسول الله وقص عليه ما بعثه الله به فأسلم خالد وعلم بذلك ابوه وهو سعيد ابو أحيحة وكان من عظماء قريش وكان اذا اعتم لم يعتم قرشى اعظاما له ومن ثم قال فيه القائل

ابا احيحة من يعتم عمته

يوما وان كان ذا مال وذا عدد

وعند اسلام ولده خالد أرسل فى طلبه فانتهره وضربه بمقرعة كانت فى يده حتى كسرها على رأسه ثم قال اتبعت محمدا وانت ترى خلافه لقومه وما جاء به من عيب آلهتهم وعيب من مضى من آبائهم فقال والله تبعته على ما جاء به فغضب ابوه وقال اذهب يا لكع حيث شئت وقال والله لامنعنك القوت قال ان منعتنى فالله يرزقنى ما اعيش به فأخرجه وقال لبنيه ولم يكونوا اسلموا لا يكلمه احد منكم الا صنعت به مثله فانصرف خالد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يلزمه ويعيش معه ويغيب عن ابيه فى نواحى مكة حتى خرج اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أرض الحبشة فى الهجرة الثانية فكان خالد اول من خرج اليها وذكر عن والده سعيد انه مرض فقال ان رفعنى الله من مرضى هذا لا يعبد اله ابن ابى كبشة بمكة فقال خالد عند ذلك اللهم لا ترفعه فتوفى فى مرضه ذلك وخالد هذا اول من كتب بسم الله الرحمن الرحيم واسلم اخوه عمرو بن سعيد بن العاص فيقال قيل وسبب اسلامه انه رأى نورا خرج من زمزم أضاءت منه نخيل المدينة حتى رأى البسر فيها فقص رؤياه فقيل له هذه بئر بنى عبد المطلب وهذا النور منهم يكون فكان سبب الاسلامه وتقدم قريبا ان هذه الرؤيا وقعت لاخيه خالد وكانت سبب الاسلامه

اقول بأن المسلم يقتل بالمستأمن وقد كتب المختار للاحنف بن قيس وجماعته وقد بلغنى انكم تسموننى الكذاب وقد كذب الانبياء من قبلى ولست بخير منهم وقد كان يقع منه أمور تشبه الكهانة منها أنه لما جهز جيشا لقتال عبيد الله بن زياد المجهز للجيش لمقاتلة الحسين رضى الله تعالى عنه كما تقدم قال لاصحابه فى غد يأتى اليكم خبر النفير وقتل ابن زياد فكان كما اخبر وجئ برأس ابن زياد وألقيت بين يدى المختار وكان قتله يوم عاشوراء اليوم الذى قتل فيه الحسين ثم قتل المختار وكان قتل المختار على يد مصعب بن الزبير وجئ برأس المختار بين يدى مصعب لما ولى العراق من جانب اخيه لابيه عبد الله بن الزبير (ومما يؤثر) عن مصعب العجب من ابن آدم كيف يتكبر وقد جرى فى مجرى البول مرتين ثم قتل مصعب وقطعت رأسه ووضعت بين يدى عبد الملك بن مروان وعن بعضهم أنه حدث عبد الملك فقال له يا امير المؤمنين دخلت القصر قصر الامارة بالكوفة فاذا رأس الحسين على ترس بين يدى عبيد الله بن زياد وعبيد الله بن زياد على السرير ثم دخلت القصر بعد ذلك بحين فرايت راس عبيد الله بن زياد على ترس بين يدى المختار والمختار على السرير ثم دخلت القصر بعد ذلك بحين فرأيت راس المختار بين يدى مصعب بن الزبير ومصعب ابن الزبير على السرير ثم دخلت بعد ذلك بحين فرأيت راس مصعب بن الزبير بين يديك وأنت على السرير فقال عبد الملك لا أراك الله الخامسة ثم امر بهدم ذلك القصر (وعن امامنا الشافعى) رضى الله تعالى عنه ان أبا الحجاج لما دخل بأم الحجاج واقعها فنام فرأى قائلا يقول له فى المنام ما اسرع ما أنجبت بالمبير (وفى كلام سبط ابن الجوزى) ان ام الحجاج كانت قبل ابيه مع المغيرة بن شعبة فطلقها بسبب أنه دخل عليها يوما فوجدها تتخلل حين انقلبت من صلاة الصبح فقال لها ان كنت تتخللين من طعام البارحة انك لقذرة وان كان من طعام اليوم انك لنهمة كنت فبنت قالت والله ما فرحنا اذ كنا ولا أسفنا اذ بنا ولا هو شئ مما ظننت ولكنى استكت فأردت أن اتخلل من السواك فندم المغيرة على طلاقها فخرج فلقى يوسف بن أبى عقيل والد الحجاج فقال له هل لك الى شئ أدعوك اليه قال وما ذاك قال انى نزلت عن سيدة نساء ثقيف وهى الفارعة فتزوجها تنجب لك فتزوجها فولدت له الحجاج (وفى حياة الحيوان) أنها كانت قبل ابى الحجاج عند امية بن ابى الصلت هذا كلامه وقد يقال لا مانع أنها تزوجت الثلاثة وان تزوجها الامية كان قبل المغيرة وكونها سيدة نساء ثقيف يبعد القول بانها المتمنية التى مر بها اسد ناعمر رضى الله تعالى عنه وهى تنشد * هل من سبيل الى خمر فاشربها * الابيات وأنه كان يعربها

وانه قصها على اخيه عمرو والمذكور فهو من خلط بعض الرواة الا أن يقال لا مانع من تعدد هذه الرؤيا لخالد ولاخيه عمرو وانها كانت سببا لاسلامهما وأسلم من بني سعيد ابان بن سعيد والحكم بن سعيد الذى سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله

(ومن السابقين للاسلام) صهيب رضي الله عنه كان ابوه عاملا لكسرى فأغارت الروم عليهم فسبت صهيبا وهو غلام صغير فنشأ في الروم حتى كبر ثم ابتاعه جماعة من العرب وجاؤا به الى سوق عكاظ فابتاعه منهم عبد الله بن جدعان فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مر صهيب على دار رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى عمار ابن ياسر فقال عمار بن ياسر اين تريد يا صهيب قال اريد أن ادخل على محمد فاسمع كلامه وما يدعو اليه قال عمار وانا اريد ذلك فدخلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرهما بالجلوس فجلسا وعرض عليهما الاسلام وقرأ عليهما من القرآن فتشهدا ثم مكثا عنده يومهما حتى أمسيا ثم خرجا مستخفيين فدخل عمار على أمه وابيه فسألاه أين كان فأخبرهما باسلامه وعرض عليهما الاسلام وقرأ عليهما ما حفظ من القرآن فأعجبهما فأسلما على يده وكان اسلام صهيب وعمار تكملة بضع وثلاثين رجلا *(ومن السابقين للاسلام)* حصين والد عمران بن حصين رضي الله عنهما وكان اسلامه بعد اسلام ابنه عمران وسبب اسلامه أن قريشا جاءت اليه وكانت تعظمه وتجله فقالوا له كلم لنا هذا الرجل فانه يذكر آلهتنا ويسبها فجاؤا معه حتى جلسوا قريبا من باب النبي صلى الله عليه وسلم فدخل حصين فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم قال أوسعوا للشيخ وعمران ولده مع الصحابة فقال حصين ما هذا الذى بلغنا عنك انك تشتم آلهتنا وتذكرها فقال يا حصين كم تعبد من اله قال سبعة في الارض وواحد في السماء قال فاذا أصابك الضر من تدعو قال الذى في

فيقال له ابن المتمنية وفي مدة صلب عبد الله بن الزبير صارت أمه تقول اللهم لا تمتني حتى تقر عيني بجثته وذهب أخوه عروة بن الزبير الى عبد الملك بن مروان يسأل في انزاله عن الخشبة فاجابه وأنزله قال غاسله كنا لا نتناول عضوا من أعضائه الا جاء معنا فكنا نغسل العضو ونضعه في اكفانه وقامت فصلت عليه أمه وماتت بعده بجمعة ذكر ذلك في الاستيعاب وقيل بعده بمائة يوم قال الحافظ ابن كثير وهو المشهور وبلغت من العمر مائة سنة ولم يسقط لها سن ولم ينكر لها عقل وقتل مع ابن الزبير مائتان وأربعون رجلا منهم من سال دمه في جوف الكعبة وكان من جملة من قتل عبد الله بن صفوان بن أمية الجمحي قتل يوم قتل ابن الزبير وقطع رأسه وبعث الحجاج برأسه ورأس ابن الزبير الى المدينة فنصبوهما وصاروا يقربون رأس عبد الله بن صفوان الى راس ابن الزبير كأنه يساره يلعبون بذلك ثم بعثوا بهما الى عبد الملك بن مروان (ولما) وضعت رأس عبد الله بن الزبير بين يدى عبد الملك سجد وقال والله كان احب الناس الى وأشدهم الى الفا ومودة ولكن الملك عقيم اى فان الرجل يقتل ابنه أو اخاه على الملك فاذا فعل ذلك انقطعت بينهما الرحم وسيأتي مدحة عبد الملك لعبد الله بن الزبير وتوبيخ أمير الجيش الذى ارسله يزيد لقتاله وقد كان ابن الزبير قال لعبد الله بن صفوان انى قد أقلتك بيعتي فاذهب حيث شئت فقال انما أقاتل عن ديني وكان سيدا شريفا مطاعا حليما كريما قتل وهو متعلق باستار الكعبة وحينئذ يشكل كونه حرما آمنا ومما يدل لما تقدم من ان عبد الله بن الزبير كان عنده سوء خلق ما حكى أنه جاء اليه شخص فقال له ان الناس على باب عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما يطلبون العلم وان الناس على باب اخيه عبيد الله يطلبون الطعام فأحدهما يفقه الناس والآخر يطعم الناس فما ابقيا لك مكرمة فدعا شخصا وقال له انطلق الى ابني العباس رضي الله تعالى عنهم وقل لهما يقول لكما امير المؤمنين أخرجا عني والافعلت وفعلت فخرجا الى الطائف اى وقيل ما اخرج عبد الله من مكة الى الطائف الا لان الله تعالى يقول ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم وقد قال الشيخ محيي الدين بن العربي اعلم أن الله تعالى قد عفا عن جميع الخواطر التي لا تستقر عندنا الا بمكة لان الشرع قد ورد ان الله يؤاخذ فيه من يرد فيه بالحاد بظلم وكان هذا سبب سكنى عبد الله بن عباس بالطائف احتياطا لنفسه لانه ليس في قدرة الانسان أن يدفع عن قلبه الخواطر قال بعضهم كان يقال من أراد الفقه والجمال والسخاء فليأت دار العباس الجمال للفضل والسخاء لعبيد الله والفقه لعبد الله قال ولما حج عبد الملك اى وذلك في سنة

السماء قال فاذا هلك المال قال الذى فى السماء قال يستجيب لك وحده وتشرك معه أأرضيته فى الشرك يا حصين أسلم تسلم فاسلم فقام اليه ولده عمران فقبل رأسه ويديه ورجليه فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بكيت من صنع عمران دخل حصين وهو كافر فلم يقم اليه عمران ولم يلتفت ناحيته فلما اسلم وفى بحقه فدخلنى من ذلك الرقة فلما اراد حصين الخروج قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه شيعوه الى منزله فلما خرج من سدة الباب اى عتبته رأته قريش فقالوا قد صبا وتفرقوا عنه *(ولما دخل الناس)* فى الاسلام أرسالا اى جماعات متتابعين من الرجال والنساء أمر الله رسوله ان يصدع بالحق ويواجه المشركين بالجهر بالقرآن فى الصلاة وأنزل عليه فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين فشق ذلك عليهم وكانوا قبل ذلك لم يبعدوا منه ولم يردوا عليه بل كانوا كما قال الزهرى غير منكرين لما يقول وكان اذا مر عليهم فى مجالسهم يقولون هذا ابن عبد المطلب يكلم من السماء واستمروا على ذلك حتى ذكر آلهتهم وعابها وذلك انه دخل عليهم المسجد يوما فوجدهم يسجدون للاصنام فنهاهم وقال أبطلتم دين أبيكم ابراهيم فقالوا انما نسجد لها لتقربنا الى الله فلم يرض بذلك منهم وعاب صنعهم وكان ذلك فى سنة اربع من النبوة وقيل فى سنة خمس فأجمعوا على خلافه وعداوته الا من عصم الله منهم بالاسلام وهم قليل مستخفون وحدب بكسر الدال اى عطف عليه عمه ابو طالب وقام دونه حاجزا بينه وبينهم فاشتد الامر وتضارب القوم واظهر ابن بعضهم لبعض العداوة وأخذوا يعذبون من اسلم ويفتنونهم عن دينهم ومنع الله رسوله صلى الله عليه وسلم بعمه ابى طالب وبنى هاشم بن عبد مناف ما عدا أبا لهب منهم وبنى المطلب بن عبد مناف اخى هاشم وكانوا معهم يطلب من ابى طالب بخلاف فى

خمس وسبعين قال له الحرث أنا اشهد لابن الزبير بالحديث الذى سمعه من خالته عائشة رضى الله تعالى عنها قال انت سمعته منها قال نعم فجعل ينكت بالمثناة فوق بقضيب كان فى يده الارض ساعة ثم قال وددت انى كنت تركته يعنى ابن الزبير وما تحمل وفى رواية ان عبد الملك كتب الى الحجاج وددت انك تركت ابن الزبير وما تحمل وهذا هو الموافق لما فى تاريخ الازرقى أن الحرث وفد على عبد الملك بن مروان فى خلافته فقال له عبد الملك ما اظن أبا خبيب يعنى ابن الزبير سمع من عائشة رضى الله تعالى عنها ما كان يزعم انه سمع منها فى بناء الكعبة قال الحرث أنا سمعته منها قال عبد الملك أنت سمعته منها الحديث وكون عائشة حدثت ابن الزبير بما ذكر لا ينافى ما فى تاريخ ابن كثير عن بعضهم قال سمعت ابن الزبير رضى الله تعالى عنهما يقول حدثتنى أمى اسماء بنت ابى بكر رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة لولا قرب عهد قومك بالكفر لرددت الكعبة على أساس ابراهيم عليه الصلاة والسلام الحديث وفى رواية أن عائشة رضى الله تعالى عنها نذرت ان فتح الله مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم تصلى فى البيت ركعتين فلما فتحت مكة اى وحج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فسألت النبى صلى الله عليه وسلم أن يفتح لها باب الكعبة ليلا فجاء عثمان بن طلحة بالمفتاح الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله انها لم تفتح ليلا قط قال فلا تفتحها ثم اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدها وادخلها الحجر وقال صلى ههنا فان الحطيم اى الحجر من البيت الا أن قومك قصرت بهم النفقة اى الحلال فأخرجوه من البيت ولولا حدثان قومك بالجاهلية لنقضت بناء الكعبة واظهرت قواعد الخليل وأدخلت الحطيم فى البيت وألصقت العتبة على الارض وان عشت الى قابل لافعلن ذلك ولم يعش عليه الصلاة والسلام ولم تتفرغ الخلفاء لذلك وبما ذكر يعلم ما فى قول الاصل فهدمها اى عبد الملك وبناها على ما كانت عليه فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد علمت أن الحجاج لم يبن الا الجدار الذى يليه الحجر والبناء الذى تحت العتبة والدرجة التى فى باطنها وأما التراب الذى جعل فى باطنها فيحتمل أن يكون هو التراب الذى اخرجه عبد الله بن الزبير استمر باقيا فاعاده الحجاج ويحتمل أنه غيره ولم أقف على بيان ذلك فى كلام احد والشاذروان الذى أخرجه عبد الله بن الزبير من عرض الاساس الذى بنته قريش لاجل مصلحة استمساك البناء وثباته ومن العجب ما حدث به بعضهم قال كنت أميرا على الجيش الذى بعث به يزيد بن معاوية الى عبد الله بن الزبير بمكة فدخلت مسجد المدينة فجلست بجانب عبد الملك

اخويهم نوفل وعبد شمس ابنى عبد مناف فانهم كانوا من اشد الناس عليه صلى الله عليه وسلم (قال ابن اسحق) كان صلى الله عليه وسلم يدعو الناس خفية بعد نزول يا ايها المدثر ثلاث سنين فكان من اسلم اذا أراد الصلاة اى صلاة الركعتين بالغداة وبالعشى يذهب الى بعض الشعاب يستخفى بصلاته من المشركين فبينما سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه فى نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شعب من شعاب مكة اذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم فضرب سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه رجلا منهم بلحى بعير فشجه فهو اول دم اهريق فى الاسلام ثم ظهرت العداوة بعد ذلك بينهم واشتد الامر فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم هو واصحابه مستخفين فى دار الارقم المعروفة الآن بدار الخيزران لان المنصور لما اشترى الدار المذكورة وهبها لولده المهدى العباسى فوهبها المهدى المذكور لجاريته الخيزران وهى أم ولديه موسى الهادى وهرون الرشيد فوقفتها مسجدا وقد روت الخيزران عن زوجها المهدى عن أبيه المنصور عن جده عن ابن عباس رضى الله عنهما من اتقى الله وقاه كل شئ فكان صلى الله عليه وسلم واصحابه يقيمون الصلاة بدار الارقم ويعبدون الله تعالى واختلفوا فى مدة استخفائه فقيل اربع سنين وقيل أقاموا فى تلك الدار شهرا فقط وهم تسعة وثلاثون وخرجوا بعد أن كملوا اربعين باسلام عمر وحمزة رضى الله عنهما * (ولما نزل عليه صلى الله عليه وسلم) * وأنذر عشيرتك الاقربين وهم بنو هاشم وبنو المطلب وبنو عبد شمس وبنو نوفل اولاد عبد مناف اشتد ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم وضاق به ذرعا اى عجز عن احتماله فمكث صلى الله عليه وسلم نحو شهر جالسا فى بيته حتى ظن عماته أنه شاك اى مريض فدخلن عليه عائدات

ابن مروان فقال لى عبد الملك أنت امير هذا الجيش قلت نعم قال ثكلتك أمك اتدرى الى من تسير تسير الى اوّل مولود ولد فى الاسلام اى بالمدينة من اولاد المهاجرين والى ابن حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى ابن ذات النطاقين يعنى اسماء والى من حنكه رسول الله صلى الله عليه وسلم أما والله ان جئته نهارا وجدته صائما وان جئته ليلا وجدته قائما فلو أن اهل الارض اطبقوا على قتله لاكبهم الله فى النار جميعا فلما صارت الخلافة الى عبد الملك وجهنا مع الحجاج حتى قتلناه وذكر بعضهم ان عبد الملك بن مروان لما رأى جيش يزيد متوجها الى مكة قال اعوذ بالله أيبعث الجيش الى حرم الله فضرب منكبه شخص كان يهوديا وأسلم وكان يقرأ الكتب وقال له جيشك اليه اعظم ويقال ان هذا اليهودى مر على دار مروان والد عبد الملك هذا فقال ويل لامة محمد من اهل هذه الدار اى لان مروان كان سببا لقتل عثمان وعبد الملك ابنه كان سببا لقتل عبد الله بن الزبير ووقع من الوليد بن يزيد بن عبد الملك الامور الفظيعة (وسبب ولاية الحجاج) على الجيش انه قال لعبد الملك بن مروان رأيت فى منامى انى اخذت عبد الله بن الزبير فسلخته فولنى قتاله فولاه فأرسله فى جيش كثيف من اهل الشام فحصر ابن الزبير ورمى الكعبة بالمنجنيق ولما رمى به ارعدت السماء وأبرقت فخاف اهل الشام فصاح الحجاج هذه صواعق تهامة وأنا ابنها ثم قام ورمى المنجنيق بنفسه فزاد ذلك ولم تزل صاعقة تتبعها اخرى حتى قتلت اثنى عشر رجلا فخاف اهل الشام زيادة قال بعضهم ولا زال الحجاج يحضهم على الرمى بالمنجنيق ولم تزل الكعبة ترمى بالمنجنيق حتى هدمت وحرقت استارها حتى صارت كالفحم اى وفيه أنه لو كانت هدمت او حرقت لاعيد بناؤها أو اصلحت بالترميم ولو وقع ذلك لنقل لانه مما تتوفر الدواعى على نقله ولعل هذا اشتبه على بعض الرواة ظن ان الذى وقع من جيش يزيد واقع من الحجاج (فان قيل) هلا اهلك الله من نصب المنجنيق على الكعبة كما اهلك ابرهة (قلنا) لان من نصب المنجنيق لم يرد هدم الكعبة بخلاف ابرهة كما تقدم وفيه أنه قد يشكل كونه حرما آمنا وفى البخارى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال حين وقع بينه وبين ابن الزبير اى وأمره بان يخرج الى الطائف ويهدده على ما تقدم قلت ابوه الزبير وأمه اسماء وخالته عائشة وجده ابو بكر وجدته صفية وفى رواية عنه أنه قال أما ابوه فحوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الزبير وأما جده فصاحب الغار يريد ابا بكر واما أمه فذات النطاقين يريد اسماء وأما خالته فأم المؤمنين يريد عائشة واما عمته فزوج النبى صلى الله عليه وسلم يريد خديجة وأما عمة النبى صلى الله

ﻫ قال ما اشتكيت شيأ لكن الله امرني بقوله وأنذر عشيرتك الاقربين فأريد أن اجمع بني عبد المطلب لادعوهم الى الله فقال له ادعهم ولا تجعل عبد العزى فيهم يعنون عمه ابا لهب قيل كني بأبي لهب لشدة احمرار خديه فانه غير مجيبك الى ما تدعو اليه وخرجن من عنده فلما اصبح ٢٤٠ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى بني عبد المطلب فحضروا وكان فيهم ابو لهب فلما اخبرهم صلى الله عليه وسلم بما انزل الله عليه أسمعه ابو لهب ما يكره فقال تبا لك ألهذا جمعتنا واخذ حجرا ليرميه به وقال ما رأيت احدا جاء بني أبيه وقومه بأشر مما جئتهم به فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتكلم في ذلك المجلس قيل ان أبا لهب ظن في أول الامر انه صلى الله عليه وسلم يريد أن ينزع عما يكرهون الى ما يحبون فقال هؤلاء عمومتك فتكلم بما تريد واترك الصبأة واعلم انه ليس للعرب بقولك طاقة وأن احق من اخذك وحبسك أسرتك وبنو ابيك ان اقمت على امرك فهو أيسر عليك من أن تثب عليك بطون قريش وتمدها العرب فما رأيت يا ابن اخي أحدا قط جاء بني ابيه وقومه بأشر مما جئتهم به فلما سمع مقالة النبي صلى الله عليه وسلم قال تبا لك ألهذا جمعتنا فأنزل الله تبت يدا أبي لهب وتب يعني خسرت وهلكت يداه والمراد جملته عبر عنها باليدين مجازا ولما سمع ابو لهب تبت يدا ابي لهب وتب قال ان كان ما يقول محمد حقا افتديت منه بمالي وولدي فنزل ما اغنى عنه ماله وما كسب ومن جملة ما كسب الولد الى آخر السورة وفي رواية الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم يوم دعا قريشا فاجتمعوا فخص وعم فقال يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار يا بني مرة بن كعب انقذوا انفسكم من النار يا بني هاشم أنقذوا انفسكم من النار يا بني عبد شمس أنقذوا انفسكم من النار يا بني عبد مناف أنقذوا انفسكم من النار

عليه وسلم لجدته يريد صفية ثم عفيف في الاسلام وقارئ للقرآن ولما قتل عبد الله بن الزبير ارتجت مكة بالبكاء فجمع الحجاج الناس وخطبهم وقال في خطبته ألا ان ابن الزبير كان من اخيار هذه الامة الا أنه نازع الحق أهله ان الله خلق آدم بيده ونفخ فيه من روحه واسكنه جنته فلما اخطأ اخرجه من الجنة بخطيئته وآدم اكرم على الله من ابن الزبير والجنة اعظم حرمة من الكعبة اذكروا الله يذكركم (ومن اعلام نبوته) صلى الله عليه وسلم ما روى ان عبد الله بن الزبير لما ولد نظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هو هو فلما سمعت بذلك أمه امسكت عن ارضاعه فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم أرضعيه ولو بماء عينيك كبش بين ذئاب وذئاب عليها ثياب ليمنعن البيت أو ليقتلن دونه (وفي حياة الحيوان) العرب اذا أرادوا مدح الانسان قالوا كبش واذا أرادوا ذمه قالوا تيس ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم في المحلل التيس المستعار ويقال ان الحجاج بعد قتل ابن الزبير ذهب الى المدينة وعلى وجهه لثام فرأى شيخا خارجا من المدينة فسأله عن حال اهل المدينة فقال شر حال قتل ابن حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قتله قال الفاجر اللعين الحجاج عليه لعائن الله ورسله من قليل المراقبة لله فغضب الحجاج غضبا شديدا ثم قال أيها الشيخ أتعرف الحجاج اذا رأيته قال نعم ولا عرفه الله خيرا ولا وقاه ضيرا فكشف الحجاج اللثام عن وجهه وقال ستعلم الآن اذا سال دمك الساعة فلما تحقق الشيخ أنه الحجاج قال ان هذا هو العجب يا حجاج أنا فلان اصرع من الجنون في كل يوم خمس مرات فقال الحجاج اذهب لا شفى الله الابعد من جنونه ولا عافاه وخلوص هذا من يد الحجاج من العجب لان اقدامه على القتل ومبادرته اليه أمر لم ينقل مثله عن احد وكان يخبر عن نفسه ويقول ان اكبر لذاته سفك الدماء قال بعضهم والاصل في ذلك أنه لما ولد لم يقبل ثديا فتصور لهم ابليس في صورة الحرث بن كلدة طبيب العرب وقال اذبحوا له تيسا اسود وألعقوه من دمه واطلوا به وجهه ففعلوا به ذلك فقبل ثدي أمه وذكر انه اتى اليه بامرأة من الخوارج فجعل يكلمها وهي لا تنظر اليه ولا ترد عليه كلاما فقال لها بعض أعوانه يكلمك الامير وأنت معرضة فقالت اني استحي أن انظر الى من لا ينظر الله اليه فأمر بها فقتلت وقد احصي الذي قتل بين يديه صبرا فبلغ مائة ألف وعشرين ألفا ولما عزى سيدتنا اسماء عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهم وأمرها بالصبر قالت وما يمنعني من الصبر وقد اهدي رأس يحيى بن زكريا الى بغي من بغايا بني اسرائيل وقد جاء ان هذه البغي اول من يدخل النار ويقال ان عبد الله بن الزبير قال لامه

يابنى زهرة أنقذوا أنفسكم من النار يابنى عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار يافاطمة أنقذى نفسك من النار ياصفية عمة محمد
أنقذى نفسك من النار فانى لا أملك لكم من الله شيأ وفى لفظ فانى لا أملك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيبا الا أن
تقولوا لا اله الا الله اى لاتبقوا على الكفر اتكالا على القرابة فهو حث ٢٤١ لهم على الاسلام وصالح الاعمال وترك
الاتكال قال بعضهم ان ذكر فاطمة رضى الله عنها هنا من خلط الرواة بدليل قوله الا أن تقولوا لا اله الا الله وانما ذكرت فى حديث آخر وقع بالمدينة جمع فيه الزوجات والبنات وقال لهن لا أغنى عنكن من الله شيأ حثا لهن على صالح الاعمال ثم مكث صلى الله عليه وسلم أياما ونزل عليه جبريل عليه السلام وأمره بامضاء أمر الله تعالى فجمعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثانيا وخطبهم ثم قال لهم ان الرائد لا يكذب أهله والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم ولو غررت الناس جميعا ما غررتكم والله الذى لا اله الا هو انى لرسول الله اليكم خاصة والى الناس كافة والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون ولتجزون بالاحسان احسانا وبالسوء سوأ وانها الجنة أبدا والنار أبدا يابنى عبد المطلب ما أعلم شابا جاء قومه بأفضل مما جئتكم به انى قد جئتكم بأمر الدنيا والآخرة فتكلم القوم كلاما لينا غير أبى لهب فانه قال يابنى عبد المطلب هذه والله السوأة
٣١ حل ل خذوا على يديه اى اقبضوه وامنعوه عن هذا الامر بحبس اوغيره قبل أن يأخذ على يده غيركم فان
اسلمتموه حينئذ ذللتم وان منعتموه قتلتم فقالت له اخته صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم رضى الله عنها وهى أم الزبير رضى
الله عنهما أى أخى أيحسن بك خذلان ابن أخيك فوالله مازال العلماء يخبرون انه يخرج من ضئضئ اى أصل عبد المطلب نبى فهو

يوم قتل ياأمه انى مقتول من يومى هذا فلا يشتد حزنك وسلمى الامر فان ابنك لم يعمد لاتيان منكر ولا عمل فاحشة وفى كون عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما تأخر موته عن ابن الزبير نظر فقد قيل ان عبد الله بن عمر مات قبل ابن الزبير بثلاثة أشهر وسبب موته ان الحجاج سفه عليه فقال له عبد الله انك سفيه مسلط فغيره ذلك عليه فأمر الحجاج شخصا ان يسم زج رمحه ويضعه على رجل عبد الله نفعل به ذلك فى الطواف فمرض من ذلك أياما ومات ويذكر ان الحجاج دخل ليعوده فسأله عمن فعل به ذلك وقال له قتلنى الله ان لم اقتله فقال له عبد الله لست بقاتل له قال ولم قال لانك الذى أمرته وقول عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما للحجاج انك سفيه مسلط يشير الى قول أبيه عمر رضى الله تعالى عنه ما فانه لما بلغه ان أهل العراق حصبوا أميرهم أى رجموه بالحجارة خرج غضبان فصلى فسهى فى صلاته فلما سلم قال اللهم انهم قد لبسوا على فالبس عليهم وعجل عليهم بالغلام الثقفى يحكم فيهم بحكم الجاهلية لا يقبل من محسنهم ولا يتجاوز عن مسيئهم وكان ذلك قبل أن يولد الحجاج ثم رأيت فى تاريخ ابن كثير لما مات ابن الزبير واستقر الامر لعبد الملك بن مروان بايعه عبد الله بن عمر ويوافقه مافى الدلائل للبيهقى ان ابن عمر وقف على ابن الزبير وهو مصلوب وقال السلام عليك أبا خبيب اما والله لقد كنت أنهاك عن هذا اما والله لقد كنت أنهاك عن هذا اما والله لقد كنت أنهاك عن هذا أما والله ان كنت ما علمت صواما قواما وصولا للرحم ويذكر انه كان لعبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما مائة غلام لكل غلام منهم لغة لا يشاركه غيره فيها وكان يكلم كل واحد منهم بلغته وهذا أغرب مما استغرب وهو ان ترجمان الواثق بالله من خلفاء بنى العباس كان عارفا بألسن كثيرة حتى قيل انه يعرف أربعين لغة ويحاورى فيها وقد قال الحجاج لعروة بن الزبير يوما فى كلام جرى بينهما لا أم لك فقال الى تقول هذا وأنا ابن عجائز الجنة يعنى جدته صفية وعمته خديجة وخالته عائشة وأمه أسماء وقال الحجاج يوما لشخص ماتقول فى عبد الملك بن مروان فقال الرجل ماأقول فى رجل أنت سيئة من سيآته وقد أطلق سليمان بن عبد الملك لما ولى الخلافة من سجن الحجاج سبعين ألفا قد حبسهم للقتل ليس لواحد منهم ذنب يستوجب به الحبس فضلا عن القتل وذكر انه كان يحبس الرجال مع النساء ولم يكن لحبسه بيوت أخلية فكان الرجل يبول بجانب المرأة والمرأة تبول بجانب الرجل فتبدو العورات وكان كل عشرة فى سلسلة ويطعمهم خبز الدخن مخلوطا بالملح والرماد ومر يوم جمعة فسمع استغاثة فقال ماهذا فقيل له أهل السجن يقولون قتلنا الحر فقال قولوا لهم اخسؤا فيها

هو قال ابو لهب هذا والله الباطل والامانى وكلام النساء فى الحجال كاذا قامت بطون قريش وقامت العرب معها فما قوتنا بهم فوالله ما نحن عندهم الا أكلة رأس فقال ابو طالب والله لنمنعنه ما بقينا ثم دعا النبى صلى الله عليه وسلم جميع قريش وهو قائم على الصفا وقال ان أخبرتكم

أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم أكنتم تكذبونى قالوا والله ما جربنا عليك كذبا فقال يا معشر قريش أنقذوا انفسكم من النار فانى لا أغنى عنكم من الله شيأ انى لكم نذير مبين بين يدى عذاب شديد وفى رواية ان مثلى ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يريد أهله ان يسبقوه الى أهله فجعل يهتف يا صباحاه يا صباحاه أتيتم أتيتم انا النذير العريان اى الذى ظهر صدقه من قولهم عرى الامر اذا ظهر وقيل الذى يجرده العدو فأقبل عريانا ينذر بالعدو فانه لا يتهم بخلاف الذى لم يجرد فانه قد يتهم والمعنى انا النذير الذى لا اتهم وفى رواية انه وقف على الصفا وفى أخرى على أبى قبيس وفى اخرى على أضمة من جبل فعلا اعلاها حجرا ثم هتف يا صباحاه قالوا من هذا الذى يهتف قالوا محمد فاجتمعوا اليه قال ابن عباس رضى الله عنهما فجعل الرجل اذا لم يستطع أن يأتى أرسل رسولا الحديث وفى رواية صاح يا آل عبد مناف انى نذير وفى أخرى جمع بنى عبد المطلب فى دار ابى طالب وهم أربعون وفى رواية خمسة وأربعون وامرأتان فصنع لهم طعاما وهى شاة مع مد من البر وصاع من اللبن فقدمت لهم الجفنة وقال كلوا باسم الله فأكلوا حتى شبعوا وشربوا قد حتى نهلوا اى رووا وفى رواية قال ادنوا عشرة عشرة فدنا القوم عشرة عشرة ثم تناول القعب الذى فيه اللبن فجرع منه ثم ناولهم وكان الرجل منهم يأكل الجذعة ويشرب العس من الشراب فى مقعد واحد فلما رأوا كفاية ذلك الطعام القليل والشراب

ولا تكلمون فما عاش بعد ذلك الا أقل من جمعة وآخر من قتله الحجاج من التابعين سعيد بن جبير رضى الله تعالى عنه ولم يقتل بعد ابن جبير الا رجلا واحدا وقال عمر بن عبد العزيز لو جاءت كل أمة بفرعونها وجئناهم بالحجاج لغلبناهم وقال سليمان بن عبد الملك لرجل من اخصاء الحجاج بعد موت الحجاج أبلغ الحجاج قعر جهنم فقال يا أمير المؤمنين يجيء الحجاج يوم القيامة بين أبيك عبد الملك و بين أخيك هشام بن عبد الملك فضعه من النار حيث شئت * ومن غريب الاتفاق ما حكاه بعضهم قال مات رجل فلما وضع على مغتسله استوى قاعدا وقال نظرت بعينى هاتين وأهوى بيديه الى عينيه الحجاج وعبد الملك فى النار يسحبان بأمعائهم ثم عاد ميتا كما كان والحجاج متأصل فى الظلم فقد رأيت بعضهم حكى انه يقال فى المثل اظلم من ابن الجلندى وهو المشار اليه بقوله تعالى وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا وانه من اجداد الحجاج بينه وبينه سبعون جدا واستحلف الحجاج رجلا فى أمر فقال لا والذى أنت بين يديه غدا أذل منى بين يديك اليوم فقال والله انى يومئذ لذليل وأول من ضرب الدراهم فى الاسلام الحجاج بأمر عبد الملك ابن مروان وكتب عليها قل هو الله أحد الله الصمد اى على أحد وجهى الدراهم قل هو الله أحد وعلى وجهه الثانى الله الصمد ولم توجد الدراهم الاسلامية الا فى زمن عبد الملك بن مروان وكانت الدراهم قبل ذلك رومية وكسروية وفى زمن الخليفة المستنصر بالله وهو السابع والثلاثون من خلفاء بنى العباس ضرب دراهم وسماها النقرة وكانت كل عشرة بدينار وذلك فى سنة أربع وعشرين وستمائة ولما دخل سليمان ابن عبد الملك المدينة سأل هل بالمدينة أحد ادرك أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أبو حازم فأرسل اليه فلما دخل عليه سأله فقال يا أبا حازم ما لنا نكره الموت فقال لانكم أخربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم فكرهتم أن تنتقلوا من عمران الى خراب فقال له وكيف القدوم على الله قال اما المحسن فكالغائب يقدم على أهله وأما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه فبكى سليمان وقال يا ليت شعرى ما لنا عند الله قال اعرض عملك على كتاب الله تعالى فقال فى أى مكان اجده فقال فى قوله تعالى ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم قال سليمان فأين رحمة الله قال قريب من المحسنين قال فأى عباد الله اكرم قال أولوا المروأة * وجاء اعرابى الى سليمان بن عبد الملك هذا فقال يا أمير المؤمنين انى أكلمك بكلام فاحتمله فان وراءه ان قبلته ما تحب فقال سليمان هاته يا اعرابى فقال الاعرابى انى أطلق لسانى بما خرست عنه الالسن تأدية لحق الله انه قد اكتنفك رجال

قد أساؤا الاختيار لانفسهم وابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم وخافوك في الله ولم يخافوا الله فيك فهم حرب للآخرة وسلم للدنيا فلا تأمنهم على ما استخلفك الله عليه فانهم لن يألوا بالامانة وأنت مسؤل عما اجترموا فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فان اعظم الناس عند الله غبنا من باع آخرته بدنيا غيره فقال له سليمان أنت ما أنت باعرابي فقد سللت لسانك وهو سيفك قال أجل يا أمير المؤمنين لك لا عليك ولما حج بالناس قال لولد عمه وولي عهده عمر بن عبد العزيز ألا ترى هذا الخلق الذي لا يحصى عددهم الا الله تعالى ولا يسع رزقهم غيره فقال يا أمير المؤمنين هؤلاء رعيتك اليوم وهم غدا خصماؤك عند الله فبكى سليمان بكاء شديدا ثم قال بالله استعين وقال يوما لعمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه حين أعجبه ما صار اليه من الملك يا عمر كيف ترى ما نحن فيه فقال يا أمير المؤمنين هذا سرور لولا انه غرور ونعيم لولا انه عديم وملك لولا انه هالك وفرح لو لم يعقبه ترح ولذات لو لم تقترن بآفات وكرامة لو صحبتها سلامة فبكى سليمان رحمه الله حتى اخضلت دموعه لحيته وولاية عمر بن عبد العزيز بشر بها جده لامه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فعنه رضي الله تعالى عنه انه قال ان من ولدي رجلا بوجهه شين وفي رواية علامة يملأ الارض عدلا فكان ولده عبد الله يقول كثيرا ليت شعري من هذا الذي من ولد عمر بن الخطاب في وجهه علامة يملأ الارض عدلا وفي رواية عنه كان يقول يا عجبا يزعم الناس ان الدنيا لا تنقضي حتى يلي رجل من آل عمر يعمل بمثل عمل عمر قال بعضهم فاذا هو عمر بن عبد العزيز لان أمه ابنة عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه (ومما يؤثر عن سليمان رحمه الله تعالى) انه لما ولي الخلافة وقام خطيبا قال الحمد لله الذي ما شاء صنع وما شاء رفع ومن شاء وضع ومن شاء أعطى ومن شاء منع ان الدنيا دار غرور تضحك باكيا وتبكي ضاحكا وتخيف آمنا وتؤمن خائفا وقال في خطبة من خطبه أيضا أيها الناس أين الوليد وأبو الوليد وجد الوليد اسمعهم الداعي واسترد العواري واضمحل ما كان كأن لم يكن اذهب عنهم ثابت الحياة وفارقوا القصور واستبدلوا بلين الوطى خشن التراب فهم رهناء فيه الى يوم المآب فرحم الله عبدا مهد لنفسه يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا (ولما ولي الخلافة) أبو جعفر المنصور أراد ان يبني الكعبة على ما بناها ابن الزبير وشاور الناس في ذلك فقال له الامام مالك بن أنس انشدك الله اي بفتح الهمزة وضم الشين المعجمة اي أسألك بالله يا امير المؤمنين ان لا تجعل هذا البيت ملعبة للملوك لا يشاء احد منهم ان يغيره الا غيره فتذهب

الهم بهتوا وقهرهم ذلك فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم يتكلم بدره أبو لهب بالكلام فقال لقد سحركم صاحبكم سحرا عظيما وفي رواية سحركم محمد وفي رواية ما رأينا كالسحر اليوم فتفرقوا ولم يتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان الغد قال يا علي عد لنا بمثل ما صنعت بالامس من الطعام والشراب قال علي رضي الله عنه ففعلت ثم جمعتهم له فأكلوا حتى شبعوا وشربوا حتى نهلوا فقال لهم يا بني عبد المطلب ان الله قد بعثني الى الخلق كافة وبعثني اليكم خاصة فقال وانذر عشيرتك الاقربين وانا أدعوكم الى كلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين في الميزان شهادة أن لا اله الا الله وأني رسول الله فمن يجيبني الى هذا الامر ويوازرني اي يعاونني على القيام به قال علي رضي الله عنه أنا يا رسول الله وكان احدثهم سنا وسكت القوم قال اجلس ثم أعاد القول على القوم ثانيا فصمتوا فقام علي وقال انا يا رسول الله فقال اجلس ثم اعاد القول على القوم ثالثا فلم يجبه أحد منهم فقام علي وقال أنا يا رسول الله قال اجلس فأنت اخي قال الامام ابو العباس بن تيمية زاد في الحديث بعض اهل الضلال زيادات لا اصل لها وهي كذب باطل قالوا قال فمن يجيبني الى هذا الامر يكن اخي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي فقام علي الخ وزادوا في آخر الحديث قال اجلس فأنت اخي ووزيري ووصيي ووارثي وخليفتي من بعدي فتلك الزيادات كلها كذب من افتراء الرافضة الذين يريدون الطعن على اهل السنة والقدح في خلافة الخلفاء قبل علي رضي الله عنه وفي رواية عن علي رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر خديجة فصنعت طعاما ثم قال ادع لي بني عبد المطلب فدعوت اربعين رجلا الحديث ولا مانع من تكرر فعل ذلك ويجوز ان يكون علي فعل ذلك عند خديجة رضي الله عنهما وجاء به الى بيت ابي طالب

ولعل جمعهم هذا كان متأخرا عن جمعهم المتقدم ذكره ويشهد له السياق وانما فعل صلى الله عليه وسلم ذلك حرصا على اسلام
اهل بيته فلما دعا قومه ولم يردوا عليه ولم يجيبوه صار كفار قريش غير منكرين لما يقول فكان اذا مر عليهم في مجالسهم يشيرون
اليه ان غلام بني عبد المطلب ليكلم وكان ذلك دأبهم حتى عاب آلهتهم وسفه عقولهم وضلل آباءهم
فتناكروه واجمعوا على خلافه
وعداوته وجاؤا الى ابي طالب
وقالوا يا ابا طالب ان ابن اخيك
قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسفه
احلامنا اي عقولنا بنسبتنا الى
قلة العقل وضلل آباءنا فاما ان
تكفه عنا واما ان تخلي بيننا
وبينه فانك على مثل ما نحن عليه
من خلافه فقال لهم ابو طالب
قولا رفيقا وردهم ردا جميلا
فانصرفوا عنه ومضى رسول الله
صلى الله عليه وسلم يظهر دين الله
ويدعو اليه لا يرده عن ذلك شئ
والى ذلك اشار صاحب الهمزية
بقوله

ثم قام النبي يدعو الى الله
وفي الكفر نجدة واباء
امما اشربت قلوبهم الكفر
فداء الضلال فيهم عياء

ثم كثر الشر وتزايد وانتشر بينه
وبينهم حتى تباعد الرجال وتضاغنوا
اي اضمروا العداوة والحقد
واكثرت قريش ذكر رسول الله صلى
الله عليه وسلم بينها وحض بعضهم
بعضا على حربه وعداوته ومقاطعته
ثم مشوا الى ابي طالب مرة أخرى
فقالوا يا أبا طالب ان لك سنا وشرفا
ومنزلة فينا وانا قد طلبنا منك ان تنهى
ابن أخيك فلم تنهه عنا وانا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه احلامنا اي عقولنا وعيب آلهتنا حتى تعالى
تكفه عنا او ننازله واياك في ذلك حتى يهلك احد الفريقين ثم انصرفوا عنه فعظم على ابي طالب فراق قومه وعداوتهم ولم
يطب نفسا بان يخذل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا ابن اخي ان قومك جاؤني فقالوا لي كذا وكذا فابق علي وعلى نفسك

هيبته من قلوب الناس نصرفه عن رأيه فيه قال وذكر الطبري في مناسكه ان الذي اراد
ذلك ونهاه مالك هو الرشيد انتهى (اقول) وكونه الرشيد هو الذي ذكره المقريزي واقتصر
عليه ولان المنصور مات محرما ببئر ميمونة لستة ايام خلون من ذي الحجة فلم يدخل مكة
وقد يقال يجوز ان يكون دخل المدينة قبل سيره الى مكة واستشار الناس في المدينة فقال
له الامام مالك ما تقدم وان الرشيد أيضا اراد ذلك واستشار الامام مالكا فأشار عليه بما
ذكر ثم رأيت في تاريخ ابن كثير لما كان في زمن المهدي بن المنصور استشار الامام مالكا
في ردها أي الكعبة على الصفة التي بناها ابن الزبير فقال له اني أخشى ان تتخذها الملوك
لعبة ورأيت في كلام بعضهم ان المنصور حج وانه لما قضى الحج والزيارة توجه الى
زيارة بيت المقدس ولعل هذا كان في حجة غير هذه التي مات فيها ثم رأيت في تاريخ ابن
كثير ان المنصور حج وهو خليفة أربع حجات غير الحجة التي مات فيها وكذا في القرى
لقاصد أم القرى للطبري وذكر انه مات في الحجة الخامسة قبل يوم التروية بيومين وانه
أحرم في بعض حججه من بغداد وقد ذكر الشيخ الصفوي ان المنصور بلغه ان سفيان
الثوري ينقم عليه في عدم اقامة الحق فلما توجه المنصور الى الحج وبلغه ان سفيان بمكة
ارسل جماعة امامه وقال لهم حيث ما وجدتم سفيان خذوه واصلبوه فنصبوا الخشب
ليصلبوا سفيان عليه وكان سفيان بالمسجد الحرام رأسه في حجر الفضيل بن عياض
ورجلاه في حجر سفيان بن عيينة فقيل له خوفا عليه بالله لا تشمت بنا الاعداء قم فاختف
فقام ومشى حتى وقف بالملتزم وقال ورب هذه الكعبة لا يدخلها يعني مكة المنصور وكان
وصل الى الحجون فزلقت به راحلته فوقع عن ظهرها ومات من فوره فخرج سفيان وصلى
عليه هذا كلامه وقد يقال لا مخالفة بين هذا وبين ما تقدم انه مات ببئر ميمونة لانه يجوز
ان يكون المراد بوصوله الى الحجون وصول خيله وركبه فليتأمل ثم رأيت في تاريخ ابن
كثير ان المنصور لما خرج للحج وجاوز الكوفة بمراحل اخذه وجعه الذي مات فيه وافرط
به الاسهال ودخل مكة فنزل بها وتوفي ولعل هذا لا يخالف ما سبق لانه يجوز انه اطلق مكة
على المحل القريب منها وانه مع انطلاق بطنه زلقت به فرسه قيل وآخر ما تكلم به المنصور
اللهم بارك لي في لقائك ومما يؤثر عنه اولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة وانقص
الناس عقلا من ظلم من هو دونه والله اعلم وتقدم ان قصيا لما أمر قريشا ان تبني حول
الكعبة بيوتها فبنت بيوتها من جهاتها الاربع وتركوا قدر المطاف واستمر الامر على
ذلك زمنه صلى الله عليه وسلم وزمن ابي بكر رضي الله تعالى عنه فلما ولي عمر رضي الله

ولا تحملني من الامر ما لا اطيق فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عمه خاذله وانه ضعيف عن نصرته والقيام معه فقال يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على ان أترك هذا الامر حتى يظهره الله تعالى أو اهلك فيه ما تركته ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أي حصلت له العبرة التي هي دمع العين فبكى ثم قام فلما ولى ناداه أبو طالب فقال اقبل يا ابن أخي فأقبل عليه فقال اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت والله لا أسلمك ثم أنشأ يقول

والله لن يصلوا اليك بجمعهم
حتى اوسد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة
وابشر وقر بذاك منك عيونا
ودعوتني وزعمت انك ناصحي
ولقد صدقت وكنت ثم امينا
وعرضت دينا لامحالة انه
من خير اديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة
لوجدتني سمحا بذاك مبينا

وحكمة تخصيصه صلى الله عليه وسلم الشمس والقمر بالذكر وجعل الشمس في اليمين والقمر في اليسار لاتخفى لان الشمس النير الاعظم واليمين اليق به والقمر النير المحو واليسار أليق به وخص النيرين حيث ضرب المثل بهما لان الذي جاء به نور قال الله تعالى يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره فلما أن عرفت قريش ان ابا طالب غير خاذل رسول الله صلى الله عليه وسلم مشوا اليه بعمارة ابن الوليد بن المغيرة فقالوا له يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد انهد أي اشد وأقوى فتى في قريش واجمله فخذه فلك ولده تبناه وأسلم الينا ابن أخيك هذا الذي خالفك دينه ودين آبائك وفرق جماعة قومك وسفه احلامهم فنقتله فقال لهم أبو طالب بئس ما تسوموني أتعطوني ابنكم اغذوه لكم واعطيكم ابني تقتلونه هذا والله لا يكون ابدا أرأيتم ناقة تحن الى غير فصيلها فقال المطعم بن عدي والله يا ابا طالب لقد انصفك قومك وجهدوا على

تعالى عنه رأى ان يوسع حول الكعبة فاشترى دورا وهدمها ووسع حول الكعبة وبنى جدارا قصيرا على ذلك وجعل فيه أبوابا ثم وسعه عثمان ثم عبد الله بن الزبير ثم ان عبد الملك ابن مروان رفع الجدران وسقفه بالساج ثم ان الوليد بن عبد الملك نقض ذلك ونقل اليه الاساطين الرخام وسقفه بالساج المزخرف وأزر المسجد بالرخام ثم زاد فيه المنصور ورخم الحجر ثم زاد فيه المهدي اولا وثانيا حتى صارت الكعبة في وسط المسجد وفي ايام المعتضد ادخلت دار الندوة في المسجد وتسمى مكة فاران وتسمى قرية النمل لكثرة نملها اولان الله سلط فيها النمل على العماليق لما أظهروا فيها الظلم حتى اخرجهم من الحرم كما تقدم ولها اسماء كثيرة قد افردها صاحب القاموس بمؤلف (اقول) وسيأتي عن الامام النووي انه ليس في البلاد أكثر اسماء من مكة والمدينة والله أعلم قال وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه خلقت الكعبة أي موضعها قبل الارض بألفي سنة كانت حشفة على الماء عليها ملكان يسبحان فلما اراد الله تعالى ان يخلق الارض دحاها منها فجعلها في وسط الارض انتهى وسئل الجلال السيوطي رضي الله تعالى عنه عن قوله تعالى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام هل كانت ايام ثم موجودة قبل خلق السموات والارض فأجاب بأن خلق السموات والارض وخلق الايام كان دفعة واحدة من غير تقديم لاحدهما على الآخر واستند في ذلك لآثور التفسير وفي الحديث ان الله حرم مكة قبل ان يخلق السموات والارض الحديث وحينئذ فقوله صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام حرم مكة معناه أظهر حرمتها

(باب ما جاء من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن احبار اليهود وعن الرهبان من النصارى وعن الكهان من العرب على ألسنة الجان وعلى غير ألسنتهم وما سمع من الهواتف ومن بعض الوحوش ومن بعض الاشجار وطرد الشياطين من استراق السمع عند مبعثه بكثرة تساقط النجوم وما وجد من ذكره صلى الله عليه وسلم وذكر صفته في الكتب القديمة وما وجد فيه اسمه مكتوبا من النبات والاحجار وغيرهما)

قال ابن اسحق وكانت الاحبار من يهود والرهبان من النصارى والكهان من العرب قد تحدثوا بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه لما تقارب زمانه أما الاحبار من يهود والرهبان من النصارى فلما وجدوا في كتبهم من صفته وصفة زمانه وأما الكهان

التخاص مما تكره فما اراك تريد أن تقبل شيأ منهم فقال له أبو طالب والله ما أنصفونى ولكن قد اجمعت أى قصدت خذلانى
ومظاهرة القوم أى معاونتهم على فاصنع مابدالك وعمارة بن الوليد هذا قدمات على كفره بأرض الحبشة بعد ان سحر وتوحش
وسار فى البرارى والقفار ومات المطعم بن عدى على كفره أيضا فعند عدم قبول أبى طالب اشتد الامر ولما رآى أبو
طالب من قريش مارأى دعا بنى
هاشم وبنى المطلب الى ماهو عليه
من منع رسول الله صلى الله عليه
وسلم والقيام دونه فأجابوه الى
ذلك غير أبى لهب فكان من
المجاهرين بالظلم لرسول الله صلى
الله عليه وسلم ولكل من آمن به
وتوالى الاذى من قريش على
رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعلى من أسلم معه * فمما وقع لرسول
الله صلى الله عليه وسلم من الاذية
ماحدث به عمه العباس رضى
الله عنه قال كنت يوما فى المسجد
فأقبل أبو جهل فقال لله على ان
رأيت محمدا ساجدا أن اطأ عنقه
فخرجت الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فأخبرته بقول أبى
جهل فخرج غضبان حتى دخل
المسجد فعجل ان يدخل من الباب
فاقتحم من الحائط وقرأ اقرأ باسم
ربك الذى خلق خلق الانسان
من علق الى أن بلغ آخر السورة
فسجد فقال انسان لابى جهل
ياأبا الحكم هذا محمد قد سجد
فأقبل اليه ثم نكص راجعا فقيل
له فى ذلك فقال أبو جهل ألا ترون
ماأرى وفى رواية رأيت بينى
وبينه خندقا من نار وسيأتى ان
قوله تعالى ارأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى الى آخر السورة نزل فى أبى جهل ومن ذلك ماحدث به بعضهم قال الرحم
ذكر لنا ان أبا جهل قال يوما لقريش ان محمدا قد أتى الى ماترون من عيب دينكم وشتم آلهتكم وتسفيه احلامكم وسب آبائكم
وانى اعاهد الله لاجلس له يعنى النبى صلى الله عليه وسلم غدا بحجر لا أطيق حمله فاذا سجد فى صلاته رضخت به رأسه فاسلمونى عند

من العرب فجاءهم به الشياطين فيما تسترق به من السمع اذ كانت لا تحجب عن ذلك كما حجبت
عند الولادة والمبعث وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع منهما ذكر بعض اموره ولا تلقى
العرب لذلك بالا حتى بعثه الله تعالى ووقعت تلك الامور التى كانوا يذكرونها فعرفوها
وهذا فيه تصريح بأن الملائكة كانت تذكره صلى الله عليه وسلم فى السماء قبل وجوده
فأما اخبار الاحبار من اليهود فمنها ما تقدم ذكره ومنها ما جاء عن سلمة بن سلامة وكان من
أصحاب بدر قال كان لنا جار من يهود بنى عبد الاشهل فذكر أى عند قوم أصحاب أوثان ٥
القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار فقالوا له ويحك يافلان اوترى هذا
كائنا ان الناس يبعثون بعد موتهم الى دار فيها جنة ونار يجزون فيها بأعمالهم قال
نعم والذى يحلف به وليود أى الشخص ان له بحظه من تلك النار أعظم تنور يحمونه ثم
يدخلونه اياه فيطبقونه عليه بأن ينجو من تلك النار غدا فقالوا له ويحك وما آية ذلك قال
نبى يبعث من نحو هذه البلاد وأشار بيده الى مكة واليمن قالوا ومن يراه فنظر الى وأنا من
احدثهم سنا فقال ان يستنفد أى يستكمل هذا الغلام عمره يدركه قال سلمة والله ماذهب
الليل والنهار حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وهو أى ذلك اليهودى بين أظهرنا
فآمنا به وكفر بغيا وحسدا فقلنا له ويحك يافلان ألست الذى قلت لنا فيه ماقلت قال
بلى وليس به (ومن ذلك) ماجاء عن عمرو بن عنبسة السلمى رضى الله تعالى عنه قال
رغبت عن آلهة قومى فى الجاهلية اى ترك عبادتها قال فلقيت رجلا من أهل الكتاب من
أهل تيماء أى وهى قرية بين المدينة والشام ٥ فقلت انى أمرؤ ممن يعبد الحجارة فينزل الحى
ليس معهم اله فيخرج الرجل منهم فيأتى بأربعة أحجار فينصب ثلاثة لقدره اى يستنجى بها
ويجعل أحسنها الها يعبده ثم لعله يجد ماهو أحسن منه شكلا قبل أن يرتحل فيتركه
ويأخذ غيره واذا نزل منزلا سواه ورأى ماهو احسن منه تركه وأخذ ذلك الاحسن
فرأيت انه اله باطل لا ينفع ولا يضر فدلنى على خير من هذا قال يخرج من مكة رجل
يرغب عن آلهة قومه ويدعو الى غيرها فاذا رأيت ذلك فاتبعه فانه يأتى بأفضل الدين فلم
يكن لى همة منذ قال لى ذلك الا مكة آتى فاسأل هل حدث حدث فيقال لا ثم قدمت مرة
فسألت فقيل لى حدث رجل يرغب عن آلهة قومه ويدعو الى غيرها فشددت راحلتى ثم
قدمت منزلى الذى كنت أنزله بمكة فسألت عنه فوجدته مستخفيا ووجدت قريشا عليه
أشداء فتلطفت له حتى دخلت عليه فسألته أى شئ أنت قال نبى قلت من نبأك قال الله
قلت وبم أرسلك قال بعبادة الله وحده لا شريك له وبحقن الدماء وبكسر الاوثان وصلة

ذلك أو امنعوني فلم يصنع بي بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم فقالوا والله لا نسلمك لشيء أبدا فامض لما تريد فلما أصبح أبو جهل اخذ حجرا كما وصف ثم جلس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظره وغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان يغدو الى الصلاة وكان يصلي بين الركن اليماني والحجر الاسود وقريش جلوس في انديتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل فلما سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم احتمل أبو جهل الحجر ثم اقبل نحوه حتى اذا دنا منه رجع منهزما منتقعا لونه أي متغيرا بالصفرة مع الكدرة من الفزع قد يبست يداه على حجره حتى قذفه من يده بعد أن عالجوا فكه منها فلم يقدروا وقامت اليه رجال من قريش وقالوا ما لك يا أبا الحكم قال قمت اليه لافعل ما قلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لي فحل من الابل ما رأيت مثله قط هم ان يقتلني فلما ذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم قال ذاك جبريل لو دنا لاخذه والى ذلك اشار صاحب الهمزية بقوله

وابو جهل اذ رأى عنق الفحـ ـل اليه كأنه العنقاء

وفي رواية ان أبا جهل قال رأيت بيني وبينه خندقا من نار ولا مانع من وجود الامرين معا وذكروا في سبب نزول قوله تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون أي رافعون رؤسهم لا يستطيعون خفضها من أقمح البعير رفع رأسه وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون ان الآية الاولى نزلت في أبي جهل فانه لما حمل الحجر ليرضخ به رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفعه اثبتت يداه الى عنقه ولزق الحجر بيده فلما عاد الى اصحابه اخبرهم فلم يفكوا الحجر من يده الا بعد تعب شديد والآية الثانية نزلت في آخر لما راى ما وقع لابي جهل قال انا القي هذا الحجر عليه فذهب اليه فلما قرب منه عمي بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه

الرحم وأمان السبيل فقلت نعم ما أرسلت به قد آمنت بك وصدقتك أتأمرني ان امكث معك او انصرف فقال الا ترى كراهة الناس ما جئت به فلا تستطيع أن تمكث كن في اهلك فاذا سمعت بي قد خرجت مخرجا فاتبعني فكنت في أهلي حتى خرج صلى الله عليه وسلم الى المدينة فسرت اليه فقدمت المدينة فقلت يا نبي الله اتعرفني قال نعم أنت السلمي الذي اتيتني بمكة (ومن ذلك) ما حدث به عاصم بن عمرو بن قتادة عن رجال من قومه قالوا انما دعانا الى الاسلام مع رحمة الله تعالى لنا وهداه ما كنا نسمع من احبار يهود كنا أهل شرك اصحاب اوثان وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور فاذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا انه قد تقارب زمان نبي يبعث الآن يقتلكم قتل عاد وارم أي يستأصلكم بالقتل o فكان كثيرا ما نسمع ذلك منهم فلما بعث الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم اجبناه حين دعانا الى الله عز وجل وعرفنا ما كانوا يتواعدونا به فبادرناهم اليه فآمنا به وكفروا ففي ذلك نزلت هذه الآيات في البقرة ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين (ومن ذلك) ما حدث به شيخ من بني قريظة قال ان رجلا من يهود من أهل الشام يقال له ابن الهيبان أي الجبان قدم الينا قبل الاسلام بسنين فحل بين اظهرنا والله ما رأينا رجلا قط لا يصلي الخمس أفضل منه أي لا اظن أحدا من غير المسلمين لان المسلمين يصلون الخمس فلا أصلية لا زائدة فأقام عندنا فكنا اذا قحط المطر أي احتبس قلنا له اخرج يا ابن الهيبان فاستسق لنا فيقول لا والله حتى تقدموا بين يدي نجواكم صدقة فنقول له كم فيقول صاعا من تمر ومدين من شعير فنخرجها ثم يخرج بنا الى ظاهر حرتنا فيستسقي لنا فوالله ما يبرح من مجلسه حتى يمر السحاب ونسقى قد فعل ذلك غير مرة أي لا مرة ولا مرتين ولا ثلاثا بل أكثر من ذلك ثم حضرته الوفاة عندنا فلما عرف انه ميت قال يا معشر يهود ما ترونه أخرجني من ارض الخمر بالتحريك وباسكان الميم الشجر الملتف والخبز الى ارض البؤس والجوع قلنا أنت اعلم قال فانما قدمت هذه الارض أتوكف أي اتوقع خروج نبي قد أظل زمانه أي اقبل وقرب كأنه لقربه اظلهم أي التي عليهم ظله وهذه البلد مهاجره وكنت ارجو أن يبعث فأتبعه فقد اظلكم زمانه فلا تسبقن اليه يا معشر يهود فانه يبعث بسفك الدماء وسبي الذراري والنساء ممن خالفه فلا يمنعكم ذلك منه فلما بعث الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم وحاصر بني قريظة قال لهم نفر من هدل بفتح الهاء وفتح الدال المهملة وقيل بسكونها اخوة بني

قريظة وهم ثعلبة بن سعية وأسد بن سعية ويقال اسيد بالتصغير واسد بن عبيد وكانوا شبانا احداثا يا بني قريظة والله انه لهو بصفته فنزلوا واسلموا فاحرزوا دماءهم وأموالهم واهليهم كما سيأتي * قال ومن ذلك خبر العباس بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه قال خرجت في تجارة الى اليمن في ركب فيه ابو سفيان بن حرب فورد كتاب حنظلة بن أبي سفيان ان محمدا قائم في ابطح مكة يقول أنا رسول الله ادعوكم الى الله ففشا ذلك في مجالس اهل اليمن فجاءنا حبر من اليهود فقال بلغني ان فيكم عم هذا الرجل الذي قال ما قال قال العباس فقلت نعم قال نشدتك الله هل كان لابن اخيك صبوة قلت لا والله ولا كذب ولا خان وما كان اسمه عند قريش الا الامين قال هل كتب بيده فأردت ان أقول نعم فخشيت من أبي سفيان ان يكذبني ويرد علي فقلت لا يكتب فوثب الحبر وترك رداءه وقال ذبحت يهود وقتلت يهود قال العباس فلما رجعنا الى منزلنا قال ابو سفيان يا أبا الفضل ان يهود تفزع من ابن اخيك فقلت قد رأيت لعلك ان تؤمن به قال لا أومن به حتى ارى الخيل في كداء اى بالمد قلت ما تقول قال كلمة جاءت على في الا اني أعلم ان الله لا يترك خيلا تطلع على كداء قال العباس فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ونظر ابو سفيان الى الخيل قد طلعت من كداء قلت يا اباسفيان تذكر تلك الكلمة قال اى والله اني لاذكرها انتهى اى ومن ذلك ما جاء عن امية ابن ابي الصلت الثقفي قال لابي سفيان اني لاجد في الكتب صفة نبي يبعث في بلادنا فكنت اظن اني هو وكنت اتحدث بذلك ثم ظهر لي انه من بني عبد مناف فنظرت فلم اجد فيهم من هو متصف باخلاقه الا عتبة ابن ربيعة الا انه قد جاوز الاربعين ولم يوح اليه فعرفت انه غيره قال ابو سفيان فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم قلت لامية فقال امية اما انه حق فاتبعه فقلت له فأنت ما يمنعك قال الحياء من نساء ثقيف اني كنت اخبرهن اني هو ثم اصير تبعا لفتى من بني عبد مناف وسيأتي ذلك بابسط مما هنا واما اخبار الرهبان من النصارى فمنها ما تقدم ذكره قال ومنها خبر طلحة بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال حضرت سوق بصرى فاذا راهب في صومعته يقول سلوا اهل هذا الموسم هل فيكم احد من اهل الحرم فقلت نعم انا قال هل ظهر احمد قلت ومن احمد قال ابن عبد الله بن عبد المطلب هذا شهره الذي يخرج فيه اى الذي يبعث فيه وهو آخر الانبياء مخرجه من الحرم ومهاجره الى نخل وحرة وسباخ فاياك ان تسبق اليه قال طلحة فوقع في قلبي ما قال الراهب فلما قدمت مكة حدثت ابابكر بذلك فخرج أبو بكر حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فسر بذلك واسلم

فرجع اليهم فأخبرهم بذلك وعن الحكم بن ابي العاص وهو ابو مروان بن الحكم ان ابنته قالت له ما رايت قوما كانوا اسوأ رأيا واعجز في امر رسول الله صلى الله عليه وسلم منكم يا بني امية فقال لا تلومينا يا بنية اني لا احدثك الا ما رايت لقد اجمعنا ليلة على اغتياله فلما رايناه يصلي ليلا جئناه من خلفه فسمعنا صوتا ظننا انه ما بقي بتهامة جبل الا تفتت علينا اى ظننا انه يتفتت ويقع علينا فما عقلنا حتى قضى صلاته ورجع الى اهله ثم تواعدنا ليلة اخرى فلما جاء نهضنا اليه فرأينا الصفا والمروة التصقت احداهما بالاخرى فحالتا بيننا وبينه وفي رواية كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي فجاء ابو جهل فقال ألم انهك عن هذا فأنزل الله تعالى ارأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى الى آخر السورة وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم لما انصرف من صلاته زبره ابو جهل اى انتهره وقال انك لتعلم ان ما بها اكثر ناديا مني فأنزل الله تعالى فليدع ناديه سندع الزبانية قال ابن عباس رضي الله عنهما لو دعا ناديه لاخذته زبانية الله وقال ابو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم لقد علمت اني امنع اهل البطحاء وانا العزيز الكريم فأنزل الله فيه ذق انك انت العزيز الكريم قال الواحدي اى تقول له الزبانية عند تعذيبه في النار ماذكر توبيخا له (ومن ذلك) انه لما أنزل الله تعالى سورة تبت يدا أبي لهب جاءت امرأة ابي لهب وهي ام جميل قال بعضهم الاولى بها ام قبيح واسمها العوراء وقيل اروى بنت حرب اخت ابي سفيان ولها ولولة وبيدها فهر اى حجر ملء الكف فيه طول تدق به الهاون الى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر رضي الله عنه فلما رآها قال يا رسول الله انها امرأة بذية اى تأتي بالفحش من القول فلو قمت كي لا تؤذيك فقال انها لن تراني فجاءت فقالت يا ابا بكر صاحبك هجاني وفي لفظ ما شأن صاحبك ينشد

طلحة

فى الشعر قال لا والله ومايقول الشعر اى ينشيه وفى لفظ لا ورب هذا البيت ماهجاك والله ماصاحبى شاعر اى لايحسن انشاءه فقالت له أنت عندى لصادق وانصرفت وهى تقول قد علمت قريش انى بنت سيدها تعنى عبدمناف جد ابيها اى ومن كان عبد مناف أباه لا ينبغى لاحد أن يتجاسر على ذمه قال ابو بكر رضى الله عنه قلت ٢٤٩ يارسول الله لم ترك قال لم يزل ملك يسترنى بجناحيه وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم قال لابى بكر قل لها هل ترين عندى أحدا فسألها ابو بكر فقالت أتهزأ بى والله ما أرى عندك أحدا وفى رواية انها جاءت وهو صلى الله عليه وسلم فى المسجد ومعه ابو بكر وعمر رضى الله عنهما وفى يدها فهر فلما وقفت على النبى صلى الله عليه وسلم أخذ الله على بصرها فلم تره ورأت أبا بكر وعمر رضى الله عنهما فأقبلت على ابى بكر رضى الله عنه فقالت له أين صاحبك قال وما تصنعين به قالت بلغنى انه هجانى والله لو وجدته لضربت بهذا الجرفه فقال عمر رضى الله عنه ويحك انه ليس بشاعر فقالت انى لا اكلمك يا ابن الخطاب لما تعلمه من شدته ثم أقبلت على ابى بكر رضى الله عنه لما تعلمه من لينه فقالت والثواقب اى النجوم انه لشاعر وانى لشاعرة اى فكما هجانى لاهجونه وانصرفت فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انها لم ترك فقال انها لن ترانى جعل بينى وبينها حجاب اى لانه قرأ قرآنا اعتصم به كما قال تعالى واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون

٣٢ حل ل بالآخرة حجابا مستورا وفى رواية أقبلت ومعها فهران وهى تقول * مذمما أبينا * ودينه قلينا * وامره عصينا فقالت أين الذى هجانى وهجا زوجى والله لئن رأيته لاضربنه بهذين الفهرين قال ابو بكر يا أم جميل والله ما هجاك ولا هجا زوجك قالت والله ما أنت بكذاب وان الناس ليقولون ذلك ثم ولت ذاهبة فقلت يارسول الله انها لم ترك فقال النبى صلى الله عليه وسلم

طلحة فأخذ نوفل ابن العدوية ابا بكر وطلحة رضى الله تعالى عنهما فشدهما فى حبل واحد فلذلك سميا القرينين اه (أقول) يحتمل أن هذا الراهب هو بحيرا ويحتمل أن يكون نسطورا الآن كلا منهما كان ببصرى كما تقدم فى سفره ويحتمل ان يكون غيرهما وهو اولى لما تقدم أن كلا من بحيرا ونسطورا لم يدرك البعثة والله أعلم * اى ومنها ما حدث به سعيد بن العاص بن سعيد قال لما قتل ابى العاص يوم بدر كنت فى حجر عمى أبان بن سعيد وكان يكثر السب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج تاجرا الى الشام فمكث سنة ثم قدم فأول شئ سأل عنه أن قال ما فعل محمد قال له عمى عبد الله بن سعيد هو والله أعز ما كان واعلاه فسكت ولم يسبه كما كان يسبه ثم صنع طعاما وأرسل الى سراة بنى أمية اى اشرافهم فقال لهم انى كنت بقرية فرأيت بها راهبا يقال له بكا لم ينزل الى الارض منذ أربعين سنة اى من صومعته فنزل يوما فاجتمعوا ينظرون اليه فجئت فقلت ان لى حاجة فقال ممن الرجل فقلت انى من قريش وان رجلا هنالك خرج يزعم أن الله أرسله قال ما اسمه فقلت محمد قال منذ كم خرج فقلت عشرين سنة قال ألا أصفه لك قلت بلى فوصفه فما أخطأ فى صفته شيأ ثم قال لى هو والله نبى هذه الامة والله ليظهرن ثم دخل صومعته وقال لى اقرأ عليه السلام وكان ذلك فى زمن الحديبية اى والحديبية سيأتى انها كانت سنة ست فالعشرون تقريب * اى ومنها ما حدث به حكيم بن حزام بالزاى رضى الله تعالى عنه قال دخلنا الشام لتجارة قبل ان أسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فأرسل الينا ملك الروم فجئناه فقال من اى العرب أنتم من هذا الرجل الذى يزعم انه نبى فقال حكيم فقلت يجمعنى واياه الاب الخامس فقال هل أنتم صادقى فيما أسألكم عنه فقلنا نعم فقال أنتم ممن اتبعه ام ممن رد عليه فقلنا ممن رد عليه وعاداه فسألنا عن اشياء مما جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرناه ثم نهض واستنهضنا معه فأتى محلا فى قصره وامر بفتحه وجاء الى ستر فأمر بكشفه فاذا صورة رجل فقال اتعرفون من هذه صورته قلنا لا قال هذه صورة آدم ثم تتبع أبوابا فقتحها ويكشف عن صور الانبياء ويقول أما هذا صاحبكم فنقول لا فيقول لنا هذه صورة فلان حتى فتح بابا وكشف عن صورة فقال أتعرفون هذا قلنا نعم هذه صورة محمد بن عبد الله صاحبنا قال أتدرون متى صورت هذه الصور قلنا لا قال منذ اكثر من ألف سنة وان صاحبكم لنبى مرسل فاتبعوه ولوددت أنى عبده فاشرب ما يغسل من قدميه * ووقع نظير ذلك لجبير بن مطعم رضى الله تعالى عنه وانه رأى صورة ابى بكر آخذة بعقب تلك الصورة واذا صورة عمر آخذة بعقب صورة ابى بكر فقال من ذا الذى آخذ بعقبه

حال بيني وبينها جبريل ولعل مجيئها قد تكرر فلا منافاة بين الروايات وكما يقال في الحمد محمد يقال في الذم مذمم لانه لا يقال ذلك الا لمن ذم مرة بعد اخرى كما ان محمدا لا يقال الا لمن حمد مرة بعد اخرى وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم قال كيف صرف الله عني شتم قريش ولعنهم يشتمون مذمما ويلعنون مذمما وانا محمد * وفي الدر المنثور للجلال السيوطي انها اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في الملا فقالت يا محمد علام تهجوني قال والله اني ما هجوتك ما هجاك الا الله قالت أرأيتني أحمل حطبا او رأيت في جيدي حبلا من مسد وهذا يؤيد ما قاله بعض المفسرين ان الحطب عبارة عن النميمة يقال فلان يحطب على فلان اي ينم لانها كانت تمشي بين الناس بالنميمة وتغري زوجها وغيره بعداوته صلى الله عليه وسلم وتبلغهم عنه احاديث لتحثهم بها على عداوته وان الحبل عبارة عن حبل من نار محكم وعن عروة بن الزبير مسد النار سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعا والله أعلم والى ذلك اشار صاحب الهمزية بقوله

وأعدت حمالة الحطب الفهـ
ـر وجاءت كأنها الورقاء
يوم جاءت غضبى تقول أفي مثـ
ـلي من أحمد يقال الهجاء
وتولت وما رأته ومن أيـ
ـن ترى الشمس مقلة عمياء

وقيل معنى كونها حمالة الحطب انها كانت تحمل الشوك والحسك وتطرحه في طريقه صلى الله عليه وسلم ولا مانع من اجتماع الاوصاف فيها وقوله كأنها الورقاء يعني انها جاءت وهي في غاية السرعة والعجلة كأنها في شدة السرعة والعجلة الحمامة الشديدة الاسراع يروى انها لما بلغتها سورة تبت يدا أبي لهب جاءت الى اخيها ابي سفيان اي بناء على ان امرأة ابي لهب هي أروى بنت حرب كما تقدم فدخلت في بيته وهي مضطرمة اي محترقة غضبا فقالت له ويحك يا أحمس اي شجاع

قلنا نعم هو ابن ابي قحافة قال فهل تعرف الذي آخذ بعقبه قلت نعم هو عمر بن الخطاب قال اشهد أن هذا رسول الله وان هذا هو الخليفة بعده وان هذا هو الخليفة من بعد هذا * ومنها ما حدث به سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه قال كنت رجلا فارسيا من اهل اصبهان من قرية يقال لها جي بفتح الجيم وتشديد الياء اي وفي لفظ من قرية من قرى الاهواز يقال لها رامهرمز وفي لفظ ولدت برامهرمز وبها انشأت واما ابي فمن اصبهان وكان ابي دهقان قريته اي كبير اهل قريته اي وفي لفظ كنت من أبناء اساورة فارس وكنت أحب خلق الله تعالى الى ابي لم يزل حبه اياي حتى حبسني في بيت كما تحبس الجارية واجتهدت في المجوسية حتى كنت قطن النار بفتح القاف وكسر الطاء المهملة ويروى بفتحها بمعنى قاطن اي خادمها الذي يوقدها لا يتركها تخبو اي تطفأ ساعة وكانت لابي ضيعة عظيمة فشغل في بنيان له يوما فقال لي يا بني اني قد شغلت في بنيان هذا اليوم فاذهب اليها وأمرني فيها ببعض ما يريد ثم قال لي ولا تحتبس عني ان احتبست عني كنت أهم الي من ضيعتي وشغلتني عن كل شيء من امري فخرجت أريد ضيعته التي بعثني اليها فمررت بكنيسة من كنائس النصارى فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون وكنت لا أدري ما أمر الناس لحبس ابي اياي في بيته فلما سمعت اصواتهم دخلت عليهم أنظر ماذا يصنعون فلما رأيتهم اعجبتني صلاتهم ورغبت في امرهم وقلت والله هذا خير من الذي نحن عليه فوالله ما برحتهم حتى غربت الشمس وتركت ضيعة ابي فلم آتها ثم قلت لهم اين أهل هذا الدين قالوا بالشام فرجعت الى ابي وقد بعث في طلبي وشغلته عن عمله كله فلما جئته قال اي بني أين كنت ألم اكن عهدت اليك ما عهدت قلت يا أبت مررت بالناس يصلون في كنيسة لهم فأعجبني ما رأيت من دينهم فوالله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس قال اي بني ليس في ذلك الدين خير دينك ودين آبائك خير منه فقلت له كلا والله انه لخير من ديننا قال فخافني اي خاف مني ان اهرب فجعل في رجلي قيدا ثم حبسني في بيته وبعثت الى النصارى فقلت لهم اذا قدم عليكم ركب من الشام فأخبروني بهم فقدم عليهم تجار من النصارى فأخبروني فقلت لهم اذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة فأخبروني بهم فأخبروني بهم فألقيت الحديد من رجلي ثم قدمت معهم الى الشام فلما قدمتها قلت من أجل اهل هذا الدين علما قالوا الاسقف في الكنيسة والاسقف بتخفيف الفاء وتشديدها هو عالم النصارى ورئيسهم في الدين فجئته فقلت له اني قد رغبت في هذا الدين وأحببت أن أكون معك فأخدمك في كنيستك واتعلم منك وأصلي معك قال ادخل فدخلت معه

فكان

فكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها فاذا جمعوا اليه اشياء منها اكتنزها لنفسه ولم يعطه المساكين حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق فأبغضته بغضا شديدا لما رأيته يصنع ثم مات فاجتمعت النصارى ليدفنوه فقلت لهم ان هذا كان رجل سوء يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها فاذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها شيأ فقالوا لى وما علمك بذلك فقلت أنا أدلكم على كنزه فأريتهم موضعه فاستخرجوا سبع قلال مملوأة ذهبا وورقا وفى رواية وجدوا ثلاثة قماقم فيها نحو نصف أردب فضة فلما رأوها قالوا والله لا ندفنه أبدا فصلبوه ورموه بالحجارة اى ولم يصلوا عليه صلاتهم مع ان هذا الراهب كان يصوم الدهر وكان تقيا من الشهوات ومن ثم قال فى الفتوحات المكية أجمع اهل كل ملة على ان الزهد فى الدنيا مطلوب وقالوا ان الفراغ من الدنيا أحب لكل عاقل خوفا على نفسه من الفتنة التى حذرنا الله تعالى منها بقوله انما أموالكم وأولادكم فتنة هذا كلامه (قال) الشيخ عبد الوهاب الشعرانى رضى الله تعالى عنه ومن فوائد الرهبان انهم لا يدخرون قوت الغد ولا يكنزون فضة ولا ذهبا (قال) ورأيت شخصا قال لراهب انظر لى هذا الدينار وهو من ضرب اى الملوك فلم يرض وقال النظر الى الدنيا منهى عنه عندنا قال ورأيت الرهبان مرة وهم يسحبون شخصا ويخرجونه من الكنيسة ويقولون له أتلفت علينا الرهبان فسألت عن ذلك فقالوا رأوا على عاتقه نصف ام بوطا فقلت لهم ربط الدرهم مذموم فقالوا نعم عندنا وعند نبيكم صلى الله عليه وسلم هذا كلامه وعند ذلك جاؤا برجل آخر فجعلوه مكانه فما رأيت رجلا لا يصلى الخمس ارى انه افضل منه اى لا اظن احدا من غير المسلمين افضل منه ولا أزهد فى الدنيا ولا ارغب فى الآخرة ولا ادأب ليلا ونهارا منه فأحببته حبا شديدا لم احبه شيأ قبله فأقمت معه زمانا حتى حضرته الوفاة فقلت له يا فلان انى كنت معك واحببتك حبا لم احبه شيأ قبلك وقد حضرك من امر الله ما ترى فالى من توصى قال اى بنى والله ما أعلم احدا على ما كنت عليه ولقد هلك الناس وبدلوا وتركوا اكثر ما كانوا عليه الا رجلا بالموصل وهو فلان وهو على ما كنت عليه فلما مات وغيب اى دفن لحقت بصاحب الموصل فأخبرته خبرى وما امرنى به صاحبى فقال أقم عندى فأقمت عنده فوجدته على امر صاحبه فأقمت مع خير رجل فلما احتضر قلت له يا فلان ان فلانا اوصى بى اليك وامرنى باللحوق بك وقد حضرك من امر الله ما ترى فالى من توصى بى وبم تأمرنى قال يا بنى والله ما اعلم رجلا على مثل ما كنت عليه الا رجلا بنصيبين وهو فلان فالحق به فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيبين فأخبرته خبرى

أما تغضب ان هجانى محمد فقال سأكفيك اياه ثم أخذ سيفه وخرج ثم عاد سريعا فقالت له هل قتلته فقال لها يا اختى أيسرك ان رأس أخيك فى فم ثعبان قالت لا والله فقال كاد ذلك يكون الساعة اى فانه رأى ثعبانا لو قرب ابو سفيان من النبى صلى الله عليه وسلم لالتقم ذلك الثعبان رأسه ولما نزلت هذه السورة التى هى تبت يدا ابى لهب قال ابو لهب لابنه عتبة بصيغة التكبير وقد أسلم عام الفتح مع أخيه معتب رضى الله عنهما رأسك من رأسى حرام ان لم تفارق ابنة محمد يعنى رقية رضى الله عنها فانه كان تزوجها ولم يدخل بها ففارقها وكان أخوهما عتيبة بالتصغير متزوجا بنته صلى الله عليه وسلم أم كلثوم ولم يدخل بها أيضا وكان نكاح المشرك للمسلمة غير ممنوع فى صدر الاسلام ثم حرمه تعالى بقوله ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا وبقوله تعالى فى صلح الحديبية فلا ترجعوهن الى الكفار الآية فقال عتيبة وقد أراد الذهاب الى الشام لآتين محمدا فلاوذينه فى ربه فأتاه فقال يا محمد هو كافر بالنجم وفى رواية برب النجم اذا هوى وبالذى دنى فتدلى ثم بصق فى وجه النبى صلى الله عليه وسلم ورد عليه ابنته اى طلقها فقال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم سلط وفى رواية ابعث عليه كلبا من كلابك وكان ابو طالب حاضرا فوجم لها ابو طالب وقال ما أغناك يا ابن أخى عن هذه الدعوة فرجع عتيبة الى أبيه فأخبره بذلك ثم خرج هو وابوه الى الشام فى جماعة فنزلوا منزلا فأشرف عليهم راهب من دير فقال لهم ان هذه الارض مسبعة فقال ابو لهب لاصحابه انكم قد عرفتم نسبى وحقى فقالوا أجل يا ابا لهب فقال اعينونا يا معشر قريش هذه الليلة فانى أخاف على ابنى دعوة محمد فاجمعوا امتاعكم الى هذه الصومعة ثم افرشوا لابنى عليه ثم افرشوا لكم حوله ففعلوا ثم جمعوا جمالهم وأناخوها واحدقوا بعتيبة فجاء الاسد يتشمم وجوههم حتى ضرب عتيبة فقتله

وفي رواية فضخ رأسه وفي رواية ثني ذنبه ووثب وضربه بذنبه ضربة واحدة فخدشه فمات مكانه وفي رواية فضغمه ضغمة كانت
اياها فقال وهو بآخر رمق الم اقل لكم ان محمدا أصدق الناس لهجة ومات فقال ابوه قد عرفت والله ما كان لينفلت من دعوة
محمد صلى الله عليه وسلم والاسد يسمى كلبا في اللغة * ومما وقع للنبي صلى الله عليه وسلم من الاذية ما حدث به عبد الله بن
مسعود رضي الله عنه قال كنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم في
المسجد وهو يصلي وقد نحر بعض
الناس جزورا وبقي فرثه اى روثه
وكرشه فقال ابو جهل ألا رجل
يقوم الى هذا القذر يلقيه على محمد
وفي رواية ألا تنظرون الى هذا
المرائي ايكم يقوم الى جزور بني
فلان فيعمد الى فرثها ودمها
وسلاها فيجيء به ثم يمهله حتى اذا
سجد وضعه بين كتفيه وفي رواية
ايكم يأخذ سلا جزور بني فلان
الجزور ذبحت من يومين او ثلاثة
فيضعه بين كتفيه اذا سجد فقام
شخص من المشركين وفي لفظ
أشقى القوم وهو عقبة بن ابي
معيط وجاء بذلك الفرث فألقاه
على النبي صلى الله عليه وسلم وهو
ساجد فضحكوا وجعل بعضهم
يميل الى بعض من شدة الضحك
قال ابن مسعود رضي الله عنه
فهبنا اى خفنا أن نلقيه عنه وفي
لفظ وأنا قائم انظر لو كانت لي
منعة لطرحته عن ظهر رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى جاءت
فاطمة رضي الله عنها بعد أن ذهب
اليها انسان وأخبرها بذلك واستمر
صلى الله عليه وسلم ساجدا حتى
ألقته عنه واستمراره عند من يقول بنجاسة ذلك لعدم علمه بنجاسة الموضوع ولما ألقته أقبلت عليهم تشتمهم اى
فقام صلى الله عليه وسلم فسمعته يقول وهو قائم يصلي اللهم اشدد وطأتك اى عقابك الشديد على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين
كسني يوسف اللهم عليك بأبي الحكم بن هشام يعني ابا جهل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وعقبة بن ابي معيط

وما امرني به صاحبي فقال أقم عندي فأقمت عنده فوجدته على امر صاحبيه فأقمت مع
خير رجل فوالله مالبث أن نزل به الموت فلما احتضر اى حضرته الملائكة لقبض
روحه قلت له يافلان ان فلانا أوصى بي الى فلان ثم ان فلانا أوصى بي اليك فالى من
توصي بي والى من تأمرني قال يابني والله ما أعلم بقي احد على امرنا آمرك أن تأتيه الا رجلا
بعمورية من ارض الروم فانه على مثل مانحن عليه فان أحببت فأته فلما مات وغيب اى
دفن لحقت بصاحب عمورية واخبرته خبري فقال اقم عندي فأقمت عند خير رجل على
هدى اصحابه وأمرهم فاكتسبت حتى كانت لي بقرات وغنيمة ثم نزل به امر الله تعالى فلما
احتضر قلت له يافلان اني كنت مع فلان فأوصى بي الى فلان ثم اوصى بي فلان الى فلان
ثم اوصى بي فلان اليك فالى من توصي بي وبم تأمرني قال اى بني والله ما اعلم اصبح على
ما كنا عليه احد من الناس آمرك ان تأتيه ولكنه قد أظل اى اقبل وقرب زمان نبي
مبعوث بدين ابراهيم يخرج بأرض العرب مهاجره الى ارض بين حرتين بينهما نخل به
علامات يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة بين كتفيه خاتم النبوة فان استطعت ان تلحق
بتلك البلاد فافعل ثم مات وغيب (اقول) وهذا السياق يدل على أن الذين اجتمع بهم من
النصارى على دين عيسى أربعة وفي كلام السهيلي انهم ثلاثون وفي النور انهم بضعة
عشر وان هذا اظهر والله اعلم * قال سلمان ثم مر بي نفر من كلب تجار فقلت لهم احملوني
الى ارض العرب واعطيكم بقراتي هذه وغنمي هذه فقالوا نعم فاعطيتهموها اى اعطيتهم
اياها وحملوني معهم حتى اذا بلغوا بي وادي القرى وهو محل من اعمال المدينة المنورة
ظلموني فباعوني من رجل يهودي فكنت عنده فرأيت النخل فرجوت أن تكون البلدة
التي وصف لي صاحبي ولم يحق عندي اى لم أتحقق ذلك فبينا أنا عنده اذ قدم عليه ابن عم له
من بني قريظة من المدينة فابتاعني منه فحملني الى المدينة فوالله ما هو الا ان رأيتها
فعرفتها اى تحققتها بصفة صاحبي فأقمت بها وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم واقام
بمكة ما اقام لا اسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرق ثم هاجر الى المدينة فوالله اني لفي
رأس عذق اى نخل لسيدي أعمل له فيه بعض العمل وسيدي جالس تحتي اذ أقبل ابن
عم له حتى وقف عليه فقال يافلان قاتل الله بني قيلة اى وهما الاوس والخزرج لان قيلة
امهما فقد جاء ان الله أمدني بأشد العرب ألسنا وآذرعا ابني قيلة الاوس والخزرج
والله انهم الآن لمجتمعون بقبا بالمد والقصر وربما قيل قباة بتاء التأنيث والقصر على
رجل قدم من مكة اليوم يزعمون انه نبي فلما سمعتها اخذتني العرواء وهي الحمى النافض

وعمارة بن الوليد وأمية بن خلف وفى رواية فلما قضى صلاته صلى الله عليه وسلم قال اللهم عليك بقريش ثم سمى اللهم عليك بعمرو
ابن هشام الى آخر ما تقدم وفى رواية فلما قضى صلاته رفع يديه ثم دعا عليهم وكان اذا دعا دعا ثلاثا ثم قال اللهم عليك بقريش اللهم
عليك بقريش فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك وهابوا دعوته ثم قال اللهم عليك بأبى جهل بن هشام الحديث قال
ابن مسعود والله لقد رأيتهم وفى
رواية لقد رأيت الذين سمى
صرعى يوم بدر ثم سحبوا الى القليب
قليب بدر والمراد انه رأى اكثرهم
لان عمارة بن الوليد مات بأرض
الحبشة كافرا مسحورا مجنونا
وعقبة بن ابى معيط اخذ اسيرا
يوم بدر وقتل بعرق الظبية وأمية
ابن خلف قتل يوم بدر ولكنه
لم يطرح فى القليب بل أهالوا
التراب عليه فى مكانه لانتفاخه
وتقطعه ولا مانع أن يكون النبى
صلى الله عليه وسلم كرر هذا الدعاء
وأتى به وهو قائم يصلى وبعد الفراغ
من الصلاة فلا منافاة والمراد بسنى
يوسف القحط والجدب فاستجاب
الله دعاءه فأصابتهم سنة أكلوا
فيها الجيف والجلود والعظام
والعلهز وهو الوبر والدم اى يخلط
الدم باوبار الابل ويشوى على النار
وصار الواحد منهم يرى ما بينه
وبين السماء كالدخان من الجوع
وجاءه صلى الله عليه وسلم جمع من
المشركين فيهم ابو سفيان وقالوا
يا محمد انك تزعم أنك بعثت رحمة
وان قومك قد هلكوا فادع الله
لهم فدعا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فسقوا الغيث فأطبقت
السماء عليهم سبعا فشكى الناس كثرة المطر فقال اللهم حوالينا ولا علينا فانحدرت السحابة وجاءهم قالوا ربنا اكشف عنا
العذاب انا مؤمنون اى لا نعود لما كانوا فيه فلما كشف عنهم عادوا وقال بعضهم ان هذا انما كان بعد الهجرة فانه صلى الله عليه
وسلم مكث شهرا اذا رفع رأسه من ركوع الركعة الثانية من صلاة الفجر بعد قوله سمع الله لمن حمده يقول اللهم انج الوليد بن

اى الرعدة والبرحاء الحمى الصالب حتى ظننت انى ساقط على سيدى فنزلت عن النخلة
فجعلت اقول لابن عمه ذلك ما تقول فغضب سيدى ولكمنى لكمة شديدة ثم قال مالك
ولهذا أقبل على عملك فقلت لا شئ انما اردت ان اثبته فيما قال وقد كان عندى شئ جمعته
اى وهو محتمل لان يكون تمرا ولان يكون رطبا فلما امسيت أخذته ثم ذهبت به الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بقباء فدخلت عليه فقلت له انى قد بلغنى انك رجل
صالح ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة وهذا شئ كان عندى للصدقة فرأيتكم أحق به
من غيركم فقربته اليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه كلوا وامسك يده
فلم يأكل فقلت فى نفسى هذه واحدة اى ومن ثم لما أخذ الحسن بن على رضى الله تعالى
عنهما وهو طفل تمرة من تمر الصدقة ووضعها فى فيه قال له النبى صلى الله عليه وسلم كخ كخ
أما تعرف أنا لا نأكل الصدقة رواه مسلم (وروى) أيضا انه صلى الله عليه وسلم قال انى
لانقلب الى أهلى فاجد التمرة ساقطة على فراشى ثم ارفعها لا كلها ثم اخشى ان تكون
صدقة فالقيها ووجد صلى الله عليه وسلم تمرة فقال لولا ان تكون من الصدقة لاكلتها وقال
ان الصدقة لا تنبغى لآل محمد انما هى أوساخ الناس وفى رواية ان هذه الصدقات انما
هى أوساخ الناس وانها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد والراجح من مذهبنا حرمة الصدقتين
عليه صلى الله عليه وسلم وحرمة صدقة الفرض دون النفل على آله وقال الثورى لا تحل
الصدقة لآل محمد لا فرضها ولا نفلها ولا لموا ليهم لان مولى القوم منهم بذلك جاء الحديث
قال سلمان ثم انصرفت عنه فجمعت شيأ هو أيضا يحتمل لان يكون تمرا ولان يكون رطبا
وتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ثم جئته فقلت انى رأيتك لا تأكل
الصدقة وهذه هدية اكرمتك بها فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر اصحابه
فأكلوا معه فقلت فى نفسى هاتان ثنتان اى ومن ثم روى مسلم كان اذا أتى بطعام سأل
عنه فان قيل هدية أكل منها وان قيل صدقة لم يأكل منها قال سلمان ثم جئت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو ببقيع الغرقد وقد تبع جنازة رجل من اصحابه اى وهو كلثوم
ابن الهدم الذى نزل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء لما قدم المدينة قيل وهو
اول من دفن به وقيل اول من دفن به أسعد بن زرارة وقيل اول من دفن به عثمان بن
مظعون وجمع بان اول من دفن به من المهاجرين عثمان اى وقد مات فى ذى الحجة من
السنة الثانية من الهجرة واول من دفن به من الانصار كلثوم أو اسعد اى وفى الوفيات
لابن زبر مات كلثوم ثم من بعده ابو امامة اسعد بن زرارة فى شوال من السنة الاولى من

الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن ابى ربيعة والمستضعفين من المؤمنين بمكة اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف وربما فعل ذلك بعد رفعه من الركعة الاخيرة من العشاء قال البيهقى فقد روى فى قصة ابى سفيان ما دل على ان ذلك كان بعد الهجرة ولعله كان مرتين مرة قبل الهجرة ومرة بعدها لصحة كل من الروايتين وفى البخارى لما استعصت قريش على النبى صلى الله عليه وسلم دعا عليهم بسنين كسني يوسف فبقيت السماء سبع سنين لا تمطر وفى رواية فى البخارى أيضا لما أبطؤا على النبى صلى الله عليه وسلم بالاسلام قال اللهم اكفنيهم بسبع سنين كسبع يوسف فأصابتهم سنة حصت كل شئ وفى رواية اللهم أعنى عليهم بسبع كسبع يوسف فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام فجعل الرجل ينظر الى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد فأنزل الله تعالى فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم فأتى أبو سفيان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله استسق لمضر فانها قد هلكت فدعا لهم صلى الله عليه وسلم فسقوا فلما أصابتهم الرفاهية عادوا الى حالهم فأنزل الله يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون يعنى يوم بدر ومن ذلك ما حدث به عثمان بن عفان رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف بالبيت ويده على يد ابى بكر رضى الله عنه وفى الحجر ثلاثة نفر جلوس عقبة بن ابى معيط وابو جهل بن هشام وأمية بن خلف فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما حاذاهم التصريح
أسمعوه بعض ما يكره فعرف ذلك فى وجه النبى صلى الله عليه وسلم فدنوت منه ووسطته اى جعلته وسطا فكان بينى وبين ابى بكر فأدخل اصابعه فى أصابعى وطفنا فلما حاذاهم قال ابو جهل والله لا نصالحك ما بل بحر صوفة وأنت تنهى أن نعبد ما يعبد آباؤنا

الهجرة ودفن بالبقيع هذا كلامه ولم يذكر الوقت الذى مات فيه كلثوم وفى النور عن الطبرى انه مات بعد قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة بايام قليلة وأول من مات من الانصار البراء بن معرور ومات قبل قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة مهاجرا بشهر ولما حضره الموت أوصى ان يدفن ويستقبل به الكعبة ففعلوا به ذلك ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة صلى على قبره هو وأصحابه وكبر اربعا ولم اقف على محل دفنه وقولهم ان اول من دفن بالبقيع كلثوم يدل على ان البراء لم يدفن بالبقيع الا ان يراد الاولية بعد قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة والظاهر ان هذه أول صلاة صليت على القبر قال سلمان وكان عليه الصلاة والسلام عليه شملتان وهو جالس فى أصحابه فسلمت عليه ثم استدرت انظر الى ظهره هل أرى الخاتم الذى وصف لى فالقى الرداء عن ظهره فنظرت الى الخاتم فعرفته فاكببت عليه اقبله وابكى فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم تحول فتحولت بين يديه فقصصت عليه حديثى قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فاعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يسمع ذلك أصحابه اى وفى شواهد النبوة لما جاء سلمان الى النبى صلى الله عليه وسلم لم يفهم النبى صلى الله عليه وسلم كلامه فطلب ترجمانا فأتى بتاجر من اليهود كان يعرف الفارسية والعربية فمدح سلمان النبى صلى الله عليه وسلم وذم اليهود بالفارسية فغضب اليهودى وحرف الترجمة فقال للنبى صلى الله عليه وسلم ان سلمان يشتمك فقال النبى صلى الله عليه وسلم هذا الفارسى جاء ليؤذينا فنزل جبريل وترجم عن كلام سلمان فقال النبى صلى الله عليه وسلم ذلك اى الذى ترجمه جبريل لليهودى فقال اليهودى يا محمد ان كنت تعرف الفارسية فما حاجتك الى فقال صلى الله عليه وسلم ما كنت اعلمها من قبل والآن علمنى جبريل أو كما قال فقال اليهودى يا محمد قد كنت قبل هذا اتهمك والآن تحقق عندى انك رسول الله فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد انك رسول الله ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم لجبريل علم سلمان العربية فقال قل له يغمض عينيه ويفتح فاه ففعل سلمان فتفل جبريل فى فيه فشرع سلمان يتكلم بالعربى الفصيح وهذا السياق يدل على ان ذلك كان عند مجيئه فى المرة الثالثة وحينئذ يشكل بمجيئه أولا وثانيا وقوله ما تقدم بالعربية الا ان يقال ذلك لقلته سهل عليه ان يعبر عنه بالعربية بخلاف حكاية حاله لكثرته لم يحسن ان يعبر عنه بالعربية (قال) وقد اختلفت الروايات عن سلمان فى الشئ الذى جاء به للنبى صلى الله عليه وسلم اولا وثانيا فالرواية الاولى المتقدمة ظاهرها يقتضى انه تمر اهـ اى وفيه من اين ان ظاهرها ذلك بل هى محتملة وقد جاء

التصريح بكونه تمرا في الاولى والثانية ففي بعض الروايات فسألت سيدى ان يهب لى يوما فعملت في ذلك اليوم على صاع او صاعين من تمر وبعثت به النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأيته لا يأكل الصدقة سألت سيدى ان يهب لى يوما آخر فعملت فيه على ذلك اى على صاع أو صاعين من تمر ثم جئت به النبي صلى الله عليه وسلم فقبله وأكل منه اى والذى في كلام السهيلي قال سلمان كنت عبدا لامرأة فسألت سيدتي ان تهب لى يوما الحديث وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز ان يكون عبدا بين سيدته وزوجة سيده لانه يقال لها سيدة في المتعارف بين الناس أو ان المرأة هي التي اشترته ويؤيده ما يأتي وزوج تلك المرأة يقال له في المتعارف بين الناس سيد قال وقيل ان الذى جاء به أولا وثانيا رطب وفي رواية احتطبت حطبا فبعته واشتريت بذلك طعاما والطعام خبز ولحم وفي رواية جئت بمائدة عليها رطب وفي رواية عليها رطب وجمع بانه أولا قدم الخبز واللحم الذى هو الطعام والتمر ثم قدم الرطب فلم يتحد المقدم وفي مسند الامام أحمد ان المرات ثلاث وان المقدم فيها متحد اه (اقول) تقديم الرطب في المرة الثانية يخالفه ما تقدم انه في المرة الثانية كان تمرا والله أعلم ثم شغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدر واحد فكان اول مشاهده الخندق كما سيأتي وكان بعد ذلك يقال له سلمان الخير وكان معدودا من خصائصه صلى الله عليه وسلم قال سلمان ثم قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتب يا سلمان فكاتبت صاحبي على ثلثمائة نخلة اى ودية على وزن فعيلة وهي النخلة الصغيرة التي يقال لها الفسيلة احييها له بالتفقير بالفاء ثم القاف اى الحفر اى ومن ثم قيل للبئر الفقير اى احفر لها واغرسها بتلك الحفرة وتصير حية بتلك الحفرة اى وأتعهدها الى ان تثمر والودية والفسيلة هي النخلة الصغيرة التي جرت العادة بان تنقل من المحل الذى تنبت فيه الى محل آخر لكن في كلام بعضهم اذا خرجت النخلة من النواة قيل لها غريسة ثم يقال لها ودية ثم فسيلة ثم اشاءة فاذا فاتت اليد فهي جبارة ويقال للنخلة الطويلة عوانة بلغة عمان وفي الحديث ان قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فاستطاع ان يغرسها قبل ان تقوم فليغرسها او على اربعين أوقية اى من ذهب كما سيأتي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعينوا أخاكم فاعانوني بالنخل الرجل بثلاثين والرجل بعشرين ودية والرجل بخمسة عشر والرجل بعشر بقدر ما عنده حتى اجتمعت لى ثلثمائة ودية قال وفي رواية انه كوتب على أن يغرس لهم خمسمائة فسيلة اى يحفر لها ويغرسها اى ويتعهدها الى ان تثمر وعلى اربعين اوقية قال سلمان فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب يا سلمان ففقر اى

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا على ذلك ثم مشى عنهم فصنعوا به في الشوط الثالث مثل ذلك حتى اذا كان الشوط الرابع قاموا اليه صلى الله عليه وسلم ووثب ابو جهل يريد أن يأخذ بمجامع ثوبه فدفعت في صدره فوقع على استه ودفع ابو بكر امية ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عقبة بن ابي معيط ثم انفرجوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف ثم قال أما والله لا تنتهون حتى يحل عليكم عقابه اى ينزل عليكم عاجلا قال عثمان رضي الله عنه فوالله ما منهم رجل الا وقد أخذته الرعدة فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بئس القوم أنتم لنبيكم ثم انصرف الى بيته وتبعناه حتى انتهى الى باب بيته ثم أقبل علينا بوجهه فقال أبشروا فان الله عز وجل مظهر دينه ومتم كلمته وناصر نبيه ان هؤلاء ترون من يذبح منهم على أيديكم عاجلا ثم انصرفنا الى بيوتنا فوالله لقد ذبحهم الله بأيدينا يوم بدر اى بأيدى الصحابة رضي الله عنهم يوم بدر بالنظر الى غالبهم فلا ينافى كون عثمان رضي الله عنه تأخر بالمدينة لاجل مرض رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولازمها الى أن توفيت فهو معدود من أهل بدر لانه في حاجة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ولا ينافى أيضا كون عقبة بن ابى معيط جاء أسيرا من بدر وقتل بعرق الظبية صبرا اى ضربت عنقه بعد حبسه وهم راجعون من بدر وجاء أيضا أن عقبة بن ابى معيط وطئ على رقبته الشريفة صلى الله عليه وسلم وهو ساجد حتى كادت عيناه تبرزان وفي رواية دخل عقبة بن ابى معيط الحجر فوجده صلى الله عليه وسلم يصلي فوضع ثوبه على عنقه صلى الله عليه وسلم وخنقه خنقا شديدا فاقبل ابو بكر رضي الله عنه حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وفي البخاري عن عروة بن الزبير رضي الله

عنه قال قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص أخبرني بأشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بفناء الكعبة اذ أقبل عقبة بن ابي معيط فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا فأقبل ابو بكر وأخذ ٢٥٦ بمنكبيه ودفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية قال ما رأيت قريشا أصابت من عداوة أحد ما أصابت من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد حضرتهم يوما وقد اجتمع ساداتهم وكبراؤهم في الحجر فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما صبرنا الامر قط كصبرنا الامر هذا الرجل ولقد سفه أحلامنا وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب آلهتنا لقد صبرنا منه على أمر عظيم فبيناهم كذلك اذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل يمشي حتى استلم الركن ثم مر طائفا بالبيت فلما مر عليهم لمزوه ببعض القول فعرفنا ذلك في وجهه ثم مر بهم الثانية فلمزوه بمثلها فعرفنا ذلك في وجهه ثم مر بهم الثالثة فوقف عليهم وقال أتسمعون يا معشر قريش أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح فارتعبوا لكلمته تلك وما بقي رجل الا كأنما على رأسه طائر واقع فصاروا يقولون يا أبا القاسم انصرف فوالله ما كنت جهولا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم فقال بعضهم لبعض ذكرتم ما بلغه منكم وما بلغكم منه حتى اذا نادا كم بما تكرهون تركتموه فبيناهم كذلك اذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتواثبوا اليه وثبة رجل واحد وأحاطوا به وهم يقولون أنت الذي تقول كذا وكذا يعنون عيب آلهتهم ودينهم فقال نعم انا الذي اقول ذلك فأخذ رجل منهم بمجمع ردائه صلى الله عليه وسلم فقام ابو بكر رضي الله عنه وهو يبكي ويقول أتقتلون رجلا

بالفاء وفي رواية فنقر اي بالنون اي احفرلها فاذا فرغت فائتني أنا أضعها بيدي ففقرت وفي رواية فنقرتها واعانني اصحابي حتى اذا فرغت جئته صلى الله عليه وسلم فأخبرته فخرج معي اليها فجعلنا نقرب اليه الودي فيضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فما مات منها ودية واحدة فأديت النخل وبقي علي المال فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل بيضة الدجاجة اي وفي رواية مثل بيضة الحمامة من ذهب من بعض المعادن ولعل هذه البيضة كانت مترددة بين بيضة الدجاجة وبين بيضة الحمامة اي اكبر من بيضة الحمامة واصغر من بيضة الدجاجة فاختلف فيها التشبيه فقال صلى الله عليه وسلم ما فعل الفارسي المكاتب فدعيت له فقال خذ هذه فأدها مما عليك يا سلمان اي تكون بعضا مما عليك وحينئذ قد يتوقف في جواب سلمان بقوله قلت واين تقع هذه يا رسول الله مما علي لان النبي يؤديه بعضه وان قل ذلك البعض الا ان يقال العادة قاضية بان ذلك البعض لا يقبل الا اذا كان له وقع بالنسبة لكله وقد أشار صلى الله عليه وسلم للرد على سلمان بان هذا الذي قلت فيه انه لا يحسن ان يكون بعضا مما عليك يوفي به الله عنك جميع ما عليك حيث قال خذها فان الله سيؤدي بها عنك فأخذتها فوزنت لهم منها والذي نفس سلمان بيده أربعين أوقية فأوفيتهم حقهم اي وبقي عندي مثل ما اعطيتهم قال وهذا اي سؤال سلمان وجوابه صلى الله عليه وسلم كالصريح في ان الاواقي التي كاتب عليها كانت ذهبا لا فضة وقد جاء اي مما يدل على ذلك في بعض الروايات ان سلمان لما قال للنبي صلى الله عليه وسلم وأين تقع هذه مما علي فقلبها صلى الله عليه وسلم على لسانه ثم قال خذها فأوفهم منها وأيضا اي مما يدل على ذلك أيضا ان المعلوم ان قدر بيضة الدجاجة من الذهب يعدل أكثر من اربعين اوقية من الفضة اه اي فلا يحسن قول سلمان واين تقع هذه مما علي وقد صرح بذلك اي بكونها ذهبا البلاذري والقاضي عياض في الشفاء فقالا على اربعين اوقية من ذهب والى القصة اشار صاحب الهمزية بقوله

ووفى قدر بيضة من نضار * دين سلمان حين حان الوفاء

كان يدعى قنا فاعتق لما * اينعت من نخيله الاقناء

افلا تعذرون سلمان لما * ان عرته من ذكره العرواء

اي ووفى قدر بيضة من بيض الدجاج او الحمام من ذهب دين سلمان وهو اربعون اوقية من ذهب حين قرب حلول الدين وتقدم انه وفى دينه منها وبقي عنده منها قدر ما أعطاهم وسبب هذا الدين على سلمان انه كان يدعى قنا اي ارق بالباطل كما تقدم فكوتب على ذلك

وعلى ان يغرس تلك النخيل و يتعهدها الى ان تثمر واعتق باداء هذا الدين حين اينعت العراجين من نخيله التى غرسها أى غرست له أفلا ترون اسلمان عذرا يعكم من ايذائه حين ان غشيته قوة الحى من اجل سماع ذكره صلى الله عليه وسلم قال سلمان وشهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق ثم لم يفتنى معه مشهد وعن بريدة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشترى سلمان أى كان سببا لشرائه أى مكاتبته من قوم اليهود بكذا وكذا درهما وعلى ان يغرس لهم كذا وكذا من النخل يعمل فيها سلمان حتى تدرك فغرس رسول الله صلى الله عليه وسلم النخل كله الا نخلة غرسها عمر رضى الله تعالى عنه فاطعم النخل كله الا تلك النخلة التى غرسها عمر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من غرسها قالوا عمر فقلعها وغرسها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فاطعمت من عامها وذكر البخارى ان سلمان رضى الله تعالى عنه غرس بيده ودية واحدة وغرس رسول الله صلى الله عليه وسلم سائرها فعاشت كلها الا التى غرسها سلمان قال و يجوز أن يكون كل من سلمان وعمر غرس هذه النخلة احدهما قبل الآخر انتهى (اقول) وهذا الحائط الذى غرس فيه لسلمان من حوائط بنى النضير وكان يقال له المنبت وقد آل اليه صلى الله عليه وسلم كما سيأتى ولا يخفى ان قول صاحب الهمزية كان يدعى قنا انه لم يرق حقيقة وقد تقدم ذلك وفيه انه لو لم يرق حقيقة لما أقره على الرق وأمره صلى الله عليه وسلم بالمكاتبة وادى عنه وكونه فعل ذلك تطييبا لخاطر ساداته بعيد فليتأمل فان قيل اذا رق حقيقة كيف جاز له صلى الله عليه وسلم ان يأمر اصحابه ان يأكلوا مما جاء به صدقة ويأكل هو وهم مما جاء به هدية والرقيق لا يملك وان ملكه سيده على الاصح عندنا معاشر الشافعية بل وعند باقى الائمة قلنا يجوز ان يكون الرقيق كان فى صدر الاسلام يملك ما ملكه له سيده ثم نسخ ذلك على ان بعض أصحابنا ذهب الى صحته وفى كلام السهيلى وذكر أبو عبيد ان حديث سلمان حجة على من قال ان العبد لا يملك هذا كلامه أو انه صلى الله عليه وسلم لم يعلم رقه حينئذ لان الاصل فى الناس الحرية ولعدم تحقق رق سلمان وعدم مجىء مكاتبته على قواعد أئمتنا لم يستدلوا على مشروعية الكتابة بقصة سلمان وفى كلام السهيلى ان فى خبر سلمان من الفقه قبول الهدية وترك سؤال المهدى وكذلك الصدقة وفى الحديث من قدم اليه الطعام فليأكل ولا يسأل والله أعلم وعن سلمان رضى الله تعالى عنه انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين اخبره بالقصة المتقدمة زاد ان صاحب عمورية قال له ائت كذا وكذا من أرض الشام فان بها رجلا بين غيضتين يخرج كل سنة من هذه

أن يقول ربى الله فاطلقه الرجل ووقعت الهيبة فى قلوبهم فانصرفوا فذلك اشد ما رأيتهم نالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية قالوا ألست تقول فى آلهتنا كذا وكذا قال بلى فتشبثوا به بأجمعهم فاتى الصريخ الى أبى بكر رضى الله عنه فقيل له ادرك صاحبك فخرج أبو بكر رضى الله عنه حتى دخل المسجد فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس مجتمعون عليه فقال ويلكم أتقتلون رجلا ان يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم فكفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبلوا على أبى بكر رضى الله عنه يضربونه وقالت بنته أسماء رضى الله عنها فرجع الينا فجعل لا يمس شيأ من غدائره الا أجابه وهو يقول تباركت ياذا الجلال والاكرام وجاءهم مرة اجتمعوا عليه صلى الله عليه وسلم وجذبوا رأسه الشريف ولحيته حتى سقط أكثر شعره فقام ابو بكر دونه وهو يبكى و يقول أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعهم يا أبا بكر فوالذى نفسى بيده انى بعثت اليهم بالذبح ففرجوا عنه * وعن فاطمة رضى الله عنها بنت النبى صلى الله عليه وسلم قالت اجتمع مشركو قريش فى الحجر فقالوا اذا مر محمد فليضربه كل منا بسيفه ضربة فنقتله فسمعتهم فدخلت على ابى وأنا ابكى فقلت له تركت الملأ من قريش قد تعاقدوا فى الحجر فحلفوا باللات والعزى ومنات واساف ونائلة اذاهم رأوك يقومون

اليك فيضربونك باسيافهم فيقتلونك فقال يا بنية اسكتى وفى لفظ لا تبكى ثم خرج بعد ان توضأ فدخل عليهم المسجد فرفعوا رؤسهم ثم نكسوا فأخذ قبضة من تراب فرمى بها نحوهم ثم قال شاهت الوجوه فما رجل منهم أصابه ذلك الا قتل ببدر *(وكان)* بجواره صلى الله عليه وسلم جماعة يؤذونه منهم أبو لهب والحكم بن أبى العاص وامية والد مروان وعقبة

ابن أبي معيط فكانوا يطرحون عليه الاذى فى داره فاذا طرحوا عليه أخذه وخرج به ووقف به على بابه ويقول يا بني عبد مناف اى جوار هذا ثم يلقيه ولم يسلم منهم الا الحكم وكان فى اسلامه شئ ونفاه النبي صلى الله عليه وسلم الى الطائف وأشار صاحب الهمزية الى أن هذه الاذايا ليست منقصة له صلى الله عليه وسلم بل هي مما تزيده رفعة وهي دليل على فخامة قدره وعلو مرتبته وعظم رفعته ومكانته عند ربه لكثرة صبره واحتماله مع علمه باستجابة دعائه ونفوذ كلمته عند الله تعالى وقد قال صلى الله عليه وسلم أشد الناس بلاء الانبياء وذلك سنة من سنن النبيين السابقين صلى الله عليه وعليهم أجمعين بقوله

لا تخل جانب النبي مضاما
حين مسته منهم الاسواء
كل أمر ناب النبيين فالشد
ة فيه محمودة والرخاء
لو يمس النضار هون من النا
ر لما اختير للنضار الصلاء

(ومما وقع لابي بكر رضي الله عنه) من الاذية ما ذكره بعضهم كما فى السيرة الحلبية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل دار الارقم ليعبد الله هو ومن معه من أصحابه سرا اى كما تقدم وكانوا ثمانية وثلاثين رجلا الح ابو بكر رضي الله عنه فى الظهور اى الخروج الى المسجد فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر انا قليل فلم يزل به حتى خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من الصحابة رضي الله عنهم وقام أبو بكر فى الناس خطيبا ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ودعا الى الله ورسوله فهو أول خطيب دعا الى الله تعالى فثار المشركون على أبي بكر رضي الله عنه وعلى المسلمين يضربونهم فضربوهم ضربا شديدا ووطئ أبو بكر رضي الله عنه بالارجل وضرب ضربا شديدا وصار عتبة بن ربيعة لعنه الله يضرب أبا بكر رضي الله عنه بنعلين مخصوفتين اى مطبقتين ويحرفهما الى وجهه حتى صار لا يعرف

الغيضة الى هذه الغيضة مستجيزا يعترضه ذووا الاسقام فلا يدعو لاحد منهم الا شفى فاسأله عن هذا الدين فهو يخبرك به قال سلمان فخرجت حتى جئت حيث وصف لي فوجدت الناس قد اجتمعوا بمرضاهم هنالك حتى خرج لهم تلك الليلة مستجيزا من احدى الغيضتين الى الاخرى فغشيه الناس بمرضاهم لا يدعو لمريض الا شفى وغلبوني عليه فلم اخلص حتى دخل الغيضة التي يريد أن يدخلها الا منكبه فتناولته فقال من هذا والتفت الي فقلت يرحمك الله اخبرني عن الحنيفية دين ابراهيم فقال انك لتسأل عن شئ ما يسأل عنه الناس اليوم قد أظلك نبي يبعث بهذا الدين من أهل الحرم فانه يحملك عليه ثم دخل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن كنت صدقتني لقد لقيت عيسى بن مريم والغيضة الشجر الملتف قال السهيلي هذا الحديث مقطوع وفيه رجل مجهول ويقال ان الرجل هو الحسن بن عمارة وهو ضعيف باجماع منهم وان صح هذا الحديث فلا نكارة فى متنه فقد ذكر الطبري ان المسيح عليه الصلاة والسلام نزل بعد ما رفع وأمه وامرأة أخرى اى كانت مجنونة فأبرأها المسيح عند الجذع الذي فيه الصليب يبكيان فاهبط اليهما فكلمهما وقال لهما علام تبكيان فقالا عليك فقال انى لم أقتل ولم اصلب ولكن الله رفعني واكرمني وأخبرهما ان الله أوقع شبهه على الذي صلب وارسل الى الحواريين أي قال لامه ولتلك المرأة ابلغا الحواريين أمري ان يلقوني فى موضع كذا ليلا فجاء الحواريون ذلك الموضع فاذا الجبل قد اشتعل نورا لنزوله فيه ثم أمرهم أن يدعوا الناس الى دينه وعبادة ربهم ووجههم الى الامم واذا جاز أن ينزل مرة جاز أن ينزل مرارا لكن لا نعلم انه هو اى حقيقة حتى ينزل النزول الظاهر فيكسر الصليب ويقتل الخنزير كما جاء فى الصحيح هذا كلامه ويروى انه اذا نزل تزوج امرأة من جذام قبيلة باليمن ويولد له ولدان يسمى أحدهما محمدا والآخر موسى يمكث أربعين سنة وقيل خمسا واربعين وقيل سبع سنين كما فى مسلم وقيل ثمان سنين وقيل تسعا وقيل خمسا أى وجمع بين كون مدة مكثه أربعين سنة او خمسا وأربعين سنة وبين كونها سبع سنين أى وما بعد ذلك بأن المراد بالاول مجموع لبثه فى الارض قبل الرفع وبعده والسبعة اى وما بعدها من الاقوال يكون بعد نزوله ويدفن اذا مات فى روضة النبي صلى الله عليه وسلم قال وقيل فى حجرته صلى الله عليه وسلم اى عند قبره الشريف وقيل فى بيت المقدس انتهى اى وقيل يدفن معه صلى الله عليه وسلم فى قبره ويؤيده ما ورد ويدفن معي فى قبري فأقوم أنا وعيسى من قبر واحد بين أبي بكر وعمر (أقول) وكما يقتل عيسى عليه الصلاة والسلام الخنزير يقتل الدجال

أنفه من وجهه فجاءت بنو تيم يتعادون فأجلت المشركين عن أبي بكر رضي الله عنه الى ان ادخلوه منزله ولا يشكون في موته
اي ثم رجعوا فدخلوا المسجد فقالوا والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة ثم رجعوا الى أبي بكر وصار والده أبو قحافة وبنو تيم
يكلمونه فلا يجيب حتى اذا كان آخر النهار تكلم وقال مافعل رسول الله ٢٥٩ صلى الله عليه وسلم فعذلوه فصار يكرر
ذلك فقالت أمه والله مالي علم بصاحبك فقال اذهبي الى أم جميل بنت الخطاب أخت عمر رضي الله عنهما اي فانها كانت أسلمت وهي تخفي اسلامها فاسألها عنه فخرجت اليها وقالت لها ان أبا بكر يسأل عن محمد بن عبد الله فقالت لا أعرف محمدا ولا أبا بكر ثم قالت لها تريدين ان أخرج معك قالت نعم فخرجت معها الى أن جاءت أبا بكر رضي الله عنه فوجدته صريعا فصاحت وقالت ان قوما نالوا هذا منك لاهل فسق واني لارجو أن ينتقم الله منهم فقال لها أبو بكر رضي الله عنه مافعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له هذه أمك تسمع قال فلا عين عليك منها اي انها لا تفشي سرك قالت سالم قال أين هو قالت في دار الارقم فقال والله لا أذوق طعاما ولا أشرب شرابا أو آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت أمه فأمهلناه حتى اذا هدأت الرجل وسكن الناس خرجنا به يتكئ على حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرق له رقة شديدة وأكب عليه يقبله وأكب عليه المسلمون كذلك فقال بأبي
أنت وأمي يا رسول الله مابي من بأس الا مانال الناس من وجهي وهذه أمي برة بولدها فعسى الله ان يستنقذها بك من النار فدعا
لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاها الى الاسلام فأسلمت * وذكر الزمخشري في كتاب خصائص العشرة ان هذه الواقعة
حصلت لابي بكر رضي الله عنه لما أسلم واخبر قريشا باسلامه فليتأمل فان تعدد الواقعة بعيد (ومما وقع لعبد الله بن مسعود رضي

الدجال فقد جاء ينزل عيسى حكما مقسطا يحكم بشرعنا يقتل الدجال ونزوله يكون عند صلاة الفجر فيصلي خلف المهدي بعد ان يقول له المهدي تقدم يا روح الله فيقول له تقدم فقد أقيمت لك وفي رواية ينزل بعد شروع المهدي في الصلاة فيرجع المهدي القهقرى ليتقدم عيسى فيضع يده بين كتفيه ويقول له تقدم فاذا فرغ من الصلاة أخذ حربته وخرج خلف الدجال فيقتله عند باب لد الشرقي وورد ان المهدي يخرج مع عيسى فيساعده على قتل الدجال وقد جاء ان المهدي من عترة النبي صلى الله عليه وسلم من ولد فاطمة قيل من ولد الحسين وقيل من ولد الحسن وقيل من ولد عمه العباس فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان أمه أم الفضل مرت به صلى الله عليه وسلم فقال انك حامل بغلام فاذا ولدتيه فائتيني به قالت فلما ولدته أتيته به فأذن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى والبأه أي اسقاه اللبأ من ريقه وسماه عبد الله وقال اذهبي بأبي الخلفاء فأخبرت العباس فأتاه فذكر له فقال هو ما أخبرتك هذا أبو الخلفاء حتى يكون منهم السفاح حتى يكون منهم المهدي اى الخليفة وهو أبو الرشيد بدليل قوله حتى يكون منهم من يصلي بعيسى بن مريم اى وهو المهدي الذي يأتي آخر الزمان اسمه محمد بن عبد الله لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد وفي رواية الا ليلة واحدة يطول الله ذلك حتى يبعث وظهوره يكون بعد ان يكسف القمر في أول ليلة من رمضان وتكسف الشمس في النصف منه فان مثل ذلك لم يوجد منذ خلق الله السموات والارض عمره عشرون سنة وقيل أربعون سنة ووجهه كوكب دري على خده الايمن خال اسود يخرج في زمان الدجال وينزل في زمانه عيسى بن مريم وأما ما ورد لا مهدي الا عيسى بن مريم فلا ينافي ذلك لجواز ان يكون المراد لا مهدي كاملا معصوما الا عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام فقد جاء لن تهلك أمة أنا أولها وعيسى بن مريم آخرها والمهدي من أهل بيتي في وسطها وعن العباس رضي الله تعالى عنه قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال انظر هل ترى في السماء من شئ قلت نعم قال ما ترى قلت الثريا قال أما انه سيملك هذه الامة بعددها من صلبك اى وقد اختلف الناس في عددها المرئي فقيل سبعة أنجم وقيل تسعة وجمعنا بينهما بان الاول يكون هو المرئي لغالب الناس ولو غير حديد البصر والثاني لمن يكون حديد البصر منهم وأما المرئي له صلى الله عليه وسلم فقيل كان يرى احد عشر نجما وقيل اثنى عشر نجما وجمعنا بينهما بحمل الاول على ما اذا لم يمعن النظر والثاني على ما اذا امعن النظر وحينئذ يقتضي هذا ان تكون الخلفاء من بني العباس

الله عنه من الاذية) ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمعوا يوما فقالوا والله ما سمعت قريش القرآن جهرا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن منكم يسمعهم القرآن جهرا فقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنا فقالوا نخشى عليك منهم انما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه من القوم فقال دعوني فان الله سيمنعني منهم ثم انه قام عند المقام وقت طلوع الشمس وقريش في أنديتهم فقال بسم الله الرحمن الرحيم رافعا صوته ٢٦٠ الرحمن علم القرآن واستمر فيها فقالوا ما بال ابن أم عبد فقال بعضهم يتلو بعض ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ثم قاموا اليه يضربون وجهه وهو مستمر في قراءتها حتى قرأ غالب السورة ثم انصرف الى أصحابه وقد ادمت قريش وجهه فقال له أصحابه هذا الذي خشينا عليك منه فقال والله ما رأيت أعداء الله أهون علي مثل اليوم ولو شئتم لأتيتهم بمثلها غدا قالوا لا قد أسمعتهم ما يكرهون (ومما وقع له صلى الله عليه وسلم من الاذية) انه كان اذا قرأ القرآن تقف له جماعة عن يمينه وجماعة عن يساره ويصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار لانهم تواصوا بذلك وقالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه حتى كان من أراد منهم سماع القرآن اتى خفية واسترق السمع خوفا منهم (ومما وقع له صلى الله عليه وسلم من الاذية) ما كان سببا لاسلام عمه حمزة رضي الله عنه وهو ما حدث به ابن اسحق قال حدثني رجل من أسلم ان أبا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم عند الصفا وقيل عند الحجون فآذاه وشتمه ونال منه ما يكرهه وقيل انه صب التراب على رأسه وألقى عليه فرثا ووطئ برجله على عاتقه فلم يكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهناك مولاة لعبد الله بن جدعان في مسكن لها تسمع ذلك وتبصره ثم انصرف أبو جهل الى نادي قريش أي الآخر محل تحدثهم في المسجد فجلس معهم فلم يلبث حمزة ان اقبل متوشحا بسيفه راجعا من قنصه أي من صيده وكان من عادته اذا رجع من قنصه لا يدخل الى أهله الا بعد ان يطوف بالبيت فمر على تلك المولاة فأخبرته الخبر فقالت له يا أبا عمارة وهي كنية لحمزة

اثني عشر وعن سعيد بن جبير سمعت ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يقول يكون منا ثلاثة أهل البيت السفاح والمنصور والمهدي ورواه الضحاك عن ابن عباس مرفوعا والمهدي في هذه الرواية يحتمل ان المراد به أبو الرشيد ويحتمل ان يكون المنتظر وروى أبو نعيم بسند ضعيف انه صلى الله عليه وسلم خرج فتلقاه العباس فقال الا أبشرك يا أبا الفضل قال بلى يا رسول الله قال ان الله فتح بي هذا الامر وبذريتك يختمه وفي رواية ويختمه بولدك وقد أفردت ترجمة المهدي المنتظر بالتأليف في مجلد حافل سماه مؤلفه القواصم عن الفتن القواصم وقد وردت قصة سلمان رضي الله تعالى عنه على غير هذا الوجه الذي تقدم فعنه قال كان لي أخ أكبر مني وكان يتقنع بثوبه ويصعد الجبل يفعل ذلك غير مرة متنكرا فقلت له اما انك تفعل كذا وكذا فلم لا تذهب بي معك قال أنت غلام وأخاف ان يظهر منك شيء قلت لا تخف قال ان في هذا الجبل قوما لهم عبادة وصلاح يذكرون الله ويذكرون الآخرة ويزعمون أنا على غير دين قلت فاذهب بي معك اليهم قال حتى استأمرهم فاستأمرهم فقالوا جئ به فذهبت معه فانتهيت اليهم فاذا هم ستة أو سبعة وكأن الروح قد خرجت منهم من العبادة يصومون النهار ويقومون الليل يأكلون الشجر وما وجدوا فصعدنا اليهم فحمدوا الله تعالى وأثنوا عليه وذكروا من مضى من الرسل والانبياء حتى خلصوا الى عيسى بن مريم قالوا ولد بغير ذكر وبعثه الله رسولا وسخر له ما كان يفعل من احياء الموتى وخلق الطير وابراء الاعمى والابرص فكفر به قوم وتبعه قوم ثم قالوا يا غلام ان لك ربا وان لك معادا وان بين ذلك جنة ونارا اليهما تصير وان هؤلاء القوم الذين يعبدون النيران أهل كفر وضلالة لا يرضى الله بما يصنعون وليسوا على دين ثم انصرفنا ثم عدنا اليهم فقالوا مثل ذلك وأحسن فلزمتهم ثم اطلع عليهم الملك فأمرهم بالخروج من بلاده فقلت ما أنا بمفارقكم فخرجت معهم حتى قدمنا الموصل فلما دخلوا حفوا بهم ثم أتاهم رجل من كهف جبل فسلم وجلس فحفوا به فقال لهم أين كنتم فأخبروه فقال ما هذا الغلام معكم فأثنوا علي خيرا وأخبروه باتباعي اياهم ولم أر مثل اعظامهم له فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر من ارسله الله من رسله وأنبيائه وما لقوا وما صنع بهم حتى ذكر عيسى بن مريم ثم وعظهم وقال اتقوا الله والزموا ما جاء به عيسى ولا تخالفوا فيخالف بكم ثم أراد ان يقوم فقلت ما أنا بمفارقك فقال يا غلام انك لا تستطيع ان تكون معي اني لا أخرج من كهفي هذا الا كل يوم احد قلت ما أنا بمفارقك فتبعته حتى دخل الكهف فما رأيته نائما ولا طاعما الا راكعا وساجدا الى الاحد

رضى الله عنه ويكفى أيضا بابي يعلى لو رأيت مالقى ابن أخيك محمد آنفا من ابى الحكم بن هشام تعنى أبا جهل وجده ههنا جالسا فاذاه وسبه وبلغ منه ما يكره ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد وقيل التى أخبرته مولاة اخته صفية بنت عبد المطلب قالت له انه صب التراب على رأسه والقى عليه فرثا ووطئ برجله على عاتقه فقال لها حمزة انت رأيت هذا الذى تقولين قالت نعم وفى رواية لما رجع حمزة من صيده اذا امرأتان تمشيان خلفه فقالت احداهما لو علم ماذا صنع أبو جهل بابن أخيه اقصر عن مشيته فالتفت اليهما فقال ماذاك قالت أبو جهل فعل بمحمد كذا وكذا ولا مانع من تعدد الاخبار من المرأتين والمولاتين فاحتمل حمزة الغضب ودخل المسجد فرأى اباجهل جالسا فى القوم فأقبل نحوه حتى قام على رأسه ورفع القوس وضربه فشجه شجة منكرة ثم قال اتشتمه وانا على دينه اقول ما يقول فرد على ذلك ان استطعت وفى لفظ ان حمزة لما قام على رأس أبي جهل بالقوس صار ابو جهل يتضرع اليه ويقول سفه عقولنا وسب آلهتنا وخالف اباءنا فقال حمزة ومن اسفه منكم تعبدون الحجارة من دون الله اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فقامت رجال من بنى مخزوم عشيرة ابى جهل لينصروا أبا جهل فقالوا لحمزة ما نراك الا قد صبأت فقال حمزة وما يمنعنى وقد استبان لى منه انه رسول الله والذى يقول حق والله لا انزع فامنعونى ان كنتم صادقين فقال لهم أبو جهل دعوا اباعمارة فانى والله قد اسمعت ابن أخيه شيأ قبيحا وبقى حمزة على اسلامه بعد ان وسوس له الشيطان فقال لنفسه لما رجع الى بيته أنت سيد قريش اتبعت هذا الصابئ وتركت دين آبائك الموت خير لك مما صنعت ثم قال اللهم ان كان رشدا فاجعل تصديقى فى قلبى والا فاجعل لى مما وقعت فيه مخرجا فبات بليلة لم يبت بمثلها من وسوسة الشيطان حتى اصبح فغدا الى

الآخر فلما اصبحنا خرجنا واجتمعوا اليه فتكلم نحو المرة الاولى ثم رجع الى كهفه ورجعت معه فلبثت ماشاء الله ان يخرج فى كل يوم احد ويخرجون اليه ويعظهم ويوصيهم فخرج فى احد فقال مثل ما كان يقول ثم قال ياهؤلاء انى قد كبرسنى ورق عظمى وقرب أجلى وانى لاعهد لى بهذا البيت يعنى بيت المقدس منذ كذا وكذا سنة فلا بدلى من اتيانه فقلت ما أنا بمفارقك فخرج وخرجت معه حتى أتيت الى بيت المقدس فدخل وجعل يصلى وكان فيما يقول لى ياسلمان ان الله سوف يبعث رسولا اسمه أحمد يخرج من جبال تهامة علامته ان يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة بين كتفيه خاتم النبوة وهذا زمانه الذى يخرج فيه قد تقارب فأما انا فشيخ كبير لا احسبنى ادركه فان ادركته انت فصدقه واتبعه فقلت وان أمرنى بترك دينك وما أنت عليه قال وان أمرك ثم خرج من بيت المقدس وعلى بابه مقعد فقال له ناولنى يدك فناوله يده فقال له قم باسم الله فقام كأنما نشط من عقال فقال لى المقعد ياغلام احمل على ثيابى حتى انطلق فحملت عليه ثيابه فذهب الراهب وذهبت فى أثره اطلبه كلما سألت عنه قالوا امامك حتى لقينى ركب من كلب فسألتهم فلما سمعوا لغتى اناخ رجل بعيره وحملنى عليه فجعلنى خلفه حتى أتوا بى بلادهم فباعونى فاشترتنى امرأة من الانصار فجعلتنى فى حائط لها أى بستان وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرت به فأخذت شيأ من تمر حائطى ثم أتيته فوجدت عنده اناسا فوضعته بين يديه فقال ما هذا قلت صدقة قال للقوم كلوا ولم يأكل هو ثم لبثت ماشاء الله ثم اخذت مثل ذلك ثم اتيته فوجدت عنده اناسا فوضعته بين يديه فقال ما هذا فقلت هدية قال بسم الله وأكل وأكل القوم فقلت فى نفسى هذه من آياته ويحتاج للجمع بين هذه الرواية وما تقدم على تقدير صحتهما وفى الدر المنثور ان امرأة من جهينة اشترته وصار يرعى غنما لها بيناهو يوما يرعى اذ أتاه صاحب له فقال له اشعرت انه قد قدم اليوم المدينة رجل يزعم انه نبى فقال له سلمان اقم فى الغنم حتى آتيك فهبط سلمان الى المدينة فاشترى بدينار ببعضه شاة فشواها وببعضه خبزا ثم اتاه به فقال ما هذا قال سلمان هذه صدقة قال لا حاجة لى بها فأخرجها فأكلها أصحابه ثم انطلق فاشترى بدينار آخر خبزا ولحما فأتى به النبى صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا قال هذه هدية قال فاقعد فكل فقعد وأكلا جميعا منها فدرت خلفه ففطن بى فارخى ثوبه فاذا الخاتم فى ناحية كتفه الايسر فتبينته ثم درت حتى جلست بين يديه فقلت أشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله وهذه الرواية تخالف ما تقدم فليتأمل ولينظر كيف الجمع ونقل بعضهم الاجماع على

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخي اني وقعت في أمر لا اعرف المخرج منه واقامة مثلي على ما لا ادري ارشد هو ام غي شديدة فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره ووعظه وخوفه وبشره فألقى الله في قلبه الايمان بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اشهد انك لصادق فأظهر يا ابن أخي دينك فوالله ما أحب ان لي ما اظلته السماء وانا على ديني الاول وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما ان هذه الواقعة سبب نزول قوله تعالى أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس يعني حمزة كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها يعني ابا جهل وسر رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلام حمزة سرورا كثيرا لانه كان اعز فتى في قريش واشدهم شكيمة أي اعظمهم في عزة النفس وشهامتها ومن ثم لما عرفت قريش ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عز كفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه واقبلوا على بعض اصحابه بالاذية سيما المستضعفين منهم الذين لا جوار لهم أي لا ناصر لهم فان كل قبيلة غدت على من أسلم منها تعذبه وتفتنه عن دينه بالحبس والضرب والجوع والعطش وغير ذلك حتى ان الواحد منهم لا يقدر أن يستوي جالسا من شدة الضرب الذي به وكان أبو جهل يحرضهم على ذلك وكان اذا سمع بان رجلا اسلم له شرف ومنعة جاء اليه ووبخه وقال له ليغلبن رأيك وليضعفن شرفك وان كان تاجرا قال والله لتكسدن تجارتك أو يهلك مالك وان كان ضعيفا اغرى به حتى ان منهم من فتن عن دينه ورجع الى الشرك كالحرث بن ربيعة بن الاسود في وأبي القيس بن الوليد بن المغيرة وعلي بن أمية بن خلف والعاص بن منبه بن الحجاج وكل هؤلاء قتلوا على كفرهم يوم بدر ومنهم من ثبت على دينه كبلال وعمار وخباب وغيرهم وكان اسلام حمزة رضي الله عنه في السنة الثانية من النبوة على الصحيح وقيل

ان سلمان عاش مائتين وخمسين سنة وكان حبرا عالما فاضلا زاهدا متقشفا وكان يأخذ من بيت المال في كل سنة خمسة آلاف وكان يتصدق بها ولا يأكل الا من عمل يده وكان له عباءة يفترش بعضها ويلبس بعضها قال بعضهم دخلت عليه وهو أمير على المدائن وهو يعمل الخوص فقلت له لم تعمل هذا وانت أمير وهو يجري عليك رزق فقال اني احب ان آكل من عمل يدي وربما اشترى اللحم وطبخه ودعا المجذومين فأكلوا معه وأول مشاهده الخندق كما تقدم قيل وشهد بدرا واحدا قبل ان يعتق أي وهو مكاتب فيكون أول مشاهده الخندق بعد عتقه والله أعلم وأما اخبار الكهان لا عن السنة الجان فكثيرة منها ما تقدم في ليلة ولادته صلى الله عليه وسلم وفي ايام رضاعه قال ومنها أيضا خبر عمرو بن معديكرب رضي الله تعالى عنه قال والله لقد علمت ان محمدا رسول الله قبل ان يبعث فقيل له وكيف ذاك قال فزعنا الى كاهن لنا في أمر نزل بنا فقال الكاهن اقسم بالسماء ذات الابراج والارض ذات الادراج والريح ذات العجاج ان هذا الامر آج اهله من اجيج النار وهو التهابها واقاح ذي تاج قالوا وما تاجه قال تاجه ظهور نبي صادق بكتاب ناطق وحسام فالق قالوا وأين يظهر والى ماذا يدعو قال يظهر بصلاح ويدعو الى فلاح ويعطل القداح وينهى عن الراح والسفاح وعن كل أمر قباح قالوا ممن هو قال من ولد الشيخ الاكرم حافر زمزم وعزه سرمد وخصمه مكمد انتهى ومنها خبر قس بن ساعدة الايادي وهو أول من قال البينة على المدعي واليمين على من انكر وأول من اتكأ على عصا أو قوس أو سيف عند الخطبة وقيل ان أول من تكلم بأن البينة على المدعي واليمين على من أنكر داود عليه الصلاة والسلام وان ذلك فصل الخطاب ورد بأنه لم يثبت عنه انه تكلم بغير لغته * عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قدم وفد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايكم يعرف القس بن ساعدة الايادي قالوا كلنا يا رسول الله نعرفه قال فما فعل قالوا هلك قال ما انساه بعكاظ على جمل أحمر وهو يقول أيها الناس اجمعوا واسمعوا وعوا من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت ان في السماء لخبرا وان في الارض لعبرا مهاد موضوع وسقف مرفوع ونجوم تمور وبحار لا تغور اقسم قس قسما حتما لان كان في الامر رضا ليكونن سخطا ان لله دينا هو أحب اليه من دينكم الذي أنتم عليه مالي أرى الناس يذهبون ولا يرجعون ارضوا بالمقام فقاموا أم تركوا هناك فناموا ثم قال صلى الله عليه وسلم ايكم يروي شعره فانشدوه عليه الصلاة والسلام

في الذاهبين الاولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا * للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها * تسعى الاصاغر والاكابر
لا يرجع الماضي الي ولا من الباقين غابر
ايقنت اني لا محا * لة حيث صار القوم صائر

وفي رواية اخرى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قدم الجارود بن عبد الله وكان سيدا في قومه وقيل له الجارود لانه أغار على قوم من بني بكر بن وائل فجردهم اي أخذ جميع أموالهم والى ذلك الاشارة بقول الشاعر

ودسناهم بالخيل من كل جانب * كما جرد الجارود بكر بن وائل

فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا جارود هل في جماعة وفد عبد القيس من يعرف لنا قسا قالوا كلنا نعرفه يا رسول الله قال الجارود وانا بين يدي القوم كنت اقفو أي اتبع أثره كان من اسباط العرب أي من ولد ولدهم شيخا عمر سبعمائة سنة أي وقيل ستمائة سنة أدرك من الحواريين سمعان فهو أول من تأله اي تعبد من العرب أي ترك عبادة الاصنام وأول من قال أما بعد اي وقيل أول من قال ذلك كعب بن لؤي كما تقدم وقيل سحبان بن وائل وقيل يعقوب وقيل يعرب بن قحطان وقيل داود وهو فصل الخطاب ورد بأنه لم يثبت عنه انه تكلم بغير لغته اي وبعد لفظة عربية وفصل الخطاب الذي أوتيه هو فصل الخصومة اي وهذا يؤيد ما تقدم عنه انه أول من قال البينة على المدعي واليمين على من أنكر وتقدم ما فيه وجمع بان الاولية بالنسبة لداود حقيقية ولغيره اضافية فلكعب بن لؤي بالنسبة للعرب ولغيره بالنسبة لقبيلته وقس أول من كتب من فلان الى فلان قال الجارود كأني أنظر اليه يقسم بالرب الذي هو له ليبلغن الكتاب أجله وليوفين كل عامل عمله ثم أنشأ يقول

هاج للقلب من جواه ادكار * وليال خلالهن نهار
وجبال شوامخ راسيات * وبحار مياههن غزار
ونجوم تلوح في ظلم الليل تراها في كل يوم تدار
والذي قد ذكرت دل على الله نفوسا لها هدى واعتبار

فقال النبي صلى الله عليه وسلم على رسلك يا جارود والرسل بكسر الراء التؤدة فلست أنساه بسوق عكاظ أي وهو سوق بين بطن نخلة والطائف كان سوقا لثقيف وقيس

في السنة السادسة وقال حمزة رضي الله عنه بعد ان اسلم

حمدت الله حين هدى فؤادي * الى الاسلام والدين الحنيف
لدين جاء من رب عزيز * خبير بالعباد بهم لطيف
اذا تليت رسائله علينا * تحدر دمع ذي اللب الحصيف
رسائل جاء احمد من هداها * بآيات مبينة الحروف

واحمد مصطفى فينا مطاع * فلا تغشوه بالقول العنيف
فلا والله نسلمه لقوم * ولما نقض فيهم بالسيوف
ونترك منهم قتلى بقاع * عليها الطير كالورد العكوف
وقد خبرت ما صنعت ثقيف * به فجزى القبائل من ثقيف
اله الناس شر جزاء قوم * ولا اسقاهم صوب الخريف

وحين اسلم حمزة رضي الله عنه ورأى المشركون زيادة الصحابة اجتمع عتبة بن ربيعة وشيبة وابو سفيان بن حرب ورجل من بني عبد الدار وابو البختري والاسود ابن المطلب وزمعة والوليد بن المغيرة وابو جهل وعبد الله بن ابي أمية المخزومي وأمية بن خلف والعاص بن وائل ونبيه ومنبه ابنا الحجاج فأتوا منزل أبي طالب وسألوه ان يحضر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وان يأمرهم بازالة شكواهم وان يجيبهم الى أمر فيه الالفة والصلاح فأحضره وقال يا ابن أخي هذا الملأ من قومك فاشكهم أي ازل شكواهم وتألفهم فقالوا يا محمد ما نعلم رجلا من العرب ادخل على قومه ما ادخلت على قومك لقد شتمت الآباء وعبت الدين وسفهت الاحلام وشتمت الآلهة فما من قبيح الا وقد جلبته فيما بيننا وبينك فان كنت انما جئت بهذا تطلب مالا جمعنا لك من اموالنا حتى تكون اكثرنا مالا وان كنت تطلب الشرف فينا فنحن نسودك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الامر الذي يأتيك رئيا قد غلب عليك بذلنا اموالنا في طلب

عيلان كما تقدم على جمل أورق أى يضرب لونه الى السواد وهو يتكلم بكلام ما أظن انى أحفظه وفى لفظ تكلم بكلام له حلاوة لا أحفظه الآن فقال ابو بكر يارسول الله فانى احفظه كنت حاضرا ذلك اليوم بسوق عكاظ فقال فى خطبته يا أيها الناس اسمعوا وعوا واذا وعيتم فانتفعوا من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت مطر ونبات وارزاق واقوات وآباء وامهات واحياء واموات جمع واشتات وآيات بعد آيات ان فى السماء لخبرا وان فى الارض لعبرا ليل داج أى مظلم وسماء ذات ابراج وأرض ذات فجاج وبحار ذات أمواج مالى أرى الناس يذهبون فلا يرجعون ارضوا بالمقام فقاموا أم تركوا هنالك فناموا اقسم قس قسما حاتما لا حانثا فيه ولا آثما ان لله دينا هو أحب اليه من دينكم الذى أنتم عليه ونبيا قد حان حينه واظلكم زمانه فطوبى لمن آمن به فهداه وويل لمن خالفه فعصاه ثم قال تبا لارباب الغفلة من الامم الخالية والقرون الماضية يامعشر اياد هى قبيلة من اليمن اين الآباء والاجداد واين المريض والعواد واين الفراعنة الشداد اين من بنى وشيد وزخرف ونجد اى زين وطول وغره المال والولد اين من بغى وطغى وجمع فاوعى وقال انا ربكم الاعلى الم يكونوا اكثر منكم اموالا واطول منكم آجالا وابعد منكم آمالا طحنهم التراب بكلكله اى بصدره ومزقهم بتطاوله فتلك عظامهم بالية وبيوتهم خاوية عمرتها الذئاب العاوية كلا بل هو الله الواحد المعبود ليس بوالد ولا مولود ثم انشأ يقول الابيات المتقدمة أى وفى رواية لما قدم وفد اياد على النبى صلى الله عليه وسلم قال يامعشر وفد اياد ما فعل قس بن ساعدة الايادى قالوا هلك يارسول الله قال لقد شهدته يوما بسوق عكاظ على جمل احمر يتكلم بكلام معجب مونق لا أجدنى احفظه الآن فقام امرؤ اعرابى من اقاصى القوم فقال أنا احفظه يارسول الله فسر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك كان يقول يامعشر الناس اجتمعوا فكل من مات فات وكل شئ آت آت ليل داج وسماء ذات ابراج وبحر عجاج نجوم تزهر وجبال مرسية وانهار مجرية الحديث وفى رواية أين الصعب ذوا القرنين ملك الخافقين وأذل الثقلين وعمر الفين ثم كان ذلك كلمحة عين قال وفى رواية اخرى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان قس بن ساعدة كان يخطب قومه بسوق عكاظ فقال سيأتيكم حق من هذا الوجه واشار بيده الى نحو مكة قالوا له وما هذا الحق قال رجل ابلج احور من ولد لؤى بن غالب يدعوكم الى كلمة الاخلاص وعيش ونعيم لا ينفدان فاذا دعاكم فأجيبوه ولو علمت انى اعيش

الغائب أى الغلاف المستحق بها لك منه اونعذرك فقال لهم عليه الصلاة والسلام مابى ما تقولون ولكن الله بعثنى اليكم رسولا وانزل على كتابا وأمرنى ان اكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم فان تقبلوا منى ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة وان تردوا على أصبر لامر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم وفى رواية اجتمع نفر من قريش يوما فقالوا انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا الرجل الذى فرق جماعتنا وشتت أمرنا وعاب ديننا فليكلمه ولينظر ماذا يرد عليه فقالوا ما نعلم غير عتبة ابن ربيعة وفى رواية ان عتبة قال يوما وكان جالسا فى نادى قريش والنبى صلى الله عليه وسلم جالس فى المسجد وحده يامعشر قريش الا اقوم الى محمد فأكلمه واعرض عليه امورا لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا قالوا بلى فقام حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخى انك منا حيث قد علمت من السطة فى العشيرة والمكان فى النسب وانك قد اتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به احلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم وفى رواية لقد فضحتنا فى العرب حتى طار فيهم ان فى قريش ساحرا وان فى قريش كاهنا ما تريد الا أن يقوم بعضنا لبعض بالسيوف حتى نتفانى فاسمع اعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منا بعضها فقال صلى الله عليه وسلم قل يا أبا الوليد اسمع قال يا ابن أخى ان كنت تريد بما جئت به من هذا الامر مالا جمعنا لك من اموالنا حتى تكون اكثرنا مالا وان كنت تريد شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا أى فيصير

الى

لك الامر والنهى وان كان هذا الذى يأتيك رئيا من الجن يقر ثك لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه حتى اذا فرغ عتبة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع منه قال له أقد فرغت ابا الوليد قال نعم قال فاسمع منى قال أفعل قال صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم الى قوله مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه وناشده الرحم ان يكف ثم انتهى الى السجدة فسجد ثم قال قد سمعت ابا الوليد فأنت وذاك ثم ان عتبة لم يرجع الى القوم بل ذهب الى داره فظنوا اسلامه فذهبوا اليه وفى رواية رجع اليهم فقال لهم ابو جهل أرى ابا الوليد رجع اليكم بوجه غير الذى ذهب به ثم قالوا له ماوراءك فقال قد عرضت على محمد كذا وكذا فسمعت منه كلاما ليس بشعر ولا سحر ولا كهانة وقد علمتم انه لا يكذب فخفت نزول العذاب عليكم فأطيعونى واعتزلوه فان يصبه غيركم كفيتموه وان ظهر فملكه ملككم وعزه عزكم وفى رواية فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت منه نبأ فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وان يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم اسعد الناس به فقالوا سحرك بلسانه والله يا ابا الوليد فقال هذا رأيى فيه فاصنعوا ما بدا لكم وفى رواية لما اكثروا عليه حلف باللات والعزى لا يكلم محمدا ابدا وفى رواية ان عتبة لما قام من عند النبى صلى الله عليه وسلم أبعد عنهم ولم يعد اليهم فقال ابو جهل والله يا معشر قريش ما أرى عتبة الا قد صبا الى محمد واعجبه كلامه فانطلقوا بنا اليه فأتوه فقال ابو جهل والله يا عتبة ما جئناك الا انك قد صبوت الى محمد وأعجبك امره فقص عليهم القصة وقال والله الذى نصبها بنية يعنى الكعبة ما فهمت شيأ مما قال غير انه انذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسكت بفيه وناشدته

الى مبعثه لكنت أول من يسعى اليه وقد رويت هذه القصة من طرق متعددة قال الحافظ ابن كثير هذه الطرق على ضعفها كالمتعاضدة على اثبات أصل القصة وقال الحافظ ابن حجر طرق هذا الحديث كلها ضعيفة وهو يرد قول ابن الجوزى فى موضوعاته حديث قس بن ساعدة من جميع جهاته باطل اه (اقول) ذكر فى النور أن فى قصة قس ما يرشد الى التعدد مرتين مرة حفظ صلى الله عليه وسلم كلامه وكان قس على جمل أحمر والثانية التى لم يحفظ صلى الله عليه وسلم فيها كلامه كان قس على جمل أورق قال لكن لا أدرى اى المرتين كانت أولا هذا كلامه وقد يقال النسيان جائز عليه صلى الله عليه وسلم فيجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم أنسى كلام قس بعد الاخبار به أولا ويدل لذلك قوله لا أظن انى أحفظه الآن أو قبل الاخبار به فيكون خبره صلى الله عليه وسلم متأخرا عن خبر ابى بكر فلا دلالة فى ذلك على التعدد ووصف الجمل بأنه احمر ووصفه بأنه أورق لا يدل على التعدد لانه يجوز أن يكون شديد الحمرة وشدة الحمرة تميل الى السواد وهو الاورق فأخبر عنه مرة بأنه احمر ومرة بأنه أورق وهذا السياق يدل على تعدد مجىء وفد عبد القيس مرة جاؤا وحدهم ومرة جاؤا مع سيدهم الجارود وقد جاء رحمه الله قسا انه كان على دين ابى اسمعيل بن ابراهيم والله اعلم (ومن ذلك خبر نافع الجرشى) نسبة الى جرش بضم الجيم وفتح الراء وبالشين المعجمة قبيلة من حمير تسمى به بلدهم ان بطنا من اليمن كان لهم كاهن فى الجاهلية فلما ذكر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتشر فى العرب جاؤا الى كاهنهم واجتمعوا اليه فى أسفل جبل فنزل اليهم حين طلعت الشمس فوقف لهم قائما متكئا على قوس فرفع رأسه الى السماء طويلا ثم قال أيها الناس ان الله أكرم محمدا واصطفاه وطهر قلبه وحشاه ومكثه فيكم أيها الناس قليل * (واما اخبار الكهان) * على ألسنة الجان فكثيرة ايضا منها خبر سواد بن قارب رضى الله تعالى عنه وكان يتكهن فى الجاهلية وكان شاعرا ثم اسلم فعن محمد بن كعب القرظى قال بينا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ذات يوم جالسا اذ مر به رجل فقيل له يا أمير المؤمنين أتعرف هذا المار قال ومن هذا قال سواد بن قارب الذى أتاه رئيه اى تابعه من الجن الذى يتراءى له أتاه بظهور النبى صلى الله عليه وسلم اى بعد أن قال عمر رضى الله تعالى عنه على المنبر اى منبر النبى صلى الله عليه وسلم أيها الناس افيكم سواد بن قارب فلم يجبه احد فلما كان السنة المقبلة ولعل ذلك كان فى زمن المجىء للزيارة من الآفاق قال ايها الناس افيكم سواد بن قارب قال بعضهم يا امير المؤمنين ما سواد بن قارب قال ان سواد بن قارب كان بدء اسلامه شيأ عجيبا

الرحم ان يكف وقد علمت أن محمدا اذا قال شيأ لم يكذب فخفت ان ينزل عليكم العذاب فقالوا له ويلك يكاملك الرجل بالعربية ولا تدرى ما قال فقال والله ماهو بالشعر الخ ما تقدم فقالوا والله سحرك يا أبا الوليد فقال هذا رأيي فاصنعوا ما بدا لكم ولا مانع أن يكون القوم جاؤ مرة مجتمعين وعرضوا عليه تلك الاشياء وأرسلوا له مرة عتبة بن ربيعة وحده وفى رواية لابن عباس رضى الله عنهما ان القوم لما عرضوا عليه الاشياء السابقة قالوا له أيضا فان كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت انه ليس احد من الناس اضيق بلادا ولا اقل مالا ولا اشد عيشا منا فسل ربك فليسير عنا هذه الجبال التى ضيقت علينا وليبسط لنا بلادنا وليجر فيها أنهارا كأنهار الشام والعراق ويبعث لنا من مضى من آبائنا ويكون فيهم قصى فانه كان شيخ صدق فنسألهم عما تقول أهو حق أم باطل وسله يبعث معك ملكا يصدقك ويراجعنا عنك ويجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها عن المشى فى الاسواق والتماس المعاش فان لم تفعل فأسقط السماء علينا كسفا كما زعمت ان ربك ان شاء فعل ذلك فانا لن نؤمن لك الا ان يفعل ذلك فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وقالوا له مرة ايضا ارجع الى ديننا واعبد آلهتنا واترك ما أنت عليه ونحن نتكفل بكل ما تحتاج اليه فى دنياك وآخرتك وقالوا له مرة أيضا ان تفعل فانا نعرض عليك خصلة واحدة ولك فيها صلاح قال وما هى قالوا تعبد آلهتنا اللات والعزى سنة ونعبد الهك سنة فنشترك نحن وأنت فى الامر فان كان الذى فقلت نعبده خيرا مما تعبده أنت كنت اخذت منه بحظك وان كان الذى تعبده أنت خيرا كنا قد اخذنا منه بحظنا فقال لهم حتى أنظر ما يأتينى من ربى فجاء الوحى بقوله تعالى قل يا أيها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما اعبد ولا أنا عابد ما عبدتم

قال البراء فبينا نحن كذلك اذ طلع سواد بن قارب فأرسل اليه عمر رضى الله تعالى عنه فقال له أنت سواد بن قارب قال نعم قال انت الذى أتاك رئيك بظهور النبى صلى الله عليه وسلم قال نعم قال فأنت على ما كنت عليه من كهانتك فغضب سواد بن قارب وقال ما استقبلنى بهذا أحد منذ أسلمت يا امير المؤمنين فقال له سبحان الله ما كنا عليه من الشرك اى من عبادة الاصنام اعظم مما كنت عليه من كهانتك اى وفى رواية ان عمر رضى الله تعالى عنه قال اللهم غفرا قد كنا فى الجاهلية على شر من هذا نعبد الاصنام والاوثان حتى أكرمنا الله برسوله صلى الله عليه وسلم وبالاسلام (اقول) وفيه ان المتبادر ان غضب سواد انما هو بسبب ما فهمه من نسبته الى الكهانة بعد الاسلام لا قبلها بدليل قوله ما استقبلنى بهذا أحد منذ أسلمت وجواب سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه يدل على انه فهم ان غضب سواد بسبب نسبته للكهانة قبل الاسلام فلذلك قال سبحان الله متعجبا منه وفى كلام السهيلى أن عمر رضى الله تعالى عنه مازح سوادا رضى الله تعالى عنه فقال له ما فعلت كهانتك يا سواد فغضب وقال له سواد رضى الله تعالى عنه قد كنت انا وأنت على شر من هذا من عبادة الاصنام وأكل الميتات أفتعيرنى بأمر قد تبت منه فقال عمر رضى الله تعالى عنه اللهم غفرا فليتأمل والله اعلم ثم قال يا سواد أخبرنى ما نبأ رئيك بظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية قال يا سواد حدثنا ببدء اسلامك كيف كان قال نعم يا امير المؤمنين بينا أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان اذ أتانى رئيى فضربنى برجله وقال قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتى واعقل ان كنت تعقل انه قد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من لؤى بن غالب يدعو الى الله عز وجل والى عبادته ثم انشأ يقول

عجبت للجن وتطلابها * وشدها العيس باقتابها
تهوى الى مكة تبغى الهدى * ما صادق الجن ككذابها
فارحل الى الصفوة من هاشم * ليس قداماها كأذنابها

فقلت دعنى أنام فانى امسيت ناعسا فلما كانت الليلة الثانية أتانى فضربنى برجله وقال قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتى واعقل ان كنت تعقل انه قد بعث رسول من لؤى ابن غالب يدعو الى الله عز وجل والى عبادته ثم انشأ يقول

عجبت للجن وتخبارها * وشدها العيس بأكوارها
تهوى الى مكة تبغى الهدى * ما مؤمن الجن ككفارها
فارحل الى الصفوة من هاشم * بين روابيها واحجارها

ولا انتم عابدون ما اعبد لكم دينكم ولى دين وعن جعفر الصادق رضى الله عنه ان المشركين قالوا اعبد معنا آلهتنا يوما نعبد
معك الهك عشرة واعبد معنا آلهتنا شهرا نعبد معك الهك سنة فنزلت اى لا اعبد ما تعبدون يوما ولا أنتم عابدون ما اعبد عشرة
ولا أنا عابد ما عبدتم شهرا ولا أنتم عابدون ما أعبد سنة روى ذلك التقدير عن جعفر الصادق رضى الله عنه ردا على
بعض الزنادقة حيث قالوا طعنا
فى القرآن لو قال امرؤ القيس
قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
وكرر ذلك مرتين أو أكثر فى نسق
أما كان عيبا فكيف وقع فى
القرآن قل يا أيها الكافرون الخ
السورة وهى مثل ذلك وقوله
لكم دينكم ولى دين نسخ بآية
القتال وبقوله تعالى أفغير الله
تأمرونى أعبد أيها الجاهلون بل
الله فاعبد وكن من الشاكرين
ولما قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم
ائت بقرآن غير هذا حين غاظهم
ما فى القرآن من ذم عبادة الاوثان
والوعيد الشديد أنزل الله ردا
عليهم ولو تقوّل علينا بعض
الاقاويل الآيات وأنزل الله
أيضا ما يكون لى ان ابدله من
تلقاء نفسى الآية وجلس رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوما مجلسا
فيه ناس من وجوه قريش منهم
ابو جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة
وشيبة بن ربيعة وأمية بن خلف
والوليد بن المغيرة فقال لهم النبى
صلى الله عليه وسلم أليس حسنا
ما جئت به فقالوا بلى والله وفى لفظ
هل ترون بما أقول بأسا فقالوا لا
فجاء عبد الله بن أم مكتوم وهو
ابن خال خديجة أم المؤمنين رضى الله عنها وكان رجلا أعمى وهو ممن أسلم بمكة والنبى صلى الله عليه وسلم مشتغل بأولئك القوم
وقد رأى منهم مؤانسة وطمع فى اسلامهم فصار يقول يا رسول الله علمنى مما علمك الله وأكثر عليه فشق عليه صلى الله عليه وسلم
ذلك فاعرض عن ابن أم مكتوم ولم يكلمه وفى رواية اشار الى قائد ابن أم مكتوم ان يكفه عنه حتى يفرغ من كلامه فكفه

فقالت دعنى انام فانى امسيت ناعسا فلما كانت الليلة الثالثة اتانى فضربنى برجله وقال
قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتى واعقل ان كنت تعقل انه قد بعث رسول من لؤى بن
غالب يدعو الى الله عز وجل والى عبادته ثم انشأ يقول

عجبت للجن وتحساسها * وشدها العيس باحلاسها
تهوى الى مكة تبغى الهدى * ما خير الجن كانحاسها
فارحل الى الصفوة من هاشم * وارم بعينيك الى راسها

فقمت فقلت قد امتحن الله قلبى فرحلت ناقتى ثم أتيت المدينة وفى رواية حتى أتيت مكة
وهى كما قال البيهقى اقرب الى الصحة من الاولى اى لان الجن انما جاءت اليه صلى الله عليه
وسلم للايمان به فى مكة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حوله وفى لفظ والناس
حوله وفى لفظ والناس عليه كعرف الفرس فلما رآنى قال مرحبا بك يا سواد بن قارب قد
علمنا ما جاء بك قلت يا رسول الله قد قلت شعرا فاسمع مقالتى يا رسول الله فقال هات
فانشأت اى ابتدأت اقول * اتانى نجيى بعد هدء ورقدة * وفى لفظ

اتانى رئيى بعد ليل وهجعة * ولم يك فيما قد تلوت بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة * أتاك رسول من لؤى بن غالب

(فشمرت من ذيل الازار) وفى لفظ عن ساقى الازار (ووسطت بى الذعلب الوجناء بين
السباسب)

فاشهد ان الله لا رب غيره * وانك مأمون على كل غائب
وانك أدنى المرسلين وسيلة * الى الله يا ابن الاكرمين الاطايب
فمرنا بما يأتيك يا خير مرسل * وان كان فيما جاء شيب الذوائب
وكن لى شفيعا يوم لا ذو شفاعة * سواك بمغن عن سواد بن قارب

وفى رواية وكن لى شفيعا يوم لا ذو قرابة * بمغن فتيلا عن سواد بن قارب
قال ففرح النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه بمقالتى فرحا شديدا حتى رؤى الفرح فى
وجوههم اى وضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال افلحت يا سواد
فرأيت عمر رضى الله تعالى عنه التزمه وقال لقد كنت اشتهى ان اسمع هذا الحديث منك
فهل يأتيك رئيك اليوم قال منذ قرأت القرآن فلا ونعم العوض كتاب الله تعالى من
الجن اى وهذا السياق يدل على ان سيدنا عمر لم يكن حاضرا عند النبى صلى الله عليه وسلم
لما أخبره سواد ولما مات صلى الله عليه وسلم وخشى سواد على قومه الردة قام فيهم خطيبا

القائد فدفعه ابن أم مكتوم فعبس صلى الله عليه وسلم وأعرض عنه مقبلا على من كان يكلمه فعاتبه الله في ذلك بقوله تعالى عبس وتولى أن جاءه الاعمى الآيات فكان بعد ذلك اذا جاءه يقول مرحبا بمن عاتبني الله فيه و يبسط له رداءه وكان كفار قريش يقترحون على النبي صلى الله عليه وسلم آيات كثيرة يريدون أن يأتيهم بها وكان ذلك منهم تعنتا وعنادا وكان النبي صلى الله عليه وسلم شديد الرغبة في اسلامهم رجاء ان يسلم الناس باسلامهم فكان يسأل الله تعالى ويتضرع اليه في اعطائهم مايسألون واظهار تلك الآيات لهم وقد علم الله انها لو جاءتهم لايؤمنون كما قال تعالى ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا ما كانوا ليؤمنوا الاان يشاء الله وكانت جرت عادة الله القديمة المستمرة في خلقه ان اقوام الانبياء اذا اقترحوا الآيات وجاءتهم ولم يؤمنوا يؤخذوا بعذاب الاستئصال وكان في علم الله ان هذه الامة لاتؤخذ بعذاب الاستئصال تشريفا لها نبيها صلى الله عليه وسلم فكان تأخر تلك الآيات التي يقترحونها رحمة وشفقة بهم ان يؤخذوا بعذاب الاستئصال قال تعالى ومامنعنا ان نرسل بالآيات الاان كذب بها الاولون اى فأخذوا بعذاب الاستئصال فلو جاءت الآيات هؤلاء ولم يؤمنوا لاخذوا كما اخذ الاولون ثم ان منهم من هداه الله ومنهم من بقي على كفره وبعض الآيات التي اقترحوها جاءتهم كانشقاق القمر و بعد ذلك منهم من آمن ومنهم من كفر ومما سألوه واقترحوه قولهم له صلى الله عليه وسلم سل ربك يسير عنا هذه الجبال التي ضيقت علينا ويبسط لنا بلادنا ويجري فيها انهارا كأنهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضى من آبائنا وليكن فيمن بعث لنا قصي بن كلاب فانه كان شيخ صدق فنسأله عما تقول أحق هو أم باطل وفي رواية فان صدقوك قال

فقال يامعشر دوس من سعادة القوم ان يتعظوا بغيرهم ومن شقائهم ان لايتعظوا الا بانفسهم وانه من لم تنفعه التجارب ضرته ومن لم يسعه الحق لم يسعه الباطل وانما تسلمون اليوم بما اسلمتم به امس ولا ينبغي لاهل البلاء الا أن يكونوا اذكر من اهل العافية للعافية ولست ادري لعله يكون للناس جولة فان لم تكن فالسلامة منها الاناة والله يحبها فأحبوها فأجابه القوم بالسمع والطاعة اى ومن ذلك أن امرأة كانت كاهنة بالمدينة يقال لها فاطمة كان لها تابع من الجن فجاءها يوما فوقف على جدارها فقالت له مالك لاتدخل تحدثنا ونحدثك فقال انه قد بعث نبي بمكة يحرم الزنا فحدثت بذلك فكان أول خبر تحدث به بالمدينة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم * (وأما ماسمع من جوف الاصنام) * فكثير أيضا فمنها اى غير ما تقدم في ليلة ولادته صلى الله عليه وسلم خبر عباس بن مرداس قال كان لمرداس السلمي وثن يعبده يقال له ضمار بكسر الضاد المعجمة وميم مخففة بعدها ألف ثم راء مهملة فلما حضرت مرداسا الوفاة قال للعباس ولده اى بني اعبد ضمارا فانه ينفعك ويضرك فبينا عباس يوما عند ضمار اذ سمع من جوف ضمار مناديا يقول

من للقبائل من سليم كلها * اودى ضمار وعاش اهل المسجد
ان الذي ورث النبوة والهدى * بعد ابن مريم من قريش مهتد
اودى ضمار وكان يعبد مدة * قبل الكتاب الى النبي محمد

فحرق عباس ضمارا ولحق بالنبي صلى الله عليه وسلم وفي لفظ ان عباس بن مرداس كان في لقاح له نصف النهار اذ طلع عليه راكب على نعامة بيضاء وعليه ثياب بيض فقال له ياعباس ألم تر ان السماء قد تعب احراسها وان الحرب قد جرعت انفاسها وان الخيل وضعت احلاسها وان الذي نزل عليه البر والتقوى صاحب الناقة القصوا فقال عباس فراعني ذلك فجئت وثنا لنا يقال له الضمار كنا نعبده ونكلم من جوفه فكنست ما حوله ثم تمسحت به فاذا صائح يصيح من جوفه

قل للقبائل من قريش كلها * هلك الضمار وفاز اهل المسجد
هلك الضمار وكان يعبد مدة * قبل الصلاة على النبي محمد
ان الذي ورث النبوة والهدى * بعد ابن مريم من قريش مهتد

قال عباس فخرجت مع قومي بني حارثة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فدخلت المسجد فلما رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم تبسم وقال ياعباس كيف اسلامك فقصصت عليه القصة فقال صدقت واسلمت أنا وقومي * (ومن ذلك خبر مازن) * بن الغضوبة

وصنعت ماسألناك صدقناك وعرفنامنزلتك من الله وانه بعثك الينا رسولا كما تقول فقال لهم صلى الله عليه وسلم ما بهذا بعثت لكم انما جئتكم من الله بما بعثني به وقالوا له مر فسل ربك يبعث معك ملكا يصدقك فيما تقول ويراجعنا وفى لفظ قالوا له لم لا تنزل عليك الملائكة فتخبرنا بان الله أرسلك فنؤمن حينئذ بك وقال آخر منهم يا محمد لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا واسأله ان يجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغي فانك تقوم بالاسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه فلابد ان يميز عنا حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك ان كنت رسولا وفى لفظ قالوا ان محمدا يأكل الطعام كما نأكل نحن ويمشي فى الاسواق ويلتمس المعاش كما نلتمسه نحن فلا يجوز ان ينازعنا بالنبوة ولما قالوا له صلى الله عليه وسلم سل ربك ان يبعث معك ملكا ويجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة قال لهم صلى الله عليه وسلم ما انا بالذي يسأل ربه هذا يروى ان كثيرا من هذه الاشياء خاطبوه بها فى آخر المجلس الذى كان مقبلا عليهم فيه حين جاء ابن ام مكتوم وابدلوا اللين الذى كان منهم فى اول المجلس بالغلظة فأيس صلى الله عليه وسلم حينئذ منهم وقام حزينا اسفا على ما فاته من هدايتهم التى طمع فيها * وممن آذاه صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابى أمية المخزومي وكان ابن عمته صلى الله عليه وسلم وهو أخو ام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وأمه عاتكة بنت عبد المطلب وكان من أشد الناس عليه وهذا كله قبل اسلامه ثم اسلم رضى الله عنه عام الفتح واستشهد فى غزوة الطائف قال للنبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يسلم يا محمد قد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبل ثم سألوك امورا ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل ثم سألوك ان تعجل عليهم بعض ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل

قال كنت اسدن اى اخدم صنما بقريه بعمان اى بالتخفيف تدعى سمائل وسمائل يقال له بادر وفى لفظ باحر بالحاء المهملة فعترنا ذات يوم عنده عتيرة وهى الذبيحة مطلقا وقيل فى رجب خاصة فسمعنا صوتا من جوف الصنم يقول يا مازن اسمع تسر ظهر خير وبطن شر بعث نبي من مضر بدين الله الكبر فدع نحيتا من حجر تسلم من حر سقر قال مازن ففزعت لذلك وقلت ان هذا العجب ثم عترت بعد أيام عتيرة اى ذبحت ذبيحة لذلك الصنم فسمعت صوتا من الصنم يقول

أقبل الى أقبل * تسمع ما لا تجهل
هذا نبي مرسل * جاء بحق منزل
آمن به كى تعدل * عن حر نار تشعل
* وقودها بالجندل *

فقلت ان هذا العجب وانه لخير يراد بى (اقول) ورأيت فى بعض السير تقديم هذه الابيات على ما قبلها وان مازنا قال ثم سمعت صوتا ابين من الاول وهو يقول يا مازن اسمع الى آخره والله أعلم قال مازن فبينا نحن كذلك اذ قدم رجل من أهل الحجاز فقلنا له ما الخبر وراءك قال قد ظهر رجل يقال له أحمد يقول لمن أتاه أجيبوا داعى الله فقلت هذا نبأ ما سمعته فنزلت الى الصنم فكسرته جذاذا وركبت راحلتى وأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرح لى الاسلام وأسلمت وقلت

كسرت بادر أجذاذا وكان لنا * ربا نطيف به ضلا بتضلال
بالهاشمى هدانا من ضلالتنا * ولم يكن دينه شيأ على بالى
يا راكبا بلغن عمرا واخوتها * أنى لما قال ربى بادر قالى

عنى بعمرو واخوتها بنى خطامة وهى بطن من طيئ وهذه الابيات ساقطة فى أسد الغابة قال مازن فقلت يا رسول الله انى مولع بالطرب اى مغرم به وبشرب الخمر وبالهلوك اى الفاجرة من النساء التى تمايل وتنثنى عند جماعها وقيل الساقطة على الرجال اى لشدة شبقها وألحت اى دامت علينا سنون اى اعوام القحط والجدب فذهبن بالاموال وهزلن الذرارى والعيال وليس لى ولد فادع الله أن يذهب عنى ما اجد ويأتينى بالحيا ويهب لى ولدا فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم أبدله بالطرب قراءة القرآن وبالحرام الحلال وبالخمر ريا لا اثم فيه وبالعهر اى الزنا عفة الفرج وأته بالحيا اى المطر وهب له ولدا قال مازن فاذهب الله عنى ما كنت أجده وتعلمت شطر القرآن وحججت حججا وأخصبت عمان

والله ان نؤمن بك ابدا حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وانا انظر اليك حتى تأتيها ثم تأتى معك بصك اى كتاب معه اربعة من
الملائكة يشهدون انك كما تقول وايم الله لو فعلت ذلك ما ظننت انى اصدقك فانزل الله تعالى عليه الآيات التى فيها شرح هذه
المقالات فى سورة الاسراء فى قوله تعالى ٢٧٠ وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الآيات وفيها الاشارة
الى ان الله تعالى خيره بين ان يعطيهم جميع ما سألوا وانهم ان كفروا بعد ذلك استأصلهم الله بالعذاب كالامم السابقة وبين ان يفتح لهم باب الرحمة والتوبة لعلهم يتوبون واليه يرجعون فاختار الثانى لانه صلى الله عليه وسلم يعلم من كثير منهم العناد وانهم لا يؤمنون وان حصل ما سألوا فيستأصلوا بالعذاب لان الله تعالى يقول واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وقد حكى الله تعالى فى كتابه العزيز كثيرا من مقالاتهم واجابهم عن كل شبهة خالجت قلوبهم قال تعالى حكاية عنهم وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها فأجاب الله عن ذلك بقوله وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق ولما استعظموا ان يكون الرسول بشرا وقالوا الله اعظم ان يكون رسوله بشرا انزل الله تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحى اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر وأنزل الله تعالى أكان للناس عجبا ان أوحينا الى رجل منهم ورد الله عليهم سؤالهم رؤية الملائكة بانهم لا يستطيعون رؤيتهم ولو جعل الملك على صورة البشر لالتبس الامر عليهم ولو بقى على صورته لقضى الامر عليهم باخذهم بالاستئصال اولعدم ثباتهم عند رؤيته ولو انزل الله الملائكة بكتاب من السماء وهم يشاهدونهم كما سألوا القالوا ان يا أيها

يعنى قريته وما حولها من قرى عمان وتزوجت أربع حرائر ووهب الله لى حيان يعنى ولده وانشأت اقول

اليك رسول الله حنت مطيتى * تجوب الفيافى من عمان الى العرج
لتشفع لى ياخير من وطئ الحصا * فيغفر لى ذنبى وارجع بالفلج

اى بالفوز والظفر بالمطلوب

الى معشر خالفت فى الله دينهم * ولا رأيهم رأيى ولا شرجهم شرجى

اى بالشين والجيم اى لاشكلهم شكلى ولا طريقهم طريقى

وكنت امرأ بالعهر والخمر مولعا * شبابى حتى آذن الجسم بالنهج

اى بالبلاء

فبدلنى بالخمر خوفا وخشية * وبالعهر احصانا فحصن لى فرجى
فاصبحت همى فى الجهاد ونيتى * فلله ما صومى ولله ما حجى

قال مازن فلما رجعت الى قومى انبونى اى عنفونى ولامونى وشتمونى وامروا شاعرهم فهجانى فقلت ان هجوتهم فانما اهجو نفسى وتنحيت عنهم واتيت مسجدا اتعبد فيه وكان لا يأتى هذا المسجد مظلوم فيتعبد فيه ثلاثا ويدعو على من ظلمه الا استجيب له ولا دعا ذو عاهة من برص او غيره الا عوفى ثم ان القوم ندموا وطلبوا منى الرجوع اليهم فاسلموا كلهم وضعف هذا الحديث (وأما ما سمع من اجواف) الذبائح فمنه ما جاء عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال كانوا ما فى حى من قريش يقال لهم آل ذريح بالحاء المهملة وقد ذبحوا عجلا لهم والجزار يعالجه اذ سمعنا صوتا من جوف العجل ولا نرى شيأ يا آل ذريح أمر نجيح صائح يصيح بلسان فصيح يشهد أن لا اله الا الله اى والمراد بالذريح العجل الذى ذبح لانه ملطخ بالدم الاحمر لقولهم أحمر ذريحى اى شديد الحمرة والذى فى البخارى يقول يا جليح أمر نجيح رجل فصيح يقول لا اله الا الله والمراد بالجليح العجل المذبوح أيضا لانه قد جلح اى كشف عنه جلده وأما ما سمع من الهواتف ولم يجئ على ألسنة الكهان ولا سمع من جوف الاصنام ولا من جوف الذبائح فكثير من ذلك ما حدث به بعضهم وذكره النبى صلى الله عليه وسلم قال يا رسول الله لقد رأيت من قس عجبا خرجت أطلب بعيرا لى حتى اذا عسعس الليل اى أدبر وكاد الصبح أن يتنفس هتف بى هاتف يقول

يا أيها الراقد فى الليل الاحم اى بالحاء المهملة الاسود
قد بعث الله نبيا بالحرم * من هاشم اهل الوفاء والكرم * يجلو دجنات الليالى والبهم

اى الظلمات والامور المشكلة فادرت طرفى فما رأيت شخصا فانشأت اقول

يا أيها الهاتف فى داجى الظلم * أهلا وسهلا بك من طيف ألم

بين هداك الله فى لحن الكلم * من ذا الذى تدعو اليه يغتنم

فاذا أنا بنحنحة وقائل يقول ظهر النور وبطل الزور وبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بالحبور اى السرور صاحب النجيب الاحمر اى الكريم من الابل والتاج والمغفر والوجه الازهر اى الابيض المشرب بالحمرة والحاجب اى الجبين الاقمر اى الابيض والطرف الاحور اى شديد سواده صاحب قول شهادة أن لا اله الا الله فذلك محمد المبعوث الى الاسود والاحمر اهل المدر والوبر اى العجم والعرب ثم انشأ يقول

الحمد لله الذى * لم يخلق الخلق عبث ارسل فينا احمدا * خير نبى قد بعث

صلى عليه الله ما * حج له ركب وحث

والى ذلك اشار صاحب الهمزية بقوله

وتغنت بمدحه الجن حتى * اطرب الانس منه ذلك الغناء

اى اظهرت الجن اوصافه صلى الله عليه وسلم الجميلة فى صورة الغناء الذى تألفه النفس ولا تصبر منها عند سماعه فتسمع لغيره حتى اطرب الانس ذلك الغناء الذى سمعوه من الجن قال فلاح الصباح واذا بالفنيق يشقشق والفنيق بفتح الفاء وكسر النون وسكون المثناة تحت ثم قاف الفحل الكريم من الابل ويشقشق بشينين معجمتين وقافين اى يهدر الى النوق فملكت خطامه وعلوت سنامه حتى اذا لغب بالغين المعجمة والموحدة اى تعب فنزل فى روضة خضراء فاذا انا بقس بن ساعدة فى ظل شجرة وبيده قضيب من اراك ينكت به الارض والنكت بالمثناة فوق وهو يقول

يا ناعى الموت والملحود فى جدث (اى قبر) عليهم من بقايا بزهم خرق

اى والبز الثياب

دعهم فان لهم يوما يصاح به * فهم اذا انتبهوا من نومهم فرقوا

اى خافوا حتى يعودوا بحال غير حالهم * خلقا جديدا كما من قبله خلقوا

منهم عراة ومنهم فى ثيابهم * منها الجديد ومنها المنهج الخلق

والمنهج من الثياب الذى اخذ فى البلا قال فدنوت منه فسلمت عليه فرد على السلام فاذا بعين خرارة اى لما خرير اى صوت فى الارض خوارة اى ضعيفة ومسجد بين قبرين وأسدين عظيمين يلوذان به واذا باحدهما قد سبق الآخر الى الماء فتبعه الآخر يطلب الماء فضربه بالقضيب الذى فى يده وقال ارجع ثكلتك امك اى فقدتك حتى يشرب

ذلك سحرا أو قالوا انما سكرت أبصارنا كما حكى الله ذلك بقوله ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا لقضى الامر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون وقال تعالى ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون وقال تعالى ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون وقال تعالى ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى اى فانهم لا يؤمنون وقال تعالى فى الرد عليهم حين صاروا يسألون كتابا فيه خطابهم وأسماؤهم وأسماء آبائهم فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة وقال تعالى حكاية عنهم واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله وقال تعالى فى الرد عليهم فى قولهم أو يلقى اليه كنز الآية تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجرى من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا ولما أنكروا عليه التزوج بالنساء وطلب الذرية كغيره من البشر رد الله عليهم بقوله ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية والحاصل أن الله لم يبق لهم شبهة يتمسكون بها وكلما أتوا بشبهة يوهمون انها حجة لهم ردها الله عليهم بأحسن الرد كما قالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فرد الله عليهم بقوله كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا اى نزلناه كذلك اى مفرقا بحسب الوقائع لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا وكما قالوا له أسقط علينا السماء كسفا اى قطعا كما زعمت أن ربك ان شاء فعل ذلك فرد الله عليهم بقوله

وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون وقالوا مرة بلغنا أن الذى
يعلمك رجل باليمامة يقال له الرحمن وانا والله لن نؤمن بالرحمن أبدا وقد عنوا بالرحمن مسيلمة وقيل عنوا كاهنا كان لليهود باليمامة
وقد رد الله تعالى عليهم بأن الرحمن المعلم له هو الله تعالى فقال تعالى قل هو اى الرحمن ربى لا اله الا هو عليه توكلت
واليه متاب وقال تعالى ردا
لسؤالهم رؤية ربهم وقال الذين
لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا
الملائكة او نرى ربنا لقد
استكبروا فى أنفسهم وعتوا عتوا
كبيرا يوم يرون الملائكة لا بشرى
يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا
محجورا وعن محمد بن كعب القرظى
أن الملأ من قريش اقسموا للنبى
صلى الله عليه وسلم بالله عز وجل
انهم يؤمنون به اذا صار الصفا
ذهبا فقام يدعو الله أن يعطيهم
ما سألوا فأتاه جبريل فقال له ان
شئت كان ذلك ولكنى لم آت
قوما بآية اقترحوها فلم يؤمنوا
بها الا أمرت بعذابهم وفى رواية
أتاه جبريل فقال له يا محمد ان الله
يقرئك السلام ويقول ان شئت
أن يصبح لهم الصفا ذهبا فعلت
فان لم يؤمنوا به أنزلت عليهم عذابا
لا أعذبه احدا من العالمين وان
شئت أن لا يصبح لهم الصفا ذهبا
فتحت لهم باب التوبة والرحمة وفى
رواية وان شئت تركتهم حتى
يتوب تائبهم فقال بل حتى يتوب
تائبهم واختار صلى الله عليه
وسلم على فتح باب التوبة والرحمة
لانه صلى الله عليه وسلم علم أن
سؤالهم لذلك جهل منهم لانهم خفيت عليهم حكمة ارسال الرسل وهى امتحان الخلق وتعبدهم بتصديق الرسل ليكون ايمانهم عن نظر واستدلال فيحصل الثواب لمن فعل ذلك ويحصل العقاب لمن أعرض عنه اذ مع كشف الغطاء
يحصل العلم الضرورى فلا يحتاج الى ارسال الرسل ويفوت الايمان بالغيب وأيضا لم يسألوا ما سألوا من تلك الآيات الا تعنتا

الذى قبلك فرجع ثم ورد بعده فقلت له ماهذان القبران قال هذان قبرا أخوين كانا لى يعبد ان الله عز وجل معى فى هذا المكان لا يشركان بالله شيأ اى اسم أحدهما سمعون والآخر سمعان فأدركهما الموت فقبرتهما وها انا بين قبريهما حتى ألحق بهما ثم نظر اليهما وانشد ابياتا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله قسا انى ارجو ان يبعثه الله امة وحده اى واحدا يقوم مقام جماعة كما تقدم وقد اشار الى ذلك صاحب الاصل بقوله

وعنه اخبر قس قومه فلقد * حلى مسامعهم من ذكره شنفا

ولما مات قس قبر عندهما وتلك القبور الثلاثة بقرية يقال لها ارو حين من اعمال حلب وعليها بناء والناس يزورونهم وعليهم وقف ولهم خدام * ومن ذلك ما ذكره الواقدى باسناده قال كان ابو هريرة رضى الله تعالى عنه يحدث أن قوما من خثعم كانوا عند صنم لهم جلوسا وكانوا يتحاكمون الى اصنامهم فبينما الخثعميون عند صنم لهم اذ سمعوا هاتفا يهتف ويقول

يا أيها الناس ذوو الاجسام * ومسندو الحكم الى الاصنام
اما ترون ما ارى امامى * من ساطع يجلو دجى الظلام
ذاك نبى سيد الانام * من هاشم فى ذروة السنام
مستعلن بالبلد الحرام * جاء يهد الكفر بالاسلام
أكرمه الرحمن من امام

قال ابو هريرة فأمسكوا ساعة حتى حفظوا ذلك ثم تفرقوا فلم يمض بهم ثالثهم حتى فجأهم خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد ظهر بمكة اى جاءهم ذلك بغتة فما اسلم الخثعميون حتى استأخر اسلامهم ورأوا عبرا عند اصنامهم واما خبر زمل بن عمرو العذرى قال كان لبنى عذرة وهى قبيلة من اليمن صنم يقال له خمام بالخاء المعجمة المضمومة وتخفيف الميم وكانوا يعظمونه وكان فى بنى هند بن حرام بالحاء المهملة المفتوحة والراء وكان سادنه اى خادمه رجلا يقال له طارق قال فى النور لا اعلم له ترجمة ولا اسلاما وكانوا يعترون اى يذبحون الذبائح عنده فلما ظهر النبى صلى الله عليه وسلم سمعنا صوتا يقول يا بنى هند بن حرام ظهر الحق وأودى خمام اى هلك ورفع الشرك الاسلام قال زمل ففزعنا لذلك وهالنا اى افزعنا فمكثنا اياما ثم سمعنا صوتا يقول يا طارق يا طارق بعث النبى الصادق بوحى ناطق صدع صدعة بأرض تهامة لناصريه السلامة ولخاذليه الندامة هذا الوداع منى الى يوم القيامة فوقع الصنم لوجهه فأن كان ذلك الصوت من

جوف الصنم ويرشد اليه قوله هذا الوداع منى الى يوم القيامة فهو من غير هذا النوع وان لم يكن فهو من هذا النوع قال زمل فابتعت اى اشتريت راحلة ورحلت حتى أتيت النبي صلى الله عليه وسلم مع نفر من قومي وانشدته

اليك رسول الله أعملت نصها * النص هو الغاية فى السير * اكلفها حزنا وقوزا من الرمل * والحزن ما ارتفع من الارض والقوز بالقاف والزاى التل الصغير

* لأنصر خير الناس نصرا موزرا * اى قويا * وأعقد حبلا من حبالك فى حبلى * والحبل العهد والميثاق

وأشهد أن الله لاشئ غيره * أدين له اى اخضع واطيع ما أثقلت قدمى نعلى

ومن هذا النوع خبر تميم الدارى اى ويكنى أبا رقية اسم ابنة له لم يولد له غيرها روى عنه صلى الله عليه وسلم قصة الجساسة مع الدجال على المنبر فقال حدثنى تميم الدارى وذكر القصة قال بعضهم وهذا أولى ما يخرجه المحدثون فى رواية الكبار عن الصغار وقد يكون من ذلك ماذكر آن ابابكر رضى الله تعالى عنه مر يوما على ابنته عائشة رضى الله تعالى عنها فقال هل سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاء فقالت سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاء كان يعلمناه وذكر أن عيسى ابن مريم كان يعلمه اصحابه ويقول لو كان على احدكم جبل دين ذهبا قضاه الله عنه قال نعم يقول اللهم فارج الهم كاشف الغم مجيب دعوة المضطرين رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما أنت ترحمنى فارحمنى برحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك وعن ابى بكر رضى الله تعالى عنه قال كان على دين وكنت له كارها فقلته فلم ألبث الا يسيرا حتى قضيته (قال تميم الدارى) رضى الله تعالى عنه كنت بالشام حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجت الى بعض حاجاتى فأدركنى الليل فقلت أنا فى جوار عظيم هذا الوادى فلما اخذت مضجعى اذا مناد ينادى لا أراه عذ بالله فان الجن لا تجير احدا على الله فقلت أيم تقوله وايم بتشديد الياء وباسكانها وفتح الميم فيهما اى أيما شئ تقول فقال قد خرج رسول الاميين رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلينا خلفه بالحجون اى وهو مقبرة مكة التى يقال لها المعلاة كما تقدم وأسلمنا واتبعناه وذهب كيد الجن ورميت بالشهب فانطلق الى محمد صلى الله عليه وسلم فأسلم فلما اصبحت ذهبت الى دير أيوب فسألت راهبه واخبرته فقال صدقوك نجده يخرج من الحرم اى مكة ومهاجره الحرم اى المدينة وهو خير الانبياء فلا تسبق اليه (قال تميم) فطلبت الشخوص اى الذهاب حتى جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت (أقول) وهذا يدل ظاهرا على أن تميما الدارى اسلم بمكة

وأسنموا الا على جهة الاسترشاد ودفع الشك اذ قد جاءتهم آيات اعظم مما اقترحوا فلم يؤمنوا بها وذلك كالقرآن العزيز المشتمل على الاخبار بالمغيبات وأخبار الامم السالفة كما قال تعالى أولم تأتهم بينة ما فى الصحف الاولى أولم يكفهم أنا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون وقد اشتمل كثير من السور على جملة من الآيات كسورة الانعام والنحل والشعراء وقال فيها عقب كل آية ان فى ذلك لآية وقال فى آخرها أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى اسرائيل وهم يعلمون ان الذى جاءهم به لم يقرأ ولم يكتب ولم يتعلم ولم ينتقل من بين اظهرهم وما جاء بذلك الا بعد ان بلغ اربعين سنة قال تعالى ردا عليهم فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون وقال تعالى عقب قصة موسى عليه السلام وما كنت بجانب الغربى اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين ولكنا انشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا فى أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك وقال تعالى فى قصة مريم وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون وقال تعالى فى قصة يوسف واخوته عليهم السلام وما كنت لديهم اذ أجمعوا امرهم وهم يمكرون وقال فى شأن آدم عليه السلام ما كان لى من علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون ان يوحى الى الا انما انا نذير مبين ثم بين قصة الملا

الاعلى بقوله اذ قال ربك للملائكة الخ وقال تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا الا الظالمون وكانوا كلما سمعوا منه قصة من اخبار الانبياء والامم السالفة يسألون عنها علماء اليهود والنصارى فيجدون الامر كما اخبر صلى الله عليه وسلم

ولم يجدوا عليه خلافا فى كلمة قط قال تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وهذا لم يجدوا فيه اختلافا قليلا ولا كثيرا فهذه كلها آيات وكان ابو جهل لعنه الله يقول تزاحمنا نحن وبنو عبد المطلب الشرف حتى اذا صرنا كفرسى رهان قالوا منا نبى يوحى اليه والله لا نرضى به ولا نتبعه ابدا الا أن يأتينا وحى كما يأتيه فانزل الله تعالى واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله والحاصل أنها تحيرت عقولهم فى اجابته صلى الله عليه وسلم فمن طبع الله على قلبه منهم قال انه سحر وكهانة وأساطير الاولين ومنهم من قال انما يعلمه بشر يعنون عبدا لبنى الحضرمى نصرانيا كان النبى صلى الله عليه وسلم يجالسه رجاء هدايته وكان لسانه أعجميا فرد الله عليهم بقوله ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين وقد اشار صاحب الهمزية الى كثير من ذلك بقوله

عجبا للكفار زادوا ضلالا
بالذى فيه للعقول اهتداء
والذى يسألون منه كتاب
منزل قد اتاهم وارتقاء
أولم يكفهم من الله ذكر
فيه للناس رحمة وشفاء
اعجز الانس آية منه والجن * فهلا تأتى به البلغاء
كل يوم تهدى الى سامعيه
معجزات من لفظه القراء
تتحلى به المسامع والافواه
فهو الحلى والحلواء
رق لفظا وراق معنى فجاءت * فى حلاها وحليها الخنساء
وأرتنا فيه غوامض فصل * رقة من زلاله وصفاء
فقلت انما تجتلى الوجوه اذا ما * جليت عن مرآتها الاصداء
سور منه أشبهت صورا منا ومثل النظائر النظراء
والاقاويل عندهم كالتماثيل فلا يوهمنك الخطباء
كم أبانت آياته من علوم * عن حروف أبان عنها الهجاء

قبل الهجرة فهو مما الكلام فيه بل رأيت فى تتمة الخبر فسرت الى مكة فلقيت النبى صلى الله عليه وسلم وكان مستخفيا فآمنت به (ورأيت بعضهم) قال وهذه الرواية غلط لان تميما الدارى انما أسلم سنة تسع من الهجرة والله اعلم (قال) ومن ذلك ما حدث به سعيد ابن جبير رضى الله تعالى عنه أن رجلا من بنى تميم حدث عن بدء اسلامه قال انى لاسير برمل عالج ذات ليلة اذ غلبنى النوم فنزلت عن راحلتى وانختها ونمت وتعوذت قبل نومى فقلت أعوذ بعظيم هذا الوادى من الجن فرأيت فى منامى رجلا بيده حربة يريد أن يضعها فى نحر ناقتى فانتبهت فزعا فنظرت يمينا وشمالا فلم ار شيأ فقلت هذا حلم ثم عدت فتعوذت فرأيت مثل ذلك واذا بناقتى ترعد ثم غفوت فرأيت مثل ذلك فانتبهت فرأيت ناقتى تضطرب فالتفت فاذا أنا برجل شاب كالذى رأيته فى منامى بيده حربة ورجل شيخ يمسك بيده يرده عن ناقتى وبينهما تنازع فبينما هما يتنازعان اذ طلعت ثلاثة أثوار من الوحش فقال الشيخ للفتى قم فخذ أيها شئت فداء لناقة جارى الانسى فقام الفتى واخذ منها ثورا وانصرف ثم التفت الى الشيخ وقال يا فتى اذا نزلت واديا من الاودية فخفت هوله فقل أعوذ بالله رب محمد من هول هذا الوادى ولا تعذ بأحد من الجن فقد بطل أمرها فقلت له ومن محمد قال نبى عربى لا شرقى ولا غربى فقلت اين مسكنه قال يثرب ذات النخل فركبت ناقتى وحثثت السير حتى اتيت المدينة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثنى قبل أن اذكر له منه شيأ ودعانى الى الاسلام فاسلمت وهذا السياق يدل على ان هذه القصة بعد الهجرة لا عند المبعث الذى الكلام فيه (ونظير هذا) ما حدث به بعض الصحابة قال خرجت فى طلب ابل لى وكنا اذا نزلنا بواد قلنا نعوذ بعزيز هذا الوادى فتوسدت ناقتى وقلت أعوذ بعزيز هذا الوادى فاذا هاتف يهتف بى ويقول

ويحك عذ بالله ذى الجلال * منزل الحرام والحلال
ووحد الله ولا تبال * ما كيد ذى الجن من الاهوال
اذ يذكر الله على الاحوال * وفى سهول الارض والجبال
وصار كيد الجن فى سفال * الا التقى وصالح الاعمال

فقلت له

يا أيها القائل ما تقول * أرشد عندك أم تضليل

فقال

هذا رسول الله ذو الخيرات * جاء بيس وحاميمات *
وسور بعد مفصلات * يأمر بالصلاة والزكاة
ويزجر الاقوام عن هنات * قد كن فى الاسلام منكرات

فهى كالحب والنوى أعجب الزراع منها سنابل وزكاه فأطالوا فيه التردد والريب فقالوا سحر وقالوا افتراء
واذا البينات لم تغن شيأ * فالتماس الهدى بهن عناء واذا ضلت العقول على علم فماذا تقوله الفصحاء

وقال الوليد بن المغيرة يوما أينزل القرآن على محمد واترك أنا وانا كبير قريش وسيدها ويترك ابو مسعود الثقفى وهو عروة بن مسعود سيد ثقيف ونحن عظماء القريتين يعنى مكة والطائف فانزل الله تعالى وقالوا لولا نزل اى هلا انزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فرد الله عليهم بقوله أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون (وفى رواية) قال بعضهم كان الاحق بالرسالة الوليد بن المغيرة من اهل مكة أو عروة بن مسعود الثقفى من اهل الطائف ثم ان كفار قريش بعثوا النضر بن الحرث وعقبة بن ابى معيط الى احبار اليهود بالمدينة وقالوا لهما سألاهم عن محمد وصفا لهم صفته وأخبراهم بقوله فانهم اهل الكتاب الاول اى التوراة وعندهم علم ليس عندنا فخرجا حتى قدما المدينة وسألا احبار اليهود وقالا لهم أتيناكم لامر حدث فينا من غلام يتيم حقير يقول قولا عظيما يزعم أنه رسول الله وفى لفظ رسول الرحمن قالوا صفوا لنا صفته فوصفوا فقالوا من تبعه منكم قالوا سفلتنا فضحك حبر منهم وقال هذا النبى الذى نجد نعته ونجد قومه أشد الناس له عداوة ثم قالت لهم احبار اليهود سلوه عن ثلاث فانا نخبركم بهن على ماهى عليه فان بين اثنين منها وسكت عن الثالث فهو نبى مرسل وان لم يفعل فمتقول سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الاول يعنون بذلك اهل الكهف فانه كان لهم حديث عجيب وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الارض ومغاربها وما كان من نبئه يعنون

فقلت أما لو كان لى من يؤدى ابلى هذه الى اهلى لاتيته حتى أسلم فقال انا أؤديها فركبت بعيرا منها ثم قدمت فاذا النبى صلى الله عليه وسلم على المنبر (وفى رواية) فوافيت الناس يوم الجمعة وهم فى الصلاة فانى أنيخ راحلتى اذ خرج الى أبوذر فقال لى يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم ادخل فدخلت فلما رآنى قال مافعل الرجل (وفى لفظ) مافعل الشيخ الذى ضمن لك أن يؤدى ابلك أما انه قد اداها سالمة وقد قص الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم ما كان عليه الناس قبل بعثته من أن الانسان اذا نزل منزلا مخوفا قال أعوذ بسيد هذا الوادى من شر سفهائه بقوله سبحانه وتعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال اى يستعيذون برجال من الجن اى حين ينزلون فى أسفارهم بمكان مخوف يقول كل رجل أعوذ بسيد هذا المكان من شر سفهائه فزادوهم رهقا اى زادوا الجن اى سادتهم باستعاذتهم بهم طغيانا فيقولون سدنا الانس والجن اى (ومن ذلك) ماحكاه وائل بن حجر الحضرمى ويكنى أباهنيدة كان قيلا من اقيال حضرموت وكان ابوه من ملوكهم قال وفدت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بشر اصحابه بقدومى فقال يأتيكم وائل بن حجر من ارض بعيدة من حضرموت راغبا فى الله عز وجل وفى رسوله وهو بقية أبناء الملوك قال وائل فلقينى احد من الصحابة الا قال بشرنا بك رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل قدومك بثلاث فلما دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم رحب بى وأدنانى من نفسه وقرب مجلسى وبسط لى رداءه فأجلسنى عليه وقال اللهم بارك فى وائل بن حجر وولده وولد ولده ثم صعد المنبر وأقامنى بين يديه ثم قال أيها الناس هذا وائل بن حجر أتاكم من ارض بعيدة من حضرموت راغبا فى الاسلام فقلت يارسول الله بلغنى ظهورك وأنا فى ملك عظيم فمن الله على أن رفضت ذلك كله وآثرت دين الله قال صدقت اللهم بارك فى وائل بن حجر وولده وولد ولده (قال) وسبب وفودى على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان لى صنم من العقيق فبينا أنا نائم فى الظهيرة اذ سمعت صوتا منكرا من المخدع الذى به الصنم فأتيت الصنم وسجدت بين يديه واذا قائل يقول

واعجبا لوائل بن حجر * يخال يدرى وهو ليس يدرى
ماذا يرجى من نحيت صخر * ليس بذى نفع ولاذى ضر
* لو كان ذا حجر أطاع امرى *

قال فقلت أسمعت ايها الهاتف الناصح فماذا تأمرنى فقال

ارحل الى يثرب ذات النخل * تدين دين الصائم المصلى * محمد النبى خير الرسل

بذلك ذا القرنين وسلوه عن الروح ماهى فاذا اخبركم بحقيقة الاولين وبعارض من عوارض الثالث وهو كونها من أمر الله فاتبعوه فرجع النضر وعقبة الى قريش وقالا لهم قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد وأخبراهم الخبر فجاؤا الى النبى صلى الله عليه وسلم وسألوه عن ذلك فقال لهم عليه الصلاة والسلام أخبركم غدا ولم يستثن اى لم يقل ان شاء الله تعالى وانصرفوا فمكث صلى الله عليه وسلم خمسة عشر يوما وقيل ثلاثة ايام لا يأتيه الوحى وتكلم قريش فى ذلك فقالوا ان محمدا قلاه ربه وتركه ومن جملة من قال ذلك أم قبيح امرأة عمه ابى لهب قالت له ما أرى صاحبك الا قد ودعك وقلاك اى تركك وأبغضك وفى رواية قالت امرأة من قريش ابطأ عليه شيطانه وشق عليه صلى الله عليه وسلم ذلك منهم ثم جاءه جبريل بسورة الكهف وفيها خبر الفتية الذين ذهبوا وهم اهل الكهف وخبر الرجل الطواف وهو ذو القرنين وجاءه بالجواب عن الروح المذكور فى سورة الاسراء وهو أن الروح من امر الله قال تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى أى من علم لا يعلمه الا هو وكان فى كتب اهل الكتاب ان الروح من أمر الله اى مما استأثر الله تعالى بعلمه ولم يطلع عليه أحدا من خلقه وقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة سأله اليهود عن الروح فنزلت عليه هذه الآية فهى مما تكرر نزوله وعاتب الله النبى صلى الله عليه وسلم فى سورة الكهف على تركه ذكر التعليق على المشيئة بقوله تعالى ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت فسمعت وانزل الله سورة الضحى ردا لقولهم قلاه ربه وأبغضه فكبر صلى الله عليه وسلم فرحا بنزول الوحى واستمر على ذلك التكبير فى بقية السور بعدها الى آخر القرآن ولما أجابهم صلى الله عليه وسلم عما سألوا ازدادوا بغيا وكفرا ونسبوه فى ذلك الى

ثم خر الصنم لوجهه فاندقت عنقه فقمت اليه فجعلته رفاتا ثم سرت مسرعا حتى اتيت المدينة فدخلت المسجد الحديث وفيه أنه ان كان الصوت من جوف الصنم فهو من غير هذا النوع ولولا ان هذا حديث مع معاوية تركناه لطوله وأما ما سمع من بعض الوحوش فمنه ما حدث به ابو سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه (قال) بينا راع يرعى بالجزيرة اذ عرض الذئب لشاة من شياهه فحال الراعى بين الذئب وبين الشاة فأقعى الذئب على ذنبه فقال ألا تتقى الله تحول بينى وبين رزق ساقه الله الى فقال الراعى أعجب من ذئب يكلمنى بكلام الانس فقال الذئب ألا اخبرك بأعجب منى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الحرتين (وفى رواية) بيثرب يحدث الناس بأنباء ما قد سبق (وفى لفظ) يخبركم بما مضى وما هو كائن بعدكم فساق الراعى شياهه فأتى المدينة فغدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه بما قال الذئب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الراعى ان من اشراط الساعة كلام السباع للانس والذى نفس محمد بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم الرجل شراك نعله اى وهو أحد سيورها الذى يكون على وجهها كما تقدم وعذبة سوطه اى طرفه وقيل احد سيوره ويخبره بما فعل اهله أى (وفى لفظ) فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنودى بالصلاة جامعة ثم خرج فقال للاعرابى أخبرهم فأخبرهم (وفى رواية) أن راعى الغنم كان يهوديا (وفى رواية) أن الذئب قال له انت أعجب منى واقفا على غنمك وتركت نبيا لم يبعث الله قط أعظم منه قدرا وقد فتحت له ابواب الجنة وأشرف اهلها على اصحابه ينظرون قتالهم وما بينك وبينه الا هذا الشعب فتصير فى جنود الله تعالى فقال له الراعى من لى بغنمى فقال الذئب أنا ارعاها حتى ترجع فأسلم اليه غنمه ومضى اليه صلى الله عليه وسلم وأسلم وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم عد الى غنمك تجدها بوفرها فوجدها كذلك وذبح للذئب شاة منها وفيه أن هذا وما تقدم من خبر سعيد بن جبير كما علمت بعد الهجرة لا عند المبعث الذى الكلام فيه (قال فى النور) هذا الراعى لا أعرف اسمه قال وكلم الذئب غير واحد فانظرهم فى تعليقى على البخارى (اقول ذكر فى حياة الحيوان) عن ابن عبد البر كلم الذئب من الصحابة رضى الله تعالى عنهم ثلاثة رافع بن عميرة وسلمة بن الاكوع ووهبان بن أوس (واما) ما سمع من بعض الاشجار (فقد روى) عن أبى بكر رضى الله تعالى عنه أنه قيل له هل رأيت قبل الاسلام شيأ من دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قال نعم بينا أنا قاعد فى ظل شجرة فى الجاهلية اذ تدلى على غصن من اغصانها حتى صار على رأسى فجعلت أنظر اليه وأقول ما هذا

فسمعت صوتا من الشجرة هذا النبي يخرج في وقت كذا وكذا فكن أنت من أسعد الناس به والله اعلم (وأما تساقط النجوم) وطرد الجن بها عن استراق السمع فقد قال ابن اسحق لما تقارب أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحضر مبعثه حجبت الشياطين عن السمع وحيل بينها وبين المقاعد التي كانت تقعد فيها فرموا بالنجوم فعرف الجن ان ذلك لامر حدث من الله في العباد يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم حين بعثه يقص عليه خبرهم اذ حجبوا وأنا لمسنا السماء اى طلبنا استراق السمع منها ○ فوجدناها ملئت حرسا شديدا اى ملائكة أقوياء يمنعون عنها وشهبا وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع خلوها عن الحرس والشهب فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا اى أرصد له ليرمى به اى ومن يخطف الخطفة منهم بخفة حركته يتبعه شهاب ثاقب يقتله اى أو يحرق وجهه أو يخبله قبل ان يلقيها الى الكاهن وذلك لئلا يلتبس أمر الوحي بشيء من خبر الشياطين مدة نزوله وبعد انقضائه وموته صلى الله عليه وسلم لئلا تدخل الشبهة على ضعفاء العقول فربما زعموا عود الكهانة التي سببها استراق السمع وان أمر رسالته صلى الله عليه وسلم تم فاقتضت الحكمة حراسة السماء في حياته صلى الله عليه وسلم وبعد موته ومن ثم قال لا كهانة بعد اليوم ○ وقد حدث بعضهم (قال) ان اول العرب فزع للرمي بالنجوم حين رمي بها ثقيف وانهم جاؤا الى رجل منهم يقال له عمرو بن امية وكان أدهى العرب وانكرها رأيا اى ادهاها رأيا وكان ضريرا وكان يخبرهم بالحوادث فقالوا له يا عمرو ألم تر أى تعلم ما حدث في السماء من الرمي بهذه النجوم فقال بلى فانظروا فان كانت معالم النجوم اى النجوم المشهورة ○ التي يهتدى بها في البر والبحر ونعرف بها الانواء من الصيف والشتاء هي التي يرمى بها فهو والله طي هذه الدنيا وهلاك هذا الخلق الذي فيها وان كانت نجوما غيرها وهي ثابتة على حالها فهو لامر أراد الله بهذا الخلق اى والنوء بالنون والهمز هنا ما يحصل عند سقوط نجم في المغرب وطلوع رقيبه من المشرق يقابله من ساعته في كل ثلاثة عشر يوما وحقيقة النوء سقوط النجم وطلوع رقيبه في المدة المذكورة (وكانت) العرب تضيف الامطار والرياح والحر والبرد الى الساقط منها أو الى الطالع منها فتقول مطرنا بنوء كذا وسيأتي الكلام على ذلك في غزوة الحديبية (وفي لفظ) فأمر اراد الله ونبي يبعث في العرب فقد تحدث بذلك لا يقال قد رجمت الشياطين بالنجوم قبل ذلك وذلك عند مولده صلى الله عليه وسلم لانا نقول المراد رجمت الآن بأكثر مما كان قبل ذلك أو صارت تصيب ولا تخطئ ومن ثم حدث بعضهم (قال) لما بعث النبي صلى الله عليه

السحر والكهانة ومن الآيات التي ظهرت منه صلى الله عليه وسلم لهم وهي من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم قصة الزبيدي قال الحلبي في السيرة بينا النبي صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد هو ومن معه من الصحابة اذا رجل من زبيد يطوف على حلق قريش حلقة بعد أخرى وهو يقول يا معشر قريش كيف تدخل عليكم المسيرة أو يجلب اليكم جلب أو يحل اى ينزل بساحتكم تاجر وأنتم تظلمون من دخل عليكم في حرمكم ومازال يطوف على حلقهم حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في اصحابه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ظلمك فذكر أنه قدم بثلاثة أجمال حسان فسامها منه ابو جهل بثلث اثمانها ثم لم يسمها لاجله سائم قال فأكسد على سلعتي فظلمني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم واين أجمالك قال هذه هي بالحزورة فقام صلى الله عليه وسلم فنظر الى اجماله فرأى جمالا حسانا فساوم صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل حتى ألحقه برضاه وأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فباع جملين منها بالثمن وأفضل بعيرا باعه وأعطى ارامل بني عبد المطلب ثمنه وكل ذلك وابو جهل جالس في ناحية من السوق ينظر ولا يتكلم هيبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال صلى الله عليه وسلم لابي جهل اياك يا عمرو أن تعود لمثل ما صنعت بهذا الرجل فترى مني ما تكره فجعل يقول لا أعود يا محمد لا اعود يا محمد فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل على ابي جهل امية بن خلف ومن معه من القوم فقالوا له ذللت في يد محمد فاما أن تكون تريد أن تتبعه واما رعب دخلك منه فقال لهم لا أتبعه ابدا ان الذي رأيتم مني لما رأيته رأيت معه رجالا عن يمينه ورجالا عن شماله معهم رماح يشرعونها الي لو خالفته لاتوا على نفسي ونظير ذلك ان أبا جهل كان وصيا على يتيم فأكل ماله وطرده فاستعان اليتيم بالنبي صلى الله عليه وسلم

على ابي جهل بعد ان بعثه كفار قريش الى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا له استهزاء ما يخلصك من ابي الحكم الا هذا يعنون النبي
صلى الله عليه وسلم فمشى معه صلى الله عليه وسلم ورد اليه ماله فقيل لابي جهل في ذلك فقال خفت من حربة عن يمينه وحربة عن
شماله لو امتنعت ان أعطيه لطعنتني ونظير ذلك بل اعجب منه قصة الاراشي وحاصلها ان أبا جهل ابتاع من شخص
يقال له الاراشي بكسر الهمزة
نسبة الى اراشة بطن من خثعم
أبلا فمطله بأثمانها فدلته قريش
على النبي صلى الله عليه وسلم
لينصفه من ابي جهل استهزاء
منهم برسول الله صلى الله عليه وسلم
لزعمهم أنه لا قدرة له على ابي جهل
وكان ذلك بعد ان وقف على ناديهم
وقال يا معشر قريش من يعينني
على أبي الحكم بن هشام فاني غريب
وابن سبيل وقد غلبني على حق
فقالوا له أترى ذلك الرجل يعنون
رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذهب اليه فهو يعينك عليه فجاء
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فذكر له حاله مع ابي جهل فقال
مخاطبا للنبي صلى الله عليه وسلم
يا عبد الله ان أبا الحكم بن هشام
غلبني على حق لي قبله وأنا غريب
وابن سبيل وقد سألت هؤلاء القوم
عن رجل يأخذ لي بحقي منه
فأشاروا اليك فخذ لي حقي منه
يرحمك الله فقام النبي صلى الله
عليه وسلم مع الرجل الى ابي جهل
وضرب عليه بابه فقال من هذا
قال محمد فخرج اليه وقد انتقع
لونه اى تغير وصار كلون النقع
الذى هو التراب وهو الصفرة مع
كدرة فقال أعط هذا حقه فقال نعم لا تبرح حتى اعطيه الذى له فدخل واخرج ماله لذلك الرجل فدفعه اليه قال ثم   بها
ان الرجل اقبل حتى وقف على أهل ذلك المجلس الذين بعثوه الى النبي صلى الله عليه وسلم استهزاء فقال جزاه الله خيرا يعني النبي
صلى الله عليه وسلم فقد والله أخذ لي بحقي وقد كانوا أرسلوا رجلا ممن كان معهم خلف النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا انظر ماذا

وسلم اى قرب زمن بعثه رجمت الشياطين بنجوم لم تكن ترجم بها قبل فأتوا عبد ياليل بن
عمرو وهو بمثناتين تحتيتين وكسر اللام الاولى الثقفي وكان اعمى فقالوا ان الناس
قد فزعوا وقد اعتقوا رقيقهم وسيبوا أنعامهم فقال لهم لا تعجلوا وانظروا فان كانت
النجوم التى تعرف اى وهي التى يهتدى بها في البر والبحر وتعرف بها الانواء فهي عند
فناء الناس وان كانت لا تعرف فهي من حدث فنظروا فاذا النجوم لا تعرف فقالوا هذا
من حدث اى (وقد روى مسلم) انه صلى الله عليه وسلم قال النجوم امنة السماء فاذا ذهبت
النجوم اتى السماء ما توعدون وانا أمنة لاصحابي فاذا ذهبت اتى أصحابي ما يوعدون
واصحابي امنة لامتي فاذا ذهبت اصحابي اتى أمتي ما يوعدون فلم يلبثوا حتى سمعوا بالنبي
صلى الله عليه وسلم (وفي لفظ) فما مكثوا الا يسيرا حتى قدم الطائف ابو سفيان بن حرب
فقال ظهر محمد بن عبد الله يدعي أنه نبي مرسل (وهذا) قد يخالف ما يأتي عن ابن عمر لما
كان اليوم الذى تنبأ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم منعت الشياطين من خبر السماء
بالشهب ولا مانع من تكرر سؤال ثقيف مرة لعمرو بن أمية ومرة لعبد ياليل ابن عمرو
وان كلا منهما كان اعمى ويحتمل اتحاد الواقعة ووقع الاختلاف في اسم الذى سألوه
فسماه بعضهم عمرو بن أمية وبعضهم سماه عبد ياليل بن عمرو وهذا كما ترى انما كان عند
المبعث وبه يعلم ما في قول الماوردى الذى نقله عن شيخ بعض شيوخنا النجم الغيطي في
معراجه وأقره وسببه اى رمي النجوم ان الله تعالى لما اراد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم
رسولا كثر انقضاض الكواكب قبل مولده ففزع اكثر العرب منها وفزعوا الى كاهن
لهم ضرير وكان يخبرهم بالحوادث فسألوه عنها فقال انظروا البروج الاثنى عشر فان
انقض منها شئ فهو ذهاب الدنيا وان لم ينقض منها شئ فسيحدث في الدنيا أمر عظيم فلما
بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كان هو الامر العظيم فانه يقتضي أن المراد بعثه
ولادته فكان يتعين اسقاط قوله قبل مولده لما علمت ان هذا اى كثرة تساقط النجوم انما
كان عند بعثه ونبوته لا عند ولادته ومنه خبر ابي لهب أو لهيب بن مالك اى من بني لهب
فان بني لهب فزعوا الفزع ثقيف (قال) حضرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت
عنده الكهانة فقلت بأبي وأمي نحن اول من عرف حراسة السماء ومنع الجن من استراق
السمع وذلك أنا اجتمعنا الى كاهن يقال له خطر بالخاء المعجمة والطاء المهملة والراء ابن مالك
(قال في النور) لا أعرف له ترجمة ولا اسلاما وكان شيخا كبيرا قد أتت عليه مائتا سنة
وثمانون سنة وكان من اعلم كهاننا فقلنا له يا خطر هل عندك علم من هذه النجوم التى يرمى

يصنع فلما رجع الرجل قالوا له ماذا رأيت فقال رأيت عجبا من أعجب العجب والله ما هو الا ان ضرب عليه بابه فخرج اليه فزعا
مرعوبا وكانه ليس معه روحه فقال اعط هذا حقه فقال نعم لاتبرح حتى أخرج اليه حقه فدخل فخرج اليه بحقه فأعطاه اياه
فعند ذلك قالوا لابي جهل ما رأينا مثل ما صنعت فقال ويحكم والله ما هو الا أن ضرب على بابي وسمعت صوته فلئت
رعبا ثم خرجت اليه وان فوق
رأسي فحلا من الابل ما رأيت
مثله قط لو أبيت او تأخرت لاكلني
والى هذه القصة اشار صاحب
الهمزية بقوله

واقتضاه النبي دين الاراشي * وقد ساء بيعه والشراء
ورأى المصطفى اتاه بما لم * ينج منه دون الوفاء النجاء
هو ما قد رآه من قبل لكن * ما على مثله يعد الخطاء

وقوله هو ما قد رآه من قبل وذلك
لما اراد عدو الله أن يلقى الحجر على
النبي صلى الله عليه وسلم وهو
ساجد فيبس الحجر في يده ورجع
القهقرى وهو منتقع اللون كما
تقدم واخبر بانه رأى عنق الفحل
لو تقدم لاختطفه عضوا عضوا
وابو جهل كان من اكبر أعداء
النبي صلى الله عليه وسلم وهو من
المستهزئين الذين أنزل الله فيهم
انا كفيناك المستهزئين وما تقدم
بعض من استهزائه ومن استهزائه
ايضا أنه سار في بعض الاوقات
خلف النبي صلى الله عليه وسلم
يختلج بأنفه وفمه يسخر به فاطلع
عليه صلى الله عليه وسلم فقال كن
كذلك فكان كذلك الى أن مات
قال ابن عبد البر كان المستهزئون الذين قال الله فيهم انا كفيناك المستهزئين خمسة من اشراف قريش الوليد بن المغيرة بن عبد الله
ابن عمرو بن مخزوم قال البغوي وكان رأسهم العاصي بن وائل السهمي والحرث بن قيس بن عدى السهمي ابن عم العاصي كان
احد أشراف قريش في الجاهلية قيل انه اسلم وهاجر الى الحبشة وقيل بقي على كفره حتى هلك والاسود بن عبد يغوث بن وهب بن

بها فاناقد فزعنا لها وخفنا سوء عاقبتها فقال ائتوني بسحر اى قبيل الفجر اخبركم الخبر
الخبير أم ضر رأم لامن أو حذر قال فانصرفنا عنه يومنا فلما كان من الغد في وجه
السحر أتيناه فاذا هو قائم على قدميه شاخص في السماء بعينيه فناديناه ياخطر ياخطر
فأومأ الينا ان أمسكوا فامسكنا فانقض نجم عظيم من السماء وصرخ الكاهن رافعا
صوته (أصابه اصابه) جمع وصب كجمل وجمال فالهمزة بدل من الواو (خامره عقابه *
عاجله عذابه * احرقه شهابه * زايله جوابه) اى زال عنه جوابه ياويله ماحاله * بلبله بلباله
البلبال الغم عاوده خباله * تقطعت حباله * وغيرت أحواله ثم أمسك طويلا
ثم قال يامعشر بني قحطان أخبركم بالحق والبيان * اقسم بالكعبة والاركان
والبلد المؤتمن السدان اى الخدام قد منع السمع عتاة الجان * بثاقب بكف ذا سلطان
من اجل مبعوث عظيم الشان * يبعث بالتنزيل والفرقان وبالهدى وفاصل القرآن
تبطل به عبادة الاوثان قال فقلنا له ويلك ياخطر انك لتذكر أمرا عظيما فماذا ترى
لقومك فقال

ارى لقومي ما أرى لنفسي * أن يتبعوا خير نبي الانس * برهانه مثل شعاع الشمس
يبعث في مكة دار الحمس * بمحكم التنزيل غير اللبس

والحمس بضم الحاء المهملة واسكان الميم والسين المهملة هم قريش وما ولدت من غيرها
فانهم كانوا لايزوجون بناتهم لاحد من أشراف العرب الا على شرط أن يتحمس اولادهم
فان قريشا من بين قبائل العرب دانوا بالتحمس ولذلك تركوا الغزو لما في ذلك من
استحلال الاموال والفروج ومالوا للتجارة ومن ثم يقال قريش الحمس سموا بذلك
لتشددهم في دينهم لان الحماسة هي الشدة فقلنا له ياخطر ومن هو فقال والحياة والعيش
انه لمن قريش ما في حكمه طيش اى عدول عن الحق من قولهم طاش السهم عن
الهدف اذا عدل عنه ولا في خلقه هيش اى ليس في طبعته وسجيته قول قبيح يكون
في جيش واى جيش من آل قحطان وآل ايش وآل قحطان هم الانصار قال صلى الله
عليه وسلم رحا الايمان دائرة في ولد قحطان وآل ايش قبيلة من الجن المؤمنين ينسبون
الى أبيهم ايش شخص من كبير الجن وقيل أراد بهم المهاجرين اى ومن المهاجرين
الذين يقال فيهم ايش لانه يقال في مقام المدح فلان ايش على معنى اى شئ هو اى شئ
عظيم لايمكن أن يعبر عن عظمته وجلالته (وروى) بدل ايش ريش فقلنا له بين لنا من اى
قريش فقال (والبيت ذى الدعائم) يعني الكعبة والركن يعني الحجر الاسود والاحائم

زهرة الزهرى ابن خاله صلى الله عليه وسلم والاسود بن المطلب بن عبد العزى ولم يذكر فيهم أبا جهل فهو وان كان من المستهزئين لكنه لم يقصد من الآية اعنى انا كفيناك المستهزئين لانه اغتاله كافرا يوم بدر وفى رواية أنهم كانوا ثمانية فزادوا أبا لهب وعقبة بن ابى معيط والحكم ابن العاص بن أمية وزاد بعضهم مالك بن الطلاطلة ومن استهزاء عقبة بن أبى معيط به صلى الله عليه وسلم أنه كان يلقى القذر على بابه صلى الله عليه وسلم وقد قال صلى الله عليه وسلم كنت بين شر جارين أبى لهب وعقبة بن ابى معيط ان كانا ليأتيانى بالفروث فيطرحانها على بابى ومن استهزائه ايضا أنه بصق فى وجه النبى صلى الله عليه وسلم فعاد بصاقه على وجهه وصار برصا قال الحلبى فى السيرة كان النبى صلى الله عليه وسلم يكثر مجالسة عقبة بن ابى معيط فقدم عقبة من سفر فصنع طعاما ودعا الناس من أشراف قريش ودعا النبى صلى الله عليه وسلم فلما قرب اليهم الطعام أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأكل وقال ما أنا بآكل طعامك حتى تشهد أن لا اله الا الله فقال عقبة أشهد أن لا اله الا الله وأشهد انك رسول الله فأكل صلى الله عليه وسلم من طعامه وانصرف الناس وكان عقبة صديقا لابى ابن خلف فأخبر الناس أبيا بمقالة عقبة فأتى اليه وقال يا عقبة صبوت فقال والله ما صبوت ولكن دخل منزلى رجل شريف فأبى ان يأكل طعامى الا أن أشهد له فاستحييت أن يخرج من بيتى ولم يطعم فشهدت له والشهادة ليست فى نفسى فقال له أبى وجهى من وجهك حرام ان لقيت محمدا فلم تطأه وتبزق فى وجهه وتلطم عينيه فقال له عقبة لك ذلك ثم ان عقبة لقى النبى ففعل به ذلك قال الضحاك لما بزق عقبة لم تصل البزقة الى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم بل وصلت الى وجهه هو كشهاب نار فاحترق مكانها وكان

يعنى بئر زمزم لان الاحائم جمع احوام والاحوام جمع أحوم وهو الماء فى البئر وأراد بئر زمزم أو ان الاصل الحوائم ففيه قلب مكانى الاصل فواعل فصار أفاعل والحوائم هى الطير التى تحوم على الماء والمراد حمام مكة لهو نجل اى نسل هاشم من معشر اكارم يبعث بالاسلام يعنى الحروب * وقتل كل ظالم * ثم قال هذا هو البيان أخبرنى به رئيس الجان ثم قال الله اكبر جاء الحق وظهر وانقطع عن الجن الخبر ثم سكن وأغمى عليه فما افاق الا بعد ثلاثة ايام فقال لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله لقد نطق عن مثل نبوة اى وحى وانه ليبعث يوم القيامة أمة وحده اى مقام جماعة كما تقدم فى نظيره (قال) ومن ذلك ما رواه مسلم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن نفر من الانصار قالوا بينما نحن جلوس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم رمى بنجم فاستنار فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنتم تقولون فى هذا النجم الذى يرمى به فى الجاهلية اى قبل البعث قالوا يا رسول الله كنا نقول حين رأينا يرمى بها مات ملك وولد مولود مات مولود فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ذلك كذلك ولكن الله سبحانه وتعالى كان اذا قضى فى خلقه أمرا سمعته حملة العرش فسبحوا فسبح من تحتهم بتسبيحهم فسبح من تحت ذلك فلا يزال التسبيح يهبط حتى ينتهى الى السماء الدنيا فيسبحوا ثم يقول بعضهم لبعض لم سبحتم فيقولون قضى الله فى خلقه كذا وكذا الامر الذى كان اى يكون فى الارض فيهبط به من سماء الى سماء اى تقوله اهل كل سماء لمن يليهم حتى ينتهى الى السماء الدنيا فتسترقه الشياطين بالسمع على توهم واختلاس ثم يأتون به الى الكهان فيحدثونهم فيخطئون بعضا ويصيبون بعضا اى (وفى البخارى) اذا قضى الله الامر فى السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كالسلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا للذى قال الحق وهو العلى الكبير فتسمعها مسترقو السمع فربما ادرك الشهاب المستمع قبل ان يرمى بها الى صاحبه فيحرقه الحديث وقولهم قال الحق اى ثم يذكرونه لما تقدم من قولهم قضى الله فى خلقه كذا وكذا ولما يأتى وقوله صلى الله عليه وسلم يرمى بها فى الجاهلية صريح فى أنه كان يرمى بالنجوم للحراسة فى زمن الفترة بينه صلى الله عليه وسلم وبين عيسى عليه الصلاة والسلام قبل مولده صلى الله عليه وسلم ويخالفه ما يأتى عن ابى بن كعب رضى الله تعالى عنه وقد سئل صلى الله عليه وسلم عن الكهان فقال انهم ليسوا بشئ فقالوا يا رسول الله انهم يحدثوننا احيانا بالشئ يكون حقا قال تلك الكلمة من الجن يخطفها الجنى فيقذفها فى أذن وليه فيخلطون فيها

اكثر من مائة كذبة ثم ان الله تعالى حجب الشياطين بهذه النجوم التي يقذفون بها فانقطعت الكهانة اليوم فلا كهانة اى وفي البخاري أنه صلى الله عليه وسلم قال ان الملائكة تحدث في العنان اى الغمام بالامر يكون في الارض فتسمع الشياطين الكلمة فتقرها في أذن الكاهن فيزيدونها مائة كذبة (وعن أبي بن كعب) رضي الله تعالى عنه لم يرم بنجم منذ رفع عيسى عليه الصلاة والسلام حتى تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم رمى بها فلما رأت قريش امرا لم تكن تراه فزعوا العبد يا ليل الحديث (اقول) وهذا يفيد انه لم يرم بها قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم أي قبل قربه الشامل لزمن الولادة فلا يخالف ما تقدم وان النجوم كان يرمى بها قبل ان يرفع عيسى عليه الصلاة والسلام وذلك صادق بزمن آدم فمن بعده من الرسل وهو الموافق لقول الزهري الحجب وتساقط النجوم كان موجودا قبل البعث في سالف الازمان اى في زمن الرسل لا في زمن الفترات بين الرسل لقول الكشاف وقول بعضهم ظاهر الاخبار يدل على ان الرجم للشياطين بالشهب كان في زمن غيره صلى الله عليه وسلم من الرسل وهو كذلك وعليه اكثر المفسرين حراسة لما ينزل من الوحي على الرسل وأما في الزمن الذي ليس فيه رسول اى وهو زمن الفترات بين الرسل فكانوا يسترقون السمع في مقاعدهم ويلقون ما يسمعون للكهان اى لان الله تعالى ذكر فائدتين في خلق النجوم فقال تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وقال تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد وكونها انما جعلت رجوما وحفظا ليس الا عند قرب مبعثه صلى الله عليه وسلم خاصة دون بقية الرسل من أبعد البعيد وحيث كان الغرض من الرمي بالنجوم منع الشياطين من استراق السمع اقتضى ذلك انه لم يرم بها قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم ومنه زمن ولادته ويوافق ذلك قول ابن اسحق لما تقارب امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحضر مبعثه حجبت الشياطين وقول ابن عمر رضي الله تعالى عنهما لما كان اليوم الذي تنبأ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم منعت الشياطين من خبر السماء ورموا بالشهب فذكروا ذلك لابليس فقال بعث اى لعله بعث نبي عليكم بالارض المقدسة اى لانها محل الانبياء وهذا يدل على ان عند ابليس ان الرمي بالنجوم علامة على بعث الانبياء فذهبوا ثم رجعوا فقالوا ليس بها أحد فخرج ابليس يطلبه بمكة أي لانها مظنة ذلك بعد محل الانبياء فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء منحدرا معه جبريل فرجع الى أصحابه فقال بعث أحمد ومعه جبريل وفي رواية ان ابليس قال لما اخبروه بانهم منعوا من خبر

أثر الحرق في وجهه الى الموت وحينئذ يكون المراد بصيرورة بصاقه برصا في وجهه انه صار كالبرص وأنزل الله في حقه ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتا ليتني لم أتخذ فلانا خليلا لقد أضلني عن الذكر بعد اذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا قيل المراد من قوله يعض انه يأكل في النار احدى يديه الى المرفق ثم يأكل الاخرى فتنبت الاولى وهكذا ومن استهزاء الحكم بن ابي العاص انه كان صلى الله عليه وسلم يمشي ذات يوم وهو خلفه يخلج بأنفه وفمه يسخر بالنبي صلى الله عليه وسلم فالتفت اليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال له كن كذلك فكان كذلك كما تقدم نظير ذلك لابي جهل واستمر الحكم بن أبي العاص يخلج بأنفه وفمه بعد أن مكث شهرا مغشيا عليه وبقي ذلك الاختلاج به حتى مات وقد أسلم يوم فتح مكة وكان في اسلامه شيء وكان يجالس المنافقين وينقل أخبار النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه اليهم فنفاه صلى الله عليه وسلم الى الطائف واطلع على رسول الله صلى الله عليه وسلم من باب بيته وهو عند بعض نسائه بالمدينة فخرج اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعنزة وقيل بمدرى في يده والمدرى كالمسلة يفرق به شعر الرأس وقال من عذيري من الوزغة لو أدركته لفقأت عينه واعنه وما ولد وبعد ان نفاه صلى الله عليه وسلم الى الطائف بقي به الى خلافة ابن أخيه عثمان بن عفان رضي الله عنه فرده الى المدينة وكان قد تشفع عنده صلى الله عليه وسلم فوعده بارجاعه ولما مرض صلى الله عليه وسلم مرضه الذي توفي فيه طلب عثمان رضي الله عنه وأخبره بأشياء تقع له وقال له انهم يقمصونك قميصا ويريدون منك خلعه فاحذر ان تخلعه حتى تلقاني على الحوض يريد بذلك الخلافة وأخبره بالبلوى التي تصيبه وأمره بالصبر قيل انه في ذلك المجلس استأذن من النبي صلى

الله عليه وسلم في ارتجاع عمه الحكم الى المدينة اذا صار الامر اليه فأذن له فلما كانت خلافة أبي بكر رضي الله عنه سأل عثمان أبا بكر رضي الله عنه أن يرجعه وأخبره بأن النبي صلى الله عليه وسلم وعده بذلك فقال ابو بكر رضي الله عنه لا أحل عقدة عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم سأل عمر رضي الله عنه لما ولي الخلافة أن يرجعه فقال مثل مقالة ابي بكر رضي الله عنه ولما دخله عثمان رضي الله عنه نقم عليه بعض الصحابة بسبب ذلك فقال أنا كنت تشفعت فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعدني برده وكان في رجوعه تأسيس للبلوى التي وقعت لعثمان رضي الله عنه فان منشأها انما كان من مروان بن الحكم فسبحان الحكيم في افعاله الذي لا يسئل عما يفعل ولذا قال بعضهم كما في بعض شراح الشفاء

فليت عثمان لم يحكم بعودته رضى بما حكم الصديق في الحكم

قال الشهاب الخفاجي بعد ان صح أن عثمان رضي الله عنه استأذن النبي صلى الله عليه وسلم فلا وجه في التشنيع عليه بذلك والطعن في خلافته كما زعم الشيعة مع ان عثمان رضي الله عنه علم انه تاب وخلصت طويته وكان رده له باجتهاد منه رضي الله عنه في ذلك والامور الاجتهادية لا اعتراض بها وعن هند بن خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بالحكم فجعل الحكم يلمز بالنبي صلى الله عليه وسلم فرآه فقال اللهم اجعل به وزغا فرجف وارتعش مكانه والوزغ الارتعاش وفي رواية فما قام حتى ارتعش وعن الواقدي استأذن الحكم بن ابي العاص أميا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرف صوته فقال ائذنوا له لعنه الله ومن يخرج من صلبه الا المؤمنين منهم وقليل ماهم ذوو مكر وخديعة يعطون الدنيا ومالهم في الآخرة من خلاق وكان لا يولد لاحد بالمدينة ولد الا أتي به الى النبي صلى الله عليه وسلم فأتي

السماء ان هذا الحدث حدث في الارض فائتوني من تربة كل أرض فأتوه بذلك فجعل يشمها فلما شم تربة مكة قال من ههنا الحدث فنصوا فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث (اقول) قد يقال لا منافاة بين الروايتين لانه يجوز انهم لم يخبروه بمبعثه صلى الله عليه وسلم لما وجدوه فذهب اوذهب بعد اخبارهم له بذلك لا ستيقان وهذا يفيد ان الرمي بالنجوم انما كان عند مبعثه اي عند تقارب زمنه لا قبل ذلك الذي منه زمن ولادته وحينئذ يشكل حصول مثل ذلك لابليس وجنوده عند مولده صلى الله عليه وسلم ومن ثم قدمنا انه يجوز ان يكون من خلط بعض الرواة وهذه الرواية تدل على ان ابليس لم يكن عنده علم بان سقوط النجم على الشياطين علامة على مبعث النبي صلى الله عليه وسلم والرواية التي قبلها تدل على ذلك كما علمت وكلتا الروايتين يدل على انه لم يعلم عينه ولا محله والله اعلم (وقد اشار صاحب الهمزية) الى ان حجب الشياطين كان عند مبعثه صلى الله عليه وسلم بقوله

بعث الله عند مبعثه الشهب حراسا وضاق عنها الفضاء

تطرد الجن عن مقاعد للسمع كما يطرد الذئاب الرعاء

فمحت آية الكهانة آيات من الوحي ما لهن امحاء

اي ارسل الله زمن ارساله صلى الله عليه وسلم الشعل من النار على الجن لاجل حراسة السماء منهم ولكثرة تلك الشعل ضاقت عنها المفازات حال كون تلك الشهب تطرد الجن عن امكنة قريبة يقعدون فيها لاجل ان يسمعوا اشياء من الملائكة المتكلمين بما سيقع في الارض من المغيبات وطرد تلك الشهب لاولئك الشياطين في الشدة كطرد الرعاء للذئاب عن الغنم اذا أرادت ان تعدو عليها فبسبب ذلك الطرد البالغ للجن عن خبر السماء محت آيات من الوحي آية الكهانة التي هي الاخبار بالامور المغيبة ما لتلك الآيات من الوحي انمحاء أي ذهاب بل هي باقية الى يوم القيامة وفيه انه لزم على كون الغرض من الرمي بالنجوم حفظ الوحي ان ذلك لا يكون الا عند مبعثه صلى الله عليه وسلم ولا يكون قبل ذلك الذي منه وقت ولادته وأيضا لو كان ذلك موجودا قبل مبعثه واستمر الى مبعثه لم تفزع العرب منه عند مبعثه واجيب عن الاول بانه يجوز ان يكون الغرض الاصلي من الرمي بها حفظ الوحي فلا ينافي وجود ذلك قبل ذلك عند ولادته ارهاصا وتخويفا وكان هذا السؤال الثاني هو الحامل لابي بن كعب على دعوى انه لم يرم بالنجوم منذ رفع عيسى عليه الصلاة والسلام حتى تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم رمي بها ومن ثم قال فلما رأت قريش

أمر الم تكن تراه فزعوا لعبديا ليل ويجاب بانه يجوز ان يكون الرمى بالنجوم عند المبعث مخالفا للرمى بها قبله اما لفرط كثرتها واما لان الرمى بها بعد المبعث كان من كل جانب وقبل كان من جانب واحد واما لان الرمى بها صار لا يخطئ ابدا وقبل ذلك كان يخطئ تارة ويصيب اخرى فنهم من يقتله ومنهم من يحرق وجهه ومنهم من يخبله اى يصيره غولا يضل الناس فى البرارى وكان ذلك سبب فزع العرب لانه كان قبل ذلك لم يكن من كل جانب ولم يكثر ويخطئ فيعود الشيطان الى مكانه فيسترق السمع ويلقى مايسترقه الى كاهنه اى فلم تنقطع الكهانة قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم بالمرة بل كانت موجودة الى زمن مبعثه صلى الله عليه وسلم وعند مبعثه انقطعت بالمرة ومن ثم قال لا كهانة اليوم وهذا كله على تسليم رواية ابن عباس ان النجوم رمى بها عند ولادته صلى الله عليه وسلم وحفظ الوحى بالرمى بالشهب لا يخالف ما حكاه فى الاتقان عن سعيد بن جبير ما جاء جبريل بالقرآن الى النبى صلى الله عليه وسلم الا ومعه اربعة من الملائكة حفظة وسيأتى عن الينبوع عن ابن جرير ما نزل جبريل بوحى قط الا و نزل معه من الملائكة حفظة يحيطون به وبالنبى الذى يوحى اليه يطردون الشياطين عنهما لئلا يسمعوا ما يبلغه جبريل الى ذلك النبى من الغيب الذى يوحيه اليه فيبلغوه الى اوليائهم (وعن بعضهم) قال سافرت عن زوجتى فخلفنى عليها شيطان على صورتى وكلامى وسائر حالاتى التى تعرفها منى فلما قدمت من السفر لم تفرح بى ولم تتهيأ لى وكانت اذا قدمت من سفر تتهيأ لى كما تتهيأ العروس فقلت لها فى ذلك فقالت انك لم تغب فبينما أنا كذلك وقد ظهر لى ذلك الشيطان وقال لى انا رجل من الجن عشقت امرأتك وكنت آتيها فى صورتك فلا تنكر ذلك فاختر اما ان يكون لك الليل ولى النهار اولك النهار ولى الليل فراعنى ذلك ثم اخترت النهار فلما كان فى بعض الليالى جاءنى وقال بت الليلة عند أهلك فقد حضرت نوبتى فى استراق السمع من السماء فقلت أنت تسترق السمع فقال نعم هل لك ان تكون معى قلت نعم فلما جاء الليل أتانى وقال حول وجهك بخوات وجهى فاذا هو فى صورة خنزير له جناحان فحملنى على ظهره فاذا له معرفة كمعرفة الخنزير فقال لى استمسك بها فانك ترى امورا وأهوالا فلا تفارقنى تهلك ثم صعد حتى لصق بالسماء فسمعت قائلا يقول لا حول ولا قوة الا بالله ما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن فهوى بى ووقع من وراء العمران فحفظت الكلمات فلما أصبحت اتيت اهلى فلما كان الليل جاء فقلتهن فاضطرب فلم ازل اقولهن حتى صار رمادا وان لم يحمل وقوع ذلك فى زمن الجاهلية والا كان كذبا لانهم اجابوا عن ايراد ان القول بقدرة الجن على التصور يلزمه

بمروان لما ولد فقال هو الوزغ ابن الوزغ الملعون ابن الملعون وعلى هذا فهو صحابى ان ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم رآه لانه يحتمل انه أتى به اليه صلى الله عليه وسلم فلم يأذن بادخاله عليه بل مما يدل لذلك قوله هو الوزغ الخ وفى كلام بعضهم أنه ولد بالطائف بعد ان نفى أبوه الى الطائف ولم يجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم فهو ليس بصحابى ومن ثم قال البخارى مروان بن الحكم لم ير النبى صلى الله عليه وسلم وعن عائشة رضى الله عنها انها قالت لمروان نزل فى أبيك ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم وقالت له سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى أبيك وجدك اى الذى هو أبو العاص ابن أمية انهم الشجرة الملعونة فى القرآن وقد ولى مروان الخلافة تسعة أشهر ولما امتنع عبد الرحمن ابن ابى بكر رضى الله عنهما من المبايعة ليزيد بن معاوية قال له مروان أنت الذى أنزل الله فيك والذى قال لوالديه أف لكما أتعدانني ان أخرج فبلغ ذلك عائشة رضى الله عنها فقالت كذب والله ماهو به ثم قالت له أما أنت يا مروان فأشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن اباك وأنت فى صلبه تشير الى ما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما لاصحابه سيدخل عليكم رجل لعين فدخل عليهم الحكم وعن جبير بن مطعم رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر الحكم بن ابى العاص فقال النبى صلى الله عليه وسلم ويل لامتى مما فى صلب هذا وعن عمران بن جابر الجعفى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ويل لبنى أمية ثلاث مرات وقد ولى منهم الخلافة أربعة عشر رجلا أولهم معاوية بن ابى سفيان رضى الله عنهما وآخرهم مروان بن محمد وكانت مدة ولايتهم ثلاثين وثمانين سنة وهى ألف شهر والاحاديث الواردة فى ذمهم يجب أن يخرج منها عثمان ومعاوية رضى الله عنهما لفضيلة صحبة النبى

صلى الله عليه وسلم مع ما ورد فيهما من الفضائل وأيضا لم يصدر منهما شيء من الظلم والاعتساف صدر ممن بعدهما ولذلك قال القاضي
عياض رحمه الله في الشفا وأخبر صلى الله عليه وسلم بولاية معاوية رضي الله عنه وبملك بني أمية ففاير بين الحالتين في التعبير لان
الملك هو السلطنة مع التغلب والخلافة ما كان ببيعة اهل الحق والولاية أعم منهما فتشملهما وتشمل الامارة ونيابة
الخلافة وأوصى صلى الله عليه
وسلم معاوية رضي الله عنه اذا
ملك بالعدل والرفق قال له اذا
ملكت فاسجح قال معاوية رضي
الله عنه فما زلت أطمع في الخلافة
منذ سمعتها من رسول الله صلى
الله عليه وسلم وروى البيهقي عن
معاوية رضي الله عنه قال ما حملني
على الخلافة الا قوله صلى الله عليه
وسلم يا معاوية اذا ملكت
فأحسن وروى انه رضي الله عنه
تبع بالاداوة رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يا معاوية ان
وليت أمرا فاتق الله واعدل
فكان رضي الله عنه على غاية من
الحلم والصبر والتحمل حتى قال
ابو الدرداء رضي الله عنه ان
معاوية سمع كلمة من رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنفعه الله بها
واما ذم بني أمية من بعده فجاءت
فيهم أحاديث كثيرة منها ما رواه
الترمذي والحاكم والبيهقي عن
أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا
اذا بلغ بنو أبي العاص اربعين
او ثلاثين اتخذوا دين الله دغلا
ومال الله دولا وهو ما يتداول اي
يأخذه واحد بعد واحد والمراد
انهم استأثروا به ومنعوا حقوقه
فأسرفوا وبذروا ووضعوا بيت مال المسلمين وقال صلى الله عليه وسلم سيكون في هذه الامة رجل يقال له بالنار
الوليد هو شر لامتي من فرعون لقومه قال الاوزاعي كانوا يرون انه الوليد بن عبد الملك ثم رأوا انه ابن أخيه الوليد بن يزيد بن
عبد الملك الجبار الذي كان مفتاح أبواب الفتن على هذه الامة وكان ماجنا سفيها مدمنا للخمر وأخبر صلى الله عليه وسلم بانه رأى

رفع الثقة بشيء فان من رأى نحو والده وزوجته احتمل انه جني فيشك بان الله تكفل لهذه
الامة بعصمتها عن ان يقع فيها ما يؤدي الى ما يترتب عليه ريبة في الدين فليتأمل * وقد جاء
في فضل لا حول ولا قوة الا بالله من كثرت همومه وغمومه فليكثر من قول لا حول ولا قوة
الا بالله والذي نفسي بيده ان لا حول ولا قوة الا بالله شفاء من سبعين داء أدناها الهم والغم
والحزن وفرق بين الغم والهم بان الغم يعرض منه السهر والهم يعرض منه النوم * وفي
حكمة آل داود العافية ملك خفي وهم ساعة هرم سنة * وقال الاطباء الهم يوهن القلب
وفيه ذهاب الحياة كما ان في الحزن ذهاب البصر (وفي الحديث) من كثر همه سقم بدنه فعلم
أن النجوم على تسليم انه كان يرمى بها قبل الولادة وبعدها الى البعثة كانت قبل قرب زمن
البعث تصيب تارة ولا تصيب أخرى مع قلتها وعند البعثة تصيب ولا بد مع كثرتها وان
الكثرة هي سبب الفزع لا دوام الاصابة والا فمجرد دوام الاصابة لا يكون حاملا على
الفزع لانه لا يظهر لكل أحد بخلاف الكثرة ومجرد الكثرة لا يكون سببا لقطع الكهانة
أو انها قبل البعث كانت ترمى من جانب دون آخر وبعد البعثة رميت من جميع الجوانب
واليه الاشارة بقوله تعالى ويقذفون من كل جانب دحورا فكان ذلك سببا للفزع والمراد
وجود ذلك مع دوام الاصابة ليكون سببا لقطع الكهانة والا فمجرد الرمي من كل جانب
مع قلة الاصابة لا يكون سببا لقطع الكهانة ولما انقطعت الكهانة بعدم اخبار الجن
قالت العرب هلك من في السماء فجعل صاحب الابل ينحر كل يوم بعيرا وصاحب البقر
ينحر كل يوم بقرة وصاحب الغنم ينحر كل يوم شاة حتى اسرعوا في أموالهم اي في اتلافها
فقالت ثقيف وكانت اعقل العرب أيها الناس امسكوا على أموالكم فانه لم يمت من في
السماء الستم ترون معالمكم من النجوم كما هي والشمس والقمر كذا في كلام بعضهم ولعله
لا يخالف ما تقدم من ان أول العرب فزع للرمي بالنجوم ثقيف وانهم جاؤا الى رجل منهم
يقال له عمرو بن أمية ولرجل آخر يقال له عبد ياليل لجواز ان يكون ما ذكر هنا صدر من
بعضهم لبعض ثم اجتمعوا على عمرو وعبد ياليل والله أعلم وظاهر القرآن والاخبار ان الذي
يرمى به الشياطين المسترقون نفس النجم وانه المعبر عنه بالكوكب وبالمصباح وبالشهاب
وقيل الشهاب عبارة عن شعلة نار تنفصل من النجم اي كما قدمنا فاطلق عليها لفظ النجم
ولفظ المصباح ولفظ الكوكب ويكون معنى وجعلناها رجوما جعلنا منها رجوما وهي
تلك الشهب ومعنى كونها حفظا باعتبار ما نشأ عنها من تلك الشهب وقالت الفلاسفة
ان الشهب انما هي اجزاء نارية تحصل في الجو عند ارتفاع الابخرة المتصاعدة واتصالها

بالنار التي دون الفلك وقيل السحاب اذا اصطكت اجرامه تخرج نار لطيفة حديدة لا تمر بشيء الا أتت عليه الا انها مع حدتها سريعة الخمود فقد حكي أنها سقطت على نخلة فاحرقت نحو النصف ثم طفئت قاله في الكشاف ومما يؤيد ان الشعل منفصلة من النجوم ما جاء عن سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه ان النجوم كلها كالقناديل معلقة في السماء الدنيا كتعليق القناديل بالمساجد مخلوقة من نور وقيل انها معلقة بايدي ملائكة ويعضد هذا القول قوله تعالى اذا السماء انفطرت واذا الكواكب انتثرت أن انتثارها يكون بموت من كان يحملها من الملائكة وقيل ان هذا ثقب في السماء وقد وقع في سنة تسع وتسعين من القرن السادس ان النجوم ماجت وتطايرت تطاير الجراد ودام ذلك الى الفجر وافزع الخلق فلجؤا الى الله تعالى بالدعاء قال بعضهم ولم يعهد ذلك الا عند ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم (اقول) قد وقع نظير ذلك في سنة احدى وأربعين من القرن الثالث ماجت النجوم في السماء وتناثرت الكواكب كالجراد أكثر الليل وكان أمرا مزعجا لم ير مثله ووقع في سنة ثلثمائة تناثر النجوم تناثرا عجيبا الى ناحية المشرق والله أعلم (وأما ما جاء من ذكره صلى الله عليه وسلم) اي ذكر اسمه وصفته وصفة أمته في الكتب القديمة اي كالتوراة المنزلة على موسى عليه الصلاة والسلام لست ليال خلون من رمضان اتفاقا والانجيل المنزل على عيسى عليه الصلاة والسلام لثنتي عشرة خلت من رمضان وقيل لثلاث عشرة وقيل لثمان عشرة والزبور المنزل على داود عليه الصلاة والسلام لثنتي عشرة وقيل لثلاث عشرة وقيل لثمان عشرة وقيل في ست خلت من رمضان وصحف شعياء ويقال له اشعياء او من امير داود وصحف شيث فقد انزلت عليه خمسون صحيفة وقيل ستون وصحف ابراهيم فقد أنزل عليه عشرون صحيفة وقيل ثلاثون أول ليلة من رمضان اتفاقا وفي كتاب شعيب ولم يذكر صحف ادريس وقد أنزلت عليه ثلاثون صحيفة وذكر بعضهم ان موسى عليه الصلاة والسلام انزل عليه قبل التوراة عشرون صحيفة وقيل عشر صحائف وهذا كما لا يخفى يزيد على ما اشتهر ان الكتب المنزلة مائة وأربعة كتب وفي كلام بعضهم اتفقوا على ان القرآن انزل لاربع وعشرين ليلة خلت من رمضان وعن ابي قلابة انزلت الكتب كاملة ليلة أربع وعشرين من رمضان وحينئذ يكون من حكى الاتفاق في التوراة وصحف ابراهيم لم يطلع على هذا او لم يعتد به فقد اشار الى ذكره صلى الله عليه وسلم في جميع الكتب المنزلة الامام السبكي رحمه الله تعالى في تائيته بقوله

وفي كل كتب الله نعتك قد أتى * يقص علينا امة بعد امة

في المنام بني امية على منبره الشريف فأساءه ذلك فأنزل الله عليه تسلية له سورة الكوثر وسورة القدر لان ملك بني امية كان ألف شهر فأعطى الله أمته في كل سنة ليلة تعدل ملكهم وتزيد بما لا يحصى من العجائب قال في السيرة الحلبية نقلا عن ابن الجوزي كان لعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ابن يقال له خبيب ضربه عمر بن عبد العزيز بأمر الوليد بن عبد الملك مائة سوط فمات منها وذلك أن خبيبا حدث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلا وفي رواية اذا بلغ بنو أمية أربعين رجلا اتخذوا عباد الله خولا اي عبيدا ومال الله دولا ودين الله دغلا وفي رواية بدل دين الله كتاب الله فلما بلغ الوليد ما ذكر خبيب كتب لابن عمه عمر بن عبد العزيز وهو والي المدينة ان يضرب خبيبا مائة سوط ففعل ثم برد ماء في جرة وصبه عليه في يوم شات وحبسه فلما اشتد وجعه أخرجه وندم على ما فعل فلما مات وسمع عمر نعيه سقط الى الارض واسترجع واستعفى من ولاية المدينة فكان عمر بن عبد العزيز اذا قيل له أبشر قال كيف أبشر وخبيب على الطريق عائق لي * وفي دلائل النبوة للبيهقي عن بعضهم قال كنت عند معاوية ابن ابي سفيان رضي الله عنهما ومعه ابن عباس رضي الله عنهما على السرير فدخل عليه مروان ابن الحكم فكلمه في حاجته وقال اقض حاجتي يا أمير المؤمنين فوالله ان مؤنتي لعظيمة فاني ابو عشرة وعم عشرة وأخو عشرة فلما أدبر مروان قال معاوية لابن عباس رضي الله عنهم أنشدك بالله يا ابن عباس أما تعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلا اتخذوا مال الله بينهم دولا وكتاب الله دغلا فاذا بلغوا تسعة وتسعين وأربعمائة كان هلاكهم أسرع من لوك تمرة فقال ابن عباس رضي الله عنهما اللهم نعم ثم ذكر مروان حاجته فبعث ولده عبد الملك الى معاوية رضي الله عنه

وهذا كما لا يخفى ابلغ من قول بعضهم

ومن قبل مبعثه جاءت مبشرة * به زبور وتوراة وانجيل

وقد اعترض على هذا القائل بعض الاغبياء بان التوراة والانجيل قد صحت بشارتهما به صلى الله عليه وسلم وأما الزبور فلا ندرى ولا نقول الا ما نعلم ويرده ما ذكره الامام السبكى وسنده قوله تعالى وانه لفى زبر الاولين اى كتبهم فقد قال بعض المفسرين ان الضمير عائد الى النبى صلى الله عليه وسلم لان الاضافة حيث لا عهد تحمل على العموم وسيأتى أيضا التصريح بوجود اسمه فى الزبور وقد جاء أن اسمه فى التوراة أحيد يحمده أهل السماء والارض كما تقدم وقد قيل فى سبب نزول قوله تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ان عبد الله بن سلام رضى الله تعالى عنه دعى ابنى أخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال فى التوراة انى باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه أحمد من آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وأبى مهاجر فانزل الله الآية وفيها أيضا محمد واسمه فيها أيضا حياطا وقيل حطايا اى يحمى الحرم من الحرام واسمه فى التوراة أيضا اقدمايا اى الاول السابق واسمه فيها أيضا بند بندو اسمه فيها أيضا احيد وقيل احيد اى يمنع نار جهنم عن أمته واسمه فيها أيضا طاب طاب اى طيب واسمه فيها أيضا كما فى الشفاء محمد حبيب الرحمن ووصف فيها بالضحوك اى طيب النفس وفيها محمد بن عبد الله مولده بمكة ومهاجره الى طابة وملكه بالشام والتوراة اى على فرض ان تكون اسماء عربية مأخوذة من التورية وهى كتمان السر بالتعريض لان اكثرها معاريض من غير تصريح واسمه فى الانجيل المنحمنا والمنحمنا بالسريانية محمد اى وما جاء عن سهل مولى خيثمة قال كنت يتيما فى حجر عمى فأخذت الانجيل فقرأته حتى مرت لى ورقة ملصقة بغراء ففتقتها فوجدت فيها وصف محمد صلى الله عليه وسلم فجاء عمى فلما رأى الورقة ضربنى وقال مالك وفتح هذه الورقة وقراءتها فقلت فيها وصف النبى أحمد فقال انه لم يأت بعد اى الآن اى وفى الانجيل أيضا اسمه حمنطا اى يفرق بين الحق والباطل ووصفه بانه صاحب المدرعة وهى الدرع وفيه أيضا وصفه بانه يركب الحمار والبعير وسيأتى ان راكب الحمار عيسى عليه الصلاة والسلام وراكب الجمل محمد صلى الله عليه وسلم وسيأتى الجواب وفى الانجيل ان أحببتمونى فاحفظوا وصيتى وأنا اطلب الى ربى فيعطيكم بارقليط والبارقليط لا يجيئكم ما لم اذهب فاذا جاء وبخ العالم على الخطيئة ولا يقول من تلقاء نفسه ولكنه ما يسمع يكلمهم به ويسوسهم بالحق ويخبرهم بالحوادث

فكلمه فيم افلما أدبر قال معاوية رضى الله عنه أنشدك الله يا ابن عباس أما تعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر هذا فقال ابو الجبابرة الاربعة فقال ابن عباس رضى الله عنهما اللهم نعم وقد ولى الخلافة من ولده أربعة الوليد وسليمان وهشام ويزيد بن عبد الملك وليس فى الحديث دلالة على أن عبد الملك صحابى لاحتمال أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم ذكره قبل وجوده فهو من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم * ومن استهزاء العاص بن وائل السهمى والد عمرو بن العاص رضى الله عنه فعمرو وابنه صحابى وأما هو فانه هلك على كفره انه كان يقول غر محمد نفسه وأصحابه ان وعدهم أن يحيوا بعد الموت والله ما يهلكنا الا الدهر ومرور الايام والاحداث ومن استهزائه أن خباب بن الارت رضى الله عنه كان قينا بمكة اى حدادا يعمل السيوف وقد كان باع للعاص سيوفا فجاءه يتقاضى ثمنها فقال يا خباب أليس يزعم محمد هذا الذى أنت على دينه أن فى الجنة ما ابتغى أهلها من ذهب اوفضة اوثياب اوخدم اوولد قال خباب بلى قال فانظرنى الى القيامة يا خباب حتى أرجع الى تلك الدار فأقضيك هناك حقك والله لا تكون أنت وصاحبك آثر عند الله ولا أعظم حظا فى ذلك وفى لفظ ان العاص قال لا اعطيك حتى تكفر بمحمد فقال والله لا أكفر بمحمد حتى يميتك الله ثم يبعثك قال فذرنى حتى أموت ثم ابعث فسوف أوتى مالا وولدا فاقضيك فأنزل الله تعالى فيه أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لاوتين مالا وولدا أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا ونرثه ما يقول ويأتينا فردا * ومن استهزاء الاسود بن عبد يغوث بن وهب بن زهرة وهو ابن خال النبى صلى الله عليه وسلم انه كان اذا رأى المسلمين قال لاصحابه استهزاء بالصحابة قد جاءكم ملوك الارض الذين يرثون كسرى وقيصر اى لانهم

الصحابة رضي الله عنهم كانوا متقشفين ثيابهم رثة وعيشهم خشن وكان يقول النبي صلى الله عليه وسلم ما كان اليوم من السماء يا محمد وما أشبه هذا القول * ومن استهزاء الاسود بن مطلب بن أسد بن عبد العزى انه كان هو وأصحابه يتغامزون بالنبي صلى الله عليه وسلم وبأصحابه و يصفرون اذا رأوهم * ومن استهزاء الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم والد خالد وعم أبي جهل وكان من عظماء قريش وكان في سعة من العيش ومكنة من السيادة كان يطعم الناس أيام منى حيسا وينهى أن توقد نار لاجل طعام غير ناره و ينفق على الحاج أيام الموسم نفقة واسعة وكانت الاعراب تثني عليه وكانت له البساتين من مكة الى الطائف وكان من جملتها بستان لا ينقطع نفعه شتاء ولا صيفا ثم انه أصابته الجوائح والآفات في أمواله حتى ذهبت بأسرها ولم يبق له في أيام الحج ذكر وكان هو المقدم في قريش فصاحة وكان يقال له ريحانة قريش و يقال له الوحيد اى في الشرف والسودد والجاه والرياسة واياه عنى سبحانه بقوله ذرني ومن خلقت وحيدا الآيات في سورة المدثر قال بعضهم بل هو الوحيد في الكفر والخبث والعناد انه رمى النبي صلى الله عليه وسلم بالسحر مع اعترافه بانه بريء من السحر لكنه لعنه الله لما ضاقت عليه المذاهب قال انه أقرب القول فيه تنفيرا للناس عنه وتبعه على ذلك قومه بعد التشاور فيما يرمونه به فعند ابن اسحق والحاكم والبيهقي باسناد جيد انه اجتمع في بعض المواسم الى الوليد نفر من قريش وكان ذا سن فيهم فقال لهم يا معشر قريش قد حضر هذا الموسم وان وفود العرب ستقدم عليكم وقد سمعوا بأمر صاحبكم فاجمعوا فيه رأيا ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا قالوا فأنت أقم لنا رأيا نقوله فيه قال بل أنتم فقولوا أسمع قالوا نقول كاهن قال والله ما هو بكاهن لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة

بالحوادث والغيوب اى وما جاء بذلك وأخبر بالحوادث والغيوب الا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والبارقليط أو الفارقليط الحكيم والرسول قيل والانجيل اى على فرض ان يكون اسما عربيا مأخوذ من النجل وهو الخروج ومن ثم سمي الولد نجلا لخروجه أو مشتق من النجل وهو الاصل يقال لعن الله ناجيله اى أصوله فسمي هذا الكتاب بهذا الاسم لانه الاصل المرجوع اليه في ذلك الدين وقيل من النجلة وهي سعة العين لانه انزل وسعة لهم اى لان فيه تحليل بعض ما حرم عليهم (ومن ذلك ما جاء عن عطاء بن يسار) قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما فقلت اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة قال اجل والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين أنت عبدي و رسولي سميتك بالمتوكل ليس بفظ اى سيء الخلق ولا غليظ اى شديد القول ولا صخاب بالسين والصاد في الاسواق اى لا يصيح فيها وفي الحديث أشد الناس عذابا كل جعار نعار صخاب في الاسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء أي ملة ابراهيم التي غيرتها العرب وأخرجتها عن استقامتها بان يقولوا لا اله الا الله يفتح به اعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا اى لا تفهم كأنها في غلاف قال عطاء ثم لقيت كعب الاحبار رضي الله تعالى عنه فسألته فما أخطأ في حرف (أقول) لكن في رواية كعب واعطي المفاتيح ليبصر الله به اعينا عورا وليسمع به آذانا صما ويقيم به ألسنة معوجة يعين المظلوم و يمنعه من ان يستضعف وفيها وصفه صلى الله عليه وسلم بانه يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل عليه الا حلما وعن بعض احبار اليهود انه قال علي جميع ما وصف به صلى الله عليه وسلم في التوراة وقفت الا هذين الوصفين وكنت اشتهي الوقوف عليهما فجاءه شخص يطلب منه ما يستعين به ود كر له انه لم يكن عنده ما يعينه به فقلت هذه دنانير تدفعها له وتكون على كذا من التمر ليوم كذا ففعل فجئته قبل الاجل بيومين أو ثلاثة فأخذت بمجامع قميصه وردائه ونظرت اليه بوجه غليظ وقلت الا تقضيني يا محمد حقي انكم يا بني عبد المطلب مطل فقال لي عمر اى عدو الله تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما اسمع وهم بي فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سكون وتؤدة وتبسم ثم قال انا وهو احوج الى غير هذا منك يا عمر ان تأمرني بحسن الاداء وتأمره بحسن التباعة اى المطالبة اذهب وأوفه حقه و زده عشرين صاعا مكان مارعته اى خفته فاسلم اليهودي وذكر القصة وفي التوراة لا يزال الملك في يهود الى

الكاهن ولا سجعه قالوا فنقول مجنون قال والله ماهو بمجنون لقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا وسوسته قالوا شاعر قال ماهو بشاعر لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه قالوا ساحر قال ماهو بساحر لقد رأينا السحرة وسحرهم فما هو بنفثه ولا عقده قالوا فما تقول أنت قال والله ان لقوله لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أصله لعذق وان فرعه لجناة وما أنتم بقائلين من هذا شيأ الا أعرف انه باطل وان اقرب القول فيه أن تقولوا ساحر جاء بقول هو سحر يفرق بين المرء وأبيه وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجه وبين المرء وعشيرته فتفرقوا عنه بذلك فجعلوا يجلسون فى سبل الناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم أحد الا حذروه اياه وذكروا لهم امره فصدرت العرب من ذلك الموسم تحدث بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتشر ذكره فى بلاد العرب كلها بل فى جميع الآفاق وانقلب مكرهم عليهم حتى كان من اسلام الانصار وأمر الهجرة ما كان وقدم عليه صلى الله عليه وسلم عشرون من نجران فأسلموا فبلغ أبا جهل فسبهم فقالوا له سلام عليكم وفيهم نزل واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه الآيات قال العلامة الزرقانى فانظر هذا اللعين يعنى الوليد بن المغيرة كيف تيقنت نفسه الحق وحمله البطر والكبر على خلافه وقد ذمه الله ذما بليغا فى قوله ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم الآيات وفى قوله تعالى ذرنى ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا ثم يطمع أن أزيد كلا انه كان لآياتنا عنيدا سأرهقه صعودا انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر فقال ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر سأصليه سقر * ومن استهزاء ابى لهب به صلى الله عليه

أن يجىء الذى اياه تنتظر الامم اى لا يزال أمرهم ظاهرا الى ان يجىء الذى تنتظره الامم أى المرسل اليهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم لانه المرسل لجميع الامم وما زعمه اليهود بأنه يوشع رد بنص التوراة فى محل آخر ان الله ربكم يقيم نبيا من اخوتكم مثلى وقد قال لى انه سوف يقيم نبيا مثلك من اخوتهم وأجعل كلمتى فى فيه وأيما انسان لم يطع كلامه أنتقم منه لان قوله مثلى اى رسولا بكتاب مشتمل على الاحكام والشرائع وذكر المبدا والمعاد لان يوشع لم يكن له كتاب بل كان متابعا لسنة موسى عليه الصلاة والسلام فى بنى اسرائيل خاصة وايضا يوشع منهم لا من اخوتهم فلو كان يوشع لقال منكم وما زعمه النصارى انه المسيح رد عليهم بنصوص الانجيل التى منها ان الله يقيم لكم نبيا من اخوتكم لان المسيح ليس من اخوتهم بل منهم لانه من نسل داود ففى زبور داود سيولد لك ولد أدعى له أبا ويدعى لى ابنا واخوة بنى اسرائيل انما هم أولاد اسمعيل الذى هو أخو اسحق وبنو اسرائيل منه وأيضا لو كان المسيح لم يحسن ان يخاطبهم بهذا اللفظ وفى الانجيل جاء الله من طور سينا وظهر بساعير وأعلن بفاران اى عرف الله برسالة موسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم لان ظهور نبوة موسى كان فى طور سينا وتقدم انه جبل بالشام قيل هو الذى بين مصر وايليا وانزلت التوراة عليه فيه وظهور نبوة عيسى كان فى ساعير وهو جبل القدس لان عيسى عليه الصلاة والسلام كان يسكن بقرية بأرض الخليل يقال لها ناصرة وباسمها سمى من اتبعه وأنزل عليه الانجيل بها وظهور نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كان فى فاران وهى مكة وانزل عليه القرآن بها وفى التوراة ان اسمعيل أقام بقرية فاران وانما عبر فى جانب موسى بالمجىء لانه أول المشرعين لان كتابه الذى هو التوراة أول كتاب اشتمل على الاحكام والشرائع بخلاف ما قبله من الكتب فانها لم تشتمل على ذلك وانما كانت مشتملة على الايمان بالله تعالى وتوحيده ومن ثم قيل لها صحف واطلاق الكتب عليها مجاز ولما حصل بعيسى و بكتابه الذى هو الانجيل نوع ظهور عبر فى جانبه بالظهور الذى هو أقوى من المجىء ثم لما زاد الظهور بمجىء محمد صلى الله عليه وسلم عبر عنه بالاعلان الذى هو أقوى من مجرد الظهور وقد قيل فى تفسير قوله تعالى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل انهم يجدون نعته يامرهم بالمعروف وهو مكارم الاخلاق وصلة الارحام وينهاهم عن المنكر وهو الشرك ويحل لهم الطيبات وهى الشحوم التى حرمت على بنى اسرائيل والبحيرة والسائبة والوصيلة والحام التى حرمتها الجاهلية ويحرم عليهم الخبائث التى كانت تستحلها الجاهلية من الميتة والدم ولحم الخنزير

وسلم انه كان يطرح القذر على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يوم من الايام رآه أخوه حمزة رضي الله عنه قد فعل ذلك فأخذه وطرحه على رأسه فجعل أبو لهب ينفضه ويقول صابئ أحمق ومن ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يطوف على الناس في أول أمره في منازلهم ويقول ان الله يأمركم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيأ وأبو لهب وراءه يتبعه اذا مشى يقول يا أيها الناس ان هذا يأمركم ان تتركوا دين آبائكم وذلك عار عليكم قال العلامة الزرقاني فانظر هذا الابتلاء في الله فلو كان من غير قريب كان اسهل لان العرب كانت تقول قوم الرجل أعلم به ولذا قال صلى الله عليه وسلم ما أوذي أحد ما أوذيت لانه صلى الله عليه وسلم أصيب من قومه بأكبر البلاء آذوه أشد الايذاء ورموه بالسحر والشعر والكهانة والجنون وبرأه الله من جميع ذلك بالبراهين القاطعة في كتابه العزيز ومنهم من كان يحثو التراب على رأسه صلى الله عليه وسلم ويجعل الدم على بابه وسلى الجزور على ظهره كما تقدم فلما بالغوا في الايذاء والاستهزاء أتى جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت وقال له أمرت ان اكفيكهم فلما مر الوليد بن المغيرة قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم كيف تجده هذا فقال بئس عبد الله فأومأ الى ساق الوليد وقال قد كفيته فمر بنبال يريش نبله ويصلحها فتعلق بثوبه سهم فعرضت له شظية من نبل فلم ينعطف لاخذه تكبرا وتعاظما فأصاب عرقا في عقبه فمرض فمات كافرا ثم مر العاص بن وائل السهمي فقال كيف تجد هذا يا محمد فقال عبد سوء فأومأ الى أخمصه وقال كفيته فخرج يتنزه فنزل شعبا فدخلت فيه شوكة فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى وفي رواية كعنق البعير فمات ثم مر الحرث بن قيس السهمي فقال كيف تجد هذا يا محمد قال عبد سوء فأومأ الى بطنه وقال قد كفيته وقيل اشار الى أنفه

٣٧ حل ل

الخنزير ويضع عنهم اصرهم من تحريم العمل يوم السبت وعدم قبول دية المقتول وان يقطعوا ما أصابهم من البول والله أعلم ومن ذلك ما جاء عن النعمان السبائي رضي الله تعالى عنه وكان من أحبار يهود باليمن قال لما سمعت بذكر النبي صلى الله عليه وسلم قدمت عليه وسألته عن اشياء ثم قلت له ان ابي كان يختم على سفر ويقول لا تقرأه على يهود حتى تسمع بنبي قد خرج بيثرب فاذا سمعت به فافتحه قال النعمان فلما سمعت بك فتحت السفر فاذا فيه صفتك كما اراك الساعة واذا فيه ما تحل وما تحرم واذا فيه أنت خير الانبياء وأمتك خير الامم واسمك أحمد صلى الله عليك وسلم وامتك الحمادون اي يحمدون الله في السراء والضراء قربانهم دماؤهم اي يتقربون الى الله سبحانه وتعالى باراقة دمائهم في الجهاد وأناجيلهم في صدورهم اي يحفظون كتابهم لا يحضرون قتالا الا وجبريل معهم يتحنن الله عليهم كتحنن الطير على فراخه ثم قال لي يعني أباه اذا سمعت به فاخرج اليه وآمن به وصدقه فكان النبي صلى الله عليه وسلم يحب ان يسمع أصحابه حديثه فأتاه يوما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا نعمان حدثنا فابتدأ النعمان الحديث من اوله فرؤى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم ثم قال أشهد اني رسول الله (اقول) والنعمان هذا قتله الاسود العنسي الذي ادعى النبوة وقطعه عضوا عضوا وهو يقول ان محمدا رسول الله وانك كذاب مفتر على الله ثم حرقه بالنار اي ولم يحترق كما وقع للخليل وقيل الذي احرقه الاسود العنسي بالنار ولم يحترق ذؤيب بن كليب أو ابن وهب ولما بلغه صلى الله عليه وسلم ذلك قاله لاصحابه فقال عمر الحمد لله الذي جعل في امتنا مثل ابراهيم الخليل وهذا السفر يحتمل ان يكون ملخصا من التوراة وقوله الا وجبريل معهم يدل على أن جبريل يحضر كل قتال صدر من الصحابة رضي الله تعالى عنهم للكفار بل ظاهره كل قتال صدر حتى من جميع الامة وفي رواية بعضهم نقلا عن سفر من التوراة لا يلقون اي امته عدوا الا وبين ايديهم ملائكة معهم رماح وفي التوراة في صفة أمته صلى الله عليه وسلم زيادة على ما سبق يوضئون اطرافهم ويأتزرون في أوساطهم يصفون في صلاتهم كما يصفون في قتالهم وقد جاء ائتزروا كما رأيت الملائكة اي ليلة الاسراء تأتزر اي مؤتزرة عند ربها الى انصاف سوقها وقد جاء عليكم بالعمائم وأرخوها خلف ظهوركم فانها سيما الملائكة وكلاهما اي الاتزار وارخاء العذبة من خصائص هذه الامة وقد جاء ان العمائم تيجان المسلمين وفي رواية من سيما المسلمين اي علاماتهم المميزة لهم عن غيرهم ويؤخذ من وصفهم بانهم يوضئون اطرافهم ان الامم السابقة كانوا لا يتوضئون ويوافقه قول الحافظ ابن

فامخط قيحا فمات وقيل أكل حوتا مملوحا فما زال يشرب عليه حتى انقدّ بطنه ثم مر الاسود بن عبد يغوث فقال كيف تجد هذا يا محمد قال عبد سوء فأومأ الى رأسه وقال كفيته وقيل أشار اليه وهو قاعد فى أصل شجرة فجعل ينطح برأسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات على كفره ٢٩٠ وقيل اشار جبريل الى بطنه باصبعه فاستسقى بطنه فمات وقيل خرج فى رأسه قروح فمات قال الزرقانى ويمكن انها بسبب نطحه الشجرة وقيل خرج من عند أهله فأصابته السموم حتى صار حبشيا فأتى أهله فلم يعرفوه فأغلقوا دونه الباب فرجع وصار يطوف بشعاب مكة حتى مات عطشا ويمكن الجمع باحتمال وقوع جميع ذلك له ثم مر الاسود ابن مطلب فقال كيف تجد هذا يا محمد قال عبد سوء فأومأ الى عينيه وقال قد كفيته قال ابن عباس رضى الله عنهما رماه بورقة خضراء فعمى بصره كما عميت بصيرته فلم يميز بين الحسن والقبيح ووجعت عينه فضرب برأسه الجدار حتى هلك وهو يقول قتلنى رب محمد وفى رواية انه خرج ليستقبل ولده وقد قدم من الشام فلما كان ببعض الطريق جلس فى ظل شجرة فجعل جبريل يضرب وجهه وعينيه بورقة من ورقها حتى عمى فجعل يستغيث بغلامه فقال له غلامه لا أحد يصنع بك شيأ وقيل ضربه بغصن فيه شوك فسالت حدقتاه وصار يقول من هذا طعن بالشوك فى عينى فيقال له ما نرى شيأ وقيل أتى شجرة فجعل ينطحها برأسه حتى خرجت عيناه وكان يقول دعا علىّ محمد بالعمى فاستجيب له وزاد بعضهم وهلك ابو لهب بالعدسة يعنى الجدرى وهى ميتة شنيعة وعقبة امسى ابن ابى معيط قتل صبرا بعد انصرافه صلى الله عليه وسلم من بدر الى المدينة اشهر بن المعنيين بقوله تعالى انا كفيناك المستهزئين اشار صاحب الهمزية بقوله

حجر ان الوضوء من خصائص الانبياء دون اممهم الا هذه الامة ويوافقه ما رواه ابن مسعود مرفوعا بقول الله تبارك وتعالى افترضت عليهم ان يتطهروا فى كل صلاة كما افترضت على الانبياء اى ان يكونوا طاهرين أوان هذا اى وجوب التطهر لكل صلاة كان فى صدر الاسلام ولم ينسخ الا فى فتح مكة كما سيأتى ويخالف كون الوضوء من خصائص هذه الامة ما رواه الطبرانى فى الاوسط بسند فيه ابن لهيعة عن بريدة قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فتوضأ واحدة واحدة فقال هذا الوضوء الذى لا يقبل الله الصلاة الا به ثم توضأ ثنتين ثنتين فقال هذا وضوء الامم قبلكم ثم توضأ ثلاثا ثلاثا ثم قال هذا وضوئى ووضوء الانبياء من قبلى فان هذا يفيد ان الوضوء كان للامم السابقة لكن مرتين ولانبيائهم كان ثلاثا وعليه فالخاص بهذه الامة التثليث كوضوء الانبياء اى كما اختصت هذه الامة عن عداها بالغرة والتحجيل وعلى هذا يحمل قول ابن حجر الهيتمى ان الوضوء من خصائص هذه الامة بالنسبة لبقية الامم لا لانبيائهم وفى كلام ابن عبد البر قيل ان سائر الامم كانوا يتوضؤن ولا اعرفه من وجه صحيح وفى كلام ابن حجر والذى من خصائصنا اما الكيفية المخصوصة أو الغرة والتحجيل هذا كلامه وهو يفيد ان كون الكيفية المخصوصة ومنها الترتيب من خصائصنا غير مقطوع به بل الامر فيه على الاحتمال ولا يخفى ان الاشارة فى قوله صلى الله عليه وسلم هذا وضوء الامم يدل على الترتيب فقد استدل أئمتنا على وجوب الترتيب بانه صلى الله عليه وسلم لم يتوضأ الا مرتبا باتفاق أصحابه ولو كان جائزا لتركه فى بعض الاحايين وما اعترض به على دعوى الاتفاق بانه جاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه وصف وضوءه صلى الله عليه وسلم فتوضأ فغسل وجهه ثم يديه ثم رجليه ثم مسح رأسه اجيب عنه بضعف هذه الرواية وعلى تقدير صحتها يجوز ان يكون ابن عباس نسى مسح الرأس فذكره بعد غسل رجليه فمسحه ثم اعاد غسل رجليه والراوى عن ابن عباس لم يقف على اعادة ابن عباس غسل رجليه وفى التوراة فى صفة أمته صلى الله عليه وسلم دويهم فى مساجدهم كدوى النحل وفى رواية اصواتهم بالليل فى جو السماء كاصوات النحل رهبان بالليل ليوث بالنهار اذا هم احدهم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة واحدة وان عملها كتبت له عشر حسنات واذا هم احدهم بسيئة فلم يعملها لم تكتب وان عملها كتبت عليه سيئة واحدة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الاول اى وهو التوراة أو جنس الكتب السابقة والكتاب الآخر اى وهو القرآن وروى الامام أحمد وغيره باسناد صحيح قال الله تعالى

وكفاه المستهزئين وكم سا ٭ ء نبيا من قومه استهزاء ٭ خمسة كلهم أصيبوا بداء ٭ والردى من جنوده الادواء
فدهى الاسود بن مطلب أى عمى ميت به الاحياء ٭ ودهى الاسود بن عبد يغوث ٭ أن سقاه كأس الردى استسقاء
وأصاب الوليد خدشة سهم ٭ قصرت عنها الحية الرقطاء ٢٩١ وقضت شوكة على مهجة العا ٭ ص فلله النقعة الشوكاء
وعلى الحرث القيوح وقد سال بها رأسه وساء الوعاء
خمسة طهرت بقطعهم الار ٭ ض فكف الاذى بهم شلاء

وقد جاء عن ابن عباس رضى الله عنهما ان هؤلاء الخمسة هلكوا فى ليلة واحدة فعلم ان هؤلاء هم المرادون بقوله تعالى انا كفيناك المستهزئين كما ذكروان كان المستهزئون غير منحصرين فيهم فلا ينافى ان منهم اونبيها ابنى الحجاج منهم فقد قيل انهما ممن آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانا يلقيانه فيقولان له أما وجد الله من يبعثه غيرك ان ههنا من هو أسن منك وأيسر فان كنت صادقا فأتنا بملك يشهد لك ويكون معك واذا ذكراهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قالا معلم مجنون يعلمه أهل الكتاب ما يأتى به ولا ينافى أيضا عد أبى جهل وغيره منهم كما تقدم وفى السيرة الحلبية نقلا عن سيرة ابن المحدث من قرأ سورة الهمزة أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد وأصحابه ٭ ومن استهزاء أبى جهل أيضا بالنبى صلى الله عليه وسلم انه قال يوما لقريش يا معشر قريش يزعم محمد ان جنود الله الذين يعذبونكم فى النار ويحبسونكم فيها تسعة عشر وأنتم أكثر الناس عددا أفيعجز كل مائة رجل منكم عن واحد منهم وفى رواية ان رجلا من قريش وكان شديدا قوى الباس بلغ من شدته انه كان يقف على جلد البقرة ويجذبه عشرة لينتزعوه من تحت قدمه فيتمزق الجلد ولا يتزحزح قال له انا اكفيك سبعة

اعيسى يا عيسى انى باعث من بعدك نبيا امته ان أصابهم ما يحبون حمدوا وشكروا وان أصابهم ما يكرهون صبروا واحتسبوا ولا حلم ولا علم قال كيف يكون ذلك لهم ولا حلم ولا علم قال اعطيهم من حلمى وعلمى وحينئذ يكون المراد ولا حلم ولا علم لهم كامل وان الله تعالى يكمل علمهم وحلمهم من علمه وحلمه ويدل لذلك ما ذكره بعضهم ان هذه الامة آخر الامم فكان العلم والحلم الذى قسم بين الامم كما شهد به حديث ان الله قسم بينكم اخلاقكم قد دق جدا فلم يدرك هذه الامة الا اليسير من ذلك مع قصر اعمارهم فأعطاهم الله من حلمه وعلمه وجاء انهم مسمون فى التوراة صفوة الرحمن وفى الانجيل حلماء علماء ابرار اتقياء كأنهم من الفقه انبياء (وفى الطبرانى) ان عمر قال لكعب الاحبار كيف تجدنى يعنى فى التوراة قال خليفة قرن من حديد أمير شديد لا تخاف فى الله لومة لائم وزاد عن جواب السؤال قوله ثم الخليفة من بعدك تقتله أمة ظالمون له ثم يقع البلاء بعد وفى صحف شعياء اسمه صلى الله عليه وسلم ركن المتواضعين وفيها انى باعث نبيا اميا افتح به آذانا صما وقلوبا غلفا واعينا عميا مولده بمكة ومهاجره بطيبة وملكه بالشام رحيما بالمؤمنين يبكى للبهيمة المثقلة ويبكى لليتيم فى حجر الارملة لو يمر الى جنب السراج لم يطفئه من سكينته ولو يمشى على القضيب الرعراع يعنى اليابس لم يسمع من تحت قدميه الى آخر الرواية فان فيها طولا وقد ساقها الجلال السيوطى فى الخصائص الكبرى وشعياء هذا كان بعد داود وسليمان وقبل زكريا ويحيى عليهم الصلاة والسلام ٭ ولما نهى بنى اسرائيل عن ظلمهم وعتوهم طلبوه ليقتلوه فهرب منهم فمر بشجرة فانفلقت له ودخل فيها وادركه الشيطان فأخذ بهدبة ثوبه فابرزها فلما رأوا ذلك جاؤا بالمنشار فوضعوه على الشجرة فنشروها ونشروه معها وكان من جملة الرسل الذين عناهم الله تعالى بقوله وقفينا من بعده اى موسى بالرسل وهم سبعة وهو ثالث تلك الرسل السبعة اى وهو المبشر بعيسى وبمحمد صلى الله عليهما وسلم فقال يخاطب بيت المقدس لما شكا له الخراب والقاء الجيف فيه أبشر يأتيك راكب الحمار يعنى عيسى وبعده راكب الجمل يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم وتقدم فى وصفه صلى الله عليه وسلم انه يركب الحمار والبعير وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز ان يكون عيسى اختص بركوب الحمار بخلاف محمد صلى الله عليه وسلم فانه كان يركبهما هذا تارة وهذا أخرى فليتأمل ومن جملتهم ارمياء قيل وهو الخضر والله أعلم واسمه صلى الله عليه وسلم فى الزبور حاط حاط والفلاح الذى يمحق الله به الباطل وفارق وفاروق اى يفرق بين الحق والباطل وهو كأنه فهم معنى فارقليط أو بارقليط بالفاء فى الاول والموحدة فى الثانى وقيل

عشروا كفونى أنتم اثنين وقيل ان هذا الرجل دعا النبى صلى الله عليه وسلم الى المصارعة وقال يا محمد ان صرعتنى آمنت بك فصرعه النبى صلى الله عليه وسلم مرارا فلم يؤمن وفى رواية ان أبا جهل قال اهم أنا أكفيكم عشرة فاكفونى تسعة فانزل الله تعالى وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة ٢٩٢ وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الخ ماذكره فيهم اى لا ينبغى ان تقولوا لم كانوا تسعة عشر وماذا أراد الله بهذا العدد لان ذلك العدد لحكمة استأثر الله بعلمها وقد أبدى بعض المفسرين حكما لذلك تراجع وقد جاء فى وصف تلك الملائكة أن أعينهم كالبرق الخاطف وأنيابهم كالصياصى اى القرون ما بين منكبى أحدهم مسيرة سنة وفى رواية ما بين منكبى احدهم كما بين المشرق والمغرب لاحدهم قوة كقوة الثقلين نزعت الرحمة منهم وأخرج القتبى فى عيون الاخبار عن طاوس ان الله خلق لمالك أصابع على عدد أهل النار وما من احد فى النار الا ومالك يعذبه باصبع من اصابعه فوالله لو وضع مالك اصبعا من اصابعه على السماء لاذابها وهؤلاء التسعة عشرهم الرؤساء ولكل واحد منهم اتباع لا يعلم عدتهم الا الله تعالى قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وعن كعب قال يؤمر بالرجل الى النار فيبتدره مائة ألف ملك اى والمتبادر ان هؤلاء من خزنتها قال بعضهم ان عدد حروف بسم الله الرحمن الرحيم تسعة عشر على عدد الزبانية التسعة عشر فمن قرأها وهو مؤمن دفع الله تعالى عنه بكل حرف منها واحدا منهم ومن استهزاء ابى جهل ايضا انه قال يوما لقريش يا معشر قريش يخوفنا محمد والقاف بشجرة الزقوم يزعم انها شجرة فى النار مع ان النار تأكل الشجر انما الزقوم التمر والزبد فانزل الله تعالى انها شجرة تخرج فى أصل الجحيم اى منبتها فى اصل جهنم ولا تسلط للهب عليها أما علموا ان من قدر على خلق من يعيش فى النار ويلتذ بها فهو أقدر على

معناه الذى يعلم الاشياء الخفية وفى الينبوع ومن الالفاظ التى رضوها لانفسهم يعنى النصارى وترجموها على اختيارهم ان المسيح عليه الصلاة والسلام قال انى أسأل الله ان يبعث اليكم بارقليط آخر يكون معكم الى الابد وهو يعلمكم كل شئ و يفسر لكم الاسرار وهو يشهد لى كما شهدت له و يكون خاتم النبيين ولم يشهد له بالبراءة والصدق فى النبوة بعده الا محمد صلى الله عليه وسلم وقد ذكر صاحب الدر المنظم باسناده ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لعمر رضى الله تعالى عنه يا عمر اتدرى من انا انا الذى بعثنى الله فى التوراة لموسى وفى الانجيل لعيسى وفى الزبور لداود ولا فخر اى لا أقول ذلك على سبيل الافتخار بل على سبيل التحدث بالنعمة يا عمر اتدرى من انا انا اسمى فى التوراة احيد وفى الانجيل البارقليط وفى الزبور حمياطا وفى صحف ابراهيم طاب طاب ولا فخر وذكر صاحب كتاب شفاء الصدور وفى مختصره ان من فضائله صلى الله عليه وسلم ما رواه مقاتل بن سليمان قال وجدت مكتوبا فى زبور داود انى أنا الله لا اله الا أنا ومحمد رسولى ووصف فى مزامير داود بانه يقوى الضعيف الذى لا ناصر له ويرحم المساكين ويبارك عليه فى كل وقت ويدوم ذكره الى الابد وبالجبار فقيل تقلدايها الجبار سيفك فان قيل قال الله تعالى وما أنت عليهم بجبار اجيب بان الاول هو الذى يجبر الخلق الى الحق والثانى هو المتكبر وفيها يا داود سيأتى من بعدك نبى اسمه أحمد ومحمد صادقا لا اغضب عليه ابدا ولا يعصينى ابدا وقد غفرت له قبل ان يعصينى ما تقدم من ذنبه وما تأخر اى على فرض وقوع ذلك الذنب والمراد به خلاف الاولى من باب حسنات الابرار سيئات المقربين اى ما يعد حسنة بالنسبة لمقام الابرار قد يعد سيئة بالنسبة لمقام المقربين لعلو مقامهم وارتفاع شأنهم وأمته مرحومة يأتون يوم القيامة ونورهم مثل نور الانبياء وفى بعض مزامير داود ان الله اظهر من صهيون اكليلا محمودا وصهيون اسم مكة والاكليل الامام الرئيس وهو محمد صلى الله عليه وسلم وفى صحف شيث اخونا خ ومعناه صحيح الاسلام وهذا يدل على ان مزامير داود نسخه مختلفة بالزيادة والنقص وفى صحف ابراهيم اسمه يوذموذ وقيل ان ذلك فى التوراة ولا مانع من وجوده فيهما وتقدم انه فى صحف ابراهيم اسمه طاب طاب ولا مانع من وجود الوصفين فى تلك الصحف (وفى كتاب شعيب) عليه السلام عبدى الذى يثبت شانه انزل عليه وحيى فيظهر فى الامم عدلى لا يضحك اى مع رفع الصوت ومن ثم قال ولا يسمع صوته فى الاصوات لان ضحكه كان التبسم يفتح العيون العور والآذان الصم ويحيى القلوب الغلف وما اعطيه لا اعطيه احدا وفيه أيضا مشقح بالشين المعجمة

خالق الشجرة فى النار وحفظه لها من الاحتراق بها وقد قال ابن سلام انها تحيا باللهب كما تحيا شجر الدنيا بالمطر وغر تلك الشجرة مر له ذفرة وأخرج الترمذى وصححه النساى والبيهقى وابن حبان والحاكم عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو ان قطرة من الزقوم قطرت فى بحار الدنيا لافسدت ٢٩٣ على أهل الارض معايشهم فكيف بمن تكون طعامه ومن استهزاء ابى جهل قوله يا محمد لتتركن سب آلهتنا أو لنسبن الهك الذى تعبد فانزل الله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم فكف عن سب آلهتهم وجعل يدعوهم الى الله عز وجل وفى الدر المنثور للجلال السيوطى فى تفسير انا كفيناك المستهزئين قيل نزلت فى جماعة مر النبى صلى الله عليه وسلم بهم فجعلوا يغمزون فى قفاه ويقولون هذا الذى يزعم انه نبى ومعه جبريل فغمز جبريل عليه السلام باصبعه فى اجسادهم فصارت جروحا وأنتنت فلم يستطع احد ان يدنو منهم حتى ماتوا قال الحلبى فلينظر الجمع اى بين هذا وما تقدم ثم قال وقد يدعى انهم طائفة آخرون غير من ذكر لانهم المستهزؤن ذلك الوقت اى فيكون نزول الآية قد تكرر والله أعلم ومن استهزاء النضر بن الحرث انه كان اذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا يحدث فيه قومه ويحذرهم ما أصاب من قبلهم من الامم من نقمة الله تعالى خلفه فى مجلسه ويقول لقريش هلموا فانى والله يا معشر قريش أحسن حديثا منه يعنى النبى صلى الله عليه وسلم ثم يحدثهم عن ملوك فارس لانه كان يعلم احاديثهم ويقول ما حديث محمد الا اساطير الاولين ويقال انه قال سأنزل مثل ما أنزل الله لانه ذهب الى الحيرة واشترى منها احاديث الاعاجم ثم قدم بها مكة فكان يحدث بها ويقول هذه كاحاديث محمد عن عاد وثمود وغيرهم ويقال ان ذلك سبب نزول قوله تعالى ومن الناس من يشترى لهو الحديث والمشهور

والقاف والحاء المهملة اى زاهى يحمد الله حمدا جديدا اى مخترع لم يسبقه اليه أحد يأتى من اقصى الارض لعل المراد به مكة به تفرح البرية وسكانها وهو ركن المتواضعين وهو نور الله الذى لا يطفأ سلطانه على كتفه وذكر البرية وسكانها اشارة لدولة العرب والمراد بسلطانه على كتفه خاتم النبوة لانه علامة وبرهان على نبوته اى وذكر ابن ظفر أن فى بعض كتب الله المنزلة انى باعث رسولا من الاميين اسدده بكل جميل واهب له كل خلق كريم واجعل الحكمة نطقه والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والحق شريعته والعدل سيرته والاسلام ملته ارفع به من الوضيعة واهدى به من الضلالة وأؤلف به بين قلوب متفرقة واهواء مختلفة واجعل أمته خير الامم وأما ما جاء مما يدل على وجود اسمه الشريف اعنى لفظ محمد مكتوبا فى الاحجار والنبات والحيوان وغير ذلك بقلم القدرة فكثير فمن ذلك ما جاء عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان نقش خاتم سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام لا اله الا الله محمد رسول الله قال المراد فص خاتمه فعن عبادة بن الصامت رضى الله تعالى عنه مرفوعا ان فص خاتم سليمان بن داود كان سماويا اى من السماء القى اليه فوضعه فى خاتمه اى وكان به انتظام ملكه وكان نقشه أنا الله لا اله الا أنا محمد عبدى ورسولى وحينئذ يكون ما تقدم عن جابر وما يأتى يجوز أن يكون روى بالمعنى وكان ينزعه اذا دخل الخلاء واذا جامع وكان عند نزعه يتنكر عليه أمر الناس ولم يجد من نفسه ما كان يجده قبل نزعه * وفى انس الجليل كان نقش خاتم سليمان لا اله الا الله وحده لا شريك له محمد عبده ورسوله ووجد على بعض الحجارة القديمة مكتوب محمد تقى مصلح وسيد أمين وفى جامع مدينة قرطبة بالمغرب عمود أحمر مكتوب فيه بقلم القدرة محمد وعن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اقترف آدم الخطيئة قال يا رب اسألك بحق محمد صلى الله عليه وسلم الا غفرت لى قال وكيف عرفت محمدا وفى لفظ كما فى الوفاء وما محمد ومن محمد قال لانك لما خلقتنى بيدك ونفخت فى من روحك رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انك لم تضف الى اسمك الا أحب الخلق اليك قال صدقت يا آدم ولولا محمد لما خلقتك اى وفى لفظ كما فى الشفاء قال آدم لما خلقتنى رفعت رأسى الى عرشك فاذا فيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انه ليس أحد أعظم قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك فأوحى الله تعالى اليه وعزتى وجلالى انه لآخر النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك وفى الوفاء عن ميسرة قلت يا رسول

انها فى شراء المغنيات ولا بعد ان تكون الآية نزلت فيهما معا لصدقه فيهما وقوله تعالى واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا
يناسب النضر ولما تلا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نبأ الاولين قال النضر بن الحرث لو شئنا لقلنا مثل هذا ان هذا الا
اساطير الاولين وأنزل الله تكذيباله ٢٩٤ قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان
بعضهم لبعض ظهيرا اى معينا له
وجاء ان جماعة من بنى مخزوم
ومنهم ابو جهل والوليد بن المغيرة
تواصوا على قتله صلى الله عليه
وسلم فبينما النبى صلى الله عليه
وسلم قائم يصلى اذ سمعوا قراءته
فأرسلوا الوليد ليقتله فانطلق حتى
أتى المكان الذى يصلى فيه فجعل
يسمع قراءته ولا يراه فانصرف اليهم
وأعلمهم بذلك فأتوه فلما سمعوا
قراءته قصدوا الصوت فاذا الصوت
من خلفهم فذهبوا اليه فسمعوه
من أمامهم ولا زالوا كذلك حتى
انصرفوا خائبين فأنزل الله تعالى
وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن
خلفهم سدا فأغشيناهم فهم
لا يبصرون وقيل فى نزولها غير
ذلك ولا مانع من أن تكون نزلت
للكل وجاء ان النضر بن الحرث
رأى النبى صلى الله عليه وسلم
منفردا اسفل من ثنية الحجون
فقال لا أجده أبدا أخلى منه
الساعة فأغتاله فدنا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليغتاله
فرأى اسودا تضرب بأنيابها على
رأسه فاتحة افواهها فرجع على
عقبه مرعوبا فلقى ابا جهل فقال
من أين فأخبره النضر الخبر فقال
ابو جهل هذا بعض سحره ومما تعنتوا به انه لما نزل قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم اى الحديث
وقودها وحصب بالزنجية حطب اى حطب جهنم وقد قرأتها عائشة رضى الله عنها كذلك انتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة
ما وردوها وكل فيها خالدون شق على كفار قريش وقالوا لعبد الله بن الزبعرى قد زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنا حصب جهنم

الله متى كنت نبيا قال لما خلق الله الارض واستوى الى السماء فسواهن سبع سموات
وخلق العرش كتب على ساق العرش محمد رسول الله خاتم الانبياء وخلق الله الجنة التى
اسكنها آدم وحواء وكتب اسمى اى موصوفا بالنبوة أو بما هو اخص منها وهو الرسالة على
ما هو المشهور على الابواب والاوراق والقباب والخيام وآدم بين الروح والجسد اى قبل
ان تدخل الروح جسده فلما احياه الله نظر الى العرش فرأى اسمى فأخبره الله تعالى انه
سيد ولدك فلما غرهما الشيطان تابا واستشفعا باسمى اليه اى فقد وصف صلى الله عليه
وسلم بالنبوة قبل وجود آدم وفيه أيضا عن سعيد بن جبير اختصم ولد آدم اى الخلق اكرم
على الله تعالى فقال بعضهم آدم خلقه الله بيده واسجد له ملائكته وقال آخرون بل
الملائكة لانهم لم يعصوا الله عز وجل فذكروا ذلك لآدم فقال لما نفخ فى الروح لم تبلغ
قدمى حتى استويت جالسا فبرق لى العرش فنظرت فيه محمد رسول الله فذاك اكرم الخلق
على الله عز وجل قيل وكان يكنى آدم بأبى محمد وبأبى البشر وظاهره انه كان يكنى بذلك
فى الدنيا وتقدم انه يكنى بأبى محمد فى الجنة ومن ذلك ما جاء عن عمر بن الخطاب أيضا رضى
الله تعالى عنه قال لكعب الاحبار رضى الله تعالى عنه اخبرنا عن فضائل رسول الله صلى
الله عليه وسلم قبل مولده قال نعم يا أمير المؤمنين قرأت ان ابراهيم الخليل وجد حجرا مكتوبا
عليه أربعة اسطر الاول انا الله لا اله الا انا فاعبدنى والثانى انا الله لا اله الا انا محمد رسولى
طوبى لمن آمن به واتبعه والثالث انا الله لا اله الا انا الحرم لى والكعبة بيتى من دخل بيتى
أمن من عذابى ولينظر الرابع اى وذكر بعضهم ان فى سنة أربع وخمسين وأربعمائة
عصفت ريح شديدة بخراسان كريح عاد انقلبت منها الجبال وفرت منها الوحوش فظن
الناس ان القيامة قد قامت وابتهلوا الى الله تعالى فنظروا فاذا نور عظيم قد نزل من السماء
على جبل من تلك الجبال ثم تأملوا الوحوش فاذا هى منصرفة الى ذلك الجبل الذى سقط فيه
ذلك النور فسار وامعها اليه فوجدوا به صخرة طولها ذراع فى عرض ثلاثة اصابع وفيها
ثلاثة اسطر سطر فيه لا اله الا انا فاعبدون وسطر فيه محمد رسول الله القرشى وسطر ثالث فيه
احذروا وقعة المغرب فانها تكون من سبعة أو تسعة والقيامة قد أزفت اى قربت وجاء
ان آدم عليه الصلاة والسلام قال طفت السموات فلم أر فى السموات موضعا الا رأيت
اسم محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبا عليه ولم أر فى الجنة قصرا ولا غرفة الا اسم محمد
مكتوب عليه ولقد رأيت اسمه صلى الله عليه وسلم على نحور الحور العين وورق آجام اى
ورق قصب آجام الجنة وشجرة طوبى وسدرة المنتهى والحجب وبين أعين الملائكة وهذا

فقال ابن الزبعرى أنا أخصم لكم محمدا ادعوه لي فدعوه فقال يا محمد هذا شيء لآلهتنا خاصة أم لكل من عبد من دون الله فقال بل لكل من عبد من دون الله فقال ابن الزبعرى خصمت ورب هذه البنية يعني الكعبة ألست تزعم ان عيسى عبد من دون الله وكذا عزيرا والملائكة عبدت النصارى عيسى واليهود عزيرا وبنو مليح الملائكة فضح الكفار وفرحوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابن الزبعرى ما أجهلك بلغة قومك ما لما لا يعقل يعني ما في قوله تعالى وما تعبدون وأنزل الله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون كعيسى وعزيرا والملائكة وهذا الحديث ان صح كان نصا من الشارع لقول النحويين ما لما لا يعقل ومن تعنتهم واستهزائهم سؤالهم انشقاق القمر قيل انهم سألوه آية غير معينة فانشق القمر وقيل بل سألوه آية معينة وهي انشقاق القمر فانشق وجمع بين الروايتين بأنهم سألوا آية غير معينة أولا ثم عينوها بانشقاق القمر قال ابن عباس رضي الله عنهما اجتمع المشركون على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين نصفا على ابي قبيس ونصفا على قعيقعان وكانت ليلة أربعة عشر وهي ليلة البدر فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فعلت تؤمنوا قالوا نعم فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه أن يعطيه ما سألوا فانشق القمر فرقتين نصفا على ابي قبيس ونصفا على قعيقعان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا اشهدوا وفي رواية فانشق القمر نصفين نصفا على الصفا ونصفا على المروة قدر ما بين العصر الى الليل ينظر اليه ثم غاب وفي رواية انه عاد بعد غروبه وفي رواية فانشق مرتين والمراد فرقتين جمعا بين الروايات وعند ذلك قال كفار قريش سحركم محمد فقال رجل منهم ان كان محمد سحر القمر بالنسبة اليكم فانه لا يبلغ من سحره أن يسحر الارض كلها اي جميع أهل الارض فاسألوا من يأتيكم من

الحديث قد حكم بعض الحفاظ بوضعه اي وقد علمت ان أول شيء كتب القلم في اللوح المحفوظ بسم الله الرحمن الرحيم اني انا الله لا اله الا انا محمد رسولي من استسلم لقضائي وصبر على بلائي وشكر على نعمائي ورضي بحكمي كتبته صديقا وبعثته يوم القيامة مع الصديقين وفي رواية مكتوب في صدر اللوح المحفوظ لا اله الا الله دينه الاسلام محمد عبده ورسوله فمن آمن بهذا ادخله الله الجنة وفي رواية لما أمر الله القلم ان يكتب ما كان وما يكون كتب على سرادق العرش لا اله الا الله محمد رسول الله يتأمل هذا فانه ان كان المراد كما هو المتبادر ان القلم لما أمر ان يكتب ما ذكر كان أول شيء كتبه على سرادق العرش ما ذكر ثم تمم كتابة ما أمر به على ذلك كما كتب أول ما ذكر البسملة في اللوح المحفوظ ثم تمم كتابة ما أمر به يلزم ان يكون القلم كتب ما كان وما يكون في اللوح وعلى سرادق العرش ومن ذلك ما جاء عن عمر بن الخطاب أيضا رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان آدم عليه الصلاة والسلام قال وجدت اسم محمد صلى الله عليه وسلم على ورق شجرة طوبى وعلى ورق سدرة المنتهى اي وعلى ورق قصب آجام الجنة ومن ثم قال السيوطي في الخصائص الكبرى من خصائصه صلى الله عليه وسلم كتابة اسمه الشريف مع اسم الله تعالى على العرش وفيها لما خلقت العرش على الماء اضطرب فكتبت عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن ومكتوب اسمه صلى الله عليه وسلم على سائر ما في الملكوت اي من السموات والجنان وما فيهن وفي الخصائص الصغرى له أيضا ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم كتابة اسمه الشريف على العرش وكل سماء والجنان وما فيها وسائر ما في الملكوت (أقول) ولا يخالف هذا اي ما تقدم عن آدم ما جاء على تقدير صحته ان آدم لما نزل الى الارض استوحش فنزل جبريل عليه السلام فنادى بالاذان الله أكبر الله أكبر مرتين اشهد ان لا اله الا الله مرتين اشهد ان محمدا رسول الله مرتين قال آدم من محمد قال جبريل هو آخر ولدك من الانبياء لجواز ان يكون آدم عليه السلام أراد ان يستثبت هل هو محمد الذي رأى اسمه مكتوبا وأخبر بأنه آخر الانبياء من ذريته وانه لولاه ما خلقه واستشفع به أو غيره فليتأمل وانما قلنا على تقدير صحته لانه سيأتي في بدء الاذان ان في سند هذا الحديث مجاهيل وذكر صاحب كتاب شفاء الصدور في مختصره عن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل انه قال يا محمد وعزتي وجلالي لولاك ما خلقت أرضي ولا سمائي ولا رفعت هذه الخضراء ولا بسطت هذه الغبراء وفي رواية عنه ولا خلقت سماء ولا أرضا ولا طولا ولا عرضا وبهذا يرد على من رد على القائل

بلدا آخر فسألوا القادمين من كل فج هل رأوا هذا فاخبروهم انهم رأوا مثل ذلك فعند ذلك قالوا هذا سحر مستمر اى مطرد وهذا الكلام صريح فى ان رؤية الانشقاق حصلت لجميع أهل الآفاق لا انها مختصة بأهل مكة وهو كذلك وقد اشار سبحانه وتعالى الى ذلك بقوله اقتربت الساعة وانشق القمر ٢٩٦ وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وستأتى ان شاء الله هذه القصة بابسط مما هنا عند ذكر المعجزات فى آخر الكتاب ومن الآيات التى ظهرت على يديه صلى الله عليه وسلم فى أول البعثة بمكة قصة ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف القرشى الصحابى المكى أسلم رضى الله عنه عام الفتح وتوفى بالمدينة فى خلافة معاوية رضى الله عنه سنة اثنتين وأربعين من الهجرة وكان شديد البأس قويا جسيما معروفا بالقوة فى المصارعة بحيث انه لم يصرعه أحد قط ولا مس جنبه الارض مغلوبا قط وقد صح انه صلى الله عليه وسلم صارعه فصرعه وكان ركانة قبل اسلامه يرعى غنما له بوادى وهو من أفتك الناس وأشدهم فخرج صلى الله عليه وسلم يوما من بيته وتوجه لذلك الوادى فلقيه ركانة وليس ثمة احد غيرهما فقال له انت الذى تشتم آلهتنا وتدعو الهك العزيز ولولا رحم بينى وبينك قتلتك ولكن ادع الهك أن ينجيك منى اليوم وأنا ادعوك لامر وهو ان تصارعنى وتدعو الهك وأدعو اللات والعزى فان غلبتنى فلك من غنمى هذه عشرة تختارها فصارعه صلى الله عليه وسلم فغلبه فقال لم تصرعنى وانما غلبنى الهك وخذلنى اللات والعزى وما وضع جنبى على الارض احد قبلك ولكن عد فان صرعتنى فلك عشرة أخرى فعاد فصرعه فقال له كما قال أولا ثم عاد ثالثة فصرعه فقال له دونكها ثلاثين من غنمى تختارها فقال له النبى صلى الله عليه وسلم لا أريد ذلك ولكن أدعوك الى الاسلام فأسلم تسلم من النار فقال لا الا أن تريني

فى مدحه صلى الله عليه وسلم

لولاه ما كان لا فلك ولا فلك * كلا ولا بان تحريم وتحليل

بان قوله لولاه ما كان لا فلك ولا فلك مثل هذا يحتاج الى دليل ولم يرد فى الكتاب ولا فى السنة مايدل على ذلك فيقال له بل جاء فى السنة مايدل على ذلك والله أعلم * ومن ذلك ما حدث به بعضهم قال غزونا الهند فوقعت فى غيضة فاذا فيها شجر عليه ورق احمر مكتوب عليه بالبياض لا اله الا الله محمد رسول الله وعن بعضهم رأيت فى جزيرة شجرة عظيمة لها ورق كبير طيب الرائحة مكتوب عليه بالحمرة والبياض فى الخضرة كتابة بينة واضحة خلقة ابتدعها الله تعالى بقدرته فى الورقة ثلاثة اسطر الاول لا اله الا الله والثانى محمد رسول الله والثالث ان الدين عند الله الاسلام وعن بعض آخر قال دخلت بلاد الهند فرأيت فى بعض قراها شجر ورد اسود ينفتح عن وردة كبيرة سوداء طيبة الرائحة مكتوب عليها بخط ابيض لا اله الا الله محمد رسول الله ابو بكر الصديق عمر الفاروق فشككت فى ذلك وقلت انه معمول فعمدت الى وردة كبيرة لم تفتح فرأيت فيها كما رأيت فى سائر الورق وفى البلد منه شئ كثير وأهل تلك البلاد يعبدون الحجارة ونقل ابن مرزوق فى شرح البردة عن بعضهم قال عصفت بنا ريح ونحن فى لجج بحر الهند فارسينا فى جزيرة فرأينا فيها وردا احمر ذكى الرائحة مكتوب عليه بالاصفر براءة من الرحمن الرحيم الى جنات النعيم لا اله الا الله محمد رسول الله اى ومن ذلك ما حكاه بعضهم قال رأيت فى بلاد الهند شجرة تحمل ثمرا يشبه اللوز له قشران فاذا كسر خرج منه ورقة خضراء مطوية مكتوب عليها بالحمرة لا اله الا الله محمد رسول الله كتابة جلية وهم يتبركون بتلك الشجرة ويستسقون بها اذا منعوا الغيث هذا وفى مزيل الخفاء الاقتصار على لا اله الا الله اى وحينئذ لا يكون شاهدا على ما ذكرناه اى ومن ذلك ما حكاه الحافظ السلفى عن بعضهم ان شجرة ببعض البلاد لها أوراق خضر وعلى كل ورقة مكتوب بخط اشد خضرة من لون الورق لا اله الا الله محمد رسول الله وكان أهل تلك البلاد اهل اوثان وكانوا يقطعونها ويقوون اثرها فترجع الى ما كانت عليه فى اقرب وقت فأذابوا الرصاص وجعلوه فى أصلها فخرج من حول الرصاص أربع فروع على كل فرع لا اله الا الله محمد رسول الله فصاروا يتبركون ويستشفون بها من المرض اذا اشتد ويخلقونها بالزعفران وأجل الطيب * ومن ذلك انه وجد فى سنة سبع أو تسع وثمانمائة حبة عنب فيها بخط بارع بلون اسود محمد ومن ذلك ما ذكره بعضهم انه اصطاد سمكة مكتوب على جنبها الايمن لا اله الا الله وعلى جنبها الايسر محمد

آية فقال له ان أريتك آية تسلم قال نعم وكان بقربه شجرة سمرة فقال لها أقبلي باذن الله تعالى فانشقت اثنتين وأقبل نصفها حتى كان بين يديه صلى الله عليه وسلم ويدي ركانة فقال أريتني أمرا عظيما فمرها فلترجع فقال ان أمرتها فرجعت تسلم قال نعم فامرها فرجعت والتأمت بقضبانها وفروعها مع نصفها الآخر فقال له أسلم فقال اكره أن يتحدث نساء المدينة يعني مكة وصبيانها بأني أجبتك لرعب قلبي منك ولكن الغنم لك فقال له لا حاجة لي بها وانطلق صلى الله عليه وسلم فلقيه أبو بكر رضي الله عنه فقال للنبي صلى الله عليه وسلم تخرج الى هذا الوادي وبه ركانة فضحك النبي صلى الله عليه وسلم واخبر ابا بكر رضي الله عنه بالقصة فتعجب ابو بكر رضي الله عنه وتقدم انه لم يسلم ركانة الا عام الفتح رضي الله عنه

(باب في بيان تعذيب كفار قريش للمستضعفين من المؤمنين)

قال في المواهب وشرحها ما زال النبي صلى الله عليه وسلم مستخفيا هو والمسلمون في دار الارقم حتى نزل عليه قوله تعالى فاصدع بما تؤمر فجهر هو واصحابه بالدعوة الى الله تعالى فكان ذلك في السنة الثالثة من النبوة وهي المدة التي أخفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها امره الى ان امره الله باظهاره فبادأ قومه بالاسلام وكرر ذلك وأكده وبالغ في اظهار الحجة حتى كأنه صدع قلوبهم بها واورده عليهم من الحجج والبراهين التي عجزوا عن دفعها كما امره الله تعالى ومع ذلك لم يبعد منه قومه ولم يردوا عليه بل قال الزهري كانوا غير منكرين لما يقول وكان اذا مر عليهم في مجالسهم يقولون هذا ابن عبد المطلب يكلم من في السماء واستمروا على ذلك حتى ذكر آلهتهم وعابها لما دخل المسجد يوما فوجدهم يسجدون للاصنام فنهاهم وقال ابطلتم دين ابيكم ابراهيم فقالوا انما نسجد لها لتقربنا الى الله تعالى فلم يرض بذلك منهم وعاب صنيعهم فأجمعوا

محمد رسول الله قال فلما رأيتها القيتها في البحر احتراما لها (وعن بعض آخر) قال ركبت بحر الغرب ومعنا غلام معه سنارة فادلاها في البحر فاصطاد سمكة قدر شبر بيضاء فنظرنا فاذا مكتوب بالاسود على اذنها الواحدة لا اله الا الله وفي قفاها وخلف اذنها الاخرى محمد رسول الله فقذفناها في البحر (وعن بعضهم) انه ظهرت له سمكة بيضاء واذا على قفاها مكتوب بالاسود لا اله الا الله محمد رسول الله (وعن ابن عباس) رضي الله تعالى عنهما قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا بطائر في فمه لوزة خضراء فألقاها فأخذها النبي صلى الله عليه وسلم فوجد فيها دودة خضراء مكتوب عليها بالاصفر لا اله الا الله محمد رسول الله (ومن ذلك) ما حكاه بعضهم انه كان بطبرستان قوم يقولون لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا يقرون لمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة وحصل منهم افتتان في يوم شديد الحر فظهرت سحابة شديدة البياض فلم تزل تنشأ حتى أخذت ما بين الخافقين وحالت بين السماء والبلاد فلما كان وقت الزوال ظهر في السحابة بخط واضح لا اله الا الله محمد رسول الله فلم تزل كذلك الى وقت العصر فتاب كل من كان افتتن واسلم اكثر من كان بالبلد من اليهود والنصارى (ومن ذلك) ما جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال بلغني في قول الله تعالى وكان تحته كنز لهما قال كان لوحا من ذهب وقيل لوح من رخام مكتوب فيه عجبا لمن ايقن بالموت اي بانه يموت كيف يفرح عجبا لمن ايقن بالحساب اي انه يحاسب كيف يغفل عجبا لمن ايقن بالقضاء اي ان الامور بالقضاء والقدر كيف يحزن عجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله (وروى) البيهقي وغيره عن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه ان الكنز الذي ذكره الله تعالى في كتابه لوح من ذهب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن ايقن بالقدر ثم ينصب اي يتعب عجبت لمن ذكر النار ثم يضحك عجبت لمن ذكر الموت ثم غفل لا اله الا الله محمد رسول الله وفي لفظ لا اله الا أنا محمد عبدي ورسولي وفي تفسير القاضي البيضاوي عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق اي ان الله رازقه كيف ينصب اي يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله (اقول) قد يقال يجوز ان يكون ما ذكر أولا في احد وجهي ذلك اللوح وما ذكر ثانيا في الوجه الثاني أو ان بعض الرواة زاد وبعضهم نقص وبعضهم روى بالمعنى وحفظ ذلك الكنز لاجل صلاح أبيهما وكان تاسع أب لهما وقد قال محمد بن المنكدر ان الله يحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده وبقعته التي

هو فيهما والدويرات حوله فلا يزالون فى حفظ الله وستره (ويذكر) ان بعض العلويةهم هرون الرشيد بقتله فلما دخل عليه اكرمه وخلى سبيله فقيل له بماذا دعوت حتى نجاك الله فقال قلت يامن حفظ الكنز على الصبيين لصلاح أبيهما احفظنى منه لصلاح آبائى كذا فى العرائس والله أعلم (ومن ذلك) ماجاء عن جابر رضى الله تعالى عنه قال مكتوب بين كتفى آدم محمد رسول الله خاتم النبيين اى وذكر بعضهم انه شاهد فى بعض بلاد خراسان مولودا على احد جنبيه مكتوب لا اله الا الله وعلى الآخر محمد رسول الله * اى ومن ذلك ماحكاه بعضهم قال ولد عندى فى عام أربعة وسبعين وستمائة جدى اسود غرته بيضاء على شكل الدائرة وفيها مكتوب محمد بخط فى غاية الحسن والبيان * وماحكاه بعضهم قال شاهدت ببلدة من بلاد افريقية بالمغرب رجلا ببياض عينه اليمنى من أسفل مكتوب بعرق احمر كتابة مليحة محمد رسول الله (وذكر) الشيخ عبد الوهاب الشعرانى نفعنا الله تعالى ببركته فى كتابه لواقح الانوار القدسية فى قواعد السادة الصوفية وفى يوم كتابتى لهذا الموضع رأيت علما من اعلام النبوة وذلك ان شخصا أتانى برأس خروف شواها وأكلها وأرانى فيها مكتوبا بالخط الهى على الجبين لا اله الا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق يهدى به من يشاء يهدى به من يشاء قال الشيخ عبد الوهاب وتكرير ذلك لحكمة فان الله لايسهو هذا كلامه وقد يقال لعل الحكمة التأكيد اعلاما لمقام الهداية كيف وهو المجانب لمقام الضلالة والغواية (وعن الزهرى) قال شخصت الى هشام بن عبد الملك فلما كنت بالبلقاء رأيت حجرا مكتوبا عليه بالعبرانية فارشدت الى شيخ يقرؤه فلما قرأه ضحك وقال أمر عجيب مكتوب عليه باسمك اللهم جاء الحق من ربك بلسان عربى مبين لا اله الا الله محمد رسول الله وكتبه موسى بن عمران

(باب سلام الحجر والشجر عليه صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه)

عن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل ان ابعث انى لاعرفه الآن قال جاء فى بعض الروايات ان هذا الحجر هو الحجر الاسود اى وقيل غيره وانه هو الذى فى زقاق بمكة يعرف بزقاق الحجر اى ولعله غير الحجر الذى به اثر المرفق ذكر انه صلى الله عليه وسلم اتكأ عليه بمرفقه وهو الذى يقال له زقاق المرفق وغير الحجر الذى به اثر الاصابع وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد الله تعالى كرامته بالنبوة كان اذا خرج لحاجته اى لحاجة الانسان ابعد حتى لايرى بيتا ويفضى الى الشعاب وبطون الاودية فلا يمر بحجر ولا شجر الا قال الصلاة والسلام عليك يارسول الله وكان

على مخالفته وعداوته الا من عصم الله بالاسلام وهم قليلون مستخفون وحدب اى عطف عليه عمه ابو طالب ومنعه وقام دونه كما تقدم واشتد الامر بين القوم وضرب بعضهم بعضا واظهر بعضهم لبعض العداوة وتذامرت اى تشاورت قريش على من اسلم منهم يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم وكان ذلك باغراء من ابى جهل لعنه الله كان اذا سمع برجل اسلم وله شرف ومنعة لامه وقال تركت دين ابيك وهو خير منك لنسفهن حلمك ولنفلين رأيك ولنضعن شرفك وان كان تاجرا قال لنكسدن تجارتك ولنهلكن مالك وان كان ضعيفا ضربه (فمن عذب فى الله لاجل أن يفتتن فى دينه فثبت عمار ابن ياسر رضى الله عنهما) كان يعذب بالنار وكان صلى الله عليه وسلم يمر به وهو يعذب فيمر يده على رأسه ويقول يانار كونى بردا وسلاما على عمار كما كنت على ابراهيم عليه السلام وكشف عن ظهر عمار فوجد اثر النار به أبيض كالبرص ولعل حصول ذلك كان قبل دعائه له صلى الله عليه وسلم بان النار تكون عليه بردا وسلاما وعن ام هانئ بنت ابى طالب رضى الله عنها قالت ان عمار ابن ياسر واباه واخاه عبد الله وسمية ام عمار رضى الله عنهم كانوا يعذبون فى الله فمر بهم النبى صلى الله عليه وسلم فقال صبرا آل ياسر صبرا آل ياسر فان موعدكم الجنة وفى رواية صبرا يا آل ياسر اللهم اغفر لآل ياسر وقد فعلت فمات ياسر فى العذاب وأعطيت سمية ام عمار لابى جهل يعذبها أعطاها له عمه أبو حذيفة بن المغيرة فانها كانت مولاته فأخذها أبو جهل وعذبها تعذيبا شديدا رجاء أن تفتتن فى دينها فلم تجبه لما يسأل ثم طعنها فى فرجها بحربة فماتت وكان يقول لها ما آمنت بمحمد الا انك عشقتيه لجماله فقيل انها أول شهيد فى الاسلام رضى الله عنها وعن بعضهم كان ابو جهل يعذب عمار بن ياسر وامه ويجعل لعمار درعا من حديد فى اليوم الصائف وفيه

يلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى احدا اه والى ذلك يشير صاحب الاصل بقوله

لم يبق من حجر صاب ولا شجر * الاوسلم بل هناه ماوهبا

والى ذلك يشير أيضا صاحب الهمزية بقوله

والجمادات افصحت بالذى اخـــرس عنه لاحمد الفصحاء

اى والجمادات التى لا روح فيها انطقت بكلام فصيح لا تلعثم فيه اى بالشهادة له صلى الله عليه وسلم بالرسالة ولم تنطق به أهل الفصاحة والبلاغة وهم الكفار من قريش وغيرهم وعن على رضى الله تعالى عنه قال كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا فى بعض نواحيها فما استقبله جبل ولا شجر الا وهو يقول السلام عليك يارسول الله (اقول) والى تسليم الحجر قبل البعثة يشير الامام السبكى رحمه الله تعالى فى تائيته بقوله

وماجزت بالاحجار الا وسلمت * عليك بنطق شاهد قبل بعثة

وأما حديث عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اوحى الى جعلت لا امر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يارسول الله وما ذكره بعضهم ان الجن قالوا له صلى الله عليه وسلم بمكة من يشهد انك رسول الله قال تلك الشجرة ثم قال لها من أنا فقالت رسول الله فليس من المترجم له وفى الخصائص الصغرى وخص بتسليم الحجر وبكلام الشجر وبشهادتهما له بالنبوة واجابتهما دعوته وفى كلام السهيلى يحتمل ان يكون نطق الحجر والشجر كلاما مقرونا بحياة وعلم ويحتمل ان يكون صوتا مجردا غير مقترن بحياة وعلم وعلى كل هو علم من اعلام النبوة وفى كلام الشيخ محيى الدين بن العربى اكثر العقلاء بل كلهم يقولون عن الجادات لا تعقل فوقفوا عند بصرهم والامر عندنا ليس كذلك فاذا جاءهم عن نبى أو ولى ان حجرا كلمه مثلا يقولون خلق الله فيه العلم والحياة فى ذلك الوقت والامر عندنا ليس كذلك بل سر الحياة سار فى جميع العالم وقد ورد ان كل شئ سمع صوت المؤذن من رطب ويابس يشهد له ولا يشهد الا من علم واطال فى ذلك وقال قد اخذ الله بابصار الانس والجن عن ادراك حياة الجماد الا من شاء الله كنحن واضرابنا فانا لا نحتاج الى دليل فى ذلك لكون الحق تعالى قد كشف لنا عن حياتها عينا واسمعنا تسبيحها ونطقها وكذلك اندكاك الجبل لما وقع التجلى انما كان ذلك منه لمعرفته بعظمة الله عز وجل ولولا ما عنده من العظمة لما اندك كذلك والله اعلم

(باب بيان حين المبعث وعموم بعثته صلى الله عليه وسلم)

قال ابن اسحق لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين سنة بعثه الله رحمة للعالمين

نزل أحسب الناس أن يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون وجاء أن عمارا رضى الله عنه قال للنبى صلى الله عليه وسلم لقد بلغ منا العذاب كل مبلغ فقال النبى صلى الله عليه وسلم صبرا ابا اليقظان ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم لا تعذب احدا من آل عمار بالنار وكانت امه سمية سابعة سبعة فى الاسلام وقتلت وهى عجوز كبيرة ورؤى مرة فى ظهر عمار رضى الله عنه أثر كالمخيط فسئل عنه فقال هذا ما كانت تعذبنى قريش فى رمضاء مكة وجاء انهم بعد ان قتلوا اباه وامه تلفظ لهم بالكفر ظاهرا فقيل للنبى صلى الله عليه وسلم قد كفر عمار فقال كلا والله ان الايمان قد خالط بشاشة قلبه وفيه انزل الله تعالى من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم وروى انه كان يعذب حتى لا يدرى ما يقول ثم فرج الله عنه بعد طول تعذيبه حتى عاش الى خلافة على رضى الله عنه وقتل بصفين ووردت فى فضائله احاديث كثيرة رضى الله عنه (وممن كان يعذب فى الله خباب بن الارت رضى الله عنه) فى البخارى عن خباب بن الارت رضى الله عنه قال أتيت النبى صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة فى ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة شديدة فقلت يارسول الله الا تدعو الله لنا فقعد محمرا وجهه فقال انه كان من قبلكم ليمشط أحدهم بامشاط الحديد مادون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه ليظهرن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه وعن خباب بن الارت ايضا رضى الله عنه يحكى عن نفسه قال لقد رأيتنى يوما وقد اوقدوا لى نارا ووضعوها على ظهرى فما اطفأها الا ودك ظهرى اى دهنه وكان خباب رضى الله عنه قينا اى حدادا وكان قد سبى من اهله فى الجاهلية فاشترته امرأة تسمى ام انمار فلما اسلم صارت مولاته

تعذبه تأخذ الحديدة وقد احمتها فى النار فتضعها على رأسه فشكى ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم انصر خبابا فاشتكت مولاته رأسها فكانت تعوى مع الكلاب فقيل لها اكتوى فكانت تأمر خبابا فيأخذ الحديد فيكوى به رأسها وكان ابو بكر الصديق رضى الله عنه اذا مر باحد من العبيد يعذب اشتراه واعتقه وهم كثيرون (منهم بلال رضى الله عنه) وكان مولى لامية بن خلف الجمحى واشترى حمامة ام بلال رضى الله عنها وعامر بن فهيرة رضى الله عنه وابا فكيهة رضى الله عنه وجارية بنى المؤمل وتسمى لبينة تصغير لبنة والنهدية وبنتها وزنيرة وامة بنى زهرة (فما كان يعذب به بلال رضى الله عنه) ما رواه ابن اسحق ان امية بن خلف كان يخرج بلالا اذا حميت الظهيرة بعد ان يجيعه ويعطشه ليلة ويوما فيطرحه على ظهره فى الرمضاء اى الرمل اذا اشتدت حرارته ولو وضعت عليه قطعة لحم انضجت ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له لا تزال هكذا حتى تموت او تكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وتعبد اللات والعزى فيأبى ذلك وقيل ان بلالا رضى الله عنه كان لعبد الله بن جدعان من جملة مماليكه فلما بعث النبى صلى الله عليه وسلم أمر عبد الله بن جدعان بهم فأخرجوا من مكة خوف اسلامهم فأخرجوا الا بلالا رضى الله عنه فانه كان يرعى غنمه ويكتم اسلامه فجاء يوما الى الاصنام التى حول الكعبة وصار يصق عليها ويقول خاب وخسر من عبدك فشعرت به قريش فشكوه الى عبد الله بن جدعان قالوا له اصبوت قال ومثلى يقال له هذا بناء فقالوا له ان اسودك صنع كذا وكذا فأعطاهم مائة من الابل ينحرونها للاصنام ومكنهم من تعذيب بلال رضى الله عنه ويجوز ان يكون ابن جدعان بعد ذلك ملكه لامية بن خلف فكان يتولى تعذيبه فلا ينافى ما تقدم وقد مر عليه ورقة بن نوفل وهو يقول

وكافة للناس اجمعين وكان الله قد اخذ له الميثاق على كل نبى بعثه قبله بالايمان به والتصديق له والنصر على من خالفه وان يؤدوا ذلك الى كل من آمن بهم وصدقهم اى فهم وامهم من جملة أمته صلى الله عليه وسلم كما سيأتى عن السبكى فعن انس بن مالك رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث على رأس الاربعين قال وهذا هو المشهور بين الجمهور من اهل السير والعلم بالاثر وقيل بزيادة يوم وقيل بزيادة عشرة ايام وقيل بزيادة شهرين وقيل بزيادة سنتين وهو شاذ واكثر منه شذوذا ما قيل انه بزيادة ثلاث سنين وما قيل انه بزيادة خمس سنين قال بعضهم والاربعون هى سن الكمال ونهاية بعث الرسل اى لا يرسلون دونها ومن ثم قال فى الكشاف ويروى انه لم يبعث نبى الا على رأس اربعين سنة هذا كلام الكشاف واما ما يذكر عن المسيح انه رفع الى السماء وهو ابن ثلاث او اربع وثلاثين سنة اى ومعلوم انه دعى الى الله قبل ذلك فهو قول شاذ حكاه وهب بن منبه عن النصارى اه اى وعليه جرى غير واحد من المفسرين بل قال فى ينبوع الحياة لم يبلغنى ان احدا من المفسرين ذكر فى مبلغ سنه اذ رفع اكثر من ثلاث وثلاثين سنة هذا كلامه وفى الهدى واما ما يذكر عن المسيح انه رفع الى السماء وله ثلاث وثلاثون سنة فهذا لا يعرف به اثر متصل يجب المصير اليه هذا كلامه ويوافق ما تقدم عن المفسرين وما فى العرائس ولما تمت له يعنى عيسى عليه السلام ثلاثون سنة أوحى الله تعالى اليه ان يبرز للناس ويدعوهم ويضرب الامثال لهم ويداوى المرضى والزمنى والعميان والمجانين ويقمع الشياطين ويذلهم ويدحرهم ففعل ما أمر به واظهر المعجزات فاحيى ميتا يقال له عازر بعد ثلاثة ايام من موته وعبارة الجلال المحلى فى قطعة التفسير احيا عيسى عليه الصلاة والسلام اربعة عازر صديقا له وابن العجوز وابنة العاشر وسام بن نوح هذا كلامه وذكر البغوى قصة كل واحد فراجعه وكان عيسى عليه الصلاة والسلام يمشى على الماء ومكث فى الرسالة ثلاث سنوات ثم رفع ويوافق ذلك ايضا قول ابن الجوزى واما حديث ما من نبى الا نبئ بعد الاربعين فموضوع لان عيسى عليه الصلاة والسلام نبئ ورفع الى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة اى نبئ وهو ابن ثلاثين سنة ورفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة بل قيل نبئ وهو طفل فاشتراط الاربعين فى حق الانبياء عليهم الصلاة والسلام ليس بشئ هذا كلامه اى وفيه ان هذا بمجرده لا يدل على وضع الحديث ويوافقه ايضا قول القاضى البيضاوى ونبئ نوح وهو ابن خمسين سنة وقيل اربعين ويوافقه ايضا قول بعضهم ومما يدل على ان بلوغ الاربعين ليس شرطا للنبوة قصة سيدنا يحيى صلوات الله وسلامه عليه

احدا احد فقال ورقة نعم احدا احد والله يا بلال ثم ان ورقة بن نوفل قال لامية والله لئن قتلتموه لاتخذنه حنانا اى لاتخذن قبره منسكا ومترحما (يروى ان بلالا رضى الله عنه) حين اشتراه الصديق كان يعذب تحت الحجارة وهانت نفسه عليه فى الله عز وجل فلم يبال بتعذيبهم وكانوا يعطونه للولدان فيربطونه بحبل ويطوفون به فى شعاب ٣٠١ مكة وهو يقول احد احد فمزج مرارة العذاب بحلاوة الايمان وهذا كما وقع له ايضا عند موته كانت امرأته تقول واكرباه وهو يقول واطرباه غدا ألقى الاحبه محمدا وحزبه فمزج مرارة الموت بحلاوة اللقاء ولله در ابى محمد الشقراطى حيث قال فى قصيدته المشهورة

لاقى بلال بلاء من أمية قد ... احله الصبر فيها اكرم النزل
اذ أجهدوه بضنك الاسر وهو على ... شدائد الازل ثبت الازر لم يزل
القوه بطحا برمضاء البطاح وقد ... عالوا عليه صخورا جمة الثقل
فوحد الله اخلاصا وقد ظهرت ... بظهره كندوب الطل فى الطلل
ان قد ظهر ولى الله من دبر ... قد قد قلب عدو الله من قبل

يعنى ان كان ظهر ولى الله بلال قد ظهر فيه التعذيب بقده فقد جوزى عدو الله أمية بقد قلبه يوم بدر لانه قتل يومئذ كافرا وكان قد وصل السيف الى قلبه وكان عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قد أسره يومئذ واراد استبقاءه لصداقة كانت بينهما فى الجاهلية فرآه بلال معه فصاح بأعلى صوته يا انصار رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا رأس الكفر أمية بن خلف لانجوت ان نجا قال عبد الرحمن رضى الله عنه فتسابقوا اليه فلما خشيت ان يلحقونا خلفت لهم ابنه عليا لاشغلهم به يقتلونه دونه فقتلوه ثم تبعونا وكان أمية رجلا ثقيلا فلما ادركونا قلت له ابرك فبرك فألقيت نفسى عليه لامنعه فتهسوه بأسيافهم حتى قتلوه اى ضربوه بأسيافهم فشبه ضربهم بالنهس وهو اخذ اللحم بمقدم الاسنان فعلم ان النصر مع الصبر لما صبر بلال على

بناء على ان الحكم فى قوله تعالى وآتيناه الحكم صبيا النبوة لا الحكمة وفهم التوراة كما قيل بذلك بل احكم اليه عقله فى صباه واستنباه قيل كان ابن سنتين أو ثلاث ولما ولى الخلافة المقتدر وهو غير بالغ صنف الامام الصولى له كتابا فيمن ولى الامر وهو غير بالغ واستدل على جواز ذلك بان الله بعث يحيى بن زكريا نبيا وهو غير بالغ وذكر فيه كل من استعمله النبى صلى الله عليه وسلم من الصبيان قال بعضهم وهو كتاب حسن فيه فوائد كثيرة وكان ذبح يحيى قبل رفع عيسى عليهما الصلاة والسلام بسنة ونصف سنة * ومما يدل على ماتقدم عن الهدى اى من انكار ان عيسى عليه الصلاة والسلام رفع وله ثلاث وثلاثون سنة قول بعضهم الاحاديث الصحيحة تدل على انه انما رفع وهو ابن مائة وعشرين سنة من تلك الاحاديث قوله صلى الله عليه وسلم فى مرض موته لابنته فاطمة رضى الله تعالى عنها أخبرنى جبريل انه لم يكن نبى الا عاش نصف عمر الذى كان قبله واخبرنى أن عيسى ابن مريم عاش عشرين ومائة سنة ولا أرانى الا ذاهبا على رأس الستين وفى الجامع الصغير مابعث الله نبيا الا عاش نصف ماعاش الذى قبله وعلى كون كل نبى عاش نصف ماعاش النبى الذى قبله يشكل ان نوحا كان اطول الانبياء عمرا ومن ثم قيل له كبير الانبياء وشيخ المرسلين وهو اول من تنشق عنه الارض بعد نبينا صلى الله عليه وسلم ثم رأيت أن الحافظ الهيتمى ضعف حديث مابعث الله نبيا الا عاش نصف ماعاش النبى الذى قبله وقال العماد ابن كثير انه غريب جدا وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عام تبوك قام من الليل يصلى فاجتمع رجال من اصحابه يحرسونه اى ينتظرون فراغه من الصلاة لان نزول والله يعصمك من الناس كان قبل هذا حتى اذا صلى وانصرف اليهم قال لهم لقد اعطيت الليلة خمسا ما أعطيهن احد قبلى زاد فى رواية لا اقولهن فخرا اما اولهن فارسلت الى الناس كلهم عامة اى من فى زمنه وغيرهم ممن تقدم او تأخر اى وللشجر والحجر الى آخر ما يأتى وكان من قبلى وفى لفظ وكان كل نبى انما يرسل الى قومه اى جميع اهل زمنه او جماعة منهم خاصة ومن الاول نوح فانه كان مرسلا لجميع من كان فى زمنه من أهل الارض ولما أخبر بانه لا يؤمن منهم الا من آمن معه وهم اهل السفينة وكانوا ثمانين اربعين رجلا واربعين امرأة وفى عوارف المعارف اصحاب السفينة كانوا أربعمائة وقد يقال من الآدميين وغيرهم فلا مخالفة دعا على من عدا من ذكر باستئصال العذاب لهم فكان الطوفان الذى كان به هلاك جميع أهل الارض الا من آمن ولو لم يكن مرسلا اليهم مادعى عليهم بسبب مخالفتهم له فى عبادة الاصنام لقوله تعالى وما كنا معذبين

تعذيبه وكان قتله على يديه تحقيقا لقول الله تعالى وان جندنا لهم الغالبون ألا ان حزب الله هم المفلحون والعاقبة للمتقين قيل ان ابابكر الصديق رضي الله عنه هنأ بلالا بأبيات منها قوله هنيئا زادك الرحمن خيرا * لقد ادركت ثارك يا بلال

واخرج الحاكم عن عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما قال قال ابو قحافة والد ابي بكر رضي الله عنهما اراك تعتق رقابا ضعافا فلو انك اعتقت رجالا جلدا يمنعونك ويقومون دونك فقال يا ابت انما اريد ما عند الله تعالى فانزل الله تعالى فأما من اعطى واتقى الى آخر السورة قال في السيرة الحلبية مر ابو بكر رضي الله عنه ببلال وهو يعذب وعلى صدره صخرة عظيمة فقال ابو بكر رضي الله عنه لامية ابن خلف ألا تتقي الله في هذا المسكين قال انت افسدته فأنقذه بما ترى قال ابو بكر رضي الله عنه عندي غلام اسود اجلد منه وأقوى على دينك اعطيكه به قال قبلت هو لك فأعطاه ابو بكر رضي الله عنه غلامه ذلك وأخذ بلالا فأعتقه وفي تفسير البغوي قال سعيد بن المسيب بلغني ان امية بن خلف قال لابي بكر الصديق رضي الله عنه في بلال حين قال أتبيعنيه قال نعم ابيعه بقسطاس يعني عبدا لابي بكر رضي الله عنه كان تحت يده لابي بكر رضي الله عنه عشرة آلاف دينار للتجارة وغلمان وجوار وكان مشركا يأبى الاسلام فاشترى ابو بكر رضي الله عنه بلالا به ويروى انه لما ساوم ابو بكر رضي الله عنه امية بن خلف في بلال قال امية لاصحابه لالعبن بابي بكر لعبة ما لعبها احد باحد ثم تضاحك وقال اعطني عبدك قسطاس قال ابو بكر رضي الله عنه ان فعلت تفعل وكان قال نعم قال قد فعلت ذلك فتضاحك وقال لا والله حتى تعطيني معه امرأته قال ان فعلت تفعل قال نعم قال قد فعلت فتضاحك وقال لا والله حتى تعطيني ابنته مع امرأته قال ان فعلت تفعل قال نعم قال قد فعلت قال لا والله حتى تزيدني مائتي دينار فقال ابو

اى حتى في الدنيا حتى نبعث رسولا وقد ثبت ان نوحا اول الرسل اى لمن يعبد الاصنام لان عبادة الاصنام اول ما حدثت في قومه وأرسله الله اليهم ينهاهم عن ذلك وحينئذ لا يخالف كون اول الرسل آدم ارسله الله تعالى الى اولاده بالايمان بالله تعالى وتعليم شرائعه وذكر بعضهم انه كان مرسلا لزوجته حواء في الجنة لان الله تعالى أمره أن يأمرها وينهاها في ضمن اخباره بأمره ونهيه بقوله تعالى يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة وذلك عين الارسال كما ادعاه بعضهم فعلم ان عموم رسالة نوح عليه الصلاة والسلام لجميع اهل الارض في زمنه لا يساوي عموم رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم لما علمت ان رسالته عامة حتى لمن يوجد بعد زمنه وحينئذ يسقط السؤال وهو لم يبق بعد الطوفان الا مؤمن فصارت رسالة نوح عليه الصلاة والسلام عامة ويسقط جواب الحافظ ابن حجر عنه بان هذا العموم الذي حصل بعد الطوفان لم يكن من اصل بعثته بل طرأ بعد الطوفان بخلاف رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قيل كان بين الدعوة والطوفان مائة عام وقد حققنا فيما سبق ان آدم ومن بعده دعا الى الايمان بالله تعالى وعدم الاشراك به الا ان الاشراك به وعبادة الاصنام اتفق انه لم يقع الا زمن نوح ومن بعده وأما قول اليهود او بعضهم وهم العيسوية طائفة من اليهود اتباع عيسى الاصفهاني انه صلى الله عليه وسلم انما بعث للعرب خاصة دون بني اسرائيل وانه صادق ففاسد لانهم اذا سلموا انه رسول الله وانه صادق لا يكذب لزمهم التناقض لانه ثبت بالتواتر عنه صلى الله عليه وسلم انه رسول الله لكل الناس (اقول) قال بعضهم ولا ينافيه قوله تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه لانه لا يدل على اقتصار رسالته عليهم بل على كونه متكلما بلغتهم ليفهموا عنه أولا ثم يبلغ الشاهد الغائب ويحصل الافهام لغير أهل تلك اللغة من الاعاجم بالتراجم الذين أرسل اليهم فهو صلى الله عليه وسلم مبعوث الى الكافة وان كان هو وكتابه عربيين كما كان موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام مبعوثين لبني اسرائيل بكتابيهما العبراني اى وهو التوراة والسرياني وهو الانجيل مع ان من جملتهم جماعة لا يفهمون بالعبرانية ولا بالسريانية كالاروام فان لغتهم اليونانية والله اعلم واشار الى الثانية من الخمس بقوله ونصرت بالرعب على العدو ولو كان بيني وبينه مسيرة شهر اى امامه وخلفه بملئ رعبا اى بقذف الرعب في قلوب اعدائه صلى الله عليه وسلم وجعل الغاية شهرا لانه لم يكن بين بلده وبين احد من اعدائه اى المحاربين له اكثر من شهر اى وجاء ان سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام ذهب هو وجنده من الانس والجن وغيرهما الى الحرم

وكان يذبح كل يوم خمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف ثور وعشرين ألف شاة لان مساحة جنده كانت مائة فرسخ قال لمن حضر من اشراف جنده هذا مكان يخرج منه نبي عربي يعطى النصر على جميع من ناواه وتبلغ هيبته مسيرة شهر القريب والبعيد عنده في الحق سواء لا تأخذه في الله لومة لائم ثم قالوا فبأي دين يأتي هذا النبي قال بدين الحنيفية فطوبى لمن آمن به قالوا كم بين خروجه وزماننا قال مقدار ألف عام * وأشار الى الثالثة بقوله واحلت لي الغنائم كلها وكان من قبلي اي من أمر بالجهاد منهم يعطونها او يحرمونها اي لانهم كانوا يجمعونها اي والمراد ماعدا الحيوانات من الامتعة والاطعمة والاموال فان الحيوانات تكون ملكا للغانمين دون الانبياء ولا يجوز للانبياء أخذ شيء من ذلك بسبب الغنيمة كذا في الوفاء وجاء في بعض الروايات واطعمت أمتك الفيء ولم احله لامة قبلها اي والمراد بالفيء ما يعم الغنيمة كأنه قد يراد بالغنيمة ما يعم الفيء هذا وفي بعض الروايات وكانت الانبياء يعزلون الخمس فتجيء النار اي نار بيضاء من السماء فتأكله اي حيث لا غلول وأمرت ان أقسمه في فقراء أمتي وفي تكملة تفسير الجلال السيوطي لتفسير الجلال المحلي ان ذلك لم يعهد في زمن عيسى عليه الصلاة والسلام ولعله لم يكن عن أمر بالجهاد فلا يخالف ما سبق * واشار الى الرابعة بقوله وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا اينما ادركتني الصلاة تمسحت اي تيممت حيث لا ماء وصليت فلا يختص السجود منها بموضع دون غيره وكان من قبلي لا يعطون ذلك اي الصلاة في اي محل ادركتهم فيه انما كانوا يصلون في كنائسهم وبيعهم اي ولم يكن أحد منهم يتيمم لان التيمم من خصائصنا وفي رواية جابر لم يكن أحد من الانبياء يصلي حتى يبلغ محرابه وجاء في تفسير قوله تعالى واختار موسى قومه الآيات من المأثور ان الله تعالى قال لموسى أجعل لكم الارض مسجدا فقال لهم موسى ان الله قد جعل لكم الارض مسجدا فقالوا لا نريد أن نصلي الا في كنائسنا فعند ذلك قال الله تعالى سأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة الى قوله المفلحون اي وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وفيه انه قيل ان عيسى عليه الصلاة والسلام كان يسيح في الارض يصلي حيث ادركته الصلاة ويحتاج الى الجمع بين هذا وبين ما تقدم من قوله لم يكن أحد من الانبياء يصلي حتى يبلغ محرابه الا ان يقال لا يصلي مع أمته الا في محرابه وأما عيسى عليه الصلاة والسلام فخص بانه كان يصلي حيث ادركته الصلاة وسيأتي في الخصائص الكلام على ذلك * واشار الى الخامسة بقوله قيل لي سل فان كل نبي قد سأل فأخرت مسئلتي الى يوم القيامة فهي لكم ولمن شهد ان لا اله الا الله وهو

بكر رضي الله عنه أنت رجل لا تستحي من الكذب قال واللات والعزى لئن أعطيتني لأفعلن قال هي لك فأخذها وأخذ ابو بكر رضي الله عنه بلالا فأعتقه وقيل اشتراه بسبع أواق وقيل برطل من ذهب وقيل غير ذلك يروى ان سيده قال لابي بكر رضي الله عنه بعد شرائه لو أبيت الا اوقية لبعتكه اي لو قلت لا أشتريه الا باوقية لأخذته فقال له ابو بكر رضي الله عنه لو طلبت مائة أوقية لاخذته بها ولما قال المشركون ما أعتق ابو بكر بلالا الا ليد كانت له عنده فكافأه بها انزل الله تعالى والليل اذا يغشى الى آخر السورة فقوله فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فهو ابو بكر رضي الله عنه وقوله واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فهو امية بن خلف وقوله لا يصلاها الا الاشقى هو امية وقوله وسيجنبها الاتقى هو ابو بكر وفي قوله الاتقى تصريح بأنه اتقى البرية اذ التقدير الاتقى من كل احد لان الحذف يفيد العموم والمراد من كل احد غير الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ان ابا بكر رضي الله عنه اشترى بلالا قال له الشركة يا ابا بكر فقال قد اعتقته يا رسول الله اي لان بلالا رضي الله عنه قال لابي بكر رضي الله عنه حين اشتراه ان كنت اشتريتني لنفسك فامسكني وان كنت انما اشتريتني لله عز وجل فدعني لله تعالى فأعتقه ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم اتى ابا بكر رضي الله عنه فقال لو كان عندي مال اشتريت بلالا فانطلق العباس رضي الله عنه فاشتراه فبعث به الى ابي بكر رضي الله عنه اي ملكه له بهبته فأعتقه فليتأمل الجمع بين هذه الاقوال ويمكن ان يقال ان العباس رضي الله عنه رغب امية في بيع بلال فلما اظهر له الرضا ببيعه ارسل الى ابي بكر رضي الله عنه لعلمه برغبة ابي بكر في شرائه وعتقه فأطلق على ذلك ان العباس اشتراه والله سبحانه وتعالى اعلم * وقد اشترى ابو بكر رضي الله عنه جماعة آخرين ممن كان يعذب في الله

منهم حمامة ام بلال رضي الله عنهما ومنهم عامر بن فهيرة فانه كان يعذب في الله حتى لايدري مايقول وكان لرجل من بني تيم من قرابة ابي بكر رضي الله عنه ومنهم ابو فكيهة وكان عبدا لصفوان بن امية اسلم حين اسلم ابو بكر رضي الله عنه فمر به ابو بكر رضي الله عنه وقد اخذه صفوان بن امية واخرجه نصف النهار في شدة الحر مقيدا الى الرمضاء فوضع على بطنه صخرة فأخرج لسانه وابي بن خلف عم صفوان يقول زده عذابا حتى يأتي محمدا فيخلصه بسحره فاشتراه ابو بكر رضي الله عنه واعتقه (وممن كان يعذب فاشتراه ابو بكر رضي الله عنه ام عنيس) وكانت امة لبني زهرة كان الاسود بن عبد يغوث الزهري يعذبها فاشتراها ابو بكر رضي الله عنه واعتقها وكذا اشترى ابنتها واسمها الطيفة قبل كانت بنت الوليد بن المغيرة وكذا اشترى أخت عامر بن فهيرة او امه وكانت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل ان يسلم وكان يعذبها فمر ابو بكر رضي الله عنه عليه وهو يضربها فضربها حتى مل فاستامها منه ابو بكر رضي الله عنه ثم اشتراها واعتقها وكذا اشترى لبينة جارية المؤمل بن حبيب وأعتقها واشترى ايضا الزنيرة على وزن سكينة وقيل بتشديد النون وكانت امة لعمر ابن الخطاب رضي الله عنه قبل ان يسلم فكان يعذبها ومعه جماعة من قريش فتأبى الا الاسلام وكان ابو جهل لعنه الله يقول ألا تعجبوا الى هؤلاء واتباعهم لو كان ماأتى به محمد خيرا وحقا ماسبقونا اليه افتسبقنا زنيرة الى رشد وكان كفار قريش يقولون أيضا لو كان خيرا ماسبقتنا زنيرة اي ومن كان مثلها معناه فأنزل الله في شأنها وقال الذين كفروا للذين آمنوا اي مشيرين اليهم لو كان خيرا ماسبقونا اليه واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم ولما اشتد الضرب والعذاب على زنيرة عميت وذهب بصرها فقال المشركون ما أصاب بصرها الا اللات والعزى

لاخراج من في قلبه ذرة من الايمان ليس له عمل صالح الا التوحيد اي اخراج من ذكر من النار لان شفاعة غيره صلى الله عليه وسلم تقع فيمن في قلبه اكثر من ذلك قاله القاضي عياض اي وقد جاء في بيان من يشفع باذن الله له في الشفاعة فلا يبقى نبي ولا شهيد الا شفع وفي رواية ثم تشفع الملائكة والنبيون والشهداء والصالحون والمؤمنون فيشفعهم الله عز وجل وقد جاء ان أول شافع جبريل ثم ابراهيم ثم موسى ثم يقوم نبيكم رابعا لا يقوم بعده احد فيما يشفع فيه وفي الحديث آتي تحت العرش فأخر ساجدا فيقال يامحمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسي فأقول يارب أمتي يارب أمتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من بر او شعير من ايمان وفي لفظ حبة من خردل وفي لفظ ادنى ادنى ادنى من مثقال حبة من خردل فأخرجه اي من النار فأنطلق فأفعل اي اخرجهم من النار وأدخلهم الجنة وله صلى الله عليه وسلم شفاعة قبل هذه في ادخال أهل الجنة الجنة بعد مجاوزة الصراط ففي الحديث فاذا دخلت الجنة فنظرت الى ربي خررت ساجدا فيأذن الله لي في حمده وتمجيده ثم يقول ارفع رأسك يامحمد واشفع تشفع واسأل تعطه فاقول يارب شفعني في اهل الجنة ان يدخلوا الجنة فيأذن الله تعالى لي في الشفاعة الى آخر ماتقدم ومن هذا يعلم ان الشفاعة في الاخراج من النار انما تكون منه صلى الله عليه وسلم وهو في الجنة فما تقدم من قوله آتي تحت العرش فاخر ساجدا الى آخره انما ذلك في الشفاعة في فصل القضاء فهذا خلط من بعض الرواة اي خلط الشفاعة في الموقف التي هي الشفاعة في فصل القضاء بالشفاعة بعد مجاوزة الصراط في دخول أهل الجنة الجنة وبالشفاعة بعد دخول الجنة في اخراج أهل التوحيد من النار والشفاعة في فصل القضاء هي المشار اليها في قوله صلى الله عليه وسلم واعطيت الشفاعة فقد قال ابن دقيق العيد الاقرب ان اللام فيها للعهد والمراد الشفاعة العظمى في اراحة الناس من هول الموقف اي وهذا هو المقام المحمود الذي يحمده ويغبطه فيه الاولون والآخرون المعنى بقوله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا وعن حذيفة رضي الله تعالى عنه يجمع الناس في صعيد واحد فأول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك ولك واليك لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت وقد هاجت فتنة كبيرة ببغداد بسبب هذه الآية اعني عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا فقالت الحنابلة

وتبّاها ابو جهل لعنه الله وقال لها انما فعل بك ماترين اللات والعزى وتبعه كفار قريش على ذلك فقالت لهم والله ماهو كذلك
ومايدرى اللات والعزى من يعبدهما ولكن هذا أمر من السماء وربى قادر على أن يردّ على بصرى فرد الله عليها بصرها صبيحة
تلك الليلة فقالت قريش هذا من سحر محمد فاشتراها أبو بكر رضى الله عنه فأعتقها * وكان من تعذيب قريش
اهؤلاء المسلمين ان يلبسوهم أدراع الحديد ويطرحوهم فى الشمس لتؤثر حرارتها فيهم * وأما النبى صلى الله عليه وسلم فنعه الله بعمه أبى طالب وبما كان يظهره الله لاعدائه من الآيات وخوارق العادات كبعث جبريل فى صورة فحل ليلتقم ابا جهل * وأما ابو بكر رضى الله عنه فنعه الله بقومه من توالى الاذى وشدته وكان يناله بعض الاذى وسيأتى أنه اراد الهجرة الى الحبشة مع من هاجر اليها ثم جلس * وأما المستضعفون فصاروا يعذبونهم بأنواع العذاب ثم اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه فى الهجرة الى الحبشة روى ابن اسحق ان سبب الهجرة الى الحبشة أنه صلى الله عليه وسلم لما رأى المشركين يؤذون أصحابه ولا يستطيع أن يكفهم عنهم قال لهم لو خرجتم الى أرض الحبشة فان بها ملكا لايظلم عنده أحد وهى ارض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه فخرجوا اليها مخافة الفتنة وفروا الى الله بدينهم فكانت
اول هجرة فى لاسلام وذلك فى رجب سنة خمس من النبوة فهاجر اليها ناس ذو وعدد منهم من
هاجر بنفسه وحده ومنهم من هاجر بأهله فمن هاجر بأهله عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه هاجر ومعه زوجته رقية بنت
النبى صلى الله عليه وسلم ورضى عنهما وابو سلمة بن عبد الاسد هاجر ومعه زوجته أم سلمة رضى الله عنهما وابو حذيفة بن عتبة بن

معناه يجلسه الله تعالى على عرشه وقال غيرهم بل هى الشفاعة العظمى فى فصل القضاء
فدام الخصام الى أن اقتتلوا فقتل كثيرون وهذه الشفاعة احدى الشفاعات الثلاث
المعنية بقوله صلى الله عليه وسلم لى عند ربى ثلاث شفاعات وعدنيهن وفى كلام بعضهم له صلى
الله عليه وسلم تسع شفاعات آخر غير فصل القضاء جرى فى اختصاصه ببعضها اخلاف وهى
الشفاعة فى ادخال قوم الجنة بغير حساب ولا عقاب قال النووى وجماعة هى مختصة به
صلى الله عليه وسلم والشفاعة فى اناس استحقوا دخول النار فلا يدخلونها قال القاضى
عياض وغيره ويشترك فيها من يشاء الله تعالى والشفاعة فى اخراج من أدخل النار من
الموحدين وفى قلبه مثقال ذرة من ايمان وهى مختصة به صلى الله عليه وسلم والشفاعة فى
اخراج من ادخل منهم النار وفى قلبه ازيد من ذرة من ايمان ويشاركه فيها الانبياء والملائكة
والمؤمنون وظاهر هذا السياق ان المراد بمن فى قلبه مثقال ذرة من ايمان الى آخره عام فى
أمته وغيرهم من الامم وهو يخالف قول بعضهم جاء فى الصحيح فأقول يارب ائذن لى فيمن
قال لا اله الا الله اى ومات على ذلك قال ليس ذلك لك ولكن وعزتى وكبريائى وعظمتى
لاخرجن من النار من قال لا اله الا الله ولا يشكل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم
اتانى آت من عند ربى فخيرنى بين ان يدخل نصف أمتى وفى رواية ثلثى امتى الجنة اى
بلا حساب ولا عذاب وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة وهى لمن مات لا يشرك بالله شيأ
فاخترت الشفاعة وعلمت أنها اوسع لهم لانا نقول المراد بالذين تنالهم شفاعته صلى الله
عليه وسلم ممن مات لا يشرك بالله شيأ خصوص امته وأما من قيل له فيه ليس ذلك لك فهم
الموحدون من الامم السابقة فليتأمل مع ما سبق من شفاعة الانبياء والملائكة والمؤمنين
والشفاعة فى زيادة الدرجات فى الجنة لاهلها وجوز النووى اختصاصها به صلى الله
عليه وسلم والشفاعة فى تخفيف العذاب عن بعض الكفار كابى طالب وابى لهب
فى كل يوم اثنين بالنسبة لابى لهب والشفاعة لمن مات بالمدينة الشريفة ولعل المراد أنه
لا يحاسب وقد اوصل ابن القيم شفاعاته صلى الله عليه وسلم الى اكثر من عشرين شفاعة
وفى رواية اعطيت مالم يعطه احد من الانبياء نصرت بالرعب واعطيت مفاتيح الارض
اى وفى لفظ وبينا انا نائم رأيتنى أوتيت مفاتيح خزائن الارض فوضعت بين يدى ولا منافاة
لانه يجوز أنه اعطى ذلك يقظة بعد ان اعطيه مناما وسميت احمد اى ومحمد اى لان احدا
من الانبياء لم يسم بذلك فهو من خصائصه صلى الله عليه وسلم بالنسبة للانبياء كذا فى
الخصائص الصغرى وتقدم ان التسمية باحمد من خصائصه صلى الله عليه وسلم على جميع

زبيعة هاجر ومعه زوجته سهلة بنت سهيل بن عمرو وهى انما كل منهما الايه فارين بدينهما فولدت له سهلة بالحبشة محمد بن ابى حذيفة * ومن هاجر باهله عامر بن أبى ربيعة هاجر ومعه زوجته ليلى العدوية وهاجرت أم ايمن مع السيدة رقية رضى الله عنهما ويقال انها بركة الحبشية وهاجرت ٣٠٦ معها لتخدمها وتقوم بشأنها لانها مولاة ابيها وهو النبى صلى الله عليه وسلم ومن هاجر بلا زوجة عبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام ومصعب بن عمير وعثمان بن مظعون وسهيل ابن بيضاء وأبو سبرة بن ابى رهم وحاطب بن عمرو والعامريان وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهم وخرجوا مشاة متسللين سرا ثم استأجروا سفينة بنصف دينار وخرجت قريش فى آثارهم حتى جاؤا الى البحر حيث ركبوا فلم يدركوا منهم أحدا وكان أول من خرج عثمان بن عفان رضى الله عنه مع امرأته رقية رضى الله عنها فقال صلى الله عليه وسلم ان عثمان لاول من هاجر باهله بعد نبى الله لوط عليه السلام ثم أبطأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرهما فقدمت امرأة فقالت قد رأيتهما وقد حمل عثمان امرأته على حمار فقال صلى الله عليه وسلم صحبهما الله وكانت رقية رضى الله عنها ذات جمال بارع وكذا عثمان رضى الله عنه ومن ثم كان النساء يغنينهما بقولهن

أحسن شئ قد يرى انسان
رقية وبعلها عثمان

ويروى أنه صلى الله عليه وسلم أرسل رجلا الى عثمان ورقية رضى الله عنهما فى حاجة وقيل بطعام ليحمله اليهما فأبطأ عليه الرسول فلما جاء قال له صلى الله عليه وسلم ان شئت الى أخبرتك ما حبسك قال نعم قال وقفت تنظر الى عثمان ورقية وتعجب من حسنهما قال نعم والذى بعثك بالحق وكان ذلك قبل نزول آية الحجاب ويذكر أن نفرا من الحبشة كانوا ينظرون رقية رضى الله عنها فتأذت من ذلك فدعت عليهم فقتلوا جميعا وقد جاء

الناس وفى وصفه صلى الله عليه وسلم نفسه بما ذكر وقول عيسى عليه الصلاة والسلام انى عبد الله الآية وقول سليمان عليه الصلاة والسلام علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شئ الآية هو الاصل فى ذكر العلماء مناقبهم فى كتبهم وهذا مأخوذ من قوله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث ومن قوله صلى الله عليه وسلم التحدث بنعمة الله شكر وتركه كفر قال الله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابى لشديد صعد سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه المنبر فقال الحمد لله الذى صيرنى ليس فوقى احد ثم نزل فقيل له فى ذلك فقال انما فعلت ذلك اظهارا للشكر وعن سفيان الثورى رحمه الله من لم يتحدث بنعمة الله فقد عرضها للزوال والحق فى ذلك التفصيل وهو ان من خاف من التحدث بالنعمة واظهارها الرياء فعدم التحدث بها وعدم اظهارها أولى ومن لم يخف ذلك فالتحدث بها واظهارها اولى اى وفى الشفاء انه أحمد المحمودين واحمد الحامدين ويوم القيامة يحمده الاولون والآخرون لشفاعته لهم فحقيق أن يسمى محمدا واحمد وتقدم ان هذا يوافق ما تقدم عن الهدى ان أحمد مأخوذ من الفعل الواقع على المفعول * وقد جاء انا محمد وانا أحمد وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر وانا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى وأنا العاقب الذى ليس بعدى نبى وجعلت أمتى خير الامم (قال القاضى البيضاوى) وفى التسمية بالاسماء العربية تنويه الى تعظيم المسمى هذا كلامه وفى رواية لما أسرى بى الى السماء قربنى ربى حتى كان بينى وبينه كقاب قوسين أو ادنى قيل لى قد جعلت امتك آخر الامم لافضح الامم عندهم اى بوقوفهم على اخبارهم ولا افضحهم عند الامم اى لتأخرها عنهم وعليه فالضمير فى دنا يعود اليه صلى الله عليه وسلم وذكر بعضهم ان دنا فتدلى الآية عبارة عن تقريبه تعالى للنبى صلى الله عليه وسلم فالضمير فى دنا الى آخره يعود الى الله تعالى وهو معنى لطيف وفى رواية نحن الآخرون من اهل الدنيا والاولون يوم القيامة المقضى لهم قبل الخلائق وفى رواية نحن آخر الامم وأول من يحاسب تفرج لنا الامم عن طريقنا فنمضى غرا محجلين من اثر الطهور وفى رواية من آثار الوضوء فتقول الامم كادت هذه الامة أن تكون انبياء كلها هذا وفى رواية غرا من اثر السجود محجلين من اثر الوضوء وفى رواية فضلت على الانبياء بست اى ولا مخالفة بين ذكر الخمس اولا وبين ذكر الست هنا لانه يجوز أن يكون اطلع أولا على بعض ما اختص به ثم اطلع على الباقى هذا على اعتبار مفهوم العدد ثم اشار الى بيان الست بقوله صلى الله عليه وسلم اعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب واحلت لى الغنائم وجعلت لى الارض طهورا ومسجدا وأرسلت

الى الخلق كافة والخلق يشمل الانس والجن والملك والحيوانات والنبات والحجر قال الجلال السيوطي وهذا القول اي ارساله للملائكة رجحته في كتاب الخصائص وقد رجحه قبلي الشيخ تقي الدين السبكي وزاد انه مرسل لجميع الانبياء والامم السابقة من لدن آدم الى قيام الساعة ورجحه ايضا البارزي وزاد أنه مرسل الى جميع الحيوانات والجمادات وازيد على ذلك أنه ارسل الى نفسه وذهب جمع الى انه لم يرسل للملائكة منهم الحافظ العراقي في نكته على ابن الصلاح والجلال المحلي في شرح جمع الجوامع ومشيت عليه في شرح التقريب وحكى الفخر الرازي في تفسيره والبرهان النسفي في تفسيره فيه الاجماع هذا كلامه وبهذا الثاني أفتى والد شيخنا الرملي وعليه فيكون قوله صلى الله عليه وسلم ارسلت للخلق كافة وقوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا من العام المخصوص أو الذي اريد به الخصوص ولا يشكل عليه حديث سلمان اذا كان الرجل في ارض وأقام الصلاة صلى خلفه من الملائكة ما لا يرى طرفاه يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده لانه يجوز ان لا يكون ذلك صادرا عن بعثته اليهم ولا يشكل ما ورد بعثت الى الاحمر والاسود لما تقدم ان المراد بذلك العرب والعجم وفي الشفاء وقيل الحمر الانس والسود الجان واستدل للقول الاول القائل بانه ارسل للملائكة بقوله تعالى ومن يقل منهم اي من الملائكة اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم فهي انذار للملائكة على لسانه صلى الله عليه وسلم في القرآن العظيم الذي انزل عليه فثبت بذلك ارساله اليهم ودعوى الاجماع منازع فيها فهي دعوى غير مسموعة ثم رأيت الجلال السيوطي ذكر هذا الاستدلال وهو واضح وذكر تسعة ادلة ايضا وهي لا تثبت المدعى الذي هو ان الملائكة يكلفون بشرعه صلى الله عليه وسلم كما لا يخفى على من رزق نوع فهم بالوقوف عليها فعلم أنه صلى الله عليه وسلم مرسل لجميع الانبياء وأممهم على تقدير وجوده في زمنهم لان الله تعالى اخذ عليهم وعلى اممهم الميثاق على الايمان به ونصرته مع بقائهم على نبوتهم ورسالتهم الى اممهم فنبوته ورسالته اعم واشمل وتكون شريعته في تلك الاوقات بالنسبة الى أولئك الامم ما جاءت به انبياؤهم لان الاحكام والشرائع تختلف باختلاف الاشخاص والاوقات قاله السبكي اي فجميع الانبياء وأممهم من جملة امته صلى الله عليه وسلم فقد قال صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه والذي نفسي بيده لو ان موسى عليه السلام كان حيا ما وسعه الا أن يتبعني وأخرج احمد وغيره عن عبد الله بن ثابت قال جاء عمر رضي الله تعالى عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني مررت باخ لي من قريظة فكتب لي جوامع

في وصف عثمان رضي الله عنه قوله صلى الله عليه وسلم قال لي جبريل عليه السلام ان أردت ان تنظر في اهل الارض شبيه يوسف عليه السلام فانظر الى عثمان رضي الله عنه وجاء في فضله رضي الله عنه أن لكل نبي رفيقا في الجنة ورفيقي فيها عثمان بن عفان رضي الله عنه ولما وصلوا الحبشة اكرمهم النجاشي وأقاموا عنده آمنين وقالوا جاورنا بها خير جار على ديننا وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيأ نكرهه ولما هاجر الناس الى الحبشة اشتد البلاء على بقية المسلمين بمكة فأراد أبو بكر رضي الله عنه الهجرة الى الحبشة فخرج حتى بلغ برك الغماد وهو موضع على خمس ليال من مكة الى جهة اليمن فلقيه ابن الدغنة سيد القارة وهي قبيلة مشهورة من بني الهون بن خزيمة بن مدركة بن الياس وكانوا حلفاء لبني زهرة من قريش فقال ابن الدغنة لابي بكر رضي الله عنه أين تريد يا أبا بكر فقال أبو بكر رضي الله عنه أخرجني قومي فأريد أن اسيح في الارض وأعبد ربي فقال ابن الدغنة مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يخرج انك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فأنا لك جار ارجع واعبد ربك ببلدك فرجع وارتحل معه ابن الدغنة فطاف عشية في اشراف قريش فقال ان أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج أتخرجون رجلا يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقري الضيف ويعين على نوائب الحق فلم ينكروا شيأ من ذلك واجازوا جواره وقالوا مر أبا بكر فليعبد ربه في داره فليصل فيها وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به فانا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا فقال ابن الدغنة لابي بكر رضي الله عنه ما قالوه واشترط ذلك عليه فلبث ابو بكر رضي الله عنه يعبد ربه في داره ولا يستعلن به مدة ثم ابتنى مسجدا بفناء داره وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن

فينقصف عليه اى يزدحم عليه نساء المشركين وأبناؤهم حتى يسقط بعضهم على بعض ويعجبون من قراءته وبكائه وكان ابو بكر رضى الله عنه رجلا بكاء اذا قرأ لايملك عينيه فشق ذلك على اشراف قريش من المشركين فأرسلوا الى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا له انا كنا أجرنا ابابكر بجوارك على أن يعبد ربه فى داره وهو قد بنى له مسجدا وأعلن بالصلاة والقراءة فيه وانا قد خشينا ان يفتن نساءنا وابناءنا فانهه فان احب أن يقتصر على أن يعبد ربه فى داره فعل وان أبى الا ان يعلن فسله أن يرد عليك ذمتك فانا قد كرهنا أن نخفرك اى نغدرك فاتى ابن الدغنة الى ابى بكر رضى الله عنه وقال قد علمت الذى عاقدت لك عليه فاما أن تقتصر على ذلك واما أن ترد على ذمتى وجوارى فانى لا احب أن تسمع العرب انى أخفرت فى رجل عقدت له ذمة فقال ابو بكر رضى الله عنه لابن الدغنة فانى ارد عليك جوارك وأرضى بجوار الله تعالى اى حمايته قال الحافظ ابن حجر رحمه الله وفى الحديث من فضائل الصديق رضى الله عنه أشياء كثيرة قد امتاز بها عن سواه ظاهرة لمن تأملها كموافقة ابن الدغنة فى وصف الصديق رضى الله عنه لخديجة رضى الله عنها فيما وصفت به النبى صلى الله عليه وسلم عند ابتداء نزول الوحى عليه كما تقدم وذلك يدل على عظيم فضل الصديق رضى الله عنه واتصافه بالصفات البالغة فى أنواع الكمال وجاء فى بعض الاحاديث كنت أنا وابو بكر كفرسى رهان فسبقته الى النبوة فتبعنى ولو سبقنى لتبعته يعنى لو جاءته النبوة لتبعته وجاء فى بعض الاحاديث ان النبى صلى الله عليه وسلم وأبابكر وعمر رضى الله عنهما خلقوا من طينة واحدة ثم فى شهر شوال سنة خمس من البعثة قدم نفر من مهاجرة الحبشة الى مكة لانه بلغهم أن كفار قريش أسلموا كلهم وسبب شيوع هذا الخبر أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ

من التوراة الا أعرض عنها ابيك فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا فسرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال والذى نفس محمد بيده لو اصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه لضللتم انكم حظى من الامم وأنا حظكم من النبيين وفى النهر لابى حيان ان عبد الله بن سلام استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقيم على السبت وان يقرأ من التوراة فى صلاته من الليل فلم يأذن له وكون جميع الانبياء وأممهم من امته صلى الله عليه وسلم فالمراد أمة الدعوة لا امة الاجابة لانها مخصوصة بمن آمن به بعد البعثة على ما تقدم ويأتى وبعثته صلى الله عليه وسلم رحمة حتى للكفار بتأخير العذاب عنهم ولم يعاجلوا بالعقوبة كسائر الامم المكذبة وحتى للملائكة قال تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين (وقد ذكر فى الشفاء) ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لجبريل هل اصابك من هذه الرحمة شئ قال نعم كنت اخشى العاقبة فامنت لثناء الله تعالى على فى القرآن بقوله عز وجل ذى قوة عند ذى العرش مكين قال الجلال السيوطى ان هذا الحديث لم نقف له على اسناد فهو صلى الله عليه وسلم افضل من سائر المرسلين وجميع الملائكة المقربين وفى لفظ آخر فضلت على الانبياء بست لم يعطهن احد كان قبلى غفر لى ما تقدم من ذنبى وما تأخر واحلت لى الغنائم وجعلت امتى خير الامم وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا وأعطيت الكوثر ونصرت بالرعب والذى نفسى بيده ان صاحبكم لصاحب لواء الحمد يوم القيامة تحته آدم فمن دونه وفى رواية فما من احد الا وهو تحت لوائى يوم القيامة ينتظر الفرج وان معى لواء الحمد أنا امشى ويمشى الناس معى حتى آتى باب الجنة الحديث (أقول) قد سئلت عما حكاه الجلال السيوطى أنه ورد الى مصر نصرانى من الفرنج وقال لى شبهة ان ازلتموها اسلمت فعقد له مجلس بدار الحديث الكاملية ورأس العلماء اذ ذاك الشيخ عز الدين بن عبد السلام فقال له النصرانى والناس يسمعون اى أفضل عندكم المتفق عليه أو المختلف فيه فقال له الشيخ عز الدين المتفق عليه فقال له النصرانى قد اتفقنا نحن وأنتم على نبوة عيسى واختلفنا فى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فيلزم أن يكون عيسى افضل من محمد فاطرق الشيخ عز الدين ساكتا من أول النهار الى الظهر حتى ارتج المجلس واضطرب اهله ثم رفع الشيخ رأسه وقال عيسى قال يا بنى اسرائيل ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد فيلزمك أن تتبعه فيما قال وتؤمن باحمد الذى بشر به فأقام الحجة على النصرانى واسلم بانه كيف اقام الحجة على كون محمد صلى الله عليه وسلم افضل من عيسى اذ غاية ما ذكر ان محمدا

بحضر من قريش سورة النجم من اولها الى آخرها وسجد فى آخرها فلما سجد سجد معه المشركون الا رجلا واحدا وهو أمية بن خلف أخذ كفا من تراب ووضع جبهته عليه استكبارا من ان يسجد وقال يكفينى هذا والصحيح فى سبب سجودهم أنهم توهموا أنه ذكر آلهتهم بخير حين سمعوا ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى وقيل ان الشيطان القى فى اسماعهم فى خلال القراءة بعد قوله افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى وهذه الكلمات اعنى تلك الغرانيق الخ أثبتها بعض المحدثين والمفسرين ونفاها آخرون وقالوا انها كذب لا اصل لها وطعنوا فى الاحاديث التى فيها ذكر ذلك وقالوا سبب سجودهم انما هو توهمهم مدح آلهتهم فقط والذين أثبتوها اختلفوا فيها اختلافا كثيرا والمحققون على تسليم ثبوتها أنها ليست من كلام النبى صلى الله عليه وسلم بل الشيطان ألقاها الى اسماعهم لفتنتهم ولم يسمعها أحد من المسلمين وهذا هو المراد من قوله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته الآيات وقيل ان بعض الكفار هم الذين نطقوا بذكر تلك الكلمات فى خلال قراءة النبى صلى الله عليه وسلم فانهم كانوا يكثرون اللغط والصياح عند قراءته صلى الله عليه وسلم ويتكلمون بالفحش خوفا من اصغاء الناس الى القراءة وسماعهم لها وكان ذلك كله باغراء من الشيطان وقد حكى الله عنهم ذلك فى قوله تعالى وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ولما تبين الامر أنزل الله تعالى وما أرسلنا من قبلك الآيات ولا اشكال حينئذ فى الآية والله سبحانه وتعالى أعلم ولما بلغ أرض الحبشة خبر اسلام أهل مكة فرح المسلمون الذين بأرض الحبشة وقالوا ان المسلمين قد أمنوا بمكة من الاذى فأقبلوا من أرض الحبشة سراعا حتى اذا كانوا

رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجبت بانه حيث ثبت أن محمدا رسول الله وجب الايمان به وبما جاء به ومما جاء به وأخبر به أنه افضل من جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقد سئل ابو الحسن الحمال بالحاء المهملة من فقهائنا معاشر الشافعية محمد وموسى ايهما افضل فقال محمد فقيل له ما الدليل على ذلك فقال انه تعالى ادخل بينه وبين موسى لام الملك فقال تعالى واصطنعتك لنفسى وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ففرق بين من اقام بوصفه وبين من أقامه مقام نفسه والله اعلم (وفى رواية) اذا كان يوم القيامة كان لى لواء الحمد وكنت امام المرسلين وصاحب شفاعتهم وفى لفظ الا وأنا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وانا اكرم الاولين والآخرين على الله ولا فخر وأنا اول شافع وانا أول مشفع يوم القيامة ولا فخر وأنا اول من يحرك حلق الجنة اى حلق بابها فيفتح الله لى فادخلها ومعى فقراء المؤمنين ولا فخر اى وفى رواية آتى باب الجنة يوم القيامة فأستفتح اى بتحريك حلقة الباب أو قرعها لا بصوت فيقول الخازن اى وهو رضوان من انت فاقول محمد وفى رواية انا محمد فيقول بك أمرت لا أفتح وفى رواية أن لا افتح لاحد قبلك زاد فى رواية ولا أقوم لاحد بعدك لا فتح له فمن خصائصه صلى الله عليه وسلم ان رضوان لا يفتح الا له ولا يفتح لغيره من الانبياء وغيرهم وانما يتولى ذلك غيره من الخزنة وهى خصوصية عظيمة نبه عليها القطب الخضيرى وكون الفاتح له صلى الله عليه وسلم الخازن لا ينافى ماقبله من كون الفاتح له الحق سبحانه وتعالى لما علم أن الخازن انما فتح بامر الله فهو الفاتح الحقيقى (وفى رواية) أنا اول من يفتح له باب الجنة ولا فخر فآتى فآخذ بحلقة الجنة فيقال من هذا فأقول محمد فيفتح لى فيستقبلنى الجبار جل جلاله فأخر له ساجدا اى فالكلام فى يوم القيامة فلا يرد ادريس بناء على ان دخوله الجنة مترتب على فتح الباب غالبا لان ذلك قبل يوم القيامة وفى يوم القيامة يخرج الى الموقف فيكون مع امته للحساب ولا ينافيه ماجاء أول من يقرع باب الجنة بلال بن حمامة على تقدير صحته لانه يجوز أن يكون يقرع الباب الاصلى لا حلقه أو الاول من الامة والله اعلم (وفى الاوسط) للطبرانى باسناد حسن حرمت الجنة على الانبياء حتى ادخلها وحرمت على الامم حتى تدخلها أمتى وسيأتى ان هذا من جملة ما أوحى اليه ليلة المعراج الذى اشار اليه قوله تعالى فأوحى الى عبده ما أوحى ولعل هذا هو المراد مما جاء فى المرفوع عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما حرمت الجنة على جميع الامم حتى ادخلها أنا وأمتى وان ظاهرها من انه لا يدخلها احد من الانبياء الا بعد دخول هذه الامة ليس مرادا وفى هاتين الروايتين منقبة

دون مكة بساعة من نهار لقوا ركبا من كنانة فسألوهم عن قريش فقالوا ذكر محمد آلهتهم بخير فتابعه الملأ ثم عاد يشتم آلهتهم فعادوا
له بالشر فتركناهم على ذلك فائتمر القوم أى تشاوروا فى الرجوع الى الحبشة ثم قالوا قد بلغنا مكة ندخل فننظر ما فيه قريش

ونحدث عهدا باهلنا ثم نرجع فدخلوها ولم يدخل احد منهم الا بجوار الا ابن مسعود رضى الله عنه فانه دخل بلا جوار ومكث قليلا ثم أسرع الرجوع الى الحبشة وعن عثمان ابن مظعون رضى الله عنه أنه لما رجع من الحبشة مع من رجع دخل مكة فى جوار الوليد بن المغيرة المخزومى فلما رأى المشركين يؤذون المسلمين المستضعفين الذين ليس لهم من يجيرهم ولا يدفع وهو آمن لا يؤذيه احد رد على الوليد جواره وقال اكتفى بجوار الله فبينما هو فى مجلس من مجالس قريش اذ وفد عليهم لبيد بن ربيعة قبل اسلامه رضى الله عنه نقعد ينشدهم من شعره فقال لبيد

* الا كل شئ ما خلا الله باطل *

فقال عثمان بن مظعون رضى الله عنه صدقت فقال

* وكل نعيم لامحالة زائل *

فقال عثمان كذبت نعيم الجنة لا يزول فقال لبيد يا معشر قريش متى كان يؤذى جليسكم فقام رجل منهم فلطم عثمان بن مظعون فاخضرت عينه فلامه الوليد على رد جواره وقال له قد كنت فى ذمة منيعة فقال عثمان ان عينى الاخرى الى ما اصاب أختها الفقيرة وقال الوليد عد الى جوارك فقال لا بل أرضى بجوار الله تعالى

وكان من جملة من رجع من الحبشة بعد الهجرة الاولى عند بلوغهم خبر اسلام قريش أبو سلمة بن عبد الاسد المخزومى من
زوج أم سلمة رضى الله عنها قبل أن يتزوج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابو سلمة من السابقين للاسلام وهو ابن عمة النبى
صلى الله عليه وسلم لان أمه برة بنت عبد المطلب ولما رجع الى مكة مع من رجع دخل فى جوار خاله أبى طالب فمشى الى

عظيمة لهذه الامة المحمدية وهى أنه لا يدخل احد الجنة من الامم السابقة ولو من صلحائها وعلمائها وزهادها حتى يدخل من كان يعذب فى النار من عصاة هذه الامة بناء على انه لابد من تعذيب طائفة من هذه الامة فى النار ولا بعد فى ذلك لانه تقدم ان أول من يحاسب من الامم هذه الامة فيجوز ان الامم لا يفرغ حسابهم ولا يأتون الى باب الجنة الا وقد خرج من كان يعذب من هذه الامة فى النار ودخل الجنة *وجاء انه يدخلها قبله من أمته سبعون الفا مع كل واحد سبعون الفا لا حساب عليهم وذلك معارض لقوله صلى الله عليه وسلم أنا اول من يدخل الجنة الا ان يقال أول من يدخل الجنة من الباب وهؤلاء السبعون الفا ورد أنهم يدخلون من اعلى حائط فى الجنة فلا معارضة ولا يعارض ذلك ما جاء اول من يدخل الجنة أبو بكر لان المراد أول من يدخلها من رجال هذه الامة غير الموالى ولا يعارض ذلك ما تقدم عن بلال رضى الله تعالى عنه انه أول من يقرع باب الجنة لانه لا يلزم من القرع الدخول وعلى تسليم ان القرع كناية عن الدخول فالمراد من الموالى ولا يعارض ذلك أيضا ما جاء اول من يدخل الجنة بنتى فاطمة كما لا يخفى لان المراد أول من يدخلها من نساء هذه الامة فالاولية اضافية * وجاء لاشفعن يوم القيامة لاكثر مما فى الارض من حجر وشجر وعن انس رضى الله تعالى عنه فضلت على الناس باربع بالسخاء والشجاعة وقوة البطش وكثرة الجماع اى فعن سلمى مولاته صلى الله عليه وسلم أنها قالت طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم على نسائه التسع ليلته وتطهر من كل واحدة قبل أن يأتى الاخرى وقال هذا اطهر واطيب *ومما يدل على قوة بطشه صلى الله عليه وسلم ما وقع له مع ركانة كما سيأتى وفى الخصائص الصغرى وكان أفرس العالمين فهو صلى الله عليه وسلم أجود بنى آدم على الاطلاق كما أنه افضلهم واشجعهم واعلمهم واكملهم فى جميع الاخلاق الجميلة والاوصاف الحميدة قال ابن عبد السلام من خصائصه صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى اخبره بالمغفرة اى لما تقدم وتأخر ولم ينقل أنه اخبر احدا من الانبياء بمثل ذلك اى ولانه لو وقع لنقل لانه مما تتوفر الدواعى على نقله بل ومما اختص به صلى الله عليه وسلم وقوع غفران نفس الذنب المتقدم والمتأخر كما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم فى بيان ما اختص به عن الانبياء وغفر لى ما تقدم من ذنبى وما تأخر اى ولا ينافى ذلك قوله تعالى فى حق داود فغفرنا له ذلك لانه غفران لذنب واحد قال ابن عبد السلام بل الظاهر أنه لم يخبرهم اى بغفران ذنوبهم بدليل قولهم فى الموقف نفسى نفسى لانى الى آخره وعن ابى موسى رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمع بى

أبى طالب رجال من مخزوم اى جاؤا اليه وقالوا يا أبا طالب منعت منا ابن أخيك فمالك ولصاحبنا تمنعه منا يريدون أخذه وتعذيبه فقال لهم أبو طالب انه استجار بى وانه ابن أختى وأنا ان لم أمنع ابن أختى لم أمنع ابن أخى وقام ابو لهب مع أبى طالب على أولئك الرجال وقال لهم يا معشر قريش لا تزالون تعارضون هذا الشيخ فى جواره من قومه لتنتهن أو لأقومن معه فى كل مقام يقوم فيه حتى يبلغ ما اراد قالوا نتصرف عما تكره يا أبا عتبة وأجاز واذلك الجوار خوفا من ان يكون أبو لهب مع أبى طالب فى نصرة النبى صلى الله عليه وسلم وذلك لان أبا لهب كان مع قريش فى منابذة النبى صلى الله عليه وسلم ومعاداته فكان ابو لهب لقريش وليا وناصرا فخافوا من خروجه من بينهم ولما نصر أبو لهب اباطالب فى هذه القصة طمع أبو طالب فى أن يكون أبو لهب معه فى نصرة النبى صلى الله عليه وسلم وأنشأ ابياتا يحرضه فيها على نصرة النبى صلى الله عليه وسلم فلم يفعل ثم لما تبين للمسلمين الذين رجعوا من الحبشة ان قريشا لم يسلموا رجعوا الى الحبشة وتسمى هذه الرجعة بالهجرة الثانية الى الحبشة فهاجر عامة من آمن بالله ورسوله اى غالبهم فكانوا عند النجاشى ثلاثة وثمانين رجلا وثمانى عشرة امرأة وكان من الرجال جعفر بن ابى طالب ومعه زوجته اسماء بنت عميس والمقداد بن الاسود وعبد الله بن مسعود وعبيد الله بالتصغير ابن جحش ومعه زوجته أم حبيبة بنت ابى سفيان فتنصر زوجها هناك ثم مات على النصرانية وبقيت ام حبيبة رضى الله عنها على اسلامها وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سيأتى وعن أم حبيبة رضى الله عنها قالت رأيت فى المنام آتيا يقول يا أم المؤمنين ففزعت وأولتها بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يتزوجنى فكان كذلك وعن ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه أنه بلغه مخرج رسول الله صلى

من يهودى أو نصرانى ثم لم يسلم دخل النار اى لانه يجب عليه أن يؤمن به اقول والذى فى مسلم والذى نفس محمد بيده لا يسمع بى احد من هذه الامة يهودى أو نصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذى ارسلت به الا كان من اصحاب النار اى من سمع بنبينا صلى الله عليه وسلم ممن هو موجود فى زمنه وبعده الى يوم القيامة ثم مات غير مؤمن بما ارسل به كان من اصحاب النار اى ومن جملة ما ارسل به أنه ارسل الى الخلق كافة لا لخصوص العرب تأمل وانما خص اليهود والنصارى بالذكر تنبيها على غيرهما لانه اذا كان حالهما ذلك مع ان لهم كتابا فغيرهم ممن لا كتاب له كالمجوسى أولى لان اليهود كتابهم التوراة والنصارى كتابهم الانجيل لان شريعة التوراة التى هى شريعة موسى يقال لها اليهودية أخذا من قول موسى عليه الصلاة والسلام انا هدنا اليك اى رجعنا اليك فمن كان على دين موسى يسمى يهوديا وشريعة الانجيل يقال لها النصرانية أخذا من قول عيسى عليه الصلاة والسلام من انصارى الى الله فمن كان على دين عيسى يسمى نصرانيا وكان القياس أن يقال له انصارى وقيل النصرانى نسبة الى ناصرة قرية من قرى الشام نزل بها عيسى عليه السلام كما تقدم ولا مانع من رعاية الامرين فى ذلك وجاء فى رواية وجعلت صفوفنا كصفوف الملائكة اى والامم السابقة كانوا يصلون متفرقين كل واحد على حدته وان أمته صلى الله عليه وسلم حط عنها الخطأ والنسيان وحمل ما لا تطيقه الذى اشارت اليه خواتيم سورة البقرة وان شيطانه صلى الله عليه وسلم اسلم وفى الخصائص الصغرى وأسلم قرينه ومجموع تلك الخصال سبع عشرة خصلة قال الحافظ ابن حجر ويمكن أن يوجد اكثر من ذلك لمن امعن التتبع (وذكر أبو سعيد النيسابورى) فى كتابه شرف المصطفى انه عد الذى اختص به نبينا صلى الله عليه وسلم عن الانبياء فاذا هو ستون خصلة اى ومن ذلك اى مما اختص به صلى الله عليه وسلم فى امته ان وصف الاسلام خاص بهم لم يوصف به أحد من الامم السابقة سوى الانبياء فقط فقد شرفت هذه الامة المحمدية بان وصفت بالوصف الذى كان يوصف به الانبياء عليهم الصلاة والسلام وهو الاسلام على القول الراجح نقلا ودليلا لما قام عليه من الادلة الساطعة قاله الجلال السيوطى رحمه الله

(باب بدء الوحى له صلى الله عليه وسلم)

عن عائشة رضى الله تعالى عنها أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة حين اراد الله تعالى كرامته ورحمة العباد به الرؤيا الصالحة لا يرى رؤيا الا جاءت كفلق اى وفى لفظ كفرق الصبح اى كضيائه وانارته فلا يشك فيها احد كما لا يشك أحد

في وضوح ضياء الصبح ونوره وفي لفظ فكان لا يرى شيأ في المنام الا كان اي وجد في اليقظة كما رأى فالمراد بالصالحة الصادقة وقد جاءت في رواية البخاري في التفسير اي ولا يخفى ان رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم كلها صادقة وان كانت شاقة كما في رؤياه يوم أحد قال القاضي وغيره وانما ابتدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرؤيا لئلا يفجأه الملك الذي هو جبريل عليه السلام بالنبوة أي الرسالة فلا تحملها القوى البشرية اي لان القوى البشرية لا تحمل رؤية الملك وان لم يكن على صورته التي خلقه الله عليها ولا على سماع صوته ولا على ما يخبر به لاسيما الرسالة فكانت الرؤيا تأنيسا له صلى الله عليه وسلم والمراد بالملك جبريل لكن ذكر بعضهم ان من لطف الله تعالى بنا عدم رؤيتنا الملائكة اي على الصورة التي خلقوا عليها لانهم خلقوا على أحسن صورة فلو كنا نراهم لطارت أعيننا وارواحنا لحسن صورهم وعن علقمة بن قيس أول ما يؤتى به الانبياء في المنام اي ما يكون في المنام حتى تهدأ قلوبهم ثم ينزل الوحي اه أي في اليقظة لان رؤيا الانبياء وحي وصدق وحق لا اضغاث احلام ولا تخييل من الشيطان اذ لا سبيل له عليهم لان قلوبهم نورانية فما يرونه في المنام له حكم اليقظة لجميع ما ينطبع في عالم مثالهم لا يكون الاحقا ومن ثم جاء نحن معاشر الانبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا (اقول) وحينئذ يكون في القول بان من خصوصياته صلى الله عليه وسلم اجتماع أنواع الوحي الثلاثة له وعد منها الرؤيا في المنام وعد منها الكلام من غير واسطة وبواسطة جبريل نظر لما علمت ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام جميعهم مشتركون في الرؤيا وموسى عليه الصلاة والسلام حصل له كل من الكلام بلا واسطة وبواسطة جبريل * وذكر بعضهم ان مدة الرؤيا ستة أشهر قال فيكون ابتداء الرؤيا حصل في شهر ربيع الاول وهو مولده صلى الله عليه وسلم ثم أوحى الله اليه في اليقظة اي في رمضان ذكره البيهقي وغيره (وجاء في الحديث) الرؤيا الصادقة وفي البخاري الرؤيا الحسنة اي الصادقة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة قال بعضهم معناه أن النبي صلى الله عليه وسلم حين بعث أقام بمكة ثلاث عشرة سنة وبالمدينة عشر سنين يوحى اليه فمدة الوحي اليه في اليقظة ثلاث وعشرون سنة ومدة الوحي اليه في المنام اي التي هي الرؤيا ستة أشهر فالمراد خصوص رؤيته وخصوص نبوته صلى الله عليه وسلم وهذا القيل نقله في الهدى وأقره حيث قال كانت الرؤيا ستة اشهر ومدة النبوة ثلاثا وعشرين سنة فهذه الرؤيا جزء من ستة واربعين جزأ هذا كلامه وحينئذ يكون المعنى ورؤيتي جزء من ستة واربعين جزأ من نبوتي ولا يخفى ان هذا لا يناسب الرؤيا الصالحة من

الله عليه وسلم وهو باليمن فخرج هو ونحو خمسين رجلا في سفينة مهاجرين اليه صلى الله عليه وسلم فالقتهم السفينة الى النجاشي بالحبشة فوجدوا جعفر بن أبي طالب واصحابه فأمرهم جعفر بالاقامة فاستمروا كذلك حتى قدموا عليه صلى الله عليه وسلم عند فتح خيبر كما سيأتي ان شاء الله وكان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مقيمين عند النجاشي على احسن مقام بخير دار عند خير جار فبعثت قريش خلفهم عمرو بن العاص ومعه عبد الله بن ابي ربيعة المخزومي وعمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومي ولكن المحققون على ان عبد الله بن أبي ربيعة لم يكن مع عمرو في هذه السفرة وانما كان معه في سفرة أخرى وهي التي بعد وقعة بدر كما سيأتي واما هذه السفرة فالرسولان فيها عمرو وعمارة فقط وعمارة هذا هو الذي ارادت قريش دفعه لابي طالب بدلا عن النبي صلى الله عليه وسلم ويعطيهم النبي صلى الله عليه وسلم يقتلونه وبعثت قريش مع اولئك النفر هدية للنجاشي فرسا وجبة ديباج واهدوا هدايا لعظماء الحبشة ليعينوهم في قضاء مطلبهم وهو ان يردوا من جاء اليهم من المسلمين فدخل على النجاشي عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد فلما دخلا عليه سجدا له وقعد واحد عن يمينه والآخر عن شماله وقيل اجلس عمرو بن العاص معه على سريره وقبل هديتهما فقالا ان نفرا من بني عمنا نزلوا ارضك فرغبوا عنا وعن آلهتنا ولم يدخلوا في دينكم بل جاؤا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا انتم وقد بعثنا الى الملك فيهم اشراف قريش ليردهم اليهم قال واين هم قالوا بأرضك فأرسل في طلبهم الرجل وقال لعظماء الحبشة ادفعهم اليهم فهم اعرف بحالهم فقال لهم لا والله حتى اعلم على اي شيء هم فقال عمرو وهم لا يسجدون لك وفي رواية لا يحترون لك ولا يحيونك كما يحييك الناس اذا دخلوا عليك رغبة عن سنتكم ودينكم فلما جاؤا قال لهم جعفر

رضي الله عنه أنا خطيبكم اليوم وفي رواية فلما جاءهم رسول النجاشي يطلبهم اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض ما تقولون للرجل اذا جئتموه فقال جعفر رضي الله عنه أنا خطيبكم اليوم وانما نقول ما علمنا وما أمرنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكون ما يكون وقد كان النجاشي دعا أساقفته وامرهم فنشروا مصاحفهم حوله فلما جاء جعفر وأصحابه صاح جعفر وقال جعفر بالباب يستأذن ومعه حزب الله فقال النجاشي نعم يدخل بأمان الله وذمته فدخل عليه ودخلوا خلفه فسلم فقال الملك لا تسجدوا فقال عمرو ابن عمارة ألا ترى كيف يكتنون بحزب الله وما اجابهم به الملك وفي رواية اخرى لم يذكر فيها ان الملك قال لهم لا تسجدوا وذكر بدله ان عمرو بن العاص قال للنجاشي الا ترى ايها الملك انهم مستكبرون ولم يحيوك بتحيتك يعني السجود فقال النجاشي ما منعكم ان تسجدوا لي وتحيوني بتحيتي التي أحيا بها فقال جعفر انا لا نسجد الا لله عز وجل قال ولم ذلك قال لان الله تعالى أرسل فينا رسولا وأمرنا ان لا نسجد الا لله عز وجل واخبرنا ان تحية اهل الجنة السلام فحييناك بالذي يحيي به بعضنا بعضا وأمرنا بالصلاة يعني ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي لان الصلوات الخمس لم تكن فرضت ذلك الوقت وأمرنا بالزكاة اي مطلق الصدقة لان زكاة المال لم تفرض الا بالمدينة وقيل المراد من الزكاة الطهارة قال عمرو بن العاص للنجاشي فانهم يخالفونك في ابن مريم العذراء يعني عيسى

عليه الصلاة والسلام ولا يقولون انه ابن الله قال النجاشي فما تقولون في ابن مريم وأمه قال جعفر نقول كما قال الله تعالى روح الله وكلمته ألقاها الى مريم فقال النجاشي يا معشر الحبشة والقسيسين ما يزيدون على ما تقولون أشهد انه رسول الله وانه المبشر به عيسى في الانجيل ومعنى كونه روح الله انه حاصل عن نفخة روح القدس الذي هو جبريل

الرجل الصالح اذ هو يقتضي ان مطلق الرؤيا الصالحة جزء من مطلق النبوة الشامل لنبوته صلى الله عليه وسلم ونبوة غيره فليتأمل ولم أقف في كلام أحد على مشاركة احد من الانبياء عليهم الصلاة والسلام له صلى الله عليه وسلم في هاتين المدتين وحينئذ تحمل الخصوصية التي ادعاها بعضهم على هذا ومما يدل على ان المراد مطلق الرؤيا ومطلق النبوة لا خصوص رؤياه ونبوته صلى الله عليه وسلم ما جاء في ذلك من الالفاظ التي بلغت خمسة عشر لفظا ففي رواية انها جزء من سبعين جزأ وفي رواية من أربعة وأربعين وفي رواية انها جزء من خمسين جزأ من النبوة وفي رواية من تسعة وأربعين وفي أخرى انها جزء من ستة وسبعين وفي أخرى من خمسة وعشرين جزأ وفي أخرى من ستة وعشرين جزأ وفي أخرى من أربعة وعشرين جزأ فان ذلك باعتبار الاشخاص لتفاوت مراتبهم في الرؤيا وذكر الحافظ ابن حجر ان أصح الروايات مطلقا رواية ستة وأربعين ويليها رواية انها جزء من سبعين جزأ فعلم ان الرؤيا المذكورة جزء من مطلق النبوة اي لجزء منها من جهة الاطلاع على بعض الغيب فلا ينافي انقطاع النبوة بموته صلى الله عليه وسلم ومن ثم جاء ذهبت النبوة اي لا توجد بعدي وبقيت المبشرات اي المرائي التي كانت مبشرات للانبياء بالنبوة بدليل ما في رواية لم يبق بعدي من المبشرات اي مبشرات النبوة الا الرؤيا اي مجرد الرؤيا الخالية عن شيء من مبشرات النبوة بدليل ما في لفظ لم يبق الا الرؤيا الصالحة يراها المسلم اي لنفسه أو ترى له لا يقال الرؤيا الصادقة تكون من الكافر أو ترى له وهو خارج بالرجل الصالح وبالمسلم لانا نقول لو فرض وقوع ذلك كان استدراجا وفيه انها واقعة وظاهر سياق الحديث الحصر وكما تكون الرؤيا مبشرة بخير عاجل أو آجل تكون منذرة بشر كذلك قال بعضهم وقد تطلق البشارة التي هي الخبر السار على ما يشمل النذارة التي هي الخبر الضار بعموم المجاز بان يراد بالبشارة ما يعود الى الخبر لان النذارة ربما قادت الى الخير وفي الاتقان ومن المجاز تسمية الشيء باسم ضده نحو فبشرهم بعذاب أليم اه اي وهي في هذه الآية للتهكم وجاء رجل اي وهو أبو قتادة الانصاري الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني أرى في المنام الرؤيا تمرضني فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الرؤيا الحسنة من الله والسيئة من الشيطان فاذا رأيت الرؤيا تكرهها فاستعذ بالله من الشيطان واتفل عن يسارك ثلاث مرات فانها لا تضرك اي وحكمة التفل احتقار الشيطان واستقذاره وفي رواية اذا رأى أحدكم ما يكره فليتعذ بالله من شرها ومن

ومعنى كونه كلمة الله انه قال له كن فكان وفى رواية ان النجاشى قال لمن عنده من القسيسين والرهبان أنشدكم بالله الذى انزل الانجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى و بين يوم القيامة نبيا مرسلا صفته ماذكر هؤلاء قالوا اللهم نعم قد بشر به عيسى فقال من آمن به فقد آمن بى ومن كفر به فقد كفر بى فعند ذلك قال النجاشى والله لولا ما أنا فيه من الملك لاتبعته فأكون انا الذى أحمل نعله وأوضئه اى اغسل يديه وقال للمسلمين انزلوا حيث شئتم من أرضى آمنين بها وامر لهم بما يصلحهم من الرزق وقال من نظر الى هؤلاء الرهط نظرة تؤذيهم فقد عصانى وفى رواية قال لهم اذهبوا فانتم آمنون من سبكم غرم قالها ثلاثا اى غرم أربعة دراهم وضعفها وامر بهدية عمرو ورفيقه فردها عليهما وفى رواية ان النجاشى قال ما احب ان يكون لى دبر من ذهب اى جبل وانى أوذى رجلا منكم ردوا عليهم هداياهم فلا حاجة لى بها فوالله ما أخذ الله منى الرشوة حين رد على ملكى فآخذ الرشوة وما اطاع الناس فى فأطيعهم فيه وكان النجاشى اعلم النصارى بما أنزل على عيسى عليه السلام وكان قيصر يرسل اليه علماء النصارى ليأخذوا العلم عنه وقد بينت عائشة رضى الله عنها السبب فى قول النجاشى ما أخذ الله منى الرشوة حين رد على ملكى وهو أن والد النجاشى كان ملكا للحبشة فقتلوه وولوا أخاه الذى هو عم النجاشى فنشأ النجاشى فى حجر عمه لبيبا حازما وكان لعمه اثنا عشر ولدا لايصلح واحد منهم الملك فلما رأت الحبشة نجابة النجاشى خافوا ان يتولى عليهم فيقتلهم بقتلهم لابيه فمشوا الى عمه فى قتله فأبى وأخرجه وباعه ثم لما كان عشاء تلك الليلة مرت على عمه صاعقة فمات فلما رأت الحبشة ان لا يصلح أمرها الا النجاشى ذهبوا وجاؤا به من عند الذى اشتراه وعقدوا له التاج وملكوه عليهم فسار فيهم سيرة حسنة وفى رواية ما يقتضى ان الذى اشتراه

عن

الشيطان كأن يقول اعوذ بالله من شر ما رأيت ومن شر الشيطان وليتفل ثلاثا ولا يحدث بها أحدا فانها لا تضره زاد فى رواية وان يتحول عن جنبه الذى كان عليه وزاد فى أخرى وليقم فليصل اى ليكون فعل ذلك سببا للسلامة من المكروه الذى رآه وفى البخارى اذا رأى أحدكم الرؤيا يحبها فانما هى من الله فليحمد الله عليها وليحدث بها اى ولا يخبر بها الا من يحب واذا رأى غير ذلك مما يكره فانما هى من الشيطان اى لا حقيقة لها وانما هى تخيل يقصد به تخويف الانسان والتهويل عليه فليستعذ بالله من شرها ولا يذكرها لاحد فانها لا تضره وفى الاذكار ثم ليقل اللهم انى أعوذ بك من عمل الشيطان وسيآت الاحلام وفى الحديث الرؤيا من الله والحلم من الشيطان قيل فى معناه لان صاحب الرؤيا يرى الشئ على ما هو عليه بخلاف صاحب الحلم فانه يراه على خلاف ما هو عليه فان الحلم مأخوذ من حلم الجلد اذا فسد والرؤيا قيل انها امثلة يدركها الرائى بجزء من القلب لم تستول عليه آفة النوم واذا ذهب النوم عن أكثر القلب كانت الرؤيا اصفى وذكر الفخر الرازى ان الرؤيا الرديئة يظهر تعبيرها اى اثرها عن قرب والرؤيا الجيدة انما يظهر تعبيرها بعد حين والسبب فيه ان حكمة الله تعالى تقتضى ان لا يحصل الاعلام بوصول الشر الا عند قرب وصوله حتى يكون الحزن والغم اقل وأما الاعلام بالخير فانه يحصل متقدما على ظهوره بزمان طويل حتى تكون البهجة الحاصلة بسبب توقع حصول ذلك الخير أكثر وهذا جرى على ما هو الغالب والافقد قيل لجعفر الصادق كم تتأخر الرؤيا فقال رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى منامه كأن كلبا ابقع يلغ فى دمه فكان اى ذلك الكلب الابقع شمرا قاتل الحسين وكان ابرص فكان تأخير الرؤيا بعد خمسين سنة وجاء عن عمرو بن شرحبيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لخديجة اذا خلوت سمعت نداء أن يا محمد يا محمد وفى رواية أرى نورا اى يقظة لا مناما واسمع صوتا وقد خشيت ان يكون والله لهذا أمر وفى رواية والله ما ابغضت بغض هذه الاصنام شيأ قط ولا الكهان وانى لاخشى ان أكون كاهنا اى فيكون الذى يناديني تابعا من الجن لان الاصنام كانت الجن تدخل فيها وتخاطب سدنتها والكاهن يأتيه الجنى بخبر السماء وفى رواية واخشى ان يكون بى جنون اى لمة من الجن فقالت كلا يا ابن عم ما كان الله ليفعل ذلك بك فوالله انك لتؤدى الامانة وتصل الرحم وتصدق الحديث وفى رواية ان خلقك الكريم اى فلا يكون للشيطان عليك سبيل استدلت رضى الله تعالى عنها بما فيه من الصفات العلية والاخلاق السنية على انه لا يفعل به الا خيرا لان من كان كذلك لا يجزى الا خيرا ونقل الماوردى

رجل من العرب وانه ذهب به الى بلاده ومكث عنده مدة ثم لما مرج أمر الحبشة وضاق عليهم ما هم فيه خرجوا فى طلبه وأتوا به من عند سيده ويدل لذلك ما سيأتى انه عند وقعة بدر أرسل وطلب من كان عنده من المسلمين فدخلوا عليه فاذا هو قد لبس مسحا وقعد على التراب والرماد فقالوا له ما هذا أيها الملك فقال انا نجد فى الانجيل ان الله سبحانه وتعالى اذا أحدث لعبده نعمة وجب عليه ان يحدث لله تواضعا وان الله تعالى قد أحدث الينا واليكم نعمة عظيمة وهى ان محمدا صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه التقوا مع اعدائه واعدائهم واقتتلوا بواد يقال له الاراك كنت أرعى فيه الغنم لسيدى من بنى ضمرة وان الله تعالى قد هزم اعداءه فيه ونصر دينه ٭ وذكر السهيلى انه كان اذا قرئ عليه القرآن يبكى حتى تخضل لحيته وهذا يدل على طول مكثه ببلاد العرب حتى تعلم من لسان العرب ما يفهم به معانى القرآن وعن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه قال لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا خير جار أمنا على ديننا وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيأ نكرهه فلما بلغ ذلك قريشا ائتمروا ان يبعثوا رجلين جلدين وان يهدوا للنجاشى هدايا مما يستطيعون من متاع مكة وكان أعجب ما يأتيه منها الادم فجمعوا له ادما كثيرا ولم يتركوا من بطارقته بطريقا لا أهدوا اليه هدية اى هيؤا له هدية ولا يخالف ما تقدم من ان الهدية كانت فرسا وجبة ديباج لانه يجوز أن يكون بعض الادم ضم الى تلك الفرس والجبة للملك وبقية الادم فرق على اتباعه لعلهم يعينوهما على مطلوبهما والاقتصار على الفرس والجبة فى الرواية السابقة لان ذلك خاص بالملك ثم بعثوا عمارة بن الوليد وعمرو بن العاص يطلبون من النجاشى ان يسلمهم اليهم اى قبل ان يكلمنا وحسن له بطارقته ذلك لانهم مالوا لهم وصلاهداياهم اليهم قالوا لهم اذا نحن كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه أن يسلمهم

عن الشعبى ان الله قرن اسرافيل عليه السلام بنبيه ثلاث سنين يسمع حسه ولا يرى شخصه يعلمه الشئ بعد الشئ ولا يذكر له القرآن فكان فى هذه المدة مبشرا بالنبوة وامهاله هذه المدة ليتأهب لوحيه وفيه انه لو كان فى تلك المدة مبشرا بالنبوة ما قال لخديجة ما تقدم الا ان يقال ما تقدم انما قاله لخديجة فى أول الامر ويدل لذلك ما قيل انه صلى الله عليه وسلم مكث خمس عشرة سنة يسمع الصوت احيانا ولا يرى شخصا وسبع سنين يرى نورا ولم يرشيأ غير ذلك وان المدة التى بشر فيها بالنبوة كانت ستة أشهر من تلك المدة التى هى اثنان وعشرون سنة وهذا الشئ الذى كان يعلمه له اسرافيل لم أقف على ما هو والله أعلم وبعد ذلك حبب الله اليه صلى الله عليه وسلم الخلوة التى يكون بها فراغ القلب والانقطاع عن الخلق فهى تفرغ القلب عن اشغال الدنيا ودوام ذكر الله تعالى فيصفو وتشرق عليه انوار المعرفة فلم يكن شئ أحب اليه من ان يخلو وحده وكان يخلو بغار حرا بالمد والقصر وهذا الجبل هو الذى نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله الى يا رسول الله لما قال له ثبير وهو على ظهره اهبط عنى فانى اخاف ان تقتل على ظهرى فاعذب فكان صلى الله عليه وسلم يتحنث اى يتعبد به اى بغار حرا الليالى ذوات العدد ويروى أولات العدد اى مع ايامها وانما غلب الليالى لانها أنسب بالخلوة قال بعضهم وابهم العدد لاختلافه بالنسبة الى المدد فتارة كان ثلاث ليال وتارة سبع ليال وتارة شهر رمضان أوغيره وفى كلام بعضهم ما قد يدل على انه لم يختل صلى الله عليه وسلم اقل من شهر وحينئذ يكون قوله فى الحديث الليالى ذوات العدد محمول على القدر الذى كان يتزود له فاذا فرغ زاده رجع الى مكة وتزود الى غيرها الى ان يتم الشهر وكذا قول بعضهم فتارة كان ثلاث ليال وتارة سبع ليال وتارة شهرا ولم يصح انه صلى الله عليه وسلم اختلى أكثر من شهر قال السراج البلقينى فى شرح البخارى لم يجئ فى الاحاديث التى وقفنا عليها كيفية تعبده عليه الصلاة والسلام هذا كلامه وسيأتى بيان ذلك قريبا ثم اذا مكث صلى الله عليه وسلم تلك الليالى اى وقد فرغ زاده يرجع الى خديجة رضى الله تعالى عنها فيتزود لمثلها اى قيل وكانت زوادته صلى الله عليه وسلم الكعك والزيت وفيه ان الكعك والزيت يبقى المدة الطويلة فيمكث جميع الشهر الذى يختلى فيه ثم رأيت عن الحافظ ابن حجر مدة الخلوة كانت شهرا فكان يتزود لبعض ليالى الشهر فاذا نفد ذلك الزاد رجع الى أهله يتزود قدر ذلك ولم يكونوا فى سعة بالغة من العيش وكان غالب ادمهم اللبن واللحم وذلك لا يدخر منه لغاية شهر لئلا يسرع الفساد اليه ولاسيما وقد وصف بانه صلى الله عليه وسلم كان يطعم من يرد عليه هذا

البنا قبل ان يكلمهم موافقة لما وضب عليه قريش فقد ذكر انهم قالوا لهما ادفعوا الكل بطريق هديته قبل ان تكلما النجاشي
فيهم ثم قدما للنجاشي هداياه ثم اسألاه ان يسلمهم اليكما قبل ان يكلمهم فلما جا آ الى الملك قالا له أيها الملك قد صبا الى بلدك منا غلمان
سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك وجاؤا بدين مبتدع لانعرفه نحن ولا أنت جاءهم به رجل كذاب خرج
فينا يزعم انه رسول الله ولم يتبعه منا الا السفهاء وقد بعثنا اليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم واعمامهم وعشائرهم لتردهم اليهم فهم اعلم بما عابوا عليهم فقال بطارقته صدقوا ايها الملك قومهم أعلم بهم فأسلمهم اليهما ليرداهم الى بلادهم وقومهم فغضب النجاشي وقال لاهاء الله اى لا والله لا اسلمهم ولا يكادون من قومهم جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي حتى ادعوهم فأسألهم عما يقول هذان من امرهم فان كان كما يقولان سلمتهم اليهما والا منعتهم عنهما و أحسنت جوارهم ما جاوروني قال جعفر رضي الله عنه ثم ارسل الينا ودعانا فلما دخلنا سلمنا فقال من حضره مالكم لا تسجدون للملك قلنا لا نسجد الا لله تعالى فقال النجاشي ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا دين احد من الملوك قلنا ايها الملك كنا قوما اهل جاهلية نعبد الاصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الارحام ونسيء الجوار ويأكل القوي الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله لنا رسولا كما بعث
الرسل الى من قبلنا وذلك الرسول منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا الى الله تعالى لنعبده ونوحده الا
ونخلع اى نترك ما كان يعبد آباؤنا من دونه من الاحجار والاوثان وامرنا أن نعبد الله وحده وامرنا بالصلاة اى ركعتين بالغداة
وركعتين بالعشي والزكاة اى مطلق الصدقة والصيام اى ثلاثة ايام من كل شهر لان صوم رمضان انما فرض بالمدينة وامرنا

كلامه وهو يشير فيه الى ثلاثة أجوبة الاول انه لم يكن في سعة بحيث يدخر ما يكفيه شهرا من الكعك والزيت الثاني ان غالب ادمهم كان اللحم واللبن وهو لا يدخر شهرا الثالث انه على فرض ان يدخر ما يكفيه شهرا اى من الكعك والزيت الا انه صلى الله عليه وسلم كان يطعم فربما انفد ما ادخره وانما اختار الزيت للادم لان دسومته لا ينفر منها الطبع بخلاف اللبن واللحم ومن ثم جاء ائتدموا بالزيت وادهنوا به فانه يخرج من شجرة مباركة وقوله ائتدموا من هذه الشجرة المباركة اى من عصارة ثمرة هذه الشجرة المباركة التي هي الزيتونة وهو الزيت وقيل انها مباركة لانها لا تكاد تنبت الا في شريف البقاع التي بورك فيها كأرض بيت المقدس حتى فجأه الحق وهو في غار حراء اى في اليوم والشهر المتقدم ذكره وعن عبيد بن عمير رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور في حراء في كل سنة شهرا وكان ذلك مما تحنث فيه قريش في الجاهلية اى المتألهين منهم اى وكان أول من تحنث فيه من قريش جده صلى الله عليه وسلم عبد المطلب فقد قال ابن الاثير أول من تحنث بحراء عبد المطلب كان اذا دخل شهر رمضان صعد حراء واطعم المساكين ثم تبعه على ذلك من كان يتأله اى يتعبد ○ كورقة بن نوفل وابي أمية بن المغيرة وقد أشار الى تعبده صلى الله عليه وسلم صاحب الهمزية بقوله

الف النسك والعبادة والخلـ * ـوة طفلا وهكذا النجباء

واذا حلت الهداية قلبا * نشطت في العبادة الاعضاء

اى الف صلى الله عليه وسلم العبادة والخلوة في حال كونه طفلا ومثل هذا الشأن العلي شأن الكرام وانما كان هذا شأن الكرام لانه اذا حلت الهداية قلبا نشطت الاعضاء في العبادة لان القلب رئيس البدن المعول عليه في صلاحه وفساده واعل الخلوة في كلام صاحب الهمزية المراد بها مطلق اعتزال الناس وأراد بطفلا زمن رضاعه صلى الله عليه وسلم عند حليمة فقد تقدم عنها رضي الله تعالى عنها انها قالت لما ترعرع رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج الى الصبيان وهم يلعبون فيجتنبهم لا خصوص اعتزال الناس في غار حرا فلا ينافي قوله طفلا لظاهر ما تقدم من ان خلوته صلى الله عليه وسلم بغار حرا كانت في زمن تزوجه صلى الله عليه وسلم بخديجة رضي الله تعالى عنها فكان صلى الله عليه وسلم يجاور ذلك الشهر يطعم من جاءه من المساكين اى لانه كان من نسك قريش في الجاهلية اى في ذلك المحل ان يطعم الرجل من جاءه من المساكين وقد قيل ان هذا كان تعبده في غار حرا اى مع الانقطاع عن الناس والا فمجرد اطعام المساكين لا يختص بذلك المحل

بصدق الحديث وأداء الامانة وصلة الارحام وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء اى ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة فصدقناه وآمنابه واتبعناه على ماجاءبه فعدا علينا قومنا ليردونا الى عبادة الاصنام واستحلال الخبائث فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا الى بلادك واخترناك على من سواك ورجونا أن لانظلم عندك أيها الملك فقال النجاشي لجعفر هل عندك شئ مما جاء به قلت نعم قال فاقرأعلى فقرأت عليه صدرا من كهيعص اى لكونها فيها قصة مريم وعيسى عليهما السلام فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته وبكى أساقفته وفى رواية هل عندك مما جاء به عن الله شئ فقال جعفر نعم قال فاقرأه على قال البغوى فقرأ عليه سورة العنكبوت والروم ففاضت عيناه وأعين اصحابه بالدمع وقالوا زدنا ياجعفر من هذا الحديث فقرأ عليهم سورة الكهف فقال النجاشي هذا والله الذى جاء به موسى وفى رواية ان هذا والذى جاء به موسى ليخرجان من مشكاة واحدة وهذا يدل على أن عيسى عليه السلام كان مقررا لما جاء به موسى وفى رواية بدل موسى عيسى ويؤيده مافى رواية انه قال مازاد هذا على مافى الانجيل الاهذا العود مشيرا لعود كان فى يده اخذه من الارض وأنزل الله فى النجاشي وأصحابه واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول الآيات فى سورة المائدة وفى رواية ان جعفرا قال للنجاشي سلهما اعبيد نحن أم احرار فان كنا عبيدا أبقنا من اربابنا فارددنا اليهم فقال عمرو بل احرار فقال جعفر سلهما هل أرقنا دما بغير حق فيقتص منا هل اخذنا اموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤه فقال عمرو لا فقال النجاشي لعمرو وعمارة هل لكما عليهم دين قالا لا قال انطلقا فوالله لا اسلمهم اليكما أبدا ولو أعطيتموني ديرا من ذهب اى جبلا من ذهب ثم غدا عمرو الى النجاشي اى أتى اليه فى غد ذلك

لان كان ذلك المحل صار فى ذلك الشهر مقصرا للمساكين دون غيره وقيل كان تعبده صلى الله عليه وسلم التفكر مع الانقطاع عن الناس اى لاسيما ان كانوا على باطل لان فى الخلوة يخشع القلب وينسى المألوف من مخالطة ابناء الجنس المؤثرة فى البنية البشرية ومن ثم قيل الخلوة صفوة الصفوة وقول بعضهم كان يتعبد بالتفكر اى مع الانقطاع عما ذكرنا والا فمجرد التفكر لا يختص بذلك المحل الا ان يدعى ان التفكر فيه أتم من التفكر فى غيره لعدم وجود شاغل به وقيل تعبده صلى الله عليه وسلم كان بالذكر وصححه فى سفر السعادة وقيل بغير ذلك ومن ذلك الغير أنه قيل كان يتعبد قبل النبوة بشرع ابراهيم وقيل بشريعة موسى غير مانسخ منها فى شرعنا وقيل بكل ماصح انه شريعة لمن قبله غير مانسخ من ذلك فى شرعنا وفى كلام الشيخ محيي الدين بن العربي تعبد صلى الله عليه وسلم قبل نبوته بشريعة ابراهيم حتى فجأه الوحى وجاءته الرسالة فالولى الكامل يجب عليه متابعة العمل بالشريعة المطهرة حتى يفتح الله فى قلبه عين الفهم عنه فيلهم معانى القرآن ويكون من المحدثين بفتح الدال ثم يصير الى ارشاد الخلق وكان صلى الله عليه وسلم اذا قضى جواره من شهره ذلك كان أول ما يبدأ به اذا انصرف قبل ان يدخل بيته الكعبة فيطوف بها سبعا أو ماشاء الله تعالى ثم يرجع الى بيته حتى اذا كان الشهر الذى أراد الله تعالى به ما أراد من كرامته صلى الله عليه وسلم وذلك شهر رمضان وقيل شهر ربيع الاول وقيل شهر رجب خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حراكما كان يخرج لجواره ومعه أهله اى عياله التى هى خديجة رضى الله تعالى عنها امامع أولادها او بدونهم حتى اذا كانت الليلة التى أكرمه الله تعالى فيها برسالته ورحم العباد بها وتلك الليلة ليلة سبع عشرة من ذلك الشهر وقيل رابع عشريه وقيل كان ذلك ليلة ثمان من ربيع الاول اى وقيل لليلة ثالثة قال بعضهم القول بانه فى ربيع الاول يوافق القول بانه بعث على رأس الاربعين لان مولده صلى الله عليه وسلم كان فى ربيع الاول على الصحيح اى وهو قول الاكثرين وقيل كان ذلك ليلة او يوم السابع والعشرين من رجب فقد أورد الحافظ الدمياطى فى سيرته عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله تعالى له صيام ستين شهرا وهو اليوم الذى نزل فيه جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم بالرسالة وأول يوم هبط فيه جبريل هذا كلامه اى أول يوم هبط فيه على النبى صلى الله عليه وسلم ولم يهبط عليه قبل ذلك وسيأتى فى بعض الروايات ان جبريل عليه

اليوم وقال له انهم يقولون فى عيسى قولا عظيما اى يقولون انه عبد الله وانه ليس ابن الله وفى لفظ ان عمرا قال للنجاشى ايها الملك انهم يشتمون عيسى وأمه فى كتابهم فسألهم فذكر له جعفر ذلك اى أجابه بما تقدم فى الرواية الاولى هذا وعن عروة بن الزبير انما كان يكلم النجاشى عثمان بن عفان وهو حصر عجيب فليتأمل ويمكن ان يقال ان مجالسهم تلك تكررت فمرة كان الكلام فيها مع جعفر ومرة مع عثمان رضى الله عنهما وروى الطبرانى عن ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه بسند فيه رجال الصحيح ان عمرو بن العاص مكر بعمارة بن الوليد اى للعداوة التى وقعت بينهما فى سفرهما اى من ان عمرو بن العاص كان مع زوجته وكان قصيرا دميما وكان عمارة رجلا جميلا ففتن امرأة عمرو وهو به فنزل هو وهى فى السفينة فقال عمارة لعمرو مر امرأتك فلتقبلنى اى تقبل معى فقال له عمرو ألا تستحى فأخذ عمارة عمرا ورمى به فى البحر فجعل عمرو يسبح وينادى أصحاب السفينة ويناشد عمارة حتى أدخله السفينة فأضمرها عمرو فى نفسه ولم يبدها لعمارة بل قال لامرأته قبلى ابن عمك عمارة لتطيب بذلك نفسه فلما أتيا ارض الحبشة مكر به عمرو فقال انت رجل جميل والنساء يحببن الجمال فتعرض لزوجة النجاشى لعلها ان تشفع لنا عنده ففعل عمارة ذلك وكرر تردده اليها حتى أهدت اليه من عطرها ودخل عندها يوما فلما تحقق ذلك عمرو أتى النجاشى واخبره بذلك فقال ان صاحبى هذا صاحب نساء وانه يريد أهلك وانه عندها الآن فبعث النجاشى فاذا عمارة عند امرأته فقال لولا انه جارى لقتلته ولكن سأفعل به ما هو شر من القتل فدعا بساحر فنفخ فى احليله نفخة صار منها هائما على وجهه مسلوب العقل حتى لحق بالوحوش فى الجبال الى ان مات على تلك الحال ومن شعر عمرو بن العاص يخاطب به

السلام نزل فى سحر تلك الليلة التى هى ليلة الاثنين ويجوز أن يكون كل من تلك الليالى كانت ليلة الاثنين فقد جاء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبلال لا يفوتك صوم يوم الاثنين لانى ولدت فيه ونبئت فيه فلا مخالفة بين كونه نبئ فى الليل وبين كونه نبئ فى اليوم لان وقت السحر قد يلحق بالليل وفى كلام بعضهم أتاه صلى الله عليه وسلم جبريل ليلة السبت وليلة الاحد ثم ظهر له بالرسالة يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من رمضان فى حراء بأمر الله تعالى وهذا القول اى ان البعث كان فى رمضان قال به جماعة منهم الامام الصرصرى حيث قال

وأتت عليه أربعون فاشرقت ✽ شمس النبوة منه فى رمضان

واحتجوا بان أول ما أكرمه الله تعالى بنبوته أنزل عليه القرآن وأجيب بان المراد بنزول القرآن فى رمضان نزوله جملة واحدة فى ليلة القدر الى بيت العزة فى سماء الدنيا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءنى وأنا نائم بنمط وهو ضرب من البسط وفى رواية جاءنى وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب اى كتابة فقال اقرأ فقلت ما اقرأ اى أنا امى لا احسن القراءة اى قراءة المكتوب أو مطلقا فغطنى أو فغتنى بالتاء بدل من الطاء به اى غمنى بذلك النمط بان جعله على فمه وأنفه قال حتى ظننت انه الموت ثم أرسلنى فقال اقرأ اى من غير هذا المكتوب فقلت ماذا أقرأ وما اقول ذلك الا افتداء منه اى تخلصا منه ان يعود لى بمثل ما صنع اى انما استفهمت عما أقرأه ولم أنف خوفا ان يعود لى بمثل ما صنع عند النفى اى وفى رواية فقلت والله ما قرأت شيأ قط وما أدرى شيأ اقرأه اى لانى ما قرأت شيأ فهو من عطف السبب على المسبب قال اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فقرأتها فانصرف عنى وهببت اى استيقظت من نومى فكأنما كتب فى قلبى كتابا (اقول) اى استقر ذلك فى قلبى وحفظته ثم لا يخفى ان كلام هذا البعض وهو انه جاءه ليلة السبت وليلة الاحد ثم ظهر له يوم الاثنين محتمل لان يكون أتاه بذلك النمط فى ليلة السبت وليلة الاحد وسحر يوم الاثنين وهو نائم لا يقظة لقوله ثم هببت من نومى ولا ينافى ذلك قوله ثم ظهر له بالرسالة اى اعلن له بما يكون سببا للرسالة الذى هو اقرأ الحاصل فى اليقظة وحينئذ يكون تكرر مجيئه هو السبب فى استقرار ذلك فى قلبه صلى الله عليه وسلم وحينئذ لا يبعد قوله فى الليلة الثانية ما قرأت شيأ لان المراد لم يتقدم لى قرأة قبل مجيئك الى ولا يبعد أيضا قوله

ماأدرى ماأقرأ الا انه لم يستقر ذلك فى قلبه لما علمت ان سبب الاستقرار التكرر فلم يستقر ذلك فى قلبه صلى الله عليه وسلم فى الليلة الاولى وفى سيرة الشامى ان مجىء جبريل عليه السلام له صلى الله عليه وسلم بالنمط لم يتكرر وانه كان قبل دخوله صلى الله عليه وسلم غار حرا وهذا السياق يدل على انه كان بعده وفى سفر السعادة ما يقتضى انه جاءه بالنمط يقظة فى حرا ونصه فبينما هو فى بعض الايام قائم على جبل حرا اذ ظهر له شخص وقال أبشر يا محمد أنا جبريل وأنت رسول الله لهذه الامة ثم أخرج له قطعة نمط من حرير مرصعة بالجواهر ووضعها فى يده وقال اقرأ قال والله ما أنا بقارئ ولا أدرى فى هذه الرسالة كتابة اى لا أعلم ولا أعرف المكتوب فيها قال فضمنى اليه وغطنى حتى بلغ منى الجهد فعل ذلك بى ثلاثا وهو يأمرنى بالقراءة ثم قال اقرأ باسم ربك هذا كلامه فليتأمل والله أعلم قال فخرجت اى من الغار اى وذلك قبل مجىء جبريل اليه صلى الله عليه وسلم باقرأ خلافا لما يقتضيه السياق حتى اذا كنت فى شط من الجبل اى فى جانب منه سمعت صوتا من السماء يقول يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل فوقفت تنظر اليه فاذا جبريل على صورة رجل صاف قدميه اى وفى رواية واضعا احدى رجليه على الاخرى فى افق السماء اى نواحيها يقول يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل فوقفت أنظر اليه فما أتقدم وما أتأخر وجعلت أصرف وجهى عنه فى آفاق السماء فلا أنظر فى ناحية منها الا رأيته كذلك فمازلت واقفا ما أتقدم امامى وما أرجع ورائى حتى بعثت خديجة رسلها فى طلبى فبلغوا مكة ورجعوا اليها وأنا واقف فى مكانى ذلك ثم انصرف عنى وانصرفت راجعا الى أهلى حتى أتيت خديجة اى فى الغار فجلست الى فخذها مضيفا اليها اى مستندا اليها فقالت يا أبا القاسم أين كنت فوالله لقد بعثت رسلى فى طلبك فبلغوا مكة ورجعوا الى (أقول) وهذا يدل على ان خديجة رضى الله تعالى عنها كانت معه بغار حرا وهو الموافق لما تقدم من قوله ومعه أهله اى خديجة رضى الله تعالى عنها على ما تقدم وقد يخالف ذلك ما روى ان خديجة رضى الله تعالى عنها صنعت طعاما ثم أرسلته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تجده بحراء فأرسلت فى طلبه الى بيت أعمامه واخواله فلم تجده فشق ذلك عليها فبينما هى كذلك اذ أتاها فحدثها بما رأى وسمع فان هذا يدل على انها لم تكن معه صلى الله عليه وسلم بحرا وقد يقال يجوز أن تكون خرجت معه أولا وأرسلت رسلها اليه صلى الله عليه وسلم وهى بحرا فلم تجده وان الرسل اخطؤا المحل وقوفه صلى الله عليه وسلم بالجبل الذى هو حرا

عمارة بن الوليد

اذا المرء لم يترك طعاما يحبه * ولم ينه قلبا غاويا حيث يمما
قضى وطرا منه وغادر سبة * اذا ذكرت أمثالها تملأ الفما

ولا زال عمارة مع الوحوش الى ان كان موته فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وان بعض الصحابة وهو ابن عمه عبد الله بن ابى ربيعة فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه استأذنه فى المسير اليه لعله يجده فأذن له عمر رضى الله عنه فسار عبد الله الى أرض الحبشة وأكثر النشدة والفحص عن أمره حتى اخبر انه فى جبل يرد مع الوحوش اذا وردت ويصدر معها اذا صدرت فجاء اليه وأمسكه فجعل يقول أرسلنى والا أموت الساعة فلم يرسله فمات من ساعته وسيأتى بعد غزوة بدر ان شاء الله انهم أرسلوا للنجاشى عمرو بن العاص أيضا وعبد الله بن ابى ربيعة هذا وكان اسمه بحيرا فلما اسلم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله وابو ربيعة هذا وهو ابو عبد الله كان يقال له ذو الرمحين وأم عبد الله هى أم ابى جهل بن هشام فهو اخو ابى جهل لامه فأرسلوهما اليه ليدفع اليهما من عنده من المسلمين ليقتلوهم فيمن قتل ببدر وذكر بعضهم ان ارسال قريش لعمرو ابن العاص وعبد الله بن ابى ربيعة ومعهما عمارة بن الوليد كان فى الهجرة الاولى للحبشة والصواب ان ارسال عمرو وعمارة فى الهجرة الثانية وان ابن ابى ربيعة انما كان مع عمرو بعد بدر كما علمت وان كان يمكن ان يكون عبد الله بن ابى ربيعة أرسلته قريش مرتين

(ذكر اسلام عمر رضى الله عنه) قد انجر الكلام من الهجرة الاولى الى الهجرة الثانية واسلام عمر رضى الله عنه انما كان بعد الهجرة الاولى وقبل الهجرة الثانية قال ابن اسحق أسلم عمر رضى الله عنه عقب الهجرة الاولى الى الحبشة سنة ست من المبعث

ثم رجعت الى مكة وأرسلت رسلها اليه صلى الله عليه وسلم بحراء لاحتمال عوده اليه ثم أرسلت الى بيت اعمامه واخواله لما لم تجده صلى الله عليه وسلم بحراء فارسالها تكرر مرتين مع اختلاف محلها ويكون قوله وانصرفت راجعا الى أهلي اى بمكة لا بحراء لانه يجوز أن يكون بلغه رجوع خديجة رضى الله تعالى عنها الى مكة هذا على مقتضى الجمع وأما على ظاهر الرواية الاولى يكون رجوعه الى أهله بحراء كما ذكرنا وهو يدل على أن خروجه صلى الله عليه وسلم الى شط الجبل كان من غار حراء كما ذكرنا الا من مكة الذى يدل عليه قول الشمس الشامى فخرج مرة أخرى الى حراء قال فخرجت حتى أتيت الشط من الجبل سمعت صوتا الى آخره فليتأمل والله أعلم قال ثم حدثتها بالذى رأيت اى من سماع الصوت ورؤية جبريل وقوله له يا محمد أنت رسول الله فقالت أبشر يا ابن عمى واثبت فوالذى نفسى بيده انى لارجو ان تكون نبى هذه الامة ثم قامت فجمعت عليها ثيابها اى التى تتجمل بها عند الخروج ثم انطلقت الى ورقة بن نوفل فأخبرته بما أخبرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى وسمع اى رأى جبريل وسمع منه أنت رسول الله وأنا جبريل فقال ورقة قدوس قدوس بالضم والفتح والذى نفسى بيده لئن كنت صدقت يا خديجة لقد جاءه الناموس الاكبر الذى يأتى موسى الذى هو جبريل وانه لنبى هذه الامة فقولى له يثبت والقدوس الطاهر المنزه عن العيوب وهذا يقال للتعجب اى وجاء بدل قدوس سبوح سبوح وما لجبريل يذكر فى هذه الارض التى تعبد فيها الاوثان جبريل أمين الله بينه وبين رسله اى لان هذا الاسم لم يكن معروفا بمكة ولا غيرها من بلاد العرب فرجعت خديجة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بقول ورقة بن نوفل فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره وانصرف اى فرغ ما تزوده وليس المراد انقضاء جواره بانقضاء الشهر لان ذلك كان قبل ان يجيء اليه جبريل باقرأ باسم ربك يقظة كما تقدم اى وذلك كان فى الشهر الذى اكرمه الله فيه برسالته فعند ذلك صنع كما كان يصنع بدأ بالكعبة فطاف بها فلقيه ورقة بن نوفل وهو يطوف بالكعبة فقال له يا ابن اخى اخبرنى بما رأيت وسمعت فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ورقة والذى نفسى بيده انك لنبى هذه الامة ولقد جاءك الناموس الاكبر الذى جاء موسى ولتكذبنه ولتؤذينه ولتقاتلنه ولتخرجنه بماء الكاف ولا تكون الاساكنة ولئن انا ادركت ذلك اليوم لانصرن الله نصرا يعلمه ثم ادنى ورقة رأسه صلى الله عليه وسلم منه وقبل يأفوخه اى وسط رأسه لان اليأفوخ بالهمز وسط الرأس اذا اشتد وقبل

استداده

وقيل سنة خمس وقيل اسلم بعد حمزة بثلاثة أيام وكان اسلامه بسبب استجابة دعاء النبى صلى الله عليه وسلم فيه فانه قال اللهم أعز الاسلام بأحب الرجلين اليك بعمر بن الخطاب او بعمرو بن هشام وهو ابو جهل وكان المسلمون تسعة وثلاثين رجلا فكمل الله به الاربعين وكان عمر رضى الله عنه يحدث عن اسلامه قال بلغنى اسلام اختى فاطمة بنت الخطاب زوج سعيد بن زيد قال وكنت من اشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينا انا فى يوم حار شديد الحر بالهاجرة فى بعض طرق مكة اذ لقينى رجل من قريش فقال اين تذهب انك تزعم انك هذا اى انك الصلب القوى فى دينك وقد دخل عليك هذا الامر فى بيتك قال وماذاك قال أختك قد صبأت فرجعت مغضبا وقد كان صلى الله عليه وسلم يجمع الرجل والرجلين اذا اسلما عند الرجل به قوة فيكونان معه ويصيبان من طعامه وقد ضم الى زوج اختى رجلين فجئت حتى قرعت الباب فقيل من هذا فقلت ابن الخطاب قال وكان القوم جلوسا يقرؤن صحيفة معهم فلما سمعوا صوتى تبادروا واختفوا ونسوا الصحيفة من أيديهم فقامت المرأة ففتحت لى فدخلت عليها فقلت يا عدوة نفسها قد بلغنى عنك انك صبأت اى خرجت عن دينك ثم ضربتها وفى رواية ان عمر وثب على ختنه سعيد بن زيد واخذ بلحيته وضرب به الارض وجلس على صدره فجاءت اخته لتكفه عن زوجها فلطمها لطمة شج بها وجهها فسال الدم فلما رأت الدم بكت وغضبت وقالت أتضربنى يا عدو الله على ان اوحد الله لقد اسلمنا على رغم انفك يا ابن الخطاب فما كنت فاعلا فافعل قال عمر رضى الله عنه فاستحييت حين رأيت الدم فقمت وجلست على السرير وانا مغضب فنظرت فاذا كتاب فى ناحية البيت فقلت ما هذا الكتاب اعطينيه انظره وكان عمر قارئا فقالت له لا اعطيكه لست من اهله انت لا تغتسل من الجنابة ولا تتطهر ولا يمسه الا المطهرون

قال فلم ازل بها حتى اعطتنيه وفى رواية قال أعطونى هذه الصحيفة اقرأها وكان عمر رضى الله عنه يقرأ الكتب قالت اخته لا افعل قال ويحك وقع فى قلبى مما قلت فاعطنيها أنظر اليها واعطيك من المواثيق أن لا اخونك حتى تحوزيها حيث شئت قالت انك رجس فانطلق فاغتسل أو توضأ فانه كتاب لا يمسه الا المطهرون فخرج ليغتسل فخرج خباب اليها فقال اتدفعين كتاب الله الى كافر قالت نعم انى ارجو أن يهدى الله اخى فدخل خباب البيت وجاء عمر فدفعته اليه فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم فلما مررت بالرحمن الرحيم ذعرت ورميت بالصحيفة من يدى وجعلت أفكر من اى شئ اشتق اى أخذ ثم رجعت الى نفسى واخذت الصحيفة فاذا فيها سبح لله ما فى السموات والارض فجعلت اقرأ وافكر حتى بلغت آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه الى قوله تعالى ان كنتم مؤمنين فقلت اشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله (وفى رواية) فاخرجوا الى صحيفة فيها بسم الله الرحمن الرحيم فقلت أسماء طيبة طاهرة طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى له ما فى السموات وما فى الارض وما بينهما وما تحت الثرى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى فعظمت فى صدرى وقلت من هذا فرت قريش فلما بلغ فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى تشهد وفى رواية كان مع سورة طه اذا الشمس كورت وأن عمر انتهى الى قوله تعالى علمت نفس ما أحضرت ويمكن الجمع بانه وجد السور الثلاث فى صحيفة او صحيفتين فقرأ وتشهد عقب بلوغ كل من الآيتين ولما بلغ انى انا الله لا اله الا أنا فاعبدنى واقم الصلاة لذكرى قال ما ينبغى لمن يقول هذا أن يعبد

استداده كما فى رأس الطفل ويقال له الفادية بالفاء ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى منزله اى ولا مانع من تكرار مراجعة ورقة فتارة قال قدوس قدوس وتارة قال سبوح سبوح او جمع بين ذلك فى وقت واحد وبعض الرواة اقتصر على أحد اللفظين (وقد جاء) ان أبا بكر رضى الله تعالى عنه دخل على خديجة اى وليس عندها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له يا عتيق اذهب بمحمد صلى الله عليه وسلم الى ورقة اى بعد ان أخبرته بما اخبرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سيذكر فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ ابو بكر بيده فقال انطلق بنا الى ورقة وذهب به الى ورقة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خلوت وحدى سمعت نداء خلفى يا محمد يا محمد فانطلق هاربا الى الارض فقال له لا تفعل اذا أتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول ثم ائتنى اى وهذا قبل أن يراه ويجتمع به ويجئ اليه بالقرآن وحينئذ يكون تكرر سؤال ورقة ثلاث مرات الاولى على يد أبى بكر رضى الله تعالى عنه وذلك قبل أن يرى جبريل والثانية التى رأى فيها جبريل وسمع منه ولم يجتمع به وذلك عند اجتماعه صلى الله عليه وسلم به فى المطاف والثالثة التى بعد مجئ جبريل له يقظة بالقرآن اى باقرأ باسم ربك على المشهور من انه اول ما نزل وذلك على يد خديجة ولا ينافى ذلك ما ذكره الحافظ بن حجر كما سيأتى ان القصة واحدة لم تتعدد ومخرجها متحد لان مراده قصة مجئ جبريل له يقظة باقرأ باسم ربك وسيأتى ما فيه * وانما قال ورقة له صلى الله عليه وسلم يا ابن أخى قيل لانه يجتمع مع عبد الله والد النبى صلى الله عليه وسلم فى قصى فكان عبد الله بمثابة الاخ له أو انه قال ذلك توقيرا له وانما ذكر ورقة موسى دون عيسى عليهما الصلاة والسلام مع أن عيسى اقرب منه وهو على دينه لانه كان على دين موسى ثم صار على دين عيسى عليهما الصلاة والسلام اى كان يهوديا ثم صار نصرانيا اى لان نبوة موسى عليه الصلاة والسلام مجمع عليها اى على أنها ناسخة لما قبلها وان شريعة عيسى عليه الصلاة والسلام قيل انها متممة ومقررة لشريعة موسى عليه الصلاة والسلام لا ناسخة لها قيل ولان ورقة كان ممن تنصر اى كما علمت والنصارى لا يقولون بنزول جبريل على عيسى عليه الصلاة والسلام اى بل كان يعلم الغيب لانهم يقولون فيه أنه احد الاقانيم الثلاثة اللاهوتية وذلك الاقنوم هو أقنوم الكلمة التى هى العلم حل بناسوت المسيح واتحد به فلذلك كان يعلم علم الغيب ويخبر بما فى الغد (اقول) وفيه ان فى رواية وانك على مثل ناموس موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام اى ففى بعض الروايات جمع وفى بعضها اقتصر على موسى وفى الاقتصار على موسى دون الاقتصار على

عيسى ما علمت ثم رأيت أنه جاء فى غير الصحيح الاقتصار على عيسى فقال هذا الناموس الذى نزل على عيسى فهو كما جاء الجمع بينهما جاء الاقتصار على كل منهما ولا ينافى ذلك اى مجىء جبريل لعيسى ما تقدم عن النصارى من انهم لا يقولون بنزول جبريل على عيسى لجواز أن يكون المراد لا ينزل عليه دائما وابدا بالوحى بل فى بعض الاحيان وفى بعضها يعلم الغيب بغير واسطة ثم رأيت فى فتح البارى ان عند اخبار خديجة لورقة بالقصة قال لها هذا ناموس عيسى بحسب ما هو فيه من النصرانية وعند اخبار النبى صلى الله عليه وسلم له بالقصة قال له هذا ناموس موسى للمناسبة بينهما لان موسى ارسل بالنقمة على فرعون وقد وقعت النقمة على يد نبينا صلى الله عليه وسلم على فرعون هذه الامة الذى هو ابو جهل هذا كلامه فليتأمل وقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم قال فى حق ابى جهل فى يوم بدر هذا فرعون هذه الامة والله أعلم (وعن عائشة) رضى الله تعالى عنها جاءه الملك بحرا اى سحر يوم الاثنين يقظة لا مناما اى بغير غط فقال له اقرأ قال ما أنا بقارئ اى لا أوجد القراءة قال فأخذنى فغطنى اى ضمنى وعصرنى وفى لفظ فأخذ بحلقى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ فقلت ما انا بقارئ اى لا أحسن القراءة اى لا أحفظ شيأ أقرؤه فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ فقلت ما انا بقارئ اى أى شئ أقرؤه وفيه انه لو كان كذلك لقال ما اقرأ او ماذا اقرأ الا أن يقال اطلق ذلك وأراد لازمه الذى هو الاستفهام خصوصا وقد قدمه قال فأخذنى فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم (اقول) فقولنا اى بغير غط هو ظاهر الروايات ويجوز أن يكون لفظ الغط سقط فى هذه الرواية كغيرها من الروايات ويؤيده اقتصار السيرة الهشامية على مجيئه بالغط وايضا كيف الجمع بين قوله هنا ما ذكر وبين قوله هنالك فكأنما كتب فى قلبى كتابا وما بالعهد من قدم الا أن يقال يجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم جوز أن يكون جبريل يريد منه قراءة غير الذى قرأه وكتب فى قلبه ولا يخفى أنه علم ان قول جبريل اقرأ أمر بالقراءة وفيه أنه من التكليف بما لا يطاق اى فى الحال أى ومن ثم ادعى بعضهم انه لمجرد التنبيه واليقظة لما يلقى اليه وفيه أنه لو كان كذلك لم يحسن ان يقال فى جوابه ما انا بقارئ الذى معناه لا أوجد القراءة الا أن يقال جبريل عليه السلام اراد التنبيه لا الامر وجوابه صلى الله عليه وسلم بناء على مقتضى ظاهر اللفظ وعلم أن قوله صلى الله عليه وسلم ما انا بقارئ فى المواضع الثلاثة معناه مختلف ففى الاول معناه الاخبار بعدم ايجاد القراءة والثانى معناه الاخبار

مقه غيره دلونى على محمد صلى الله عليه وسلم فخرج القوم الذين كانوا عند اخته يعنى زوجها سعيد بن زيد وخباب بن الارت احد الرجلين الذين ضمهما المصطفى صلى الله عليه وسلم الى سعيد وكان خباب يقرئهم القرآن والرجل الثالث لم يعرف اسمه يتبادرون بالتكبير استبشارا بما سمعوه منى وحمدوا الله تعالى ثم قالوا يا ابن الخطاب أبشر فان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا يوم الاثنين فقال اللهم أعز الاسلام بعمر أو بعمرو وانا نرجو ان تكون دعوته لك فأبشر فلما عرفوا منى الصدق قلت اخبرونى بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا هو فى اسفل الصفا فجئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت فى اسفل الصفا وهى دار الارقم كان صلى الله عليه وسلم مختفيا فيها مع من معه من المسلمين ويقال لها اليوم دار الخيزران قال عمر رضى الله عنه فقرعت الباب فقيل من هذا قلت ابن الخطاب قال وقد عرفوا شدتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعلموا باسلامى فما اجترأ احد منهم أن يفتح الباب فقال صلى الله عليه وسلم افتحوا له فان يرد الله به خيرا يهده وقال حمزة رضى الله عنه لما رأى وجل القوم افتحوا له فان يرد الله به خيرا يسلم ويتبع النبى صلى الله عليه وسلم وان يرد غير ذلك كان قتله علينا هينا ففتحوا له قال فدخلت واخذ رجلان بعضدى قيل ان حمزة اخذ بيمينه والزبير بيساره حتى دنوت من النبى صلى الله عليه وسلم فقال أرسلوه فأرسلونى فجلست بين يديه فأخذ بجمع ثيابى فجذبنى اليه جذبة شديدة وفى رواية فاستقبله النبى صلى الله عليه وسلم بانه فى صحن الدار فأخذ بجامع ثوبه وحمائل سيفه وهزه هزة فارتعد عمر من هيبة النبى صلى الله عليه وسلم فما تمالك عمر ان وقع على ركبتيه فقال أما انت بمنته يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزى والنكال ما انزل بالوليد بن المغيرة ولعله صلى الله عليه وسلم فعل معه

ذلك ليثبته الله على الاسلام ويلق حبه الطبيعي فى قلبه ويذهب عنه رجز الشيطان فكان كذلك حتى كان الشيطان يفر منه وليكون شديدا على الكفار فى الدين فصار كذلك وفى رواية فقال ما جاء بك يا ابن الخطاب فوالله ما ارى أن تنتهى حتى ينزل الله بك قارعة فقال يارسول الله جئت لأومن بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم وبما جاء من عند الله ثم قال صلى الله عليه وسلم بعد اخذه بمجامع ثوبه وهزه أسلم يا ابن الخطاب اللهم اهد قلبه اللهم اهد عمر بن الخطاب اللهم أعز الدين بعمر بن الخطاب اللهم أخرج ما فى صدر عمر من غل وابدله ايمانا قلت أشهد ان لا اله الا الله وأنك رسول الله فكبر النبى صلى الله عليه وسلم وكبر المسلمون بعد تكبيرة واحدة سمعت بطرق مكة ولا ينافى هذا اتيانه بالشهادة فى بيت اخته قبل خروجه الى النبى صلى الله عليه وسلم لاحتمال تكرر ذلك منه قال عمر رضى الله عنه وكان الرجل اذا أسلم استخفى باسلامه فقلت يارسول الله ألسنا على الحق ان متنا وان حيينا قال بلى والذى نفسى بيده انكم على الحق ان متم وان حييتم قلت ففيم الاختفاء يارسول الله علام نخفى ديننا ونحن على الحق وهم على الباطل فقال يا عمر انا قليل وقد رأيت ما لقينا فقال عمر والذى بعثك بالحق نبيا لا يبقى مجلس جلست فيه بالكفر الا جلست فيه بالايمان قال عمر رضى الله عنه وأحببت ان يظهر اسلامى وان يصيبنى ما اصاب من اسلم من الضرر والاهانة فذهبت الى خالى وكان شريفا فى قريش وهو ابو جهل فأعلمته أنى صبوت وفى رواية قال عمر رضى الله عنه لما اسلمت تذكرت اى اهل مكة اشد عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى آتيه فأخبره انى قد أسلمت فذكرت ابا جهل فجئته فدققت عليه الباب فقال من بالباب فقلت عمر بن الخطاب فخرج الى وقال مرحبا وأهلا يا ابن اختى ما جاء بك قلت جئت لاخبرك وفى لفظ لابشرك ببشارة

بانه لا يحسن شيأ يقرؤه وان كان ذلك هو مستند الاول والثالث معناه الاستفهام عن اى شئ يقرؤه وفيه ما علمت وبعضهم جعل قوله الاول لا اقرأ لا احسن القراءة بدليل انه جاء فى بعض الروايات ما احسن أن اقرأ وحينئذ يكون بمعنى الثانى فيكون تأكيدا له اى العرض منهما شئ واحد (قال بعضهم) وجه المناسبة بين الخلق من العلق والتعليم وتعليم العلم أن ادنى مراتب الانسان كونه علقة واعلاها كونه عالما فالله سبحانه وتعالى امتن على الانسان بنقله من ادنى المراتب وهى العلقة الى اعلاها وهى تعلم العلم * وقد اشتملت هذه الآيات على براعة الاستهلال وهو أن يشتمل اول الكلام على ما يناسب الحال المتكلم فيه ويشير الى ما سيق الكلام لاجله فانها اشتملت على الامر بالقراءة والبداءة فيها ببسم الله الى غير ذلك مما ذكره فى الاتقان قال فيه ومن ثم قيل انها جديرة أن تسمى عنوان القرآن لان عنوان الكتاب ما يجمع مقاصده بعبارة موجزة فى اوله وكرر جبريل الغط ثلاثا للمبالغة واخذ منه بعض التابعين وهو القاضى شريح أن المعلم لا يضرب الصبى على تعليم القرآن اكثر من ثلاث ضربات واورد الحافظ السيوطى عن الكامل لابن عدى بسند ضعيف عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى أن يضرب المؤدب الصبى فوق ثلاث ضربات (وذكر السهيلى) أن فى ذلك أى الغط ثلاثا اشارة الى أنه صلى الله عليه وسلم يحصل له شدائد ثلاث ثم يحصل له الفرج بعد ذلك فكانت الاولى ادخال قريش له صلى الله عليه وسلم الشعب والتضييق عليه والثانية اتفاقهم على الاجتماع على قتله صلى الله عليه وسلم والثالثة خروجه من احب البلاد اليه وجاء صلى الله عليه وسلم جبريل وميكائيل اى قبل قول جبريل له اقرأ فشق جبريل بطنه وقلبه الى آخر ما تقدم فى الكلام على امر الرضاع ثم قال له جبريل اقرأ الحديث فعلم ان اقرأ باسم ربك نزلت من غير بسملة وقد صرح بذلك الامام البخارى وما ورد عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان اول ما نزل جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم قال يا محمد استعذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قال قل بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال اقرأ باسم ربك قال الحافظ بن كثير هذا الاثر غريب فى اسناده ضعف وانقطاع اى فلا يدل للقول بان اول ما نزل بسم الله الرحمن الرحيم حكاه ابن النقيب فى مقدمة تفسيره وبه يرد على الجلال السيوطى حيث قال وعندى فيه ان هذا لا يعد قولا برأسه فان من ضرورة نزول السورة اى سورة اقرأ نزول البسملة معها فهى اول آية نزلت على الاطلاق هذا كلامه والله اعلم (قال الحافظ بن حجر) هذا الذى وقع له صلى الله عليه وسلم فى ابتداء الوحى من خصائصه اذ لم ينقل عن احد من الانبياء

عليه الصلاة والسلام أنه يجرى له عند ابتداء الوحى مثل ذلك ه ولما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الآية رجع بها ترجف بوادره والبادرة اللحمة التى بين المنكب والعنق تتحرك عند الفزع ويقال لها الفريصة والفرائص اى (وفى رواية) فؤاده اى قلبه ولا مانع من اجتماع الامرين لان تحرك البادرة ينشأ عن فزع القلب حتى دخل صلى الله عليه وسلم على خديجة فقال زملونى زملونى اى غطونى بالثياب فزملوه حتى ذهب عنه الروع بفتح الراء اى الفزع ثم اخبرها الخبر وقال لقد خشيت على نفسى وفى رواية على عقلى كما فى الامتاع قالت له خديجة كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا اى لا يفضحك انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل اى الشئ الذى يحصل منه التعب والاعياء لغيرك وتكسب المعدوم بضم التاء والمعدوم الذى لا مال له لان من لا مال له كالمعدوم اى توصل اليه الخير الذى لا يجده عند غيرك وبهذا يعلم سقوط قول الخطابى الصواب المعدم بلا واو ولان المعدوم اى الشخص المعدوم لا يكسب اى لا يعطى الكسب وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق اى على حوادثه فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل فقالت له خديجة رضى الله تعالى عنها اى عم اسمع من ابن اخيك اى وقولها اى عم صوابه ابن عم لانه ابن عمها لا عمها كما وقع فى مسلم قال ابن حجر وهو وهم لانه وان كان صحيحا لجواز ارادة التوقير لكن القصة لم تتعدد ومخرجها متحد اى فلا يقال يجوز أنها جاءت اليه بعد نزول الآية مرتين قالت فى مرة اى عم وفى مرة اى ابن عم قال ورقة يا ابن اخى ماذا ترى فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى فقال له ورقة هذا الناموس الذى انزل على موسى اى صاحب سر الوحى وهو جبريل يا ليتنى فيها جذعا اى يا ليتنى حين هذا كون فى زمن الدعوى الى الله اى اظهارها الذى جاء به وأنذرا وأهل وجودها بناء على تأخر الدعوى التى هى الرسالة عن النبوة على ما يأتى شابا حتى أبالغ فى نصرتها يا ليتنى اكون حيا حين يخرجك قومك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أومخرجى هم بتشديد الياء المفتوحة لانه جمع مخرج والاصل اومخرجونى حذفت النون للاضافة فصار مخرجوى قلبت الواو ياء وأدغمت قال ورقة نعم لم يأت رجل بما جئت به الا عودى اى فتكون المعاداة سببا لاخراجه وهذا يفيد بظاهره ان من تقدم من الانبياء أخرجوا من اماكنهم لمعاداة قومهم لهم والا فمجرد المعاداة لا يقتضى الاخراج فلا يحسر ان يكون علامة عليه وقد يؤيد ذلك ما تقدم عند الكلام على بناء الكعبة ان كل نبى اذا كذبه قومه خرج من بين اظهرهم الى مكة يعبد الله عز وجل بها حتى يموت وتقدم ما فيه

قال أبو جهل وما هى يا ابن اختى فقلت انى آمنت بالله وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم وصدقت ما جاء به فضرب الباب فى وجهى وهو معنى أجاف الباب الثابت فى بعض الروايات وقال قبحك الله وقبح ما جئت به ثم ما زال عمر رضى الله عنه يراجع النبى صلى الله عليه وسلم فى الخروج من دار الارقم الى المسجد حتى وافقه على ذلك فخرجوا فى صفين فى احدهما عمر وفى الآخر حمزة رضى الله عنهما حتى دخلوا المسجد فنظرت قريش اليهم فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها وفى رواية خرجوا فى صفين لهم كديد ككديد الطحين فسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر الفاروق رضى الله عنه لان الله فرق به بين الحق والباطل قال ابن مسعود رضى الله عنه ما زلنا أعزة منذ اسلم عمر رضى الله عنه وفى رواية عن عمر رضى الله عنه بعد ان أسلمت خرجت فذهبت الى رجل لم يكتم السر فقلت انى صبوت فرفع صوته بأعلاه ألا ان ابن الخطاب قد صبا وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما لما أسلم عمر قال اى قريش أنقل للحديث فقيل له جميل بن حبيب فغدا عليه وغدوت اتبع أثره وانا غلام اعقل ما رأيت حتى جاءه فقال اعلمت يا جميل أنى قد اسلمت ودخلت فى دين محمد فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه واتبعه عمر واتبعت ابى حتى اذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته يا معشر قريش وهم فى انديتهم حول الكعبة ألا ان ابن الخطاب قد صبأ ويقول عمر من خلفه كذب ولكنى اسلمت وشهدت أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فما زال الناس يضربونى وأضربهم حتى قال خالى ما هذا قالوا ابن الخطاب فقام على الحجر واشار بكمه الا انى اجرت ابن اختى فانكشف الناس عنى بجلالة خالى عندهم قال بعضهم ان أم عمر حنتمة بنت هاشم بن المغيرة وهاشم وهشام والد ابى جهل أخوان فأبو جهل ابن عم أم عمر فيكون خاله مجازا لان عصبة الام اخوال وفى

الابن (وفى السيرة الحلبية) أن عتبة بن ربيعة وثب على عمر رضى الله عنه حين اسلم فالقاه عمر رضى الله عنه الى الارض وبرك عليه وجعل يضربه وجعل اصبعيه فى عينيه فجعل عتبة يصيح ولا يدنو منه أحد الا اخذه عمر رضى الله عنه بشراسيفه وهى طرف اضلاعه وعند ابن اسحق أن العاص بن وائل السهمى أجار عمر منهم حينئذ ويحتمل أنه هو وابو جهل كل منهما اجاره وروى البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال بينما عمر فى الدار خائفا اذ جاء العاص بن وائل السهمى أبو عمرو بن العاص وعليه حلة حبرة وقميص مكفوف بحرير فقال مابالك قال زعم قومك انهم سيقتلونى لانى اسلمت قال لا سبيل اليك بعد أن قال أمنت فخرج العاص فالقى الناس قد سال بهم الوادى فقال اين تريدون قالوا ابن الخطاب الذى قد صبا قال لا سبيل اليه فكر الناس وانصرفوا ثم رد عمر رضى الله عنه الى العاص جواره قال فمازلت أضرب وأضرب حتى اعز الله الاسلام (وفى رواية) عن عمر رضى الله عنه فى سبب اسلامه قال بينا أنا عند آلهتهم اذ جاء رجل بعجل فذبحه فصرخ به صارخ لم يسمع قط صوت أشد منه يقول ياجليح أمر نجيح رجل فصيح يقول لا اله الا الله فانشبنا أن قيل هذا نبى وروى ابو نعيم فى الدلائل عن طلحة وعائشة عن عمر رضى الله عنهم ان ابا جهل لعنه الله جعل لمن يقتل محمدا مائة ناقة حمراء أو سوداء أو الف اوقية من فضة وفى رواية ان أبا جهل ابن هشام قال يامعشر قريش ان محمدا قد شتم آلهتكم وسفه احلامكم وزعم أن من مضى من آبائكم يتهافتون فى النار الا من قتل محمدا فله على مائة ناقة حمراء او سوداء أو الف اوقية من فضة فقال عمر رضى الله عنه أنا لها قالوا انت لها وتعاهد معهم على ذلك وفى رواية فقلت له يا ابا الحكم الضمان صحيح قال نعم فخرجت متقلدا السيف متنكبا كنانتى أريد رسول الله صلى الله عليه وسلم

و فى كونه صلى الله عليه وسلم لم يقل شيأ فى جواب قول ورقة انه يكذب ويؤذى ويقاتل وقال فى جواب قوله انه يخرج اومخرجى هم استفهاما انكار يادليل على شدة حب الوطن وعسر مفارقته خصوصا وذلك الوطن حرم الله وجوار بيته ومسقط رأسه * قال ورقة وان ادركت يومك انصرك نصرا مؤزرا اى شديدا قويا من الازر وهو الشدة والذى فى الحديث الصحيح وان يدركنى يومك وسياتى فى بعض الروايات وان يدركنى ذلك قال السهيلى وهو القياس لان ورقة سابق بالوجود والسابق هو الذى يدركه ما يأتى بعده كما جاء أشقى الناس من ادركته الساعة وهو حى هذا كلامه * اى وفى بعض الروايات أنه قال لها ان ابن عمك لصادق وان هذا لبدء نبوة وفى لفظ انه لنبى هذه الامة اى (وفى الشفاء) ان قوله صلى الله عليه وسلم لخديجة لقد خشيت على نفسى ليس معناه الشك فيما آتاه الله تعالى من النبوة ولكنه لعله خشى أن لا تحتمل قوته صلى الله عليه وسلم مقاومة الملك وأعباء الوحى بناء على أنه قال ذلك بعد لقاء الملك وارساله اليه بالنبوة فان للنبوة أثقالا لا يستطيع حملها الا أولوا العزم من الرسل وفى كلام الحافظ بن حجر اختلف العلماء فى هذه الخشية على اثنى عشر قولا وأولاها بالصواب وأسلمها من الارتياب ان المراد بها الموت أو المرض أو دوام المرض هذا كلامه فليتأمل مع رواية خشيت على عقلى (قال وفى بعض الروايات) ان خديجة قبل أن تذهب به الى ورقة ذهبت به الى عداس وكان نصرانيا من اهل نينوى قرية سيدنا يونس عليه الصلاة والسلام فقالت له يا عداس أذكرك الله الا ما أخبرتنى هل عندكم علم من جبريل اى فان هذا الاسم لم يكن معروفا بمكة ولا بغيرها من أرض العرب كما تقدم فقال عداس قدوس قدوس ما شأن جبريل يذكر بهذه الارض التى أهلها اهل اوثان اى والقدوس المنزه عن العيوب وان هذا يقال للتعجب كما تقدم فقالت أخبرنى بعلمك فيه قال هو امين الله بينه وبين النبيين وهو صاحب موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام اه وفيه انه سيأتى عند الكلام على ذهابه صلى الله عليه وسلم للطائف بعد موت ابى طالب يلتمس اسلام ثقيف اجتماعه بعداس الموصوف بما ذكر لكن فى تلك القصة ما قد يبعد معه كل البعد أنه المذكور هنا فليتأمل ثم رأيت أن عداسا المذكور هنا كان راهبا وكان شيخا كبير السن وقد وقع حاجباه على عينيه من الكبر وان خديجة قالت له أنعم صباحا يا عداس فقال كأن هذا الكلام كلام خديجة سيدة نساء قريش قالت اجل قال ادنى منى فقد ثقل سمعى فدنت منه ثم قالت له ما تقدم وهذا صريح فى أنه غير عداس الآتى ذكره وانهما اشتركا فى الاسم والبلد والدين اى وكونهما غلامين لعتبة بن ربيعة

ثم مررت على عجل وهم يريدون ذبحه فقمت انظر اليه فاذا صائح يصيح من جوف العجل يا آل ذريح امر نجيح رجل يصيح بلسان فصيح يدعو الى شهادة أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فقلت في نفسي ان هذا الامر ما يراد به الا أنا ثم مررت بصنم فاذا هاتف من جوفه يقول يا أيها الناس ذوو الاجسام * ما انتم وطائش الاحلام ٣٢٦ ومسند الحكم الى الاصنام * اصبحتم كراتع الانعام

أما ترون ما ارى امامي
من ساطع يجلو دجى الظلام
قد لاح للناظر من تهام
وقد بدا للناظر الشامي
محمد ذو البر والاكرام
أكرمه الرحمن من امام
قد جاء بعد الشرك بالاسلام
يأمر بالصلاة والصيام
والبر والصلات للارحام
ويزجر الناس عن الآثام
فبادروا سبقا الى الاسلام
بلا فتور وبلا احجام

قال عمر فقلت والله ما أراه الا ارادني ثم مررت بالضمار فاذا هاتف من جوفه يقول

أودى الضمار وكان يعبد مرة
قبل الكتاب وقبل بعث محمد
ان الذي ورث النبوة والهدى
بعد ابن مريم من قريش مهتدي
سيقول من عبد الضمار ومثله
ليت الضمار ومثله لم يعبد
ابشر أبا حفص بدين صادق
يهدي اليك وبالكتاب المرشد
واصبر أبا حفص فانك آمر
يأتيك عز غير عز بني عدي
لا تعجلن فأنت ناصر دينه
حقا يقينا باللسان وباليد

قال عمر رضي الله عنه فوالله لقد علمت أنه ارادني فلقيني نعيم بن عبد الله النحام وكان يخفي اسلامه فرقا من قومه فقال لذلك اين تذهب قلت أريد هذا الصابئ الذي فرق أمر قريش فأقتله فقال نعيم يا عمر اترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على وجه الارض وبالغ في منعه ثم اراد أن يشغله عن ذلك بشيء آخر فقال له ألا ترجع الى أهل بيتك فتقيم امرهم وذكر له اسلام اخته

ففي كلام ابن دحية عداس كان غلاما لعتبة بن ربيعة من اهل نينوى عنده علم من الكتاب فأرسلت اليه خديجة تسأله عن جبريل فقال قدوس قدوس الحديث ولا يخفى ان هذا اشتباه وقع من بعض الرواة بلا شك (وفي رواية) ان عداسا هذا قال لها يا خديجة ان الشيطان ربما عرض للعبد فأراه أمورا فخذي كتابي هذا فانطلقي به الى صاحبك فان كان مجنونا فانه سيذهب عنه وان كان من الله فلن يضره فانطلقت بالكتاب معها فلما دخلت منزلها اذا هي برسول الله صلى الله عليه وسلم مع جبريل يقرئه هذه الآيات ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون وان لك لأجرا غير ممنون وانك لعلى خلق عظيم فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون فلما سمعت خديجة قراءته اهتزت فرحا ثم قالت للنبي صلى الله عليه وسلم فداك أبي وامي امض معي الى عداس فلما رآه عداس كشف عن ظهره فاذا خاتم النبوة يلوح بين كتفيه فلما نظر عداس اليه خر ساجدا يقول قدوس قدوس انت والله النبي الذي بشر بك موسى وعيسى الحديث وفيه ان كان هذا قبل أن تذهب به الى ورقة اقتضى ان نزول سورة ن قبل اقرأ ولا يحسن ذلك مع قوله لجبريل ما أنا بقارئ اذ هو صريح في أنه صلى الله عليه وسلم لم يقرأ قبل ذلك شيأ ومن ثم كان المشهور وان أول ما نزل اقرأ وكون ن نزلت لهذا السبب مخالف لما ذكر في أسباب النزول أنها نزلت لما وصفه المشركون بأنه مجنون الا أن يقال لا مانع من تعدد النزول * وذكر ابن دحية ايضا أنه صلى الله عليه وسلم لما اخبرها بجبريل ولم تكن سمعت به قط كتبت الى بحيرا الراهب فسألته عن جبريل فقال لها قدوس قدوس يا سيدة نساء قريش أنى لك بهذا الاسم فقالت بعلي وابن عمي اخبرني بانه يأتيه فقال انه السفير بين الله وبين أنبيائه وان الشيطان لا يجترئ أن يتمثل به ولا أن يتسمى باسمه وهذه العبارة اي كون جبريل هو السفير بين الله وبين أنبيائه صدرت من الحافظ السيوطي وزاد ولا يعرف ذلك لغيره من الملائكة واعترض عليه بعضهم بان اسرافيل كان سفيرا بين الله وبينه صلى الله عليه وسلم فعن الشعبي أنه جاءته صلى الله عليه وسلم النبوة وهو ابن أربعين سنة وقرن بنبوته اسرافيل ثلاث سنين فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل وفي لفظ عنه فلما مضت ثلاث سنين تولى عنه اسرافيل وقرن به جبريل اي وقد تقدم ان اسرافيل قرن به صلى الله عليه وسلم قبل النبوة ثلاث سنين يسمع حسه ولا يرى شخصه يعلمه الشيء بعد الشيء الى آخره وحينئذ يلزم أن يكون قرن به بعد النبوة ثلاث سنين ايضا وسيأتي عن بحث بعض الحفاظ انها مدة فترة الوحي فليتأمل واجاب الحافظ السيوطي عن ذلك بان السفير هو المرصد

و زوجها سعيد بن زيد فذهب اليهم وذكر القصة بطولها وقيل ان الذى لقيه سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه وكان قد اسلم قبل عمر رضى الله عنه فقال أين تريد يا عمر فقال اريد أن اقتل محمدا قال انت اصغر وأحقر من ذلك تريد أن تقتل محمدا وتدع بنو عبد مناف تمشى على الارض فقال له عمر ما أراك الا قد صبأت فأبدأ بك فأقتلك فقال سعد اشهد أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فسل عمر سيفه وسل سعد سيفه وشد كل منهما على الآخر حتى كادا أن يختلطا قال سعد اعمر مالك لا تصنع هذا بختنك يريد سعيد بن زيد وبأختك فقال صبأ قال نعم واراد سعد بذلك صرفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فتركه عمر وسار الى أخته الى آخر القصة ولا مانع أنه لقى كلا من نعيم وسعد وحصل بينهما ما ذكر (وفى رواية) أن سبب اسلامه رضى الله عنه انه دخل المسجد يريد الطواف فرأى النبى صلى الله عليه وسلم يصلى فقال لو سمعت لمحمد الليلة حتى اسمع ما يقول وقلت ان دنوت منه أستمع لاردعنه فجئت من قبل الحجر فدخلت تحت ثياب البيت وجعلت أمشى حتى قمت فى قبلته وسمعت قراءته فرق له قلبى فبكيت ودخلنى الاسلام فكنت حتى انصرف فتبعته فالتفت فى أثناء طريقه فرآنى فظن انى انما تبعته لاوذيه فنهمنى اى زجرنى بشدة ثم قال ما جاء بك فى هذه الساعة قلت جئت لأومن بالله و رسوله وما جاء من عند الله فحمد الله ثم قال هداك الله ثم مسح صدرى ودعا لى بالثبات ثم انصرفت عنه ودخل بيته والنهم انما يطلق حقيقة على زجر الاسد ففيه من شجاعته صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى (وفى رواية) عن عمر رضى الله عنه قال خرجت اتعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن اسلم فوجدته قد سبقنى الى المسجد فقمت خلفه فاستفتح بسورة الحاقة فجعلت اتعجب من تأليف القرآن فقلت هو شاعر كما قالت قريش فقرأ

لذلك وذلك لا يعرف لغير جبريل ولا ينافى ذلك مجئ غيره من الملائكة الى النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض الاحيان ولك أن تقول ان كان المراد بالمجئ اليه بوحى من الله كما هو المتبادر فليس فى هذه الرواية ان اسرافيل كان يأتيه بوحى فى تلك المدة وجواب الحافظ السيوطى يقتضى ان اسرافيل وغيره من الملائكة كان يأتيه بوحى من الله قبل مجئ جبريل له صلى الله عليه وسلم بوحى غير النبوة ولا يخرجه ذلك عن الاختصاص باسم السفير وبأن اسرافيل لم ينزل لغير النبى صلى الله عليه وسلم من الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم كما ثبت فى الحديث فلم يكن السفير بين الله وجميع انبيائه (قيل) وانما خص بذلك لانه اول من سجد من الملائكة لآدم ورأيته سئل هل عيسى بعد نزوله يوحى اليه فأجاب بنعم واورد حديث النواس بن سمعان الذى اخرجه مسلم وأحمد وابو داود والترمذى والنسائى وغيرهم وفيه التصريح بانه يوحى اليه قال والظاهر أن الجائى اليه بالوحى جبريل قال بل هو الذى يقطع به ولا يتردد فيه لان ذلك وظيفته وهو السفير بين الله تعالى و بين أنبيائه لا يعرف ذلك لغيره من الملائكة ثم استدل على ذلك بما يطول قال وما اشتهر على ألسنة الناس أن جبريل لا ينزل الى الارض بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم فهو شئ لا أصل له و زعم زاعم أن عيسى انما يوحى اليه وحى الهام ساقط قال وحديث لا وحى بعدى باطل اى ويدل له ما رأيته فى كلام بعضهم جبريل ملك عظيم ورسول كريم مقرب عند الله أمين على وحيه وهو سفيره الى أنبيائه كلهم ويسمى روح القدس والروح الامين واختصه بوحيه من بين الملائكة المقربين قال ورأيت فى بعض التواريخ أن جبريل نزل عليه صلى الله عليه وسلم ستا وعشرين ألف مرة ولم يبلغ احد من الانبياء هذا العدد والله اعلم (وفى اسباب النزول) للواحدى عن على رضى الله تعالى عنه لما سمع النداء يا محمد قال لبيك قال قل اشهد أن لا اله الا الله واشهد أن محمدا رسول الله ثم قال قل الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين حتى فرغ من السورة اى فلما بلغ ولا الضالين فقال قل آمين فقال آمين كما فى رواية عن وكيع وابن أبى شيبة (وجاء فى حديث) قال بعضهم اسناده ليس بالقائم اذا دعا أحدكم فليختم بآمين فان آمين فى الدعاء مثل الطابع على الصحيفة وفى الجامع الصغير آمين خاتم رب العالمين على لسان عباده المؤمنين اى خاتم دعاء رب العالمين اى يمنع من أن يتطرق اليه رد وعدم قبول ومن ثم لما سمع صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو قال قد وجب ان ختم بآمين فأتى صلى الله عليه وسلم ورقة فذكر له ذلك فقال له ورقة أبشر ثم أبشر فانى اشهد انك الذى بشر به ابن مريم فانك على مثل ناموس موسى وانك

إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون فقلت كاهن علم ما فى نفسى فقرأ ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون
الى آخر السورة فوقع الاسلام منى كل موقع * وذهب مرة هو وأبو جهل يريدان الفتك بالنبى صلى الله عليه وسلم فوجداه فى بيته
قائما يصلى وكان ذلك بالليل فسمعا قراءته صلى الله عليه وسلم وكان يقرأ فى سورة الحاقة فلما وصل الى قوله تعالى
فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية وأما
عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية
دخلهما رعب شديد فقال
احدهما للآخر النجا النجا اى
الرواح بسرعة خوفا من نزول
العذاب * والحاصل أن الاسباب
المقتضية لاسلام عمر رضى الله عنه
تكررت وكثرت وكان السبب
فى ذلك أن يمكن الله الاسلام فى
قلبه ويثبته عليه حتى ينصر به
دينه ونبيه صلى الله عليه وسلم
وكان الامر كذلك (قال ابن عباس)
رضى الله عنهما لما اسلم عمر رضى
الله عنه قال جبريل للنبى صلى الله
عليه وسلم لقد استبشر اهل
السماء باسلام عمر لان الله أعز به
الدين ونصر به المستضعفين * وقال
ابن مسعود رضى الله عنه كان
اسلام عمر عزا وهجرته نصرا
وامارته رحمة والله ما استطعنا
ان نصلى حول البيت ظاهرين
حتى اسلم عمر رضى الله عنه رواه
ابن ابى شيبة والطبرانى قال
المشركون انتصف القوم * وروى
أنه لما اسلم قال يا رسول الله
لا ينبغى ان يكتم هذا الدين اظهر
دينك فخرج ومعه المسلمون وعمر
امامهم معه سيف ينادى لا اله
الا الله محمد رسول الله قال فان تحرك واحد منهم امكنت سيفى منه ثم تقدم امامه صلى الله عليه وسلم ليطوف ويحميه ومما
حتى فرغ من طوافه رواه ابن ماجه وقال صهيب لما اسلم عمر رضى الله عنه ولما رأت قريش عزة النبى صلى الله عليه وسلم بمن
معه وباسلام عمر رضى الله عنه وعزة اصحابه بالحبشة وفشو الاسلام فى القبائل أجمعوا على أن يقتلوا النبى صلى الله عليه وسلم

نبى مرسل وانك ستؤمر بالجهاد بعد يومك ولئن أدركنى ذلك لاجاهدن معك (اقول)
هذا لا يدل للقول بان الفاتحة اول ما نزل وعليه كما قال فى الكشاف اكثر المفسرين
اذ يبعد كل البعد أن تكون هذه الرواية قبل نزول اقرأ باسم ربك ثم رأيت عن البيهقى
أنه قال فيما تقدم عن اسباب النزول هذا مرسل ورجاله ثقات فان كان محفوظا فيحتمل
أن يكون خبرا عن نزولها بعد ما نزلت عليه اقرأ والمدثر اى والمدثر نزلت بعد يا ايها المزمل
ثم رأيت ابن حجر اعترض ما تقدم عن الكشاف بقوله الذى ذهب اليه اكثر الائمة
هو الاول اى القول بانه اقرأ واما الذى نسبه الى الاكثر فلم يقل به الا عدد أقل من القليل
بالنسبة الى من قال بالاول هذا كلامه ثم رأيت الامام النووى قال القول بان الفاتحة اول
ما نزل بطلانه اظهر من أن يذكر اى ومما يدل على ذلك ما جاء من طرق عن مجاهد ان الفاتحة
نزلت بالمدينة ففى تفسير وكيع عن مجاهد فاتحة الكتاب مدنية وفيه أنه جاء عن قتادة
انها نزلت بمكة وعن على كرم الله وجهه كما فى اسباب النزول للواحدى انها نزلت بمكة من
كنز تحت العرش وفيها عنه لما قام النبى صلى الله عليه وسلم بمكة فقال بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين قالت قريش رض الله فاك وفى الكشاف ان الفاتحة نزلت بمكة
وقيل نزلت بالمدينة فهى مكية مدنية هذا كلامه وتبعه على ترجيح أنها مكية القاضى
البيضاوى حيث قال وقد صح انها مكية وفى الاتقان وذكر قوم منه اى مما تكرر
نزوله الفاتحة فليتأمل فانه لا يقال ذلك الا بناء على أنها نزلت بهما اى نزلت بمكة ثم
بالمدينة مبالغة فى شرفها وقد أشار القاضى البيضاوى الى أن تكرير نزولها ليس
بمجزوم به وقيل نزل نصفها بمكة ونصفها بالمدينة قال فى الاتقان والظاهر أن
النصف الذى نزل بالمدينة النصف الثانى قال ولا دليل لهذا القول هذا كلامه * واستدل
بعضهم على انها مكية بانه لا خلاف أن سورة الحجر مكية وفيها ولقد آتيناك سبعا
من المثانى والقرآن العظيم وهى الفاتحة فعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قرئ عليه الفاتحة والذى نفسى بيده ما أنزل الله
تعالى فى التوراة ولا فى الانجيل ولا فى الزبور ولا فى الفرقان مثلها انها لهى السبع
المثانى والقرآن العظيم الذى أوتيته وقد حكى بعضهم الاتفاق على ان المراد بالسبع
المثانى فى آية الحجر هى الفاتحة ويرد دعوى الاتفاق قول الجلال السيوطى وقد صح
عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما تفسير السبع المثانى فى آية الحجر بالسبع الطوال

ومما يدل على أن المراد بها الفاتحة ماذكر فى سبب نزولها وهو أن عيرا لابى جهل قدمت من الشام بمال عظيم وهى سبع قوافل ورسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ينظرون اليها واكثر الصحابة بهم عرى وجوع فخطر ببال النبى صلى الله عليه وسلم شئ لحاجة أصحابه فنزل ولقد آتيناك اى أعطيناك سبعا من المثانى مكان سبع قوافل ولا تنظر الى ما أعطيناه لابى جهل وهو متاع الدنيا الدنية ولا تحزن عليهم اى على أصحابك واخفض جناحك لهم فان تواضعك لهم أطيب لقلوبهم من ظفرهم بما تحب من أسباب الدنيا * وفى زوائد الجامع الصغير لو أن فاتحة الكتاب جعلت فى كفة الميزان وجعل القرآن فى الكفة الاخرى لفضلت فاتحة الكتاب على القرآن سبع مرات وفى لفظ فاتحة الكتاب شفاء من كل داء * وفى لفظ فاتحة الكتاب تعدل ثلثى القرآن فليتأمل ولها اثنان وعشرون اسما وذكر بعضهم ان لها ثلاثين اسما وذكرها الاستاذ الشيخ أبو الحسن البكرى فى تفسيره الوسيط قال السهيلى ويكره ان يقال لها أم الكتاب اى لما ورد لا يقولن أحدكم ام الكتاب وليقل فاتحة الكتاب قال الحافظ السيوطى رحمه الله ولا أصل له فى شئ من كتب الحديث وانما أخرجه ابن الضريس بهذا اللفظ عن ابن سيرين وقد ثبت فى الاحاديث الصحيحة تسميتها بذلك هذا كلامه ولا يخفى انه جاء فى تسمية الفاتحة ذكر المضاف تارة وهو سورة كذا واسقاطه أخرى وتارة جوزوا الامرين معا وهو يشكل على ان تسمية السور توقيفى ثم رأيت فى الاتقان قال قال الزركشى فى البرهان ينبغى البحث عن تعداد الاسامى هل هو توقيفى أو بما يظهر من المناسبات فان كان الثانى فيمكن الفطن أن يستخرج من كل سورة معانى كثيرة تقتضى اشتقاق اسمائها وهو بعيد هذا كلامه ويلزم القول بأنها انما نزلت فى المدينة ان مدة اقامته صلى الله عليه وسلم بمكة كان يصلى بغير الفاتحة قال فى أسباب النزول وهذا مما لا تقبله العقول اى لانه لم يحفظ انه كان فى الاسلام صلاة بغير الفاتحة اى ويدل لذلك ما رواه الشيخان لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب وفى رواية لا تجزئ صلاة لا يقرأ فيها الرجل بفاتحة الكتاب والمراد فى كل ركعة لقوله صلى الله عليه وسلم للمسئ صلاته اذا استقبلت القبلة فكبر ثم اقرأ بأم القرآن ثم اقرأ بما شئت الى ان قال ثم اصنع ذلك اى القراءة بأم القرآن فى كل ركعة وجاء على شرط الشيخين ام القرآن عوض عن غيرها وليس غيرها منها عوضا ويدل لذلك ايضا وصف القول بأنها انما نزلت بالمدينة بأنه هفوة من قائله لانه تفرد بهذا القول والعلماء على خلافه اى لان نزولها كان بعد فترة الوحى بعد نزول يا أيها المدثر ويلزم على كونها نزلت

وقالوا اقد افسد ابناءنا ونساءنا وقالوا لقومه خذوا منا دية مضاعفة ويقتله رجل من غير قريش فتريحونا وتريحون انفسكم فبلغ ذلك أبا طالب فجمع بنى هاشم وبنى المطلب فأمرهم فدخلوا شعبهم وادخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم ومنعوه ممن اراد قتله واجاب كل منهم ابا طالب لذلك مؤمنهم وكافرهم وانما فعلوا ذلك حمية على عادة العرب فى المناصرة وانخزل عنهم بنو عمهم عبد شمس ونوفل ولهذا قال ابو طالب فى قصيدة

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا
عقوبة شر عاجلا غير آجل

(وقال فى قصيدة اخرى)

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا
وتيما ومخزوما عقوقا ومأثما

فلما رأت قريش ذلك اجتمعوا وائتمروا اى تشاوروا ان يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بنى هاشم وبنى المطلب ان لا ينكحوا اليهم اى لا يتزوجوا منهم ولا ينكحوهم اى يزوجوهم ولا يبيعوا منهم شيأ ولا يتبايعوا ولا يقبلوا منهم صلحا ابدا ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل اى يخلوا بينهم وبينه وكتبوه فى صحيفة بخط منصور ابن عكرمة فشلت يده وهلك على كفره وقيل بخط بغيض بن عامر ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى فشلت يده وهو بغيض كاسمه هلك على كفره وقيل بخط النضر بن الحرث فدعا عليه صلى الله عليه وسلم فشلت بعض اصابعه وقتل يوم بدر كافرا وقيل بخط هشام بن عمرو بن الحرث العامرى وهو من الذين سعوا فى نقضها كما سيأتى وقد اسلم رضى الله عنه يوم الفتح وكان من المؤلفة وقيل بخط طلحة بن ابى طلحة العبدرى وقيل بخط منصور بن عبد شرحبيل بن هاشم وجمع باحتمال ان يكونوا كتبوا منها نسخا واخذ كل جماعة عندهم منها نسخة وعلقوا صحيفة منها فى الكعبة هلال المحرم سنة سبع من النبوة وكان

اجتماعهم وتحالفهم ومكاتبتهم بخيف بني كنانة وهو المحصب فانحاز بنو هاشم وبنو المطلب الى ابى طالب ودخلوا معه الشعب كما تقدم الا ابا لهب فكان مع قريش فأقاموا على ذلك سنتين وقيل ثلاث سنين وجزم به موسى بن عقبة امام المغازى حتى جهدوا لقطعهم عنهم الميرة والمادة وكانوا لا يصل اليهم شئ الا سرا ويخرجون من الموسم الى الموسم لاجل الحج فلا يمنعونهم من ذلك وفي الصحيح انهم جهدوا في الشعب حتى كانوا يأكلون الخبط وورق الشجر وفي كلام السهيلي كانوا اذا قدمت العير مكة يأتي احدهم السوق ليشتري شيأ من الطعام لقتاته فيقوم ابولهب فيقول يا معشر قريش التجار غالوا على اصحاب محمد حتى لا يدركوا شيأ معكم فقد علمتم حالي ووفاء ذمتي فيزيدون عليهم في السلعة قيمتها اضعافا مضاعفة حتى يرجع الرجل منهم الى اطفاله وهم يتضاغون من الجوع وليس في يده شئ يعللهم به فيغدو التجار على ابى لهب بما كسد في ايديهم فيربحهم ويضعف لهم الثمن وخروج احدهم الى السوق عند قدوم العير لا ينافي منعهم من الاسواق والمبايعة اى عموما * ولما دخل النبي صلى الله عليه وسلم الشعب ومن معه من بني هاشم والمطلب امر من كان بمكة من المسلمين ان يخرجوا الى ارض الحبشة الخروج الاخير وقد تقدم الكلام على ذلك مستوفى وكان يصلهم في الشعب هشام بن عمرو العامري اسلم بعد ذلك رضي الله عنه وكان من اشد الناس قياما في نقض الصحيفة كما سيأتي وكانت صلته لهم بما يقدر عليه من الطعام ادخل ان عليهم في ليلة ثلاثة احمال طعاما فعلمت قريش فمشوا اليه حين اصبح فكلموه فقال انى غير عائد لشئ خالفكم فيه فانصرفوا عنه ثم عاد الثانية فأدخل عليهم حملا او حملين فغالظته قريش اى اغلظوا له في القول وهموا بقتله فقال لهم ابو سفيان بن حرب

بعد المدثر انه صلى الله عليه وسلم صلى بغير الفاتحة في مدة فترة الوحي اى لان المدثر نزلت بعد فترة الوحي على ما سيأتي وقد يقال لا ينافيه ما تقدم من انه لم يحفظ انه لم يكن في الاسلام صلاة بغير الفاتحة لجواز ان يراد صلاة من الصلوات الخمس وما تقدم مما يدل على تعين الفاتحة في الصلاة يجوز ان يكون صدر منه صلى الله عليه وسلم بعد فرض الصلوات الخمس وفي الامتاع انزال الملك يبشره بالفاتحة وبالآيتين من سورة البقرة يدل على انهما نزلتا بالمدينة فقد اخرج مسلم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال بينما جبريل قاعد عند النبي صلى الله عليه وسلم سمع نقيضا اى صوتا من فوقه فرفع رأسه فقال هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط الا اليوم فنزل منه ملك فقال هذا ملك نزل الى الارض لم ينزل قط الا اليوم فسلم وقال ابشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما من قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة هذا كلامه فليتأمل وجه الدلالة من هذا على انه سيأتي عن الكامل للهذلي ما يصرح بأن خواتيم البقرة نزلت عليه صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء بقاب قوسين * ومما يدل على ان البسملة آية منها نزولها معها اى كما في بعض الروايات والا فالرواية المتقدمة تدل على انها لم تنزل معها او يدل لكون البسملة آية من الفاتحة ايضا ما اخرجه الدارقطني وصححه والبيهقي عن ابى هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأتم الحمد لله فاقرؤا بسم الله الرحمن الرحيم انها أم القرآن وام الكتاب والسبع المثاني وبسم الله الرحمن الرحيم احدى آياتها وقد اخرج الدارقطني عن علي رضي الله تعالى عنه انه سئل عن السبع المثاني فقال الحمد لله رب العالمين فقيل له انما هي ست آيات فقال بسم الله الرحمن الرحيم آية وقيل لها السبع المثاني لانها سبع آيات وتثنى في الصلاة وقيل المثاني كل القرآن لانه يثنى فيه صفات المؤمنين والكفار والمنافقين وقصص الانبياء والوعد والوعيد قال بعضهم والوجه أن يقال المراد بالسبع المثاني السبع الطوال اى كانها المرادة بقوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني على ما تقدم وهي البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف والسابعة يونس وقيل براءة وقيل الكهف وعن أم سلمة رضي الله تعالى عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم عد البسملة آية من الفاتحة وبهذا يعلم ما في تفسير البيضاوي عن ام سلمة من انه صلى الله عليه وسلم عد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين آية فقد ذكر بعض الحفاظ ان هذا اللفظ لم يرد عن أم سلمة والذي رواه جماعة من الحفاظ عن أم سلمة بألفاظ تدل على أن بسم الله الرحمن الرحيم آية وحدها منها انها ذكرت

أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي في بيتها فيقرأ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وفي رواية عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الصلوات بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والاستدلال على أن البسملة آية من الفاتحة بكونها نزلت معها يقتضي أن البسملة ليست آية من اقرأ باسم ربك ومن ثم قال الحافظ الدمياطي نزول اقرأ بدون بسملة يدل على ان البسملة ليست آية من كل سورة واستدل به اي بعدم نزولها في أول سورة اقرأ أيضا كما قال الامام النووي من يقول ان البسملة ليست بقرآن في أوائل السور اي وانما انزلت وكتبت للفصل والتبرك بالابتداء بها وهذا القول ينسب لقول امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه في القديم وهو قول قدماء الحنفية قال وجواب المثبتين اي لقرآنيتها في ذلك أنها نزلت في وقت آخر كما نزل باقي السورة اي سورة اقرأ وجوابهم أيضا بأن الاجماع من الصحابة والسلف على اثباتها في مصاحفهم مع مبالغتهم في تجريدها عن كتابة غير القرآن فيها حتى انهم لم يكتبوا آمين فيها واستدل أيضا لعدم قرآنيتها في أوائل السور بعدم تواترها في محلها ورد بأن عدم تواترها في محلها لا يقتضي سلب القرآنية عنها ورد هذا الرد بأن الامام الكافيجي قال المختار عند المحققين من علماء السنة وجوب التواتر اي في القرآن في محله ووضعه وترتيبه أيضا كما يجب تواتره في أصله اي وفي الفتوحات البسملة من القرآن بلا شك عند العلماء بالله وتكرارها في السور كتكرار ما تكرر في القرآن من سائر الكلمات وهو بظاهره ويؤيد ماذهب اليه امامنا من انها آية من أول كل سورة ويحتمل لما قاله السهيلي حيث قال نقول انها آية من كتاب الله مقترنة مع السورة وفي كلام ابي بكر بن العربي وزعم الشافعي انها آية من كل سورة وماسبقه الى هذا القول احد فانه لم يعدها احد آية من سائر السور ونقل عن امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه انها آية من اول الفاتحة دون بقية السور فعن الربيع قال سمعت الشافعي يقول اول الحمد بسم الله الرحمن الرحيم واول البقرة الم قال بعضهم وهو يدل على ان البسملة آية من اول الفاتحة دون بقية السور فانها ليست آية من اولها بل هي آية في اولها اعادة لها وتكريرا لها وربما يوافق ذلك قول الجلال السيوطي في الخصائص الصغرى وخص صلى الله عليه وسلم بالبسملة والفاتحة هذا كلامه وكونه خص بالبسملة يخالف قوله في الاتقان عن الدارقطني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لبعض اصحابه لاعلمنك آية لم تنزل على نبي بعد سليمان غيري بسم الله الرحمن الرحيم كما سيأتي وسيأتي مافيه قيل وانما تركت البسملة اول براءة لعدم المناسبة بين الرحمة التي

دعوه ويجل وصل اهله ورحمه اما اني احلف بالله لو فعلنا مثل مافعل لكان أحسن بنا وكان ممن يصلهم بالطعام أيضا حكيم بن حزام فلقيه ابو جهل مرة ومع حكيم غلام يحمل قمحا يريد به عمته خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنها وهي معه في الشعب فقال أبو جهل لحكيم تذهب بالطعام لبني هاشم والله لاتذهب أنت وطعامك حتى افضحك بمكة فحضرهما أبو البختري فقال لابي جهل مالك وماله فقال له أبو جهل يحمل الطعام لبني هاشم فقال له أبو البختري طعام كان لعمته عنده أفتمنعه أن يأتيها به خل سبيل الرجل فأبى أبو جهل حتى نال احدهما من الآخر فأخذ أبو البختري لحى بعير فضرب به أبا جهل وشجه ووطئه وطئا شديدا فانكف عن ذلك وأبو البختري هذا ضبطه بعضهم بالحاء المهملة وبعضهم بالخاء المعجمة والاول اصح وهو ممن قتل كافرا يوم بدر وكان أبو طالب مدة اقامتهم بالشعب يأمره صلى الله عليه وسلم فيأتي فراشه كل ليلة حتى يراه من أراد به شرا وغائلة فاذا نام الناس أمر احد بنيه أو اخوانه أو بني عمه ان يضطجع على فراش المصطفى صلى الله عليه وسلم ويأمره هو أن يأتي بعض فرشهم فيرقد عليها وهذا على ماجرت به العادة من الاحتراس بالامور العادية والا فهو صلى الله عليه وسلم محفوظ ومعصوم من القتل وولد عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وهم بالشعب ثم ان الله تعالى اوحى الى النبي صلى الله عليه وسلم ان الارضة أكلت جميع مافي الصحيفة من القطيعة والظلم فلم تدع سوى اسم الله فقط وكانوا يكتبون باسمك اللهم وفي رواية لم تترك الارضة في الصحيفة اسما لله عز وجل الا لحسته وبقي مافيها من شرك وقطيعة رحم قال الحلبي والرواية الاولى أثبت من الثانية وجمع بين الروايتين بأنهم كتبوا نسخا فأكلت الارضة من بعضها ماعدا اسم الله لئلا يجتمع اسم الله مع ظلمهم

وا كلت من بعضها ظلمهم لئلا يجتمع مع اسم الله تعالى فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم عمه اباطالب بذلك فقال يا ابن أخى أربك
اخبرك بهذا قال نعم قال والثواقب ما كذبتنى قط فانطلق فى عصابة من بنى هاشم والمطلب حتى أتوا المسجد فأنكر قريش
ذلك وظنوا انهم خرجوا من شدة البلاء ليسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فقال ابوطالب يامعشر
قريش جرت بيننا وبينكم أمور
لم تذكر فى صحيفتكم فأتوا بها لعل
ان يكون بيننا وبينكم صلح وانما
قال ذلك خشية ان ينظروا فيها
قبل أن يأتوا بها فأتوا بها وهم
لا يشكون ان أباطالب يدفع
اليهم النبى صلى الله عليه وسلم
فوضعوها بينهم وقبل أن تفتح
قالوا لابى طالب قد آن لكم ان
ترجعوا عما أحدثتم علينا وعلى
أنفسكم فقال انما أتيتكم فى
أمر هو نصف بيننا وبينكم ان
ابن أخى أخبرنى ولم يكذبنى ان
الله قد بعث على صحيفتكم دابة
فلم تترك فيها اسم الله تعالى الا
لحسته وتركت فيها غدركم
وتظاهركم علينا بالظلم وفى رواية
أكلت غدركم وتظاهركم علينا
بالظلم وتركت كل اسم لله تعالى
فان كان كما يقول فأفيقوا اى
اقلعوا عما أنتم عليه فوالله
لا نسلمه حتى نموت من عند آخرنا
وان كان باطلا دفعناه اليكم
فقتلتم أو استحييتم فقالوا رضينا
ففتحوها فوجدوها كما قال صلى
الله عليه وسلم فقالوا هذا سحر ابن
أخيك وزادهم ذلك بغيا وعدوانا
وقد جاء أن أباطالب قال لهم بعد
ان وجدوا الامر كما أخبر به صلى الله عليه وسلم علام نحصر ونحبس وقد بان الامر وتبين انكم أولى بالظلم قال
والقطيعة ودخل هو ومن معه بين استار الكعبة وقال اللهم انصرنا على من ظلمنا وقطع أرحامنا واستحل ما يحرم عليه منا ثم
انصرف هو ومن معه الى الشعب وعند ذلك مشت طائفة من قريش فى نقض تلك الصحيفة وهم هشام بن عمرو بن الحرث

تدل عليها البسملة والتبرى الذى يدل عليه أول براءة وورد فى الفتوحات بأنها جاءت فى
اوائل السور المبدوأة بويل قال واين الرحمة من الويل وذكر بعضهم ان الانفال وبراءة
سورة واحدة اى فعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال سألت عثمان بن عفان رضى الله
تعالى عنه لم يكتبوا بين براءة والانفال سطر بسم الله الرحمن الرحيم فقال كانت الانفال
من اول ما نزل بالمدينة وكانت براءة من آخر ما نزل بالمدينة وكانت قصتها شبيهة بالاخرى
فظننت انهما سورة واحدة وفى كلام بعض المفسرين عن طاوس وعمر بن عبد العزيز أنهما
كانا يقولان ان الضحى والم نشرح سورة واحدة فكانا يقرآنهما فى ركعة واحدة
ولا يفصلان بينهما ببسم الله الرحمن الرحيم وذلك لانهما رأيا ان اولها مشبه لقوله
الم يجدك يتيما وليس كذلك لان تلك حال اغتمامه صلى الله عليه وسلم بايذاء الكفار فهى
حال محنة وضيق وهذه حال انشراح الصدر وتطيب القلب فكيف يجتمعان هذا كلامه
وذكر ائمتنا انه يكفى فى وجوب الاتيان بالبسملة فى الفاتحة فى الصلاة الظن المفيد له خبر
الآحاد ولعدم التواتر بذلك لا يكفر من نفى كونها آية من الفاتحة باجماع المسلمين وقد
جهر بها صلى الله عليه وسلم كما رواه جمع من الصحابة قال ابن عبد البر بلغت عدتهم أحد
وعشرين صحابيا واما ما رواه مسلم عن انس قال صليت مع النبى صلى الله عليه وسلم وابى
بكر وعمر وعثمان فلم اسمع احدا منهم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم اجيب عنه بأنه لم ينف
الا السماع ويجوز انهم تركوا الجهر بها فى بعض الاوقات بيانا للجواز ويؤيده قول
بعضهم كانوا يخفون البسملة واما ما رواه البخارى وابوداود والترمذى وغيرهم ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم وابابكر وعمر كانوا يفتتحون الصلاة بالحمد لله رب العالمين
فمعناه بسورة الحمد لا بغيرها من القرآن ولا يبعد هذا الحمل ما فى رواية عبد الله بن مغفل
انه قال سمعنى ابى وانا أقرأ بسم الله الرحمن الرحيم فقال اى بنى اياك والحدث فانى
صليت مع النبى صلى الله عليه وسلم ومع ابى بكر وعمر فلم اسمع احدا منهم يقوله فاذا قرأت
فقل الحمد لله رب العالمين فانه لما لم يسمع فهم انهم لم يأتوا بها راسا فقال ذلك وكذا يقال
فيما روى كانوا لا يقرؤن بسم الله الرحمن الرحيم فعلى تقدير ثبوت تلك الرواية وصحتها
يجوز أن يكون الراوى فهم مما تقدم ترك البسملة فروى بالمعنى فأخطأ ومما استدل به
على ان البسملة ليست آية من الفاتحة ما جاء عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تبارك وتعالى قسمت الصلاة اى الفاتحة بينى وبين
عبدى نصفين فنصفها لى ونصفها لعبدى ولعبدى ما سأل فاذا قال الحمد لله رب العالمين

العاص بن وزهير بن أبي أمية المخزومي وأمه عاتكة بنت عبد المطلب عمة النبي صلى الله عليه وسلم والمطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف وأبو البختري بن هشام وزمعة بن الاسود فمشى هشام بن عمرو الى زهير بن أبي أمية وأسلم كل منهما بعد ذلك رضي الله عنهما فقال يا زهير أرضيت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء وأخوالك حيث قد علمت فقال ويحك يا هشام فماذا أصنع فانما انا رجل واحد والله لو كان معي رجل آخر لقمت في نقضها فقال أنا معك فقال ابغنا ثالثا ومشيا جميعا الى المطعم بن عدي فقالا له ارضيت أن يهلك بطنان من بني عبد مناف وانت شاهد فقال انما أنا واحد فقالا انا معك فقال ابغنا رابعا فذهبوا الى ابي البختري فقال ابغنا خامسا فذهبوا الى زمعة بن الاسود فوافقهم على ذلك فقعدوا بالليل بأعلى مكة وتعاقدوا وتعاهدوا على نقض تلك الصحيفة واخراج بني هاشم من الشعب وقال لهم زهير أنا أبدؤكم وأكون اول من يتكلم فلما اصبحوا غدوا الى انديتهم وغدا زهير وعليه حلة فطاف بالبيت ثم اقبل على الناس فقال يا اهل مكة أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم والمطلب هلكى لا يبتاعون ولا يبتاع منهم والله لا اقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة فقال له ابو جهل كذبت والله لا تشق فقال زمعة بن الاسود انت والله اكذب ما رضينا كتابتها حين كتبت فقال ابو البختري صدق زمعة فقال مطعم بن عدي صدقتما وكذب من قال غير ذلك نبرأ الى الله منها ومما كتب فيها فقال هشام بن عمرو مثل ذلك فقال ابو جهل هذا امر قضي بليل واضطرب الامر بينهم وكثر القيل والقال فقام المطعم بن عدي الى الصحيفة فشقها وفي رواية قام هؤلاء الخمسة ومعهم جماعة فلبسوا السلاح ثم خرجوا الى بني هاشم والمطلب فأمروهم بالخروج الى مساكنهم ففعلوا

قال الله تعالى حمدني عبدي واذا قال الرحمن الرحيم قال مجدني عبدي واذا قال مالك يوم الدين قال فوض الي عبدي واذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال هذه بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل فيقول عبدي اهدنا الصراط المستقيم الى آخرها قال ابو بكر بن العربي المالكي فاتني بذلك ان تكون بسم الله الرحمن الرحيم آية منها من وجهين احدهما انه لم يذكرها في القسمة والثاني انها ان صارت في القسمة لما كانت نصفين بل يكون ما لله فيها اكثر مما للعبد لان بسم الله ثناء على الله تعالى لا شيء للعبد فيه ثم ذكر ان التعبير بالصلاة عن الفاتحة يدل على ان الفاتحة من فروضها واطال في ذلك وسيأتي في الحديبية أنه صلى الله عليه وسلم كان يكتب باسمك اللهم موافقة للجاهلية قبل كتب ذلك في أربعة كتب وأول من كتبها أمية بن الصلت فلما نزل بسم الله مجراها ومرساها كتب بسم الله ثم لما نزل ادعوا الله او ادعوا الرحمن كتب بسم الله الرحمن ثم لما نزلت انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم كتب بسم الله الرحمن الرحيم كذا نقل عن الشعبي ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكتب بسم الله الرحمن الرحيم حتى نزلت سورة النمل وهذا يفيد ان البسملة لم تنزل قبل ذلك في شيء من اوائل السور ويؤيده قول السهيلي ثم كان بعد ذلك اي بعد نزول وانه بسم الله الرحمن الرحيم ينزل جبريل عليه السلام ببسم الله الرحمن الرحيم مع كل سورة اي تمييزا لها عن غيرها وقد ثبت في سواد المصحف الاجماع من الصحابة رضي الله تعالى عنهم على ذلك هذا كلامه فليتأمل ما فيه فانه قد يدل للقول بان البسملة ليست من اوائل السور وانما هي للفصل فقد علمت أن البسملة نزلت اول الفاتحة على ما في بعض الروايات ونقل ابو بكر التونسي اجماع علماء كل أمة على ان الله سبحانه وتعالى افتتح جميع كتبه ببسم الله الرحمن الرحيم وفي الاتقان عن الدارقطني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لبعض الصحابة لاعلمنك آية لم تنزل على نبي بعد سليمان غيري بسم الله الرحمن الرحيم وبهذا يعلم ما في الخصائص الصغرى ان البسملة من خصائصه صلى الله عليه وسلم وقوله صلى الله عليه وسلم على نبي بعد سليمان غيري يشكل عليه ان عيسى بين سليمان وبينه صلى الله عليه وسلم وكتابه الانجيل وهو من جملة كتب الله المنزلة * وعن النقاش ان البسملة لما نزلت سبحت الجبال فقالت قريش سحر محمد الجبال قال السهيلي ان صح ما ذكره فانما سبحت الجبال خاصة لان البسملة انما نزلت على آل داود وقد كانت الجبال تسبح مع داود والله أعلم ثم لم يلبث ورقة ان توفي قال سبط ابن الجوزي وهو آخر من مات في الفترة ودفن بالحجون فلم يكن مسلما ويؤيده ما جاء في رواية في سنده ضعف عن ابن

هذا هو الصحيح في ذكر القصة أن السعي من هؤلاء الرهط في نقضها انما كان بعد أخبار النبي صلى الله عليه وسلم عمه بأكل الارضة لها وبعضهم قدم وأخر في حكاية القصة وكان نقض الصحيفة في السنة التاسعة من النبوة بناء على ان مكثهم كان سنتين أو في السنة العاشرة بناء على انه كان ثلاث سنين وفي الخمسة الذين سعوا في نقض الصحيفة أشار صاحب الهمزية بقوله

فديت خمسة الصحيفة بالخمسة ان كان للكرام فداء

فتية بيتوا على فعل خير حمد الصبح امره والمساء

يالامر اتاه بعد هشام زمعة انه الفتى الاتاء

وزهير والمطعم بن عدي وأبو البختري من حيث شاؤا

نقضوا مبرم الصحيفة اذشد دت عليهم من العدا الانداء

أذكرتنا بأكلها اكل منسا ة سليمان الارضة الخرساء

وبها اخبر النبي وكم اخـ رج خبأ له الغيوب خباء

وتقدم انه اسلم من هؤلاء الخمسة هشام بن عمرو بن الحرث وزهير ابن ابي امية واما المطعم بن عدي فمات بمكة كافرا واما ابو البختري وزمعة بن الاسود فقتلا يوم بدر كافرين فسبحان من لا يسئل عما يفعل وتوفي ابو طالب بعد خروجهم من الشعب وكانت وفاته في رمضان سنة تسع أو عشر من النبوة وتقدم الكلام على ما يتعلق به مستوفى فارجع اليه ان شئت ثم بعد ذلك بثلاثة ايام وقيل بخمسة ايام توفيت خديجة رضي الله عنها وقد اشار صاحب الهمزية الى ذلك على ما في بعض نسخ الهمزية بقوله بالبشارة

وقضى عمه ابو طالب والد هر فيه السراء والضراء

ثم ماتت خديجة ذلك العا م ونالت من احمد المناء

ودخل النبي صلى الله عليه وسلم على خديجة وهي في الموت فقال تكرهين ما أرى منك وقد جعل الله في الكره خيرا وروى

عباس رضي الله تعالى عنهما انه مات على نصرانيته وهذا يدل على أن من ادرك النبوة وصدق بنبوته صلى الله عليه وسلم ولم يدرك الرسالة بناء على تأخرها لا يكون مسلما بل من أهل الفترة فلما توفي ورقة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رأيت القس يعني ورقة في الجنة وعليه ثياب الحرير اي والقس بكسر القاف رئيس النصارى وبفتحها تتبع الشئ ٥ هذا وفي القاموس القس مثلث القاف تتبع الشئ وطلبه كالتقسس وبالفتح صاحب الابل الذي لا يفارقها ورئيس النصارى في العلم وفي رواية أبصرته في بطنان الجنة وعليه السندس وفي رواية قد رأيته فرأيت عليه ثيابا بيضا واحسبه اي اظنه لو كان من أهل النار لم تكن عليه ثياب بيض اقول صريح الرواية الثالثة أنه لم يره في الجنة فقد تعددت الرؤية واما الرواية الثانية فلا تخالف الرواية الاولى لان السندس من افراد الحرير فلا دلالة في ذلك على التعدد والله أعلم وفي رواية لا تسبوا ورقة فاني رأيت له جنة أو جنتين ٥ لانه آمن بي وصدقني اي قبل الدعوة التي هي الرسالة وحينئذ يكون معنى قوله له جنة أو جنتين هيئت له جنة أو جنتان ولا مانع أن يكون بعض اهل الفترة من أهل الجنة اذ لو كان مسلما حقيقة بأن ادرك الدعوة وصدق به لم يقل فيه صلى الله عليه وسلم واحسبه لو كان من أهل النار لم يكن عليه ثياب بيض وجزم ابن كثير باسلامه قال بعضهم وهو الراجح عند جهابذة الائمة اي بناء على انه أدرك الدعوة الى الله تعالى التي هي الرسالة في الامتاع ان ورقة مات في السنة الرابعة من المبعث ويوافقه ما يأتي عن سيرة ابن اسحق وعن كتاب الخميس وحينئذ يكون قوله صلى الله عليه وسلم لانه آمن بي وصدقني واضحا لكن ينازع في ذلك قوله واحسبه لو كان من أهل النار لم يكن عليه ثياب بيض وسيأتي عن الذهبي ما يخالفه ويخالفه أيضا ما تقدم عن سبط ابن الجوزي انه من أهل الفترة وعن يحيى بن بكير قال سألت جابر بن عبد الله يعني عن ابتداء الوحي فقال لا أحدثك الا ما حدثنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحراء فلما قضيت جواري هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيأ فنظرت عن يساري فلم أر شيأ فنظرت من خلفي فلم أر شيأ فرفعت رأسي فرأيت شيأ بين السماء والارض اي وفي رواية فاذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي زاد في رواية متربعا عليه وفي لفظ على عرش بين السماء والارض فرعبت منه فأتيت خديجة فقلت دثروني أي وفي رواية زملوني زملوني وصبوا على ماء باردا فدثروني وصبوا على ماء باردا فنزلت هذه الآية يا أيها المدثر اي المتلفف بثيابه قم فأنذر وربك فكبر ولم يقل بعد فأنذر وبشر لانه كما بعث بالنذارة بعث

بالبشارة لان البشارة انما تكون لمن آمن ولم يكن احد آمن قبل وهـذا يدل على ان هـذه الآية اول ما نزل اى قبل اقرأ وأن النبوّة والرسالة مقترنان قال الامام النووى والقول بأن أول ما نزل يا أيها المدثر ضعيف أباطل وانما نزلت بعد فترة الوحى اى ومما يدل على ذلك قوله فاذا الملك الذى جاءنى بحراء ومما يدل على ذلك ايضا ما فى البخارى ان فى روايه جابر انه صلى الله عليه وسلم حدث عن فترة الوحى اى لا عن ابتداء الوحى فما تقـدم من قول بعضهم يعنى عن ابتـداء الوحى فيـه نظر وكذا فى قول الراوى عن جابر جاورت بحراء فلما قضيت جوارى هبطت لان جواره بحراء كان قبل فترة الوحى الا ان يقال جابر جاء عنـه روايتان واحدة فى ابتداء الوحى وأخرى فى فترة الوحى وبعض الرواة خلط فان صدر الرواية يدل على ان ذلك كان عند ابتداء الوحى وعجزها يدل على ان ذلك كان فى فترة الوحى هذا ويجوز ان يكون صلى الله عليه وسلم جاور بحراء فى مدة فترة الوحى ويؤيد ذلك ما فى البيهقى عن مرسل عبيد بن عمير انه صلى الله عليه وسلم كان يجاور فى كل سنة شهرا وهو رمضان وكان ذلك فى مدة فترة الوحى وسيأتى الجمع بين الروايات فى اول ما نزل وعن اسمعيل بن ابى حكيم مولى الزبير أنه حـدث عن خديجة رضى الله تعالى عنها انها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم انستطيع ان تخـبرنى بصاحبك هذا الذى يأتيك اذا جاءك قال نعم اى وذلك قبل أن يأتيه بالقـرآن اى بشئ منـه وهو اقرأ باسم ربك بناء على انه أول ما نزل ولا ينافى ذلك قولها هذا الذى يأتيك اذا جاءك لان المعـنى الذى يتراءى لك اذا رأيته فجاء جبريل عليه السلام فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم يا خديجة هـذا جبريل قد جاءنى اى قد رأيته لكن سيأتى عن ابن حجر الهيتمى ان ذلك كان بعد البعثة قالت قم يا ابن عمى فاجلس على فخذى فقام رسول الله صـلى الله عليه وسـلم فجلس على فخذها قالت هل تراه قال نعم قالت فتحول فاجلس فى حجرى فتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس فى حجرها قالت هل تراه قال نعم فألقت خمارها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى حجرها ثم قالت هل تراه قال لا قالت يا ابن عمى اثبت وابشر فوالله انه لملك ما هذا بشيطان والى ذلك اشار صاحب الهمزية بقوله

وأتاه فى بيتها جبرئيـــــل * ولذى اللب فى الامور ارتياء

فأماطت عنها الخمار لتدرى * اهو الوحى ام هو الاغماء

فاختفى عند كشفها الرأس جبريـ * ـل فما عاد او اعيد الغطاء

فاستبانت خـديجة انه الكنـز الذى حاولته والكيمياء

اى وأتاه قال ابن حجر اى بعـد البعثة اى النبوّة واجتماعه به فى بيتها حامل الوحى جبريل

الطبرانى انه صلى الله عليه وسلم اطعمها من عنب الجنة وعن حكيم بن حزام رضى الله عنه انها دفنت بالحجون ونزل صلى الله عليه وسلم فى حفرتها حين دفنها وادخلها القبر بيده صلى الله عليه وسلم وكان عمرها اذذاك خمسا وستين سنة وحزن صلى الله عليه وسلم عليها وعلى عمه أبى طالب حزنا شديدا حتى سمى ذلك العام عام الحزن وقالت له خولة بنت حكيم يا رسول الله كأنى اراك قد دخلتـك خلة لفـقد خديجة رضى الله عنها فقال أجل ام العيال وربة البيت وقال عبيد الله بن عمير وجد عليها حتى خشى عليه وكانت مدة اقامته معها خمسا وعشرين سنة ثم فى شوال من ذلك العام تزوج عليه الصلاة والسلام سودة بنت زمعة ودخل بها وعقد على عائشـة رضى الله عنها ولم يدخل بها الا بعد الهجرة وقال فى السـيرة الحلبية وفى الشهر الذى توفيت فيه خديجة رضى الله عنها وهو شهر رمضان بعد موتها بأيام تزوج سودة بنت زمعة وكانت قبله عند ابن عم لها يسمى السكران اسلم معها وهاجر بها الى الحبشة الهجرة الثانية ثم رجع بها الى مكة فمات عنها فلما انقضت عدتها تزوجها صلى الله عليه وسلم واصدقها اربعمائة درهـم وكانت رأت فى نومها ان النبى صـلى الله عليه وسـلم وطئ عنقها فأخـبرت زوجها فقـال ان صـدقت رؤياك اموت انا ويتزوجك رسول الله صـلى الله عليه وسلم ثم رأت فى ليلة أخرى أن قمرا انقض عليها من السماء وهى مضطجعة فأخبرت زوجها فقال لا البث حتى اموت فمات من يومه ذلك وعن خولة بنت حكيم رضى الله عنها وهى امرأة عثمان بن مظعون رضى الله عنه قالت قلت لما ماتت خديجة يا رسول الله الا تتزوج قال من قلت ان شئت بكرا وان شئت ثيبا قال فمن البكر قلت احب خلق الله اليك عائشة بنت ابى بكر وكان صلى الله عليه وسلم قد رأى فى المنام انه يتزوج بها وجئ له بصورتها من الجنة فكان يتعجب من ذلك

لكونها صغيرة لا تصلح للتزوج ثم يقول ان يكن هذه الامر من عند الله يمضه حتى قالت له خولة ماذ كر فعلم ان الله سيقضي امره حين انطقها بذلك ولا علم لها ثم قال لها ومن الثيب قالت سودة بنت زمعة وقد آمنت بك واتبعتك على ما تقول قال فاذهبي فاذكريهما على قالت فدخلت على سودة بنت زمعة فقلت لها ماذا ادخل الله عليك من الخير والبركة قالت وما ذاك قلت أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم اخطبك عليه قالت وددت ذلك ادخلي على أبي فاذكري ذلك له وكان شيخا كبيرا باقيا على دين قومه لم يسلم قالت فدخلت عليه وحييته بتحية الجاهلية فقال من هذه قلت خولة بنت حكيم قال فما شأنك قلت ارسلني محمد بن عبد الله اخطب عليه سودة قال كفء كريم فما تقول صاحبتك قلت تحب ذلك قال ادعيها الي فدعوتها قال اي بنية ان هذه تزعم ان محمد بن عبد الله ارسل يخطبك وهو كفء كريم اتحبين ان أزوجك منه قالت نعم فقال لخولة ادعيه لي فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجه اياها وكان اخوها عبد الله بن زمعة غائبا فلما بلغه الخبر صار يحثي التراب على رأسه ولما اسلم رضي الله عنه كان يقول لقد كنت في السفه يوم أحثي التراب على رأسي اذا تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم سودة يعني اخته ثم ذهبت خولة بنت حكيم الى ام رومان وهي ام عائشة رضي الله عنها فقالت يا ام رومان ماذا ادخل الله عليكم من الخير والبركة قد ارسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم اخطب عليه عائشة قالت انتظري ابا بكر رضي الله عنه حتى يأتي فجاء ابو بكر فقلت يا ابا بكر ماذا ادخل الله عليكم من الخير والبركة قال وماذاك قالت ارسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم اخطب عليه عائشة رضي الله عنها قال وهل تصلح اي تحل له إنما هي بنت اخيه فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت

ولصاحب العقل الكامل في الاحوال التي قد تشتبه استبصار فبسبب كمال استبصارها ازالت عن رأسها ما يغطى به الرأس لتعلم عين اليقين ان هذا الذي يعرض له صلى الله عليه وسلم هل هو حامل الوحي الذي كان يأتي به الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبله او هو الاغماء الذي هو بعض الامراض الجائزة عليهم عليهم الصلاة والسلام وفيه انه ينبغي ان يكون المراد به الاغماء الناشئ عن لمة الجن فيكون من الكهان لا من الانبياء عليهم الصلاة والسلام الذي قال بسببه لخديجة لقد خشيت على نفسي وسيأتي انه كان يعتريه وهو بمكة قبل ان ينزل عليه القرآن ما كان يعتريه عند نزول الوحي عليه اي من الاغماء الى آخره فبسبب ازالتها ما تغطى به رأسها عنها اختفى فلم يعد الى ان اعادت غطاء رأسها عليه فاستبانت علمت علم اليقين ان ما يعرض له صلى الله عليه وسلم هو الوحي اي لا الجني لان الملك لا يرى الرأس المكشوف من المرأة بخلاف الجني وشبه الناظم ذلك بالشيء النفيس والامر العظيم لان كلا من الكنز والكيمياء لا يظفر به الا القليل من الناس لعزتهما (اقول) وفي الخصائص الكبرى ما يدل لما قلناه من ان ما فعلته خديجة كان عند تراتيه له صلى الله عليه وسلم وقبل اجتماعه به وقول بعضهم ان ذلك من خديجة كان بارشاد من ورقة فانه قال لها اذهبي الى المكان الذي رأى فيه ما رأى فاذا رآه فتحسري فان يكن من عند الله لا يراه اي فتراءى له وهو في بيت خديجة ففعلت قالت فلما تحسرت تغيب جبريل فلم يره فرجعت فأخبرت ورقة فقال انه ليأتيه الناموس الاكبر وفي فتح الباري ان في سيرة ابن اسحق ان ورقة كان يمر ببلال رضي الله تعالى عنه وهو يعذب وذلك يقتضي انه تأخر الى زمن الدعوة والى ان دخل بعض الناس في الاسلام اي وفي كلام صاحب كتاب الخميس في الصحيحين ان الوحي تتابع في حياة ورقة وانه آمن به وتقدم انه الموافق لما في الامتاع من انه مات في السنة الرابعة من البعثة وتقدم انه مخالف لما تقدم عن سبط ابن الجوزي ومخالف ايضا القول الذهبي الاظهر أنه مات بعد النبوة وقبل الرسالة اي بناء على تأخرها ويدل لتأخرها ما تقدم من قول ورقة ياليتني فيها جذع فقد تقدم ان المراد ياليتني اكون في زمن الدعوة اي ومن ادرك النبوة ولم يدرك البعثة لا يكون مسلما بل هو كما تقدم من اهل الفترة لان الايمان النافع عند الله تعالى الذي يصير به الشخص مستحقا لدخول الجنة ناجيا من الخلود في النار التصديق بالقلب بما علم بالضرورة انه من دين محمد صلى الله عليه وسلم اي بما أرسل به وان لم يقر بالشهادتين مع التمكن من ذلك حيث لم يطلب منه ذلك و يمتنع وقيل لا بد مع ذلك من الاقرار بالشهادتين للمتمكن

ذلك له فقال ارجعي اليه فقولى له أنا اخوك وانت أخى فى الاسلام وابنتك تصلح لى اى تحل فذكرت ذلك له فقالت أم رومان ان مطعم بن عدى كان قد ذكرها على ابنه جبير ووعده أبو بكر والله ما وعد أبو بكر وعدا قط فأخلفه فقام ابو بكر ودخل على مطعم بن عدى وعنده امرأته أم ابنه جبير فقال ابو بكر للمطعم بن عدى ماتقول فى أمر هذه الجارية التى ذكرتها على ابنك جبير فأقبل المطعم على امرأته وقال لها ماتقولين ياهذه فاقبلت على ابى بكر رضى الله عنه وقالت له لعلنا ان نكحنا هذا الفتى اليكم تصبئه وتدخله فى دينك الذى أنت عليه فاقبل ابو بكر على المطعم وقال له ماذا تقول انت فقال انها تقول ماتسمع اى فقولى مثل قولها فقام ابو بكر رضى الله عنه وليس فى نفسه من الوعد شئ فرجع وقال لخولة ادعى لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعته فزوجه اياها اى عقد له عليها وعائشة حينئذ بنت ست سنين وقيل بنت سبع ودخل على سودة بمكة وأخر الدخول على عائشة الى المدينة فدخل بها وعمرها تسع سنين وتقدم ان أبا طالب عند وفاته جمع قريشا وخطبهم خطبة يحثهم فيها على اتباع النبى صلى الله عليه وسلم وقال لهم ايضا لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد وما اتبعتم أمره فاطيعوه ترشدوا فلم يقبلوا قوله ولما مات أبو طالب اشتدت قريش على النبى صلى الله عليه وسلم ونالت منه من الاذى مالم تكن تطمع فيه فى حياة ابى طالب فدخل صلى الله عليه وسلم بيته والتراب على رأسه فقامت اليه بعض بناته وجعلت تزيله عن رأسه وتبكى ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها لاتبكى يابنية فان الله مانع اباك وكان صلى الله عليه وسلم يقول ما نالت منى قريش شيأ اكرهه اى أشد الكراهة حتى مات ابو طالب ولما رأى قريشا تهجموا عليه قال ياعم ما أسرع ما وجدت

للتمكن منه وحيث ادرك الرسالة فقد اسلم وحينئذ يكون صحابيا ونقل بعضهم عن الحافظ ابن حجر أنه فى الاصابة تردد فى ثبوت الصحبة لورقة بن نوفل قال لكن المفهوم من كلامه فى شرح النخبة ثبوتها وانه يفرق بينه وبين بحيرا بأن ورقة ادرك البعثة وانه لم يدرك الدعوة بخلاف بحيرا وهو ظاهر والتعريف السابق يشمله هذا كلامه وتعريفه السابق للصحابى هو من اجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم مؤمنا وعبارة شرح النخبة هل يخرج اى من تعريف الصحابى من لقى النبى صلى الله عليه وسلم مؤمنا به من لقيه مؤمنا بأنه سيبعث ولم يدرك البعثة محل نظر ولا يخفى عليك أن ما فى شرح النخبة لايدل لهذا البعض على أنه تقدم ان ابن حجر فى الاصابة قال فى بحيرا ما ادرى ادرك البعثة أم لا ولا يخفى عليك ما تقدم عن ابن حجر من ان ورقة أدرك البعثة وانه لم يدرك الدعوة فانه يقتضى أن البعثة عبارة عن النبوة لا عن الرسالة وان الرسالة هى الدعوة لا البعثة (وروى ابن اسحق) عن شيوخه أنه صلى الله عليه وسلم كان يرقى من العين وهو بمكة قبل ان ينزل عليه القرآن فلما نزل عليه القرآن أصابه نحو ما كان يصيبه قبل ذلك هذا يدل على انه صلى الله عليه وسلم كان يصيبه قبل نزول القرآن ما يشبه الاغماء بعد حصول الرعدة وتغميض عينيه وتربد وجهه وغط كغطيط البكر فقالت له خديجة أوجه اليك من يرقيك قال اما الآن فلا ولم اقف على من كان يرقيه ولا على ما كان يرقى به * واشتهر على بعض الالسنة أن آمنة يعنى امه صلى الله عليه وسلم رقت النبى من العين ولعل مستند ذلك ما تقدم عن أمه أنها لما كانت حاملا به جاءها الملك وقال لها قولى اذا ولدتيه

أعيذه بالواحد * من شر كل حاسد

والظاهر أنها قالت ذلك (وعن اسماء) بنت عميس رضى الله تعالى عنها أنها قالت يارسول الله ان ابنى جعفر اى ولديها من جعفر بن ابى طالب تصيبهما العين افنسترقى لهما قال نعم لو كان شئ سابق القدر لسبقته العين فان قيل بهذه الامور علم صلى الله عليه وسلم أن جبريل ملك لا جنى فمن اين علم أنه يتكلم عن الله تعالى اجيب بانه على تسليم ان قول ورقة المذكور وما تقدم عنه لا يفيده العلم فقد يقال خلق الله تعالى فيه صلى الله عليه وسلم علما ضروريا بعد ذلك علم به أنه جبريل وانه يتكلم عن الله تعالى كما خلق فى جبريل علما ضروريا بأن الموحى اليه هو الله وقد ذكر بعض المفسرين أنه صلى الله عليه وسلم كان له عدو من شياطين الجن يقال له الابيض كان يأتيه فى صورة جبريل واعترض بأنه يلزم عليه عدم الوثوق بالوحى وأجيب عنه بمثل ما هنا وهو ان الله تعالى جعل فى النبى صلى

فقدك ولما بلغ ابا لهب ذلك قام بنصرته أياما وقال يا محمد امض لما اردت وما كنت صانعا اذ كان أبو طالب حيا والاّت والعزى لايصلون اليك حتى أموت فلم يزل أبو جهل وعقبة بن ابي معيط وغيرهما من أشراف قريش يحتالون على ابي لهب حتى صدوه عن ذلك وتأخر عن النبي صلى الله عليه وسلم وترك نصرته ورجع الى ما كان عليه من معاداته فلما اجمعوا على معاداته ومقاطعته صلى الله عليه وسلم وهموا باخراجه والفتك به خرج الى الطائف وهو مكروب مشوش الخاطر مما لقي من قريش ومن قرابته وعترته خصوصا من ابي لهب وزوجته أم قبيح حمالة الحطب من الهجو والسب والتكذيب * وعن علي رضي الله عنه انه قال لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موت ابي طالب أخذته قريش تجاذبه وهم يقولون له صلى الله عليه وسلم انت الذي جعلت الآلهة الها واحدا قال فوالله مادنا منا احد الا أبو بكر رضي الله عنه فصار يضرب هذا ويدفع هذا وهو يقول أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله (وكان خروجه صلى الله عليه وسلم) الى الطائف في شوال سنة عشر من النبوة وكان معه مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه يلتمس من ثقيف الاسلام رجاء أن يسلموا ويناصروه على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه (قال في السيرة الحلبية) ومن ثم اي من اجل أنه صلى الله عليه وسلم خرج الى الطائف عند ضيق صدره وتعب خاطره جعل الله الطائف مستأنسا لاهل الاسلام ممن بمكة الى يوم القيامة فهو راحة الامة وفيه تنفس كل ضيق وغمة سنة الله في الذين فقط خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا فلما انتهى الى الطائف عمد الى سادات ثقيف وأشرافهم وكانوا اخوة ثلاثة أحدهم عبد ياليل واسمه كنانة ولم يعرف له اسلام وأخوه مسعود وهو عبد كلال بضم الكاف وتخفيف اللام ولم يعرف له اسلام ايضا

الله عليه وسلم عما حضره ويا ميزبه بين جبريل عليه السلام وبين هذا الشيطان ولعل هذا الشيطان غير قرينه الذى أسلم (وفي كلام ابن العماد) وشيطان الانبياء يسمى الابيض والانبياء معصومون منه وهذا الشيطان هو الذى أغوى به برصيصا الراهب العابد بعد عبادته خمسمائة سنة وهو المعنى بقوله تعالى كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك هذا كلامه والله أعلم (وعن ابن عباس) رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان من الانبيا من يسمع الصوت اى ولا يرى صوتا فيكون بذلك نبيا قال بعضهم يحتمل أن يكون صوتا خلقه الله تعالى في الجو اى ليس من جنس الكلام وخلق لذلك النبي فهم المراد منه عند سماعه ويحتمل أن يكون من جنس الكلام المعهود يتضمن كون ذلك الشخص صار نبيا قال صلى الله عليه وسلم وان جبريل يأتيني فيكلمني كما يأتي احدكم صاحبه فيكلمه ويبصره من غير حجاب اى وفي رواية كنت أراه احيانا كما يرى الرجل صاحبه من وراء الغربال ولا يخفى ان هاتين الحالتين كل منهما حالة من حالات الوحي وحينئذ اما أن يكون جبريل عليه السلام على صورة دحية الكلبي وهو بكسر الدال المهملة على المشهور وحكي فتحها أو على صورة غيره ومنه ماوقع في حديث عمر رضي الله تعالى عنه بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا احد الحديث ورواية البخاري تدل على أنه صلى الله عليه وسلم لم يعرفه الا في آخر الامر وورد ما جاءني يعني جبريل في صورة لم اعرفها الا في هذه المرة وفي صحيح ابن حبان والذى نفسي بيده ما اشتبه علي منذ اتاني قبل مرته هذه وما عرفته حتى ولى وبهذا يعلم ما في كلام الامام السبكي حيث قسم الوحي الى ثلاثة أقسام حيث قال في تائيته

ولازمك الناموس اما بشكله * وأما بنفث او بحلية دحية

فليتامل قيل وكان اذا أتاه على صورة الآدمي يأتيه بالوعد والبشارة فان قيل اذا جاء جبريل عليه السلام على صورة الآدمي دحية اوغيره هل هي الروح تتشكل بذلك الشكل وعليه هل يصير جسده الاصلي حيا من غير روح أو يصير ميتا اجيب بان الجائي يجوز أن لا يكون هو الروح بل الجسد لانه يجوز ان الله تعالى جعل في الملائكة قدرة على التطور والتشكل بأي شكل أرادوه كالجن فيكون الجسد واحدا ومن ثم قال الحافظ ابن حجر ان تمثل الملك رجلا ليس معناه أن ذاته انقلبت رجلا بل معناه انه ظهر بتلك الصورة تأنيسا لمن يخاطبه والظاهر أن القدر الزائد لا يزول ولا يفنى بل يخفى على الرائي

والاخ الثالث حبيب قال الذهبى وفى صحبته نظر وهؤلاء الثلاثة اولاد عمرو بن عمير بن عوف الثقفى فجلس اليهم صلى الله عليه وسلم وكلمهم فيما جاءهم به من نصرته الى الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه فقال احدهم هو يمرط ثياب الكعبة اى يشقها ويقطعها ان كان الله ارسلك وقال له آخر ما وجد الله أحدا يرسله غيرك وقال له الثالث والله لا كلمك أبدا

فقط واخذ من ذلك بعض غلاة الشيعة أنه لامانع ولا بعد أن الحق سبحانه وتعالى يظهر فى صورة على رضى الله تعالى عنه واولاده اى الائمة الاثنى عشر وهم الحسن والحسين وابن الحسين زين العابدين وابنه محمد الباقر وابن محمد الباقر جعفر الصادق وابن جعفر الصادق موسى الكاظم وابن موسى الكاظم على الرضا وابن على الرضا محمد الجواد وابن محمد الجواد على التقى والهادى عشر حسن العسكرى والثانى عشر ولد حسن العسكرى وهو المهدى صاحب الزمان وهو حى باق الى أن يجتمع بسيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام على ما فيه فقد قال عبد الله بن سبا يوما لعلى رضى الله تعالى عنه أنت انت يعنى انت الاله فنفاه على الى المدائن وقال لا تساكنى فى بلد أبدا وكان عبد الله بن سبا هذا يهوديا كان من اهل صنعاء وأمه يهودية سوداء ومن ثم كان يقال له ابن السوداء وكان اول من أظهر سب الشيخين ونسبهما للافتيات على سيدنا على رضى الله تعالى عنه ولما قيل لسيدنا على لولا انك تضمر ما أعلن به هذا ما اجترأ على ذلك فقال على معاذ الله انى أضمر لهما ذلك لعن الله من اضمر لهما الا الحسن الجميل فأرسل الى ابن سبا فأظهر الاسلام فى اول خلافة عثمان وقيل فى اول خلافة عمر وكان قصده باظهار الاسلام بوار الاسلام وخذلان اهله وكان يقول قبل اظهاره الاسلام فى يوشع بن نون بمثل ما قال فى على وكان يقول فى على انه حى لم يقتل وان فيه الجزء الالهى وانه يجىء فى السحاب والرعد صوته والبرق سوطه وانه ينزل بعد ذلك الى الارض فيملؤها عدلا كما ملئت جورا وظلما وعبد الله هذا كان يظهر امر الرجعة اى انه صلى الله عليه وسلم يرجع الى الدنيا كما يرجع عيسى وكان يقول العجب ممن يزعم أن عيسى يرجع الى الدنيا ويكذب برجعة محمد وقد قال الله تعالى ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد فمحمد احق بالرجوع من عيسى واظهر أمر الوصية اى ان عليا رضى الله تعالى عنه أوصى له صلى الله عليه وسلم بالخلافة وكان هو السبب فى اثارة الفتنة التى قتل فيها عثمان رضى الله تعالى عنه كما سيأتى ومن غلاة الشيعة من قال بألوهية اصحاب الكساء الخمسة محمد صلى الله عليه وسلم وعلى وفاطمة والحسن والحسين رضى الله تعالى عنهم ومنهم من قال بالوهية جعفر الصادق والوهية آبائه وهم الحسين وابنه زين العابدين وابن زين العابدين محمد الباقر وهؤلاء الشيعة موافقون فى ذلك ان يقول بالحلول وهم الحلاجية اصحاب حسين بن منصور الحلاج كانوا اذا رأوا صورة جميلة زعموا أن معبودهم حل فيها ومن زعم الحلول حتى ادعى الالوهية المقنع عطاء الخراسانى وذلك فى سنة ثلاث وستين ومائة ادعى ان الله عز وجل حل فى

لئن كنت رسولا من عند الله كما تقول لانت اعظم خطرا اى قدرا من أن ارد عليك الكلام وان كنت تكذب ما ينبغى لى ان اكلمك فقام صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد ايس من خيرهم وقال لهم اكتموا على وكره صلى الله عليه وسلم أن يبلغ قومه ذلك فيشتد أمرهم عليه ثم قال له هؤلاء الثلاثة من اشراف ثقيف اخرج من بلدنا والحق بما شئت من الارض وأغروا اى سلطوا عليه سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وقعدوا له صفين على طريقه فلما مر صلى الله عليه وسلم بين الصفين جعل لا يرفع رجليه ولا يضعهما الا رضخوهما بالحجارة حتى أدموا رجليه وفى رواية حتى اختضبت نعلاه بالدماء وكان صلى الله عليه وسلم اذا ازلقته الحجارة اى وجد ألمها قعد الى الارض فيأخذون بعضديه فيقيمونه فاذا مشى رجموه وهم يضحكون كل ذلك وزيد بن حارثة رضى الله عنه يقيه بنفسه حتى لقد شج برأسه شجاجا فلما خلص منهم ورجلاه يسيلان دما عمد الى حائط من حوائطهم اى بستان من بساتينهم فاستظل فى حبلة اى شجرة من شجر الكرم وفى رواية أن الثلاثة من رؤساء ثقيف أغروا عليه سفهاءهم وعبيدهم فصاروا يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وألجؤه الى حائط لعتبة وشيبة ابنى ربيعة فلما دخل الحائط رجعوا عنه وفى البخارى ومسلم من حديث عائشة رضى الله عنها أنها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم هل اتى

عليك يوم أشد من يوم أحد قال لقد لقيت من قومك ما لقيت وكان أشد ما لقيت يوم العقبة والمراد منها موضع مخصوص اجتمع فيه مع عبد ياليل هنالك لا عقبة منى التي اجتمع فيها مع الانصار ثم بين ذلك بقوله اذ عرضت نفسي على عبد ياليل فلم يجبني الى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم استفق من الغم الا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فاذا أنا بسحابة قد اظلتني فنظرت اليها فاذا فيها جبريل فناداني فقال ان الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك وقد بعث الله اليك ملك الجبال لتأمره بما شئت قال صلى الله عليه وسلم فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال يا محمد ان الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك وأنا ملك الجبال وقد بعثني اليك ربك لتأمرني بأمرك ان شئت أن اطبق عليهم الاخشبين قال النبي صلى الله عليه وسلم لا بل ارجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبده وحده لا شريك له وهذا من مزيد حلمه وشفقته وعظيم عفوه وكرمه (وفي رواية) جاءه جبريل فقال يا محمد ان ربك يقرئك السلام وهذا ملك الجبال قد أرسله وامره أن لا يفعل شيأ الا بأمرك فقال له ان شئت دمدمت عليهم الجبال وان شئت خسفت بهم الارض قال يا ملك الجبال فاني آتي بهم لعله أن يخرج منهم ذرية يقولون لا اله الا الله فقال ملك الجبال أنت كما سماك ربك رؤف رحيم * وقد أشار صاحب الهمزية الى حلمه واغضائه صلى الله عليه وسلم حيث قال

جهلت قومه عليه فاغضى * واخو الحلم دأبه الاغضاء وسع العالمين علما وحلما * فهو بحر لم تعيه الاعباء اجتماع

وقوله في أول الحديث لعائشة رضي الله عنها لقد لقيت من قومك المراد منهم قريش اذ كانوا هم السبب في ذهابه الى ثقيف فلا يرد ان ثقيفا ليسوا بقومها وكذلك قوله في وسط الحديث ان الله قد سمع قول قومك وما ردوا به عليك ظاهره انه اخبار عما قالهم

صورة آدم ثم في صورة نوح ثم الى أن حل في صورته هو فافتتن به خلق كثير بسبب التمويهات التي أظهرها لهم فانه كان يعرف شيأ من السحر والنيرنجيات فقد اظهر قمرا يراه الناس من مسافة شهرين من موضعه ثم يغيب ولما اشتهر أمره ثار عليه الناس وقصدوه ليقتلوه وجاؤا الى القلعة التي كان متحصنا بها فلما علم ذلك اسقى اهله سما فماتوا ومات ودخل الناس تلك القلعة فقتلوا من بقي حيا بها من اتباعه والقول بالاتحاد كفر فقد قال العز بن عبد السلام من زعم أن الاله يحل في شيء من اجسام الناس او غيرهم فهو كافر وأشار الى انه كافر اجماعا من غير خلاف وأنه لا يجري فيه الخلاف الذي يجري في تكفير المجسمة ومن ثم ذكر القاضي عياض في الشفاء ان من ادعى حلول الباري في أحد الاشخاص كان كافرا باجماع المسلمين وقول بعض العارفين وهو ابو يزيد البسطامي سبحاني ما أعظم شاني وقوله اني أنا الله لا اله الا انا فاعبدون وقوله وانا ربي الاعلى وقوله أنا الحق وهو أنا وانا هو ليس من دعوى الحلول في شيء وانما قوله سبحاني اني أنا الله محمول على الحكاية اى قال ذلك على لسان الحق من باب حديث ان الله تعالى قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده وقوله أنا ربي الاعلى وانا الحق الخ انما قال ذلك لانه انتهى سلوكه الى الله تعالى بحيث استغرق في بحر التوحيد بحيث غاب عن كل ما سواه سبحانه وصار لا يرى في الوجود غيره سبحانه وتعالى الذي هو مقام الفناء ومحو النفس وتسليم الامر كله لله تعالى وترك الارادة منه والاختيار فالعارف اذا وصل الى هذا المقام ربما قصرت عبارته عن بيان ذلك الحال الذي نازله فصدرت عنه تلك العبارة الموهمة للحلول وقد اصطلحوا على تسمية هذا المقام الذي هو مقام الفناء بالاتحاد ولا مشاحة في الاصطلاح لانه اتحد مراده بمراد محبوبه فصار المرادان واحدا الفناء ارادة المحب في مراد المحبوب فقد فني عن هوى نفسه وحظوظها فصار لا يحب الا الله ولا يبغض الا الله ولا يوالي الا الله ولا يعادي الا الله ولا يعطي الا الله ولا يمنع الا الله ولا يرجو الا الله ولا يستعين الا بالله فيكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما (وفي كلام سيدي علي وفي) رضي الله تعالى عنه حيث أطلق القول بالاتحاد في كلام القوم من الصوفية فمرادهم فناء مرادهم في مراد الحق جل وعلا كما يقال بين فلان وفلان اتحاد اذا عمل كل منهما على وفق مراد الآخر ولله المثل الاعلى هذا كلامه رضي الله تعالى عنه ورضي عنا به وهذا المقام غير مقام الوحدة المطلقة الخارجة عن دائرة العقل التي ذكر السعد والسيد أن القول بها باطل وضلال اى لانه يلزم عليها القول بالجمع بين الضدين فقد قال بعض العلماء حضرة الجمع عبارة عن شهود

اشراف ثقيف ويحتمل انه أراد قريشا لما دعاهم الى الايمان فقالوا شاعر ساحر كاهن مجنون وغير ذلك فهم السبب فى ذهابه الى ثقيف حتى نال منهم ما نال فلذا قال ان شئت اطبق عليهم الاخشبين قيل هما جبلان بمكة أبو قبيس ومقابله قعيقعان وقيل هما الجبلان اللذان تحت العقبة بمنى ويحتمل أن المراد اطباق الجبال القريبة من ثقيف عليهم ولما ألجؤه صلى الله عليه وسلم الى حائط عتبة وشيبة ابنى ربيعة خلص اليهما ورجلاه تسيلان دما فلما رأيا مالقى تحركت له رحمهما لانهما ابنا ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف فبعثا له مع عداس النصرانى غلامهما قطف عنب بكسر القاف بمعنى العنقود ووضعه عداس فى طبق بأمرهما وقالا له اذهب به الى ذلك الرجل فقل له يأكل منه ففعل فلما وضع صلى الله عليه وسلم يده فى القطف ليأكل قال بسم الله الرحمن الرحيم ثم اكل فنظر عداس الى وجهه ثم قال والله ان هذا الكلام ما يقوله اهل هذه البلدة فقال له صلى الله عليه وسلم من اى البلاد أنت وما دينك قال نصرانى من نينوى وهو بلد قديم مقابل الموصل فقال له صلى الله عليه وسلم من قرية الرجل الصالح يونس بن متى فقال عداس وما يدريك ما يونس بن متى والله لقد خرجت من نينوى وما فيها عشرة يعرفون ابن متى فمن اين عرفته وانت أمى فى امة أمية قال ذاك أخى وهو نبى مثلى فاكب عداس على يديه ورأسه ورجليه يقبلها وأسلم رضى الله عنه وفى رواية أنه قال اشهد انك عبد الله ورسوله ونظر اليه ابنا ربيعة فقال احدهما للآخر أما غلامك فقد أفسده عليك فلما جاءهما عداس قالا له ويلك مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه قال يا سيدى ما فى الارض شئ خير من هذا فقد اعلمنى بأمر لا يعلمه الا نبى قالا له ويحك يا عداس لا يصرفك عن دينك فانه خير من دينه (ويروى) ان عداسا لما اراد سيداه الخروج الى بدر أمراه

اجتماع الرب والعبد فى حال فناء العبد فيكون العبد معدوما موجودا فى آن واحد ولا يدرك ذلك الامن أشهده الله الجمع بين الضدين ومن لم يشهده ذلك انكره ويجوز أن يكون الجسد للملك متعددا وعليه فمن الممكن أن يجعل الله لروح الملك قوة يقدر بها على التصرف فى جسد آخر غير جسده المعهود مع تصرفها فى ذلك الجسد المعهود كما هو شأن الابدال لانهم يرحلون الى مكان ويقيمون فى مكانهم شبحا آخر مشبها لشبحهم الاصلى بدلا عنه وقد ذكر ابن السبكى فى الطبقات ان كرامات الاولياء أنواع وعد منها أن يكون لهم اجساد متعددة قال وهذا الذى تسميه الصوفية بعالم المثال ومنه قصة قضيب البان وغيره اى كواقعة الشيخ عبد القادر الطحطوطى نفعنا الله تعالى به فقد ذكر الجلال السيوطى رحمه الله تعالى أنه رفع اليه سؤال فى رجل حلف بالطلاق أن ولى الله الشيخ عبد القادر الطحطوطى بات عنده ليلة كذا فحلف آخر بالطلاق أنه بات عنده تلك الليلة بعينها فهل يقع الطلاق على أحدهما قال فأرسلت قاصدى الى الشيخ عبد القادر فسأله عن ذلك فقال ولو قال اربعة انى بت عندهم لصدقوا فأفتيت أنه لا حنث على واحد منهما لان تعدد الصور بالتخيل والتشكل ممكن كما يقع ذلك للجان وقد قيل فى الابدال انهم انما سموا ابدالا لانهم قد يرحلون الى مكان ويقيمون فى مكانهم الاول شبحا آخر شبيها بشبحهم الاصلى بدلا عنه ويقال له عالم المثال كما تقدم فهو عالم متوسط بين عالم الاجساد وعالم الارواح فهو ألطف من عالم الاجساد واكثف من عالم الارواح فالارواح تتجسد وتظهر فى صور مختلفة من عالم المثال قال وهذا الجواب أولى مما تكلفه بعضهم فى الجواب عن جبريل بأنه كان يندمج بعضه فى بعض اى الذى اجاب به الحافظ بن حجر ومما يدل على وجود المثال رؤيته صلى الله عليه وسلم للجنة والنار فى عرض الحائط وقول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى قوله تعالى لولا ان رأى برهان ربه بأنه مثل له يعقوب بمصر وهو بالشام ومن ذلك ما اشتهر أن الكعبة شوهدت تطوف ببعض الاولياء فى غير مكانها وممن وقع له ذلك أبو يزيد البسطامى والشيخ عبد القادر الجيلى والشيخ ابراهيم المتبولى نفعنا الله تعالى ببركاتهم ولعل مجئ جبريل على صورة دحية كان فى المدينة بعد اسلام دحية واسلامه كان بعد بدر فانه لم يشهدها وشهد المشاهد بعدها اذ يبعد مجيئه على صورة دحية قبل اسلامه قال الشيخ الاكبر رضى الله تعالى عنه دحية الكلبى كان أجمل اهل زمانه وأحسنهم صورة فكان الغرض من نزول جبريل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى صورته اعلاما من الله تعالى أنه ما بينى وبينك يا محمد سفير

الاصورة الحسن والجمال وهي التي لك عندي فيكون ذلك بشرى له ولاسيما اذا أتى بأمر الوعيد والزجر فتكون تلك الصورة الجميلة تسكن منه مايحركه ذلك الوعيد والزجر هذا كلامه وهو واضح لو كان لا يأتيه الاعلى تلك الصورة الجميلة الا أن يدعى ان من حين اتاه على صورة دحية لم يأته على صورة آدمي غيره وتكون واقعة سيدنا عمر سابقة على ذلك لكن تقدم أنه كان اذا أتاه على صورة الآدمي يأتيه بالوعد والبشارة اى لا بالوعيد والزجر فليتأمل وفي البرهان للزركشي في التنزيل اى تلقي القرآن طريقان أحدهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انخلع من صورة البشرية الى صورة الملكية وأخذه من جبريل اى لان الانبياء يحصل لهم الانسلاخ من البشرية الى الملكية بالفطرة الالهية من غير اكتساب فيما هو أقرب من لمح البصر والثاني أن الملك انخلع من الملكية الى البشرية حتى اخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم منه هذا كلامه والراجح أن المنزل اللفظ والمعنى تلقفه جبريل من الله تعالى تلقفا روحانيا اوأن الله تعالى خلق تلك الالفاظ اى الاصوات الدالة عليها في الجو واسمعها جبريل وخلق فيه علما ضروريا أنها دالة على ذلك المعنى القديم القائم بذاته تعالى وأوحاه اليه صلى الله عليه وسلم كذلك أوحفظه جبريل من اللوح المحفوظ ونزل به وعلم أن من حالات الوحي النفث اى انه كان ينفث في روعه الكلام نفثا قال صلى الله عليه وسلم ان روح القدس اى المخلوق من الطهارة يعني جبريل نفث اى ألقى والنفث في الاصل النفخ اللطيف الذى لاريق معه في روعي بضم الراء اى قلبي أن نفسا لن تموت حتى تستكمل اجلها ورزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب اى عاملوا بالجميل في طلبكم وتمته ولايحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله اى كالكذب فان ماعند الله لن ينال الابطاعته * وفي كلام ابن عطاء الله الاجمال في الطلب يحتمل وجوها كثيرة منها أن لايطلبه مكبا عليه مشتغلا عن الله تعالى به ومنها أن يطلبه من الله تعالى ولايعين قدرا ولاوقتا لان من طلب وعين قدرا او وقتا فقد تحكم على ربه وأحاطت الغفلة بقلبه ومنها أن يطلب وهو شاكر لله ان أعطى وشاهد حسن اختياره اذا منع ومنها أن يطلب من الله تعالى مافيه رضاه ولايطلب مافيه حظوظ دنياه ومنها أن يطلب ولايستعجل الاجابة وفي حديث ضعيف اطلبوا الحوائج بعزة النفس فان الامور تجري بالمقادير ومن حالات الوحي أنه كان يأتيه في مثل صلصلة الجرس وهي اشد الاحوال عليه صلى الله عليه وسلم اى لما قيل انه كان يأتيه في هذه الحالة بالوعيد والنذارة (اقول) روى الشيخان عن عائشة رضى الله تعالى عنها

بالخروج معهما فقال لهما أقتال ذلك الرجل الذى رأيت بحائطكما تريدان والله ماتقوم له الجبال فقالا له ويحك ياعداس سحرك بلسانه (وفي الاصابة عن الواقدي) قيل قتل عداس ببدر وقيل لم يقتل بل رجع فمات بمكة وهو معدود من الصحابة رضى الله عنه وعنهم وأما عتبة وشيبة فقتلا كافرين ببدر (ويروى أنه صلى الله عليه وسلم) لما تخلص من ثقيف واطمأن في ظل الحبلة دعا بالدعاء المشهور بدعاء الطائف وهو اللهم اليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس ياارحم الراحمين أنت ارحم الراحمين وانت رب المستضعفين الى من تكلني الى عدو بعيد يتجهمني أم الى صديق قريب ملكته أمري ان لم تكن غضبان علي فلا ابالي غير ان عافيتك او على اعوذ بنور وجهك الذى اشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بي غضبك أو يحل على سخطك ولك العتبى حتى ترضى ولاحول ولاقوة الابك رواه الطبراني في كتاب الدعاء عن عبد الله بن جعفر ابن أبي طالب قال لما توفي ابو طالب خرج النبي صلى الله عليه وسلم ماشيا الى الطائف فدعاهم الى الاسلام فلم يجيبوه فاتى ظل شجرة فصلى ركعتين ثم قال اللهم اليك اشكو فذكره وعند رجوعه من الطائف نزل صلى الله عليه وسلم نخلة وهو موضع على ليلة من مكة فصرف الله اليه سبعة من جن نصيبين وهي مدينة بين الشام والعراق يستمعون قراءته وقد قام عليه السلام في جوف الليل يصلي فجاؤا يستمعون قراءته والى ذلك أشار سبحانه وتعالى بقوله واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الآيات ثم انزل الله قل أوحي الي أنه استمع نفر من الجن وقيل انهم صرفوا مرتين فمرة قبل نزول قل أوحي والمرة الثانية بعد نزولها وانها هي هذه المرة اى التي كان فيها صلى الله عليه وسلم بنخلة وانه كان يقرأ قل أوحي وقيل الرحمن وقيل قرأ في الركعة الاولى الرحمن

عنها أن الحرث بن هشام رضي الله تعالى عنه وهو اخو أبي جهل لابويه وكان يضرب به المثل في السودد حتى قال الشاعر

احسبت أن اباك حين تسبني * في المجد كان الحرث بن هشام
أولى قريش بالمكارم والندى * في الجاهلية كان والاسلام

اسلم يوم الفتح وسيأتي أنه استجار في ذلك اليوم بأم هانئ اخت علي بن ابي طالب واراد علي قتله فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال قد اجرنا من أجرت يا ام هانئ وحسن اسلامه وشهد حنينا وكان من المؤلفة كما سيأتي سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يأتيك الوحي اي حامله الذي هو جبريل قال احيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم بالفاء اي يقلع عني وقد وعيت ما قال وفي رواية يأتيني احيانا له صلصلة كصلصلة الجرس وأحيانا يتمثل لي الملك اي الذي هو حامل الوحي رجلا اي يتصور بصورة الرجل وفي رواية في صورة الفتى فيكلمني فأعي ما يقول وروى أنه في الحالة الثانية يتفلت منه ما يعيه بخلاف الحالة الاولى ونص هذه الرواية كان الوحي يأتيني على نحوين يأتيني جبريل فيلقيه علي كما يلقي الرجل على الرجل فذاك يتفلت مني ويأتيني في شئ مثل صوت الجرس حتى يخالط قلبي فذاك الذي لا يتفلت مني قيل وانما كان يتفلت منه في الحالة الاولى لشدة تأنسه بحامله لانه يأتي اليه في صورة يعهدها ويخاطبه بلسان يعهده فلا يثبت فيما ألقى اليه بخلافه في الحالة الثانية لان سماع مثل هذا الصوت الذي يفزع منه القلب مع عدم رؤية أحد يخاطبه اذا علم أنه وحي اضطر الى التثبت في ذلك وقولنا اي حامله يخالف قول الحافظ ابن حجر حيث ذكر ان قوله مثل صلصلة الجرس بيان صفة الوحي لا صفة حامله وفيه ان ذلك لا يناسب قوله وقد وعيت ما قال وقول بعضهم الصلصلة المذكورة هي صوت الملك بالوحي وقوله يأتيني أحيانا له صلصلة كصلصلة الجرس وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا وكان صلى الله عليه وسلم يجد ثقلا عند نزول الوحي ويتحدر جبينه عرقا في البرد كأنه الجمان وربما غط كغطيط البكر محمرة عيناه وعن زيد ابن ثابت رضي الله تعالى عنه كان اذا نزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقل لذلك ومرة وقع فخذه على فخذي فوالله ما وجدت شيئا أثقل من فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وربما اوحي اليه وهو على راحلته فترعد حتى يظن ان ذراعها ينفصم وربما بركت اي وجاء أنه لما نزلت سورة المائدة عليه صلى الله عليه وسلم كان على ناقته فلم تستطع أن تحمله فنزل عنها وفي رواية فاندق كتف راحلته العضباء من ثقل السورة

وفي الثانية قل اوحي واقام صلى الله عليه وسلم بنخلة اياما ثم اراد دخول مكة فقال له زيد بن حارثة رضي الله عنه كيف تدخل عليهم وهم قد اخرجوك فقال يا زيد ان الله جاعل لما ترى فرجا ومخرجا وان الله مظهر دينه وناصر نبيه ثم انتهى الى حراء فوجد عبد الله بن الاريقط فبعثه الى الاخنس بن شريق الثقفي ليجيره فاعتذر وقال اني حليف والحليف لا يجير وهذا قاله اعتذارا والا فالنبي صلى الله عليه وسلم لو لم يعلم ان الحليف يجير لما بعث له ثم بعث صلى الله عليه وسلم الى سهيل بن عمرو العامري لان جده عامر بن لؤي اخو كعب ابن لؤي جد النبي صلى الله عليه وسلم فاعتذر سهيل بان بني عامر لا تجير على بني كعب اي قد لا تجيز جوارها فبعث صلى الله عليه وسلم الى المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف يقول له اني داخل مكة في جوارك فاجابه الى ذلك وقال للرسول قل له فليأت فرجع اليه صلى الله عليه وسلم فاخبره فدخل مكة بعد أن تسلح مطعم بن عدي وركب على راحلته ونادى يا معشر قريش اني اجرت محمدا فلا يؤذه أحد منكم ثم بعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ادخل فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وطاف بالبيت ثم انصرف الى منزله ومطعم بن عدي وولده مطيفون به صلى الله عليه وسلم وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم بات عنده تلك الليلة فلما أصبح خرج مطعم ولبس سلاحه هو وبنوه وكانوا ستة او سبعة وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم طف ووقف اربعة منهم عند اركان البيت واحتبى الباقون بحمائل سيوفهم في المطاف مدة طوافه صلى الله عليه وسلم وكذا أبوهم المطعم فاقبل ابو سفيان على المطعم وقال له أمجير أم تابع فقال بل مجير فقال اذن لا تخفر اي لا تزال خفارتك اي جوارك قد اجرنا من اجرت فجلس معه حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم طوافه ولا بدع في دخوله صلى الله عليه وسلم في جوار كافر وأمانه

وان حكمة الحكيم القادر قد تخفى وان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وفي حديث بأقوام لا خلاق لهم وهذا السياق يدل على ان قريشا كانوا قد اجمعوا على عدم دخوله صلى الله عليه وسلم مكة بسبب ذهابه الى الطائف ودعائه لاهلها ولهذا الامر وفي الذي فعله المطعم بن عدي قال صلى الله عليه وسلم في أسارى بدر لو كان المطعم بن عدي حيا ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له (وفي أسد الغابة) ان جبيرا ولد المطعم بن عدي اسلم بين الحديبية وفتح مكة وجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو كافر فسأله في أسارى بدر فقال لو كان الشيخ أبوك حيا فأتانا فيهم شفعناه لانه فعل معه صلى الله عليه وسلم هذا الجميل وكان من جملة من سعى في نقض الصحيفة كما تقدم وهذا من شيمه صلى الله عليه وسلم تذكر وقت النصر والظفر للمطعم هذا الجميل ولم يذكر قوله صبح الاسراء كل أمرك كان قبل هذا اليوم مما لا هو يشهد انك كاذب وكان صلى الله عليه وسلم لا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح (ولما مات المطعم بن عدي) وله بضع وتسعون سنة وكان موته قبل وقعة بدر رثاه حسان ابن ثابت رضي الله عنه بقوله

عيني الا ابكي سيد الناس واسفحي * بدمع وان انزفته فاسكبي الدما
وابكي عظيم المشعرين كليهما * على الناس معروف له ما تكلما
فلو كان مجد يخلد الدهر واحدا * من الناس أبقى مجده الدهر مطعما
اجرت رسول الله منهم فأصبحوا * عبيدك ما لبى مهل واحرما
فلو سئلت عنه معد باسرها * وقحطان أو باقي بقية جرهما
لقالوا هو الموفي بخفرة جاره * وذمته يوما اذا ما تذمما

ابن هذا الفعل من حسان رضي الله عنه مجازاة للمطعم على ما صنع مع النبي صلى الله عليه وسلم ولا يضر رثاء حسان له وهو كافر لان الرثاء تعداد المحاسن بعد الموت ولا ريب في أن فعله هذا مع النبي صلى الله عليه وسلم من اقوى المحاسن فلا ضير في ذكره به

ولا يخالفه ما قبله لانه جاز أن يكون حصل له ذلك فكان سببا لنزوله ثم رأيت في رواية ما يصرح بذلك وجاء ما من مرة يوحى الي الا ظننت أن نفسي تقبض منه وعن أسماء بنت عميس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي يكاد يغشى عليه * وفي رواية يصير كهيئة السكران (أقول) اي يقرب من حال المغشي عليه لتغيره عن حالته المعهودة تغيرا شديدا حتى تصير صورته صورة السكران اي مع بقاء عقله وتمييزه ولا ينافي ذلك قول بعضهم ذكر العلماء أنه صلى الله عليه وسلم كان يؤخذ عن الدنيا لانه يجوز أن يكون مع ذلك على عقله وتمييزه على خلاف العادة وهذا هو اللائق بمقامه صلى الله عليه وسلم وحينئذ لا ينتقض وضوءه * ثم رأيت صاحب الوفاء قال فان قال قائل ما كان يجري عليه صلى الله عليه وسلم من البرحاء حين نزول الوحي هل ينتقض وضوءه والجواب لا لانه صلى الله عليه وسلم كان محفوظا في منامه تنام عيناه ولا ينام قلبه فاذا كان النوم الذي يسقط فيه الوكاء لا ينقض وضوءه فالحالة التي اكرم فيها بالمسارة والقاء الهدى الى قلبه أولى لكون طباعه فيها معصومة من الاذى هذا كلامه وما ذكرناه اولى لما تقرر أن الاغماء ابلغ من النوم فليتأمل وفي كلام الشيخ محيي الدين ما يدل على أنه صلى الله عليه وسلم وجميع من يأتيه الوحي من الانبياء كان اذا جاءه الوحي يستلقي على ظهره حيث قال سبب اضطجاع الانبياء على ظهورهم عند نزول الوحي اليهم أن الوارد الالهي الذي هو صفة القيومية اذا جاءهم اشتغل الروح الانساني عن تدبيره فلم يبق للجسم من يحفظ عليه قيامه ولا قعوده فرجع الى أصله وهو لصوقه بالارض وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي صدع فيغلف رأسه بالحناء قيل وهو محمل قول بعض الصحابة انه صلى الله عليه وسلم كان يخضب بالحناء والا فهو عليه الصلاة والسلام لم يخضب لانه لم يبلغ سنا يخضب فيه وفيه أنه امر بالخضاب للشباب فقد جاء اختضبوا بالحناء فانه يزيد في شبابكم وجمالكم ونكاحكم (وفي مسلم) عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي لم يستطع احد منا يرفع طرفه اليه حتى ينقضي الوحي وفي لفظ كان اذا نزل عليه صلى الله عليه وسلم الوحي استقبلته الرعدة وفي رواية كرب لذلك وتربد له وجهه وغمض عينيه وربما غط كغطيط البكر وعن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه كان اذا نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم السورة الشديدة أخذه من الشدة والكرب على قدر شدة السورة واذا انزل عليه السورة اللينة أصابه من ذلك على قدر لينها وعن عمر

ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه كان اذا نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحى يسمع عند وجهه كدوى النحل (وذكر) الحافظ بن حجر ان دوى النحل لا يعارض صلصلة الجرس اى المتقدم ذكرها لان سماع الدوى بالنسبة للحاضرين والصلصلة بالنسبة الى النبى صلى الله عليه وسلم فالراوى شبهه بدوى النحل والنبى صلى الله عليه وسلم شبهه بصلصلة الجرس اى فالمراد بهما شئ واحد والله اعلم (ومن حالاته) اى حالات الوحى اى حامله انه كان يأتيه على صورته التى خلقه الله تعالى عليها له ستمائة جناح اقول فيوحى اليه فى تلك الحالة كما هو المتبادر وفيه أنه جاء عن عائشة وابن مسعود رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم لم ير جبريل على صورته التى خلقه الله عليها الا مرتين حين سأله أن يريه نفسه فقال وددت أنى رأيتك فى صورتك اى وذلك بحراء أوائل البعثة بعد فترة الوحى بالافق الاعلى من الارض وهذه المرة هى المعنية بقوله تعالى ولقد رآه بالافق المبين وبقوله تعالى فاستوى وهو بالافق الاعلى طلع جبريل من المشرق فسد الافق الى المغرب فخر النبى صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه فنزل جبريل عليه السلام فى صورة الآدميين وضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه الحديث * والاخرى ليلة الاسراء المعنية بقوله تعالى ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى وسيأتى الكلام على ذلك * وفى الخصائص الصغرى خص صلى الله عليه وسلم برؤيته جبريل فى صورته التى خلقه الله عليها اى لم يره أحد من الانبياء على تلك الصورة الا نبينا صلى الله عليه وسلم (وذكر السهيلى) أن المراد بالاجنحة فى حق الملائكة صفة ملكية وقوة روحانية وليست كأجنحة الطير ولا ينافى ذلك وصف كل جناح منها بأنه يسد ما بين المشرق والمغرب هذا كلامه فليتأمل ولعله لا ينافيه ما تقدم عن الحافظ بن حجر من أن تمثل الملك رجلا ليس معناه ان ذاته انقلبت رجلا بل معناه انه ظهر بتلك الصورة تأنيسا لمن يخاطبه والظاهر أن القدر الزائد لا يزول ولا يفنى بل يخفى على الرائى فقط والله أعلم (ومن حالات الوحى) اى نفسه اى الموحى به لا حامله الذى هو جبريل ان الله تعالى أوحى اليه صلى الله عليه وسلم بلا واسطة ملك بل من وراء حجاب يقظة أو من غير حجاب بل كفاحا وذلك ليلة المعراج واسم الاشارة يحتمل أن يكون لنوعين وقع كل منهما ليلة الاسراء ويحتمل أن يكون نوعا واحدا وان الاول بناء على القول بعدم الرؤية والثانى بناء على القول بالرؤية وحينئذ لا يناسب عد ذلك نوعين كما فعل الشامى ومن ثم نسب ابن القيم هذا النوع الثانى لبعضهم كالمتبرئ منه حيث قال وقد زاد بعضهم مرتبة ثانية وهى تكليم الله تعالى له صلى الله عليه وسلم

* (باب خبر الطفيل بن عمرو الدوسى رضى الله عنه) * كان الطفيل بن عمرو الدوسى شريفا فى قومه شاعرا نبيلا قدم مكة فمشى اليه رجال من قريش فقالوا يا أبا الطفيل كنوه باسمه ولم يقولوا يا طفيل تعظيما له انك قدمت بلادنا وهذا الرجل بين أظهرنا قد اعضل أمره بنا أى اشتد وفرق جماعتنا وشتت أمرنا وانما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وأبيه وبين الرجل وأخيه وبين الرجل وزوجته وانا نخشى عليك وعلى قومك ما دخل علينا فلا تكلمه ولا تسمع منه قال الطفيل فوالله ما زالوا بى حتى أجمعت أى قصدت وعزمت على أن لا اسمع منه شيأ ولا أكلمه حتى حشوت فى اذنى حين غدوت الى المسجد كرسفا اى قطنا فرقا اى خوفا من ان يبلغنى شئ من قوله فغدوت الى المسجد فاذا برسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يصلى عند الكعبة فقمت قريبا منه فأبى الله الا ان أسمع بعض قوله فسمعت كلاما حسنا فقلت فى نفسى أنا ما يخفى على الحسن من القبيح فما يمنعنى ان أعلم من هذا الرجل ما يقول فان كان الذى يأتى به حسنا قبلت وان كان قبيحا تركت فمكثت حتى انصرف الى بيته فقلت يا محمد ان قومك قالوا لى كذا وكذا حتى سددت أذنى بكرسف حتى لا اسمع قولك فاعرض على أمرك فعرض عليه الاسلام وتلا عليه القرآن اى قرأ عليه سورة الاخلاص والمعوذتين وقيل انما نزلتا عليه بالمدينة وقيل تكرر نزولهما فلما سمع القرآن

قال والله ما سمعت قط قولا أحسن من هذا ولا أمرا أعدل منه فأسلمت وقلت يا نبى الله انى امرؤ مطاع فى قومى وانا راجع اليهم فأدعوهم الى الاسلام فادع الله ان يكون عونا عليهم فقال اللهم اجعل له آية قال فخرجت حتى اذا كنت بثنية تطلعنى على الحاضر اى وهم الحاضرون المقيمون على الماء لا يرحلون عنه وكان ذلك فى ليلة مظلمة وقع نور بين

عينى مثل المصباح فقلت فى غير وجهى فانى أخشى ان يظنوا انه مثلة فتحول فى رأس سوطى فجعل الحاضرون يتراءون ذلك النور كالقنديل المعلوم ومن ثم عرف الطفيل بذلك فقيل له ذو النور والى ذلك أشار الامام السبكى فى تائيته بقوله

وفى جبهة الدوسى ثم بسوطه * جلت ضياء مثل شمس مضيئة

قال الطفيل فأتانى أبى فقلت اليك عنى يا ابت فلست منى ولست منك فقال لم يا بنى قلت قد أسلمت وتابعت دين محمد صلى الله عليه وسلم فقال أى بنى دينى دينك فأسلم قال ثم أتتنى صاحبتى يعنى زوجه فذكرت لها مثل ذلك اى قلت لها اليك عنى فلست منك ولست منى قد اسلمت وتابعت محمدا صلى الله عليه وسلم على دينه قالت فدينى دينك فأسلمت ثم دعوت دوسا الى الاسلام فأبطؤا على ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله قد غلبتنى دوس قد غلب على دوس الزنا فادع الله عليهم قال اللهم اهد دوسا وأت بهم قال الطفيل فرجعت فلم أزل بأرض قومى أدعوهم الى الاسلام حتى هاجر النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة ومضى بدر وأحد والخندق فأسلموا فقدمت بمن اسلم من قومى عليه وقدمت عليه وهو بخيبر مع سبعين أو ثمانين بيتا من دوس ومنهم أبو هريرة رضى الله عنه فأسهم لنا مع المسلمين وقيل لم يعط أحدا لم يحضر القتال الا أهل السفينة الجائين من أرض الحبشة جعفر بن أبى طالب ومن معه ومنهم الاشعريون أبو موسى الاشعرى وقومه فقد تقدم انهم هاجروا من اليمن يريدون النبى صلى الله عليه وسلم فرمى بهم الريح بلا الى الحبشة

(باب ذكر الاسراء والمعراج) اعلم انه لا خلاف فى الاسراء به صلى الله عليه وسلم اذ هو نص القرآن على سبيل الاجمال وجاءت بتفصيله وشرح عجائبه أحاديث كثيرة عن جماعة من الصحابة من الرجال والنساء نحو الثلاثين ومن ثم

كفاحا بغير حجاب هذا كلامه لان ابن القيم ممن لا يقول بوجود الرؤية فما زاده بعضهم بناء على القول بوجود الرؤية كما علمت وحينئذ يكون هذا ليلة المعراج وعلى هذا جاء قوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب او يرسل رسولا وقول ابن القيم السادسة اى من حالات الوحى ما أوحاه الله تعالى اليه وهو فوق السموات من فرض الصلوات وغيرها لان ذلك انما هو ليلة المعراج بغير واسطة ملك وهذا محتمل لأن يكون من غير حجاب وان يكون من وراء الحجاب فهى لم تخرج عما تقدم وكذا قوله السابعة اى من حالات الوحى كلام الله تعالى منه اليه بلا واسطة ملك كما كلم موسى أى من وراء حجاب فهى لم تخرج عما تقدم وحينئذ يكون كلمه صلى الله عليه وسلم فى ليلة المعراج بواسطة الملك وكلمه بغير واسطة الملك من وراء حجاب ومشافهة من غير حجاب وصاحب المواهب نقل عن الولى العراقى كلاما فيه الاعتراض على ابن القيم بغير ما ذكروا الجواب عنه وأقره مع ما فى ذلك الكلام من النظر الظاهر الذى لا يكاد يخفى والله أعلم (قال الحافظ السيوطى) وليس فى القرآن من هذا النوع اى مما شافهه به الحق تعالى من غير حجاب شئ فيما أعلم نعم يمكن أن يعد منه آخر سورة البقرة اى آمن الرسول الى آخر الآيات لانها نزلت كما فى الكامل للهذلى بقاب قوسين * وروى الديلمى قيل يا رسول الله أى آية فى كتاب الله تحب أن تصيبك وأمتك قال آخر سورة البقرة فانها من كنز الرحمن من تحت العرش ولم تترك خيرا فى الدنيا والآخرة الا اشتملت عليه ولعل هذا لا يعارض ما جاء فى فضل آية الكرسى من قوله صلى الله عليه وسلم وقد قيل له يا رسول الله اى آية فى كتاب الله تعالى أعظم قال آية الكرسى اعظم وما جاء عن الحسن رضى الله تعالى عنه مرسلا أفضل القرآن البقرة وافضل آية فيه آية الكرسى وفى رواية أعظم آية فيها آية الكرسى وفى الجامع الصغير آية الكرسى ربع القرآن ونزل فى ذلك الموطن الذى هو قاب قوسين بعض سورة الضحى وبعض سورة ألم نشرح قال صلى الله عليه وسلم سألت ربى مسئلة وددت أنى لم أكن سألته سألت ربى اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما فقال يا محمد ألم اجدك يتيما فآويتك وضالا فهديتك وعائلا فأغنيتك وشرحت لك صدرك ووضعت عنك وزرك ورفعت لك ذكرك فلا أذكر الا وتذكر معى انتهى (أقول) قد يقال لا يلزم من النزول فى قاب قوسين أن يكون مشافهة من غير حجاب وقوله فقال يا محمد ألم أجدك الى آخره ليس هذا نص التلاوة وان هذا ظاهر فى ان المتلو الدال على ما ذكر نزل قبل ذلك وان هذا تذكير به والله اعلم (ومن حالات الوحى) انه أوحى اليه

بلا واسطة ملك مناما كما في حديث معاذ أتاني ربي وفي لفظ رأيت ربي في أحسن صورة اي خلقة فقال فيم يختصم الملأ الاعلى يا محمد قلت أنت أعلم اي رب فوضع كفه بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي فعلمت ما في السماء والارض اي وفي كلام الشيخ محي الدين بن العربي رضي الله تعالى عنه فهذا علم حاصل لا عن قوة من القوى الحسية او المعنوية وهذا لا يبعد أن يقع مثله للاولياء بطريق الارث اي تجلى لها الحق بالتجلي الخاص الذي ما ذكر عبارة عنه وفي رواية فعلمت علم الاولين والآخرين اي (ومن حالات الوحي رؤيا النوم) قال صلى الله عليه وسلم رؤيا الانبياء وحي كما تقدم * ومن حالاته العلم الذي يلقيه الله تعالى في قلبه عند الاجتهاد في الاحكام بناء على ثبوته لا بواسطة ملك وبذلك فارق النفث في الروع وبذكر هذه الانواع للوحي يعلم ان ما تقدم من حصره في الحالتين المذكورتين عند سؤال الحرث له صلى الله عليه وسلم أغلبي أو ان ما عداهما وقع بعد سؤال الحرث له * وفي ينبوع الحياة عن ابن جرير ما نزل جبريل بوحي قط الا وينزل معه من الملائكة حفظة يحيطون به وبالنبي الذي يوحى اليه يطردون الشياطين عنهما لئلا يسمعوا ما يبلغه جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم من الغيب الذي يوحيه اليه فيلقوه الى أوليائهم ثم رأيته في الاتقان ذكر أن من القرآن ما نزل معه ملائكة مع جبريل تشيعه من ذلك سورة الانعام شيعها سبعون ألف ملك وفاتحة الكتاب شيعها ثمانون ألف ملك وآية الكرسي شيعها ثلاثون ألف ملك وسورة يس شيعها ثلاثون ألف ملك واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا شيعها عشرون ألف ملك ولعل هذا لا ينافي ما تقدم من أن الغرض من تساقط النجوم عند البعثة حراسة السماء من استراق الشياطين لما يوحى لجواز أن يكون هذا الحفظ لما يوحى من استراقه في الارض وبين السماء والارض (وعن النخعي) ان أول سورة انزلت عليه صلى الله عليه وسلم اقرأ باسم ربك قال الامام النووي وهو الصواب الذي عليه الجماهير من السلف والخلف هذا كلامه ولا يخفى ان مراد النخعي بالسورة هنا القطعة من القرآن اي أول آيات أنزلت فلا ينافي ما تقدم من رواية عمرو بن شرحبيل مما يدل على ان أول سورة انزلت فاتحة الكتاب لان المراد أول سورة كاملة نزلت لا في شأن الانذار فلا ينافي ما تقدم من رواية جابر مما يقتضي ان أول ما نزل يا أيها المدثر لان المراد بذلك أول سورة كاملة نزلت في شأن الانذار بعد فترة الوحي اي فانها نزلت قبل تمام نزول سورة اقرأ وهذا الجمع تقدم الوعد به اي لكن يشكل عليه ما في الكشاف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل

حمل بعضهم اختلاف روايات الاحاديث على تعدد الاسراء وانه وقع له صلى الله عليه وسلم ذلك ثلاث مرات او أكثر وكان واحد منها بجسده وروحه وباقيها في المنام وكان صلى الله عليه وسلم لا يرى شيأ في اليقظة الا بعد أن يريه الله اياه في المنام فبعض تلك الاسراآت التي كانت في المنام سابق على الذي في اليقظة وبعضها متأخر وكان الاسراء بجسده وروحه سنة احدى عشرة من البعثة وقيل قبل الهجرة بسنة قيل في شهر ربيع الاول وقيل في رمضان وقيل في شهر رجب وهو المشهور وعليه عمل الناس وكان ليلة الاثنين كبقية أطواره صلى الله عليه وسلم من الولادة والهجرة والوفاة وقيل ليلة الجمعة وكان الاسراء الى بيت المقدس والمعراج به صلى الله عليه وسلم الى السموات ليطلع على عجائب الملكوت كما قال تعالى لنريه من آياتنا والا فالله تعالى لا يحويه زمان ولا مكان ورأى ربه تلك الليلة وأوحى الى عبده ما أوحى وفرض عليه خمس صلوات وجمع الله له الانبياء عليهم الصلاة والسلام فصلى بهم في بيت المقدس ثم استقبلوه في السموات ورجع صلى الله عليه وسلم من ليلته الى مكة فلما أصبح أخبر الناس بما رآه فصدقه الصديق وكل من آمن ايمانا قويا وكذبه الكفار واستوصفوه مسجد بيت المقدس فوصفه لهم وسألوه عن أشياء في المسجد فمثل بين يديه فجعل ينظر اليه ويصفه ويعد أبوابه لهم بابا بابا فيطابق ما عندهم وسألوه عن عير لهم فأخبرهم بها وبوقت قدومها فكان كما أخبر وكل ذلك مشهور وفي الكتب مسطور فلا حاجة لنا الى الاطالة به فان قصة الاسراء والمعراج قد أفردت بالتأليف (وفي السيرة الحلبية) أن صخرة بيت المقدس لما أراد جبريل عليه السلام أن يربط فيها البراق لانت له وعادت كهيئة العجين فخرقها وربط البراق بها قال الامام ابو بكر بن العربي في شرح الموطأ ان

صخرة بيت المقدس من عجائب الله تعالى فانها صخرة قائمة فى وسط المسجد الاقصى قد انقطعت من كل جهة لا يمسكها الا الذى يمسك السماء أن تقع على الارض الا باذنه فى اعلاها من جهة الجنوب قدم النبى صلى الله عليه وسلم حين صعد عليها ومن الجهة الاخرى أصابع الملائكة التى أمسكتها لما مالت ومن تحتها المغارة التى انفصلت من كل جهة فهى معلقة بين السماء والارض وامتنعت لهيبتها من أن ادخل تحتها لانى كنت أخاف أن تسقط على بسبب ذنوبى ثم بعد مدة دخلتها فرأيت العجب العجاب تمشى فى جوانبها من كل جهة فتراها منفصلة عن الارض لا يتصل بها من الارض شئ ولا بعض شئ وبعض الجهات أشد انفصالا من بعض انتهى يروى انه صلى الله عليه وسلم لما رجع الى مكة من ليلته فأخبر بمسراه ام هانئ بنت أبى طالب أخت على رضى الله تعالى عنه وعنها وانه يريد أن يخرج الى قومه ويخبرهم بذلك لانه ما أحب أن يكتم قدرة الله وما هو دليل على علو مقامه صلى الله عليه وسلم فتعلقت بردائه أم هانئ وقالت انشدك الله اى أسألك به يا ابن عم أن لا تحدث بهذا قريشا فيكذبك من صدقك وفى رواية انى اذكرك الله ان تأتى قوما يكذبونك وينكرون مقالتك فأخاف أن يسطوا بك فضرب بيده على ردائه فانتزعه منها قالت وسطع نور عند فؤاده كاد يخطف بصرى فخررت ساجدة فلما رفعت رأسى فاذا هو قد خرج قالت فقلت لجاريتى نبعة وكانت حبشية وهى معدودة فى الصحابة رضى الله عنها اتبعيه وانظرى ماذا يقول فلما رجعت أخبرتنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى الى نفر من قريش فى الحطيم وهو ما بين باب الكعبة والحجر الاسود وقيل ما بين الركن والمقام وذلك النفر الذين انتهى اليهم فيهم المطعم بن عدى وأبو جهل بن هشام فأخبرهم بمسراه وفى رواية انه لما دخل

على القرآن الا آية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله أحد فانهما أنزلتا على ومعهما سبعون الف صف من الملائكة فان هذا السياق يدل على انه لم ينزل عليه صلى الله عليه وسلم سورة كاملة الا براءة وقل هو الله احد ويخالفه ما فى الاتقان ان مما نزل جملة سورة الفاتحة وسورة الكوثر وسورة تبت وسورة لم يكن وسورة النصر والمرسلات والانعام لكن ذكر ابن الصلاح ان هذا روى بسند فيه ضعف قال ولم أر له اسنادا صحيحا وقد روى ما يخالفه ولم يذكر فى الاتقان مما نزل جملة سورة براءة وذكر أن المعوذتين نزلتا دفعة واحدة وحينئذ يكون المراد بقوله صلى الله عليه وسلم الا آية آية وحرفا حرفا اى كلمة والمراد بها ما قابل السورة والا فقد انزل عليه ثلاث آيات واربع آيات وعشر آيات كما أنزل عليه آية وبعض آية فقد صح نزول غير اولى الضرر منفردة وهى بعض آية (وفى الاتقان) عن جابر بن زيد قال اول ما انزل الله تعالى من القرآن بمكة اقرأ باسم ربك ثم ن والقلم ثم يا أيها المزمل ثم يا أيها المدثر ثم الفاتحة الى آخر ما ذكر ثم قال قلت هذا السياق غريب وفى هذا الترتيب نظر وجابر بن زيد من علماء التابعين هذا كلامه (وذكر) بعض المفسرين ان سورة والتين اول ما نزل من القرآن والله اعلم وما تقدم من ان نزول يا أيها المدثر كان فى شأن الانذار بعد فترة الوحى لانه كان بعد نزول جبريل عليه باقرأ باسم ربك مكث مدة لا يرى جبريل اى وانما كان كذلك ليذهب ما كان يجده من الرعب وليحصل له التشوق الى العود ومن ثم حزن لذلك حزنا شديدا حتى غدا مرارا كى يتردى من رؤس شواهق الجبال فكلما اوفى بذروة كى يلقى نفسه منها تبدى له جبريل عليه السلام فقال يا محمد انك رسول الله حقا فيسكن لذلك جأشه اى قلبه وتقر نفسه ويرجع فاذا طالت عليه فترة الوحى غدا لمثل ذلك فاذا اوفى ذروة جبل تبدى له مثل ذلك قال وفى رواية انه لما فتر الوحى عنه صلى الله عليه وسلم حزن حزنا شديدا حتى كان يغدو الى ثبير مرة والى حراء مرة اخرى يريد أن يلقى نفسه منه فكلما اوفى ذروة جبل منهما كى يلقى نفسه تبدى له جبريل فقال يا محمد انت رسول الله حقا فيسكن لذلك جأشه وتقر عينه ويرجع فاذا طالت عليه فترة الوحى عاد لمثل ذلك وكانت تلك المدة اربعين يوما وقيل خمسة عشر يوما وقيل اثنى عشر يوما وقيل ثلاثة ايام قال بعضهم وهو الاشبه بحاله عند الله تعالى انتهى اقول ويبعد هذا الاشبه قوله فاذا طالت عليه فترة الوحى والله اعلم وفى الاصل وهذه الفترة لم يذكرها ابن اسحق مدة معينة أقول فى فتح البارى أن ابن اسحق جزم بأنها ثلاث سنين والله أعلم (قال أبو القاسم السهيلى) وقد جاء فى بعض الاحاديث

المسجد قطع وعرف ان الناس تكذبه وما أحب أن يكتم ماهو دليل على قدرة الله تعالى وماهو دليل على علو مقامه صلى الله عليه وسلم الباعث على اتباعه فقعد حزينا فمر به عدو الله أبو جهل فجاء حتى جلس اليه صلى الله عليه وسلم فقال كالمستهزئ هل كان من شئ قال نعم أسرى بى الليلة قال الى أين قال الى بيت المقدس قال ثم أصبحت بين ظهرانينا قال نعم فلم ير أنه يكذبه مخافة أن يجحده أى ينكره صلى الله عليه وسلم الحديث الذى حدثه به ان دعا قومه اليه قال أرأيت ان دعوت قومك أتحدثهم بما حدثتنى قال نعم قال يامعشر بنى كعب بن لؤى فانفضت اليه المجالس وجاؤا حتى جلسوا اليهما فقال حدث قومك بما حدثتنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى أسرى بى قالوا الى أين قال الى بيت المقدس فنشر لى رهط من الانبياء منهم ابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام وصليت بهم وكلمتهم قال أبو جهل كالمستهزئ صفهم لى قال أما عيسى عليه السلام ففوق الربعة ودون الطويل يعلوه حمرة كأنما يتحادر من لحيته الجمان وفى رواية كأنما خرج من ديماس اى حمام وأما موسى فضخم آدم طويل كأنه من رجال شنوأة وأما ابراهيم فوالله انه لأشبه الناس بى خلقا وخلقا وفى رواية لم أر رجلا أشبه بصاحبكم ولا صاحبكم أشبه به منه يعنى نفسه صلى الله عليه وسلم فلما سمعوا ذلك ضجوا وأعظموا ذلك الاسراء وصار بعضهم يصفق وبعضهم يضع يده على رأسه تعجبا وقال المطعم بن عدى ان أمرك قبل اليوم كان أمرا يسيرا غير قولك اليوم هو يشهد انك كاذب نحن نضرب أكباد الابل الى بيت المقدس مصعدا شهرا ومنحدرا شهرا تزعم انك اتيته فى ليلة واحدة واللات والعزى لا اصدقك وما كان هذا الذى تقول قط فقال ابو بكر رضى الله عنه يامطعم بئسما قلت لابن أخيك جبهته اى

الاحاديث المسندة ان مدة هذه الفترة كانت سنتين ونصف سنة اى وفى كلام الحافظ بن حجر وهذا الذى اعتمده السهيلى لا يثبت وقد عارضه ماجاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن مدة الفترة كانت أياما اى واقلها ثلاثة اى وتقدم مافيه قال قال بعض الحفاظ والظاهر والله أعلم انها أى مدة الفترة كانت بين اقرأ ويا أيها المدثر هى المدة التى اقترن معه فيها اسرافيل كما قال الشعبى انتهى أقول ويوافق ذلك مافى الاستيعاب لابن عبد البر ان الشعبى قال أنزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين وقرن بنبوته اسرافيل عليه الصلاة والسلام ثلاث سنين وقد تقدم ذلك وفى الاصل عن الشعبى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل به اسرافيل فكان يتراءى له ثلاث سنين ويأتيه بالكلمة من الوحى ولم ينزل القرآن اى شئ منه على لسانه ثم وكل به جبريل فجاءه بالوحى والقرآن وهو موافق فى ذلك لما فى سيرة شيخه الحافظ الدمياطى حيث قال قال بعض العلماء وقرن به اسرافيل ثم قرن به جبريل وهو ظاهر فى أن اقتران اسرافيل به كان بعد النبوة ويؤيده قوله ويأتيه بالكلمة من الوحى ويحتمل لان يكون ذلك قبل النبوة فيوافق ماتقدم عن الماوردى لكن تقدم أنه كان يسمع حسه ولا يرى شخصه الا أن يقال لا يلزم من كونه يتراءى له أن يراه وقوله يأتيه بالكلمة من الوحى هو معنى قوله يأتيه بالشئ بعد الشئ ثم رايت الواقدى انكر على الشعبى كون اسرافيل قرن به أولا وقال لم يقترن به من الملائكة الا جبريل اى بعد النبوة ويحتمل مطلقا قال بعضهم ماقاله الشعبى هو الموافق لما هو المشهور والمحفوظ الثابت فى الاحاديث الصحيحة وخبر الشعبى مرسل او معضل فلا يعارض مافى الاحاديث الصحيحة هذا كلامه ثم رأيت الحافظ بن حجر نظر فى كلام الواقدى بأن المثبت مقدم على النافى الا ان صحب النافى دليل نفيه فيقدم هذا كلامه لا يقال قد وجد الدليل فقد جاء بينا النبى صلى الله عليه وسلم جالس وعنده جبريل اذ سمع نقيضا اى هدة من السماء فرفع جبريل بصره الى السماء فقال يامحمد هذا ملك قد نزل لم ينزل الى الارض قط قال جماعة من العلماء ان هذا الملك اسرافيل لانا نقول هذا مجرد دعوى لا دليل عليها ولا يحسن أن يكون مستندهم فى ذلك مافى الطبرانى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لقد هبط على ملك من السماء ماهبط على نبى قبلى ولا يهبط على أحد بعدى وهو اسرافيل فقال أنا رسول ربك الحديث ومن ثم عد السيوطى من خصائصه صلى الله عليه وسلم هبوط اسرافيل عليه اذ ليس فى ذلك دليل على ان اسرافيل لم يكن نزل اليه قبل ذلك حتى يكون

استقبلته بالمكروه وكذبته أنا أشهد أنه صادق وفي رواية حين حدثهم بذلك ارتد ناس كانوا اسلموا وحينئذ فقول المواهب فصدقه الصديق وكل من آمن بالله فيه نظر الا أن يراد من ثبت على الايمان وفي رواية فسعى رجال من المشركين الى أبي بكر رضي الله عنه فقالوا هل لك الى صاحبك يزعم انه أسري به الليلة الى بيت المقدس قال وقد قال ذلك قالوا نعم قال لئن قال ذلك لقد صدق قالوا أتصدقه انه ذهب الى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح قال نعم اني لاصدقه فيما هو أبعد من ذلك أصدقه في خبر السماء في غدوة وروحة اي لانه يخبرني أن الخبر يأتيه من السماء الى الارض في ساعة من ليل او نهار فأصدقه فمجيء الخبر له من السماء بواسطة الملك أعجب مما تعجبون منه فقال المطعم يا محمد صف لنا بيت المقدس اراد بذلك اظهار كذبه وعرف الصديق رضي الله عنه قصده وان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكذب قط فقال أبو بكر رضي الله عنه صف لي يا رسول الله فاني قد جئته اراد بذلك اقامة البرهان على قومه بظهور صدقه صلى الله عليه وسلم فجاءه جبريل بصورته ومثاله فجعل يقول باب منه في موضع كذا وباب منه في موضع كذا وأبو بكر رضي الله عنه يقول أشهد انك رسول الله حتى أتى على أوصافه وفي رواية عنه صلى الله عليه وسلم قال لما كذبتني قريش وسألتني عن اشياء تتعلق ببيت المقدس لم أثبتها قالوا كم للمسجد من باب فكربت كربا شديدا لم أكرب مثله قط فجلى الله لي بيت المقدس وفي رواية فجيء به بصورته وانا أنظر اليه فطفقت أخبرهم عن آياته اي علاماته وكانوا يعلمون انه صلى الله عليه وسلم لم يدخل بيت المقدس قط فكان يخبرهم بما يعرفونه وأبو بكر رضي الله عنه يصدقه على كل مقالة يقولها فلما فرغ صلى الله عليه وسلم من الوصف ولم يخطئ في شيء منه قالوا اصدق الوليد بن المغيرة

دليلا على ان اقتران جبريل به سابق على اقتران اسرافيل به هذا وفي كلام الحافظ السيوطي ان مجيء اسرافيل كان بعد ابتداء الوحي بسنتين قال كما يعرف ذلك من سائر طرق الاحاديث وهو بظاهره يرد ما في سفر السعادة أنه صلى الله عليه وسلم لما بلغ تسع سنين امر الله تعالى اسرافيل ان يقوم بملازمته ولما بلغ احدى عشرة سنة امر جبريل بملازمته صلى الله عليه وسلم فلازمه تسعا وعشرين سنة فليتأمل * وعن يحيى بن بكير قال ما خلق الله خلقا في السموات احسن صوتا من اسرافيل فاذا قرأ في السماء يقطع على اهل السماء ذكرهم وتسبيحهم (ثم رأيت في فتح الباري) ليس المراد بفترة الوحي المقدرة بثلاث سنين اي على ما تقدم ما بين نزول اقرأ ويا ايها المدثر عدم مجيء جبريل اليه بل تأخر نزول القرآن عليه فقط هذا كلامه اي فكان جبريل يأتي اليه بغير قرآن بعد مجيئه اليه باقرأ ولم يجيء اليه بالقرآن الذي هو يا ايها المدثر الا بعد الثلاث سنين على ما تقدم ثم في تلك المدة مكث أياما لا يأتيه اصلا ثم جاءه بيا ايها المدثر فكان قبل تلك الايام يختلف اليه هو واسرافيل وهذا السياق كما لا يخفى يؤخذ منه عدم المنافاة بين كون مدة فترة الوحي ثلاث سنين كما يقول ابن اسحق وسنتين ونصفا كما يقول السهيلي وسنتين كما يقول الحافظ السيوطي وبين كونها اياما اقلها ثلاثة واكثرها اربعون كما تقدم عن ابن عباس لان تلك الايام هي التي كانت لا يرى فيها جبريل اصلا على ما تقدم اي ولا يرى فيها اسرافيل ايضا وفي غير تلك الايام كان يأتيه بغير القرآن وحينئذ لا يحسن رد الحافظ فيما سبق على السهيلي وينبغي ان تكون تلك الايام التي لا يرى فيها جبريل واسرافيل هي التي يريد فيها أن يلقي نفسه من رؤس شواهق الجبال وهذا السياق أيضا يدل على أن النبوة سابقة على الرسالة بناء على ان الرسالة كانت بيا ايها المدثر ويصرح به ما تقدم من قول بعضهم نبأه بقوله اقرأ باسم ربك وارسله بقوله يا ايها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر وان بينهما فترة الوحي وعليه اكثر الروايات وقيل النبوة والرسالة مقترنان ولعل من يقول بذلك يقول يا ايها المدثر دلت على طلب الدعوة الى الله تعالى وهذا غير اظهار الدعوة والمفاجأة بها الذي دل عليه قوله تعالى فاصدع بما تؤمر فليتأمل (وذكر) السهيلي أن من عادة العرب اذا قصدت الملاطفة أن تسمي المخاطب باسم مشتق من الحالة التي هو عليها فلاطفه الحق سبحانه وتعالى بقوله يا ايها المدثر فبذلك علم رضاه الذي هو غاية مطلوبه وبه كان يهون عليه تحمل الشدائد ومن هذه الملاطفة قوله صلى الله عليه وسلم لعلي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه وقد نام وترب جنبه قم يا ابا تراب وقوله

اى فى قوله انه ساحر فأنزل الله تعالى وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الافتنة للناس قالت نبعة جارية ام هانئ وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يومئذ يا أبا بكران الله قد سماك الصديق ومن ثم كان على رضى الله عنه يحلف بالله تعالى ان الله تعالى أنزل اسم ابى بكر الصديق من السماء رضى الله عنه وفى رواية ان كفار قريش لما اخبرهم بالاسراء الى بيت المقدس ووصفه لهم قالوا له ما آية ذلك يا محمد اى ما العلامة الدالة على هذا الذى أخبرت به فانا لم نسمع بمثل هذا قط هل رأيت فى مسراك وطريقك ما نستدل بوجوده على صدقك اى لان وصفك لبيت المقدس يحتمل أن تكون حفظته ممن ذهب اليه قال آية ذلك أنى مررت بعير بنى فلان بوادى كذا فأنفرهم حس الدابة يعنى البراق فند لهم بعير فدللتهم عليه وانا متوجه الى الشأم ثم أقبلت حتى اذا كنت بمحل كذا مررت بعير بنى فلان فوجدت القوم نياما ولهم اناء فيه ماء قد غطوا عليه بشئ فكشفت غطاءه وشربت ما فيه ثم غطيت عليه كما كان وفى رواية فعثرت الدابة يعنى البراق فقلب بحافره القدح الذى فيه الماء الذى كان يتوضأ به صاحبه فى القافلة والمراد الوضوء اللغوى ثم قال صلى الله عليه وسلم وانتهيت الى عير بنى فلان فنفرت من الدابة يعنى البراق وبرك منها بعير أحمر عليه جوالق مخطوط ببياض لا أدرى اكسر البعير أم لا وفى رواية ثم انتهيت الى عير بنى فلان بمكان كذا وكذا فيها جمل عليه غرارتان غرارة سوداء وغرارة بيضاء فلما حاذيت العير نفرت وصرع ذلك البعير وانكسر واضلوا بعيرا لهم قد جمعه فلان بدلالتى لهم عليه فسلمت عليهم فقال بعضهم هذا صوت محمد فلما قدموا سألوهم عن ذلك كله فقالوا كله صدق فقالوا صدق الوليد اى فى قوله انه ساحر ثم قالوا له صلى الله عليه وسلم متى تجئ عير بنى فلان فقال لهم يأتونكم يوم

صلى الله عليه وسلم لحذيفة فى غزاة احد وقد نام الى الاسفار قم يا نومان (وذكر الشيخ محيى الدين بن العربى) فى قوله تعالى يا أيها المدثر قم فأنذر اعلم ان التدثر انما يكون من البرودة التى تحصل عقب الوحى وذلك ان الملك اذا ورد على النبى صلى الله عليه وسلم بعلم او حكم تلقى ذلك الروح الانسانى وعند ذلك تشتعل الحرارة الغريزية فيتغير الوجه لذلك وتنتقل الرطوبات الى سطح البدن لاستيلاء الحرارة فيكون من ذلك العرق فاذا سرى عنه ذلك سكن المزاج وانقشعت تلك الحرارة وانفتحت تلك المسام وقبل الجسم الهواء من خارج فيتخلل الجسم فيبرد المزاج فتأخذه القشعريرة فتزاد عليه الثياب ليسخن هذا ملخص كلامه (وذكر بعضهم) فى تفسير قوله تعالى وثيابك فطهر أن الشيخ أبا الحسن الشاذلى نفعنا الله تعالى ببركاته قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم فقال يا أبا الحسن طهر ثيابك من الدنس تحظ بمدد الله تعالى فى كل نفس فقلت يا رسول الله وما ثيابى قال ان الله كساك حلة التوحيد وحلة المحبة وحلة المعرفة قال ففهمت حينئذ قوله تعالى وثيابك فطهر (وجاء فى وصف اسرافيل) فى بعض الاحاديث لا تفكروا فى عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله من الملائكة فان خلقا من الملائكة يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه فى الارض السفلى وقد مرق رأسه من سبع سموات وانه ليتضاءل من عظمة الله تعالى حتى يصير كأنه الوصع فهو عند نزوله يكون حاملا لزاوية العرش او يخلفه غيره من الملائكة فى ذلك

(باب ذكر وضوئه وصلاته صلى الله عليه وسلم أول البعثة)

اى أول الارسال اليه باقرأ اقول فى المواهب انه روى ان جبريل عليه السلام بدا له صلى الله عليه وسلم فى أحسن صورة واطيب رائحة فقال له يا محمد ان الله تعالى يقرئك السلام ويقول لك أنت رسول الله الى الجن والانس فادعهم الى قول لا اله الا الله ثم ضرب برجله الارض فنبعت عين ماء فتوضأ منها جبريل ثم أمره أن يتوضأ وقام جبريل يصلى وأمره ان يصلى معه فعلمه الوضوء والصلاة الحديث وقوله فعلمه الوضوء يحتمل أن يكون بفعله المذكور ويحتمل أن يكون علمه بقوله افعل كذا فى وضوئك وصلاتك ويدل للاول ما سيأتى وفيه ان قول جبريل المذكور انما كان عند أمره باظهار الدعوة والمفاجاة بها الى الله تعالى بعد فترة الوحى كما سيأتى فالجمع بينه وبين قوله ثم ضرب برجله الارض الى آخره لا يحسن لانه سيأتى ان ذلك كان فى يوم نزوله له باقرأ باسم ربك ولعله من تصرف بعض الرواة والله أعلم فعن ابن اسحق حدثنى بعض أهل العلم ان الصلاة حين افترضت

كذا يقدمهم جمل اورق عليه مسح آدم وغرارتان فلما كان ذلك اليوم اشرفت قريش ينتظرون ذلك وقد ولى النهار ولم تجئ حتى كادت الشمس أن تغرب اودنت للغروب فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه فحبس الشمس عن الغروب حتى قدم العير كما وصف صلى الله عليه وسلم قال الامام السبكي وشمس الضحى طاعتك عند مغيبها . فما غربت بل وافقتك بوقفة

فأما أهل الايمان الكامل كأبي بكر رضي الله عنه فازدادوا ايمانا الى ايمانهم وأما اهل الكفر والعناد فازدادوا طغيانا على طغيانهم قال تعالى وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس ومع ذلك لم يخبرهم صلى الله عليه وسلم بشئ مما شاهده من عجائب الملكوت وقد أفردت قصة الاسراء والمعراج بالتاليف وقد أشار صاحب الهمزية اليها بقوله

فطوى الارض سائرا والسموا
ت العلى فوقها له اسراء
نصف الليلة التي كان للمختار
فيها على البراق استواء
وترقى به الى قاب قوسين
وتلك السيادة القعساء
رتب تسقط الاماني حسرى
دونها ما وراءهن وراء

(باب عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه على القبائل من العرب أن يحموه ويناصروه على ما جاء به من الحق) اعلم أنه صلى الله عليه وسلم أخفى رسالته في أول أمره بأمر من الله تعالى ثم أعلن بها في السنة الرابعة من النبوة ودعا الى الاسلام عشر سنين يوافي المواسم كل عام يتبع الحجاج في منازلهم بمنى والموقف يسأل عن القبائل قبيلة قبيلة ويسأل عن منازلهم ويأتي اليهم في اسواق الموسم وهي عكاظ ومجنة وذو المجاز وكانت العرب اذا حجت اي ارادت الحج تقيم بعكاظ شهر شوال ثم تجئ الى سوق مجنة تقيم فيه عشرين يوما ثم تجئ الى سوق ذي المجاز فتقيم به أيام الحج وكان صلى الله عليه وسلم يعرض

على النبي صلى الله عليه وسلم اى قبل الاسراء أتاه جبريل وهو بأعلى مكة فهمز له بعقبه في ناحية الوادي فانفجرت منه عين فتوضأ جبريل ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر اليه ليريه كيف الطهور اى الوضوء للصلاة اى فغسل وجهه ويديه الى المرفقين ومسح برأسه وغسل رجليه الى الكعبين كما في بعض الروايات O اى وفي رواية فغسل كفيه ثلاثا ثم تمضمض واستنشق ثم غسل وجهه ثم غسل يديه الى المرفقين ثم مسح رأسه ثم غسل رجليه ثلاثا ثلاثا ثم امر النبي صلى الله عليه وسلم فتوضأ مثل وضوئه (اقول) وبهذه الرواية يرد قول بعضهم ان النبي صلى الله عليه وسلم زاد في الوضوء التسمية وغسل الكفين والمضمضة والاستنشاق ومسح جميع الرأس والتخليل ومسح الاذنين والتثليث الا ان يقال مراد هذا البعض ان ما ذكر زاده على ما في الآية وفي كلام بعضهم كانت العرب في الجاهلية يغتسلون من الجنابة ويداومون على المضمضة والاستنشاق والسواك والله اعلم ثم قام جبريل فصلى به صلى الله عليه وسلم ركعتين يحتمل ان تلك الصلاة كانت بالغداة قبل طلوع الشمس ويحتمل انها كانت بالعشي اى قبل غروب الشمس (وفي الامتاع) وانما كانت الصلاة قبل الاسراء صلاة بالعشي اى قبل غروب الشمس ثم صارت صلاة بالغداة وصلاة بالعشي ركعتين اى ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي والعشي هو العصر في كلام بعض اهل اللغة العصر العشاء والعصران الغداة والعشي وكانت صلاته صلى الله عليه وسلم نحو الكعبة واستقبل الحجر الاسود اى جعل الحجر الاسود قبالته وهذا يدل على انه لم يستقبل في تلك الصلاة بيت المقدس لانه لا يكون مستقبلا لبيت المقدس الا اذا صلى بين الركنين الاسود واليماني كما كان يفعل بعد فرض الصلوات الخمس وهو بمكة كما سيأتي أنه كان يصلي بين الركنين الركن اليماني والحجر الاسود ويجعل الكعبة بينه وبين الشام O اى بينه وبين بيت المقدس اى صخرته الا ان يقال يجوز أن يكون عند صلاته الى الكعبة كان بينهما الا انه كان الى الحجر الاسود اقرب منه الى اليماني فقيل استقبل الحجر الاسود فلا مخالفة لكن سيأتي ما قد يفيد انه لم يستقبل بيت المقدس الا في الصلوات الخمس اى بعد الاسراء وقبل ذلك كان يستقبل الكعبة الى اى جهة من جهاتها ولما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاة جبريل قال جبريل هكذا الصلاة يا محمد ثم انصرف جبريل فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة واخبرها فغشي عليها من الفرح فتوضأ لها ليريها كيف الطهور للصلاة كما اراه جبريل فتوضأت كما توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صلى بها رسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم كما صلى به جبريل عليه الصلاة والسلام (وفي سيرة الحافظ الدمياطي) ما يفيد ان ذلك كان في يوم نزول جبريل عليه السلام له باقرأ باسم ربك حيث قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين وصلى فيه وصلت خديجة آخر يوم الاثنين ويوافقه ظاهر ما جاء أتاني جبريل في أول ما أوحى الي فعلمني الوضوء والصلاة فلما فرغ الوضوء أخذ غرفة من الماء فنضح بها فرجه اى رش بها فرجه اى محل الفرج من الانسان بناء على أنه لا فرج له وكون الملك لا فرج له لو تصور بصورة الانسان استدل عليه بأنه ليس ذكرا ولا انثى وفيه نظر لانه يجوز أن يكون له آلة ليست كآلة الذكر ولا كآلة الانثى كما قيل بذلك في الخنثى ويقال ان لذلك فرج وبعض شراح الحديث حمل الفرج على ما يقابل الفرج من الازار وبذلك استدل ائمتنا على انه يستحب لمن استنجى بالماء ان يأخذ بعد الاستنجاء كفا من ماء ويرش في ثيابه التي تحاذي فرجه حتى اذا خيل له ان شيأ خرج ووجد بللا قدر أنه من ذلك الماء ولعل هذا هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم علمني جبريل الوضوء وأمرني ان انضح تحت ثوبي مما يخرج من البول بعد الوضوء اى دفعا لتوهم خروج شئ من البول بعد الوضوء لو وجد البلل بالمحل وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما كان ينضح سراويله حتى يبلها وما جاء انه لما اقرأه اقرأ باسم ربك قال له جبريل انزل عن الجبل فنزل معه الى قرار الارض قال فاجلسني على درنوك بالدال المهملة والراء والنون اى وهو نوع من البسط ذو خمل ثم ضرب برجله الارض فنبعت عين ماء فتوضأ منها جبريل الحديث فشروعية الوضوء كانت مع مشروعية الصلاة التي هي غير الخمس وان ذلك كان في يوم نزول جبريل باقرأ وهو مخالف لقول ابن حزم لم يشرع الوضوء الا بالمدينة ومما يرد ما قاله ابن حزم نقل ابن عبد البر اتفاق أهل السير على انه لم يصل صلى الله عليه وسلم قط الا بوضوء قال وهذا مما لا يجهله عالم هذا كلامه الا ان يقال مراد ابن حزم انه لم يشرع وجوبا الا في المدينة وهو الموافق لقول بعض المالكية انه كان قبل الهجرة مندوبا اى وانما وجب بالمدينة بآية المائدة يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الآية ويرده ما في الاتقان ان هذه الآية مما تأخر نزوله عن حكمه يعني قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا الى قوله لعلكم تشكرون فالآية مدنية اجماعا وفرض الوضوء كان بمكة مع فرض الصلاة اى فالوضوء على هذا مكي بالفرض مدني بالتلاوة قال والحكمة في ذلك اى في نزول الآية بعد تقدم العمل لما يدل عليه ان تكون قرآنيته متلوة هذا كلامه وقوله مع فرض الصلاة

نفسه عليهم ويدعوهم الى أن يمنعوه حتى يبلغ رسالة ربه ❁ وعن جابر رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على الناس في الموقف ويقول الا رجل يعرض على قومه فان قريشا منعوني أن أبلغ كلام ربي وعن بعضهم قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يهاجر الى المدينة يطوف على الناس في منازلهم بمنى يقول يا أيها الناس ان الله يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيأ ووراءه رجل يقول يا أيها الناس ان هذا يأمركم أن تتركوا دين آبائكم فسألت من هذا الرجل فقيل ابو لهب يعني عمه وفي لفظ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوق ذي المجاز يعرض نفسه على القبائل من العرب يقول يا أيها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا وخلفه رجل له غديرتان اى ذؤابتان يرجمه بالحجارة حتى أدمى كعبه يقول يا أيها الناس لا تسمعوا منه فانه كذاب فسألت عن النبي صلى الله عليه وسلم فقيل لي انه غلام عبد المطلب فقلت ومن الذي يرجمه فقيل هو عمه عبد العزى يعني ابا لهب (وفي السيرة الهشامية) عن بعضهم قال اني غلام شاب مع ابي بمنى ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقف في منازل القبائل من العرب فيقول يا بني فلان اني رسول الله اليكم آمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الانداد وأن تؤمنوا بي وان تصدقوني وتمنعوني حتى أبين عن الله ما بعثني به وخلفه رجل أحول له غديرتان عليه حلة عدنية فاذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله قال ذلك الرجل يا بني فلان ان هذا الرجل انما يدعوكم الى أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم الى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه فقلت لابي من هذا الرجل الذي يتبعه يرد عليه ما يقول قال هذا عمه عبد العزى بن عبد المطلب يعني ابا لهب (وروى) ابن اسحق

انه صلى الله عليه وسلم عرض نفسه على كندة وكلب وعلى بنى حنيفة وبنى عامر بن صعصعة فقال له رجل منهم أرأيت ان نحن
بايعناك على امرك ثم اظفرك الله على من خالفك أيكون لنا الامر من بعدك فقال الامر الى الله يضعه حيث يشاء قال فقال له
أنقاتل العرب دونك وفى رواية أنهدف نحورنا للعرب دونك اى نجعل نحورنا هدفا للنبل فاذا أظفرك الله
كان الامر لغيرنا لا حاجة لنا
بأمرك وابوا عليه فلما رجعت
بنو عامر الى منازلهم وكان فيهم
شيخ ادركه السن لا يقدر ان يوافى
معهم الموسم فلما قدموا عليه
سألهم عما كان فى موسمهم فقالوا
جاءنا فتى من قريش احد بنى عبد
المطلب يزعم انه نبى يدعونا ان
نمنعه ونقوم معه ونخرج به الى
بلادنا فوضع الشيخ يده على رأسه
ثم قال يا بنى عامر هل لها من تلاف
اى هل لهذه القضية من تدارك
والذى نفس فلان بيده ما يقولها
اى ما يدعى النبوة كاذبا احد من
بنى اسمعيل قط وانها الحق وان
رأيكم غاب عنكم * وروى
الواقدى انه صلى الله عليه وسلم
اتى بنى عبس وبنى سليم وبنى
محارب وفزارة ومرة وبنى النضر
وعذرة والحضارمة فردوا عليه
صلى الله عليه وسلم أقبح الرد وقالوا
أسرتك وعشيرتك اعلم بك حيث
لم يتبعوك ولم يكن احد من العرب
أقبح عليه من بنى حنيفة وهم اهل
اليمامة قوم مسيلمة الكذاب ومن
ثم جاء فى الحديث شر قبائل العرب
بنو حنيفة وهم منسوبون الى
أمهم حنيفة قيل لها ذلك لحنف
كان فى رجلها ومن اقبح القبائل فى الرد عليه صلى الله عليه وسلم ثقيف ومن ثم جاء شر قبائل العرب بنو حنيفة واو
وثقيف (ودفع) مرة هو وابو بكر رضى الله عنه الى مجلس من مجالس العرب فتقدم ابو بكر فسلم وقال ممن القوم قالوا من
ربيعة وكان ابو بكر رضى الله عنه نسابا اى ذا معرفة بالانساب فقال لهم من اى ربيعة من هامتها او من لهازمها قالوا من هامتها

يحتمل أن المراد صلاة الركعتين بناء على انهما كانتا واجبتين عليه صلى الله عليه وسلم وهو الموافق لما تقدم عن ابن اسحق ويحتمل ان المراد الصلاة الخمس اى ليلة الاسراء وهو الموافق لما اقتصر عليه شيخنا الشمس الرملى حيث قال وكان فرضه مع فرض الصلاة قبل الهجرة بسنة هذا كلامه وحينئذ يكون قبل ذلك مندوبا حتى فى صلاة الليل وقول صاحب المواهب ما ذكر من ان جبريل عليه الصلاة والسلام علمه الوضوء وامره به يدل على ان فرضية الوضوء كانت قبل الاسراء فيه نظر ظاهر اذ لا دلالة فى ذلك على الفرضية اذ يحتمل ان يكون اللفظ الصادر من جبريل له أمرتك أن تفعل كذا كفعلى وصيغة أمر مشتركة بين الوجوب والندب وذكر بعضهم ان الغرض من نزول آية المائدة بيان ان من لم يقدر على الوضوء والغسل لمرض أو لعدم الماء يباح له التيمم اى ففرضية الوضوء والغسل سابقة على نزولها ويؤيد ذلك قول عائشة رضى الله تعالى عنها فى الآية فأنزل الله تعالى آية التيمم ولم تقل آية الوضوء وهى هى لان الوضوء كان مفروضا قبل ان توجد تلك الآية ويوافقه ما ذكره ابن عبد البر من اتفاق أهل السير على ان الغسل من الجنابة فرض عليه صلى الله عليه وسلم وهو بمكة وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ما يقتضى ان فرض الغسل كان مع فرض الصلوات ليلة الاسراء فقد جاء عنه كانت الصلاة خمسين والغسل من الجنابة سبع مرات فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل حتى جعل الصلاة خمسا والغسل من الجنابة مرة (قال بعض فقهائنا) رواه ابو داود ولم يضعفه وهو اما صحيح او حسن قال ذلك البعض ويجوز أن يكون المراد بها اى الغرض من نزولها فرض غسل الرجلين فى قراءة من قرأ وأرجلكم بالنصب فان حديث جبريل ليس فيه الا مسحهما اى وهو أن جبريل أول ما جاء النبى صلى الله عليه وسلم بالوحى توضأ فغسل وجهه ويديه الى المرفقين ومسح رأسه ورجليه الى الكعبين وسجد سجدتين اى ركع ركعتين مواجهة البيت ففعل النبى صلى الله عليه وسلم كما رأى جبريل يفعله هذا كلامه وفيه نظر لان اكثر الروايات وغسل رجليه كما تقدم فرجليه فى هذه الرواية معطوفة على وجهه كما ان أرجلكم فى الآية على قراءة الجر معطوفة على الوجوه والجر للمجاورة وان كان الجر للمجاورة فى غير النعت قليلا او عبر عن الغسل الخفيف بالمسح وفى كلام الشيخ محيى الدين مسح الرجلين فى الوضوء بظاهر الكتاب وغسلهما بالسنة المبينة للكتاب قال ويحتمل العدول عن الظاهر بناء على أن المسح فيه يقال للغسل فيكون من الالفاظ المترادفة وفتح أرجلكم لا يخرجها عن الممسوح فان هذه الواو قد تكون

واوالمعية وجاءأنه صلى الله عليه وسلم كان يتوضأ لكل صلاة اى عملا بظاهر قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة الآية فلما كان يوم الفتح صلى الصلوات الخمس بوضوء واحد فقال له سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه فعلت شيأ لم تكن تفعله فقال عمدا فعلته يا عمر اى للاشارة الى جواز الاقتصار على وضوء واحد للصلوات الخمس وجواز ذلك ظاهر فى نسخ وجوب الوضوء عليه لكل صلاة ويوافقه قول بعضهم قيل كان ذلك الوضوء لكل صلاة واجبا عليه ثم نسخ هذا كلامه اى ويؤيد ذلك ظاهر ما جاء انه أمر بالوضوء لكل صلاة طاهرا كان أو غير طاهر فلما شق ذلك عليه صلى الله عليه وسلم وضع عنه الوضوء الا من حدث اى ويكون وقت المشقة يوم فتح مكة لما علمت أنه لم يترك الوضوء لكل صلاة الا حينئذ وهذا السياق يدل على أن وجوب الوضوء لكل صلاة كان من خصوصياته صلى الله عليه وسلم ويدل لذلك ما روى عن أنس رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ لكل صلاة قيل لهم كيف تصنعون اى هل كنتم تفعلون كفعله صلى الله عليه وسلم قال يجزى أحدنا الوضوء ما لم يحدث أى فوجوب الوضوء لكل صلاة كان من خصوصياته صلى الله عليه وسلم ثم نسخ وذكر فقهاؤنا ان الغسل كان واجبا عليه صلى الله عليه وسلم لكل صلاة ○ فنسخ بالنسبة للحدث الاصغر تخفيفا فصار الوضوء بدلا عنه ثم نسخ الوضوء لكل صلاة فظاهر سياقهم يقتضى ان وجوب الغسل ثم الوضوء لكل صلاة كان عاما فى حقه صلى الله عليه وسلم وحق أمته ويحتاج الى بيان وقت نسخ وجوب الغسل فى حقه صلى الله عليه وسلم وحق أمته وبيان وقت نسخ وجوب الوضوء لكل صلاة فى حق الامة ومنه يعلم ان نسخ وجوب الوضوء لكل صلاة يكون بالنسبة للامة ثم بالنسبة اليه صلى الله عليه وسلم وحينئذ لا يشكل قول فقهائنا الآية تقتضى وجوب الطهر بالماء أو التراب لكل صلاة خرج الوضوء بالسنة اى بما تقدم من فعله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وبتجويزه صلى الله عليه وسلم للامة ان يصلى الواحد منهم الصلوات بوضوء واحد وبقى التيمم على مقتضى الآية فقد وقع النسخ أولا بالنسبة للامة ثم ثانيا بالنسبة اليه صلى الله عليه وسلم ولعل وجوب الغسل لكل صلاة كان بوحى غير قرآن أو باجتهاد ولا يخفى ان كون ظاهر الآية يقتضى وجوب الوضوء والتيمم لكل صلاة اعتمادو بقطع النظر عما نقله امامنا رضى الله تعالى عنه عن زيد بن اسلم أن الآية فيها تقديم وحذف وان التقدير اذا قمتم الى الصلاة من النوم أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فاغسلوا وجوهكم الآية والله أعلم (وعن مقاتل بن سليمان) فرض الله تعالى فى أول الاسلام الصلاة ركعتين بالغداة اى قبل

العظمى قال من ايها قالوا من ذهل الاكبر قال أمنكم حامى الذمار ومانع الجار فلان قالوا لا قال أمنكم قاتل الملوك وسالبها فلان قالوا لا قال أمنكم صاحب العمامة الفودة فلان قالوا لا فقال لستم من ذهل الاكبر انتم ذهل الاصغر فقام اليه شاب حين أبقل وجهه اى طلع شعر وجهه فقال له آن على سائلنا ان نسأله كما سألنا يا هذا انك قد سألتنا فأخبرناك فمن الرجل انت فقال ابو بكر رضى الله عنه أنا من قريش فقال الفتى بخ بخ اهل الشرف والرياسة ثم قال فمن اى قريش أنت قال من ولد تيم بن مرة قال الفتى أمكنت الرامى من صفا الثغرة أمنكم قصى الذى كان يدعى مجمعا قال لا قال فمنكم هاشم الذى هشم الثريد لقومه قال لا قال أمنكم شيبة الحمد عبد المطلب مطعم طير السماء الذى كان وجهه يضىء كالقمر فى الليلة الظلماء قال لا واجتذب ابو بكر رضى الله عنه زمام ناقته ورجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان على رضى الله عنه حاضرا فقال لابى بكر رضى الله عنه لقد وقعت من الاعرابى على باقعة اى داهية اى ذى دهاء قال أجل يا ابا الحسن ما من طامة الا فوقها طامة والبلاء موكل بالمنطق وكان الاعرابى لما ذكر له قصيا وهاشما وعبد المطلب يقول ان قبيلتك لم تشتمل على هؤلاء الاشراف كما أن قبيلتنا لم تشتمل على أولئك الاشراف فواحدة بواحدة والجزاء من جنس العمل * وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم لقى جماعة من بنى شيبان بن ثعلبة وكان معه ابو بكر وعلى رضى الله عنهما وأن ابا بكر رضى الله عنه سألهم وقال لهم ممن القوم فقالوا من شيبان بن ثعلبة فالتفت ابو بكر رضى الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بأبى أنت وأمى هؤلاء غرر اى سادات فى قومهم وفيهم مفروق بن عمرو وهانئ بن قبيصة ومثنى بن حارثة

والنعمان بن شريك وكان مفروق بن عمرو قد غلبهم جمالا ولسانا وله غديرتان اى ذؤابتان من شعر وكان أدنى القوم مجلسا من ابى بكر رضى الله عنه فقال له ابو بكر رضى الله عنه كيف العدد فيكم قال مفروق انا لنزيد على الالف ولن تغلب الالف من قلة فقال له ابو بكر رضى الله عنه كيف المنعة فيكم قال مفروق علينا الجهد اى الطاقة ولكل قوم جد اى حظ وسعادة اى علينا أن نجهد وليس علينا أن يكون لنا الظفر لانه من عند الله يؤتيه من يشاء فقال له ابو بكر رضى الله عنه فكيف الحرب بينكم و بين عدوكم فقال مفروق انا لاشد ما يكون غضبا حين نلق وانا لاشد ما يكون لقاء حين نغضب وانا لنؤثر الجياد من الخيل على الاولاد والسلاح على اللقاح اى نؤثر السلاح على ذوات اللبن من الابل والنصر من عند الله يديلنا اى ينصرنا مرة ويجعل الدولة لنا ويديل علينا مرة اخرى لعلك اخو قريش فقال ابو بكر رضى الله عنه اوقد بلغكم انه اى أخا قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم فها هو ذا فقال مفروق بلغنا انه يذكر ذلك فالام يدعو فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ادعو الى شهادة أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وانى رسول الله والى أن تؤووني وتنصروني فان قريشا قد تظاهرت اى تعاونت على امر الله وكذبت رسوله واستغنت بالباطل عن الحق والله هو الغنى الحميد قال مفروق والام تدعونا أيضا يا أخا قريش فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيأ وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون قال مفروق ما هذا من كلام أهل الارض عرفناه ثم قال والام تدعوا أيضا يا أخا قريش فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم

طلوع الشمس وركعتين بالعشى اى قبل غروب الشمس (أقول) ان كان المراد بأول الاسلام نزول جبريل عليه باقرأ يرد ما تقدم عن الامتاع ان أول ما وجب ركعتان بالعشى ثم صارت صلاة بالغداة وصلاة بالعشى ركعتين الا ان يراد الاولية الاضافية وفى بعض الاحاديث ما يدل على أن وجوب الركعتين كان خاصا به صلى الله عليه وسلم دون أمته منها قوله صلى الله عليه وسلم أول ما افترض الله على أمتى الصلوات الخمس وفيه أنه افترض عليها قبل ذلك صلاة الليل ثم نسخ بالصلوات الخمس وفى الامتاع كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الى الكعبة أول النهار فيصلى صلاة الضحى وكانت صلاة لا تنكرها قريش وكان صلى الله عليه وسلم وأصحابه اذا جاء وقت العصر تفرقوا فى الشعاب فرادى ومثنى اى فيصلون صلاة العشى وكانوا يصلون الضحى والعصر ثم نزلت الصلوات الخمس هذا كلامه وهو يفيد ان الركعتين الاوليين كان يصليهما وقت الضحى لا قبل الشمس فليتأمل والله اعلم ثم فرضت الخمس ليلة المعراج وذهب جمع الى أنه لم يكن قبل الاسراء صلاة مفروضة اى لا عليه ولا على أمته الا ما وقع الامر به من صلاة الليل من غير تحديد اى بقوله تعالى فاقرؤا ما تيسر اى صلوا (اقول) وهو الناسخ لما وجب قبل ذلك من التحديد فى أول السورة الحاصل بقوله قم الليل الا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه وقد نسخ قيام الليل بالصلوات الخمس ليلة الاسراء ولم يذكر أئمتنا وجوب صلاة الركعتين عليه صلى الله عليه وسلم بل قالوا أول ما فرض عليه الانذار والدعاء الى التوحيد ثم فرض عليه قيام الليل المذكور فى أول سورة المزمل ثم نسخ بما فى آخرها ثم نسخ بالصلوات الخمس وهو مخالف لما تقدم عن ابن اسحق من وجوب صلاة الركعتين عليه ويوافقه قول ابن كثير فى قولهم ماتت خديجة قبل أن تفرض الصلوات مرادهم قبل أن تفرض الصلوات الخمس ليلة الاسراء قال بعضهم وانما قال ذلك لان أصل الصلاة قد فرض فى حياة خديجة الركعتين بالغداة والركعتين بالعشى وفى كلام ابن حجر الهيتمى لم يكلف الناس الا بالتوحيد فقط ثم استمر على ذلك مدة مديدة ثم فرض عليهم من الصلاة ما ذكر فى سورة المزمل ثم نسخ ذلك كله بالصلوات الخمس ثم لم تكثر الفرائض وتتتابع الا بالمدينة ولما ظهر الاسلام وتمكن فى القلوب وكان كلما ازداد ظهورا وتمكنا ازدادت الفرائض وتتابعت هذا كلامه ولم أقف على ما كان يقرأ فى صلاة الركعتين قبل فترة الوحى وبعدها وقبل نزول الفاتحة بناء على تأخر نزولها عن ذلك كما هو الراجح ثم رأيته فى الاتقان ذكر ان جبريل حين حولت القبلة أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الفاتحة ركن فى الصلاة كما كانت بمكة هذا كلامه وينبغى حمله على

الصلوات

الصلوات الخمس وحينئذ يكون ما تقدم من قول بعضهم لم يحفظ انه كان فى الاسلام صلاة بغير الفاتحة محمولا على ذلك أيضا وقد تقدم ذلك والله أعلم

(باب ذكر أول الناس ايمانا به صلى الله عليه وسلم)

اى بعد البعثة اى الرسالة وهى المرادة عند الاطلاق بناء على لزوم مقارنة النبوة لا يخفى انه صلى الله عليه وسلم لما بعث اخفى امره وجعل يدعو الى الله سرا واتبعه ناس عامتهم ضعفاء من الرجال والنساء والى هذا الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ان هذا الدين بدا غريبا وسيعود كما بدا فطوبى للغرباء ولا يخفى أن اهل الاثر وعلماء السير على ان أول الناس ايمانا به صلى الله عليه وسلم على الاطلاق خديجة رضى الله عنها (أقول) نقل الثعلبى المفسر اتفاق العلماء عليه وقال النووى انه الصواب عند جماعة من المحققين وقال ابن الاثير خديجة أول خلق الله تعالى اسلم باجماع المسلمين لم يتقدمها رجل ولا امرأة وفيه ان بناته الاربع كن موجودات عند البعثة وبعد تأخر ايمانهن الآن يقال خديجة تقدم لها اشراك بخلافهن اخذا مما يأتى وعن ابن اسحق ان خديجة كانت أول من آمن بالله ورسوله وصدقت ما جاء به عن الله تعالى وكان لا يسمع شيأ يكرهه من قومه الا فرج الله عنه بها اذا رجع اليها واخبرها به ثم على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه ففى المرفوع عن سلمان ان النبى صلى الله عليه وسلم قال أول هذه الامة ورودا على الحوض اولها اسلاما على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه وجاء انه لما زوجه فاطمة قال لها زوجتك سيدا فى الدنيا والآخرة وانه لأول أصحابى اسلاما وأكثرهم علما وأعظمهم حلما وكان لم يبلغ الحلم كما سيأتى حكاية الاجماع عليه كان سنه ثمان سنين وكان عند النبى صلى الله عليه وسلم قبل ان يوحى اليه يطعمه ويقوم بأمره لان قريشا كان اصابهم قحط شديد وكان ابو طالب كثير العيال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه العباس ان أخاك ابا طالب كثير العيال والناس فيما ترى من الشدة فانطلق بنا اليه فلنخفف من عياله تأخذ واحدا وآخذ واحدا فجاآ اليه وقالا انا نريد ان نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه فقال لهما ابو طالب اذا تركتما لى عقيلا وطالبا فاصنعا ما شئتما فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا رضى الله تعالى عنه فضمه اليه وأخذ العباس جعفرا فضمه اليه وترك له عقيلا وطالبا فلم يزل على مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (وفى خصائص العشرة) للزمخشرى ان النبى صلى الله عليه وسلم تولى تسميته بعلى وتغذيته أياما من ريقه المبارك يمصه لسانه فمن

ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون فقال مفروق دعوت والله الى مكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال ولقد افك قوم صرفوا عن الحق وكذبوك وظاهروا اى عاونوا عليك وكأن مفروقا أراد ان يشاركه فى الكلام هانئ بن قبيصة فقال هذا هانئ بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا فقال هانئ قد سمعنا مقالتك يا أخا قريش وانى أرى ان تركنا ديننا واتبعنا على دينك بمجلس جلسته الينا ليس له أول ولا آخر لزلة فى الرأى وقلة نظر فى العواقب وانما تكون الزلة مع العجلة وانما وراءنا قوم نكره ان نعقد عليهم عقدا ولكن نرجع وترجع وننظر وتنظر وكان هانئ احب ان يشركه فى الكلام مثنى ابن حارثة فقال هذا المثنى بن حارثة شيخنا وصاحب حربنا فقال المثنى قد سمعنا مقالتك يا أخا قريش والجواب هو جواب هانئ بن قبيصة وان أحببت ان نأويك وننصرك مما يلى مياه العرب دون انهار كسرى فعلنا انا نزلنا على عهد اخذه علينا كسرى لا نحدث حدثا ولا نأوى محدثا وانى أرى ان هذا الامر الذى تدعونا اليه هو مما تكرهه الملوك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أسأتم اذ أفصحتم بالصدق وان دين الله عز وجل لن ينصره الا من احاطه من جميع جوانبه أرأيتم ان لم تلبثوا الا قليلا حتى يورثكم الله أرضهم وديارهم وأموالهم ويفرشكم نساءهم تسبحون الله وتقدسونه فقال النعمان بن شريك اللهم لك ذا فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا ثم نهض رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال العلامة الحلبى) وهؤلاء لم أقف على اسلام واحد منهم الا ان فى الصحابة شخصا يقال له المثنى بن حارثة الشيبانى وكان فارس قومه وسيدهم والمطاع فيهم

ولعله هو هذا القول هانئ بن قبيصة فيه انه صاحب حربنا ورأيت بعضهم ذكر ان النعمان بن شريك له وفادة فيكون من الصحابة (وفي أسد الغابة) ان مفروق بن عمرو من الصحابة ونقل عن ابي نعيم انه قال لا أعرف لمفروق اسلاما والله أعلم * ولما قدمت قبائل بكر ابن وائل مكة للحج قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم لابي بكر رضي الله عنه ائتهم فاعرضني عليهم فأتاهم فعرض عليهم ثم قال لهم صلى الله عليه وسلم كيف العدد فيكم قالوا كثير مثل الثرى قال كيف المنعة قالوا لا منعة جاورنا فارس فنحن لا نمتنع منهم ولا نجير عليهم قال افتجعلون لله عليكم ان هو أبقاكم حتى أن تنزلوا منازلهم وتنكحوا نساءهم وتستعبدوا ابناءهم أن تسبحوا الله ثلاثا وثلاثين قالوا ومن أنت قال انا رسول الله ثم مر بهم ابو لهب فقالوا هل تعرف هذا الرجل قال نعم فأخبروه بما دعاهم اليه وانه زعم انه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم ابو لهب لا ترفعوا لقوله رأسا فانه مجنون يهذي من ام رأسه فقالوا والله لقد رأينا ذلك حيث ذكر من أمر فارس ما ذكر وفي رواية انه لما سألهم قالوا حتى يجيء شيخنا حارثة فلما جاء قال ان بيننا وبين الفرس حربا فاذا فرغنا مما بيننا وبينهم عدنا فنظرنا فيما تقول فلما التقوا مع الفرس قال شيخهم ما اسم الرجل الذي دعاكم الى ما دعاكم اليه قالوا محمد قال فهو عزكم فنصروا على الفرس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بي نصروا اى نصروا بذكرهم اسمي ولا زال صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على القبائل في كل موسم يقول لا اكره احدا على شيء من رضي الذي أدعو اليه فذاك ومن كره لما كرهه وانما اريد منعي من القتل حتى ابلغ رسالة ربي فلم يقبله صلى الله عليه وسلم احد من تلك القبائل ويقولون قوم الرجل اعلم به اترون ان رجلا يصلحنا وقد افسد قومه * وعن ابن اسحق لما أراد الله تعالى اظهار دينه واعزاز نبيه صلى الله

فاطمة بنت أسد ام علي رضي الله تعالى عنها انها قالت لما ولدته سماه عليا وبصق في فيه ثم انه ألقمه لسانه فما زال يمصه حتى نام قالت فلما كان من الغد طلبنا له مرضعة فلم يقبل ثدي أحد فدعونا له محمدا صلى الله عليه وسلم فألقمه لسانه فنام فكان كذلك ما شاء الله عز وجل هذا كلامه فليتأمل وعنها رضي الله تعالى عنها انها في الجاهلية ارادت ان تسجد لهبل وهي حامل بعلي فتقوس في بطنها فمنعها من ذلك وكان علي رضي الله تعالى عنه اصغر اخوته فكان بينه وبين اخيه جعفر عشر سنين وبين جعفر واخيه عقيل كذلك وبين عقيل واخيه طالب ذلك أيضا فكل أكبر من الذي بعده بعشر سنين فأكبرهم طالب ثم عقيل ثم جعفر ثم علي اى وكلهم أسلموا الا طالبا فانه اختطفته الجن فذهب ولم يعلم اسلامه وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم قال لعقيل لما أسلم يا أبا يزيد اني احبك حبين حبا لقرابتك مني وحبا لما كنت اعلم لحب عمي اياك وكان عقيل أسرع الناس جوابا وأبلغهم في ذلك قال له معاوية يوما أين ترى عمك ابا لهب من النار فقال اذا دخلتها يا معاوية فهو على يسارك مفترشا عمتك حمالة الحطب والراكب خير من المركوب ولما وفد على معاوية وقد غضب من اخيه علي لما طلب منه عطاء وقال له اصبر حتى يخرج عطاؤك مع المسلمين فأعطيك فقال له لاذهبن الى رجل هو اوصل الي منك فذهب الى معاوية فأعطاه معاوية مائة ألف درهم ثم قال له معاوية اصعد المنبر فاذكر ما أولاك علي وما أوليتك فصعد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس اني أخبركم أني أردت عليا على دينه فاختار دينه واني اردت معاوية على دينه فاختارني على دينه وفي رواية ان معاوية قال لجماعته يوما بحضرة عقيل هذا ابو يزيد يعني عقيلا لولا علمه بأني خير له من أخيه لما أقام عندنا وتركه فقال عقيل أخي خير لي في ديني وأنت خير لي في دنياي وأسأل الله تعالى خاتمة الخير توفي عقيل في خلافة معاوية (قال) وسبب اسلام علي كرم الله تعالى وجهه انه دخل على النبي صلى الله عليه وسلم ومعه خديجة وهما يصليان سرا فقال ما هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دين الله الذي اصطفاه لنفسه وبعث به رسله فأدعوك الى الله وحده لا شريك له والى عبادته والى الكفر باللات والعزى فقال علي هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم فلست بقاض امرا حتى احدث أبا طالب وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفشي عليه سره قبل ان يستعلن امره فقال له يا علي اذا لم تسلم فاكتم هذا فمكث ليلته ثم ان الله تبارك وتعالى هداه للاسلام فأصبح غاديا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم اه (اقول) وذلك في اليوم الثاني من صلاته صلى الله عليه وسلم هو وخديجة وهو يوم

عليه وسلم والمجاز موعد له خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الموسم (وفى مستدرك الحاكم) ان ذلك كان فى شهر ذى الحجة يعرض نفسه على القبائل من العرب كما كان يصنع فى كل موسم فبينما هو عند العقبة التى تضاف اليها الجمرة فيقال جمرة العقبة وهى على يسار القاصد منى من مكة وبها الآن اسفل منها مسجد يقال له مسجد البيعة اذ لقى رهطا من الخزرج لان الاوس والخزرج كانوا يحجون فيمن يحج من العرب وكان الذين لقيهم ستة نفر وقيل ثمانية أراد الله بهم الخير وهم ابو أمامة اسعد بن زرارة وعوف بن الحرث بن رفاعة ويعرف بابن عفراء ورافع بن مالك ابن العجلان وقطبة بن عامر بن حديدة وعقبة بن عامر بن نابى وجابر بن عبد الله بن رئاب وعبادة ابن الصامت وأبو الهيثم بن التيهان وأسقط بعضهم عبادة بن الصامت ومن بعده فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم من أنتم قالوا نفر من الخزرج قال ألا تجلسون اكلمكم قالوا بلى من أنت فانتسب لهم وأخبرهم خبره فجلسوا وفى رواية انه وجدهم يحلقون رؤسهم ثم دعاهم الى الله سبحانه وتعالى وعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن فقبلوا ذلك منه وأثر فى قلوبهم وكان قد أخذهم النبى صلى الله عليه وسلم فى موضع بعيد من الناس خوفا من أن يراهم احد فينقل خبرهم الى قريش فنزل بهم تحت العقبة بالمكان المعروف بمسجد البيعة وكان من صنع الله ان اليهود كانوا مع الاوس والخزرج بالمدينة وكانوا أهل كتاب والاوس والخزرج اهل شرك وأوثان وكانوا اذا كان بينهم شئ تقول اليهود ان نبيا سيبعث الآن قد اظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وارم وكانوا يصفونه لهم بصفاته فلما كلمهم النبى صلى الله عليه وسلم عرفوا الصفات التى كانوا يسمعونها قبل من اليهود فوجدوها محققة فيه فقال بعضهم لبعض بادروا الى اتباعه لا تسبقنا اليهود اليه وفى رواية فلما سمعوا

الثلاثاء كما فى سيرة الدمياطى اى لانه تقدم أن صلاته صلى الله عليه وسلم مع خديجة كانت آخر يوم الاثنين وهذا انما يأتى على القول بأن النبوة والرسالة تقارنتا لا على أن الرسالة تأخرت عن النبوة وان بينهما فترة الوحى على ما تقدم (وفى أسد الغابة) ان أبا طالب رأى النبى صلى الله عليه وسلم وعليا يصليان وعلىّ على يمينه فقال لجعفر رضى الله تعالى عنه صل جناح ابن عمك فصلى عن يساره وكان اسلام جعفر بعد اسلام أخيه على بقليل قال بعضهم وانما صح اسلام على اى مع انهم أجمعوا على انه لم يكن بلغ الحلم اى ومن ثم نقل عنه أنه قال

سبقتكمو الى الاسلام طرا * صغيرا ما بلغت أوان حلمى

اى كان عمره ثمان سنين على ما سبق لان الصبيان كانوا اذ ذاك مكلفين لان القلم انما رفع عن الصبى عام خيبر وعن البيهقى أن الاحكام انما تعلقت بالبلوغ فى عام الخندق وفى لفظ فى عام الحديبية وكانت قبل ذلك منوطة بالتمييز هذا وقد ذكر أنه لم يحفظ عن على رضى الله تعالى عنه أنه قال شعرا وقيل لم يقل الا بيتين اى ولعل أحدهما ما تقدم ثم رأيت عن القاموس أن البيتين هما قوله

تلكمو قريش تمنانى لتقتلنى * فلا وربك ما بروا ولا ظفروا
فان هلكت فرهن ذمتى لهمو * بذات ودقين لا تبقى ولا تذر

وذات ودقين هى الداهية وقد ذكر أن الزبير بن العوام أسلم وهو ابن ثمان سنين وقيل ابن خمس عشرة سنة وقيل ابن اثنتى عشرة سنة وقيل ابن ست عشرة سنة ومما يدل للاول ما جاء عن بعضهم كان علىّ والزبير وطلحة وسعد بن ابى وقاص ولدوا فى عام واحد ومن العجب أن الزمخشرى فى خصائص العشرة اقتصر على أن سن الزبير حين أسلم ست عشرة سنة وذكر بعد ذلك بأسطر انه أول من سل سيفا فى سبيل الله وهو ابن اثنتى عشرة سنة مقتصرا على ذلك ومما يدل للاول أيضا ما جاء فى كلام بعض آخر أسلم على بن ابى طالب والزبير بن العوام وهما ابنا ثمان سنين واجماعهم على أن عليا لم يكن بلغ الحلم يرد القول بأن عمره كان اذ ذاك عشر سنين اى بناء على أن سن امكان الاحتلام تسع سنين كما تقول به أئمتنا ويوافقه ما حكاه بعضهم أن الراشد بالله وهو الحادى والثلاثون من خلفاء بنى العباس لما كان عمره تسع سنين وطئ جارية حبشية فحملت منه فولدت ولدا حسنا ويرد القول بأن سنه اذ ذاك كان ثلاث عشرة أو خمس عشرة أو ست عشرة سنة (اقول) قال بعض متأخرى أصحابنا وانما صحت عبادة الصبى المميز ولم يصح اسلامه لان عبادته نفل

والاسلام لا يتنفل به وعلى هذا مع ما تقدم يشكل ما في الامتاع وأما علي بن ابي طالب فلم يكن مشركا بالله أبدا لانه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في كفالته كأحد أولاده يتبعه في جميع أموره فلم يحتج أن يدعى للاسلام فيقال أسلم هذا كلامه فليتأمل فان عليا كان تابعا لابيه في دينه ولم يكن تابعا له صلى الله عليه وسلم كأولاده وقوله فلم يحتج أن يدعى للاسلام يرده ما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم له أدعوك الى الله وحده الى آخره ثم رأيت في الحديث ما يدل لما في الامتاع وهو ثلاثة ما كفروا بالله قط مؤمن آل يس وعلي ابن ابي طالب وآسية امرأة فرعون والذي في العرائس روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين حزقيل مؤمن آل فرعون وحبيب النجار صاحب يس وعلي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنهم وهو أفضلهم الا أن يراد بعدم كفرهم انهم لم يسجدوا للصنم وفيه أنه قد يخالف ذلك قوله صلى الله عليه وسلم له وأدعوك الى الكفر باللات والعزى وانه قيل أيضا ان أبا بكر لم يسجد لصنم قط وقد عدّ ابن الجوزي من رفض عبادة الاصنام في الجاهلية اي لم يأت بها أبا بكر الصديق و زيد بن عمرو بن نفيل وعبيد الله ابن جحش وعثمان بن الحويرث و ورقة بن نوفل و رباب بن البراء وأسعد بن كريب الحميري وقس بن ساعدة الايادي وابا قيس بن صرمة ولا يخفى ان عدم السجود للاصنام لا ينافي الحكم بالكفر على من لم يسجد لها لكن في كلام السبكي الصواب ان يقال الصديق لم يثبت عنه حال كفر بالله تعالى فلعل حاله قبل البعث كحال زيد بن عمرو بن نفيل وأضرابه فلذلك خص الصديق بالذكر عن غيره من الصحابة هذا كلامه وهو واضح اذ لم يكن احد من جميع من ذكر أسلم وفي كلام الحافظ بن كثير الظاهر ان اهل بيته صلى الله عليه وسلم آمنوا قبل كل احد خديجة وزيد وزوجة زيد ام ايمن وعلي رضي الله تعالى عنهم فليتأمل قوله آمنوا قبل كل أحد وكذا يتأمل قول ابن اسحق أما بناته صلى الله عليه وسلم فكلهن ادركن الاسلام فأسلمن (وعن ابن اسحق) ذكر بعض اهل العلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا حضرت الصلاة خرج الى شعاب مكة وخرج معه علي مستخفيا من قومه فيصليان فيها فاذا أمسيا رجعا كذلك ثم ان ابا طالب عثر اي اطلع عليهما يوما وهما يصليان اي بنخلة المحل المعروف فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن أخي ما هذا الذي اراك تدين به فقال هذا دين الله ودين ملائكته ورسله ودين أبينا ابراهيم بعثني الله به رسولا الى العباد وأنت أحق من بذلت له النصيحة ودعوته الى الهدى واحق من اجابني الى الله تعالى واعانني عليه فقال ابو طالب اني لا أستطيع ان أفارق دين آبائي وما كانوا

عليه

قوله أيقنوا به واطمأنت قلوبهم الى ما سمعوا منه وعرفوا ما كانوا يسمعون من صفته ورأوا أمارات الصدق عليه لائحة فقال بعضهم لبعض يا قوم تعلمون والله أنه هو النبي الذي توعدكم به اليهود فلا يسبقوكم اليه فأجابوه الى ما دعاهم اليه وصدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام فأسلم أولئك النفر فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم تمنعون ظهري حتى أبلغ رسالة ربي قالوا يا رسول الله انا تركنا قومنا يعنون الاوس والخزرج بينهم من العداوة والشر ما بينهم فان يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك وقولهم بينهم من العداوة والشر ما بينهم اصل هذه العداوة ان الاوس والخزرج كانوا أخوين لاب وام فوقعت بينهم العداوة وتطاولت بينهم الحروب مائة وعشرين سنة وفي رواية قالوا له انما كانت بعاث عام أول وهو يوم اقتتلوا فيه وقتل رؤساؤهم وافترق فيه ملؤهم فقالوا ان تقدم ونحن كذلك متفرقون لا يكون لنا عليك اجتماع فدعنا حتى نرجع الى عشائرنا لعل الله أن يصلح بيننا وندعوهم الى ما دعوتنا فعسى الله ان يجمعهم عليك فان اجتمعت كلمتهم عليك واتبعوك فلا أحد أعز منك وموعدك الموسم العام المقبل ثم انصرفوا الى المدينة ورضي رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم بذلك وهذا ابتداء اسلام الانصار فلما وصلوا المدينة أخبروا قومهم وانتشر ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فلم تبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان العام المقبل لقيه اثنا عشر رجلا وهي العقبة الثانية فأسلموا فيهم خمسة من المذكورين قبل وهم ابو أمامة اسعد بن زرارة وعوف بن عفراء و رافع بن مالك وقطبة بن عامر بن حديدة وعقبة بن عامر بن نابي والسبعة تتمة الاثني عشر هم معاذ بن الحرث بن رفاعة وهو ابن عفراء أخو عوف المذكور قبل وذكوان بن عبد قيس الزرقي

عليه وفي رواية أنه قال له ما بالذي تقول من بأس ولكن والله لا تعلوني استي ابدا وهذا كما لا يخفى ينبغي أن يكون صدر منه قبل ما تقدم من قوله لابنه جعفر صل جناح ابن عمك وصل على يساره لما رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي وعليا على يمينه لكن يروى أن عليا رضي الله تعالى عنه ضحك يوما وهو على المنبر فسئل عن ذلك فقال تذكرت اباطالب حين فرضت الصلاة ورآني أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنخلة فقال ماهذا الفعل الذي أرى فلما اخبرناه قال هذا حسن ولكن لا افعله ابدا اني لا احب أن تعلوني استي فلما تذكرت الآن قوله ضحكت وقوله حين فرضت الصلاة يعني الركعتين بالغداة والركعتين بالعشي وهذا يؤيد القول بأن ذلك كان واجبا وذكر أن أباطالب قال لعلي اي بني ماهذا الذي أنت عليه فقال يا أبت آمنت بالله ورسوله وصدقت ما جاء به ودخلت معه واتبعته فقال له أما انه لم يدعك الا الى خير فالزمه اي ويذكر عنه أنه كان يقول اني لأعلم ان ما يقوله ابن اخي لحق ولولا اني اخاف أن تعيرني نساء قريش لاتبعته وعن عفيف الكندي رضي الله تعالى عنه قال كنت امرأ تاجرا فقدمت للحج واتيت العباس بن عبد المطلب لابتاع منه بعض التجارة وكان العباس لي صديقا وكان يختلف الى اليمن يشتري العطر ويبيعه أيام الموسم فبينما انا عند العباس بمنى اي وفي لفظ بمكة في المسجد اذا رجل مجتمع اي بالغ أشده خرج من خباء قريب منه فنظر الى الشمس فلما رآها مالت توضأ فاسبغ الوضوء اي أكمله ثم قام يصلي اي الى الكعبة كما في بعض الروايات ثم خرج غلام مراهق اي قارب البلوغ فتوضأ ثم قام الى جنبه يصلي ثم جاءت امرأة من ذلك الخباء فقامت خلفهما ثم ركع الرجل وركع الغلام وركعت المرأة ثم خر الرجل ساجدا وخر الغلام وخرت المرأة فقلت ويحك يا عباس ماهذا الدين فقال هذا دين محمد بن عبد الله أخي يزعم ان الله بعثه رسولا وهذا ابن أخي علي بن ابي طالب وهذه امرأته خديجة قال عفيف بعد ان أسلم ليتني كنت رابعا اي ولعل زيد بن حارثة لم يكن موجودا عندهم في ذلك الوقت فلا ينافي أنه كان يصلي معهم او ان ذلك كان قبل اسلامه لانه سيأتي قريبا أن اسلامه كان بعد اسلام علي وكذا ابو بكر لم يكن موجودا عندهم بناء على أن اسلامه كان قبل اسلام علي ويؤيده ما قيل اول من صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم ابو بكر لكن في الاستيعاب لابن عبد البر أن العباس قال لعفيف الكندي لما قال له ماهذا الذي يصنع قال يصلي وهو يزعم أنه نبي ولم يتبعه على امره الا امرأته وابن عمه هذا الغلام وفيه أن عليا قال لقد عبدت الله قبل أن يعبده احد من هذه الامة خمس سنين اي ولعل المراد أنه

الخزرجي وعبادة بن الصامت وابو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة البلوي حليف الخزرج وابو الهيثم بن التيهان وعويم بن ساعدة والعباس بن نضلة بن مالك بن العجلان وأقام العباس المذكور بمكة الى أن هاجر النبي صلى الله عليه وسلم فهاجر فهو انصاري مهاجري واستشهد بأحد رضي الله عنهم يروى أنه قال لهم حين اجتماعهم في

هذه العقبة الثانية تأخذون محمدا صلى الله عليه وسلم على حرب الاحمر والاسود فان كنتم ترون انكم اذا نهكتكم الحرب اسلمتموه فمن الآن فاتركوه وان صبرتم على ذلك فخذوه وقال بعضهم والله ما قال ذلك الا ليشد العقد وكل هؤلاء المذكورين من الخزرج سوى ابي الهيثم بن التيهان وعويم بن ساعدة فانهما من الاوس فأسلموا كلهم وبايعوا النبي صلى الله عليه وسلم كما روي عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال كنت فيمن حضر العقبة وكنا اثني عشر رجلا فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا نشرك بالله شيأ ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه بين ايدينا وارجلنا ولا نعصيه صلى الله عليه وسلم في معروف ونعطيه السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وأن لا ننازع الامر أهله وأن نقول بالحق حيث كنا لا نخاف في الله لومة لائم ثم قال عليه الصلاة والسلام بعد هذه المبايعة فان وفيتم فلكم الجنة ومن غشي من ذلك شيأ كان أمره مفوضا الى الله ان شاء عذبه وان شاء عفا عنه ولم يكن الجهاد مفروضا في ذلك الوقت فلم يذكره لهم ولم يبايعهم عليه وقيل انما كانت بيعة العقبة الثانية على الايواء والنصر وما يتعلق بذلك واما المبايعة بلفظ على أن لا تشرك بالله شيأ الخ فانما كانت عام الفتح ولا مانع من تعدد ذلك وجاء في رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال لهم ابايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم فبايعوه

على ذلك وعلى أن يرحل اليهم هو واصحابه فلما انصرفوا راجعين الى بلادهم بعث معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن أم مكتوم واسمه عمرو وقيل عبد الله واسم امه عاتكة وهو ابن خالة السيدة خديجة بنت خويلد أم المؤمنين رضى الله عنها ومصعب بن عمير معه رضى الله عنهما يعلمان من اسلم منهم القرآن ويعلمان من اراد أن يسلم الاسلام ويفقهانهم فى الدين ويدعوان من لم يسلم منهم الى الاسلام وقيل ان مصعبا بعثه اولا حين بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن عفراء ورافع ابن مالك ان ابعث الينا رجلا من قبلك يفقهنا فى ديننا ويدعو الناس بكتاب الله (وفى رواية) كتبوا اليه بذلك ولامانع من الجميع فبعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير العبدلى رضى الله عنه وكان يقال له المقرى ثم بعث ابن أم مكتوم ولما قدم مصعب المدينة نزل على ابى امامة أسعد بن زرارة رضى الله عنه وكان مصعب يؤم القوم الاوس والخزرج لانهم لما بينهم من العداوة كرهوا أن يؤم بعضهم بعضا وجمع بهم مصعب رضى الله عنه اول جمعة فى الاسلام قبل قدومه صلى الله عليه وسلم لانه صلى الله عليه وسلم لم يتمكن من اقامة الجمعة بمكة فامرهم باقامتها بالمدينة وكانوا أربعين رجلا واشتهر ان اول من جمع بهم أسعد ابن زرارة رضى الله عنه ولامخالفة لان مصعب بن عمير رضى الله عنه كان عند ابى امامة اسعد بن زرارة فكان هو المعاون على اقامة الجمعة ولولا أسعد بن زرارة ماقدر مصعب على اقامتها وهذا لاينافى أن الخطيب والامام هو مصعب بن عمير فنسب من اقامة الجمعة تارة لهذا وتارة لهذا قيل انهم أقاموا الجمعة باجتهاد منهم من غير امر من النبى صلى الله عليه وسلم وهذا خطأ مردود بل روى ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم كتب الى مصعب بن عمير رضى الله عنه أما بعد فانظر اليوم الذى

عبده بغير الصلاة وقوله فى هذا الحديث فنظر الى الشمس فلما رآها مالت توضأ وصلى قد يخالف ماتقدم من ان فرض الصلاة كان ركعتين بالغداة وركعتين بالعشى قبل غروب الشمس فقط (أقول) قد يقال لامخالفة لانه يجوز أن تكون صلاته فى الوقت ليست مما فرض عليه والجماعة فى ذلك جائزة وقد فعلها صلى الله عليه وسلم فى النفل المطلق وهذا يدل على ان الجماعة كانت مشروعة بمكة حتى فى صدر الاسلام قبل فرض الصلوات الخمس (وفى كلام بعض فقهائنا) أنها لم تشرع الا فى المدينة دون مكة لقهر الصحابة رضى الله تعالى عنهم الا أن يقال المراد بشروعيتها طلبها فكانت فى المدينة مطلوبة استحبابا أو وجوبا كفاية أو عينا على الخلاف عندنا فى ذلك وفى مكة كانت مباحة لكن فى كلام بعض آخر من فقهائنا أن الجماعة لم تفعل بمكة لقهر الصحابة وفيه أن القهر انما ينافى اظهار الجماعة لافعلها الا أن يقال تركت حسما للباب وفيه أنه يبعد تركها وهم مستخفون فى دار الارقم فليتأمل والله اعلم * ثم بعد اسلام على رضى الله تعالى عنه أسلم من الصحابة رضى الله تعالى عنهم زيد بن حارثة بن شرحبيل وقال ابن هشام شرحبيل مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبته له خديجة اى لما تزوجها صلى الله عليه وسلم اى وكان اشتراه لها ابن اخيها حكيم بن حزام من سباء من الجاهلية اى فان عمته خديجة امرته أن يبتاع لها غلاما ظريفا عربيا فلما قدم سوق عكاظ وجد زيدا يباع اى وعمره ثمان سنين فانه اسر من عند أخواله طى وعليه اقتصر السهيلى فان أمه لما خرجت به لتزيره اهلها فاصابته خيل فباعوه فاشتراه اى وقيل اشتراه من سوق حباشة بأربعمائة درهم ويقال بستمائة درهم فلما رآته خديجة أعجبها فأخذته * أى ولعل هذا مراد من قال فباعه من عمته خديجة اى اشتراه لها فلما تزوجها صلى الله عليه وسلم وهو عندها اعجب به فاستوهبه منها فوهبته له فأعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبناه قبل الوحى ○ اى وقيل اشتراه صلى الله عليه وسلم لها فانه جاء الى خديجة فقال رأيت غلاما بالبطحاء قد أوقفوه ليبيعوه ولو كان لى ثمنه لاشتريته قالت وكم ثمنه قال سبعمائة درهم قالت خذ سبعمائة درهم فاذهب فاشتره فاشتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء به اليها وقال انه لو كان لى لاعتقته قالت هولك فأعتقه وقيل بل اشتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشام لخديجة حيث توجه مع ميسرة فوهبته له فليتأمل ذلك وزعم أبو عبيدة ان زيد بن حارثة لم يكن اسمه زيدا ولكن النبى صلى الله عليه وسلم سماه بذلك باسم جده قصى حين تبناه ثم انه خرج فى ابل لابى طالب الى الشام فمر بارض قومه فعرفه عمه فقام اليه وقال من انت ياغلام قال غلام

من اهل مكة قال من انفسهم قال لا قال فحر انت ام مملوك قال مملوك قال عربى انت أم اعجمى قال بل عربى قال ممن اهلك قال من كلب قال من اى كلب قال من بنى عبد ود قال ويحك ابن من أنت قال ابن حارثة بن شرحبيل قال واين أصبت قال فى اخوالى قال ومن اخوالك قال طى قال ما اسم امك قال سعدى فالتزمه وقال ابن حارثة ودعا اباه فقال يا حارثة هذا ابنك فأتاه حارثة فلما نظر اليه عرفه قال كيف صنع مولاك اليك قال يؤثرنى على اهله وولده ورزقت منه حبا فلا أصنع الا ما شئت فركب معه ابوه وعمه وأخوه (وفى رواية) ان ناسا من قومه حجوا فرأوا زيدا فعرفوه وعرفهم فانطلقوا واعلموا أباه ووصفوا له مكانه فجاء ابوه وعمه وقد يقال لا مخالفة لجواز أن يكون اجتماعه بعمه وابيه كان بعد اخبار أولئك الناس فلما جاء أهله فى طلبه ليفدوه خيره النبى صلى الله عليه وسلم بين المكث عنده والرجوع الى اهله فاختار المكث عند رسول الله صلى الله عليه وسلم (فقد ذكر) أنهم لما جاؤا للنبى صلى الله عليه وسلم قالوا يا ابن عبد المطلب يا ابن سيد قومه ○ اى وفى لفظ لما قدم ابوه وعمه فى فدائه سألا عن النبى صلى الله عليه وسلم فقيل هو فى المسجد فدخلا عليه فقالا يا ابن عبد المطلب يا ابن هاشم يا ابن سيد قومه انتم اهل حرم الله وجيرانه تفكون الاسير العانى وتطعمون الجائع جئناك فى ولدنا عندك فامنن علينا وأحسن فى فدائه فانا سندفع لك فقال وما ذاك قال زيد بن حارثة فقال أو غير ذلك قالوا وما هو قال ادعوه فخيروه فان اختاركم فهو لكم من غير فداء وان اختارنى فوالله ما انا بالذى اختار على الذى اختارنى فدا فقالوا ازدت على النصف وفى لفظ زدتنا على النصف وأحسنت فدعاه فقال تعرف هؤلاء قال نعم أبى وعمى ولعل سكوته عن اخيه لاستصغاره بالنسبة لابيه وعمه على أن اكثر الروايات الاقتصار على مجىء ابيه وعمه (وفى كلام السهيلى) أن زيدا لما جاء قال صلى الله عليه وسلم له من هذان فقال هذا ابى حارثة بن شرحبيل وهذا كعب بن شرحبيل عمى فعند ذلك قال صلى الله عليه وسلم له أنا من علمت وقد رأيت صحبتى لك فاخترنى او اخترهما فقال زيد ما انا بالذى أختار عليك احدا أنت منى مكان الاب والام فقالا ويحك يا زيد تختار العبودية على الحرية وعلى ابيك وعمك واهل بيتك قال نعم ما أنا بالذى اختار عليه احدا فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه ما رأى اخرجه الى الحجر اى الذى هو محل جلوس قريش فقال ان زيدا ابنى ارثه ويرثنى فطابت انفسهما وانصرفا (وفى كلام ابن عبد البر) أنه حين تبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم كان سنه ثمان سنين وانه حين تبناه طاف به على حلق قريش يقول هذا ابنى وارثا وموروثا

يجهر فيه اليهود بالزبور واستعدوا اى اليوم الذى يليه يوم السبت فاجمعوا نساءكم وأبناءكم فاذا مال النهار عن شطره فتقربوا الى الله تعالى بركعتين فجمع مصعب بن عمير عند الزوال اى صلى الجمعة بهم واستمر على ذلك حتى قدم النبى صلى الله عليه وسلم وأسلم خلق كثير من الانصار على يد مصعب بن عمير رضى الله عنه بعد ان اشتد عليهم امره فى اول مجيئه وكادوا يقتلونه ثم هداهم الله به روى ابن اسحق ان اسعد بن زرارة رضى الله عنه خرج بمصعب بن عمير رضى الله عنه الى حائط اى بستان من حوائط بنى ظفر فجلسا فيه واجتمع اليهما رجال ممن اسلم وسعد بن معاذ واسيد بن حضير يومئذ سيدا قومهما اى بنى عبد الاشهل وكلاهما مشرك على دين قومه فقال سعد بن معاذ لاسيد بن حضير لا أبالك انطلق بنا الى هذين الرجلين يعنى اسعد بن زرارة ومصعب بن عمير الذين أتيا دارينا تثنية دار وهى المحلة والمراد قبيلتنا وعشيرتنا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما وانههما (وفى رواية) قال له ائت اسعد بن زرارة فازجره ليكف عنا ما نكره فانه بلغنى انه قد جاء بهذا الرجل الغريب يسفه ضعفاءنا فانه لولا أسعد بن زرارة منى حيث علمت لكفيتك ذلك هو ابن خالتى ولا أجد عليه مقدما فأخذ اسيد بن حضير حربته ثم اقبل عليهما فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب بن عمير هذا سيد قومه فاصدق الله فيه فوقف عليهما وقال ما جاء بكما الينا تسفهان ضعفاءنا اعتزلانا ان كان لكما بأنفسكما حاجة (وفى رواية) قال يا أسعد ما لك ولنا تأتينا بهذا الرجل الغريب الوحيد الطريد تسفه به سفهاءنا وضعفاءنا وفى رواية علام أتيتنا فى دورنا بهذا الرجل الغريب الوحيد الطريد يسفه ضعفاءنا بالباطل ويدعوهم اليه فقال له مصعب أو تجلس فتسمع فان رضيت أمرا قبلته وان كرهته كففنا عنك ما تكره اى منعنا عنك ما تكره قال انصفت ثم ركز حربته

وجلس اليهما فكلمه مصعب بالاسلام وقرأ عليه القرآن فقال ما احسن هذا واجمله كيف تصنعون اذا أردتم ان تدخلوا في هذا الدين قالا تغتسل وتتطهر وتغسل ثوبك وتشهد شهادة الحق ثم تركع ركعتين فقام واغتسل وطهر ثوبه وشهد شهادة الحق ثم قام فركع ركعتين وهما صلاة التوبة ثم قال لهما أن ورائي رجلا ان اتبعكما لم يتخلف عنه احد من قومه وسأرسله اليكما الآن وهو سعد بن معاذ ثم اخذ حربته فانصرف الى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم فلما نظر اليه سعد مقبلا قال أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بن حضير بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما وقف على النادي قال له سعد ما فعلت قال كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأسا وقد نهيتهما فقالا نفعل ما أحببت وقد حدثت ان بني حارثة خرجوا الى أسعد بن زرارة ليقتلوه وقد عرفوا أنه ابن خالتك ليخفروك فقام سعد مغضبا مبادرا فأخذ الحربة من يده وقال والله ما أراك أغنيت شيأ ثم خرج اليهما ولما اقبل سعد قال أسعد بن زرارة لمصعب لقد جاءك سعد من وراءه من قومه ان يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان فلما رآهما سعد مطمئنين عرف أن أسيدا انما اراد منه أن يسمع منهما فوقف عليهما متشتما ثم قال لاسعد بن زرارة يا أبا امامة والله لولا ما بيني وبينك من القرابة مارمت هذا مني تغشانا في دارنا بما نكره فقال له مصعب لتقعدن فان رضيت أمرا قبلته وان كرهته عزلنا عنك ما تكره قال سعد أنصفت ثم ركز الحربة وجلس فعرض عليه الاسلام وعرض عليه القرآن فأعجبه ذلك وصار يقول ما احسن هذا ثم قال لهما ما تصنعون اذا أنتم اسلمتم ودخلتم في هذا الدين فقال تغتسل وتطهر ثوبك ثم تشهد شهادة الحق ثم تركع ركعتين فقام واغتسل وطهر ثوبه ثم شهد شهادة الحق ثم ركع ركعتين ثم أخذ حربته فأقبل عامدا الى قومه ومعهم اسيد بن حضير فلما رآه

ويشهدهم على ذلك وكان الرجل في الجاهلية يعاقد الرجل فيقول دمي دمك وهدمي هدمك وثاري ثارك وحربي حربك وسلمي سلمك ترثني وأرثك وتطلب بي وأطلب بك وتعقل عني واعقل عنك فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف اي من حالفه فنسخ ذلك وهذا الذي ذكره ابن عبد البر من أنه صلى الله عليه وسلم حين تبناه كان عمره ثمان سنين يدل على أن ذلك كان عقب ملكه صلى الله عليه وسلم له قبل الوحي وان ذلك كان قبل مجيء ابيه وعمه وحينئذ يكون عتقه وتبنيه بعد مجيء ابيه وعمه اظهارا لما تقدم فليتأمل (وفي أسد الغابة) ان حارثة اسلم وفي كلام بعضهم لم يثبت اسلام حارثة الا المنذري * ولما تبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا كان يقال له زيد بن محمد ولم يذكر في القرآن من الصحابة أحد باسمه الا هو كما سيأتي قال ابن الجوزي الا ما روي في بعض التفاسير أن السجل الذي في قوله تعالى يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب اسم رجل كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ○ اي وقد ابدى السهيلي حكمة لذكر زيد باسمه في القرآن وهي أنه لما نزل قوله تعالى ادعوهم لآبائهم وصار يقال له زيد بن حارثة ولا يقال له زيد بن محمد ونزع منه هذا التشريف شرفه الله تعالى بذكر اسمه في القرآن دون غيره من الصحابة فصار اسمه يتلى في المحاريب ولا يخفى أنه يأتي في زيد ما تقدم في علي ولم تذكر في القرآن امرأة باسمها الا مريم ولزيد اخ اسمه جبلة أسن منه سئل جبلة من اكبر أنت ام زيد فقال زيد اكبر مني وانا ولدت قبله اي لان زيدا أفضل منه لسبقه للاسلام * ثم اسلم من الصحابة ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قال بعضهم في سبب اسلامه انه كان صديقا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر غشيانه في منزله ومحادثته وكان سمع قول ورقة له لما ذهب معه اليه كما تقدم فكان متوقعا لذلك فهو مع حكيم بن حزام في بعض الايام اذ جاءت مولاة لحكيم وقالت له ان عمتك خديجة تزعم في هذا اليوم ان زوجها نبي مرسل مثل موسى فانسل ابو بكر حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن خبره فقص عليه قصته المتضمنة لمجيء الوحي له بالرسالة فقال صدقت بأبي انت وأمي واهل الصدق انت أنا اشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله فيقال انه سماه يومئذ الصديق وهذا السياق ربما يدل على ان اسلام ابي بكر تأخر الى نزول يا أيها المدثر بعد فترة الوحي بناء على ما تقدم وكونه سماه يومئذ الصديق لا ينافي ما سيأتي أنه سمي بذلك صبيحة الاسراء لما صدقه وقد كذبته قريش لجواز أنه لم يشتهر بذلك الا حينئذ (وقد جاء في تفسير قوله تعالى) والذي جاء بالصدق وصدق به ان الذي جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي صدق به أبو بكر قال ولما سمعت

خديجة

خديجة مقالة ابي بكر فخرجت وعليها خمار أحمر فقالت الحمد لله الذى هداك يا ابن ابى قحافة واسمه عبد الله اى سماه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اسمه قبل ذلك عبد الكعبة فابو بكر رضى الله تعالى عنه أول من غير رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه ولقبه عتيق لحسن وجهه أولانه عتق من الذم والعيب ○ اى اونظر اليه صلى الله عليه وسلم فقال هذا عتيق من النار فهو اول لقب وجد فى الاسلام وقيل سمته بذلك امه لانه كان لا يعيش لها ولد فلما ولدته استقبلت به الكعبة ثم قالت اللهم هذا عتيقك من الموت فهبه لى فعاش قيل ويدل له ما ذكر بعضهم أن امه كانت اذا هزته تقول عتيق وما عتيق ذو المنظر الانيق (وفى كلام ابن حجر) الهيثمى وصح أن الملقب له به النبى صلى الله عليه وسلم لما دخل عليه فى بيت عائشة وانه غلب عليه من يومئذ قال وبه يندفع أن الملقب له به ابوه وزعم انه امه هذا كلامه ولينأمل قوله فى بيت عائشة مع ما تقدم وما فى كلام السهيلى قيل وسمى عتيقا الان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له حين اسلم أنت عتيق من النار (وكان ابو بكر) رضى الله تعالى عنه صدرا معظما فى قريش على سعة من المال وكرم الاخلاق من رؤساء قريش ومحط مشورتهم وكان من اعف الناس كان رئيسا مكرما سخيا يبذل المال محببا فى قومه حسن المجالسة وكان من اعلم الناس بتعبير الرؤيا ومن ثم قال ابن سيرين وهو المقدم فى هذا العلم اتفاقا كان ابو بكر أعبر هذه الامة بعد النبى صلى الله عليه وسلم وكان اعلم الناس بانساب العرب فقد جاء عن جبير بن مطعم البالغ النهاية فى ذلك أنه قال انما اخذت النسب من ابى بكر لاسيما انساب قريش فانه كان اعلم قريش بانسابها وبما كان فيها من خير وشر وكان لا يعد مساويهم فمن ثم كان محببا فيهم بخلاف عقيل بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه فانه كان بعد ابى بكر اعلم قريش بانسابها وبآبائها وما فيها من خير وشر لكن كان مبغضا اليهم لانه كان يعد مساويهم وكان عقيل يجلس اليه فى المسجد النبوى لاخذ علم الانساب وايام العرب ووقائعهم (وفى كلام بعضهم) كان ابو بكر عند اهل مكة من خيارهم يستعينون به فيما يأتيهم وكانت له بمكة ضيافات لا يفعلها احد (قال الزمخشرى) واملة كنى بأبى بكر لابتكاره الخصال الحميدة وكان نقش خاتمه نعم القادر الله وكان نقش خاتم عمر رضى الله تعالى عنه كفى بالموت واعظا يا عمر وكان نقش خاتم عثمان آمنت بالله مخلصا وكان نقش خاتم على الملك لله وكان نقش خاتم ابى عبيدة بن الجراح الحمد لله ❊ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما دعوت احدا الى الاسلام الا كانت عنده كبوة اى وقفة وتأخر وتردد الا ما كان من ابى بكر (وفى رواية)

قومه مقبلا قالوا نحلف بالله لقد رجع اليكم سعد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم فلما وقف عليهم قال يا بنى عبد الاشهل كيف تعرفون أمرى فيكم قالوا سيدنا وافضلنا رأيا واعيننا اى وابركنا نفسا وأمرا قال فان كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله قال والله ما أمسى فى دار قبيلة بنى عبد الاشهل رجل ولا امرأة الا مسلما ومسلمة فأسلموا فى يوم واحد كلهم الا ما كان من الاصيرم وهو عمرو بن ثابت من بنى عبد الاشهل فانه تأخر اسلامه الى يوم أحد فأسلم واستشهد رضى الله عنه ولم يسجد لله سجدة واحدة وأخبر عنه صلى الله عليه وسلم أنه من اهل الجنة ثم رجع مصعب الى دار أسعد بن زرارة وأقام عنده يدعو الى الاسلام حتى اسلم الرجال والنساء من الانصار الا جماعة من الاوس لانه كان فيهم أبو قيس وهو صيفى ابن الاسلت وكان شاعرا لهم وكانوا يسمعون منه ويطيعون لانه كان قوالا بالحق معظما قد ترهب فى الجاهلية ولبس المسوح واغتسل من الجنابة ودخل بيتا له واتخذ مسجدا وقال اعبد اله ابراهيم ولا يدخل على فيه حائض ولا جنب فتوقف عن الاسلام ولم يزل على ذلك حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ومضى بدر وأحد والخندق فأسلم وحسن اسلامه وهو شيخ كبير وسبب تأخر اسلامه أنه لما اراد الاسلام عند قدوم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة لقيه عبد الله بن ابى ابن سلول وكلمه بما اغضبه ونفره عن الاسلام وقال ابو قيس ما تبعه الا آخر الناس فلما احتضر ارسل اليه صلى الله عليه وسلم أن قل لا اله الا الله اشفع لك بها عند الله فقالها ثم أن مصعب بن عمير رضى الله عنه رجع الى مكة مع من خرج من المسلمين والانصار الى الموسم ومع قوم حجاج من اهل الشرك حتى قدموا مكة واخبر النبى صلى الله عليه وسلم بمن اسلم فسر بذلك قال كعب بن مالك رضى الله عنه خرجنا مع حجاج

قومنامن المشركين فاجتمعنا بالنبي صلى الله عليه وسلم بمكة ثم خرجنا الى الحج وواعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة
اى أن يوانوه فى الشعب الايمن اذا انحدروا من منى اسفل العقبة حيث المسجد اليوم الذى يقال له مسجد العقبة ومسجد
البيعة وأمرهم صلى الله عليه وسلم ان يأتوا اليه بليل وأن لا ينبهوا نائما ولا ينتظروا غائبا ويكون اتيانهم فى ليلة
اليوم الذى فيه النفر الاول فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التى واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لها وكنا نكتم أمرنا ممن معنا من قومنا من المشركين وكان من جملة المشركين ابو جابر عبد الله بن حرام سيد من ساداتنا فكلمناه وقلنا له يا جابر انك سيد من ساداتنا وشريف من اشرافنا وانا نرغب بك عما انت فيه ان تكون حطبا للنار غدا ثم دعوناه للاسلام فأسلم واخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد معنا العقبة فنمنا تلك الليلة مع قومنا فى رحالنا حتى اذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هدأة من الليل نتسلل الرجل والرجلان تسلل القطا مستخفين حتى اذا اجتمعنا فى الشعب عند العقبة ونحن ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان فلازلنا ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءنا وفى رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سبقهم وانتظرهم وقد يقال لامخالفة لانه يجوز ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم سبقهم وانتظرهم فلما لم يجيئوا
ذهب ثم جاءهم بعد مجيئهم ومعه عمه العباس بن عبد المطلب ليس معه غيره وهو يومئذ على دين قومه الا أنه فقد
احب أن يحضر امر ابن اخيه ويوثق له وهذا لا يخالف ماجاء أنه كان معه ايضا ابو بكر وعلى رضى الله عنهما لان العباس أوقف
عليا على فم الشعب عينا لهم وأوقف ابا بكر على فم الطريق الآخر عينا فلم يكن معه عند مجيئه لهم فى محل مبايعتهم الا العباس رضى

ما كلمت أحدا فى الاسلام الا ابى على وراجعنى فى الكلام الا ابن أبى قحافة فانى لم اكلمه فى شئ الا قبله واستقام عليه ٥ أى ومن ثم كان اسد الصحابة رأيا واكملهم عقلا لخبر تمام أتانى جبريل فقال لى ان الله امرك أن تستشير ابا بكر ونزل فيه وفى عمر وشاورهم فى الامر (كان ابو بكر) رضى الله تعالى عنه بمكان الوزير من رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يشاوره فى اموره كلها وقد جاء ان الله تعالى أيدنى باربعة وزراء اثنين من اهل السماء جبريل وميكائيل واثنين من أهل الارض ابى بكر وعمر وفى حديث رواته ثقات ان الله يكره أن يخطأ أبو بكر (وفى رواية) ان الله يكره فى السماء أن يخطأ أبو بكر الصديق فى الارض ٭ وجاء الحسن بن على وهو صغير الى ابى بكر وهو يخطب على المنبر فقال له انزل عن مجلس ابى فقال مجلس ابيك والله لا مجلس ابى فاجلسه فى حجره وبكى فقال على والله ماهذا عن رأيى فقال والله ما اتهمتك ووقع نظير ذلك لسيدنا عمر رضى الله تعالى عنه مع سيدنا الحسين فانه قال له وهو يخطب انزل عن منبر ابى فقال له منبر ابيك لا منبر ابى من أمرك بهذا فقام على فقال له ما امره بهذا احد ثم قال للحسين لاوجعنك يا غدر فقال لا توجع ابن أخى صدق منبر ابيه قال وسببه مبادرته الى التصديق ما علمه من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم وبراهين صدق دعوته قبل دعوته ولرؤيا رآها قبل ذلك رأى القمر نزل الى مكة فدخل فى كل بيت منه شعبة ثم كان جميعه فى حجره فقصها على بعض اهل الكتاب فعبرها له بانه يتبع النبى المنتظر الذى قد ظل زمانه وانه يكون اسعد الناس به واهل هذا الذى من اهل الكتاب هو بحيرا فقد رأيت ان أبا بكر رضى الله تعالى عنه رأى رؤيا فقصها على بحيرا فقال له ان صدقت رؤياك فانه سيبعث نبى من قومك تكون انت وزيره فى حياته وخليفته بعد مماته اى واخرج أبو نعيم عن بعض الصحابة ان أبا بكر رضى الله تعالى عنه آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم قبل النبوة اى علم أنه النبى المنتظر لما سمع عن بحيرا الراهب ولما سمعه من شيخ عالم من الازد قد قرأ الكتب نزل به فى اليمن فقال له احسبك حرميا فقال ابو بكر نعم فقال له احسبك قرشيا قال نعم فقال له احسبك تيميا قال نعم قال له بقيت لى فيك واحدة قال وماهى قال له تكشف لى عن بطنك فقال له لا أفعل او تخبرنى لم ذلك فقال اجد فى العلم الصحيح الصادق ان نبيا يبعث فى الحرم يعاون على أمره فتى وكهل فأما الفتى فخواض غمرات ودفاع معضلات وأما الكهل فابيض نحيف على بطنه شامة وعلى فخذه اليسرى علامة اى مع كونه حرميا قرشيا تيميا بدليل قوله احسبك حرميا أحسبك قرشيا احسبك تيميا وما عليك أن ترينى ما سألتك

فقد تكاملت فيك الصفة اى كونه حرميا قرشيا تيميا أبيض نحيفا الا ما خفى على فقال ابو بكر فكشفت له عن بطنى فرأى شامة بيضاء أو سوداء فوق سرتى اى ورأى العلامة على الفخذ الايسر فقال أنت هو ورب الكعبة قال ابو بكر فلما قضيت اربى من اليمن أتيته لاودعه فقال احافظ عنى أبياتا من الشعر قلتها فى ذلك النبى قلت نعم فذكرها أبياتا قال ابو بكر فقدمت مكة وقد بعث النبى صلى الله عليه وسلم فجاءنى صناديد قريش كعقبة ابن أبى معيط وشيبة وربيعة وابى جهل وأبى البخترى فقالوا يا ابا بكر يتيم ابى طالب يزعم أنه نبى ولولا انتظارك ما انتظرنا به فاذ قد جئت فأنت الغاية والكفاية اى لان ابا بكر كما تقدم كان صديقا له صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر فصرفتهم على احسن شئ ثم جئته صلى الله عليه وسلم فقرعت عليه الباب فخرج الى وقال لى يا أبا بكر انى رسول الله اليك والى الناس كلهم فآمن بالله فقلت وما دليلك على ذلك قال الشيخ الذى أفادك الابيات فقلت ومن اخبرك بهذا يا حبيبى قال الملك العظيم الذى يأتى الانبياء قبلى قلت مديدك فانا أشهد ان لا اله الا الله وأنك رسول الله قال ابو بكر رضى الله تعالى عنه فانصرفت وما بين لابتيها أشد سرورا من رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامى (وفى لفظ) اشد سرورا منى باسلامى ولا مانع من صدور الامرين منه رضى الله تعالى عنه ويحتاج للجمع بين هذا وبين ما تقدم من انه كان مع حكيم بن حزام يوما الى آخره على تقدير صحة الروايتين وما جاء من شعر حسان رضى الله تعالى عنه من ان أبا بكر أول الناس اسلاما حيث يقول فيه واول الناس منهم صدق الرسلا وأنه صلى الله عليه وسلم سمع ذلك منه ولم ينكره بل قال صدقت يا حسان كما سيأتى عند الكلام على الهجرة وقول بعض الحفاظ ان أبا بكر رضى الله تعالى عنه اول الناس اسلاما هو المشهور عند الجمهور من اهل السنة لا ينافى ما تقدم من ان عليا اول الناس اسلاما بعد خديجة ثم مولاه زيد بن حارثة لان المراد اول رجل بالغ ليس من الموالى اسلم أبو بكر اى وعبارة ابن الصلاح والاورع أن يقال اول من اسلم من الرجال الاحرار اى غير الموالى ابو بكر ومن الصبيان على ومن النساء خديجة ومن الموالى زيد بن حارثة وهذا وما قبله يدل على ان اسلام زيد بن حارثة كان بعد البلوغ والا فلا حاجة لزيادة ليس من الموالى تأمل أو ان مراد من قال ان ابا بكر سبق عليا فى الاسلام اى فى اظهار الاسلام لانه حين اسلم أظهر اسلامه بخلاف على فقد جاء عن على رضى الله تعالى عنه انه قال ان أبا بكر رضى الله تعالى عنه سبقنى الى اربع وعدمنها اظهار الاسلام وقال وانا اخفيته واهله لا ينافى ذلك ما جاء بسند حسن ان اول من جهر بالاسلام عمر بن

الله عنه فلما جلسوا كان العباس رضى الله عنه اول متكلم فقال يا معشر الخزرج والمراد ما يشمل الاوس وكانت العرب تغلب الخزرج على الاوس كثيرا ان محمدا منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فهو فى عز من قومه ومنعة فى بلده وقد أبى الا الانحياز اليكم واللحوق بكم فان كنتم ترون انكم موافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك وان كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج اليكم فمن الآن فدعوه فانه فى عز ومنعة من قومه وبلده فقال البراء بن معرور انا والله لو كان من انفسنا غير ما ننطق به لقلناه ولكنا نريد الوفاء والصدق وبذل مهج انفسنا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية أن العباس رضى الله عنه قال قد ابى محمد الناس كلهم غيركم فان كنتم اهل قوة وجلد وبصيرة بالحرب واستقلال بعداوة العرب قاطبة ترميكم عن قوس واحدة فروّوا رأيكم وائتمروا بينكم ولا تفترقوا الا عن ملا واجتماع فان احسن الحديث أصدقه وقوله قد أبى محمد الناس كلهم ربما يفيد ان الناس غير الانصار وافقوه على مناصرته فاباه ولا يساعد عليه ما تقدم من كونه كان يعرض نفسه على القبائل فلم يجد موافقا غير الانصار واجيب بأن المراد لم يجد موافقا كل الموافقة غير الانصار وهذا لا ينافى أنه وجد من يوافق فى بعض الاشياء دون بعض فلم يقبلهم كبنى شيبان بن ثعلبة فانهم كما تقدم قالوا ننصرك مما يلى مياه العرب دون ما يلى مياه كسرى وقيل المراد بالناس اهله وعشيرته وعند ما تكلم العباس رضى الله عنه بما ذكر قالوا له قد سمعنا مقالتك فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما احببت وفى رواية خذ لنفسك ما شئت فقال النبى صلى الله عليه وسلم أمرى لربى عز وجل أن تعبدوه ولا تشركوا به شيأ ولنفسى ان تمنعونى مما تمنعون به انفسكم وابناءكم قال ابن رواحة فاذا فعلنا فما لنا قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل وفي رواية وتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا القرآن ودعا الى الله تعالى ورغب في الاسلام فقال أبايعكم على ان تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وابناءكم وقيل لما قالوا له نبايعك قال تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل ٣٦٨ والنفقة في العسر واليسر وعلى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وان لا تخافوا في الله لومة لائم وعلى أن تنصروني فتمنعوني اذا قدمت عليكم مما تمنعون منه انفسكم وازواجكم وابناءكم ولكم الجنة فأخذ البراء بن معرور بيده صلى الله عليه وسلم وقال نعم والذي بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع به ازرنا اي نساءنا وانفسنا لان العرب تكني بالازار عن المرأة وعن النفس فنحن والله أهل الحرب واهل الحلقة اي السلاح ورثناها كابرا عن كابر وبينا البراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال ابو الهيثم بن التيهان نقبله على مصيبة المال وقتل الاشراف فقال العباس رضي الله عنه اخفوا جرسكم اي صوتكم فان علينا عيونا ثم قال ابو الهيثم ان بيننا وبين الرجال يعني اليهود حبالا اي عهودا وانا قاطعوها فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم اظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم الدم والهدم الهدم أي دمي دمكم اي تطلبون بدمي واطلب بدمكم فدمي ودمكم واحد وفي رواية بل الدم اللدم وهو بالتحريك الحرم من القرابات اي حرمي حرمكم تقول العرب اذا أرادت تأكيد المحالفة هدمي هدمكم اي اذا اهدر دم الدم اهدرته وذمتي ذمتكم ورحلتي رحلتكم أنا منكم وانتم مني احارب من حاربتم وأسالم من سالمتم فعند ذلك قال لهم العباس رضي الله عنه عليكم بما ذكرتم ذمة الله مع ذمتكم وعهد الله مع عهدكم في هذا الشهر الحرام والبلد الحرام يد الله فوق ايديكم لتجدن في نصرته ولتشدن أزره

الخطاب لان ذلك كان عند اختفائه صلى الله عليه وسلم هو واصحابه في دار الارقم كما سيأتي فالاولية في اظهار الاسلام اضافية (قال ابن كثير) وورد عن علي رضي الله تعالى عنه انه قال انا اول من اسلم ولا يصح اسناد ذلك اليه قال وقد روي في هذا المعنى احاديث أوردها ابن عساكر كثيرة منكرة كلها لا يصح شيء منها هذا كلامه وعلى تقدير صحتها مراده أول من اسلم من الصبيان فالاولية اضافية ومما يؤثر عن علي رضي الله تعالى عنه لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل ويؤخر التوبة لطول الامل يحب الصالحين ولا يعمل بأعمالهم البشاشة فخ المودة والصبر قبر العيوب والغالب بالظلم مغلوب العجب ممن يدعو ويستبطئ الاجابة وقد سد طرقها بالمعاصي (واول من اسلم من النساء بعد خديجة) رضي الله تعالى عنها ام الفضل زوج العباس وأسماء بنت ابي بكر وأم جميل فاطمة بنت الخطاب اخت عمر ابن الخطاب وينبغي أن تكون ام ايمن سابقة في الاسلام على ام الفضل على ماتقدم وقول السراج البلقيني موافقة للزين العراقي ان اول رجل اسلم ورقة بن نوفل لقوله للنبي صلى الله عليه وسلم أنا اشهد انك الذي بشر بك عيسى بن مريم وانك على مثل ناموس موسى وانك نبي مرسل قد علمت مافيه وانه انما كان من اهل الفترة كما صرح به الحافظ الذهبي وهو يرد القول المتقدم بأن وفاة ورقة تأخرت عن البعثة فورقة ونحوه كبحيرا ونسطورا من اهل الفترة لا من أهل الاسلام ويؤيده ماتقدم انه باجماع المسلمين لم يتقدم خديجة في الاسلام لا رجل ولا امرأة لكن هؤلاء من القسم الذي تمسك بدين قبل نسخه وآمن وصدق بانه صلى الله عليه وسلم الرسول المنتظر وذلك نافع له في الآخرة ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم لما توفي ورقة لقد رأيت القس يعني ورقة في الجنة وعليه ثياب الحرير لانه آمن بي وصدقني الى آخر ماتقدم وعلى تسليم انه لا يشترط في المسلم أن يؤمن ويصدق برسالته صلى الله عليه وسلم بعد وجودها بل يكفي ولو قبل ذلك فليس ورقة بصحابي لان الصحابي من اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد الرسالة مؤمنا بما جاء به عن الله تعالى اي محكوما بايمانه ومن ثم رد الحافظ الذهبي على ابن منده اي ومن وافقه كالزين العراقي في عده له من الصحابة اي كما عدمنهم بحيرا ونسطورا بقوله الاظهر أن من مات بعد النبوة وقبل الرسالة فهو من أهل الفترة هذا كلام الحافظ الذهبي والمراد بالرسالة نزول يا ايها المدثر لا اظهارها ونزول قوله تعالى فاصدع بما تؤمر بناء على تأخر الرسالة عن النبوة (وحين اسلم ابو بكر) رضي الله تعالى عنه دعا الى الله تعالى والى رسوله صلى الله عليه وسلم من وثق به من قومه فأسلم بدعائه عثمان بن عفان بن ابي العاص بن امية بن عبد شمس اي ولما اسلم عثمان رضي الله تعالى عنه

قالوا جميعا نعم قال العباس اللهم انك سامع شاهد وان ابن أخي قد استرعاهم ذمته واستحفظهم نفسه اللهم كن لابن اخي شهيدا
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم أخرجوا الى منكم اثني عشر نقيبا يكونون على قومهم بما فيهم فاخرجوا تسعة من
الخزرج وثلاثة من الاوس وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم قال لهم ان موسى أخرج من بني اسرائيل اثني عشر
نقيبا فلا يجد أحد في نفسه أن
يؤخذ غيره فانما يختار لي جبريل
اي لانه حضر البيعة ثم عينهم وهم
سعد بن عبادة واسعد بن زرارة
وسعد بن الربيع وسعد بن خيثمة
والمنذر بن عمرو وعبد الله بن
رواحة والبراء بن معرور وأبو
الهيثم بن التيهان وأسيد بن حضير
وعبد الله بن عمرو بن حرام وعبادة
ابن الصامت ورافع بن مالك كل
واحد من قبيلة ثم قال لاولئك
النقباء أنتم كفلاء على غيركم
ككفالة الحواريين لعيسى بن
مريم عليه السلام وأنا كفيل
على قومي يعني المهاجرين وقيل
ان الذي تكلم وشد العقد عباس
ابن عبادة بن نضلة قال يا معشر
الخزرج هل تدرون علام
تبايعون هذا الرجل انكم
تبايعونه على حرب الاحمر والاسود
من الناس اي على من حاربه منهم
والا فهو صلى الله عليه وسلم لم
يؤذن له في البداءة بالمحاربة الا بعد
ان هاجر الى المدينة وكان قبل
ذلك مأمورا بالدعاء الى الله تعالى
والصبر على الأذى والصفح عن
الجاهل وقيل الذي تكلم وشد
العقد اسعد بن زرارة وهو من
 أصغر الانصار ولا مخالفة بين الاقوال لان كل واحد من أولئك السادة تكلم بما يقوى البيعة ثم
اتفقوا على جميع ذلك وقالوا يا رسول الله ما لنا ان نحن وفينا قال رضوان الله والجنة قالوا رضينا ابسط يدك فبايعوه واول من
بايعه البراء بن معرور وقيل أسعد بن زرارة وقيل ابو الهيثم بن التيهان ثم بايعه السبعون وبايعه المرأتان من غير مصافحة لانه صلى

أخذه عمه الحكم بن أبي العاص بن أمية والد مروان فأوثقه كتافا وقال ترغب عن ملة
آبائك الى دين محمد والله لا أحلك أبدا حتى تدع ما أنت عليه فقال عثمان والله لا أدعه
أبدا ولا أفارقه فلما رأى الحكم صلابته في الحق تركه وقيل عذبه بالدخان ليرجع فما رجع
(وفي كلام ابن الجوزي) أن المعذب بالدخان ليرجع عن الاسلام الزبير بن العوام هذا
كلامه ولا مانع من تعدد ذلك * وجاء لكل نبي رفيق في الجنة ورفيقي فيها عثمان بن عفان
(وأسلم بدعاء أبي بكر أيضا الزبير بن العوام) رضي الله تعالى عنه وكان عمره ثمان سنين
على ما تقدم وعبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه اي وكان اسمه في الجاهلية عبد
عمرو وقيل عبد الكعبة وقيل عبد الحرث فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن
قال وكان أمية بن خلف لي صديقا فقال لي يوما أرغبت عن اسم سماك به ابواك فقلت
نعم فقال لي اني لا أعرف الرحمن ولكن أسميك بعبد الاله فكان يناديني بذلك قال وسبب
اسلام عبد الرحمن بن عوف ما حدث به قال سافرت الى اليمن غير مرة وكنت اذا قدمت
نزلت على عسكلان بن عواكف الحميري فكان يسألني هل ظهر فيكم رجل له نبأ له ذكر هل
خالف أحد منكم عليكم في دينكم فأقول لا حتى كان السنة التي بعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم قدمت اليمن فنزلت عليه الى آخر القصة وعن علي رضي الله تعالى عنه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعبد الرحمن بن عوف أنت أمين في أهل الارض أمين
في أهل السماء وجاء أنه وصفه بالصادق الصالح البار وأسلم بدعاية أبي بكر رضي الله
تعالى عنه أيضا سعد بن أبي وقاص اي فان ابا بكر لما دعاه الى الاسلام لم يسعد وأتى النبي
صلى الله عليه وسلم فسأله عن أمره فأخبره ○ فأسلم وكان عمره تسع عشرة سنة وهو
رضي الله تعالى عنه من بني زهرة ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم وقد أقبل عليه سعد خالي
فليرني امرؤ خاله (وفي كلام السهيلي) أنه عم آمنة بنت وهب ام النبي صلى الله عليه وسلم
وكرهت أمه اسلامه وكان بارا بها فقالت له ألست تزعم ان الله يأمرك بصلة الرحم وبر
الوالدين قال فقلت نعم فقالت والله لا آكل طعاما ولا أشرب شرابا حتى تكفر بما جاء به
محمد اي وتمس اسافا ونائلة فكانوا يفتحون افواهها يلقون فيه الطعام والشراب فأنزل الله
تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما
الآية وفي رواية انها مكثت يوما وليلة لا تأكل فأصبحت وقد جهدت ثم مكثت يوما وليلة
لا تأكل ولا تشرب قال سعد فلما رأيت ذلك قلت لها تعلمين والله يا أمه لو كانت لك مائة
نفس تخرج نفسا نفسا ما تركت ديني هذا النبي صلى الله عليه وسلم فكلي ان شئت

الله عليه وسلم كان لا يصافح النساء انما كان يأخذ عليهن فاذا أحرزن قال اذهبن فقد بايعتكن وكانت هذه البيعة على حرب الاسود والاحمر اى العرب والعجم فهؤلاء الثلاثة الذين بايعوه اولا لم يتقدم عليهم أحد غيرهم وحينئذ تكون الاولية فيهم حقيقية واضافية وقيل ان أبا الهيثم ٣٧٠ بن التيهان قال أبايعك يارسول الله على ما بايع عليه الاثنا عشرة نقيبا من بنى اسرائيل موسى بن عمران عليه السلام وان عبد الله بن رواحة قال أبايعك يارسول الله على ما بايع عليه الاثنا عشر نقيبا من الحواريين عيسى بن مريم عليه السلام فقال أسعد بن زرارة أبايع الله عز وجل يارسول الله وأبايعك على ان أتم عهدى بوفائى واصدق قولى بفعلى فى نصرك وقال النعمان بن حارثة أبايع الله يارسول الله وأبايعك على الاقدام فى أمر الله عز وجل لا أرأف فيه القريب ولا البعيد اى لا أعامل بالرأفة والرحمة وقال عبادة بن الصامت أبايعك يارسول الله على على ان لا تأخذنى فى الله لومة لائم وقال سعد بن الربيع أبايع الله وأبايعك يارسول الله على ان لا أعصى لكما أمرا ولا أكذبك حديثا فلما تمت البيعة وهى بيعة العقبة الثالثة صرخ الشيطان من رأس العقبة بأشد صوت وابعده يا أهل الجباجب وهى منازل منى وفى رواية يا أهل الاخاشب هل لكم فى مذمم والصباة يعنى بمذمم محمدا وبالصباة من تابعه فانهم قد أجمعوا اى عزموا على حربكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أزب العقبة بفتح الهمزة وفتح الزاى وتشديد الباء الموحدة اى شيطان يسمى بهذا الاسم المطلب اسمع اى عدو الله أما والله لافرغن لك ثم هرب وعند ذلك قال لهم النبى صلى الله عليه وسلم انفضوا الى رحالكم وفى رواية لما بايع الانصار بالعقبة صاح الشيطان من رأس الجبل يا معشر قريش هذه بنو الاوس والخزرج تحالف على قتالكم ففزع

أولا تأكلى فلما رأت ذلك أكلت (وفى الانساب للبلاذرى) عن سعد قال أخبرت أمى أنى كنت أصلى العصر اى الركعتين اللتين كانوا يصلونهما بالعشى فجئت فوجدتها على بابها تصيح الاعوان يعينونى عليه من عشيرتى أو عشيرته فأحبسه فى بيت واطبق عليه بابه حتى يموت أو يدع هذا الدين المحدث فرجعت من حيث جئت وقلت لا أعود اليك ولا أقرب منزلك فهجرتها حينا ثم أرسلت الى أن عد الى منزلك ولا تتضيفن فيلزمنا عار فرجعت الى منزلى فمرة تلقانى بالبشر ومرة تلقانى بالشر وتعيرنى بأخى عامر وتقول هو البر لا يفارق دينه ولا يكون تابعا فلما اسلم عامر لقى منها ما لم يلق أحد من الصياح والاذى حتى هاجر الى الحبشة ولقد جئت والناس مجتمعون على أمى وعلى أخى عامر فقلت ما شأن الناس فقالوا هذه أمك قد أخذت أخاك عامرا وهى تعطى الله عهدا لا يظلها نخل ولا تأكل طعاما ولا تشرب شرابا حتى يدع صبأته فقلت لها والله يا أمه لا تستظلين ولا تأكلين ولا تشربين حتى تتبوئى مقعدك من النار وجاء انه صلى الله عليه وسلم أمر سعد بن ابى وقاص ان يأتى الحرث بن كلدة طبيب العرب ليستوصفه فى مرض نزل بسعد وكان ذلك فى حجة الوداع فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوده عبد الرحمن بن عوف لمرض نزل به فوجد عنده الحرث فقال النبى صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن انى لارجو ان يشفيك الله حتى يضر بك قوم وينتفع بك آخرون ثم قال للحرث بن كلدة عالج سعدا مما به وكان سعد بالمجلس فقال والله انى لارجو شفاءه فيما ينفعه من رحله هل معك من هذه الثمرة العجوة شئ قال نعم فخلط ذلك الثمر بحلبة ثم أوسعها سمنا ثم أحساه اياها فكأنما انشط من عقال وهذا استدل به على اسلام الحرث بن كلدة لان حجة الوداع لم يحج فيها مشرك فهو معدود من الصحابة وأنكر بعضهم اسلامه وجعله دليلا على جواز استشارة أهل الكفر فى الطب اذا كانوا من أهله وممن أسلم بدعاية أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه أيضا طلحة بن عبيد الله التيمى فجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استجاب له فأسلم اى ولما تظاهر أبو بكر وطلحة بالاسلام أخذهما نوفل بن العدوية وكان يدعى أسد قريش فشدهما فى حبل واحد ولم يمنعهما بنو تيم ولذلك سمى ابو بكر وطلحة القرينين ولشدة ابن العدوية وقوة شكيمته كان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اكفنا شر ابن العدوية (أقول) سبب اسلام طلحة بن عبيد الله رضى الله تعالى عنه ما تقدم انه قال حضرت سوق بصرى فاذا راهب فى صومعته يقول سلوا أهل هذا الموسم هل ثم من أهل الحرم أحد فقلت نعم انا قال هل ظهر احمد بعد قلت ومن أحمد قال ابن عبد الله بن عبد

المطلب هذا شهره الذى يخرج فيه وهو آخر الانبياء مخرجه من الحرم ومهاجره الى أرض ذات نخل وسباخ فاياك أن تسبق اليه قال طلحة فوقع فى قلبى ما قال فخرجت سريعا حتى قدمت مكة فقلت هل كان من حدث قالوا نعم محمد بن عبد الله الامين يدعو الى الله وقد تبعه ابن أبى قحافة فخرجت حتى دخلت على أبى بكر رضى الله تعالى عنه فأخبرته بما قال الراهب فخرج أبو بكر حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فسر بذلك وأسلم طلحة وطلحة هذا هو أحد العشرة المبشرين بالجنة وقد شاركه رجل آخر فى اسمه واسم أبيه ونسبه وهو طلحة بن عبيد الله التيمى وهو الذى نزل فيه قوله تعالى وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه الآية لانه قال لئن مات محمد رسول الله لاتزوجن عائشة وفى لفظ يتزوج محمد بنات عمنا ويحجبهن عنا لئن مات لاتزوجن عائشة من بعده فنزلت الآية قال الحافظ السيوطى وقد كنت فى وقفة شديدة من صحة هذا الخبر لان طلحة احد العشرة أجل مقاما من أن يصدر عنه ذلك حتى رأيت أنه رجل آخر شاركه فى اسمه واسم أبيه ونسبه هذا كلامه والحاصل ان أبا بكر أسلم على يده خمسة من العشرة المبشرين بالجنة وهم عثمان وطلحة بن عبيد الله ويقال له طلحة الفياض وطلحة الجود والزبير وسعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف وزاد بعضهم سادسا وهو أبو عبيدة بن الجراح وكان كل من أبى بكر وعثمان بن عفان وعبد الرحمن ابن عوف وطلحة بزازا وكان الزبير جزارا وكان سعد بن أبى وقاص يصنع النبل والله أعلم ثم دخل الناس فى الاسلام ارسالا من الرجال والنساء وذكر فى الاصل جماعة من السابقين للاسلام منهم عبد الله بن مسعود وان سبب اسلامه ما حدث به قال كنت فى غنم لآل عقبة بن أبى معيط فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر بن أبى قحافة فقال النبى صلى الله عليه وسلم هل عندك لبن فقلت نعم ولكنى مؤتمن قال هل عندك من شاة لم ينز عليها الفحل قلت نعم فأتيته بشاة شصوص لاضرع لها فمسح النبى صلى الله عليه وسلم مكان الضرع فاذا ضرع حافل مملوء لبنا كذا فى الاصل وفى الصحاح كما فى النهاية الشصوص التى ذهب لبنها وحينئذ يكون قول الاصل لاضرع لها اى لا لبن لها ويدل لذلك قول ابن حجر الهيتمى فى شرح الاربعين فمسح ضرعها وقول ابن مسعود فمسح مكان الضرع اى محل اللبن فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم بصخرة منقورة فاحتلب النبى صلى الله عليه وسلم فسقى أبا بكر وسقانى ثم شرب ثم قال للضرع اقلص فرجع كما كان اى لا وجود له على ظاهر ما فى الاصل او لا لبن فيه على ما فى النهاية كالصحاح والى ذلك أشار الامام السبكى فى تائيته بقوله

عند ذلك الانصار الذين كانوا يبايعون النبى صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يروعكم هذا الصوت انما هو عدو الله ابليس وليس يسمعه أحد مما تخافون ولا مانع من اجتماع صراخ أزب العقبة وصراخ ابليس الذى هو أبو الجن ويجوز ان يكون المراد بعدو الله ابليس أزب العقبة لانه من الابالسة وانه أتى باللفظين معا وقد حضر البيعة جبريل عليه السلام كما تقدم فعن حارثة بن النعمان قال لما فرغوا من المبايعة قلت يا نبى الله لقد رأيت رجلا عليه ثياب بيض أنكرته قائما على يمينك قال وقد رأيته قلت نعم قال ذاك جبريل عليه السلام ثم ان الحديث نما وسمع المشركون بذلك من قريش وغيرهم وفى كتاب الشريعة ان الشيطان لما نادى بما ذكر شبه صوته بصوت منبه بن الحجاج قال عمرو بن العاص فأتانا أبو جهل فذهبت أنا وهو الى عتبة بن ربيعة فأخبرته بصوت منبه بن الحجاج فلم يرعه ما راعنا فقال هل أتاكم فأخبركم بهذا منبه قلنا لا قال ابليس الكذاب ولا ينافى سماع عمرو وابى جهل صوت ابليس قوله صلى الله عليه وسلم ليس يسمعه احد مما تخافون لان سماعهما لم يحصل منه خوف لهم وعند فشو الخبر جاء اجلتهم واشرافهم حتى دخلوا شعب الانصار فقالوا يا معشر الاوس والخزرج بلغنا انكم جئتم الى صاحبنا هذا تخرجوه من بين اظهرنا وتبايعوه على حربنا والله ما من حى ابغض الينا من ان تنشب الحرب بيننا وبينه منكم فصار مشركو الاوس والخزرج يحلفون لهم ما كان من هذا شئ وكل واحد يقول لهم وما كان قومى ليفتاتوا على بمثل هذا لو كنت بيثرب ما صنع قومى هذا حتى يؤامرونى وصدقوا لانهم لا يعلمون كما علم مما تقدم ونفر الناس من منى وبحثت قريش عن خبر الانصار فوجدوه حقا فلما تحققوا الخبر اقتفوا آثارهم فلم يدركوا الا سعد بن عبادة والمنذر بن سعد

فاما سعد فمسك وعذب فى الله واما المنذر فأفلت ثم انقذ الله سعدا من أيدى المشركين روى عنه رضى الله عنه انه قال لما ظفروا بى ربطوا يدى فى عنق ولازالوا يلطمونى على وجهى ويجذبونى حتى ادخلونى مكة فأوى الى رجل وهو ابو البخترى بن هشام مات كافرا وقال ويحك اما بينك وبين احد من قريش جوار ولا عهد قلت بلى كنت اجير لجبير بن مطعم جاره وامنعهم ممن اراد ظلمهم ببلادى وللحرث بن حرب بن امية وهو اخو ابى سفيان فقال ويحك فاهتف باسم الرجلين ففعلت فخرج ذلك الرجل اليهما فوجدهما فى المسجد فقال لهما ان رجلا من الخزرج يضرب بالابطح يهتف باسمكما فقالا من هو فقال يقال انه سعد ابن عبادة فجاآ فخلصاه من ايديهم وعن سعد بن عبادة رضى الله عنه قال بينا انا مع القوم اضرب اذ طلع على رجل ابيض وضئ زائد الحسن فقلت فى نفسى ان يكن عند أحد من القوم خير فعند هذا فلما دنا منى رفع يده فلطمنى لطمة شديدة فقلت فى نفسى والله ما عندهم بعد هذا خير وهذا الرجل هو سهل بن عمرو رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك فلما قدم الانصار المدينة أظهروا الاسلام اظهارا كليا وتجاهروا والا فقد تقدم أن الاسلام فشا فيهم قبل قدومهم لهذه البيعة وكان عمرو بن الجموح من سادات بنى سلمة بكسر اللام واشرافهم ولم يكن أسلم وكان ممن اسلم ولده معاذ بن عمرو وكان لعمرو فى داره صنم من خشب يقال له مناة لان الدماء كانت تمنى اى تصب عنده تقربا اليه وكان يعظمه فكان فتيان قومه ممن أسلم كمعاذ بن جبل بخير وولده عمرو بن معاذ ومعاذ بن عمرو يدلجون بالليل على ذلك الصنم فيطرحونه فى بعض الحفر الذى فيها عذرة الناس منكسا بعد اخراجه من داره فاذا اصبح عمرو قال ويلكم من عدا على مناة هذه الليلة ثم يعود يلتمسه حتى اذا وجده غسله فاذا غسله غدوا

ورب عناق مانزا الفحل فوقها * مسحت عليها باليمين فدرت

قال ابن مسعود فلما رأيت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت يا رسول الله علمنى صحح رأسى وقال بارك الله فيك فانك غلام معلم اقول فان قيل قول ابن مسعود ولكنى مؤتمن وعدوله صلى الله عليه وسلم عن ذات اللبن الى غيرها يخالف ما سيأتى فى حديث المعراج والهجرة ان العادة كانت جارية باباحة مثل ذلك اللبن لابن السبيل اذا احتاج الى ذلك فكان كل راع مأذونا له فى ذلك واذا كان ذلك أمر استمرار فاشتهر وايبعد خفاؤه قلنا قد يقال لا مخالفة لان ابن السبيل المسافر وجاز ان يكون النبى صلى الله عليه وسلم وابو بكر رضى الله تعالى عنه لم يكونا مسافرين لجواز ان يكون تلك الغنم التى كان فيها ابن مسعود ببعض نواحى مكة القريبة منها التى لا يعد قاصدها مسافرا ولعله لا ينافى ذلك ما سيأتى ان من خصائصه صلى الله عليه وسلم ابيح له أخذ الطعام والشراب من مالكهما المحتاج اليهما اذا احتاج صلى الله عليه وسلم اليهما وانه يجب على مالكهما بذل ذلك له وكان عبد الله بن مسعود يعرف بأمه وهى أم عبد وكان قصيرا جدا طوله نحو ذراع خفيف اللحم ولما ضحكت الصحابة رضى الله تعالى عنهم من دقة رجليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل عبد الله فى الميزان اثقل من احد وقال صلى الله عليه وسلم فى حقه رضيت لامتى ما رضى لها ابن ام عبد وسخطت لها ما سخط لها ابن أم عبد وقوله لرجل عبد الله فى الميزان يدل للقول بأن الموزون الانسان نفسه لا عمله وكان صلى الله عليه وسلم يكرمه ويدنيه ولا يحجبه فلذلك كان كثير الولوج عليه صلى الله عليه وسلم وكان يمشى امامه صلى الله عليه وسلم ومعه ويستره اذا اغتسل ويوقظه اذا نام ويلبسه نعليه اذا قام فاذا جلس ادخلهما فى ذراعيه ولذلك كان مشهورا بين الصحابة رضى الله تعالى عنهم بأنه صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم وبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ولم اقف على انه اسلم حين احتلب الشاة لكن قول العلامة ابن حجر الهيتمى فى شرح الاربعين اسلم قديما بمكة لما مر به صلى الله عليه وسلم وهو يرعى غنما الى آخره يدل على انه اسلم حينئذ ومما يؤثر عنه الدنيا كلها هموم فما كان فيها من سرور فهو ربح والله اعلم وذكر فى الاصل ان من السابقين اباذر الغفارى واسمه جندب بن جنادة بضم الجيم فيهما قال وسبب اسلامه ما حدث به قال صليت قبل ان القى النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين لله اتوجه حيث يوجهنى ربى فبلغنا ان رجلا خرج بمكة يزعم انه نبى فقلت لاخى انيس انطلق الى هذا الرجل فكلمه وأتنى بخبره فلما جاء انيس قلت له ما عندك فقال والله رأيت رجلا يأمر

عليه وفعلوا به مثل ذلك فغسله وطيبه مرة ثم جاء بسيف وعلقه في عنقه ثم قال ما أعلم من يصنع بك فان كان فيك خير فاصنع فهذا السيف معك فلما أمسى عدوا عليه وأخذوا السيف من عنقه ثم أخذوا كلبا ميتا فقرنوه به بحبل ثم ألقوه في بئر من آبار بني سلمة فيها نحو الناس فلما أصبح عمرو غدا اليه فلم يجده ثم طلبه الى أن وجده في تلك البئر فلما رآه كذلك رجع عقله وكلم من أسلم من قومه فأسلم رضي الله عنه وحسن اسلامه وأنشد ابياتا منها

والله لو كنت الها لم تكن
أنت وكلب وسط بئر في قرن

(اي حبل) وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان معه من المسلمين بالهجرة الى المدينة لان قريشا لما علمت انه صلى الله عليه وسلم أوى اي استند الى قوم أهل حرب ونجدة ضيقوا على اصحابه ونالوا منهم مالم يكونوا ينالونه من الشتم والاذى وجعل البلاء يشتد عليهم وصاروا ما بين مفتون في دينه وبين معذب في أيديهم وبين هارب في البلاد وشكوا اليه صلى الله عليه وسلم واستأذنوه في الهجرة فمكث أياما لا يأذن ثم قال أريت دار هجرتكم اريت سبخة ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان ولو كانت السراة ارض نخل وسباخ لقلت هي هي والسراة بفتح السين أعظم جبال العرب ثم خرج صلى الله عليه وسلم اليهم مسرورا وقال قد أخبرت بدار هجرتكم وهي يثرب فاذن حينئذ وقال من اراد ان يخرج فليخرج اليها فخرجوا اليها ارسالا اي متتابعين يخفون ذلك وفي رواية أريت في المنام اني هاجرت من مكة الى ارض بها نخل فذهب وهلي اي وهمي الى انها اليمامة او هجر فاذا هي المدينة يثرب ولعله انسي قول جبريل ليلة الاسرا صليت بطيبة واليها المهاجرة ثم تذكره بعد ذلك في قوله قد اخبرت بدار هجرتكم وقبل الهجرة آخى صلى الله عليه وسلم بين المسلمين من المهاجرين على المواساة والحق فآخى بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وآخى بين حمزة وزيد بن

بخير وينهى عن الشر وفي رواية رأيتك على دينه يزعم ان الله ارسله ورايته يأمر بمكارم الاخلاق قلت فما يقول الناس فيه قال يقولون شاعر كاهن ساحر والله انه لصادق وانهم لكاذبون فقلت اكفني حتى أذهب فانظر قال نعم وكن على حذر من أهل مكة فحملت جرابا وعصا ثم اقبلت حتى أتيت مكة فجعلت لا اعرفه واكره ان أسأل عنه فكنت في المسجد ثلاثين ليلة ويوما وما كان لي طعام الا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت عكن بطني وما وجدت على بطني سخفة جوع والسخفة بالتحريك قيل حرارة يجدها الانسان من الجوع فبي ليلة لم يطف بالبيت أحد واذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه جاآ فطافا بالبيت ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قضى صلاته اتيته فقلت السلام عليك يا رسول الله أشهد ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فرأيت الاستبشار في وجهه ثم قال من الرجل قلت من غفار بكسر المعجمة قال متى كنت قال كنت من ثلاثين ليلة ويوم ههنا قال فمن كان يطعمك قلت ما كان لي طعام الا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت عكن بطني وما أجد على بطني سخفة جوع قال مباركة انها طعام طعم وشفاء سقم اي وجاء ماء زمزم لما شرب له ان شربته لتشفى شفاك الله وان شربته لتشبع أشبعك الله وان شربته لتقطع ظمأك قطعه الله وهي همزة جبريل وسقيا الله اسمعيل وجاء التضلع من ماء زمزم براءة من النفاق وجاء آية ما بيننا وبين المنافقين انهم لا يتضلعون من ماء زمزم وذكر ان أبا ذر اول من قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك التي هي تحية الاسلام فهو اول من حيا رسول الله صلى الله عليه وسلم بتحية الاسلام وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يأخذه في الله لومة لائم وعلى ان يقول الحق ولو كان مرا ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أظلت الخضراء اي السماء ولا أقلت الغبراء اي الارض أصدق من ابي ذر وقال صلى الله عليه وسلم في حقه أبو ذر يمشي في الارض على زهد عيسى بن مريم وفي الحديث أبو ذر ازهد أمتي واصدقها وقد هاجر أبو ذر الى الشام بعد وفاة أبي بكر واستمر بها الى ان ولي عثمان فاستقدمه من الشام لشكوى معاوية منه واسكنه الربذة فكان بها حتى مات فان ابا ذر صار يغلظ القول لمعاوية ويكلمه بالكلام الخشن (وعن ابن عباس) رضي الله تعالى عنهما ان لقيا ابي ذر لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان بدلالة علي رضي الله تعالى عنه وانه قال له ما اقدمك هذه البلدة فقال له ابو ذر ان كتمت علي أخبرتك وفي رواية ان أعطيتني عهدا وميثاقا ان ترشدني اخبرتك ففعل قال ابو ذر فأخبرته فأرشدني وأوصلني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلمت

حارثة رضى الله عنهما وبين عثمان وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما وبين الزبير وابن مسعود رضى الله عنهما وبين عبادة ابن الحرث وبلال رضى الله عنهما وبين مصعب بن عمير وسعد بن أبى وقاص رضى الله عنهما وبين أبى عبادة وسالم مولى أبى حذيفة رضى الله عنهما وبين سعيد بن زيد وطلحة بن عبيد الله رضى الله عنهما وبين على بن أبى طالب ونفسه صلى الله عليه وسلم وقال أما ترضى ان أكون أخاك قال بلى يارسول الله رضيت قال فأنت أخى فى الدنيا والآخرة وأنكر ابن تيمية مواخاة المهاجرين بعضهم بعضا قال والمواخاة انما هى بين المهاجرين والانصار قال ولا معنى لمواخاة مهاجرى لمهاجرى لان المواخاة انما شرعت لارفاق بعضهم ببعض قال الحافظ ابن حجر وهذا رد للنص بالقياس والحكمة فى مواخاة المهاجرين ان بعضهم كان أقوى من بعض فى المال والعشيرة فآخى بين الاعلى والادنى ليرتفق الادنى بالاعلى وبهذا ظهر مواخاته صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه لانه صلى الله عليه وسلم كان هو الذى يقوم بأمره قبل البعثة وبعدها وفى الصحيح أن زيد بن حارثة قال ان بنت حمزة بنت أخى اى بسبب المواخاة وكان أول من هاجر منهم الى المدينة أبو سلمة واسمه عبد الله ابن عبد الاسد المخزومى زوج أم سلمة قبل النبى صلى الله عليه وسلم وهو أخوه صلى الله عليه وسلم من الرضاع وابن عمته وهو أول من يدعى للحساب اليسير لانه لما قدم من الحبشة لمكة آذاه أهلها وأراد الرجوع الى الحبشة فلما بلغه اسلام من أسلم من الانصار وهم الاثنا عشر الذين بايعوا البيعة الاولى خرج اليهم وقدم المدينة بكرة النهار ولما عزم على الرحيل رحل بعيره وحمل عليه ام سلمة وابنها سلمة فى حجرها وخرج يقود البعير فرآه رجال من قوم أم سلمة وهم أقرب منه اليها فقاموا اليه وقالوا له يا أبا سلمة قد غلبتنا على نفسك فصاحبتنا

وفى الامتاع ان عليا استضاف اباذر ثلاثة ايام لا يسأله عن شئ وهو لا يخبره ثم فى الثالث قال له ما امرك وما أقدمك هذه البلدة قال له ان كتمت على اخبرتك قال فانى افعل قال له بلغنا انه خرج هنا رجل يزعم انه نبى فأرسلت اخى ليكلمه فرجع ولم يشفنى من الخبر فأردت ان القاه فقال له اما انك قد رشدت هذا وجهى اى خروجى اليه فاتبعنى ادخل حيث ادخل فان رأيت احدا اخافه عليك قمت الى الحائط كأنى اصلح نعلى وفى لفظ كأنى اريق الماء فامض انت قال ابو ذر ففعل ومضيت حتى دخل ودخلت معه على النبى صلى الله عليه وسلم فقلت له اعرض على الاسلام فعرضه على فأسلمت مكانى الحديث وما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم له من كان يطعمك وجواب ابى ذر له صلى الله عليه وسلم بقوله ما كان لى طعام الا ماء زمزم يبعد ان يكون على رضى الله تعالى عنه اضاف أباذر ولم يأكل عنده وكذا يبعده ما جاء ان أبا بكر قال يارسول الله ائذن لى فى اطعامه الليلة قال ابو ذر فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر فانطلقت معهما ففتح ابو بكر بابا فجعل يقبض لنا من زبيب الطائف فكان ذلك اول طعام اكلته الا ان يحمل الطعام على خصوص الزبيب ويمكن التوفيق بين الروايتين اى رواية دخوله على النبى صلى الله عليه وسلم مع على فاسلم ورواية اجتماعه به فى الطواف فاسلم بأن يكون ابو ذر دخل عليه اولا مع على ثم لقيه فى الطواف ويكون المراد حينئذ باسلامه الثانى الثبات عليه بتكرير الشهادتين وعذره فى عدم اجتماعه به فى المسجد مدة ثلاثين يوما عدم خلو المطاف كما يرشد لذلك قوله ففى ليلة لم يطف بالبيت احد الى آخره والا فيبعد ان يكون صلى الله عليه وسلم لم يدخل المسجد للطواف مدة ثلاثين يوما ويبعد هذا الجمع قوله صلى الله عليه وسلم له من الرجل الى آخره ثم قال صلى الله عليه وسلم لابى ذر يا اباذر اكتم هذا الامر وارجع الى قومك فاخبرهم يأتونى فاذا بلغك ظهورنا فأقبل فقلت والذى بعثك بالحق لاصرخن بها بين ظهرانيهم قال وكنت فى اول الاسلام خامسا وفى رواية رابعا ولعل المراد من الاعراب فلا ينافى ما يأتى فى وصف خالد بن سعيد فلما اجتمعت قريش بالمسجد ناديت بأعلى صوتى اشهد ان لا اله الا الله واشهد أن محمدا رسول الله فقالوا قوموا الى هذا الصابئ فضربت لاموت وفى لفظ فمال على اهل الوادى بكل مدرة وعظم حتى خررت مغشيا على فاكب على العباس ثم قال لهم ويلكم ألستم تعلمون انه من غفار وان طريق تجاراتكم عليهم فخلوا عنى قال فجئت زمزم فغسلت عنى الدماء فلما أصبحت الغداة رجعت لمثل ذلك فصنع بى مثل ما صنع وادركنى العباس وكان منه كالامس

فخرجت واتيت انيسا فقال ما صنعت فقلت قد اسلمت وصدقت فقال مالى رغبة عن دينك فانى قد أسلمت وصدقت فأتينا أمنا فقالت مالى رغبة عن دينكما فانى أسلمت وصدقت ثم أتينا قومنا غفارا فاسلم نصفهم وقال نصفهم اذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أسلمنا فلما جاء المدينة أسلم نصفهم الثانى اى لانه صلى الله عليه وسلم قال لابى ذرانى قد وجهت الى ارض ذات نخل لا اراها الا يثرب فهل انت مبلغ قومك عسى الله أن ينفعهم بك ويأجرك فيهم وجاءت أسلم القبيلة المعروفة فقالوا يارسول الله نسلم على الذى أسلم عليه اخواننا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفار غفر الله لها وأسلم سالمها الله اى وقد ذكران اباذر وقف يوما عند الكعبة اى فى حجة حجها أو عمرة اعتمرها فاكتنفه الناس فقال لهم لو أن أحدكم أراد سفرا أليس يعد زادا فقالوا بلى فقال سفر القيامة أبعد مما تريدون فخذوا ما يصلحكم قالوا وما يصلحنا قال حجوا حجة لعظائم الامور وصوموا يوما شديدا حره ليوم النشور وصلوا فى ظلمة الليل لوحشة القبور * وممن أسلم خالد بن سعيد بن العاص رضى الله تعالى عنه قيل كان حين اسلم رابعا وقيل ثالثا وقيل خامسا وهو أول من أسلم من اخوته ويمكن أن يكون ذلك محمل قول ابنته أم خالد أول من أسلم ابى اى من اخوته وسبب اسلامه أنه رأى فى النوم النار ورأى من فظاعتها وأهوالها أمرا مهولا ورأى انه على شفيرها وان أباه يريدان يلقيه فيها ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم آخذا بحجزته يمنعه من الوقوع فيها فقام من نومه فزعا وقال احلف بالله ان هذه لرؤيا حق وعلم ان نجاته من النار تكون على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى ابابكر فذكر له ذلك فقال له اريد بك خير هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبعه فأتاه فقال يا محمد ما تدعو قال ادعو الى الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وتخلع ما انت عليه من عبادة حجر لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع فأسلم خالد وفى الوفاء عن ام خالد بنت خالد بن سعيد انها قالت كان خالد بن سعيد ذات ليلة نائما قبيل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رايت كأنه غشيت مكة ظلمة حتى لا يبصر امرؤ كفه فبينما هو كذلك اذ خرج نور اى من زمزم ثم علا فى السماء فأضاء فى البيت ثم اضاء مكة كلها ثم تحول الى يثرب فأضاءها حتى انى لانظر الى البسر فى النخل فاستيقظت فقصصتها على اخى عمرو بن سعيد وكان جزل الراى فقال يا اخى ان هذا الامر يكون فى بنى عبد المطلب الا ترى انه خرج من حفر ابيهم ثم انه ذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم اى بعد مبعثه فقال يا خالد انا والله ذلك النور وانا رسول الله وقص عليه ما بعثه الله به فأسلم خالد وعلم ابوه بذلك أبوه

هذه ولا متركانت تسير بها فى البلاد ثم نزعوا خطام البعير منه فجاء رجال من قوم أبى سلمة رضى الله عنه وقالوا ان ابن امامها ان نزعتموها من صاحبنا تنزع ولدنا منها ثم تجاذبوا حتى اطلقوا يده من الخطام وأخذ الولد قوم أبيه ففرق بينها وبين زوجها وولدها فكانت تخرج كل غداة الى الابطح تبكى حتى مضت سنة فربها رجل من بنى عمها فرحمها وقال لقومها اما تزجرون هذه المسكينة فرقتم بينها وبين ولدها وزوجها فقالوا لها الحقى زوجك فلما بلغ ذلك قوم أبى سلمة ردوا عليها ولدها فركبت بعيرا وحملت ولدها فى حجرها وخرجت تريد المدينة وما معها أحد من خلق الله تعالى حتى اذا كانت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة الحجبى اى صاحب مفتاح الكعبة وكان عثمان مشركا يومئذ ثم أسلم رضى الله عنه فشيعها الى المدينة حتى اذا وافى على قباء قال لها هذا زوجك وكانت أم سلمة تقول ما رأيت صاحبا اكرم من عثمان بن طلحة فانه لما رآنى قال الى أين قلت الى زوجى قال او ما معك أحد قلت لا ما معى الا الله تعالى وابنى هذا فقال والله لا أتركك ثم أخذ بخطام البعير وصار معى فكان اذا وصلنا المنزل اناخ بى ثم استأخر حتى اذا نزلت جاء واخذ البعير فحط عنه ثم قيده فى شجرة ثم اتى الى شجرة فاضطجع تحتها فاذا دنا الرواح قام الى بعيرى فرحله وقدمه ثم استأخر عنى وقال اركبى فاذا ركبت أخذ بخطامه فقادنى وجمع بين القول بأن مصعب بن عمير أول من هاجر والقول بانه أبو سلمة بأن أبا سلمة أول من قدم المدينة بوازع طبعه وأما مصعب فكان بارسال منه صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم ان أبا سلمة اول من هاجر اى من بنى مخزوم فلا ينافى انه ليس بأول بالنسبة لغير بنى مخزوم واول ظعينة قدمت المدينة ام سلمة رضى الله عنها وقيل ليلى بنت ابى حثمة وقيل ام كلثوم بنت عقبة بن ابى معيط رضى الله عنها ثم هاجر عمار وبلال

وهو سعيد ابو أحيحة وكان من عظماء قريش كان اذا اعتم لم يعتم قرشي اعظاماله ومن ثم قال فيه القائل

ابا أحيحة من يعتم عمته * يضرب وان كان ذا مال وذا عدد

وعند اسلام ولده خالد ارسل في طلبه فانتهره وضربه اى بمقرعة كانت في يده حتى كسرها على راسه ثم قال اتبعت محمدا وانت ترى خلافه لقومه وما جاء به من عيب آلهتهم وعيب من مضى من آبائهم فقال والله تبعته على ما جاء به فغضب ابوه وقال اذهب يالكع حيث شئت وقال والله لأمنعنك القوت قال ان منعتني فان الله يرزقني ما اعيش به فأخرجه وقال لبنيه ولم يكونوا اسلموا لايكلمه احد منكم الا صنعت به فانصرف خالد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يلزمه ويعيش معه ويغيب عن ابيه في نواحي مكة حتى خرج اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ارض الحبشة في الهجرة الثانية فكان خالد اول من هاجر اليها وذكر عن والده سعيد انه مرض فقال ان رفعني الله من مرضي هذا لايعبد اله ابن ابي كبشة بمكة ابدا فقال خالد عند ذلك اللهم لاترفعه فتوفي في مرضه ذلك وخالد هذا اول من كتب بسم الله الرحمن الرحيم واسلم أخوه عمرو بن سعيد بن العاص رضي الله تعالى عنه قيل وسبب اسلامه انه راى نورا خرج من زمزم اضاءت له منه نخل المدينة حتى راى البسر فيها فقص رؤياه فقيل له هذه بئر بني عبد المطلب وهذا النور منهم يكون فكان سبب الاسلام وتقدم قريبا ان هذه الرؤيا وقعت لخالد فكانت سبب اسلامه وانه قصها على اخيه عمرو المذكور فهو من خلط بعض الرواة الا ان يقال لامانع من تعدد هذه الرؤية لخالد ولاخيه عمرو وانما كانت سببا لاسلامهما واسلم من بني سعيد ايضا ابان والحكم الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله اى ومن السابقين للاسلام صهيب كان ابوه عاملا لكسرى اغارت الروم عليهم فسبت صهيبا وهو غلام صغير فنشا في الروم حتى كبر ثم ابتاعه جماعة من العرب وجاؤا به الى سوق عكاظ فابتاعه منهم بعض اهل مكة اى وهو عبد الله بن جدعان فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مر صهيب على دار رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى عمار بن ياسر فقال له عمار بن ياسر أين تريد ياصهيب قال اريد ان ادخل الى محمد فأسمع كلامه ومايدعو اليه قال عمار وانا اريد ذلك فدخلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرهما بالجلوس فجلسا وعرض عليهما الاسلام وتلا عليهما ماحفظ من القرآن فتشهدا ثم مكثا عنده يومهما ذلك حتى أمسيا خرجا

بسعد وفي رواية ثم قدم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسالا اى بعد العقبة الثانية فنزلوا على الانصار في دورهم فآووهم وواسوهم ثم قدم المدينة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعياش بن ابي ربيعة في عشرين راكبا وكان هشام بن العاص واعد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان يهاجر ٣٧٦ معه وقال تجدني او اجدك عند محل كذا ففطن لهشام قومه فحبسوه عن الهجرة وعن علي رضي الله عنه قال ماعلمت احدا من المهاجرين هاجر الا مستخفيا الا عمر بن الخطاب فانه لما هم بالهجرة تقلد سيفه وتنكب قوسه وانتضى اسهما في يديه واختصر عنزته وهي الحربة الصغيرة اى علقها عند خاصرته ومشى قبل الكعبة والملأ من قريش بفنائها ثم اطاف بالكعبة سبعا ثم أتى المقام فصلى ركعتين ثم وقف على الحلق واحدة واحدة ثم قال شاهت الوجوه لايرغم الله الا هذه المعاطس يعني الانوف من اراد ان تثكله امه اى تفقده ويوتم اويرمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي قال علي رضي الله عنه فما تبعه احد ثم مضى لوجهه وفي المواهب وشرحها انه هاجر مع عمر رضي الله عنه اخوه زيد بن الخطاب رضي الله عنه وكان اسن من عمر رضي الله عنه واسلم قبله وشهد بدرا والمشاهد كلها واستشهد باليمامة وراية المسلمين بيده رضي الله عنه في خلافة الصديق رضي الله عنه سنة ثنتي عشرة من الهجرة وكان عمر رضي الله عنه يقول اخي سبقني الى الحسنيين اسلم قبلي واستشهد قبلي وحزن عليه حزنا شديدا وممن هاجر مع عمر رضي الله عنه سعيد مستخفين ابن زيد والزبير فقدموا المدينة ونزلوا على رفاعة بن عبد المنذر وممن هاجر عبد الله بن جحش رضي الله عنه ومعه زوجته الفارعة بنت ابي سفيان رضي الله عنها وأما اختها أم حبيبة رضي الله عنها فكانت مع الذين هاجروا الى الحبشة في صحبة

مستخفين فدخل عمار على أمه وابيه فسألاه اين كان فأخبرهما باسلامه وعرض عليهما الاسلام وقرأ عليهما ما حفظ من القرآن في يومه ذلك فأعجبهما فأسلما على يده فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسميه الطيب المطيب * واسلم أيضا حصين والد عمران بن حصين رضي الله تعالى عنهما بعد اسلام ولده عمران وسبب اسلامه ان قريشا جاءت اليه وكانت تعظمه وتجله فقالوا له كلم لنا هذا الرجل فانه يذكر آلهتنا ويسبها فجاؤا معه حتى جلسوا قريبا من باب النبي صلى الله عليه وسلم ودخل حصين فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم قال أوسعوا للشيخ وعمران ولده في أصحابه فقال حصين ما هذا الذي بلغنا عنك انك تشتم آلهتنا وتذكرها فقال يا حصين كم تعبد من اله قال سبعة في الارض وواحدا في السماء فقال فاذا أصابك الضر لمن تدعو قال الذي في السماء قال فاذا هلك المال من تدعو قال الذي في السماء قال فيستجيب لك وحده وتشركهم معه أرضيته في الشرك يا حصين اسلم تسلم فاسلم فقام اليه ولده عمران فقبل رأسه ويديه ورجليه فبكى صلى الله عليه وسلم وقال بكيت من صنع عمران دخل حصين وهو كافر فلم يقم اليه عمران ولم يلتفت ناحيته فلما اسلم وفى حقه فدخلني من ذلك الرقة فلما أراد حصين الخروج قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه شيعوه الى منزله فلما خرج من سدة الباب اى عتبته رأته قريش قالوا قد صبا وتفرقوا عنه

(باب استخفائه صلى الله عليه وسلم وأصحابه في دار الارقم بن ابي الارقم رضي الله تعالى عنهما ودعائه صلى الله عليه وسلم الى الاسلام جهرة وكلام قريش لابي طالب في ان يخلى بينهم وبينه وما لقي هو وأصحابه من الاذى واسلام عمه حمزة رضي الله تعالى عنه)

عن ابن اسحق ان مدة ما أخفى صلى الله عليه وسلم أمره اى المدة التي صار يدعو الناس فيها خفية بعد نزول يا أيها المدثر ثلاث سنين اى فكان من اسلم اذا أراد الصلاة يذهب الى بعض الشعاب يستخفى بصلاته من المشركين اى كما تقدم فبينما سعد بن ابي وقاص في نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعب من شعاب مكة اذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم فضرب سعد بن ابي وقاص رجلا منهم بلحي بعير فشجه فهو أول دم أهريق في الاسلام ثم دخل صلى الله عليه وسلم وأصحابه مستخفين في دار الارقم اى بعد هذه الواقعة فان جماعة أسلموا قبل دخوله صلى الله عليه وسلم دار الارقم ودار الارقم هي المعروفة الآن بدار الخيزران عند الصفا اشتراها الخليفة المنصور وأعطاها ولده المهدي ثم أعطاها المهدي للخيزران أم ولديه

زوجها عبيد الله بن جحش اخي عبد الله بن جحش فتنصر بالحبشة ثم مات وبقيت هي بارض الحبشة مع المسلمين الذين كانوا بها ثم أرسل صلى الله عليه وسلم في السنة السابعة وخطبها فوكلت خالد بن سعيد بن العاص وكان أقرب العصبات الحاضرين عندها فزوجها من النبي صلى الله عليه وسلم على يد النجاشي وجعفر بن ابي طالب ثم هاجرت الى المدينة رضي الله عنها فصارت من امهات المؤمنين رضي الله عنهن زوجات النبي صلى الله عليه وسلم ثم ان ابا جهل وأخاه الحرث بن هشام قبل اسلامه فانه اسلم بعد ذلك رضي الله عنه قدما المدينة والنبي صلى الله عليه وسلم بمكة لم يهاجر فكلما عياش بن ابي ربيعة وكان أخاهما لامهما وابن عمهما وكان اصغر ولد امه فقالا له ان أمك نذرت أن لا تغسل رأسها ولا يمس رأسها مشط ولا تستظل من شمس حتى تراك وفي رواية لا تأكل ولا تشرب ولا تدخل كنا حتى ترجع اليها وقالا له انت احب ولد أمك اليها وانت في دين منه البر للوالدين فارجع الى امك واعبد ربك كما تعبد في المدينة فرقت نفسه وصدقهما وأخذ عليهما المواثيق ان لا يغشياه بسوء وقال له عمر رضي الله عنه ما يريدان الا فتنتك من دينك فاحذرهما والله لو آذى امك القمل لامتشطت ولو اشتد عليها حر الشمس لاستظلت فقال عياش أبر أمي ولي مال هنالك آخذه فقال له عمر رضي الله عنه خذ نصف مالي ولا تذهب معهما فأبى الا ذلك فقال له عمر حيث صممت

فخذ ناقتي هذه فانها نجيبة ذلول فالزم ظهرها فان رابك منهما ريبة فانج عليها فأبى الا ذلك وخرج راجعا معهما الى مكة فلما خرجا من المدينة كتفاه اى شدا يديه الى خلف وجلداه نحوا من مائة جلدة وقيل كل واحد جلده مائة جلدة ودخلا به مكة موثقا في وقت النهار وقالا يا أهل مكة هكذا فافعلوا بسفهائكم كما فعلنا بسفيهنا ولما جيء به مكة القي

موسى الهادى وهرون الرشيد ولا يعرف امرأة ولدت خليفتين الا هذه وولادة جارية عبد الملك بن مروان فانها أم الوليد وسليمان ○ وقد روت الخيزران عن زوجها المهدى عن ابيه عن جده عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتقى الله وقاه كل شئ فكان صلى الله عليه وسلم واصحابه يقيمون الصلاة بدار الارقم ويعبدون الله تعالى فيها الى ان أمره الله تعالى باظهار الدين اى وهذا السياق يدل على انه صلى الله عليه وسلم استمر مستخفيا هو وأصحابه فى دار الارقم الى ان أظهر الدعوة وأعلن صلى الله عليه وسلم فى السنة الرابعة اى وقيل مدة استخفائه صلى الله عليه وسلم أربع سنين وأعلن فى الخامسة وقيل أقاموا فى تلك الدار شهرا وهم تسعة وثلاثون وقد يقال الاقامة شهرا مخصوصة بالعدد المذكور فلا منافاة واعلانه صلى الله عليه وسلم كان فى الرابعة أو الخامسة بقوله تعالى فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين وبقوله تعالى وأنذر عشيرتك الاقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين اى أظهر ما تؤمر به من الشرائع وادع الى الله تعالى ولا تبال بالمشركين وخوف بالعقوبة عشيرتك الاقربين وهم بنو هاشم وبنو المطلب اى وبنو عبد شمس وبنو نوفل أولاد عبد المطلب بدليل ما يأتى قال بعضهم آية فاصدع بما تؤمر اشتملت على شرائط الرسالة وشرائعها وأحكامها وحلالها وحرامها وقال بعضهم انما أمر بالصدع لغلبة الرحمة عليه صلى الله عليه وسلم قال ذكر بعضهم أنه لما نزل عليه صلى الله عليه وسلم قوله تعالى وأنذر عشيرتك الاقربين اشتد ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم وضاق به ذرعا اى عجز عن احتماله ○ فمكث شهرا أو نحوه جالسا فى بيته حتى ظن عماته أنه شاك اى مريض فدخلن عليه عائدات فقال صلى الله عليه وسلم ما اشتكيت شيأ لكن الله أمرنى بقوله وأنذر عشيرتك الاقربين فأريد ان أجمع بنى عبد المطلب لادعوهم الى الله تعالى قلن فادعهم ولا تجعل عبد العزى فيهم يعنين عمه ابا لهب فانه غير مجيبك الى ما تدعوه اليه وخرجن من عنده صلى الله عليه وسلم اى وكنى عبد العزى بأبى لهب لجمال وجهه ونضارة لونه كأن وجهه وجبينه ووجنتيه لهب النار اى خلافا لما زعمه بعضهم ان ولده عقير الاسد أو ولد آخر غيره كان اسمه لهبا قال فى الاتقان ليس فى القرآن من الكنى غير ابى لهب ولم يذكر باسمه وهو عبد العزى اى الصنم لانه حرام شرعا هذا كلامه وفيه ان الحرام وضع ذلك لا استعماله وفى كلام بعضهم ما يفيد ان الاستعمال حرام أيضا الا ان يشتهر بذلك كما فى الاوصاف المنقصة كالاعمش (وفى كلام القاضى) وانما كناه والكنية

تكرمة

فى الشمس وحلفت أمه انه لا يخلى عنه حتى يرجع عما هو عليه ثم حبس عياش بمكة مع هشام بن العاص وغيره وجعل كل واحد منهما فى قيد وكان صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة يدعو لهم فى قنوت الصبح فيقول اللهم أنج الوليد بن الوليد وعياش بن ربيعة وهشام بن العاص والمستضعفين بمكة من المؤمنين الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا والوليد بن الوليد هو أخو خالد كان مع كفار قريش يوم بدر فأسر مع من أسر وافتكه اخواه خالد وهشام ابنا الوليد بن المغيرة وذهبا به الى مكة فأسلم وأراد الهجرة فحبسوه وقيل له هلا اسلمت قبل ان تفتدى فقال كرهت العار ثم نجا وتوصل الى المدينة ثم رجع الى مكة مستخفيا وخلص عياشا وهشاما وجاء بهما المدينة فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وشكر صنيعه وممن هاجر قبل النبى صلى الله عليه وسلم سالم مولى ابى حذيفة وكان يؤم المهاجرين بالمدينة وفيهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه لانه كان اكثرهم أخذا للقرآن وسمع النبى صلى الله عليه وسلم قراءته فقال الحمد لله الذى جعل فى امتى مثله وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يثنى عليه كثيرا حتى قال لما أوصى عند موته لو كان سالم مولى ابى حذيفة حيا ما جعلتها اى الخلافة شورى قال ابن عبد البر المعنى انه كان يأخذ برأيه فيمن يوليه الخلافة وقتل سالم رضى الله عنه يوم اليمامة وأرسل عمر رضى الله عنه بميراثه لمعتقته فأبت ان تقبله فجعلته فى بيت المال ولما أراد صهيب الهجرة الى المدينة وكانت هجرته بعد هجرة النبى صلى الله عليه وسلم قال له كفار قريش أتيتنا صعلوكا حقيرا فكثر مالك عندنا ثم تريد أن تخرج بمالك لا والله لا يكون ذلك فقال لهم صهيب أرأيتم ان جعلت لكم مالى أتخلوا سبيلى قالوا نعم قال فانى قد جعلته لكم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ربح صهيب وفى الخصائص الكبرى عن

تكرمة اى بالعدول عن الاسم اليها الاشتهاره بكنيته ولان اسمه عبد العزى الذى هو الصنم فاستكره ذكره ولانه لما كان من أصحاب النار كانت الكنية أوفق بحاله فى الآخرة فهى كنية تفيد الذم فاندفع ما يقال هذا يخالف قولهم ولا يكنى كافر وفاسق ومبتدع الا لخوف فتنة أو تعريف لان ذلك خاص بالكنية التى تفيد المدح لا الذم ولم يشتهر بها صاحبها قال فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى بنى عبد المطلب فحضروا وكان فيهم ابو لهب فلما أخبرهم بما أنزل الله عليه أسمعه ما يكره قال تبالك ألهذا جمعتنا اى وأخذ حجرا ليرميه به وقال له ما رأيت أحدا قط جاء بنى أبيه وقومه بأشر ما جئتهم به فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتكلم فى ذلك المجلس انتهى اى وفى الامتاع أن ابا لهب ظن انه صلى الله عليه وسلم يريد أن ينزع عما يكرهون الى ما يحبون فقال له هؤلاء عمومتك وبنو عمومتك فتكلم بما تريد واترك الصباة واعلم انه ليس لقومك بالعرب طاقة وان أحق من أخذك وحبسك أسرتك وبنوا أبيك ان أقمت على أمرك فهو أيسر عليك من أن تثب عليك بطون قريش وتمدها العرب فما رأيت يا ابن أخى احدا قط جاء بنى أبيه وقومه بشر ما جئتهم به وعند ذلك أنزل الله تعالى تبت اى خسرت وهلكت يدا ابى لهب وتب اى خسر وهلك بجملته اى او المراد بالاول جملته عبر عنها باليدين مجازا والمراد به الدعاء وبالثانى الخبر على حد قولهم أهلكه الله وقد هلك اى ولما قال ابو لهب عند نزول تبت يدا ابى لهب وتب ان كان ما يقوله محمد حقا افتديت منه بمالى وولدى نزل ما أغنى عنه ماله وما كسب اى وأولاده لان الولد من كسب ابيه اى وفى رواية وهى فى الصحيحين أنه دعا قريشا فاجتمعوا فخص وعم فقال يا بنى كعب بن لؤى أنقذوا أنفسكم من النار يا بنى مرة بن كعب انقذوا أنفسكم من النار اى وفيه انه انما أمر بالانذار لعشيرته الاقربين ثم قال صلى الله عليه وسلم يا بنى هاشم أنقذوا أنفسكم من النار يا بنى عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار يا بنى عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار يا بنى زهرة أنقذوا أنفسكم من النار يا بنى عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار يا فاطمة أنقذى نفسك من النار يا صفية عمة محمد أنقذى نفسك من النار فانى لا أملك لكم من الله شيأ وفى لفظ لا أملك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيبا الا ان تقولوا لا اله الا الله اى لا تبقوا على كفركم اتكالا على قرابتكم منى فهو حث لهم على صالح الاعمال وترك الاتكال غير ان لكم رحما سأبلها ببلالها اى أصلها بالدعاء اى والبلال بالفتح كقطام ما يبل الحلق من الماء أو اللبن وبل رحمه اذا وصلها وبلوا أرحامكم ندوها

صهيب رضى الله عنه قال لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وخرج معه ابو بكر رضى الله عنه وقد كنت أردت الخروج معه فصدنى فتيان من قريش وقالوا له جئتنا فقيرا حقيرا صعلوكا فكثر مالك عندنا وتريدان تخرج بمالك ونفسك لا يكون ذلك ابدا قال فقلت لهم هل لكم ان أعطيتكم اواقى من الذهب وفى لفظ ثلث مالى وفى لفظ مالى وتخلوا سبيلى تفعلوا قالوا نعم فقلت احفروا تحت اسكفة الباب فان تحتها الاواقى وخرجت حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآنى قال يا أبا يحيى ربح البيع ثلاثا فقلت يا رسول الله ما سبقنى اليك أحد وما أخبرك الا جبريل عليه السلام وأخرج ابو نعيم فى الحلية عن سعيد بن المسيب قال اقبل صهيب مهاجرا نحو النبى صلى الله عليه وسلم وقد أخذ سيفه وكنانته وقوسه فاتبعه نفر من قريش فنزل عن راحلته وانتثل ما فى كنانته ثم قال يا معشر قريش قد علمتم أنى من أرماكم رجلا وايم الله لا تصلون الى حتى أرمى بكل سهم من كنانتى ثم أضرب بسيفى ما بقى فى يدى شئ منه ثم افعلوا ما شئتم وان شئتم دللتكم على مالى بمكة وخليتم سبيلى فقالوا نعم فقال لهم ما تقدم وفى رواية قالوا له دلنا على مالك ونخلى سبيلك وعاهدوه على ذلك ففعل وذكر بعض المفسرين ان المشركين أخذوه وعذبوه فقال لهم انى شيخ كبير لا يضركم أمنكم كنت أم من غيركم فهل لكم أن تأخذوا مالى وتذرونى ودينى وتتركوا الى راحلة ونفقة ففعلوا وفيه نزل ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله قال فلما قدمت المدينة وجدت النبى صلى الله عليه وسلم وأبا بكر جالسين فلما رآنى ابو بكر رضى الله عنه قام فبشرنى بالآية التى نزلت فى وفى رواية فتلقانى ابو بكر وعمر ورجال فقال لى ابو بكر ربح بيعك ابا يحيى فقلت وبيعك هلا تخبرنى ماذاك فقال انزل الله فيك كذا وقرأ الآية وأصل صهيب كان قد وصبا

أغارت خيل على دجلة او الفرات فأسرته وهو صغير ثم اشتراه منهم بنو كلب فحملوه الى مكة فابتاعه عبد الله بن جدعان فاعتقه فاقام بمكة حينا فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلم وكان اسلامه واسلام عمر رضى الله عنه فى يوم واحد قال صهيب رضى الله عنه صحبت النبى صلى الله عليه وسلم قبل ان يوحى اليه وكان رضى الله عنه فيه عجمة شديدة وكان يحب الدعابة وفى المعجم الكبير للطبرانى عن صهيب رضى الله عنه قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه تمر وخبز فقال ادن فكل فأخذت آكل من التمر فقال لى أتأكل وبك رمد فقلت يارسول الله أمضغه من الناحية الاخرى فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سهل بن عبد الله التسترى رضى الله عنه ان صهيبا كان من المشتاقين لم يكن له قرار كان لا ينام بالليل وكان يقول ان صهيبا اذا ذكر النار طار نومه واذا ذكر الجنة جاء شوقه واذا ذكر الله طال شوقه وقصة أكله التمر رواها بعضهم على وجه آخر هو انه صلى الله عليه وسلم رآه يأكل قثاء ورطبا وهو ارمد احدى عينيه فقال أتأكل رطبا وانت ارمد فقال انما آكل من ناحية عينى الصحيحة فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحلبى ولا مانع من التعدد اى لكل من القصتين ولما أذن صلى الله عليه وسلم لاصحابه فى الهجرة خرج الناس ارسالا متتابعين وهاجر أيضا عثمان ابن عفان رضى الله عنه واشتد الاذى على المستضعفين ومكث صلى الله عليه وسلم ينتظر أن يؤذن له فى الهجرة ولم يتخلف معه من اصحابه الا على بن ابى طالب وابو بكر اومن كان مستضعفا محبوسا عند قريش وكان الصديق رضى الله عنه كثيرا ما يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة الى المدينة فيقول لا تعجل لعل الله أن يجعل لك صاحبا فيطمع ابو بكر رضى الله عنه ان يكون الصاحب هو النبى صلى الله عليه وسلم

بالصلة (وفى الحديث) بلوا أرحامكم ولو بالسلام اى صلوها اى وقد ذكر أئمتنا ضابط الصلة وفى تخصيصه صلى الله عليه وسلم فاطمة من بين بناته مع انها أصغرهن وقيل أصغر بناته رقية وتخصيصه صلى الله عليه وسلم صفية من بين عماته حكمة لا تخفى * ومن الغريب ما فى الكشاف من زيادة ياعائشة بنت ابى بكر ياحفصة بنت عمر وعندى أن ذكر عائشة وحفصة بل وفاطمة هنا من خلط بعض الرواة وأن هذا ذكره صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فذكره بعض الرواة هنا فان المراد بالانقاذ من النار الاتيان بالاسلام بدليل قوله صلى الله عليه وسلم الا ان تقولوا لا اله الا الله مع انه تقدم ان بناته عليه الصلاة والسلام لم يكن كفارا فليتأمل ثم مكث صلى الله عليه وسلم أياما ونزل عليه جبريل وأمره بامضاء امر الله تعالى فجمعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثانيا وخطبهم ثم قال لهم ان الرائد لا يكذب أهله والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم ولو غررت الناس جميعا ما غررتكم والله الذى لا اله الا هو انى لرسول الله اليكم خاصة والى الناس كافة والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون ولتجزون بالاحسان احسانا وبالسوء سوأ وانها الجنة أبدا والنار أبدا والله يابنى عبد المطلب ما أعلم شابا جاء قومه بأفضل مما جئتكم به انى قد جئتكم بأمر الدنيا والآخرة فتكلم القوم كلاما لينا غير ابى لهب فانه قال يابنى عبد المطلب هذه والله السوأة خذوا على يديه قبل ان يأخذ على يديه غيركم فان أسلمتموه حينئذ ذللتم وان منعتموه قتلتم فقالت له أخته صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم رضى الله تعالى عنها اى اخى أيحسن بك خذلان ابن اخيك فوالله مازال العلماء يخبرون أنه يخرج من ضئضئ اى اصل عبد المطلب نبى فهو هو قال هذا والله الباطل والامانى وكلام النساء فى الحجال اذا قامت بطون قريش وقامت معها العرب فما قوتنا بهم فوالله ما نحن عندهم الا أكلة رأس فقال ابو طالب والله لنمنعنه ما بقينا ثم دعا النبى صلى الله عليه وسلم جميع قريش وهو قائم على الصفا وقال ان أخبرتكم أن خيلا تخرج من سنح بالنون والحاء المهملة اى اصل وفى لفظ سفح بالفاء والحاء المهملة هذا الجبل تريد ان تغير عليكم أكنتم تكذبونى قالوا ما جربنا عليك كذبا فقال يامعشر قريش أنقذوا انفسكم من النار فانى لا أغنى عنكم من الله شيأ انى لكم نذير مبين بين يدى عذاب شديد اى وفى لفظ انما مثلى ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يريد اهله فخشى ان يسبقوه الى اهله فجعل يهتف ياصباحاه ياصباحاه اتيتم اتيتم (ومن أمثاله) صلى الله عليه وسلم انا النذير العريان اى الذى ظهر صدقه من قولهم عرى الامر اذا ظهر وقولهم الحق عار اى ظاهر وقيل الذى يجرده

العدو

وقد حقق الله رجاءه وفي رواية للبخاري استأذن ابو بكر النبي صلى الله عليه وسلم في الخروج فقال له صلى الله عليه وسلم على رسلك فاني ارجو ان يؤذن لي فقال ابو بكر وهل ترجو ذلك بأبي وأمي قال نعم فحبس ابو بكر رضي الله عنه نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم لصحبته وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر وهو الخبط اربعة اشهر

ثم ان قريشا لما رأوا هجرة الصحابة وعرفوا انهم صار لهم أصحاب من غيرهم وانهم اصابوا منعة لان الانصار قوم اهل حلقة اى سلاح وبأس حذروا خروجه صلى الله عليه وسلم وعرفوا انه أجمع لحربهم فاجتمعوا في دار الندوة دار قصي بن كلاب قال الحلبي دار الندوة من جهة الحجر عند مقام الحنفي الآن وكان لها باب الى المسجد أعدت للاجتماع للمشورة وكانت قريش لا تقضي أمرا الا فيها وكانوا لا يدخلون فيها غير قرشي الا ان بلغ أربعين سنة بخلاف القرشي وقد أدخلوا ابا جهل ولم تتكامل لحيته وكان اجتماعهم يوم السبت ولذا ورد يوم السبت يوم مكر وخديعة وكان اجتماعهم هذا ليتشاوروا فيما يصنعون في أمره صلى الله عليه وسلم وكان المجتمعون مائة رجل وقيل خمسة عشر وكان يسمى ذلك اليوم عندهم يوم الزحمة لانه اجتمع فيه أشراف بني عبد شمس وبني نوفل وبني عبد الدار وبني اسد وبني مخزوم وبني جمح وبني الحرث وبني كعب وبني تيم وبني عدي وغيرهم ولم يتخلف من اهل الرأي والحجا منهم احد وجاءهم ابليس في صورة شيخ نجدي فوقف على باب الدار في هيئة شيخ جليل عليه كساء غليظ وقيل طيلسان من خز فقالوا من الشيخ قال من نجد سمع بالذي قعدتم له فحضر ليسمع ما تقولون وعسى أن لا يعدمكم رأيا ونصحا قالوا ادخل فدخل وانما تمثل في صورة شيخ نجدي لانهم قالوا لا يدخلن معكم في المشاورة احد من اهل تهامة لان هواهم مع محمد فلذلك تمثل بصورة نجدي وتهيأ بهيئة تعظم في عيونهم ثم

العدو فأقبل عريانا ينذر بالعدو وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما انه حفظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف مثل واختلف الروايات في محل وقوفه ففي رواية وقف على الصفا كما تقدم وفي رواية وقف على أضمة من جبل فعلا اعلاها حجرا ثم هتف يا صباحاه فقالوا من هذا الذي يهتف قالوا محمد فاجتمعوا اليه فجعل الرجل اذا لم يستطع ان يخرج ارسل رسولا الحديث وفي رواية صاح على ابي قبيس يا آل عبد مناف اني نذير (وروى) انه لما نزل قوله تعالى وأنذر عشيرتك الاقربين جمع بني عبد المطلب في دار ابي طالب وهم أربعون وفي الامتاع خمسة واربعون رجلا وامرأتان فصنع لهم علي طعاما اى رجل شاة مع مد من البر وصاعا من لبن فقدمت لهم الجفنة وقال كلوا بسم الله فأكلوا حتى شبعوا وشربوا حتى نهلوا وفي رواية حتى رووا وفي رواية قال ادنوا عشرة عشرة فدنا القوم عشرة عشرة ثم تناول القعب الذي فيه اللبن فجرع منه ثم ناولهم وكان الرجل منهم يأكل الجذعة وفي رواية يشرب العس من الشراب في مقعد واحد فقهرهم ذلك فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم يتكلم بدره ابو لهب بالكلام فقال لقد سحركم صاحبكم سحرا عظيما وفي رواية محمد وفي رواية ما رأينا كالسحر اليوم فتفرقوا ولم يتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان الغد قال يا علي عد لنا بمثل ما صنعت بالامس من الطعام والشراب قال علي ففعلت ثم جمعتهم له صلى الله عليه وسلم فأكلوا حتى شبعوا وشربوا حتى نهلوا ثم قال لهم يا بني عبد المطلب ان الله قد بعثني الى الخلق كافة وبعثني اليكم خاصة فقال وأنذر عشيرتك الاقربين وانا ادعوكم الى كلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين في الميزان شهادة أن لا اله الا الله واني رسول الله فمن يجيبني الى هذا الامر ويوازرني اى يعاونني على القيام به قال علي أنا يا رسول الله وانا أحدثهم سنا وسكت القوم زاد بعضهم في الرواية يكن اخي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي فلم يجبه احد منهم فقام علي وقال انا يا رسول الله قال اجلس ثم اعاد القول على القوم ثانيا فصمتوا فقام علي وقال انا يا رسول الله فقال اجلس ثم اعاد القول على القوم ثالثا فلم يجبه احد منهم فقام علي فقال انا يا رسول الله فقال اجلس فأنت اخي ووزيري ووصيي ووارثي وخليفتي من بعدي قال الامام ابو العباس بن تيمية اى في الزيادة المذكورة انها كذب وحديث موضوع من له ادنى معرفة في الحديث يعلم ذلك وقد رواه اى الحديث مع زيادته المذكورة ابن جرير والبغوي باسناد فيه ابو مريم الكوفي وهو مجمع على تركه وقال أحمد انه ليس بثقة عامة احاديثه بواطيل وقال ابن المديني كان يضع الحديث وفي رواية عن علي رضي الله

قال بعضهم لبعض ان هذا الرجل يعنى النبي صلى الله عليه وسلم قد كان من امره ما رأيتم وانا والله لا نأمنه على الوثوب علينا بمن قد اتبعه من غيرنا فأجمعوا فيه رأيا فقال قائل وهو ابو البختري بن هشام احبسوه فى الحديد وأغلقوا عليه بابا ثم تربصوا به ما أصاب اشباهه من الشعراء قبله فقال النجدى ماهذا برأى والله لو حبستموه ليخرجن أمره من وراء الباب الذى أغلقتم دونه الى اصحابه فلا تشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من ايديكم ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على امركم ماهذا برأى فانظروا فى غيره فقال ابو الاسود ربيعة بن عمرو العامرى ولم يعلم له اسلام نخرجه من بين اظهرنا فننفيه من بلادنا فلا نبالى اين ذهب فقال النجدى لعنه الله والله ماهذا برأى ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتى به والله لو فعلتم ذلك ما أمنت ان يحل على حى من العرب فيغلب بذلك عليهم من قوله حتى يتابعوه عليكم ثم يسير بهم اليكم حتى يطأكم بهم فيأخذ امركم من ايديكم ثم يفعل بكم ما أراد أديروا فيه رأيا غير هذا فقال ابو جهل والله ان لى فيه رأيا ما أراكم وقعتم عليه أرى ان تأخذوا من كل قبيلة فتى شابا جلدا ثم يعطى كل فتى منهم سيفا صارما ثم يعمدوا اليه فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه ويتفرق دمه فى القبائل فلا تقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا فنعقلها لهم فقال النجدى لعنه الله القول ما قال لا رأى غيره فأجمع رأيهم على قتله وتفرقوا على ذلك وقيل ان قول ابى جهل الذى صوّبه ابليس ان يعطى خمسة رجال من خمس قبائل سيوفا فيضربوه ضربة رجل واحد فلعلهم استبعدوا قوله من كل قبيلة اذ لا يمكن عشرين مثلا ان يضربوا شخصا ضربة واحدة فقال لهم خمسة رجال ثم أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تبت على فراشك الذى كنت تنام عليه

تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر خديجة فصنعت له طعاما ثم قال لى ادع لى بنى عبد المطلب فدعوت اربعين رجلا الحديث ولا مانع من تكرر فعل ذلك ويجوز أن يكون على فعل ذلك عند خديجة وجاء به الى بيت ابى طالب واهل جمعهم هذا كان متأخرا عن جمعهم مع غيرهم المتقدم ذكره ويشهد له السياق فعل ذلك حرصا على اسلام اهل بيته فلما دعا قومه ولم يردوا عليه ويجيبوه اى وفى رواية صار كفار قريش غير منكرين لما يقول فكان صلى الله عليه وسلم اذا مر عليهم فى مجالسهم يشيرون اليه ان غلام بنى عبد المطلب ليكلم من السماء وكان ذلك دأبهم حتى عاب آلهتهم اى وسفه عقولهم وضلل اباءهم اى حتى انه مر عليهم يوما وهم فى المسجد الحرام يسجدون للاصنام فقال يا معشر قريش والله لقد خالفتم ملة أبيكم ابراهيم فقالوا انما نعبد الاصنام حبا لله لتقربنا الى الله فانزل الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله فمقتنا كروه وأجمعوا خلافه وعداوته الا من عصم الله منهم وجاؤا الى ابى طالب وقالوا يا ابا طالب ان ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسفه احلامنا اى عقولنا نسبنا الى قلة العقل وضلل آباءنا فاما ان تكفه عنا واما ان تخلى بيننا وبينه فانك على مثل ما نحن عليه من خلافه فقال لهم ابو طالب قولا رفيقا وردهم ردا جميلا فانصرفوا عنه ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهر دين الله ويدعوا اليه لا يرده عن ذلك شئ والى ذلك اشار صاحب الهمزية بقوله

ثم قام النبي يدعو الى الله ... وفى الكفر شدة واباء

أمما اشربت قلوبهم الكفر ... فداء الضلال فيهم عياء

اى ثم قام صلى الله عليه وسلم يدعو جماعاتهم الى الله تعالى بأن يقولوا لا اله الا الله حسبما أمر فقد جاء أن جبريل تبدى له صلى الله عليه وسلم فى أحسن صورة وأطيب رائحة وقال يا محمد ان الله يقرئك السلام ويقول لك انت رسول الله الى الجن والانس فادعهم الى قول لا اله الا الله فدعاهم والحال أن فى اهل الكفر قوة تامة وامتناعا عن اتباعه اختلط الكفر بقلوبهم وتمكن فيها حبه حتى صارت لا تقبل غيره وبسبب ذلك صار داء الضلال اى داء هو الضلال فيهم عضالا يعيي الاطباء مداواته وحصول شفائه ثم شرى الامر اى بالشين المعجمة وكسر الراء وفتح المثناة تحت كثر وتزايد وانتشر بينهم وبينه حتى تباعد الرجال وتضاغنوا اى اضمروا العداوة والحقد وأكثرت قريش ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها وتذامروا عليه بالذال المعجمة وحض اى حث بعضهم بعضا عليه اى على حربه وعداوته ومقاطعته ثم انهم مشوا الى ابى طالب مرة اخرى فقالوا يا ابا

طالب

طالب ان لك سنا وشرفا ومنزلة فينا وانا قد طلبنا منك ان تنهى ابن أخيك فلم تنهه عنا وانا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه احلامنا اى عقولنا وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا او ننازله واياك فى ذلك حتى يهلك أحد الفريقين ثم انصرفوا عنه فعظم على ابى طالب فراق قومه وعداوتهم ولم يطب نفسا بأن يخذل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا ابن أخى ان قومك قد جاؤنى فقالوا لى كذا وكذا فأبق على وعلى نفسك ولا تحملنى من الامر ما لا أطيق فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عمه خاذله وأنه ضعف عن نصرته والقيام معه فقال له يا عم والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الامر حتى يظهره الله تعالى أو أهلك فيه ما تركته ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم اى حصلت له العبرة التى هى دمع العين فبكى ثم قام فلما ولى ناداه ابو طالب فقال أقبل يا ابن أخى فأقبل عليه فقال اذهب يا ابن أخى فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك وأنشد أبياتا منها

والله لن يصلوا اليك بجمعهم * حتى اوسد فى التراب دفينا

وحكمة تخصيص الشمس والقمر بالذكر وجعل الشمس فى اليمين والقمر فى اليسار لا تخفى لان الشمس النير الاعظم واليمين أليق به والقمر النير المحو واليسار أليق به وخص النيرين حيث ضرب المثل بهما لان الذى جاء به نور قال تعالى يريدون ان يطفؤا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره * ومن غريب التعبير أن رجلا كان عاملا لسيدنا عمر رضى الله تعالى عنه فقال لسيدنا عمر انى رأيت فى المنام كأن الشمس والقمر يقتتلان ومع كل واحد منهما نجوم فقال له عمر مع أيهما كنت قال مع القمر قال كنت مع الآية الممحوة اذهب فلا تعمل لى عملا فاتفق ان هذا الرجل كان مع معاوية يوم صفين وقتل ذلك اليوم فلما عرفت قريش ان ابا طالب قد أبى خذلان رسول الله صلى الله عليه وسلم مشوا اليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقال له يا ابا طالب هذا عمارة بن الوليد بن المغيرة أنهد اى أشد وأقوى فتى فى قريش وأجمله فخذه لك ولدا اى بأن تتبناه وأسلم الينا ابن أخيك هذا الذى خالف دينك ودين آبائك وفرق جماعة قومك وسفه احلامهم فنقتله فانما هو رجل كرجل فقال لهم ابو طالب والله لبئس ما تسوموننى أتعطونى ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابنى تقتلونه هذا والله لا يكون ابدا اى وقال أرأيتم ناقة تحن الى غير فصيلها ○ قال المطعم بن عدى والله يا ابا طالب لقد أنصفك قومك وجهدوا على التخلص مما تكره فما أراك تريد أن تقبل منهم شيأ فقال له ابو طالب والله ما أنصفونى ولكن قد اجمعت اى

فلما كان الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه اى يرقبونه حتى ينام فيثبوا عليه وكانوا مائة قال الحافظ الدمياطى فى سيرته فاجتمع أولئك القوم من قريش يتطلعون من شق الباب ويرصدونه يريدون بيانه اى يوقعون القتل به ليلا وقيل احدقوا بيابه وعليهم السلاح يرصدون طلوع الفجر ليقتلوه ظاهرا فيذهب دمه فى جميع القبائل بمشاهدة بنى هاشم فلا يتم لهم أخذ ثاره فأمر عليه الصلاة والسلام عليا فنام مكانه وغطى ببرده صلى الله عليه وسلم بقوله صلى الله عليه وسلم أتشح ببردى هذا الحضرمى الاخضر فنم فيه فانه لن يخلص اليك شئ تكرهه منهم وكان صلى الله عليه وسلم ينام فى برده ذلك اذا نام فكان على رضى الله عنه أول من شرى نفسه ابتغاء مرضاة الله ووقى بنفسه رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه امتثل أمر النبى صلى الله عليه وسلم قبل ان يقول له لن يخلص اليك شئ فصدق عليه انه بالامتثال باع نفسه وفى ذلك يقول على رضى الله عنه

وقيت بنفسى خير من وطئ الثرى
ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
رسول اله خاف ان يمكروا به
فنجاه ذو الطول الاله من المكر
وبات رسول الله فى الغار آمنا
موقى وفى حفظ الاله وفى ستر
وبت أراعيهم وما يتهموننى
وقد وطنت نفسى على القتل والاسر

وكان القوم فى الحكم بن ابى العاص وعقبة بن ابى معيط والنضر بن الحرث وأمية بن خلف وزمعة ابن الاسود وابو الهيثم وابو جهل فقال ابو جهل ان محمدا يزعم انكم ان تابعتموه على امره كنتم ملوك العرب والعجم ثم بعثتم بعد موتكم فجعلت لكم جنان كجنان الاردن وان لم تفعلوا كان فيكم ذبح ثم بعثتم بعد موتكم فجعلت لكم نار تحترقون بها فسمعه صلى الله عليه وسلم فخرج من الباب عليهم وقد أخذ الله على ابصارهم فلم يره احد منهم ونثر على رؤسهم كلهم ترابا كان فى يده وهو يتلو قوله تعالى يس الى قوله

فاغشيناهم فهم لا يبصرون ثم انصرف صلى الله عليه وسلم وفي رواية الامام أحمد حتى لحق بالغار اي غار ثور فأفاد انه توارى فيه حتى أتى ابا بكر منه في شعر الظهيرة ثم خرج اليه هو وابو بكر ثانيا فأتاهم آت وهم جلوس يرصدونه قيل انه ابليس في صورة النجدي فقال ما تنتظرون ههنا قالوا محمدا قال قد خيبكم الله قد والله خرج محمد عليكم ثم ما ترك منكم رجلا الا وضع على رأسه ترابا وانطلق فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فاذا عليه تراب ثم جعلوا يطلعون فيرون عليا على الفراش متسجى ببرد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون والله ان هذا لمحمد عليه برده قال الزهري وباتت قريش يختلفون ويأتمرون أيهم يهجم على صاحب الفراش فيوثقه وذكر السهيلي انهم هموا بالولوج عليه فصاحت امرأة من الدار فقال بعضهم لبعض والله انها للسبة في العرب ان يتحدث عنا أنا تسورنا الحيطان على بنات العم وهتكنا ستر حرمنا وكان تسور الجدار عليهم اقصر الجدار لكنهم خافوا السبة والعار فكان هذا هو المانع في الظاهر والمانع في الحقيقة باطنا حماية الله ووقايته وحفظه الموجب لخذلانهم واظهار عجزهم فأقاموا بالباب يحرسون عليا يحسبونه النبي صلى الله عليه وسلم حتى يقوم في الصباح فيفعلون به ما اتفقوا عليه فلما اصبحوا قام علي رضي الله عنه عن الفراش فقالوا له اين صاحبك قال لا أدري وصدق القول النبي صلى الله عليه وسلم له ان يخلص اليك شيء تكرهه منهم وقيل انهم تسوروا الجدار ودخلوا شاهرين سيوفهم فثار علي في وجوههم عالجوا فعرفوه فقالوا له اين صاحبك قال لا أدري وقيل امروه بالخروج وضربوه وأدخلوه المسجد وحبس به ساعة ثم خلوا عنه ثم قالوا لقد صدقنا الذي كان حدثنا انه خرج علينا وفي هذه القصة نزل بعد ذلك بالمدينة تذكيرا لهذه النعمة قوله تعالى واذ يمكر بك

قصدت خذلاني ومظاهرة القوم اي معاونتهم على فاصنع ما بدا لك اي وقد مات عمارة بن الوليد هذا على كفره بأرض الحبشة بعد أن سحر وتوحش وسار في البراري والقفار كما سيأتي ومات المطعم بن عدي المذكور على كفره أيضا فوقع عند عدم قبول ابي طالب ما أرادوه اشتد الامر ولما رأى ابو طالب من قريش ما رأى دعا بني هاشم وبني المطلب الى ما هو عليه من منع رسول الله صلى الله عليه وسلم والقيام دونه فأجابوه الى ذلك غير ابي لهب فكان من المجاهرين بالظلم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل من آمن به وتوالى الاذى من قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى من اسلم معه فمما وقع لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الاذية ما حدث به عمه العباس رضي الله تعالى عنه قال كنت يوما في المسجد فأقبل ابو جهل فقال لله علي ان رأيت محمدا ساجدا أن أطأ عنقه فخرجت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بقول ابي جهل فخرج غضبان حتى دخل المسجد فعجل أن يدخل من الباب فاقتحم من الحائط وقرأ اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق حتى بلغ شأن ابي جهل كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى الى أن بلغ آخر السورة سجد فقال انسان لابي جهل يا ابا الحكم هذا محمد قد سجد فأقبل اليه ثم نكص راجعا فقيل له في ذلك فقال ابو جهل الا ترون ما أرى لقد سد افق السماء على (وفي رواية) رأيت بيني وبينه خندقا من نار وسيأتي ان قوله تعالى أرأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى الى آخر السورة نزل في ابي جهل ومن ذلك ما حدث به بعضهم قال ذكر ان ابا جهل بن هشام قال يوما لقريش يا معشر قريش ان محمدا قد اتى الى ما ترون من عيب دينكم وشتم آلهتكم وتسفيه احلامكم وسب آبائكم اني اعاهد الله لاجلس له يعني النبي صلى الله عليه وسلم غدا بحجر لا أطيق حمله فاذا سجد في صلاته رضخت به رأسه فأسلموني عند ذلك او امنعوني فليصنع بي بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم قالوا والله لا نسلمك لشيء ابدا فامض لما تريد فلما أصبح ابو جهل اخذ حجرا كما وصف ثم جلس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظره وغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان يغدو الى الصلاة اي وكانت قبلته صلى الله عليه وسلم الى الشام الى صخرة بيت المقدس فكان يصلي بين الركن اليماني والحجر الاسود ويجعل الكعبة بينه وبين الشام على ما تقدم وقريش جلوس في انديتهم وهم ينتظرون ما ابو جهل فاعل فلما سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم احتمل ابو جهل الحجر ثم اقبل نحوه حتى اذا دنا منه رجع منهزما منتقعا لونه اي متغيرا بالصفرة مع الكدرة من الفزع وقد يبست يداه على حجره حتى قذفه من يده اي بعد ان

الذين كفروا الآية ثم أذن الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم في الهجرة بقوله تعالى وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا * والحكمة في هجرته الى المدينة أن تتشرف به الازمنة والامكنة والاشخاص لا أنه يتشرف بها فلو بقي بمكة لكان يتوهم انه قد تشرف بها لان شرفها قد سبق بالخليل واسمعيل عليهما الصلاة والسلام فأمره بالهجرة الى المدينة فلما هاجر اليها تشرفت به لحلوله فيها حتى وقع الاجماع على ان افضل البقاع الموضع الذى ضم اعضاءه الكريمة صلوات الله وسلامه عليه حتى من الكعبة لحلوله فيه بل نقل التاج السبكى عن ابن عقيل الحنبلى انه أفضل من العرش قال السيد السمهودى والرحمات النازلات بذلك المحل يعم فيضها الامة وهى غير متناهية لدوام ترقياته صلى الله عليه وسلم فهو منبع الخيرات (وكان خروجه) صلى الله عليه وسلم من مكة أول يوم من ربيع الاول وقدم المدينة لاثنتى عشرة خلت منه وكان مدة مقامه بمكة بعد البعثة ثلاث عشرة سنة قال صرمة بن قيس الانصارى الصحابى رضى الله عنه

ثوى فى قريش بضع عشرة حجة يذكر لو يلقى صديقا مواتيا

وأمره جبريل أن يستصحب أبا بكر رضى الله عنه وروى الحاكم عن على رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لجبريل من يهاجر معى قال ابو بكر الصديق رضى الله عنه وأخبر عليه الصلاة والسلام عليا بخروجه وأمره ان يتخلف بعده حتى يؤدى عنه الودائع التى كانت عنده عليه الصلاة والسلام للناس قال ابن اسحق وليس أحد بمكة عنده شئ يخاف عليه الا وضعه عنده عليه الصلاة والسلام لما يعلمون من صدقه وامانته (روى البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت بينما نحن جلوس يوما فى بيت أبى بكر فى نحر الظهيرة قال قائل لابى بكر هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم

عالجوا فكه من يده فلم يقدروا كما سيأتى وقامت اليه رجال من قريش وقالوا مالك يا أبا الحكم قال قمت اليه لافعل ما قلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لى فحل من الابل والله ما رأيت مثله قط هم بى أن يأكلنى فلما ذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذاك جبريل لو دنا لاخذه والى ذلك يشير صاحب الهمزية بقوله

وأبو جهل اذ رأى عنق الفحـــل اليه كأنه العنقاء

اى وأبو جهل الذى هو أشد الاعداء على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت أن هم أن يلقى الحجر عليه صلى الله عليه وسلم وهو ساجد أبصر عنق الفحل وقد برزت اليه كأنه الداهية العظيمة اى فرجع عن ذلك الرمى بذلك الحجر اى وفى رواية ان أبا جهل قال رأيت بينى وبينه كخندق من نار ولا مانع ان يكون وجد الامرين معا * وذكر فى سبب نزول قوله تعالى انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى الى الاذقان فهم مقمحون اى انا جعلنا أيديهم متصلة بأعناقهم واصلة الى أذقانهم ملصقة بها رافعون رؤسهم لا يستطيعون خفضها من أقمح البعير رفع رأسه وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون أن الآية الاولى نزلت فى أبى جهل لما حمل الحجر ليرضخ به رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفعه أثبتت يداه الى عنقه ولزق الحجر بيده فلما عاد الى أصحابه أخبرهم فلم يفكوا الحجر من يده الا بعد تعب شديد والآية الثانية نزلت فى آخر لما رأى ما وقع لابى جهل قال أنا ألقى هذا الحجر عليه فذهب اليه صلى الله عليه وسلم فلما قرب منه عمى بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع اليهم فأخبرهم بذلك وعن الحكم بن ابى العاص اى ابن مروان بن الحكم أن ابنته قالت له ما رأيت قوما كانوا أسوأ رأيا وأعجز فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم منكم يا بنى أمية فقال لها لا تلومينا يا بنية انى لا أحدثك الا ما رأيت لقد أجمعنا ليلة على اغتياله صلى الله عليه وسلم فلما رأيناه يصلى ليلا جئنا خلفه فسمعنا صوتا ظننا انه ما بقى بتهامة جبل الا تفتت علينا اى ظننا انه يتفتت وانه يقع علينا فما عقلنا حتى قضى صلاته صلى الله عليه وسلم ورجع الى أهله ثم تواعدنا ليلة أخرى فلما جاء نهضنا اليه فرأينا الصفا والمروة التصقتا احداهما على الاخرى فحالتا بيننا وبينه ويتأمل هذا لان صلاته صلى الله عليه وسلم انما تكون عند الكعبة وليست بين الصفا والمروة وفى رواية كان صلى الله عليه وسلم يصلى فجاءه ابو جهل فقال ألم أنهك عن هذا فأنزل الله تعالى أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى الى آخر السورة وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم لما انصرف من صلاته زأره ابو جهل اى انتهره وقال انك لتعلم ما بها ناد أكثر منى فأنزل الله تعالى

مقنعا اى مغطيا رأسه (وفى رواية للطبرانى) عن اسماء رضى الله عنها قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم يأتينا بمكة كل يوم مرتين بكرة وعشيا فلما كان يوم من ذلك جاءنا فى الظهيرة فقلت يا أبت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر فداه أبى وأمى والله ما جاء بى به فى هذه الساعة ٣٨٦ الا أمر حدث قالت فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن فأذن له أبو بكر رضى الله عنه فدخل فتنحى أبو بكر عن سريره وجلس عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم لابى بكر أخرج من عندك فقال أبو بكر انما هم أهلك بأبى أنت وأمى وذلك ان عائشة رضى الله عنها كان أبوها قد عقد لها عليه صلى الله عليه وسلم واسماء أختها بمنزلة أهله لنكاحه أختها فلا يخشى عليه منهما وقيل ان قول أبى بكر ذلك بمنزلة قول الصديق حريمى حريمك وأهلى أهلك يعنى أنا وأنت كالشئ الواحد فقال صلى الله عليه وسلم قد أذن لى فى الخروج من مكة الى المدينة فقال أبو بكر رضى الله عنه الصحبة يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم نعم قالت عائشة رضى الله عنها فرأيت أبا بكر رضى الله عنه يبكى وما كنت أحسب ان أحدا يبكى من الفرح فقال أبو بكر رضى الله عنه فخذ بأبى أنت وأمى يا رسول الله احدى راحلتى هاتين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل بالثمن وفى رواية قال لا أركب بعيرا ليس هو لى قال فهو لك قال لا ولكن بالثمن الذى ابتعتها به قال أخذتها بكذا وكذا (وكان أبو بكر رضى الله عنه قد علف راحلتين أربعة أشهر لما قال له النبى صلى الله عليه وسلم انى أرجو الهجرة وانما فعل النبى صلى الله عليه وسلم ذلك لتكون هجرته الى الله بنفسه وماله رغبة منه عليه السلام فى استكماله فضل الهجرة الى الله تعالى وان تكون على أتم الاحوال والا فلأبو بكر رضى الله عنه قد أنفق ماله فى حب الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم فقد روى ابن

فليدع ناديه سندع الزبانية قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لو دعا ناديه لأخذته زبانية الله أى وقال يوما ولقد اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال للنبى صلى الله عليه وسلم لقد علمت انى أمنع أهل البطحاء وأنا العزيز الكريم فأنزل الله تعالى فيه ذق انك أنت العزيز الكريم كذا قاله الواحدى اى تقول له الزبانية عند القائه فى النار ماذكر توبيخا له (ومن ذلك ما حدث به بعضهم) قال لما أنزل الله تعالى سورة تبت يدا أبى لهب جاءت امرأة أبى لهب وهى أم جميل واسمها العوراء وقيل اسمها أروى بنت حرب أخت ابى سفيان بن حرب ولها ولولة وفى يدها فهر اى بكسر الفاء وسكون الهاء حجر يملأ الكف فيه طول يدق به فى الهاون الى النبى صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر رضى الله تعالى عنه فلما رآها قال يا رسول الله انها امرأة بذية أى تأتى بالفحش من القول فلو قمت لئلا تؤذيك فقال صلى الله عليه وسلم انها لن ترانى فجاءت فقالت يا أبا بكر صاحبك هجانى اى وفى لفظ ما شأن صاحبك ينشد فى الشعر قال لا وما يقول الشعر اى ينشئه وفى لفظ لا ورب هذا البيت ما هجاك والله ما صاحبى بشاعر وما يدرى ما الشعر اى لا يحسن انشاءه قالت له أنت عندى تصدق وانصرفت اى وهى تقول قد علمت قريش انى بنت سيدها اى تعنى عبد مناف جد أبيها ومن كان عبد مناف أباه لا ينبغى لأحد أن يتجاسر على ذمه قلت يا رسول لم ترك قال لم يزل ملك يسترنى بجناحه اى فقد جاء فى رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال لابى بكر قل لها هل ترين عندى أحدا فسألها ابو بكر فقالت أتهزأ بى والله ما أرى عندك أحدا (اقول) وفى الامتاع انها جاءت وهو صلى الله عليه وسلم فى المسجد معه ابو بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما وفى يدها فهر فلما وقفت على النبى صلى الله عليه وسلم أخذ الله على بصرها فلم تره ورأت أبا بكر وعمر فأقبلت على ابى بكر رضى الله تعالى عنه فقالت أين صاحبك قال وما تصنعين به قالت بلغنى أنه هجانى والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فمه فقال عمر رضى الله تعالى عنه ويحك انه ليس بشاعر فقالت انى لا أكلمك يا ابن الخطاب اى لما تعلمه من شدته ثم أقبلت على ابى بكر لما تعلمه من لينه وتواضعه فقالت والثواقب اى النجوم انه لشاعر وانى لشاعرة اى فكما هجانى لاهجونه وانصرفت فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انها لن تراك فقال انها لن ترانى جعل بينى وبينها حجاب اى لانه قرأ قرآنا اعتصم به كما قال تعالى واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وفى رواية أقبلت ومعها فهر وهى تقول

مذمما أبينا * ودينه قلينا * وأمره عصينا

فقالت

حبان عن عائشة رضي الله عنها قالت أنفق أبو بكر رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم أربعين ألف درهم (وروى الزبير) ابن بكار عنها رضي الله عنها ان أبا بكر رضي الله عنه لما مات ما ترك دينارا ولا درهما وفي الصحيح قال صلى الله عليه وسلم ليس أحد من الناس أمنّ عليّ في نفسه وماله من ابي بكر (وروى الترمذي) مرفوعا ما لاحد عندنا يد الا كافأناه عليها ما خلا أبا بكر

فان له عندنا يدا يكافئه الله بها يوم القيامة (وروى ابن عساكر) عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان أعظم الناس علينا منا ابو بكر زوجني ابنته وواساني بنفسه وان خير المسلمين مالا ابو بكر أعتق منه بلالا وحملني الى دار الهجرة فالحمل مجاز عن المعاوضة والخدمة في السفر وعلف الدابة أربعة اشهر حتى باعها المصطفى صلى الله عليه وسلم بحيث لم يحتج لتطلب شراء دابة قالت عائشة رضي الله عنها فجهزناهما أحث الجهاز أي أسرعه وصنعنا لهما سفرة من جراب فقطعت اسماء بنت ابي بكر قطعة من نطاقها فربطت بها على فم الجراب وفي رواية شقت نطاقها فأوكت بقطعة منه الجراب وشدت فم القربة بالباقي فسميت ذات النطاقين قالت عائشة رضي الله عنها ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه بغار ثور فكمنا فيه ثلاث ليال وكان من قوله صلى الله عليه وسلم حين خرج من مكة لما وقف على الحزورة ونظر الى البيت والله انك لاحب أرض الله الى وانك لاحب أرض الله الى الله ولولا ان أهلك اخرجوني ما خرجت منك رواه الامام أحمد والترمذي (وفي رواية له عن ابن عباس) رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما أطيبك من بلد وأحبك الي ولولا ان قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك (وروى ابو نعيم) عن ابن اسحق بلاغا انه كان من قوله صلى الله عليه وسلم أيضا لما خرج مهاجرا الحمد لله الذي خلقني ولم اك شيأ

فقالت أين الذي هجاني وهجا زوجي والله لئن رأيته لاضربن أنثييه بهذين الفهرين قال ابو بكر فقلت لها يا أم جميل والله ما هجاك ولا هجا زوجك قالت والله ما أنت بكذاب وان الناس ليقولون ذلك ثم ولت ذاهبة فقلت يا رسول الله انها لم ترك فقال النبي صلى الله عليه وسلم حال بيني وبينها جبريل ولعل مجيئها قد تكرر فلا منافاة بين ما ذكر وكذا ما يأتي وكما يقال في الحمد محمد يقال في الذم مذمم لانه لا يقال ذلك الا لمن ذم مرة بعد أخرى كما أن محمدا لا يقال الا لمن حمد مرة بعد أخرى كما تقدم * وقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم قال ألا تعجبون كيف يصرف الله تعالى عني شتم قريش ولعنهم يشتمون مذمما ويلعنون مذمما وأنا محمد * وفي الدر المنثور انها أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في الملا فقالت يا محمد علام تهجوني قال اني والله ما هجوتك ما هجاك الا الله قالت رأيتني أحمل حطبا أو رأيت في جيدي حبلا من مسد وهذا مما يؤيد ما قاله بعض المفسرين ان الحطب عبارة عن النميمة يقال فلان يحطب علي اي ينم لانها كانت تمشي بين الناس بالنميمة وتغري زوجها وغيره بعداوته صلى الله عليه وسلم وتبلغهم عنه أحاديث تحثهم بها على عداوته صلى الله عليه وسلم وان الحبل عبارة عن حبل من نار محكم * وعن عروة بن الزبير مسد النار سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعا والله أعلم * والى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله

وأعدت حمالة الحطب الفهر ... وجاءت كأنها الورقاء

ثم جاءت غضبى تقول أفي مثلي ... من أحمد يقال الهجاء

وتولت وما رأته ومن أين ... ترى الشمس مقلة عمياء

اي وهيأت حمالة الحطب الفهر ولقبت بذلك لانها كانت تحتطب اي تجمع الحطب وتحمله لبخلها ودناءة نفسها أو كانت تحمل الشوك والحسك وتطرحه في طريقه صلى الله عليه وسلم ولا مانع من اجتماع الاوصاف الثلاثة لكن استفهامها يبعد الوصفين الاخيرين والفهر الحجر الذي يملأ الكف كما تقدم لتضرب به النبي صلى الله عليه وسلم والحال انها جاءت في غاية السرعة والعجلة كأنها في شدة السرعة الحمامة الشديدة الاسراع حالة كونها غضبى من شدة ما سمعت من ذمها في سورة تبت يدا أبي لهب تقول أفي مثلي وأنا بنت سيد بني مخزوم يقال الهجاء والسب حالة كونه من أحمد وتولت والحال انها ما رأته وكيف ترى الشمس عين عمياء (أقول) في ينبوع الحياة انها لما بلغها سورة تبت يدا ابي لهب جاءت الى أخيها ابي سفيان في بيته وهي مضطرمة اي متحرقة غضبى فقالت له

اللهم أعني على هول الدنيا وبوائق الدهر ومصائب الليالي والايام اللهم اصحبني في سفري واخلفني في أهلي وبارك لي فيما رزقتني ولك فذللني وعلى صالح خلقي فقومني واليك رب فحببني والى الناس فلا تكلني أنت رب المستضعفين وأنت ربي أعوذ بوجهك الكريم الذي أشرقت له السموات والارض وكشفت به الظلمات وصلح عليه أمر الاولين والآخرين أن يحل بي غضبك أو ينزل على سخطك أعوذ بك من زوال نعمتك وفجأة نقمتك وتحول عافيتك وجميع سخطك لك العتبى عندي حيثما استطعت ولا حول ولا قوة الا بك ولم يعلم بخروجه صلى الله عليه وسلم الا علي رضي الله عنه وآل أبي بكر رضي الله عنهم ومنهم عامر بن فهيرة رضي الله عنه لانه مولى لابي بكر وآل الرجل أهله وعياله ومواليه (روى) انهما خرجا من خوخة في ظهر بيته ليلا (وروى) ان أبا جهل لعنه الله لقيهما فأعمى الله بصره عنهما حتى مضيا * ولما فقدت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم طلبوه بمكة أعلاها وأسفلها وبعثوا القافة وهو الذي يعرف الاثر في كل وجه قيل انهم بعثوا شخصين فوجد الذي ذهب قبل ثور أثره هنالك فلم يزل يتبعه حتى انقطع لما انتهى الى غار ثور ويروى انه قعد وبال في أصل شجرة هنالك ثم قال ههنا انقطع الاثر ولا أدرى أخذ يمينا أم شمالا أم صعد الجبل وفي رواية قال لهم القائف هذا القدم قدم ابن أبي قحافة وهذا الآخر لا أعرفه الا انه يشبه القدم الذي في المقام يعني مقام ابراهيم فقالت قريش ما وراء هذا شئ وشق على قريش خروجه صلى الله عليه وسلم وجزعوا لذلك وجعلوا مائة ناقة لمن رده عن سيره ذلك بقتل أو اسر ولله در الشيخ شرف الدين الابوصيري رضي الله عنه حيث قال

ويح قوم جفوا نبيا بأرض * ألفته ضبابها والظباء
وسلوه وحن جذع اليه * وقلوه وودّه الغرباء

ويحك يا أحمس اي يا شجاع أما تغضب ان هجاني محمد فقال سأكفيك اياه ثم أخذ سيفه وخرج ثم عاد سريعا فقالت هل قتلته فقال لها يا أخية أيسرك ان رأس أخيك في فم ثعبان قالت لا والله قال فقد كان ذلك يكون الساعة اي فانه رأى ثعبانا لو قرب منه صلى الله عليه وسلم لالتقم رأسه * ولما نزلت هذه السورة التي هي تبت يدا أبي لهب قال أبو لهب لابنه عتبة اي بالتكبير رضي الله تعالى عنه فانه أسلم يوم الفتح كما سيأتي رأسي من رأسك حرام ان لم تفارق ابنة محمد يعني رقية رضي الله تعالى عنها فانه كان تزوجها ولم يدخل بها ففارقها او وقع في كلام بعضهم طلقها لما أسلم فليتأمل * وكان أخوه عتيبة بالتصغير متزوجا بنته صلى الله عليه وسلم أم كلثوم ولم يدخل بها فقال اي وقد أراد الذهاب الى الشام لآتين محمدا فلأوذينه في ربه فأتاه فقال يا محمد هو كافر بالنجم اي وفي لفظ برب النجم اذا هوى وبالذي دنا فتدلى ثم بصق في وجه النبي صلى الله عليه وسلم ورد عليه ابنته وطلقها فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم سلط وفي رواية اللهم ابعث عليه كلبا من كلابك وكان ابو طالب حاضرا فوجم لها ابو طالب وقال ما كان أغناك يا ابن أخي عن هذه الدعوة فرجع عتيبة الى أبيه أبي لهب فأخبره بذلك ثم خرج هو وابوه الى الشام في جماعة فنزلوا منزلا فأشرف عليهم راهب من دير فقال لهم ان هذه الارض مسبعة فقال أبو لهب لاصحابه انكم قد عرفتم نسبي وحقي فقالوا أجل يا أبا لهب فقال أعينونا يا معشر قريش هذه الليلة فاني أخاف على ابني دعوة محمد فاجمعوا امتعتكم الى هذه الصومعة ثم افرشوا لابني عليه ثم افرشوا حوله ففعلوا ثم جمعوا جمالهم وأناخوها حولهم وأحدقوا بعتيبة فجاء الاسد يتشمم وجوههم حتى ضرب عتيبة فقتله وفي رواية فضغ رأسه وفي رواية ثنى ذنبه ووثب وضربه بذنبه ضربة واحدة فخدشه فمات مكانه وفي رواية فضغمه ضغمة فكانت اياها فقال وهو بآخر رمق ألم أقل لكم ان محمدا أصدق الناس لهجة ومات فقال أبوه قد عرفت والله ما كان ليفلت من دعوة محمد (أقول) وحلفه بالنجم الى آخره يدل على أن ذلك كان بعد الاسراء والمعراج * ووقع مثل ذلك لجعفر الصادق قيل له هذا فلان ينشد الناس هجاءكم يعني أهل البيت بالكوفة فقال لذلك القائل هل علقت من قوله بشئ قال نعم قال فأنشد

صلبنا لكم زيدا على رأس نخلة * ولم أر مهديا على الجذع يصلب
وقستم بعثمان عليا سفاهة * وعثمان خير من علي وأطيب

فعند ذلك رفع جعفر يديه وقال اللهم ان كان كاذبا فسلط عليه كلبا من كلابك فخرج

أخرجوه منها وآواه غار * وحمته حمامة ورقاء وكفته بنسجها عنكبوت * ما كفته الحمامة الحصداء

(ولما دخل صلى الله عليه وسلم) وأبو بكر رضي الله عنه الغار أنبت الله على بابه شجرة من أم غيلان تسمى الراءة تكون مثل قامة الانسان ولها خيطان وزهر أبيض يحشى به المخاد ويكون كالريش لخفته ولينه لانه كالقطن فحجبت عن الغار أعين الكفار وأمر الله العنكبوت فنسجت على وجه الغار وارسل حمامتين وحشيتين فوقعتا على وجه الغار فعششتا على بابه وكل ذلك مما صد المشركين عنه وحمام الحرم من نسل تينك الحمامتين جزاء وفاقا لما حصل بهما الحماية جوزيا بالنسل والحماية في الحرم فلا يتعرض له (وفي المثل) آمن من حمام الحرم ثم اقبل فتيان قريش من كل بطن بعصيهم وهراويهم وهي العصي الضخمة وسيوفهم فجعل بعضهم ينظر في الغار فرأى حمامتين وحشيتين بفم الغار فرجع الى أصحابه فقالوا له مالك فقال رأيت حمامتين وحشيتين فعرفت انه ليس فيه أحد فسمع النبي صلى الله عليه وسلم ما قاله فعرف أن الله قد درأ عنه وقال آخر ادخلوا الغار فقال أمية بن خلف وما اربكم اى حاجتكم الى الغار ان فيه لعنكبوتا أقدم من ميلاد محمد ثم جاء فبال فقال ابو بكر رضي الله عنه ان هذا الرجل ليرانا وكان مواجهه فقال كلا ان ثلاثة من الملائكة تسترنا بأجنحتها لو كان يرانا ما فعل هذا وقيل ان القائف قعد وبال أيضا (وفي رواية) انهم طافوا اجبال مكة حتى انتهوا الى الجبل الذي فيه النبي صلى الله عليه وسلم الى آخر الحديث (روى) أن الحمامتين باضتا في أسفل النقب ونسج على الغار العنكبوت فقالوا لو دخل الغار لكسر البيض ونسج العنكبوت وهذا أبلغ في الاعجاز من مقاومة القوم بالجنود فانظر بعين البصيرة كيف أظلت الشجرة المطلوب وأضلت الطالب

ذلك الرجل فافترسه الاسد وانما سمي الاسد كلبا لانه يشبه الكلب في انه اذا بال رفع رجله ومن ثم قيل ان كلب أهل الكهف كان أسدا وقيل كان رجلا منهم جالسا عند الباب طليعة لهم فسمي باسم الكلب لملازمته للحراسة ووصف ببسط الذراعين لان ذلك من صفة الكلب الذي هو الحيوان وقد جاء انه ليس في الجنة من الحيوان الا كلب أهل الكهف وحمار العزير وناقة صالح والله أعلم (ومما وقع لرسول الله صلى الله عليه وسلم) من الاذية ما حدث به عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال كما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد وهو يصلي وقد نحر جزور وبقي فرثه اى روثه في كرشه فقال ابو جهل ألا رجل يقوم الى هذا القذر يلقيه على محمد اى وفي رواية قال قائل ألا تنظرون الى هذا المرائي أيكم يقوم الى جزور بني فلان فيعمد الى فرثها ودمها وسلاها فيجيء به ثم يمهله حتى اذا سجد وضعه بين كتفيه وفي رواية أيكم يأخذ سلى جزور بني فلان للجزور ذبحت من يومين أو ثلاثة فيضعه بين كتفيه اذا سجد فقام شخص من المشركين وفي لفظ اشقى القوم وهو عقبة بن ابي معيط وجاء بذلك الفرث فألقاه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ساجد اى فاستضحكوا وجعل بعضهم يميل على بعض اى من شدة الضحك قال ابن مسعود فهبنا اى خفنا ان نلقيه عنه صلى الله عليه وسلم وفي لفظ وأنا قائم انظر لو كانت لي منعة لطرحته عن ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءت فاطمة رضي الله تعالى عنها اى بعد ان ذهب اليها انسان وأخبرها بذلك واستمر صلى الله عليه وسلم ساجدا حتى ألقته عنه واستمراره في الصلاة عند فقهائنا لعدم علمه بنجاسة ما ألقي عليه ولما ألقته عنه أقبلت عليهم تشتمهم فقام النبي صلى الله عليه وسلم فسمعته يقول وهو قائم يصلي اللهم اشدد وطأتك اى عقابك الشديد على مضر سنين كسني يوسف اللهم عليك بأبي الحكم بن هشام يعني أبا جهل وعتبة بن ربيعة وعقبة بن أبي معيط وأمية بن خلف زاد بعضهم وشيبة بن أبي ربيعة والوليد بن عتبة بالمثناة فوق لا بالقاف كما وقع في رواية في مسلم فقد اتفق العلماء على انه غلط لانه لم يكن ذلك الوقت موجودا أو كان صغيرا جدا وعمارة بن الوليد اى وهو المتقدم ذكره الذي أرادوا ان يجعلوه عوضا عنه صلى الله عليه وسلم (اقول) والذي في المواهب فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة قال اللهم عليك بقريش ثم سمى اللهم عليك بعمرو بن هشام الى آخر ما تقدم ذكره وفي الامتاع فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم صلاته رفع يديه ثم دعا عليهم وكان اذا دعا دعا ثلاثا ثم قال اللهم عليك بقريش اللهم عليك بقريش اللهم عليك بقريش فلما سمعوا صوته

وجاءت عنكبوت فسدّت باب الطلب فحاكت ثوب نسجها على وجه المكان حتى عمي على القائف الطلب ورحم الله القائل

والعنكبوت أجادت حوك حلتها * فما تخال خلال النسج من خلل

(روى) أن حمام مكة أظلته صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة أيضا فدعا لها بالبركة ونهى عن قتل العنكبوت وقال هي جند من جنود الله (وقد روى الديلمي) في مسند الفردوس مسلسلا بمحبة العنكبوت حدثنا فقال فيه اخبرنا والذي قال وأنا أحبها قال أخبرنا فلان وأنا أحبها حتى قال عن ابي بكر رضي الله عنه لا أزال أحب العنكبوت منذ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبها ويقول جزى الله العنكبوت عنا خيرا فانها نسجت عليّ وعليك يا أبا بكر في الغار حتى لم يرنا المشركون ولم يصلوا الينا (وأما ما يروى) من حديث العنكبوت شيطان مسخه الله فاقتلوه فهو حديث ضعيف نعم ورد عن علي رضي الله عنه طهروا بيوتكم من نسج العنكبوت فان تركه في البيت يورث الفقر وما أحسن قول ابن النقيب

ودود القزان نسجت حريرا * يجمل لبسه في كل شيء

فان العنكبوت أجل منها * بما نسجت على رأس النبي

(وروى) انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم أعم أبصارهم اي اجعلها كالعمياء عنا فعميت عن دخوله وجعلوا يضربون يمينا وشمالا حول الغار وهذا يشير اليه قول صاحب البردة رضي الله عنه

أقسمت بالقمر المنشق ان له * من قلبه نسبة مبرورة القسم

اللهم

وما حوى الغار من خير ومن كرم * وكل طرف من الكفار عنه عمي

فالصدق في الغار والصديق لم يرما * وهم يقولون ما بالغار من أرم

ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على * خير البرية لم تنسج ولم تحم

ذهب منهم الضحك وهابوا دعوته ثم قال اللهم عليك بابي جهل بن هشام الحديث وان ابن مسعود قال والله لقد رأيتهم وفي رواية رأيت الذي سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم صرعى يوم بدر ثم سحبوا الى القليب قليب بدر واعترض بأن عمارة بن الوليد مات بالحبشة كافرا كما تقدم ويأتي وبان عقبة بن ابي معيط لم يقتل ببدر وانما أخذ اسيرا منها وقتل بعرق الظبية كما سيأتي وبان أمية بن خلف لم يطرح بالقليب وأجيب بأن قول ابن مسعود رأيتهم اي رأيت اكثرهم وقد يقال لا مانع ان يكون صلى الله عليه وسلم أتى بهذا الدعاء وهو قائم يصلي وبعد الفراغ من الصلاة فلا منافاة والله أعلم * والمراد بسني يوسف بتخفيف الياء ويروى سنين باثبات النون مع الاضافة القحط والجدب اي فاستجاب الله دعاءه فأصابتهم سنة أكلوا فيها الجيف والجلود والعظام والعلهز وهو الوبر والدم اي يخلط الدم بأوبار الابل ويشوى على النار وصار الواحد منهم يرى ما بينه وبين السماء كالدخان من الجوع وجاءه صلى الله عليه وسلم جمع من المشركين فيهم ابو سفيان وقالوا يا محمد انك تزعم انك بعثت رحمة وان قومك قد هلكوا فادع الله لهم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقوا الغيث فأطبقت عليهم سبعا فشكا الناس كثرة المطر فقال اللهم حوالينا ولا علينا فانحدرت السحابة وجاءانهم قالوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون اي لانعود لما كنا عليه فلما كشف عنهم ذلك عادوا اي وفيه ان هذا انما كان بعد الهجرة فسيأتي انه صلى الله عليه وسلم مكث شهرا اذا رفع رأسه من ركوع الركعة الثانية من صلاة الفجر بعد قوله سمع الله لمن حمده يقول اللهم أنج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة والمستضعفين من المؤمنين بمكة اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف وربما فعل ذلك بعد رفعه من الركعة الاخيرة من صلاة العشاء وسيأتي ما فيه وقد يقال لا مانع ان يكون حصل لهم ذلك قبل الهجرة وبعد الهجرة مرة أخرى سيأتي الكلام عليها ثم رأيت في الخصائص الكبرى ما يوافق ذلك حيث قال قال البيهقي قد روى في قصة ابي سفيان ما دل على ان ذلك كان بعد الهجرة ولعله كان مرتين اي وسيأتي في السرايا ان ثمامة لما منع عن قريش الميرة ان تأتي من اليمن حصل لهم مثل ذلك وكتبوا في ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البخاري لما استعصت قريش على النبي صلى الله عليه وسلم دعا عليهم بسنين كسني يوسف فبقيت السماء سبع سنين لا تمطر وفي رواية فيه أيضا لما أبطؤا على النبي صلى الله عليه وسلم بالاسلام قال اللهم اكفنيهم بسبع كسبع يوسف فأصابتهم سنة حصت كل شيء الحديث وفي رواية

وقاية الله أغنت عن مضاعفة • من الدروع وعن عال من الاطم يعني انهم ظنوا أن الحمام لا تحوم حوله عليه السلام
لان عادة الحمام النفرة وان العنكبوت لا تنسج عليه عليه السلام لما جرت به العادة أن هذين الحيوانين متوحشان لا يألفان
معمورا فهما أحساما الانسان فرا منه (وقد روى) ان المشركين لما مروا على باب ٣٩١ الغار طارت الحمامتان فنظروا
بيضهما ونسج العنكبوت فقالوا
لو كان هنا احد لما كان هنا حمام
فلما سمع صلى الله عليه وسلم
حديثهم علم أن الله حماهما بالحمام
وصرف كيدهم بالعنكبوت
وما علم المشركون أن الله يسخر
ما شاء من خلقه لمن شاء من خلقه
وان وقاية الله عبده بما شاء تغنى
عبده عن التحصن بمضاعفة من
الدروع وعن التحصن بالعالى
من الاطم وهى الحصون ولله در
الابوصيرى من شاعر وما أحسن
قوله أيضا فى قصيدته اللامية
التى أولها

الى متى أنت باللذات مشغول
وأنت عن كل ما قدمت مسؤل

حيث قال فيها

واغيرتاه حين أضحى الغار وهو به
كمثل قلبى معمور ومأهول
كأنما المصطفى فيه وصاحبه ال
صديق ليثان قد آواهما غيل
وجلل الغار نسج العنكبوت على
وهن فيا حبذا نسج وتجليل
عناية ضل كيد المشركين بها
وما مكايدهم الا الاضاليل
اذ ينظرون وهم لا يبصرونهما
كأن أبصارهم من زيغها حول

(وفى صحيح البخارى) عن أنس رضى الله عنه قال حدثنى ابو بكر رضى الله عنه قال قلت للنبى صلى الله عليه وسلم ونحن فى الغار وفى رواية فرفعت رأسى فرأيت أقدامهم فقلت له لو ان أحدهم نظر الى قدميه لرآنا فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما اى جاعلهما ثلاثة بضم ذاته اليهما فى المعية المعنوية المشار اليها بقوله ان الله معنا (قال بعض أهل السير) ان

اللهم أعنى عليهم بسبع كسبع يوسف فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام فجعل الرجل ينظر الى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد فأنزل الله تعالى فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم فأتى أبو سفيان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله استسق لمضر فانها قد هلكت فاستسقى صلى الله عليه وسلم فسقوا فلما أصابتهم الرفاهية عادوا الى حالهم فأنزل الله يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون يعنى يوم بدر (ومن ذلك ما حدث به عثمان بن عفان) رضى الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف بالبيت ويده فى يد ابى بكر وفى الحجر ثلاثة نفر جلوس عقبة بن أبى معيط وأبو جهل بن هشام وأمية بن خلف فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه فلما حاذاهم أسمعوه بعض ما يكره فعرف ذلك فى وجه النبى صلى الله عليه وسلم فدنوت منه حتى وسطته اى جعلته وسطا فكان صلى الله عليه وسلم بينى وبين ابى بكر وأدخل أصابعه فى أصابعى وطفنا جميعا فلما حاذاهم قال ابو جهل والله لا نصالحك ما بل بحر صوفة وأنت تنهى أن نعبد ما كان يعبد آباؤنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا ذلك ثم مشى عنهم فصنعوا به فى الشوط الثالث مثل ذلك حتى اذا كان الشوط الرابع ناهضوه اى قاموا له صلى الله عليه وسلم ووثب أبو جهل يريد أن يأخذ بمجامع ثوبه صلى الله عليه وسلم فدفعت فى صدره فوقع على استه ودفع ابو بكر أمية بن خلف ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عقبة بن ابى معيط ثم انفرجوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف ثم قال أما والله لا تنتهون حتى يحل بكم عقابه اى ينزل عليكم عاجلا قال عثمان فوالله ما منهم رجل الا وقد أخذته الرعدة فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بئس القوم أنتم لنبيكم ثم انصرف الى بيته وتبعناه حتى انتهى الى باب بيته ثم أقبل علينا بوجهه فقال أبشروا فان الله عز وجل مظهر دينه ومتم كلمته وناصر نبيه ان هؤلاء الذين ترون مما يذبح الله على أيديكم عاجلا ثم انصرفنا الى بيوتنا فوالله لقد ذبحهم الله بأيدينا يوم بدر (أقول) ولا يخالف ذلك كون عقبة بن ابى معيط حمل أسيرا من بدر وقتل بعرق الظبية صبرا وهم راجعون من بدر ولا كون عثمان بن عفان لم يحضر بدرا والله أعلم وفى رواية أن عقبة ابن ابى معيط وطىء على رقبته صلى الله عليه وسلم الشريفة وهو ساجد حتى كادت عيناه تبرزان اى وفى رواية دخل عقبة بن أبى معيط الحجر فوجده صلى الله عليه وسلم يصلى فيه فوضع ثوبه على عنقه صلى الله عليه وسلم وخنقه خنقا شديدا فأقبل ابو بكر رضى الله تعالى عنه حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أتقتلون رجلا

أبابكر رضى الله عنه لما قال ذلك قال له النبى صلى الله عليه وسلم لو جاؤنا من ههنا الذهبنا من ههنا فنظر الصديق رضى الله عنه
الى الغار قد انفرج من الجانب الآخر واذا البحر قد اتصل به وسفينة مشدودة الى جانبه وهذا ليس بمنكر من حيث القدرة
العظيمة ولا بمستبعد بالنسبة لمعجزاته صلى الله عليه وسلم العميمة وان كان الذى ذكره ماذكر له اسنادا متصلا
لكن حسن الظن بالائمة يقتضى
انهم لا يذكرون مثل ذلك
الا بتوقيف (وقد روى) ان أبابكر
رضى الله عنه قال نظرت الى
قدمى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقد تقطرتا دما فاستبكيت
وعلمت انه لم يكن تعوّد الحفاء
والجفوة قيل ان ذلك من خشونة
الجبل وكان صلى الله عليه وسلم
حافيا ومشى ليلته على اطراف
اصابعه لئلا يظهر أثر رجله على
الارض وقيل انهم ضلوا عن
الطريق الموصل للغار فبعدت
المسافة عليهم (وفى بعض الروايات)
ان أبا بكر رضى الله عنه كان
يحمل النبى صلى الله عليه وسلم
على كاهله فى بعض الطريق لشدة
محبته له صلى الله عليه وسلم وفى
رواية ان أبابكر رضى الله عنه
كان يمشى بين يديه ساعة ومن
خلفه ساعة ومرة عن يمينه
ومرة عن شماله فسأله صلى الله
عليه وسلم عن ذلك فقال اذكر
الطلب فأمشى خلفك واذكر
الرصد فأمشى امامك وعن
يمينك وشمالك لا آمن عليك
فقال لو كان شئ أحببت
أن تقتل دونى فقال اى والذى بعثك بالحق ولهذا جاء عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال ليلة من ليالى فرجع
ابى بكر رضى الله عنه خير مما أعطى عمر وآل عمر يعنى بذلك ليلة الهجرة هذه فلما انتهيا الى الغار قال مكانك يا رسول الله حتى
أستبرئ لك الغار فاستبرأه وذلك انه دخل الغار قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقيه بنفسه خوفا من أن يكون فى الغار شئ من

ان يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم اى وفى البخارى عن عروة بن الزبير رضى
الله تعالى عنهما قال قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص أخبرنى باشد ما صنع المشركون
برسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بفناء الكعبة اذ
أقبل عقبة بن أبى معيط فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه فى عنقه
فخنقه خنقا شديدا فأقبل أبو بكر رضى الله تعالى عنه فأخذ بمنكبيه ودفع عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم الحديث ولعل أشدية ذلك باعتبار ما بلغ عبد الله بن عمرو رضى الله
تعالى عنهما أو ما رآه * وعنه رضى الله تعالى عنه قال ما رأيت قريشا أصابت من عداوة
أحد ما أصابت من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد حضرتهم يوما وقد اجتمع
ساداتهم وكبراؤهم فى الحجر فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما صبرنا لامر
كصبرنا الامر هذا الرجل قط ولقد سفه احلامنا وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا
وسب آلهتنا لقد صبرنا منه على أمر عظيم فبينما هم كذلك اذ طلع عليهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فأقبل يمشى حتى استلم الركن ثم مر طائفا بالبيت فلما مر بهم لمزوه ببعض القول
فعرفنا ذلك فى وجهه ثم مر بهم الثانية فلمزوه بمثلها فعرفنا ذلك فى وجهه ثم مر بهم الثالثة
فلمزوه فوقف عليهم وقال أتسمعون يا معشر قريش أما والذى نفس محمد بيده لقد جئتكم
بالذبح فارتعبوا الكلمته صلى الله عليه وسلم تلك وما فى رجل منهم الا كأنما على رأسه طائر
واقع فصاروا يقولون يا أبا القاسم انصرف فوالله ما كنت جهولا فانصرف رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما كان الغد اجتمعوا فى الحجر وأنا معهم فقال بعضهم لبعض ذكرتم ما بلغ
منكم وما بلغكم عنه حتى اذا نادا كم بما تكرهون تركتموه فبينما هم كذلك اذ طلع عليهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فتواثبوا اليه وثبة رجل واحد وأحاطوا به وهم يقولون
أنت الذى تقول كذا وكذا يعنى عيب آلهتهم ودينهم فقال نعم أنا الذى أقول ذلك فأخذ
رجل منهم بمجمع ردائه عليه الصلاة والسلام فقام أبو بكر دونه وهو يبكى ويقول
أتقتلون رجلا ان يقول ربى الله فأطلقه الرجل ووقعت الهيبة فى قلوبهم فانصرفوا
عنه فذلك أشد ما رأيتهم نالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية ألست تقول فى
آلهتنا كذا وكذا قال بلى فتشبثوا به بأجمعهم فأتى الصريخ الى أبى بكر فقيل له أدرك
صاحبك فخرج أبو بكر حتى دخل المسجد فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس
مجتمعون عليه فقال ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم
فكفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبلوا على ابى بكر يضربونه قالت بنته اسماء

الهوام ويروى انه قال والذى بعثك بالحق لا تدخله حتى أدخله قبلك فان كان فيه شئ نزل بى قبلك فدخله وجعل يلتمس بيده فكلما رأى جحرا قطع من ثوبه والقمه الجحر حتى فعل ذلك بثوبه أجمع فبقى جحر فوضع عقبه عليه ويروى فالقمه أبو بكر رجليه لئلا يخرج منه ما يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم لاشتهاره بكونه مسكن الهوام ثم بعد هذا استبرائه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادخل فانى سويت لك مكانا فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع رأسه فى حجر أبى بكر رضى الله عنه ونام وسد أبو بكر رضى الله عنه ما بقى من ثقوب الغار برجليه فلدغ فى رجله من الجحر ولم يتحرك لئلا يوقظ المصطفى صلى الله عليه وسلم وفى رواية فجعلت الحيات والافاعى تلسعنه وجعلت دموعه تتحدر من ألم لسعها فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستيقظ وقال مالك يا أبا بكر قال لدغت فداك أبى وأمى فتفل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب ما يجده وفى رواية فلما أصبح رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبى بكر أثر الورم فسأله فقال من لدغة الحية فقال هلا أخبرتنى قال كرهت ان أوقظك فمسحه فذهب ما به من الورم وفى رواية لابى نعيم عن أنس رضى الله عنه فلما أصبح قال لابى بكر رضى الله عنه أين ثوبك فأخبره بالذى صنع فرفع يديه وقال اللهم اجعل أبا بكر معى فى درجتى فى الجنة

فأوحى الله اليه قد استجبنا لك وفى رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما فقال له صلى الله عليه وسلم رحمك الله صدقتنى حين كذبنى الناس ونصرتنى حين خذلنى الناس وآمنت بى حين كفر بى الناس وآنستنى فى وحشتى قال الزرقانى والظاهر كما قال شيخنا يعنى الشبراملسى انه كان عليه غير ثوبه مما يستر جميع البدن اذ لم ينقل طلبه لغيره ممن كان

فرجع الينا فجعل لا يمس شيأ من غدائره الا أجابه وهو يقول تباركت ياذا الجلال والاكرام وجاءتهم جذبوا رأسه صلى الله عليه وسلم ولحيته حتى سقط أكثر شعره فقام أبو بكر دونه وهو يقول أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله اى وهو يبكى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعهم يا أبا بكر فوالذى نفسى بيده انى بعثت اليهم بالذبح ففرجوا عنه صلى الله عليه وسلم وعن فاطمة رضى الله تعالى عنها قالت اجتمعت مشركو قريش فى الحجر فقالوا اذا مر محمد فليضربه كل واحد منا ضربة فسمعت فدخلت على أبى فذكرت ذلك له اى قالت له وهى تبكى تركت الملأ من قريش قد تعاقدوا فى الحجر فحلفوا باللات والعزى ومناة واساف ونائلة اذا هم رأوك يقومون اليك فيضربونك بأسيافهم فيقتلونك فقال صلى الله عليه وسلم يا بنية اسكتى وفى لفظ لا تبكى ثم خرج صلى الله عليه وسلم اى بعد ان توضأ فدخل عليهم المسجد فرفعوا رؤسهم ثم نكسوا فأخذ قبضة من تراب فرمى بها نحوهم ثم قال شاهت الوجوه فما أصاب رجلا منهم الا قتل يوم بدر اى وكان بجواره صلى الله عليه وسلم جماعة منهم أبو لهب والحكم بن أبى العاص بن أمية والد مروان وعقبة بن أبى معيط فكانوا يطرحون عليه صلى الله عليه وسلم الاذى فاذا طرحوه عليه أخذه وخرج به ووقف على بابه ويقول يا بنى عبد مناف اى جوار هذا ثم يلقيه فى الطريق ولم يسلم ممن ذكر الا الحكم وكان فى اسلامه شئ وتقدم انه صلى الله عليه وسلم نفاه الى وج الطائف وانه سيأتى السبب فى نفيه واشار صاحب الهمزية الى أن هذه الاذية له صلى الله عليه وسلم لا يظن ظان أنها منقصة له صلى الله عليه وسلم بل هى رفعة له ودليل على فخامة قدره وعلو مرتبته وعظيم رفعته ومكانته عند ربه لكثرة صبره وحلمه واحتماله مع علمه باستجابة دعائه ونفوذ كلمته عند الله تعالى وقد قال صلى الله عليه وسلم أشد الناس بلاء الانبياء وذلك سنة من سنن النبيين السابقين عليهم الصلاة والسلام بقوله

لا تخل جانب النبى مضاما * حين مسته منهم الاسواء
كل أمر ناب النبيين فالشدة فيه محمودة والرخاء
لو يمس النضار هون من النا * ر لما اختير للنضار الصلاء

اى لا تظن ان النبى صلى الله عليه وسلم حصل له الضيم وقت مسته الاذيات حالة كونها صادرة منهم لان كل أمر من الامور العظيمة أصاب النبيين فالشدة التى تحصل لهم منه محمودة لانها لرفع الدرجات والضيقة التى تحصل لهم أيضا محمودة لانه لو كان يمس الذهب هوان من ادخاله النار لما اختير له العرض على النار فالانبياء عليهم الصلاة والسلام

يأتى لهما بالغار كابنه وابن فهيرة ويروى ايضا ان أبا بكر رضى الله عنه لما دخل الغار أصاب يده شئ فخرج من اصبعه دم فجعل يمسح الدم ويقول هل أنت الا اصبع دميت * وفى سبيل الله مالقيت فهذا البيت من انشاء الصديق رضى الله عنه وقد تمثل به النبى صلى الله عليه وسلم اذ أصابه حجر فدميت اصبعه والممتنع عليه صلى الله عليه وسلم انما هو انشاء الشعر لا انشاده ثم ان هذا البيت تمثل به كثير من الصحابة كابن رواحة والوليد بن الوليد بن المغيرة وجعفر بن أبى طالب رضى الله عنهم ويروى ان أبا بكر رضى الله عنه لما رأى القافة اشتد حزنه وبكى وأقبل عليه الهم والخوف والحزن كل ذلك خوفا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان قتلت فانما أنا رجل واحد لا تهلك الامة بقتلى فلا يفوتهم نفع ولا يلحقهم ضرر وان هلكت أنت هلكت الامة بهلاك الدين فعند ذلك قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا يعنى بالمعونة والنصر فالمعية معنوية لاستحالة الحسية فى حقه تعالى وليس المراد بالعلم فقط لان ذلك حاصل لكل موجود لا يختص بهما قال الله تعالى وهو معكم أينما كنتم وقوله تعالى فأنزل الله سكينته عليه السكينة أمنة اى حالة للنفس تطمئن عندها القلوب لأمنها عما تكرهه وقوله عليه الضمير عائد على أبى بكر رضى الله عنه المعبر عنه بقوله صاحبه فى قول الاكثر قال البيضاوى وهو الاظهر لانه كان منزعجا الا على النبى صلى الله عليه وسلم لانه لم تزل السكينة معه قاله ابن عباس رضى الله عنهما الله وقوله وأيده الضمير عائد على النبى صلى الله عليه وسلم بجنود لم تروها يعنى الملائكة اى ليحرسوه ويصرفوا وجوه المشركين عنه فانظر وتأمل بعين البصيرة فى أمر المصطفى صلى الله عليه وسلم وشفقته على الصديق رضى الله عنه لما علم النبى صلى الله عليه

كالذهب والشدائد التى تصيبهم كالنار التى يعرض عليها الذهب فان ذلك لا يزيد الذهب الا حسنا فكذلك الشدائد لا تزيد الانبياء الا رفعة قال ومما وقع لابى بكر رضى الله تعالى عنه من الاذية ماذكره بعضهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل دار الارقم ليعبد الله تعالى ومن معه من اصحابه فيها سرا اى كما تقدم وكانوا ثمانية وثلاثين رجلا ألح أبو بكر رضى الله تعالى عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الظهور اى الخروج الى المسجد فقال يا أبا بكر انا قليل فلم يزل به حتى خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من أصحابه الى المسجد وقام أبو بكر فى الناس خطيبا ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ودعا الى الله ورسوله فهو أول خطيب دعا الى الله تعالى وثار المشركون على أبى بكر وعلى المسلمين يضربونهم فضربوهم ضربا شديدا ووطئ أبو بكر بالارجل وضرب ضربا شديدا وصار عتبة بن ربيعة يضرب أبا بكر بنعلين مخصوفتين اى مطبقتين ويحرفهما الى وجهه حتى صار لا يعرف أنفه من وجهه فجاءت بنو تيم يتعادون فأجلت المشركين عن ابى بكر وحملوه فى ثوب الى أن أدخلوه منزله ولا يشكون فى موته اى ثم رجعوا فدخلوا المسجد فقالوا والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة ثم رجعوا الى أبى بكر وصار والده أبو قحافة وبنو تيم يكلمونه فلا يجيب حتى اذا كان آخر النهار تكلم وقال مافعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فعذلوه فصار يكرر ذلك فقالت أمه والله مالى علم بصاحبك فقال اذهبى الى أم جميل بنت الخطاب أخت عمر بن الخطاب اى فانها كانت أسلمت رضى الله تعالى عنها كما تقدم وهى تخفى اسلامها فاسأليها عنه فخرجت اليها وقالت لها ان أبا بكر يسأل عن محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا أعرف محمدا ولا أبا بكر ثم قالت لها تريدين أن أخرج معك قالت نعم فخرجت معها الى أن جاءت أبا بكر رضى الله تعالى عنه فوجدته صريعا فصاحت وقالت ان قوما نالوا هذا منك لاهل فسق وانى لارجو أن ينتقم الله منهم فقال لها ابو بكر مافعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له هذه أمك تسمع قال فلا عين عليك منها اى انها لا تفشى سرك قالت سالم فقال أين هو فقالت فى دار الارقم فقال والله لا أذوق طعاما ولا أشرب شرابا او آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت أمه فأمهلنا حتى اذا هدأت الرجل وسكن الناس فخرجنا به يتكئ على حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرق له رقة شديدة وأكب عليه يقبله وأكب عليه المسلمون كذلك فقال بأبى وأمى أنت يا رسول الله مابى من بأس الا ما نال الناس من وجهى وهذه أمى برة بولدها فعسى الله أن ينقذها بك من النار فدعا لها رسول

وسلم حزن الصديق لكن لا على نفسه قوى الرسول صلى الله عليه وسلم قلبه ببشارة لا تحزن ان الله معنا وكانت صحبة النبى صلى الله عليه وسلم أبا بكر بكونه ثانى اثنين مدخرة له دون جميع الصحابة رضى الله عنهم فهو الثانى فى الاسلام والثانى فى بذل النفس والعمر وسبب الموت لانه لما جعل نفسه وقاية له كأنه بذل نفسه وعمره حفظا له عليه الصلاة والسلام فلما وقى الرسول صلى الله عليه وسلم بماله ونفسه جوزى بوازرته معه فى رمسه وقام مؤذن التشريف ينادى على منابر الامصار ثانى اثنين اذ هما فى الغار وكفى للصديق بهذا شرفا ولقد أحسن حسان رضى الله عنه حيث قال له النبى صلى الله عليه وسلم هل قلت فى أبى بكر شيأ قال نعم قال قل وأنا اسمع فقال

وثانى اثنين فى الغار المنيف وقد
طاف العدو به اذ صاعد الجبلا
وكان حب رسول الله قد علموا
من الخلائق لم يعدل به بدلا

فضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال صدقت يا حسان هو كما قلت وعن أبى بكر رضى الله عنه انه قال لجماعة ايكم يقرأ سورة التوبة قال رجل أنا اقرأ فلما بلغ اذ يقول لصاحبه لا تحزن بكى ابو بكر رضى الله عنه وقال والله انا صاحبه وقال أبو الدرداء رضى الله عنه رآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمشى امام ابى بكر رضى الله عنه فقال يا ابا الدرداء تمشى امام من هو افضل منك فى الدنيا والآخرة فو الذى نفس محمد بيده ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين افضل من ابى بكر وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أتانى جبريل فقال ان الله يأمرك أن تستشير أبا بكر وعن أنس رضى الله عنه حب أبى بكر واجب على أمتى قال بعضهم وتأمل قوله موسى عليه السلام لبنى اسرائيل كلا ان معى ربى سيهدين وقول نبينا صلى الله

الله صلى الله عليه وسلم ودعاها الى الاسلام فأسلمت انتهى هذا وذكر الزمخشرى فى كتابه خصائص العشرة أن هذه الواقعة حصلت لابى بكر لما أسلم وأخبر قريشا باسلامه فليتأمل فان تعدد الواقعة بعيد وبما وقع لابن مسعود رضى الله تعالى عنه من الاذية ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمعوا يوما فقالوا والله ما سمعت قريش القرآن جهرا الا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن فيكم يسمعهم القرآن جهرا فقال عبد الله ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أنا فقالوا انا نخشى عليك منهم انما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه من القوم فقال دعونى فان الله سيمنعنى منهم ثم انه قام عند المقام وقت الضحى وقريش فى أنديتهم فقال بسم الله الرحمن الرحيم رافعا صوته الرحمن علم القرآن واستمر فيها فتأملته قريش وقالوا ما بال ابن أم عبد فقال بعضهم يتلو بعض ما جاء به محمد ثم قاموا اليه يضربون وجهه وهو مستمر فى قراءته حتى قرأ غالب السورة ثم انصرف الى أصحابه وقد أدمت قريش وجهه فقال له أصحابه هذا الذى خشينا عليك منه فقال والله ما رأيت أعداء الله أهون على مثل اليوم ولو شئتم لأتينهم بمثلها غدا قالوا لا قد أسمعتهم ما يكرهون وبما وقع له صلى الله عليه وسلم من الاذية انه كان اذا قرأ القرآن تقف له جماعة عن يمينه وجماعة عن يساره ويصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار لانهم تواصوا وقالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه حتى كان من أراد منهم سماع القرآن أتى خفية واسترق السمع خوفا منهم وبما وقع له صلى الله عليه وسلم من الاذية ما كان سببا لاسلام عمه حمزة رضى الله تعالى عنه وهو ما حدث به ابن اسحق قال حدثنى به رجل من أسلم ان أبا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم عند الصفا اى وقيل عند الحجون فآذاه وشتمه ونال منه ما يكرهه اى وقيل انه صب التراب على رأسه اى وقيل ألقى عليه فرثا ووطئ برجله على عاتقه فلم يكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومولاة لعبد الله بن جدعان فى سكن لها تسمع ذلك وتبصره ثم انصرف أبو جهل الى نادى قريش اى محل تحدثهم فى المسجد فجلس معهم فلم يلبث حمزة ان أقبل متوشحا بسيفه راجعا من قنصه اى من صيده وكان من عادته اذا رجع من قنصه لا يدخل الى اهله الا بعد أن يطوف بالبيت فمر على تلك المولاة فأخبرته الخبر أى فقالت له يا أبا عمارة لو رأيت ما لقى ابن أخيك محمد صلى الله عليه وسلم آنفا من أبى الحكم بن هشام تعنى أبا جهل وجده ههنا جالسا فآذاه وسبه وبلغ منه ما يكره ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد صلى الله عليه وسلم اى وقيل الذى أخبرته مولاة اخته صفية بنت عبد المطلب قالت له انه صب التراب على رأسه وألقى

عليه قرنا ووطئ برجله على عاتقه وعلى القاء الفرث عليه اقتصر أبو حيان فى النهر فقال لها حمزة أنت رأيت هذا الذى تقولين قالت نعم وفى رواية فلما رجع حمزة من صيده اذا امرأتان تمشيان خلفه فقالت احداهما لو علم ماذا صنع أبو جهل بابن أخيه اقصر عن مشيته فالتفت اليهما فقال ماذا الذى قالت أبو جهل فعل بمحمد كذا وكذا ولا مانع من تعدد الاخبار من المرأتين والمولاتين فاحتمل حمزة الغضب ودخل المسجد فرأى اباجهل جالسا فى القوم فأقبل نحوه حتى قام على رأسه رفع القوس وضربه فشجه شجة منكرة ثم قال أتشتمه فانا على دينه أقول ما يقول فرد على ذلك ان استطعت اى وفى لفظ ان حمزة لما قام على رأس أبى جهل بالقوس صار أبو جهل يتضرع اليه ويقول سفه عقولنا وسب آلهتنا وخالف أباءنا قال ومن أسفه منكم تعبدون الحجارة من دون الله أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقامت رجال من بنى مخزوم اى من عشيرة أبى جهل الى حمزة لينصروا أباجهل فقالوا ما نراك الا قد صبأت فقال حمزة وما يمنعنى وقد استبان لى منه أنا أشهد انه رسول الله وان الذى يقوله حق والله لا أنزع فامنعونى ان كنتم صادقين فقال لهم أبو جهل دعوا أباعمارة اى ويكنى أيضا بأبى يعلى اسم ولد له أيضا فانى والله لقد أسمعت ابن أخيه شيئا قبيحا وتم حمزة على اسلامه اى استقر اى بعد ان وسوس له الشيطان فقال لنفسه لما رجع الى بيته أنت سيد قريش اتبعت هذا الصابئ وتركت دين آبائك الموت خير لك مما صنعت ثم قال اللهم ان كان رشدا فاجعل تصديقه فى قلبى والا فاجعل لى مما وقعت فيه مخرجا فبات بليلة لم يبت بمثلها من وسوسة الشيطان حتى أصبح فغدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخى انى قد وقعت فى أمر لا اعرف المخرج منه واقامة مثلى على ما لا أدرى ارشد هو أم غى شديد فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره ووعظه وخوفه وبشره فألقى الله تعالى فى قلبه الايمان بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أشهد انك لصادق فأظهر يا ابن أخى دينك ○ وقد قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان هذه الواقعة سبب النزول قوله تعالى أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس يعنى حمزة كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها يعنى أباجهل وسر رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلام حمزة سرورا كبيرا لانه كان أعز فتى فى قريش وأشدهم شكيمة اى أعظمهم فى عزة النفس وشهامتها ومن ثم لما عرفت قريش ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عز كفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه صلى الله عليه وسلم وأقبلوا على بعض أصحابه بالاذية سيما المستضعفين منهم الذين

عليه وسلم للصديق ان الله معنا فقدم المسند اليه للاشارة الى انه لا يزول عن الخاطر لشدة التعلق به أو لانه يستلذ به لكونه محبوبا للعباد اذ لا انفكاك لاحد عن الاحتياج اليه أو لتعظيمه بوصفه بالالوهية لان سائر صفات الكمال تتفرع عليه وموسى عليه السلام خص نفسه بشهود المعية له وحده ولم يتعد ذلك الشهود منه الى اتباعه حيث قال ان معى ربى ونبينا صلى الله عليه وسلم تعدى منه شهوده الى الصديق رضى الله عنه ولهذا لم يقل ان الله معى بل قال معنا لانه أمد الصديق رضى الله عنه بنوره فشهد سر المعية ومن ثم سرى سر السكينة الى أبى بكر رضى الله عنه والا لم يثبت تحت اعباء هذا التجلى والشهود اذ ليس فى طوق البشر ذلك الثبوت الا بذلك الامداد وفرق بين معية الربوبية فى قصة موسى عليه السلام ومعية الالوهية فى قصة نبينا عليه الصلاة والسلام فانه فى قصة موسى قال ان معى ربى والرب من التربية وهى التنمية والاصلاح وقال فى قصة نبينا صلى الله عليه وسلم ان الله معنا فعبر بلفظ الجلالة وهو الاسم الجامع لصفات الكمال وكان مكثه صلى الله عليه وسلم مع أبى بكر رضى الله عنه فى الغار ثلاث ليال وكان يبيت عندهما فى الغار عبد الله بن ابى بكر الصديق رضى الله عنهما وهو غلام شاب ثقف اى فطن حاذق ثابت المعرفة بما يحتاج اليه فيدلج من عندهما بسحر الى مكة فيصبح مع قريش كبائت بمكة لشدة رجوعه بغلس فلا يسمع بأمر يكادان به اى يطلب لهما فيه المكروه الا حفظه حتى يأتيهما به حين يختلط لا الظلام وكان عامر بن فهيرة رضى الله عنه مولى أبى بكر رضى الله عنه يرعى غنما لابى بكر رضى الله عنه فكان يروح عليهما بالغنم كل ليلة حين تذهب ساعة من العشاء فيحلبان ويشربان ثم يسرح بكرة فيصبح فى رعيان الناس فلا يفطن له أحد يفعل

لاجوار لهم اى لاناصر لهم فان كل قبيلة غدت على من أسلم منهم تعذبه وتفتنه عن دينه بالحبس والضرب والجوع والعطش وغير ذلك اى حتى ان الواحد منهم ما يقدر ان يستوى جالسا من شدة الضرب الذى به وكان أبو جهل يحرضهم على ذلك وكان اذا سمع بأن رجلا أسلم وله شرف ومنعة جاء اليه ووبخه وقال له ليغلبن رأيك وليضعفن شرفك وان كان تاجرا قال والله لتكسدن تجارتك ويهلك مالك وان كان ضعيفا أغرى به ○ حتى ان منهم من فتن عن دينه ورجع الى الشرك كالحرث بن ربيعة بن الاسود وأبى قيس ابن الوليد بن المغيرة وعلى بن أمية بن خلف والعاص بن منبه بن الحجاج وكل هؤلاء قتلوا على كفرهم يوم بدر وممن فتن عن دينه وثبت عليه ولم يرجع للكفر بلال رضى الله تعالى عنه وكان مملوكا لامية بن خلف فعن بعضهم ان بلالا كان يجعل فى عنقه حبل يدفع الى الصبيان يلعبون به ويطوفون به فى شعاب مكة وهو يقول أحد أحد بالرفع والتنوين او بغير تنوين اى الله أحد أو يا أحد فهو اشارة لعدم الاشراك وقد أثر الحبل فى عنقه وعن ابن اسحق ان أمية بن خلف كان يخرج بلالا اذا حميت الظهيرة بعد ان يجيعه ويعطشه يوما وليلة فيطرحه على ظهره فى الرمضاء اى الرمل اذا اشتدت حرارته لو وضعت عليه قطعة لحم لنضجت ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى فيقول أحد أحد اى انا لا أشرك بالله شيأ انا كافر باللات والعزى ○ اى وقيل كان بلال مولدا من مولدى مكة وكان لعبد الله بن جدعان التيمى وكان من جملة مائة مملوك مولدة له فلما بعث الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أمر بهم فأخرجوا من مكة اى خوف اسلامهم فأخرجوا الا بلالا فانه كان يرعى غنمه فأسلم بلال وكتم اسلامه فسلح بلال يوما على الاصنام التى حول الكعبة ويقال انه صار يبصق عليها ويقول خاب وخسر من عبدكن فشعرت به قريش فشكوه الى عبد الله وقالوا له أصبوت قال ومثلى يقال له هذا فقالوا له ان أسودك صنع كذا وكذا فأعطاهم مائة من الابل ينحرونها للاصنام ومكنهم من تعذيب بلال فكانوا يعذبونه بما تقدم اى ويجوز ان يكون ابن جدعان بعد ذلك ملكه لامية بن خلف فلا يخالفه ما تقدم من ان أمية بن خلف كان يتولى تعذيبه وما يأتى من ان ابا بكر رضى الله تعالى عنه اشتراه منه ويقال انه صلى الله عليه وسلم مر عليه وهو يعذب فقال سينجيك أحد احد اى وقيل مر عليه ورقة بن نوفل وهو يقول أحد احد فقال نعم احد أحد والله يا بلال ثم أتى الى أمية وقال له والله لئن قتلتموه على هذا لاتخذنه حنانا اى لاتخذن قبره منسكا ومسترحما لانه من أهل الجنة

ذلك فى كل ليلة من الليالى الثلاث وكان عامر رضى الله عنه أسلم قديما حسن الاسلام وكان ممن يعذب فى الله فاشتراه ابو بكر رضى الله عنه وأعتقه واستشهد ببئر معونة فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم وفى بعض الروايات ان أسماء رضى الله عنها كانت تأتيهما من مكة اذا أمست بما يصلحهما من الطعام واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه قبل خروجهما من مكة عبد الله ابن اريقط دليلا وهو على دين كفار قريش فسخره الله لهما ليقضى الله أمره ولم يعرف له اسلام فدفعا اليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فأتاهما براحلتيهما صبح ثلاث وفى رواية الزهرى حتى اذا هدأت عنهما الاصوات جاء صاحبهما ببعيريهما وانطلق معهما عامر ابن فهيرة يخدمهما ويعينهما يردفه أبو بكر ويعقبه ليس معهما غيره والدليل فأخذ بهم طريق الساحل وفى رواية فأجازهما أسفل مكة ثم مضى بهما حتى جاء بهما الساحل اسفل من عسفان ثم اجازهما حتى عارض الطريق وصار أبو بكر رضى الله عنه اذا سأله سائل عن النبى صلى الله عليه وسلم من هذا الذى معك يقول هاديهديني الطريق وكان أبو بكر رضى الله عنه يكثر الاسفار للتجارة فكان معروفا عندهم والنبى صلى الله عليه وسلم لكونه قليل الاسفار لا يعرفونه فكان كل من لقيهما يعرف أبا بكر رضى الله عنه دون النبى صلى الله عليه وسلم فيسأله عنه فيجيبه بقوله هاد يهدينى السبيل ولا يتكلم بكلام الا ورى فى كلامه ويروى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لابى بكر رضى الله عنه ألهِ الناس اى اشغل الناس عنى اى تكفل عنى بالجواب لمن يسأل عنى فانه لا ينبغى لنبى ان يكذب اى ولو صورة كالتورية فكان أبو بكر رضى الله عنه يجيبهم بنحو ما تقدم وفى الصحيحين أنهم مروا بالصخرة فنام النبى صلى الله عليه وسلم فى ظلها

وتقدم ان هذا يدل على ان ورقة ادرك البعثة التى هى الرسالة وتقدم ما فيه فكان بلال يقول احد احد يمزج مرارة العذاب بحلاوة الايمان وقد وقع له رضى الله تعالى عنه انه لما احتضر وسمع امرأته تقول واحزناه صار يقول واطرباه غدا ألقى الاحبة محمدا وحزبه فكان بلال يمزج مرارة الموت بحلاوة اللقاء وقد ذكر بعضهم ان هذا قاله أبو موسى الاشعرى ومن معه لما وفدوا عليه صلى الله عليه وسلم وهو فى خيبر اى صاروا يقولون غدا نلقى الاحبة محمدا وحزبه ومر به أبو بكر رضى الله تعالى عنه يوما وهو ملقى على ظهره فى الرمضاء وعلى صدره تلك الصخرة فقال لامية بن خلف الا تتقى الله تعالى فى هذا المسكين حتى متى تعذبه قال أنت أفسدته فأنقذه مما ترى قال أبو بكر عندى غلام أسود أجلد منه واقوى اى على دينك أعطيكه به قال قبلت قال هو لك فأعطاه أبو بكر غلامه ذلك واخذ بلالا فأعتقه وفى تفسير البغوى قال سعيد بن المسيب بلغنى ان أمية بن خلف قال لابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فى بلال حين قال أتبيعنيه قال نعم أبيعه بقسطاس يعنى عبد الابى بكر رضى الله تعالى عنه كان صاحب عشرة آلاف دينار وغلمان وجوار ومواش وكان مشركا يأبى الاسلام فاشتراه أبو بكر به هذا كلامه وفى الامتاع لما ساوم أبو بكر أمية بن خلف فى بلال قال أمية لاصحابه لالعبن بأبى بكر لعبة ما لعبها أحد بأحد ثم تضاحك وقال له أعطنى عبدك قسطاس فقال أبو بكر ان فعلت تفعل قال نعم قال قد فعلت فتضاحك وقال لا والله حتى تعطينى معه امرأته قال ان فعلت تفعل قال نعم قال قد فعلت ذلك فتضاحك وقال لا والله حتى تعطينى ابنته مع امرأته قال ان فعلت تفعل قال نعم قال قد فعلت ذلك فتضاحك وقال لا والله حتى تزيدنى معه مائتى دينار فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه انت رجل لا تستحى من الكذب قال لا واللات والعزى لئن أعطيتنى لافعلن فقال هى لك فأخذه هذا كلامه وقيل اشتراه بتسع وقيل بخمس أواق اى ذهبا اى وقيل ببردة وعشرة أواق من فضة وفى رواية برطل من ذهب ويروى ان سيده قال لابى بكر لو أبيت الا أوقية اى لو قلت لا أشتريه الا بأوقية لبعناكه فقال لو طلبت مائة أوقية لاخذته بها ولما قال المشركون انما اعتق أبو بكر بلالا ليد كانت له عنده فيكافئه بها أنزل الله تعالى والليل اذا يغشى السورة فالاتقى أبو بكر رضى الله تعالى عنه والاشقى أمية بن خلف قال الامام فخر الدين أجمع المفسرون هنا على ان المراد بالاتقى أبو بكر وذهب الشيعة الى ان المراد به على رضى الله تعالى عنه وكرم وجهه ويرده وصف الاتقى بقوله تعالى وما لاحد عنده من نعمة تجزى لان هذا

وراى ابو بكر رضى الله عنه راعيا معه غنم فاستحلبه فحلب له منها فبرده أبو بكر رضى الله عنه حتى قام صلى الله عليه وسلم فسقاه ثم ارتحلوا فمروا بقديد على أم معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية وهى معدودة من الصحابيات رضى الله عنها لانها أسلمت بعد ذلك وكانت امرأة برزة عفيفة جليلة جلدة قوية تحتبى بفناء القبة ثم تسقى وتطعم من يمر بها وكان القوم مرملين مسنتين اى مقحطين فطلبوا منها لبنا او لحما أو تمرا يشترونه منها فلم يجدوا عندها شيأ وقالت والله لو كان عندنا شئ ما أعوزنا القرى فنظر صلى الله عليه وسلم الى شاة فى كسر الخيمة خلفها الجهد اى الهزال عن الغنم فسألها صلى الله عليه وسلم هل بها من لبن فقالت هى أجهد من ذلك تريد انها لضعفها وعدم طروق الفحل لها دون من لها لبن فقال اتأذنين لى ان احلبها فقالت نعم بأبى أنت وأمى ان رأيت بها حلبا اى لبنا فى الضرع فاحلبها فدعا بالشاة فاعتقلها اى وضع رجلها بين ساقه وفخذه ليحلبها ومسح ضرعها وسمى الله تعالى فتفاجت ودرت ودعا باناء لها يجى له باناء يربض الرهط اى يشبع الجماعة حتى يربضوا فحلب فيه ثجا اى حلبا قويا وسقى ام معبد ثم سقى القوم حتى رووا ثم شرب آخرهم وقال ساقى القوم آخرهم شربا ثم حلب فيه مرة أخرى فشربوا عللا بعد نهل اى ثانيا بعد الاول ثم حلب ثالثا وتركه عندها وفى رواية قال لها ارفعى هذا لابى معبد اذا جاءك ثم ركبوا وذهبوا وفى بعض الروايات انها لما شاهدت هذه المعجزة تسلفت من جيرانها شاة الوصف أخرى وذبحتها اكراما له صلى الله عليه وسلم فشاهدت فيها معجزة أخرى حيث أكل منها صلى الله عليه وسلم هو ومن معه وملأت سفرتهم منها وبقى أكثرها عند أم معبد وبقيت الشاة التى مس ضرعها الى زمن عمر رضى الله عنه ثم بعد ارتحالهم جاء

زوجها أبو معبد واسمه أكثم بن أبي الجون الخزاعي رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك قال السهيلي وله رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم وتوفي في حياته أقبل يسوق عنزا عجافا فلما رأى اللبن عجب وقال ما هذا يا ام معبد انى لك هذا ولا حلوب بالبيت فقالت انه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا اى راى الشاة ودعا لها وحكت له القصة فقال صفيه يا ام معبد فقالت رأيت رجلا ظاهر الوضاءة مليح الوجه حسن الخلق لم تعبه ثجلة ولم تزر به صعلة والمراد انه وسيم قسيم اى كامل الحسن في عينيه دعج وفي أشفاره وطف اى طول احور اكحل ازج اقرن شديد سواد الشعر في عنقه سطع اى طول وفي لحيته كثاثة اذا صمت فعليه الوقار واذا تكلم سما وعلاه البهاء كأن منطقه خرزات نظمن طوال يتحدرن حلو المنطق لا نزر ولا هذر اجهر الناس اذا تكلم واجلهم من بعيد واحلاهم واحسنهم من قريب ربعة لا تشنؤه من طول ولا تقتحمه عين من قصر غصن بين غصنين فهو انضر الثلاثة منظرا واحسنهم قدرا له رفقاء يحفون به اى يستديرون حوله اذا قال استمعوا لقوله واذا امر تبادروا لامره محفود اى مخدوم محشود اى عنده قوم لا عابس ولا مفند اى ليس كثير اللوم فقال ابو معبد هذا والله صاحب قريش لو رايته لاتبعته وفي رواية ولقد هممت ان اصحبه ولافعلن ان وجدت الى ذلك سبيلا وما زالت قريش تطلب النبي صلى الله عليه وسلم حتى بلغوا ام معبد فسألوها عنه صلى الله عليه وسلم ووصفوه لها فقالت ما ادري ما تقولون قد صادفني حالب الحائل فقالوا ذاك الذي نريده ثم اسلمت رضي الله عنها وهاجرت قال السيد السمهودي في الوفاء هاجرت هي وزوجها واسلما وفي خلاصة الوفاء فخرج ابو معبد في اثرهم ليسلم فيقال انه ادركهم ببطن ريم فبايعه وانصرف وفي شرح

الوصف لا يصدق على علي رضي الله تعالى عنه لانه كان في تربية النبي صلى الله عليه وسلم اى كما تقدم فكان صلى الله عليه وسلم منعما عليه نعمة يجب عليه جزاؤها اى نعمة دنيوية لانها التي يجازى عليها بخلاف أبي بكر فانه لم يكن له صلى الله عليه وسلم عليه نعمة دنيوية وانما كان له نعمة الهداية وهي نعمة لا يجازى عليها قال الله تعالى قل لا أسألكم عليه أجرا فتعين حمل الآية على أبي بكر رضي الله تعالى عنه فيلزم من ذلك ان يكون أبو بكر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقية الانبياء عليهم الصلاة والسلام أفضل الخلق لان الله تعالى يقول ان أكرمكم عند الله أتقاكم والاكرم هو الافضل وبين ذلك الفخر الرازي بأن الامة مجمعة على ان أفضل الخلق بعد النبي صلى الله عليه وسلم اما ابو بكر واما علي ولا يمكن حمل الآية على علي لما تقدم فتعين حملها على أبي بكر وذكر بعض أهل المعاني اى المبينين لمعاني القرآن كالزجاج والفراء والاخفش أن المراد بالاشقى والاتقى الشقي والتقي فأوقع أفعل التفضيل موضع فعيل فهو عام في أمية بن خلف وأبي بكر وغيرهما وان كان السبب خاصا والذي بخل واستغنى المراد به أبو سفيان لانه كان عاتب أبا بكر في انعامه واعتاقه وقال له أضعت مالك والله لا تصيبه أبدا وقيل المراد به أمية بن خلف ولما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ان أبا بكر اشترى بلالا قال له الشركة يا أبا بكر فقال قد أعتقته يا رسول الله اى لان بلالا قال لابي بكر حين اشتراه ان كنت اشتريتني لنفسك فأمسكني وان كنت انما اشتريتني لله عز وجل فدعني لله فأعتقه هذا وذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم لقي أبا بكر رضي الله تعالى عنه فقال لو كان عندنا مال اشتريت بلالا فانطلق العباس رضي الله تعالى عنه فاشتراه فبعث به الى أبي بكر اى ملكه له فأعتقه فليتأمل الجمع بين هذا وما تقدم * وقد اشترى أبو بكر رضي الله تعالى عنه جماعة آخرين ممن كان يعذب في الله منهم حمامة أم بلال ومنهم عامر بن فهيرة فانه كان يعذب في الله تعالى حتى لا يدري ما يقول وكان لرجل من بني تيم من ذوي قرابة أبي بكر رضي الله تعالى عنه ومنهم أبو فكيهة كان عبد الصفوان بن أمية أسلم حين أسلم بلال فربه أبو بكر رضي الله تعالى عنه وقد أخذه أمية ابو صفوان واخرجه نصف النهار في شدة الحر مقيدا الى الرمضاء فوضع على بطنه صخرة فخرج لسانه وأخو أمية يقول له زده عذابا حتى يأتي محمد فيخلصه بسحره فاشتراه ابو بكر رضي الله تعالى عنه ومنهم امرأة وهي زنيرة بزاي فنون مشددة مكسورة بين فتحتين فتحتية ساكنة وهي في اللغة الحصاة الصغيرة عذبت في الله تعالى حتى عميت قال لها يوما أبو جهل ان اللات والعزى فعلا بك ما ترين فقالت له كلا والله لا تملك

السنة النبوية هاجرت هي وزوجها واسلم اخوها حبيش واستشهد يوم الفتح وكان اهلها يؤرخون بيوم نزول الرجل المباركة
روى ابن اسحق عن اسماء بنت ابى بكر رضى الله عنهما انها قالت لما خفى علينا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اتانا نفر من
قريش فيهم ابو جهل بن هشام فخرجت اليهم فقال اين ابوك يا ابنة ابى بكر فقلت والله لا ادرى اين ابى فرفع
ابو جهل يده وكان فاحشا خبيثا
فلطم خدى لطمة واحدة خرج
منها قرطى ثم انصرفوا قالت ولما
لم ندر اين توجه رسول الله صلى
الله عليه وسلم اتى رجل بعد ثلاث
ليال وفى رواية خمس ليال يغنى
بأسفل مكة يسمعون صوته ولا يرونه
قيل انه من الجن وقيل سمعوا
هاتفا على أبى قبيس وهو ينشد
هذه الابيات

جزى الله رب الناس خير جزائه
رفيقين حلا خيمتى أم معبد
هما نزلا بالبر ثم ترحلا
فأفلح من أمسى رفيق محمد
فيا لقصى ما زوى الله عنكم
به من فعال لا تجارى وسودد
ليهن بنى كعب مكان فتاتهم
ومقعدها للمؤمنين بمرصد
سلوا أختكم عن شاتها وانائها
فانكم أن تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت
له بصريح ضرة الشاة مزبد
فغادرها رهنا لديها لحالب
يرددها فى مصدر ثم مورد

قالت أسماء رضى الله عنها فلما
سمعنا قوله عرفنا حيث توجه
صلى الله عليه وسلم ورحم الله
الابوصيرى حيث يقول

وتغنت بمدحه الجن حتى * أطرب الانس منه ذاك الغناء

ولما بلغت أبيات الهاتف أهل المدينة من ظهره
الأنصار رضى الله عنهم قال حسان رضى الله عنه بعد اسلامه مجيبا للابيات

لقد خاب قوم زال عنهم نبيهم * وقدس من يسرى اليه ويغتدى
ترحل عن قوم فضلت عقولهم * وحل على قوم بنور مجدد

اللات والعزى نفعا ولا ضرا هذا أمر من السماء وربى قادر على ان يرد على بصرى فأصبحت تلك الليلة وقد رد الله تعالى عليها بصرها فقالت قريش ان هذا من سحر محمد صلى الله عليه وسلم فاشتراها أبو بكر رضى الله تعالى عنه وأعتقها اى وكذا ابنتها وفى السيرة الشامية أم عنيس بالنون أو الباء الموحدة فمثناة تحتية فسين مهملة أمة لبنى زهرة كان الاسود بن عبد يغوث يعذبها ولم يصفها بأنها بنت زنيرة فاشتراها ابو بكر رضى الله تعالى عنه وأعتقها وكذا النهدية وابنتها وكانتا للوليد بن المغيرة وكذا امرأة يقال لها لطيفة وكذا أخت عامر بن فهيرة أو أمه كانت لعمر بن الخطاب رضى الله عنه قبل ان يسلم فقد جاء أن ابا بكر رضى الله تعالى عنه مر على عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وهو يعذب جارية أسلمت استمر يضربها حتى مل قبل أن يسلم ثم قال لها انى اعتذر اليك فانى لم أتركك حتى مليت فقالت له كذلك يعذبك ربك ان لم تسلم فاشتراها منه واعتقها وفى السيرة الشامية وصفها بأنها جارية بنى المؤمل بن حبيب وكان يقال لها لبينة فجملة هؤلاء تسعة * ومن فتن عن دينه فثبت عليه خباب بن الارت بالمثناة فوق فانه سبى فى الجاهلية فاشترته أم انمار أى وكان قينا اى حدادا وكان صلى الله عليه وسلم يألفه ويأتيه فلما أسلم وأخبرت بذلك مولاته صارت تأخذ الحديدة وقد أحمتها بالنار فتضعها على رأسه فشكا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم انصر خبابا فاشتكت مولاته رأسها فكانت تعوى مع الكلاب فقيل لها اكتوى فكان خباب يأخذ الحديدة وقد أحماها فيكوى رأسها وفى البخارى عن خباب قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة فى ظل الكعبة ولقد لقينا يعنى معاشر المسلمين من المشركين شدة شديدة فقلت يا رسول الله ألا تدعو الله لنا فقعد صلى الله عليه وسلم محمرا وجهه فقال انه كان من قبلكم ليمشط أحدهم بأمشاط الحديد مادون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه ويوضع المنشار على فرق رأس أحدهم فيشق ما يصرفه عن ذلك عن دينه وليظهرن الله تعالى هذا الامر حتى يصير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه قال وعن خباب رضى الله تعالى عنه انه حكى عن نفسه قال لقد رأيتنى يوما وقد أوقدوا لى نارا ووضعوها على ظهرى فما أطفأها الا ودك ظهرى اى دهنه * ومن فتن عن دينه فثبت عمار بن ياسر رضى الله تعالى عنه كان يعذب بالنار وفى كلام ابن الجوزى كان صلى الله عليه وسلم يمر به وهو يعذب بالنار فيمر يده على رأسه ويقول يا نار كونى بردا وسلاما على عمار كما كنت على ابراهيم هذا كلامه ثم ان عمارا كشف عن

هداهم به بعد الضلالة ربهم * وأرشدهم من يتبع الحق يرشد وهل يستوى ضلال قوم تسفهوا * عمى وهداة يهتدون بمهتد
وقد نزلت منه على أهل يثرب * ركاب هدى حلت عليهم بأسعد نبى يرى مالا يرى الناس حوله * ويتلو كتاب الله فى كل مشهد
وان قال فى يوم مقالة غائب * فتصديقها فى اليوم أو فى ضحى غد ليهن أبا بكر سعادة جده * بصحبته من يسعد الله يسعد

(ثم بعد رواحهم من عند أم معبد) تعرض لهما سراقة بن مالك بن جعشم المدلجى رضى الله عنه فانه أسلم بالجعرانة عند منصرفه صلى الله عليه وسلم من غزوة حنين والطائف والمدلجى نسبة الى مدلج بن مرة بن عبد مناة بن كنانة فهو كنانى حجازى * وسبب تعرضه لهما مارواه البخارى عنه قال جاءنا رسل كفار قريش يجعلون فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر رضى الله عنه دية اى فى كل واحد منهما لمن قتله او أسره فبينما أنا جالس فى مجالس قومى بنى مدلج اذ أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال يا سراقة انى قد رأيت آنفا أسودة بالسواحل أراها محمدا وأصحابه قال سراقة فعرفت انهم هم فقلت له انهم ليسوا هم ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا بأعيننا ثم لبثت ساعة ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتى أن تخرج بفرسى من وراء أكمة فتحبسها على وأخذت رمحى فخرجت به من ظهر البيت (قال ابو بكر رضى الله عنه) تبعنا سراقة ونحن فى جلد من الارض

فقلت يارسول الله هذا الطلب قد لحقنا فقال لا تحزن ان الله معنا وكان النبى صلى الله عليه وسلم لا يلتفت وأبو بكر رضى الله عنه يكثر الالتفات قال فلما دنا منا وكان بيننا وبينه رمحان او ثلاثة قلت هذا الطلب قد لحقنا وبكيت قال صلى الله عليه وسلم ما يبكيك قلت أما والله ما على نفسى أبكى ولكن عليك فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اكفناه بما

ظهره فاذا هو قد برص اى صار أثر النار أبيض كالبرص ولعل حصول ذلك كان قبل دعائه صلى الله عليه وسلم بأن النار تكون بردا وسلاما عليه * وعن أم هانئ رضى الله تعالى عنها ان عمار بن ياسر وأباه ياسرا وأخاه عبد الله وسمية أم عمار رضى الله تعالى عنهم كانوا يعذبون فى الله تعالى فمر بهم النبى صلى الله عليه وسلم فقال صبرا آل ياسر صبرا آل ياسر فان موعدكم الجنة اى وفى رواية صبرا يا آل ياسر اللهم اغفر لآل ياسر وقد فعلت فمات ياسر فى العذاب واعطيت سمية لابى جهل اى أعطاها له عمه أبو حذيفة بن المغيرة فانها كانت مولاته فطعنها فى قلبها فماتت اى بعد أن قال لها ان آمنت بمحمد صلى الله عليه وسلم الا لانك عشقتيه لجماله ثم طعنها بالحربة فى قلبها حتى قتلها فهى أول شهيد فى الاسلام انتهى أى وعن بعضهم كان أبو جهل يعذب عمار بن ياسر وأمه ويجعل لعمار درعا من حديد فى اليوم الصائف فنزل قوله تعالى أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون وجاء ان عمار بن ياسر قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقد بلغ منا العذاب كل مبلغ فقال له النبى صلى الله عليه وسلم صبرا أبا اليقظان ثم قال اللهم لا تعذب أحدا من آل عمار بالنار * قال بعضهم وحضر عمار بدرا ولم يحضرها من أبواه مؤمنان الا هو اى من المهاجرين فلا ينافى ان بشر بن البراء بن معرور الانصارى حضر بدرا وأبواه مؤمنان (ومما أوذى به أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه) ماروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت لما ابتلى المسلمون بأذى المشركين اى وحصروا بنى هاشم والمطلب فى شعب أبى طالب واذن صلى الله عليه وسلم لاصحابه فى الهجرة الى الحبشة وهى الهجرة الثانية خرج أبو بكر رضى الله تعالى عنه مهاجرا نحو أرض الحبشة حتى اذا بلغ برك الغماد ٥ بالغين المعجمة موضع باقاصى هجر وقيل موضع وراء مكة بخمسة أميال اى وفى رواية حتى اذا سار يوما او يومين لقيه ابن الدغنة بفتح الدال وكسر الغين المعجمة وتخفيف النون وهو سيد القارة اى وهو اسمه الحرث والقارة قبيلة مشهورة كان يضرب بهم المثل فى قوة الرمى ومن ثم قيل لهم رماة الحدق لاسيما ابن الدغنة والقارة أكمة سوداء نزلوا عندها فسموا بها قال له أين تريد يا أبا بكر قال أبو بكر أخرجنى قومى فاريد ان أسيح فى الارض فاعبد ربى قال ابن الدغنة فان مثلك يا أبا بكر لا يخرج انك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق وانا لك جار فارجع فاعبد ربك ببلدك فرجع مع ابن الدغنة فطاف ابن الدغنة فى اشراف قريش وقال لهم ان أبا بكر لا يخرج مثله أتخرجون رجلا يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقرى

شئت وفى رواية اللهم اصرعه فساخت قوائم فرسه حتى بلغت الركبتين وفى رواية الى بطنها فطلب الامان وفى رواية انه سقط عن فرسه واستقسم بالازلام فخرج مايكره ثم ركبها ثانيا وقرب حتى سمع قراءة النبى صلى الله عليه وسلم فساخت يدا فرسه الى الركبتين فسقط عنها ثم خلصها واستقسم بالازلام فخرج الذى يكره فناداهم بالامان قال وكنت أرجو أن ارده فآخذ المائة الناقة (وروى) فى بعض التفاسير انه عاهد الله سبع مرات ثم نكث العهد وكلما نكث العهد تغوص قوائم فرسه فى الارض * وجاء فى رواية أن سراقة لما دنا من النبى صلى الله عليه وسلم صاح وقال يامحمد من يمنعك منى اليوم فقال النبى صلى الله عليه وسلم يمنعنى الجبار الواحد القهار ونزل جبريل عليه السلام وقال يامحمد ان الله عز وجل يقول جعلت الارض مطيعة لك فأمرها بما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياأرض خذيه فأخذت الارض أرجل جواده الى الركب فساق سراقة فرسه فلم يتحرك فقال يامحمد الامان لو أنجيتنى لاكونن لك لا عليك فقال ياأرض أطلقيه فاطلقت جواده فلما أيس ورأى تلك المعجزة قال أنا سراقة انظرونى اكلمكم فوالله لا يأتيكم منى شئ تكرهونه وأنا أعلم ان قد دعوتما علىّ فادعوا الى وفى رواية قد علمت يامحمد ان هذا من دعائك فادع الله أن ينجينى مما أنا فيه ولكما أن ارد الناس عنكما ولا اضركما وفى رواية لابن عباس وأنا لكم نافع غير ضار ولا أدرى لعل الحى يعنى قومه فزعوا الركوبى وأنا راجع ورادهم عنكم قال معينات فوقف النبى ودعا له صلى الله عليه وسلم ان الله ينجيه مما هو فيه قال فركبت فرسى حتى جئتهما ووقع فى نفسى حين لقيت مالقيت ان سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأخبرتهما خبر مايريد الناس بهما من الحرص على الظفر بهما وبذل المال لمن

الضيف ويعين على نوائب الحق وهو فى جوارى فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة اى لم ترد جواره وقالوا لابن الدغنة مر أبابكر فليعبد ربه فى داره فليصل فيها وليقرأ ماشاء ولا يؤذنا بذلك ولا يستعلن به فانا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا فقال ابن الدغنة ذلك لابى بكر رضى الله تعالى عنه فمكث أبو بكر يعبد ربه فى داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ فى غير داره ثم ابتنى مسجدا بفناء داره فكان يصلى فيه ويقرأ القرآن وكان رجلا بكاء لا يملك عينيه اذا قرأ القرآن فكانت نساء قريش يزدحمن عليه فأفزع ذلك كثيرا من أشراف قريش اى من المشركين فأرسلوا الى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا انا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه فى داره فقد جاوز ذلك فابتنى مسجدا بفناء داره فأعلن بالصلاة والقراءة وانا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا بهذا فان أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه فى داره فعل وان رأى أن يعلن بذلك فاسأله أن يرد اليك ذمتك فانا قد كرهنا أن نخفرك اى نزيل خفارتك اى ننقض جوارك ونبطل عهدك فأتى ابن الدغنة الى أبى بكر فقال قد علمت الذى قد عاقدت لك عليه فاما ان تقتصر على ذلك واما أن ترجع الىّ ذمتى فانى لا أحب أن تسمع العرب انى أخفرت اى أزيلت خفارتى فى رجل عقدت له فقال له أبو بكر فانى أرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله تعالى قال ولما رد جوار ابن الدغنة لقيه بعض سفهاء قريش وهو عابر الى الكعبة فحثى على رأسه ترابا فمر عليه بعض كبراء قريش من المشركين فقال له أبو بكر رضى الله تعالى عنه ألا ترى ماصنع هذا السفيه فقال له أنت فعلت بنفسك فصار أبو بكر يقول رب ما أحلمك قال ذلك ثلاثا انتهى اى وفى كلام بعضهم وينبغى لك أن تتأمل فيما وصف به ابن الدغنة أبا بكر بين أشراف قريش بتلك الاوصاف الجليلة المساوية لما وصفت به خديجة النبى صلى الله عليه وسلم ولم يطعنوا فيها مع ماهم متلبسون به من عظيم بغضه ومعاداته بسبب اسلامه فان هذا منهم اعتراف اى اعتراف بأن أبابكر كان مشهورا بينهم بتلك الاوصاف شهرة تامة بحيث لا يمكن أحدا أن ينازع فيها ولا أن يجحد شيأ منها والا لبادروا الى جحدها بكل طريق أمكنهم لما تحلوا به من قبيح العداوة له بسبب ما كانوا يرون منه من صدق موالاته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعظيم محبته له (ومما يؤثر عنه رضى الله تعالى عنه) صنائع المعروف تقى مصارع السوء ثلاث من كنّ فيه كنّ عليه البغى والنكث والمكر

* (باب عرض قريش عليه صلى الله عليه وسلم أشياء من خوارق العادات وغير العادات ليكف عنهم لما رأوا المسلمين يزيدون ويكثرون وسؤالهم له أشياء من خوارق العادات

يحملهما وفى رواية ابن عباس رضى الله عنهما وعاهدهم ان لا يقاتلهم ولا يخبر عنهم وان يكتم عنهم ثلاث ليال قال وعرضت عليهما الزاد والمتاع فلم يرزآنى اى لم ينقصانى مما معى شيأ وفى رواية قال هذه كنانتى فخذ منها سهما فانك تمر على ابلى وغنمى بمكان كذا وكذا فخذ منها حاجتك فقال لا حاجة لنا فى ابلك ودعا له وفى رواية عرضت عليهما الزاد والمتاع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا سراقة اذا لم ترغب فى ديننا الاسلام فانى لا ارغب فى ابلك ومواشيك وفى رواية ولم يسألانى شيأ الا أن قالا أخف عنا قال فسألته أن يكتب لى كتاب أمن فأمر عامر بن فهيرة فكتب فى رقعة من اديم وفى رواية قال سراقة انى لاعلم ان سيظهر أمرك فى العالم وتملك رقاب الناس فعاهدنى انى اذا أتيتك يوم ملكك تكرمنى فأمر عامر بن فهيرة فكتب له وفى رواية لانس رضى الله عنه فقال يا نبى الله مرنى بما شئت قال تقف مكانك لا تتركن أحدا يلحق بنا فكان أول النهار جاهدا على نبى الله وآخر النهار مسلحة له اى حارسا له بسلاحه وفى رواية أنه قال للقوم لما رجع اليهم قد عرفتم نظرى بالطريق وبالاثر وقد استبرأت لكم فلم أر شيأ فرجعوا (وجاء فى الحديث) من تمام القصة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لسراقة كيف بك اذا لبست سوارى كسرى وفى رواية اذا تسورت بسوارى كسرى قال كسرى بن هرمز قال نعم فعجب من ذلك فلما أتى بهما فى خلافة عمر رضى الله عنه وبتاجه ومنطقته وكان عمر رضى الله عنه قد سمع بوعد النبى صلى الله عليه وسلم لسراقة من أبى بكر رضى الله عنه فدعا بسراقة فألبسه السوارين تحقيقا لهذه المعجزة واظهارا لها وقال ارفع يديك وقال الله أكبر الحمد لله الذى سلبهما كسرى بن هرمز والبسهما سراقة بن مالك اعرابيا من بنى مدلج ورفع عمر رضى الله عنه صوته ثم قسم ذلك بين المسلمين * ومما جىء به

معينات وغير معينات وبعثهم الى أحبار يهود بالمدينة يسألونهم عن صفة النبى صلى الله عليه وسلم وعما جاء به وحديث الزبيدى وحديث المستهزئين به صلى الله عليه وسلم ومن حديثهم حديث الاراشى ومن قصد أذيته صلى الله عليه وسلم فرد خائبا) *

حدث محمد بن كعب القرظى قال حدثت أن عتبة بن ربيعة وكان سيدا مطاعا فى قريش قال يوما وهو جالس فى نادى قريش أى متحدثهم والنبى صلى الله عليه وسلم جالس فى المسجد وحده يا معشر قريش ألا أقوم لمحمد صلى الله عليه وسلم وأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها فنعطيه اياها ويكف عنا قالوا بلى يا أبا الوليد فقم اليه فكلمه قال وفى رواية ان نفرا من قريش اجتمعوا وفى أخرى اشراف قريش من كل قبيلة اجتمعوا وقالوا ابعثوا الى محمد حتى تعذروا فيه فقالوا انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا الرجل الذى فرق جماعتنا وشتت أمرنا وعاب ديننا فليكلمه ولينظر ماذا يريد فقالوا لا نعلم أحدا غير عتبة بن ربيعة انتهى فقام عتبة حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخى انك منا حيث قد علمت من السطة فى العشيرة والمكان فى النسب اى من الوسط اى الخيار حسبا ونسبا وانك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به احلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم قال زاد بعضهم انه قال له أيضا أنت خير أم عبد الله أنت خير أم عبد المطلب اى فسكت ان كنت تزعم ان هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التى عبت وان كنت تزعم انك خير منهم فقل يسمع اقولك لقد أفضحتنا فى العرب حتى طار فيهم أن فى قريش ساحرا وأن فى قريش كاهنا ما تريد الا أن يقوم بعضنا لبعض بالسيوف حتى نتفانا انتهى فاسمع منى أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل يا أبا الوليد اسمع فقال يا ابن أخى ان كنت انما تريد بما جئت به من هذا الامر مالا جمعنا من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وان كنت تريد شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا اى فيصير لك الامر والنهى فهو أخص مما قبله وان كان هذا الذى يأتيك رئيا من الجن تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فانه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى حتى اذا فرغ عتبة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع منه قال لقد فرغت يا أبا الوليد قال نعم قال فاسمع منى قال افعل قال بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا

لعمر رضي الله عنه مما غنمه المسلمون من كسرى بساطه وكان ستين ذراعا في ستين ذراعا منظوما باللؤلؤ والجواهر الملونة على الوان زهر الربيع كان يبسط له في ايوانه ويشرب عليه اذا عدمت الزهور فقطع عمر رضي الله عنه البساط وقسمه على المسلمين فأصاب عليا رضي الله عنه قطعة باعها بخمسين الف ٤٠٤ دينار وفي القصة أيضا انه أخذ الكتاب الذي كتب له وجعله في كنانته

عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها فقرأها عليه وقد أنصت عتبة لها وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يسمع منه ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قوله تعالى فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فأمسك عتبة على فيه صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم أن يكف عن ذلك ثم انتهى الى السجدة فيها فسجد ثم قال قد سمعت يا أبا الوليد ماسمعت فأنت وذاك فقام عتبة الى أصحابه فقال بعضهم لبعض يحلف لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به فلما جلس اليهم قالوا ما وراءك يا أبا الوليد قال ورائي اني سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة يا معشر قريش أطيعوني فاجعلوها بي خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وان يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به قالوا سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه قال هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم قال وفي رواية أن عتبة لما قام من عند النبي صلى الله عليه وسلم أبعد عنهم ولم يعد عليهم فقال أبو جهل والله يا معشر قريش ما نرى عتبة الا قد صبأ الى محمد صلى الله عليه وسلم وأعجبه كلامه فانطلقوا بنا اليه فأتوه فقال أبو جهل والله يا عتبة ما جئناك الا أنك قد صبوت الى محمد صلى الله عليه وسلم وأعجبك أمره فقص عليهم القصة فقال والله الذي نصبها بنية يعني الكعبة ما فهمت شيأ مما قال غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فأمسكت بفيه فأنشدته الرحم أن يكف وقد علمت أن محمدا صلى الله عليه وسلم اذا قال شيأ لم يكذب فخفت أن ينزل عليكم العذاب فقالوا له ويلك يكلمك الرجل بالعربية لا تدري ما قال قال والله ما سمعت مثله والله ما هو بالشعر الى آخر ما تقدم فقالوا والله سحرك يا أبا الوليد قال هذا رأيي فيكم فاصنعوا ما بدا لكم انتهى وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان قريشا اي اشرافهم وشيختهم منهم الاسود بن زمعة والوليد بن المغيرة وأمية بن خلف والعاص بن وائل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو سفيان والنضر بن الحرث وأبو جهل * وفي الينبوع أتى الوليد بن المغيرة في أربعين رجلا من الملا اي من السادات منزل أبي طالب وسألوه أن يحضر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأمره باشكائهم ما يشكون منه اي ان يزيل شكواهم منه ويجيبهم الى أمر فيه الالفة والاصلاح فأحضره وقال يا ابن أخي هؤلاء الملأ من قومك فأشكهم وتألفهم فعاتبوا النبي صلى الله عليه وسلم على تسفيه أحلامهم واسلام

قال سراقة فلم أذكر شيأ مما كان حتى اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من حنين خرجت للقائه ومعي الكتاب فلقيته بالجعرانة حتى دنوت منه فرفعت يدي بالكتاب فقلت يا رسول الله هذا كتابك قال يوم وفاء وبر ادنه فدنوت منه واسلمت وفي رواية عن سراقة رضي الله عنه بلغني انه يريد انه سيبعث خالد بن الوليد رضي الله عنه الى قومي فأتيته فقلت أحب ان توادع قومي فان أسلم قومك اسلموا والا امنت منهم فأخذ صلى الله عليه وسلم بيد خالد فقال اذهب معه فافعل ما يريد فصالحهم خالد على ان لا يعينوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وان أسلمت قريش أسلموا معهم فأنزل الله تعالى الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق الآية فكان من وصل اليهم كان معهم على عهدهم * قال ابن اسحق ولما بلغ أبا جهل ما لقي سراقة لامه في تركهم وفي رواية ان سراقة لما رجع الى مكة اجتمع عليه الناس فأنكر انه رأى محمدا صلى الله عليه وسلم فلا زال به أبو جهل حتى اعترف فأخبرهم بالقصة فلامه أبو جهل في تركهم فأنشده سراقة أبا حكم واللات لو كنت شاهدا * لامر جوادي اذ تسيخ قوائمه آيا ثم علمت ولم تشكك بأن محمدا * رسول ببرهان فمن ذا يقاومه عليك بكف القوم عنه فانني * أرى أمره يوما ستبدو معالمه والى قصة سراقة أشار بعضهم بقوله غرت سراقة اطماع فساخ به * جواده فانثنى للصلح مطلبا وقال صاحب الهمزية

فاقتفى اثره سراقة فاستهـ ـوته فى الارض صافن جرداه ... ثم ناداه بعدما سيمت الخسـ ـف وقد ينجد الغريق النداء

(واجتاز صلى الله عليه وسلم) فى طريقه ذلك بعبد يرعى غنما فاستسقاه أبو بكر رضى الله عنه اللبن فقال ماعندى شاة تحلب غيران ههنا عنا قا حملت عام أول ومابق لها لبن فقال ادع بها فدعا بها فاعتقلها صلى الله عليه وسلم ومسح ضرعها ودعا حتى أنزلت وجاء أبو بكر رضى الله عنه بمجن وهو الترس فحلب صلى الله عليه وسلم فسقى أبا بكر رضى الله عنه ثم حلب فسقى الراعى ثم حلب فشرب فقال الراعى بالله من أنت فوالله مارأيت مثلك قال أوتراك تكتم على حتى أخبرك قال نعم قال فانى محمد رسول الله قال أنت الذى تزعم قريش انه صابئ قال انهم ليقولون ذلك قال اشهد انك نبى وان ماجئت به حق وانه لايفعل مافعلت الانبى وأنا متبعك قال انك لن تستطيع ذلك يومك فاذا بلغك انى قد ظهرت فأتنا * ومما وقع لهم فى الطريق انه صلى الله عليه وسلم لقى الزبير فى ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين فكسا الزبير رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثيابا بيضا وكذا لقى طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه النبى صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضى الله عنه فكساهما (وأخرج البيهقى) عن بريدة بن الحصيب رضى الله عنه قال لما جعلت قريش مائة من الابل لمن يرد النبى صلى الله عليه وسلم حملنى الطمع فركبت فى سبعين من بنى سهم فلقيته صلى الله عليه وسلم فقال من أنت قلت بريدة فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبى بكر رضى الله عنه وقال برد أمرنا وصلح ثم قال ممن أنت قلت من أسلم قال سلمنا ثم قال ممن قلت من بنى سهم قال خرج سهمك ياأبا بكر فقال بريدة للنبى صلى الله عليه وسلم من أنت قال أنا محمد بن عبد الله رسول الله فقال بريدة اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فأسلم بريدة

آبائهم وعيب آلهتهم الحديث أى قالوا له يامحمد انا بعثنا اليك لنكلمك فأنا والله لانعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك لقد شتمت الآباء وعيبت الدين وسببت الآلهة وسفهت الاحلام وفرقت الجماعة ولم يبق أمر قبيح الا أتيته فيما بيننا وبينك فان كنت انما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وان كنت انما تطلب الشرف فينا فنحن نسودك ونشرفك علينا وان كان هذا الذى يأتيك تابعا من الجن قد غلب عليك بذلنا أموالنا فى طبك وفى رواية انهم لما اجتمعوا ودعوه صلى الله عليه وسلم فجاءهم مسرعا طمعا فى هدايتهم حتى جلس اليهم وعرضوا عليه الاموال والشرف والملك فقال صلى الله عليه وسلم ماجئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثنى اليكم رسولا وانزل على كتابا وأمرنى أن أكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم وان تقبلوا منى ماجئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة وان تردوه على أصبر لامر الله تعالى حتى يحكم الله بينى وبينكم * وفى رواية أخرى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما دعت قريش النبى صلى الله عليه وسلم الى أن يعطوه مالا فيكون به أغنى رجل بمكة ويزوجوه ما اراد من النساء ويكف عن شتم آلهتهم ولايذكرها بسوء فقد ذكر أن عتبة بن ربيعة قال له ان كان انما بك الباءة فاختر اى نساء قريش فنزوجك عشرا وقالوا له ارجع الى ديننا واعبد آلهتنا واترك ما أنت عليه ونحن نتكفل لك بكل ما تحتاج اليه فى دنياك وآخرتك وقالوا له ان لم تفعل فانا نعرض عليك خصلة واحدة ولك فيها صلاح قال وماهى قال تعبد آلهتنا اللات والعزى سنة ونعبد الهك سنة فنشترك نحن وأنت فى الامر فان كان الذى نعبده خيرا مما نعبد كنت أخذت منه بحظك وان كان الذى نعبد خيرا مما تعبد كنا قد أخذنا منه بحظنا فقال لهم حتى انظر ما يأتى من ربى فجاء الوحى بقوله تعالى قل ياأيها الكافرون لاأعبد ما تعبدون ولاأنتم عابدون ما أعبد ولاأنا عابد ما عبدتم السورة * وعن جعفر الصادق أن المشركين قالوا له اعبد معنا آلهتنا يوما نعبد معك الهك عشرة واعبد معنا آلهتنا شهرا نعبد معك الهك سنة فنزلت اى لاأعبد ما تعبدون يوما ولاأنتم عابدون ما أعبد عشرة ولاأنا عابد ما عبدتم شهرا ولاأنتم عابدون ما أعبد سنة روى ذلك التقدير جعفر ردا على بعض الزنادقة حيث قالوا له طعنا فى القرآن لو قال امرؤ القيس * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * وكرر ذلك أربع مرات فى نسق اما كان عيبا فكيف وقع فى القرآن قل ياأيها الكافرون السورة

وأسلم من كان معه جميعا قال بريدة الحمد لله الذى أسلم بنو سهم طائعين غير مكرهين فلما أصبح قال بريدة يا رسول الله لا تدخل المدينة الا ومعك لواء فحل عمامته ثم شدها فى رمح ثم مشى بين يديه حتى دخلوا المدينة ولما سمع المسلمون فى المدينة بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة كانوا يغدون كل غداة الى الحرة ينتظرونه صلى الله عليه وسلم حتى يردهم حر الظهيرة وكان خروجهم ثلاثة أيام وهى المدة الزائدة على المسافة المعتادة بين مكة والمدينة التى كان بها بالغار فانقلبوا يوما بعد ان طال انتظارهم واحرقتهم الشمس واذا رجل من اليهود صعد على اطم اى محل مرتفع من آطامهم اى من محالهم المرتفعة لامر ينظر اليه فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه مبيضين اى لابسين ثيابا بيضا وهى التى كساهم اياها الزبير وطلحة فى الطريق فلما رآهم ذلك اليهودى يزول بهم السراب اى يرفعهم ويظهرهم فلم يملك اليهودى ان قال بأعلى صوته يا معشر العرب وفى رواية يا بنى قيلة وهم الانصار وأمهم تسمى قيلة هذا جدكم اى حظكم الذى تنتظرونه وفى رواية لما دنوا من المدينة بعثوا رجلا من أهل البادية الى أبى امامة اسعد بن زرارة وأصحابه من الانصار ولا مانع من الامرين فثار المسلمون الى السلاح فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة وهو مع أبى بكر رضى الله عنه فى ظل نخلة كانت هنالك ثم قالوا لهما ادخلا آمنين مطمئنين وفى رواية فاستقبله صلى الله عليه وسلم زهاء خمسمائة من الانصار فقالوا اركبا آمنين مطاعين فعدل ذات اليمين حتى نزلا بقباء ونطعمه فى دار بنى عمرو بن عوف وذلك فى يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول وكان نزوله صلى الله عليه وسلم عند كلثوم بن الهدم لانه كان شيخ بنى عمرو بن عوف وهم بطن من الاوس وكان كلثوم يومئذ مشركا ثم أسلم رضى الله عنه وتوفى

وهى مثل ذلك وقوله لكم دينكم ولى دين نسخ بآية القتال و بقوله تعالى أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون بل الله فاعبد وكن من الشاكرين * ولما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله أنزل لما كرهتموه القرآن قالوا ائت بقرآن غير هذا فأنزل الله تعالى ولو تقول علينا الآيات وقد يقال المناسب للرد عليهم قوله تعالى قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى الآية ثم رأيت فى الكشاف ما يوافق ذلك وهو لما غاظهم ما فى القرآن من ذم عبادة الاصنام والوعيد الشديد قالوا ائت بقرآن آخر ليس فيه ما يغيظنا من ذلك نتبعك او بدله بأن تجعل مكان آية عذاب آية رحمة وتسقط ذكر الآلهة وذم عبادتها نزل قوله تعالى قل ما يكون لى أن أبدله الآية قال وجلس اى صلى الله عليه وسلم مجلسا فيه ناس من وجوه قريش منهم أبو جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة اى وشيبة بن ربيعة وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة فقال لهم أليس حسنا ما جئت به فيقولون بلى والله وفى لفظ هل ترون بما أقول بأسا فيقولون لا فجاء عبد الله بن أم مكتوم وهو ابن خال خديجة أم المؤمنين وهو ممن أسلم بمكة قديما والنبى صلى الله عليه وسلم مشتغل بأولئك القوم وقد رأى منهم مؤانسة وطمع فى اسلامهم فصار يقول يا رسول الله علمنى مما علمك الله وأكثر عليه فشق عليه صلى الله عليه وسلم ذلك فأعرض عن ابن أم مكتوم ولم يكلمه انتهى اى وفى رواية اشار صلى الله عليه وسلم الى قائد ابن أم مكتوم بأن يكفه عنه حتى يفرغ من كلامه فكفه القائد فدفعه ابن أم مكتوم فعبس صلى الله عليه وسلم وأعرض عنه مقبلا على من كان يكلمه فعاتبه الله تعالى فى ذلك بقوله عبس وتولى أن جاءه الاعمى وما يدريك السورة اى والمجىء مع العمى ينشأ عن مزيد الرغبة وتجشم الكلفة والمشقة فى المجىء ومن كان هذا شأنه فحقه الاقبال عليه لا الاعراض عنه فكان بعد ذلك اذا جاءه يقول مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى و يبسط له رداءه قال وبهذا يسقط ما للقاضى أبى بكر بن العربى هنا انتهى أقول لعل الذى له هو ما ذكره تلميذه السهيلى وهو أن ابن أم مكتوم لم يكن أسلم حينئذ والا لم يسمه بالاسم المشتق من العمى دون الاسم المشتق من الايمان لو كان دخل فى الايمان قبل ذلك وانما دخل فيه بعد نزول الآية ويدل على ذلك قوله للنبى صلى الله عليه وسلم استدننى يا محمد ولم يقل استدننى يا رسول الله ولعل فى قوله تعالى لعله يزكى يعطى الترجى والانتظار ولو كان ايمانه قد تقدم قبل هذا لخرج عن حد الترجى والانتظار لتزكى هذا كلامه * وعن الشعبى قال دخل رجل على عائشة رضى الله تعالى عنها وعندها ابن ام مكتوم وهى تقطع له الاترج وتجعله فى العسل

قبل غزوة بدر بيسير وقيل أسلم قبل وصوله صلى الله عليه وسلم المدينة وعند وصوله صلى الله عليه وسلم نادى كلثوم يا نجيح لغلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر رضى الله عنه نجحت يا أبا بكر * وكان صلى الله عليه وسلم يجلس للناس و يتحدث مع أصحابه في بيت سعد بن خيثمة لانه كان عزبا لا أهل له هناك وكان منزله يسمى منزل العزاب وبهذا يجمع بين قول من قال نزل على كلثوم ومن قال نزل على سعد بن خيثمة ونزل أبو بكر رضى الله عنه على حبيب ابن اساف وقيل خارجة بن زيد رضى الله عنه * ولما توجه صلى الله عليه وسلم المدينة أمر عليا رضى الله عنه أن يقيم بعده حتى يرد الودائع فقام على كرم الله وجهه بالابطح ينادى من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وديعة فليأت تؤدى اليه أمانته فلما نفذ ذلك ورد عليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشخوص اليه فابتاع ركائب وقدم ومعه الفواطم وأم أيمن و ولدها أيمن و جماعة من ضعفاء المؤمنين ولما وصل نزل على كلثوم ابن الهدم اقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم وكان على رضى الله عنه فى طريقه يسير الليل و يكمن النهار حتى تفطرت قدماه ولما وصل اعتنقه النبى صلى الله عليه وسلم و بكى رحمة لما بقدميه من الورم وتفل فى يديه وأمرهما على قدميه فلم يشكهما بعد ذلك ولا مانع من وقوع ذلك من على رضى الله عنه مع وجود مركبه لانه يجوز أن يكون هاجر ماشيا رغبة فى عظيم الاجر * وسرى السرور الى القلوب بوصول النبى صلى الله عليه وسلم قال البراء بن عازب رضى الله عنهما ما رأيت أهل المدينة فرحوا بشئ فرحهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أنس بن مالك رضى الله عنه لما كان اليوم الذى دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شئ وصعدت ذوات الخدور على الاجاجير اى الاسطحة عند قدومه يعلن بقولهن طلع البدر علينا

وتطعمه فقيل لها فى ذلك فقالت ما زال هذا همّ من آل محمد منذ عاتب الله عز وجل فيه نبيه صلى الله عليه وسلم والله أعلم * وفى فتاوى الجلال السيوطى من جملة أسئلة رفعت اليه فاجاب عنها بأنها باطلة ان أبا جهل قال يا محمد ان أخرجت لنا طاوسا من صخرة فى دارى آمنت بك فدعا ربه عز وجل فصارت الصخرة تئن كانين المرأة الحبلى ثم انشقت عن طاوس صدره من ذهب ورأسه من زبرجد وجناحاه من ياقوت ورجلاه من جوهر فلما رأى ذلك أبو جهل أعرض ولم يؤمن * ومما سألوه صلى الله عليه وسلم من الآيات غير المعينات على ما رواه الشيخان أو معينة كما فى رواية عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وسيأتى ما يعلم منه انهم سألوه صلى الله عليه وسلم اولا آية غير معينة ثم عينوها فلا مخالفة فقد ذكر ابن عباس أن قريشا سألت النبى صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية أى وفى رواية عن ابن عباس اجتمع المشركون اى بعض منهم الوليد بن المغيرة وأبو جهل بن هشام والعاص بن وائل والعاص بن هشام والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب وزمعة ابن الاسود والنضر بن الحرث على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين نصفا على أبى قبيس ونصفا على قعيقعان وقيل يكون نصفه بالمشرق ونصفه الآخر بالمغرب وكانت ليلة أربعة عشر اى ليلة البدر فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فعلت تؤمنوا قالوا نعم فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه أن يعطيه ما سألوا فانشق القمر نصفا على أبى قبيس ونصفا على قعيقعان وفى لفظ فانشق القمر فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه ولعل الفرقة التى كانت فوق الجبل كانت جهة المشرق والتى كانت دون الجبل كانت جهة المغرب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا اشهدوا ولا منافاة بين الروايتين ولا بينهما وبين ما جاء فى رواية فانشق القمر نصفين نصفا على الصفا ونصفا على المروة قدر ما بين العصر الى الليل ينظر اليه ثم غاب اى ثم ان كان الانشقاق قبل الفجر فواضح والا فمعجزة أخرى لان القمر ليلة أربعة عشر يستمر جميع الليل وسيأتى عن زين المعمر انه عاد بعد غروبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا والفرقتان هما المرادتان بالمرتين فى بعض الروايات التى أخذ بظاهرها بعضهم كالزين العراقى فقال انه انشق مرتين لان المرة قد تستعمل فى الاعيان وان كان أصل وضعها الافعال فقد قال ابن القيم كون القمر انشق مرتين مرة بعد مرة فى زمانين من له خبرة بأحوال الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرته يعلم انه غلط وانه لم يقع الانشقاق الا مرة واحدة وعند ذلك قال كفار قريش سحركم ابن أبى كبشة

الخ وعن عائشة رضى الله عنها لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جاس النساء والصبيان والولائد يقلن جهرا
طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا * مادعا لله داعى أيها المبعوث فينا * جئت بالامر المطاع
(ولما استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم) قام أبو بكر رضى الله عنه للناس وأبو بكر شيخ اى شيبه ظاهر وان كان
النبى صلى الله عليه وسلم أسن منه
فطفق من جاء من الانصار ممن
لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحيى أبا بكر رضى الله عنه فيعرف
بالنبى صلى الله عليه وسلم حتى
أصابت الشمس رسول الله صلى
الله عليه وسلم فأقبل ابو بكر رضى
الله عنه حتى ظلل عليه بردائه
فعرف من جاء منهم بعد ذلك ولا
يرد ان تظليل الغمام يغنى عن
تظليل ابى بكر رضى الله عنه لان
ذلك كان قبل البعثة ارهاصا
لنبوته صلى الله عليه وسلم ولم ينقل
احد وقوع ذلك بعد البعثة * وكان
خروجه صلى الله عليه وسلم من قباء
يوم الجمعة بعد ان لبث يوم الاثنين
والثلاثاء والاربعاء والخميس
وقيل كان لبثه بضع عشرة ليلة
واسس صلى الله عليه وسلم بقباء
المسجد الذى اسس على التقوى
وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو الذى نزلت فيه الآية وقيل
انه مسجد المدينة وروى كل منهما
فى احاديث صحيحة وجمع بعضهم
بأن كل منهما يسمى المسجد الذى
اسس على التقوى (وروى الطبرانى)
عن الشموس بنت النعمان رضى الله
عنها قالت نظرت الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين قدم واسس
مسجد قباء فرايته يأخذ الحجر أو الصخرة حتى تتعبه فيأتى الرجل من اصحابه فيقول يارسول الله بأبى انت وامى منشقا
اكفيك فيقول لاحتى اسسه وجاء انه صلى الله عليه وسلم لما اراد بناءه قال يا اهل قباء ائتونى بأحجار من الحرة فجمعت عنده احجار
فخط القبلة واخذ حجرا فوضعه ثم قال صلى الله عليه وسلم يا ابا بكر خذ حجرا فضعه الى جنب حجرى ثم قال يا عمر خذ حجرا فضعه

اى وهو أبو كبشة أحد اجداده صلى الله عليه وسلم من قبل أمه لان وهب بن عبد مناف ابن زهرة جد أبى آمنة أمه يكنى أبا كبشة أو هو من قبل مرضعته حليمة لان والدها او جدها كان يكنى بذلك او كان له ابنت تسمى كبشة فكان زوجها الذى هو أبوه من الرضاعة يكنى بتلك البنت كما تقدم فى الرضاع وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم فقال حدثنى حاضنى أبو كبشة أنهم لما أرادوا دفن سلول وكان سيدا معظما احفروا له فوقعوا على باب مغلق ففتحوه فاذا سرير وعليه رجل وعليه حلل عدة وعند رأسه كتاب انا أبو شهر ذو النون مأوى المساكين ومستفاد الغارمين أخذنى الموت غصبا وقد أعيى الجبابرة قبل قال صلى الله عليه وسلم كان ذو النون هذا هو سيف بن ذى يزن الحميرى وقيل أبو كبشة جده صلى الله عليه وسلم لابيه لان ابا أم جده عبد المطلب كان يدعى أبا كبشة وكان يعبد النجم الذى يقال لها الشعرى وترك عبادة الاصنام مخالفة لقريش فهم يشيرون بذلك الى أن له فى مخالفته سلفا وقيل الذى عبد الشعرى وترك عبادة الاصنام رجل من خزاعة فشبهوه صلى الله عليه وسلم به فى مخالفته لهم فى عبادة الاصنام اى ومما قد يؤيد هذا الاخير ما فى الاتقان حيث مثل بهذه الآية للنوع المسمى بالتنكيت وهو أن يخص المتكلم شيأ من بين الاشياء بالذكر لاجل نكتة كقوله تعالى وأنه هو رب الشعرى خص الشعرى بالذكر دون غيرها من النجوم وهو سبحانه وتعالى رب كل شئ لان العرب كان ظهر فيهم رجل يعرف بابن أبى كبشة عبد الشعرى ودعا خلقا الى عبادتها فأنزل الله تعالى وأنه هو رب الشعرى التى ادعيت فيها الربوبية هذا كلامه وكبشة ليس مؤنث كبش لان مؤنث الكبش ليس من لفظه فقال رجل منهم ان محمدا ان كان سحر القمر اى بالنسبة الينا فانه لايبلغ من سحره أن يسحر الارض كلها اى جميع أهل الارض وفى رواية ائن كان سحرنا مايستطيع أن يسحر الناس كلهم فاسألوا من يأتيكم من بلد آخر هل رأوا هذا فسألوهم فأخبروهم انهم رأوا مثل ذلك وفى رواية أن ابا جهل قال هذا سحر فاسألوا أهل الآفاق وفى لفظ انظروا ما يأتيكم به السفار حتى تنظروا هل رأوا ذلك أم لا فأخبروا أهل الآفاق وفى لفظ فجاء السفار وقد قدموا من كل وجه فأخبروهم أنهم رأوه منشقا فعند ذلك قالوا هذا سحر مستمر اى مطرد فهو اشارة الى ذلك والى ماقبله من الآيات وفى لفظ قالوا هذا سحر اسحر السحرة فأنزل الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر اى مطرد كما تقدم او محكم أو قوى شديد او مار ذاهب لايبقى وهذا الكلام كما لايخفى يدل على انه لم يختص برؤية القمر

الى جنب حجر ابى بكر ثم قال يا عثمان خذ حجرا فوضعه الى جنب حجر عمر فقال بعضهم كانه أشار الى ترتيب الخلافة وصنع مثل ذلك عند بناء مسجد المدينة وكان صلى الله عليه وسلم بعد تحوله الى المدينة يأتى مسجد قباء يوم السبت ماشيا تارة وراكبا أخرى فيصلى فيه وقال صلى الله عليه وسلم من توضأ وأسبغ الوضوء ثم جاء مسجد قباء فصلى فيه كان له أجر عمرة ولما نزل قوله تعالى فيه رجال يحبون أن يتطهروا أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألهم عن ذلك فقال ما هذا الطهور الذى أثنى الله عليكم به فقالوا يارسول الله ماخرج منا رجل ولا امرأة الى الغائط الا غسل فرجه اى بعد الاستنجاء بالاحجار وفى رواية نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فقال هو هذا زاد فى رواية ولا تنام الليل كله على الجنابة ولما ركب صلى الله عليه وسلم وخرج من قباء سار الناس معه مابين ماش وراكب ولا زال أحدهم ينازع صاحبه زمام الناقة حرصا على كرامة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما له حتى دخل المدينة الشريفة وصار الخدم والصبيان يقولون الله أكبر جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعبت الحبشة بحرابها فرحا برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بنو عمرو بن عوف له حين أراد الخروج من قباء يارسول الله أخرجت ملالا لنا أو تريد دارا خيرا من دارنا قال انى أمرت بقرية تأكل القرى اى تغلبها وتقهرها والمراد ان أهلها يفتحون القرى فيأكلون أموال تلك القرى ويسبون ذراريهم فخلوا سبيلها يعنى ناقته صلى الله عليه وسلم ثم ادركته صلاة الجمعة فى مسجد بنى سالم بن عوف وهو المسجد الذى فى بطن الوادى على يمين السالك الى مسجد قباء ويسمى مسجد الجمعة فصلاها بمن معه من المسلمين وكانوا مائة وهى أول جمعة صلاها صلى الله عليه وسلم بالمدينة وخطب بها وهى

منشقا اهل مكة بل جميع اهل الآفاق وبه يرد قول بعض الملاحدة لو وقع انشقاق القمر لاشترك اهل الارض كلهم فى معرفته ولم يختص بها اهل مكة ولا يحسن الجواب عنه بأنه طلبه جماعة خاصة فاختصت رؤيته بمن اقترح وقوعه ولا بأنه قد يكون القمر حينئذ فى بعض المنازل التى تظهر لبعض اهل الآفاق دون بعض ولا بقول بعضهم ان انشقاق القمر آية ليلية جرى مع طائفة فى جنح ليلة ومعظم الناس نيام وفى فتح البارى حنين الجذع وانشقاق القمر نقل كل منهما نقلا مستفيضا يفيد القطع عند من يطلع على طرق الحديث (اقول) والى انشقاق القمر اشار صاحب الهمزية بقوله

شق عن صدره وشق له البد ... ر ومن شرط كل شرط جزاء

اى شق عن صدره صلى الله عليه وسلم وفى نسخة قلبه وكل منهما صحيح لانه شق صدره أولا ثم شق قلبه ثانيا وشق لاجله القمر ليلة أربعة عشر وانما شق له صلى الله عليه وسلم لان من شرط كل شرط جزاء لانه لما شق صدره صلى الله عليه وسلم جوزى على ذلك بأعظم مشابه له فى الصورة وهو شق القمر الذى هو من أظهر المعجزات بل أعظمها بعد القرآن وقد أشار الى ذلك أيضا الامام السبكى فى تائيته بقوله

وبدر الدياجى انشق نصفين عندما ... ارادت قريش منك اظهار آية

اى فانهم ائتمروا فيما بينهم فاتفقوا على ان يقترحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم انشقاق القمر الذى هو بعيد عن الاطماع فى غاية الامتناع اى فقد سألوه أولا آية غير معينة ثم عينوها * وفى الاصابة عن بعضهم قال وأنا ابن تسع عشرة سنة سافرت مع أبى وعمى من خراسان الى الهند فى تجارة فلما بلغنا أوائل بلاد الهند وصلنا الى ضيعة من الضياع فعرج أهل القافلة نحوها فسألناهم عن ذلك فقالوا هذه ضيعة الشيخ زين الدين المعمر فرأينا شجرة خارج الضيعة تظل خلقا كثيرا وتحتها جمع عظيم من أهل تلك الضيعة فلما رأونا رحبوا بنا فرأينا زنبيلا معلقا فى بعض اغصان تلك الشجرة فسألناهم فقالوا فى هذا الزنبيل الشيخ زين الدين رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا له بطول العمر ست مرات فبلغ ستمائة سنة كل دعوة بمائة سنة فسألناهم أن ينزلوا الشيخ لنسمع كلامه وحديثه فتقدم شيخ منهم فأنزل الزنبيل فاذا هو مملوء بالقطن والشيخ فى وسط القطن وهو كالفرخ فوضع فمه على أذنه وقال يا جداه هؤلاء قوم قد قدموا من خراسان وقد سألوا أن تحدثهم كيف رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وماذا قال لك فعند ذلك تنفس الشيخ وتكلم بصوت كصوت النحل بالفارسية ونحن نسمع فقال سافرت مع

أول خطبة خطبها فى الاسلام ومن خطبة صلى الله عليه وسلم تلك فن استطاع ان يقى وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ومن لم يجد فبكلمة طيبة فانها تجزئ الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة والسلام على رسول الله ورحمة الله وبركاته وفى رواية والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم ركب صلى الله عليه وسلم بعد صلاة الجمعة متوجها الى المدينة وهو مردف ابابكر رضى الله عنه خلفه اكراما له والافقد كانت له راحلة ولما ركب صلى الله عليه وسلم أرخى لناقته زمامها وهى تنظر يمينا وشمالا وكلما مر على دار من دور الانصار يدعونه المقام عندهم يقولون يارسول الله هلم الى القوة والمنعة فيقول خلوا سبيلها يعنى ناقته فانها مأمورة وفى ذلك حكمة بالغة هى أن يكون تخصيصه عليه السلام لمن خصه الله بنزوله عنده آية معجزة تطيب بها النفوس وتذهب معها المنافسة ولا يحيك ذلك فى صدر أحد منهم شيأ ولما مر على بنى سالم بن عوف سأله منهم عتبان بن مالك ونوفل بن عبد الله ابن مالك وعبادة بن الصامت فقالوا يارسول الله أقم عندنا فى العز والثروة والمنعة وفى رواية انزل فينا فان فينا العدد والعدة والحلقة اى السلاح ونحن اصحاب الحلائق والدرك كان الرجل من العرب يدخل هذه الهجرة خائفا فيلجأ الينا فقال لهم خيرا وقال لهم خلوا سبيلها يعنى ناقته فانها مأمورة وهو صلى الله عليه وسلم متبسم ويقول بارك الله فيكم فانطلقت حتى وردت دار بنى بياضة اى محلتهم فسأله بنو بياضة ومنهم زياد بن لبيد وفروة بن عمرو وقالوا له بمثل ما تقدم فأجابهم بانها مأمورة خلوا سبيلها حتى وردت دار بنى ساعدة ومنهم سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو وأبو دجانة فسأله بنو ساعدة بمثل ذلك فأجابهم بخلوا سبيلها فانها مأمورة فانطلقت حتى مرت بدار بنى النجار وهم اخواله صلى الله عليه وسلم اى اخوال جده الله

الى وأنا شاب من هذه البلاد الى الحجاز فى تجارة فلما بلغنا بعض أودية مكة وكان المطر قد ملأ الاودية فرأيت غلاما حسن الشمائل يرعى ابلا فى تلك الاودية وقد حالت السيل بينه وبين ابله وهو يخشى من خوض الماء لقوة السيل فعلمت حاله فأتيت اليه وحملته وخضت به السيل الى عند ابله من غير معرفة سابقة فلما وضعته عند ابله نظر الى ودعا لى ثم عدنا الى بلادنا وتطاولت المدة فنى ليلة ونحن جلوس فى ضيعتنا هذه فى ليلة مقمرة ليلة البدر والبدر فى كبد السماء اذ نظرنا اليه قد انشق نصفين فغرب نصف فى المشرق ونصف فى المغرب وأظلم الليل ساعة ثم طلع النصف من المشرق والثانى من المغرب الى أن التقيا فى وسط السماء كما كان أول مرة فتعجبنا من ذلك غاية العجب ولم نعرف لذلك سببا فسألنا الركبان عن سببه فأخبرونا أن رجلا هاشميا ظهر بمكة وادعى أنه رسول الله الى كافة العالم وأن اهل مكة سألوه معجزة واقترحوا عليه أن يأمر لهم القمر فينشق فى السماء ويغرب نصفه فى المشرق ونصفه فى المغرب ثم يعود الى ما كان عليه ففعل لهم ذلك فاشتقت الى رؤياه فذهبت الى مكة وسألت عنه فدلونى على موضعه وأتيت الى منزله واستأذنت فأذن لى فى الدخول فدخلت عليه فلما سلمت عليه نظر الى وتبسم وقال ادن منى وبين يديه طبق فيه رطب فتقدمت وجلست وأكلت من الرطب وصار يناولنى الى أن ناولنى ست رطبات ثم نظر الى وتبسم وقال لى ألم تعرفنى قلت لا فقال ألم تحملنى فى عام كذا فى السيل ثم قال امدد يدك فصافحنى وقال قل أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقلت ذلك فسر اى وقال عند خروجى من عنده بارك الله فى عمرك قال ذلك ست مرات فبارك الله لى فى عمرى بكل دعوة مائة سنة فعمرى اليوم ستمائة سنة اى فى المائة السادسة مشرف على تمامها انا أمل (وسئل الحافظ) السيوطى عن مثل هذا الحديث وهو الحديث الذى رواه معمر الذى يزعم أنه صحابى وأنه يوم الخندق صار ينقل التراب بغلقين وبقية الصحابة بغلق واحد فضرب النبى صلى الله عليه وسلم بكفه الشريف بين كتفيه أربع ضربات وقال له عمرك الله يامعمر فعاش بعد ذلك أربعمائة سنة ببركة الضربات التى ضرب بها بين كتفيه كل ضربة مائة سنة وقال له بعد أن صافحه من صافحك الى ست أو سبع لم تمسه النار هل هو صحيح أم هو كذب وافتراء لا تجوز روايته فأجاب بأنه باطل وأن معمرا هذا كذاب دجال لانه ثبت فى الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال قبل موته بشهر أرأيتكم ليلتكم هذه فان على رأس مائة سنة لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الارض أحد وقد قال اهل الحديث وغيرهم ان من ادعى الصحبة بعد مائة سنة من وفاته صلى

عبد المطلب فسأله بنو عدى بن النجار بمثل ما تقدم وفى رواية انهم قالوا له صلى الله عليه وسلم نحن اخوالك هلم الى العدد والمنعة والعزة مع القرابة لا تجاوزنا الى غيرنا يا رسول الله ليس أحد من قومك أولى بك منا القرابتنا فاجابهم بمثل ما تقدم و بانها مأمورة فانطلقت حتى بركت بمحل من محالهم وذلك فى محل المسجد أو محل بابه او منبره عند دار بنى مالك بن النجار وكان ذلك الموضع الذى بركت فيه مربد السهل وسهيل ابنى رافع بن عمرو والمربد الموضع الذى يجفف فيه التمر وقيل كل شئ حبست فيه الابل او الغنم ثم ثارت وهو صلى الله عليه وسلم عليها حتى بركت على باب ابى ايوب خالد بن زيد الانصارى وهو من بنى مالك بن النجار ثم ثارت و بركت فى مبركها الاول عند المسجد قال الحافظ ابن حجر اشارت الى انه منزله حيا وميتا وألقت جرانها بالارض يعنى باطن عنقها وازرمت يعنى صوتت من غير ان تفتح فاها ونزل عنها صلى الله عليه وسلم وقال هذا المنزل ان شاء الله واحتمل ابو أيوب رحله باذنه صلى الله عليه وسلم وادخله بيته ومعه زيد بن حارثة وكانت دار بنى النجار أوسط دور الانصار وأفضلها وهم اخوال عبد المطلب جده عليه السلام فأكرمهم الله بنزوله صلى الله عليه وسلم عندهم وفى رواية انها استناخت به أولا فجاء ناس فقالوا المنزل يا رسول الله فقال دعوها فانبعثت حتى بركت عند المنبر من المسجد ثم تحلحلت فنزل عنها وقال رب انزلنى منزلا مباركا وأنت خير المنزلين أربع مرات وأخذه الذى كان يأخذه عند الوحى وسرى عنه فقال هذا ان شاء الله يكون المنزل فأتاه ابو أيوب فقال ان منزلى أقرب المنازل فأذن لى أن أنقل رحلك قال نعم فنقله وأناخ الناقة فى ظلاله فلما نقل رحله قال صلى الله عليه وسلم المرء مع رحله ثم جاء اسعد ابن زرارة فأخذ ناقته صلى الله عليه وسلم فكانت عنده قال ابو أيوب رضى الله عنه لما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين

الله عليه وسلم فهو كذاب ومعلوم أن آخر الصحابة مطلقا موتا ابو الطفيل مات سنة عشر ومائة من الهجرة ثبت ذلك فى صحيح مسلم واتفق عليه العلماء فمن ادعى الصحبة بعد أبى الطفيل فهو كذاب (ومما سألوه) صلى الله عليه وسلم من الآيات البينات ما حدث به بعضهم قال ان قريشا قالت له صلى الله عليه وسلم سل ربك يسير عنا هذه الجبال التى قد ضيقت علينا ويبسط لنا بلادنا ويخرق فيها أنهارا كأنهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضى من آبائنا وليكن فيمن يبعث لنا قصى بن كلاب فانه كان شيخ صدق فنسأله عما تقول أحق هو أم باطل قال زاد فى رواية فان صدقوك وصنعت ما سألناك صدقناك وعرفنا منزلتك من الله تعالى وأنه بعثك الينا رسولا كما تقول فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بهذا بعثت لكم انما جئتكم من الله بما بعثنى به اهـ ثم قالوا له واسأل ربك يبعث معك ملكا يصدقك فيما تقول ويراجعنا عنك اى وفى لفظ قالوا له لم لا ينزل علينا الملائكة فتخبرنا بأن الله أرسلك أو نرى ربنا فيخبرنا بأنه أرسلك فنؤمن حينئذ بك وقال آخر يا محمد لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا واسأله أن يجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغى فانك تقوم بالاسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه اى فلابد أن تتميز عنا حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك ان كنت رسولا اى وفى لفظ قالوا ان محمدا يأكل الطعام كما نحن نأكل ويمشى فى الاسواق ويلتمس المعاش كما نلتمس نحن فلا يجوز أن يمتاز عنا بالنبوة فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنا بالذى يسأل ربه هذا ○ وأنزل الله تعالى وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق ولما قالوا الله أعظم أن يكون رسوله بشرا منا أنزل الله تعالى أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم أن أنذر الناس ثم قالوا واسقط السماء علينا كسفا اى قطعا كما زعمت أن ربك ان شاء فعل وقد بلغنا أنك انما يعلمك رجل باليمامة يقال له الرحمن وانا والله لن نؤمن بالرحمن أبدا اى وقد عنوا بالرحمن مسيلمة وقيل عنوا كاهنا كان لليهود باليمامة وقد رد الله تعالى عليهم بأن الرحمن المعلم له هو الله تعالى بقوله قل هو اى الرحمن ربى لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب اى توبتى ورجوعى ○ وعند ذلك قام صلى الله عليه وسلم حزينا أسفا على ما فاته من هدايتهم التى طمع فيها وقال له عبد الله ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب قبل أن يسلم رضى الله تعالى عنه يا محمد قد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبل ثم سألوك أمورا ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل ثم سألوك أن تعجل بعض ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل والله ان

يؤمن بك أبدا حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وأنا أنظر اليك حتى تأتيها ثم تأتى معك بصك اى كتاب معه أربعة من الملائكة يشهدون أنك كما تقول وايم الله انك لو فعلت ذلك ما ظننت أنى أصدقك فأنزل الله تعالى عليه الآيات التى فيها شرح هذه المقالات فى سورة الاسراء وفيها الاشارة الى أن الله تعالى خيره بين أن يعطيه جميع ماسألوا وانهم ان كفروا بعد ذلك استأصلهم بالعذاب كالامم السابقة و بين أن يفتح لهم باب الرحمة والتوبة لعلهم يتوبون واليه يرجعون فاختار الثانى لانه صلى الله عليه وسلم يعلم من كثير منهم العناد وانهم لا يؤمنون وان حصل ماسألوا فيستأصلوا بالعذاب لان الله تعالى يقول واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة (وعن محمد بن كعب) ما حاصله أن الملأ من قريش أقسموا للنبى صلى الله عليه وسلم بالله عز وجل انهم يؤمنون به اذا صار الصفا ذهبا فقام يدعو الله تعالى أن يعطيهم ماسألوه فأتاه جبريل فقال له ان شئت كان ذلك ولكنى لم آت قوما بآية اقترحوها فلم يؤمنوا بها الا امرت بتعذيبهم وفيه أنه حينئذ يشكل رواية سؤالهم انشقاق القمر (وفى رواية) أتاه جبريل فقال يا محمد ان ربك يقرئك السلام و يقول ان شئت ان يصبح لهم الصفا ذهبا فان لم يؤمنوا أنزلت عليهم العذاب عذابا لا اعذبه احدا من العالمين وان شئت أن لا تصير الصفا ذهبا وفتحت لهم باب الرحمة والتوبة فقال لا بل ان تفتح لهم باب التوبة والرحمة (وفى رواية) وان شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم فقال صلى الله عليه وسلم بل حتى يتوب تائبهم وأيضا وافق على فتح باب الرحمة والتوبة لانه صلى الله عليه وسلم علم ان سؤالهم لذلك جهل لانه خفيت عليهم حكمة ارسال الرسل وهى امتحان الخلق وتعبدهم بتصديق الرسل ليكون ايمانهم عن نظر واستدلال فيحصل الثواب لمن فعل ذلك ويحصل العقاب لمن اعرض عنه اذ مع كشف الغطاء يحصل العلم الضرورى فلا يحتاج الى ارسال الرسل و يفوت الايمان بالغيب وأيضا لم يسألوا ماسألوا من تلك الآيات الا تعنتا واستهزاء لا على جهة الاسترشاد ودفع الشك والى سؤالهم تلك الآيات وارتيابهم فى القرآن وقولهم فيه انه سحر وافتراء اى سحر يأثره اى يأخذه عن مثله وعن أهل بابل يفرق به بين المرء واخيه و بين المرء وزوجه و بين المرء وعشيرته ان هو الا قول البشر من قول ابى اليسر وهو عبد لبنى الحضرمى كان النبى صلى الله عليه وسلم يجالسه والى قول ابى جهل أيضا تزاحمنا نحن و بنو عبد المطلب الشرف حتى صرنا كفرسى رهان قالوا منا نبى يوحى اليه والله لا نرضى به ولا نتبعه ابدا الا ان يأتينا وحى كما يأتيه فنزل قوله تعالى واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل

قدم المدينة فكنت فى العلو وفى رواية لما نزل صلى الله عليه وسلم فى بيتى نزل فى السفل وكنت أنا وام أيوب فى العلو فقلت يا نبى الله بابى أنت وامى انى اكره واعظم ان اكون فوقك وتكون تحتى فاظهر أنت فكن فى العلو وننزل نحن ونكون فى السفل فقال يا ابا ايوب ان الارفق بنا وبمن يغشانا ان نكون فى سفل البيت فكان النبى صلى الله عليه وسلم فى سفله وكنا فوقه فى المسكن فلما خلوت الى ام ايوب يعنى زوجته قالت لها رسول الله صلى الله عليه وسلم احق بالعلو منا تنزل عليه الملائكة و ينزل عليه الوحى فما بت تلك الليلة لا انا ولا ام ايوب بحالة هنيئة بل بشر ليلة لتلك الفكرة وفى رواية ان ابا ايوب انتبه ليلا فقال نمشى فوق رسول الله صلى الله عليه وسلم فتحولوا و باتوا فى جانب زاد فى رواية فلقد انكسر لنا حب فيه ماء فقمت انا وام ايوب لقطيفة لنا ما لنا لحاف غيرها ننشف بها تخوفا ان يقطر على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شئ فيؤذيه فلما اصبحت قلت يا رسول الله ما بت الليلة انا ولا ام ايوب قال لم يا ابا ايوب قلت كنت احق بالعلو منا تنزل عليك الملائكة و ينزل عليك الوحى فقال صلى الله عليه وسلم السفل ارفق بنا قلت لا يكون ذلك والذى بعثك بالحق لا أعلو سقيفة انت تحتها ابدا زاد فى رواية فلم يزل ابو أيوب يتضرع اليه صلى الله عليه وسلم حتى تحول الى العلو وابو أيوب فى السفل قال ابو أيوب رضى الله عنه وكنا نصنع له العشاء ثم نبعث به اليه فاذا رد علينا فضله تيممت أنا وام ايوب موضع يده نبتغى بذلك البركة حتى بعثنا اليه يوما بعشائه وقد جعلنا فيه بصلا او ثوما فرده ما
ولم أر ليده فيه أثرا فجئته فزعا فسألته فقال انى وجدت فيه ريح هذه الشجرة وأنا رجل أناجى فأما أنتم فكلوه فأكلناه ولم نصنع له تلك الشجرة بعد وهذا لا ينافى أن الطعام كان يأتيه أيضا من غير ابى أيوب فقد ورد انه ما من ليلة الا وعلى باب رسول الله صلى الله

ما أوتى رسل الله والى هذا أشار صاحب الهمزية بقوله

عجبا للكفار زادوا ضلالا * بالذى فيه للعقول اهتداء

والذى يسألون منه كتاب * منزل قد أتاهم وارتقاء

اى اعجب عجبا من حال الكفار حالة كونهم زادوا ضلالا بالقرآن الذى فيه اهتداء للعقول واعجب عجبا أيضا من الامر الذى يطلبونه منه صلى الله عليه وسلم وهو كثير من جملته كتاب منزل معه عليهم من السماء وهو القرآن

أولم يكفهم من الله ذكر * فيه للناس رحمة وشفاء

اعجز الانس آية منه والجن فهلا يأتى به البلغاء

كل يوم يهدى الى سامعيه * معجزات من لفظه القراء

تتحلى به المسامع والافـ * ـواه فهو الحلى والحلواء

رق لفظا وراق معنى فجاءت * فى حلاها وحليها الخنساء

وأرتنا فيه غوامض فضل * رقة من زلاله وصفاء

انما تجتلى الوجوه اذا ما * جليت عن مرآتها الاصداء

سور منه اشبهت صورا منـ * ـنا ومثل النظائر النظراء

والاقاويل عندهم كالتماثيـ * ـل فلا يوهمنك الخطباء

كم ابانت آياته عن علوم * من حروف ابان عنها الهجاء

فهى كالحب والنوى اعجب الزراع منها سنا بل وزكاء

فأطالوا فيه التردد والريـ * ـب فقالوا سحر وقالوا افتراء

واذا البينات لم تغن شيأ * فالتماس الهدى بهن عناء

واذا ضلت العقول على علـ * ـم فماذا تقوله النصحاء

اى أولم يكفهم عما سألوه عنادا ذكر واصل اليهم حالة كونه من الله تعالى رحمة وشفاء للناس والجن والملائكة اعجز الانس والجن آية منه فهلا يأتى بتلك الآية أهل البلاغة كل وقت يهدى قراؤه الى سامعيه معجزات من لفظه ولذلك تتحلى بسماعه المسامع من التحلية التى هى لبس الحلى وتتحلى بالفاظه الافواه من الحلواء فهو الحلى والحلواء حسن من جهة اللفظ وتصفى من شوائب النقص من جهة المعنى فأرتنا رقة من زلاله وصفاء من ذلك الزلال خبايا فضل فيه وهى العلوم المستنبطة منه وانما تظهر الوجوه ظهورا واضحا لاخفاء معه بوجه اذا قوبلت بمرآة وقت جلاء الاصداء عن تلك المرآة سور منه

عليه وسلم الثلاثة والاربعة يحملون اليه الطعام وان جفنة سعد بن عبادة وجفنة اسعد بن زرارة تحملان اليه كل ليلة واستمرت جفنة سعد بن عبادة تدور معه عليه السلام فى بيوت أزواجه وان أول هدية دخلت عليه عليه السلام فى بيت ابى أيوب قصعة فيها ثريد خبز بسمن وابن جاء بها زيد بن ثابت ووضعها بين يديه صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله أرسلت بهذه القصعة اليك أمى فقال بارك الله فيك وفيها ودعا أصحابه وذكر ابن اسحق أن هذا البيت الذى لابى ايوب بناه له عليه الصلاة والسلام تبع الحميرى لما مر بالمدينة فى رجوعه من مكة وترك فيها أربعمائة عالم روى ابن عساكر انه قدم مكة وكسا الكعبة وخرج الى يثرب وكان فى مائة ألف وثلاثين ألفا من الفرسان ومائة ألف وثلاثة عشر ألفا من الرجالة ولما نزلها أجمع أربعمائة رجل من الحكماء والعلماء وتبايعوا أن لا يخرجوا منها فسألهم عن الحكمة فى مقامهم فقالوا ان شرف البيت وشرف هذه البلدة بهذا الرجل الذى يخرج يقال له محمد صلى الله عليه وسلم فأراد تبع أن يقيم وامر ببناء دار للنبى صلى الله عليه وسلم وبناء أربعمائة دار لكل رجل منهم دار واشترى لكل منهم جارية وأعتقها وزوجها منه وأعطاهم عطاء جزيلا وأمرهم بالاقامة الى وقت خروجه وكتب كتابا للنبى صلى الله عليه وسلم فيه اسلامه ومنه

شهدت على أحمد انه

رسول من الله بارى النسم

فلو مد عمرى الى عمره * لكنت وزيرا له وابن عم

وختمه بالذهب ودفعه الى كبيرهم وسأله ان يدفعه للنبى صلى الله عليه وسلم ان ادركه والا من يدركه من ولده وولد ولده ابدا الى حين خروجه وكان فى الكتاب انه آمن به وعلى دينه وخرج تبع من يثرب فمات بالهند ومن موته الى مولده صلى الله عليه وسلم ألف سنة سواء قاله الزرقانى فى شرح المواهب فهذا اول الدار التى بناها تبع

للنبي صلى الله عليه وسلم الملوك الى ان صارت لابى ايوب وهو من ولد ذلك العالم الذى دفع اليه الكتاب ولما خرج صلى الله عليه وسلم ارسلوا اليه كتاب تبع مع ابى ليلى فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال له أنت ابو ليلى ومعك كتاب تبع الاول فبقى ابو ليلى متفكرا ولم يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من انت فانى لم ارفى وجهك أثر السحر وتوهم انه ساحر فقال أنا محمد

هات الكتاب فلما قرأه قال مرحبا بتبع الاخ الصالح ثلاث مرات قال ابن اسحق واهل المدينة الذين نصروه عليه الصلاة والسلام من ولد أولئك العلماء الاربعمائة وهم الاوس والخزرج فعلى هذا انما نزل صلى الله عليه وسلم فى منزل نفسه لا فى منزل غيره وعن أنس رضى الله عنه قال شهدت يوم دخول النبى صلى الله عليه وسلم فلم أر يوما أحسن ولا أضوأ من يوم دخل علينا فيه صلى الله عليه وسلم المدينة وخرجت جويريات من بنى النجار يضربن بالدفوف ويقلن

نحن جوار من بنى النجار
يا حبذا محمد من جار

فخرج اليهن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتحببننى قلن نعم يارسول الله فقال الله يعلم أن قلبى يحبكن وفى رواية وأنا والله أحبكن قال ذلك ثلاثا وتفرق الغلمان والخدم فى الطرق ينادون جاء محمد جاء رسول الله الله أكبر جاء محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء فى رواية أن ناقته صلى الله عليه وسلم حين بركت فى دار بنى النجار اى محلتهم جاء رجل من بنى سلمة وهو جبار بن صخر رضى الله عنه وكان من صالحى المسلمين فجعل ينخسها رجاء أن تقوم فتنزل فى دار بنى سلمة فلم تفعل وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال خير دور الانصار بنو النجار ثم بنو عبد الاشهل ثم بنو الحرث ثم بنو ساعدة وفى كل دور الانصار خير ولما بلغ ذلك سعد بن عبادة رضى الله عنه وكان من بنى ساعدة وجد فى نفسه وقال خلفنا فكنا آخر الاربع

أشبهت صورا منا من حيث اشتمال كل صورة منا على عقل وفهم وخلق لا يشاركه فيه غيره والاقاويل الصادرة من الكفار فى القرآن كالصور التى يصورها المصورون فانه لا وجود لها فى الحقيقة فما قالوه فى القرآن باطل قطعى البطلان فاحذر ايها الخطباء ان توقع فى وهمك أن ما نأتى به يقارب القرآن كم اوضحت آياته علوما حالة كونها متولدة من حروف قليلة كشف عنها التهجى كالحب الذى يلقيه الزارع والنوى الذى يلقيه الغارس أعجب الزراع والغراس منها اى من تلك الحبوب والنوى سنابل وثمار ونحو فاق الحصر فأطالوا فى تلك الصور الشك فقالوا سحر وتمويه لا حقيقة له وقالوا مرة أخرى أساطير الاولين واذا كانت الحجج والبراهين لم تفدهم شيأ من الهدى فطلب الهدى منهم بتلك الحجج تعب لا يفيد شيأ واذا ضلت العقول عن طرق الحق مع علم منها بتلك الطرق فأى قول يقوله الفصحاء اى وقال الوليد بن المغيرة او ما أينزل القرآن على محمد واترك أنا وانا كبير قريش وسيدها ويترك ابو مسعود الثقفى سيد ثقيف ونحن عظماء القريتين اى مكة والطائف فأنزل الله تعالى وقالوا لولا اى هلا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم اى اعظم واشرف من محمد صلى الله عليه وسلم فرد الله تعالى عليهم بقوله أهم يقسمون رحمت ربك الآية وفى لفظ قال بعضهم كان الاحق بالرسالة الوليد بن المغيرة من أهل مكة أو عروة بن مسعود الثقفى من أهل الطائف ثم لا يخفى أن كفار قريش بعثوا مع النضر بن الحرث عقبة بن ابى معيط الى أحبار يهود بالمدينة وقالوا لهما سألاهم عن محمد وصفا لهم صفته وأخبراهم بقوله فانهم أهل الكتاب الاول اى التوراة لانه قبل الانجيل وعندهم علم ليس عندنا فخرجا حتى قدما المدينة وسألا احبار يهود اى قالا لهم أتيناكم لامر حدث فينا منا غلام يتيم حقير يقول قولا عظيما يزعم أنه رسول الله وفى لفظ رسول الرحمن قالوا صفوا لنا صفته فوصفوا فقالوا فمن يتبعه منكم قالوا سفلتنا فضحك حبر منهم وقالوا هذا النبى الذى نجد نعته ونجد قومه أشد الناس له عداوة قالت لهم احبار اليهود سلوه عن ثلاث فان أخبركم بهن فهو نبى مرسل وان لم يفعل فالرجل متقول سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الاول اى وهم أهل الكهف ما كان من أمرهم فانه قد كان لهم حديث عجيب وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الارض ومغاربها اى وهو ذو القرنين ما كان نبؤه وسلوه عن الروح ماهى فاذا أخبركم بذلك اى بحقيقة الاولين وبعارض من عوارض الثالث وهو كونها من أمر الله فاتبعوه فانه نبى فرجع النضر وعقبة الى قريش وقالا لهم قد جئنا كم بفصل ما بينكم وبين محمد وأخبراهم الخبر فجاؤا الى النبى صلى الله

أمر جوالى حمارى فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه ابن أخته سهل فقال اتذهب لرسول الله صلى الله عليه وسلم لترد عليه ورسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم اوليس حسبك ان تكون وابع الربع فرجع وقال الله ورسوله اعلم وامر بحماره ان يغفل عنه سرجه وفى رواية قال له اجلس ألا ترضى أن سمى رسول الله صلى الله

عليه وسلم دارك فى الدور والاربع التى سمى ومالم يسم اكثرمما سمى فانتهى سعد بن عبادة عن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكث صلى الله عليه وسلم فى دار ابى أيوب سبعة اشهر الى ان بنى المسجد وبعض ما كنه ولما تحوّل رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى عمرو بن عوف الى المدينة تحوّل المهاجرون فتنافس فيهم الانصار ان ينزلوا عليهم حتى اقترعوا عليهم بالسهمان فما نزل أحد من المهاجرين على أحد من الانصار الا بقرعة بينهم وكان المهاجرون فى دور الانصار وأموالهم ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وعك ابو بكر وبلال رضى الله عنهما بالحمى روى النساى عن عائشة رضى الله عنها لما قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة وهى أوبأ أرض الله أصاب أصحابه منها بلاء وسقم وصرف الله ذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم وأصابت الحمى ابا بكر وبلالا وعامر بن فهيرة فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عيادتهم وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب فأذن لى فدخلت عليهم وهم فى بيت واحد

فقلت يا أبت كيف تجدك ويا بلال كيف تجدك وكان ابو بكر رضى الله عنه اذا اخذته الحمى يقول اذا قيل له كيف تجدك

كل امرئ مصبح فى أهله ❊ والموت أدنى من شراك نعله ❊ قالت فقلت انا لله ان ابى ليهذى وما يدرى ما يقول ثم دنوت الى

عامر بن فهيرة فقلت كيف تجدك فقال ❊ لقد وجدت الموت قبل ذوقه ❊ ان الجبان حتفه من فوقه

عليه وسلم وسألوه عن ذلك فقال لهم عليه الصلاة والسلام أخبركم غدا ولم يستثن اى لم يقل ان شاء الله تعالى وانصرفوا فمكث صلى الله عليه وسلم خمسة عشر يوما وقيل ثلاثة ايام وقيل اربعة ايام لا يأتيه الوحى وتكلمت قريش فى ذلك بما اخبر به النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا ان محمدا قلاه ربه وتركه اى ومن جملة من قال ذلك له صلى الله عليه وسلم أم جميل امرأة عمه ابى لهب قالت له ما أرى صاحبك الا وقد ودعك وقلاك اى تركك وبغضك وفى رواية قالت امرأة من قريش أبطأ عليه شيطانه وشق عليه صلى الله عليه وسلم ذلك منهم ثم جاءه جبريل بسورة الكهف وفيها خبر الفتية الذين ذهبوا وهم أهل الكهف و يروى أنهم يكونون مع عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام اذا نزل ويحجون البيت وخبر الرجل الطوّاف وهو ذو القرنين اى وهو اسكندر ذو القرنين كان له قرنان صغيران من لحم تواريهما العمامة وفى لفظ كان له شبه القرنين فى رأسه وقيل غديرتان من شعر وقيل لانه قرن ما بين طلوع الشمس ومغربها اى بلغ قطرى المشرق والمغرب وقيل ضرب على قرن رأسه فمات ثم أحيي ثم ضرب على قرنه الآخر فمات ثم أحيي وقيل لانه ملك الروم وفارس وقيل لانه انقرض فى زمنه قرنان من الناس والقرن زمان مائة سنة وكان ذو القرنين رجلا صالحا من أهل مصر من ولد يونن وفى لفظ يونان بن يافث بن نوح وكان من الملوك العادلة وكان الخضر صاحب لوائه الاكبر وقيل كان نبيا قاله الضحاك وجاءه صلى الله عليه وسلم جبريل بالجواب عن الروح المذكور وذلك فى سورة الاسراء وهو ان الروح من أمر الله اى قل لهم الروح من أمر ربى اى من علمه لا يعلمه الا هو اى وكان فى كتبهم أن الروح من أمر الله اى مما استأثر الله تعالى بعلمه ولم يطلع عليه احدا من خلقه ومن ثم جاء فى بعض الروايات ما تقدم ان أجابكم عن حقيقة الروح فليس بنبى والا بأن أجابكم عنها بانها من امر الله فهو نبى ولعل هذا هو المراد كما جاء فى بعض الروايات سلوه عن الروح فان اخبركم به فليس بنبى وان لم يخبركم فهو نبى (اقول) اذا كان فى كتبهم أن حقيقة الروح مما استأثر الله تعالى بعلمه كيف يسألونه فيخبرهم بذلك الا أن يقال المراد ان أجابكم بغير قوله من امر ربى فاعلموا انه غير نبى فانه يحاول أن يخبركم عن حقيقتها وحقيقتها لا يعلمها الا الله تعالى ويوافقه ما فى مأثور التفسير من امر ربى من علم ربى لا علم لى به وفى بعض الروايات عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما سلوه عن الروح التى نفخ الله تعالى فى آدم فان قال لكم من الله تعالى فقولوا له كيف يعذب الله فى النار شيأ هو منه وحاصل الجواب الذى أشارت اليه الآية أن الروح امر بمعنى مأمور اى مأمور من

كل امرئ مجاهد بطوقه * كالثور يحمى أنفه بروقه   فقلت هذا والله مايدرى مايقول اى لانها سالتهم عن حالهم فأجابوها بما لا تعلق له والطوق الطاقة والروق القرن يضرب مثلا فى الحث على حفظ الحرم وكان بلال اذا أقلعت عنه الحمى يقول
ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة ٤١٦ بوادو حولى اذخر وجليل   وهل أردن يوما مياه مجنة * وهل يبدون لى شامة وطفيل

اللهم العن عتبة بن ربيعة وشيبة ابن ربيعة وأمية بن خلف كما أخرجونا من أرضنا الى أرض الوباء قالت عائشة رضى الله عنها فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته وقلت يارسول الله انهم ليهذون ومايعقلون من شدة الحمى فنظر الى السماء وقال اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة أو أشد اللهم بارك لنا فى صاعنا ومدنا وصححها لنا وانقل حماها الى الجحفة فاستجاب الله له فطيب هواءها وترابها وساكنها والعيش بها حتى ان من أقام بها يجد من تربتها وحيطانها رائحة طيبة لاتكاد توجد فى غيرها وقد تكرر دعاؤه عليه الصلاة والسلام بتحبيب المدينة والبركة فى ثمارها قال العلامة الزرقانى والظاهر ان الاجابة حصلت بالاول والتكرير لطلب المزيد وقد ظهر ذلك فى الكيل بحيث يكفى المد بها مالا يكفيه بغيرها وهذا أمر محسوس لمن سكنها ونقل الله حماها الى الجحفة والمراد الحمى الشديدة النقل الوبيئة فصارت الجحفة من يومئذ وبيئة لايشرب احد من مائها الا حم ولايمر بها طائر الا حم وسقط قال الزرقانى والذى نقل عنها سلطان الحمى وشدتها ووباؤها وكثرتها بحيث لايعد الباقى   وكان بالنسبة لما نقل شيأ واستجاب الله لرسوله صلى الله عليه وسلم فسكن حب المدينة فى قلوب أصحابه حتى قال عمر رضى الله عنه اللهم ارزقنى شهادة فى سبيلك واجعل موتى فى بلد رسولك فاستجاب الله دعاءه رضى الله عنه فرزقه الشهادة على يد أبى لؤلؤة المجوسى

مأموراته وخلق من خلقه لا أنها جزء منه والله أعلم اى وهذا يدل على ان المسئول عنه روح الانسان التى هى سبب فى افادة الحياة للجسد (وفى كلام الامام الغزالى) رحمه الله تعالى أن الروح روحان حيوانى وهى التى تسميه الاطباء المزاج وهو جسم لطيف بخارى معتدل سار فى البدن الحامل لقواه من الحواس الظاهرة والقوى الجسمانية وهذه الروح تفنى بفناء البدن وتنعدم بالموت وروح روحانى وهى التى يقال لها النفس الناطقة ويقال لها اللطيفة الربانية ويقال لها العقل ويقال لها الروح ويقال لها القلب من الالفاظ الدالة على معنى واحد لها تعلق بقوى النفس الحيوانى وهذه الروح لاتفنى بفناء البدن وتبقى بعد الموت هذا كلامه (وفى كلام بعضهم) والروح عند أكثر أهل السنة جسم لطيف مغاير للاجسام ماهية وهيئة متصرف فى البدن حال فيه حلول الدهن فى الزيتون يعبر عنه بأنا وأنت واذا فارق البدن مات وذهب جمع منهم الغزالى والامام الرازى وفاقا للحكماء والصوفية الى أنه جوهر مجرد غير حال بالبدن يتعلق به تعلق العاشق بالمعشوق ويدبر أمره على وجه لايعلمه الا الله اه ورأيت فى كلام الشيخ الاكبر أن الامام ركن الدين السمرقندى لما فتح المسلمون بلاد الهند خرج بعض علمائها ليناظر المسلمين فسأل عن العلماء فأشاروا الى الامام ركن الدين السمرقندى فقال له الهندى ماتعبدون قالوا نعبد الله بالغيب قال من أنبأكم قالوا محمد صلى الله عليه وسلم قال فما الذى قال فى الروح قال هو من امر ربى فقال صدقتم فأسلم وليس المراد بالروح خلق من الملائكة على صورة بنى آدم أو ملك عظيم عرض شحمة اذنه خمسمائة عام الى غير ذلك مما قيل قال بعضهم قلت كذا فى هذه الرواية انهم سألوه اى مشركو مكة عن الروح وحديث ابن مسعود يدل على أن السؤال عن الروح ونزول الآية كان بالمدينة اى من اليهود هذا كلامه وفيه أنه سيأتى جواز تكرار السؤال وتكرر نزول الآية الى آخر ما يأتى وبه يعلم ما فى الاتقان حيث تعقب قول بعضهم ان اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم سألوه عن الروح وعن ذى القرنين بقوله قلت السائل عن الروح وذى القرنين مشركو مكة او اليهود كما فى أسباب النزول لا الصحابة وفى الاتقان قد يعدل عن الجواب اصلا اذا كان السائل قصده التعنت نحو ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى قال صاحب الافصاح انما سأل اليهود تعجيزا وتغليطا اذ كان الروح يقال بالاشتراك على روح الانسان والقرآن وعيسى وجبريل وملك آخر وصنف من الملائكة فقصد اليهود ان يسألوه صلى الله عليه وسلم فبأى مسمى اجابهم قالوا ليس هو فجاءهم الجواب مجملا

وكان هذا الاجمال كيدا رده كيدهم وفي سورة الكهف أيضا آية ولا تقولن لشيء انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت اى اذا أردت أن تقول سأفعل شيأ فيما يستقبل من الزمان تقول ان شاء الله فان نسيت التعليق بذلك ثم تذكرت تأتى بها فذكرها بعد النسيان كذكرها بعد القول قال جمع منهم الحسن مادام فى المجلس اى وظاهره وان طال الفصل وفى الخصائص الكبرى ان هذا اى الاتيان بالمشيئة بعد التذكر من خصائصه صلى الله عليه وسلم وليس لاحدنا أن يستثنى اى يأتى بالمشيئة الا فى صلة يمينه (اقول) كان ينبغى أن يقول فى صلة اخباره لان مساق الآية فى الاخبار لا فى الحلف فان قيل هى عامة فى الخبر والحلف قلنا كان ينبغى أن يقول حينئذ فى صلة كلامه وحينئذ يقتضى كلامه أنا نشاركه فى الخبر دون الحلف والله أعلم ثم لا يخفى أنه قيل سبب احتباس الوحى أنه لم يقل ان شاء الله تعالى وهو المشهور وقيل لانه كان فى بيته كلب وفى لفظ كان تحت سريره جرو ميت فقد جاء انه صلى الله عليه وسلم لما عاتب جبريل فى احتباسه قال اما علمت ان الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب اى فانه صلى الله عليه وسلم قال لخادمته خولة ياخولة ما حدث فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل لا يأتينى قالت فقلت فى نفسى لو كنست البيت فأهويت بالمكنسة تحت السرير فأخرجت الجرو ميتا (أقول) قال ابن كثير قد ثبت فى الحديث المروى فى الصحاح والسنن والمسانيد من حديث جماعة من الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة ولا كلب ولا جنب وقد أورد بعض الزنادقة سؤالا وهو اذا كانت الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب أو صورة اى صورة التماثيل التى فيها الارواح يلزم أن لا يموت من عنده كلب أو صورة وان لا يكتب عمله واجيب عنه بان المراد لا تدخل ذلك البيت دخول اكرام لصاحبه وتحصيل بركة له فلا ينافى دخولهم لكتابة الاعمال وقبض الارواح والله أعلم وقيل لانه صلى الله عليه وسلم زجر سائلا ملحا وقد كان قبل ذلك يرد السائل بقوله آتانا كم الله من فضله اى وربما سكت فقد روى الشيخان ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ فقال لا قال الحافظ ابن حجر المراد بذلك أنه لا ينطق بالرد بل ان كان عنده شئ أعطاه والا سكت وهذا هو المراد بما جاء أنه صلى الله عليه وسلم ما رد سائلا قط اى ما شافهه بالرد وقد حكى بعضهم قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فقلت يارسول الله استغفر لى فسكت فقلت يارسول الله ان ابن عيينة حدثنا عن جابر انك ما سئلت شيأ قط فقلت لا فتبسم صلى الله عليه وسلم

واسمه فيروز غلام المغيرة بن شعبة ودفن عند حبيبه صلى الله عليه وسلم قال السهيلى بعد ذكر كلام بلال السابق فيه من حنينهم الى مكة ما جبلت عليه النفوس من حب الوطن والحنين اليه * وقد جاء فى حديث أصيل الغفارى انه قدم من مكة فسألته عائشة رضى الله عنها كيف تركت مكة يا أصيل فقال تركتها حين ابيضت أباطحها واحجن ثمامها واغدق اذخرها وابشر سلمها فاغر ورقت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال تشوقنا يا أصيل دع القلوب تقر * وكان صلى الله عليه وسلم قبل بناء المسجد يصلى حيث أدركته الصلاة ولما أراد صلى الله عليه وسلم بناء المسجد الشريف قال يا بنى النجار ثامنونى بحائطكم اى بستانكم اى اذكروا لى ثمنه لاشتريه منكم قالوا لا نطلب ثمنه الا الى الله فأبى ذلك صلى الله عليه وسلم وابتاع ذلك منهم بعشرة دنانير أداها من مال ابى بكر الصديق رضى الله عنه وكان من جملة محل مسجده صلى الله عليه وسلم مسجد لابى امامة أسعد بن زرارة رضى الله عنه وكان ابو أمامة يجمع فيه بمن يليه وبعض منه كان مربدا للتمر لسهل وسهيل ابنى رافع بن عمرو وهما يتيمان فى حجر معاذ بن عفراء وقيل فى حجر أسعد ابن زرارة وجمع بانه كان فى حجرهما وبعض منه كان حائطا اى بستانا فيه نخل وبعض منه كان خربا وبعض منه كان فيه قبور وبهذا جمع بين الاحاديث التى فى بعضها أن موضع المسجد كان مربدا وفى بعضها كان بستانا وفى

بعضها كان مسجدا لاسعد بن زرارة الى غير ذلك فأمر صلى الله عليه وسلم بالقبور فنبشت وبالعظام فغيبت وبالخرب فسويت بازالة ما كان فيها وبالنخل فقطعت وجعلت عمد المسجد ثم أمر باتخاذ اللبن فاتخذ وبنى المسجد وسقف بالجريد وجعلت عمده خشب النخل * روى محمد بن الحسن المخزومى وغيره عن شهر بن حوشب لما أراد رسول الله صلى الله

عليه وسلم ان يبني المسجد قال ابنوا لي عريشا كعريش موسى ثمامات وخشبات وظلة كظلة موسى والامر أعجل من ذلك قيل وما ظلة موسى قال كان اذا قام أصاب رأسه السقف فلم يزل المسجد كذلك حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعضهم ان عصا موسى وقامته وقبته كانت سبعة أذرع فهو تشبيه تام لانه جعل ارتفاع سقف المسجد سبعة أذرع * وروى البيهقي عن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد المدينة وضع حجرا ثم قال ليضع ابو بكر حجره الى جنب حجري ثم ليضع عمر حجره الى جنب حجر ابي بكر ثم ليضع عثمان حجره الى جنب حجر عمر ثم ليضع علي فقيه اشارة الى ترتيبهم في الخلافة رضي الله عنهم بل صرح به في رواية انه سئل عن ذلك فقال هؤلاء الخلفاء بعدي قال الامام أبو زرعة اسناده لا بأس به فقد أخرجه الحاكم في المستدرك وصححه وفي رواية هؤلاء ولاة الامر بعدي * واما ما اشتهر من أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يستخلف فمعناه انه لم ينص على استخلاف احد بعينه عند وفاته وذلك لا ينافي وقوع الخلافة لهؤلاء بعده ولا ينافي قولنا لم ينص قوله الخلفاء بعدي لانه ليس نصا لجواز أن يراد الخلافة في العلم والارشاد وأيضا لما كان قوله ذلك متقدما على وقت الاستخلاف عادة وهو قرب الموت لم يكن نصا سالما من المعارضة ثم لما استخلفوا تحقق المراد من تلك الاشارة ثم قال للناس ضعوا اى الحجارة فوضعوا وعمل المسلمون في بناء مسجده صلى الله عليه وسلم وهو صلى الله عليه وسلم أ كون معهم وكان المسلمون يحملون لبنة لبنة وعمار بن ياسر رضي الله عنه ينقل لبنتين لبنة عنه ولبنة عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا عمارا ألا تحمل كما يحمل أصحابك قال اني أريد من الله الاجر فمسح صلى الله عليه وسلم التراب عن

واستغفر لي اى فكان يأتي بالاول حيث لا يكون المقام يقتضي الاقتصار على السكوت ولعل هذا في غير رمضان فلا يخالف ما رواه البزار عن أنس رضي الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل شهر رمضان أطلق كل أسير وأعطى كل سائل وبين الشيخ ابن الجوزي في التنوير سبب الحاح هذا السائل فقال ان النبي صلى الله عليه وسلم أهدى اليه قطف عنب قبل أوانه فهم أن يأكل منه فجاء سائل فقال اطعموني مما رزقكم الله فسلم اليه ذلك القطف فلقيه بعض الصحابة فاشتراه منه وأهداه للنبي صلى الله عليه وسلم فعاد السائل الى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله فأعطاه اياه فلقيه رجل آخر من الصحابة فاشتراه منه وأهداه للنبي صلى الله عليه وسلم فعاد السائل فسأله فانتهره وقال انك ملح قال وهذا سياق غريب جدا وهو معضل * وقيل سبب ذلك غير ذلك من ذلك الخبر أن جبريل عليه السلام لما قال له صلى الله عليه وسلم ما حبسك عني قال كيف نأتيكم وأنتم لا تقصون أظفاركم ولا تنقون براجمكم ولا تأخذون شواربكم ولا تستاكون (اقول) واختلاف هذه الاسباب ظاهر في أن الواقعة متعددة ولا ينافيه قوله ونزلت اى آية سورة الضحى ردا عليهم في قولهم ان محمدا قلاه ربه وتركه وهي ما ودعك ربك وما قلى اى ما قطعك قطع المودع وما أبغضك لانه يجوز أن يكون مما تكرر نزوله لاختلاف سببه ويمكن أن يقال يجوز أن تكون الواقعة واحدة وتعددت أسبابها ولا ينافيه اخبار جبريل عليه السلام تارة بأن سبب احتباسه عدم قص الاظفار وما ذكر معه وتارة بأن الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب وتارة بقوله وما نتنزل الا بأمر ربك كما يأتي قريبا وكما سيأتي في قصة الافك لكن قال الحافظ ابن حجر قصة ابطاء جبريل بسبب الجرو مشهورة لكن كونها سبب نزول الآية اى ما ودعك ربك وما قلى غريب فالمعتمد ما في الصحيح هذا كلامه (اقول) ومما يدل على أن واقعة الجرو كانت بالمدينة ما في بعض التفاسير أن هذا الجرو كان للحسن والحسين رضي الله عنهما وما رواه مسلم عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت واعد رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام في ساعة أن يأتيه فجاءت تلك الساعة ولم يأته فيها قالت وكان بيده عصا فطرحها من يده وهو يقول ما يخلف الله وعده ولا رسله ثم التفت فاذا كلب تحت السرير فقال متى دخل هذا الكلب فقلت والله ما دريت به فأمر به فأخرج فجاء جبريل عليه الصلاة والسلام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدتني فجلست لك ولم تأت فقال منعني الكلب الذي كان في بيتك انا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة وفي زيادة الجامع الصغير أتاني جبريل فقال لي اني كنت أتيتك البارحة فلم يمنعني أن

أ كون دخلت عليك البيت الذى كنت فيه الا أنه كان على الباب تماثيل وكان فى البيت ستر فيه تماثيل وكان فى البيت كلب فأمر صلى الله عليه وسلم برأس التمثال الذى فى البيت فليقطع فيصير كهيئة الشجرة وأمر بالستر فليقطع فيجعل منه وسادتين منبوذتين توطآن وأمر بالكلب فأخرج ومعلوم أن مجىء جبريل له صلى الله عليه وسلم اكرام وتشريف له صلى الله عليه وسلم فلا ينافى ما تقدم فليتأمل ٭ ولما نزلت السورة المذكورة كبر صلى الله عليه وسلم فرحا بنزول الوحى واستمر صلى الله عليه وسلم لا يجاهر قومه بالدعوة حتى نزل وأما بنعمة ربك فحدث فعند ذلك كبر صلى الله عليه وسلم أيضا وكان ذلك سببا للتكبير فى افتتاح السور التى بعدها وفى ختمها الى آخر القرآن وعن ابى بن كعب رضى الله تعالى عنه أنه قرأ كذلك على النبى صلى الله عليه وسلم بعد أمره له بذلك وانه كان كلما ختم سورة وقف وقفة ثم قال الله أكبر هذا وقيل ابتداء التكبير من أول ألم نشرح لا من أول والضحى وقيل ان التكبير انما هو لآخر السورة وابتداؤه من آخر سورة الضحى الى آخر قل أعوذ برب الناس والاتيان بالتكبير فى الاول والآخر جمع بين الروايتين الرواية التى جاءت بأنه كبر فى أول السورة المذكورة والرواية الاخرى أنه كبر فى آخرها ومما يدل على أن التكبير أول سورة الضحى ما جاء عن عكرمة بن سليمان قال قرأت على اسمعيل بن عبد ربه فلما بلغت الضحى قال كبر فانى قرأت على عبد الله بن كثير أحد القراء السبعة فلما بلغت والضحى قال لى كبر حتى تختم وأخبرنى ابن كثير أنه قرأ على مجاهد فأمره بذلك وأخبره أن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أمره بذلك وأخبره ابن عباس أن أبى بن كعب أمره بذلك وأخبره ابى ان النبى صلى الله عليه وسلم امره بذلك قال بعضهم حديث غريب ونقل عن امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه انه قال لآخر اذا تركت التكبير اى من الضحى الى الحمد فى الصلاة وخارجها فقد تركت سنة من سنن نبيك صلى الله عليه وسلم لكن فى كلام الحافظ ابن كثير ولم يرد ذلك اى التكبير عند نزول سورة الضحى باسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف ٭ وقد ذكر الشيخ ابو المواهب الشاذلى عن شيخه ابى عثمان أنه قال انما نزلت سورة ألم نشرح عقب قوله وأما بنعمة ربك فحدث اشارة الى أن من حدث بنعمة الله فقد شرح الله صدره قال كانه تعالى يقول اذا حدثت بنعمتى ونشرتها بين عبادى فقد شرحت صدرك وعن ابن اسحق ذكر لى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل لقد احتبست عنى يا جبريل حتى سؤت ظنا وفى لفظ ما منعك أن تزورنا اكثر مما تزورنا فقال له جبريل وما نتنزل الا بأمر ربك له ما بين أيدينا

ظهره وقال له الناس أجر ولك أجران وآخر زادك من الدنيا شربة لبن وتقتلك الفئة الباغية فكان كما أخبر صلى الله عليه وسلم فقد أخرج الطبرانى فى الكبير باسناد حسن عن ابى سنان الدؤلى الصحابى رضى الله عنه قال رأيت عمار بن ياسر دعا غلاما له بشراب فأتاه بقدح لبن فشرب منه ثم قال صدق الله ورسوله اليوم ألقى الاحبه محمدا وحزبه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان آخر شئ تزوده من الدنيا شربة لبن والله لو هزمونا حتى بلغونا سعفات هجر لعلمنا انا على الحق وانهم على الباطل يعنى لقوله صلى الله عليه وسلم وتقتلك الفئة الباغية ثم قاتل فقتل رضى الله عنه وكان ذلك بصفين مع على رضى الله عنه ودفن بها سنة سبع وثلاثين عن ثلاث او أربع وتسعين سنة ٭ روى البخارى فى صحيحه انه صلى الله عليه وسلم كان ينقل معهم اللبن فى بناء مسجده ويقول وهو ينقل اللبن قول عبد الله بن رواحة رضى الله عنه

هذا الجمال لا جمال خيبر
هذا أبر ربنا وأطهر

ويقول أيضا قول عبد الله بن رواحة

اللهم ان الاجر أجر الآخره
فارحم الانصار والمهاجره

وأصل البيت لاهم الخ وقيل ان البيت المذكور لامرأة من الانصار وبعده

وعافهم من حر نار ساعره
فانها للكافر وكافره

والتمثيل بشئ من الشعر ليس يمتنع عليه صلى الله عليه وسلم والممتنع انما هو انشاء الشعر لا انشاده ٭ ووضع النبى صلى الله عليه وسلم يوما رداءه وهو يعمل فوضع الناس أرديتهم وهم يعملون ويقولون

لئن قعدنا والنبى يعمل ٭ ذاك اذن للعمل المضلل ٭ ويروى ٭ لذاك منا العمل المضلل

وروى البيهقى عن الحسن لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد أعانه أصحابه وهو معهم يتناول اللبن حتى اغبر صدره الشريف صلى الله عليه وسلم

وكان عثمان بن مظعون رضي الله عنه رجلا متنطعا اي متأنقا مترفها ظريفا وكان يحمل اللبنة فيجافي بها عن ثوبه فاذا وضعها نفض كمه ونظر الى ثوبه فان أصابه شيء من التراب نفضه فنظر اليه علي بن ابي طالب رضي الله عنه فأنشد يقول

لايستوي من يعمر المساجدا ٤٢٠ * يدأب فيها قائما وقاعدا * ومن يرى عن التراب حائدا

وذلك على طريق المطايبة والمباسطة كما هو عادة المجتمعين على عمل وليس ذلك طعنا على عثمان رضي الله عنه فسمع قول علي عمار بن ياسر فجعل يرتجز به ولايدري من يعني به فمر بعثمان بن مظعون فقال يا ابن سمية لاعرفني بمن تعرض ومعه حديدة فقال لتكفن أو لاعترضن بها وجهك فسمعه صلى الله عليه وسلم فغضب ثم قالوا لعمار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غضب فيك ونخاف أن ينزل فينا قرآن فقال أنا أرضيه كما غضب فقال يارسول الله مالي ولاصحابك قال مالك ولهم قال يريدون قتلي يحملون لبنة لبنة ويحملون على لبنتين فأخذ صلى الله عليه وسلم بيده وطاف به المسجد وجعل يمسح ذفرته وهي الشعر الذي في جهة القفا ويقول يا ابن سمية ليسوا بالذي يقتلونك تقتلك الفئة الباغية وقوله يحملون على الخ استعطاف ومباسطة ليزول غضب النبي صلى الله عليه وسلم وجعل صلى الله عليه وسلم قبلة المسجد الى جهة بيت المقدس وبنى بيوتا الى جنبه باللبن وسقفها بجذوع النخل والجريد * وعن الحسن البصري رحمه الله قال كنت وأنا مراهق ادخل بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم صلى في خلافة عثمان رضي الله عنه فأتناول سقفها بيدي وعن الواقدي قال كان لحارثة بن النعمان رضي الله عنه منازل قرب المسجد وحوله فكلما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلا تحول له حارثة عن منزل حتى صارت منازله كلها لرسول الله صلى الله عليه

وماخلفنا ومابين ذلك وما كان ربك نسيا اي لاننتقل من مكان الى مكان ولا ننزل في زمان دون زمان الا بأمره ومشيئته على مقتضى حكمته وما كان ربك تاركا لك كما زعم الكفار بل كان ذلك لحكمة رآها * وأما حديث الزبيدي فقد حدث بعضهم قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد ومن معه من الصحابة اذا رجل من زبيد يطوف على حلق قريش حلقة بعد أخرى وهو يقول يامعشر قريش كيف تدخل عليكم المارة أو يجلب اليكم جلب أو يحل بضم الحاء اي ينزل بساحتكم تاجر وأنتم تظلمون من دخل عليكم في حرمكم حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه فقال له صلى الله عليه وسلم ومن ظلمك فذكر أنه قدم بثلاثة اجمال خيرة ابله اي أحسنها فسامه بها ابو جهل ثلث اثمانها ثم لم يسمه بها لاجله سائم قال فاكسد على سلعتي فظلمني فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وأين اجمالك قال هذه هي بالحزورة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام أصحابه فنظروا الى الجمال فرأى جمالا حسانا فساوم ذلك الرجل حتى ألحقه برضاه وأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فباع جملين منها بالثمن وأفضل بعيرا باعه وأعطى أرامل بني عبد المطلب ثمنه وكل ذلك وابو جهل جالس في ناحية من السوق ولم يتكلم ثم أقبل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له اياك يا عمرو أن تعود لمثل ماصنعت بهذا الرجل فترى مني ما تكره فجعل يقول لا أعود يامحمد لا أعود يامحمد فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل على ابي جهل أمية بن خلف ومن معه من القوم فقالوا له ذللت في يد محمد فاما أن تكون تريد أن تتبعه واما رعب دخلك منه فقال لهم لا أتبعه أبدا ان الذي رأيتم مني لما رأيته رأيت معه رجالا عن يمينه ورجالا عن شماله معهم رماح يشرعونها الي لو خالفته لكانت اياها اي لاتوا على نفسي ونظير ذلك ان أبا جهل كان وصيا على يتيم فأكل ماله وطرده فاستغاث اليتيم بالنبي صلى الله عليه وسلم على ابي جهل فمشى معه اليه ورد عليه ماله فقيل له في ذلك فقال خفت من حربة عن يمينه وحربة عن شماله لو امتنعت أن أعطيه اطعنني وأما حديث المستهزئين فما استهزئ به على رسول الله صلى الله عليه وسلم ماحدث به بعضهم ان ابا جهل ابن هشام ابتاع من شخص يقال له الاراشي بكسر الهمزة نسبة الى ارلشة بطن من خثعم اجمالا فمطله بأثمانها فدلته قريش على النبي صلى الله عليه وسلم لينصفه من ابي جهل استهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم لعلمهم بأنه لاقدرة له على ابي جهل اي بعدان وقف على ناديهم فقال يامعشر قريش من رجل يعينني على ابي الحكم بن هشام فاني غريب وابن سبيل وقد غلبني على حقي فقالوا له أترى ذلك الرجل يعنون رسول الله.

وسلم وكان صلى الله عليه وسلم بعد استقراره فى المدينة بعث زيد بن حارثة وأبا رافع مولاه الى مكة فقدما بفاطمة وام كلثوم وسودة بنت زمعة واسامة بن زيد وام ايمن وأما رقية فسبقت مع زوجها عثمان رضى الله عنه وزينب أخرت عند زوجها ابى العاص بن الربيع حتى أسر ببدر فلما منّ عليه أرسلها الى المدينة وبعث ابو بكر رضى الله عنه عبد الله ابن أريقط وكتب معه الى عبد الله بن ابى بكر أن يحمل معه ام رومان وام ابى بكر وعائشة وأسماء قالت عائشة رضى الله عنها فخرج زيد بن حارثة ومن معه وخرج عبد الله بن ابى بكر معهم بعيال أبيه ومنهم عائشة رضى الله عنها قالت واصطحبنا حتى قدمنا المدينة فنزلنا فى عيال ابى بكر ونزل آل النبى صلى الله عليه وسلم عندنا وهو يومئذ يبنى المسجد وبيوته فأدخل سودة أحد تلك البيوت وكان يقيم عندها ذكره الطبرانى وأما عائشة رضى الله عنها فلم يكن دخل بها ذلك الوقت ولما كان بعد قدومه صلى الله عليه وسلم بخمسة اشهر آخى بين المهاجرين والانصار قال السهيلى لتذهب عنهم وحشة الغربة ويؤنسهم من مفارقة الاهل والعشيرة ويشد أزر بعضهم ببعض فلما عز الاسلام واجتمع الشمل وذهبت الوحشة أبطل المواريث بين المتواخين وجعل المؤمنين كلهم اخوة وانزل الله انما المؤمنون اخوة اى فى التوادد وشمول الدعوة وكان جملة الذين آخى بينهم تسعين خمسة وأربعون من المهاجرين وخمسة وأربعون من الانصار وكانت المؤاخاة بينهم على الحق والمواساة والتوارث وبذل الانصار رضى الله عنهم فى ذلك جهدهم وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا بين المهاجرين والانصار ودعا فيه يهود بنى قينقاع وبنى قريظة وبنى النضير وصالحهم على ترك الحرب والاذى أن لا يحاربهم ولا يؤذيهم وان لا يعينوا عليه أحدا وانه ان دهمه بها

صلى الله عليه وسلم اذهب اليه فهو يعينك عليه فجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ماله مع ابى جهل اى قال له يا أبا عبد الله ان أبا الحكم بن هشام قد غلبنى على حق لى قبله وأنا غريب وابن سبيل وقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يأخذ لى بحقى منه فأشاروا اليك فخذ حقى منه يرحمك الله فخرج النبى صلى الله عليه وسلم مع الرجل الى ابى جهل وضرب عليه بابه فقال من هذا قال محمد فخرج اليه وقد انتقع لونه اى تغير وصار كلون النقع الذى هو التراب وهو الصفرة مع كدرة كما تقدم فقال له اعط هذا حقه قال نعم لا تبرح حتى أعطيه الذى له فدفعه اليه قال ثم ان الرجل أقبل حتى وقف على ذلك المجلس فقال جزاه الله خيرا يعنى النبى صلى الله عليه وسلم فقد والله أخذ لى بحقى وقد كانوا أرسلوا رجلا ممن كان معهم خلف النبى صلى الله عليه وسلم وقالوا له انظر ماذا يصنع فقالوا لذلك الرجل ماذا رأيت قال رأيت عجبا من العجب والله ما هو الا أن ضرب عليه بابه فخرج اليه وما معه روحه فقال اعط هذا حقه فقال نعم لا تبرح حتى أخرج اليه حقه فدخل فخرج اليه بحقه فأعطاه اليه فعند ذلك قالوا لابى جهل ويلك ما رأينا مثل ما صنعت قال ويحكم والله ما هو الا أن ضرب على بابى وسمعت صوته فملئت رعبا ثم خرجت اليه وان فوق رأسى فحلا من الابل ما رأيت مثله قط لو أبيت او تأخرت لا كلنى والى هذه القصة اشار صاحب الهمزية بقوله

واقتضاه النبى دين الاراشى ... وقد ساء بيعه والشراء
ورأى المصطفى أتاه بما لم ... ينج منه دون الوفاء النجاء
هو ما قد رآه من قبل لكن ... ما على مثله يعد الخطاء

اى وطلب صلى الله عليه وسلم من ابى جهل ان يؤدى دين الاراشى وقد ساء بيعه وشراؤه مع ذلك الرجل ورأى المصطفى صلى الله عليه وسلم وقد أتاه بفحل من الابل لم ينج منه دون الوفاء لذلك الدين كثيرا النجاء وذلك الذى أتاه به هو الفحل الذى قد رآه من قبل اى لما أراد عدو الله ان يلقى عليه صلى الله عليه وسلم الحجر وهو ساجد كما تقدم لكن ما على مثله فضلا عنه يعد الخطا الا ان خطأه لا ينحصر اى ومن استهزاء ابى جهل بالنبى صلى الله عليه وسلم أنه فى بعض الاوقات سار خلف النبى صلى الله عليه وسلم يخلج بأنفه وفمه يسخر به فاطلع عليه صلى الله عليه وسلم فقال له كن كذلك فكان كذلك الى ان مات قال ابن عبد البر وكان من المستهزئين الذين قال الله تعالى فيهم انا كفيناك المستهزئين ابو جهل وابو لهب وعقبة بن ابى معيط والحكم بن العاص بن امية وهو والد مروان بن الحكم عم عثمان بن

عـدو ينصروه وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم وكانت المواخاة بين المهاجرين والانصار في دار ابي طلحة زيد بن سهل رضي الله عنه زوج أم انس بن مالك رضي الله عنه فآخى صلى الله عليه وسلم بين ابي بكر وخارجة بن زيد رضي الله عنهما وكان صهرا لابي بكر لانه زوج ابنته لابي

بكر رضي الله عنه وبين عمر وعتبان بن مالك رضي الله عنهما وبين بلال

عفان والعاص بن وائل فمن استهزاء ابي جهل ما تقدم ومن استهزاء ابي لهب به صلى الله عليه وسلم انه كان يطرح القذر على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم ومر يوما من الايام فرآه اخوه حمزة رضي الله تعالى عنه قد فعل ذلك فأخذه وطرحه على رأسه فجعل ابو لهب ينفض رأسه ويقول صابئ أحمق ومن استهزاء عقبة بن ابي معيط به صلى الله عليه وسلم انه كان يلقي القذر أيضا على بابه صلى الله عليه وسلم كما تقدم وقد قال صلى الله عليه وسلم كنت بين شر جارين ابي لهب وعقبة بن ابي معيط ان كانا ليأتيان بالفروث فيطرحانها على بابي كما تقدم ومن استهزائه أنه بصق في وجه النبي صلى الله عليه وسلم فعاد بصاقه على وجهه وصار برصا اي فانه صلى الله عليه وسلم كان يكثر مجالسة عقبة ابن أبي معيط فقدم عقبة يوما من سفر فصنع طعاما ودعا الناس من أشراف قريش ودعا النبي صلى الله عليه وسلم فلما قرب اليهم الطعام أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأكل فقال ما أنا بآكل طعامك حتى تشهد أن لا اله الا الله فقال عقبة أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أنك رسول الله فأكل صلى الله عليه وسلم من طعامه وانصرف الناس وكان عقبة صديقا لابي بن خلف فأخبر الناس أبيا بمقالة عقبة فأتى اليه وقال يا عقبة صبوت قال والله ما صبوت ولكن دخل منزلي رجل شريف فأبى أن يأكل طعامي الا أن أشهد له فاستحييت أن يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت له فطعم والشهادة ليست في نفسي فقال له أبي وجهي ووجهك حرام ان لقيت محمدا فلم تطأه وتبزق في وجهه وتلطم عينه فقال له عقبة لك ذلك ثم ان عقبة لقي النبي صلى الله عليه وسلم ففعل به ذلك قال الضحاك لما بزق عقبة لم تصل البزقة الى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم بل وصلت الى وجهه هو كشهاب نار فاحترق مكانها وكان أثر الحرق في وجهه الى الموت وحينئذ يكون المراد بقوله فيما تقدم فعاد بصاقه برصا في وجهه اي صار كالبرص وأنزل الله تعالى في حقه ويوم يعض الظالم على يديه اي في النار يأكل احدى يديه الى المرفق ثم يأكل الاخرى فتنبت الاولى فيأكلها وهكذا * ومن استهزاء الحكم بن العاص أنه كان صلى الله عليه وسلم يمشي ذات يوم وهو خلفه يخلج بفمه وأنفه يسخر بالنبي صلى الله عليه وسلم فالتفت اليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال له كن كذلك فكان كذلك اي كما تقدم نظير ذلك لابي جهل واستمر الحكم بن العاص يخلج بأنفه وفمه بعد أن مكث شهرا مغشيا عليه حتى مات أسلم يوم فتح مكة وكان في اسلامه شيء اطلع على رسول الله صلى الله عليه وسلم من باب بيته وهو عند بعض نسائه بالمدينة فخرج اليه صلى الله عليه وسلم بالعنزة اي وقيل بمدرى في يده

والمدرى

وابن رويم الخثعمي رضي الله عنهما وبين زيد بن حارثة وأسيد ابن حضير رضي الله عنهما وبين أبي عبيدة وسعد بن معاذ رضي الله عنهما وبين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع رضي الله عنهما وعند ذلك قال سعد بن الربيع لعبد الرحمن يا عبد الرحمن اني من أكثر الانصار مالا فأنا مقاسمك وعندي امرأتان فأنا مطلق احداهما فاذا انقضت عدتها فتزوجها فقال بارك الله لك في أهلك ومالك ثم قال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه دلوني على السوق فباع واشترى حتى صار من أكثر الصحابة مالا رضي الله عنه وتوفي أسعد بن زرارة رضي الله عنه في السنة الاولى من الهجرة وحزن صلى الله عليه وسلم عليه حزنا شديدا وكان رضي الله عنه نقيبا لبني النجار فلم يجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم نقيبا بعده وقد قالوا له صلى الله عليه وسلم اجعل لنا رجلا مكانه يقيم من أمرنا ما كان يقيم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتم أخوالي وأنا نقيبكم وكره أن يخص بذلك بعضهم دون بعض فكان من مفاخرهم كون النبي صلى الله عليه وسلم نقيبهم وبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة رضي الله عنها على رأس تسعة أشهر من الهجرة في شوال ولما قدم المسلمون المدينة كانوا يتحينون أوقات الصلوات من غير دعوة فاذا عرفوا دخول الوقت بعلامة حضروا وكان بلال ينادي الصلاة جامعة ثم تكلم الناس في شيء

يعرفون به أوقات الصلاة فقال بعضهم تتخذ ناقوسا مثل ناقوس النصارى وقال بعضهم بل بوقا مثل قرن اليهود وقال عمر رضي
الله عنه تبعثون رجلا منكم ينادي بالصلاة وقال بعضهم نوقد نارا ونرفعها فاذا رآها الناس أقبلوا الى الصلاة فرأى عبد الله
ابن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه الانصاري رضي الله عنه في منامه رجلا يحمل ناقوسا قال فقلت له يا عبد الله

والمدرى كالمسلة يفرق به شعر الرأس وقال من عذيري من هذه الوزغة لو أدركته لفقأت عينه ولعنه وما ولد وغربه عن المدينة الى وج الطائف فلم يزل حتى ولي ابن أخيه عثمان رضي الله تعالى عنه الخلافة فدخل المدينة بعد ان سأل عثمان ابا بكر في ذلك فقال لا أحل عقدة عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم سأل عمر لما ولي الخلافة فقال له مثل ذلك ولما أدخله عثمان نقم عليه الصحابة بسبب ذلك فقال أنا كنت شفعت فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعدني برده اي الى أن رده ولا ينافي ذلك سؤال عثمان لابي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهم في ذلك كما لا يخفى لانه يحتمل أن يرده عثمان اما بنفسه او بسؤاله وسيأتي ذلك في جملة أمور نقمها عليه الصحابة وعن هند ابن خديجة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بالحكم فجعل يغمز بالنبي صلى الله عليه وسلم فرآه فقال اللهم اجعل به وزغا فرجف وارتعش مكانه والوزغ الارتعاش وفي رواية فما قام حتى ارتعش* وعن الواقدي استأذن الحكم بن العاص على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرف صوته فقال ائذنوا له لعنه الله ومن يخرج من صلبه الا المؤمنين منهم وقليل ما هم ذوو مكر وخديعة يعطون الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق وكان لا يولد لاحد ولد بالمدينة الا أتى به النبي صلى الله عليه وسلم فأتى اليه بمروان لما ولد فقال هو الوزغ ابن الوزغ الملعون ابن الملعون وعلى هذا فهو صحابي ان ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم رآه لانه يحتمل انه أتى به اليه صلى الله عليه وسلم فلم يأذن بادخاله عليه وربما يدل لذلك قوله هو الوزغ الى آخره وفي كلام بعضهم أن مروان ولد بمكة وفي كلام بعض آخر انه ولد بالطائف بعد ان نفي أبوه الى الطائف اي ولم يجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم فهو ليس بصحابي ومن ثم قال البخاري مروان بن الحكم لم ير النبي صلى الله عليه وسلم وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت لمروان نزل في أبيك ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم وقالت له سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لابيك وجدك اي الذي هو العاص بن أمية انهم الشجرة الملعونة في القرآن* وولي مروان الخلافة تسعة أشهر وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت لمروان بن الحكم حيث قال لاخيها عبد الرحمن بن ابي بكر لما بايع معاوية لولده قال مروان سنة ابي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما فقال عبد الرحمن بل سنة هرقل وقيصر وامتنع من البيعة ليزيد بن معاوية فقال له مروان أنت الذي أنزل الله فيك والذي قال لوالديه أف لكما فبلغ ذلك عائشة فقالت كذب والله ما هو به ثم قالت له أما انت يا مروان فاشهد أن رسول الله صلى

أتبيع الناقوس قال وما تصنع به قلت ندعو به الى الصلاة قال أفلا أدلك على ما هو خير لك من ذلك قلت بلى فاستقبل القبلة وقال الله أكبر الله أكبر الى آخر الاذان والاقامة فلما أصبح أتى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره فقال انها رؤيا حق ان شاء الله قم مع بلال فألق عليه فانه أندى منك صوتا قال فقمت مع بلال رضي الله عنه فجعلت ألقيه عليه ويؤذن قال فسمع بذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فخرج يجر رداءه يقول والذي بعثك بالحق يا رسول الله لقد رأيت مثل ما رأى بل روي انه رآه أربعة عشر رجلا وتأيد ذلك بالوحي من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم فما كان الاعتماد الا على الوحي وكانت تلك المنامات سببا في ذلك

(باب معاداة اليهود)

وعند ظهور الاسلام وقوته بالمدينة قامت نفوس أحبار اليهود ونصبوا العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بغيا وحسدا لما خص الله به العرب وأنزل الله فيهم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر الآيات* فمن أعدائه الذين انتصبوا العداوة له حيي وأبو ياسر وجدي بنو أخطب وسلام بن مشكم وكنانة بن الربيع وكعب ابن الاشرف وعبد الله بن صوريا وابن صلوبا ومخيريق ثم أسلم وصحب رضي الله عنه وكان له سبع حوائط فأوصى بها للنبي صلى الله عليه وسلم وكان نصبهم له العداوة عند مشروعية الاذان والاعلان بالشهادة له صلى الله عليه وسلم* وعن صفية أم المؤمنين رضي

اللّه عليه وسلم لعن أباك وانت فى صلبه وعن جبير بن مطعم كنا مع رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فمر الحكم بن العاص فقال النبى صلى اللّه عليه وسلم ويل لامتى مما فى صلب هذا قال بعضهم وكون النبى صلى اللّه عليه وسلم مع ما هو عليه من الحلم والاغضاء على ما يكره فعل بالحكم ذلك يدل ذلك على أمر عظيم ظهر له فى الحكم وأولاده ٭ وعن حمران ابن جابر الجعفى قال سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يقول ويل لبنى امية ثلاث مرات اى وقد ولى منهم الخلافة أربعة عشر رجلا أولهم معاوية بن أبى سفيان وآخرهم مروان بن محمد وكانت مدة ولايتهم ثنتين وثمانين سنة وهى ألف شهر قال بعضهم لا يزيد ذلك يوما ولا ينقص يوما قال ابن كثير وهذا غريب جدا وفيه نظر لان معاوية حين تسلم الخلافة من الحسن كان ذلك سنة أربعين او احدى وأربعين واستقر الامر فى بنى امية الى ان انتقل الى بنى العباس سنة ثنتين وثلاثين ومائة ومجموع ذلك ثنتان وتسعون سنة والف شهر تعدل ثلاثا وثمانين سنة وأربعة أشهر هذا كلامه ٭ ومن استهزاء العاص بن وائل انه كان يقول غر محمد نفسه وأصحابه ان وعدهم ان يحيوا بعد الموت واللّه ما يهلكنا الا الدهر ومرور الايام والاحداث ٭ اى ومن استهزائه ان خباب بن الارت رضى اللّه تعالى عنه كان قينا بمكة اى حدادا يعمل السيوف وقد كان باع للعاص سيوفا فجاءه يتقاضى ثمنها فقال له يا خباب أليس يزعم محمد هذا الذى أنت على دينه ان فى الجنة ما ابتغى اهلها من ذهب او فضة او ثياب أو خدم او ولد قال خباب بلى قال فانظرنى الى يوم القيامة يا خباب حتى أرجع الى تلك الدار فأقضيك هنالك حقك واللّه لا تكونن انت وصاحبك اثر عند اللّه منى ولا أعظم حظا فى ذلك وفى لفظ ان العاص قال له لا أعطيك حتى تكفر بمحمد فقال واللّه لا أكفر بمحمد حتى يميتك اللّه ثم يبعثك قال فذرنى حتى اموت ثم أبعث فسوف أوتى مالا وولدا فأقضيك فأنزل اللّه تعالى فيه أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا ونرثه ما يقول ويأتينا فردا وفى كلام ابن حجر الهيتمى وفى البخارى من عدة طرق أن خبابا رضى اللّه تعالى عنه طلب من العاص بن وائل السهمى دينا له عليه قال لا أعطيك حتى تكفر بمحمد فقال لا أكفر به حتى يميتك اللّه ثم يبعثك وفيه أن هذا تعليق للكفر بممكن اى وتعليق الكفر ولو بمحال عادى وكذا شرعى أو عقلى على احتمال كفر لانه ينافى عقد التصميم الذى هو شرط فى الاسلام وأجيب بانه لم يقصد التعليق قطعا وانما أراد تكذيب ذلك اللعين فى انكار البعث ولا ينافيه قوله حتى لانها تأتى بمعنى

اللّه عنها بنت حيى بن اخطب اليهودى قالت كنت أحب ولد أبى اليه والى عمى أبى ياسر وكانا من احبار اليهود وأعظمهم فلما قدم رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم المدينة غدوا عليه ثم جاآ من العشى فسمعت عمى يقول لابى أهو هو قال نعم واللّه قال اتعرفه وتثبته قال نعم قال فما فى نفسك منه قال عداوته واللّه ما بقيت وفى رواية قالت ان عمى أبا ياسر حين قدم رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم المدينة ذهب اليه وسمع منه وحادثه ثم رجع الى قومه فقال يا قوم اطيعونى فان اللّه قد جاءكم بالذى كنتم تنتظرونه فاتبعوه ولا تخالفوه ثم انطلق أبى الى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وسمع منه ثم رجع الى قومه فقال لهم أتيت من عند رجل فواللّه لا أزال له عدوا فقال له أخوه ابو ياسر أطعنى فى هذا الامر واعصنى فيما شئت بعد لا تهلك فقال واللّه لا نطيعك ثم وافق ياسر أخاه حييا وكانا أشد اليهود عداوة لرسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم جاهدين فى رد الناس عن الاسلام بما استطاعا فأنزل اللّه فيهما ومن كان موافقا لهما ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق (ومن شدة عداوة اليهود) للنبى صلى اللّه عليه وسلم ان لبيد بن الاعصم اليهودى صنع سحر النبى صلى اللّه عليه وسلم فى مشط ومشاطة وهى ما يخرج من شعر رأسه صلى اللّه عليه وسلم أعطاها لهم غلام يهودى كان يخدم النبى صلى اللّه عليه وسلم وجعل مثالا من شمع وقيل من عجين كمثال النبى صلى اللّه عليه وسلم ثم غرز فيه ابرا وجعل معه وترا عقد فيه احدى عشرة عقدة وجعل ذلك فى بئر ذروان فكان يخيل اليه صلى اللّه عليه وسلم ان يفعل الفعل وهو لا يفعله بما لا تعلق له بالوحى كالاكل والشرب والنكاح ومكث سنة وقيل ستة اشهر وقيل اربعين يوما ثم جاء جبريل للنبى صلى اللّه عليه

الا

الا المنقطعة فتكون بمعنى لكن التى صرحوا بأن ما بعدها كلام مستأنف وعليه خرج ابن هشام الخضراوى حديث كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه يهودانه اى لكن أبواه وعد بعضهم من المستهزئين الحرث بن عيطلة ويقال ابن عيطل ينسب الى أمه وكان من استهزائه ما تقدم عن العاص بن وائل وأبى جهل من الاختلاج خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد منهم الاسود بن عبد يغوث وهو ابن خال النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا رأى المسلمين قال لاصحابه استهزاء بالصحابة قد جاءكم ملوك الارض الذين يرثون كسرى وقيصر اى لان الصحابة كانوا متقشفين ثيابهم رثة وعيشهم خشن ويقول للنبى صلى الله عليه وسلم أما كلمت اليوم من السماء يا محمد وما أشبه هذا القول وعد منهم الاسود ابن عبد المطلب ومن استهزائه أنه كان هو وأصحابه يتغامزون بالنبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ويصفرون اذا رأوهم وعد منهم النضر بن الحرث فهلك غالبهم قبيل الهجرة بضروب من البلاء (أقول) والذى ينبغى أن يكون المراد بالمستهزئين فى الآية وهى انا كفيناك المستهزئين الوليد بن المغيرة والد خالد وعم ابى جهل فانه كان من عظماء قريش وكان فى سعة من العيش ومكنة من السيادة كان يطعم الناس أيام منى حيسا وينهى أن توقد نار لاجل طعام غير ناره وينفق على الحاج نفقة واسعة وكانت الاعراب تثنى عليه كانت له البساتين من مكة الى الطائف وكان من جملتها بستان لا ينقطع نفعه شتاء ولا صيفا وببركته صلى الله عليه وسلم أصابته الجوائح والآفات فى أمواله حتى ذهبت بأسرها ولم يبق له فى ايام الحج ذكر وكان المقدم فى قريش فصاحة وكان يقال له ريحانة قريش ويقال له الوحيد اى فى الشرف والسودد والجاه والرياسة قال بعضهم بل هو وحيد فى الكفر والخبث والعناد والعاص بن وائل والد عمرو بن العاص والاسود بن المطلب والاسود بن عبد يغوث والحرث بن عيطلة وفى لفظ ابن الطلاطلة والطلاطلة فى اللغة الداهية قال بعضهم وهو اشتباه لان ابن الطلاطلة اسمه مالك لا حارث والحرث ابن العيطلة كان أحد اشراف قريش فى الجاهلية واليه كانت الحكومة والاموال التى تجعل للآلهة وذكره ابن عبد البر فى الصحابة قال فى أسد الغابة لم أر أحدا ذكره فى الصحابة الا أبا عمر يعنى ابن عبد البر والصحيح أنه كان من المستهزئين وهؤلاء الخمسة هم الذين اقتصر عليهم القاضى البيضاوى لما روى أن جبريل أتى النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى المسجد اى يطوف بالبيت وقال له أمرت أن أكفيكهم فمر الوليد بن المغيرة قال له يا محمد كيف تجد هذا فقال بئس عبد الله فأومأ الى ساق الوليد وقال كفيته ومر العاص بن

وسلم وأخبره بذلك السحر وبمكانه فأرسل صلى الله عليه وسلم عليا وعمار بن ياسر رضى الله عنهما فاستخرجاه وصار ماء البئر كنقاعة الحناء ثم وجدا فجعل كلما حل عقدة وجد صلى الله عليه وسلم فى نفسه بذلك خفة حتى قام كأنما انشط من عقال وأنزل الله عليه المعوذتين وهما احدى عشرة آية كلما قرأ آية انحلت عقدة وجعل جبريل عليه السلام يقول باسم الله أرقيك والله يشفيك من كل داء يؤذيك ثم انه صلى الله عليه وسلم احضر لبيدا فاعترف فعفا عنه لما اعتذر له بأن الحامل له على ذلك حب الدنانير وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو قتلته فقال صلى الله عليه وسلم قد عافانى الله وما وراءه من عذاب الله أشد وفى رواية اما أنا فقد عافانى الله وكرهت ان أثير على الناس شرا (وعن ابن عباس) رضى الله عنهما ان يهود كانوا يستفتحون اى يستنصرون على الاوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه اى يقولون سيبعث نبى صفته كذا وكذا نقتلكم معه قتل عاد وارم فبعد ان ظهر الاسلام بالمدينة قال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء رضى الله عنهما يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم ونحن أهل كفر وشرك وتخبرون انه مبعوث وتصفونه لنا فقال سلام ابن مشكم وهو من عظماء يهود بنى النضير ما جاءنا بشئ نعرفه ما هو الذى كنا نذكره لكم فأنزل الله

فى ذلك ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين وكان مالك بن الصلت من احبار اليهود وكان يبغض النبى صلى الله عليه وسلم ويلبس على اليهود وأخذ منهم كثيرا من المال فحضر يوما عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم

أنشدك بالله الذى أنزل التوراة على موسى عليه الصلاة والسلام هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فأنت الحبر السمين قد سمنت من المال الذى تطعمك اليهود فغضب والتفت الى عمر رضى الله عنه وقال ما أنزل الله على بشر من شئ فكان هذا منه كفرا بنبينا صلى الله عليه وسلم وبموسى عليه السلام وبما أنزل عليه فقالت له اليهود ماهذا الذى بلغنا عنك فقال انه اغضبنى فقالت ذلك نزعوه من الرياسة وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف وأنزل الله وماقدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى وأنزل أيضا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به (ويروى) ان يهود المدينة من بنى قريظة والنضير وغيرهما كانوا اذا قاتلوا من يليهم من مشركى العرب أسد وغطفان وجهينة وغيرهم قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم يقولون اللهم انا نستنصرك بحق النبى الامى الذى وعدتنا أن تبعثه فى آخر الزمان الا نصرتنا عليهم وفى لفظ اللهم انصرنا بالنبى المبعوث فى آخر الزمان الذى نجد نعته وصفته فى التوراة فينصرون وفى لفظ يقولون اللهم ابعث النبى الذى نجد نعته فى التوراة يعذبهم ويقتلهم وفى لفظ ان يهود خيبر كانت تقاتل غطفان وكلما التقوا هزمت يهود فدعت يوما اللهم انا نسألك بحق النبى الذى وعدت ان تخرجه لنا فى آخر الزمان الا نصرتنا فنصرت فكانوا بعد ذلك اذا التقوا دعوا بهذا فيهزمون غطفان * وممن كان من أحبار اليهود حريصا على رد الناس عن الاسلام شاس بن قيس اليهودى بعضهم كان شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد لهم مر يوما على الانصار الاوس والخزرج وهم مجتمعون يتحدثون فغاظه مارأى من الفتهم بعدما كان بينهم من العداوة فقال قد اجتمع بنو قيلة والله مالنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فأمر فتى شابا من اليهود فقال

وائل فقال كيف تجد هذا يا محمد قال عبد سوء فأشار الى أخمصه وقال كفيته ثم مر الاسود ابن المطلب فقال كيف تجد هذا يا محمد قال عبد سوء فأومأ الى عينيه وقال كفيته ثم مر الاسود بن عبد يغوث فقال كيف تجد هذا يا محمد قال عبد سوء فأومأ الى رأسه وقال كفيته ثم مر الحرث بن عيطلة فقال كيف تجد هذا يا محمد قال عبد سوء فأومأ الى بطنه وقال كفيته وحينئذ يكون معنى كفايته هذا صلى الله عليه وسلم أنه لم يسع ولم يتكلف فى تحصيل ذلك والى هذا أشار الامام السبكى فى تائيته بقوله

وجبريل لما استهزأت فرقة الردى * أشار الى كل بأقبح ميتة والله أعلم

قال وروى الزهرى ان الاسود بن عبد يغوث خرج من عند أهله فأصابته السموم فاسود وجهه فأتى أهله فلم يعرفوه وأقفلوا دونه الباب وسلط عليه العطش فلا زال يشرب الماء حتى انشق بطنه وهذا يناسب ماسيأتى عن الهمزية ولا يناسب ان جبريل عليه السلام اشار الى رأسه وفى كلام البلاذرى عن عكرمة ان جبريل أخذ بعنق الاسود ابن عبد يغوث فحنى ظهره حتى احقوقف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خالى خالى اى لانه كان قدم ابن خاله فهو اما على حذف المضاف اولاجل مراعاة أبيه اى يراعى لاجل أبيه الذى هو خالى فقال جبريل يا محمد دعه وفى رواية قال له جبريل خل عنك ثم حناه حتى قتله وهذا لا يناسب كون جبريل أشار الى رأسه والمناسب لذلك ماذكره بعضهم انه امتخض رأسه قيحا ثم لم يزل يضرب برأسه أصل شجرة حتى مات وكذا الحرث ابن عيطلة اى وفى كلام القاضى وحارث بن قيس وفى تكملة الجلال السيوطى عدى بن قيس فتدأ كل حوتا مملحا فلم يزل يشرب عليه الماء حتى انقد بطنه وهذا المناسب لما ذكرهنا ان جبريل أشار الى بطنه لكن لا يناسب ماقاله القاضى البيضاوى انه اشار الى أنفه فامتخض قيحا وأما الاسود بن المطلب فقد عمى بصره فقد ذكر انه خرج ليستقبل ولده وقد قدم من الشام فلما كان ببعض الطريق جلس فى ظل شجرة فجعل جبريل يضرب وجهه وعينيه بورقة من ورقها حتى عمى فجعل يستغيث بغلامه فقال له غلامه لا أحد يصنع بك شيأ اى وقيل ضربه بغصن فيه شوك فسالت حدقتاه وصار يقول هاهو ذا طعن بالشوك فى عينى فيقال له مانرى شيأ أو قيل أتى شجرة فجعل ينطح رأسه بها حتى خرجت عيناه اى وفعل ذلك لا ينافى ماورد فأشار اى جبريل الى وجهه فعمى بصره فى الحال لجواز أن يراد بالحال الزمن القريب وفى رواية انه كان يقول دعا على محمد بالعمى فاستجيب له ودعوت عليه بأن يكون طريدا شريدا فاستجيب لى وسيأتى عن

بعضهم فى غزوة بدر أنه صلى الله عليه وسلم دعا على الاسود بن المطلب بالعمى وفقد أولاده فجعل له العمى وفقد اولاده يبدر وأما الوليد بن المغيرة فمر بشخص يعمل النبل فتعلق بثوبه سهم فلم ينقلب لينحيه تعاظما فعدا فأصاب السهم عرقا فى ساقه فقطعه فمات وأما العاص بن وائل فدخلت شوكة فى أخمصه فانتفخت رجله حتى صارت كالرحا ومات (والى الخمسة الذين ذكرنا انهم المرادون بقوله تعالى) انا كفيناك المستهزئين أشار صاحب الهمزية بقوله

وكفاه المستهزئين وكم ساء نبيا من قومه استهزاء

خمسة كلهم أصيبوا بداء والردى من جنوده الادواء

فدهى الاسود بن مطلب أى عمى ميت به الاحياء

ودهى الاسود بن عبد يغوث أن سقاه كأس الردى استسقاء

وأصاب الوليد خدشة سهم قصرت عنها الحية الرقطاء

وقضت شوكة على مهجة العا ص فلله النقعة الشوكاء

وعلى الحرث القيوح وقد سا ل بها رأسه وسال الوعاء

خمسة طهرت بقطعهم الار ض فكف الاذى بهم شلاء

أى وكفى الله رسوله صلى الله عليه وسلم المستهزئين به ومرات كثيرة أحزن نبينا صلى الله عليه وسلم كغيره من الانبياء استهزاء قومه به وهؤلاء المستهزؤن به صلى الله عليه وسلم خمسة كلهم أصيبوا بداء عظيم والهلاك من جملة جنوده الامراض فأهلك الاسود بن المطلب عمى عظيم الاحياء أموات بسببه وهو المناسب لكون جبريل أشار الى عينيه ودهى أيضا الاسود بن عبد يغوث استسقاء سقاه كأس الموت وهذا المناسب كون جبريل اشار الى رأسه وأصاب الوليد أثر سهم فى ساقه قصرت عنه الحية الرقطاء اى سمها وقضت شوكة على مهجة العاص دخلت فى رجله فلله هذه النقعة الخشنة اللمس وقضت على الحرث القيوح والحال انه قد سال رأسه وقد سال ذلك الوعاء اى تلك القيوح وهذا هو المناسب لكون جبريل اشار الى أنفه لا لقول بعضهم انه أشار الى بطنه خمسة طهرت بهلاكهم الارض فكف الاذى بهم شلاء فاقدة الحركة (وقد جاء عن ابن عباس) رضى الله تعالى عنهما أن هؤلاء الخمسة هلكوا فى ليلة واحدة نعلم ان هؤلاء هم المرادون بقوله تعالى انا كفيناك المستهزئين كما ذكرنا وان كان المستهزؤن غير منحصرين فيهم فلا ينافى عدمنه ونبيه ابى الحجاج منهم فقد قيل كان ممن يؤذى رسول الله صلى الله عليه

احد اليهم فاجلس معهم ثم اذكر يوم بعاث اى يوم الحرب الذى كان بينهم وما كان فيه وأنشدهم ما كانوا يتقاولون به من الاشعار ففعل فتكلم القوم عند ذلك اى قال أحد الحيين قد قال شاعرنا كذلك فرد عليه الآخرون وقالوا قد قال شاعرنا كذلك وتنازعوا وتواعدوا على المقاتلة اى قالوا تعالوا نرد الحرب جذعا كما كانت فنادى هؤلاء يا آل الاوس ونادى هؤلاء يا آل الخزرج ثم خرجوا للحرب وقد أخذوا السلاح واصطفوا للقتال فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن كان معه من المهاجرين فقال يا معشر المسلمين الله الله اتقوا الله أبدعوى الجاهلية اى أتقاتلون بدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله الى الاسلام وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر وألف به بينكم فعرف القوم انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فبكوا وعانق الرجال من الاوس الرجال من الخزرج ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله فى شاس بن قيس يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا الآية وأنزل الله فى الانصار يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون وصار اليهود يسألون النبى صلى الله عليه وسلم عن أشياء تعنتا وحسدا او بغيا ليلبسوا الحق بالباطل (فمن جملة ما سألوه) صلى الله عليه وسلم عنه

وسلم وكانا يلقيانه فيقولان له اما وجد الله من يبعثه غيرك ان ههنا من هو أسن منك وأيسر فان كنت صادقا فأتنا بملك ليشهد لك ويكون معك واذا ذكراهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قالا معلم مجنون يعلمه أهل الكتاب ما يأتى به ولا ينافى عد أبى جهل وغيره منهم كما تقدم (وفى سيرة ابن المحدث) قال عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الهمزة اعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه (ومن استهزاء أبى جهل أيضا) بالنبى صلى الله عليه وسلم انه قال يوما لقريش يامعشر قريش يزعم محمد ان جنود الله الذين يقذفونكم فى النار ويحبسونكم فيها تسعة عشر وانتم أكثر الناس عددا فيعجز كل مائة رجل منكم عن واحد منهم اى وفى رواية ان بعض قريش وكان شديدا اقوى البأس بلغ من شدته انه كان يقف على جلد البقرة ويجاذبه عشرة لينزعوه من تحت قدمه فيتمزق الجلد ولا يتزحزح عنه قال له أنا أكفيك سبعة عشر واكفونى انتم اثنين ويقال ان هذا دعا النبى صلى الله عليه وسلم الى المصارعة وقال له يامحمد ان صرعتنى آمنت بك فصرعه النبى صلى الله عليه وسلم مرارا فلم يؤمن اى وفى رواية ان أبا جهل قال أنا أكفيكم عشرة فاكفونى تسعة فأنزل الله تعالى وما جعلنا أصحاب النار الاملائكة اى لايطاقون كما تتوهمون وما جعلنا عدتهم الافتنة ضلالا للذين كفروا الآيات اى بأن يقولوا ماذكر أو يقولوا لم كانوا تسعة عشر وماذا أراد الله بهذا العدد اى وهذا العدد لحكمة استأثر الله تعالى بعلمها وقد أبدى بعض المفسرين لذلك حكما تراجع (وقد جاء فى وصف تلك الملائكة) ان أعينهم كالبرق الخاطف وانيابهم كالصياصى اى القرون ما بين منكبى أحدهم مسيرة سنة وفى رواية ما بين منكبى أحدهم كما بين المشرق والمغرب لاحدهم قوة مثل قوة الثقلين نزعت الرحمة منهم (وأخرج العتبى) فى عيون الاخبار عن طاوس أن الله خلق مالكا وخلق له أصابع على عدد أهل النار فما من أهل النار معذب الا ومالك يعذبه باصبع من أصابعه فوالله لو وضع مالك اصبعا من أصابعه على السماء لاذابها وهؤلاء التسعة عشر هم الرؤساء ولكل واحد اتباع لايعلم عدتهم الا الله تعالى قال تعالى ومايعلم جنود ربك الا هو اى وهؤلاء الاتباع منهم (وأخرج هناد عن كعب) قال يؤمر بالرجل الى النار فيبتدره مائة ألف ملك اى والمتبادر أن هؤلاء من خزنتها وفى كلام بعضهم لم يثبت للائكة النار عدد معين سوى ما فى قوله تعالى عليها تسعة عشر وانما ذلك لسقر التى هى احدى دركات النار لقوله تعالى قبل ذلك سأصليه سقر وقد يكون على كل واحدة منها مثل هذا العدد أو أكثر قيل وبسم الله الرحمن

الروح فعن ابن مسعود رضى الله عنه قال كنت أمشى مع النبى صلى الله عليه وسلم فى المدينة وهو يتوكأ على عسيب النخل اى جريدة من جريد النخل اذ مر بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض لاتسألوه لئلا يسمعكم ما تكرهون وفى رواية لئلا يستقبلكم بشيء تكرهونه اي يجيبكم بما هو دليل على انه النبى الامى وأنتم تكرهون نبوته صلى الله عليه وسلم فقاموا اليه فقالوا ياأبا القاسم ما الروح وفى رواية اخبرنا عن الروح فسكت قال ابن مسعود فظننت انه يوحى اليه فقال ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى فقالوا كذا نجد فى كتابنا التوراة وتقدم ان هذه الآية نزلت بمكة حين سأله كفار قريش عن أصحاب الكهف وذى القرنين والروح ولا مانع من تكرر نزولها حين سأله اليهود فلما سألوه سكت صلى الله عليه وسلم ينتظر هل يوحى اليه اجابتهم بشئ غير ما أجاب به كفار قريش بمكة او بالجواب الاول بعينه فأوحى الله اليه الآية بعينها فقرأها عليهم فقالوا كذا نجد فى كتابنا * وجاء يهوديان مرة الى النبى صلى الله عليه وسلم فسألاه عن قول الله تعالى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فقال لهما لاتشركوا بالله شيأ ولاتزنوا ولاتقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ولا تسرقوا ولاتسحروا ولاتمشوا ببرىء الى سلطان ولاتأكلوا الربا ولاتقذفوا المحصنة وعليكم يايهود خاصة لاتعتدوا فى السبت فقبلا يديه ورجليه صلى الله عليه وسلم وقالا نشهد أنك نبى قال ما يمنعكما ان تسلما فقالا نخاف ان أسلمنا تقتلنا اليهود وهذا التفسير للتسع آيات لاينافى أن بعضهم فسرها بالمعجزات التى أعطيها موسى عليه السلام وهى التسعة المفصلات التى هى العصا واليد البيضاء والسنون ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم لان تلك آيات تتعلق بالتكليف والتوحيد وأصوله

الرحمن الرحيم عدد حروفهما على عدد هؤلاء الزبانية التسعة عشر فمن قرأهما وهو مؤمن دفع الله تعالى عنه بكل حرف منها واحدا منهم (أقول) ومن استهزاء أبي جهل أيضا انه قال يوما لقريش وهو يهزأ برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من الحق يا معشر قريش يخوفنا محمد بشجرة الزقوم يزعم أنها شجرة في النار يقال انها شجرة الزقوم والنار تأكل الشجر انما الزقوم التمر والزبد وفي لفظ العجوة تترب بالزبد هاتوا تمرا وزبدا وتزقموا فأنزل الله تعالى انها شجرة تخرج في أصل الجحيم اي منبتها في أصل جهنم ولا تسلط لجهنم عليها أما علموا ان من قدر على خلق من يعيش في النار ويلتذ بها فهو أقدر على خلق الشجر في النار وحفظه من الاحراق بها وقد قال ابن سلام رضي الله تعالى عنه انها تحيا باللهب كما تحيا شجر الدنيا بالمطر وثمر تلك الشجرة مر له زفرة (وأخرج) الترمذي وصححه النسائي والبيهقي وابن حبان والحاكم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو أن قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا لافسدت على أهل الارض معايشهم فكيف بمن تكون طعامه اي وقال يا محمد لتتركن سب آلهتنا أو لنسبن الهك الذي تعبد فأنزل الله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم فكف عن سب آلهتهم وجعل يدعوهم الى الله عز وجل ثم رأيت في الدر المنثور في تفسير انا كفيناك المستهزئين قيل نزلت في جماعة مر النبي صلى الله عليه وسلم بهم فجعلوا يغمزون في قفاه ويقولون هذا الذي يزعم انه نبي ومعه جبريل فغمز جبريل عليه السلام باصبعه في اجسادهم فصارت جروحا وأنتنت فلم يستطع أحد يدنو منهم حتى ماتوا فلينظر الجمع على تقدير الصحة وقد يدعى انهم طائفة آخرون غير من ذكر لانهم المستهزؤن ذلك الوقت اي فقد تكرر نزول الآية والله أعلم قال ومن استهزاء النضر بن الحرث انه كان اذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا يحدث فيه قومه ويحذرهم ما أصاب من قبلهم من الامم من نقمة الله تعالى خلفه في مجلسه ويقول لقريش هلموا فاني والله يا معشر قريش احسن حديثا منه يعني النبي صلى الله عليه وسلم ثم يحدثهم عن ملوك فارس لانه كان يعلم أحاديثهم ويقول ما حديث محمد الا أساطير الاولين ويقال انه الذي قال سأنزل مثل ما أنزل الله انتهى اي لانه ذهب الى الحيرة واشترى منها أحاديث الاعاجم ثم قدم بها مكة فكان يحدث بها ويقول هذه كاحاديث محمد عن عاد وثمود وغيرهم ويقال ان ذلك كان سبب النزول قوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث قال في الينبوع والمشهور انها نزلت في شراء المغنيات وقال ولا بعد في ان

وترجع الى أمر الدين وهذه آيات تدل على صدق موسى عليه السلام ولا مانع من ان يراد الآيات الحسية والمعنوية الظاهرية والباطنية والله أعلم * وقيل في سبب نزول قول الله تعالى شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام ان حبرين من أرض الشام لما جاءه صلى الله عليه وسلم فقدما المدينة فقال أحدهما للآخر ما أشبه هذه بمدينة النبي الخارج في آخر الزمان فأخبرا بهجرة النبي صلى الله عليه وسلم ووجوده في تلك المدينة فجاآ اليه فلما رأياه صلى الله عليه وسلم قالا له أنت محمد قال نعم قالا نسألك مسئلة ان أخبرتنا بها آمنا فقال اسألاني فقالا أخبرنا عن أعظم الشهادة في كتاب الله تعالى فأنزل الله تعالى شهد الله الآية فتلاها صلى الله عليه وسلم عليهما فآمنا وعن قتادة رضي الله عنه ان رهطا من اليهود جاؤا الى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا أخبرنا عن ربك من أي شئ خلق فغضب صلى الله عليه وسلم حتى انتقع لونه فجاء جبريل وقال له خفض عليك وأنزل الله تعالى قل هو الله أحد الى آخر السورة اي هو متوحد في صفات الجلال والكمال منزه عن الجسمية واجب الوجود لذاته اي اقتضت ذاته وجوده مستغن عن غيره وكل ما عداه محتاج اليه وقيل ان وفد نجران لما نطقوا بالتثليث تحاوروا مع المسلمين فقالوا لهم هل كان المسيح يأكل الطعام قالوا لا يأكل الطعام فأنزل الله سورة الاخلاص ابطالا لالوهية عيسى عليه السلام لان الصمد هو الذي لا جوف له فهو غير محتاج الى الطعام وذكر السيوطي في الاتقان أن سورة الاخلاص تكرر نزولها فنزلت جوابا للمشركين بمكة حين قالوا صف لنا ربك وجوابا لعبد الله بن سلام حين قال انسب ربك يا محمد كما سيأتي في خبر اسلامه وجوابا لاهل الكتاب بالمدينة فقد ينزل الشئ

تكون الآية نزلت فيهما ليتحقق العطف فى قوله تعالى واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا اى فان هذا الوصف الثانى انما يناسب النضر فليتأمل وما تلا عليهم صلى الله عليه وسلم نبأ الاولين قال النضر بن الحرث لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا أساطير الاولين فأنزل الله تعالى تكذيباله قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا اى معينا له وجاء ان جماعة من بنى مخزوم منهم أبو جهل والوليد بن المغيرة تواصوا على قتله صلى الله عليه وسلم فبينما النبى صلى الله عليه وسلم قائما يصلى سمعوا قراءته فأرسلوا الوليد ليقتله فانطلق حتى أتى المكان الذى يصلى فيه فجعل يسمع قراءته ولا يراه فانصرف اليهم وأعلمهم بذلك فأتوه فلما سمعوا قراءته قصدوا الصوت فاذا الصوت من خلفهم فذهبوا اليه فسمعوه من أمامهم ولا زالوا كذلك حتى انصرفوا خائبين فأنزل الله تعالى قوله وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون وتقدم فى سبب نزولها غير ذلك ويمكن أن يدعى انها نزلت لوجود الامرين فليتأمل وجاء ان النضر بن الحرث رأى النبى صلى الله عليه وسلم منفردا أسفل ثنية الحجون فقال لا أجده أبدا أخلى منه الساعة فاغتاله فدنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليغتاله فرأى أساود تضرب بأذنابها على رأسه فاتحة أفواهها فرجع على عقبه مرعوبا فلقى أبا جهل فقال من أين فأخبره النضر الخبر فقال أبو جهل هذا بعض سحره وهما اتفقتا به انه لما نزل قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم اى وقودها وحصب بالزنجية حطب اى حطب جهنم وقد قرأتها عائشة رضى الله تعالى عنها كذلك أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون شق على كفار قريش وقالوا لعبد الله بن الزبعرى قد زعم محمد انا وما نعبد من آلهتنا حصب جهنم فقال ابن الزبعرى انا أخصم لكم محمدا ادعوه لى فدعوه له فقال يا محمد هذا شئ لآلهتنا خاصة أم لكل من عبد من دون الله فقال بل لكل من عبد من دون الله فقال ابن الزبعرى أخصمت ورب هذه البنية يعنى الكعبة ألست تزعم يا محمد ان عيسى عبد من دون الله وكذا عزير والملائكة عبدت النصارى عيسى واليهود عزيرا وبنو مليح الملائكة فضج الكفار وفرحوا فأنزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون يعنى عيسى وعزيرا والملائكة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

من تبين تعظيم الشأنه وتذكيرا له عند حدوث سببه خوف نسيانه وكان من أعلم أحبار اليهود عبد الله بن سلام بالتخفيف وكان قبل أن يسلم اسمه الحصين فلما أسلم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله وكان من ولد يوسف الصديق وقد أثنى الله تعالى عليه فى قوله تعالى وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم وكان من يهود بنى قينقاع جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع كلامه فى أول يوم دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم دار أبى ايوب والذى سمعه قوله صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس أفشوا السلام وصلوا الارحام وأطعموا الطعام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام فعنه رضى الله عنه قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل اليه الناس بالجيم اى اسرعوا فكنت ممن أتى اليه قال فلما رأيت وجهه عرفت انه وجه غير كذاب اى لان صورته صلى الله عليه وسلم وهيئته وسمته تدل العقلاء على صدقه وانه لا يقول الكذب قال عبد الله فسمعته يقول يا أيها الناس أفشوا السلام الخ وعند ذلك قلت أشهد أنك رسول الله حقا وأنك جئت بحق ثم رجعت الى أهل بيتى فأسلموا وكتمت اسلامى من اليهود ثم جئته صلى الله عليه وسلم فى بيت أبى أيوب وقلت له لقد علمت اليهود انى سيدهم وابن سيدهم وأعلمهم وابن أعلمهم فاخبئنى يا رسول الله قبل أن يدخلوا عليك فادعهم فاسألهم عنى قبل ان يعلموا انى أسلمت فانهم قوم بهت بضم الباء والهاء يواجهون الانسان بالباطل وهم أعظم قوم عضيهة اى كذبا وانهم ان يعلموا انى أسلمت قالوا فى ما ليس فى وخذ عليهم ميثاقا انى ان اتبعتك وآمنت بك أن يؤمنوا بك وبكتابك الذى أنزل عليك فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فدخلوا عليه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر يهود ويلكم

*(باب

(باب الهجرة الاولى الى أرض الحبشة وسبب رجوع من هاجر اليها من المسلمين الى مكة واسلام عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه)

لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل بالمسلمين من توالى الاذى عليهم من كفار قريش مع عدم قدرته على انقاذهم مما هم فيه قال لهم تفرقوا فى الارض فان الله تعالى سيجمعكم قالوا الى أين نذهب قال ههنا وأشار بيده الى جهة ارض الحبشة قال وفى رواية قال لهم اخرجوا الى جهة أرض الحبشة فان بها ملكا لا يظلم عنده احد اى وهى أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه انتهى اى ويجوز أن يكون قال ذلك عند استفساره صلى الله عليه وسلم عن محل اشارته فقد جاء فى الحديث من فر بدينه من ارض الى أرض وان كان شبرا من الارض استوجب له الجنة وكان رفيق أبيه ابراهيم خليل الله ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم فهاجر اليها ناس ذوو عدد مخافة الفتنة وفرارا الى الله تعالى بدينهم منهم من هاجر بأهله ومنهم من هاجر بنفسه فممن هاجر بأهله عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه هاجر ومعه زوجته رقية بنت النبى صلى الله عليه وسلم وكان أول خارج وقيل أول من هاجر الى الحبشة حاطب بن أبى عمرو وقيل سليط بن عمرو ولا ينافيهما قوله صلى الله عليه وسلم ان عثمان لأول من هاجر بأهله بعد لوط ه اى حيث قال انى مهاجر الى ربى فهاجر الى عمه ابراهيم الخليل ثم هاجرا عليهما الصلاة والسلام حتى أتيا حران ثم هاجرا الى ان نزل ابراهيم عليه الصلاة والسلام فلسطين ونزل لوط عليه الصلاة والسلام المؤتفكة ووجه عدم المنافاة ان كلا من حاطب وسليط يجوز أن يكون هاجر بغير أهله وكان مع رقية أم أيمن حاضنته صلى الله عليه وسلم وكانت رقية رضى الله تعالى عنها ذات جمال بارع وكذا عثمان رضى الله تعالى عنه ومن ثم كان النساء يغنينهما بقولهن

أحسن شئ قد يرى انسان * رقية وبعلها عثمان

ومن ثم ذكر أنه صلى الله عليه وسلم بعث رجلا الى عثمان ورقية رضى الله تعالى عنهما فاحتبس عليه الرسول فلما جاء اليه فقال له صلى الله عليه وسلم ان شئت أخبرتك ما حبسك قال نعم قال وقفت تنظر الى عثمان ورقية تعجب من حسنهما اى ومعلوم ان ذلك كان قبل آية الحجاب ويذكر أن نفرا من الحبشة كانوا ينظرون اليها فتأذت من ذلك فدعت عليهم فقتلوا جميعا وقد جاء فى وصف حسن عثمان رضى الله تعالى عنه قوله صلى الله

اتقوا الله فوالله الذى لا اله الا هو انكم لتعلمون انى رسول الله حقا وانى جئتكم بحق أسلموا قالوا ما نعلم فأعاد ذلك عليهم ثلاثا وهم يجيبونه كذلك قال فأى رجل فيكم ابن سلام قالوا ذاك سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا وفى رواية خيرنا وابن خيرنا قال أفرأيتم ان شهد انى رسول الله وآمن بالكتاب الذى أنزل على أن تؤمنوا قالوا نعم فدعاه فقال يا ابن سلام اخرج عليهم فخرج عليهم فقال يا عبد الله بن سلام أما تعلم انى رسول الله تجدونى عندكم مكتوبا فى التوراة والانجيل أخذ الله ميثاقكم أن يؤمن بى ويتبعنى من أدركنى منكم قال ابن سلام بلى يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله فوالله الذى لا اله الا هو انكم لتعلمون انه رسول الله حقا وانه جاء بالحق زاد فى رواية انكم لتعلمون انه رسول الله تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة اسمه وصفته فقالوا كذبت أنت أشرنا وابن أشرنا وهذه لغة رديئة جاءت الرواية بها والفصحى شرنا وابن شرنا قال ابن سلام هذا الذى كنت أخاف يا رسول الله ألم أخبرك انهم قوم بهت أهل غدر وكذب فأخرجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأظهرت اسلامى وأنزل الله تعالى قوله قل أرأيتم ان كان من عند الله يعنى الكتاب والرسول ثم كفرتم به وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله لا يهدى القوم الظالمين وأنزل الله فيه آيات كثيرة بعد ذلك منها قوله تعالى من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل الآية وقوله تعالى كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب وقوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين أولئك يؤتون أجرهم مرتين الآية وقوله تعالى أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى اسرائيل وغير ذلك من الآيات (وفى الخصائص الكبرى)

الجلال السيوطي عن تاريخ الشام لابن عساكر أن ابن سلام اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم بمكة قبل أن يهاجر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أنت ابن سلام عالم أهل يثرب قال نعم قال نشدتك بالذي أنزل التوراة على موسى هل في كتاب الله يعني التوراة صفتي قال انسب ربك يا محمد فتوقف صلى الله عليه وسلم فقال له جبريل عليه السلام قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فقال ابن سلام أشهد انك رسول الله وأن الله مظهرك ومظهر دينك على الاديان واني لاجد صفتك في كتاب الله تعالى يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا أنت عبدي ورسولي الى آخر ما تقدم عن التوراة وهذا يدل على أن ابن سلام أسلم بمكة وكتم اسلامه ولكن قد يقال كيف قال فلما رأيت وجهه عرفت انه غير وجه كذاب وكيف قال عرفت صفته واسمه وكيف أسلم ثانيا وأجيب بأنه فعل ذلك ثانيا بالمدينة اقامة للحجة على اليهود وقد وقع لميمون ابن يامين وكان رأس اليهود مثل ما وقع لابن سلام فانه جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ابعث اليهم يعني اليهود واجعلني حكما فانهم يرجعون الي فأدخله وخبأه وأرسل اليهم فجاؤه فقال لهم اختاروا رجلا يكون حكما بيني وبينكم قالوا قد رضينا ميمون ابن يامين فقال اخرج اليهم فخرج وقال أشهد انه رسول الله فأبوا أن يصدقوه وقد أشار الى انكارهم نبوته صلى الله عليه وسلم مع معرفتهم لها صاحب الهمزية بقوله

عرفوه وأنكروه وظلما * كتمته الشهادة الشهداء
أو نورا الاله تطفئه الافواه وهو الذي به يستضاء
كيف يهدي الاله منهم قلوبا * حشوها من حبيبه البغضاء

وقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى

عليه وسلم قال لي جبريل ان أردت أن تنظر من أهل الارض شبيه يوسف الصديق فانظر الى عثمان بن عفان وسيأتي ذلك مع زيادة وأبو سلمة هاجر ومعه زوجته أم سلمة اي وقيل هو أول من هاجر بأهله وهو مخالف للرواية السابقة ان عثمان أول من هاجر بأهله ويمكن أن تكون الاولية فيه اضافية فلا ينافي ما سبق عن عثمان وعامر بن ربيعة هاجر ومعه امرأته ليلى اي وعنها رضي الله تعالى عنها كان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه من أشد الناس علينا في اسلامنا فلما ركبت بعيري أريد ان اتوجه الى أرض الحبشة اذا أنا بعمر بن الخطاب فقال لي الى أين يا أم عبد الله فقلت قد آذيتمونا في ديننا فنذهب في أرض الله حيث لا نؤذى فقال صحبكم الله ثم ذهب فجاء زوجي عامر فأخبرته بما رأيت من رقة عمر فقال ترجين أن يسلم عمر والله لا يسلم حتى يسلم حمار الخطاب اي استبعادا لما كان يرى من قسوته وشدته على أهل الاسلام وهذا دليل على أن اسلام عمر كان بعد الهجرة الاولى للحبشة وهو كذلك اي خلافا لمن قال انه كان تمام الاربعين من المسلمين اي ممن أسلم وفيه ان المهاجرين الى ارض الحبشة كانوا فوق ثمانين كما قاله بعضهم اللهم الا ان يقال انه كان تمام الاربعين بعد خروج المهاجرين الى أرض الحبشة ويؤيد ذلك قول عائشة رضي الله تعالى عنها في قصة الصديق وفي ضرب قريش له رضي الله تعالى عنه لما قام خطيبا في المسجد الحرام وقد تقدمت حيث قالت وكان المسلمون تسعة وثلاثين رجلا لكن في الرواية انهم قاموا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدار شهرا وهم تسعة وثلاثون رجلا وقد كان حمزة بن عبد المطلب أسلم يوم ضرب أبو بكر فليتأمل وفي لفظ عن أم عبد الله زوج عامر قالت انا نرحل الى أرض الحبشة وقد ذهب عامر تعني زوجها الى بعض حاجته اذ أقبل عمر بن الخطاب حتى وقف علي وكنا نلقى منه الاذى والبلاء والشدة علينا فقال انه الخروج يا أم عبد الله فقلت والله لنخرجن الى أرض فقد آذيتمونا وقهرتمونا حتى يجعل الله لنا مخرجا وفرجا فقال صحبكم الله ورأيت له رقة لم أكن أراها ثم انصرف وقد رأيت فيه حزنا لخروجنا وقالت لعامر يا أبا عبد الله لو رأيت ما وقع من عمر وذكرت ما تقدم وممن هاجر أبو سبرة وهو أخو أبي سلمة رضي الله تعالى عنهما لامه امهما برة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجر ومعه امرأته أم كلثوم وممن هاجر بنفسه عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن مظعون رضي الله تعالى عنهما اي وكان أميرا عليهم كما قيل وجزم به ابن المحدث في سيرته وقال الزهري لم يكن لهم أمير وسهيل بن البيضاء اي والزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنهم وقيل انما كان

عبد

يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم واوفوا بعهدى أوف بعهدكم قال الله تعالى للاحبار من اليهود أوفوا بعهدى الذى اخذته فى اعناقكم للنبى صلى الله عليه وسلم بأن تصدقوه وتتبعوه أوف بعهدكم أنجز لكم ماوعدتكم عليه بوضع ما كان عليكم من الاصر والاغلال ولاتكونوا أول كافر به وعندكم فيه من العلم ماليس عند غيركم وتكتموا الحق وأنتم تعلمون اى لاتكتموا ماعندكم من المعرفة برسولى وبماجاء به وأنتم تجدونه فيما تعلمون من الكتب التى بأيديكم (وقد روى) فى سبب اظهار اسلام عبد الله بن سلام رضى الله عنه زيادة على ماتقدم انه رضى الله عنه قال جاء رجل فأخبر بقدومه صلى الله عليه وسلم وأنا فى رأس نخلة أعمل فيها وعمتى من تحتى جالسة فلما سمعت بقدومه صلى الله عليه وسلم كبرت فقالت لى عمتى لو كنت سمعت بموسى بن عمران مازدت على هذا فقلت لها أى عمتى هو والله هو أخو موسى بن عمران وعلى دينه بعث بما بعث به قالت يا ابن أخى أهو النبى الذى كنا نخبر أنه يبعث مع الساعة فقلت لها نعم قال ابن سلام وكنت عرفت صفته واسمه فكنت مسرا لذلك ساكتا عليه حتى قدم المدينة فجئته فقلت له انى سائلك عن ثلاث لايعلمهن الانبى ماأول الساعة وما أول طعام يأكله أهل الجنة ومابال الولد ينزع الى أبيه أو الى أمه فقال النبى صلى الله عليه وسلم أخبرنى بهن جبريل آنفا فقال ابن سلام ذاك يعنى جبريل عدو اليهود من الملائكة لانه ينزل بالخسف والهلاك وقيل لانه يطلع النبى صلى الله عليه وسلم على سرهم ثم قال صلى الله عليه وسلم أما أول الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب واما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت اى وهى القطعة المعلقة بالكبد وهى فى الطعم فى غاية اللذة وأما الولد فاذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد اليه واذا

عبد الله بن مسعود فى الهجرة الثانية فخرجوا سرا اى متسللين منهم الراكب ومنهم الماشى حتى انتهوا الى البحر فوفق الله تعالى لهم سفينتين للتجار حملوهم فيهما بنصف دينار أى وفى المواهب وخرجوا مشاة الى البحر فاستأجروا سفينة بنصف دينار هذا كلامه فليتأمل ❊ وكان مخرجهم فى رجب من السنة الخامسة من النبوة فخرجت قريش فى آثارهم حتى جاؤا الى البحر فلم يجدوا أحدا منهم ولعل خروجهم سرا لاينافيه ماتقدم عن ليلى امرأة عامر بن ربيعة من سؤال عمر لها واخبارها له بأنها تريد أرض الحبشة فلما وصلوا الى أرض الحبشة نزلوا بخير دار عند خير جار فمكثوا فى أرض الحبشة بقية رجب وشعبان الى رمضان فلما كان شهر رمضان قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على المشركين سورة والنجم اذا هوى اى وقد أنزلت عليه فى ذلك الوقت ففى كلام بعضهم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما مع المشركين وأنزل الله تعالى عليه سورة والنجم اذا هوى فقرأها عليهم حتى اذا بلغ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى وسوس اليه الشيطان بكلمتين فتكلم بهما ظانا انهما من جملة ماأوحى اليه وهما تلك الغرانيق العلى اى الاصنام وان شفاعتهن لترتجى وفى لفظ اهى التى ترتجى شبهت الاصنام بالغرانيق التى هى طير الماء جمع غرنوق بكسر الغين المعجمة واسكان الراء ثم نون مفتوحة أو غرنوق بضم الغين والنون أيضا أو غرنيق بضم الغين وفتح النون وهو طير طويل العنق وهو الكركى أو يشبهه ووجه الشبه بين الاصنام وتلك الطيور ان تلك الطيور تعلو وترتفع فى السماء فالاصنام شبهت بها فى علو القدر وارتفاعه ثم مضى يقرأ السورة حتى بلغ السجدة فسجد وسجد القوم جميعا اى المسلمون والمشركون (أقول) قال بعضهم ولم يكن المسلمون سمعوا الذى ألقى الشيطان وانما سمع ذلك المشركون فسجدوا لتعظيم آلهتهم ومن ثم عجب المسلمون من سجود المشركين معهم من غير ايمان ❊ قال بعضهم والنجم هى أول سورة نزل فيها سجدة أى أول سورة نزلت جملة كاملة فيها سجدة فلا ينافى ان اقرأ باسم ربك سورة نزلت فيها سجدة لان النازل منها اوائلها كما علمت ❊ وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم قرأ يوما اقرأ باسم ربك فسجد فى آخرها وسجد معه المؤمنون فقام المشركون على رؤسهم يصفقون وقد روى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه انه صلى الله عليه وسلم سجد فى النجم اى غير سجدته المتقدمة التى سجد معه المشركون ومجموع ذلك يرد حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه صلى الله عليه وسلم لم يسجد فى شئ من المفصل قبل ان يتحول الى المدينة لان سورة النجم من المفصل لان عند أئمتنا ان أول

تسبق ماء المرأة ماء الرجل ينزع الولد اليه اوقد سأل علماء اليهود النبي صلى الله عليه وسلم عن أشياء كثيرة فاجابهم عنها منها انهم سألوه مرة فقالوا اخبرنا عن علامة النبي فقال تنام عيناه ولا ينام قلبه وسألوه أي طعام حرمه اسرائيل على نفسه قبل أن تنزل التوراة قال أنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون ان اسرائيل وهو يعقوب عليه السلام مرض مرضا شديدا وطال سقمه فنذر لئن شفاه الله تعالى من سقمه ليحرمن أحب الشراب اليه وأحب الطعام اليه فكان احب الطعام اليه لحمان الابل وأحب الشراب اليه ألبانها قالوا اللهم نعم أي حرمها ردعا للنفسه ومنعا لها من شهواتها وقيل لانه كان به عرق النسا وكان اذا طعم ذلك هاج به وذكران سبب نزول قوله تعالى كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه قول اليهود له صلى الله عليه وسلم كيف تقول انك على ملة ابراهيم وأنت تأكل لحوم الابل وتشرب ألبانها وكان ذلك محرما على نوح وابراهيم حتى انتهى الينا فنحن اولى بابراهيم منك ومن غيرك فأنزل الله تعالى الآية تكذيبا لهم بأن هذا انما حرمه يعقوب على نفسه وهو متأخر عن ابراهيم ونوح فكيف يكون محرما عليهما ومن ثم جاء قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال لرجل من علماء اليهود أتشهد أني رسول الله قال لا قال أتقرأ التوراة قال نعم قال والانجيل قال نعم فناشده هل تجدني في التوراة والانجيل قال نجد مثلك ومثل مخرجك ومثل هيئتك فلما خرجت خفنا أن تكون أنت هو فنظرنا فاذا أنت لست هو قال ولم قال ذلك معه من أمته سبعون ألفا ليس عليهم حساب ولا عذاب وانما معك نفر يسير قال والذي نفسي بيده لأنا هو وانهم لأكثر من سبعين ألفا وسبعين ألفا وسألته اليهود أيضا عن الرعد والبرق

المفصل الحجرات على الراجح من أقوال عشرة لا يقال لعل ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ممن يرى ان النجم ليس من المفصل لانا نقول اقرأ باسم ربك من المفصل اتفاقا وعلى ما قال أئمتنا يكون في المفصل ثلاث سجدات في النجم والانشقاق واقرأ باسم ربك وهي اي النجم أول سورة أعلنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة * وذكر الحافظ الدمياطي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رأى من قومه كفا عنه اي تركا وعدم تعرض له فجلس خاليا فتمنى فقال ليته لم ينزل على شيء ينفرهم عني وفي رواية تمنى أن ينزل عليه ما يقارب بينه وبينهم حرصا على اسلامهم وقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه ودنا منهم ودنوا منه فجلس يوما مجلسا في نادمن تلك الاندية حول الكعبة فقرأ عليهم والنجم اذا هوى الى آخر ما تقدم والله أعلم ومن جملة من كان مع المشركين حينئذ الوليد بن المغيرة لكنه رفع ترابا الى جبهته فسجد عليه لانه كان شيخا كبيرا لا يقدر على السجود وقيل الذي فعل ذلك سعيد بن العاص ويقال كلاهما فعل ذلك وقيل الفاعل لذلك أمية بن خلف وصحح وقيل عتبة بن ربيعة وقيل أبو لهب وقيل المطلب وقد يقال لا مانع أن يكونوا فعلوا ذلك جميعا بعضهم فعل ذلك تكبرا وبعضهم فعل ذلك عجزا ومن فعل ذلك تكبرا أبو لهب فقد جاء وفيما سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد معه المؤمنون والمشركون والجن والانس غير أبي لهب فانه رفع حفنة من تراب الى جبهته وقال يكفي هذا ولا يخالف ذلك ما نقل عن ابن مسعود ولقد رأيت الرجل اي الفاعل لذلك قتل كافرا لانه يجوز أن يكون المراد بقتل مات فعند ذلك قال المشركون له صلى الله عليه وسلم قد عرفنا ان الله تعالى يحيي ويميت ويخلق ويرزق ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده فأما اذا جعلت لنا نصيبا فنحن معك فكبر ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلس في البيت وفيه أنه كيف يكبر عليه صلى الله عليه وسلم ذلك مع انه موافق لما تمناه من أن الله ينزل عليه ما يقارب بينه وبين المشركين حرصا على اسلامهم المتقدم ذلك عن سيرة الدمياطي الا أن يقال هذا كان بعد ما عرض السورة على جبريل وقال له ما جئتك بهاتين الكلمتين المذكور ذلك في قولنا فلما أمسى صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل فعرض عليه السورة وذكر الكلمتين فيها فقال له جبريل ما جئتك بهاتين الكلمتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت على الله ما لم يقل اي فكبر عليه ذلك فأوحى الله تعالى اليه ما في سورة الاسراء وان كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا اليك لتفتري علينا غيره اي وافقتك لهم على مدح آلهتهم بما لم نرسل به اليك واذا لو فعلت اي دمت عليه لاتخذوك خليلا الى قوله ثم لا تجد لك علينا نصيرا أي مانعا يمنع العذاب

فقال الرعد صوت ملك موكل بالسحاب والبرق سوط من نار في يده يزجر به السحاب الى حيث أمره الله تعالى وقيل في سبب
نزول قوله تعالى ما ننسخ من آية أو ننسها الآية أن اليهود أنكروا النسخ فقالوا الاترون الى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه
ويقول اليوم قولا ويرجع عنه فنزلت وقالوا امره اغاظة له صلى الله عليه وسلم مايرى لهذا الرجل همة

العذاب عنك وهذا يدل لما تقدم أنه تكلم بذلك ظانا انه من جملة ما أوحى اليه وقيل نزل ذلك لما قال له اليهود حسدا له صلى الله عليه وسلم على اقامته بالمدينة لئن كنت نبيا فالحق بالشام لانها أرض الانبياء حتى نؤمن بك فوقع ذلك في قلبه فخرج برحله فنزلت فرجع اى بدليل ما بعدها وقيل ان التي بعدها نزلت في أهل مكة وقيل ان آية وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك نزلت في ثقيف قالوا لاندخل في أمرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لانعشر ولانحشر ولانحني في صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا كما حرمت مكة فان قالت العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله أمرني وقيل نزلت في قريش قالوا لانمكنك من استلام الحجر حتى تلم بآلهتنا وتمسها بيدك وقد يدعى أن هذا مما تعدد أسباب نزوله والقاضي البيضاوي اقتصر على ماعدا الاول والله أعلم قال وقيل ان هاتين الكلمتين لم يتكلم بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما ارتصد الشيطان سكتة عند قوله الاخرى فقالهما محاكيا نغمته صلى الله عليه وسلم فظنهما النبي صلى الله عليه وسلم كما في شرح المواقف ومن سمعه انهما من قوله صلى الله عليه وسلم اى حتى قال قلت على الله مالم يقل وتباشر بذلك المشركون وقالوا ان محمدا قد رجع الى ديننا اى دين قومه حتى ذكر ان آلهتنا لتشفع لنا وعند ذلك أنزل الله تعالى قوله وما أرسلنا من قبلك من رسول ولانبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته اى قراءته ماليس من القرآن اى مما يرضاه المرسل اليهم وفي البخاري اذا حدث ألقى الشيطان في حديثه فينسخ الله ما يلقي الشيطان يبطله ثم يحكم الله آياته اى يثبتها والله عليم بالقاء الشيطان ماذكر حكيم في تمكينه منه من ذلك يفعل مايشاء ليميز به الثابت على الايمان من المتزلزل فيه ولم أقف على بيان أحد من الانبياء والمرسلين وقع له مثل ذلك وفيه كيف يجترئ الشيطان على التكلم بشيء من الوحي ومن ثم قيل هذه القصة طعن في صحتها جمع وقالوا انها باطلة وضعها الزنادقة اى ومن ثم اسقطها القاضي البيضاوي ومن جملة المنكرين لها القاضي عياض فقد قال هذا الحديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل وانما أولع به المفسرون المؤرخون المولعون بكل غريب اى وقال البيهقي رواة هذه القصة كلهم مطعون فيهم وقال الامام النووي نقلا عنه واما ما يرويه الاخباريون والمفسرون ان سبب سجود المشركين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جرى على لسانه من الثناء على آلهتهم فباطل لايصح منه شيء لامن جهة النقل ولا من جهة العقل لان مدح اله غير الله كفر ولايصح نسبة ذلك الى

الا في النساء والنكاح فلو كان نبيا كما زعم اشغله أمر النبوة عن النساء فأنزل الله تعالى ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية فقد جاء ان سليمان عليه السلام كان له مائة امرأة وتسعمائة سرية وسألوه عن رجل زنى بامرأة بعد احصانه اى لان شريفا في خيبر زنى بشريفة وهما محصنان فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم الى بني قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم اى قالوا لهم ان هذا الرجل الذي بيثرب ليس في كتابه الرجم ولكنه التغريب فاسألوه فسألوه صلى الله عليه وسلم فأجاب بالرجم فلم يقبلوا ذلك فقال اجمع من علمائهم أنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى اما تجدون في التوراة على من زنى بعد احصان الرجم فأنكروا ذلك فقال عبد الله بن سلام كذبتم فان فيها آية الرجم فأتوا بالتوراة فاتلوها فأحضروا التوراة فوضع واحد منهم يده على تلك الآية فقال له ابن سلام ارفع يدك عنها فرفعها فاذا فيها آية الرجم
وجاء في بعض الروايات أن احبار اليهود وهم كعب بن الاشرف وسعيد بن عمرو ومالك بن الصلت اجتمعوا في بيت مدراسهم حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد زنى رجل من اليهود بعد احصانه بامرأة محصنة من اليهود وقالوا ان أفتانا بالجلد أخذنا به واحتججنا به عند الله وقلنا افتيا نبي من أنبيائك وان أفتانا بالرجم خالفناه لانا خالفنا التوراة فلا علينا من مخالفته

وفي رواية الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما ان اليهود جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له ان رجلا منهم وامرأة زنيا بعد احصان فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تجدون في التوراة قالوا نفضحهما بالسواد بأن نسود وجوههما ثم يحملان على حمارين وجوههما

من قبل ادبار الحمارين ويطاف بهما ويجلدان بحبل من ليف يطلى بقار فقال عبد الله بن سلام كذبتم ان فيها آية الرجم فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها فقال له عبد الله بن سلام ارفع يدك فرفع يده فاذا فيها آية الرجم فقالوا صدقت يا محمد فيها آية الرجم وفي رواية لما جاؤا اليه صلى الله عليه وسلم وقالوا يا أبا القاسم ما ترى في رجل وامرأة زنيا بعد الاحصان فقال لهم ما تجدون في التوراة فقالوا دعنا من التوراة فقل ما عندك فأفتاهم بالرجم فأنكروه فلم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى بيت مدراسهم فقام على الباب فقال يا معشر يهود أخرجوا الى أعلمكم فأخرجوا له عبد الله بن صوريا وأبا ياسر بن أخطب ووهب بن يهودا فقالوا هؤلاء علماؤنا فقال أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى ما تجدون في التوراة على من زنى بعد احصان فقالوا يجبهم اى يسوّد وجهه ويجتنب فقال عبد الله ابن سلام كذبتم فان فيها آية الرجم وفي رواية لما سألهم أجابوه الا شابا منهم فانه سكت فألح عليه صلى الله عليه وسلم في النشدة فقال اللهم اذ نشدتنا فانا نجد في التوراة الرجم ولكن رأينا انه ان زنى الشريف ينافي لا يرجم ولو رجمنا الوضيع دون الشريف كان من الحيف فاتفقنا على ما نقيمه على الشريف والوضيع وهو ما علمت يعني التعزير السابق فعند ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أحكم بما في التوراة وهذا الشاب هو عبد الله بن صوريا ويروى

رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ان يقولها الشيطان على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يصح تسلط الشيطان على ذلك اى والا يلزم عدم الوثوق بالوحي * وقال الفخر الرازي هذه القصة باطلة موضوعة لا يجوز القول بها قال الله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى اى والشيطان لا يجترئ ان ينطق بشيء من الوحي وقال بصحتها جمع منهم خاتمة الحفاظ الشهاب بن حجر وقال رد عياض لا فائدة فيه ولا يعول عليه هذا كلامه وفشا أمر تلك السجدة في الناس حتى بلغ أرض الحبشة ان أهل مكة اى عظماءهم قد سجدوا وأسلموا حتى الوليد بن المغيرة وسعيد بن العاص وفي كلام بعضهم والناقل لاسلامه انه لما رأى المشركين قد سجدوا متابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعتقد انهم أسلموا واصطلحوا معه ولم يبق نزاع معهم فطار الخبر بذلك وانتشر حتى بلغ مهاجرة الحبشة فظنوا صحة ذلك فقال المهاجرون بها من بقي بمكة اذا أسلم هؤلاء عشائرنا أحب الينا فخرجوا اى خرج جماعة منهم من أرض الحبشة راجعين الى مكة اى وكانوا ثلاثة وثلاثين رجلا منهم عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعثمان بن مظعون وذلك في شوال حتى اذا كانوا دون مكة ساعة من نهار لقوا ركبا فسألوهم عن قريش فقال الركب ذكر محمد آلهتهم بخير فتابعه الملأ ثم عاد لشتم آلهتهم وعادوا له بالشر وتركناهم على ذلك فائتمر القوم في الرجوع الى أرض الحبشة ثم قالوا قد بلغنا مكة فندخل ننظر ما فيه قريش ويحدث عهدا من أراد باهله ثم نرجع فدخلوا مكة اى بعضهم بجوار وبعضهم مستخفيا قال في الامتاع ويقال ان رجوع من كان مهاجرا بالحبشة الى مكة كان بعد الخروج من الشعب هذا كلامه وفيه نظر ظاهر ويرشد اليه التعبير لانهم مكثوا في الشعب ثلاث سنين أو سنتين ومكث هؤلاء عند النجاشي حينئذ كان دون ثلاثة أشهر كما علمت وأيضا الهجرة الثانية للحبشة انما كانت بعد دخول الشعب كما سيأتي قال في الاصل ولم يدخل أحد منهم الا بجوار الا ابن مسعود فانه مكث يسيرا ثم رجع الى أرض الحبشة اى وهذا من صاحب الاصل تصريح بأن ابن مسعود كان في الهجرة الاولى وهو موافق في ذلك لشيخه الحافظ الدمياطي لكن الحافظ الدمياطي جزم بأن ابن مسعود كان في الهجرة الاولى ولم يحك خلافا وصاحب الاصل حكى خلافا انه لم يكن فيها وبه جزم ابن اسحق حيث قال ان ابن مسعود انما كان في الهجرة الثانية فكان ينبغي للاصل أن يقول على ما تقدم هذا وفي كلام بعضهم فلم يدخل أحد منهم مكة الا مستخفيا وكلهم دخلوا مكة الا عبد الله بن مسعود فانه رجع الى أرض الحبشة وقد يقال لما لم يطل مكث ابن مسعود بمكة ظن به انه لم يدخلها فلا

انه صلى الله عليه وسلم لما أمرهم بالرجم أبوا أن يأخذوا به فقال له جبريل عليه السلام اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه
جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم لهم هل تعرفون شابا أمرد أبيض اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا
قالوا نعم وهو اعلم يهودي على وجه الارض بما أنزل الله تعالى على موسى عليه السلام في التوراة ورضوا به
حكما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أنشدك الله الذي لا اله الا هو الذي أنزل التوراة على موسى وفلق البحر ورفع فوقكم الطور وأنجاكم وأغرق فرعون وظلل عليكم الغمام وأنزل عليكم المن والسلوى والذي أنزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم على من أحصن قال نعم فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت ان كذبته أن ينزل علينا العذاب وفي رواية قال في جوابه للنبي صلى الله عليه وسلم نعم والذي ذكرتني به لولا خشية أن تحرقني التوراة ان كذبتك ما اعترفت لك ولكن كيف هو في كتابك يا محمد قال اذا شهد أربعة رهط عدول انه قد أدخله فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليه الرجم فقال ابن صوريا والذي أنزل التوراة على موسى هكذا أنزل الله في التوراة على موسى فليتأمل الجمع بين هذه الروايات على تقدير صحتها ويجاب بأنه يحتمل أن القضية تكررت وعلى تسليم انها قضية واحدة لم تتكرر فيمكن أن مدة مراجعة النبي صلى الله عليه وسلم فيها
طالت وايامها اتسعت فحصل بينه وبين علماء اليهود تلك المخاطبات في مجالس متعددة فحصل في كل مجلس منها الكلام مع بعض منهم دون البعض الآخر واختلفت العبارات فكل من حفظ شيأ رواه فبعضهم يرويه بلفظه وبعضهم بمعناه وجاء في بعض الروايات أن ابن صوريا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء يعرفها من اعلام نبوته فأجابه عنها فلما تحققها قال

ينافي ما سبق ويجوز أن يكون أكثرهم دخل مكة بلا جوار فاطلقوا على الكل انهم دخلوا مستخفين فلا يخالف ما سبق أيضا ولما رجعوا القوا من المشركين أشد ما عهدوا قال وممن دخل بجوار عثمان بن مظعون دخل في جوار الوليد بن المغيرة ولما رأى ما يفعل بالمسلمين من الاذى قال والله ان غدوي ورواحي آمنا بجوار رجل من أهل الشرك وأصحابي وأهل ديني يلقون من الاذى في الله ما لا يصيبني لنقص كبير فمشى الى الوليد فقال يا أبا عبد شمس وفت ذمتك وقد رددت اليك جوارك قال له يا ابن أخي لعله آذاك أحد من قومي وأنت في ذمتي فأكفيك ذلك قال لا والله ما اعترض لي أحد ولا آذاني ولكن أرضى بجوار الله عز وجل واريد أن لا أستجير بغيره قال انطلق الى المسجد فاردد الي جواري علانية كما أجرتك علانية فانطلقا حتى أتيا المسجد فقال الوليد هذا عثمان قد جاء يرد على جواري فقال عثمان صدق قد وجدته وفيا كريم الجوار ولكني لا استجير بغير الله عز وجل قد رددت عليه جواره فقال الوليد أشهدكم اني بريء من جواره الا أن يشاء ثم انصرف عثمان ولبيد بن ربيعة بن مالك في مجلس من قريش ينشدهم قبل اسلامه فجلس عثمان معهم فقال لبيد * الا كل شيء ما خلا الله باطل * فقال عثمان صدقت فقال لبيد * وكل نعيم لا محالة زائل * فقال عثمان كذبت نعيم الجنة لا يزول فقال لبيد يا معشر قريش ما كان يؤذى جليسكم فمتى حدث هذا فيكم فقال رجل من القوم ان هذا سفيه فى سفاهته فارق ديننا فلا تجدن في نفسك من قوله فرد عليه عثمان فقام ذلك الرجل فلطم عينه والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ من عثمان فقال أما والله يا ابن أخي كانت عينك عما أصابها لغنية ولقد كنت في ذمة منيعة فخرجت منها وكنت عن الذي لقيت غنيا فقال عثمان رضي الله عنه بل كنت الى الذي لقيت فقيرا والله ان عيني الصحيحة التي لم تلطم لفقيرة الى مثل ما أصاب أختها في الله عز وجل ولي فيمن هو أحب الي منكم اسوة واني لفي جوار من هو أعز منك انتهى فعثمان فهم ان لبيدا أراد بالنعيم ما هو شامل لنعيم الآخرة ومن ثم قال له نعيم الجنة لا يزول لا يقال لولا ان لبيدا يريد مطلق النعيم الشامل لنعيم الآخرة لما تشوش من الرد عليه لانا نقول يجوز أن يكون تشوشه من مشافهة عثمان له بقوله كذبت على ان هذا السياق دال على ان لبيدا قال هذا الشعر قبل اسلامه ويؤيده ما قيل ان اكثر اهل الاخبار على ان لبيدا لم يقل شعرا منذ أسلم وبه يرد ما في الاستيعاب ان هذا أي قوله الا كل شيء الى آخره شعر حسن فيه ما يدل على انه قاله في الاسلام وكذلك قوله

أشهد أن لا اله الا الله وأشهد انك رسول الله النبي الامي وهذا مما يدل على اسلامه ومشى عليه السهيلي وجماعة وقال الحافظ ابن حجر لم اقف لعبد الله بن صوريا على اسلام من طريق صحيح والله أعلم ثم بعد تحقق الرجم في التوراة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائتوا بالشهود فجاؤا بأربعة فشهدوا أنهم رأوا ذكره في فرجها مثل الميل في المكحلة فأمر بهما فرجما عند باب المسجد قال ابن عمر رضي الله عنهما فرأيت الرجل يحني على المرأة يقيها الحجارة فكان ذلك سببا لنزول قوله تعالى انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور الآية ونزول ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون وما معها من الآيات وفيها فأولئك هم الكافرون وأولئك هم الفاسقون وعن عمرو ابن ميمون قال رأيت الرجم في الجاهلية في غير بني آدم كنت في اليمن في غنم لاهلي فجاء قرد ومعه قردة فتوسد يدها ونام فجاء قرد أصغر منه فغمزها فسلت يدها من تحت رأس القرد برفق وذهبت معه ثم جاءت فاستيقظ القرد فزعا فشمها فصاح فاجتمعت القردة فجعل يصيح ويومي اليها بيده فذهبت القردة يمنة ويسرة فجاؤا بذلك القرد فحفروا لهما حفرة فرجموهما ورجمتهما معهم قال بعضهم لو صح هذا لكانوا من الجن اذ التكاليف في الانس والجن دون غيرهما وقد ذكر غير واحد ان أحبار اليهود غيروا صفته صلى الله عليه وسلم التي في التوراة خوفا من انقطاع نفقتهم فانها كانت على عوامهم لقيام الاحبار بالتوراة فخافوا أن تؤمن عوامهم فتنقطع عنهم النفقة وكانوا يقولون لمن أسلم لا تنفقوا أموالكم على هؤلاء يعني المهاجرين فانا نخشى عليكم الفقر فأنزل الله تعالى الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله اي من العلم بصفة النبي صلى الله عليه وسلم التي يجدونها في كتابهم فقد كان في كتابهم

وكل امرئ يوما سيعلم سعيه * اذا كشفت عند الاله المحاصل

وقد يقال لا يلزم من قوله المذكور الذي لا يصدر غالبا الا عن مسلم ان يكون قاله في حال اسلامه كما وقع لامية بن أبي الصلت حيث قال في شعره ما لا يقوله الا مسلم مع كفره ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم فيه آمن شعره وكفر قلبه وفي رواية كاد يسلم وذكر محيي الدين بن العربي في قوله صلى الله عليه وسلم أصدق بيت قالته العرب وفي رواية أشعر كلمة تكلمت بها العرب كلمة لبيد ألا كل شيء ما خلا الله باطل اعلم ان الموجودات كلها وان وصفت بالباطل فهي حق من حيث الوجود ولكن سلطان المقام اذا غلب على صاحبه يرى ما سوى الله تعالى باطلا من حيث انه ليس له وجود من ذاته فحكمه حكم العدم وهذا معنى قول بعضهم قوله باطل اي كالباطل لان العالم قائم بالله تعالى لا بنفسه فهو من هذا الوجه باطل والعارف اذا وصل الى مقامات القرب في بداية عرفانه ربما تلاشت هذه الكائنات وحجب عن شهودها بشهود الحق لا انها زالت من الوجود بالكلية ثم اذا كمل عرفانه يشهد الحق تعالى والخلق معا في آن واحد وما كل أحد يصل الى هذا المقام فان غالب الناس ان شهد الحق لم يشهد الخلق وان شهد الخلق لم يشهد الحق كما تقدم عند الكلام على الوحدة انه لا يدركها الا من أدرك اجتماع الضدين ولعل من المشهد الاول قول الاستاذ الشيخ أبي الحسن البكري رضي الله تعالى عنه استغفر الله مما سوى الله لان الباطل يستغفر من اثبات وجوده لذاته ويوافق قول أكثر أهل الاخبار قول السهيلي وأسلم لبيد وحسن اسلامه وعاش في الاسلام ستين سنة لم يقل فيها بيت شعر فسأله عمر رضي الله تعالى عنه اي في خلافته عن تركه للشعر فقال ما كنت لاقول شعرا بعد ان علمني الله تعالى البقرة وآل عمران فزاده عمر في عطائه خمسمائة من أجل هذا القول فكان عطاؤه ألفين وخمسمائة وقيل انه قال بيتا واحدا في الاسلام وهو

الحمد لله الذي لم يأتني أجلي * حتى اكتسيت من الاسلام سربالا

قال وممن دخل بجوار أبو سلمة بن عبد الاسد ابن عمته صلى الله عليه وسلم فانه دخل في جوار خاله أبي طالب ولما أجاره مشى اليه رجال من بني مخزوم فقالوا يا أبا طالب منعت منا ابن أختك فما لك ولصاحبنا تمنعه منا فقال انه استجار بي وهو ابن أختي وأنا ان لم أمنع ابن أختي لم أمنع ابن أخي فقام أبو لهب على أولئك الرجال وقال لهم يا معشر قريش لا تزالون تعارضون هذا الشيخ في جواره من قومه والله لتنتهن أو لاقومن معه في كل

مقام

مقام يقوم فيه حتى يبلغ ما أراد قالوا بل تنصرف عما تكره يا أبا عتبة اى لانه كان لهم وليا وناصرا على رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى اى وطمع أبو طالب فى أبى لهب حيث سمعه يقول ما ذكر ورجا ان يقوم معه فى شأنه صلى الله عليه وسلم وأنشد أبياتا يحرضه فيها على نصرته صلى الله عليه وسلم وممن أوذى فى الله بعد اسلامه ووقع له نظير ما وقع لعثمان بن مظعون رضى الله عنه عمر بن الخطاب وسبب اسلامه على ما حدث به بعضهم قال قال لنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أتحبون أن أعلمكم كيف كان بدء اسلامى اى ابتداؤه والسبب فيه قلنا نعم قال كنت من أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينا أنا فى يوم حار شديد الحر بالهاجرة فى بعض طرق مكة اذ لقينى رجل من قريش اى وهو نعيم بن عبد الله النحام بالحاء المهملة قيل له ذلك لانه صلى الله عليه وسلم قال فيه لقد سمعت نحمته فى الجنة اى صوته وحسه كان يخفى اسلامه خوفا من قومه وأخبرنى ان أختى يعنى أم جميل واسمها فاطمة كما تقدم وقيل زينب وقيل آمنة قد صبت اى أسلمت وكذا زوجها وهو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وهو ابن عم عمر وكانت أخت سعيد عاتكة تحت عمر فرجعت مغضبا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع الرجل والرجلين اذا أسلما عند الرجل به قوة فيكونان معه يصيبان من طعامه وقد ضم الى زوج أختى رجلين ممن أسلم أى أحدهما خباب بن الارت بالمثناة فوق والآخر لم أقف على اسمه وفى السيرة الهشامية الاقتصار على خباب وانه كان يختلف اليهما ليعلمهما القرآن فجئت حتى قرعت الباب فقيل من بالباب قلت ابن الخطاب وكان القوم جلوسا يقرؤن صحيفة معهم فلما سمعوا صوتى تبادروا اى واستخفوا ونسوا الصحيفة فقامت المرأة يعنى أخته ففتحت لى فقلت لها يا عدوة نفسها قد بلغنى انك قد صبوت وضربتها بشئ كان فى يدى فسال الدم فلما رأت الدم بكت وقالت يا ابن الخطاب ما كنت فاعلا فافعل فقد أسلمت فدخلت وجلست على السرير فنظرت فاذا بالصحيفة فى ناحية من البيت فقلت ما هذا الكتاب اعطينيه اى فان عمر كان كاتبا فقالت لا أعطيكه لست من أهله أنت لا تغتسل من الجنابة ولا تتطهر وهذا لا يمسه الا المطهرون فلم أزل حتى أعطتنيه اى بعد ان اغتسل كما فى بعض الروايات وفى بعض الروايات قالت له يا أخى انك نجس على شركك فانه لا يمسه الا المطهرون وقولها لا تغتسل من الجنابة ربما يخالف قول بعضهم ان أهل الجاهلية كانوا يغتسلون من الجنابة وكون عمر كان يخالفهم فى ذلك من البعد ويكون هذا منها يحمل على انه

انه صلى الله عليه وسلم أكحل العين ربعة جعد الشعر حسن الوجه فمحوه وقالوا نجده طويلا أزرق العينين سبط الشعر وأخرجوا ذلك الى اتباعهم وقالوا هذا نعت النبى الذى يخرج فى آخر الزمان وعند ذلك أنزل الله تعالى ان الذين يكتمون ما أنزل الله الآية وكان اليهود اذا كلموا النبى صلى الله عليه وسلم قالوا راعنا سمعك واسمع غير مسمع ويضحكون فيما بينهم لان ذلك سب قبيح بلسان اليهود فلما سمع المسلمون منهم ذلك ظنوا ان ذلك شئ كان أهل الكتاب يعظمون به أنبياءهم فصار المسلمون يقولون ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم ففطن سعد بن معاذ لليهود يوما وهم يضحكون فقال لهم يا أعداء الله لئن سمعنا من رجل منكم هذا بعد هذا المجلس لاضربن عنقه فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا وفى رواية ان اليهود لما سمعوا الصحابة رضى الله عنهم يقولون له صلى الله عليه وسلم اذا ألقى عليهم شيأ يا رسول الله راعنا اى أنظرنا وتأن علينا حتى نفهم وكانت هذه الكلمة عبرانية تتساب بها اليهود فلما سمعوا المسلمين يقولون له صلى الله عليه وسلم راعنا خاطبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم براعنا يعنون بذلك المسبة ومن ثم لما سمع سعد بن معاذ ذلك من اليهود وقال لهم يا أعداء الله عليكم لعنة الله والذى نفسى بيده ان سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لاضربن عنقه بالسيف فقالوا له الستم تقولونها أنتم فنزلت وجاء صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود دباطفالهم فقالوا له يا محمد هل على أولادنا هؤلاء من ذنب قال لا فقالوا والذى نحلف به ما نحن الا كهيئتهم ما من ذنب نعمله بالنهار الا كفر عنا بالليل وما من ذنب نعمله بالليل الا كفر عنا بالنهار فأنزل الله تعالى ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم الآية وجاء ان جماعة من أحبار اليهود منهم ابن صوريا قبل ان يسلم على

ما تقدم وشاس بن قيس وكعب بن أسد اجتمعوا وقالوا انبعث الى محمد لعلنا نفتنه فى دينه فجاؤا اليه فقالوا يا محمد قد عرفت أنا أحبار اليهود وأشرافهم وان اتبعناك اتبعك كل اليهود وبيننا وبين قوم خصومة فنحاكمهم اليك فتقضى لنا عليهم فنؤمن بك فأبى ذلك وأنزل الله تعالى وان احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم الآية (وعن ابن عباس) رضى الله عنهما قال كان رجل من اليهود من التجار وفى رواية من النصارى بالمدينة فسمع المؤذن يقول أشهد ان محمدا رسول الله فقال أخزى الله الكاذب وفى رواية أحرق الله الكاذب فدخلت خادمته بنار وهو نائم وأهله نيام فسقطت شرارة فأحرقت البيت واحترق هو وأهله ولما نزل قوله تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا قال حيى بن أخطب يستقرضنا ربنا وانما يستقرض الفقير الغنى فأنزل الله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء وقيل فى سبب نزولها ان أبا بكر رضى الله عنه دخل بيت المدراس فقال لفنحاص بن عازوراء اتق الله وأسلم فوالله انك لتعلم ان محمدا رسول الله فقال يا أبا بكر ما بنا الى الله من فقر وانه الينا لفقير فغضب أبو بكر رضى الله عنه وضرب وجه فنحاص ضربا شديدا وقال لولا العهد الذى بيننا وبينك لضربت عنقك فشكاه فنحاص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له أبو بكر رضى الله عنه ما كان منه فأنكر قوله ذلك فنزل لقد سمع الله الآية وقيل فى سبب نزولها أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل أبا بكر رضى الله عنه الى فنحاص بن عازوراء بكتاب وكان قد انفرد بالعلم والسيادة على يهود بنى قينقاع بعد اسلام عبد الله بن سلام رضى الله عنه يأمرهم فى ذلك الكتاب بالاسلام واقام الصلاة وايتاء الزكاة وان يقرضوا الله قرضا حسنا

لم يغتسل غسلا يعتد به يخالفه ما تقدم عن بعض الروايات انه لما اغتسل دفعت له تلك الرقعة وفى لفظ قالت له انا نخشاك عليها قال لا تخافى وحلف لها بآلهته ليردنها اذا قرأها فدفعتها اليه اى وطمعت فى اسلامه فاذا فيها بسم الله الرحمن الرحيم قال فلما مررت على بسم الله الرحمن الرحيم ذعرت اى فزعت ورميت الصحيفة من يدى ثم رجعت الى نفسى فأخذتها فاذا فيها سبح لله ما فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم فكلما مررت باسم من اسمائه عز وجل ذعرت اى فألقيها ثم ترجع الى نفسى فآخذها حتى بلغت آمنوا بالله ورسوله الى قوله تعالى ان كنتم مؤمنين فقلت أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فخرج القوم يتبادرون بالتكبير استبشارا بما سمعوا منى وحمدوا الله عز وجل ثم قالوا يا ابن الخطاب أبشر فان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا فقال اللهم أعز الاسلام وفى لفظ أيد الاسلام بأحد الرجلين اما بأبى جهل بن هشام واما بعمر بن الخطاب اى وفى لفظ بأحب هذين الرجلين اليك أبى الحكم عمرو بن هشام يعنى أبا جهل وعمر بن الخطاب اى وفى غير ما رواية بعمر بن الخطاب من غير ذكر أبى جهل وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت انما قال صلى الله عليه وسلم اللهم أعز عمر بالاسلام لان الاسلام يعز ولا يعز ولعل قول عائشة ما ذكر نشأ عن اجتهاد منها بدليل تعليلها واستبعادها أن يعز الاسلام بعمر فليتأمل وكان دعاؤه صلى الله عليه وسلم بذلك يوم الاربعاء فأسلم عمر يوم الخميس قال عمر رضى الله تعالى عنه فلما عرفوا منى الصدق قلت لهم أخبرونى بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا هو فى بيت بأسفل الصفا وصفوه اى وهى دار الارقم فخرجت وفى رواية أن عمر قال يا خباب انطلق بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام خباب وابن عمه سعيد معه قال عمر فلما قرعت الباب قيل من هذا قلت ابن الخطاب فما اجترأ احد ان يفتح لى الباب لما عرفوه من شدتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعلموا اسلامى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افتحوا له فان يرد الله به خيرا يهده وفى لفظ يهديه باثبات الياء وهى لغة ففتحوا لى اى والذى أذن فى دخوله حمزة بن عبد المطلب رضى الله تعالى عنه فان اسلام عمر كان بعد اسلام حمزة بثلاثة أيام وقيل بثلاثة أشهر وكان اسلام عمر وهو ابن ست وعشرين سنة قال وأخذ رجلان بعضدى حتى دنوت من النبى صلى الله عليه وسلم فقال أرسلوه فأرسلونى فجلست بين يديه صلى الله عليه وسلم فأخذ بمجامع قميصى فجذبنى اليه ثم قال اسلم يا ابن الخطاب اللهم اهده فقلت اشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله فكبر المسلمون تكبيرة سمعت بطرف مكة اى وفى الاوسط للطبرانى ورواه الحاكم باسناد

باسناد حسن عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب صدر عمر بيده حين اسلم ثلاث مرات وهو يقول اللهم أخرج ما في صدر عمر من غل وأبدله ايمانا اى واعل خبابا وسعيدا لم يدخلا معه والا لبشرا باسلام عمر وفى رواية لما ضرب الباب وسمعوا صوته قام رجل فنظر من خلل الباب فرآه متوشحا سيفه اى ولم ير معه خبابا ولا سعيدا فرجع الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو فزع فقال يارسول الله هذا عمر بن الخطاب متوشحا سيفه نعوذ بالله من شره فقال حمزة بن عبد المطلب فأذن له فان كان جاء يريد خيرا بذلناه له وان كان جاء يريد شرا قتلناه بسيفه وفى لفظ انه صلى الله عليه وسلم قال ان جاء بخير قبلناه وان جاء بشر قتلناه وفى لفظ ان يرد به خيرا يسلم وان يرد غير ذلك يكن قتله علينا هينا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائذن له فأذن له الرجل ونهض اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقيه فى صحن الدار فأخذ بحجزته وجذبه جذبة شديدة وقال ما جاء بك يا ابن الخطاب فوالله ما ادرى أن تنتهى حتى ينزل الله بك قارعة وفى لفظ أخذ بمجامع ثوبه وحمائل سيفه وقال ما أنت منته يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزى والنكال ما أنزل الله بالوليد بن المغيرة اى احد المستهزئين به صلى الله عليه وسلم كما تقدم فقال عمر يارسول الله جئت لاومن بالله ورسوله أشهد أنك رسول الله وفى رواية أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد أن محمدا عبده ورسوله فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرة عرفت وفى رواية سمعها اهل المسجد وفى رواية لما جاء دفع الباب فوجد بلالا وراء الباب فقال بلال من هذا فقال عمر بن الخطاب فقال حتى استأذن لك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بلال يارسول الله عمر بالباب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يرد الله به خيرا أدخله فى الدين فقال لبلال افتح له وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بضبعيه فهزه وفى رواية أخذ ساعده وانتهزه فارتعد عمر هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجلس وفى لفظ أخذ بمجامع ثيابه ثم نتره نترة فما تمالك عمر ان وقع على ركبتيه فقال صلى الله عليه وسلم اللهم هذا عمر بن الخطاب اللهم أعز الاسلام بعمر بن الخطاب ما الذى تريد وما الذى جئت له فقال عمر اعرض على الذى تدعو اليه فقال تشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله فأسلم عمر مكانه (أقول) ولا ينافى هذا ما تقدم من اسلامه واتيانه بالشهادتين فى بيت أخته قبل خروجه اليه صلى الله عليه وسلم وقوله ولم يعلموا اسلامى لانه يجوز ان يكون مراده بقوله جئت لأومن جئت لاظهر ايمانى عندك وعند اصحابك وعند ذلك قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم

فلما قرأ فنحاص الكتاب قال قد احتاج ربكم نمده (وفى رواية) قال يا أبا بكر تزعم ان ربنا يستقرضنا أموالنا وما يستقرض الا الفقير من الغنى فان كان حقا ما تقول فان الله اذا الفقير ونحن اغنياء فضرب ابو بكر رضى الله عنه وجه فنحاص ضربا شديدا وقال لقد هممت ان أضرب بالسيف وما منعنى ان أضربه بالسيف الا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دفع الى الكتاب قال لا تفتئت على بشئ حتى ترجع الى فجاء فنحاص الى النبي صلى الله عليه وسلم وشكا ابا بكر رضى الله عنه فقال صلى الله عليه وسلم لابى بكر رضى الله عنه ما حملك على ما صنعت قال يارسول الله انه قال قولا عظيما يزعم ان الله فقير وانهم اغنياء فغضبت لله تعالى قال فنحاص والله ما قلت هذا فنزلت الآية تصديقا لابى بكر رضى الله عنه وقد قال بعض اليهود لبعض العلماء انما قلنا ان الله فقير ونحن اغنياء لانه استقرض اموالنا فقال له ان كان استقرضها لنفسه فهو فقير وان كان استقرضها لفقرائكم ثم يكافئ عليها فهو الغنى الحميد وقد انضم الى اليهود جماعة من الاوس والخزرج منافقون على دين آبائهم من الشرك والتكذيب بالبعث الا انهم دخلوا فى دين الاسلام تقية من القتل لما قهرهم الاسلام بظهوره واجتماع قومهم عليه فكان هواهم مع اليهود فى السر وفى الظاهر مع المسلمين وهؤلاء هم المنافقون وقد ذكر بعضهم ان المنافقين الذين كانوا على عهد

٥٦ حل ل النبي صلى الله عليه وسلم ثلثمائة منهم الجلاس بن سويد بن الصامت وانه قال يوما ان كان هذا الرجل صادقا فنحن شر من الحمير فسمعها عمير بن سعد رضى الله عنه من جلاس وكان عمير يتيما فى حجره ولا مال له وكان جلاس يكفله ويحسن اليه فجاء الجلاس ليلة فاستلقى على فراشه ثم قال لئن كان ما يقوله محمد صادقا فنحن شر من الحمير فقال له عمير يا جلاس

انك لاحب الناس الى وأحسنهم عندى يدا ولقد قلت مقالة لئن رفعتها عليك لافضحنك ولئن صمت عليها اى امسكت عنها ليهلكن على دينى ولاحداهما ايسر على من الاخرى فمشى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له مقالة جلاس فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جلاس فحلف بالله لقد كذب على عمير وماقلت ما قال فقال عمير بن سعد لقد قلت فتب الى الله ولولا ان ينزل القرآن فيجعلنى معك ماقلته وجاء انه صلى الله عليه وسلم استحلف الجلاس عند المنبر فحلف انه ما قال واستحلف الراوى عنه فحلف لقد قال وقال اللهم انزل على نبيك تكذيب الكاذب وتصديق الصادق فقال النبى صلى الله عليه وسلم آمين فنزل يحلفون بالله ماقالوا ولقد قالوا كلمة الكفر الى قوله فان يتوبوا يك خيرا لهم فاعترف الجلاس وتاب وقبل منه صلى الله عليه وسلم توبته وحسنت توبته ولم ينزع عن خير كان يفعله مع عمير فكان ذلك مما عرف به حسن توبته رضى الله عنه وقال صلى الله عليه وسلم لعمير لقد وفت اذنك ومنهم نبتل بن الحرث قال النبى صلى الله عليه وسلم من أحب أن ينظر الى الشيطان فلينظر الى نبتل بن الحرث كان يجلس اليه صلى الله عليه وسلم ثم ينقل حديثه الى المنافقين وهو الذى قال انما محمد أذن من حدثه بشئ صدقه فانزل الله تعالى ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو اذن قل اذن خير لكم الآية وجاء جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له يجلس معك رجل صفته كذا فقال للحديث الذى تحدث به كبده أغلظ من كبد الحمار (وفى رواية) ينقل حديثك للمنافقين ومنهم عبد الله بن ابى ابن سلول وهو رأس المنافقين ولاشتهاره بالنفاق لم يعد فى الصحابة وكان من أعظم اشراف اهل المدينة وكانوا قبل مجيئه صلى الله عليه وسلم قد نظموا له الخرز ليتوجوه ثم يملكوه لان الانصار من

اسلم يا ابن الخطاب الى آخره وقوله للنبى صلى الله عليه وسلم اعرض على الذى تدعو اليه يجوز ان يكون عمر جوز ان الذى يدعو اليه ويصير به المسلم مسلما أخص مما اطاق به من الشهادتين والله اعلم قال عمر وأحببت ان يظهر اسلامى وان يصيبنى مايصيب من أسلم من الضرر والاهانة فذهبت الى خالى وكان شريفا فى قريش وأعلمته انى صبوت اى وهو ابو جهل وقد جاء فى بعض الروايات قال عمر لما أسلمت تذكرت اى أهل مكة أشد لرسول الله صلى الله عليه وسلم عداوة حتى آتيه فأخبره انى قد اسلمت فذكرت اباجهل فجئت له فدققت عليه الباب فقال من بالباب قلت عمر بن الخطاب فخرج الى فقال مرحبا وأهلا يا ابن اختى ماجاء بك قلت جئت لاخبرك وفى لفظ لابشرك ببشارة فقال ابو جهل وماهى يا ابن اختى فقلت انى قد آمنت بالله وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم وصدقت ماجاء به فضرب الباب فى وجهى اى أغلقه وهو بمعنى أجاف الباب كما فى بعض الروايات وقال قبحك الله وقبح ماجئت به اى وانما كان ابو جهل خال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قيل لان أم عمر أخت ابى جهل وقيل لان أم عمر بنت هشام بن المغيرة والد ابى جهل فأبو جهل خال أم عمر وقيل ان أم عمر بنت عم ابى جهل وصححه ابن عبد البر وعصبة الام اخوال الابن قال عمر وجئت رجلا آخر من عظماء قريش وأعلمته انى صبوت فلم يصبنى منهما شئ فقال لى رجل تحب ان يعلم اسلامك قلت نعم قال اذا جلس الناس يعنى قريشا فى الحجر واجتمعوا فأت فلانا الشخص كان لا يكتم السر وهو جميل بن معمر رضى الله تعالى عنه أسلم يوم الفتح وشهد مع النبى صلى الله عليه وسلم حنينا وكان يسمى ذا القلبين وفيه نزلت ماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه ومات فى خلافة عمر رضى الله تعالى عنه وحزن عليه عمر حزنا شديدا فقل له فيما بينك وبينه انى قد صبوت قال فلما اجتمع الناس فى الحجر جئت الرجل فدنوت منه واخبرته فرفع صوته بأعلاه فقال ألا ان عمر بن الخطاب قد صبا فمازال الناس يضربوننى واضربهم فقام خالى يعنى اباجهل على الحجر فأشار بكمه وقال ألا انى أجرت ابن أختى فانكشف الناس عنى فصرت اى بعد ذلك أرى الواحد من المسلمين يضرب وأنا لا اضرب فقلت ماهذا بشئ حتى يصيبنى مايصيب المسلمين فامهلت حتى جلس الناس فى الحجر وصلت الى خالى وقلت له جوارك عليك رد فقال لاتفعل يا ابن اختى فقلت بل هو ذاك فمازلت اضرب واضرب حتى أعز الله الاسلام اى وفى السيرة الهشامية بينما القوم يقاتلونه ويقاتلهم اذ أقبل شيخ من قريش عليه حلة حبرة وقميص موشى حتى وقف عليهم اى وهو العاص بن وائل

وائل فقال ويلكم ما شأنكم قالوا صبا عمر قال فه رجل اختار لنفسه أمرا فماذا تريدون أترون بني عدي بن كعب مسلمين لكم صاحبهم هكذا خلوا عن الرجل فانفرجوا عنه كأنهم ثوب كشط عنه اى وفي البخارى لما أسلم عمر اجتمع الناس عند داره وقالوا صبا عمر فبينا عمر في داره خائفا اذ جاءه العاص بن وائل فقال له ما لك قال زعم قومك انهم سيقتلوني ان أسلمت اى اذا سلمت قال أمنت لا سبيل اليك فخرج العاص فلقي الناس قد سال بهم الوادى فقال أين تريدون فقالوا نريد هذا عمر بن الخطاب الذى صبا قال لا سبيل اليه فأتاه جبارا فكسر الناس وتصدعوا عنه اى ويذكر أن عتبة بن ربيعة وثب عليه فألقاه عمر الى الارض وبرك عليه وجعل يضربه وادخل اصبعيه في عينيه فجعل عتبة يصيح وصار لا يدنو منه احد الا اخذ بشراسيفه وهى أطراف أضلاعه وعن عمر رضى الله تعالى عنه فى سبب اسلامه قال خرجت أتعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان أسلم فوجدته قد سبقنى الى المسجد فقمت خلفه فاستفتح بسورة الحاقة فجعلت أتعجب من تأليف القرآن فقلت هذا والله شاعر كما قالت قريش فقرأ انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون قال قلت كاهن علم ما في نفسى فقرأ ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون الى آخر السورة فوقع الاسلام في قلبي كل موقع اى ومن ذلك ما في السيرة الهشامية عن عمر رضى الله تعالى عنه قال جئت المسجد اريد ان اطوف بالكعبة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى وكان اذا صلى استقبل الشام اى صخرة بيت المقدس وجعل الكعبة بينه وبين الشام فكان مصلاه بين الركن الاسود والركن اليمانى اى لانه لا يكون مستقبلا لبيت المقدس الا حينئذ كما تقدم قال فقلت حين رأيته صلى الله عليه وسلم لو أنى استمعت لمحمد الليلة حتى اسمع ما يقول قال فقلت لئن دنوت منه استمع لاروعنه فجئت من قبل الحجر فدخلت تحت ثيابها اى فى الكعبة فجعلت امشى رويدا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى فقرأ صلى الله عليه وسلم الرحمن حتى قمت فى قبلته مستقبله ما بيني وبينه الا ثياب الكعبة فلما سمعت القرآن رق له قلبي فبكيت ودخلني الاسلام فلم أزل قائما فى مكانى ذلك حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته ثم انصرف فتبعته فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم حسى عرفنى وظن انما تبعته لاوذيه فنهمنى اى زجرنى ثم قال ما جاء بك يا ابن الخطاب هذه الساعة قلت جئت لاومن بالله ورسوله وبما جاء من عند الله وفى رواية ضرب اختى المخاض ليلا فخرجت من البيت فدخلت فى استار الكعبة فجاء النبى صلى الله عليه وسلم فدخل الحجر فصلى فيه ما شاء الله ثم انصرف

آل قحطان ولم يتوج من العرب الا قحطان ولم يبق من الخرز الذى يتوج به الا خرزة واحدة كانت عند شمعون اليهودى وقد جاء فى بعض الروايات فى حكاية انتقاله صلى الله عليه وسلم من قباء الى المدينة انه عرج على عبد الله بن أبى ابن سلول يريد النزول عنده تألفا له وكان عبد الله جالسا محتبيا فلما رأى النبى صلى الله عليه وسلم يريد النزول عنده قال اذهب الى الذين دعوك وانزل عليهم فقال له سعد ابن عبادة يا رسول الله لا تجد فى نفسك من قوله فقد قدمت علينا والخزرج تريد أن تملكه فلما ردّ بالحق الذى أعطاك الله شرق فذلك الذى فعل به ما رأيت فعفا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقع له فى بعض الايام انه صلى الله عليه وسلم قيل له يا رسول الله لو أتيت عبد الله بن أبى ابن سلول اى متألفا له ليكون ذلك سببا لاسلام من تخلف من قومه وليزول ما عنده من النفاق فانطلق النبى صلى الله عليه وسلم وركب حمارا وانطلق المسلمون يمشون معه فلما أتاه النبى صلى الله عليه وسلم قال له اليك عنى والله لقد آذانى نتن حمارك فقال رجل من الانصار والله لحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب ريحا منك فغضب لعبد الله رجل من قومه فشتمه فغضب لكل واحد منهما أصحابه فكان بينهم ما ضرب بالجريد والايدى والنعال فنزل وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما كذا فى البخارى وفيه أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ على عبد الله بن أبى ابن سلول فى جماعة فقال لقد آذانا ابن أبى كبشة فى هذه البلاد فسمعها ابنه عبد الله رضى الله عنه فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيه برأسه فقال صلى الله عليه وسلم لا ولكن برّ أباك وكان عبد الله بن ابى جميل الصورة ممتلئ الجسم فصيح اللسان وهو المعنى بقوله تعالى واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم الآية وعن الزهرى قال أخبرنى عروة عن اسامة بن زيد رضى الله عنهما أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب حمارا على اكاف واردف اسامة خلفه يعود سعد بن عبادة رضى الله عنه فى بنى الحرث من الخزرج قبل وقعة بدر حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن أبى ابن سلول وذلك قبل أن يسلم فاذا فى المجلس اخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الاوثان واليهود وفى المسلمين عبد الله بن رواحة رضى الله عنه فثار غبار من مشى الحمار فخمر ابن أبى وجهه بردائه ثم قال لاتغبروا علينا فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم ثم نزل ودعاهم الى الله تعالى وقرأ عليهم القرآن فقال ابن أبى أيها المرء انه لاأحسن مما تقول ان كان حقا فلا تؤذنا به فى مجالسنا ارجع الى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه فقال عبد الله بن رواحة بلى يارسول الله فاغشنا به فانا نحب ذلك واستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتبادرون القتال فلم يزل صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا ثم ركب صلى الله عليه وسلم دابته حتى دخل على سعد بن عبادة رضى الله عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياسعد الم تسمع ما قال ابو حباب يعنى عبد الله بن أبى قال كذا وكذا فقال سعد بن عبادة يارسول الله اعف عنه واصلح فوالذى انزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذى انزل الله عليك وقد اصطلح أهل هذه البحيرة على ان يتوجوه ويعصبوه بالعصابة فلما رد بالحق الذى اعطاك الله شرق فذلك الذى فعل به ما رأيت فعفا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابن أبى هذا رأس المنافقين وابى ابوه وسلول أمه وقيل جدته ام ابيه ومن نفاقه ما اخرجه الثعلبى ان عن ابن عباس رضى الله عنهما قال نزلت واذا لقوا الذين آمنوا الآية فى عبد الله بن أبى واصحابه وذلك انهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من الصحابة فقال ابن أبى انظروا كيف أرد عنكم هؤلاء السفهاء فأخذ بيد ابى بكر رضى الله عنه فقال مرحبا

فسمعت شيأ لم أسمع مثله فخرج فاتبعته فقال من هذا قلت عمر قال ياعمر ماتدعنى لا ليلا ولا نهارا فخشيت ان يدعو على فقلت أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله فقال ياعمر أتسره قلت لا والذى بعثك بالحق لأعلننه كما اعلنت الشرك فحمد الله تعالى ثم قال هداك الله ياعمر ثم مسح صدرى ودعا لى بالثبات ثم انصرفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بيته اى ويحتاج للجمع بين هذه الروايات على تقدير صحتها ثم رأيت العلامة ابن حجر الهيتمى قال ويمكن الجمع بتعدد الواقعة قبل اسلامه هذا كلامه فليتأمل ما فيه قال ومن ذلك اى مما كان سببا لاسلام عمر أن اباجهل بن هشام قال يامعشر قريش ان محمدا قد شتم آلهتكم وسفه احلامكم وزعم ان من مضى من اسلافكم يتهافتون فى النار الا ومن قتل محمدا فله على مائة ناقة حمراء وسوداء وألف أوقية من فضة اى وفى لفظ جعلوا لمن يقتله كذا وكذا أوقية من الذهب وكذا كذا أوقية من الفضة وكذا كذا نافجة من المسك وكذا كذا ثوبا وغير ذلك فقال عمر انا لها فقالوا والله أنت لها ياعمر وتعاهد معهم على ذلك قال عمر فخرجت متقلدا سيفى متنكبا كنانتى اى جعلتها فى منكبى أريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فمررت على عجل يذبح فسمعت من جوفه صوتا يقول ياآل ذريح صائح يصيح بلسان فصيح يدعو الى شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فقلت فى نفسى ان هذا الامر لا يراد به الا أنا وذريح اسم للعجل المذبوح وقيل له ذلك من اجل الدم لان الذريح شديد الحمرة يقال احمر ذريحى اى شديد الحمرة ثم مر برجل اسلم وكان يكتم اسلامه خوفا من قومه يقال له نعيم اى ابن عبد الله النحام كما تقدم فقال له أين تذهب يا ابن الخطاب فقال أريد هذا الصابى الذى فرق أمر قريش وسفه احلامها وسب آلهتها فاقتله فقال له نعيم والله لقد غرتك نفسك أترى بنى عبد مناف تاركيك تمشى على وجه الارض وقد قتلت محمدا فلا ترجع الى اهل بيتك فتقيم أمرهم قال وأى اهل بيتى قال ختنك اى زوج اختك وابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وأختك قد اسلما فعليك بهما وانما فعل ذلك نعيم ليصرفه عن اذية رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الذى لقيه سعد بن ابى وقاص فقال له أين تريد ياعمر فقال اريد ان اقتل محمدا قال له أنت أصغر واحقر من ذلك تريد ان تقتل محمدا وتدعك بنو عبد مناف ان تمشى على الارض فقال له عمر ما أراك الا وقد صبأت فابدأ بك فاقتلك فقال سعد أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فسل عمر سيفه وسل سعد سيفه وشد كل منهما على الآخر حتى كادا أن يختلطا ثم قال سعد لعمر مالك ياعمر لا تصنع هذا بختنك واختك فقال صبيا قال ثم فتركه عمر وسار الى منزل اخته اى ولا مانع

بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم أخذ بيد عمر رضي الله عنه وقال
مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ بيد علي رضي الله عنه
فقال مرحبا يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه وسيد بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال له علي رضي الله عنه اتق الله
يا عبد الله ولا تنافق فان المنافقين
شر خليقة الله فقال له عبد الله
مهلا يا أبا الحسن أتقول لي هذا
والله ان ايماننا كايمانكم
وتصديقنا كتصديقكم ثم افترقوا
فقال لاصحابه كيف رأيتموني
فعلت فأثنوا عليه خيرا فرجع
المسلمون الى النبي صلى الله عليه
وسلم وأخبروه بذلك فنزلت الآية
واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا
واذا خلوا الى شياطينهم قالوا
انا معكم الى آخر الآيات التي
في المنافقين كلها فيه وفي أصحابه
وهو الذي قال لئن رجعنا الى
المدينة ليخرجن الاعز يعني نفسه
وأصحابه منها الاذل يعني النبي
صلى الله عليه وسلم وأصحابه فرد
الله عليهم بقوله ولله العزة ولرسوله
وللمؤمنين وستأتي القصة ان
شاء الله تعالى وبالجملة فقد لاقى
صلى الله عليه وسلم من شدة الاذى
الصادر من المنافقين واليهود
بالمدينة شيأ كثيرا ولكنه بالنسبة
لاذى أهل مكة كالعدم فانه كان
بالمدينة في غاية العزة والمنعة
والقوة من أول يوم واذى اليهود
غايته بالمجادلة والتعنت في السؤال
كما قال تعالى لن يضروكم الا اذى وكان جبريل يأتيه بغالب الاجوبة لاسئلتهم ومع ذلك صبر في أول قدومه على شيء يسير من أذى
اليهود والمنافقين ثم لما قويت شوكة الاسلام واشتد الجناح أذن له صلى الله عليه وسلم بالقتال بعد ما نهي عنه في نيف وسبعين آية
غالبها بمكة كلها يأمره فيها هو ومن معه بالصبر على الاذى ثم أنجز الله له وعده عملا بقوله تعالى انا لننصر رسلنا والذين آمنوا

ان يكون لقي كلا من نعيم وسعد بن ابي وقاص وقال له كل منهما ما ذكر وفي هذه الرواية
وجد عندهم خباب بن الارت معه صحيفة فيها سورة طه يقرؤها عليهم وانه دق عليهم
الباب فلما سمعوا حس عمر تغيب خباب اي وترك الصحيفة فلما دخل قال لاخته ماهذه
الهينمة التي سمعت قالت له ما سمعت شيأ غير حديث تحدثنا به بيننا قال بلى والله لقد
أخبرت أنكما تابعتما محمدا على دينه وبطش بزوج اخته فالقاه الى
الارض وجلس على صدره وأخذ بلحيته فقامت اليه اخته لتكفه عن زوجها فضربها
فشجها أي فلما رأت الدم قالت له يا عدو الله أتضربني على أن أوحد الله تعالى لقد أسلمت
على رغم أنفك فاصنع ما أنت صانع فلما رأى ما باخته وما صنع بزوجها ندم وقال لاخته
اعطني هذه الصحيفة انظر ما هذا الذي جاء به محمد وكان عمر كاتبا قالت اخشاك عليها احلف
لي لتردنها اذا قرأتها اليها فقالت له يا أخي أنت نجس ولا يمسه الا الطاهر فقام واغتسل اي وفي
لفظ فذهب يغتسل فخرج اليها خباب وقال اتدفعين كتاب الله تعالى الى عمر وهو كافر قالت
نعم اني أرجو أن يهدي الله أخي ورجع خباب الى محله ودخل عمر فاعطته تلك الصحيفة فلما
قرأها عمر وبلغ فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى قال أشهد أن لا اله
الا الله وأن محمدا عبده ورسوله اه اي وفي رواية انه لما قرأ الصحيفة قال ما أحسن
هذا الكلام وأكرمه اي وقيل انه لما انتهى الى قوله تعالى انني أنا الله لا اله الا أنا فاعبدني
وأقم الصلاة لذكري قال ينبغي لمن يقول هذا أن لا يعبد معه غيره فلما سمع ذلك خباب
خرج اليه فقال يا عمر اني لارجو أن يكون الله تعالى قد خصك بدعوة نبيه صلى الله عليه
وسلم فاني سمعته أمس وهو يقول اللهم أيد الاسلام بأبي الحكم بن هشام او بعمر بن
الخطاب فالله الله يا عمر فقال له عند ذلك دلني يا خباب على محمد حتى آتيه فاسلم اي عنده وعند
أصحابه فلا ينافي ما في الرواية الاولى انه أسلم فقال له خباب هو في بيت عند الصفا معه نفر
من أصحابه فعمد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث (اقول) ويمكن الجمع بين
هاتين الروايتين حيث كانت القصة واحدة ولم تتعدد بانه يجوز ان يكون زوج اخته
استخفى اولا مع خباب ورفيقه ثم ظهر فاوقع به وباخته ما ذكروانه في الرواية الاولى اقتصر
على ذكر اخته والصحيفة تعددت واحدة فيها سبح لله ما في السموات والارض والثانية
فيها طه اقتصر في الرواية الاولى على احداهما وهي التي فيها سبح لله وفي الرواية الثانية
على الاخرى التي فيها طه وانه في الرواية الاولى أسلم وفي الرواية الثانية سكت عن ذلك
والله أعلم (وعن ابن عباس) أيضا رضي الله تعالى عنهما لما اسلم عمر رضي الله تعالى عنه قال

(باب مغازيه صلى الله عليه وسلم) وأذن الله لرسوله صلى الله عليه وسلم في القتال لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر صفر في السنة الثانية من الهجرة قال الزهرى أول آية نزلت في الاذن بالقتال قوله تعالى أذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير أخرجه النسائى باسناد صحيح عن عائشة رضى الله عنها وأخرج الامام أحمد والحاكم وصححه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما خرج النبى صلى الله عليه وسلم من مكة قال ابو بكر رضى الله عنه أخرجوا نبيهم ليهلكن فنزلت اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا الآية قال ابن عباس رضى الله عنهما فهى أول آية نزلت فى القتال وقيل قوله تعالى قاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم وقيل أول آية نزلت فيه ان الله اشترى من المؤمنين الآية كان الصحابة رضى الله عنهم يأتون النبى صلى الله عليه وسلم ما بين مضروب ومشجوج فيقول لهم اصبروا فانى لم أومر بالقتال حتى هاجر فاذن له بالقتال وحكمة تأخير الاذن بالقتال أنهم لما كانوا بمكة كان المشركون اكثر عددا فلو أمر الله المسلمين وهم قليل بالقتال لشق عليهم فلما بغى المشركون وأخرجوه عليه السلام من بين أظهرهم وهموا بقتله واستقر عليه السلام بالمدينة واجتمع عليه المهاجرون والانصار وقاموا بنصره وصارت المدينة دار اسلام ومعقلا يلجؤن اليه شرع الله جهاد الاعداء فبعث عليه السلام البعوث والسرايا وغزا بنفسه وقد جرت عادة المحدثين وأهل السير واصطلاحاتهم غالبا أن يسموا كل عسكر حضره النبى صلى الله عليه وسلم بنفسه الكريمة غزوة وما لم يحضره بل ارسل بعضا من اصحابه الى العدو سرية وبعثا وخرج بقولهم غالبا غيرا لغالب فانهم قد يسمون بعض السرايا غزوة كقولهم غزوة موتة وغزوة ذات السلاسل واستمر صلى الله عليه وسلم هو واصحابه يقاتلون حتى

دخلنا

المشركون لقد انتصف القوم منا وعن ابن عباس أيضا رضى الله تعالى عنهما لما اسلم عمر رضى الله تعالى عنه نزل جبريل عليه السلام على النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد استبشر اهل السماء باسلام عمر (قال) وروى البخارى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه مازلنا اعزة منذ اسلم عمر اه زاد بعضهم عن ابن مسعود والله لقد رأيتنا وما نستطيع ان نصلى بالكعبة اى عندها ظاهرين آمنين حتى أسلم عمر فقاتلهم حتى تركونا فصلينا اى وجهروا بالقراءة وكانوا قبل ذلك لا يقرؤن الا سرا كما تقدم وعن صهيب لما أسلم عمر جلسنا حول البيت حلقا وفى كلام ابن الاثير مكث صلى الله عليه وسلم مستخفيا فى دار الارقم ومن معه من المسلمين الى ان كملوا أربعين بعمر بن الخطاب وعند ذلك خرجوا وتقدم ما فى ذلك ومما يؤثر عن عمر رضى الله تعالى عنه من اتقى الله وقاه ومن توكل عليه كفاه السيد هو الجواد حين يسأل الحليم حين يستجهل أشقى الولاة من شقيت به رعيته اعدل الناس اعذرهم للناس وفى مختصر تاريخ الخلفاء لابن حجر الهيتمى ان عمر أول من قال اطال الله تعالى بقاك وأيدك الله قال ذلك لعلى رضى الله تعالى عنه وهو أول من استقضى القضاة فى الامصار ويروى أن الارقم هذا لما كان بالمدينة بعد الهجرة تجهز ليذهب فيصلى فى بيت المقدس فلما فرغ من جهازه جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم يودعه فقال له ما يخرجك اى من المدينة حاجة أم تجارة قال لا يارسول الله بأبى انت وامى ولكن أريد الصلاة فى بيت المقدس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة فى مسجدى هذا خير من الف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام فجلس الارقم ولم يذهب لبيت المقدس ولما حضرته الوفاة أوصى أن يصلى عليه سعد بن ابى وقاص فلما مات كان سعد بالعقيق فقال مروان يحبس صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل غائب وأراد الصلاة عليه فأبى ولده ذلك على مروان ووقع بينهم كلام ثم جاء سعد وصلى على الارقم اى وقيل لعمر رضى الله تعالى عنه ما سبب تسمية النبى صلى الله عليه وسلم لك بالفاروق قال لما أسلمت والنبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه مختفون قلت يارسول الله ألسنا على الحق ان متنا وان حيينا قال بلى والذى نفسى بيده انكم على الحق ان متم وان حييتم فقلت ففيم الاختفاء والذى بعثك بالحق ما بقى مجلس كنت أجلس فيه بالكفر الا أظهرت فيه الاسلام غير هائب ولا خائف والذى بعثك بالحق لنخرجن فخرجنا فى صفين حمزة فى أحدهما وانا فى الآخر له اى لذلك الجمع كديد ككديد الطحين اى لذلك الجمع غبار ثائر من الارض لشدة وطء الاقدام لان الكديد التراب الناعم اذا وطئ ثار غباره قال حتى

دخلنا المسجد فنظرت قريش الى والى حمزة فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها اى فطاف صلى الله عليه وسلم بالبيت وصلى الظهر معلنا ثم رجع ومن معه الى دار الارقم فسماني رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ الفاروق فرق الله بي بين الحق والباطل اى وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم خرج فى صفين حمزة فى أحدهما وعمر فى الآخر لهم كديد ككديد الطحين وفى رواية أن عمر رضى الله تعالى عنه قال له يارسول الله لا ينبغى ان تكتم هذا الدين اظهر دينك وفى رواية والله لا يعبد الله سرا بعد اليوم فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المسلمون وعمر امامهم معه سيفه ينادى لا اله الا الله محمد رسول الله حتى دخل المسجد ثم صاح مسمعا القريش كل من تحرك منكم لامكنن سيفى منه ثم تقدم امام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف والمسلمون ثم صلوا حول الكعبة وقرؤا القرآن جهرا وكانوا كما تقدم لا يقدرون على الصلاة عند الكعبة ولا يجهرون بالقرآن وفى المنتقى على ما نقله بعضهم فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر امامه وحمزة بن عبد المطلب رضى الله تعالى عنهما حتى طاف بالبيت وصلى الظهر معلنا ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى دار الارقم وفيه أن صلاة الظهر لم تكن فرضت حينئذ الا ان يقال المراد بصلاة الظهر الصلاة التى وقعت فى ذلك الوقت اى ولعل المراد بها صلاة الركعتين اللتين كان يصليهما بالغداة صلاهما فى وقت الظهر وعن عمر رضى الله تعالى عنه وافقت ربى فى ثلاث قلت يارسول الله لو اتخذنا من مقام ابراهيم مصلى فنزلت واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقلت يارسول الله ان نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلوا مرتهن أن يحتجبن فنزلت آية الحجاب واجتمع على رسول الله صلى الله عليه وسلم نساؤه فى الغيرة فقلت لهن عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن فنزلت اى وقد قال له بعض نسائه صلى الله عليه وسلم ياعمر أما فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يعظ نساءه حتى تعظهن أنت ومنع رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصلى على عبد الله بن ابى بن سلول وفى البخارى لما توفى عبد الله بن أبى جاء ولده عبد الله رضى الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه فأعطاه وهذا لا يخالف ما فى تفسير القاضى البيضاوى من ان ابن أبى دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه فلما دخل عليه فسأله أن يستغفر له ويكفنه فى شعاره الذى يلى جسده الشريف ويصلى عليه فلما مات أرسل له صلى الله عليه وسلم قميصه ليكفن فيه لانه يجوز أن يكون ارساله للقميص بسؤال ولده له صلى الله عليه وسلم بعد موت أبيه قال فى الكشاف

دخل الناس فى دين الله أفواجا أفواجا وجاؤا بعد الفتح من اقطار الارض طائعين وكان عدد مغازيه التى غزا فيها بنفسه تسعا وعشرين وهى غزوة ودان غزوة بواط غزوة العشيرة غزوة سفوان وتسمى غزوة بدر الاولى غزوة بدر الكبرى غزوة بنى سليم غزوة بنى قينقاع غزوة السويق غزوة قرقرة الكدر غزوة غطفان وهى غزوة ذى أمر غزوة بحران بالحجاز غزوة احد غزوة حمراء الاسد غزوة بنى النضير غزوة ذات الرقاع وهى غزوة محارب وبنى ثعلبة غزوة بدر الاخيرة وهى غزوة بدر الموعد غزوة دومة الجندل غزوة بنى المصطلق ويقال لها المريسيع غزوة الخندق غزوة بنى قريظة غزوة بنى لحيان غزوة الحديبية غزوة ذى قرد بضمتين غزوة خيبر غزوة وادى القرى غزوة عمرة القضا غزوة فتح مكة غزوة حنين والطائف غزوة تبوك وأما سراياه التى بعث فيها أصحابه فسبع وأربعون سرية وقيل تزيد على سبعين سرية وستأتى كلها مفصلة ان شاء الله تعالى قال العلامة الحلبى فى السيرة لا يخفى انه صلى الله عليه وسلم مكث بضع عشرة سنة بمكة ينذر بالدعوة من غير قتال صابرا على شدة اذية العرب بمكة واليهود بالمدينة له ولاصحابه لامر الله له بذلك اى بالانذار وبالصبر على الاذى والكف بقوله تعالى واعرض عنهم وبقوله واصبر ووعده بالنصر والفتح ولما كثرت أتباعه صلى الله عليه وسلم وكانوا يقدمون محبته على محبة آبائهم وابنائهم وأزواجهم واصر المشركون على الكفر والتكذيب اذن له فى القتال وقد ذكروا فى سبب نزول قوله تعالى ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية ان جماعة من الصحابة رضى الله عنهم منهم عبد الرحمن بن عوف والمقداد بن الاسود وقدامة بن

مظعون وسعد بن ابي وقاص كانوا يلقون من المشركين اذى كثيرا بمكة فقالوا يارسول الله كنا في عز ونحن مشركون فلما آمنا صرنا اذلة فأذن لنا في قتال هؤلاء فيقول لهم كفوا أيديكم عنهم فاني لم أومر بقتالهم فلما هاجر صلى الله عليه وسلم الى المدينة وأمر بالقتال للمشركين كرهه بعضهم وشق عليه فأنزل الله ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم الآية وكانت الصحابة رضي الله عنهم بمكة وبعد أن هاجروا وقبل ان يؤذن لهم بالقتال في غاية من الحذر لان العرب رمتهم قاطبة عن قوس وتعرضوا لقتالهم من كل جانب حتى انهم اعني المسلمين كانوا لا يبيتون الا في السلاح ولا يصبحون الا فيه ويقولون ترى نعيش حتى نبيت مطمئنين لا نخاف الا الله عز وجل فأنزل الله عليهم وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيأ ثم أذن في القتال أي ابيح الابتداء به حتى لمن لم يقاتل لكن في غير الاشهر الحرم بقوله تعالى فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الآية ثم أمر به مطلقا بقوله تعالى قاتلوا المشركين كافة ثم استقر أمر الكفار معه صلى الله عليه وسلم على ثلاثة أقسام القسم الاول محاربون وهم الكفار الحاربون اذا كانوا ببلادهم يجب قتالهم على الكفاية في كل عام مرة والقسم الثاني أهل عهد وهم المؤمنون من غير عقد الجزية بان صالحهم على ان لا يحاربوا ولا يظاهروا عليه عدوه وهم على كفرهم آمنون على دمائهم وأموالهم والقسم الثالث أهل ذمة وهم من عقدت لهم الجزية وزاد بعضهم من دخل في الاسلام تقية وهم المنافقون فانه أمر ان يقبل منهم علانيتهم ويكل سرائرهم الى الله

فان قلت كيف جازت له صلى الله عليه وسلم تكرمة المنافق وتكفينه في قميصه قلت كان ذلك مكافأة له على صنيع سبق له وذلك أن العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أخذ اسيرا يبدر لم يجدوا له قميصا وكان رجلا طوالا فكساه عبد الله قميصه اي ولان الضنة بارسال القميص سيما وقد سئل فيه مخل بالكرم وقال له المشركون يوم الحديبية انا لا نأذن لمحمد ولكن نأذن لك فقال لا ان لي في رسول الله أسوة حسنة فشكر رسول الله صلى الله عليه وسلم له ذلك واكراما لابنه وفي هذا تصريح بأن ابن أبي كان مع المسلمين في بدر وفي الحديبية ثم ان ابنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصلي عليه فقال له أسألك أن تقوم على قبره لا تشمت به الاعداء اي وذلك بعد سؤال والده له صلى الله عليه وسلم في ذلك كما تقدم عن القاضي البيضاوي فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه فقام عمر رضي الله تعالى عنه فأخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله أتصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما خيرت فقال استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وسأزيده على السبعين وفي رواية أتصلي على ابن أبي وقد قال يوم كذا كذا وكذا أعدد عليه قوله فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أخر عني يا عمر فلما أكثرت عليه قال اني خيرت لو أعلم اني ان زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره الى قوله وهم فاسقون ولينظر ما معنى التخيير في الآية وما الجمع بين قوله سأزيد على السبعين وقوله لو أعلم اني ان زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها ثم رأيت القاضي البيضاوي قال في وجه التخيير وقوله سأزيد على السبعين انه صلى الله عليه وسلم فهم من السبعين العدد المخصوص لانه الاصل فجوز أن يكون ذلك حدا يخالفه حكم ما وراءه فبين له اي الحق سبحانه أن المراد به التكثير بقوله في الآية الاخرى سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم هذا كلامه وحينئذ يشكل قوله لو أعلم اني ان زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها فان هذا مقتض لعدم الصلاة عليه لا الصلاة عليه فليتأمل وقد قال علي رضي الله تعالى عنه ان في القرآن لقرآنا من رأي عمر وما قال الناس في شئ وقال فيه عمر الاجاء القرآن بنحو ما يقول عمر وقد أوصل بعضهم موافقاته اي الذي نزل القرآن على وفق ما قال وما أراد الى أكثر من عشرين اي وقد أفردها بعضهم بالتأليف وقد سئل عنها الجلال السيوطي فأجاب عنها نظما قال عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما ما نزل بالناس أمر فقال الناس وقال عمر

الانزل

تعالى فكان معرضا عنهم الا فيما يتعلق بشرائع الاسلام وأول ما ابتدأ به صلى الله عليه وسلم التعرض لعير قريش لاخذ ما فيها ليكون ذلك سببا لافتتاح القتال ولتقوى قلوب اصحابه على القتال شيأ فشيأ وينتفعوا بما يحصل لهم من الغنائم التي يغنمونها من تلك العير فيستعينوا بها فكان أول بعوثه وسراياه صلى الله عليه وسلم ان بعث عمه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه وكان في رمضان وقيل في ربيع الاول في السنة الثانية من الهجرة وأمره على ثلاثين رجلا من المهاجرين نخرجوا يعترضون عير القريش جاءت من الشأم تريد مكة اى يتعرضون لها ليمنعوها من مقصدها باستيلائهم عليها وكان فيها أبو جهل لعنه الله في ثلثمائة راكب وقيل في ثلاثين ومائة فلما بلغوا ساحل البحر من ناحية العيص التقوا وتصافوا للقتال ثم حجز بينهم مجدى بن عمرو الجهنى وكان مصالحا للفريقين فانصرف القوم بعضهم عن بعض ولم يكن بينهم قتال وقال النبي صلى الله عليه وسلم في مجدى هذا انه ميمون النقيبة مبارك الامر أو قال رشيد الامر ولما قدم رهط مجدى هذا على النبي صلى الله عليه وسلم كساهم ومجدى لم يعلم له اسلام ولم يذكره أحد في الصحابة مع انه سعى في هذا الصلح المبارك وكان المسلمون فيه قليلين والكفار كثيرون وهو أول التقاء وقع بينهم ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم معهم فلربما ان المسلمين لم يثبتوا للكفار لكثرتهم عليهم فكان في هذا الصلح ستر للحال وبقاء لشوكة أهل الاسلام فلهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في مجدى انه ميمون النقيبة مبارك الامر أو قال رشيد الامر وانما بعث النبي صلى الله عليه وسلم في هذه السرية المهاجرين ولم يبعث معهم أحدا من الانصار بل أبقاهم حتى غزا بهم بدرا وهو معهم لانهم شرطوا له ان يمنعوه في دارهم ولم يذكر لهم وقت البيعة انهم يخرجون من دارهم حتى جاء الامر

الا نزل القرآن على نحو ما قال عمر وعن مجاهد كان عمر يرى الرأى فينزل به القرآن وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه ومن موافقاته ما سيأتي في أسارى بدر ومنها انه لما سمع قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الآية قال فتبارك الله أحسن الخالقين فنزلت كذلك ومنها أن بعض اليهود قال له ان جبريل الذي يذكر صاحبكم عدو لنا فقال من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين فنزلت كذلك واستأذن رضي الله تعالى عنه النبي صلى الله عليه وسلم في العمرة فاذن له وقال يا أخي لا تنسانا من دعائك اى وفي رواية يا أخي أشركنا في صالح دعائك ولا تنسانا قال عمر ما أحب أن لي بقوله يا أخي ما طلعت عليه الشمس وجاء أول من يصافحه الحق عمر بن الخطاب وأول من يسلم عليه وجاء ان الله وضع الحق على لسان عمر يقول به وجاء لو كان بعدى نبي لكان عمر بن الخطاب ومن نزل القرآن على وفق ما قال مصعب بن عمير أيضا رضي الله تعالى عنه كان اللواء بيده يوم أحد وسمع الصوت ان محمدا قد قتل فصار يقول وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل فنزلت

(باب اجتماع المشركين على منابذة بني هاشم وبني المطلب ابني عبد مناف وكتابة الصحيفة)

قد اجتمع كفار قريش على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا قد أفسد علينا أبناءنا ونساءنا وقالوا لقومه خذوا منا دية مضاعفة ويقتله رجل من قريش وتريحونا وتريحون أنفسكم فأبى قومه فعند ذلك اجتمع رأيهم على منابذة بني هاشم وبني المطلب واخراجهم من مكة الى شعب ابي طالب فيه تصريح بأن شعب أبي طالب كان خارجا عن مكة والتضييق عليهم بمنع حضور الاسواق وان لا يناكحوهم وان لا يقبلوا الهم صلحا أبدا ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل اى وفي لفظ لا تنكحوهم ولا تنكحوا اليهم ولا تبيعوهم شيأ ولا تبتاعوا منهم شيأ ولا تقبلوا منهم صلحا الحديث وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها في الكعبة اى توكيدا على أنفسهم وقيل كانت عند خالة أبي جهل وقد يجمع بأنه يجوز أن تكون كانت عندها قبل أن تعلق في الكعبة على أنه سيأتي أنه يجوز أن الصحيفة تعددت وكان اجتماعهم وتحالفهم في خيف بني كنانة بالابطح ويسمى محصبا وهو بأعلى مكة عند المقابر فدخل بنو هاشم وبنو المطلب مؤمنهم وكافرهم الشعب الا أبا لهب فانه ظاهر عليهم قريشا وكان سنه صلى الله عليه وسلم حين دخل الشعب ستة وأربعين سنة وفي الصحيح انهم في الشعب جهدوا حتى كانوا

معهم بالتدريج ورضوا به وطابت به نفوسهم فقاتلوا معه خارج المدينة وقيل كان في هذه السرية جماعة من الانصار والله اعلم

(سرية عبيدة بن الحرث بن المطلب بن عبد مناف المستشهد يبدر كما سيأتي ان شاء الله) وكانت الى بطن رابغ في شوال على رأس ثمانية اشهر من الهجرة في ستين رجلا ٤٥٠ وقيل في ثمانين رجلا من المهاجرين ليس فيهم أحد من الانصار يلقى ابا سفيان بن حرب وقد اسلم عام الفتح رضي الله عنه وقيل مكرز ابن حفص العامري اختلف في صحبته وقيل عكرمة بن ابي جهل وقد اسلم عام الفتح رضي الله عنه وكانوا في مائتي رجل فلما التقوا لم يقع بينهم قتال الا أن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه رمى بسهم فكان أول سهم رمي به في الاسلام وقيل انه نثر كنانته وتقدم امام أصحابه فرمى بما في كنانته وكان فيها عشرون سهما ما منها سهم الا ويجرح انسانا أو دابة ثم انصرف القوم عن القوم وللمسلمين قوة وشوكة وفر من المشركين الى المسلمين المقداد بن عمرو وعتبة بن غزوان وكانا مسلمين لكنهما خرجا ليتوصلا الى النبي صلى الله عليه وسلم قال بعضهم ان بعث حمزة كان على رأس سبعة اشهر من الهجرة في رمضان وبعث عبيدة على رأس ثمانية اشهر في شوال وقيل انه صلى الله عليه وسلم عقد رايتيهما معا ثم تأخر خروج عبيدة الى رأس الثمانية لامر اقتضاه والله اعلم ثم *(سرية سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه)* وكانت الى الخرار بخاء معجمة وراءين الاولى منهما مشددة مفتوحة وهو واد في الحجاز يصب في الجحفة وكان ذلك في ذي القعدة على رأس تسعة اشهر في عشرين رجلا من المهاجرين يعترض عير القريش فخرجوا على أقدامهم فوصلوا الخرار صبح خامسة من خروجهم من المدينة فوجدوا العير قد مرت بالامس فرجعوا ولم يلقوا كيدا وأول مغازيه التي خرج فيها بنفسه صلى الله عليه وسلم غزوة وعبيدة

يأكلون الخبط وورق الشجر وفي كلام السهيلي كانوا اذا قدمت العير مكة يأتي احدهم السوق ليشتري شيأ من الطعام يقتاته فيقوم أبو لهب فيقول يامعشر التجار غالوا على أصحاب محمد حتى لايدركوا شيأ معكم فقد علمتم مالي ووفاء ذمتي فيزيدون عليهم في السلعة قيمتها أضعافا حتى يرجع الى أطفاله وهم يتضاغون من الجوع وليس في يده شيء يعللهم به فيغدو التجار على أبي لهب فيربحهم هذا كلامه ولا منافاة بين خروج أحدهم السوق اذا جاءت العير بالميرة الى مكة وكونهم منعوا من الاسواق والمبايعة لهم كما لايخفى وكان دخولهم الشعب هلال المحرم سنة سبع من النبوة وحينئذ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان بمكة من المسلمين أن يخرجوا الى الحبشة (أقول) وفي رواية أن خروج بني هاشم وبني المطلب الى الشعب لم يكن باخراج قريش لهم وانما خرجوا اليه لان قريشا لما قدم عليهم عمرو بن العاص من عند النجاشي خائبا وردت معه هديتهم وفقد صاحبه الذي هو عمارة بن الوليد وبلغهم اكرام النجاشي لجعفر ومن معه من المسلمين اي كما سيأتي وظهور الاسلام في القبائل كبر ذلك عليهم واشتد أذاهم على المسلمين واجتمع رأيهم على أن يقتلوا النبي صلى الله عليه وسلم علانية فلما رأى ابو طالب ذلك جمع بني هاشم والمطلب مؤمنهم وكافرهم وأمرهم أن يدخلوا برسول الله عليه الصلاة والسلام الشعب ويمنعوه ففعلوا فبنو هاشم وبنو المطلب كانوا شيأ واحدا لم يفترقوا حتى دخلوا معهم في الشعب وانخزل عنهم بنو عمهم عبد شمس ونوفل ولهذا يقول ابو طالب في قصيدته

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا * عقوبة شر عاجلا غير آجل

وقال في قصيدة أخرى

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا * وتيما ومخزوما عقوقا ومأثما

فلما علمت قريش ذلك أجمع رأيهم على ان يكتبوا عهودا ومواثيق على أن لايجالسوهم الحديث وفيه انه سيأتي أن خروج عمرو بن العاص الى الحبشة انما كان بعد الهجرة الثانية وهي بعد دخول بني هاشم والمطلب الى الشعب والله اعلم

(باب الهجرة الثانية الى الحبشة)

لايخفى انه لما وقع ماذكر انطلق الى الحبشة عامة من آمن بالله ورسوله أي غالبهم فكانوا عند النجاشي ثلاثة وثمانين رجلا وثماني عشرة امرأة وهذا بناء على أن عمار بن ياسر كان منهم وقد اختلف في ذلك وكلام الاصل يميل الى ذلك وكان من الرجال جعفر بن أبي طالب ومعه زوجته اسماء بنت عميس والمقداد بن الاسود وعبد الله بن مسعود

وعبيد الله بالتصغير بن جحش ومعه امرأته أم حبيبة بنت ابي سفيان فتنصر هنالك ثم مات على النصرانية اى وبقيت ام حبيبة رضى الله تعالى عنها على اسلامها وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سيأتى وعن أم حبيبة رضى الله تعالى عنها قالت رأيت فى المنام كأن عبيد الله بن جحش زوجى بأسوأ حال وتغيرت صورته فاذا هو يقول حين أصبح يا أم حبيبة انى نظرت فى هذا الدين فلم أر دينا خيرا من دين النصرانية وقد كنت دنت بها ثم دخلت فى دين محمد ثم رجعت الى دين النصرانية قالت فقلت والله ما خير لك وأخبرته بما رأيته له فلم يحفل بذلك وأكب على الخمر يشربه حتى مات فرأيت فى المنام كأن آتيا يقول لى يا أم المؤمنين ففزعت وأولتها بان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتزوجنى فكان كذلك اى وذكر ابن اسحق ان أبا موسى الاشعرى هاجر الى الحبشة ومراده أنه هاجر اليها من اليمن لا من مكة كما فهم الواقدى فاعترض عليه فى ذلك فعن أبى موسى انه بلغه مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو باليمن فخرج هو ونحو خمسين رجلا فى سفينة مهاجرين اليه صلى الله عليه وسلم فالقتهم السفينة الى النجاشى بالحبشة فوجدوا جعفرا وأصحابه فأمرهم جعفر بالاقامة واستمروا كذلك حتى قدموا عليه صلى الله عليه وسلم هم وجعفر عند فتح خيبر كما سيأتى وبهذا يندفع قول بعضهم ما ذكره ابن اسحق من ان أبا موسى الاشعرى هاجر من مكة الى الحبشة من الغريب جدا ولعله مدرج من بعض الرواة فأقاموا بخير دار عند خير جار فبعثت قريش خلفهم عمرو بن العاص ومعه عمارة ابن الوليد بن المغيرة التى أرادت قريش دفعه لابى طالب ليكون بدلا عن النبى صلى الله عليه وسلم اذ اقتلوه بهدية الى النجاشى والهدية فرس وجبة ديباج اى واهدوا لعظماء الحبشة هدايا ليردوا من جاء اليه من المسلمين فلما دخلا عليه سجدا له وقعدوا واحد عن يمينه والآخر عن شماله وفى كلام بعضهم فأجلس عمرو بن العاص على سريره وقبل هديتهما فقالا ان نفرا من بنى عمنا نزلوا أرضك فرغبوا عنا وعن آلهتنا اى ولم يدخلوا فى دينكم بل جاؤا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم وقد بعثنا الى الملك فيهم أشراف قريش لتردوهم اليهم ۝ قال وأين هم قالوا بارضك فأرسل فى طلبهم اى وقال له عظماء الحبشة ادفعهم اليهما فهما اعرف بحالهم فقال لا والله حتى أعلم على اى شئ هم فقال عمرو هم لا يسجدون للملك اى وفى لفظ لا يحيون لك ولا يحيونك بما يحييك الناس اذا دخلوا عليك رغبة عن سنتكم ودينكم فلما جاؤا قال لهم جعفر رضى الله تعالى عنه أنا خطيبكم اليوم اى فانه لما جاءهم رسول النجاشى يطلبهم اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض ما تقولون للرجل اذا جئتموه

وودان قال الزهرى فى علم المغازى خير الدنيا والآخرة وقال زين العابدين بن الحسين بن على رضى الله عنهم كنا نعلم مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما نعلم السورة من القرآن وعن اسمعيل بن محمد بن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه كان أبى يعلمنا المغازى والسرايا ويقول يا بنى انها شرف آبائكم فلا تضيعوا ذكرها أول غزوة خرج فيها صلى الله عليه وسلم غزوة ودّان بفتح الواو وتشديد الدال وهى قرية جامعة من أعمال الفرع وبعضهم يسميها غزوة الابواء فمنهم من أضافها الى ودان ومنهم من أضافها الى الابواء لانهما متقاربان فى وادى الفرع خرج صلى الله عليه وسلم اليها فى صفر لاثنتى عشرة مضت منه على رأس اثنى عشر شهرا من مقدمه المدينة يريد عيرا لقريش وبنى ضمرة اى ويريد بنى ضمرة وعبر بعضهم بقوله يريد قريشا وبنى ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة وقيل لم يكن صلى الله عليه وسلم مريدا لهم بل مريدا للعير التى لقريش فقط فلما لقى بنى ضمرة عقد بينه وبينهم صلحا وكان خروجه صلى الله عليه وسلم فى ستين راكبا من المهاجرين ليس فيهم أحد من الانصار فلم يدرك العير التى أراد وكانت المصالحة بينه وبين بنى ضمرة على انهم لا يغزونه ولا يكثرون عليه جمعا ولا يعينون عليه عدوا وان لهم النصر على من رامهم بسوء وانه اذا دعاهم لنصر أجابوه وعقد ذلك معه سيدهم مخشى بن عمرو الضمرى وكتب بينهم كتاب فيه بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لبنى ضمرة بانهم آمنون على أموالهم وأنفسهم وان لهم النصر على من رامهم اى قصدهم بسوء بشرط ان لا يحاربوا فى دين الله ما بل بحر صوفة وان النبى صلى الله عليه وسلم اذا دعاهم لنصر أجابوه عليهم بذلك ذمة الله ورسوله وكان لواؤه صلى الله عليه وسلم أبيض وكان مع عمه حمزة رضى الله عنه واستعمل على المدينة سعد بن عبادة رضى الله عنه وانصرف

قال جعفر ماذ كر وقال انما نقول ما علمنا وما أمرنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ودع يكون ما يكون وقد كان النجاشي دعا أساقفته وأمرهم بنشر مصاحفهم حوله فلما جاء جعفر وأصحابه صاح جعفر وقال جعفر بالباب يستأذن ومعه حزب الله فقال النجاشي نعم يدخل بامان الله وذمته فدخل عليه ودخلوا خلفه فسلم فقال له الملك مالك لا تسجد وفي لفظ أن عمرا قال لعمارة الا ترى كيف يكتنون بحزب الله وما أجابهم به وان عمرا قال للنجاشي ألا ترى أيها الملك انهم مستكبرون لم يحيوك بتحيتك فقال النجاشي ما منعكم ان لا تسجدوا وتحيوني بتحيتي التي أحيا بها فقال جعفر انا لا نسجد الا لله عز وجل قال ولم ذلك قال لان الله تعالى أرسل فينا رسولا وأمرنا ان لا نسجد الا لله عز وجل واخبرنا أن تحية أهل الجنة السلام فحييناك بالذي يحيي به بعضنا بعضا اى وعرف النجاشي ذلك لانه كذلك في الانجيل كما قيل اى وأمرنا بالصلاة اى غير الخمس لانها لم تكن فرضت بل التي هي ركعتان بالغداة وركعتان بالعشي اى ركعتان قبل طلوع الشمس وركعتان قبل غروبها على ما تقدم والزكاة اى مطلق الصدقة لا زكاة المال لانها انما فرضت بالمدينة ٥ اى في السنة الثانية ومراده بالزكاة الطهارة قال عمرو ابن العاص للنجاشي فانهم يخالفونك في ابن مريم ولا يقولون انه ابن الله جل وعلا قال فما تقولون في ابن مريم وأمه قال نقول كما قال الله عز وجل روح الله وكلمته ألقاها الى مريم العذراء اى البكر البتول اى المنقطعة عن الازواج التي لم يمسها بشر ولم يفرضها اى يشقها او يخرج منها ولد اى غير عيسى صلى الله على نبينا وعليه وسلم فقال النجاشي يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان ما يزيدون على ما تقولون اشهد أنه رسول الله وانه الذي بشر به عيسى في الانجيل اى ومعنى كونه روح الله انه حاصل عن نفخة روح القدس الذي هو جبريل ومعنى كونه كلمة الله تعالى أنه قال له كن فكان اى حصل في حال القول وفي لفظ أن النجاشي قال لمن عنده من القسيسين والرهبان أنشدكم الله الذي أنزل الانجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى وبين يوم القيامة نبيا مرسلا اى صفته ماذكر هؤلاء فقالوا اللهم نعم قد بشرنا به عيسى فقال من آمن به فقد آمن بي ومن كفر به فقد كفر بي فعند ذلك قال النجاشي والله لولا ما أنا فيه من الملك لاتيته فأكون أنا الذي احمل نعله وأوضئه اى اغسل يديه وقال للمسلمين انزلوا حيث شئتم سيوم بأرضى اى آمنون بها وأمر لهم بما يصلحهم من الرزق وقال من نظر الى هؤلاء الرهط نظرة تؤذيهم فقد عصاني وفي لفظ ثم قال اذهبوا فأنتم آمنون من سبكم غرم قالها ثلاثا اى أربع دراهم

الى المدينة راجعا وكانت غيبته خمس عشرة ليلة وهذه أول غزواته صلى الله عليه وسلم * (غزوة بواط) * بفتح الباء وضمها وتخفيف الواو وآخره طاء جبل من جبال جهينة بقرب ينبع غزاها صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول وقيل الآخر على رأس ثلاثة عشر شهرا من الهجرة في مائتين من اصحابه المهاجرين لتعرض عير التجار قريش عدتهم ألفان وخمسمائة بعير فيها أمية بن خلف ومائة رجل من قريش فرجع صلى الله عليه وسلم ولم يلق كيدا اى حربا وكان اللواء بيد سعد بن ابى وقاص رضي الله عنه واستعمل على المدينة سعد بن معاذ رضي الله عنه * (غزوة العشيرة) * بضم العين المهملة مصغرا وبالشين أو بالسين آخره هاء بخلاف غزوة العسرة فهي غزوة تبوك وأما هذه فمنسوبة لموضع لبني مدلج بينبع خرج اليها صلى الله عليه وسلم في جمادى الاولى وقيل الآخرة على رأس ستة عشر شهرا من الهجرة في خمسين ومائة رجل وقيل في مائتي رجل من المهاجرين ومعهم ثلاثون بعيرا يعتقبونها يريد عير قريش التي صدرت من مكة الى الشأم بالتجارة وكانت قريش جمعت أموالها في تلك العير ويقال ان فيها خمسين ألف دينار وألف بعير وكان قائد تلك العير ابو سفيان بن حرب ومعه سبعة وعشرون وقيل تسعة وثلاثون رجلا منهم مخرمة بن نوفل وعمرو بن العاص رضي الله عنه فخرج اليها ليغنمها فوجدها قد مضت قبل ذلك بأيام وهي العير التي خرج اليها حين رجعت من الشأم فكان بسببها وقعة بدر وحمل اللواء حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه واستعمل على المدينة وضعفها أبا سلمة بن عبد الاسد المخزومي رضي الله عنه وصالح صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة بني مدلج بن كنانة وحلفاء بني ضمرة قال الواقدي ان هذه الغزوات الثلاث كان صلى الله عليه وسلم يخرج فيها لتلقي تجار قريش حين يمرون الى الشأم ذهابا وايابا وبسبب

وضعفها كما جاء فى بعض الروايات وأمر بهدية عمرو ورفيقه فردت عليهما وفى لفظ أن النجاشى قال ما أحب أن يكون لى دبرا من ذهب اى جبل وانى أوذى رجلا منكم ردوا عليهم هداياهم فلا حاجة لى بها فوالله ما أخذ الله تعالى منى الرشوة حين رد على ملكى فآخذ الرشوة وما أطاع الناس فى فأطيعهم فيه وكان النجاشى اعلم النصارى بما أنزل على عيسى وكان قيصر يرسل اليه علماء النصارى لتأخذ عنه العلم اى وقد بينت عائشة رضى الله تعالى عنها السبب فى قول النجاشى ما أخذ الله منى الرشوة حين رد على ملكى وهو أن والد النجاشى كان ملكا للحبشة فقتلوه وولوا أخاه الذى هو عم النجاشى فنشأ النجاشى فى حجر عمه لبيبا حازما وكان لعمه اثنا عشر ولدا لا يصلح واحد منهم للملك فلما رأت الحبشة نجابة النجاشى خافوا أن يتولى عليهم فيقتلهم بقتلهم لابيه فمشوا العمه فى قتله فابى واخرجه وباعه ثم لما كان عشاء تلك الليلة هرت على عمه صاعقة فمات فلما رأت الحبشة أن لا يصلح امرها الا النجاشى ذهبوا وجاؤا به من عند الذى اشتراه وعقدوا له التاج وملكوه عليهم فسار فيهم سيرة حسنة وفى رواية ما يقتضى ان الذى اشتراه رجل من العرب وانه ذهب به الى بلاده ومكث عنده مدة ثم لما مرج أمر الحبشة وضاق عليهم ماهم فيه خرجوا فى طلبه وأتوا به من عند سيده ويدل لذلك ما سيأتى عنه انه عند وقعة بدر ارسل خلف من عنده من المسلمين فدخلوا عليه فاذا هو قد لبس مسحا وقعد على التراب والرماد فقالوا له ماهذا أيها الملك فقال انا نجد فى الانجيل ان الله سبحانه وتعالى اذا أحدث بعبده نعمة وجب على العبد أن يحدث لله تواضعا وان الله تعالى قد أحدث الينا واليكم نعمة عظيمة وهى ان محمدا صلى الله عليه وسلم التقى هو واعداؤه بواد يقال له بدر كثير الاراك كنت أرعى فيه الغنم لسيدى وهو من بنى ضمرة وان الله تعالى قد هزم أعداءه فيه ونصر دينه وذكر السهيلى أن بكاءه عندما تليت عليه سورة مريم اى كما سيأتى حتى أخضل لحيته يدل على طول مكثه ببلاد العرب حتى تعلم من لسان العرب مافهم به تلك السورة قال وعن جعفر بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه لما نزلنا ارض الحبشة جاورنا خير جار وأمنا على ديننا وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيأ نكرهه فلما بلغ ذلك قريشا ائتمروا أن يبعثوا رجلين جلدين وأن يهدوا للنجاشى هدايا مما يستطرف من متاع مكة وكان أعجب ما يأتيه منها الادم فجمعوا له ادما كثيرا ولم يتركوا من بطارقته بطريقا الا اهدوا له هدية اى هيئوا الهدية ولا يخالف ما تقدم من ان الهدية كانت فرسا وجبة ديباج لانه يجوز ان يكون بعض الادم ضم الى تلك الفرس

ذلك كانت وقعة بدر وكذلك السرايا التى بعثها قبل بدر ثم رجع صلى الله عليه وسلم ولم يلق كيدا *(غزوة بدر الاولى)* قال ابن اسحق ولما رجع عليه الصلاة والسلام من غزوة العشيرة لم يقم الا ليالى حتى اغار كرز بن جابر الفهرى على سرح المدينة اى الابل والمواشى التى تسرح للمرعى بالغداة وكان كرز بن جابر من رؤساء المشركين ثم أسلم وصحب رضى الله عنه وأمر على سرية واستشهد فى فتح مكة فخرج صلى الله عليه وسلم حتى بلغ سفوان بفتح السين والفاء آخره نون موضع من ناحية بدر ففاته كرز بن جابر وتسمى بدر الاولى فرجع ولم يلق كيدا وكان اللواء بيد على بن ابى طالب رضى الله عنه واستعمل على المدينة زيد بن حارثة رضى الله عنه *(سرية أمير المؤمنين عبد الله ابن جحش رضى الله عنه)* الاسدى أحد السابقين الى الاسلام واستشهد بأحد رضى الله عنه روى ابو القاسم البغوى عن سعد بن ابى وقاص قال بعثنا صلى الله عليه وسلم فى سرية قال لابعثن عليكم رجلا أصبركم على الجوع والعطش فبعث علينا عبد الله بن جحش رضى الله عنه وسماه صلى الله عليه وسلم أمير المؤمنين فهو أول من تسمى فى الاسلام به ولا ينافيه القول بأن عمر رضى الله عنه أول من تسمى بامير المؤمنين لان المراد أول من تسمى بذلك من الخلفاء وكانت هذه الغزوة فى رجب على رأس سبعة عشر شهرا وكان معه ثمانية من المهاجرين وقيل اثنا عشر الى نخلة وهو موضع على ليلة من مكة بين مكة والطائف وكان يعتقب كل اثنين منهم بعيرا وكتب له صلى الله عليه وسلم كتابا وأمره أن لا ينظر اليه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه فيمضى لما أمره به ولا يستكره من اصحابه أحدا فلما سار يومين فتح الكتاب فاذا فيه اذا نظرت فى كتابى هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف فترصد بها قريشا وتعلم لنا من أخبارهم فقال سمعا وطاعة وأخبر

أصحابه انه نهاه ان يستكره احدا منهم ولم يتخلف منهم احد وسلك على الحجاز حتى اذا كان بعران بفتح الباء وضمها اضل سعد بن ابى وقاص وعتبة بن غزوان رضى الله عنهما بعيرهما الذى كانا يعتقبان عليه فتخلفا فى طلبه ومضى عبد الله واصحابه حتى نزلوا بنخلة يترصدون قريشا فمرت بهم عيرهم 454 تحمل زبيبا وأدما أى جلودا وتجارة من تجارات قريش فيها عمرو بن الحضرمى وعثمان ونوفل ابنا عبد الله المخزوميان والحكم بن كيسان فنزلوا قريبهم فهابوهم فارشدهم عبد الله بن جحش الى ما يزيل رعبهم فحلق بعض اصحابه رأسه وأشرف عليهم فلما رأوهم آمنوا وقالوا عمار اى معتمرون لا بأس عليكم منهم فقيدوا ركابهم وسرحوها وصنعوا طعاما فتشاور المسلمون وقالوا نحن فى آخر يوم من رجب أو فى أول يوم من شعبان اى شكوا فى اليوم أهو من الشهر الحرام أم لا فان قتلناهم هتكنا حرمة الشهر الحرام وان تركناهم دخلوا حرم مكة فامتنعوا به منا ثم شجعوا أنفسهم عليهم وأجمعوا على قتالهم اى قتل من قدروا عليه منهم فقتلوا عمرو بن الحضرمى رماه عبد الله ابن واقد بسهم فقتله واستأسروا عثمان بن عبد الله المخزومى والحكم بن كيسان وهرب من هرب واستاقوا العير فكانت أول غنيمة فى الاسلام وكان القتل أول قتل وقع نصرة للاسلام فقسمها عبد الله بن جحش رضى الله عنه بين اصحابه وعزل الخمس من ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم باجتهاد منه وقيل قدموا بالغنيمة كلها فقسمها النبى صلى الله عليه وسلم بعد غزوة بدر وقال لهم ورجونا لك النبى صلى الله عليه وسلم ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام فسقط فى أيدى القوم وظنوا انهم هلكوا وعنفهم اخوانهم فيما صنعوا وتكلمت قريش فقالوا ان محمدا سفك الدماء وأخذ المال فى الشهر الحرام وقالت اليهود تتفاءل بذلك عليه صلى الله عليه

والجبة للملك وبقية الادم فرق على اتباعه ليماونوهما على ماجا بصدده والاقتصار على الفرس والجبة فى الرواية السابقة لان ذلك خاص بالملك ثم بعثوا عمارة بن الوليد وعمرو بن العاص يطلبان من النجاشى ان يسلمنا اليهما اى قبل أن يكلمنا وحسن له بطارقته ذلك لانهما لما أوصلا هدايا هم اليهم قالوا لهم اذا نحن كلمنا الملك فيهم فاشيروا عليه بأن يسلمهم الينا قبل أن يكلمهم اى موافقة لما أوصت عليه قريش فقد ذكرانهم قالوا لهما ادفعوا لكل بطريق هدية قبل ان تكلما النجاشى فيهم ثم قدما للنجاشى هداياه ثم اسألاه ان يسلمهم اليكما قبل أن يكلمهم فلما جاآ الى الملك قالا له أيها الملك انه قد صبا الى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دينك وجاؤا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت أى جاءهم به رجل كذاب خرج فينا يزعم انه رسول الله ولم يتبعه منا الا السفهاء وقد بعثنا اليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم اليهم فهم أعلم بما عابوا عليهم فقال بطارقته صدقوا أيها الملك قومهم أعلم بهم فأسلمهم اليهما ليرداهم الى بلادهم وقومهم فغضب النجاشى وقال لاها الله اى لا والله لا أسلمهم ولا يكاد قوم يجاورنى ونزلوا بلادى واختارونى على من سواى حتى ادعوهم فأسألهم عما يقول هذان من أمرهم فان كان كما يقولان سلمتهم اليهما والا منعتهم منهما واحسنت جوارهم ما جاورونى ثم ارسل الينا ودعانا فلما دخلنا سلمنا فقال من حضره مالكم لا تسجدون للملك قلنا لا نسجد الا لله عز وجل فقال النجاشى ما هذا الدين الذى فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا فى دينى ولا فى دين أحد من الملل فقلنا ايها الملك كنا قوما اهل جاهلية نعبد الاصنام ونأكل الميتة ونأتى الفواحش ونقطع الارحام ونسيء الجوار ويأكل القوى الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله لنا رسولا كما بعث الرسل الى من قبلنا وذلك الرسول منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا الى الله تعالى لنوحده ونعبده ونخلع اى نترك ما كان يعبد آباؤنا من دونه من الحجارة والاوثان وأمرنا أن نعبد الله تعالى وحده وأمرنا بالصلاة اى ركعتين بالغداة وركعتين بالعشى والزكاة اى مطلق الصدقة والصيام اى ثلاثة أيام من كل شهر اى وهى البيض أو أى ثلاثة على الخلاف فى ذلك وأمرنا بصدق الحديث وأداء الامانة وصلة الارحام وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء اى ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به فعدا علينا قومنا ليردونا الى عبادة الاصنام واستحلال الخبائث فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا الى بلادك واخترناك على من سواك

ورجونالك أن لانظلم عندك يا أيها الملك فقال النجاشي لجعفر هل عندك مما جاء به شئ قلت نعم قال فاقرأه على فقرأت عليه صدرا من كهيعص فبكى والله النجاشي حتى اخضل اى بل لحيته وبكت أساقفته وفى لفظ هل عندك مما جاء به عن الله شئ فقال جعفر نعم قال فاقرأه على قال البغوى فقرأ عليهم سورة العنكبوت والروم ففاضت عيناه وأعين أصحابه بالدمع وقالوا زدنا يا جعفر من هذا الحديث الطيب فقرأ عليهم سورة الكهف فقال النجاشي هذا والله الذى جاء به موسى اى وفى رواية ان هذا والذى جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة اى وهذا كما قيل يدل على أن عيسى كان مقررا لما جاء به موسى وفى رواية بدل موسى عيسى ويؤيده مافى لفظ انه قال مازاد هذا على مافى الانجيل الا هذا العود لعود كان فى يده أخذه من الارض وفى لفظ أن جعفر قال للنجاشي سلهما أعبيد نحن أم أحرار فان كنا عبيدا أبقنا من أربابنا فارددنا اليهم فقال عمرو بل احرار فقال جعفر سلهما هل أهرقنا دما بغير حق فيقتص منا هل أخذنا أموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤه فقال عمرو لا فقال النجاشي لعمرو وعمارة هل لكما عليهما دين قالا لا قال انطلقا فوالله لا أسلمهم اليكما ابدا زاد فى رواية ولو اعطيتمونى ديرا من ذهب اى جبلا من ذهب ثم غدا عمرو الى النجاشي اى اتى اليه فى غد ذلك اليوم وقال له انهم يقولون فى عيسى قولا عظيما اى يقولون انه عبد الله اى وانه ليس ابن الله اى وفى لفظ ان عمرا قال للنجاشي أيها الملك انهم يشتمون عيسى وأمه فى كلامهم فاسألهم فذكر له جعفر ما تقدم فى الرواية الاولى هذا وعن عروة بن الزبير انما كان يكلم النجاشي عثمان بن عفان وهو حصر عجيب فليتأمل وروى الطبرانى عن ابى موسى الاشعرى بسند فيه رجال الصحيح ان عمرو بن العاص مكر بعمارة بن الوليد اى للعداوة التى وقعت بينه وبينه فى سفرهما اى من ان عمرو بن العاص كان معه زوجته وكان قصيرا دميما وكان عمارة رجلا جميلا فتعشق امرأة عمرو وهويته فنزل هو واياه فى السفينة فقال له عمارة مر امرأتك فلتقبلنى فقال له عمرو الا تستحى فأخذ عمارة عمرا ورمى به فى البحر فجعل عمرو يصيح وينادى أصحاب السفينة ويناشد عمارة حتى أدخله السفينة واضمرها عمرو فى نفسه ولم يبدها لعمارة بل قال لامرأته قبلى ابن عمك عمارة لتطيب بذلك نفسه فلما اتيا ارض الحبشة مكر به عمرو فقال أنت رجل جميل والنساء يحببن الجمال فتعرض لزوجة النجاشي لعلها ان تشفع لنا عنده ففعل عمارة ذلك وتكرر تردده عليها حتى اهدت اليه من عطرها اى ودخل عندها فلما رأى عمرو ذلك اتى النجاشي واخبره بذلك اى فقال له ان صاحبى هذا صاحب نساء وانه يريد أهلك وهو

وسلم عمرو بن الحضرمى قتله واقد بن عبد الله عمرو عمرت الحرب والحضرمى حضرت الحرب وواقد وقدت الحرب فجعل الله ذلك عليهم لا لهم وبعثت قريش تعير النبى صلى الله عليه وسلم بفعل اصحاب السرية فأنزل الله تعالى بعد ان أكثر الناس القول يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة يعنى الكفر أكبر من القتل فكان فى ذلك تأييد لما صدر من تلك السرية وفى ذلك يقول عبد الله ابن جحش رضى الله عنه

تعدون قتلا فى الحرام عظيمة
وأعظم منه لو يرى الرشد راشد
صدودكم عما يقول محمد
وكفر به والله راء وشاهد
واخراجكم من مسجد الله أهله
لئلا يرى لله فى البيت ساجد
فانا وان عيرتمونا بقتله
وأرجف بالاسلام باغ وحاسد
سقينا من ابن الحضرمى رماحنا
بنخلة لما أوقد الحرب واقد
دما وابن عبد الله عثمان بيننا
ينازعه غل من القيد عاقد

وبعثت قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فداء الاسيرين وهما عثمان بن عبد الله المخزومى والحكم بن كيسان فقال صلى الله عليه وسلم لا نفديكموهما حتى يقدم صاحبانا يعنى سعد بن ابى وقاص وعتبة بن غزوان المتخلفين فى طلب بعيرهما فان تقتلوهما نقتل صاحبيكم فقدم سعد وعتبة بعدها بأيام فأما الحكم بن كيسان فأسلم وحسن اسلامه وأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل يوم بئر معونة شهيدا وأما عثمان فلحق بمكة فمات بها كافرا ومن يضلل الله فلا هادى له وفى شهر رجب هذا حولت القبلة الى الكعبة بعد ان كانوا يصلون الى بيت المقدس وفى شعبان فرض صيام رمضان ثم زكاة الفطر وأما زكاة المال فقيل فرضت فى هذا الشهر أيضا وقيل سنة تسع وقيل قبل الهجرة والله اعلم * (غزوة بدر

الكبرى)* ويقال العظمى ويوم وقعة بدر هو يوم الفرقان المذكور فى قوله تعالى وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان لان الله تعالى فرق فيه بين الحق والباطل وهو يوم البطشة الكبرى المذكور فى قوله تعالى يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون فهو يوم أعز الله فيه الاسلام وقوى أهله ودمغ فيه الشرك وخرب محله مع قلة عدد المسلمين وكثرة العدو فهو آية ظاهرة على عناية الله تعالى بالاسلام وأهله مع ما كان العدو عليه من القوة بسوابغ الحديد والعدة الكاملة والخيل المسومة والخيلاء الزائدة أعز الله به رسوله وأظهر وحيه وتنزيله وبيض وجه النبى وقبيله وأخزى الشيطان وجيله ولهذا قال الله تعالى ممتنا على عباده المؤمنين وحزبه المتقين ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة اى قليل عددكم لتعلموا أن النصر انما هو من عند الله لا بكثرة العدد والعدد والحاصل أن هذه الغزوة كانت أعظم غزوات الاسلام اذ منها كان ظهوره وبعد وقوعها أشرق على الآفاق نوره ومن حين وقوعها أذل الله الكفار وأعز الله من حضرها من المسلمين فهو عند الله من الابرار فقد قال صلى الله عليه وسلم لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة أو فقد غفرت لكم وكان خروجهم يوم السبت لثنتى عشرة خلت من رمضان على رأس تسعة عشر شهرا وخرجت معه الانصار ولم تكن قبل ذلك خرجت معه وكان عدة البدريين ثلثمائة وثلاثة عشر أو وأربعة عشر أو وخمسة عشر وسبب هذه الغزوة التعرض للعير التى خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طلبها حتى بلغ العشيرة ووجدها سبقته فلم يزل مترقبا قفولها اى رجوعها من الشأم فعند قفولها ندب المسلمين اى دعاهم وقال هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا اليها لعل الله

عندها الآن فاعلم علم ذلك فبعث النجاشى فاذا عمارة عند امرأته فقال لولا انه جارى لقتلته ولكن سأفعل به ما هو شر من القتل فدعا بساحر فنفخ فى احليله نفخة طار منها هائما على وجهه مسلوب العقل حتى لحق بالوحوش فى الجبال الى أن مات على تلك الحال اه اى ومن شعر عمرو بن العاص يخاطب به عمارة بن الوليد

اذا المرء لم يترك طعاما يحبه * ولم ينه قلبا غاويا حيث يمما
قضى وطرا منه وغادر سبة * اذا ذكرت أمثالها تملأ الفما

ولا زال عمارة مع الوحوش الى أن كان موته فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وان بعض الصحابة وهو ابن عمه عبد الله بن ابى ربيعة فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قد استأذنه فى المسير اليه لعله يجده فأذن له عمر رضى الله تعالى عنه فسار عبد الله الى أرض الحبشة وأكثر النشدة عنه والفحص عن امره حتى اخبر أنه فى جبل يرد مع الوحوش اذا وردت ويصدر معها اذا صدرت فجاء اليه ومسكه فجعل يقول له ارسلنى والا أموت الساعة فلم يرسله فمات من ساعته وسيأتى بعد غزوة بدر انهم ارسلوا للنجاشى عمرو بن العاص أيضا وعبد الله بن ابى ربيعة هذا وكان اسمه قبل أن يسلم بجيرا فلما أسلم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله وابو ربيعة الذى هو ابو عبد الله كان يقال له ذو الرمحين وام عبد الله هى أم ابى جهل بن هشام فهو أخو ابى جهل لامه أرسلوهما اليه ليدفع اليهما من عنده من المسلمين ليقتلوهم فيمن قتل ببدر ومن العجب أن صاحب المواهب ذكر أن ارسال قريش لعمرو بن العاص وعبد الله بن ابى ربيعة ومعهما عمارة ابن الوليد فى الهجرة الاولى للحبشة وانما كان عمرو وعمارة فى الهجرة الثانية وابن ابى ربيعة انما كان مع عمرو بعد بدر كما علمت وان كان يمكن أن يكون عبد الله بن ابى ربيعة أرسلته قريش مرتين الا انه بعيد ويرده قول بعضهم ان قريشا أرسلت فى امر من هاجر الى الحبشة مرتين الاولى ارسلت عمرو بن العاص وعمارة والثانية أرسلت عمرو بن العاص وعبد الله بن ابى ربيعة فليتأمل ومكث بنو هاشم فى الشعب ثلاث سنين وقيل سنتين فى أشد ما يكون من البلاء وضيق العيش وولد عبد الله بن عباس فى الشعب فمن قريش من سره ذلك ومنهم من ساءه وقالوا انظروا ما أصاب كاتب الصحيفة اى من شلل يده كما تقدم وصار لا يقدر أحد أن يوصل اليهم طعاما ولا أدما حتى ان أبا جهل لقى حكيم بن حزام ومعه غلام يحمل قمحا يريد عمته خديجة زوج النبى صلى الله عليه وسلم وهى معه فى الشعب فتعلق به وقال أتذهب بالطعام الى بنى هاشم والله لا تذهب أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة فقال له ابو البخترى ابن هشام مالك

وماله

وماله فقال أبو جهل ان هذا يحمل الطعام لبني هاشم فقال أبو البختري طعام كان لعمته عنده أفتمنعه أن يأتيها خل سبيل الرجل فأبى أبو جهل حتى نال أحدهما من صاحبه فأخذ أبو البختري لحى بعير اى العظم الذى تنبت عليه الاسنان فضربه فشجه ووطئه وطأ شديدا وأبو البختري بالحاء المهملة وفي مختصر أسد الغابة بالخاء المعجمة ممن قتل ببدر كافرا وحتى ان هاشم بن عمرو بن الحرث العامري رضي الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك أدخل عليهم في ليلة ثلاثة أجمال طعاما فعلمت بذلك قريش فمشوا اليه حين أصبح وكلموه في ذلك فقال انى غير عائد لشئ خالفكم ثم ادخل عليهم ثانيا جملا وقيل جملين فعلمت به قريش فغالظته اى أغلظت له القول وهمت به فقال أبو سفيان بن حرب دعوه وصل رحمه اما انى احلف بالله لو فعلنا مثل ما فعل كان أحسن بنا وكان أبو طالب في كل ليلة يأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي فراشه و يضطجع به فاذا نام الناس اقامه وأمر أحد بنيه أو غيرهم اى من اخوته او بني عمه ان يضطجع مكانه خوفا عليه أن يغتاله احد ممن يريد به السوء اى وفي الشعب ولد عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما ثم اطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم على أن الارضة اى وهي سوسة تأكل الخشب اذا مضى عليها سنة نبت لها جناحان تطير بهما وهي التي دلت الجن على موت سليمان على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام أكلت ما في الصحيفة من ميثاق وعهد اى الالفاظ المتضمنة للظلم وقطيعة الرحم ولم تدع فيها اسما لله تعالى الا أثبتته فيها وفي رواية ولم تترك الارضة في الصحيفة اسما لله عز وجل الا لحسته وبقي ما فيها من شرك اوظلم او قطيعة رحم اى والرواية الاولى أثبت من الثانية قال وجمع بين الروايتين بانهم كتبوا نسخا فأكلت الارضة من بعض النسخ اسم الله تعالى وأكلت من بعض النسخ ما عدا اسم الله تعالى لئلا يجتمع اسم الله تعالى مع ظلمهم انتهى اى والتي علقت في الكعبة هي التي لحست تلك الدابة ما فيها من اسم الله تعالى كما يدل عليه ما يأتي فذكر ذلك لعمه أبي طالب فقال له عمه والثواقب اى النجوم لانها تثقب الشياطين وقيل التي تضيء لانها تثقب الظلام بضوئها وقيل الثريا خاصة لانها أشد النجوم ضوأ ما كذبتني قط اى ما حدثتني كذبا وفي رواية انه قال له اربك أخبرك بهذا الخبر قال نعم فانطلق في عصابة اى جماعة من قومه اى من بني هاشم و بني المطلب ٥ اى وفي رواية أن أبا طالب لما ذكر ذلك لاهله قالوا له فما ترى قال أرى أن تلبسوا أحسن ثيابكم وتخرجوا الى قريش فتذكروا ذلك لهم قبل ان يبلغهم الخبر فخرجوا حتى أتوا المسجد على خوف من قريش فلما رأتهم قريش ظنوا انهم خرجوا من

أن تملكوها فانتدب ناس اى أجابوا وثقل آخرون لظنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرد حربا ولم يحتفل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم اى لم يهتم بها بل قال من كان ظهره اى ما يركبه حاضرا فليركب معنا ولم ينتظر من كان ظهره غائبا عنه وكان أبو سفيان لقي رجلا فأخبره انه صلى الله عليه وسلم قد كان عرض لعيره في بدايته وانه ينتظر رجوع العير فلما رجع وقرب العير من أرض الحجاز صار يتحسس الاخبار و يبحث عنها و يسأل من لقي من الركبان تخوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع من بعض الركبان انه صلى الله عليه وسلم استنفر أصحابه لك ولعيرك فخاف خوفا شديدا فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري بعشرين مثقالا ليأتي مكة وان يجدع بعيره ويحول رحله ويشق قميصه من قبله ومن دبره اذا دخل مكة و يستنفر قريشا و يخبرهم ان محمدا قد عرض لعيرهم هو واصحابه وكانت تلك العير فيها أموال قريش حتى قيل انه لم يبق بمكة قرشي ولا قرشية له مثقال فصاعدا الا بعث به في تلك العير الا حويطب بن عبد العزى و يقال ان في تلك العير خمسين ألف دينار وألف بعير وتقدم ان قائدها أبو سفيان وكان معه مخرمة بن نوفل وعمرو بن العاص وكان جملة من معه سبعة وعشرين وقيل انها تسعة وثلاثون رجلا فخرج ضمضم سريعا الى مكة وقبل أن يقدم بثلاث ليال رأت عاتكة بنت عبد المطلب عمة النبي صلى الله عليه وسلم وهي مختلف

في اسلامها رؤيا افزعتها فبعثت الى أخيها العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه فقالت له يا أخي والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفظعتني اى اشتدت علي وتخوفت ان يدخل على قومك منها شر ومصيبة فاكتم عني ما أحدثك وفي رواية قالت له لن أحدثك حتى تعاهدني ان لا تذكرها فانهم ان سمعوها تعني كفار قريش آذونا واسمعونا ما لا نحب فعاهدها

العباس ثم قال لها ما رأيت قالت رأيت راكبا اقبل على بعير له حتى وقف بالابطح ثم صرخ بأعلى صوته ألا انفروا يا آل غدر الى مصارعكم فى ثلاث اى بعد ثلاثة أيام وقوله يا آل غدر معناه يا أصحاب الغدر وعدم الوفاء قالت فأرى الناس اجتمعوا اليه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فبينما هم حوله قالت رأيت بعيره مثل به اى انتصب به على ظهر الكعبة ثم صرخ بمثلها ثم مثل به بعيره على رأس أبى قبيس فصرخ بمثلها ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوى حتى اذا كانت بأسفل الجبل ارفضت اى تكسرت فما بقى بيت من بيوت مكة ولا دار الا دخلها منها فلقة فقال لها العباس والله ان هذه لرؤيا اى عظيمة وانت فاكتميها ولا تذكريها لاحد ثم خرج العباس فلقى الوليد بن عتبة وكان صديقا له فذكرها له واستكتمه فذكرها الوليد لابيه فتحدث بها ففشا الحديث قال العباس فغدوت لاطوف بالبيت وأبو جهل بن هشام فى رهط من قريش قعود يتحدثون برؤيا عاتكة فلما رآنى ابو جهل قال يا أبا الفضل اذا فرغت من طوافك فأقبل الينا فلما فرغت أقبلت حتى جلست معهم فقال ابو جهل يا بنى عبد المطلب متى حدثت فيكم هذه النبية قال قلت وما ذاك قال الرؤيا التى رأت عاتكة قلت وما رأت قال يا بنى عبد المطلب أما رضيتم ان يتنبأ رجالكم حتى يتنبأ نساؤكم وفى رواية ما رضيتم يا بنى هاشم بكذب الرجال حتى جئتمونا بكذب النساء ثم قال أبو جهل وقد زعمت عاتكة فى رؤياها انه قال انفروا فى ثلاث فسنتربص بكم هذه الثلاث فان يكن حقا ما تقول فسيكون وان تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شئ نكتب عليكم كتابا انكم أكذب اهل بيت فى العرب قال العباس فوالله ما كان منى اليه كبير أمر الا انى جحدت ذلك وانكرت ان تكون رأت شيأ وفى رواية ان العباس قال لابى جهل هل أنت منته يا مصفر

بنت

شدة البلاء ليسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل فتكلم معهم أبو طالب وقال جرت أمور بيننا وبينكم فأتوا بصحيفتكم التى فيها مواثيقكم فلعله ان يكون بيننا وبينكم صلح اى مخرج يكون سببا للصلح وانما قال أبو طالب ذلك خشية أن ينظروا فى الصحيفة قبل ان يأتوا بها اى فلا يأتون بها فأتوا بصحيفتهم لا يشكون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدفع اليهم اى لانه الذى وقعت عليه العهود والمواثيق فوضعوها بينهم وقالوا لابى طالب اى توبيخا له ولمن معه قد آن لكم ان ترجعوا عما أحدثتم علينا وعلى أنفسكم فقال أبو طالب انما أتيتكم فى أمر نصف بيننا وبينكم اى أمر وسط لا حيف فيه علينا ولا عليكم ان ابن أخى أخبرنى أن هذه الصحيفة التى فى أيديكم قد بعث الله تعالى عليها دابة لم تترك فيها اسما من أسماء الله تعالى الا لحسته وتركت فيها غدركم وتظاهركم علينا بالظلم (اقول) هذه على الرواية الثانية واما على الرواية الاولى التى هى أثبت فيكون قوله لم تترك اسما الا أبقته ولحست مواثيقكم وعهدكم ثم رأيت ابن الجوزى ذكر ذلك فقال ان أبا طالب قال ان ابن أخى قد أخبرنى ولم يكذبنى قط ان الله تعالى قد سلط على صحيفتكم التى كتبتم الارضة فلحست كل ما كان فيها من جور أو ظلم أو قطيعة رحم وبقى فيها كل ما ذكر به الله تعالى وفى الينبوع ان أبا طالب قال لما حضرت الصحيفة ان صحيفتكم هذه صحيفة اثم وقطيعة رحم وان ابن أخى أخبرنى ان الله تعالى سلط عليها الارضة فلم تدع ما كتبتم الا باسمك اللهم والله أعلم قال أبو طالب فان كان الحديث كما يقول فأفيقوا اى وفى رواية نزعتم اى رجعتم عن سوء رأيكم اى وان لم ترجعوا فوالله لا نسلمه حتى نموت من عند آخرنا وان كان الذى يقول باطلا دفعنا اليكم صاحبنا فقتلتم واستحييتم فقالوا قد رضينا بالذى تقول اى وفى رواية أنصفتنا ففتحوا الصحيفة فوجدوا الامر كما أخبر به الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم فلما رأت قريش صدق ما جاء به ابو طالب قالوا اى قال أكثرهم هذا سحر ابن أخيك وزادهم ذلك بغيا وعدوانا وبعضهم ندم وقال هذا بغى منا على اخواننا وظلم لهم اى وقد جاء ان أبا طالب قال لهم اى بعد ان وجدوا الامر كما أخبر به صلى الله عليه وسلم يا معشر قريش علام نحصر ونحبس وقد بان الامر وتبين انكم أولى بالظلم والقطيعة والاساءة ودخلوا بين أستار الكعبة وقالوا اللهم انصرنا على من ظلمنا وقطع أرحامنا واستحل ما يحرم عليه منا ثم انصرفوا الى الشعب وعند ذلك مشى طائفة منهم وهم خمسة فى نقض الصحيفة اى ما تضمنته وهم هشام بن عمرو بن الحرث وزهير بن أمية ابن عمته صلى الله عليه وسلم عاتكة

اشته اى يا أبون أو يا جبان فان الكذب فيك وفى أهل بيتك فقال من حضرهما ما كنت يا أبا الفضل جهولا ولا خرقا ثم ان العباس لقى من أخته عاتكة أذى شديدا حين أفشى من حديثها قال العباس فلما أمسيت لم تبق امرأة من بنى عبد المطلب الا أتتنى تقول لى أقررتم لهذا الفاسق الخبيث ان يقع فى رجالكم ثم قد تناول النساء وأنت تسمع ثم لم يكن عندك غيرة لشئ مما سمعت فقلت لهن وايم الله لاتعرضن له وان عاد قتلته فغدوت فى اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا مغضب أرى انى قد فاتنى منه أمر احب ان أدركه منه فدخلت المسجد فرأيته فوالله انى لامشى نحوه أتعرضه ليعود الى بعض ما قال فأوقع به اذ هو قد خرج نحو باب المسجد يشتد اى يعدو فقلت فى نفسى ماله لعنه الله أكل هذا الفرق اى الخوف منى فاذا هو يسمع مالم أسمع صوت ضمضم بن عمرو الغفارى وهو يصرخ ببطن الوادى واقفا على بعيره قد جدع بعيره اى قطع أنفه وأذنه وحول رحله وشق قميصه وهو يقول يامعشر قريش اللطيمة اللطيمة اى ادركوا اللطيمة وهى العير التى تحمل الطيب والبز أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد فى أصحابه لا أرى ان تدركوها وفى لفظ ان أصابها محمد لن تفلحوا أبدا الغوث الغوث قال العباس فشغلنى عنه وشغله عنى ما جاء من الامر فتجهز الناس سراعا وفزعوا أشد الفزع وخافوا من رؤيا عاتكة ويروى انهم قالوا أيظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمى والله ليعلمن غير ذلك فكانوا بين رجلين اما خارج واما باعث مكانه رجلا وأعان قويهم ضعيفهم وقام اشراف قريش يحضون الناس على الخروج وقال سهيل بن عمرو أتاركون أنتم محمدا والصباة من أهل يثرب يأخذون أموالكم من أراد مالا فهذا مالى ومن أراد قوة فهذى قوتى ولم يتخلف من اشراف قريش الا أبو لهب خوفا

بنت عبد المطلب وقد أسلم بعد ذلك كالذى قبله كما تقدم والمطعم بن عدى مات كافرا كما تقدم وابو البخترى بن هشام قتل ببدر كافرا كما تقدم وزمعة بن الاسود قتل ببدر كافرا واختلف فى كاتب الصحيفة فعند ابن سعد أنه بغيض بن عامر فشلت يده ولم يعرف له اسلام وعند ابن اسحق ان الكاتب لها هشام بن عمرو المتقدم ذكره قال وقيل ان الكاتب لها منصور بن عكرمة اى فشلت يده فيما يزعمون كذا فى النور نقلا عن سيرة ابن هشام وقيل النضر بن الحرث فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فشلت بعض أصابعه وهو ممن قتل على كفره منصرفه صلى الله عليه وسلم من بدر وقيل الكاتب لها طلحة بن أبى طلحة العبدرى قال ابن كثير رحمه الله والمشهور انه منصور ويجمع بين هذه الاقوال باحتمال ان يكون كتب بها نسخ اى فكل كتب نسخة انتهى اى وينبغى أن يكون الذى شلت يده هو كاتب الصحيفة التى علقت فى الكعبة ولعلها هى التى كتبت أولا والى أكل الارضة الصحيفة والى عد الخمسة الذين سعوا فى نقض الصحيفة أشار صاحب الهمزية بقوله

فديت خمسة الصحيفة بالخمـ * ـسة اذ كان للكرام فداء
فتية بيتوا على فعل خير * حمد الصبح أمره والمساء
يالامر أتاه بعد هشام * زمعة انه الفتى الاتاء
وزهير والمطعم بن عدى * وأبو البخترى من حيث شاؤا
نقضوا مبرم الصحيفة اذ شد * ت عليه من العدا الانداء
أذكرتنا بأكلها أكل منسا * ة سليمان الارضة الخرساء
وبها أخبر النبى وكم أخر * ج خبأ له الغيوب خباء

اى فديت خمسة الصحيفة اى الناقضين لها بالخمسة المستهزئين السابق ذكرهم فتية بيتوا اى تراودوا وتشاوروا وتناجوا ليلا على فعل خير وهو نقض الصحيفة حمد الصباح والمساء منهم ذلك الفعل يالامر عظيم وهو نقض الصحيفة أتاه بعد هشام زمعة بن الاسود وانه الكريم فى قومه الاتاء اى المبالغ فى ايتاء الخير وأتاه زهير وأتاه المطعم بن عدى وأتاه أبو البخترى من المكان الذى قصدوه فنقضوا مبرم الصحيفة اى الامر الذى أبرمته أذكرتنا الارضة الخرساء بأكلها تلك الصحيفة منسأة اى عصى سليمان وبأكلها للصحيفة أخبر النبى صلى الله عليه وسلم ومرات كثيرة أخرج صلى الله عليه وسلم شيأ مخبأ الغيوب له ساترة والمراد ان كل واحد من هؤلاء الخمسة الذين نقضوا الصحيفة فدى

من رؤيا عاتكة وكان يقول رؤيا عاتكة كأخذ بيد أي صادقة لا تتخلف وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة استأجره بأربعة آلاف درهم كانت له عليه دينا فأفلس بها فقال له اخرج وديني لك وهشام هذا قتل كافرا في هذه الغزوة قتله عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأراد التخلف أمية

بن خلف وكان شيخا جسيما ثقيلا فجاء اليه وهو جالس مع قومه عقبة بن أبي معيط بمجمرة فيها بخور يحملها حتى وضعها بين يديه ثم قال له يا أبا علي استجمر فانما أنت من النساء فقال له قبحك الله وقبح ما جئت به وكان عقبة سفيها وكان أبو جهل هو الذي سلط عقبة على ذلك وجاء أبو جهل امية بن خلف فقال له يا أبا صفوان انك متى يراك الناس قد تخلفت وانت سيد اهل الوادي وفي رواية من اشراف الوادي تخلفوا معك فسر يوما أو يومين فتجهز أمية مع الناس وسبب ارادته التخلف ان سعد بن معاذ قدم مكة معتمرا فنزل على امية لان امية كان اذا قدم المدينة للذهاب الى الشأم في تجارته ينزل على سعد فقال سعد لامية انظر لي ساعة لعلي أطوف بالبيت فقال امية لسعد اذا انتصف النهار فبينما سعد يطوف اذ أتاه ابو جهل فقال من هذا الذي يطوف فقال له سعد انا سعد بن معاذ فقال له أبو جهل أتطوف بالكعبة آمنا وقد آويتم محمدا وأصحابه وفي لفظ آويتم الصباة وزعمتم انكم تنصرونهم وتعينونهم اما والله لولا انك مع ابي صفوان ما رجعت الى اهلك سالما فتلاحيا اي تخاصما وسعد يرفع صوته فصار أمية يقول لسعد لا ترفع صوتك على أبي الحكم فانه سيد أهل الوادي وجعل يسكته فقال سعد لامية اليك عني فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه قاتلك قال اياي قال نعم قال بمكة قال سعد لا أدري قال أمية والله ما كذب محمد فكاد يحدث اي يبول في ثيابه فزعا فرجع الى امرأته فقال ما تعلمين

يا أولئك الخمسة المستهزئين من الاذى الذي أصابهم المتقدم ذكره فلا ينافي ان بعض هؤلاء الذين نقضوا الصحيفة مات كافرا قال جاء ان هشام بن عمرو بن الحرث رضي الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك كما تقدم مشى الى زهير بن أمية بن عاتكة بنت عبد المطلب رضي الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك أيضا كما تقدم فقال له يا زهير أرضيت ان تأكل الطعام وتلبس الثياب واخوالك قد علمت لا يباعون ولا يبتاعون فقال ويلك يا هشام فماذا أصنع انما أنا رجل واحد والله لو كان معي رجل آخر لقمت لانقضها يعني الصحيفة قال وجدت رجلا قال من هو قال أنا فقال زهير ابغنا رجلا ثالثا فذهب الى المطعم بن عدي فقال له يا مطعم أرضيت ان يهلك بطنان من بني عبد مناف يعني بني هاشم وبني المطلب وانت شاهد على ذلك فقال له ويحك ماذا أصنع انما أنا رجل واحد قال قد وجدت ثانيا قال من هو قلت أنا قال ابغنا ثالثا قال قد فعلت قال من هو قلت زهير بن أمية قال ابغنا رابعا فذهبت الى ابي البختري بن هشام فقلت له نحوا مما قلت للمطعم فقال وهل معين على هذا الامر قلت نعم قال من هو قلت زهير بن أمية والمطعم بن عدي وانا معك قال ابغنا خامسا فذهبت الى زمعة بن الاسود فكلمته فقال وهل من احد يعين على ذلك فسميت له القوم ثم ان هؤلاء اجتمعوا ليلا عند الحجون وأجمعوا امرهم وتعاهدوا على القيام في نقض الصحيفة حتى ينقضوها وقال زهير أنا أبدؤكم فأكون اول من يتكلم فلما أصبحوا غدوا الى أنديتهم وغدا زهير وعليه حلة فطاف بالبيت ثم اقبل على الناس فقال يا اهل مكة أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم اي والمطلب هلكى لا يباعون ولا يبتاع منهم والله لا اقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة فقال ابو جهل كذبت والله لا تشق قال زمعة بن الاسود انت والله أكذب ما رضينا كتابتها حين كتبت قال ابو البختري صدق زمعة قال المطعم صدقتما وكذب من قال غير ذلك نبرأ الى الله تعالى منها ومما كتب فيها وقال هشام بن عمرو نحوا من ذلك فقال ابو جهل هذا امر قضي بليل فقام المطعم بن عدي الى الصحيفة فشقها انتهى اي وهذا يدل للرواية الدالة على ان الارضة لحست اسم الله تعالى واثبتت ما فيها من العهود والمواثيق والا فبعد امحاء ذلك منها لا معنى لشقها وفي كلام بعضهم يحتمل ان ابا طالب انما اخبرهم بعد سعيهم في نقضها قال ابن حجر الهيتمي ويبعده ان الاخبار بذلك حينئذ ليس له كبير جدوى وقام هؤلاء الخمسة ومعهم جماعة ولبسوا السلاح ثم خرجوا الى بني هاشم وبني المطلب فأمروهم بالخروج الى مساكنهم ففعلوا

*(باب

(باب ذكر خبر وفد نجران)

ثم قدم عليه صلى الله عليه وسلم وهو بمكة وفد نجران وهم قوم من النصارى ونجران بلدة بين مكة واليمن على نحو من سبع مراحل من مكة كانت منزلا للنصارى وكانوا نحو عشرين رجلا حين بلغهم خبره ممن هاجر من المسلمين الى الحبشة فوجدوه صلى الله عليه وسلم فى المسجد فجلسوا اليه وسألوه وكلموه ورجال من قريش فى أنديتهم حول الكعبة ينظرون اليهم فلما فرغوا من مسئلة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ارادوا دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الله تعالى وتلا عليهم القرآن فلما سمعوه فاضت اعينهم من الدمع ثم استجابوا له وآمنوا به وعرفوا منه ما هو موصوف به فى كتابهم فلما قاموا عنه اعترضهم ابو جهل فى نفر من قريش فقالوا لهم خيبكم الله من ركب بعثكم من وراءكم من اهل دينكم ترتادون اى تنظرون الاخبار لهم لتأتوهم بخبر الرجل فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم فصدقتموه بما قال لا نعلم ركبا أحمق اى اقل عقلا منكم فقالوا لهم سلام عليكم لا نجاهلكم لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه ويقال نزل فيهم قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب الى قوله لا نبتغى الجاهلين ونزل قوله تعالى واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق * وذكر فى الوفاء وفود ضماد الازدى عليه صلى الله عليه وسلم فقال عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن ضمادا قدم مكة وكان من أزد شنوأة وكان يرقى من الريح اى ولعل المراد به اللمة من الجن فسمع سفهاء من اهل مكة يقولون ان محمدا مجنون فقال لو أنى رأيت هذا الرجل لعل الله أن يشفيه على يدى قال فأتيته فقلت يا محمد انى أرقى من الريح فان الله يشفى على يدى من شاء فهل لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحمد لله نحمده ونستعينه من يهدى الله فلا مضل له ومن يضلل الله فلا هادى له وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله فقال له ضماد أعد على كلماتك هؤلاء فأعادهن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات فقال لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء هات يدك أبايعك على الاسلام فبايعه وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى قومك قال وعلى قومى

(باب ذكر وفاة عمه أبى طالب وزوجته صلى الله عليه وسلم خديجة رضى الله تعالى عنها)

اتفق انهما ماتا فى عام واحد اى بعد خروج بنى هاشم والمطلب من الشعب بثمانية

ما قال أخى اليثربى يعنى سعد بن معاذ قالت وماذاك قال زعم انه سمع محمدا يزعم انه قاتلى قالت والله ما كذب محمد فلما جاء الصريخ واراد الخروج قالت له امرأته اما علمت ما قال لك اخوك اليثربى قال فانى لا أخرج فلما صمم على عدم الخروج بل اقسم بالله لا يخرج من مكة اتاه عقبة بن أبى معيط بالمجمرة وقال له أبو جهل ما قال كما تقدم فخرج ناويا ان يرجع عنهم ومعنى كونه صلى الله عليه وسلم قاتله انه كان صلى الله عليه وسلم سببا فى قتله والا فهو صلى الله عليه وسلم لم يباشر الاقتل أخى أمية وهو ابى بن خلف فى غزوة احد كما سيأتى ان شاء الله تعالى ومن ثم جاء فى رواية أن سعد بن معاذ قال لامية ان اصحابه يعنى النبى صلى الله عليه وسلم يقتلونك واستقسم بالازلام جماعة فخرج لهم ما يكرهون منهم امية بن خلف وعتبة بن ربيعة واخوه شيبة وزمعة بن الاسود وحكيم بن حزام فلما خرج لهم القدح الناهى المكتوب عليه لا تفعل اجمعوا على المقام وعدم الخروج فجاءهم أبو جهل وازعجهم وحثهم على الخروج واعانه على ذلك عقبة بن أبى معيط والنضر بن الحرث يروى أن عداسا الذى اجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم بالطائف واسلم على يديه كما تقدم قال لسيديه عتبة وشيبة ابنى ربيعة بأبى وأمى أنتما والله ما تساقان الا لمصارعكما فأرادا عدم الخروج فلم يزل بهما أبو جهل حتى خرجا عازمين على العود عن الجيش ولما فرغوا من جهازهم وكان ذلك فى ثلاثة أيام وقيل فى يومين وأجمعوا السير اى عزموا عليه وكانوا خمسين وتسعمائة وقيل كانوا ألفا وقادوا معهم من الخيل مائة فرس عليها مائة درع سوى دروع المشاة وكان حامل لوائهم السائب بن يزيد ثم أسلم رضى الله عنه وهو الاب الخامس للامام الشافعى رضى الله عنه وخرجوا على الصعب والذلول لشدة اسراعهم ومعهم القيان وهن الاماء المغنيات

يضربن بالدفوف يغنين بهجاء المسلين وهم فى غاية من البطر والخيلاء حين خروجهم كما قال تعالى خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط وكان المطعمون لهذا الجيش اثنى عشر رجلا كل واحد منهم ينحر كل يوم عشر جزر وفيهم أنزل الله ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون وهؤلاء الاثنا عشر هم أبو جهل وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وحكيم بن حزام والعباس بن عبد المطلب وأبو البخترى وزمعة بن الاسود وأبى ابن خلف وامية بن خلف والنضر ابن الحرث ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وقيل الآية المذكورة نزلت فى الذين انفقوا أموالهم لتجهيز الجيش الذى قاتلوا به النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد وقيل فى هؤلاء وهؤلاء ولما ارادوا الخروج من مكة كان بينهم وبين كنانة دماء لان قريشا كانت قتلت شخصا من كنانة فرشاب وضى من قريش بكنانة فقتلوه ثم ان اخا المقتول ظفر بعامر سيد كنانة بمر الظهران فقتله وجاء بسيفه وعلقه باستار الكعبة فلما أصبحت قريش رأت سيف عامر فعرفوه وعرفوا قاتله فكاد ذلك يصرفهم عن الخروج خوفا من كنانة لكون طريقهم فى المسير عليهم وخافوا أن يخلفوهم على ديارهم بشئ يكرهونه فجاءهم ابليس لعنه الله فى صورة سراقة ابن مالك المدلجى الكنانى وكان من اشراف بنى كنانة وقال لهم انا لكم جار من ان يأتيكم كنانة من خلفكم بشئ تكرهونه وخرج معهم ابليس ووعدهم أن بنى كنانة قد اقبلوا لنصرهم وحسن لهم الامر وقربه لهم وهونه عليهم كما قال تعالى واذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم ثم بعد ان خرج ضمضم الى أهل مكة استنفذهم ابى سفيان فاخذ طريق الساحل وجد فى السير

وعشرين يوما والى موتهما فى عام واحد أشار صاحب الهمزية بقوله

وقضى عمه أبو طالب والد * هر فيه السراء والضراء
ثم ماتت خديجة ذلك العا * م ونالت من أحمد المناء

وذلك قبل الهجرة الى المدينة بثلاث سنين وبعد مضى عشر سنين من بعثته صلى الله عليه وسلم اى من مجئ جبريل عليه السلام بالوحى وهو يرد قول ابن اسحق ومن تبعه ان خديجة رضى الله تعالى عنها ماتت بعد الاسراء وأفاد كلام صاحب الهمزية أن موت خديجة كان بعد موت أبى طالب وقيل كانت وفاة خديجة رضى الله تعالى عنها قبل أبى طالب بخمس وثلاثين ليلة وقيل بعده بثلاثة أيام ويؤيد ما فى الهمزية قول الحافظ عماد الدين بن كثير المشهور انه مات قبل خديجة رضى الله تعالى عنها اى بثلاثة أيام ودفنت بالحجون ونزل صلى الله عليه وسلم فى حفرتها ولها من العمر خمس وستون سنة ولم تكن الصلاة على الجنازة شرعت ○ وذكر الفاكهانى المالكى فى شرح الرسالة أن صلاة الجنازة من خصائص هذه الامة لكن ذكر ما يخالفه فى الشرح المذكور حيث قال وروى ان آدم عليه السلام لما توفى أتى بحنوط وكفن من الجنة ونزلت الملائكة فغسلته وكفنته فى وتر من الثياب وحنطوه وتقدم ملك منهم فصلى عليه وصلت الملائكة خلفه ثم أقبروه وألحدوه ونصبوا اللبن عليه وابنه شيث عليه الصلاة والسلام الذى هو وصيه معهم فلما فرغوا قالوا له هكذا فاصنع بولدك واخوتك فانها سنتكم هذا كلامه اى ويبعد انه لم يفعل ذلك بعد القول المذكور له ويحتمل ان المراد بالصلاة مجرد الدعاء لا هذه الصلاة المعروفة المشتملة على التكبير لكن يبعده ما فى العرائس عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن آدم لما مات قال ولده شيث لجبريل صل عليه فقال له جبريل بل أنت تقدم فصل على أبيك فصلى عليه وكبر ثلاثين تكبيرة وقد أخرج الحاكم نحوه مرفوعا وقال صحيح الاسناد ومنه تعلم ان الغسل والتكفين والصلاة والدفن والحد من الشرائع القديمة بناء على أن المراد بالصلاة الصلاة المشتملة على التكبير لا مجرد الدعاء وحينئذ لا يحسن القول بأن صلاة الجنازة من خصائص هذه الامة الا أن يقال لا يلزم من كونها من الشرائع القديمة أن تكون معروفة لقريش اذ لو كانت كذلك لفعلوا ذلك وسيأتى عنهم انهم لم يفعلوا ذلك وأيضا لو كانت معروفة لهم لصلى صلى الله عليه وسلم على خديجة ومن مات قبلها من المسلمين كالسكران ابن عم سودة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها الذى هو زوجها وسيأتى أنه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة وجد البراء بن معرور قد مات

فذهب هو وأصحابه فصلى على قبره وانها أول صلاة صليت على الميت فى الاسلام ومعرور معناه فى الاصل مقصود لا يقال يجوز ان يكون المراد بتلك الصلاة مجرد الدعاء لانا نقول قد جاء انه كبر فى صلاته أربعا وقد روى هذه الصلاة تسعة من الصحابة ذكرهم السهيلى وسيأتى عن الامتاع لم أجد فى شئ من السير متى فرضت صلاة الجنازة ولم ينقل انه صلى الله عليه وسلم صلى على أسعد بن زرارة وقد مات فى السنة الاولى ولا على عثمان بن مظعون وقد مات فى السنة الثانية (وفى كلام بعضهم) صلاة الجنازة فرضت فى السنة الاولى من الهجرة وأول من صلى عليه صلى الله عليه وسلم أسعد بن زرارة فليتأمل وفى كلام بعضهم كانوا فى الجاهلية يغسلون موتاهم وكانوا يكفنونهم ويصلون عليهم وهو أن يقوم ولى الميت بعد أن يوضع على سريره ويذكر محاسنه كلها ويثنى عليه ثم يقول عليك رحمة الله ثم يدفن اى وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى ذلك العام عام الحزن ولزم بيته وأقل الخروج وكانت مدة اقامتها معه صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة على الصحيح (ويذكر) أنه صلى الله عليه وسلم دخل على خديجة رضى الله تعالى عنها وهى مريضة فقال لها يا خديجة أتكرهين ما أرى منك وقد يجعل الله فى الكره خيرا أشعرت ان الله قد اعلمنى انه سيزوجنى وفى رواية اما علمت ان الله قد زوجنى معك فى الجنة مريم ابنة عمران وكلثم أخت موسى وهى التى علمت ابن عمها قارون الكيمياء وآسية امرأة فرعون فقالت آلله اعلمك بهذا يا رسول الله وفى رواية آلله فعل ذلك يا رسول الله قال نعم قالت بالرفاء والبنين زاد فى رواية انه صلى الله عليه وسلم اطعم خديجة من عنب الجنة وقولها بالرفاء والبنين هو دعاء كان يدعى به فى الجاهلية عند التزويج والمراد منه الموافقة والملاءمة مأخوذ من قولهم رفأت الثوب ضممت بعضه الى بعض ولعل هذا كان قبل ورود النهى عن ذلك هذا (وفى الامتاع) ان سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لما تزوج ام كلثوم بنت على بن ابى طالب رضى الله عنه جاء الى مجلس المهاجرين الاولين فى الروضة فقال رفئونى فقالوا ماذا يا امير المؤمنين قال تزوجت ام كلثوم بنت على هذا كلامه ولعل النهى لم يبلغ هؤلاء الصحابة حيث لم ينكروا قوله كما لم يبلغ سيدنا عمر رضى الله تعالى عنهم (وفى الشهر) الذى ماتت فيه خديجة رضى الله تعالى عنها وهو شهر رمضان بعد موتها بأيام تزوج سودة بنت زمعة وكانت قبله عند السكران ابن عمها وهاجر بها الى ارض الحبشة الهجرة الثانية ثم رجع بها الى مكة فمات عنها فلما انقضت عدتها تزوجها صلى الله عليه وسلم واصدقها اربعمائة درهم وقد كانت رأت فى نومها ان النبى صلى الله عليه وسلم وطئ عنقها

حتى فات المسلمين فلما أمن ارسل الى قريش يأمرهم بالرجوع وكانوا حينئذ بالجحفة فامتنع أبو جهل وقال والله لا نرجع حتى نحضر بدرا فنقيم فيه ثلاثة أيام وننحر الجزر ونطعم الطعام ونسقى الخمر وتعزف علينا القيان بالمعازف اى بالملاهى وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبدا وهذا هو الرياء الذى اشار اليه سبحانه وتعالى بقوله خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ولما بلغ ابا سفيان كلام أبى جهل قال هذا بغى والبغى منقصة وشؤم لان القوم انما خرجوا لنجاة اموالهم وقد نجاها الله تعالى ولما قال أبو جهل ما قال رجع من قريش بنو زهرة وكانوا نحو المائة وقيل ثلثمائة فلذا قيل لم يقتل أحد منهم ببدر وقيل قتل منهم رجلان وكان قائد بنى زهرة الاخنس بن شريق الثقفى وكان حليفا لهم فقال لهم يا بنى زهرة قد نجى الله أموالكم وخلص لكم صاحبكم مخرمة ابن نوفل فانه كان فى العير وانما نفرتم لتمنعوه وماله فارجعوا فانه لا حاجة لكم أن تخرجوا فى غير منفعة دعوا ما يقول هذا يعنى أبا جهل ثم خلا بأبى جهل وقال له أترى محمدا يكذب اصدقنى ليس بينى وبينك أحد فقال له أبو جهل ما كذب محمد قط كنا نسميه الامين لكن اذا كانت فى بنى عبد المطلب السقاية والرفادة والمشورة ثم تكون فيهم النبوة فأى شئ يكون لنا ونحن معهم كفرسى رهان فرجع الاخنس ببنى زهرة والاخنس هذا اختلف فى اسلامه والاكثرون على انه أسلم عام الفتح رضى الله عنه وكان من المؤلفة ثم حسن اسلامه قيل ان الاخنس جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فأظهر الاسلام وقال الله يعلم انى لصادق ثم هرب بعد ذلك فمر بقوم من المسلمين فحرق زرعهم فنزل فيه ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا الى قوله ولبئس المهاد قال الحلبى نقلا عن الاصابة ولا مانع من انه اسلم ثم ارتد ثم أسلم ثم ان بنى هاشم أرادوا

الرجوع فاشتد عليهم أبو جهل وقال لا تفارقنا هذه العصابة حتى نرجع ثم أمر الواسا ثرين حتى نزلوا بالعدوة القصوى قريبا من الماء وسباق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل بعيدا عن الماء أولا ثم انتقل وقرب منه ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة استعمل عليها واليا أبا لبابة بن عبد المنذر الاوسي رضي الله عنه واستعمل ابن أم مكتوم رضي الله عنه على الصلاة بالناس وخلف عاصم بن عدي رضي الله عنه على قباء وأهل العالية لشئ بلغه عن أهل مسجد الضرار وعقد صلى الله عليه وسلم لواء أبيض ودفعه لمصعب بن عمير رضي الله عنه وكان امامه صلى الله عليه وسلم رايتان سوداوان احداهما مع علي بن أبي طالب والاخرى مع سعد بن معاذ وقيل مع الحباب بن المنذر ثم ضرب عسكره ببئر أبي عتبة على ميل من المدينة فعرض اصحابه ورد من استصغر وتقدم ان عدة أصحابه البدريين ثلثمائة وثلاثة عشر أو واربعة عشر أو وخمسة عشر وكان معهم سبعون بعيرا يعتقبونها وكان معهم من الخيل فرسان فرس لمرثد الغنوى وفرس للمقداد وقيل للزبير وقال بعضهم كان معهم خمسة أفراس فرسان له صلى الله عليه وسلم وفرس لمرثد وفرس للزبير وفرس للمقداد وتقدم ان قريشا عدتهم خمسون وتسعمائة وقيل كانوا ألفا وقادوا مائة فرس عليها مائة درع سوى دروع المشاة ولما عد صلى الله عليه وسلم أصحابه فوجدهم ثلثمائة وثلاثة عشر فرح وقال عدة أصحاب طالوت الذين جازوا معه النهر ولما أراد صلى الله عليه وسلم الخروج لبس درعه ذات الفضول وتقلد بسيفه العضب ولما نظر الى أصحابه قال اللهم انهم حفاة فاحملهم وعراة فاكسهم وجياع فاشبعهم وعالة فاغنهم من فضلك فلم يرجع منهم احد الا وله البعير والبعيران واكتسى من كان عاريا

فأخبرت زوجها فقال ان صدقت رؤياك اموت أنا ويتزوجك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رأت في ليلة أخرى ان قمرا انقض عليها من السماء وهي مضطجعة فأخبرت زوجها فقال لا البث حتى اموت فمات من يومه ذلك ○ (وعقد صلى الله عليه وسلم على عائشة) رضي الله تعالى عنها وهي بنت ست أو سبع سنين في شوال فعن خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون قالت قلت لما ماتت خديجة يا رسول الله ألا تتزوج قال ممن قالت ان شئت بكرا وان شئت ثيبا قال فمن البكر قالت احب خلق الله بك بنت ابي بكر رضي الله تعالى عنهما قال ومن الثيب قلت سودة بنت زمعة قد آمنت بك واتبعتك على ما تقول قال فاذهبي فاذكريهما على قالت فدخلت على سودة بنت زمعة فقلت لها ماذا ادخل الله عليك من الخير والبركة قالت وماذاك قالت ارسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم اخطبك عليه قالت وددت ادخلي على ابي فاذكري ذلك له وكان شيخا كبيرا فدخلت عليه وحييته بتحية الجاهلية فقال من هذه قلت خولة بنت حكيم قال فما شأنك قلت ارسلني محمد ابن عبد الله اخطب عليه سودة قال كفؤ كريم قال ما تقول صاحبتك قالت تحب ذلك قال ادعيها الى فدعوتها قال اي بنية ان هذه تزعم ان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قد أرسل يخطبك وهو كفؤ كريم أتحبين ان ازوجك منه قالت نعم قال ادعيه لي فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجه اياها ولما قدم أخوها عبد بن زمعة وقد بلغه ذلك صار يحثي على رأسه التراب ولما اسلم قال لقد كنت في السفه يوم احثي على رأسي التراب اذ تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم سودة يعني اخته وذهبت خولة الى ام رومان ام عائشة فقالت لها ماذا أدخل الله عليكم من البركة والخير قد ارسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم اخطب عليه عائشة قالت انتظري ابا بكر حتى يأتي فجاء ابو بكر فقلت له يا ابا بكر ماذا ادخل الله عليكم من الخير والبركة قال وماذاك قلت قد ارسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم اخطب عليه عائشة قال وهل تصلح اي تحل له انما هي بنت اخيه فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك فقال ارجعي اليه فقولي له انا اخوك وأنت اخي في الاسلام وابنتك تصلح لي اي تحل فرجعت فذكرت ذلك له قالت ام رومان رضي الله تعالى عنها ان مطعم بن عدي قد كان ذكرها على ابنه جبير ووعده والله ما وعد وعدا قط فاخلفه تعني ابا بكر فدخل ابو بكر على مطعم وعنده امرأته ام ابنه المذكور فكلمت ابا بكر بما أوجب ذهاب ما كان في نفسه من عدته لمطعم فان المطعم لما قال له ابو بكر ما تقول في امر هذه الجارية اقبل المطعم على امرأته وقال لها ما تقولين يا هذه فاقبلت على ابي

بكر

بكر وقالت له اما انا ان أنكحناه هذا الفتى اليكم تصيبه وتدخله فى دينك الذى أنت عليه فاقبل ابو بكر على المطعم وقال له ماذا تقول أنت فقال انها لتقول ماتسمع فقام ابو بكر وليس فى نفسه من الوعد شئ فرجع فقال لخولة ادعى لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعته فزوجه اياها وعائشة حينئذ بنت ست سنين وقيل سبع سنين وهو الاقرب فعلم أن العقد على سودة تقدم على العقد على عائشة لان العقد على سودة كان فى رمضان الشهر الذى ماتت فيه خديجة رضى الله تعالى عنها وعلى عائشة كان فى شوال ومعلوم ان الدخول بسودة كان بمكة وعلى عائشة كان بالمدينة ثم رأيت بعضهم ذكر ان خولة ذهبت الى طلب عائشة وان النبى صلى الله عليه وسلم عقد عليها قبل ذهابها لسودة وتوعقده عليها ولا تخفى المخالفة الا أن يراد بالعقد على سودة الدخول بها وفيه انه لا يحسن ذلك مع قوله قبل ذهابها لسودة ولما اشتكى أبو طالب اى مرض وبلغ قريشا ثقله اى أشتداد المرض به قال بعضهم لبعض ان حمزة وعمر قد أسلما وقد فشا أمر محمد فى قبائل قريش كلها فانطلقوا بنا الى ابى طالب فليأخذ لنا على ابن أخيه وليعطه منا فانا والله مانأمن أن يبتزونا أمرنا اى يسلبونه ومنه قولهم من عز بز اى من غلب اخذ السلب وهو الثياب التى هى البز وفى لفظ انا نخاف أن يموت هذا الشيخ فيكون منا شئ اى قتل محمد كما فى بعض الروايات فتعيرنا العرب ويقولون تركوه حتى اذا مات عمه تناولوه فمشى اليه اشرافهم منهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل وأمية بن خلف وابو سفيان رضى الله تعالى عنه فانه اسلم ليلة الفتح كما سيأتى وارسلوا رجلا يدعى المطلب فاستأذن لهم على ابى طالب فقال هؤلاء مشيخة قومك وسرواتهم يستأذنون عليك قال ادخلهم فدخلوا عليه فقالوا يا أبا طالب انت منا حيث قد علمت وفى لفظ قالوا يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا وقد حضرك ماترى وتخوفنا عليك وقد علمت الذى بيننا وبين ابن أخيك فادعه وخذ له منا وخذ لنا منه ليكف عنا ونكف عنه وليدعنا وديننا وندعه ودينه فبعث اليه صلى الله عليه وسلم ابو طالب فجاءه ولما دخل صلى الله عليه وسلم على ابى طالب وكان بين ابى طالب وبين القوم فرجة تسع الجالس فخشى ابو جهل أن يجلس النبى صلى الله عليه وسلم فى تلك الفرجة فيكون أرق منه فوثب ابو جهل فجلس فيها فلم يجد النبى صلى الله عليه وسلم مجلسا قرب ابى طالب فجلس عند الباب انتهى وفى الوفاء انه صلى الله عليه وسلم قال لهم خلوا بينى وبين عمى فقالوا ما نحن بفاعلين وما أنت بأحق به منا ان كانت لك قرابة فان لنا قرابة مثل قرابتك فقال ابو طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن أخى هؤلاء اشراف قومك

وأصابوا طعاما من أزواد قريش وأصابوا افداء الاسارى فاغتنى به كل عائل وسار صلى الله عليه وسلم حتى بلغ الروحاء وهو موضع به بئر على نحو أربعين ميلا من المدينة فأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم وكان قد بعث صلى الله عليه وسلم رجلين يتجسسان أخبار عير ابى سفيان فمضيا حتى نزلا بدرا فأناخا الى تل قريب من الماء وأخذا يستقيان من الماء فسمعا جاريتين تقول احداهما لصاحبتها ان أتانى العير غدا أو بعد غد أعمل لهم اى أخدمهم ثم أقضيك الذى لك فانطلقا حتى أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه بما سمعا فاستشار النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه فى طلب العير وفى حرب النفير اى القوم النافرين للحرب يعنى ان النبى صلى الله عليه وسلم خير اصحابه بين أن يذهبوا للعير أو الى محاربة النفير وأخبرهم عن قريش بمسيرهم وقال لهم ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريش وكانت العير أحب اليهم ليستعينوا بما فيها من الاموال على شراء الخيل والسلاح قال تعالى واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين وفى رواية استشار النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه وقال لهم ان القوم قد خرجوا على كل صعب وذلول اى مسرعين فما تقولون العير أحب اليكم من النفير قالوا نعم اى قالت طائفة منهم العير أحب الينا من لقاء العدو وفى رواية هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له انا خرجنا للعير وفى رواية يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو أيوب وفى ذلك أنزل الله تعالى كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون الآية وروى أبو نعيم فى الدلائل عن ابن عباس

رضي الله عنهما قال أقبلت عير لاهل مكة من الشام فخرج النبي صلى الله عليه وسلم يريدها فبلغ ذلك أهل مكة فأسرعوا اليها فسبقت العير المسلمين وكان الله وعدهم احدى الطائفتين وكانوا أن يلقوا العير أحب اليهم وأيسر شوكة وأخصر مغنما من أن يلقوا النفير وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم استشار الناس فتكلم المهاجرون فأحسنوا ثم استشارهم

وفي لفظ هؤلاء مشيخة قومك وسرواتهم وقد اجتمعوا اليك ليعطوك وليأخذوا منك وفي لفظ سألوك النصف وفي لفظ اعط سادات قومك ماسألوك فقد نصفوك ان تكف عن شتم آلهتهم ويدعوك والهك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرأيتكم ان أعطيتكم ماسألتم هل تعطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم اي تطيع وتخضع فقال ابو جهل نعم وأبيك عشر كلمات وفي لفظ لنعطينكها وعشر امثالها فما هي قال تقولون لا اله الا الله وتخلعون ماتعبدون من دونه فصفقوا بأيديهم ثم قالوا يامحمد أتريد ان تجعل الآلهة الها واحدا ان أمرك لعجب فأنزل الله تعالى ص والقرآن ذي الذكر الى آخر الآيات وفي لفظ قالوا أيسع لحاجاتنا جميعا اله واحد وفي لفظ قالوا سلنا غير هذه الكلمة وفي لفظ ان أباطالب قال يا ابن أخي هل من كلمة غيرها فان قومك قد كرهوها قال ياعم ما انا بالذي يقول غيرها قال صلى الله عليه وسلم لو جئتموني بالشمس حتى تضعوها في يدي ماسألتكم غيرها ثم قال بعضهم لبعض والله ماهذا الرجل بمعطيكم شيأ مما تريدون فانطلقوا وامضوا الى دين آبائكم حتى يحكم الله بينكم وبينه ثم تفرقوا وفي لفظ قالوا عند قيامهم والله لنشتمنك والهك الذي يأمرك بهذا اي وفي لفظ لتكفن عن سب آلهتنا او لنسبن الهك الذي أمرك بهذا قال في الينبوع وهذه العبارة أحسن من الاولى لانهم كانوا يعرفون انه يعبد الله وما كانوا ليسبوا الله عالمين لكنهم ما كانوا يعرفون ان الله أمره بذلك وذكر ان ذلك سبب نزول قوله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم هذا وفي النهر ان سبب نزول هذه الآية ان كفار قريش قالوا لابي طالب اما أن تنهى محمدا عن سب آلهتنا والنقص منها واما ان نسب الهه ونهجوه قال فيه وحكم هذه الآية باق في هذه الامة فاذا كان الكافر في منعة وخيف أن يسب الاسلام او الرسول فلا يحل للمسلم ذم دين الكافر ولا يتعرض لما يؤدي الى ذلك لان الطاعة اذا كانت تؤدي الى مفسدة خرجت عن ان تكون طاعة فيجب النهي عنها كما ينهى عن المعصية هذا كلامه وعند ذلك قال ابو طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والله يا ابن أخي مارأيتك سألتهم شططا اي بالحاء والطاء المهملتين أمرا بعيدا فلما قال ذلك طمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فجعل يقول اي عم فأنت فقلها أستحل لك بها الشفاعة يوم القيامة اي لو ارتكبت ذنبا بعد قولها والا فالاسلام يجب ماقبله فلما رأى حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اما والله يا ابن أخي لولا مخافة السبة اي العار عليك وعلى بني أبيك من بعدي وان تظن قريش اني انما قلتها جزعا اي بالجيم

فقام أبو بكر فقال فأحسن اي جاء بكلام حسن ثم قام عمر فقال فأحسن وروى ابن عقبة انه قال يارسول الله انها قريش وعزها والله ماذلت منذ عزت ولا آمنت منذ كفرت والله لتقاتلنك فتأهب لذلك أهبته وأعد لذلك عدته ثم قام المقداد بن عمرو فقال يارسول الله امض لما أمرك الله فنحن معك والله لانقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى عليه السلام اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكم مقاتلون وفي رواية ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا برك الغماد يعني مدينة الحبشة لجالدنا اي ضاربنا معك من دونه حتى تبلغه فقال له صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له بخير قال ابن مسعود رضي الله عنه في آخر قصة المقداد فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم اشرق وجهه وسره يعني قوله وروى ابن أبي حاتم عن ابي أيوب الانصاري رضي الله عنه قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بالمدينة اني أخبرت عن عير أبي سفيان فهل لكم أن تخرجوا اليها لعل الله يغنمناها ويسلمنا قلنا نعم فخرجنا والزاي فلما سرنا يوما أو يومين قال قد أخبروا خبرنا فاستعدوا للقتال فقلنا لا والله مالنا طاقة بقتال القوم فأعاد فقال المقداد لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى انا ههنا قاعدون ولكن نقول انا معكما مقاتلون قال فتمنينا معشر الانصار لو أنا قلنا كما قال

المقداد وأنزل الله فى ذلك كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون ثم قال عليه الصلاة والسلام ثالث مرة ايها الناس أشيروا على وانما يريد الانصار لانهم حين بايعوه بالعقبة قالوا يارسول الله انا برآء من ذمامك اى من ضمان مناصرتك حتى تصل الى دارنا فاذا وصلت الينا فأنت فى ذمامنا نمنعك مما نمنع منه أنفسنا وأبناءنا ونساءنا وكان صلى الله عليه وسلم يخشى أن تكون الانصار لا ترى وجوب نصرته عليها الا ممن دهمه اى جاءه مفاجأة من العدو بالمدينة فقط وأن ليس عليهم أن يسير بهم من بلادهم الى عدو فلما قال ذلك اى كرر قوله أشيروا على قال له سعد بن معاذ رضى الله عنه وهو سيد الاوس بل هو سيد الانصار قال الزرقانى كان فيهم كالصديق رضى الله عنه فى المهاجرين قال والله لكأنك تريدنا يارسول الله قال أجل اى نعم قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودا ومواثيق على السمع والطاعة فامض يارسول الله لما أمرت وفى رواية ولعلك تخشى أن تكون الانصار ترى أن لا ينصروك الا فى ديارهم وانى أقول عن الانصار وأجيب عنهم ولعلك يارسول الله خرجت لامر فأحدث الله غيره فامض لما شئت وصل حبال من شئت واقطع حبال من شئت وسالم من شئت وعاد من شئت وخذ من أموالنا ما شئت واعطنا ما شئت وما أخذت منا كان أحب الينا مما تركت وما أمرت به من أمر فأمرنا تبع لأمرك ولئن سرت بنا حتى تأتى برك الغماد لنسيرن معك وفى رواية فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى عدونا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله أن يريك منا ما تقر به عينك فسر على بركة الله زاد فى رواية ابن مردويه فنحن عن يمينك وشمالك وبين

والزاى خوفا من الموت وهذا هو المشهور وقيل بالخاء المعجمة والراء اى ضعفا وقلقا وفى رواية لاقررت بها عينك لما أرى من شدة وجدك لكنى أموت على ملة الاشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف فأنزل الله تعالى انك لا تهدى من أحببت الآية اى وعن مقاتل ان اباطالب قال عند موته يامعشر بنى هاشم أطيعوا محمدا وصدقوه تفلحوا وترشدوا فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ياعم تأمرهم بالنصيحة لانفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن أخى قال اريد ان تقول لا اله الا الله اشهد لك بها عند الله تعالى فقال يا ابن أخى قد علمت انك صادق لكنى أكره ان يقال الحديث قال فى الهدى وكان من حكمة احكم الحاكمين بقاؤه على دين قومه لما فى ذلك من المصالح التى تبدو لمن تأملها اى وكذا اقرباؤه وبنو عمه تأخر اسلام من اسلم منهم ولو اسلم ابوطالب وبادر أقرباؤه وبنو عمه الى الايمان به لقيل قوم ارادوا الفخر برجل منهم وتعصبوا له فلما بادر اليه الاباعد وقاتلوا على حبه من كان منهم حتى ان الشخص منهم يقتل اباه واخاه علم ان ذلك انما هو عن بصيرة صادقة ويقين ثابت وذكر انه لما تقارب من ابى طالب الموت نظر العباس اليه يحرك شفتيه فأصغى اليه بأذنه فقال يا ابن أخى والله لقد قال أخى الكلمة التى امرته بقولها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أسمع وفيه أنه لم يثبت أن العباس ذكر ذلك بعد الاسلام وأيضا نزول الآية حيث ثبت ان نزولها فى حق أبى طالب يرد ذلك ويرده أيضا ما فى الصحيحين عن العباس رضى الله تعالى عنه أنه قال قلت يارسول الله ان أباطالب كان يحيطك وينصرك فهل ينفعه ذلك قال نعم وجدته اى كشف لى عن حاله وما يصير اليه يوم القيامة فوجدته فى غمرات من النار فأخرجته الى ضحضاح اى وفى لفظ آخر قال نعم هو اى يوم القيامة فى ضحضاح من النار لولا أنا لكان فى الدرك الاسفل من النار ولو كانت الشهادة المذكورة عند العباس ما سأل هذا السؤال ولأداها بعد الاسلام اذ لو أداها لقبلت وقد يقال انما سأل هذا السؤال ولم يعد الشهادة بعد الاسلام لانه لما قال له صلى الله عليه وسلم أولا لم اسمع فهم انه حيث لم يسمعها صلى الله عليه وسلم لم يعتد بها سأل هذا السؤال وفهم ان اعادة الشهادة بعد اسلامه لا تفيد شيأ ويرده أيضا ما جاء فى رواية أنه صلى الله عليه وسلم لما كرر على أبى طالب أن يقول كلمة الشهادة وهو يأبى الى أن قال هو على دين عبد المطلب قال صلى الله عليه وسلم أما والله لاستغفرن لك ما لم أنه عن ذلك اى عن الاستغفار لك فأنزل الله عز وجل ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم انهم أصحاب الجحيم اى وتقدم ان سبب

يديك وخلفك ولا نكون كالذين قالوا لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما متبعون قال الحافظ ابن حجر ان المحفوظ أن هذا الكلام للمقداد وان سعدا انما قال ما ذكر عنه أولا وروى مسلم أن سعد بن عبادة سيد الخزرج رضي الله عنه قال مثل ما قال سعد بن معاذ ولفظه عن أنس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استشار الناس حين بلغه اقبال أبي سفيان فتكلم أبو بكر فأعرض عنه ثم تكلم عمر فأعرض عنه فقام سعد بن عبادة فقال ايانا تريد يا رسول الله والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها ولو أمرتنا أن نضرب أكبادنا الى برك الغماد لفعلنا قال في المواهب وانما يعرف ذلك عن سعد بن معاذ قال الحافظ ابن حجر ويمكن الجمع بأنه صلى الله عليه وسلم استشارهم مرتين الاولى بالمدينة أول ما بلغه خبر العير فتكلم سعد بن عبادة بما ذكروا الثانية كانت بعد ان خرج فتكلم سعد بن معاذ وقال الطبراني ان سعد بن عبادة انما قال ذلك يوم الحديبية واختلف في شهوده بدرا والله أعلم قال الزرقاني ان سعد ابن عبادة كان يتهيأ للخروج الى بدر ويأتي دور الانصار يحضهم على الخروج فنهش اي لدغته حية قبل أن يخرج فأقام فقال صلى الله عليه وسلم لئن كان سعد لم يشهدها لقد كان عليها حريصا ثم ضرب له بسهمه وأجره كما أن عثمان بن عفان رضي الله عنه تخلف لتمريض زوجته رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنها فانها كانت مريضة وجعل النبي الاول له أجر رجل وسهمه فهما معدودان من البدريين وان لم يحضرا ثم قال صلى الله عليه وسلم سيروا على بركة الله وأبشروا فان الله وعدني احدى الطائفتين اما العير واما النفير اي وقد فاتت العير فلا بد من الطائفة الاخرى لان وعد الله لا يتخلف ويشير الى

نزول هذه الآية طلب استغفاره لامه عند زيارة قبرها الا أن يقال لا مانع من تكرر سبب نزولها لجواز أنه صلى الله عليه وسلم جوز الفرق بين أمه وعمه لان أمه لم تدع للاسلام بخلاف عمه وفي منع استغفاره لامه ما تقدم ولا يشكل على ذلك قوله يوم أحد اللهم اغفر لقومي لان ذلك اي غفران الذنوب مشروطا بالتوبة اي الاسلام فكأنه صلى الله عليه وسلم دعا لهم بالتوبة التي هي الاسلام ويؤيده رواية اللهم اهد قومي اي للاسلام قال وأيضا جاء في صحيح ابن حبان عن علي رضي الله تعالى عنه قال لما مات أبو طالب أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ان عمك الشيخ الضال قد مات قال اذهب فواره قال علي رضي الله تعالى عنه فلما واريته جئت اليه فقال لي اغتسل اقول لانه غسله وبه و بقوله صلى الله عليه وسلم من غسل ميتا فليغتسل استدل أئمتنا على ان من غسل ميتا مسلما او كافرا استحب له ان يغتسل وروى البيهقي خبر ان عليا رضي الله تعالى عنه غسله بأمر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك لكن ضعفه وفي رواية عن علي رضي الله تعالى عنه لما أخبرت النبي صلى الله عليه وسلم بموت أبي طالب بكى وقال اذهب فاغسله وكفنه وواره غفر الله له ورحمه وأما ما روي عنه أنه صلى الله عليه وسلم عارض جنازة عمه أبي طالب فقال وصلتك رحم وجزيت خيرا يا عم فقال الذهبي انه خبر منكر والله أعلم وجاء أيضا انه ذكر عنده عمه أبو طالب فقال انه ستنفعه شفاعتي وفي رواية لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار اي مقدار ما يغطي بطن قدميه وفي رواية في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه وفي لفظ عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة شفعت لابي وأمي وعمي أبي طالب وأخ لي كان في الجاهلية يعني أخاه من الرضاعة من حليمة كما في رواية تأتي أقول يجوز ان يكون ذكر شفاعته لابويه كان قبل احيائهما وايمانهما به كما قدمناه جوابا عن نهيه عن الاستغفار لهما والله أعلم وفي لفظ آخر شفعت في أبي وعمي أبي طالب وأخي من الرضاعة يعني من حليمة ليكونوا من بعد البعث هباء وهذا يستأنس به لايمان أبيه مما جاء انه صلى الله عليه وسلم قال لابنته فاطمة رضي الله تعالى عنها وقد عزت قوما من الانصار في ميتهم لعلك بلغت معهم الكدى بالدال المهملة او الكرا بالراء يعني القبور فقالت لا فقال لو كنت بلغت معهم الكدى ما رأيت الجنة حتى يراها جد أبيك يعني عبد المطلب ولم يقل جدك يعني أباه الذي هو عبد الله وتقدم القول بأن حليمة واولادها أسلموا وعليه فيجوز أن يكون هذا منه صلى الله عليه وسلم قبل أن يسلم أخوه من الرضاعة كما تقدم مثل ذلك في أبيه وأمه وفي رواة الحديث

الاول من هو منكر الحديث وفي الثاني من هو ضعيف وقال فيه ابن الجوزي انه موضوع بلا شك اي وهذا أي قبول شفاعته صلى الله عليه وسلم في عمه أبي طالب عد من خصائصه صلى الله عليه وسلم فلا يشكل بقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين اولا تنفعهم شفاعة الشافعين في الاخراج من النار بالكلية اي وفي هذا الثاني انه لا يناسب أن شفاعته لهم أن يكونوا من بعد البعث هباء اي في صيرورتهم هباء الا أن يقال انه لم يستجب له في ذلك قال وجاء أيضا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أهون أهل النار اي وهم الكفار عذابا أبو طالب وهو ينتعل بنعلين يغلي منهما دماغه اي وفي رواية كما يغلي المرجل اي القدر من النحاس حتى يسيل دماغه على قدميه وفي رواية كما يغلي المرجل بالقمقم قيل والقمقم بكسر القافين البسر الاخضر يطبخ في المرجل استعجالا لنضجه يفعل ذلك أهل الحاجة وذكر السهيلي الحكمة في اختصاص قدميه بالعذاب وزعم بعض غلاة الرافضة ان أبا طالب أسلم واستدل له باخبار واهية ردها الحافظ ابن حجر في الاصابة اي وقد قال وقفت على جزء جمعه بعض أهل الرفض اكثر فيه من الاحاديث الواهية الدالة على اسلام أبي طالب ولم يثبت من ذلك شئ وروى أبو طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال حدثني محمد ان الله أمره بصلة الارحام وأن يعبد الله وحده ولا يعبد معه غيره وقال سمعت ابن أخي الامين يقول اشكر ترزق ولا تكفر تعذب انتهى وفي المواهب عن شرح التنقيح للقرافي ان أبا طالب ممن آمن بظاهره وباطنه وكفر بعدم الاذعان للفروع لانه كان يقول اني لاعلم أن ما يقوله ابن اخي لحق ولولا اني اخاف ان يعيرني نساء قريش لاتبعته فهذا تصريح باللسان واعتقاد بالجنان غير انه لم يذعن للاحكام هذا كلامه وفيه أن الايمان باللسان الاتيان بلا اله الا الله ولم يوجد ذلك منه كما علمت وتقدم ان الايمان النافع عند الله الذي يصير به الشخص مستحقا لدخول الجنة ناجيا من الخلود في النار التصديق بالقلب بما علم بالضرورة انه من دين محمد صلى الله عليه وسلم وان لم يقر بالشهادتين مع التمكن من ذلك حيث لم يطلب منه ذلك ويمتنع وأبو طالب طلب منه ذلك وامتنع وقد روى الطبراني عن أم سلمة أن الحرث بن هشام اي اخا أبي جهل بن هشام اتى النبي صلى الله عليه وسلم يوم حجة الوداع فقال انك تحث على صلة الرحم والاحسان الى الجار وايواء اليتيم واطعام الضيف واطعام المسكين وكل هذا كان يفعله هشام بن المغيرة فما ظنك به يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل قبر لا يشهد صاحبه أن لا اله الا الله

هذا قوله والله لكأني انظر الآن الى مصارع القوم اي الذين يقتلون ببدر ولما وصلوا الى بدر أراهم صلى الله عليه وسلم مواضع مصارعهم وروى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال عمر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم ليرينا مصارع أهل بدر ويقول ان هذا مصرع فلان غدا ان شاء الله تعالى ويضع يده على الارض ههنا وههنا فما اماط أحدهم اي ماتنحى عن موضع يده عليه الصلاة والسلام فهو معجزة ظاهرة ثم ارتحل صلى الله عليه وسلم من المكان الذي كان فيه وسار حتى نزل قريبا من بدر وبعث عليا والزبير وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم يتجسسون الاخبار فأصابوا راوية لقريش معها غلام لنبيه ومنبه ابني الحجاج وغلام لبني العاص فأتوا بهما ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي فقالوا لمن أنتما وظنوهما لابي سفيان فقالا نحن سقاة لقريش بعثونا نسقيهم من الماء فضربوهما فلما أوجعوهما ضربا قالا نحن لابي سفيان فتركوهما فلما فرغ صلى الله عليه وسلم من صلاته قال اذا صدقاكم ضربتموهما واذا كذباكم تركتموهما صدقا والله انهما لقريش ثم قال لهما أخبراني عن قريش قالا هم وراء هذا الكثيب اي التل من الرمل فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم كم القوم قالا كثير وفي لفظ هم والله كثير عددهم شديد بأسهم قال ما عدتهم قالا لا ندري قال كم تنحرون اي من الجزر كل يوم قالا يوما تسعا ويوما عشرا فقال صلى الله عليه وسلم القوم ما بين التسعمائة والالف ثم قال لهما فمن فيهم من اشراف قريش قالا عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو البختري بن هشام وحكيم بن حزام ونوفل بن خويلد وزمعة بن الاسود وأبو جهل بن هشام والنضر بن الحرث وسهيل بن عمرو فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس فقال هذه مكة قد القت اليكم

أفلاذ كبدها اى قطع كبدها وكان نزول قريش بالعدوة القصوى والعدوة جانب الوادى وحافته والمكان المرتفع والقصوى البعدى من المدينة اي التي هي ابعد من الاخرى عن المدينة ونزل المسلمون على كثيب أعفر قيل المراد احمر وأبيض ليس بالشديد تسوخ فيه الاقدام وحوافر الدواب وسبقهم المشركون الى ماء بدر فأحرزوه وحفروا القلب لانفسهم ليجعلوا فيها الماء من الآبار المعينة فيشربوا منها ويسقوا دوابهم ومع ذلك القى الله في قلوبهم الخوف حتى صاروا يضربون وجوه خيلهم اذا صهلت من شدة الخوف وألقى الله الامنة والنوم على المسلمين بحيث لم يقدروا على منعه وأصبح المسلمون بعضهم محدث وبعضهم جنب لانهم لما ناموا احتلم أكثرهم وأصابهم الظمأ وهم لا يصلون الى الماء لسبق المشركين اليه ووسوس الشيطان لبعضهم وقال تزعمون انكم على الحق وفيكم نبي الله وانكم أولياء الله وقد غلبكم المشركون على الماء وانتم عطاش وتصلون محدثين مجنبين وما ينتظر أعداؤكم الا أن يقطع العطش رقابكم ويذهب قواكم فيتحكموا فيكم كيف شاؤا فأرسل الله عليهم مطرا سال منه الوادى فشرب المسلمون واتخذوا الحياض على عدوة الوادى واغتسلوا وتوضؤا وسقوا الركاب وملؤا الاسقية وأطفأ المطر الغبار ولبد الارض حتى ثبتت عليها الاقدام والحوافر وزالت عنهم وسوسة الشيطان ورد الله كيده في نحره وطابت أنفسهم وضر ذلك بالمشركين لكون العطلة أرضهم كانت سهلة لينة وأصابهم ما لم يقدروا معه على الارتحال وقد أشار سبحانه وتعالى الى ذلك بقوله اذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم اى بالصبر على مجالدة العدو

فهو بجذوة من النار وقد وجدت عمي أبا طالب في طمطام من النار فأخرجه الله لمكانه مني واحسانه الى فجعله في ضحضاح من النار وذكر أن أبا طالب لما حضرته الوفاة جمع اليه وجهاء قريش فأوصاهم وكان من وصيته ان قال يا معشر قريش أنتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب فيكم المطاع وفيكم المقدم الشجاع والواسع الباع لم تتركوا للعرب في المآثر نصيبا الا أحرزتموه ولا شرفا الا أدركتموه فلكم بذلك على الناس الفضيلة ولهم به اليكم الوسيلة اوصيكم بتعظيم هذه البنية اى الكعبة فان فيها مرضاة للرب وقواما للمعاش صلوا ارحامكم ولا تقطعوها فان في صلة الرحم منسأة اى فسحة في الاجل وزيادة في العدد واتركوا البغي والعقوق ففيهما هلكت القرون قبلكم أجيبوا الداعي واعطوا السائل فان فيهما شرف الحياة والممات وعليكم بصدق الحديث واداء الامانة فان فيهما محبة في الخاص ومكرمة في العام وانى اوصيكم بمحمد خيرا فانه الامين في قريش اى وهو الصديق في العرب وهو الجامع لكل ما أوصيكم به وقد جاء بأمر قبله الجنان وانكره اللسان مخافة الشنان اى البغض وهو لغة في الشنآن وايم الله كأني أنظر الى صعاليك العرب واهل البر في الاطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا أمره فخاض بهم غمرات الموت فصارت رؤساء قريش وصناديدها اذنابا ودورها خرابا وضعفاؤها أربابا واذا أعظمهم عليه أحوجهم اليه وأبعدهم منه أحظاهم عنده قد محضته العرب ودادها واعطته قيادها دونكم يا معشر قريش كونوا له ولاة ولحزبه حماة والله لا يسلك احد منكم سبيله الا رشد ولا يأخذ أحد بهديه الا سعد وفي لفظ آخر أنه لما حضرته الوفاة دعا بني عبد المطلب فقال لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد وما اتبعتم أمره فأطيعوه ترشدوا ولما مات أبو طالب نالت قريش من النبي صلى الله عليه وسلم من الاذى ما لم تكن تطمع فيه في حياة أبي طالب حتى ان بعض سفهاء قريش نثر على رأس النبي صلى الله عليه وسلم التراب فدخل صلى الله عليه وسلم بيته والتراب على رأسه فقامت اليه بعض بناته وجعلت تزيله عن رأسه وتبكي ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها لا تبكي يا بنية فان الله تعالى مانع أباك وكان صلى الله عليه وسلم يقول ما نالت قريش مني شيأ أكرهه اى اشد الكراهة حتى مات أبو طالب وتقدم وسيأتي بعض ما أوذي به قال ولما رأى قريشا تجهموا قال يا عم ما أسرع ما وجدت فقدك ولما بلغ ابو لهب ذلك قام أبو لهب بنصرته اياما وقال له يا محمد امض لما اردت وما كنت صانعا اذا كان ابو طالب حيا فاصنعه لا واللات والعزى لا يوصل اليك حتى أموت واتفق ان ابن

و بالوثوق على لطف الله و يثبت به الاقدام حتى لا تسوخ فى الرمل وعن على رضى الله عنه أصابنا من الليل طش من مطر فانطلقنا تحت الشجر والجحف نستظل تحتها من المطر و بات رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ربه وفى رواية بتيه لى تحت شجرة و يكثر فى سجوده ياحى ياقيوم يكرر ذلك حتى أصبح قال قتادة كان النعاس يوم بدر ويوم احد وكان كله أمنة لكنه فى بدر كان ليلا قبل القتال وفى أحد كان وقت القتال قال ابن مسعود النعاس فى مصاف القتال من الايمان والنعاس فى الصلاة من النفاق لانه فى الاول يدل على ثبات الجنان وفى الثانى يدل على عدم الاهتمام بالصلاة قال على رضى الله عنه فلما ان طلع الفجر نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة عباد الله فجاء الناس من تحت الشجر والجحف فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خطب وحض على القتال فى خطبته فقال بعد ان حمد الله واثنى عليه أما بعد فانى احثكم على ما حثكم الله عليه الى أن قال وان الصبر فى مواطن البأس مما يفرج الله به الهم وينجى به من الغم الحديث وقال ابن اسحق فى حكاية وقعة بدر فخرج صلى الله عليه وسلم يبادرهم الى الماء حتى جاء أدنى ماء من بدر فنزل به فقال الحباب بن المنذر بن الجموح رضى الله عنه يارسول الله هذا منزل أنزلكه الله تعالى لا نتقدمه ولا نتأخر عنه أم هو الرأى والحرب والمكيدة فقال بل هو الرأى والحرب والمكيدة قال فان هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى تأتى أدنى ماء من القوم فانى اعرف غزارة مائه فننزل به ثم نغور ماوراءه من القلب اى ندفنها ونفسدها عليهم ثم نبنى عليه اى على ذلك الماء الذى تنزل عليه حوضا فنملؤه ماء فنشرب ولا يشربون فقال صلى الله عليه وسلم أشرت بالرأى وفى رواية فنزل جبريل فقال الرأى ما أشار به الحباب فنهض صلى الله عليه وسلم ومن معه من الناس حتى أتى

العيطلة اى وهو احد المستهزئين المتقدم ذكرهم سب النبى صلى الله عليه وسلم فأقبل عليه أبو لهب ونال منه فولى وهو يصيح يا معشر قريش صبا ابو عتبة يعنى ابا لهب فأقبلت قريش على ابى لهب وقالوا له افارقت دين عبد المطلب فقال مافارقت وفى لفظ قالوا له اصبوت قال مافارقت دين عبد المطلب ولكن امنع ابن اخى ان يضام حتى يمضى لما يريد قالوا لقد أحسنت واجملت ووصلت الرحم فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك اياما لا يتعرض له احد من قريش وهابوا أبا لهب الا ان جاء ابو جهل وعقبة بن ابى معيط الى ابى لهب فقالا له اخبرك ابن اخيك اين مدخل ابيك اى المحل الذى يكون فيه يزعم انه فى النار فقال له ابو لهب يا محمد ايدخل عبد المطلب النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ومن مات على مثل ما مات عليه عبد المطلب دخل النار فقال ابو لهب لا برحت لك عدوا وأنت تزعم ان عبد المطلب فى النار فاشتد عليه هو وسائر قريش انتهى وفى لفظ قال له يا محمد اين مدخل عبد المطلب قال مع قومه فخرج ابو لهب الى ابى جهل وعقبة فقال قد سألته فقال مع قومه فقالا يزعم انه فى النار فقال يا محمد ايدخل عبد المطلب النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم الحديث ولا يخفى ان عبد المطلب من اهل الفترة وتقدم الكلام عليهم والله اعلم

(باب ذكر خروج النبى صلى الله عليه وسلم الى الطائف)

سميت بذلك لان رجلا من حضرموت نزلها فقال لاهلها الا ابنى لكم حائطا يطيف ببلدكم فبناه فسمى الطائف وقيل غير ذلك لما مات ابو طالب ونالت قريش من النبى صلى الله عليه وسلم مالم تكن نالته منه فى حياته كما تقدم خرج الى الطائف اى وهو مكروب مشوش الخاطر مما لقى من قريش وقرابته وعترته خصوصا من ابى لهب وزوجته ام جميل حمالة الحطب من الهجو والسب والتكذيب وعن على رضى الله تعالى عنه انه قال بعد موت ابى طالب لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذته قريش تتجاذبه وهم يقولون له صلى الله عليه وسلم انت الذى جعلت الآلهة الها واحدا قال فوالله مادنا منا احد الا ابو بكر فصار يضرب هذا ويدفع هذا وهو يقول اتقتلون رجلا ان يقول ربى الله وخروجه صلى الله عليه وسلم الى الطائف كان فى شوال سنة عشر من النبوة وحده وقيل معه مولاه زيد بن حارثة يلتمس من ثقيف الاسلام رجاء ان يسلموا وان يناصروه على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه قال فى الامتاع لانهم كانوا اخواله قال بعضهم ومن ثم اى من اجل انه صلى الله عليه وسلم خرج الى الطائف عند ضيق صدره وتعب

ادنى ماء من القوم فنزل عليه ثم أمر بالقلب فغورت وبنى حوضا على القليب الذى نزل عليه فملئ ماء ثم قذفوا فيه الآنية وفى رواية ثم نهض المسلمون الى أعدائهم فغلبوهم على الماء واغاروا القلب التى كانت تلى العدو فعطش الكفار وجاء النصر وهذا كله انما حصل بعد اشارة الحباب رضى الله عنه وكان مع قريش رجل من بنى المطلب بن عبد مناف يقال له جهم بن الصلت اسلم عام خيبر رضى الله عنه وضع رأسه بعد ان نزل القوم يدر فاغفى ثم قام فزعا فقال لاصحابه هل رأيتم الفارس الذى وقف على فقالوا لا قال وقف على فارس وقال قتل ابو جهل وعتبة وشيبة وزمعة وابو البخترى وأمية بن خلف وفلان وفلان وعدد رجالا من أشراف قريش ممن قتل يوم بدر وقال أسر سهيل بن عمرو وفلان وفلان وعد رجالا ممن أسر قال ثم رأيت ذلك الفارس ضرب فى لبة بعيره اى نحره ثم أرسله فى العسكر فما من خباء من أخبية العسكر الا أصابه من دمه فقال له أصحابه انما لعب بك الشيطان ولما شاعت هذه الرؤيا فى العسكر وبلغت أبا جهل قال جئتم بكذب بنى المطلب مع كذب بنى هاشم سيرون غدا من يقتل وفى لفظ آخر قال ابو جهل هذا نبى آخر من بنى المطلب سيعلم غدا من المقتول نحن أم محمد وأصحابه ولما خرجوا من مكة كان أول من نحر لهم ابو جهل نحر لهم بمر الظهران عشر جزائر وكانت جزور منها بعد ان نحرت بها حياة فجالت فى العسكر فما بقى خباء من أخبية العرب الا أصابه من دمها ومن ذلك الحل رجع بنو عدى تفاؤلا بذلك وبعد ان استقر النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم بالموضع الذى أشار به الحباب قال سعد بن معاذ رضى الله عنه يا رسول الله الا نبنى لك عريشا تكون فيه وندع عندك ركائبك ثم نلقى عدونا فان أعزنا الله وأظهرنا كان ذلك ما احببنا وا

خاطره جعل الله الطائف مستأنسا على من ضاق صدره من أهل مكة كذا قال وفى كلام غيره ولاجرم جعل الله الطائف مستأنسا لاهل الاسلام ممن بمكة الى يوم القيامة فهى راحة الامة ومتنفس كل ذى ضيق وغمة سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا فليتأمل فلما انتهى صلى الله عليه وسلم الى الطائف عمد الى سادات ثقيف واشرافهم وكانوا اخوة ثلاثة احدهم عبد ياليل اى واسمه كنانة ○ لم يعرف له اسلام واخوه مسعود اى وهو عبد كلال بضم الكاف وتخفيف اللام ○ لم يعرف له اسلام أيضا وحبيب قال الذهبى فى صحبته نظر اى وهم اولاد عمرو بن عمير بن عوف الثقفى وجلس صلى الله عليه وسلم اليهم وكلمهم فيما جاءهم به اى من نصرته على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه فقال احدهم هو يمرط ثياب الكعبة اى ينتفها او يقطعها اى وقيل يسرقها ان كان الله ارسلك وقال له آخر ما وجد الله احدا يرسله غيرك وقال له الثالث والله لا اكلمك ابدا لئن كنت رسول الله كما تقول لانت اعظم خطرا اى قدرا من ان ارد عليك الكلام ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغى لى ان اكلمك فقام صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد أيس من خير ثقيف وقال لهم اكتموا على وكره صلى الله عليه وسلم ان يبلغ قومه ذلك فيشتد امرهم عليه وقالوا له اخرج من بلدنا والحق بمنجاتك من الارض واغروا به اى سلطوا عليه سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وقعدوا له صفين على طريقه فلما مر صلى الله عليه وسلم بين الصفين جعل لا يرفع رجليه ولا يضعهما الا ارضخوهما اى دقوهما بالحجارة حتى ادموا رجليه صلى الله عليه وسلم وفى لفظ حتى اختضبت نعلاه بالدماء وكان صلى الله عليه وسلم اذا ازلقته الحجارة اى وجد ألمها قعد الى الارض فيأخذون بعضديه فيقيمونه فاذا مشى رجموه وهم يضحكون كل ذلك وزيد بن حارثة اى بناء على انه كان معه صلى الله عليه وسلم يقيه بنفسه حتى لقد شج رأسه شجاجا فلما خلص منهم ورجلاه يسيلان دما عمد الى حائط من حوائطهم اى بستان من بساتينهم فاستظل فى حبلة اى بفتح الباء الموحدة وتسكينها غير معروف شجرة كرم وقيل انها حبلة لانها تحمل بالعنب وقد فسر نهيه صلى الله عليه وسلم عن بيع حبل الحبلة ببيع العنب قبل أن يطيب قال السهيلى وهو غريب لم يذهب اليه أحد فى تأويل الحديث بجامع ذلك الحمل وهو مكروب موجع اى وقد جاء النهى عن أن يقال لشجر العنب الكرم فى قوله صلى الله عليه وسلم لا يقولن أحدكم الكرم فان الكرم قلب المؤمن ولكن قولوا

كانت الاخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا فقد تخلف عنك أقوام يا نبي الله ما نحن بأشد لك حبا منهم ولو ظنوا انك تلقى حربا ما تخلفوا عنك يمنعك الله بهم يناصحونك ويجاهدون معك فأثنى عليه صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له بخير وقال يقضي الله خيرا من ذلك يا سعد أي وهو نصرهم وظهورهم ثم بني له ذلك العريش فوق تل مشرف على المعركة وكان صلى الله عليه وسلم فيه وأبو بكر رضي الله عنه وعن علي رضي الله عنه انه قال أخبروني من أشجع الناس قالوا أنت قال أشجع الناس ابو بكر رضي الله عنه لما كان يوم بدر جعلنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشا فقلنا من يكون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لئلا يهوي اليه احد من المشركين فكان ابو بكر رضي الله عنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله ما دنا منا أحد الا وابو بكر رضي الله عنه شاهر بالسيف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يهوي أحد اليه الا أهوى اليه ابو بكر رضي الله عنه وجاء انه لما التحم القتال وقف أيضا على باب العريش سعد بن معاذ رضي الله عنه وجماعة من الانصار ومما يستدل به على شجاعة الصديق رضي الله عنه أيضا ثبوته يوم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وقتاله أهل الردة وغير ذلك والعريش شيء يشبه الخيمة يستظل به فبني له صلى الله عليه وسلم قال السيد السمهودي ومكانه عند مسجد بدر وهو معروف عند النخل والعين قريبة منه ثم لما

أصبحوا عدل النبي صلى الله عليه وسلم صفوف أصحابه وأقبلت قريش ورآها صلى الله عليه وسلم وقال اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني ولما اطمأنت قريش أرسلوا عمير بن وهب الجمحي وكان كافرا ثم أسلم بعد ذلك رضي الله عنه وقالوا احزر لنا أصحاب محمد أي انظر عدتهم فجال بفرسه

حدائق العنب قال وسبب النهي عن تسميتها كرما لان الخمر تتخذ من ثمرتها وهو يحمل على الكرم فاشتقوا لها اسما من الكرم وفي لفظ ثم ان هؤلاء الثلاثة اي عبد ياليل واخويه أغروا عليه سفهاءهم وعبيدهم فصاروا يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وألجؤه الى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة فلما دخل الحائط رجعوا عنه قال وذكر أنه صلى الله عليه وسلم دعا بدعاء منه اللهم انى أشكو اليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي الى من تكلني ان لم يكن بك غضب على فلا أبالي اه واذا في الحائط اي البستان عتبة وشيبة ابنا ربيعة اي وقد رأيا مالقى من سفهاء اهل الطائف فلما رآهما كره مكانهما لما يعلم من عداوتهما لله ولرسوله فلما رأياه ومالقى تحركت له رحمهما فدعوا غلاما لهما نصرانيا يقال له عداس معدود في الصحابة مات قبل الخروج الى بدر فقالا خذ قطفا من هذا العنب فضعه في هذا الطبق ثم اذهب به الى ذلك الرجل فقل له يأكل منه اي وهذا لا ينافي كون زيد بن حارثة كان معه كما لا يخفى ففعل عداس ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال له كل فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه يده الشريفة قال بسم الله ثم اكل اى لانه صلى الله عليه وسلم كان اذا وضع يده في الطعام قال بسم الله ويأمر الآكل بالتسمية وأمر من نسي التسمية اوله أن يقول بسم الله اوله وآخره فنظر عداس في وجهه وقال والله ان هذا الكلام ما يقوله اهل هذه البلاد فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من أي البلاد أنت وما دينك يا عداس قال نصراني وأنا من اهل نينوى بكسر النون الاولى وفتح الثانية وقيل بضمها قرية على شاطئ دجلة في أرض الموصل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل قرية اى وفي رواية من مدينة الرجل الصالح يونس بن متى اسم ابيه اى كما في حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وفي تاريخ حماة أنه اسم أمه قال ولم يشتهر باسم امه غير عيسى و يونس عليهما الصلاة والسلام اى وفي مزيل الخفاء فان قيل قد ورد في الصحيح لا تفضلوني على يونس بن متى ونسبه الى أبيه وهو يقتضي أن متى ابوه لا أمه اجيب بأن متى مدرج في الحديث من كلام الصحابي لبيان يونس بما اشتهر به لا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ولما كان ذلك موهما ان الصحابي سمع هذه النسبة من النبي صلى الله عليه وسلم دفع الصحابي ذلك بقوله ونسبه الى ابيه لا الى أمه هذا كلامه وعند ذلك قال عداس له صلى الله عليه وسلم وما يدريك ما يونس بن متى فاني والله لقد خرجت منها يعني نينوى وما فيها عشرة يعرفون ما متى فمن اين عرفت ابن متى وانت أمي وفي أمة أمية

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك اخى كان نبيا وانا نبى أمى وفى رواية أنا رسول الله والله أخبرنى خبره وما وقع له مع قومه اى حيث وعدهم العذاب بعد أربعين ليلة لما دعاهم فابوا ان يجيبوه وخرج عنهم وكانت عادة الانبياء اذا واعدت قومها العذاب خرجت عنهم فلما فقدوه قذف الله تعالى فى قلوبهم التوبة اى الايمان بما دعاهم اليه يونس وقيل كما فى الكشاف انه قال لهم يونس أنا أؤجلكم أربعين ليلة فقالوا ان رأينا اسباب الهلاك آمنا بك فلما مضت خمس وثلاثون ليلة اطبقت السماء غيما أسود يدخن دخانا شديدا ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم فعند ذلك لبسوا المسوح وأخرجوا المواشى وفرقوا بين النساء وأولادها وبين كل بهيمة وولدها فلما أقبل عليهم العذاب جأروا الى الله تعالى وبكى الناس والولدان ورغت الابل وفصلانها وخارت البقر وعجاجيلها وثغت الغنم وسخالها وقالوا ياحى حين لاحى وياحى يحيى الموتى وياحى لااله الا أنت (وعن الفضيل) انهم قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وأنت اعظم منها وأجل فافعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله وفى الكشاف انهم عجوا أربعين ليلة وعلم الله تعالى منهم الصدق فتاب عليهم وصرف عنهم العذاب بعد أن صار بينه وبينهم قدر ميل فمر رجل على يونس فقال له ما فعل قوم يونس فحدثه بما صنعوا فقال لا أرجع الى قوم قد كذبتهم قيل وكان فى شرعهم ان من كذب قتل فانطلق مغاضبا لقومه وظن أن لن نقضى عليه بما قضى به عليه اى من الغم وضيق الصدر قال تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه اى ان نضيق عليه وكانت التوبة عليهم يوم عاشوراء وكان يوم الجمعة اى وفى كلام بعضهم كشف العذاب عن قوم يونس يوم عاشوراء وأخرج فيه يونس من بطن الحوت وهو يؤيد القول بأنه نبذ من يومه وهو قول الشعبى التقمه ضحوة ونبذه عشية اى بعد العصر وقاربت الشمس الغروب وذكر أن الحوت لم يأكل ولم يشرب مدة بقاء يونس فى بطنه لئلا يضيق عليه وقال السدى مكث أربعين يوما وقال جعفر الصادق سبعة أيام وقال قتادة ثلاثة أيام وذلك بعد أن نزل السفينة فلم تسر فقال لهم ان معكم عبدا آبقا من ربه وانها لا تسير حتى تلقوه فى البحر وأشار الى نفسه فقالوا الا نلقيك يانبى الله ابدا قال فاقترعوا فخرجت القرعة عليه ثلاث مرات فالقوه فالتقمه الحوت وقيل قائل ذلك بعض الملاحين وحين خرجت القرعة عليه ثلاثا ألقى نفسه فى البحر وهذا السياق يدل على أن رسالته كانت قبل أن يلتقمه الحوت وقيل انما أرسل بعد نبذ الحوت له وفيه كيف يدعوهم ويعدهم العذاب وهو غير مرسل اليهم وعن وهب بن منبه وقد سئل عن يونس

حول عسكر النبى صلى الله عليه وسلم ثم رجع اليهم فقال ثلثمائة رجل يزيدون أو ينقصون قليلا ولكن أمهلونى حتى انظر أللقوم كمين أو مدد فذهب فى الوادى حتى أبعد ثم رجع اليهم وقال ما رأيت شيأ ولكن قد رأيت يامعشر قريش البلايا تحمل المنايا وجال يثرب تحمل الموت الناقع الا تروهم خرسا لا يتكلمون يتلمظون تلمظ الافاعى لايريدون ان يقبلوا الى أهليهم زرق العيون كأنهم الحصى تحت الحجف قوم ليس لهم منعة الا سيوفهم والله ما نرى ان نقتل منهم رجلا حتى يقتل رجل منكم فاذا أصابوا منكم عدادهم فما خير العيش بعد ذلك فروا رأيكم فلما سمع حكيم بن حزام ذلك مشى فى الناس فأتى عتبة بن ربيعة فقال يا أبا الوليد انك كبير قريش وسيدها والمطاع فيها هل لك ان تذكر بخير الى آخر الدهر فقال وما ذاك ياحكيم قال ترجع بالناس (وفى رواية) قال له حكيم تجير بين الناس وتحمل دم حليفك عمرو بن الحضرمى اى الذى قتله واقد بن عبد الله فى سرية عبد الله ابن جحش الى نخلة وتحمل ما أصاب محمد من تلك العير فانهم لا يطلبون من محمد الا ذلك فقال عتبة نعم قد فعلت هو حليفى فعلى عقله اى ديته وعلى ما أصيب من المال ونعم ما قلت ياحكيم ونعم ما دعوت اليه فركب عتبة جملا له احمر وصار يجيل فى صفوف قريش يقول ياقوم اطيعونى فانكم لا تطلبون غير دم ابن الحضرمى وما أخذ فى العير وقد تحملت ذلك ثم قال انشدكم الله فى الوجوه التى تضئ ضياء المصابيح يعنى قريشا ان تجعلوها اندادا لهذه الوجوه التى كأنها عيون الحيات يعنى الانصار وقد رآه النبى صلى الله عليه وسلم فى القوم وهو على جمله فقال ان يكن فى أحد من القوم خير فعند صاحب الجمل الاحمر ان يطيعوه يرشدوا وذكر ابن اسحق ان عتبة قام خطيبا فقال يامعشر قريش والله ما تصنعون شيأ ان تلقوا محمدا فقال

واصحابه والله لئن أصبتموه لايزال الرجل ينظر فى وجه رجل يكره النظر اليه قد قتل ابن عمه أو ابن خاله أو رجلا من عشيرته فارجعوا وخلوا بين محمد وسائر العرب فان أصابه غيركم فذاك الذى اردتم وان كان غير ذلك الفاكم ولم تعدموا منه ماتريدون ياقوم اعصبوها اليوم برأسى اى اجعلوا عارها متعلقا بى وقولوا جبن عتبة وأنتم تعلمون أنى لست بأجبنكم ثم قال عتبة لحكيم انطلق لابن الحنظلية وأخبره يعنى أبا جهل قال حكيم فانطلقت فوجدت أبا جهل قد نثل درعا له من جرابها اى أخرجها فقلت يا أبا الحكم ان عتبة أرسلنى اليك بكذا وكذا فقال انتفخ سحره وهى كلمة تقال للجبان ثم جاء ابو جهل لعتبة وقال له لو غيرك يقول هذا لاعضضته بظر أمه والله لانرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد (وفى رواية) وأرسل بذلك حكيم بن حزام الى أبى جهل فأخبره فقال والله ما بعتبة ما قال ولكنه رأى ان محمدا وأصحابه اكلة جزور وفيهم ابنه يعنى ابا حذيفة بن عتبة رضى الله عنه فانه كان مع النبى صلى الله عليه وسلم ومن السابقين فى الاسلام فتخوفكم عليه ثم أفسد ابو جهل على الناس رأى عتبة وبعث الى عامر بن الحضرمى وقال له هذا حليفك يريد الرجوع بالناس وقد رأيت ثأرك بعينك فقم فانشد مقتل أخيك فقام عامر وكشف استه وحثا التراب على رأسه وصرخ واعمراه واعمراه فحميت الحرب وتهيؤا للقتال والشيطان معهم لايفارقهم فى صورة سراقة يقول لهم لاغالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فخرج الاسود المخزومى وكان شرسا سيئ الخلق فقال اعاهد الله لاشربن من حوضهم أو لاهدمنه أو لاموتن دونه فلما أقبل قصده حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه فضربه دون الحوض فوقع على ظهره تشخب رجله دما ثم اقتحم الحوض زاعما ان تبر يمينه فقتله حمزة فى الحوض والاسود هذا هو الاسود بن عبد الاسد المخزومى

فقال كان عبدا صالحا وكان فى خلقه ضيق فلما حملت عليه اثقال النبوة تفسخ تحتها فألقاها عنه وخرج هاربا اى فقد تقدم أن للنبوة اثقالا لايستطيع حملها الا أولوا العزم من الرسل وهم نوح وهود وابراهيم ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أما نوح فلقوله ياقوم ان كان كبر عليكم مقامى وتذكيرى بآيات الله الآية وأما هود فلقوله انى أشهد الله واشهدوا أنى برىء مما تشركون من دونه الآية وأما ابراهيم فلقوله هو والذين آمنوا معه انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله الآية وأما محمد صلى الله عليه وسلم فلقول الله تعالى له فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل فصبر صلى الله عليه وسلم فعند ذلك أكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل رأسه ويديه وقدميه اى فقال احدهما اى عتبة وشيبة للآخر أما غلامك فقد أفسده عليك فلما جاءهما عداس قال له أحدهما ويلك مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه قال ياسيدى مافى الارض شئ خير من هذا لقد أعلمنى بامر لايعلمه الا نبى قال ويحك ياعداس لايصرفنك عن دينك (اقول) وفى رواية قالا له ماشأنك سجدت لمحمد وقبلت قدميه ولم نرك فعلته باحدنا قال هذا رجل صالح أخبرنى بشئ عرفته من شأن رسول بعثه الله الينا يدعى يونس بن متى فضحكا به وقالا لايفتننك عن نصرانيتك فانه رجل خداع ودينك خير من دينه وقد تقدم فى بعض الروايات أن خديجة رضى الله تعالى عنها قبل أن تذهب بالنبى صلى الله عليه وسلم لورقة بن نوفل ذهبت به الى عداس وكان نصرانيا من اهل نينوى قرية سيدنا يونس عليه الصلاة والسلام وتقدم أنه غير هذا خلافا لمن اشتبه عليه به (وفى كلام) الشيخ محيى الدين بن عربى قد اجتمعت بجماعة من قوم يونس سنة خمس وثمانين وخمسمائة بالاندلس حيث كنت فيه وقست أثر رجل واحد منهم فى الارض فرأيت طول قدمه ثلاثة أشبار وثلثى شبر والله اعلم (وفى الصحيح) عن عائشة رضى الله تعالى عنها انها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم هل أتى عليك يوم اشد من احد قال لقد لقيت من قومك وكان اشد مالقيت يوم العقبة اذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن كلال اى والمناسب لما سبق اسقاط لفظ ابن الاولى والاتيان بواو العطف موضع ابن الثانية اى فيقال عبد ياليل وكلال اى وعبد كلال ويكون خصهما بالذكر دون اخيهما حبيب لانهما كانا أشرف واعظم منه أو لانهما كانا المجيبين له صلى الله عليه وسلم بالقبيح دون حبيب الا ان ثبت أن فى آباء هؤلاء الثلاثة شخصا يقال له عبد ياليل وعبد كلال وحينئذ يكون المراد هؤلاء الثلاثة لان ابن مفرد مضاف ثم رأيته فى النور ذكر ما يفيد أن لفظ ابن ثابت فى الصحيح والذى فى كلام ابن اسحق وابى عبيد

أخو عبد الله بن عبد الاسد المخزومي رضي الله عنه زوج أم سلمة رضي الله عنها والاسود أول قتيل قتل يوم بدر من المشركين وهو اول من ياخذ كتابه بشماله يوم القيامة وأما أخوه عبد الله بن عبد الاسد فهو اول من ياخذ كتابه بيمينه كما جاء ذلك في أحاديث متعددة ثم ان عتبة بن ربيعة التمس بيضة اى خودة يدخلها الى رأسه فلم يجد في الجيش بيضة تسع رأسه لعظمها فاعتجر ببرد له اى تعمم به ثم خرج بين أخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة حتى انفصل من الصف ودعا الى المبارزة فخرج اليه فتية من الانصار وهم عوف ومعاذ ابنا الحرث الانصاريان النجاريان وأمهما عفراء بنت عبيد بن ثعلبة الانصارية وعبد الله ابن رواحة الانصارى رضي الله عنهم فقال عتبة ومن معه لهم من أنتم قالوا رهط من الانصار قالوا مالنا بكم من حاجة اكفاء كرام انما نريد قومنا ثم نادى مناديهم يا محمد أخرج الينا اكفاءنا من قومنا فناداهم أن ارجعوا الى مصافكم وليقم اليهم بنو عمهم ثم قال صلى الله عليه وسلم قم يا عبيدة بن الحرث قم يا حمزة قم يا على فلما قاموا ودنوا منهم قالوا من أنتم لانهم كانوا متلثمين لم يعرفوا فتسموا لهم قال ابن اسحق فقال عبيدة عبيدة وقال حمزة حمزة وقال على على قالوا نعم اكفاء كرام فبارز عبيدة وكان اسن القوم المسلمين عتبة وكان اسن الثلاثة وبارز حمزة شيبة هذه رواية ابن اسحق وأما رواية موسى بن عقبة فقال فيها بارز حمزة لعتبة وعبيدة لشيبة ورجحها بعضهم واتفقوا على أن عليا بارز للوليد فقتل على الوليد وقتل حمزة عتبة واختلف عبيدة وشيبة بضربتين كلاهما اثخن صاحبه فكر حمزة وعلى باسيافهما على شيبة فذففا عليه واحتملا صاحبهما فحازاه الى اصحابه وكانت الضربة التي أصابت عبيدة في ركبته فمات منها لما رجعوا بالصفراء وقبره معروف بين الصفراء والحمراء ولما

وغيرهما اسقاطه ثم رأيت الشمس الشامي قال الذي ذكره أهل المغازي ان الذي كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد ياليل نفسه لا ابنه وعند أهل السير أن عبد كلال أخوه لا أبوه اى ابوا بيه كما لا يخفى فلم يجبنى الى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهى فلم استفق الا وأنا بقرن الثعالب اى ويقال له قرن المنازل وهو ميقات اهل نجد الحجاز أو اليمن بينه وبين مكة يوم وليلة وفي لفظ وهو موضع على ليلة من مكة وراء قرن بسكون الراء ووهم الجوهرى فى تحريكها وفى قوله ان أويسا القرني منسوب اليه وانما هو منسوب الى قرن قبيلة من مراد كما ثبت في مسلم فرفعت رأسى فاذا أنا بسحابة قد اظلتنى فنظرت فاذا فيها جبريل عليه السلام فنادى فقال قد سمع قول قومك اى اهل ثقيف كما هو المتبادر وما ردوا عليك به وقد بعث اليك ملك الجبال فتأمره بما شئت فيهم فناداه صلى الله عليه وسلم ملك الجبال وسلم عليه وقال له ان شئت ان اطبق عليهم الاخشبين فعلت اى وهما جبلان يضافان تارة الى مكة وتارة الى منى فمن الاولى قوله وهما ابو قبيس وقعيقعان وقيل الجبل الاحمر الذي يقابل ابا قبيس المشرف على قعيقعان ومن الثانية الجبلان اللذان تحت العقبة بمنى فوق المسجد وفيه أن ثقيفا ليسوا بينهما بل الجبلان خارجان عنهم فكيف يطبقهما عليهم وفي لفظ ان شئت خسفت بهم الارض أو دمدمت عليهم الجبال اى التى بتلك الناحية ثم رأيت الحافظ ابن حجر قال المراد بقوم عائشة فى قوله لقد لقيت من قومك قريش اى لا أهل الطائف الذين هم ثقيف لانهم كانوا هم السبب الحامل على ذهابه صلى الله عليه وسلم لثقيف ولان ثقيفا ليسوا قوم عائشة رضي الله تعالى عنها وعليه فلا اشكال ويوافقه قول الهدى فأرسل ربه تبارك وتعالى اليه صلى الله عليه وسلم ملك الجبال يستأمره ان يطبق على أهل مكة الاخشبين وهما جبلاها التى هى بينهما وعبارة الهدى فى محل آخر وفي طريقه صلى الله عليه وسلم أرسل الله تعالى اليه ملك الجبال فامره بطاعته صلى الله عليه وسلم وان يطبق على قومه اخشبى مكة وهما جبلاها ان أراد هذا كلامه ولا يخفى ان هذا خلاف السياق اذ قوله وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة اذ عرضت نفسى الى آخره وقول جبريل قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك به ظاهر فى أن المراد بهم ثقيف لا قريش ويوافق هذا الظاهر قول ابن الشحنة فى شرح منظومة جده بعد أن ساق دعاءه صلى الله عليه وسلم المتقدم بعضه فأرسل الله عز وجل جبريل ومعه ملك الجبال فقال ان شئت أطبقت عليهم الاخشبين وحينئذ يكون المراد اطباقهما عليهم بعد نقلهما من محلهما الى محل ثقيف الذى هو الطائف

الطائف لان القدرة صالحة وعند قول ملك الجبال لما ذكر قال النبي صلى الله عليه وسلم بل أرجو أن يخرج الله تعالى وفي رواية استأنى بهم لعل الله ان يخرج من أصلابهم من يعبد الله تعالى لا يشرك به شيأ وعند ذلك قال له ملك الجبال أنت كما سماك ربك رؤف رحيم قال الحافظ ابن حجر لم أقف على اسم ملك الجبال والى حلمه واغضائه صلى الله عليه وسلم أشار صاحب الهمزية بقوله

جهلت قومه عليه فأغضى * وأخو الحلم دأبه الاغضاء
وسع العالمين علما وحلما * فهو بحر لم تعيه الاعباء

اى جهلت قومه صلى الله عليه وسلم عليه فآذوه اذية لا تطاق فاغضى عنهم حلما وأخو الحلم اى وصاحب عدم الانتقام شأنه التغافل فان علمه وسع علوم العالمين ووسع حلمه حلمهم فهو واسع العلم والحلم لم تعيه الاعباء اى لم تتعبه الاثقال لكن تقييده بقومه السابق يدل على أن المراد به ثقيف وقد علمت ما فيه فليتأمل وعند منصرفه صلى الله عليه وسلم المذكور من الطائف نزل نخلة وهى محلة بين مكة والطائف قريبة فقر بسبعة وقيل تسعة من جن نصيبين اى وهى مدينة بالشام وقيل باليمن أثنى عليها صلى الله عليه وسلم بقوله رفعت الى نصيبين حتى رأيتها فدعوت الله تعالى أن يعذب نهرها وينضر شجرها ويكثر مطرها وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من جوف الليل اى وسطه يصلى (وفى رواية) يصلى صلاة الفجر وفى رواية هبطوا على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة فلعله كان يقرأ فى الصلاة والمراد بصلاة الفجر الركعتان اللتان كان يصليهما قبل طلوع الشمس ولعله صلاهما عقب الفجر وذلك ملحق بالليل وفى قوله جوف الليل تجوز من الراوى أو صلى صلاتين صلاة فى جوف الليل وصلاة بعد الفجر وقرأ فيهما أو جمع بين القراءة والصلاة وأن الجن استمعوا للقراءتين واطلاق صلاة الفجر على الركعتين المذكورتين سائغ وبهذا يندفع قول بعضهم صلاة الفجر لم تكن وجبت وكان صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة الجن وفيه اى فى الصحيحين أن سورة الجن انما نزلت بعد استماعهم وقد يقال سيأتى ما يعلم منه أنه ليس المراد بالاستماع الاستماع المذكور هنا بل استماع سابق على ذلك وهو المذكور فى رواية ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الآتية ورواية صلاة الفجر هنا ذكرها الكشاف كالفخر والاقل الروايات التى وقفت عليها فيها الاقتصار على صلاة الليل وصلاة الفجر كانت فى ابتداء البعث فى بطن نخلة عند ذهابه وأصحابه الى سوق عكاظ كما سيأتى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فآمنوا به وكانوا يهود

احتملوا عبيدة فجاؤا به الى النبي صلى الله عليه وسلم ومخ ساقه يسيل وأضجعوه الى جانب موقفه صلى الله عليه وسلم فأفرشه رسول الله صلى الله عليه وسلم قدمه الشريف فوضع خده عليها وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهد أنك شهيد بعد أن قال له عبيدة ألست شهيدا (وفى رواية) انه قال اشهد أنا يا رسول الله قال نعم قال وددت والله أن ابا طالب كان حيا ليعلم أنا أحق منه بقوله

ونسلمه حتى نصرع حوله
ونذهل عن ابنائنا والحلائل

ثم أنشأ يقول

فان يقطعوا رجلى فانى مسلم
أرجى به عيشا من الله عاليا
وألبسنى الرحمن من فضل منه
لباسا من الاسلام غطى المساويا

وفى هذه القصة فضيلة ظاهرة لحمزة وعبيدة وعلى رضى الله عنهم وعبيدة هذا هو عبيدة بن الحرث عبد بن المطلب بن عبد مناف قال ابوذر رضى الله عنه ان قوله تعالى هذان خصمان اختصموا فى ربهم نزلت فى الذين برزوا يوم بدر فذكر هؤلاء الستة وعن على رضى الله عنه قال أنا أول من يجثو بين يدى الرحمن للخصومة يوم القيامة فينا نزلت هذه الآية هذان خصمان اختصموا فى ربهم وكان من حكمة الله تعالى ان جعل المسلمين قبل ان يلتحم القتال فى أعين المشركين قليلا استدراجا لهم ليقدموا ولما التحم القتال جعلهم فى اعين المشركين كثيرا ليحصل لهم الرعب والوهن وجعل الله المشركين عند التحام القتال فى اعين المسلمين قليلا ليقوى جاشهم على مقاتلتهم ومن ثم جاء عن ابن مسعود رضى الله عنه انه قال لقد قللوا فى أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل أتراهم سبعين قال أراهم مائة وانزل الله تعالى واذ يريكموهم اذ التقيتم فى اعينكم قليلا ويقللكم فى اعينهم ومن ثم قال تعالى قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين اى يرى أولئك الكفار المؤمنين مثليهم رأى العين وقد ذكروا ان قباب بن اشيم كان مع المشركين ثم اسلم رضى الله عنه قال فى نفسه يوم بدر لو خرجت

فسائرة يا كنتم اردت محمدا واصحابه وعنه رضي الله عنه قال لما اسلمت بعد الخندق فسألت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
هو ذا الذي في المسجد مع ملأ من اصحابه فأتيته وأنا لا اعرفه من بينهم فسلمت عليه فقال يا قباب انت القائل يوم بدر لو خرجت نساء
قريش يا كنتم اردت محمدا واصحابه قال قباب والذي بعثك بالحق ما تحدثت به لسانى ولا ترفرفت به شفتاى ولا سمعه
منى احد وما هو الا شيء هجس في قلبي أشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وان ما جئت به هو الحق وحينئذ يكون معنى قوله صلى الله عليه وسلم انت القائل اى في نفسك فيكون اطلاعه على ذلك من معجزاته صلى الله عليه وسلم قال ابن اسحق لما قتل المبارزون خرج صلى الله عليه وسلم من العريش لتعديل الصفوف فعدلهم بقدح في يده اى سهم لا نصل فيه ولا ريش فمر صلى الله عليه وسلم بسواد بن غزية حليف بني النجار وهو خارج من الصف فطعنه صلى الله عليه وسلم في بطنه بالقدح وقال استو يا سواد فقال يا رسول الله أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقدني اى مكني من القود اى القصاص من نفسك فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه وقال استقد أى خذ القود فاعتنق سواد النبي صلى الله عليه وسلم وقبل بطنه فقال ما حملك على هذا يا سواد فقال يا رسول الله حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك ان يمس جلدي جلدك
فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير ثم لما عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفوف قال لهم
ان دنا القوم منكم فانضحوهم اى ادفعوهم عنكم بالنبل واستبقوا نبلكم اى لا ترموها على بعد فان الرمي مع البعد يخطئ
غالبا ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم وخطبهم خطبة حثهم فيها على الجهاد والمصابرة مثل التي قبل مجيئهم الى محل القتال ثم عاد

لقولهم انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى ولم يقولوا من بعد عيسى الا أن يكون ذلك بناء على أن شريعة عيسى مقررة لشريعة موسى لا ناسخة لها ولا يخفى أنهم غلبوا ما نزل من الكتاب على ما لم ينزل لانهم لم يسمعوا جميع الكتاب ولا كان كله نزل قال وانكر ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اجتماع النبي صلى الله عليه وسلم بالجن اى بأحد منهم ففي الصحيحين عنه قال ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ اى وكان بين الطائف ونخلة كان لثقيف وقيس عيلان كما تقدم وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين الى قومهم فقالوا ما لكم قالوا قد حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب قالوا وما ذاك الا من شيء قد حدث فاضربوا مشارق الارض ومغاربها فمر النفر جماعة أخذوا نحو تهامة فاذا هم بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو بنخلة عامدا الى سوق عكاظ يصلي باصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا الى قومهم فقالوا يا قومنا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فأنزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم قل أوحي الى أى قل أخبرت بالوحي من الله تعالى أنه استمع لقراءتي نفر من الجن أى جن نصيبين (اقول) تقدم ان اطلاق الفجر على الركعتين اللتين كان يصليهما قبل طلوع الشمس سائغ فان ذلك باعتبار الزمان لا لكونهما احدى الخمس المفترضة ليلة الاسراء وقوله باصحابه يجوز أن تكون الباء بمعنى مع ويجوز أن يكون صلى بهم اماما لان الجماعة في ذلك جائزة ولا يخفى أن هذه القصة التي تضمنتها رواية ابن عباس غير قصة انصرافه صلى الله عليه وسلم من الطائف يدل لذلك قوله انطلق في طائفة من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ لانه في تلك القصة التي هي قصة الطائف كان وحده أو معه مولاه زيد بن حارثة على ما تقدم وكان مجيئه صلى الله عليه وسلم من الطائف قاصدا مكة وفي هذه كان ذهابه من مكة قاصدا سوق عكاظ وانه قرأ في تلك اى مجيئه من الطائف سورة الجن وفي هذه قرأ غيرها ثم نزلت تلك السورة وان هذه القصة التي تضمنتها رواية ابن عباس سابقة على تلك لان قصة ابن عباس كانت في ابتداء الوحي لان الحيلولة بين الجن وبين خبر السماء بالشهب كانت في ذلك الوقت وتلك كانت بعد ذلك بسنين عديدة وسياق كل من القصتين يدل على أنه لم يجتمع الجن به صلى الله عليه وسلم ولا قرأ عليهم وانما استمعوا قراءته من غير أن يشعر بهم وقد صرح به ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في هذه وصرح به الحافظ

الدمياطي

الدمياطى فى تلك حيث قال فى سيرته فلما انصرف صلى الله عليه وسلم من الطائف راجعا الى مكة ونزل نخلة قام يصلى من الليل فصرف اليه نفر من الجن سبعة من أهل نصيبين فاستمعوا له صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ سورة الجن ولم يشعر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل عليه واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن هذا كلامه ونزول ما ذكر كان بعد انصرافهم فقد قال ابن اسحق فلما فرغ من صلاته ولوا الى قومهم منذرين قد آمنوا به وأجابوا الى ما سمعوا فقص الله تعالى خبرهم على النبى صلى الله عليه وسلم وبهذا يعلم ما فى سفر السعادة ولما اوصل صلى الله عليه وسلم فى رجوعه الى نخلة جاءه الجن وعرضوا اسلامهم عليه وكذا يعلم ما فى المواهب من قوله ولما انصرف صلى الله عليه وسلم عن أهل الطائف ونزل نخلة صرف اليه سبعة من جن نصيبين الى أن قال وفى الصحيح أن الذى آذنه صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة الجن شجرة وانهم سألوه الزاد فقال كل عظم الى آخره لان سؤالهم له صلى الله عليه وسلم الزاد فرع اجتماعهم وقد ذكروا أنهم لم يؤذنه صلى الله عليه وسلم بهم الا الشجرة هناك وعلى جواز أن الشجرة آذنته بهم قبل انصرافهم اى أعلمته بوجودهم وأن ذلك كان سببا لاجتماعهم به صلى الله عليه وسلم وأن دعوى ذلك لا ينافى أنه صلى الله عليه وسلم لم يشعر باستماعهم للقرآن الا لما نزل عليه من القرآن فسؤالهم له صلى الله عليه وسلم الزاد كان فى قصة اخرى غير هاتين القصتين كانت بمكة سيأتى الكلام عليها ثم رأيت عن ابن جرير أنه تبين من الاحاديث أن الجن سمعوا قراءة النبى صلى الله عليه وسلم بنخلة وأسلموا فارسلهم صلى الله عليه وسلم الى قومهم منذرين اذ لا جائز أن يكون ذلك فى أول البعث لمخالفته لما تقدم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وحينئذ يؤيد الاحتمال الثانى الذى ذكرناه من أنه يجوز انهم اجتمعوا به صلى الله عليه وسلم بعد أن آذنته بهم الشجرة وقوله فأرسلهم الى قومهم منذرين لم أقف فى شئ من الروايات على ما هو صريح فى ذلك اى ان ارساله لهم كان من نخلة عند رجوعه من الطائف ولعل قائله فهم ذلك من قوله تعالى ولوا الى قومهم منذرين وغاية ما رأيت أن ابن جرير والطبرانى رويا عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن الجن الذين اجتمعوا به صلى الله عليه وسلم ببطن نخلة كانوا تسعة نفر من أهل نصيبين فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا الى قومهم وهذا ليس صريحا فى أنه صلى الله عليه وسلم كان عند رجوعه من الطائف لا يقال يعنى ذلك انكار ابن عباس رضى الله تعالى عنهما اجتماعه صلى الله عليه وسلم بالجن المرة الاولى التى كانت عند البعث لاحتمال أنه صلى الله عليه وسلم

الى العريش وتزاحف الناس اى مشى كل فريق جهة الآخر ودنا بعضهم من بعض واقبل نفر من قريش حتى وردوا حوضه صلى الله عليه وسلم فقال دعوهم فما شرب منه رجل يومئذ الا قتل الا حكيم بن حزام فانه اسلم وحسن اسلامه رضى الله عنه فكان اذا اجتهد فى يمينه قال لا والذى نجانى يوم بدر وأمر صلى الله عليه وسلم اصحابه أن لا يحملوا على المشركين حتى يأمرهم وكان صلى الله عليه وسلم قد أخذته سنة من النوم فاستيقظ وقد أراه الله اياهم فى منامه قليلا فأخبر أصحابه فكان تثبيتا لهم وكان سعد بن معاذ رضى الله عنه متوشحا سيفه فى نفر من الانصار على باب العريش يحرسونه صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى العريش هو وابو بكر رضى الله عنه ليس معه فيه غيره وهو عليه الصلاة والسلام يناشد ربه انجاز ما وعده من النصر قال تعالى واذ يعدكم الله احدى الطائفتين وكان حقا علينا نصر المؤمنين ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون ولما اصطف الناس للقتال رمى قطبة بن عامر بحجر بين الصفين وقال لا أفر الا ان فر هذا الحجر وكان اول من خرج من المسلمين مهجع مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقتله عامر ابن الحضرمى بسهم أرسله اليه فكان مهجع اول قتيل من المسلمين وجاء عنه صلى الله عليه وسلم ان مهجعا سيد الشهداء اى من أهل بدر ثم قتل عمرو بن الحمام وهو اول قتيل من الانصار ثم حارثة بن سراقة وقد جاءت امه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن قدم من بدر وهى عمة انس ابن مالك رضى الله عنه فقالت يارسول الله حدثنى عن حارثة فان يكن فى الجنة لم أبك عليه ولكن احزن وان يكن فى النار بكيت ما عشت فى الدنيا فقال يا أم حارثة انها ليست بجنة ولكنها جنان وحارثة فى الفردوس الاعلى فرجعت وهى تضحك وتقول

يعني بها حارثة (وفي رواية) قال لها ويحك أوهبلت أهي جنة واحدة انها جنان كثيرة والذي نفسي بيده انه في الفردوس الاعلى ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بإناء من ماء فغمس يده فيه ومضمض فاه ثم ناول أم حارثة فشربت ثم ناولت ابنتها فشربت ثم أمرهما ينضحان في جيوبهما ففعلتا فرجعتا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وما بالمدينة امرأتان أقر عينا منهما ولا أسر وقد كان حارثة رضي الله عنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم ان يدعو الله له بالشهادة فقد جاء انه صلى الله عليه وسلم قال لحارثة يوما وقد استقبله كيف اصبحت يا حارثة قال اصبحت مؤمنا بالله حقا قال انظر ما تقول فان لكل قول حقيقة قال يا رسول الله عزفت نفسي عن الدنيا فاسهرت ليلي واظمأت نهاري فكأني بعرش ربي بارزا وكأني انظر الى أهل الجنة يتزاورون فيها وكأني انظر الى أهل النار يتعاوون فيها قال ابصرت فالزم عبد نور الله الايمان في قلبه اي انت عبد الخ فقال ادع الله لي بالشهادة فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وقال ابو جهل لعنه الله واصحابه حين قتل عتبة وشيبة والوليد لنا العزى ولا عزى لكم ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم الله مولانا ولا مولى لكم قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار وسيأتي وقوع مثل ما قال ابو جهل واصحابه من ابي سفيان في يوم احد وانه أجيب بمثل هذا الجواب وصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يناشد ربه ما وعده من النصر * عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو في قبة يعني العريش يوم بدر اللهم اني أنشدك عهدك ووعدك اللهم ان تهلك هذه العصابة اليوم فلا تعبد (وفي رواية) ان تهلك هذه العصابة من اهل الايمان اليوم فلا تعبد في الارض (وفي رواية) اللهم ان ظهروا على هذه العصابة ظهر الشرك ولا يقوم لك دين اي لانه

كان في بطن نخلة في مرة أخرى ثالثة ثم رأيت في النور ما يخالف ما تقدم عن ابن عباس من قوله انه لم يجتمع صلى الله عليه وسلم بهم بالجن حين خروجه الى سوق عكاظ حيث قال الذي في الصحيح وغيره أنه اجتمع بهم وهو خارج من مكة الى سوق عكاظ ومعه أصحابه فليتأمل قال وذكر أنه صلى الله عليه وسلم أقام بنخلة أياما بعد أن أقام بالطائف عشرة أيام وشهرا لا يدع أحدا من أشرافهم اي زيادة على عبد ياليل وأخويه الا جاء اليه وكلمه فلم يجبه أحد فلما أراد الدخول الى مكة قال له زيد بن حارثة كيف تدخل عليهم يعني قريشا وهم قد أخرجوك اي كانوا سببا لخروجك وخرجت تستنصر فلم تنصر فقال يا زيد ان الله جاعل لما ترى فرجا ومخرجا وان الله ناصر دينه ومظهر نبيه فصار صلى الله عليه وسلم الى حراء ثم بعث الى الاخنس بن شريق اي رضي الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك ○ ليجيره اي ليدخل صلى الله عليه وسلم مكة في جواره فقال انا حليف والحليف لا يجير أي في قاعدة العرب وطريقتهم واصطلاحهم فبعث صلى الله عليه وسلم الى سهيل بن عمرو رضي الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك أيضا ○ فقال ان بني عامر لا تجير على بني كعب وفيه أنه لو كان كذلك لما سألهما صلى الله عليه وسلم وكونه صلى الله عليه وسلم لم يكن يعرف هذا الاصطلاح بعيد الا أن يقال جوز صلى الله عليه وسلم مخالفة هذه الطريقة فبعث صلى الله عليه وسلم الى المطعم بن عدي اي وقد مات كافرا قبل بدر بنحو سبعة أشهر يقول له اني داخل مكة في جوارك فأجابه الى ذلك وقال له قل له فليأت فرجع اليه صلى الله عليه وسلم فأخبره فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ثم تسلح المطعم بن عدي وأهل بيته وخرجوا حتى أتوا المسجد فقام المطعم بن عدي على راحلته فنادى يا معشر قريش اني قد أجرت محمدا فلا يؤذه أحد منكم ثم بعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ادخل فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وطاف بالبيت وصلى عنده ثم انصرف الى منزله اي والمطعم بن عدي وولده مطيفون به صلى الله عليه وسلم قال وذكر أنه صلى الله عليه وسلم بات عنده تلك الليلة فلما اصبح خرج مطعم وقد لبس سلاحه هو وبنوه وكانوا ستة أو سبعة وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم طف واحتبوا بحمائل سيوفهم في المطاف مدة طوافه صلى الله عليه وسلم وأقبل أبو سفيان على المطعم فقال أمجير أم تابع فقال بل مجير فقال اذن لا تخفر اي لا تزال خفارتك اي جوارك قد أجرنا من أجرت فجلس معه حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم طوافه اهـ اي ولا بدع في دخوله صلى الله عليه وسلم في أمان كافر لان حكمة الحكيم القادر قد تخفى وهذا السياق يدل على أن قريشا كانوا ازمعوا على عدم

دخوله

دخوله صلى الله عليه وسلم مكة بسبب ذهابه الى الطائف ودعائه لاهلها اى ولهذا المعروف الذى فعله المطعم قال صلى الله عليه وسلم فى أسارى بدر لو كان المطعم بن عدى حيا ثم كلمنى فى هؤلاء النتنى لتركتهم له (ورأيت) فى اسد الغابة ان جبيرا ولد المطعم رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بين الحديبية والفتح وقيل يوم الفتح جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو كافر فسأله فى أسارى بدر فقال لو كان الشيخ أبوك حيا فاتانا فيهم لشفعناه فيهم كما تقدم اى لانه فعل معه صلى الله عليه وسلم هذا الجميل وكان من جملة من سعى فى نقض الصحيفة كما تقدم قال وعن كعب الاحبار رضى الله تعالى عنه لما انصرف النفر السبعة من أهل نصيبين من بطن نخلة جاؤا قومهم منذرين ثم جاؤا مع قومهم وافدين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة وهم ثلثمائة فانتهوا الى الحجون فجاء واحد من أولئك النفر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان قومنا قد حضروا بالحجون يلقونك فوعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة من الليل بالحجون اه وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى أمرت ان اقرأ على اخوانكم من الجن فليقم معى رجل منكم ولا يقم رجل فى قلبه مثقال حبة خردل من كبر فقمت معه اى بعد ان كرر ذلك ثلاثا ولم يجبه احد منهم ولعلهم فهموا أن من الكبر ما ليس منه وهو محبة الترفع فى نحو الملبس الذى لا يكاد يخلو منه احد وقد بين صلى الله عليه وسلم الكبر فى الحديث بطر الحق وغمص الناس اى استحقارهم وعدم رؤيتهم شيأ بعد ان قالوا له يارسول الله ان الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا قال ان الله جميل يحب الجمال الكبر من بطر الحق وغمط الناس بالطاء المهملة كما فى رواية ابى داود وجاء لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر ولا يدخل النار أحد فى قلبه مثقال حبة خردل من ايمان قال الخطابى المراد بالكبر هنا اى فى هذه الرواية كبر الكفر لانه قابله بالايمان قال ابن مسعود وذهب صلى الله عليه وسلم فى بعض نواحى مكة اى بأعلاها بالحجون فلما برز خط لى خطا اى برجله وقال لا تخرج فانك ان خرجت لم ترنى ولم أرك الى يوم القيامة (وفى رواية) لا تحدثن شيأ حتى آتيك لا يروعنك اى لا يخوفنك و يفزعنك ولا يهولنك اى لا يعظم عليك شئ تراه ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا رجال سود كأنهم رجال الزط وهم طائفة من السودان الواحد منهم زطى وكانوا كما قال الله تعالى كادوا يكونون عليه اى لازدحامهم لبدا اى كاللبد فى ركوب بعضهم بعضا حرصا على سماع القرآن منه صلى الله عليه وسلم فأردت ان اقوم فأذب عنه فذكرت عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فمكثت ثم انهم

صلى الله عليه وسلم علم انه آخر النبيين فاذا هلك هو ومن معه لا يبقى من يتعبد بهذه الشريعة وفى لفظ اللهم لا تودع منى ولا تخذلنى أنشدك ماوعدتنى ومازال يدعو ربه مادا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأخذ ابو بكر رضى الله عنه رداءه وألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال يانبي الله كفاك تناشدربك فسينجز لك ماوعدك (وفى رواية) لينصرنك الله وليبيضن وجهك (وفى رواية) ألححت على ربك وانما قال أبو بكر رضى الله عنه ذلك لانه شق عليه تعب النبى صلى الله عليه وسلم فى الحاحه بالدعاء لانه رضى الله عنه رقيق القلب شديد الاشفاق على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لان الصديق رضى الله عنه كان فى مقام الرجاء والنبى صلى الله عليه وسلم فى مقام الخوف لان الله يفعل مايشاء وكلا المقامين فى الفضل سواء ذكره السهيلى قال بعضهم ان مقام الخوف يقتضى أن يجوز نفسه أن لا يقع النصر يومئذ لان وعده بالنصر لم يكن معينا فى تلك الوقعة وانما كان مجملا فيه رض تأخره لا ينافى انه أعطاه ماوعده ربه والجواب الاول اولى أعنى كونه شق عليه تعب النبى صلى الله عليه وسلم وحين رأى المسلمون القتال قد نشب عجوا بالدعاء الى الله تعالى وعن ابن مسعود رضى الله عنه ماسمعنا مناشدا ينشد ضالة أشد من مناشدة محمد لربه يوم بدر اللهم أنشدك ماوعدتنى وروى النسائى والحاكم عن على بن ابى طالب رضى الله عنه قال قاتلت يوم بدر شيأ من قتال ثم جئت لاستكشاف حال النبى صلى الله عليه وسلم فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى سجوده ياحى ياقيوم لا يزيد على ذلك فرجعت فقاتلت ثم جئته فوجدته كذلك فعل ذلك أربع مرات وقال فى الرابعة ففتح عليه وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود رضى الله عنه قال لما كان يوم

بدر ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين فتكاثرهم والى المسلمين فاستقلهم فركع ركعتين وقام ابو بكر عن يمينه يحرسه (وفى رواية) عن على رضى الله عنه قام ابو بكر شاهرا السيف على رأسه صلى الله عليه وسلم لا يهوى اليه أحد الا أهوى اليه فقال عليه الصلاة والسلام وهو فى سجوده اللهم لا تودع منى اللهم لا تخذلنى اللهم انى أنشدك ماوعدتنى وفى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان يوم بدر فى العريش مع الصديق رضى الله عنه أخذت رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة من النوم ثم استيقظ متبسما فقال أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله هذا جبريل على ثناياه النقع اى الغبار أى اشارة الى مناصرته صلى الله عليه وسلم ليدخل عليه وعلى أصحابه السرور وذلك انه لما التحم القتال وعج النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمون بالدعاء انزل الله الملائكة كما قال تعالى اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين اى متتابعين وقيل ردفا لكم وقيل وراء كل ملك ملك آخر ويوافق ذلك ماجاء عن ابن عباس رضى الله عنهما أمد الله نبيه صلى الله عليه وسلم يوم بدر بألف من الملائكة فكان جبريل فى خمسمائة وميكائيل فى خمسمائة وجاء أيضا أن الله أمده بثلاثة آلاف ألف مع جبريل وألف مع ميكائيل وألف مع اسرافيل وقيل وعدهم الله ان يمدهم بألف ثم زيدوا فى الوعد بالثين وقيل امدهم الله بثلاثة آلاف ثم أكملهم خمسة آلاف قال تعالى اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين اى ألف مع جبريل وألف مع ميكائيل وألف مع اسرافيل بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وقيل ان المدد يوم بدر كان بألف ويوم أحد بثلاثة آلاف ثم وقع الوعد بأكمالهم خمسة آلاف سأله

نفروا عنه صلى الله عليه وسلم فسمعتهم يقولون يارسول الله ان شقتنا اى ارضنا التى نذهب اليها بعيدة ونحن منطلقون فزودنا اى لانفسنا ودوابنا ولعله كان قد زادهم وزاد دوابهم فقال كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع فى يد أحدكم اوفر ما كان لحما رواه مسلم (وفى رواية) الا وجد عليه لحمه الذى كان عليه يوم أكل وكل بعر علف دوابكم وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه انهم لما سألوه صلى الله عليه وسلم الزاد قال لهم لكم كل عظم عراق ولكم كل روثة خضرة والعراق بضم العين وفتح الراء جمع عرق بفتح العين وسكون الراء العظم الذى أخذ عنه اللحم وقيل الذى أخذ عنه معظم اللحم قلت يارسول الله ومايغنى ذلك عنهم اى عن أنفسهم وعن دوابهم بدليل قوله فقال انهم لا يجدون عظما الا وجدوا عليه لحمه يوم أكل ولا روثة الا وجدوا فيها حبها يوم أكلت (وفى رواية) وجدوه اى الروث والبعر شعيرا فهذه الرواية تدل على ان الروثة مطعوم دوابهم ويوافقه ماجاء أن الشعير يعود خضرا لدوابهم ويحتاج للجمع بين كون الروث كالبعر يعود حبا يوم أكل وبين كونه يعود شعيرا وبين كونه يعود خضرا هذا (وفى رواية) لابى نعيم ان الروث يعود لهم تمرا وهى تدل على ان الروث من مطعومهم ويحتاج الى الجمع وجمع ابن حجر الهيثمى بأن الروث يكون تارة علفا لدوابهم وتارة يكون طعاما لهم أنفسهم اى وفى لفظ سألونى المتاع فمتعتهم كل عظم حائل وكل روثة وبعرة والحائل البالى بمرور الزمن لانه لم يخرج بذلك عن كونه مطعوما لهم كما لم يخرج بذلك عن كونه مطعوما لهم لو حرق وصار فحما ولعل الغرض من ذكر الحائل الاشارة الى ان زادهم العظام ولو كان حائلا لا أنه لم يمتعهم الا الحائل وقوله الا وجدوا عليه لحمه يوم أكل يدل على ان المراد عظم المذكاة وبدليل ذكر اسم الله تعالى عليه فلا يأكلون مالم يذكر اسم الله تعالى عليه من عظم اى وكذا من طعام الانس سرقة كما جاء فى بعض الاخبار هذا ولكن فى رواية أبى داود كل عظم لم يذكر اسم الله تعالى عليه قال السهيلى وأكثر الاحاديث تدل على معنى رواية ابى داود وقال بعض العلماء رواية ذكر اسم الله عليه فى الجن المؤمنين ورواية لم يذكر اسم الله تعالى عليه فى حق الشياطين منهم وهذا قول صحيح يعضده الاحاديث هذا كلامه اى التى من تلك الاحاديث ان ابليس قال يارب ليس أحد من خلقك الا وقد جعلت له رزقا ومعيشة فما رزقى قال كل مالم يذكر عليه اسمى ومعلوم ان ابليس ابو الجن وان مالم يذكر اسم الله عليه يشمل عظم الميتة ومقابلة الشياطين بالمؤمنين تدل على ان المراد بهم فسقتهم لا الكفار منهم لان فى كون الكفار من الجن اجتمعوا به صلى الله عليه وسلم مع المؤمنين وان كلا من الفريقين

لو صبروا وجاء ان الملائكة كانوا على صور الرجال فكان الملك يمشي امام الصف في صورة رجل ويقول ابشروا فان الله ناصركم عليهم ويظن المسلمون أنه منهم وجاء أنهم يقولون للمسلمين اثبتوا فان عدوكم قليل اى قليل في نظركم وان كثروا عددا قال تعالى وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا حتى قال ابن مسعود رضي الله عنه لمن كان بجنبه أتراهم سبعين فقال أراهم مائة (وروى) البيهقي عن حكيم بن حزام أن يوم بدر وقع نمل من السماء قد سد الافق فاذا الوادي يسيل نملا اى نازلا من السماء فوقع في نفسي ان هذا شئ أيد به صلى الله عليه وسلم وهو الملائكة وروى بسند حسن عن جبير بن مطعم قال رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون مثل الجراد الاسود مبثوثا حتى امتلأ الوادي فلم أشك انها الملائكة فلم يكن الا هزيمة القوم وانما نزلت الملائكة تشريفا للنبي صلى الله عليه وسلم وأمته والا فالملك واحد كجبريل عليه السلام قادر على أن يدفع الكفار بريشة من جناحه كما فعل في مدائن قوم لوط واهلك قوم صالح بصيحة واحدة وقد قال تعالى في اهلاك أهل القرية الذين كذبوا رسل عيسى عليه السلام وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون فأفاد سبحانه وتعالى بمفهوم الآية ان انزال الجند من خواصه صلى الله عليه وسلم تشريفا له ولم يقع ذلك لغيره وكانت الملائكة يوم بدر شركاء للمؤمنين في بعض الفعل ليكون الفعل منسوبا للنبي صلى الله عليه وسلم ولاصحابه وايهامهم العدو حيث يعلم ان الملائكة تقاتل معهم وقد حكى الله عنهم صفة قتالهم حيث علمهم سبحانه وتعالى ذلك بقوله فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان وجاء لولا ان الله تعالى حال بيننا وبين الملائكة التي نزلت يوم بدر لمات أهل الارض خوفا من

سأله الزاد وانه خاطب كلا بما يليق به فيه بعد لاسيما مع ماتقدم عن ابن مسعود وما يأتي من قوله اخوانكم من الجن ومن ثم قال بعضهم ان السائلين له صلى الله عليه وسلم الزاد كانوا مسلمين فليتأمل ولما ذكر صلى الله عليه وسلم لهم العظم والروث قالوا يارسول الله ان الناس يقذرونهما علينا فنهى النبي صلى الله عليه وسلم ان يستنجي بالعظم أو بروثة بقوله فلا يستنقين احدكم اذا خرج من الخلاء بعظم ولا ببعرة ولا روثة لانه زاد اخوانكم من الجن (وفي رواية) قالوا له صلى الله عليه وسلم انه أمتك عن الاستنجاء بهما فان الله تعالى قد جعل لنا فيهما رزقا فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاستنجاء بالعظم والبعر اى وحرمة نحو البول أو التغوط عليهما تعلم من ذلك بالاولى ومنه يعلم ان مرادهم بالتقذير التنجيس لا مايشمل التقذير بالطاهر كالبصاق والمخاط * وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال بينا أنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أمشي اذ جاءت حية فقامت الى جنبه صلى الله عليه وسلم وأدنت فاها من أذنه وكأنها تناجيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم فانصرفت قال جابر فسألته فأخبرني انه رجل من الجن وانه قال له مر أمتك لا يستنجوا بالروث ولا بالرمة اى العظم لان الله تعالى جعل لنا في ذلك رزقا ولعل هذا الرجل من الجن لم يبلغه انه صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك ولا يخفى ان سؤال الزاد يقتضي ان ذلك لم يكن زادهم وزاد دوابهم قبل ذلك وحينئذ يسئل ما كان زادهم قبل ذلك وقد يقال هو كل مالم يذكر اسم الله عليه من طعام الآدميين وحينئذ يكون ماتقدم في خبر ابليس المراد بما لم يذكر اسم الله عليه غير العظم فليتأمل والنهي عن الاستنجاء يدل على ان ذلك لا يختص بحالة السفر بل هو زادهم بعد ذلك دائما وأبدا وقصة جابر هذه سيأتي في غزاة تبوك نظيرها وهو ان حية عظيمة الخلق عارضتهم في الطريق فانحاز الناس عنها فأقبلت حتى وقفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على راحلته طويلا والناس ينظرون اليها ثم التوت حتى اعتزلت الطريق فقامت قائمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تدرون من هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا أحد الرهط الثمانية من الجن الذين وفدوا الي يستمعون القرآن قال في المواهب وفي هذا رد على من زعم ان الجن لا تأكل ولا تشرب اى وانما يتغذون بالشم (اقول) ذكرت في كتابي عقد المرجان فيما يتعلق بالجان أن في أكل الجن ثلاثة أقوال قيل يأكلون بالمضغ والبلع ويشربون بالازدراد والثاني لا يأكلون ولا يشربون بل يتغذون بالشم والثالث انهم صنفان صنف يأكل ويشرب وصنف لا يأكل ولا يشرب وانما يتغذون بالشم وهو خلاصتهم والله أعلم

قال ابن مسعود فلما ولوا قلت من هؤلاء قال هؤلاء جن نصيبين (وفي رواية) فتوارى عني حتى لم أره فلما سطع الفجر اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي أراك قائما فقلت ما قعدت فقال ما عليك لو فعلت اي قعدت قلت خشيت أن أخرج منه فقال اما انك لو خرجت لم ترني ولم أرك الى يوم القيامة (اي وفي رواية) لم آمن عليك ان يخطفك بعضهم وفيه ان الخروج لا ينشأ عن القعود حتى يخشى منه الخروج (وفي رواية) قال لي أنمت فقلت لا والله يا رسول الله ولقد هممت مرارا ان أستغيث بالناس اي لما تراكموا عليك وسمعت منهم لغطا شديدا حتى خفت عليك الى ان سمعتك تقرعهم بعصاك وتقول اجلسوا وسأله عن سبب اللغط الشديد الذي كان منهم فقال ان الجن تداعت في قتيل قتل بينهم فتحاكموا الي فحكمت بينهم بالحق (وفي رواية) عن سعيد بن جبير انه اي ابن مسعود قال له أولئك جن نصيبين وكانوا اثني عشر ألفا والسورة التي قرأها عليهم اقرأ باسم ربك اي ولا ينافي ذلك ما جاء عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه افتتح القرآن لان المراد بالقرآن القراءة زاد ابن مسعود على ما في بعض الروايات ثم شبك أصابعه في أصابعي وقال اني وعدت أن تؤمن بي الجن والانس أما الانس فقد آمنت وأما الجن فقد رأيت (اقول) وفي هذا ان ابن مسعود لم يخرج من الدائرة التي اختطها له صلى الله عليه وسلم وفي السيرة الهشامية ما يقتضي انه خرج منها حيث قال عن ابن مسعود فجئتهم فرأيت الرجال ينحدرون عليه صلى الله عليه وسلم من الجبال فازدحموا عليه الى آخره فليتأمل فعلم ان هذه القصة بعد كل من قصة ابن عباس وقصة رجوعه صلى الله عليه وسلم من الطائف فان قصة ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كانت في أول البعث وقصة رجوعه صلى الله عليه وسلم من الطائف بعدها بمدة مديدة كما علمت وهذه القصة كانت بعدهما بمكة والله أعلم ثم قال صلى الله عليه وسلم لابن مسعود هل معك وضوء اي ماء تتوضأ به قلت لا فقال ما هذه الاداوة اي وهي اناء من جلد قلت فيه نبيذ قال تمرة طيبة وماء طهور رصب علي فصببت عليه فتوضأ وأقام الصلاة وصلى (اقول) وهو محمول عند أئمتنا معاشر الشافعية على ان الماء لم يتغير بالتمر تغيرا كثيرا يسلب اسم الماء ومن ثم قال ماء طهور وقول ابن مسعود رضي الله تعالى عنه فيها نبيذ اي منبوذ الذي هو التمر وسماه نبيذا باعتبار الاول على حد قوله تعالى اني أراني أعصر خمرا وهذا بناء على فرض صحة الحديث والا فقد قال بعضهم حديث النبيذ ضعيف باتفاق المحدثين وفي كلام الشيخ محيي الدين بن عربي رضي الله تعالى عنه ما الذي أقول به منع التطهر بالنبيذ لعدم صحة

شدة صيحاتهم وارتفاع أصواتهم وجاء في حديث مرسل ما رؤي الشيطان أحقر ولا أدحر ولا أصغر من يوم عرفة الا ما رؤي يوم بدر وجاء أن ابليس جاء في صورة سراقة بن مالك المدلجي الكناني في جند من الشياطين اي مشركي الجن في صورة رجال من بني مدلج من بني كنانة معه رايته وقال للمشركين لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم وتقدم انه قال لهم ذلك عند ابتداء خروجهم حين خافوا من بني كنانة وكان وحده ويجوز أن يكون جنده لحقوا به فلا منافاة فلما رأى الشيطان جبريل والملائكة وكانت يده في يد الحرث بن هشام المخزومي أخي ابي جهل انتزع يده من يده ثم نكص على عقبيه وتبعه جنده فقال له الحرث يا سراقة أتزعم انك جار لنا فقال اني بريء منكم اني أرى ما لا ترون اني أخاف الله والله شديد العقاب فتشبث به الحرث وقال له والله لا أرى الا خفافيش يثرب فضربه ابليس في صدره فسقط وفر من بين يديه قال الحرث ما علمت انه الشيطان الا بعد ان أسلمت وذكر السهيلي أن من بقي من قريش بعد وقعة بدر وهرب الى مكة وجدوا سراقة بمكة فقالوا له يا سراقة خرقت الصف واوقعت فينا الهزيمة فقال والله ما علمت بشيء من أمركم وما شهدت فما صدقوه حتى أسلموا وسمعوا ما أنزل الله فعلموا انه ابليس يروى انه لما ضرب الحرث في صدره لم يزل ذاهبا حتى سقط في البحر ورفع يديه وقال يا رب موعدك الذي وعدتني اللهم اني أسألك نظرتك اياي يعني قوله تعالى انك من المنظرين وخاف أن يخلص اليه القتل وفي قصة مجيء الشيطان وفراره ونكصه يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه

سرنا وساروا الى بدر لحينهم ● لو يعلمون يقين العلم ما ساروا
دلاهم بغرور ثم أسلمهم ● ان الخبيث لمن والاه غرار

ولما نكص الشيطان على عقبيه قال ابو جهل لعنه الله يا معشر الناس الخبر

لايهمنكم خذلان سراقة فانه كان على ميعاد من محمد ولا يهمنكم قتل عتبة وشيبة والوليد فانهم عجلوا فو اللات والعزى لا نرجع حتى نقرن محمدا وأصحابه بالحبال وصار يقول لا تقتلوهم خذوهم باليد وجاء انه كان مع المسلمين يوم بدر من مؤمنى الجن سبعون لكن لم يثبت انهم قاتلوا بل كانوا مددا فقط وجاء أن جبريل عليه السلام جاء النبى صلى الله عليه وسلم وقال له يا محمد ان الله بعثنى اليك وأمرنى أن لا أفارقك حتى ترضى ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من العريش الى الناس فحرضهم وقال والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر الا أدخله الله الجنة فقال عمير بن الحمام بضم الحاء وتخفيف الميم وفى يده تمرات يأكلهن بخ بخ وهى كلمة تقال لتعظيم الامر والتعجب منه أما بينى وبين أن أدخل الجنة الا أن يقتلنى هؤلاء ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل رضى الله عنه (وفى رواية) انه صلى الله عليه وسلم قال قوموا الى جنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين فقام عمير بن الحمام وقال بخ بخ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تبخبخ اى لم تتعجب فقال رجاء ان أكون من أهلها (وفى رواية) ما يحملك على قولك بخ بخ قال لا والله يا رسول الله الا رجاء ان أكون من أهلها فأخذ تمرات فجعل يلوكهن ثم قال والله ان بقيت حتى آكل تمراتى هذه انها لحياة طويلة فنبذهن وقاتل وهو يقول

ركضا الى الله بغير زاد * الا التقى وعمل المعاد * والصبر فى الله على الجهاد
وكل زاد عرضة النفاد * غير التقى والبر والرشاد

ولا زال يقاتل حتى قتل رضى الله عنه ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حفنة من الحصى (وفى رواية) قبضة من تراب (وفى رواية) قال لعلى رضى الله عنه ناولنى فاستقبل قريشا ثم قال شاهت اى

الخبر المروى فيه ولو أن الحديث صح لم يكن نصا فى الوضوء به فانه صلى الله عليه وسلم قال تمرة طيبة وماء طهور رأى قليل الامتزاج والتغير عن وصف الماء وذلك لان الله تعالى ماشرع الطهارة عند فقد الماء الا بالتيمم بالتراب خاصة قال ومن شرف الانسان ان الله تعالى جعل له التطهر بالتراب وقد خلقه الله من تراب فأمره بالتطهر أيضا به تشريفا له وعند احمد ومسلم والترمذى عن علقمة قلت لابن مسعود هل صحب النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الجن منكم أحد فقال ما صحبه منا أحد ولكنا فقدناه ذات ليلة فقلنا استطير او اغتيل وطلبناه فلم نجده فبتنا بشر ليلة فلما اصبحنا اذا هو جاء من قبل الجون (وفى لفظ) من قبل حراء فقلنا يا رسول الله انا فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة فقال انه أتانى داعى الجن فذهبت معهم فقرأت عليهم القرآن فانطلق فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم وهذه القصة يجوز ان تكون هى المنقولة عن كعب الاحبار المتقدم ذكرها وهى سابقة على القصة التى كان فيها ابن مسعود ويجوز ان تكون غيرها وهى المرادة بقول عكرمة انهم كانوا اثنى عشر ألفا جاؤا من جزيرة الموصل لان المتقدم فى ثلاث عن كعب الاحبار رضى الله تعالى عنه انهم كانوا ثلثمائة من جن نصيبين وحينئذ يحتمل ان تكون هذه القصة سابقة على القصة التى كان بها ابن مسعود ويحتمل ان تكون متأخرة عنها وعلى ذلك يكون اجتماع الجن به صلى الله عليه وسلم فى مكة ثلاث مرات مرة كان فيها معه ابن مسعود ومرتين لم يكن معه ابن مسعود فيهما قال فى الاصل ويكفى فى امر الجن مافى سورة الرحمن وسورة قل أوحى الى وسورة الاحقاف (اقول) فعلم ان الجن سمعوا قراءته صلى الله عليه وسلم ولم يجتمعوا به ولا شعر بهم فى المرة الاولى وهو ذاهب من مكة الى سوق عكاظ فى ابتداء البعث المتقدمة عن ابن عباس على ما تقدم ولا فى المرة الثانية عند منصرفه من الطائف بنخلة على ما قدمناه فيه وعلم ان الروايات متفقة على استماعهم لقراءته صلى الله عليه وسلم فى المرتين وبه يعلم ما فى المواهب عن الحافظ ابن كثير ان كون الجن اجتمعوا له صلى الله عليه وسلم فى نخلة عند منصرفه من الطائف فيه نظر وانما استماعهم له كان فى ابتداء البعث كما يدل عليه حديث ابن عباس اى من ان ذلك كان عند ذهابه الى سوق عكاظ وعلم انهم اجتمعوا به صلى الله عليه وسلم وقرأ عليهم وآمنوا به فى مكة مرتين أو ثلاثة بعد ذلك والله أعلم وقد أخرج البيهقى فى شعب الايمان عن قتادة انه قال لما اهبط ابليس قال اى رب قد لعنته فما علمه قال السحر قال فما قراءته قال الشعر قال فما كتابته قال الوشم قال فما طعامه قال كل ميتة وما لم يذكر اسم الله عليه اى من طعام

الانس يأخذه سرقة قال فاشرابه قال كل مسكر قال فاين مسكنه قال الحمام قال فاين محله قال فى الاسواق قال فاصوته قال المزمار قال فامصايده قال النساء فالحمام محل أكثر اقامته والسوق محل تردده فى بعض الاوقات والظاهر أن مثل ابليس فيما ذكر كل من لم يؤمن من الجن

(باب ذكر خبر الطفيل بن عمرو الدوسى واسلامه رضى الله تعالى عنه)

كان الطفيل بن عمرو الدوسى شريفا فى قومه شاعرا نبيلا قدم مكة فمشى اليه رجال من قريش فقالوا يا أبا الطفيل كنوه بذلك تعظيما له فلم يقولوا يا طفيل انك قدمت بلادنا وهذا الرجل بين أظهرنا قد أعضل أمره بنا اى اشتد وفرق جماعتنا وشتت أمرنا وانما قوله كالسحر يفرق به بين المرء وأخيه اى وبين الرجل وزوجته وانا نخشى عليك وعلى قومك مادخل علينا فلا تكلمه ولا تسمع منه ○ قال الطفيل فوالله مازالوا بى حتى أجمعت اى قصدت وعزمت على ان لا أسمع منه شيأ ولا اكلمه اى حتى حشوت فى أذنى حين غدوت الى المسجد كرسفا وهو بضم الكاف وسكون الراء ثم سين مهملة مضمومة ثم فاء اى قطنا فرقا اى خوفا من ان يبلغنى شئ من قوله فغدوت الى المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى عند الكعبة فقمت قريبا منه ○ فأبى الله الا ان سمع بعض قوله اى فسمعت كلاما حسنا فقلت فى نفسى أنا ما يخفى على الحسن من القبيح فما يمنعنى من أن أسمع من هذا الرجل ما يقول فان كان الذى يأتى به حسنا قبلت وان كان قبيحا تركت فمكثت حتى انصرف الى بيته فقلت يا محمد ان قومك قالوا لى كذا وكذا حتى سددت اذنى بكرسف حتى لا أسمع قولك فاعرض على أمرك فعرض عليه الاسلام وتلا عليه القرآن اى قرأ عليه قل هو الله أحد الى آخرها وقل أعوذ برب الفلق الى آخرها وقل أعوذ برب الناس الى آخرها وفيه انه سيأتى أن نزول قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس كان بالمدينة عندما سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أن يقال يجوز أن يكون ذلك مما تكرر نزوله ○ فقال والله ما سمعت قط قولا أحسن من هذا ولا امرا أعدل منه فأسلمت فقلت يا نبى الله انى امرؤ مطاع فى قومى وانا راجع اليهم فأدعوهم الى الاسلام فادع الله ان يكون لى عونا عليهم قال اللهم اجعل له آية فخرجت حتى اذا كنت بثنية تطلعنى على الحاضر أى وهم النازلون المقيمون على الماء لا يرحلون عنه وكان ذلك فى ليلة مظلمة ○ وقع نور بين عينى مثل المصباح فقلت اللهم فى غير وجهى فانى أخشى ان يظنوا انه مثلة فتحول فى رأس سوطى فجعل

فشت الوجوه اللهم ارعب قلوبهم وزلزل أقدامهم ثم نفحهم اى رماهم بها فلم يبق من المشركين رجل الا امتلأت عينه (وفى رواية) واقهوقه لايدرى أين يتوجه يعالج التراب لينزعه من عينيه فانهزموا وردفهم المسلمون يقتلون ويأسرون والى هذا أشار سبحانه وتعالى بقوله وما رميت اذ رميت ٤٨٦ ولكن الله رمى ووقع مثل ذلك فى غزوة أحد وغزوة حنين وبهذا يجمع بين الروايات وقاتل صلى الله عليه وسلم بنفسه يوم بدر قتالا شديدا وكذا أبو بكر رضى الله عنه فكما كانا فى العريش مجتهدين فى الدعاء قاتلا بأبدانهما جمعا بين المقامين ولما خرج صلى الله عليه وسلم من العريش قال سيهزم الجمع ويولون الدبر (وروى) ابن سعد انه لما انهزم المشركون دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اثرهم بالسيف مصلتا يتلو هذه الآية سيهزم الجمع ويولون الدبر وهذه الآية نزلت بمكة وكانت هزيمة الجند يوم بدر وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما نزلت هذه الآية سيهزم الجمع قلت اى جمع فلما كان يوم بدر وانهزمت قريش نظرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آثارهم بالسيف مصلتا يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر فكانت ليوم بدر أخرجه الطبرانى فى الاوسط والى رميه صلى الله عليه وسلم بالحصى أشار صاحب الهمزية بقوله

ورمى بالحصى فأقصد جيشا
ما العصا عنده وما الالقاء

وقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه من قتل قتيلا فله سلبه ومن أسر أسيرا فهو له ولما وضع القوم ايديهم يأسرون نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سعد بن معاذ رضى الله عنه فوجد فى وجهه الكراهية لما يصنع القوم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لكأنك يا سعد تكره ما يصنع القوم قال اجل والله يا رسول الله كانت اول وقعة أوقعها الله بأهل الشرك فكان الاثخان فى القتل اى الاكثار منه والمبالغة فيه احب الى من استبقاء الرجال وذكر بعضهم ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه انى قد

عرفت ان رجالا من بنى هاشم وغيرهم قد اخرجوا اكراها لا حاجة لهم بقتالنا فمن لقى منكم أحدا من بنى هاشم فلا يقتله اى بل يأسره وقال من لقى أبا البخترى بن هشام فلا يقتله اى لانه ممن قام فى نقض الصحيفة ومن لقى العباس بن عبد المطلب فلا يقتله فقال أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة أنقتل آباءنا وأبناءنا واخواننا وعشيرتنا ونترك العباس ائن لقيته يعنى العباس لالجمنه السيف وقال ذلك لان أباه عتبة وعمه شيبة وأخاه الوليد أول من قتل من الكفار مبارزة وعشيرته وهى بنو عبد شمس قد قتل منهم جماعة فبلغت تلك المقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب يا أبا حفص أيضرب وجه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف فقال عمر والله لانه أول يوم كنانى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبى حفص ثم قال عمر يا رسول الله دعنى أضرب عنقه يعنى أبا حذيفة بالسيف فوالله لقد نافق فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان ابو حذيفة رضى الله عنه يقول ما أنا بآمن من تلك الكلمة التى قلتها يومئذ ولا أزال منها خائفا الا ان تكفرها عنى الشهادة فقتل شهيدا يوم اليمامة عند قتالهم لمسيلمة الكذاب وأهل الردة فى جملة من قتل فيها من الصحابة وهم أربعمائة وخمسون وقيل ستمائة رضى الله عنهم أجمعين ولقى المجذر أبا البخترى فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهانا عن قتلك فقال وزميلى اى رفيقى وكان معه زميل قد خرج معه من مكة يقال له جنادة بن مليحة فقال له المجذر لا والله ما نحن بتاركى زميلك ما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بك وحدك قال لا والله لاموتن أنا وهو جميعا لا تتحدث عنا نساء مكة أنى تركت زميلى يقتل حرصا على الحياة فقتله المجذر بعد أن قاتله ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والذى بعثك بالحق لقد جهدت عليه ان يستأسر فآتيك به فأبى الا أن يقاتلنى فقاتلنى فقتلته وكان من جملة من خرج

الحاضر يتراءون ذلك النور كالقنديل المعلق اى ومن ثم عرف بذى النور والى ذلك أشار الامام السبكى فى تائيته بقوله

وفى جبهة الدوسى ثم بسوطه * جعلت ضياء مثل شمس منيرة

قال فأتانى ابى فقلت له اليك عنى يا أبت فلست منى ولست منك فقال لم يا بنى قلت قد أسلمت وتابعت دين محمد صلى الله عليه وسلم فقال اى بنى دينى دينك فأسلم اى بعد ان قال له اغتسل وطهر ثيابك ففعل ثم جاء فعرض عليه الاسلام ثم اتتنى صاحبتى فذكرت لها مثل ذلك اى قلت لها اليك عنى فلست منك ولست منى قد أسلمت وتابعت دين محمد صلى الله عليه وسلم قالت فدينى دينك فأسلمت ثم دعوت دوسا الى الاسلام فأبطؤا على ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله قد غلبنى دوس (وفى رواية) قد غلب على دوس الزنا فادع الله عليهم فقال اللهم اهد دوسا قال زاد فى رواية وأت بهم فقال الطفيل فرجعت فلم أزل بأرض قومى أدعوهم الى الاسلام حتى هاجر النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة ومضى بدر وأحد والخندق اه فأسلموا قال فقدمت بمن أسلم من قومى عليه صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر بسبعين أو ثمانين بيتا من دوس اى ومنهم ابو هريرة فاسهم لنا مع المسلمين اى مع عدم حضورهم القتال اه (اقول) قال فى النور وفى الصحيح ما ينفى هذا وانه لم يعط أحدا لم يشهد القتال الا أهل السفينة الجائين من ارض الحبشة جعفرا ومن معه اى ومنهم الاشعريون ابو موسى الاشعرى وقومه فقد تقدم انهم هاجروا من اليمن الى الحبشة ثم جاؤا الى المدينة وفيه انه سيأتى انه صلى الله عليه وسلم سأل أصحابه ان يشركوهم معهم فى الغنيمة ففعلوا وسيأتى انه انما اعطى اهل السفينة اى والدوسيين على ما علمت من الحصنين اللذين فتحا صلحا فقد أعطاهما مما أفاء الله عليه لا من الغنيمة وسؤال أصحابه فى اعطائهم من المشورة العامة المأمور بها فى قوله تعالى وشاورهم فى الامر لا لاستنزالهم عن شئ من حقهم والله أعلم

(باب ذكر الاسراء والمعراج وفرض الصلوات الخمس)

اعلم انه لا خلاف فى الاسراء به صلى الله عليه وسلم اذ هو نص القرآن على سبيل الاجمال وجاءت بتفصيله وشرح أعاجيبه أحاديث كثيرة عن جماعة من الصحابة من الرجال والنساء نحو الثلاثين اى ومن ثم ذهب الحاتمى الصوفى الى ان الاسراء وقع له صلى الله عليه وسلم ثلاثين مرة فجعل كل حديث اسراء واتفق العلماء على ان الاسراء كان بعد البعثة اه اى الاسراء الذى كان فى اليقظة بجسده صلى الله عليه وسلم فلا ينافى حديث

البخاري عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه ان الاسراء كان قبل ان يوحى اليه صلى الله عليه وسلم لان ذلك كان في نومه بروحه فكان هذا الاسراء توطئة له وتيسيرا عليه كما كان بدء نبوته صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة وفي كلام الشيخ عبد الوهاب الشعراني ان اسراآته صلى الله عليه وسلم كانت أربعا وثلاثين واحد بجسمه صلى الله عليه وسلم والباقي بروحه وتلك الليلة اي التي كانت بجسمه صلى الله عليه وسلم كانت ليلة سبع عشرة وقيل سبع وعشرين خلت من شهر ربيع الاول وقيل ليلة تسع وعشرين خلت من رمضان أي وقيل سبع وعشرين خلت من ربيع الآخر وقيل من رجب ○ واختار هذا الاخير الحافظ عبد الغني المقدسي وعليه عمل الناس وقيل في شوال وقيل في ذي الحجة (وفي كلام) الشيخ عبد الوهاب ما يفيد ان اسراآته صلى الله عليه وسلم كلها كانت في تلك الليلة التي وقع فيها هذا الخلاف فليتأمل وذلك قبل الهجرة قيل بسنة وبه جزم ابن حزم وادّعى فيه الاجماع وقيل بسنتين وقيل بثلاث سنين وكل من الاسراء والمعراج كان بعد خروجه صلى الله عليه وسلم للطائف كما دل عليه السياق وعن ابن اسحق أن ذلك كان قبل خروجه صلى الله عليه وسلم الى الطائف وفيه نظر ظاهر واختلف في اليوم الذي يسفر عن ليلته ما قيل الجمعة وقيل السبت وقال ابن دحية يكون يوم الاثنين ان شاء الله تعالى ليوافق المولد والمبعث والهجرة والوفاة أي لانه صلى الله عليه وسلم ولد يوم الاثنين وبعث يوم الاثنين وخرج من مكة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين ومات يوم الاثنين فليتأمل (عن أم هانئ) بنت أبي طالب رضي الله تعالى عنها أي واسمها على الاشهر فاختة وسيأتي في فتح مكة أنها أسلمت يوم الفتح وهرب زوجها هبيرة الى نجران ومات بها على كفره قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بغلس أي في الظلام بعيد الفجر وانا على فراشي فقال أشعرت أي علمت اني نمت الليلة في المسجد الحرام أي عند البيت أو في الحجر وهو المراد بالحطيم الذي وقع في بعض الروايات (وفي رواية) فرج سقف بيتي قال الحافظ ابن حجر يحتمل ان يكون السر في ذلك أي في انفراج السقف التمهيد لما يقع من شق صدره صلى الله عليه وسلم فكان الملك أراه بانفراج السقف والتئامه في الحال كيفية ما سيصنع به لطفا به وتثبيتا له صلى الله عليه وسلم أي زيادة تمهيد وتثبيت له والا فشق صدره صلى الله عليه وسلم تقدم له غير مرة وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم نام في بيت أم هانئ قالت ففقدته من الليل فامتنع مني النوم مخافة ان يكون عرض له بعض قريش أي وحكى ابن سعد ان النبي صلى الله عليه وسلم فقد تلك الليلة فتفرقت بنو عبد المطلب يلتمسونه ووصل

مع المشركين يوم بدر عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق رضي الله عنهما وكان اسمه قبل الاسلام عبد الكعبة وقيل عبد العزى فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن وكان من أشجع قريش وأشدهم رماية وكان أسن اولاد ابي بكر رضي الله عنه وكان فيه دعابة فلما أسلم قال لابيه ابي بكر رضي الله عنه لقد اهدفت لي اي ارتفعت لي يوم بدر مرارا فصدفت عنك اي اعرضت فقال له ابو بكر رضي الله عنه لو هدفت لي لم اعرض عنك والمراد من كونه أهدف له اي ارتفع له وهو لا يشعر بذلك فلا ينافي ما قيل ان عبد الرحمن بن ابي بكر رضي الله عنهما يوم بدر دعا الى البراز فقام اليه ابو بكر رضي الله عنه ليبارزه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك يا أبا بكر أما علمت أنك عندي بمنزلة سمعي وبصري وأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم وفي بعض السير ان الصديق قال لولده عبد الرحمن يوم بدر وهو مع المشركين لم يسلم ابن مالي يا خبيث فقال له عبد الرحمن كلاما معناه لم يبق الا عدة الحرب التي هي السلاح وفرس سريعة الجري نقاتل عليها شيوخ الضلال وروى ابن مسعود رضي الله عنه ان الصديق رضي الله عنه دعا ابنه عبد الرحمن الى المبارزة يوم أحد فقال له النبي صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك أما علمت انك مني بمنزلة سمعي وبصري فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ولا مانع من التعدد حتى في نزول الآية واستبعد بعضهم كون ابي بكر يدعو للمبارزة بعد نزولها أولا في بدر فلعل ذكر أحد من الاشتباه على بعض الرواة وبه يرد ما ذكر ان سببها ان أبا بكر رضي الله عنه سمع والده أبا قحافة يذكر النبي صلى الله عليه وسلم بشيء فلطمه لطمة سقط منها فاخبر أبو بكر النبي صلى الله عليه وسلم فقال له لا تعد لمثلها فقال والله لو حضرني السيف لقتلته

العباس

العباس الى ذى طوى وجعل يصرخ يا محمد فاجابه لبيك لبيك فقال يا ابن أخى عنيت قومك فاين كنت قال ذهبت الى بيت المقدس قال من ليلتك قال نعم قال هل أصابك الا خير قال ما أصابنى الا خير ولعله صلى الله عليه وسلم نزل عن البراق فى ذلك المحل وعن أم هانئ رضى الله تعالى عنها قالت ما اسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو فى بيتى نائم عندى تلك الليلة فصلى العشاء الآخرة ثم نام ونمنا فلما كان قبل الفجر أهبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أى أقامنا من نومنا ومن ثم جاء فى رواية نبهنا فلما صلى الصبح وصلينا معه قال يا أم هانئ لقد صليت معك العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادى ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت صلاة الغداة معكم الآن كما ترين الحديث والمراد انه صلى الله عليه وسلم صلى صلاته التى كان يصليها وهى الركعتان فى الوقتين المذكورين والا فصلاة العشاء وصلاة الصبح التى هى صلاة الغداة لم يكونا فرضا وفى قولها وصلينا معه نظر لما تقدم ويأتى انها لم تسلم الا يوم الفتح ثم رأيت فى مزيل الخفاء وأما قولها يعنى أم هانئ وصلينا فارادت به وهيأنا له ما يحتاج اليه فى الصلاة كذا أجاب وأقرب منه انها تكلمت على لسان غيرها أو انها لم تظهر اسلامها الا يوم الفتح فليتأمل فقال صلى الله عليه وسلم ان جبريل أتانى وفى رواية أسرى به من شعب ابى طالب قال الحافظ ابن حجر والجمع بين هذه الروايات انه صلى الله عليه وسلم نام فى بيت أم هانئ وبيتها عند شعب ابى طالب ففرج عن سقف بيته الذى هو بيت أم هانئ لانه صلى الله عليه وسلم كان نائما به فنزل الملك وأخرجه الى المسجد وكان به اثر النعاس اى فاضطجع فيه عند الحجر فيصح قوله صلى الله عليه وسلم بينا انا فى المسجد الحرام الى آخره وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم اتاه جبريل وميكائيل ومعهما ملك آخر اى وهو مضطجع فى المسجد فى الحجر بين عمه حمزة وابن عمه جعفر رضى الله تعالى عنهما فقال أحدهم خذوا سيد القوم الاوسط بين الرجلين

○ فاحتملوه حتى جاؤا به زمزم فاستلقوه على ظهره فتولاه منهم جبريل فشق من ثغرة نحره وهو الموضع المنخفض بين الترقوتين الى اسفل بطنه اى وفى رواية الى مراق بطنه وفى رواية الى شعرته اى اشار الى ذلك فانشق فلم يكن الشق فى المرات كلها بآلة ولم يسل منه دم ولم يجد لذلك ألما كما تقدم التصريح به فى بعض الروايات لانه من خرق العادات وظهور المعجزات ثم قال جبريل لميكائيل ائتنى بطشت من ماء زمزم كيما اطهر قلبه واشرح صدره فاستخرج قلبه اى فشقه فغسله ثلاث مرات ونزع ما كان فيه من اذى وهذا الاذى يحتمل ان يكون من بقايا تلك العلقة السوداء التى نزعت منه صلى الله عليه وسلم وهو

(وفى كلام الزمخشرى) ان عبد الرحمن أسلم رضى الله عنه فى هدنة الحديبية وهاجر الى المدينة ومات سنة ثلاث وخمسين بمحل بينه وبين مكة ستة أميال فحمل على أعناق الرجال الى مكة ودفن بها وقدمت أخته عائشة رضى الله عنها من المدينة فأتت قبره فصلت عليه واما ابو قحافة والد أبى بكر رضى الله عنه فأسلم عام الفتح رضى الله عنه وعاش الى أول خلافة الصديق رضى الله عنه ثم توفى بالمدينه ولم يعرف خليفة ولى الخلافة فى حياة ابيه غير ابى بكر رضى الله عنه * وفى هذا اليوم أعنى يوم بدر قتل أبو عبيدة بن الجراح أباه وكان مشركا وكان أبوه قد قصده ليقتله فولى عنه ابو عبيدة لينكف عنه ويرجع فلم ينكف فرجع اليه وقتله وأنزل الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم الآية * وعن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال لقيت أمية بن خلف وكان صديقا لى فى الجاهلية ومعه ابنه على آخذا بيده وكان معى أدراع استلبتها من القوم فانا أحملها فلما رآنى امية نادانى باسمى الاول يا عبد عمرو فلم اجبه فنادانى يا عبد الاله فاجبته وذلك انه كان قال لى لما سمانى رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن أترغب عن اسم سماك به أبوك فقلت نعم فقال الرحمن لا أعرفه ولكنى اسميك بعبد الاله فلما نادانى بعبد الاله قلت نعم ثم قال هل لك فى فانا خير لك من هذه الادراع التى معك قلت نعم فطرحت الادراع من يدى واخذت بيده وبيد ابنه على وهو يقول ما رأيت كاليوم قط ثم قال لى يا عبد الاله من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة فى صدره أى كانت فى درعه بحيال صدره قلت ذلك حمزة بن عبد المطلب قال ذاك الذى فعل بنا الافاعيل قال عبد الرحمن ثم خرجت أمشى بهما فوالله انى لاقودهما اذ رآه بلال معى وكان هو الذى يعذب بلالا

بمكة على ان يترك الاسلام كما تقدم فقال بلال يا أنصار رسول الله هذا امية بن خلف رأس الكفر لانجوت ان نجا فقلت يا بلال أبأسيري تفعل ذلك قال لانجوت ان نجا وكررت وكرر ذلك ثم صرخ بأعلى صوته يا انصار الله رأس الكفر امية بن خلف لانجوت

ان نجا فأحاطوا بنا فأصلت بلال السيف اى سله من غمده وضرب رجل على بن امية فوقع وصاح امية صيحة ماسمعت مثلها قط وفى رواية البخارى عن عبد الرحمن بن عوف ان بلالا لما استصرخ الانصار قال خشيت ان يلحقونا تخلفت لهم ابنه لاشغلهم به فقتلوه ثم اتوناحتى لحقونا وكان امية رجلا ثقيلا فقلت ابرك فبرك فألقيت عليه نفسى لامنعه فتخللوه بالسيوف من تحتى حتى قتلوه فأصاب احدهم رجلى بسيفه اى ظهر قدمه والذى باشر قتله مع بلال معاذ بن عفراء وخارجة ابن زيد وحبيب بن اساف فهم اشتركوا فى قتله قال ابن اسحق واما ابنه على فقتله عمار بن ياسر وحبيب بن اساف وكان عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه يقول رحم الله بلالا ذهبت ادراعى وفجعنى بأسيرى وفى رواية فلا ادراعى ولا اسيرى وهنأ ابو بكر رضى الله عنه بلالا حين قتل امية بأبيات منها قوله

هنيئا زادك الرحمن خيرا
فقد ادركت ثأرك يا بلال

(وقال رسول الله) صلى الله عليه وسلم من له علم بنوفل بن خويلد فقال على رضى الله عنه انا قتلته فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحمد لله الذى اجاب دعوتى فيه فانه لما التقى الصفان نادى نوفل بصوت رفيع يا معشر قريش اليوم يوم الرفعة والعلى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اكفنى نوفل بن خويلد (وفى صحيح مسلم) عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه انه قال انى لواقف يوم بدر فى الصف فنظرت عن يمينى وعن شمالى واذا انا بين غلامين من الانصار حديثة اسنانهما

مسترضع فى بنى سعد بناء على تجزئتها كما تقدم فى المرة الثانية وهو ابن عشر سنين والثالثة عند البعث فلا يخالف ان العلقة السوداء نزعت منه صلى الله عليه وسلم فى المرة الاولى وهو مسترضع فى بنى سعد ويستحيل تكرار اخراجها والقائها والذى ينبغى ان يكون نزع تلك العلقة انما هو فى المرة الاولى والواقع فى غيرها انما هو اخراج الاذى وانه غير تلك العلقة وان المراد به ما يكون فى الجبليات البشرية وتكرار اخراج ذلك الاذى استئصاله ومبالغة فيه وذكر العلقة فى المرة الاولى وقول الملك هذا حظ الشيطان وهم من بعض الرواة واختلف اسمه ميكائيل ثلاث طسات من ماء زمزم ثم اتى بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا اى نفس الحكمة والايمان لان المعانى قد تمثل بالاجسام اوفيه ما هو سبب لحصول ذلك والمراد كمالهما فلا ينافى ما تقدم فى قصة الرضاع انه ملئ حكمة وايمانا ووضعت فيه السكينة ثم اطبقه ثم ختم بين كتفيه بخاتم النبوة وتقدم فى قصة الرضاع ان فى رواية ان الختم كان فى قلبه وفى أخرى انه كان فى صدره وفى أخرى انه كان بين كتفيه وتقدم الكلام على ذلك (وأنكر القاضى عياض) شق صدره صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء وقال انما كان وهو صلى الله عليه وسلم صبى فى بنى سعد وهو يتضمن انكار شقه عند البعثة أيضا اى والتى قبلها وعمره صلى الله عليه وسلم عشر سنين ورده الحافظ ابن حجر بان الروايات تواردت بشق صدره صلى الله عليه وسلم فى تلك الليلة وعند البعثة اى زيادة على الواقع له صلى الله عليه وسلم فى بنى سعد وأبدى الحكمة من الثلاثة حكمة وتقدم انه شق صدره صلى الله عليه وسلم وهو ابن عشر سنين وانه صلى الله عليه وسلم شق صدره وهو ابن عشرين سنة وتقدم ما فيه أقول ويمكن ان يكون انكار القاضى عياض لشق صدره صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج على الوجه الذى جاء فى بعض الروايات انه أخرج من قلبه علقة سوداء وقال الملك هذا حظ الشيطان منك لان هذا انما كان وهو صلى الله عليه وسلم مسترضع فى بنى سعد ويستحيل تكرر القاء تلك العلقة وحمل ذلك على بعض بقايا تلك العلقة السوداء كما قدمناه ينافى قول الملك هذا حظ الشيطان منك الا ان يقال المراد انه من حظ الشيطان أى بعض حظ الشيطان فليتأمل ذلك والاولى ما قدمناه فى ذلك ثم لا يخفى انه ورد غسل صدرى وفى رواية قلبى وقد يقال الغسل وقع لهما معا كما وقع الشق لهما معا فأخبر صلى الله عليه وسلم باحدهما مرة وبالاخرى اخرى أى وتقدم فى مبحث الرضاع فى رواية شق بطنه صلى الله عليه وسلم ثم قلبه وفى أخرى شق صدره ثم قلبه وفى اخرى الاقتصار على شق صدره وفى أخرى الاقتصار على شق قلبه وتقدم ان المراد بالبطن الصدر

فغمزني احدهما سرا من صاحبه فقال يا عم هل تعرف ابا جهل بن هشام فقلت نعم وما حاجتك به قال بلغني انه كان يسب النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو رأيته لم يفارق سوادي سواده حتى يموت الاعجل منا اي الأقرب اجلا فغمزني الآخر فقال مثلها سرا من صاحبه فعجبت لذلك اي لحرص كل منهما على ذلك

واخفائه عن صاحبه ليكون هو المختص به فلم انشب اى ألبث أن نظرت الى ابي جهل يزول في الناس أي يتحول من محل الى محل آخر فقلت لهما ألا تريان هذا صاحبكما الذي تسألان عنه فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه اى اشرفا به الى القتل وصيراه الى حركة المذبوح وسيأتي أن ابن مسعود رضي الله عنه هو الذي تمم قتله ثم انصرفا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه فقال ايكما قتله فقال كل واحد منهما انا قتلته قال هل مسحتما سيفكما قالا لا فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم في السيفين فقال كلاهما قتله وقضى بسلبه لهما الا السيف فسيأتي انه قضى به لابن مسعود (قال ابن اسحق) ان ابا جهل لما نزل القتال اقبل يرتجز ويقول

ما تنقم الحرب العوان مني
بازل عامين حديث سني
لمثل هذا ولدتني أمي

فأذاقه الله الهوان وقتله شر قتلة وجعل ذلك حسرة عليه وجاء ان الملائكة شاركت قاتليه في قتله (وجاء في الحديث) ان الله قتل أبا جهل فالحمد لله الذي صدق وعده (ولما انقضى القتال) وانهزم المشركون أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بابي جهل ان يلتمس في القتلى وقال ان خفي عليكم اي بان قطع رأسه وازيل عن جثته فانظروا الى أثر جرح في ركبته فاني ازدحمت يوما انا وهو على مائدة لعبد الله بن جدعان ونحن غلامان وكنت اشف منه اى اكبر منه بيسير فدفعته فوقع على ركبتيه فجحش اى خدش على احداهما فجحشا لم يزل اثره به وهذا هو مراد بعضهم بقوله ان

الصدر وليس المراد باحدهما القلب وفي كلام غير واحد ما يقتضي ان المراد بالصدر القلب ومن ثم قيل هل شق صدره وغسله مخصوص به صلى الله عليه وسلم أو وقع لغيره من الانبياء وأجيب بانه جاء في قصة تابوت بني اسرائيل الذي انزله الله تعالى على آدم حين أهبطه الى الارض فيه صور الانبياء من اولاده وفيه بيوت بعدد الرسل وآخر البيوت بيت محمد صلى الله عليه وسلم وهو من ياقوتة حمراء ثلاثة أذرع في ذراعين وقيل كان من نوع من الخشب تتخذ منه الامشاط مموها بالذهب فكان عند آدم الى ان مات ثم عند شيث ثم توارثه أولاد آدم الى أن وصل الى ابراهيم عليه الصلاة والسلام ثم كان عند اسمعيل ثم عند ابنه قيدار فنازعه ولد اسحق ثم امر من السماء ان يدفعه الى ابن عمه يعقوب اسرائيل الله فحمله الى ان أوصله له ثم وصل الى موسى عليه الصلاة والسلام فوضع فيه التوراة وعصاه وعمامة هرون ورضاض الالواح التي تكسرت لما القاها وانه كان فيه الطشت طشت من ذهب الجنة الذي غسل فيه قلوب الانبياء عليهم الصلاة والسلام وذلك مقتض لعدم الخصوصية وكان هذا التابوت اذا اختلفوا في شيء سمعوا منه ما يفصل بينهم وما قدموه أمامهم في حرب الا انتصروا وكان كل من تقدم عليه من الجيش لابدان يقتل او ينهزم الجيش (وفي الخصائص للسيوطي) ومما اختص به صلى الله عليه وسلم عن جميع الانبياء ولم يؤته نبي قبله شق صدره في احد القولين وهو الاصح وجمع بعضهم بحمل الخصوصية على تكرر شق الصدر لان تكرر شق صدره الشريف ثبت في الاحاديث وشق صدر غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام انما أخذ من قصة التابوت وليس فيها تعرض للتكرار ولو جمع بان شق الصدر مشترك وشق القلب واخراج العلقة السوداء مختص به صلى الله عليه وسلم ويكون المراد بالقلب في قصة التابوت الصدر وبالصدر في كلام الخصائص القلب لم يكن بعيدا اذ ليس في قصة التابوت ما يدل على ان تلك العلقة السوداء اخرجت من غير قلب نبينا صلى الله عليه وسلم ولم اقف على اثر يدل على ذلك وغسل قلب الانبياء عليهم الصلاة والسلام ليس من لازمه الشق بل يجوز ان يكون غسله من خارج وقد أحلنا على هذا الجمع في بحث الرضاع وبهذا يرد ما قدمناه من قول الشمس الشامي الراجح المشاركة ولم أر لعدم المشاركة ما يعتمد عليه بعد الفحص الشديد فليتأمل ثم رأيته ذكر انه جمع جزءا سماه نور البدر فيما جاء في شق الصدر ولم أقف عليه والله أعلم قال فاتاني جبريل عليه الصلاة والسلام فذهب بي الى باب المسجد أي وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا نائم في الحجر جاءني جبريل عليه الصلاة والسلام فهمزني بقدمه فجلست فلم أر شيئا فعدت لمضجعي

النبي صلى الله عليه وسلم صارع ابا جهل فصرعه فخرج الناس يلتمسونه فى القتلى وفيهم عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال
عبد الله فرأيت أبا جهل وهو بآخر رمق فعرفته فوضعت رجلي على عنقه ثم قلت له قد أخزاك الله يا عدو الله قال وبم أخزاني أعار
على رجل قتلتموه اى ليس بعار على رجل قتلتموه وفى رواية لا رجل اعمد من رجل قتلتموه اى انا سيد رجل
قتلتموه لان عميد القوم سيدهم
اى فلا عار على فى قتلكم اياى وفى
رواية وهل اشرف من رجل قتله
قومه ثم قال له لو غير أكار قتلنى
والأكار الزراع يعنى الانصار
لانهم كانوا أصحاب زرع اى
لو كان الذى قتلنى غير فلاح لكان
اعظم لشأنى ولم يكن على نقص ثم
قال لابن مسعود اخبرنى لمن
الدبرة اى النصرة والظفر اليوم
لنا أو علينا قلت لله ولرسوله صلى
الله عليه وسلم وسأل ابن مسعود
عن أهل الاجسام الطوال الذين
يقتلون و يأسرون فينا فقال له
أولئك الملائكة فقال هم الذين
غلبونا لا أنتم وهذا غاية فى كفره
وعناده حيث تحقق ذلك كله ولم
يؤمن بالله وبرسوله صلى الله عليه
وسلم ثم ان ابن مسعود رضى الله
عنه وطئ على عنقه وعلا فوق
صدره يريد حز رأسه فقال له لقد
ارتقيت يا رويعى الغنم مرتقى
صعبا قال ابن مسعود رضى الله
عنه فضربته بسيفى لاحز رأسه
فلم يغن عنى شيئا فبصق فى وجهى
وقال خذ سيفى واحتز به رأسى
من عرشى ليكون انهى للرقبة
والعرش عرق فى اصل الرقبة
ففعلت كذلك وجاء انه قال لابن مسعود رضى الله عنه احتز من اصل العنق ليرى عظيما مهابا فى عين محمد شمسته
وقل له مازلت عدوا لى سائر الدهر واليوم اشد عداوة ولما اتى النبي صلى الله عليه وسلم برأسه واخبره بقوله قال كما انى اكرم
النبيين على الله وامتى اكرم على الله كذلك فرعون هذه الامة اشد واغلظ من فراعنة سائر الامم اذ فرعون موسى حين ادركه

فجاءنى الثانية فهمزنى بقدمه فجلست فلم أر شيأ فعدت لمضجعى فجاءنى الثالثة فهمزنى بقدمه فجلست فلم أر شيأ فاخذ بعضدى فقمت معه فخرج بي الى باب المسجد وفيه انه اذا لم يجد شيأ من أخذ بعضديه الان يقال ثم رآه عند أخذه بعضديه فاذا دابة أبيض اى ومن ثم قيل له البراق بضم الموحدة لشدة بريقه وقيل قيل له ذلك لسرعته اى فهو كالبرق وقيل لانه كان ذا لونين ابيض وأسود اى يقال شاة برقاء اذا كان خلال صوفها الابيض طاقات سوداء اى وهى العفراء ومن ثم جاء فى الحديث ابرقوا فان دم عفراء عند الله ازكى من دم سوداوين اى ضحوا بالبرقاء وهى العفراء لكن فى الصحاح الاعفر الابيض وليس بالشديد البياض وشاة عفراء يعلو بياضها حمرة ولغلبة بياض شعره على سواده أو حمرته قيل أبيض ولعل سواد شعره لم يكن حالكا بل كان قريبا من الحمرة فوصف بأنه أحمر وهذا لا يتم الا لو كان البراق كذلك أى شعره ابيض داخله طاقات سود أو حمر ولعله كان كذلك ويدل له قول بعضهم انه ذو لونين اى بياض وسواد والسواد كالعلامات اذا صفا شبه بالاحمر وهذه الرواية طوى فيها ذكر انه كان بين حمزة وجعفر وانه جاءه جبريل وميكائيل وملك آخر وانهم احتملوه الى زمزم وشق جبريل صدره الى آخر ما تقدم وذلك البراق فوق الحمار ودون البغل مضطرب الاذنين اى طويلهما اى وكان مسرجا ملجما كما فى بعض الروايات فركبته فكان يضع حافره مد بصره اى حيث ينتهى بصره وفى رواية ينتهى خفها حيث ينتهى طرفها اذا أخذ فى هبوط طالت يداه وقصرت رجلاه واذا أخذ فى صعود طالت رجلاه وقصرت يداه اى وقد ذكر هذا الوصف فى فرس فرعون موسى فقد قيل كان لفرعون أربع عجائب فذكر منها ان لحيته كانت خضراء ثمانية أشبار وقامته سبعة أشبار فكانت لحيته اطول منه بشبر وكان له فرس وقيل برذون اذا صعد الجبل قصرت يداه وطالت رجلاه واذا انحدر يكون على ضد ذلك وفى رواية ان البراق خطوه مد البصر قال ابن المنير فعلى هذا يكون قطع من الارض الى السماء فى خطوة واحدة لان بصر الذى فى الارض يقع على السماء فبلغ اعلى السموات فى سبع خطوات انتهى اى لان بصر من يكون فى سماء الدنيا يقع على السماء فوقها وهكذا وهذا بناء على انه عرج به صلى الله عليه وسلم على المعراج راكب البراق وسيأتى ما فيه قال صلى الله عليه وسلم فلما دنوت منه اشمأز أى نفر وفى رواية فاستصعب ومنع ظهره ان يركب فقال جبريل اسكن فما ركبك احد اكرم على الله من محمد وفى رواية فى فخذيها اى تلك الدابة التى هى البراق جناحان تحفز بهما اى تدفع بهما رجليها فنى اللغة الحفز الحث والاعجال فلما دنوت لاركبها

الغرق قال آمنت انه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وفرعون هذه الامة ازداد عداوة وكفرا وفى رواية قال ابن مسعود رضى الله عنه ثم جئت برأسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هذا رأس عدو الله ابى جهل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آلله الذى لا اله غيره وردّدها ثلاث مرات ثم والله الذى لا اله غيره ثم القيت رأسه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله (وجاء انه سجد) خمس سجدات شكرا وفى رواية صلى ركعتين وقال الحمد لله الذى اعز الاسلام واهله الله اكبر الحمد لله الذى صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده وكون ابى جهل بصق فى وجه ابن مسعود وقال له خذ سيفى الى آخر ما تقدم ينافى كونه وصل الى حركة المذبوح الا ان يقال يجوز ان يكون فى اول الامر حين ضربه الانصار وصل الى حركة المذبوح فتركوه ثم تراجعت اليه روحه حتى قدر على ما ذكر فذفف عليه ابن مسعود رضى الله عنه (قال ابن قتيبة) ذكر ان ابا جهل قال لابن مسعود رضى الله عنه وهما بمكة لاقتلنك فقال والله لقد رأيت فى النوم انى اخذت حدجة حنظل فوضعتها بين كتفيك ورأيتنى أضرب كتفيك ولئن صدقت رؤياى لاطأن على رقبتك ولاذبحنك ذبح الشاة فكان فى تذفيف ابن مسعود رضى الله عنه عليه تصديق تلك الرؤيا وجاء فى رواية ان ابن مسعود وجده متقنعا فى الحديد وهو منكب لا يتحرك فرفع سابغة البيضة عن قفاه فضربه فوقع رأسه بين يديه (وروى الطبرانى) عن ابن مسعود رضى الله عنه قال انتهيت الى ابى جهل وهو صريع وعليه بيضة ومعه سيف جيد ومعى سيف ردىء فجعلت انقف رأسه وأذكر نقفا كان ينقف رأسى بمكة فاخذت سيفه فرفع رأسه فقال على من كانت الدبرة ألست بروبعينا بمكة فقتلته ثم سلبته فلما نظرت اليه اذا هو ليس به جراح واذا على اخدار واورام فى عنقه

شمست اى نفرت ومنعت ظهرها وفى رواية شمس وفى رواية صرت اذنيها اى جمعتهما وذلك شأن الدابة اذا نفرت فوضع جبريل يده على معرفتها ثم قال الا تستحيين يا براق مما تصنعين والله ما ركب عليك احد وفى رواية عبد الله قبل محمد صلى الله عليه وسلم اكرم على الله منه فاستحيت حتى ارفضت عرقا اى كثر عرقها وسال ثم قرت حتى ركبها اى وفى رواية فقال جبريل مه يا براق فوالله ما ركبك مثله من الانبياء اى لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام كانت تركبها قبله صلى الله عليه وسلم ففى البيهقى وكانت الانبياء تركبها قبلى وعند النسائى وكانت تسخر للانبياء قبلى و بعد عليها العهد من ركوبهم لانها لم تكن ركبت فى الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام كما ذكره ابن بطال وهو يقتضى انه لم يركبه احد ممن كان بين عيسى ومحمد من الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وجاء التصريح بذلك فى بعض الروايات اى والمتبادر منها انها التى بينه و بين عيسى عليهما الصلاة والسلام فيكون عيسى ممن ركبها دون من بعده من الانبياء عليهما الصلاة والسلام على تقدير ثبوت وجود انبياء عليهم الصلاة والسلام بعد عيسى وتقدم عن النهر انه كان بينهما ألف نبى وقوله لان الانبياء ظاهره يدل على ان جميع الانبياء اى عيسى ومن قبله ركبوه قال الامام النووى القول باشتراك جميع الانبياء فى ركوبها يحتاج الى نقل صحيح هذا كلامه ومما يدل على ان الانبياء كانت تركبه قبله صلى الله عليه وسلم ما تقدم وظاهر ما سيأتى فى بعض الروايات فربطه بالحلقة التى توثق بها الانبياء وانما قلنا ظاهر لانه لم يذكر الموثق بفتح المثلثة اذ يحتمل ان الانبياء كانت تربط غير البراق من دوابهم بها ثم رأيت فى رواية البيهقى فاوثقت دابتى يعنى البراق التى كانت الانبياء تربطها فيه ومن ثم قال الشيخ عبد الوهاب الشعرانى رحمه الله ما من رسول الا وقد أسرى به راكبا على ذلك البراق هذا كلامه وقد تقدم أن ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه حمل هو وهاجر وولدهما يعنى اسمعيل على البراق الى مكة وفى تاريخ الازرقى وكان ابراهيم يحج كل سنة على البراق وعن سعيد بن المسيب وغيره أن البراق هو دابة ابراهيم عليه الصلاة والسلام التى كان يزور عليها البيت الحرام وعلى تسليم انه لم يركب البراق أحد قبله صلى الله عليه وسلم كما يقول ابن دحية ووافقه الامام النووى فقول جبريل عليه الصلاة والسلام ما ركبك ونحوه لا ينافيه لان السالبة تصدق بنفى الموضوع ومن ثم قال فى الخصائص الصغرى وخص صلى الله عليه وسلم بركوب البراق فى أحد القولين اى وقيل ان الذى خص به هو ركوبه مسرجا ملجما وفى المنتقى أن البراق وان كان يركبه الانبياء الا انه لم يكن يضع

ويديه وكتفيه كهيئة آثار السياط اى آثار سود كسمة النار ليس به جراح من جراح الآدميين اى فى داخل بدنه فلا ينافى ما تقدم من قطع ابن الجموح لرجله ومن ضرب ابن عفراء له حتى اثبته فأتى ابن مسعود رضى الله عنه النبى صلى الله عليه وسلم فاخبره به اى بالضرب الذى كهيئة السياط فقال ذلك ضرب الملائكة وعن بعض الصحابة رضى الله عنهم قال كنا ننظر الى المشرك امامنا مستلقيا فننظر اليه فاذا هو قد حطم انفه وشق وجهه كضربة بالسوط فاخضر ذلك الموضع (وعن سهل بن حنيف) رضى الله عنه عن أبيه رضى الله عنه قال لقد رأيتنا يوم بدر وان احدنا ليشير بسيفه الى المشرك اى يرفعه عليه فيقع رأسه عن جسده قبل ان يصل اليه السيف وقد جاء ان الملائكة كانت لا تعلم كيف تقتل الآدميين فعلمهم الله ذلك بقوله فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان اى مفصل فكانوا يعرفون قتلى الملائكة من قتلاهم بآثار سود كسمة النار وفى رواية وصف ذلك الاثر بالخضرة ولا منافاة لان الاخضر لشدة خضرته ربما قيل فيه اسود وتلك الآثار بعد مفارقة الرأس او اليد يستدل بها على ان مفارقة الرأس او اليد من فعل الملائكة وجاء ان بعض ضربهم كان فى الكتفين وفى الوجه والانف واكثره فوق الاعناق والبنان وفسر بعضهم الاعناق بالرؤس والضرب فى الاعناق تارة يفصلها وتارة لا وفى الحالين يرى اثر ذلك اسود فى العنق ليستدل به على انه من فعل الملائكة * وجاء ان النبى صلى الله عليه وسلم وقف على القتلى والتمس ابا جهل والله فلم يجده حتى عرف ذلك فى وجهه ثم قال اللهم لا تعجزنى فرعون هذه الامة فسعى له الرجال حتى وجده ابن مسعود الحديث وفى الصحيحين عن انس رضى الله عنه لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ينظر لنا ما صنع ابو جهل انطلق ابن مسعود رضى الله

حافره عند منتهى طرفه الا عند ركوب النبى صلى الله عليه وسلم وجاء فى غريب التفسير ان البراق لما شمس قال له جبريل لعلك يا محمد مسست الصفر اليوم وهو صنم كان بعضه من ذهب وبعضه من نحاس كسره صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فقال له صلى الله عليه وسلم ما مسسته الا انى مررت به وقلت تبا لمن يعبدك من دون الله فقال جبريل وما شمس الا لذلك اى لمجرد مرورك عليه وهذا حديث موضوع كما نقل عن الامام أحمد وقال الحافظ ابن حجر انه من الاخبار الواهية وقال مغلطاى لا ينبغى أن يذكر ولا يعزى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويقال فرس شموس أى صعبة ولا يقال شموسة وذكر لاستصعاب البراق غير ذلك من الحكم لا نطيل بذكره (قال) وعن الثعلبى بسند ضعيف فى صفة البراق عن ابن عباس له خد كخد الانسان وعرف كعرف الفرس وقوائم كالابل وأظلاف وذنب كالبقر اى وحينئذ يكون اطلاق الخف على ذلك فى الرواية السابقة ينتهى خفها حيث ينتهى طرفها مجازا الا ان مع كونها لها قوائم كقوائم الابل لا خف لها بل ظلف وهو الحافر (وفى كلام بعضهم) فى صفة البراق وجهه كوجه الانسان وجسده كجسد الفرس وقوائمه كقوائم الثور وذنبه كذنب الغزال لا ذكر ولا أنثى اه ومن ثم وصف بوصف المذكر تارة وبوصف المؤنث اخرى فهى حقيقة ثالثة ويكون خارجا من قوله تعالى ومن كل شئ خلقنا زوجين كما خرجت من ذلك الملائكة فانهم ليسوا ذكورا ولا اناثا وذكر بعضهم ان أذنيها كأذنى الفيل وعنقها كعنق البعير وصدرها كصدر الفيل كأنه من ياقوت احمر لها جناحان كجناح النسر فيهما من كل لون قوائمها كقوائم الفرس وذنبها كذنب البعير ويحتاج الى الجمع بين هذه الروايات على تقدير الصحة قال صلى الله عليه وسلم ثم سرت وجبريل عليه الصلاة والسلام لا يفارقنى أى وفى رواية انه ركب معه البراق وفى الشفاء مازا يلا ظهر البراق حتى رجعا وفى رواية ركبت البراق خلف جبريل اى وفى صحيح ابن حبان وحمله جبريل على البراق رديفا له قال وفى الشرف كان الآخذ بركابه جبريل وبزمام البراق ميكائيل وفى رواية جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره اه (أقول) ولا منافاة لجواز ان يكون جبريل تارة ركب مردفا له صلى الله عليه وسلم وتارة اخذ بركابه من جهة اليمين وميكائيل تارة اخذ بالزمام وتارة لم يأخذه وكان بجهة يساره او كان اخذا بالزمام من جهة اليسار ولا يخالف هذا الجمع قول الشفاء مازا يلا ظهر البراق لامكان حمله على غالب المسافة هذا وفى حياة الحيوان الظاهر عندى ان جبريل لم يركب مع النبى صلى الله عليه وسلم البراق ليلة الاسراء لانه المخصوص بشرف الاسراء هذا كلامه فليتأمل

عنه فوجدته قد ضربه ابن عفراء حتى برد وفى رواية برك فاخذ بلحيته فقال انت ابو جهل الحديث ولما جاء ابن مسعود يخبر النبى صلى الله عليه وسلم بانه وجده فقتله اى تمم قتله قال له عقيل بن ابى طالب وكان قبل اسلامه رضى الله عنه وهو اسير عند النبى صلى الله عليه وسلم كذبت ماقتلته قال فقلت له بل انت الكذاب الآثم يا عدو الله قد والله قتلته قال فما علامته قلت ان بفخذه حلقة كحلقة الجمل المحلق قال نعم وهذا هو اثر الجحش الذى جحشه اياه النبى صلى الله عليه وسلم كما تقدم ولا منافاة بين اخبار ابن مسعود النبى صلى الله عليه وسلم بقتل ابى جهل ومجيئه برأسه لاحتمال ان يكون اخبرا ولا ثم رجع وجاء برأسه وتكذيب عقيل لابن مسعود يحتمل ان يكون فى اصل قتل ابى جهل وانه يعتقد انه ماقتل بل هو حى مع قومه او التكذيب فى ان ابن مسعود هو القاتل ويريد ان القاتل غيره كالانصار ثم ان النبى صلى الله عليه وسلم بعد القاء الرأس بين يديه خرج يمشى مع ابن مسعود رضى الله عنه حتى اوقفه على ابى جهل فقال الحمد لله الذى اخزاك يا عدو الله هذا كان فرعون هذه الامة ورأس قاعدة الكفر قال ابن مسعود رضى الله عنه ونفلنى سيفه اى اعطانيه وكان قصيرا عريضا فيه قبائع فضة وحلق فضة (وعن قتادة) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لكل امة فرعونا وان فرعون هذه الامة ابو جهل قتله الله شر قتلة بكسر القاف لبيان الهيئة قتلته الملائكة وفى رواية قتله ابن عفراء اى وابن الجموح وقتلته الملائكة واجهز عليه ابن مسعود رضى الله عنه وعن معاذ بن عمرو بن الجموح رضى الله عنه قال رأيت ابا جهل وقد احاطوا به وهم يقولون ابو الحكم لا يخلص اليه فلما سمعتها عمدت نحوه وحملت عليه فضربته ضربة اطنت قدمه بنصف ساقه اى أسرعت قطعه فوالله ماشبهتها حين طاحت الا بالنواة تطيح من تحت مرضخة النوى

والله أعلم (قال صلى الله عليه وسلم) ثم انتهيت الى بيت المقدس فاوثقته بالحلقة التى بالباب اى باب المسجد التى كانت الانبياء عليهم الصلاة والسلام توثق اى تربط بها اى تربطه بها على ماتقدم من رواية البيهقى وفى رواية ان جبريل خرق باصبعه الحجر اى الذى هو الصخرة وفى كلام بعضهم فادخل جبريل يده فى الصخرة فخرقها وشد به البراق (اقول) لا منافاة لجواز ان يكون المراد وسع الخرق باصبعه أو فتحه لعروض انسداده وان هذا الخرق هو المراد بالحلقة التى فى الباب لان الصخرة بالباب وقيل لهذا الخرق حلقة لاستدارته وفى الامتاع وعادت صخرة بيت المقدس كهيئة العجين فربط دابته فيها والناس يلمسون ذلك الموضع الى اليوم هذا كلامه وجمع بعضهم بانه صلى الله عليه وسلم ربطه بالحلقة خارج باب المسجد الذى هو مكان الانبياء عليهم الصلاة والسلام تأدبا فاخذه جبريل فربطه فى زاوية المسجد فى الحجر الذى هو الصخرة التى خرقها باصبعه وجعله داخلا عن باب المسجد فكأنه يقول له انك لست ممن يكون مركوبه على الباب بل يكون داخلا وفى حديث ابى سفيان قبل اسلامه لقيصر انه قال لقيصر يحط من قدره صلى الله عليه وسلم الا اخبرك ايها الملك عنه خبرا تعلم منه انه يكذب قال وما هو قال انه يزعم انه خرج من ارضنا ارض الحرم فجاء مسجدكم هذا ورجع الينا فى ليلة واحدة فقال بطريق انا اعرف تلك الليلة فقال له قيصر ما علمك بها قال انى كنت لا أبيت ليلة حتى اغلق ابواب المسجد فلما كانت تلك الليلة اغلقت الابواب كلها غير باب واحد اى وهو الباب الفلانى غلبنى فاستعنت عليه بعمالى ومن يحضرنى فلم نقدر فقالوا ان البناء نزل عليه فاتركوه الى غد حتى يأتى بعض النجارين فيصلحه فتركته مفتوحا فلما اصبحت غدوت فاذا الحجر الذى من زاوية الباب مثقوب اى زيادة على ما كان عليه على ماتقدم واذا فيه اثر مربط الدابة اى التى هى البراق اى ولم أجد بالباب ما يمنعه من الاغلاق فعلمت أنه انما امتنع لاجل ما كنت اجده فى العلم القديم ان نبيا يصعد من بيت المقدس الى السماء وعند ذلك قلت لاصحابى ما حبس هذا الباب الليلة الا هذا الامر وسيأتى ذلك عند الكلام على كتابه صلى الله عليه وسلم لقيصر ولا يخفى أن المراد بالصخرة الحجر الذى بالباب لا الصخرة المعروفة كما هو المتبادر من بعض الروايات وهى فأتى جبريل الصخرة التى فى بيت المقدس فوضع اصبعه فيها فخرقها فشد بها البراق لان الذى فى بابه يقال انها فيه ولا يخفى أن عدم انغلاق الباب انما كان آية والا فجبريل عليه الصلاة والسلام لا يمنعه باب مغلق ولا غيره وفى رواية عن شداد بن أوس أنه قال ثم انطلق بى اى جبريل حتى دخلنا المدينة يعنى مدينة بيت

فضربني ابنه عكرمة رضي الله عنه فانه اسلم بعد ذلك على عاتقي فطرح يدي فتعلقت بجلدة من جنبي واجهضني القتال اي شغلني فلقد قاتلت عامة يومي واني لاسحبها خلفي فلما آذتني وضعت عليها قدمي ثم تمطيت عليها حتى طرحتها ثم جئت بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصق عليها والصقها

فلصقت قال ابن اسحق وعاش رضي الله عنه الى خلافة عثمان رضي الله عنه وهو صحيح سليم ثم بعد ضربة ابن الجموح لابي جهل جاء وهو عقير معوذ بضم الميم وتشديد الواو مفتوحة ومكسورة ابن عفراء فضربه حتى اثبته اي أثخنه وتركه وبه رمق حتى جاء ابن مسعود فذفف عليه هكذا يجمع بين الروايات فان في بعضها اقتله ابن الجموح وفي بعضها ابن عفراء وفي بعضها ابن مسعود رضي الله عنهم ومعوذ هذا لازال يقاتل حتى قتل رضي الله عنه وجاء في بعض الروايات ان ابن الجموح ومعاذا ومعوذا ابني عفراء اشتركوا في قتل ابي جهل فلعل معاذا اعان اخاه معوذا وكان معه في ذلك وقد جاء في الحديث رحم الله ابني عفراء اشتركا في قتل فرعون هذه الامة قيل له يا رسول الله من قتله معهما قال الملائكة وعفراء اسم امهما وابوهما اسمه الحرث وقيل ان معاذ بن عمرو بن الجموح اخوهما لامهما فان كلا من الحرث وعمرو بن الجموح تزوج عفراء فيصح ان يقال في ابن الجموح انه ابن عفراء فلا تنافي بين الروايات ولذا قال صلى الله عليه وسلم يرحم الله ابني عفراء قد اشتركا في قتل فرعون هذه الامة ورأس ائمة الكفر وقد كان ابو جهل اشد الناس عداوة وحسدا للنبي صلى الله عليه وسلم ولم يلق صلى الله عليه وسلم من احد من الاذية مثل ما لقي من ابي جهل لعنه الله وكان مقاربا للنبي صلى الله عليه وسلم في السن وكان بينه وبينه قبل البعثة شدة مخالطة ومصاحبة فلما بعثه الله صلى الله عليه وسلم كان اشد الناس له حسدا وعداوة

المقدس من بابها اليماني فاتى قبلة المسجد فربط فيها دابته قد يقال لا يخالفه لانه يجوز أن يكون ذلك الباب كان بجانب قبلة المسجد ولعل هذا الباب هو الباب اليماني الذي فيه صورة الشمس والقمر ففي رواية ودخل المسجد من باب فيه تمثال الشمس والقمر اي مثالهما فيه والله أعلم (وانكر حذيفة رضي الله تعالى عنه) رواية وربط البراق وقال لم يفر منه وقد سخره له عالم الغيب والشهادة ورد عليه بان الاخذ بالحزم لا ينافي صحة التوكل فعن وهب بن منبه رضي الله تعالى عنه الايمان بالقدر لا يمنع الحازم من توقي المهالك قال وهب وجدته في سبعين من كتب الله عز وجل القديمة أي ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم اعقلها وتوكل وقد كان صلى الله عليه وسلم يتزود في أسفاره ويعد السلاح في حروبه حتى لقد ظاهر بين درعين في غزوة أحد (قال) وفي رواية فلما استوى النبي صلى الله عليه وسلم في صخرة المسجد قال جبريل يا محمد هل سألت ربك أن يريك الحور العين قال نعم قال جبريل فانطلق الى أولئك النسوة فسلم عليهن فرددن عليه السلام فقال من انتن فقلن خيرات حسان نساء قوم أبرار نقوا فلم يدرنوا وأقاموا فلم يظعنوا وخلدوا فلم يموتوا اه (أقول) في كلام بعضهم أنه لم يختلف أحد أنه صلى الله عليه وسلم عرج به من عند القبة التي يقال لها قبة المعراج من عند يمين الصخرة وقد جاء صخرة بيت المقدس من صخور الجنة وفي لفظ سيدة الصخور صخرة بيت المقدس وجاء صخرة بيت المقدس على نخلة والنخلة على نهر من أنهار الجنة وتحت النخلة آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران ينظمان سموط أهل الجنة الى يوم القيامة قال الذهبي اسناده مظلم وهو كذب ظاهر قال الامام أبو بكر بن العربي في شرحه لموطأ مالك صخرة بيت المقدس من عجائب الله تعالى فانها صخرة قائمة شعثاء في وسط المسجد الاقصى قد انقطعت من كل جهة لا يمسكها الا الذي يمسك السماء أن تقع على الارض الا باذنه في أعلاها من جهة الجنوب قدم النبي صلى الله عليه وسلم حين ركب البراق وقد مالت من تلك الجهة لهيبته صلى الله عليه وسلم وفي الجهة الاخرى أصابع الملائكة التي أمسكتها لما مالت ومن تحتها المغارة التي انفصلت من كل جهة أي فهي معلقة بين السماء والارض وامتنعت لهيبتها من أن أدخل تحتها لاني كنت أخاف أن تسقط علي بالذنوب ثم بعد مدة دخلتها فرأيت العجب العجاب تمشي في جوانبها من كل جهة فتراها منفصلة عن الارض لا يتصل بها من الارض شيء ولا بعض شيء وبعض الجهات أشد انفصالا من بعض وهذا الذي ذكره ابن العربي ان قدمه صلى الله عليه وسلم اثر في صخرة بيت المقدس حين ركب البراق وان الملائكة امسكتها لما

مالت

ولم يزل على ذلك حتى أهلكه الله يوم بدر وهو يوم البطشة الكبرى وكان أشد الناس اجتهادا في اخراج النفير ولما أرادوا الخروج من مكة أخذ بأستار الكعبة هو وبقية قريش وقالوا اللهم انصر أعلى الجندين وأهدى الفئتين وأكرم الحزبين وأفضل الدينين وفي ذلك نزل قوله تعالى ان تستفتحوا اى تطلبوا الفتح اى النصر فقد جاءكم الفتح الآية ولما

دنا القوم بعضهم من بعض يوم بدر قال اللهم أقطعنا للرحم فأحنه اى أهلكه الغداة اللهم من كان أحب اليك وأرضى عندك فانصره وفي لفظ اللهم أولانا بالحق فانصره فقوله تعالى ان تستفتحوا الخ شامل لذلك كله وفي رواية انه قال يوم بدر اللهم انصر أفضل الدينين عندك وأرضاهما لك وفي رواية اللهم انصر خير الدينين اللهم ديننا القديم ودين محمد الحادث وقد استجاب الله دعاءه وكان ذلك عليه لا له ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون وكان رأسه اول رأس حمل في الاسلام (وكانت سيما الملائكة) يوم بدر عمائم بيض قد أرسلوها خلف ظهورهم الا جبريل عليه السلام فانه كان عليه عمامة صفراء وقيل حمراء وقيل بعض الملائكة كانوا بعمائم صفر وبعضهم بعمائم بيض وبعضهم بعمائم سود وبعضهم بعمائم حمر جمعا بين الروايات بل صرح بذلك في رواية عن ابن مسعود رضي الله عنه كان سيما الملائكة يوم بدر عمائم قد أرخوها بين أكتافهم خضر وصفر وحمر اى وبيض وسود وكان الزبير بن العوام رضي الله عنه يوم بدر متعمما بعمامة صفراء فقال صلى الله عليه وسلم نزلت الملائكة اى بعضهم بسيما أبي عبد الله يعني الزبير وقد ذكر ان الزبير رضي الله عنه قاتل يوم بدر قتالا شديدا حتى كان الرجل يدخل يده في الجراح التي في ظهره وكان شعار الانصار اى علامتهم التي يتعارفون بها في ذلك اذا

مالت قال به الحافظ ناصر الدين الدمشقي حيث قال في معراجه المسجع ثم توجها نحو صخرة بيت المقدس وعلاها فصعد من جهة الشرق أعلاها فاضطربت تحت قدم نبينا صلى الله عليه وسلم ولانت فأمسكتها الملائكة لما تحركت ومالت وقول ابن العربي حين ركب البراق يقتضي أنه عرج به على البراق وسيأتي الكلام فيه وتقدم ان الجلال السيوطي سئل عن غوص قدمه صلى الله عليه وسلم في الحجر هل له أصل في كتب الحديث فأجاب بأنه لم يقف في ذلك على أصل ولا رأى من خرجه في شيء من كتب الحديث وتقدم ما فيه وفي العرائس قال أبي ابن كعب ما من ماء عذب الا وينبع من تحت الصخرة ببيت المقدس ثم يتفرق في الارض والله سبحانه وتعالى أعلم قال صلى الله عليه وسلم فنشر لي بضم النون وكسر الشين المعجمة اى أحيي لي بعد الموت رهط من الانبياء عليهم الصلاة والسلام لان نشر الميت احياؤه والرهط ما دون العشرة من الرجال فيهم ابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام اى وحكمة تخصيص هؤلاء بالذكر لا تخفى فصليت بهم وكلمتهم اى فالمراد نشروا عند دخوله صلى الله عليه وسلم المسجد وصلى بهم ركعتين ووصفهم بالنشور واضح في غير عيسى عليه الصلاة والسلام لانه لم يمت ووصف الانبياء عليهم الصلاة والسلام بالاحياء بعد الموت سيأتي في قصة بدر في الكلام على أصحاب القليب ما يعلم منه أن المراد باحياء الانبياء بعد الموت شدة تعلق أرواحهم بأجسادهم حتى انهم في البرزخ بسبب ذلك احياء كحياتهم في الدنيا وقد ذكرنا هنالك الكلام على صلاتهم في البرزخ وحجهم وغير ذلك وفي رواية ثم صلى صلى الله عليه وسلم هو وجبريل كل واحد ركعتين فلم يلبثا الا يسيرا حتى اجتمع ناس كثير اى مع أولئك الرهط فلا مخالفة بين الروايتين فعرف النبيين من بين قائم وراكع وساجد ثم أذن مؤذن وأقيمت الصلاة (أقول) ذكر ابن حبيب ان آية واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا الآية نزلت ببيت المقدس ليلة الاسراء ويجوز ان يكون قوله وأقيمت الصلاة من عطف التفسير فالمراد بالاذان الاقامة وليس المراد بالاقامة الالفاظ المعروفة الآن لما سيذكر في الكلام على مشروعية الاذان والاقامة بالمدينة وعلى انه من عطف المغاير ويدل له ما في بعض الروايات فلما استوينا في المسجد أذن مؤذن ثم أقام الصلاة فليس من لازم ذلك أن يكون كل من التأذين والاقامة باللفظين المعروفين الآن لانهما كما علمت لم يشرعا الا في المدينة اى في السنة الاولى من الهجرة وقيل في الثانية كما سيأتي وحديث لما أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم الى السماء أوحى الله تعالى اليه بالاذان فنزل به فعلمه بلالا قال الحافظ ابن رجب موضوع وحديث علم رسول الله

جاء الليل أو وقع اختلاط أحد أحد وشعار المهاجرين يا منصور أمت ويقال احد أحد وكانت خيل الملائكة بلقا مسومة اى مزينة وكان ذلك بوضع الصوف فى نواصى الخيل وأذنابها وفى رواية العهن الاحمر والابيض وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال حدثنى رجل من بنى غفار ٤٩٨ قال اقبلت أنا وابن عم لى حتى صعدنا على جبل مشرف بنا على بدر ونحن مشركان ننتظر على من تكون الدبرة اى الغلبة وقيل بمعنى الهزيمة والاول أرجح فننهب مع من ينهب فبينا نحن فى الجبل اذ سحابة فسمعنا فيها حمحمة الخيل فسمعت قائلا يقول اقدم حيزوم فاما ابن عمى فانكشف قناع قلبه اى غشاؤه فمات مكانه وأما انا فكدت أهلك ثم تماسكت وقوله اقدم بضم الدال من التقدم كلمة يزجر بها الخيل وحيزوم قيل اسم فرس جبريل عليه السلام وفى أثر مرسل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام من القائل يوم بدر من الملائكة اقدم حيزوم فقال جبريل ما كل أهل السماء اعرف قال ابن كثير وهذا الاثر يرد قول من زعم ان حيزوم اسم فرس جبريل وفيه انه لا يبعد ان يقول احد من الملائكة لفرس جبريل اقدم حيزوم ولا يعرف جبريل ذلك القائل وفى رواية جاءت سحابة فسمعنا أصوات الرجال والسلاح وسمعنا قائلا يقول لفرسه اقدم حيزوم فنزلوا عن ميمنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاءت سحابة اخرى فنزل منها رجال كانوا على ميسرته صلى الله عليه وسلم فاذا هم على الضعف من قريش فمات ابن عمى واما أنا فتماسكت وأخبرت النبى صلى الله عليه وسلم واسلمت وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان الغمام الذى ظلل بنى اسرائيل فى التيه هو الذى جاءت فيه الملائكة يوم بدر وعنه ايضا قال بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد فى اثر رجل من المشركين امامه اذ سمع

صلى الله عليه وسلم الاذان ليلة أسرى به فى اسناده متهم وفى الخصائص الكبرى انه صلى الله عليه وسلم علم الاقامة ليلة الاسراء فقد جاء لما أراد الله عز وجل ان يعلم رسوله الاذان اى الاقامة عرج به الى ان انتهى الى الحجاب الذى يلى الرحمن اى يلى عرشه خرج ملك من الحجاب فقال الله أكبر الله أكبر فقيل من وراء الحجاب صدق عبدى أنا أكبر أنا أكبر ثم قال الملك أشهد أن لا اله الا الله فقيل من وراء الحجاب صدق عبدى لا اله الا أنا فقال الملك أشهد أن محمدا رسول الله فقيل من وراء الحجاب صدق عبدى أنا أرسلت محمدا فقال الملك حى على الصلاة حى على الفلاح قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة الله أكبر الله أكبر لا اله الا الله فأخذ الملك بيد محمد صلى الله عليه وسلم فقدمه يؤم بأهل السموات قال فى الشفاء والحجاب انما هو فى حق المخلوق لا فى حق الخالق فهم المحجوبون قال فان صح القول بأن محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فيحتمل انه فى غير هذا الموطن بعد رفع الحجاب عن بصره حتى رآه وجاء انه صلى الله عليه وسلم سأل جبريل عن ذلك الملك فقال جبريل ان هذا الملك ما رأيته قبل ساعتى هذه وفى لفظ والذى بعثك بالحق انى لاقرب الخلق مكانا وان هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتى هذه وفيه أن هذا يقتضى ان جبريل عليه السلام كان معه صلى الله عليه وسلم فى هذا المكان وسيأتى انه تخلف عنه عند سدرة المنتهى فليتأمل والله أعلم ولما أقيمت الصلاة ببيت المقدس قاموا صفوفا ينتظرون من يؤمهم فأخذ جبريل بيده صلى الله عليه وسلم فقدمه فصلى بهم ركعتين اى واما حديث لما أسرى بى أذن جبريل فظنت الملائكة أنه يصلى بهم فقدمنى فصليت بالملائكة قال الذهبى منكر بل موضوع والغرض من تلك الصلاة الاعلام بعلو مقامه صلى الله عليه وسلم وانه المقدم لا سيما فى الامامة وفى رواية ثم أقيمت الصلاة فتدافعوا اى دفعوا حتى قدموا محمدا صلى الله عليه وسلم اى ولا مخالفة لانه يجوز ان يكون جبريل قدمه صلى الله عليه وسلم بعد دفعهم وتقديمهم له صلى الله عليه وسلم وفى رواية فأذن جبريل اى أقام الصلاة ونزلت الملائكة من السماء وحشر الله له المرسلين اى جميعهم وقد نزلت الملائكة وحشر له الانبياء اى جميعهم بدليل ما فى بعض الروايات بعث له آدم فمن دونه فهو تعميم بعد تخصيص بناء على ان الرسول أخص من النبى لا بمعناه وهذا هو المراد بقول الخصائص الصغرى ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم احياء الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم وصلاته اماما بهم وبالملائكة لان الانبياء احياء وفيه اذا كان الانبياء احياء فما معنى احيائهم له ليصلى بهم وقد علمت معنى احيائهم فلما انصرف صلى الله عليه وسلم قال جبريل يا محمد

ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول اقدم حيزوم فنظر الى المشرك امامه فخر مستلقيا فنظر اليه فاذا هو قد حطم انفه وشق وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك اجمع فجاء ذلك الانصارى فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقت ذلك من مدد السماء وعن على رضى الله عنه وكرم وجهه قال هبت ريح شديدة يوم بدر ما رأيت مثلها قط ثم جاءت أخرى كذلك ثم جاءت أخرى كذلك فكانت الاولى جبريل نزل فى ألف من الملائكة امام النبى صلى الله عليه وسلم وكانت الثانية ميكائيل نزل فى الف من الملائكة عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت الثالثة اسرافيل فى الف من الملائكة عن يسرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى مسلم عن سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه انه رأى عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم احد رجلين عليهما ثياب بيض ما رأيتهما قبل ولا بعد يقاتلان كأشد القتال يعنى جبريل وميكال * وانكسر سيف عكاشة رضى الله عنه وهو بتشديد الكاف اكثر من تخفيفها ابن محصن الاسدى رضى الله عنه وهو يقاتل به فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم جذلا من حطب اى اصلا من اصول الحطب وقال قاتل بهذا يا عكاشة فلما اخذه من رسول الله صلى الله عليه وسلم هزه فعاد فى يده سيفا طويل القامة شديد المتن ابيض الحديدة فقاتل به حتى فتح الله تعالى على المسلمين وكان ذلك السيف يسمى العون ثم لم يزل عند عكاشة وشهد به المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل وهو عنده فى قتال اهل الردة فى زمن الصديق رضى الله عنه ثم لم يزل متوارثا عند آل عكاشة وسيأتى مثل ذلك فى غزوة احد لعبد الله بن جحش رضى الله عنه وجاء فى فضل عكاشة رضى الله عنه انه ممن يدخل الجنة بغير حساب وانكسر سيف سلمة بن اسلم رضى الله عنه

يا محمد أتدرى من صلى خلفك قال لا قال كل نبى بعثه الله تعالى اى والنبى غير الرسول بعثه الله تعالى الى نفسه (أقول) ولا يخالف ما سبق من أنه عرف النبيين من بين قائم وراكع وساجد لجواز أن يكون المراد عرف معظمهم او انه عرفهم بعد هذا القول * وذكر القرطبى فى تفسيره عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس جمع الله له الانبياء آدم فمن دونه وكانوا سبع صفوف ثلاث صفوف من الانبياء المرسلين وأربعة من سائر الانبياء وكان خلف ظهره ابراهيم الخليل وعن يمينه اسمعيل وعن يساره اسحق صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والله اعلم وفى رواية ثم دخل أى مسجد بيت المقدس فصلى مع الملائكة فلما قضيت الصلاة قالوا يا جبريل من هذا الذى معك قال هذا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين والمرسلين قالوا وقد أرسل اليه اى للمعراج بناء على انه كان فى ليلة الاسراء قال نعم قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة وهذه الرواية قد يقال لا تخالف ما سبق من أنه صلى الله عليه وسلم صلى بالملائكة مع الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين لانه يجوز ان يكون انما أفردهم بالذكر واسؤالهم وفيه أن سؤالهم يدل على ان نزولهم من السماء لبيت المقدس لم يكن لاجل الصلاة معه صلى الله عليه وسلم قال القاضى عياض والاظهر أن صلاته صلى الله عليه وسلم بهم يعنى بالانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فى بيت المقدس كانت قبل العروج اى كما يدل على ذلك سياق القصة وقال الحافظ ابن كثير صلى بهم فى بيت المقدس قبل العروج وبعده فان فى الحديث ما يدل على ذلك ولا مانع منه قال ومن الناس من يزعم انه انما أمهم فى السماء اى لا فى بيت المقدس اى وهذا الزاعم هو حذيفة فانه أنكر صلاته صلى الله عليه وسلم بالانبياء عليهم الصلاة والسلام فى بيت المقدس قال بعضهم والذى تظافرت به الروايات صلاته صلى الله عليه وسلم بالانبياء عليهم الصلاة والسلام ببيت المقدس والظاهر انه بعد رجوعه صلى الله عليه وسلم اليه اى فلم يصل فى بيت المقدس الا مرة واحدة وانه بعد نزوله صلى الله عليه وسلم لانه لما مر بهم فى منازلهم جعل يسأل جبريل عنهم واحدا واحدا وهو يخبره بهم اى ولو كان صلى بهم أولا لعرفهم بل تقدم انه صلى الله عليه وسلم عرف النبيين ما بين قائم وراكع وساجد وما بالعهد من قدم وهذا هو اللائق لانه صلى الله عليه وسلم أولا كان مطلوبا الى الجناب العلوى اى بناء على ان المعراج كان فى ليلة الاسراء وحيث كان مطلوبا لذلك فاللائق ان لا يشتغل بشئ عنه فلما فرغ من ذلك اجتمع هو صلى الله عليه وسلم واخوته من

فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم قضيبا كان فى يده اى عرجونا من عراجين النخل وقال اضرب به فاذا هو سيف جيد فلم يزل عنده * وضرب خبيب رضى الله عنه فمال شقه فتفل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأمه ورده فانطبق * ورمى رفاعة بن مالك رضى الله عنه بسهم ففقئت عينه فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا له فما آذاه شئ منها ورجعت كما كانت (ثم أمر) رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتلى من المشركين أن ينقلوا من مصارعهم وان يطرحوا فى القليب فطرحوا فى القليب الا ما كان من أمية بن خلف فانه انتفخ فى درعه فلأه فذهبوا ليحركوه فتزايل اى تقطعت أوصاله فألقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة قال السهيلى وانما ألقوا فى القليب ولم يدفنوا لانه عليه الصلاة والسلام كره أن يشق على أصحابه لكثرة جيف الكفار أن يأمرهم بدفنهم فكان جرهم الى القليب أيسر اليهم وفيه أيضا اشارة الى أن الحربى لا يجب دفنه بل يجوز اغراء الكلاب على جيفته ولما ألقى عتبة والد أبى حذيفة رضى الله عنه فى القليب تغير وجه أبى حذيفة ففطن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له لعلك دخلك من شأن أبيك شئ فقال لا والله ولكنى كنت أعرف من أبى رأيا وحلما وفضلا فكنت أرجو أن يهديه الله للاسلام فلما رأيت ما مات عليه أحزننى ذلك فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير وقال له خيرا وجاء ان أبا حذيفة رضى الله عنه اراد أن يبارز أباه ويقتله لما طلب المبارزة فنهاه النبى صلى الله عليه وسلم عن قتل أبيه وان تمكن منه ثم بعد القائهم فى القليب بثلاثة ايام جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وقف على شفير القليب وجعل يناديهم بأسمائهم ويقول يا فلان ابن فلان ويا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعد الله ورسوله حقا فانى

النبيين ثم أظهر شرفه عليهم فقدمه فى الامامة (هذا كلامه) اقول بحث ان صلاته صلى الله عليه وسلم ببيت المقدس ولم تكن الا بعد رجوعه صلى الله عليه وسلم من العروج والاستدلال على ذلك بسؤاله صلى الله عليه وسلم عن الانبياء عليهم الصلاة والسلام واحدا واحدا فى السماء وان ذلك هو اللائق فيه نظر ظاهر لانه لا بحث مع وجود النقل بخلافه ومجرد الاستحسان العقلى لا يرد النقل فقد تقدم عن الحافظ ابن كثير انه ثبت فى الحديث ما يدل على انه صلى الله عليه وسلم صلى بهم ببيت المقدس قبل العروج وبعده وكونه سال عن الانبياء فى السماء لا ينافى صلاته بهم أولا وانه عرفهم بناء على تسليم أن معرفته لهم كانت عند صلاته بهم أولا وانه عرفهم كلهم لا معظمهم على ما قدمناه لانه يجوز أن يكونوا فى السماء على صور لم يكونوا عليها ببيت المقدس لان البرزخ عالم مثال كما تقدم وبهذا يعلم ما فى قول بعضهم رؤيته صلى الله عليه وسلم للانبياء صلوات الله وسلامه عليهم فى السماء محمولة على رؤية أرواحهم الا عيسى وادريس عليهما الصلاة والسلام ورؤيته صلى الله عليه وسلم لهم فى بيت المقدس يحتمل أن المراد ارواحهم ويحتمل اجسادهم ويدل للثانى وبعث له آدم فمن دونه من الانبياء عليهم الصلاة والسلام وفى رواية فنشر لى الانبياء من سمى الله ومن لم يسم فصليت بهم صلى الله عليه وسلم وعليهم والاشتغال عن الجناب العلوى المدعو له بما فيه تأنيس له وهو اجتماعه صلى الله عليه وسلم بالانبياء عليهم الصلاة والسلام وصلاته بهم مناسب لائق بالحال والله أعلم * واختلف فى هذه الصلاة فقيل العشاء اى الركعتان اللتان كان صلى الله عليه وسلم يصليهما بالعشاء بناء على انه صلى ذلك قبل العروج وفيه انه صلى تينك الركعتين اللتين كان يصليهما بالغداة اى وهذا يدل على ان الفجر طلع وهو صلى الله عليه وسلم ببيت المقدس بعد العروج وتقدم وسيأتى انه صلى الغداة بمكة وعليه تكون معادة بمكة قال والذى يظهر والله أعلم انها كانت من النفل المطلق انتهى اى ولا يضر وقوع الجماعة فيها وبقولنا اى الركعتان الى آخره يسقط ما قيل القول بأنها العشاء أو الصبح ليس بشئ لان أول صلاة صلاها من الخمس مطلقا الظهر ومن حمل الاولية على مكة اى ويكون صلى الصبح ببيت المقدس فعليه الدليل اى دليل يدل على أن تلك الصلاة احدى الصلوات الخمس وفى زين القصص كان زمن ذهابه صلى الله عليه وسلم ومجيئه ثلاث ساعات وقيل أربع ساعات اى بقيت من ثلث الليلة لكن فى كلام السبكى أن ذلك كان فى قدر لحظة حيث قال فى تائيته

وعدت وكل الامر فى قدر لحظة * اى ولا بدع لان الله تعالى قد يطيل الزمن القصير كما يطوى

الطويل

الطويل لمن يشاء وقد فسح الله فى الزمن القصير لبعض اولياء أمته مايستغرق الازمنة الكثيرة وفى ذلك حكايات شهيرة قال صلى الله عليه وسلم وأتيت باناءين أحمر وأبيض فشربت الابيض فقال لى جبريل شربت اللبن وتركت الخمر لو شربت الخمر لارتدت أمتك اى غوت وانهمكت فى الشرب بدليل الرواية الاخرى وهى رواية البخارى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسرى به بايليا بقدحين من خمر ولبن فنظر اليهما فأخذ اللبن فقال جبريل الحمد لله الذى هداك للفطرة اى الاستقامة لو أخذت الخمرة غوت أمتك ولم يتبعك منهم الا القليل اى يكونوا على ماأنت عليه من ترك ذلك فالمراد بالارتداد الرجوع عما هو الصواب واتيانه بذلك وهو فى المسجد بيت المقدس وسيأتى مايدل على أنه أتى له صلى الله عليه وسلم بذلك أيضا بعد خروجه صلى الله عليه وسلم منه قبل العروج قال صلى الله عليه وسلم واستويت على ظهر البراق فما كان باسرع من أن أشرفت على مكة ومعى جبريل فصليت به الغداة ثم قال صلى الله عليه وسلم لام هانئ بعد ان أخبرها بذلك أنا اريد ان أخرج الى قريش فأخبرهم بما رأيت قالت أم هانئ فعلقت بردائه صلى الله عليه وسلم وقلت أنشدك الله اى بفتح الهمزة أسألك بالله ابن عم اى يا ابن عم أن تحدث اى لا تحدث بهذا قريشا فيكذبك من صدقك وفى رواية انى أذكرك الله عز وجل انك تأتى قوما يكذبونك وينكرون مقالتك فأخاف أن يسطوا بك فضرب بيده الشريفة على ردائه فانتزعه من يدى فارتفع على بطنه صلى الله عليه وسلم فنظرت الى عكنه اى طبقات بطنه من السمن فوق ردائه صلى الله عليه وسلم وكأنه طى القراطيس اى الورق واذا نور ساطع عند فؤاده كاد يخطف بفتح الطاء وربما كسرت بصرى فخررت ساجدة فلما رفعت رأسى اذ هو قد خرج فقلت لجارية حبشية اى وكانت حبشية معدودة فى الصحابة رضى الله عنها اتبعيه وانظرى ماذا يقول فلما رجعت أخبرتنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى الى نفر من قريش فى الحطيم هو ما بين باب الكعبة والحجر الاسود وفى كلام بعضهم بين الركن والمقام سمى بذلك لان الناس يحطم بعضهم بعضا فيه من الازدحام لانه من مواطن اجابة الدعاء قيل ومن حلف فيه آثما عجلت عقوبته وربما أطلق كما تقدم على الحجر بكسر الحاء وأولئك النفر الذين انتهى صلى الله عليه وسلم اليهم فيهم المطعم بن عدى وأبو جهل بن هشام والوليد بن المغيرة فقال صلى الله عليه وسلم انى صليت الليلة العشاء اى اوقعت صلاة فى ذلك الوقت فى هذا المسجد وصليت به الغداة اى أوقعت صلاة فى ذلك الوقت والا فصلاة العشاء لم تكن فرضت وكذا صلاة الغداة التى

وجدت ما وعدنى الله حقا وجاء فى بعض الطرق ناداهم بأسمائهم فقال يا عتبة بن ربيعة يا شيبة بن ربيعة ويا أمية بن خلف ويا أبا جهل بن هشام والاقتصار على ذكر أمية بن خلف وان لم يكن من أهل القليب لانه كان قريبا من القليب وفى رواية قال لهم صلى الله عليه وسلم بئس عشيرة كنتم لنبيكم كذبتمونى وصدقنى الناس واخرجتمونى وآوانى الناس وقاتلتمونى ونصرنى الناس فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه يا رسول الله كيف تكلم اجسادا لا أرواح فيها فقال ما أنتم بأسمع لما أقول منهم غير انهم لا يستطيعون ان يردوا شيأ وفى رواية يسمعون كما تسمعون ولكن لا يجيبون وعن قتادة أحياهم الله حتى سمعوا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم توبيخا وتصغيرا ونقمة وحسرة عليهم والمراد باحيائهم شدة تعلق ارواحهم باجسادهم حتى صاروا كالاحياء فى الدنيا لان الروح بعد مفارقة الجسد يصير لها تعلق به وبواسطة ذلك التعلق يعرف الميت من يزوره ويأنس به ويرد سلامه اذا سلم ولا يصير الميت به حيا كحياة الدنيا لكنه قد يقوى فى نحو الانبياء والشهداء والصالحين حتى يصير كالحى فى الدنيا ولا يرد على قوله ما أنتم بأسمع منهم قوله تعالى انك لا تسمع الموتى لان المراد لا تسمعهم سماع قبول وقد أشار الى ذلك الجلال السيوطى فى قوله

سماع موتى كلام الخلق قاطبة
جاءت به عندنا الآثار فى الكتب
وآية النفى معناها سماع هدى

* لا يقبلون ولا يصغون للادب وجاء فى بعض الروايات أن النبى صلى الله عليه وسلم نادى أهل القليب وقال لهم ما تقدم قبل طرحهم فيه وجمع بين الروايات بأن ذلك تكرر منه قال لهم ذلك قبل طرحهم وبعد طرحهم وسمى من تقدم منهم وهم أربعة ولم يسم الباقين وهم عشرون لان الاربعة المذكورين هم أعظم رؤساء قريش وبقية أصحاب القليب من بنى عبد مناف ستة

عبيدة والعاصي ولدا أبي أحيحة سعيد بن العاص بن أمية وحنظلة بن أبي سفيان والوليد بن عتبة والحرث بن عامر وطعيمة بن عدي ومن سائر قريش أربعة عشر نوفل بن عبد وزمعة وعقيل ابنا الاسود والعاص بن هشام أخو أبي جهل وأبو قيس بن الوليد ونبيه ومنبه ابنا الحجاج السهمي وعلي بن أمية بن خلف وعمرو بن عثمان عم طلحة أحد العشرة ومسعود ابن أبي أمية اخو أم سلمة وقيس ابن الفاكه بن المغيرة المخزومي والاسود بن عبد الاسد أخو أبي سلمة وأبو العاص بن قيس بن عدي السهمي وامية بن رفاعة فهؤلاء عشرون تنضم الى الاربعة فتكمل العدة ولقد أحسن العلامة ابن جابر الاندلسي حيث ذكر قصة بدر في بعض اشعاره فقال

بدا يوم بدر وهو كالبدر حوله
كواكب في أفق المواكب تنجلي
وجبريل في جند الملائك دونه
فلم تغن اعداد العدو والمخذل
رمى بالحصى في أوجه القوم رمية
فشردهم مثل النعام بمجهل
وجادلهم بالمشرفي فسلموا
لجادله بالنفس كل مجندل
عبيدة سل عنهم وحمزة واستمع
حديثهم في ذلك اليوم من علي
هموا عتبوا بالسيف عتبة اذ غدا
فذاق الوليد الموت ليس له ولي
وشيبة لما شاب خوفا تبادرت
اليه العوالي بالخضاب المعجل
وجال أبو جهل فحقق جهله
غداة تردى بالردى عن تذلل
وأضحى قليبا في القليب وقومه
يؤمونه فيه الى شر منهل
وجاءهم خير الانام موبخا * ففتح من اسماعهم كل مقفل
وأخبر ما أنتم بأسمع منهم * ولكنهم لا يهتدون لمقول
انه سلا عنهم يوم السلا اذ تضاحكوا * فعاد بكاء عاجلا لم يؤجل
الم يعلموا علم اليقين بصدقه * ولكنهم لا يرجعون لمعقل
فيا خير خلق الله جاهك ملجئي * وحبك ذخري في الحساب وموئلي

هي الصبح لم تكن فرضت كما تقدم وأتيت فيما بين ذلك بيت المقدس اى لا يقال كان المناسب لذلك أن يقول وأتيت في لحظة او ساعات وعلى ما تقدم فيما بين ذلك ببيت المقدس ولم يوسع لهم الزمن لانا نقول وسع لهم الزمن لان الطباع لا تنفر منه نفرتها من تلك فليتأمل قال وجاء أنه صلى الله عليه وسلم لما دخل المسجد قطع وعرف أن الناس تكذبه اى وما أحب ان يكتم ما هو دليل على قدرة الله تعالى وما هو دليل على علو مقامه صلى الله عليه وسلم الباعث على اتباعه فقعد صلى الله عليه وسلم حزينا فمر به عدو الله أبو جهل فجاء حتى جلس اليه صلى الله عليه وسلم فقال كالمستهزئ هل كان من شئ قال نعم أسري بي الليلة قال الى أين قال الى بيت المقدس قال ثم أصبحت بين ظهرانينا قال نعم قال فلم ير أنه يكذبه مخافة ان يجحده الحديث ان دعى قومه اليه قال أرأيت ان دعوت قومك أتحدثهم ما حدثتني قال نعم قال يا معشر بني كعب بن لؤي فانقضت اليه المجالس وجاؤا حتى جلسوا اليهما فقال حدث قومك بما حدثتني به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى أسري بي الليلة قالوا الى أين قال الى بيت المقدس الحديث انتهى فنشر لي رهط من الانبياء منهم ابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام وصليت بهم وكلمتهم فقال أبو جهل كالمستهزئ صفهم لي فقال صلى الله عليه وسلم أما عيسى عليه الصلاة والسلام ففوق الربعة ودون الطويل اى لا طويل ولا قصير عريض الصدر ظاهر الدم اى لونه أحمر وفي رواية يعلوه حمرة كأنما يتحادر من لحيته الجمان وفي رواية كأنه خرج من ديماس اى حمام وأصله الكن الذي يخرج منه الانسان وهو عرقان واصله الظلمة يقال ليل دامس والحمام لفظ عربي وأول واضع له الجن وضعته لسيدنا سليمان على نبينا وعليه الصلاة والسلام وقيل الواضع له بقراط وقيل شخص سابق على بقراط استفاده من رجل كان به تعقيد العصب فوقع في ماء حار في جب فسكن فسار يستعمله حتى برئ وجاء من طرق عديدة كلها ضعيفة لكن يقوي بعضها بعضا ان سليمان عليه الصلاة والسلام لما دخله ووجد حره وغمه قال اوه من عذاب الله لان دخول الحمام يذكر النار لان الحمام أشبه شئ بجهنم لان النار أسفله والسواد والظلمة أعلاه وقد قيل خير الحمام ما قدم بناؤه واتسع فناؤه وعذب ماؤه قال بعضهم و بصير قد عاب بعد سبع سنين قال بعضهم ولم يعرف الحمام في بلاد الحجاز قبل البعثة وانما عرفته الصحابة بعد موته صلى الله عليه وسلم بعد أن فتحوا بلاد العجم وفيه ان في البخاري عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون بيتا يقال له الحمام قالوا يا رسول الله

عليك صلاة يشمل الآل عرفها * وأصحابك الأخيار أهل التفضل (وحكى) العلامة ابن مرزوق ان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مر مرة ببدر فاذا رجل يعذب ويئن من وجع العذاب فلما اجتاز به ناداه يا عبد الله قال ابن عمر رضي الله عنهما فلا أدري أعرف اسمي أم كما يقول الرجل لمن يجهل اسمه يا عبد الله فالتفت اليه فقال اسقني فأردت أن أفعل فقال الاسود الموكل بتعذيبه لا تفعل فان هذا من المشركين الذين قتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر قال الزرقاني هو أبو جهل وقد رواه الطبراني وابن أبي الدنيا وغيرهما وفي رواية ابن منده عن ابن عمر رضي الله عنهما بينما أنا سائر بجنبات بدر اذ خرج رجل من حفرة في عنقه سلسلة فناداني يا عبد الله اسقني فلا أدري أعرف اسمي او دعاني بدعاية العرب وخرج رجل من تلك الحفرة في يده سوط فنادى يا عبد الله لا تسقه فانه كافر ثم ضربه بالسوط فعاد الى حفرته فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته بذلك فقال لي قد رأيته قلت نعم قال ذاك عدو الله أبو جهل وذاك عذابه الى القيامة وروى ابن أبي الدنيا عن الشعبي ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم اني مررت ببدر فرأيت رجلا يخرج من الارض فيضربه رجل بمقمعة معه حتى يغيب في الارض ثم يخرج فيفعل به مثل ذلك مرارا فقال صلى الله عليه وسلم ذاك أبو جهل بن هشام يعذب الى يوم القيامة (وكان) جملة من قتل من المشركين سبعين وأسر منهم سبعون فمن القتلى أهل القليب المتقدم ذكرهم وهم أربعة وعشرون كلهم من رؤسائهم والباقون من باقيهم وكان من أفضل الاسرى العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم وعقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحرث بن عبد المطلب وكل هؤلاء أسلموا بعد ذلك رضي الله عنهم وهم من بني هاشم وممن اسلم من الاسرى من سائر قريش

انه يذهب بالدرن وينفع المريض قال فاستتروا وفي رواية أنه لما قال صلى الله عليه وسلم اتقوا بيتا يقال له الحمام فقالوا يا رسول الله انه يذهب بالدرن وينفع المريض الوصخ ويذكر النار قال ان كنتم لا بد فاعلين فمن دخله فليستتر وهو صريح في ان الصحابة رضي الله تعالى عنهم عرفوه في زمنه صلى الله عليه وسلم الا أن يقال جاز ان يكونوا عرفوه من غيرهم بهذا الوصف لهم والمنفي في كلام هذا البعض معرفتهم له بالدخول فيه ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم بيتا يقال له الحمام وقوله صلى الله عليه وسلم ستفتح عليكم أرض العجم وستجدون فيها بيوتا يقال لها الحمامات وأما ما جاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه صلى الله عليه وسلم دخل حمام الجحفة فلا يرد لانه على تقدير صحته فالمراد به انه محل للاغتسال فيه الا بالهيئة المخصوصة وكذا لا يرد ما في معجم الطبراني الكبير عن أبي رافع أنه قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بموضع فقال نعم موضع الحمام هذا فبني فيه حمام لجواز أن يكون بني ذلك بعد موته صلى الله عليه وسلم فهو من أعلام نبوته قال بعضهم ولعله قال ذلك اقبح الموضع اي فقول بعضهم ويكفي ذلك في فضيلة الحمام ليس في محله وفيه أن هذا البعض لم يعول في الفضيلة على هذا فقط بل عليه وعلى ما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الذي فيه انه يذهب بالدرن وينفع المريض ولا يرد أيضا ما في مسند أحمد عن أم الدرداء رضي الله تعالى عنها انها خرجت من الحمام فلقيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها من أين يا أم الدرداء قالت من الحمام لان في سنده ضعيفا ومتروكا ولانه يجوز أن يكون المراد به أنه محل الاغتسال لا انه المبني على الهيئة المخصوصة كما تقدم وبه يجاب أيضا عما في مسند الفردوس ان صح عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما وقد خرجا من الحمام طاب حمامكما قال ابن القيم ولم يدخل المصطفى صلى الله عليه وسلم حماما قط ولعله ما رآه بعينه هذا كلامه وعن فرقد السبخي أنه ما دخل الحمام نبي قط ويشكل عليه ما تقدم عن سليمان عليه الصلاة والسلام واعترض بعضهم قول ابن القيم لعله صلى الله عليه وسلم ما رأى الحمام بعينه بانه صلى الله عليه وسلم دخل الشام وبها حمامات كثيرة فيبعد انه ما رآها نعم لم ينقل انه صلى الله عليه وسلم دخل شيأ منها وفيه انه قد يقال هو صلى الله عليه وسلم لم يدخل من بلاد الشام الا بصرى وجاز أن لا يكون بها حمام حين دخوله صلى الله عليه وسلم اليها وفي الطبراني عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما مرفوعا شر البيوت الحمام تعلو فيه الاصوات وتكشف فيه العورات فمن دخله لا يدخله الا مستترا

ابو العاص بن الربيع زوج السيدة زينب بنت النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنها أسلم قبيل فتح مكة وأثنى عليه المصطفى صلى الله عليه وسلم في مصاهرته ورد عليه زينب رضي الله عنه وعنها وأبو عزيز زرارة بن عمير اخو مصعب بن عمير أسلم يوم بدر بعد الفداء رضي الله عنه والسائب بن عبيد كذلك أسلم رضي الله عنه بعد الفداء وعدي بن الخيار والسائب ابن أبي حبيش وأبو وداعة السهمي وسهيل بن عمرو العامري أسلموا في فتح مكة وخالد بن هشام المخزومي وعبد الله بن السائب والمطلب بن حنطب وعبد الله بن أبي بن خلف أسلم يوم الفتح وقتل يوم الجمل وعبد الله بن زمعة أخو سودة ووهب بن عمير الجمحي وقيس بن السائب المخزومي وقسطاس مولى أمية بن خلف والوليد بن الوليد قال في المواهب وكان العباس رضي الله عنه فيما قاله أهل العلم بالتاريخ قد أسلم قديما وكان يكتم اسلامه وكان يسره ما يفتح الله على المسلمين وكان النبي صلى الله عليه وسلم يطلعه على اسراره حين كان بمكة وكان يحضر مع النبي صلى الله عليه وسلم حين كان يعرض نفسه على القبائل وكان يحثهم ويحرضهم على مناصرته كما تقدم ذلك في حضوره بيعة العقبة التي كانت مع الانصار قبل الهجرة فهذا كله يدل على اسلامه وكان النبي صلى الله عليه وسلم أمره بالمقام بمكة ليكتب له اسرار قريش واخبارهم ولما أرادوا الخروج واستنفروا الناس ما امكنه التخلف عنهم ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر من لقي العباس فلا يقتله فانه خرج مستكرها ولا ينافي ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لما طلب منه الفداء ظاهر امرك انك كنت علينا لان كونه عليهم في الظاهر لا ينافي كونه مكرها في الباطن فعامله النبي صلى الله عليه وسلم بظاهر حاله تطييبا لقلوب الصحابة رضي الله عنهم حيث فعل مثل

ورجاله رجال الصحيح الا بعضهم منهم فيه مقال وما أحسن قول الامام الغزالي ونعم البيت الحمام يطهر البدن ويذهب الدرن ويذكر النار وبئس البيت الحمام يبدي العورة ويذهب الحياء فهذا تعرض لآفته وذلك تعرض لفائدته ولا بأس بطلب الفائدة مع التحرز عن الآفة والحاصل ان الحمام تعتريه الاحكام الخمسة فيكون واجبا وحراما ومندوبا ومكروها ومباحا والاصل فيه عندنا معاشر الشافعية الاباحة للرجال مع ستر العورة مكروه للنساء مع ستر العورة حيث لا عذر وهو محمل ما جاء من كان يؤمن بالله واليوم الآخر من نسائكم فلا يدخل الحمامات ومع عدم ستر العورة حرام وهو محمل ما جاء الحمام حرام على نساء أمتي وأول من اتخذ الحمام في القاهرة العزيز بن المعز العبيدي أحد الفواطم قال بعضهم ليس في شأن الحمام ما يعول عليه الا قول المصطفى صلى الله عليه وسلم في صفة عيسى عليه الصلاة والسلام كأنما خرج من ديماس وقال غيره أصح حديث في هذا الباب حديث اتقوا بيتا يقال له الحمام فمن دخله فليستتر وقال ابن عمر في وصف عيسى عليه الصلاة والسلام انما هو آدم وحلف بالله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقل في عيسى انه أحمر وانما قال آدم وانما اشتبه على الراوي واجاب الامام النووي بأن الراوي لم يرد حقيقة الحمرة بل ما قاربها اي والحمرة المقاربة لها اي للادمة يقال لها أدمة اي كما يقال لها حمرة فلا منافاة قال صلى الله عليه وسلم جعد الشعر اي في شعره تثن وتكسر (اقول) ينبغي حمل جعد الذي جاء في بعض الروايات واذا هو بعيسى جعد على هذا ثم رأيت النووي قال قال العلماء المراد بالجعد هنا جعودة الجسم وهو اجتماعه واكتنازه وليس المراد جعودة الشعر فليتأمل والله أعلم تعلوه صهبة اي يعلو شعره شقرة كأنه عروة بن مسعود الثقفي اي رضي الله تعالى عنه فانه بعد انصرافه صلى الله عليه وسلم من الطائف لحق به قبل أن يدخل المدينة وأسلم ثم جاء الى قومه ثقيف يدعوهم الى الاسلام فقتلوه وقال صلى الله عليه وسلم في حقه ان مثله في قومه كصاحب يس كما سيأتي ذلك وأما موسى عليه الصلاة والسلام فضخم آدم اي اسمر ومن ثم كان خروج يده بيضاء مخالفا لونها لسائر لون جسده آية طويل كأنه من رجال شنوءة طائفة من اليمن اي ينسبون الى شنوءة وهو عبد الله بن كعب من أولاد الازد لقب بذلك لشنآن كان بينه وبين أهله وقيل لانه كان فيه شنوءة وهو التباعد من الادناس وفي رواية كأنه من رجال ازد عمان هو أبو حي من اليمن وعمان هذه بضم العين المهملة وتخفيف الميم بلد باليمن سمي بذلك لانه نزلها عمان بن سنان من ولد ابراهيم عليه الصلاة والسلام

ذلك بآبائهم وابنائهم وعشائرهم وجاء ان العباس رضى الله عنه كان له مال وديون فى قريش وكان يخشى ان أظهر اسلامه ضياعها عندهم فكان يخفى اسلامه باذن من النبى صلى الله عليه وسلم ولم يظهر النبى صلى الله عليه وسلم اسلامه للصحابة رفقا به وخوفا على ضياع ماله وللنبى صلى الله عليه وسلم غرض فى اخفاء اسلامه ٥٠٠ ليكون له عينا ينقل اخبار القوم ومن ثم لما قهرهم الاسلام يوم فتح مكة اظهر اسلامه فهو لم يظهر اسلامه لهم الا يوم فتح مكة وهذا لا ينافى اسبقية اسلامه وانه اظهره للنبى صلى الله عليه وسلم واصحابه بعد وقعة بدر كما يأتى لان الذى تأخر الى فتح مكة ظهوره لاهل مكة وكان العباس رضى الله عنه كثيرا ما يطلب الهجرة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكتب له النبى صلى الله عليه وسلم مقامك بمكة خير لك وفى رواية استأذن العباس رضى الله عنه النبى صلى الله عليه وسلم فى الهجرة فكتب اليه يا عم أقم مكانك الذى أنت فيه فان الله عز وجل يختم بك الهجرة كما ختم بى النبوة وكان كذلك فقد كان آخر المهاجرين لانه استقبل النبى صلى الله عليه وسلم بالابواء ولا علم له بخروج النبى صلى الله عليه وسلم بفتح مكة فرجع معه وكان الذى أسر العباس رضى الله عنه كعب بن عمرو الانصارى السلمى ويكنى بأبى اليسر رضى الله عنه فقيل للعباس كيف اسرك ابو اليسر وهو دميم ولو شئت لجعلته فى كفك فقال ما هو الا ان لقيته

٦٤ حل ل فظهر فى عينى كالخندمة الاشم وهو جبل عظيم من جبال مكة وفى رواية عن على رضى الله عنه فجاء رجل من الانصار بالعباس رضى الله عنه أسيرا فقال العباس ان هذا والله ما أسرنى لقد أسرنى رجل أجلح من أحسن الناس وجها على فرس أبلق ما أراه فى القوم فقال الانصارى أنا اسرته يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم اسكت فقد ايدك

والسلام وأما عمان بفتح العين وتشديد الميم فبلدة بالشام سميت بذلك لان عمان بن لوط كان سكنها وكما يقال أزد شنوءة ورجال الازد معروفون بالطول قال صلى الله عليه وسلم كثير الشعر غائر العينين متراكم الاسنان مقلص الشفتين خارج اللثة اى وهو اللحم الذى حول الاسنان عابس وأما ابراهيم عليه الصلاة والسلام فوالله انه لأشبه الناس بى خلقا وخلقا وفى رواية لم أر رجلا أشبه بصاحبكم ولا صاحبكم أشبه به منه يعنى نفسه صلى الله عليه وسلم فضجوا وأعظموا ذلك وصار بعضهم يصفق وبعضهم يضع يده على رأسه تعجبا فقال المطعم بن عدى ان أمرك قبل اليوم كان أمما اى يسيرا غير قولك اليوم وأنا أشهد أنك كاذب نحن نضرب أكباد الابل الى بيت المقدس مصعدا شهرا ومنحدرا شهرا أتزعم انك أتيته فى ليلة واحدة واللات والعزى لا أصدقك وما كان هذا الذى تقول قط وقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه يا مطعم بئس ما قلت لابن أخيك جبهته اى استقبلته بالمكروه وكذبته انا أشهد أنه صادق وفى رواية حين حدثهم بذلك ارتد ناس كانوا أسلموا اى وحينئذ فقول المواهب فصدقه الصديق وكل من آمن بالله فيه نظر الا أن يراد من ثبت على الاسلام وفى رواية سعى رجال من المشركين الى أبى بكر رضى الله تعالى عنه فقالوا هل لك الى صاحبك يزعم انه أسرى به الليلة الى بيت المقدس قال أوقد قال ذلك قالوا نعم قال لئن قال ذلك لقد صدق قالوا تصدقه أنه ذهب الى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح قال نعم انى لاصدقه فيما هو أبعد من ذلك أصدقه فى خبر السماء فى غدوة اى وهى ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس وروحة اى وهى اسم للوقت من الزوال الى الليل اى وهذا تفسير لهما بحسب الاصل والا فالمراد أنه يخبرنى ان الخبر ليأتيه من السماء الى الارض فى ساعة واحدة من ليل او نهار فأصدقه فهذا اى مجىء الخبر له من السماء بواسطة الملك أبعد مما تعجبون منه اى وحينئذ يجوز ان يكون قول أبى بكر للمطعم ما تقدم كان بعد هذا القول اى قاله بعد ان اجتمع به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بلغه مقالته فلا مخالفة بين الروايتين والى اسرائه صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وتحديثه قريشا بذلك أشار صاحب الهمزية بقوله

حظى المسجد الحرام بممشا ۞ ه ولم ينس حظه ايلياء
ثم وافى يحدث الناس شكرا ۞ اذ أتته من ربه النعماء

اى جميع المسجد الحرام حصل له الحظ الاوفر بممشاه صلى الله عليه وسلم فيه ففضل سائر البقاع ولم ينس حظه من ممشاه صلى الله عليه وسلم بيت المقدس بل شرفه الله تعالى بمشيه

فيه أيضا فضل على ما عدا المسجدين اى مسجد مكة ومسجد المدينة ثم وافى صلى الله عليه وسلم مكة يحدث الناس لاجل قيامه بالشكر لله تعالى او حال كونه شاكرا له تعالى وقت أو لاجل أن أتته من ربه النعماء فى تلك الليلة ثم قال المطعم يا محمد صف لنا بيت المقدس أراد بذلك اظهار كذبه وقيل القائل له ذلك أبو بكر قال له صفه لى فانى قد جئته أراد بذلك اظهار صدقه صلى الله عليه وسلم لقومه فقال دخلته ليلا وخرجت منه ليلا فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فصوره فى جناحه اى جاءه بصورته ومثاله فى جناحه فجعل صلى الله عليه وسلم يقول باب منه كذا فى موضع كذا وباب منه كذا فى موضع كذا وأبو بكر رضى الله تعالى عنه يقول صدقت أشهد أنك رسول الله حتى أتى على اوصافه اى ومعلوم ان من ذهب بيت المقدس من قريش يصدق على ذلك أيضا وفى رواية لما كذبنى قريش اى وسألنى عن اشياء تتعلق ببيت المقدس لم أثبتها اى قالوا له كم للمسجد من باب فكربت كربا شديدا لم أكرب مثله قط قمت فى الحجر فجلى الله عز وجل لى بيت المقدس اى وجلى بتشديد اللام وربما خففت كشفه لى اى بوجود صورته ومثاله فى جناح جبريل وفى رواية فجئ بالمسجد اى بصورته وأنا أنظر اليه حتى وضع اى يوضع محله الذى هو جناح جبريل فلا مخالفة بين الروايات وهذا من باب التمثيل ومنه رؤية الجنة والنار فى عرض الحائط لا من باب طى المسافة وزوى الارض ورفع الحجب المانعة من الاستطراق الذى ادعى الجلال السيوطى أنه أحسن ما يحمل عليه حديث رفع بيت المقدس حتى رآه النبى صلى الله عليه وسلم بمكة حال وصفه اياه لقريش صبيحة الاسراء اذ ذلك لا يجامع مجئ صورته فى جناح جبريل وانما قلنا ان ذلك من باب التمثيل لان من المعلوم ان أهل بيت المقدس لم يفقدوه تلك الساعة من بلدهم فرفعه انما هو برفع محله الذى هو جناح جبريل ثم رأيت ابن حجر الهيتمى قال الاظهر انه رفع بنفسه كما جئ بعرش بلقيس الى سليمان عليه الصلاة والسلام فى اسرع من طرفة عين ولك أن تتوقف فيه فان عرش بلقيس فقد بخلاف بيت المقدس وكان ذلك التجلى عند دار عقيل وتقدم انها عند الصفا وانها استمرت فى يد أولاد عقيل الى ان آلت الى يوسف أخى الحجاج وأن زبيدة والخيزران جعلتها مسجدا للحجيج كما تقدم وتقدم ما فيه قال صلى الله عليه وسلم فطفقت اى جعلت أخبرهم عن آياته اى علاماته وأنا أنظر اليه اى وذلك قبل ان تحول الابنية بين الحجر تلك الدار اى لقوله صلى الله عليه وسلم فقمت فى الحجر وهم يصدقونه صلى الله عليه وسلم على ذلك ومن ثم قيل ان حكمة تخصيص الاسراء الى المسجد الاقصى أن قريشا

الله بملك كريم وفى رواية قال له النبى صلى الله عليه وسلم كيف أسرته فقال قد أعاننى الله عليه بملك كريم ولما أسر رضى الله عنه شدوا وثاقه كبقية الاسرى فصار يئن فسمع النبى صلى الله عليه وسلم أنينه فلم يأخذه نوم فقيل ما أسهرك يا رسول الله قال أنين العباس فقام رجل وأرخى وثاقه وكان العباس رضى الله عنه رجلا طويلا فأراد النبى صلى الله عليه وسلم بعد رجوعه الى المدينة بالاسرى ان يلبسه قميصا وكان ذلك بعد ان حصل الفداء واظهاره اسلامه فلم يجدوا له قميصا يكون على طوله فكساه عبد الله بن أبى ابن سلول قميصه ولهذا لما مات عبد الله بن أبى هذا وكان رئيس المنافقين جاء ابنه وكان من فضلاء الصحابة رضى الله عنه الى النبى صلى الله عليه وسلم يطلب قميصه صلى الله عليه وسلم ليكفن أباه فيه رجاء بركة النبى صلى الله عليه وسلم فأعطاه صلى الله عليه وسلم قميصه تطييبا لقلب ابنه وتألفا لبقية المنافقين ومكافأة لما فعله مع عمه العباس رضى الله عنه وجعل صلى الله عليه وسلم فداء العباس رضى الله عنه أربعمائة اوقية وفى رواية مائة أوقية وفى رواية أربعين أوقية من ذهب وجعل عليه فداء ابن أخيه عقيل بن أبى طالب ثمانين اوقية وجعل عليه فداء ابن أخيه نوفل بن الحرث كذلك وفى رواية قال له افد نفسك يا عباس وابنى أخويك عقيل بن أبى طالب ونوفل بن الحرث بن عبد المطلب وحليفك عتبة بن عمرو ففدى نفسه بمائة أوقية وكل واحد بأربعين اوقية وقال للنبى صلى الله عليه وسلم تركتنى فقير قريش ما بقيت وفى لفظ تركتنى اسأل الناس فى كفى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فأين المال الذى دفعته لام الفضل يعنى زوجته وقلت لها ان أصبت فهذا لبنى الفضل وعبد الله وقثم وفى رواية فللفضل كذا وعبد الله كذا فقال والله انى أشهد انك رسول الله ان هذا شئ

تعرفه

تعرفه فيسألونه عنه فيخبرهم بما يعرفونه مع علمهم أنه صلى الله عليه وسلم لم يدخل بيت المقدس قط فتقوم الحجة عليهم وكذلك وقع وأما قول المواهب وانهذا لم يسألوه صلى الله عليه وسلم عما رأى اى فى السماء لانهم لا عهد لهم بذلك يقتضى سياقه انه أخبرهم بالمعراج عند اخباره لهم بالاسراء وسيأتى ما يخالفه على أنه سيأتى انه قيل ان المعراج كان بعد الاسراء فى ليلة أخرى وقيل فى حكمة ذلك أيضا ان باب السماء الذى يقال له مصعد الملائكة يقابل بيت المقدس فيحصل العروج مستويا من غير تعويج قال الحافظ ابن حجر وفيه نظر لورود أن فى كل سماء بيتا معمورا وان الذى فى السماء الدنيا حيال الكعبة فكان المناسب ان يصعد من مكة ليصل الى البيت المعمور من غير تعويج هذا كلامه ويقال عليه وان سلم ذلك لكن لم يكن الباب فى تلك الجهة فان ثبت ان فى السماء بابا يقابل الكعبة اتجه سؤاله قالت نبعة جارية أم هانئ فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يومئذ يا أبا بكر ان الله تعالى قد سماك الصديق اى ومن ثم كان على رضى الله تعالى عنه يحلف بالله تعالى ان الله تعالى أنزل اسم أبى بكر من السماء الصديق واما ما رواه اسحق بن بشر بسنده الى أبى ليلى الغفارى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيكون بعدى فتنة فاذا كان ذلك فالزموا على بن أبى طالب فانه أول من يرانى وأول من يصافحنى يوم القيامة وهو الصديق الاكبر وهو فاروق هذه الامة يفرق بين الحق والباطل وهو يعسوب المؤمنين والمال يعسوب المنافقين قال فى الاستيعاب اسحق بن بشر لا يحتج بنقله اذا انفرد لضعفه ونكارة أحاديثه هذا كلامه وفى مسند البزار بسند ضعيف أنه صلى الله عليه وسلم قال لعلى بن أبى طالب انت الصديق الاكبر وأنت الفاروق الذى يفرق بين الحق والباطل وفى رواية ان كفار قريش لما أخبرهم صلى الله عليه وسلم بالاسراء الى بيت المقدس ووصفه لهم قالوا له ما آية ذلك يا محمد اى ما العلامة الدالة على هذا الذى أخبرت به فانا لم نسمع بمثل هذا قط اى هل رأيت فى مسراك وطريقك ما نستدل بوجوده على صدقك اى لان وصفك لبيت المقدس يحتمل أن تكون حفظته عمن ذهب اليه قال صلى الله عليه وسلم آية ذلك أنى مررت بعير بنى فلان بوادى كذا فأنفرهم اى أنفر عيرهم حس الدابة يعنى البراق فندّ لهم بعير اى شرد فدللتهم عليه وأنا متوجه الى الشام ثم أقبلت حتى اذا كنت بجبل كذا مررت بعير بنى فلان فوجدت القوم نياما ولهم اناء فيه ماء قد غطوا عليه بشئ فكشفت غطاءه وشربت ما فيه ثم غطيت عليه كما كان اى وفى كلام بعضهم فعثرت الدابة يعنى البراق فتقلب بحافره

ما عليه الا أنا وأم الفضل انا أشهد ان لا اله الا الله وأنك عبده ورسوله وفى رواية قال للنبى صلى الله عليه وسلم اقد تركتنى فقير قريش ما بقيت فقال له كيف تكون فقير قريش وقد استودعت بنادق الذهب ام الفضل وقلت لها ان قتلت فقد تركتك غنية ما بقيت وفى رواية أين المال الذى دفنته أنت وأم الفضل فقال أشهد ان الذى تقوله قد كان وما اطلع عليه الا الله وأتى بالشهادتين اى نطق بهما بحضرة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه فلا ينافى القول بأسبقية اسلامه وانه كان يكتمه والنبى صلى الله عليه وسلم يعلم ذلك ومما يؤيد ذلك أنه جاء فى بعض الروايات ان العباس رضى الله عنه قال علام يؤخذ منا الفداء وكنا مسلمين وفى رواية وكنت مسلما ولكن القوم استكرهونى فقال له النبى صلى الله عليه وسلم الله أعلم بما تقول ان يك حقا فان الله يجزيك ولكن ظاهر أمرك انك كنت علينا وقد أنزل الله تعالى فى العباس رضى الله عنه يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم من الاسرى ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم وعند نزول الآية قال العباس رضى الله عنه للنبى صلى الله عليه وسلم وددت انك كنت أخذت منى اضعاف ما أخذت وقد صدق الله وعده له فأعطاه الله مالا عظيما حتى كان عنده مائة عبد فى يد كل عبد مال يتجر فيه وكان يقول وانى لارجو من الله المغفرة وقيل ان العباس ما فدى نوفلا بل عقيلا فقط بدليل انه جاء فى رواية انه صلى الله عليه وسلم قال لابن عمه نوفل بن الحرث بن عبد المطلب افد نفسك يا نوفل قال مالى شئ افدى به نفسى قال افد نفسك من مالك وفى رواية من رماحك فقال أشهد انك رسول الله والله ما احد يعلم ان لى بجدة رماحا غير الله اى وفدى نفسه ولم يفده العباس رضى الله عنه (وكان من الاسرى) النضر بن الحرث العبدرى بن

علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي وكان من اشد الناس عداوة للنبي صلى الله عليه وسلم وكان يقول فى القرآن انه أساطير الاولين ويقول لو نشاء لقلنا مثل هذا وغير ذلك من الاقاويل فنظر اليه النبي صلى الله عليه وسلم وهو اسير فقال النضر للاسير الذي بجانبه محمد والله قاتلي فانه نظر الى بعينين فيهما الموت فقال له والله ما هذا منك الارعب ثم قال النضر لمصعب بن عمير العبدري يامصعب أنت اقرب من هنا الى رحما فكلم صاحبك ان يجعلني كرجل من أصحابي يعني المأسورين هو والله قاتلي فقال له مصعب أنت كنت تقول فى كتاب الله ماتقول ثم أمر النبي صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب رضي الله عنه فضرب عنقه وذكر بعضهم ان النضر هذا له أخ يسمى باسمه أسلم عام الفتح وشهد حنينا وكان من المؤلفة وقيل بل أسلم قديما وهاجر الى الحبشة والله أعلم * ولما ضربت عنق النضر وبلغ الخبر أخته قتيلة وقيل ابنته رثته ثم أسلمت رضي الله عنها وتلك الابيات تقول فيها

يا راكبا ان الاثيل مظنة
من صبح خامسة وأنت موفق
أبلغ بها ميتا بأن تحية
ما ان تزال بها النجائب تخفق
منى اليك وعبرة مسفوحة
جادت بواكفها وأخرى تخنق
هل يسمعني النضر ان ناديته
أم كيف يسمع ميت لا ينطق
أمحمد ولانت نجل نجيبة
فى قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما * من الفتى وهو المغيظ المحنق
اوكنت قابل فدية فلينفقن * بأعز ما يغلو به ما ينفق
فالنضر أقرب من أسرت قرابة * واحقهم ان كان عتق يعتق
ظلت سيوف بني أبيه تنوشه * لله ارحام هناك تشقق
صبرا يقاد الى المنية متعبا * رسف المقيد وهو عان موثق

القدح الذي فيه الماء الذي كان يتوضأ به صاحبه فى القافلة وشرب الماء الذي للغير جائز لانه كان عند العرب كاللبن مما يباح لكل مجتاز من أبناء السبيل على أن من خصائصه صلى الله عليه وسلم أن له أن يأخذ ما يحتاج اليه من مالكه المحتاج اليه ويجب على مالكه حينئذ بذله واما الجواب عن ذلك بأنه مال حربي غير صحيح لان هذا كان قبل مشروعية الجهاد ومع عدم مشروعيته لا يحل مال أهل الحرب كما لا يحل قتالهم لان الواجب حينئذ مسالمتهم ولا تتم الا بترك التعرض لاموالهم كنفوسهم قاله ابن حجر فى شرح الهمزية لكن فى قطعة التفسير للجلال المحلي فى تفسير قوله تعالى فرددناه الى أمه كى تقر عينها أن أمه أرضعته باجرة وساغ لها أخذها لانها مال حربي اى من مال فرعون الا أن يقال ذلك اى أخذ مال الكافر كان جائزا فى شريعتهم قال صلى الله عليه وسلم وآية ذلك اى علامته المصدقة لما أخبر به صلى الله عليه وسلم أن عيرهم الآن تصوب من الثنية يقدمها جمل أورق وهو ما بياضه الى سواد وهو أطيب الابل لحما عند العرب وأخسها عملا عندهم اى ليس بمحمود عندهم فى عمله وسيره عليه غرارتان احداهما سوداء والاخرى برقاء اى فيها بياض وسواد كما تقدم فابتدر القوم الثنية فأول ما لقيهم الجمل الاورق عليه الغرارتان فسألوهم عن الاناء وعن نفار البعير وعن ند البعير وعن الشخص الذي دلهم عليه فصدقوا قوله (أقول) قد علم ان العير التي نفرت وند منها البعير ودلهم عليه مر عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ذاهب الى الشام والعير التي كان بها الاناء التي بها الماء الذي شربه صلى الله عليه وسلم مر عليها وهو راجع الى مكة وهي التي صوبت من الثنية وحينئذ لا يحسن سؤال أهلها عما وقع لاهل تلك العير وتصديقهم له صلى الله عليه وسلم فيما أخبر الا أن يقال يجوز أن تكون هذه العير التي مر عليها صلى الله عليه وسلم فى العود اجتمعت فى عودها بتلك العير الذاهبة الى الشام وأخبروهم بما ذكر والله تعالى أعلم وفى رواية قالوا يا مطعم دعنا نسأله عما هو أغنى لنا عن بيت المقدس اى فقولهم ذلك كان بعد أن أخبرهم ببيت المقدس يا محمد اخبرنا عن عيرنا اى عيراتنا الذاهبة والآتية هل لقيت منها شيأ فقال نعم أتيت على عير بني فلان بالروحاء اى وهو محل قريب من المدينة اى بينه وبين المدينة ليلتان قد أضلوا ناقة لهم فانطلقوا فى طلبها فانتهيت الى رحالهم ليس بها منهم أحد واذا قدح ماء فشربت منه فاسألوهم عن ذلك فقالوا هذه واللات والعزى آية اى علامة (أقول) وهذه العير هي التي مر صلى الله عليه وسلم عليها فى العود وهي قادمة الى مكة وفى هذه الرواية زيادة أنهم

اضلوا

وفى رواية بدل قولها أمحمد البيت أمحمد يا خير ضنء كريمة * فى قومها والفحل فحل معرق وحين سمع ذلك صلى الله عليه وسلم بكى وقال لو بلغنى هذا الشعر قبل قتله لمننت عليه اى لقبول شفاعتها عنده فلا ينافى ان ما فعله حق (ومن الاسرى أيضا) عقبة بن أبى معيط بن ذكوان المكنى بأبى عمرو بن أمية بن عبد شمس وكان من أشد الناس عداوة للنبى صلى الله عليه وسلم وهو من المستهزئين به صلى الله عليه وسلم كما تقدم فأمر بضرب عنقه عند عرق الظبية وهى شجرة يتظلل بها وقال حين قدم للقتل من للصبية يا محمد قال النار وجاء عن ابن عباس رضى الله عنهما ان عقبة لما قدم للقتل نادى يا معشر قريش مالى أقتل من بينكم صبرا فقال له النبى صلى الله عليه وسلم بكفرك واجترائك على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وفى رواية ببزاقك فى وجهى وتقدم ان عقبة كان يكثر مجالسة النبى صلى الله عليه وسلم فاتخذ ضيافة فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان أبى بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبأت يا عقبة قال لا ولكن أبى ان يأكل من طعامى وهو فى بيتى فاستحييت منه وشهدت له الشهادة وليست فى نفسى فقال له ابى وجهى من وجهك حرام ان لقيت محمدا فلم تطأ قفاه وتبزق فى وجهه وتلطم عينه فوجد النبى صلى الله عليه وسلم ساجدا ففعل به ذلك ولما بزق رجع بزاقه اليه واحترق وجهه وصار أثر ذلك باقيا فى وجهه الى موته وهو الذى وضع سلا الجزور على ظهر النبى صلى الله عليه وسلم وهو ساجد وكان شديد السفه والفجور وأنزل الله تعالى فيه ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا ياويلتى ليتنى لم اتخذ فلانا خليلا لقد اضلنى عن الذكر بعد اذ جاءنى ويروى ان النبى صلى الله

أضلوا ناقة وتقدم فى تلك الرواية انه صلى الله عليه وسلم وجدهم نياما وفى هذه الرواية أنه ليس بها منهم أحد وقد يقال لا مخالفة بين الروايتين لانه يجوز ان يكون الراوى أسقط منها هذه الزيادة وهى اضلال الناقة وأن قوله صلى الله عليه وسلم ليس بها منهم أحد اى مستيقظ بل بعضهم ذهب فى طلب تلك الناقة وبعضهم كان نائما لكن فى هذه الرواية انه صلى الله عليه وسلم مر عليها وهى بالروحاء وهو لا يناسب قوله فى تلك انها الآن تصوب من الثنية لان كونها تأتى من الروحاء الى مكة فى ليلة واحدة من أبعد البعيد الا أن يقال ان الروحاء مشتركة بين المحل المعروف المتقدم ذكره ومحل آخر قريب من مكة والله أعلم ثم قال صلى الله عليه وسلم فانتهيت الى عير بنى فلان فنفرت منها اى من الدابة التى هى البراق الابل اى التى هى العير وبرك منها جمل أحمر عليه جوالق مخطط ببياض لا ادرى اكسر البعير أم لا وهذه الرواية يحتمل أنها ثالثة ويمكن أن تكون هى الاولى أسقط من تلك قوله فى هذه وبرك منها جمل الى آخره كما أسقط من هذه قوله فى تلك فندلهم بعير وفى رواية ثم انتهيت الى عير بنى فلان بمكان كذا وكذا فيها جمل عليه غرارتان غرارة سوداء وغرارة بيضاء فلما حاذت العير نفرت وصرع ذلك البعير وانكسر اى وأضلوا بعيرا لهم قد جمعه فلان اى بدلا اى لهم عليه فسلمت عليهم فقال بعضهم هذا صوت محمد فاسألوهم عن ذلك فعلم ان هذه الرواية والتى قبلها هى الاولى غاية الامر انه زيد فى هذه قوله فسلمت عليهم فقالوا هذه واللات والعزى آية قال صلى الله عليه وسلم ثم انتهيت الى عير بنى فلان بالابواء اى وهو كما تقدم غير مرة أنه محل بين مكة والمدينة يقدمها جمل اورق اى بياضه الى سواد كما تقدم ها هى تطلع عليكم من الثنية فانطلقوا لينظروا فوجدوا الامر كما قال صلى الله عليه وسلم فقالوا صدق الوليد فيما قال اى فى قوله انه ساحر وانزل الله تعالى وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس وهذا يدل على ان المراد رؤيا الاسراء وأنها رؤيا العين وأنه يقال فى مصدرها رؤيا بالالف كما يقال رؤية بالتاء خلافا لمن أنكر ذلك اذ لو كان رؤيا الاسراء مناما لما أنكر عليه فى ذلك اى وقيل نزلت وقد رأى النبى صلى الله عليه وسلم ولد الحكم ابن أبى العاص أبى مروان وهم بنو أمية على منبره كأنهم القردة وقد ورد رأيت بنى مروان يتعاورون منبرى وفى لفظ ينزون على منبرى نزو القردة زاد فى رواية فما استجمع صلى الله عليه وسلم ضاحكا حتى مات وأنزل الله تعالى فى ذلك وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس وفى رواية فنزل انا أعطيناك الكوثر وفى رواية فنزل انا أنزلناه فى ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر

عليه وسلم قال له بمكة لأأقالك خارج مكة الا علوت رأسك بالسيف وفى رواية لما قال مالى أقتل من بينكم صبرا قال له النبى صلى الله عليه وسلم بكفرك وبفجورك وعتوك على الله ورسوله وقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم قال له لست من قريش هل أنت الا يهودى من أهل صفورية وذلك لان أمية جد أبيه خرج الى الشام فوقع على يهودية لها زوج من صفورية وهو نسبة لموضع من ثغور الشام فولدت ذكوان وهو والد أبى معيط على فراش اليهودى فاستلحقه بحكم الجاهلية واختلف فى من باشر قتله فقيل عاصم بن ثابت جد عاصم بن عمر ابن الخطاب لامه وقيل ان عاصم ابن ثابت خاله لا جده لان أم عاصم جميلة بنت ثابت أخت عاصم بن ثابت وكون القاتل لعقبة عاصم ابن ثابت هو الصحيح وقيل قتله على بن أبى طالب رضى الله عنه ويحتمل انهما اشتركا فى مباشرة ذلك وقيل انه بعد قتله صلب على شجرة وذكر ابن قتيبة ان طعيمة ابن عدى أخا المطعم بن عدى كان من جملة الاسرى وان النبى صلى الله عليه وسلم أمر بضرب عنقه كالنضر بن الحرث وعقبة بن أبى معيط والصحيح عند أهل السير والمغازى ان طعيمة بن عدى قتل فى معركة القتال قتله حمزة رضى الله عنه وسيأتى ان شاء الله تعالى فى غزوة أحد ان قتل حمزة كان بسبب قتله لطعيمة المذكور (ثم استشار) رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه فى الاسرى فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ماترون فى هؤلاء الاسرى ان الله قد مكنكم منهم وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم استشار أبا بكر وعمر وعليا رضى الله عنهم فيما هو الاصلح من الامرين القتل او أخذ الفداء فقال ابو بكر يارسول الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والاخوان قد اعطاك الله الظفر بهم ونصرك عليهم أرى ان تستبقيهم وتأخذ الفداء منهم فيكون فيها ابو بكر يارسول الله اهلك وقومك وفى رواية

ليلة القدر خير من ألف شهر قال بعضهم اى خير من ألف شهر علكها بعدك بنو امية فان مدة ملك بنى أمية كانت اثنتين وثمانين سنة وهى ألف شهر وكان جميع من ولى الخلافة منهم أربعة عشر رجلا أولهم معاوية وآخرهم مروان بن محمد وقد قيل لبعضهم ماسبب زوال ملك بنى أمية مع كثرة العدد والعدد والاموال والموالى فقال أبعدوا أصدقاءهم ثقة بهم وقربوا أعداءهم جهلا منهم فصار الصديق بالابعاد عدوا ولم يصر العدو صديقا بالتقريب له وحديث رأيت بنى مروان الى آخره قال الترمذى هو حديث غريب وقال غيره منكر قال صلى الله عليه وسلم ورأيت بنى العباس يتعاورون منبرى فسرنى ذلك وقيل ان هذه الآية اى آية وماجعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس انما نزلت فى رؤيا الحديبية حيث رأى النبى صلى الله عليه وسلم انه وأصحابه يدخلون المسجد محلقين رؤسهم ومقصرين ولم يوجد ذلك بل صدهم المشركون وقال بعض الصحابة له صلى الله عليه وسلم ألم تقل انك تدخل مكة آمنا قال بلى أفقلت لكم من عامى هذا قالوا لا قال فهو كما قال جبريل عليه السلام كما سيأتى ذلك فى قصة الحديبية وقيل انما نزلت هذه الآية فى رؤيا وقعة بدر حيث أراه جبريل مصارع القوم ببدر فأرى النبى صلى الله عليه وسلم الناس مصارعهم فتسامعت بذلك قريش فسخروا منه اى ولا مانع من تعدد نزول هذه الآية لهذه الامور فقد يتعدد نزول الآية لتعدد اسبابها قال ابن حجر الهيتمى ان اتحاد النزول لا ينافى تعدد أسبابه اى وذلك اذا تقدمت الاسباب ويروى انه عين لهم اليوم الذى تقدم فيه العير اى قالوا له متى تجىء قال لهم يأتوكم يوم كذا وكذا يقدمهم جمل اورق عليه مسح آدم وغرارتان فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينتظرون ذلك وقد ولى النهار ولم تجئ حتى كادت الشمس أن تغرب اى دنت للغروب فدعا الله تعالى فحبس الشمس عن الغروب حتى قدم العير اى كما وصف صلى الله عليه وسلم (اقول) يجوز أن يكون هذا بالنسبة لبعض العيرات التى مر عليها فلا يخالف ماتقدم انه صلى الله عليه وسلم قال فى بعض العيرات انها الآن تصوب من الثنية والى حبس الشمس عن المغيب اشار الامام السبكى فى تائيته بقوله

وشمس الضحى طاعتك وقت مغيبها ٭ فما غربت بل وافقتك بوقفة

وجاء فى بعض الروايات أنها حبست له صلى الله عليه وسلم عن الطلوع ففى رواية أن بعضهم قال له اخبرنا عن عيرنا قال مررت بها بالتنعيم قالوا فما عدتها واحمالها ومن فيها فقال كنت فى شغل عن ذلك ثم قيل له ذلك فأخبر بعدتها وعدة أحمالها وعدة من

ما أخذناه ثم قوة لنا على الكفار وعسى الله أن يهديهم بك فيكونون لنا عضدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقول يا ابن الخطاب فقال يا رسول الله قد كذبوك وأخرجوك وقاتلوك ما أرى ما رأى أبو بكر ولكني أرى أن تمكني من فلان قريب لعمر وفي رواية نسيب له فأضرب عنقه وتمكن عليا من عقيل أخيه فيضرب عنقه وتمكن حمزة من أخيه العباس فيضرب عنقه حتى يعلم انه ليس في قلوبنا مودة للمشركين هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم وقال ابن رواحة انظروا واديا كثير الحطب فأضرمه عليهم نارا وفي رواية ان عمر رضي الله عنه لما قال ذلك أعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عاد صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس ان الله قد أمكنكم منهم فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله اضرب اعناقهم فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك ثلاثا وهو يعرض عنه لما جبل عليه صلى الله عليه وسلم من الرأفة والرحمة في حالة ايذائهم له فكيف في حال قدرته عليهم فقام ابو بكر الصديق رضي الله عنه فقال يا رسول الله أرى ان تعفو عنهم وتقبل الفداء منهم فذهب عنه صلى الله عليه وسلم ما كان من الغم ولم يذكر عن علي رضي الله عنه جواب مع انه أحد الثلاثة المستشارين قال العلامة الزرقاني لانه لما رأى تغير المصطفى صلى الله عليه وسلم حين اختلاف الشيخان لم يجب أو لم تظهر له مصلحة حتى يذكرها ولهذا لما ظهر لعبد الله بن رواحة رضي الله عنه الجواب قال انظروا واديا كثير الحطب فاضرمه عليهم نارا فقال العباس رضي الله عنه وهو يسمع قطعت رحمك وفي رواية ثكلتك امك فدخل صلى الله عليه وسلم فقال اناس يأخذ بقول عمر وأناس بقول ابي بكر وأناس بقول ابن رواحة ثم خرج فقال ان الله ليلين قلوب اقوام فيه حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب اقوام فيه حتى تكون أشد من

فيها وقال تطلع عليكم عند طلوع الشمس فحبس الله تعالى الشمس عن الطلوع حتى قدمت تلك العير فلما خرجوا لينظروا فاذا قائل يقول هذه الشمس قد طلعت وقال آخر وهذه العير قد أقبلت فيها فلان وفلان كما اخبر محمد صلى الله عليه وسلم وعلى تقدير صحة هذه الروايات يجاب عنها بمثل ما تقدم والله أعلم وحبس الشمس وقوفها عن السير اى عن الحركة بالكلية وقيل بطء حركتها وقيل ردها الى ورائها قالوا ولم تحبس له صلى الله عليه وسلم الا ذلك اليوم وما قيل انها حبست له صلى الله عليه وسلم يوم الخندق عن الغروب أيضا حتى صلى العصر معارض بأنه صلى الله عليه وسلم صلى العصر بعد غروب الشمس وقال شغلونا عن الصلاة الوسطى كما سيأتي ثم رأيت في كلام بعضهم ما يؤخذ منه الجواب وهو ان وقعة الخندق كانت اياما فحبست الشمس في بعض تلك الايام الى الاحمرار او الاصفرار وصلى حينئذ وفي بعضها لم تحبس بل صلى بعد الغروب قال ذلك البعض ويؤيده ان راوي التأخير الى الغروب غير راوي التأخير الى الحمرة او الصفرة وجاء في رواية ضعيفة ان الشمس حبست عن الغروب لداود عليه الصلاة والسلام وذكر البغوي انها حبست كذلك لسليمان عليه الصلاة والسلام اى فمن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أن الله امر الملائكة الموكلين بالشمس حتى ردوها على سليمان حتى صلى العصر في وقتها وهذا رد لها لا حبس لها عن غروبها الذي الكلام فيه والذي في كلام بعضهم انه ضرب سيدنا سليمان سوق خيله واعناقها حيث ألهاه عرضها عليه عن صلاة العصر حتى كادت الشمس ان تغرب ولم يتصدق بها مبادرة لتعظيم امر الله تعالى بالصلاة في وقتها لان التصدق يحتاج الى صرف زمن في دفعها او اخذها وحبست كذلك ليوشع ابن أخت موسى عليه الصلاة والسلام وهو ابن نون بن ابن يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام اى وهو الذي قام بالامر بعد موسى لان موسى عليه الصلاة والسلام لما وعده الله تعالى أن يورثه وقومه بني اسرائيل الارض المقدسة التي هي أرض الشام وكان سكنها الكنعانيون الجبارون وأمره بقتاله أولئك الجبارين وهم العماليق سار بمن معه وهم ستمائة ألف مقاتل حتى نزل قريبا من مدينتهم وهي اريحا فبعث اليهم اثنى عشر رجلا من كل سبط واحد ليأتوه بخبر القوم فدخلوا المدينة فرأوا أمرا هائلا من عظم اجسادهم فقد ذكر بعضهم انه رأى في فجاج اى نقرة عين رجل منه ضبعة رابضة اى جالسة هي واولادها حولها والفجاج في الاصل الطريق الواسع واستظل سبعون رجلا من قوم موسى في قحف رجل منهم اى في عظم أم راسه وفي

الجبار فمثلك يا أبابكر فى الملائكة كمثل ميكائيل ينزل بالرحمة ومثلك فى الانبيا مثل ابراهيم قال فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم ومثلك يا أبابكر مثل عيسى قال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم ومثلك يا عمر فى الملائكة مثل جبريل ينزل بالشدة والبأس والنقمة على اعداء الله ومثلك فى الانبيا مثل نوح اذ قال رب لاتذر على الارض من الكافرين ديارا ومثلك فى الانبياء مثل موسى اذ قال ربنا اطمس على اموالهم الآية لو اتفقتما ما خالفتكما وأخذ بقول ابى بكر رضى الله عنه وقال لا يفلتن أحد منهم الا بفداء او ضرب عنق فقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يارسول الله الا سهيل بن بيضاء فانى سمعته يذكر الاسلام فسكت صلى الله عليه وسلم فما رأيتنى فى يوم اخاف ان تقع على الحجارة منى فى ذلك اليوم حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا سهيل ابن بيضاء وانزل الله تعالى ما كان لنبى ان يكون له اسرى حتى يثخن فى الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم فجاء عمر رضى الله عنه والنبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يبكيان فقال يارسول الله اخبرنى ماذا يبكيك أنت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت والا تباكيت لبكائكما فقال صلى الله عليه وسلم أبكى للذى عرض على اصحابك من الفداء وفى رواية قال ان كاد ليمسنا فى خلاف ابن الخطاب عذاب عظيم ولو نزل العذاب ما افلت منه الا ابن الخطاب وفى رواية وسعد بن معاذ لانه أيضا كره الاسر واحب الاثخان ولم يقل وابن رواحة لانه اشار باضرام النار وليس بشرع قال بعضهم فى هذه الآيات دليل على انه يجوز الاجتهاد للانبياء لان العتاب لا يكون فيما

العرائس وكان لا يحمل عنقود عنبهم الا خمسة انفس منهم ويدخل فى قشرة الرمانة اذا نزع حبها خمسة انفس او اربعة وان رجلا من العماليق اخذ الاثنى عشر ووضعهم فى كمه مع فاكهة كانت فيه وجاء بهم الى ملكهم فسألهم فقالوا نحن عيون موسى فقال ارجعوا واخبروه وفى العرائس انه عوج بن عنق احدى بنات آدم عليه السلام من صلبه ويقال انها أول بغى فى الارض وفى العرائس انه لما لقيهم كان على راسه حزمة حطب واخذ الاثنى عشر فى حجره وانطلق بهم لامرأته وقال انظرى الى هؤلاء القوم الذين يزعمون انهم يريدون قتالنا واطرحهم بين يديها وقال الا اطحنهم برجلى فقالت امرأته لا ولكن خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا ففعل ذلك فلما رجعوا اخبروا موسى عليه الصلاة والسلام فقال اكتموا خوفا من بنى اسرائيل ان يفشلوا ويرتدوا عن موسى فلم يفعلوا واخبر كل واحد سبطه بشدة ما رآه من امرهم الهائل ففشلوا وجبنوا عن القتال الا رجلان لم يخبرا سبطيهما وهما يوشع بن نون من سبط يوسف وكالب بن يوقنا من سبط بنيامين وقالوا لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون فدعا عليهم وقال رب انى لا املك الا نفسى واخى اى فانه لم يبق معه موافق يثق به غير اخيه هرون وكالب ويوشع وهما المذكوران بقوله تعالى قال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون لان الله منجز وعده وانا قد خبرناهم فوجدنا اجسامهم عظيمة وقلوبهم ضعيفة فلا تخشوهم وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وحينئذ يكون مراد موسى بقوله وأخى من واخاه ووافقه لا خصوص هرون ثم دعا بقوله فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين اى باعد بيننا وبينهم فضرب عليهم التيه فتاهوا اى تحيروا فى ستة فراسخ من الارض يمشون النهار كله ثم يمسون حيث اصبحوا ويصبحون حيث امسوا وانزل الله تعالى عليهم المن والسلوى لانهم شغلوا عن المعاش وابقيت عليهم ثيابهم لا تخلق ولا تتسخ وتطول مع الصغير اذا طال وظال عليهم الغمام من الشمس ولما راى موسى عليه الصلاة والسلام مابهم من التعب ندم على دعائه عليهم وفى حياة الحيوان لما عبد بنو اسرائيل العجل اربعين يوما عوقبوا بالتيه اربعين سنة لكل يوم سنة فأوحى الله تعالى له فلا تأس اى لا تحزن على القوم الفاسقين اى الذين فسقوا اى خرجوا عن امرك قال فى انس الجليل ومن عجيب الاتفاق ان اريحا هذه كانت فى زمن بنى اسرائيل منزل الجبارين وفى زمن الاسلام منزل حكام الشرطة فانها الآن قرية من قرى بيت المقدس ثم مات موسى وهرون بالتيه مات هرون اولا ثم موسى

بعد سنتين وفى ذلك رد على من قال ان قبر هرون أخى موسى بأحد كما سيأتى وفيه رد أيضا على من يقول موسى مات قبل هرون وانه دفنه وقيل ان هرون رأى سريرا فى بعض الكهوف فقام عليه فمات وان بنى اسرائيل قالوا قتل موسى هرون حسدا له على محبة بنى اسرائيل له فقال لهم موسى ويحكم كان أخى ووزيرى أفترونى أقتله فلما أكثروا عليه قام فصلى ركعتين ثم دعا فنزل السرير الذى قام عليه فمات حتى نظروا اليه بين السماء والارض فصدقوه وعلى الاول أن موسى انطلق ببنى اسرائيل الى قبره ودعا الله أن يحييه فأحياه الله تعالى وأخبرهم أنه مات ولم يقتله موسى وعند ذلك قام بالامر يوشع بن نون المذكور اى فان موسى لما احتضر أخبرهم بأن يوشع بعده نبى وأن الله أمره بقتال الجبارين فسار بهم يوشع وقاتل الجبارين وكان يوم الجمعة ولما كاد أن يفضها كادت الشمس أن تغرب فقال للشمس أيتها الشمس انك مأمورة وأنا مأمور بحرمتى عليك الا ركدت اى مكثت ساعة من النهار (وفى رواية) قال اللهم احبسها على فحبسها الله تعالى حتى افتتح المدينة اى قال ذلك خوفا من دخول السبت المحرم عليهم فيه المقاتلة وقد عبر الامام السبكى عن حبسها ليوشع بردها فى قوله

وردت عليك الشمس بعد مغيبها * كما انها قدما ليوشع ردت

ولولا قوله بعد مغيبها لما أشكل وأمكن أن يراد بالرد وقوفها وعدم غروبها ومن ثم ذكر ابن كثير فى تاريخه أن فى حديث رواه الامام أحمد وهو على شرط البخارى أن الشمس لم تحبس لبشر الا ليوشع عليه السلام ليالى سار الى بيت المقدس وفيه دلالة على أن الذى فتح بيت المقدس هو يوشع بن نون لا موسى وان حبس الشمس كان فى فتح بيت المقدس لا فى فتح أريحا هذا كلامه وهو خلاف السياق (وفى العرائس) أن موسى عليه الصلاة والسلام لم يمت فى التيه بل سار ببنى اسرائيل الى أريحا وعلى مقدمته يوشع فدخل يوشع وقتل الجبارين ثم دخلها موسى عليه الصلاة والسلام ببنى اسرائيل فأقام فيها ما شاء الله ثم قبض ولا يعلم موضع قبره من الخلق أحد قال وهذا أولى الاقاويل بالصدق وأقربها الى الحق وذكر بعد ذلك أن موسى لما حضرته الوفاة قال يارب أدننى من الارض المقدسة برمية حجر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أنى عنده لأريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الاحمر قال ابن كثير وقوله صلى الله عليه وسلم لم تحبس لبشر يدل على أن هذا من خصائص يوشع عليه الصلاة والسلام فيدل على ضعف الحديث الذى رويناه أن الشمس رجعت اى بعد مغيبها اى فى خيبر كما سنذكره هنا حتى صلى على بن ابى طالب العصر بعد ما فاتته بسبب نوم النبى صلى الله عليه وسلم على ركبته وهو حديث منكر ليس فى شئ من الصحاح ولا الحسان وهو مما تتوفر الدواعى على نقله وتفردت بنقله امرأة من أهل البيت مجهولة لا يعرف حالها هذا كلامه وسيأتى قريبا ما فيه على أن قوله صلى الله عليه وسلم لم تحبس لبشر اى غيره صلى الله عليه وسلم وقد علمت أن الحبس انما يكون منعا لها عن مغيبها

صدر عن وحى وقال السبكى فى قوله تعالى ما كان لنبى اى غيرك يا محمد ان يكون له أسرى الخ اى وأما انت فخير بين قتلهم وأخذ الفداء منهم وعن الاعمش فى قوله تعالى لولا كتاب من الله سبق اى بأنه سبحانه وتعالى لا يعذب أحدا ممن شهد بدرا ويؤيده حديث وما يدريك لعل الله اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم واحسن ما قيل فى الآية ان فيها العتاب على ارتكاب خلاف الاولى وانه كان الاولى الاثخان بالقتل لكن السبق فى علم الله ان هذا هو الذى يقع وأنتم مخيرون بين الامرين لم يؤاخذكم بفعل الامر الجائز لكم القدر وقوعه قبل خلق السموات والارض وفى الآية تخويف للكفار ووعيد شديد وترغيب لهم فى الاسلام وحث للمؤمنين على قتال الكفار وتأييد لرأى عمر رضى الله عنه وهذا من المواضع التى جاء القرآن

والردّ لها يكون بعد مغيبها فليتأمل وفي كلام سبط ابن الجوزي ان قيل حبسها
ورجوعها مشكل لانها لو تخلفت أو ردت لاختلت الافلاك ولفسد النظام قلنا حبسها
وردها من باب المعجزات ولا مجال للقياس في خرق العادات وذكر أنه وقع لبعض الوعاظ
ببغداد اذ قعد يعظ بعد العصر ثم أخذ في ذكر فضائل آل البيت فجاءت سحابة غطت
الشمس فظن وظن الناس الحاضرون عنده أن الشمس غابت فأرادوا الانصراف فأشار
اليهم أن لا يتحركوا ثم أدار وجهه الى ناحية الغرب وقال

لا تغربي يا شمس حتى ينتهي ✹ مدحي لآل المصطفى ولنجله
ان كان للمولى وقوفك فليكن ✹ هذا الوقوف لولده ولنسله

فطلعت الشمس فلا يحصى ما رمي عليه من الحلي والثياب هذا كلامه ولما افتتحوا المدينة
التي هي أريحا أصابوا بها أموالا عظيمة وكانوا اي الامم السابقة اذا أصابوا الغنائم
قربوها فتجيء النار تأكلها اي اذا لم يكن فيها غلول كما تقدم فتجيء النار وأكلها دليل على
قبولها ولم تحل الا لنبينا صلى الله عليه وسلم كما سيأتي فلما أصابوا تلك الغنائم قربوها فلم
تجئ اليها النار فقالوا يا نبي الله ما لها لا تأكل قرباننا قال فيكم الغلول فدعا رأس كل سبط
وصافحه فلصق كف واحد منهم في كف يوشع عليه السلام فقال الغلول في سبطك فقال
كيف أعلم ذلك قال تصافح واحدا بعد واحد فلصقت كفه بكف واحد منهم فسئل فقال
نعم رأيت رأس بقرة من ذهب عيناها من ياقوت وأسنانها من لؤلؤ فأعجبتني فغللتها فجاء
بها ووضعها في الغنيمة فجاءت النار فأكلتها وذكر البغوي أن الشمس حبست عن
الطلوع لموسى عليه الصلاة والسلام كما حبست كذلك لنبينا صلى الله عليه وسلم كما تقدم
وكذا القمر حبس لموسى عليه الصلاة والسلام عن الطلوع له فعن عروة بن الزبير رضي
الله تعالى عنه قال ان الله تعالى حين أمر موسى عليه الصلاة والسلام بالمسير ببني
اسرائيل الى بيت المقدس أمره أن يحمل معه عظام يوسف عليه الصلاة والسلام وأن لا
يخلفها بأرض مصر وأن يسير بها حتى يضعها بالارض المقدسة اي وفاء بما أوصى به
يوسف عليه الصلاة والسلام فقد ذكر أن يوسف عليه الصلاة والسلام لما أدركته الوفاة
أوصى أن يحمل الى مقابر آبائه فمنع أهل مصر أولياءه من ذلك فسأل موسى عليه الصلاة
والسلام عمن يعرف موضع قبر يوسف فما وجد أحدا يعرفه الا عجوزا من بني اسرائيل
فقالت له يا نبي الله أنا اعرف مكانه وأدلك عليه ان أنت أخرجتني معك ولم تخلفني بأرض
مصر قال أفعل وفي لفظ أنها قالت أكون معك في الجنة فكأنه ثقل عليه ذلك فقيل له
اعطها طلبتها فأعطاها وقد كان موسى عليه الصلاة والسلام وعد بني اسرائيل أن يسير
بهم اذا طلع القمر فدعا ربه أن يؤخر طلوعه حتى يفرغ من امر يوسف عليه الصلاة
والسلام ففعل فخرجت به العجوز حتى أرته اياه في ناحية من النيل وفي لفظ في مستنقعة
ماء اي وتلك المستنقعة في ناحية من النيل فقالت لهم انضبوا عنها الماء اي ارفعوه عنها

فيها وافق القول عمر رضي الله
عنه وهي كثيرة نحو بضع وثلاثين
أفردت بالتأليف وروى الحاكم
باسناد صحيح عن علي رضي الله
عنه قال جاء جبريل الى النبي صلى
الله عليه وسلم يوم بدر فقال خير
اصحابك في الاسرى ان شاؤا القتل
وان شاؤا الفداء على ان يقتل منهم
عاما قابلا مثلهم قالوا الفداء
ويقتل منا (وفي رواية) قالوا بل
نفاديهم فنتقوى به عليهم ويدخل
قابلا منا الجنة سبعون ففاداهم
(ثم لما استقر الامر على الفداء)
فرق رسول الله صلى الله عليه وسلم
الاسرى في اصحابه ليرجعوا بهم
الى المدينة حتى يرسل لهم اهلهم
وعشائرهم بالفداء وقيل تفريقهم
بين اصحابه انما كان بعد وصولهم
المدينة وقال استوصوا
بهم خيرا (قال ابن اسحق) فكان
ابو عزيز بن عمير شقيق مصعب بن
عمير في الاسرى فقال مر بي اخي
ورجل من الانصار يأسرني فقال له

فعلوا

فعلوا قالت احفروا فحفروا واخرجوه وفى لفظ انها انتهت به الى عمود على شاطئ النيل اى فى ناحية منه فلا يخالفه ما سبق فى أصله سكة من حديد فيها سلسلة اى ويجوز أن يكون حفرهم الواقع فى تلك الرواية كان على اظهار تلك السكة فلا مخالفة ووجدوه فى صندوق من حديد وسط النيل فى الماء فاستخرجه موسى عليه الصلاة والسلام وهو فى صندوق من مرمر اى داخل ذلك الصندوق الذى من الحديد فاحتمله وفى أنس الجليل أن موسى عليه الصلاة والسلام جاءه شيخ له ثلثمائة سنة فقال له يا نبى الله ما يعرف قبر يوسف الا والدتى فقال له موسى قم معى الى والدتك فقام الرجل ودخل منزله وأتى بقفة فيها والدته فقال لها موسى ألك علم بقبر يوسف فقالت نعم ولا أدلك على قبره الا ان دعوت الله تعالى أن يرد على شبابى الى سبع عشرة سنة و يزيد فى عمرى مثل ما مضى فدعا موسى لها وقال لها كم عمرك قالت له تسعمائة سنة فعاشت ألفا وثمانمائة سنة فأرته قبر يوسف وكان فى وسط نيل مصر ليمر النيل عليه فيصل الى جميع مصر فيكونون شركاء فى بركته * وأما عود الشمس بعد غروبها فقد وقع له صلى الله عليه وسلم فى خيبر فعن أسماء بنت عميس انها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوحى اليه ورأسه فى حجر على ولم يسر عن النبى صلى الله عليه وسلم حتى غربت الشمس وعلى لم يصل العصر اى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أصليت العصر فقال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انه كان فى طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قالت أسماء فرأيتها طلعت بعد ما غربت قال بعضهم لا ينبغى لمن سبيله العلم ان يتخلف عن حفظ هذا الحديث لانه من اجل اعلام النبوة وهو حديث متصل وقد ذكر فى الامتاع انه جاء عن اسماء من خمسة طرق وذكرها وبه يرد ما تقدم عن ابن كثير بأنه تفردت بنقله امرأة من اهل البيت مجهولة لا يعرف حالها وبه يرد على ابن الجوزى حيث قال فيه انه حديث موضوع بلا شك لكن فى الامتاع ذكر فى خامس الطرق ان عليا اشتغل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قسمة الغنائم يوم خيبر حتى غابت الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا على صليت العصر قال لا يا رسول الله فتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلس فى المسجد فتكلم بكلمتين أو ثلاثة كأنها من كلام الحبش فارتجعت الشمس كهيئتها فى العصر فقام على فتوضأ وصلى العصر ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل ما تكلم به قبل ذلك فرجعت الى مغربها فسمعت لها صريرا كالمنشار فى الخشب وذلك مخالف لسائر الطرق الا أن يدعى ان هذه الطريق فيها حذف والاصل اشتغل مع النبى صلى الله عليه وسلم فى قسمة غنائم خيبر ثم وضع رأسه فى حجر على ونام فما استيقظ حتى غابت الشمس فلا مخالفة * قال وجاء انه صلى الله عليه وسلم قبل وصوله الى بيت المقدس ساروا حتى بلغوا ارضا ذات نخل فقال له جبريل انزل فصل هنا ففعل ثم ركب فقال اتدرى اين صليت قال لا قال صليت بطيبة واليها المهاجرة وسيأتى ما فيه فى الكلام على الهجرة فانطلق البراق يهوى يضع حافره حيث أدرك طرفه حتى اذا بلغ ارضا

شديدك به فان امه ذات متاع لعلها تفديه منك قال فكنت فى رهط من الانصار حين أقبلوا من بدر فكانوا اذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصونى بالخبز وأكلوا التمر لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم اياهم بنا ولما قال أخوه للانصارى شد يدك به قال يا أخى هذه وصايتك بى ثم أرسلت امه أربعة آلاف درهم ففدته بها ثم أسلم رضى الله عنه وتواصت قريش على أن لا يعجلوا فى طلب فداء الاسرى قالوا لئلا يتغالى محمد واصحابه فى الفداء فلم يلتفت لذلك المطلب بن ابى وداعة السهمى بل خرج من الليل خفية وقدم المدينة فافتدى أباه بأربعة آلاف درهم وقد قال صلى الله عليه وسلم لما رأى ابا وداعة أسيرا ان له بمكة ابنا كيسا تاجرا ذا مال وكأنكم به قد جاء فى طلب أبيه فجاء وفداه فكان اول أسير فدى واسم ابى وداعة الحرث ثم

فقال له جبريل انزل فصل ههنا ففعل ثم ركب فقال له جبريل أتدرى اين صليت قال لا قال صليت بمدين اى وهى قرية تلقاء غزة عند شجرة موسى سميت باسم مدين بن ابراهيم لما نزلها ثم ركب فانطلق البراق يهوى به ثم قال انزل فصل ففعل ثم ركب فقال له اتدرى اين صليت قال لا قال صليت ببيت لحم اى وهى قرية تلقاء بيت المقدس حيث ولد عيسى عليه الصلاة والسلام اى وفى الهدى وقيل انه نزل ببيت لحم وصلى فيه ولا يصح عنه ذلك البتة وبيناهو يسير على البراق اذ رأى عفريتا من الجن يطلبه بشعلة من نار كلما التفت رآه فقال له جبريل ألا اعلمك كلمات تقولهن اذا قلتهن طفئت شعلته وخر لفيه فقال صلى الله عليه وسلم بلى فقال جبريل قل أعوذ بوجه الله الكريم وبكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها ومن شر ما ذرأ فى الارض ومن شر ما يخرج منها ومن فتن الليل والنهار ومن طوارق الليل والنهار الا طارقا يطرق بخير يا رحمن اى فقال ذلك فانكب لفيه وطفئت شعلته ورأى حال المجاهدين فى سبيل الله اى كشف له عن حالهم فى دار الجزاء بضرب مثال له فرأى قوما يزرعون فى يوم اى فى وقت ويحصدونه فى يوم اى فى ذلك الوقت كما يرشد اليه الحال كلما حصدوا عاد كما كان فقال يا جبريل ماهذا قال هؤلاء المجاهدون فى سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف وما أنفقوا من خير فهو يخلفه هذا الثانى هو المناسب لحالهم دون الاول فالاولى الاقتصار عليه الا ان يدعى أنه صلى الله عليه وسلم شاهد الحصاد والعود العدد المذكور الذى هو سبعمائة مرة على أن المضاعفة المذكورة لا تختص بالمجاهدين فقد جاء كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف الا أن يقال المراد تكرر الجزاء العدد المذكور للمجاهدين أمر مؤكد لا يكاد يتخلف وفى غيرهم بخلافه ووجد صلى الله عليه وسلم ريح ماشطة بنت فرعون ووجد داعى اليهود وداعى النصارى فأما الاول فقد رأى عن يمينه داعيا يقول يا محمد انظرنى اسألك فلم يجبه فقال ماهذا يا جبريل فقال داعى اليهود اما انك لو أجبته لتهودت أمتك اى لتمسكوا بالتوراة والمراد غالب الامة وأما الثانى فقد رأى عن يساره داعيا يقول يا محمد انظرنى اسألك فلم يجبه فقال ماهذا يا جبريل قال هذا داعى النصارى اما انك لو أجبته لتنصرت أمتك اى لتمسكت بالانجيل وحكمة كون داعى اليهود على اليمين وداعى النصارى على اليسار لا تخفى ورأى صلى الله عليه وسلم حال الدنيا اى كشف له عن حالتها بضرب مثال فرأى امرأة حاسرة عن ذراعيها كأن ذلك شأن المقتص لغيره وعليها من كل زينة خلقها الله تعالى اى ومعلوم ان النوع الواحد من الزينة يجذب القلوب اليه فكيف بوجود سائر انواع الزينة فقالت يا محمد انظرنى اسألك فلم يلتفت اليها فقال من هذه يا جبريل قال تلك الدنيا اما انك لو أجبتها لاختارت امتك الدنيا على الآخرة ورأى عجوزا على جانب الطريق فقالت يا محمد انظرنى اسألك فلم يلتفت اليها فقال من هذه يا جبريل فقال انه لم يبق من عمر الدنيا الا ما بقى من عمر تلك العجوز اى فزينتها لا ينبغى الالتفات اليها لانها على عجوز

أسلم رضى الله عنه فقد عده بعضهم من الصحابة وعند ذلك بعث قريش فى فداء الاسارى وكان الفداء فيهم على قدر أموالهم وكان من أربعة آلاف درهم الى ثلاثة الى ألفين الى ألف ومن لم يكن معه مال وهو يحسن الكتابة دفعوا له عشرة من غلمان المدينة يعلمهم الكتابة فاذا علمهم كان ذلك فداءه وجاء جبير بن مطعم وهو كافر يسأل النبى صلى الله عليه وسلم فى أسارى بدر فقال له صلى الله عليه وسلم لو كان شيخك أو الشيخ أبوك حيا فأتانا فيهم لشفعناه (وفى رواية) لو كان مطعم حيا وكلمنى فى هؤلاء النفر (وفى رواية) فى هؤلاء النتنى لتركتهم له لان المطعم أجار النبى صلى الله عليه وسلم لما قدم من الطائف وكان ممن سعى فى نقض الصحيفة كما تقدم وسماهم نتنى لكفرهم وكان موت المطعم قبل وقعة بدر وهو على كفره وأما

شوهاء لم يبق من عمرها الا القليل ولينظر لم يقل تلك الدنيا ولم يبق من عمرها الى آخره وفى كلام بعضهم الدنيا قد يقال لها شابة وعجوز بمعنى يتعلق بذاتها وبمعنى يتعلق بغيرها الاول وهو حقيقة أنها من أول وجود هذا النوع الانسانى الى أيام ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه ثم بعدها تسمى الدنيا شابة وفيما بعد ذلك الى بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم كهلة ومن بعد ذلك الى يوم القيامة تسمى عجوزا واعترض بأن الائمة صرحوا بأن الشباب ومقابله انما يكون فى الحيوان ويجاب بأن الغرض من ذلك التمثيل وكشف له صلى الله عليه وسلم عن حال من يقبل الامانة مع عجزه عن حفظها بضرب مثال فأتى على رجل قد جمع حزمة حطب عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها فقال ما هذا يا جبريل قال هذا الرجل من أمتك تكون عنده أمانات الناس لا يقدر على أدائها ويريد أن يتحمل عليها وكشف له صلى الله عليه وسلم عن حال من يترك الصلاة المفروضة فى دار الجزاء فأتى على قوم ترضخ رؤسهم كلما رضخت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم من ذلك شئ فقال يا جبريل ما هؤلاء قال هؤلاء الذين تتثاقل رؤسهم عن الصلاة المكتوبة اى المفروضة عليهم وكشف له صلى الله عليه وسلم عن حال من يترك الزكاة الواجبة عليه ثم أتى على قوم على اقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الابل والغنم ويأكلون الضريع وهو اليابس من الشوك والزقوم ثمر شجر مر له زفرة قيل انه لا يعرف بشجر الدنيا وانما هو لشجرة من النار وهى المذكورة فى قوله تعالى انها شجرة تخرج فى أصل الجحيم اى منبتها فى اصل الجحيم وتقدم الكلام عليها عند الكلام على المستهزئين ويأكلون رضف جهنم اى حجارتها المحماة لان الرضف باسناد المعجمة الحجارة المحماة التى يكوى بها فقال من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم المفروضة عليهم وكشف له صلى الله عليه وسلم عن حال الزناة بضرب مثال ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج فى قدور ولحم نئ أيضا فى قدور خبيث فجعلوا يأكلون من ذلك النئ الخبيث ويدعون النضيج الطيب فقال ما هذا يا جبريل قال هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الحلال الطيب فيأتى امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح والمرأة تقوم من عند زوجها حلالا طيبا فتأتى رجلا خبيثا فتبيت عنده حتى تصبح وكشف له صلى الله عليه وسلم عن حال من يقطع الطريق بضرب مثال ثم أتى على خشبة لا يمر بها ثوب ولا شئ الا خرقته فقال ما هذه يا جبريل قال هذا مثل أقوام من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونه وتلا ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وكشف له صلى الله عليه وسلم عن حال من يأكل الربا اى حالته التى يكون عليها فى دار الجزاء فرأى رجلا يسبح فى نهر من دم يلقم الحجارة فقال له من هذا قال آكل الربا وقد شبهه الله تعالى فى القرآن بقوله الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس اى اذا بعث الناس يوم القيامة خرجوا مسرعين من قبورهم الا أكلة الربا فانهم لا يقومون من قبورهم الا مثل قيام الذى يصرعه الشيطان

جبير ابنه فأسلم رضى الله عنه (وكان من الاسرى ابو العاص بن الربيع) رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وهو زوج زينب بنت النبى صلى الله عليه وسلم ورضى عنها وهو ابن خالتها هالة بنت خويلد رضى الله عنها أخت خديجة أم المؤمنين رضى الله عنها وكنيته ابو العاص واسمه لقيط وقيل مقسم بكسر الميم وقيل هشيم واشتهر بكنيته وابوه الربيع بن ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف فلما أسر ابو العاص بعثت زينب رضى الله عنها فى فدائه قلادة لها كانت أمها خديجة رضى الله عنها ادخلتها بها حين تزوجها ابو العاص فلما رأى النبى صلى الله عليه وسلم تلك القلادة رق لها رقة شديدة وقال للصحابة ان رأيتم ان تطلقوا لها أسيرها وتردوا لها قلادتها فافعلوا وشرط عليه صلى الله عليه وسلم أن يخلى سبيل زينب اى ان

فكلما قاموا سقطوا على وجوههم وجنوبهم وظهورهم كما أن المصروع حاله ذلك اى
فهذه حالته فى الذهاب الى المحشر زيادة على حالته المتقدمة التى تكون فى دار الجزاء
وكشف له صلى الله عليه وسلم عن حال من يعظ ولا يتعظ ثم أتى على قوم تقرض ألسنتهم
وشفاههم بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت لا يفتر عنهم من ذلك شئ فقال من هؤلاء
يا جبريل فقال هؤلاء خطباء الفتنة خطباء أمتك يقولون ما لا يفعلون وكشف له صلى الله
عليه وسلم عن حال المغتابين للناس فمر على قوم لهم اظفار من نحاس يخمشون وجوههم
وصدورهم فقال من هؤلاء يا جبريل فقال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى
أعراضهم وكشف له صلى الله عليه وسلم عن حال من يتكلم بالفحش بضرب مثال فأتى
على جحر صغير يخرج منه ثور عظيم فجعل الثور يريد أن يرجع من حيث يخرج فلا
يستطيع فقال ما هذا يا جبريل فقال هذا الرجل من أمتك يتكلم الكلمة العظيمة ثم يندم
عليها فلا يستطيع أن يردها وكشف له صلى الله عليه وسلم عن حال من أحوال الجنة فأتى
على واد فوجد ريحا طيبة باردة وريح المسك وسمع صوتا فقال يا جبريل ما هذا قال
هذا صوت الجنة تقول يا رب ائتنى بما وعدتنى اى لانه يجوز أن يكون محل الجنة من
السماء السابعة مقابلا لذلك الوادى وكشف له صلى الله عليه وسلم عن حال من أحوال
النار فأتى على واد فسمع صوتا منكرا ووجد ريحا خبيثة فقال ما هذا يا جبريل قال
هذا صوت جهنم تقول يا رب ائتنى بما وعدتنى اى وليست جهنم بذلك الوادى كما سيأتى
ان الوادى التى هى به هو الذى بيت المقدس ولعل هذا الوادى مقابل لذلك الوادى
وينبغى أن لا يكون هذا هو المراد بما فى الخصائص الصغرى للسيوطى وخص صلى الله
عليه وسلم باطلاعه على الجنة والنار بل المراد بذلك رؤيته ذلك فى المعراج وعند وصوله
صلى الله عليه وسلم الى الوادى الذى بيت المقدس بالنسبة للنار ورأى صلى الله عليه وسلم
الدجال شبيها بعبد العزى بن قطن اى وهو ممن هلك فى الجاهلية اى قبل البعثة ومر صلى
الله عليه وسلم على شخص متنحيا عن الطريق يقول هلم يا محمد قال جبريل سر يا محمد قال من
هذا قال هذا عدو الله ابليس أراد أن تميل اليه اه (وفى رواية) لما وصلت بيت المقدس
وصليت فيه ركعتين اى اماما بالانبياء والملائكة أخذنى العطش أشد ما أخذنى فأتيت
باناءين فى أحدهما لبن وفى الاخرى عسل فهدانى الله تعالى فأخذت اللبن فشربت وبين
يدى شيخ متكئ على منبر له فقال اى مخاطبا لجبريل أخذ صاحبك الفطرة انه لمهدى فلما
خرجت منه جاءنى جبريل عليه السلام باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال
جبريل اخترت الفطرة اى الاستقامة التى سببها الاسلام ومنه كل مولود يولد على الفطرة
اى على الاسلام (وفى رواية) أخرى فأتى بآنية ثلاثة مغطاة أفواهها فأتى باناء منها فيه
ماء فشرب منه قليلا (وفى رواية) أنه لم يشرب منه شيأ وانه قيل له لو شربت الماء اى
جميعه أو بعضه لغرقت أمتك اى (وفى رواية) أنه سمع قائلا يقول ان أخذ الماء غرق
وغرقت

ثم هاجر الى المدينة ولم يكن فى ذلك
الوقت تزوج الكافر بالمسلمة
محرما وانما حرم ذلك بعد لان
الاحكام انما شرعت بالتدريج
فلما بعث صلى الله عليه وسلم
واسلم اهله وبناته ولم يسلم ابو
العاص زوج زينب لم يفرق
بينهما صلى الله عليه وسلم وقد
كان كفار قريش مشوا الى ابى
العاص وسألوه أن يطلق زينب
بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقالوا له نزوجك اى امرأة شئت
من قريش فأبى ذلك وقال والله
لا أفارق صاحبتى وما احب ان لى
بامرأتى افضل امرأة من قريش
وأثنى عليه النبى صلى الله عليه
وسلم بذلك خيرا وشكر له ذلك فلما
وصل ابو العاص مكة امرها
باللحوق بأبيها وقد كان صلى الله
عليه وسلم ارسل زيد بن حارثة
ورجلا من الانصار وقال لهما
تكونان ببطن كذا الحل قريب
من مكة حتى تمر بكما زينب

وغرقت أمته ثم رفع اليه اناء آخر فيه لبن فشرب منه حتى روى اى (وفى رواية) سمع قائلا يقول ان أخذ اللبن هدى وهديت أمته ثم رفع اليه اناء فيه خمر فقيل له اشرب فقال لا أريده فقد رويت فقال له جبريل انها ستحرم على أمتك اى بعد اباحتها لهم (وفى رواية) أنه قيل له لو شربت الخمر لغويت أمتك ولم تتبعك اى لا يكون على طريقتك منهم الا القليل اى (وفى رواية) انه سمع قائلا يقول ان اخذ الخمر غوى وغويت امته (اقول) وهذه الرواية محتملة لان تكون وهو فى بيت المقدس ولان تكون وهو خارج عنه ومن هذا كله تعلم انه تكرر عليه عرض اللبن والخمر داخل بيت المقدس وخارجه ولا مانع من تكرر عرض آنيتى الخمر واللبن قبل خروجه من بيت المقدس وبعد خروجه منه قبل العروج ولا تعارض بين الاخبار بأن احداهما كان فيه عسل مع اللبن وبين الاخبار بأن احداهما كان فيه خمر مع اللبن ولا بين الاخبار باناءين والاخبار بأوانى ثلاثة لانه يجوز ان يكون بعض الرواة اقتصر على اناءين ولا بين كون الاناء الثالث كان فيه عسل او ماء لانه يجوز أن يكون احدى الاوانى الثلاثة كان فيها عسل ثم جعل فيها الماء بدل العسل أو مزج العسل به وغلب الماء على العسل او تكون الاوانى اربعة وبعض الرواة اقتصر وقد قال ابن كثير مجموع الاوانى أربعة فيها اربعة اشياء من الانهار الاربعة التى تخرج من أصل سدرة المنتهى ولكن لم يسقط اللبن فى رواية بخلاف غيره فانه تارة ذكر معه الخمر فقط وتارة ذكر معه العسل فقط وتارة ذكر معه الماء والخمر وعلى الاحتمال الاول يسئل عن سر عدم ذكر جبريل عليه السلام حكمة عدم الشرب من العسل والله أعلم قال ومر على موسى عليه الصلاة والسلام وهو يصلى فى قبره عند الكثيب الاحمر وهو يقول برفع صوته اكرمته فضلته اه (وفى رواية) سمعت صوتا وتذمرا هو بالذال المعجمة الحدة فسلم عليه فرد عليه السلام فقال يا جبريل من هذا قال هذا موسى بن عمران قال ومن يعاتب قال يعاتب ربه فيك قال أو يرفع صوته على ربه والعتاب مخاطبة فيها ادلال وهذا يدل على ان الصوت الذى سمعه كان مشتملا على عتاب وتذمر مع رفعه (وفى رواية) على من كان تذمره اى حدته قال على ربه قلت أعلى ربه قال جبريل ان الله عز وجل قد عرف له حدته وهذا كما علمت كان كالذى بعده قبل وصوله الى مسجد بيت المقدس والله أعلم وجاء وليلة أسرى بى مر بى جبريل على قبر أبى ابراهيم فقال انزل فصل ركعتين قال ومر على شجرة تحتها شيخ وعياله فقال من هذا يا جبريل فقال هذا أبوك ابراهيم عليه الصلاة والسلام فسلم عليه فرد عليه السلام فقال من هذا الذى معك يا جبريل فقال هذا ابنك احمد قال مرحبا بالنبى العربى الامى ودعا له بالبركة اى فموسى عرفه فلم يسأل عنه وابراهيم لم يعرفه فسأل عنه لكن فى السيرة الهشامية ان موسى سأل عنه أيضا فقال من هذا يا جبريل فقال هذا أحمد فقال مرحبا بالنبى العربى الذى نصح أمته ودعا له بالبركة وقال اسأل لامتك اليسر والظاهر أن قبر ابراهيم صلى الله عليه وسلم كان

فتبعاها حتى تأتيا بها فلما ارادت الخروج من مكة خرج معها كنانة بن الربيع وهو اخو زوجها قدم لها بعيرا فركبته وأخذ قوسه وكنانته ثم خرج بها نهارا يقود بها فى هودج لها وكانت حاملا فتحدث بخروجها رجال من قريش فخرجوا فى طلبها حتى أدركوها بذى طوى فكان أول من سبق اليها هبار بن الاسود رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك ونخس البعير بالرمح فوقعت وألقت حملها ثم ان كنانة بن الربيع برك ونثر كنانته واخذ قوسه وقال والله لا يدنو منى رجل الا وضعت فيه سهما فجاء اليه ابو سفيان فى رجال من قريش وقال كف عنا نبلك حتى نكلمك ثم قال له انك لم تصب فى فعلك فانك خرجت بزينب علانية على رؤس الناس من بين أظهرنا فيظن الناس ان ذلك من ذل اصابنا وان ذلك منا ضعف ووهن ولعمرى ما لنا بحبسها عن ابيها

تحت تلك الشجرة اوقريبا منها فلا مخالفة بين الروايتين وسار صلى الله عليه وسلم حتى اتى الوادى الذى فى بيت المقدس فاذا جهنم تنكشف عن مثل الزرابى اى وهى النمارق اى الوسائد فقيل يارسول الله كيف وجدتها قال مثل الحمة اى الفحمة اه قال صلى الله عليه وسلم ثم عرج بنا الى السماء اى من الصخرة كما تقدم اى على المعراج بكسر الميم وفتحها الذى تعرج أرواح بنى آدم فيه وهو كما فى بعض الروايات سلم له مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب اى عشر مراقى وهو المراد بقول بعضهم كانت المعاريج ليلة الاسراء عشرة سبع الى السموات والثامن الى سدرة المنتهى والتاسع الى المستوى والعاشر الى العرش والرفرف اى فأطلق على كل مرقاة معراجا وهذا المعراج لم ير الخلائق احسن منه أما رأيت الميت حين يشق بصره طامحا الى السماء اى بعد خروج روحه فان ذلك عجبه بالمعراج الذى نصب لروحه لتعرج عليه وذلك شامل للمؤمن والكافر الا أن المؤمن يفتح لروحه باب السماء دون الكافر فترد بعد عروجها تحسرا وندامة وتبكيتا له وذلك المعراج أتى به من جنة الفردوس وانه منضد باللؤلؤ اى جعل فيه اللؤلؤ بعضه على بعض عن يمينه ملائكة وعن يساره ملائكة فصعد هو وجبريل عليهما الصلاة والسلام قال الحافظ ابن كثير ولم يكن صعوده على البراق كما توهمه بعض الناس اى ومنهم صاحب الهمزية كما سيأتى عنه حتى انتهى الى باب من أبواب سماء الدنيا اى ويقال له باب الحفظة عليه ملك يقال له اسمعيل اى وهذا يسكن الهواء لم يصعد الى السماء قط ولم يهبط الى الارض قط الا مع ملك الموت لما نزل لقبض روحه الشريفة وتحت يده اثنى عشر ألف ملك اى (وفى رواية) أن تحت يده سبعين الف ملك تحت يد كل ملك سبعون الف ملك فاستفتح جبريل فقيل من انت (وفى رواية) فضرب بابا من ابوابها فناداه اهل سماء الدنيا اى حفظتها من هذا قال جبريل فقيل ومن معك اى فانهم رأوهما ولم يعرفوهما ولعل جبريل لم يكن على الصورة التى يعرفونه بها قال محمد (وفى رواية) قال معك احد يجوز ان يكون هذا القائل لم يرهما ويكون الرائى له معظم الحفظة قال نعم معى محمد قيل وقد بعث اليه اى للاسراء والعروج اى لانه كان عندهم علم بأنه سيعرج به الى السموات بعد الاسراء به الى بيت المقدس والا فبعثته صلى الله عليه وسلم ورسالته الى الخلق بعد أن تخفى على أولئك الملائكة الى هذه المدة وأيضا لو كان هذا مرادهم لقالوا وقد بعث ولم يقولوا اليه فان قيل قد جاء فى حديث انس أن ملائكة سماء الدنيا قالت لجبريل اوقد بعث قلنا تقدم ان حديث انس كان قبل ان يوحى اليه وانه كان مناما لا يقظة قال السهيلى ولم نجد فى رواية من الروايات ان الملائكة قالوا وقد بعث الا فى هذا الحديث (وفى رواية) بدل بعث اليه ارسل اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا قال صلى الله عليه وسلم فاذا أنا بآدم فرحب بى ودعا لى بخير واختلف فى لفظ آدم فقيل اعجمى ومن ثم منع

حاجة ولكن ارجع بها حتى اذا هدأت الاصوات وتحدث الناس أن قد رددناها فسر بها سرا فالحقها بابيها ففعل واقامت ليالى ثم خرج بها ليلا حتى اسلمها الى زيد بن حارثة وصاحبه (وفى رواية) انه صلى الله عليه وسلم قال لزيد بن حارثة ألا تنطلق فتجئ بزينب قال بلى يارسول الله قال فخذ خاتمى فأعطها فانطلق زيد فلم يزل يتلطف حتى لقى راعيا فقال لمن ترعى قال لابى العاص قال فلمن هذه الغنم قال لزينب بنت محمد فتكلم معه ثم قال له ان اعطيتك شيأ تعطها اياه ولا تذكره لاحد قال نعم فأعطاه الخاتم فانطلق الراعى الى زينب فادخل غنمه وأعطاها الخاتم فعرفته فقالت من اعطاك هذا قال رجل قالت فأين تركته قال بمكان كذا وكذا فسكتت حتى اذا كان الليل خرجت اليه فلما جاءته قال لها اركبى بين يدى على بعيرى

الصرف وقيل عربي لانه مشتق من الآدمة التي هي السمرة والمراد بها هنا لون بين البياض والحمرة حتى لا ينافي كونه أحسن الناس او هو مشتق من أديم الارض اى وجهها لانه مخلوق منه وعلى أنه عربي يكون منع صرفه للعلمية ووزن الفعل (وفي رواية) تعرض عليه أرواح بنيه فيسر بمؤمنها اى عند رؤيته ويعبس بوجهه عند رؤية كافرها قال (وفي رواية) فاذا فيها آدم كيوم خلقه الله تعالى على صورته اى على غاية من الحسن والجمال فاذا هو تعرض عليه أرواح ذريته المؤمنين فيقول روح طيبة ونفس طيبة خرجت من جسد طيب اجعلوها في عليين وتعرض عليه أرواح ذريته الكفار فيقول روح خبيثة ونفس خبيثة خرجت من جسد خبيث اجعلوها في سجين (أقول) وهذا وان اقتضى كون أرواح العصاة من المؤمنين في عليين كأرواح الطائعين منهم لكن لا يقتضي تساويهما في الدرجة كما لا يخفى (وفي رواية) تعرض عليه أعمال ذريته وهو اما على حذف المضاف اى صحف أعمالهم التي وقعت منهم وهي التي في صحف الحفظة أو التي ستقع منهم وهي ما في صحف الملائكة غير الحفظة أو تعرض عليه نفس أعمال تجسمت لما سيأتي أن المعاني تجسم ففي كل من الروايتين اقتصار والله أعلم (وفي رواية) سندها ضعيف كما قاله الحافظ ابن حجر وعن يمينه أسودة وباب يخرج منه ريح طيبة وعن شماله أسودة وباب يخرج منه ريح خبيثة فاذا نظر عن يمينه اى الى تلك الاسودة ضحك واستبشر واذا نظر عن شماله اى الى تلك الاسودة حزن وبكى فسلم عليه صلى الله عليه وسلم فقال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح فقال النبي صلى الله عليه وسلم من هذا فقال هذا أبوك آدم اى وزاد في الجواب قوله وهذه الاسودة نسم اى أرواح بنيه فأهل اليمين اهل الجنة وأهل الشمال أهل النار فاذا نظر عن يمينه ضحك واستبشر واذا نظر عن شماله حزن وبكى وزاد في الجواب أيضا قوله وهذا الباب الذي عن يمينه باب الجنة اذا نظر من يدخله من ذريته ضحك واستبشر والباب الذي عن شماله باب جهنم اذا نظر من يدخله من ذريته حزن وبكى اه أي اذا نظر الى أرواح من يدخلهما وفيه ان الجنة فوق السماء السابعة والنار في الارض السابعة وهي محيطة بالدنيا فكيف يكون بابهما في السماء الدنيا وأن أرواح الكفار لا تفتح لها أبواب السماء كما تقدم وأجيب عن الثاني بأن عرضها اى أرواح ذريته الكفار عليه تطرؤه اليها وهي دون السماء لانها شقاوة أو من ذلك الباب اى وكونها عن يساره الذي أخبر به صلى الله عليه وسلم اى في جهة يساره ويجاب عن الاول بأن الباب الذي على يمينه يجوز أن يكون محاذيا للموضع الجنة من السماء السابعة ولهذا قيل له باب الجنة وكذا يقال في باب جهنم لان الاضافة تأتي لادنى ملابسة وبما أجبنا به عن كون أرواح ذريته الكفار عن جهة يساره يعلم انه لا حاجة في الجواب عن ذلك الى قول الحافظ ابن حجر ويحتمل ان يقال ان النسم المرئية هي الارواح التي لم تدخل الاجساد بعد اى الآن ومستقرها عن يمين آدم وشماله وقد أعلم بما سيصيرون

قالت لا ولكن اركب أنت بين يدي فركب وركبت خلفه حتى أتت المدينة وذلك بعد شهر من بدر وكونها خرجت في الليل الى زيد لا ينافي الرواية التي فيها خرج معها حموها اى اخو زوجها حتى سلمها الى زيد لامكان أن يكون معها حين خرجت ثم أسلم زوجها رضي الله عنه وهاجر وردها اليه صلى الله عليه وسلم بغير عقد بل بالنكاح الاول وقيل عقد له عليها عقدا آخر وولدت له امامة التي كان يحملها صلى الله عليه وسلم على ظهره وهو يصلي ثم لما كبرت تزوجها علي رضي الله عنه بعد خالتها فاطمة رضي الله عنها بوصية من فاطمة رضي الله عنها لعلي بذلك ولما حضرت عليا رضي الله عنه الوفاة قال لها اني لا آمن أن يخطبك معاوية بعد موتي فان كان لك في الرجال حاجة فقد رضيت لك المغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب عشيرا فلما توفي علي رضي

اليه بناء على ان الارواح مخلوقة قبل اجسادها على انه لا يناسب قوله روح طيبة ونفس
طيبة خرجت من جسد طيب الى آخره ولا حاجة لما نقل عن القرطبي فى الجواب عن ذلك
من ان الكفار التى لا يفتح لها أبواب السماء المشركون دون الكفار من أهل الكتاب
فيجوز ان تكون تلك الاسودة أرواح كفار أهل الكتاب اذ هو يقتضى ان المراد بأرواح
بنيه فى الروايتين السابقتين الارواح التى خرجت من أجسادها قال صلى الله عليه وسلم
ورأيت رجالا لهم مشافر كمشافر الابل اى كشفاه الابل اى وفى أيديهم قطع من نار
كالافهار أى الحجارة التى كل واحد منها ملء الكف يقذفونها فى أفواههم فتخرج من
أدبارهم قلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء أكلة أموال اليتامى ظلما وهؤلاء لم تتقدم
رؤيته صلى الله عليه وسلم لهم فى الارض أى ولعل المراد بالرجال الاشخاص أو خصوا
بذلك لانهم أولياء الايتام غالبا قال صلى الله عليه وسلم ثم رأيت رجالا لهم بطون لم أر
مثلها قط (وفى رواية) أمثال البيوت زاد فى رواية فيها حيات ترى من خارج البطون
بسبيل اى طريق آل فرعون يمرون عليهم كالابل المهيومة حين يعرضون على النار
ولا يقدرون على ان يتحولوا من مكانهم ذلك اى فتطؤهم آل فرعون الموصوفون بما ذكر
المقتضى لشدة وطئهم لهم والمهيومة التى أصابها الهيام وهو داء يأخذ الابل فتهيم فى
الارض ولا ترعى وفى كلام السهيلى الابل المهيومة العطاش والهيام شدة العطش اى
(وفى رواية) كلما نهض أحدهم خر أى سقط قال قلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء أكلة
الربا وتقدمت رؤيته صلى الله عليه وسلم لهم فى الارض لا بهذا الوصف بل ان الواحد منهم
يسبح فى نهر من دم يلقم الحجارة اى ولا مانع من اجتماع الوصفين لهم اى فيخرجون من
ذلك النهر ويلقون فى طريق من ذكر وهكذا عذابهم دائما قال صلى الله عليه وسلم ثم رأيت
رجالا بين أيديهم لحم سمين طيب الى جنبه لحم خبيث منتن يأكلون من الغث اى الخبيث
المنتن ويتركون السمين الطيب قال قلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يتركون
ما أحل الله لهم من النساء ويذهبون الى ما حرم الله عليهم منهن اى وتقدمت رؤيته
صلى الله عليه وسلم لهم اى الرجال والنساء فى الارض بنحو هذا الوصف (وفى رواية)
رأى اخونة عليها لحم طيب ليس عليها أحد وأخرى عليها لحم منتن عليها ناس يأكلون
قال يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يتركون الحلال ويأكلون الحرام اى من
الاموال أعم مما قبله اى وهؤلاء لم تتقدم رؤيته صلى الله عليه وسلم لهم فى الارض قال
صلى الله عليه وسلم ثم رأيت نساء معلقات بثديهن فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء
اللاتى أدخلن على الرجال ما ليس من أولادهم اى بسبب زناهن اى وهؤلاء لم يتقدم
رؤيته صلى الله عليه وسلم لهن فى الارض والذى تقدم رؤيته لهن الزانيات لا بهذا القيد
وهو ادخالهن على أزواجهن ما ليس من أولادهم على انه يجوز ان يكون المراد مطلق
الزانيات لان الزنا سبب فى حصول ما ذكر غالبا ولا مانع من اجتماع الوصفين لهن قال ثم

الله عنه وانقضت عدتها ارسل معاوية رضى الله عنه يخطبها وبذل لها من المهر مائة ألف دينار فلما خطبها أرسلت الى المغيرة بن نوفل ان هذا الرجل أرسل يخطبنى فان كان لك حاجة فى فأقبل فجاء وخطبها من الحسن بن على رضى الله عنه فزوجها منه وقيل زوجها منه الزبير بن العوام بوصية من أبيها عليها ويمكن الجمع بينهما (وكان من جملة الاسرى عمرو بن ابى سفيان) بن حرب أخو معاوية أسره على بن أبى طالب رضى الله عنه فقيل لابى سفيان افد عمرا ابنك فقال أيجمع على دمى ومالى قتلوا حنظلة يعنى ابنه وهو شقيق أم حبيبة أم المؤمنين رضى الله عنها وأفدى عمرا دعوه فى أيديهم يمسكونه ما بدا لهم فبينما ابو سفيان بمكة اذ وجد سعد بن النعمان أخا بنى عمرو بن عوف قد وفد من المدينة معتمرا فعدا عليه ابو سفيان فحبسه بابنه عمرو فمضى بنو عمرو بن عوف الى رسول الله صلى الله

مضى هنيهة فاذا هو بأقوام يقطع اللحم من جنوبهم فيلقمونه فيقال له اى اكل واحد منهم كل كما كنت تأكل لحم أخيك قال يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الهمازون من أمتك اللمازون اى المغتابون للناس الغامزون لهم اهـ اى وتقدمت رؤيته صلى الله عليه وسلم للمغتابين فى الارض بغير هذا الوصف اى وروى انه صلى الله عليه وسلم رأى فى هذه السماء النيل والفرات يطردان أى يجريان وعنصرهما اى أصلهما وهو يخالف ما يأتى أنه صلى الله عليه وسلم رأى فى اصل سدرة المنتهى أربعة انهار نهران باطنان ونهران ظاهران وأن الظاهرين النيل والفرات وأجيب بانه يجوز ان يكون منبعهما من تحت سدرة المنتهى ومقرهما وهو المراد بعنصرهما الذى هو أصلهما فى السماء الدنيا اى بعد مرورهما فى الجنة ومن سماء الدنيا ينزلان الى الارض فقد جاء فى تفسير قوله تعالى وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الارض انهما النيل والفرات أنزلا من الجنة من أسفل درجة منها على جناح جبريل عليه الصلاة والسلام فأودعهما بطون الجبال ثم ان الله سبحانه وتعالى سيرفعهما ويذهب بهما عند رفع القرآن وذهاب الايمان وذلك قوله تعالى وانا على ذهاب به لقادرون وذكره السهيلى وفى زيادة الجامع الصغير ان النيل يخرج من الجنة ولو التمستم فيه حين يسيح لوجدتم فيه من ورقها قال صلى الله عليه وسلم ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل عليه الصلاة والسلام فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل قد بعث اليه قال نعم قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بابنى الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا صلوات الله وسلامه على نبينا وعليهما اى شبيه أحدهما بصاحبه ثيابهما وشعرهما ومعهما نفر من قومهما فرحبا بى ودعوا الى بخير وفى بعض الروايات التى حكم عليها بالشذوذ أنهما فى السماء الثالثة وقد ذكرها الجلال السيوطى فى أوائل الجامع الصغير وذكر بعضهم أنها رواية الشيخين عن أنس والشذوذ لا ينافى الصحة المطلقة فقد قال شيخ الاسلام فى شرح ألفية العراقى عند قوله من غير ما شذوذ خرج الشاذ وهو ما خالف فيه الراوى من هو أرجح منه ولا يرد عليه الشاذ الصحيح عند بعضهم لان التعريف للصحيح المجمع على صحته لا مطلقا هذا كلامه وفى كلام السخاوى نقلا عن شيخه ابن حجران من تأمل الصحيحين وجد فيهما أمثلة من ذلك اى من الصحيح الموصوف بالشذوذ (اقول) وكونهما ابنى الخالة اى أن أم كل خالة الآخر هو المشهور وعليه قال ابن السكيت يقال ابنا خالة ولا يقال ابنا عمة ويقال ابنا عم ولا يقال ابنا خال لكن فى عيون المعارف للقضاعى ان يحيى انما هو ابن خالة مريم أم عيسى لا ابن خالة عيسى لان أم يحيى أخت أم مريم لا أخت مريم وكذا فى كلام ابن اسحق أن عمران وزكريا كلاهما من ذرية سليمان عليهم الصلاة والسلام وانهما تزوجا أختين فزوجة زكريا ولدت يحيى قبل عيسى بستة أشهر ثم ولدت مريم عيسى وزوجة عمران ولدت مريم فأم يحيى أخت أم مريم فعيسى ابن بنت خالة يحيى وحينئذ يكون قوله صلى الله عليه وسلم

عليه وسلم فأخبروه خبر سعد بن النعمان وسألوه أن يعطيهم عمرو ابن ابى سفيان فيفكون به صاحبهم ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثوا به الى ابى سفيان فخلى سبيل سعد ولم يذكر عمرو هذا فيمن أسلم من الاسرى والظاهر انه مات على شركه (وكان من جملة الاسرى سهيل بن عمرو العامرى) وكان من أشراف قريش وفصحائها وخطبائها وكان يخطب قريشا ويحثهم على قتال النبى صلى الله عليه وسلم فلما أسر قال عمر رضى الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم دعنى انزع ثنيتى سهيل بن عمرو حتى يدلع لسانه اى يخرج فلا يستطيع الكلام لانه كان أعلم والاعلم اذا نزعت ثنيتاه لا يستطيع الكلام فلا يقوم عليك خطيبا فى موطن أبدا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أمثل به فيمثل الله بى وان كنت نبيا وعسى أن يقوم مقاما لا تذمه

فاذا أماباب الخالة على التجوز وكذا قول عيسى ليحيى يا ابن الخالة كما فى تفسير التسترى على التجوز فيه حكى عن يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام أنهما خرجا يمشيان فصدم يحيى امرأة فقال له عيسى يا ابن الخالة لقد أخطأت اليوم خطيئة ما أرى الله عز وجل يغفرها لك قال وماهى قال صدمت امرأة قال والله ماشعرت بها قال عيسى سبحان الله بدنك معى فأين قلبك قال معلق بالعرش ولو أن قلبى اطمأن الى جبريل صلوات الله وسلامه عليه طرفة عين لظننت أنى ماعرفت الله عز وجل ووجه التجوز أنه أطلق على بنت الاخت لفظ الاخت قال بعضهم وهو كثير شائع فى كلامهم ثم رأيت المولى أبا السعود ذكر مايجمع به بين القولين وهو انه قيل ان أم يحيى اخت ام مريم من الام وأخت مريم من الاب فليتأمل تصويره بناء على تحريم نكاح المحارم لان أم مريم حينئذ بنت موطوءة أبيها لانها ربيبته الا أن يكون فى شريعتهم جواز ذلك ثم رأيت بعضهم ذكر ذلك حيث قال لايبعد ان عمران تزوج اولا أم حنة فولدت أشياع اى التى هى أم يحيى ثم تزوج حنة بعد ذلك التى هى ربيبته بنت موطوءته فجاء منها مريم بناء على جواز ذلك فى شريعتهم وفيه أنه تقدم أن نوحا عليه الصلاة والسلام بعث بتحريم نكاح المحارم الا أن يقال المراد محارم النسب دون المصاهرة ولم يسم أحد يحيى بعد يحيى هذا الا يحيى بن خلاد الانصارى جىء به للنبى صلى الله عليه وسلم يوم ولد فحنكه بتمرة وقال لاسمينه باسم لم يسم به بعد يحيى بن زكريا فسماه يحيى ومما يدل على شرف سيدنا يحيى بن زكريا مافى الكشاف عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كنا فى المسجد نتذاكر فضل الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم فذكرنا نوحا بطول عبادته وابراهيم بخلته وموسى بتكليم الله تعالى اياه وعيسى برفعته الى السماء وقلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل منهم بعث الى الناس كافة وغفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر وهو خاتم الانبياء اى فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فيم أنتم فذكرنا له فقال لاينبغى لاحد ان يكون خيرا من يحيى بن زكريا فذكر أنه لم يعمل سيئة قط ولاهم بها اى ففى الحديث مامن أحد الا ويلقى الله عز وجل وقد هم بمعصية عملها الا يحيى ابن زكريا فانه لم يهم بها ولم يعملها فليتأمل مافى ذلك وقد ذكر أن والده زكريا لامه على كثرة العبادة والبكاء فقال له أنت أمرتنى بذلك ياأبت ألست انت القائل ان بين الجنة والنار عقبة لايجوزها الا البكاؤن من خشية الله عز وجل فقال بلى فجد واجتهد وقد جاء فى الحديث أن يحيى هو الذى يذبح الموت يوم القيامة يضجعه ويذبحه بشفرة تكون فى يده والناس ينظرون اليه اى فان الموت يكون فى صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ويقال لاهلهما أتعرفون هذا فيقولون نعم هو الموت اى يلقى الله عز وجل معرفته فى قلوبهم وتجسيم المعانى جاء به الحديث الصحيح على أنه جاء فى تفسير قوله تعالى خلق الموت والحياة أن الموت فى صورة كبش لايمر على أحد الا مات وخلق الحياة فى صورة فرس لايمر على شئ الا حيى وهو يدل على ان الموت جسم وان الميت يشاهد حلول الموت به وقيل الذى

فكان كذلك فانه أسلم رضى الله عنه عام الفتح وحسن اسلامه وصار من فضلاء الصحابة حتى انه لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد اكثر أهل مكة الرجوع عن الاسلام فقام سهيل بن عمرو خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتى بخطبة ثبت الله بها الناس تشبه خطبة ابى بكر رضى الله عنه التى خطبها بالمدينة يوم وفاة النبى صلى الله عليه وسلم وقال سهيل فى خطبته أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لايموت ألم تعلموا أن الله قال انك ميت وانهم ميتون وقال وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات او قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيأ وسيجزى الله الشاكرين ثم قال والله انى لأعلم ان هذا الدين يمتد امتداد الشمس

يذبح الموت جبريل عليه الصلاة والسلام وقيل ان فى هذه السماء الثانية ادريس وهو قول شاذ وقيل يوسف جاءت به رواية ذكرها الجلال السيوطى فى أوائل الجامع الصغير وذكر فيها أن ابنى الخالة فى السماء الثالثة كما تقدم وتقدم أن بعضهم ذكر أنها رواية الشيخين عن أنس قال أبو حيان وعيسى لفظ أعجمى والظاهر ان مثله يحيى هذا كلامه وفى كلام غيره ان يحيى عربى ومنع صرفه العلمية ووزن الفعل وقيل فى عيسى انه عربى مشتق من العيس وهو بياض يخالطه صفرة وعلى أنه أعجمى قيل عبرانى وقيل سريانى ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بيوسف صلى الله عليه وسلم اى ومعه نفر من قومه واذا هو أعطى شطر الحسن اى (وفى رواية) صورته صورة القمر ليلة البدر والمراد بشطر الحسن نصف الحسن الذى أعطيه الناس وفى الحديث أعطى يوسف وأمه ثلث حسن الدنيا وأعطى الناس الثلثين ويحتاج للجمع بينها وبين ما جاء فى رواية قسم الله ليوسف من الحسن والجمال ثلثى حسن الخلق وقسم بين سائر الخلق الثلث وعن وهب بن منبه الحسن عشرة أجزاء تسعة منها ليوسف وواحد منها بين الناس وفى كلام بعضهم كان فضل يوسف فى الحسن على الناس كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء وكان اذا سار فى أزقة مصر يرى تلالؤ وجهه على الجدران كما يتلالأ نور الشمس وضوء القمر على الجدران والمراد بالناس غير نبينا صلى الله عليه وسلم لان حسن نبينا صلى الله عليه وسلم لم يشاركه فى شىء منه كما أشار اليه صاحب البردة بقوله ﴿فجوهر الحسن فيه غير منقسم﴾ خلافا لابن المنير حيث ادعى ان يوسف أعطى شطر الحسن الذى أوتيه نبينا صلى الله عليه وسلم وتبعه على ذلك شارح تائية الامام السبكى وعبارته فاذا هو اى يوسف عليه الصلاة والسلام أعطى شطر الحسن الذى أعطيه كله صلى الله عليه وسلم هذا وقد قيل ان يوسف ورث الحسن من اسحق الذى هو جده واسحق ورث الحسن من سارة التى هى أمه وسارة أعطيت سدس الحسن وورثت ذلك من حواء اى (وفى رواية) وصف يوسف وانه أحسن ما خلق الله تعالى قد فضل الناس بالحسن كالقمر ليلة البدر على سائر الكواكب اى كفضل القمر ليلة البدر على بقية الكواكب الليلية والمراد بخلق الله تعالى وبالناس غير نبينا صلى الله عليه وسلم لما علمت أنه أعطى شطر الحسن الذى لغير نبينا صلى الله عليه وسلم ولان المتكلم لا يدخل فى عموم خطابه على ما فيه وقد جاء أن يوسف أعطى نصف حسن آدم (وفى رواية) ثلث حسن آدم وقد جاء كان يوسف يشبه آدم يوم خلقه ربه وفى الخصائص الصغرى للسيوطى وخص بأنه صلى الله عليه وسلم أوتى كل الحسن ولم يعط يوسف الا شطره فلينظر الجمع بين هذه الروايات على تقدير صحتها وقد جاء ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم أحسنهم وجها أحسنهم صوتا قال فرحب بى ودعا لى بخير وفى بعض الروايات ان فى هذه السماء الثالثة ابنى الخالة يحيى وعيسى كما مر

فى طلوعها وغروبها فتوكلوا على ربكم فان دين الله قائم وكلمة الله تامة وان الله ناصر من نصره ومقوّ دينه وقد جمعكم الله على خيركم يعنى أبا بكر رضى الله عنه وان ذلك لا يزيد الاسلام الا قوة فمن رأيناه ارتد ضربنا عنقه فتراجع الناس وكفوا عما هموا به وكان فى قيامه ذلك المقام معجزة للنبى صلى الله عليه وسلم حيث أخبر به قبل حصوله بأعوام كثيرة وذلك يوم بدر حين قال لعمر رضى الله عنه عسى أن يقوم مقاما لا تذمه ولما أسر سهيل قدم مكرز ابن حفص فى فدائه فلما ذكر قدرا أرضاهم به قالوا هات قال ليس عندى هنا شئ ولكن اجعلوا رجلى مكان رجله وخلوا سبيله حتى نبعث اليكم بفدائه فخلوا سبيل سهيل وحبسوا مكرزا فى محله حتى جاءهم الفداء (وكان فى الاسرى الوليد بن الوليد) أخو خالد بن الوليد رضى الله عنهم

ثم عرج بنا الى السماء الرابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بادريس فرحب بي ودعا لي بخير (وفي رواية) قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح (وفي رواية) قتادة مرحبا بالابن الصالح قال بعضهم وهو القياس لانه جده الاعلى لانه من ولد شيث بينه وبين شيث أربعة آباء أرسل بعد موت آدم بمائتي سنة وهو أول من أعطي الرسالة من ولد آدم وهو يقتضي ان شيثا لم يكن رسولا ونوح من ولده بينه وبينه ابنان فادريس في عمود نسبه صلى الله عليه وسلم وحينئذ يكون قوله بالاخ الصالح في تلك الرواية محمول على التواضع منه خلافا لمن تمسك بذلك على ان ادريس ليس جدا لنوح ولا هو من آباء النبي صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل ورفعناه مكانا عليا اي حال حياته لانه رفع الى السماء قيل من مصر بعد ان خرج منها ودار الارض كلها وعاد اليها ودعا الخلائق الى الله تعالى باثنين وسبعين لغة خاطب كل قوم بلغتهم وعلمهم العلوم وهو أول من استخرج علم النجوم اي علم الحوادث التي تكون في الارض باقتران الكواكب قال الشيخ محيي الدين بن العربي وهو علم صحيح لا يخطئ في نفسه وانما الناظر في ذلك هو الذي يخطئ لعدم استيفاء النظر ودعوى ادريس عليه السلام الخلائق يدل على انه كان رسولا وفي كلام الشيخ محيي الدين لم يجئ نص في القرآن برسالة ادريس بل قيل فيه صديقا نبيا وأول شخص افتتحت به الرسالة نوح عليه الصلاة والسلام ومن كانوا قبله انما كانوا أنبياء كل واحد على شريعة من ربه فمن شاء دخل معه في شرعه ومن شاء لم يدخل فمن دخل ثم رجع كان كافرا ومما يؤثر عنه عليه الصلاة والسلام حب الدنيا والآخرة لا يجتمعان في قلب أبدا الناس اثنان طالب لا يجد وواجد لا يكتفي من ذكر عار الفضيحة هان عليه لذتها خير الاخوان من نسي ذنبك ومعروفه عندك وقد قبضت روحه في هذه السماء الرابعة فصلت عليه الملائكة ودفنته بها وصلى عليه الملائكة كما هبطت وحينئذ لا يقال من كان في السماء الخامسة والسادسة والسابعة أرفع منه على انه قيل انه مات أحياه الله تعالى وأدخله الجنة وهو فيها الآن اي غالب أحواله في الجنة فلا ينافي وجوده في السماء المذكورة في تلك الليلة لان الجنة أرفع من السموات لانها فوق السماء السابعة ولا ما جاء في الحديث انه في السماء حي كعيسى عليهما الصلاة والسلام وفي بعض الروايات أن في هذه السماء الرابعة هرون ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بهرون اي ونصف لحيته بيضاء ونصف لحيته سوداء تكاد تضرب الى سرته من طولها وحوله قوم من بني اسرائيل وهو يقص عليهم فرحب بي ودعا لي بخير اي (وفي رواية) فقال يا جبريل من هذا قال هذا الرجل المحبب في قومه هرون بن عمران اي لانه كان ألين لهم من موسى عليهما الصلاة والسلام لان موسى عليه السلام كان فيه بعض الشدة عليهم ومن ثم كان له منهم بعض الايذاء ثم

فافتكه اخواه هشام وخالد فلما سلوا افداءه وافتكوه وصل الى مكة أسلم فعاتبوه في ذلك فقال كرهت أن يظن بي أني جزعت من الاسر فلما أسلم أرادا الهجرة فحبسه أخواه هشام وخالد فكان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو له في القنوت ويقول اللهم أنج الوليد بن الوليد ثم انفلت ولحق بالنبي صلى الله عليه وسلم في عمرة القضاء (وكان في الاسرى وهب ابن عمير الجمحي) رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وأسره رفاعة بن رافع وبقي بالمدينة مع الاسرى وكان أبوه عمير شيطانا من شياطين قريش وكان ممن يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه بمكة فجلس عمير يوما مع صفوان بن أمية بن خلف بن وهب الجمحي رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وكان جلوسه معه في الحجر فتذاكرا ما أصاب قريشا يوم بدر وذكرا أصحاب القليب ومصابهم فقال

عرج بنا الى السماء السادسة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك
قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بموسى صلى الله عليه وسلم
فرحب بي ودعا لي بخير اى (وفى رواية) جعل يمر بالنبى والنبيين معهم القوم والنبى
والنبيين ليس معهم أحد ثم مر بسواد عظيم فقال من هذا قيل موسى وقومه المناسب
هذا قوم موسى كما لا يخفى لكن ارفع رأسك فاذا هو بسواد عظيم قد سد الافق
من ذا الجانب ومن ذا الجانب فقيل هؤلاء أمتك هؤلاء سبعون ألفا يدخلون
الجنة بغير حساب اى منهم بدليل ما جاء فى رواية قيل لى هذه أمتك ومعهم سبعون ألفا
يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب وهم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون
وعلى ربهم يتوكلون فقال عكاشة بن محصن أنا منهم قال نعم ثم قال رجل آخر أنا منهم قال
صلى الله عليه وسلم سبقك بها عكاشة لان هذا الرجل كان منافقا فلم يقل له صلى الله عليه
وسلم لست منهم لانك منافق بل أجابه بما فيه ستر عليه والقول بأن ذلك الرجل هو سعد بن
عبادة مردود وهذا تمثيل اى مثل له صلى الله عليه وسلم امته اى وأمة موسى أيضا اذ يبعد
وجودها حقيقة فى السماء السادسة وهذا السياق يدل على أن الذى مر بهم من النبى
والنبيين فى السماء السادسة فلما خاصا اى جاوزا ماذكر من النبى والنبيين والسواد
العظيم فاذا موسى بن عمران رجل آدم طوال كأنه من رجال شنوءة كثير الشعر اى مع
صلابته لو كان عليه قميصان لنفذ الشعر منهما اى وكان اذا غضب يخرج شعر رأسه من
قلنسوته وربما اشتعلت قلنسوته نارا لشدة غضبه وفى كلام بعضهم كان اذا غضب خرج
شعره من مدرعته كسل النخل ولشدة غضبه لما فر الحجر بثوبه صار يضربه حتى ضربه
ست ضربات أو سبع مع انه لا ادراك له ووجه بأنه لما فر صار كالدابة والدابة اذا جمحت
بصاحبها يؤدبها بالضرب فسلم عليه النبى صلى الله عليه وسلم فرد عليه السلام ثم قال
مرحبا بالاخ الصالح والنبى الصالح ثم دعا له ولامته بخير وقال يزعم الناس أنى أكرم على الله
من هذا بل هذا أكرم على الله منى فلما جاوزه بكى فقيل له ما يبكيك فقال أبكى لان غلاما
بعث بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخل الجنة من أمتى اى وبل من سائر الامم
فقد ذكر الجلال السيوطى فى الخصائص الصغرى أن مما اختص به صلى الله عليه وسلم
فى أمته فى الآخرة أن أهل الجنة اى من الامم مائة وعشرون صفا هذه الامة منها ثمانون
وسائر الامم أربعون وجاء فى المرفوع كل أمة بعضها فى الجنة وبعضها فى النار الا هذه
الامة فانها كلها فى الجنة وفى العرائس عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه لما كلم الله
عز وجل موسى كان بعد ذلك يسمع دبيب النملة السوداء فى الليلة الظلماء على الصفا من
مسيرة عشرة فراسخ وفى الحديث ليس أحد يدخل الجنة الا جرد مرد الا موسى بن عمران
فان لحيته الى سرته ثم عرج بنا الى السماء السابعة واسمها عريبا واسم الارض السابعة
جريبا روى الخطيب باسناد صحيح أن وهب بن منبه قال من قرأ البقرة وآل عمران يوم

صفوان واقتمافى العيش خير
بعدهم لانه قتل أبوه أمية وأخوه
على فقال له عمير صدقت اما والله
لولا دين على ليس له عندى قضاء
وعيال أخشى عليهم الضيعة
بعدى لكنت آتى محمدا حتى اقتله
فان لى فيهم علة ابنى أسير فى أيديهم
فاغتنمها صفوان وقال له على
دينك أنا أقضيه عنك وعيالك مع
عيالى أواسيهم ما بقوا فقال عمير
فاكتم عنى شانى وشانك وتعاقدا
وتعاهدا على ذلك ثم ان عميرا أخذ
سيفه فشحذه اى سنه وسمه اى
جعل فيه السم ثم انطلق حتى قدم
المدينة فبينا عمر بن الخطاب
رضى الله عنه فى نفر من المسلمين
يتحدثون عن يوم بدر اذ نظر الى
عمير حين أناخ راحلته على باب
المسجد متوشحا بالسيف فقال
عمر رضى الله عنه هذا الكلب
عدو الله عمير بن وهب ما جاء
الا بشر فدخل عمر رضى الله عنه
على رسول الله صلى الله عليه

الجمة كان له ثواب يملأ ما بين عربيا وجربيا فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم قد بعث اليه ففتح لنا فاذا بابراهيم صلوات الله وسلامه عليه اى رجل أشمط وفى لفظ كهل ولا ينافى ذلك ما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم فى وصفه انه أشبه بصاحبكم يعنى نفسه صلى الله عليه وسلم خلقا وخلقا جالس عند باب الجنة اى فى جهتها كما تقدم والافالجنة فوق السماء السابعة على كرسى مسندا ظهره الى البيت المعمور أى وهو من عقيق ويقال له الضراح بضم الضاد المعجمة وتخفيف الراء وفى آخره حاء مهملة من ضرح اذا بعد ومنه الضريح أى وفى كلام الحافظ ابن حجر يقال له الضراح والضريح وجاء أنه مسجد بحذاء الكعبة لو خر لخر عليها اى فهو فى تلك السماء فى محل يحاذى الكعبة اى وقيل فى السماء الرابعة وبه جزم فى القاموس وقيل فى السادسة وقيل فى الاولى وتقدم أن فى كل سماء بيتا معمورا وان كل بيت منها بحيال الكعبة واذا هو يدخله كل يوم ألف ملك لا يعودون اليه (أقول) عن بعضهم ان البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك (وفى رواية) سبعون وجها مع كل وجه سبعون ألف ملك والوجه الرئيس ولعله صلى الله عليه وسلم علم ذلك باعلام جبريل والا فرؤيته صلى الله عليه وسلم له فى تلك الليلة لا تقتضى ذلك ثم رأيت الشيخ عبد الوهاب الشعرانى أشار الى ذلك حيث قال وسماله البيت المعمور فنظر اليه وركع فيه ركعتين وعرفه أى جبريل أنه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك من الباب الواحد ويخرجون من الباب الآخر فالدخول من باب مطالع الكواكب والخروج من باب مغاربها والظاهر ان دخول هؤلاء الملائكة خاص بالذى فى السماء السابعة وقال السهيلى وقد ثبت فى الصحيح ان أطفال المؤمنين والكافرين فى كفالة ابراهيم عليه الصلاة والسلام وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل حين رآهم مع ابراهيم عليه الصلاة والسلام من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء أولاد المؤمنين الذين يموتون صغارا قال له وأولاد الكافرين قال له وأولاد الكافرين خرجه البخارى فى الحديث الطويل فى كتاب الجنائز وخرجه فى موضع آخر فقال فيه أولاد الناس وقد روى فى أطفال الكافرين أيضا انهم خدم أهل الجنة هذا كلامه وجاء فى حديث مرفوع لكن سنده ضعيف أن فى السماء الرابعة نهرا يقال له الحيوان يدخله جبريل كل يوم اى مصرا كما فى بعض الروايات فينغمس ثم يخرج فينتفض فيخرج عنه سبعون ألف قطرة يخلق الله تعالى من كل قطرة ملكا وفى لفظ يخلق الله عز وجل من كل قطرة كذا وكذا ألف ملك يؤمرون ان يأتوا البيت المعمور يصلون فيه فهم الذين يصلون فى البيت المعمور ثم لا يعودون اليه أبدا يولى عليهم أحدهم يؤمر أن يقف بهم فى السماء موقفا يسبحون الله عز وجل الى أن تقوم الساعة وذكر الشيخ عبد الوهاب الشعرانى ان جبريل أخبره بذلك فى تلك الليلة والله أعلم وفى رواية واذا أنا بأمتى شطرين شطرا عليهم ثياب بيض كأنها القراطيس وشطرا عليهم ثياب رمد فدخلت البيت المعمور ودخل

معى

وسلم فقال يا نبى الله هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحا سيفه قال فادخله على فاقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه فى عنقه فامسكه بها وقال لرجال ممن كان معه من الانصار ادخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسوا عنده فان هذا الخبيث غير مأمون ثم دخل به عمر رضى الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر آخذ بحمالة سيفه فى عنقه قال أرسله يا عمر ادن يا عمير فدنا ثم قال عمير أنعموا صباحا وكانت تحية الجاهلية بينهم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتكم يا عمير بالسلام تحية أهل الجنة فما جاء بك يا عمير قال جئت لهذا الاسير الذى فى أيديكم يعنى ولده وهبا فاحسنوا فيه قال فما بال السيف قال قبح الله السيوف وهل أغنت عنا شيئا قال

معى الذين عليهم الثياب البيض وحجب الآخرون الذين عليهم الثياب الرمدة فصليت أنا
ومن معى فى البيت المعمور اى والظاهر انه ليس المراد بالشطر النصف حتى يكون العصاة
من أمته بقدر الطائعين منهم وان الصلاة محتملة للدعاء ولذات الركوع والسجود
ويناسبه ما تقدم من قوله ركعتين وان ابراهيم عليه الصلاة والسلام قال له يا نبى الله انك
لاق ربك الليلة وان أمتك آخر الامم وأضعفها فان استطعت أن تكون حاجتك فى أمتك
فافعل وفى السيرة الشامية أن سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام قال له صلى الله عليه
وسلم ذلك فى الارض قبل وصول بيت المقدس وقال له هنا مر أمتك فليكثروا من غراس
الجنة فان تربتها طيبة وأرضها واسعة فقال له وما غراس الجنة فقال لا حول ولا قوة
الا بالله وفى رواية أخرى اقرئ أمتك منى السلام وأخبرهم ان الجنة طيبة التربة عذبة الماء
وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وقد يقال لا مخالفة بين
الروايتين لانه يجوز أن يكون غراس الجنة مجموع ما ذكر وان بعض الرواة اقتصر قال
صلى الله عليه وسلم واستقبلتنى جارية لعساء وقد أعجبتنى فقلت لها يا جارية أنت لمن قالت
لزيد بن حارثة اى ولعل تلك الجارية خرجت من الجنة ليكون استقبالها له صلى الله عليه
وسلم بعد مجاوزة السماء السابعة لكن فى رواية فرأيت فيها اى فى الجنة جارية الحديث
وقد يقال يجوز ان يكون رآها مرتين خارج الجنة وداخلها فيكون سؤالها فى المرة
الاولى واللعس لون الشفة اذا كانت تضرب الى السواد قليلا وذلك مستملح قاله فى
الصحاح وفى رواية فلما انتهى الى السماء السابعة رأى فوقه رعدا وبرقا وصواعق اى
وهذه الرواية ظاهرة فى انه صلى الله عليه وسلم رأى ذلك فى السماء السابعة محتملة لان يكون
رآه قبل دخوله فيها وحينئذ يكون قوله ثم أتى باناء من خمر واناء من لبن واناء من عسل على
الاحتمالين المذكورين وعند عرض تلك الاوانى عليه صلى الله عليه وسلم أخذ اللبن فقال
جبريل أصبت الفطرة اى باخذك اللبن الذى هو الفطرة أصاب الله عز وجل بك أمتك
على الفطرة اى أوجدهم على الفطرة ببركتك وفى رواية هذه الفطرة التى أنت عليها وأمتك
○ اى وتقدم ان المراد بها الاسلام وورد ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام فى السماء
السادسة وموسى فى السماء السابعة وهذه الرواية فى البخارى عن أنس وتقدم أن ذلك كان
فى الاسراء بروحه صلى الله عليه وسلم لا بجسده وفيه ان رؤيا الانبياء حق فالاولى الجمع بين
الروايات بالانتقال وان بعض الانبياء نزل من محله الى ما تحته لملاقاته صلى الله عليه وسلم
عند صعوده وبعضهم خرج عن محله وصعد الى ما فوقه لملاقاته صلى الله عليه وسلم عند
هبوطه فأخبر صلى الله عليه وسلم عنه تارة بأنه فى سماء كذا وتارة بأنه فى سماء كذا والحافظ
ابن حجر لا يرى الجمع بل يحكم على ما خالف أصح الروايات بأنه لا يعمل به قال والجمع
انما هو مجرد استرواح لا ينبغى المصير اليه هذا كلامه وعندى فيه نظر ظاهر والجمع
أولى من اثبات المعارضة لاسيما بين الاصح والصحيح وان كان الصحيح شاذا الا انا نقدم

أصدقنى ما الذى جئت له قال
ما جئت الا لذلك فقال له النبى
صلى الله عليه وسلم بل قعدت أنت
وصفوان بن أمية فى الحجر
فتذاكرتما أصحاب القليب من
قريش ثم قلت لولا دين على وعيال
لخرجت حتى أقتل محمدا فتحمل
لك صفوان بدينك وعيالك حتى
تقتلنى له والله حائل بينى وبين ذلك
قال عمير أشهد انك رسول الله قد
كنا يا رسول الله نكذبك فيما تأتى
به من خبر السماء وما ينزل عليك
من الوحى وهذا أمر لم يحضره
الا أنا وصفوان فوالله انى لاعلم
انه ما أتاك به الا الله تعالى فالحمد
لله الذى هدانى للاسلام وساقنى
هذا المساق ثم شهد شهادة الحق
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقهوا أخاكم فى دينه وأقرئوه
القرآن وأطلقوا له أسيره ففعلوا
ذلك واسلم ابنه أيضا رضى الله
عنه ثم قال عمير يا رسول الله انى
كنت جاهدا على اطفاء نور الله

الاصح أو الصحيح على غيره الا حيث تعذر الجمع فليتأمل وعلى المشهور من الروايات الذى صدرنا به أبدى بعضهم لاختصاص هؤلاء الانبياء الا فانه صلى الله عليه وسلم واختصاص كل واحد منهم بالسماء الذى لقيه فيها حكمة يطول ذكرها قال صلى الله عليه وسلم ثم ذهب بى اى جبريل الى سدرة المنتهى واذا أوراقها كآذان الفيلة وفى رواية مثل آذان الفيول وفى رواية الورقة منها تظل الخلق وفى رواية تكاد الورقة تغطى هذه الامة وفى رواية لو أن الورقة الواحدة ظهرت لغطت هذه الدنيا وحينئذ يكون المراد بكونها كآذان الفيلة فى الشكل وهو الاستدارة لا فى السعة ○ واذا ثمرها كالقلال وفى رواية كقلال هجر قرية بقرب المدينة والواحدة من قلالها تسع قربتين ونصفا من قرب الحجاز والقربة تسع من الماء مائة رطل بغدادى فلما غشيها من أمر الله عز وجل ما غشيها تغيرت اى صار لها حالة من الحسن غير تلك الحالة التى كانت عليها فما أحد من خلق الله عز وجل يستطيع أن ينعتها من حسنها اى لان رؤيته الحسن تدهش الرائى وهذا السياق يدل على ان سدرة المنتهى فوق السماء السابعة اى وهو قول الاكثر وفى بعض الروايات أن أغصانها تحت الكرسى وعن وهب أن العرش والكرسى فوق السماء السابعة قال ويسئل هل ثمرة سدرة المنتهى كالثمار المأكولة فى أنه يزول ويعقبه غيره وهذا الزائل يؤكل أو يسقط اى فلا يؤكل انتهى قال صلى الله عليه وسلم ثم أدخلت الجنة فاذا فيها جنابذ اى بالمعجمة قباب اللؤلؤ وفى لفظ حبائل اللؤلؤ اى العقود والقلائد واذا ترابها المسك ورمانها كالدلاء وطيرها كالبخت فدخوله صلى الله عليه وسلم الجنة قبل كان عروجه للسماء وفى الحديث ما فى الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة الا وهى فى الجنة حتى الحنظل والذى نفس محمد بيده لا يقطف رجل ثمرة من الجنة تصل الى فيه حتى يبدل الله مكانها خيرا منها وهذا القسم يرشد الى أن ثمرة الجنة كلها حلوة تؤكل وانها تكون على صورة ثمرة الدنيا المرة وفى كلام الشيخ محيى الدين بن العربى فاكهة الجنة لا مقطوعة ولا ممنوعة اى تؤكل من غير قطع أى يؤكل منها فالاكل موجود والعين باقية فى غصن الشجرة وليس المراد أن الفاكهة غير مقطوعة فى شتاء ولا صيف أو يخلق مكان قطعها أخرى على الفور كما فهمه بعضهم فمن ما يأكل العبد هو عين ما يشهد وأطال فى ذلك وكأنه لم يقف على هذا الحديث أو لم يثبت عنده فليتأمل قال ويخرج من أصل تلك الشجرة أربعة أنهار نهران باطنان اى يبطنان ويغيبان فى الجنة بعد خروجهما من أصل تلك الشجرة ونهران ظاهران اى يستمران ظاهرين بعد خروجهما من أصل تلك الشجرة فيجاوزان الجنة فقال ما هذه اى الانهار يا جبريل قال أما الباطنان ففى الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات انتهى (أقول) قول جبريل أما الباطنان ففى الجنة لا يحسن أن يكون جوابا عن هذا السؤال أى الذى هو سؤال عن بيان الحقيقة ويحصل بذكر اسمهما فكان

المناسب

سيد الاذى لمن كان على دين الله فأنا أحب ان تأذن لى فأقدم مكة فأدعوهم الى الله والى الاسلام لعل الله يهديهم والا آذيتهم فى دينهم كما كنت أوذى أصحابك فى دينهم فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلحق بمكة وكان صفوان حين خرج عمير يقول لاهل مكة أبشروا بوقعة تأتيكم الآن تنسيكم وقعة بدر وكان صفوان يسأل عن عمير الركبان حتى قدم راكب فأخبره باسلامه فحلف ان لا يكلمه أبدا وان لا ينفعه ولا يواسيه أبدا فلما قدم عمير مكة لم يبدأ بصفوان بل بدأ ببيته وأظهر الاسلام ودعا اليه فبلغ ذلك صفوان فقال قد عرفت حين لم يبدأ بى قبل منزله انه انتكس وصبا ولا أكلمه أبدا ولا أنفعه ولا عياله بنافعة ابدا ثم ان عميرا رضى الله عنه وقف على صفوان وناداه أنت سيد من

المناسب بحسب الظاهر أن يقول وأما الباطنان فنهر كذا ونهر كذا وهذا السياق يدل على أن النيل والفرات يجريان فى الجنة ويجاوزانها وان ما عداهما كسيحان وجيحان بناء على انهما ينبعان من أصل شجرة المنتهى يغيبان فيها ولا يجاوزانها والنيل نهر مصر والفرات نهر الكوفة ويحتمل ان النهرين اللذين هما ما عدا النيل والفرات بناء على انهما سيحان وجيحان يبطنان فى الجنة ولا يظهران الا بعد خروجهما منها الى وجودهما فى الخارج بخلاف النيل والفرات فانهما يستمران ظاهرين فيها الى أن يخرجا منها وقد جاء فى حديث ما من يوم الا وينزل ماء من الجنة فى الفرات قال بعضهم ومصداقه أن الفرات مد فى بعض السنين فوجد فيه رمان كل واحدة مثل البعير فيقال انه رمان الجنة وهذا الحديث ذكره ابن الجوزى فى الاحاديث الواهية وفى حديث موقوف على ابن عباس اذا كان خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله تعالى جبريل فرفع من الارض هذه الانهار والقرآن والعلم والحجر والمقام وتابوت موسى بما فيه الى السماء هذا وفى بعض الروايات ما يدل على ان سيحان وجيحان لا ينبعان من أصل شجرة المنتهى فليساهما المراد بالباطنين وعن مقاتل الباطنان السلسبيل والكوثر أى ومعنى كونهما باطنين انهما لم يخرجا من الجنة أصلا ومعنى كون النيل والفرات ظاهرين انهما يخرجان منها وفى السيرة الشامية لم يثبت فى سيحان وجيحان أنهما ينبعان من أصل شجرة المنتهى فيمتاز النيل والفرات عليهما بذلك وأما الباطنان المذكوران اى فى الحديث فهما غير سيحان وجيحان قال القرطبى ولعل ترك ذكرهما اى سيحان وجيحان فى حديث الاسراء كونهما ليسا أصلا برأسهما وانما يحتمل ان يتفرعا عن النيل والفرات هذا كلامه ولعل المراد أنهما يتفرعان عنهما بعد خروجهما من الجنة فهما لم يخرجا من أصل السدرة ولا يبطنان فى الجنة أصلا قال واذا فيها فى تلك الشجرة عين اى فى أصلها أيضا يقال لها السلسبيل فينشق منها نهران أحدهما الكوثر والآخر يقال له نهر الرحمة فاغتسلت منه فغفر لى ما تقدم من ذنبى وما تأخر انتهى اى فهما يخرجان من أصل سدرة المنتهى لكن لا من المحل الذى يخرج منه النيل والفرات وحينئذ يحسن القول بأنه يخرج من أصل تلك الشجرة أربعة أنهار نهران ظاهران ونهران باطنان وفى جعل الكوثر قسيما من السلسبيل يخالفه جعله قسيما له كما تقدم عن مقاتل فالباطنان الكوثر ونهر الرحمة فالانهار التى تخرج من أصل سدرة المنتهى أربعة بناء على ان سيحان وجيحان لا يخرجان منها أو ستة بناء على انهما يخرجان منها وعلى الاول لا ينافى قول القرطبى ما فى الجنة نهر الا ويخرج من أصل سدرة المنتهى لان المراد ما خروجه بنفسه أو أصله الذى يتفرع منه بناء على ما تقدم من أن سيحان وجيحان يتفرعان عن النيل والفرات ولا ينافى ما عند مسلم يخرج من أصلها يعنى سدرة المنتهى أربعة أنهار من الجنة وهى النيل والفرات وسيحان وجيحان ولا ما عند الطبرانى سدرة المنتهى يخرج من أصلها أربعة انهار

سادا تنا أرأيت الذى كنا عليه من عبادة حجر والذبح له أهذا دين أشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله فلم يجبه صفوان بكلمة وعند فتح مكة هو الذى استأمن النبى صلى الله عليه وسلم لصفوان ثم أسلم صفوان رضى الله عنه عند تقسيم غنائم حنين بالجعرانة حين أعطاه صلى الله عليه وسلم واديا مملوءا من النعم فقال أشهد أن الملوك لا تطيب نفوسهم بهذا ولا تطيب به الا نفوس الانبياء أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسن اسلامه وصار من فضلاء الصحابة رضى الله عنه وكان يسمى سيد البطحاء وكان من فصحاء قريش (ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم) على نفر من الاسرى بغير فداء منهم أبو عزة عمرو الجمحى الشاعر كان يؤذى النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمين بشعره فقال يا رسول الله انى فقير

من ماء غير آسن ومن لبن لم يتغير طعمه ومن خمر لذة للشاربين ومن عسل مصفى وعن كعب الاحبار ان نهر العسل نهر النيل اى ويدل لذلك قول بعضهم لولا دخول بحر النيل فى البحر الملح الذى يقال له البحر الاخضر قبل أن يصل الى بحيرة الزنج ويختلط بملوحته لما قدر أحد على شربه لشدة حلاوته ونهر اللبن نهر جيحان ونهر الخمر نهر الفرات ونهر الماء نهر سيحان لان غاية ذلك سكوته عن النهرين الآخرين وهما الكوثر ونهر الرحمة ومعنى كونها تخرج من أصل سدرة المنتهى من الجنة انه يحتمل أن تكون سدرة المنتهى مغروسة فى الجنة والانهار تخرج من أصلها فصح أنها من الجنة هكذا ذكره العارف ابن أبى جمرة ولم أقف على مايدل على ثبوت هذا الاحتمال اى ان سدرة المنتهى مغروسة فى الجنة ولا حاجة لهذا الاحتمال فى تصحيح هذه الرواية لان المعنى أن تلك الانهار تخرج من أصل تلك الشجرة ثم تكون خارجة من الجنة ثم لا يخفى ان فى كلام القاضى عياض أن سيحان يقال فيه سيحون وجيحان يقال فيه جيحون ويخالفه قول صاحب النهاية اتفقوا كلهم على ان جيحون غير جيحان وسيحون غير سيحان ومن ثم أنكر الامام النووى على القاضى عياض حيث قال الثانى اى من وجوه الانكار على القاضى قوله سيحان وجيحان ويقال سيحون وجيحون فجعل الاسماء مترادفة وليس كذلك فسيحان وجيحان غير سيحون وجيحون هذا كلامه وذكر صاحب النهاية أن جيحون نهر وراء خراسان عند بلخ وسكت عن بيان سيحون فليتأمل قال والذى غشى الشجرة فراش من ذهب والفراش هو الحيوان الذى يلقى نفسه فى السراج ليحترق وملائكة على ورقة ملك يسبح الله تعالى وملائكة اى آخرون يغشونها كأنهم الغربان يأوون اليها متشوقين اليها متبركين بها زائرين كما يزور الناس الكعبة انتهى ورأى صلى الله عليه وسلم جبريل عند تلك السدرة على الصورة التى خلقه الله عز وجل عليها له ستمائة جناح كل جناح منها قد سد الافق يتناثر من أجنحته تهاويل الدر والياقوت مما لا يعلمه الا الله عز وجل وغشيت تلك السدرة سحابة فتأخر جبريل عليه الصلاة والسلام ثم عرج به صلى الله عليه وسلم اى فى تلك السحابة حتى ظهر لمستوى سمع فيه صريف الاقلام وفى رواية صريف اى صوت حركتها حال الكتابة اى ماتكتبه الملائكة من الاقضية وهذا السياق يدل على ان جبريل لم يتعد سدرة المنتهى ويدل على ماتقدم من ان سدرة المنتهى فوق السماء السابعة الى آخر ماتقدم وهو الموافق لقول بعضهم انها على يمين العرش وفى رواية ثم انطلق بى اى جبريل الى ظهر السماء السابعة حتى انتهى الى نهر عليه خيام الياقوت واللؤلؤ والزبرجد وعليه طير أخضر نعم الطير رأيت قال جبريل هذا الكوثر الذى أعطاك الله فاذا فيه آنية الذهب والفضة يجرى على رضاض من الياقوت والزمرذ بالذال المعجمة كما تقدم وماؤه أشد بياضا من اللبن فأخذت من آنيته واغترفت من ذلك فشربت فاذا هو أحلى من العسل وأشذا رائحة من المسك (أقول) قد تقدم ان هذا النهر

من

وذو عيال وحاجة قد عرفتها فامنن على صلى الله عليك وسلم فمن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية قال له انّ لى خمس بنات ليس لهن شئ فتصدق بى عليهن ففعل واطلقه وأخذ عليه عهدا أن لا يظاهر عليه أحدا ولما وصل الى مكة قال سحرت محمدا ورجع لما كان عليه من الايذاء بشعره ولما كان يوم أحد خرج مع المشركين يحرض على قتال المسلمين بشعره فأسر فأمر النبى صلى الله عليه وسلم بضرب عنقه فقال أعتقنى واطلقنى فانى تائب فقال صلى الله عليه وسلم لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين فضربت عنقه وحمل رأسه الى المدينة وأنزل الله فيه وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم (ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم) من طرح اهل القليب فى قليبهم أرسل عبد الله بن رواحة

من العين التي تخرج من سدرة المنتهى التي يقال لها السلسبيل اى فهو يخرج من تلك الشجرة ويجرى الى ماذكر ثم يدخل الجنة ويستقر بها فلا ينافى كون الكوثر نهرا فى الجنة وان السلسبيل عين فى الجنة لان السلسبيل على ماتقدم أصل الكوثر والله أعلم وفى رواية انها أى سدرة المنتهى فى السماء السادسة واليها ينتهى مايعرج من الارض فيقبض منها واليها ينتهى مايهبط من فوقها فيقبض منها وعندها تقف الحفظة وغيرهم فلا يتعدونها ومن ثم سميت سدرة المنتهى وعن تفسير ابن سلام عن بعض السلف قال انما سميت سدرة المنتهى لان روح المؤمن ينتهى بها اليها فتصلى عليها هنالك الملائكة المقربون وجمع الحافظ ابن حجر بين كون سدرة المنتهى فى السادسة وكونها فى السابعة بان أصلها فى السادسة واغصانها فى السابعة اى فوق السابعة اى جاوزت السابعة فلا ينافى القول بأنها فوق السابعة على ماتقدم وهذا الحل المقتضى لكون اصلها فى السادسة لا يناسب كون الانهار تخرج من أصلها الى آخر ماتقدم ويروى ان جبريل لما وصل الى مقامه وهو سدرة المنتهى فوق السماء السابعة قال له صلى الله عليه وسلم ها أنت وربك هذا مقامى لا أتعداه فزج بى فى النور اى لما غشيته تلك السحابة ويعبر عن تلك السحابة بالرفرف قال الشيخ عبد الوهاب الشعرانى وهو نظير المحفة عندنا وفى تاريخ الشيخ العينى شارح البخارى عن مقاتل بن حيان قال انطلق بى جبريل حتى انتهى الى الحجاب الاكبر عند سدرة المنتهى قال جبريل تقدم يا محمد قال فتقدمت حتى انتهيت الى سرير من ذهب عليه فراش من حرير الجنة فنادى جبريل من خلفى يا محمد ان الله يثنى عليك فاسمع وأطع ولا يهولنك كلامه فبدأت بالثناء على الله عز وجل الحديث اى وفى ذلك النور المستوى الذى يسمع فيه صريف الاقلام ثم العرش والرفرف والرؤية وسماع الخطاب وفى رواية أنه لما وقف جبريل قال له صلى الله عليه وسلم فى مثل هذا المقام يترك الخليل خليله قال ان تجاوزت احترقت بالنار فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا جبريل هل لك من حاجة الى ربك قال يا محمد سل الله عز وجل لى ان أبسط جناحى على الصراط لامتك حتى يجوز واعليه قال ثم زج بى فى النور فخرق بى الى سبعين الف حجاب ليس فيها حجاب يشبه حجابا غلظ كل حجاب خمسمائة عام وانقطع عنى حس كل ملك فلحقنى عند ذلك استيحاش فعند ذلك نادى مناد بلغة أبى بكر رضى الله تعالى عنه قف ان ربك يصلى فبينا أنا أتفكر فى ذلك اى فى وجود أبى بكر فى هذا المحل وفى صلاة ربى فأقول هل سبقنى أبو بكر وكيف يصلى ربى وهو غنى عن أن يصلى كما يدل على ذلك ما يأتى فاذا النداء من العلى الاعلى ادن يا خير البرية أدن يا أحمد ادن يا محمد فأدنانى ربى حتى كنت كما قال عز وجل ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين او أدنى وفى الخصائص الصغرى وخص بالاسراء وما تضمنه من اختراق السموات السبع والعلو الى قاب قوسين ووطئه مكانا ما وطئه نبى مرسل ولا ملك مقرب وهذه الرواية كلام

رضى الله عنه بشيرا لاهل العالية وهو موضع قريب من المدينة وزيد بن حارثة رضى الله عنه بشيرا لاهل السافلة بما فتح الله على رسوله والمسلمين وأركب صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة ناقته القصواء وقيل العضباء فجعل عبد الله بن رواحة رضى الله عنه ينادى فى أهل العالية يا معشر الانصار أبشروا بسلامة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتل المشركين وأسرهم ونادى زيد ابن حارثة فى أهل السافلة بذلك ويقولان قتل فلان وأسر فلان وفلان من أشراف قريش فصار عدو الله كعب بن الاشرف اليهودى يكذبهما ويقول ان كان محمد قتل هؤلاء فبطن الارض خير من ظهرها قال اسامة بن زيد رضى الله عنهما فأتانا الخبر بالمدينة حين سوينا التراب على رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنها

الخصائص تدل على أن فاعل دنى وتدلى واحد وكان هو صلى الله عليه وسلم وحينئذ يكون معنى تدلى زاد فى القرب وجعل بعض العلماء من جملة ما خالف شريك فيه المشهور من الروايات أنه جعل فاعل دنى فتدلى الحق سبحانه وتعالى اى دنى الجبار رب العزة فتدلى حتى كان من محمد صلى الله عليه وسلم قاب قوسين او أدنى ثم رأيت الحافظ ابن حجر ذكر عن البيهقى انه روى بسند حسن ما يوافق ما ذكر شريك ومعلوم ان معنى الدنو والتدلى الواقعين من الله سبحانه وتعالى كمعنى النزول منه فى ينزل ربنا تبارك وتعالى الى سماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الاخير وهو اى ذلك عند أهل الحقائق من مقام التنزل بمعنى انه تعالى يتلطف بعباده ويتنزل فى خطابه لهم فيطلق على نفسه ما يطلقونه على أنفسهم فهو فى حقهم حقيقة وفى حقه تعالى مجاز ورأيت بعضهم ذكر ان فاعل دنى جبريل وفاعل تدلى محمد صلى الله عليه وسلم اى سجد لربه سبحانه وتعالى شكرا على ما أعطى من الزلفى ورأيت بعضا آخر ذكر ان فاعل تدلى الرفرف وفاعل دنى محمد صلى الله عليه وسلم اى تدلى الرفرف لمحمد صلى الله عليه وسلم حتى جلس عليه ثم دنى محمد صلى الله عليه وسلم من ربه سبحانه وتعالى اى قرب قرب منزلة وتشريف لاقرب مكان تعالى الله عز وجل عن ذلك قال صلى الله عليه وسلم وسألنى ربى فلم استطع أن أجيبه عز وجل فوضع يده عز وجل بين كتفى بلا تكييف ولا تحديد اى يد قدرته تعالى لانه سبحانه منزه عن الجارحة فوجدت بردها فأورثنى علم الاولين والآخرين وعلمنى علوما شتى فعلم أخذ على كتمانه اذ علم انه لا يقدر على حمله غيرى وعلم خيرنى فيه وعلم امرنى بتبليغه الى العام والخاص من أمتى وهى الانس والجن اى وكذلك الملائكة على ما تقدم (أقول) هذا التفصيل يدل على ان العلوم الشتى هى هذه العلوم الثلاثة الا ان يقال كل علم من هذه الثلاثة يشتمل على أنواع من العلوم والله أعلم قال صلى الله عليه وسلم ثم قلت اللهم انه لما لحقنى استيحاش سمعت مناديا ينادى بلغة تشبه لغة أبى بكر فقال لى قف فان ربك يصلى فعجبت من هاتين هل سبقنى أبو بكر الى هذا المقام وان ربى لغنى ان يصلى فقال تعالى انا الغنى عن أن أصلى لاحد وانما اقول سبحانى سبقت رحمتى غضبى اقرأ يا محمد هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيما فصلاتى رحمة لك ولامتك وأما أمر صاحبك يا محمد فان أخاك موسى كان أنسه بالعصا فلما أردنا كلامه قلنا وما تلك بيمينك يا موسى قال هى عصاى وشغل بذكر العصا عن عظيم الهيبة وكذلك أنت يا محمد لما كان أنسك بصاحبك أبى بكر خلقنا ملكا على صورته ينادى بلغته ليزول عنك الاستيحاش لما يلحقك من عظم الهيبة (اقول) لعل المراد خلقنا صورة على صورته صوته لانه ليس فى الرواية انه رأى ذلك الملك على صورة أبى بكر وانما سمع صوته والله أعلم ثم قال الله عز وجل يا محمد وأين حاجة جبريل فقلت اللهم انك أعلم فقال يا محمد قد أجبته فيما سأل ولكن فيمن أحبك وصحبك (أقول) لعل المراد بمن صحبك من

زوج عثمان رضى الله عنه وكان عمرها عشرين سنة ثم زوجه صلى الله عليه وسلم ابنته الاخرى أم كلثوم وتوفيت عنده أيضا رضى الله عنها فقال صلى الله عليه وسلم زوجوا عثمان لو كان لى ثالثة لزوجته اياها وما زوجته الا بوحى من الله وفى رواية لو أن لى أربعين زوجتك واحدة بعد واحدة حتى لا تبقى منهن واحدة قال العلامة الحلبى وام عثمان بنت عمته صلى الله عليه وسلم أروى بنت عبد المطلب توأمة عبد الله أبى النبى صلى الله عليه وسلم ولما جاء زيد بن حارثة بشيرا قال رجل من المنافقين لأبى لبابة رضى الله عنه قد تفرق أصحابكم تفرقا لا يجتمعون بعده أبدا وقد قتل محمد وغاب أصحابه وهذه ناقته عليها زيد بن حارثة لا يدرى ما يقول من الرعب قال اسامة فبلغنى ذلك فجئت حتى خلوت بأبى وسألته عما

كان تابعا لك فى دينك عاملا بسنتك اى وهو مراد جبريل بأمته صلى الله عليه وسلم فى
قوله ان أبسط جناحى لامتك على الصراط والله أعلم وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم
لما رأى الحق سبحانه وتعالى خر ساجدا قال صلى الله عليه وسلم فأوحى الله عز وجل الى
ما أوحى وقد ذكر الثعلبى والقشيرى فى تفسير قوله تعالى فأوحى الى عبده ما أوحى أن
من جملة ما أوحى اليه أن الجنة حرام على الانبياء حتى تدخلها يا محمد وعلى الامم حتى
تدخلها أمتك قال القشيرى واوحى اليه خصصتك بحوض الكوثر فكل أهل الجنة
أضيافك بالماء ولهم الخمر واللبن والعسل ففرض على خمسين صلاة فى كل يوم وليلة (أقول)
تقدم ان من جملة ما أوحى اليه فى هذا الموطن من القرآن خواتيم سورة البقرة وبعض
سورة الضحى وبعض ألم نشرح وقد تقدم ذلك عند الكلام على أنواع الوحى وقدمنا
أنه يضم لذلك هو الذى يصلى عليكم وملائكته الآية على ما تقدم هذا وفى حديث
رواته ثقات لما وصلت الى السماء السابعة قال لى جبريل عليه السلام رويدا أى قف
قليلا فان ربك يصلى قلت أهو يصلى وفى لفظ كيف يصلى وفى لفظ آخر قلت يا جبريل
ايصلى ربك قال نعم قلت وما يقول قال يقول سبوح قدوس رب الملائكة والروح سبقت
رحمتى غضبى ولا مانع من تكرر وقوع ذلك له صلى الله عليه وسلم من جبريل ومن غيره فى
السماء السابعة وفيما فوقها لكن يبعد تعجبه صلى الله عليه وسلم من كونه عز وجل يصلى
فى المرة الثانية وما بعدها وورد ان بنى اسرائيل سألوا موسى هل يصلى ربك فبكى موسى
عليه الصلاة والسلام لذلك فقال الله تعالى يا موسى ما قالوا لك فقال قالوا الذى سمعت
قال أخبرهم انى أصلى وان صلاتى تطفئ غضبى والله اعلم قال صلى الله عليه وسلم فنزلت
الى موسى اى وفى رواية ثم انجلت تلك السحابة اى عند وصوله الى سدرة المنتهى الذى هو
المحل الذى وقف فيه جبريل فأخذ بيده جبريل فانصرف سريعا فأتى على ابراهيم فلم يقل
شيأ ثم أتى على موسى ○ وهذا يدل على ما هو المشهور فى الروايات أن ابراهيم عليه الصلاة
والسلام كان فى السابعة وموسى كان فى السادسة لا على غير المشهور ان ابراهيم عليه
السلام كان فى السادسة وموسى كان فى السابعة كما تقدم ولما أتى الى موسى عليه الصلاة
والسلام قال له ما فرض ربك عليك اى وفى لفظ بم أمرت قال خمسين صلاة قال ارجع الى
ربك فاسأله التخفيف فان أمتك لا تطيق ذلك فانى بلوت بنى اسرائيل وخبرتهم اى وفى
البخارى ان أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم وانى والله قد جربت الناس قبلك
وعالجت بنى اسرائيل أشد المعالجة اى فانه فرض عليهم صلاتان فما قاموا بهما اى
ركعتان بالغداة وركعتان بالعشى وقيل فرض ركعتان عند الزوال اى فما قاموا بذلك
وفى تفسير البيضاوى ان الذى فرض على بنى اسرائيل خمسون صلاة فى اليوم والليلة
وسيأتى ذكر ذلك فى بعض الروايات ويرده قولهم ان سبب طلب التخفيف أنه استكثر
الخمس التى هى المرة الاخيرة فهو انما يناسب ما تقدم ثم رأيت القاضى البيضاوى

يقول ذلك الرجل وقالت أحق
ما تقول قال اى والله انه لحق
ما أقول يا بنى فقويت نفسى
ورجعت الى ذلك المنافق فقلت
أنت المرجف برسول الله صلى
الله عليه وسلم لنقدمنك الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
قدم فيضرب عنقك فقال انما
هو شئ سمعته من الناس يقولونه
ثم أقبل صلى الله عليه وسلم راجعا
الى المدينة ولما خرج من مضيق
الصفراء قسم الغنيمة ونادى
مناديه من قتل قتيلا فله سلبه ومن
أسر اسيرا فهو له وكان قد نادى
بمثل ذلك حين القتال للتحريض
على القتال والترغيب فيه وأسهم
لجماعة قد تخلفوا بأمر منه صلى
الله عليه وسلم منهم عثمان بن عفان
رضى الله عنه تخلف لتمريض
رقية بنت النبى صلى الله عليه وسلم
ورضى عنها فهو معدود من أهل
بدر وان لم يحضر كما أخبر بذلك
النبى صلى الله عليه وسلم وجعل له
سهما فى الغنيمة ومنهم أبو لبابة

قال في تفسير قوله تعالى ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ان من ذلك الاصر الذي كلفت به بنو اسرائيل خمسون صلاة في اليوم والليلة وكتب عليه الجلال السيوطي في الحاشية ان كون بني اسرائيل كلفوا بخمسين صلاة في اليوم والليلة باطل وبسط الكلام على ذلك ثم قال موسى فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك اى وانما كانت أمته مأمورة بما أمر به ومفروض عليها ما فرض عليه لان الفرض عليه صلى الله عليه وسلم فرض على أمته والامر له صلى الله عليه وسلم أمر لها الا ان الاصل أن ما ثبت في حق كل نبي ثبت في حق أمته الا أن يقوم الدليل على الخصوصية قال فرجعت الى ربي اى انتهيت الى الشجرة فغشيته السحابة وخررت ساجدا فقلت يارب خفف عن أمتي فحط عني خمسا فرجعت الى موسى فقلت حط عني خمسا قال ان أمتك لا تطيق ذلك فارجع الى ربك واسأله التخفيف قال فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى صلى الله عليه وسلم حتى قال الله تعالى يا محمد انهن خمس صلوات في كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت عليه سيئة واحدة قال صلى الله عليه وسلم فنزلت حتى انتهيت الى موسى فأخبرته فقال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فقلت قد رجعت الى ربي حتى استحييت منه اى وفي رواية أنه وضع عنه عشر صلوات عشر صلوات الى أن أمر بخمس صلوات وجاء في الحديث اكثروا من الصلاة على موسى فما رأيت احدا من الانبياء أحوط على أمتي منه (أقول) في الوفاء ان رواية وضعت خمس صلوات من افراد مسلم ورواية وضع عنه عشر صلوات أصح لانه قد اتفق البخاري ومسلم عليها والرواية التي فيها حط خمسا خمسا غلط من الرواة هذا كلامه فليتأمل والمتبادر من قوله الى أن امر بخمس صلوات انه رفع التعلق بجميع الخمسين وأثبت تعلقا جديدا بخمس ليست من الخمسين فالمنسوخ جميع الخمسين ويحتمل انه رفع التعلق بجملة الخمسين مع اثبات التعلق بخمسة منها التي هي بعضها فيكون المنسوخ ما عدا الخمس من الخمسين قيل وفي هذا وقوع النسخ قبل البلاغ وقد اتفق أهل السنة والمعتزلة على منعه ورد بأن هذا وقع بعد البلاغ بالنسبة للنبي صلى الله عليه وسلم لانه كلف بذلك ثم نسخ فقد قال شيخ الاسلام زكريا الانصاري رحمه الله تعالى وما قيل ان الخمس في ليلة الاسراء ناسخة للخمسين انما هو في حقه صلى الله عليه وسلم لبلوغه له لا في حق الامة اى لعدم بلوغه لهم هذا كلامه واذا نسخ في حقه صلى الله عليه وسلم نسخ في حق أمته كما هو الاصل الا أن تثبت الخصوصية بدليل صحيح وهذا يرد ما في الخصائص الصغرى للسيوطي رحمه الله تعالى من أن وجوب الخمسين لم ينسخ في حقه صلى الله عليه وسلم وانما نسخ في حق الامة ولعل مستنده في ذلك رواية فرض الله على أمتي ليلة الاسراء خمسين صلاة فلم أزل أراجعه واسأله التخفيف حتى جعلها خمسا في كل يوم وليلة اى على

الامة

وفي الله عنه مخلفه صلى الله عليه وسلم على أهل المدينة وعاصم ابن عدى خلفه على أهل قباء والعالية ومنهم من أرسله لكشف أمر العدو وتجسس خبره فلم يحضر القتال وهما الاوقد انقضى طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد ومنهم الحرث بن حاطب أمره النبي صلى الله عليه وسلم على بني عمرو بن عوف ولما قارب رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة خرج المسلمون للقائه وتهنئته بما فتح الله عليه وتلاقوا معه بالروحاء وتلقته الولائد عند دخول المدينة يقلن

طلع البدر علينا
من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا
ما دعا لله داعى

وتلقاه أسيد بن حضير وقال الحمد لله الذي أظفرك وأقر عينك (وأما أهل مكة) فأول من قدم عليهم بمصاب قريش الحيسمان

الامة كما هو المتبادر وقول موسى عليه الصلاة والسلام له صلى الله عليه وسلم ان أمتك لا تطيق ذلك وربما يوافق ذلك قول الامام السبكي فى تائيته

وقد كان رب العالمين مطالبا * بخمسين فرضا كل يوم وليلة
فأبقيت أجر الكل ما اختل ذرة * وخففت الخمسون عنا بخمسة

وفيه النسخ قبل التمكن من الفعل وهو يرد قول المعتزلة القائلين بأنه لا يجوز النسخ قبل التمكن من الفعل ودخول وقته والظاهر من الخمسين التى فرضت اولا ان كل صلاة من الخمس تكرر عشر مرات فما زاد على الخمس صلواتها ويحتمل أن تكون صلوات أخر مغايرة لتلك الخمس ولم أقف على بيان تلك الصلوات وعلى ان الخمسين لم تنسخ فى حقه صلى الله عليه وسلم لم اقف على ما يدل على انه صلى الله عليه وسلم صلاها ولا على كيفية صلاته صلى الله عليه وسلم لها والى عروجه صلى الله عليه وسلم ورجوعه أشار صاحب الهمزية بقوله

وطوى الارض سائرا والسموا * ت العلا فوقها له اسراء
فصف الليلة التى كان للمختـ * ـتار فيها على البراق استواء
وترقى به الى قاب قوسيـ * ـن وتلك السيادة القعساء
رتب تسقط الامانى حسرى * دونها ما وراءهن وراء
وتلقى من ربه كلمات * كل علم فى شمسهن هباء
زاخرات البحار يغرق فى قطـ * ـرتها العالمون والحكماء

اى وطوى الارض حالة كونه صلى الله عليه وسلم سائرا عليها الى المدينة عند الهجرة كما طويت له صلى الله عليه وسلم قبل ذلك السموات العلا لما كان له صلى الله عليه وسلم فوقها اسراء اى ليلة الاسراء الى ان جاوزها جميعها فى أسرع وقت فصف تلك الليلة التى كان للمختار فيها على البراق استواء واستقرار وصعد به ذلك البراق الى مقدار قاب قوسين وتلك الرتبة التى وصل اليها صلى الله عليه وسلم هى السعادة الثابتة التى لا يعتريها نقص ولا زوال وهذه رتب تسقط دونها الامانى حسرى ذات اعياء وتعب ما قدامهن قدام اى ليس بعدها من رتبة ينالها أحد غيره صلى الله عليه وسلم وتلقى من ربه كلمات ماعداها بالنسبة اليها كالهباء وهو ما يرى فى ضوء الشمس وبث سبحانه وتعالى اليه علوما لا يدرك العلماء والحكماء شذرة منها وكونه صلى الله عليه وسلم صعد السموات على البراق يوافقه ما فى حياة الحيوان ان قيل لم عرج بالنبى صلى الله عليه وسلم الى السماء على البراق ولم ينزل عند منصرفه عليه فالجواب انه عرج به الى دار الكرامة ولم ينزل به عليه اظهارا لقدرة الله تعالى هذا كلامه فليتأمل وتقدم عن الحافظ ابن كثير انكار صعوده صلى الله عليه وسلم على البراق وقد جاء كان موسى أشدهم على حين مررت عليه وخيرهم الى حين رجعت ونعم الصاحب كان لكم اى فانه صلى الله عليه وسلم كما تقدم لما جاوزه عند الصعود بكى

ابن اياس الخزاعى رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك فلما جاء مكة صار يحدثهم بما شاهده ويقول قتل عتبة وشيبة وابو الحكم وامية وفلان وفلان من اشراف قريش واسر فلان وفلان فقال صفوان ابن امية وكان جالسا فى الحجر والله ما يعقل هذا سلوه عنى فسألوه قالوا له ما فعل صفوان بن أمية فقال هو ذاك جالس فى الحجر وقد رأيت أباه واخاه حين قتلا ثم قدم ابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وهو ابن عم النبى صلى الله عليه وسلم وأخوه من الرضاع ارتضع معه من حليمة رضى الله عنها وكان مشركا من أشد الناس على النبى صلى الله عليه وسلم ثم أسلم رضى الله عنه وحسن اسلامه وهاجر مع عمه العباس والتقيا مع النبى صلى الله عليه وسلم بالابواء وهو متوجه الى فتح مكة فلما قدم ابو سفيان بن الحرث على

فنودى ما يبكيك قال رب هذا غلام اى لانه صلى الله عليه وسلم كان حديث السن بالنسبة لموسى صلى الله عليه وسلم هذا هو المناسب للمقام بعثته بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخل من أمتى وفى رواية تزعم بنو اسرائيل اى وهو يعقوب بن اسحق عليهما الصلاة والسلام ومعنى اسرائيل عبد الله وقيل صفوة الله وفى لفظ تزعم الناس انى أكرم على الله منى ولو كان هذا وحده هان ولكن معه أمته وهم افضل الامم عند الله تعالى اى انضم الى شرفه شرف أمته على سائر الامم (اقول) والغرض من هذا وما تقدم عنه عند مروره صلى الله عليه وسلم على قبره عليه الصلاة والسلام عند الكثيب الاحمر اظهار فضيلة نبينا صلى الله عليه وسلم وفضيلة أمته بانه افضل الانبياء وامته أفضل الامم وفى رواية عن ابن عمر كانت الصلاة خمسين والغسل من الجنابة سبع مرات وغسل الثوب من البول سبع مرات ولم يزل صلى الله عليه وسلم يسأل حتى جعلت الصلاة خمسا وغسل الجنابة مرة وغسل الثوب من البول مرة قال وعن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة اسرى بى مكتوبا على باب الجنة الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر فقلت لجبريل ما بال القرض افضل من الصدقة قال لان السائل يسأل وعنده والمستقرض لا يستقرض الا من حاجة انتهى هذا والراجح عند أئمتنا ان درهم الصدقة افضل من درهم القرض وبيان كون درهم القرض بثمانية عشر درهما ان درهم القرض بدرهمين من دراهم الصدقة كما جاء فى بعض الروايات ودرهم الصدقة بعشرة تصير الجملة عشرين ودرهم القرض يرجع للمقرض بدله وهو بدرهمين من عشرين يتخلف ثمانية عشر وعرضت عليه صلى الله عليه وسلم النار فاذا فيها غضب الله تعالى اى نقمته لو طرحت فيها الحجارة والحديد لاكلتهما وفى هذه الرواية زيادة على ما تقدم وهى فاذا قوم يأكلون الجيف فقال صلى الله عليه وسلم من هؤلاء يا جبريل فقال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس اى وتقدم انه صلى الله عليه وسلم رأى هؤلاء فى الارض وان لهم اظفارا من حديد يخمشون بها وجوههم وصدورهم ورآهم فى السماء الدنيا وأنهم يقطعون اللحم من جنوبهم فيلقمونه ولينظر ما الحكمة فى تكرير رؤية هؤلاء دون غيرهم من بقية أهل الكبائر الذين رآهم فى الارض وفى السماء الدنيا ولعل الحكمة فى ذلك المبالغة فى الزجر عن الغيبة لكثرة وقوعها ورأى فيها رجلا أحمر أزرق فقال من هذا يا جبريل فقال هذا عاقر الناقة اى ولعل دخول الجنة وعرض النار عليه صلى الله عليه وسلم كان قبل ان تغشاه السحابة ويزج به فى النور ولا مانع من ان تعرض عليه النار وهو فوق السماء السابعة وهى فى الارض السابعة (اقول) ونقل القرطبى فى تفسيره عن الثعلبى عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة اسرى بى الى السماء تحت العرش سبعين مدينة كل مدينة مثل دنيا كم هذه سبعين مرة مملوآت من الملائكة

يسبحون

أهل مكة بعد وقعة بدر سأله عه
أبولهب عن خبر قريش فقال هل
الى عندى الخبر والله ماهو الا أن
لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا
يقتلوننا كيف شاؤا ويأسروننا
كيف شاؤا وايم الله مع ذلك
مالمت الناس لقينا رجالا بيضا
على خيل بلق بين السماء والارض
والله لا تقوم لها شئ اى لا يقاومها
شئ فقال ابو رافع مولى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكان ذلك
الوقت مولى للعباس رضى الله
عنه ثم وهبه للنبى صلى الله عليه
وسلم فقلت له والله تلك الملائكة
فرفع ابولهب يده فضربنى فى
وجهى ضربة شديدة وثاورنى
فاحتملنى وضرب بى الارض ثم
برك على يضربنى فقامت ام
الفضل زوج العباس رضى الله
عنها وهى لبابة بنت الحرث الهلالية
أخت ميمونة أم المؤمنين رضى
الله عنها وكانت من السابقات

يسبحون الله عز وجل ويقدسونه ويقولون في تسبيحهم اللهم اغفر لمن شهد الجمعة أي صلاتها اللهم اغفر لمن اغتسل يوم الجمعة أي لصلاتها وهذا يفيد أن هذه التسمية أي تسمية ذلك اليوم بيوم الجمعة معروفة عند الملائكة وعنده صلى الله عليه وسلم وهو يوافق ماقيل ان المسمى لها بذلك كعب بن لؤي كما تقدم ويخالف ماسيأتي من ان تسمية ذلك اليوم بيوم الجمعة هداية من الله عز وجل للمسلمين بالمدينة وانه لما ارسل اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يصلوها في ذلك اليوم لم يسمه بيوم الجمعة بل اقتصر على قوله اليوم الذي يليه اليوم الذي تجهر فيه اليهود بالزبور لسبتهم اي في اكثر الروايات والا فقد رأيت السهيلي ذكر حديثا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه سمى ذلك اليوم يوم الجمعة ونصه كتب صلى الله عليه وسلم الى مصعب بن عمير أما بعد فانظر اليوم الذي يليه اليوم الذي تجهر فيه اليهود بالزبور لسبتهم فاجمعوا نساءكم وأبناءكم فاذا مال النهار عن شطره عند الزوال من يوم الجمعة فتقربوا الى الله تعالى فيه بركعتين فعلى أكثر الروايات يجوز أن يكون اخباره صلى الله عليه وسلم بذلك هنا اي في قصة المعراج كان بعد التسمية وصلاة الجمعة وعبر بهذه العبارة لكونها عرفت لهم فيكون الذي سمعه من الملائكة يوم العروبة مثلا والله أعلم * قال ورأى صلى الله عليه وسلم مالكا خازن النار فاذا هو رجل عابس يعرف الغضب في وجهه فبدأ النبي صلى الله عليه وسلم اي بالسلام ثم اغلقت دونه انتهى وفي الاصل وفي حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وقد رأيتني اي يخبر انه صلى الله عليه وسلم رأى نفسه في جماعة من الانبياء فحانت الصلاة اي حضرت ارادة الصلاة فأممتهم اي صليت بهم اماما قال قائل يا محمد هذا مالك خازن النار فسلم عليه فبدأني بالسلام قال وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل مالي لم آت لاهل سماء الا رحبوا بي وضحكوا الا غير واحد سلمت عليه فرد علي السلام ورحب بي ودعا لي ولم يضحك الي قال ذلك مالك خازن النار لم يضحك منذ خلق ولو ضحك لاحد لضحك اليك انتهى (اقول) وهذا السياق يدل على ان ضحك من لقيه من الانبياء والملائكة في السموات له صلى الله عليه وسلم سقط من جميع روايات المعراج اذ لم يذكر في شئ منها على ما علمت ويدل على ان مالكا خازن النار وجده في السماء السابعة وانه مرة بدأ النبي صلى الله عليه وسلم بالسلام ومرة بدأه النبي صلى الله عليه وسلم بالسلام والمناسب ان يكون في المرة الاولى هو الذي بدأ النبي صلى الله عليه وسلم بالسلام وهو عند الباب ثم رأيت الطيبي صرح بذلك حيث قال انما بدأ خازن النار بالسلام عليه ليزيل ما استشعر من الخوف منه لما ذكر من انه رأى رجلا عابسا يعرف الغضب في وجهه فلا ينافيه ما ذكره السهيلي من انه صلى الله عليه وسلم لم يره على الصورة التي يراه عليها المعذبون في الآخرة ولو رآه عليها لم يستطع ان ينظر اليه وقوله صلى الله عليه وسلم لم آت اهل سماء الى آخره قد يعارضه ما جاء انه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل مالي لم أر ميكائيل ضاحكا قال ما ضحك

للاسلام كما تقدم الى عود. فضربت به رأس أبي لهب حتى شجته شجة منكرة وقالت استضعفته أن غاب سيده قال أبو رافع فقام موليا ذليلا فوالله ماعاش بعدها الاسبع ليال حتى رماه الله بالعدسة وهي قرحة كانت العرب تتشاءم بها ويقولون انها تعدي أشد العدوى فتباعد عنه أهله وبنوه حتى قتله الله وبقي بعد موته ثلاثة أيام لا يقرب احد منه فلما خافوا السبة في تركه حفروا له ثم دفعوه بعود في حفرته وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه واما أولاده فأسلم منهم عتبة ومعتب يوم الفتح رضي الله عنهما وثبتا يوم حنين مع النبي صلى الله عليه وسلم واسلمت أيضا اختهما درة وهاجرت فلها صحبة رضي الله عنها واما عتيبة بالتصغير فمات كافرا عقره الاسد في طريق الشام في حياة ابيه بدعوة النبي صلى الله

منذ خلقت النار وفيه ان هذا يفيد ان ميكائيل كان موجودا قبل خلق النار وايجادها وهذا لا ينافي ان ميكائيل ضحك بعد ذلك فقد جاء انه صلى الله عليه وسلم تبسم في الصلاة فسئل عن ذلك فقال رأيت ميكائيل راجعا من طلب القوم اى يوم بدر وعلى جناحه الغبار فضحك الى فتبسمت اليه ولعل هذا كان بعد ما أخرجه احمد في مسنده عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لجبريل انى لم ار ميكائيل ضاحكا قط قال ماضحك ميكائيل منذ خلقت النار ومما يدل على ان جبريل عليه الصلاة والسلام خلق قبل النار أيضا ما في مسند أحمد عن أنس بن مالك قال قال صلى الله عليه وسلم لجبريل لم تأتنى الا رأيتك صارا بين عينيك قال انى لم أضحك منذ خلقت النار وهذا مع ما تقدم من رؤية الجنة والنار يرد على الجهمية وبعض المعتزلة كعبد الجبار وابى هاشم حيث زعموا ان الله تعالى لم يخلق الجنة والنار وانهما ليستا موجودتين الآن وانما يخلقهما سبحانه وتعالى يوم الجزاء مستدلين بأنه لا يحسن من الحكيم ان يخلق الجنة دار النعمة والنار دار النقمة قبل خلق اهلهما وبأنهما لو كانا مخلوقتين في السماء والارض لفنيا بفنائهما وأجيب عن الاول بأنه يحسن من الحكيم خلقهما قبل يوم الجزاء لان الانسان اذا علم ثوابا مخلوقا اجتهد في العبادة لتحصيل ذلك الثواب واذا علم عقابا مخلوقا اجتهد في اجتناب المعاصى لئلا يصيبه ذلك العقاب فليتأمل وأجيب عن الثانى بأن الله استثناهما من قوله تعالى فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله وفيه ان هذه صعقة الموت ولا يتصف بالموت غير ذى الروح ولان الجنة كما قيل ليست في السماء السابعة بل فوقها والنار ليست في الارض السابعة بل تحتها وحينئذ يكون القول بأن الجنة في السماء السابعة والنار في الارض السابعة فيه تجوز والله أعلم قال واختلف في رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه تبارك وتعالى تلك الليلة فأكثر العلماء على وقوع ذلك اى انه صلى الله عليه وسلم رآه عز وجل بعين رأسه واستدل له بحديث رايت ربى في أحسن صورة ورد بأن هذا الحديث مضطرب الاسناد والمتن ○ وقد قال بعض العارفين شاهد الحق سبحانه وتعالى القلوب فلم ير قلبا اشوق اليه من قلب محمد صلى الله عليه وسلم فأكرمه بالمعراج تعجيلا للرؤية والمكالمة وانكرتها عائشة رضى الله تعالى عنها وقالت من زعم ان محمدا رأى ربه اى بعين رأسه فقد اعظم الفرية على الله عز وجل اى أتى بأعظم الافتراء والكذب على الله عز وجل ووافقها على ذلك من الصحابة ابن مسعود وأبو هريرة رضى الله تعالى عنهما وجمع من العلماء ونقل عن الدارمى الحافظ انه نقل اجماع الصحابة على ذلك ونظر فيه وذهب الى الرؤية اى المذكورة اكثر الصحابة وكثير من المحدثين والمتكلمين بل حكى بعض الحفاظ على وقوع الرؤية له بعين رأسه الاجماع والى ذلك يشير صاحب الاصل بقوله

ورآه وما رآه سواه ＊ رؤية العين يقظة لا المرائى

عليه وسلم حين طلق ابنة النبي
صلى الله عليه وسلم وسفه عليه
فقال اللهم سلط عليه كلبا من
كلابك فأكله الأسد ولما ظهر خبر
قريش وتحقق عند اهل مكة
ما صاروا اليه من القتل والاسر
ناحت قريش على قتلاهم أكثر
النوح واستداموه شهرا وجز
النساء شعورهن وكن يأتين
بفرس الرجل أو راحلته وتستر
بالستور وينحن حولها ويخرجن
الى الازقة ثم أشير عليهم أن لا تفعلوا
فيبلغ محمدا واصحابه فيشمتوا بكم
ولا تبكوا قتلاكم حتى تأخذ
بثارهم وتواصوا على ذلك (ولما
بلغ النجاشى الخبر) اى خبر نصرة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر
فرح فرحا شديدا وطلب جعفر
ابن أبي طالب رضى الله عنه ومن
كان معه بأرض الحبشة من
الصحابة رضى الله عنهم فدخلوا
عليه فوجدوه جالسا على التراب

واحتجت

واحتجت عائشة رضى الله تعالى عنها على منع الرؤية بقوله تعالى لا تدركه الابصار قال
وروى أن مسروقا قال لها ألم يقل الله عز وجل ولقد رآه نزلة أخرى اى مرة اخرى اى بناء
على ان الضمير المستتر له صلى الله عليه وسلم والبارز له سبحانه وتعالى فقالت انا اول هذه
الامة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك فقال انما رأيت جبريل منهبطا
اى فالضمير البارز انما هو لجبريل وفى رواية قال لها ذاك جبريل لم اره فى صورته التى
خلق عليها الا مرتين اى مرة فى الارض ومرة فى السماء فى هذه الليلة كما تقدم وعلى
ظاهر الآية اى من جعل الضمير المستتر له صلى الله عليه وسلم والبارز له سبحانه وتعالى
وقطع النظر عن هذه الرواية التى جاءت عن عائشة رضى الله تعالى عنها يلزم ان يكون
صلى الله عليه وسلم رأى الحق سبحانه وتعالى ليلة المعراج مرتين مرة فى قاب قوسين ومرة
عند سدرة المنتهى ولا مانع من ذلك ولعل ذلك هو المعنى بقول الخصائص الصغرى وخص
صلى الله عليه وسلم برؤيته للبارى عز وجل مرتين وفيها وجمع له بين الكلام والرؤية وكلمه
عند سدرة المنتهى وكلم موسى بالجبل قال بعضهم يجوز انه صلى الله عليه وسلم خاطب
عائشة رضى الله تعالى عنها بما ذكر اى بقوله انما رأيت جبريل الى آخره على قدر عقلها
اى فى ذلك الوقت انتهى وايد قولها بما روى عن ابى ذر رضى الله تعالى عنه قلت يا رسول
الله هل رأيت ربك قال رأيت نورا اى حجبنى ومنعنى عن رؤيته عز وجل ومن ثم جاء فى
رواية نور أنى أراه اى كيف أراه مع وجود النور لان النور اذا غشى البصر حجبه
عن رؤية ما وراءه اى وليس المراد انه سبحانه وتعالى هو النور المرئى له خلافا لمن فهم ذلك
وايده بما روى نورانى اى لان هذه الرواية كما قيل تصحيف ومن ثم قال القاضى عياض لم
أرها فى أصل من الاصول ومحال ان تكون ذاته تعالى نورا لان النور من جملة الاعراض
اى لانه كيفية تدركها الباصرة اولا وبواسطة تلك الكيفية تدرك سائر المبصرات
كالكيفية الفائضة من النيرين على الاجرام الكثيفة المحاذية لهما والله تعالى يتعالى
عن ذلك اى فحجابه تعالى النور كما رواه مسلم اى ومن ثم قيل فى قوله تعالى الله نور
السموات والارض اى ذو نور وهو على المبالغة اى وجاء رأيته فى صورة شاب امرد
عليه حلة خضراء دونه ستر من لؤلؤ وجاء رايت ربى فى أحسن صورة قال الكمال بن
الهمام ان كان المراد به رؤية اليقظة فهو حجاب الصورة قال وقيل رآه بفؤاده مرتين
لا بعينى رأسه فعن بعض الصحابة قلنا يا رسول الله هل رأيت ربك قال لم أره بعينى رأيته
بفؤادى مرتين ثم تلا ثم دنا فتدلى الآية وهذا السياق يدل على ان فاعل دنا فتدلى الحق
سبحانه وتعالى والمراد بالفؤاد القلب اى خلقت الرؤية فى القلب او خلق الله لفؤاده
بصرا راى به انتهى (اقول) وكون الفؤاد له بصر واضح لقوله تعالى مازاغ البصر وما طغى
وأجيب عما احتجت به عائشة رضى الله تعالى عنها من قوله تعالى لا تدركه الابصار بانه
لا يلزم من الرؤية الادراك اى الذى هو الاحاطة فالنور انما منع من الاحاطة به لا من

لابسا أتوا باخلاقة فقالوا له ما هذا
ايها الملك فقال لهم انى ابشركم
بما يسركم انه قد جاءنى من نحو
أرضكم عين لى فاخبرنى ان الله
نصر نبيه صلى الله عليه وسلم
وأهلك عدوه فلان بن فلان
وفلان بن فلان وعدد جماعة
التقوا بمحل يقال له بدر كثير الاراك
كنت أرعى فيه غنما لسيدى من
بنى ضمرة فقال له جعفر رضى الله
عنه مالك جالسا على التراب وعليك
هذه الاخلاق قال انا نجد فيما
انزل الله على عيسى عليه السلام
ان حقا على عباد الله ان يحدثوا
لله عز وجل تواضعا عندما أحدث
لهم نعمة وفى رواية كان عيسى
صلوات الله وسلامه عليه اذا
حدثت له من الله نعمة ازداد
تواضعا فلما احدث الله نصرة نبيه
صلى الله عليه وسلم احدثت هذا
التواضع ولما اوقع الله تعالى

اصل الرؤية وقد قال بعضهم للامام احمد بأى معنى تدفع قول عائشة رضى الله تعالى
عنها من زعم ان محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله تعالى الفرية فقال يدفع بقول النبى صلى
الله عليه وسلم رأيت ربى وقول النبى صلى الله عليه وسلم أكبر من قولها هذا وقد قال ابو
العباس بن تيمية الامام احمد انما يعنى رؤية المنام فانه لما سئل عن ذلك قال نعم رآه فان
رؤيا الانبياء حق ولم يقل انه رآه بعين راسه يقظة ومن حكى عنه ذلك فقد وهم وهذه
نصوصه موجودة ليس فيها ذلك (اقول) وفيه انه يبعد ان يكون الامام احمد يفهم عن
عائشة رضى الله تعالى عنها انها تنكر رؤيا المنام حتى يرد عليها وقد ضعف حديث ابى
ذر المتقدم وهو قلت يا رسول الله رأيت ربك فقال نور أنى اراه وهو من جملة الاحاديث
التى فى مسلم التى نظر فيها والله أعلم قال ابو العباس بن تيمية واهل السنة متفقون على ان
الله عز وجل لا يراه احد بعينه فى الدنيا لا نبى ولا غير نبى ولم يقع النزاع الا فى نبينا صلى الله
عليه وسلم خاصة مع ان احاديث المعراج المعروفة ليس فى شئ منها انه رآه وانما روى ذلك
باسناد موضوع باتفاق اهل الحديث وفى صحيح مسلم وغيره عن النبى صلى الله عليه وسلم
انه قال واعلموا ان أحدا منكم لن يرى ربه حتى يموت وقد سأله موسى الرؤية فمنعها وقد
نقل القرطبى عن جماعة من المحققين القول بالوقف فى هذه المسئلة لانه لا دليل قاطع وغاية
ما استدل به الفريقان ظواهر متعارضة قابلة للتأويل وهو من المعتقدات فلا بد فيها من
الدليل القطعى هذا كلامه ونازع فيه السبكى بأنه ليس من المعتقدات التى يشترط
فيها الدليل القطعى وهى التى نكلف باعتقادها كالحشر والنشر بل من المعتقدات التى
يكتفى فيها بخبر الآحاد الصحيح وهى التى لم نكلف باعتقادها كما نحن فيه وفى الخصائص
الصغرى وخص صلى الله عليه وسلم برؤيته من آيات ربه الكبرى وحفظه حتى ما زاغ
البصر وما طغى وبرؤيته للبارى مرتين وفى كلام بعضهم قال العلماء فى قوله تعالى لقد
رأى من آيات ربه الكبرى رأى صورة ذاته المباركة فى الملكوت فاذا هو عروس المملكة
وفى كلام ابن دحية خص صلى الله عليه وسلم بألف خصلة منها الرؤية والدنو والقرب
قال بعضهم قد صحت الاحاديث عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى اثبات الرؤية
وحينئذ يجب المصير الى اثباتها ولا يجترئ احد أن يظن فى ابن عباس ان يتكلم فى هذه
المسئلة بالظن والاجتهاد قال الامام النووى والراجح عند اكثر العلماء ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعينى رأسه اى وأما رؤيته عز وجل يوم القيامة فى الموقف
فعامة لكل احد من الخلق الانس والجن من الرجال والنساء المؤمن والكافر والملائكة
جبريل وغيره وأما رؤيته عز وجل فى الجنة فقيل لا تراه الملائكة وقيل يراه منهم جبريل
خاصة مرة واحدة قال بعضهم وقياس عدم رؤية الملائكة عدم رؤية الجن ورد ذلك
واختلف فى رؤية النساء من هذه الامة له تعالى فى الجنة فقيل لا يرينه لانهن مقصورات
اى محبوسات فى الخيام وقيل يرينه فى ايام الاعياد دون ايام الجمع بخلاف الرجال فانهم

بالشر كيف يوم بدر واستأصل
رؤسهم قالوا ان ثارنا بارض الحبشة
فنرسل الى ملكها ليدفع الينا
من عنده من اتباع محمد فنقتلهم
قتل منا فارسلوا عمرو بن
العاص وعبد الله بن ربيعة رضى
الله عنهما فانهما اسلما بعد ذلك
الى النجاشى ليدفع اليهما من
عنده من المسلمين وارسلوا معهما
هدايا للنجاشى واصحابه فردهما
خائبين وتقدمت القصة بتمامها
عند ذكر الهجرة الى الحبشة وقد
وقد عمرو بن العاص رضى الله
عنه على النجاشى مرة ثالثة تساق
ان شاء الله وفيها قصة اسلامه
ولما رجع رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى المدينة مؤيدا
منه وراخافه كل عدو بها
وحولها واسلم كثير من اهل
المدينة ودخل عبد الله بن ابى فى
الاسلام ظاهرا وقالت اليهود

يرونه فى كل يوم جمعة فقد جاء انه تعالى يتجلى فى مثل عيد الفطر ويوم النحر لاهل الجنة تجليا عاما ومن اهل الجنة مؤمنو الجن على الراجح وجاء ان كل يوم كان للمسلمين عيدا فى الدنيا فانه عيد لهم فى الجنة يجتمعون فيه على زيارة ربهم ويتجلى لهم فيه ويدعى يوم الجمعة فى الجنة يوم المزيد قال بعضهم هذا العموم اهل الجنة واما خواصهم فكل يوم لهم عيد يرون ربهم فيه بكرة وعشيا واما رؤية الله عز وجل فى النوم ففى الخصائص الصغرى ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم انه يجوز له رؤية الله عز وجل فى المنام ولا يجوز ذلك لغيره صلى الله عليه وسلم فى احد القولين وهو اختيارى وعليه ابو منصور الماتريدى وفى كلام الامام النووى قال القاضى عياض اتفق العلماء على جواز رؤية الله تعالى فى المنام وصحتها اى وقوعها قال وان رآه حينئذ انسان على صفة لا تليق بجلاله من صفات الاجساد لان ذلك المرئى غير ذات الله تعالى والله أعلم ثم لا يخفى ان اكثر العلماء على ان الاسراء الى بيت المقدس ثم المعراج الى السماء كانا فى ليلة واحدة اى وقيل كان الاسراء وحده فى ليلة ثم كان هو والمعراج فى ليلة اخرى قال وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم لما نزل الى سماء الدنيا نظر الى اسفل منه فاذا هو برهج ودخان واصوات فقال ما هذا يا جبريل قال هذه الشياطين يحومون على اعين بنى آدم لا يتفكرون اى وذلك مانع لهم من التفكر فى ملكوت السموات والارض أى لعدم نظرهم للعلامات الموصلة لذلك لولا ذلك لرأوا العجائب اى ادركوها ثم ركب صلى الله عليه وسلم البراق منصرفا اى بناء على انه لم يعرج على البراق فمر بعير لقريش الى آخر ما تقدم انتهى اقول ذكر بعضهم ان مما نزل عليه صلى الله عليه وسلم بين السماء والارض اى عند نزوله من السماء قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم الآيات الثلاث وقوله تعالى واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا الآية والآيتان من آخر سورة البقرة وتقدم أنهما نزلتا بقاب قوسين والله اعلم واستدل على ان كلا من الاسراء والمعراج كان يقظة بجسده صلى الله عليه وسلم وروحه بقوله تعالى سبحان الذى أسرى بعبده ليلا لان العبد حقيقة هو الروح والجسد قال تعالى ارأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى وقال وانه لما قام عبد الله يدعوه ولو كان الاسراء مناما لقال بروح عبده ولان الدواب التى منها البراق لا تحمل الارواح وانما تحمل الاجساد واستدل على ان الرؤية كانت بعين بصره صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى لان وصف البصر بعدم الازاغة يقتضى ان ذلك يقظة ولو كانت الرؤية قلبية لقال ما زاغ قلبه ٥ (اقول) فيه ان لقائل أن يقول يجوز ان يكون المراد بالبصر بصر قلبه لما تقدم ان الله تعالى خلق لقلبه بصرا والله اعلم وقيل كان الاسراء بجسده والمعراج بروحه الشريفة اى بذاتها عرج بها حقيقة من غير اماتة للجسد ولكن حالها فى ذلك ارقى منه كحالها بعد مفارقتها لجسدها بموته فى صعودها فى السموات حتى تقف بين يدى الله تعالى وهذا أمر فوق ما يراه النائم وغيره صلى الله عليه

تيقنا أنه النبى الذى نجد نعته فى التوراة وآمن منهم جماعة وبقى على كفرهم آخرون ومن يضلل الله فلا هادى له (وكان) جملة من استشهد يوم بدر اربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار منهم ستة من الخزرج واثنان من الاوس فالستة المهاجرون عبيدة بن الحرث بن المطلب قطعت رجله فى المبارزة مع عتبة بن ربيعة وأخيه وولده فمات بالصفراء فدفنه صلى الله عليه وسلم بها ومهجع مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قيل انه اول قتيل وأول من يدعى يوم القيامة من شهداء هذه الامة وكان قتله بسهم أرسله عامر بن الحضرمى وعمير بن أبى وقاص أخو سعد بن أبى وقاص رضى الله عنهما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم استصغر عميرا فرده فبكى فلما

وسلم لا تنال ذات روحه الصعود الا بعد الموت بجسدها قيل ومن ثم لم يشنع كفار قريش الا امر الاسراء دون المعراج (اقول) الظاهر ان اخباره صلى الله عليه وسلم بالمعراج لم يكن عند اخباره بالاسراء بل تأخر عن اخباره بالاسراء بناء على انهما كانا فى ليلة واحدة والا فقد ذكر بعضهم ان المعراج لم يكن ليلة الاسراء الذى اخبر به كفار قريش قال اذ لو كان اى فى تلك الليلة لاخبر به حين اخبرهم بالاسراء اى ولم يخبر به حينئذ اذ لو اخبر به حينئذ لنقل ولذكره سبحانه وتعالى مع الاسراء لان المعراج ابلغ فى المدح والكرامة وخرق العادة من الاسراء الى المسجد الاقصى واجيب عنه بأنه على تسليم انه كان فى ليلة الاسراء الذى أخبر به قريشا هو صلى الله عليه وسلم استدرجهم الى الايمان بذكر الاسراء اولا فلما ظهرت لهم امارات صدقه على تلك الآية الخارقة التى هى الاسراء اخبرهم بما هو اعظم منها وهو المعراج بعد ذلك اى وحيث اخبرهم بذلك لم ينكروه لذلك اى لثبوت صدقه صلى الله عليه وسلم فيما ادعاه من الاسراء وتقدم عن المواهب انهم لم يسألوه عن علامات تدل على صدقه صلى الله عليه وسلم فى ذلك لعدم علمهم ومعرفتهم بشئ فى السماء والحق سبحانه وتعالى ارشده الى ذلك اى الى ان يخبرهم بالاسراء اولا ثم بالمعراج ثانيا حيث لم ينزل قصة المعراج فى صورة الاسراء بل انزل ذلك فى سورة النجم ومما يؤيد انهما كانا فى ليلة واحدة قول الامام البخارى فى صحيحه باب كيف فرضت الصلاة ليلة الاسراء لان من المعلوم ان فرض الصلاة اى الصلوات الخمس انما هو فى المعراج واما افراده كلا من الاسراء والمعراج بترجمة فلا يخالف ذلك لانه انما افرد كلا منهما بترجمة لان كلا منهما يشتمل على قصة منفردة وان كانا وقعا معا وقد خالف الحافظ الدمياطى فى سيرته فذكر ان المعراج كان فى رمضان والاسراء كان فى ربيع الاول والله اعلم وقيل الاسراء وقع له صلى الله عليه وسلم اى بعد البعثة مرتين مناما اولا ويقظة ثانيا اى فكانت مرة المنام توطئة وتبشيرا لوقوعه يقظة وبذلك يجمع بين الاختلاف الواقع فى الاحاديث اى فبعض الرواة خلط الواقع له صلى الله عليه وسلم مناما بالواقع له صلى الله عليه وسلم يقظة وعلى هذا لا يشكل قول شريك فلما استيقظت لكنه قال ان مرة المنام كانت قبل البعثة ففى رواية وذلك قبل ان يوحى اليه وقد انكر الخطابى عليه ذلك وعده من جملة اوهامه الواقعة فى حديث الاسراء والمعراج ورد على الخطابى الحافظ ابن حجر فى ذلك بما ينبغى الوقوف عليه وقيل كان المعراج يقظة ولم يكن ليلا ولم يكن من بيت المقدس بل كان من مكة وكان نهارا فقد جاء انه صلى الله عليه وسلم كان يسأل ربه عز وجل ان يريه الجنة والنار فلما كان نائما ظهرا أتاه جبريل وميكائيل فقالا انطلق الى ما سألت الله تعالى فانطلقا بى الى ما بين المقام وزمزم فاتى بالمعراج فاذا هو أحسن شئ منظرا فعرجا بى الى السموات وساق الحديث ولا يخفى ان سياق هذا الحديث يدل على ان ذلك كان مناما فلا يحسن ان يكون دليلا على قوله يقظة وقد جاء عن أبى ذر رضى الله تعالى عنه انه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج

بكاء فاذن له فى الخروج فقتل وهو ابن ست عشرة سنة وعاقل بن بكير الليثى وصفوان بن بيضاء الفهرى وذو الشمالين عمير وقيل الحرث وقيل عمرو بن عبد عمرو بن الخزاعى والثمانية الانصاريون الخزرجى منهم عوف بن عفراء أخوه شقيقه معوذ بن عفراء حارثة بن سراقة ويزيد بن الحرث بن قيس بن مالك ورافع بن المعلى وعمير بن الحمام بن الجموح والاوسى منهم سعد بن خيثمة مبشر بن عبد المنذر رضى الله عنهم أجمعين وكلهم دفنوا ببدر ما عدا عبيدة لتأخر وفاته دفن بالصفراء وقيل بالروحاء روى الطبرانى باسناد رجاله ثقات عن ابن مسعود رضى الله عنه قال ان الذين قتلوا من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يوم بدر جعل الله أرواحهم فى الجنة فى طير خضر تسرح فى الجنة

سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب
ممتلئ حكمة وايمانا فأفرغهما في صدري ثم أخذ بيدي فعرج الى السماء الحديث وقد
يدعى أن في رواية أبي ذر اختصارا وليس فيها أن ذلك كان مناما أو يقظة اي وأما
ما ادعاه بعضهم أن المعراج تكرر يقظة فغريب اذ كيف يتكرر يقظة سؤال
أهل كل باب من أبواب السماء هل بعث اليه وكيف يتكرر سؤاله صلى الله عليه وسلم
عن كل نبي وكيف يتكرر فرض الصلوات الخمس والمراجعة وأما مناما فلا يبعد في تكرر
ذلك توطئة لوقوعه يقظة ٥ اي وهذا منشأ اختلاف الروايات أدخل بعض الرواة
ما وقع في المنام ما وقع في اليقظة كما تقدم نظيره في الاسراء وتعدد روايات الاسراء
لا يقتضي تعدده في اليقظة خلافا لمن زعمه ومن ثم قال الحافظ ابن كثير من جعل كل
رواية خالفت الاخرى مرة على حدة فأثبت اسراآت متعددة فقد أبعد وأغرب اي
فالحق أنه اسراء واحد بروحه وجسده صلى الله عليه وسلم يقظة وذلك من خصائصه
صلى الله عليه وسلم وذكر بعضهم انه صلى الله عليه وسلم كان له اسراآت أربعة وعشرون
مرة وقيل ثلاثون مرة منها مرة واحدة بروحه وجسده يقظة والباقي بروحه رؤيا
ورآها اي ومن ذلك ما وقع له صلى الله عليه وسلم في المدينة بعد الهجرة وهو محمل قول
عائشة رضي الله تعالى عنها ما فقدت جسده الشريف وفي صبيحة ليلة المعراج اي حين
زالت الشمس من اليوم الذي يلي الليلة التي فرضت فيها الصلوات الخمس كان نزول
جبريل عليه السلام وامامته بالنبي صلى الله عليه وسلم ليعلمه أوقات الصلوات اي وكيفيتها
اي لانه لا يلزم من علمه صلى الله عليه وسلم بكيفية صلاة الركعتين وصلاة قيام الليل
علم كيفية الصلوات الخمس وان قلنا بأن الرباعية منها فرضت ركعتين فأمر صلى الله عليه
وسلم فصيح بأصحابه الصلاة جامعة فاجتمعوا فصلى به صلى الله عليه وسلم جبريل وصلى
النبي صلى الله عليه وسلم بالناس فسميت تلك الصلاة الظهر لانها اول صلاة ظهرت
أو لانها فعلت عند قيام الظهيرة اي شدة الحر أو عند نهاية ارتفاع الشمس وهذا
الحديث ظاهر بأن صلاته صلى الله عليه وسلم بالناس كانت بعد صلاته مع جبريل
محتمل لان يكون صلى الله عليه وسلم صلى بصلاة جبريل والناس صلوا بصلاته صلى الله
عليه وسلم ففي بعض الروايات لما نودي بالصلاة جامعة فزعوا لذلك واجتمعوا فصلى
بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر أربع ركعات لا يقرأ فيهن علانية ورسول الله
صلى الله عليه وسلم بين يدي الناس وجبريل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقتدي الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم ويقتدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
بجبريل ثم يصلي كذلك في العصر ولما غابت الشمس صلى بهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم المغرب ثلاث ركعات يقرأ في الركعتين علانية وركعة لا يقرأ فيها علانية
ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يدي الناس وجبريل بين يدي رسول الله صلى الله

فبينما هم كذلك اذا طلع عليهم
ربهم اطلاعة فقال يا عبادي
ماذا تشتهون فقالوا يا ربنا هل
فوق هذا من شيء قال فيقول
ماذا تشتهون فيقولون في الرابعة
تردّ أرواحنا في أجسادنا فنقتل كما
قتلنا قال في المواهب ولا يقدح
في وعد الله تعالى للمسلمين بالظفر
استشهاد هؤلاء الصحابة رضي الله
عنهم لانه وعدهم الظفر بقريش
حيث قال واذ يعدكم الله احدى
الطائفتين أنها لكم ولم يعدهم
انه لا يقتل منهم أحد فلا ينافي
قتل هؤلاء فقد نجز الموعود
وغلبوا عدوهم كما وعد الله فكان
وعد الله مفعولا ونصره المؤمنين
ناجزا والحمد لله على ذلك وقتل من
المشركين سبعون وأسر سبعون
كما رواه البخاري عن البراء بن
عازب رضي الله عنهما وفي المواهب
وشرحها قال ابن مرزوق في
شرح البردة ومن آيات بدر
الباقية بتعدي الازمان ما كنت

عليه وسلم يقتدى رسول الله صلى الله عليه وسلم بجبريل وفى كلام الامام النووى قوله
ان جبريل نزل فصلى امام رسول الله صلى الله عليه وسلم هو بكسر الهمزة وبفتحه قوله فى
الحديث نزل جبريل فأمنى واستدل بذلك بعضهم على جواز الاقتداء بمن هو مقتد بغيره
لا كما يقوله أئمتنا من منع ذلك وأجيب عنه من جانب أئمتنا بأن معنى كونه صلى الله
عليه وسلم مقتديا بجبريل أنه متابع له فى الافعال من غير نية اقتداء ولا يتقاف فعله
على فعل جبريل فلا يشكل على أئمتنا نعم هذا حينئذ يشكل على ائمتنا القائلين بأنه لا بد
من علم كيفية الصلاة قبل الدخول فيها ولا يكفى علمها بالمشاهدة وقد يجاب بأنه يجوز أن
يكون جبريل عليه الصلاة والسلام علمه صلى الله عليه وسلم كيفيتها بالقول ثم أتبع القول
الفعل وهو صلى الله عليه وسلم علم أصحابه كذلك وبما تقرر يسقط الاستدلال بذلك
على جواز الفرض خلف النفل لان تلك الصلاة لم تكن واجبة على جبريل لان الملائكة
ليسوا مكلفين بذلك وأجيب بأنها كانت واجبة على جبريل لانه مأمور بتعليمها له
صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا وكان ذلك عند البيت اى الكعبة مستقبلا بيت
المقدس اى صخرته واستقباله صلى الله عليه وسلم لبيت المقدس قيل كان باجتهاد منه
وقيل كان بأمر من الله تعالى له قيل بقرآن وقيل بغيره اى وعلى أنه بقرآن يكون مما
نسخت تلاوته وقد قال أئمتنا ونسخ قيام الليل بالصلوات الخمس الى بيت المقدس كما
تقدم وكان صلى الله عليه وسلم اذا استقبل بيت المقدس يجعل الكعبة بينه وبينه
فيصلى بين الركن اليمانى وركن الحجر الاسود اى كما صلى به جبريل الركعتين اول
البعث كما تقدم وحينئذ لا يخالف هذا قول بعضهم لم يزل صلى الله عليه وسلم يستقبل
الكعبة حتى خرج منها اى من مكة اى لم يستدبرها فلما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة
استقبل بيت المقدس اى تمحض استقباله واستدبر الكعبة وظاهر اطلاقهم أن هذا
اى استقباله بيت المقدس وجعل الكعبة بينه وبينه كان شأنه صلى الله عليه وسلم غالبا
وان صلى خارج المسجد بمكة ونواحيها والظاهر أنه صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك
أدبا لا وجوبا والا فقد جاء أن صلاة جبريل به صلى الله عليه وسلم كانت عند باب الكعبة
كما رواه امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه فى الام وروى الطحاوى عند باب البيت
مرتين اى وذلك فى المحل المنخفض الذى تسميه العامة المجنة كما تقدم وصلاته صلى الله
عليه وسلم عند باب الكعبة فى المحل المذكور لبيت المقدس لا يكون مستقبلا للكعبة
بل تكون على يساره لانه لا يتصور أن يستقبل بيت المقدس ويكون مستقبلا للكعبة
ايضا الا اذا صلى بين اليمانيين كما تقدم وايضا ذكر بعضهم أنه صلى الله عليه وسلم كان
يصلى نحو بيت المقدس ويجعل الكعبة وراء ظهره وهو بمكة اى فى بعض الاوقات
حتى لا يخالف ما سبق أنه صلى الله عليه وسلم كان يستقبلها مع استقباله لبيت المقدس
ولا ينافى ذلك ما فى زبدة الاعمال أقام صلى الله عليه وسلم بعد نزول جبريل ثلاث عشرة

عمه من غير واحد من الحجاج
انهم اذا اجتازوا بذلك الموضع
بدر يسمعون هيئة الطبل
تهيئة طبل الملوك ويرون ان
ذلك لنصر أهل الايمان وربما
نكرت ذلك وربما تاولته بأن
للوضع صلب اى شديد لا سهولة
فيه فيصيبه حوافر الدواب
اى تكون بصوت يشبه تصويتها
فى الارض الصدى فيقولون لى
ان الموضع سهل رمل غير صلب
وغالب ما يسير هنالك الابل
واخفافها لا تصوت فى الارض
ثم لما من الله على بالوصول الى
ذلك الموضع المشرف بالنور نزلت
عن الراحلة أمشى وبيدى عود
طويل من شجر السعدان المسمى
بأم غيلان وقد نسيت ذلك الخبر
الذى كنت اسمع فما راعنى وأنا
سائر فى الهاجرة الا واحد من
عبيد الاعراب الجمالين يقول
أتسمعون الطبل فاخذتنى لما
سمعت كلامه قشعريرة بينة

سنة وكان يصلي الى بيت المقدس مدة اقامته بمكة يجعلها اى الكعبة بين يديه ولا يستدبرها لامكان جعل مدة اقامته على غالبها وبما يدل على أنه صلى الله عليه وسلم مع الصحابة كانوا يصلون الى بيت المقدس وهم بمكة ماسيأتى عن البراء بن معرور وأنه لما عدل عن استقبال بيت المقدس الى استقبال الكعبة قبل أن يهاجر صلى الله عليه وسلم وسأله عن ذلك قال له قد كنت على قبلة لو صبرت عليها وام به صلى الله عليه وسلم جبريل مرتين مرة اول الوقت ومرة آخر الوقت لكن الوقت الاختيارى بالنسبة للعصر والعشاء والصبح لا الاخر الحقيقى ليعلمه الوقت اى ولما جاءه صلى الله عليه وسلم جبريل امر فصيح بأصحابه الصلاة جامعة كما تقدم اى لان الاقامة المعروفة للصلوات الخمس لم تشرع الا بالمدينة على ماتقدم وسيأتى قال فقد جاء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هذا جبريل جاء يعلمكم دينكم وصلى به فى اول يوم الظهر حين زالت الشمس كما تقدم اى عقب زوالها وصلى به العصر حين صار ظل كل شئ مثله اى زيادة على ظل الاستواء أو على الظل الحاصل عقب الزوال وصلى به المغرب حين أفطر الصائم اى دخل وقت فطره وهو غروب الشمس وصلى به العشاء حين غاب الشفق وصلى به اى فى غد ذلك اليوم وهو اليوم الثانى الفجر حين حرم الطعام والشراب على الصائم اى حين دخل وقت حرمة ذلك وهو الفجر اى فان قيل صلاة جبريل به صلى الله عليه وسلم حينئذ لم يكن الصوم الذى هو رمضان فرض أجيب بانه على تسليم أنه لم يفرض عليه صوم قبل رمضان وهو صوم عاشوراء أو ثلاثة ايام من كل شهر على ماسيأتى جاز أن يكون اخباره صلى الله عليه وسلم بهذه العبارة كان بعد فرض رمضان وصلى به الظهر حين كان ظل الشئ مثله وصلى به العصر حين كان ظل الشئ مثليه وصلى به المغرب حين أفطر الصائم وصلى به العشاء ثلث الليل الاول وصلى به الفجر اى فى اليوم الثالث فأسفر ثم التفت وقال يا محمد هذا وقتك ووقت الانبياء من قبلك والوقت ما بين هذين الوقتين اهـ وأما رواية صلى بى الظهر الى أن قال وصلى بى الفجر فلما كان الغد صلى بى الظهر المقتضى ذلك لان يكون الفجر ليس من اليوم الثانى بل من تتمة ماقبله ففيه دليل على أن اليوم من طلوع الشمس كما يقول الفلكيون اى ولا يخفى أن قوله والوقت ما بين هذين الوقتين محمول عند امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه على الوقت الاختيارى بالنسبة للعصر والعشاء والفجر والا فوقت العصر لا يخرج الا بغروب الشمس ووقت العشاء لا يخرج الا بطلوع الفجر ووقت الصبح لا يخرج الا بطلوع الشمس خلافا للاصطخرى حيث ذهب الى خروج وقت العصر بصير ظل الشئ مثليه والعشاء بثلث الليل والصبح بالاسفار تمسكا بظاهر الحديث والبداءة بالظهر هو ما عليه اكثر الروايات وروى أن البداءة كانت بالصبح عند طلوع الفجر وعلى الاول انما لم تقع البداءة بالصبح مع أنها أول صلاة تحضر بعد ليلة الاسراء لان الاتيان بها يتوقف على بيان علم كيفيتها المعلق عليه الوجوب كأنه قيل

وتذكرت ما كنت أخبرت به وكان فى الجو بعض ريح فسمعت صوت الطبل وأنا دهش مما اصابنى من الفرح والهيبة فشككت وقلت لعل الريح سكنت فى هذا العود الذى فى يدى فجلست على الارض أو ثبت قائما أو فعلت جميع ذلك فسمعت صوت الطبل سماعا محققا وسمعت صوتا لا أشك انه صوت طبل وذلك من ناحية اليمن ونحن سائرون الى مكة ثم نزلنا ببدر فظللت أسمع ذلك الصوت يومى أجمع المرة بعد المرة ولقد أخبرت أن ذلك الصوت لا يسمعه جميع الناس اهـ كلام ابن مرزوق قال العلامة الزرقانى قال صاحب تاريخ الخميس ولما نزلت ببدر سنة ست وثلاثين وتسعمائة صليت الفجر يوم الاربعاء أوائل شعبان وأقمنا يوما فوجدت صوت ذلك الطبل يجيء من كثيب ضخم طويل مرتفع كالجبل شمالى بدر فطلعت أعلاه وتتابع

أوجبت عليه حيث ما تبين كيفيته فى وقته والصبح لم تتبين كيفيتها فى وقتها فلم تجب فلا يقال هذا من تأخير البيان عن وقت الحاجة وأجاب الامام النووى بأنه حصل التصريح بأن أول وجوب الخمس من الظهر كأنه قيل أوجبت ما عدا صلاة الصبح يوم هذه الليلة فعدم وجوبها اليس لعدم علم كيفيتها فهى غير واجبة وان فرض علم كيفيتها وفيه أنه يلزم حينئذ أن الخمس صلوات فى اليوم والليلة لم توجد الا فيما عدا ذلك اليوم وليلته قال أبو بكر بن العربى ظاهر قوله هذا وقتك ووقت الانبياء من قبلك أن هذه الصلوات فى هذه الاوقات كانت مشروعة لكل واحد من الانبياء قبله وليس كذلك وانما معناه أن وقتك هذا المحدود الطرفين مثل وقت الانبياء قبلك فانه كان محدود الطرفين والا فلم تكن هذه الصلوات الخمس على هذه المواقيت الا لهذه الامة خاصة وان كان غيرهم قد شاركهم فى بعضها اى فقد جاء عن عائشة رضى الله تعالى عنها أن آدم لما تيب عليه كان ذلك عند الفجر فصلى ركعتين فصارت الصبح وفدى اسحق عند الظهر اى على القول بأنه الذبيح فصلى أربع ركعات فصارت الظهر وبعث عزير فقيل له كم لبثت قال لبثت يوما فلما رأى الشمس قريبة من الغروب قال أو بعض يوم فصلى أربع ركعات فصارت العصر وغفر لداود عند المغرب اى الغروب فقام يصلى أربع ركعات فجهد اى تعب فجلس فى الثالثة اى سلم منها فصارت المغرب ثلاثا وأول من صلى العشاء الآخرة نبينا صلى الله عليه وسلم فصلاتها من خصائصه وفى شرح مسند امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه للامام الرافعى رحمه الله تعالى كانت الصبح صلاة آدم والظهر صلاة داود اى فقد اشترك داود واسحق فى صلاة الظهر والعصر صلاة سليمان اى فقد اشترك سليمان وعزير فى صلاة العصر والمغرب صلاة يعقوب اى فقد اشترك يعقوب وداود فى صلاة المغرب والعشاء صلاة يونس وأورد فى ذلك خبرا وعليه فليست صلاة العشاء من خصائص نبينا صلى الله عليه وسلم والاصل أن ما ثبت فى حق نبى ثبت فى حق أمته الا أن يقوم الدليل على الخصوصية فليست من خصائص هذه الامة وذكر بعضهم أن المغرب كانت صلاة عيسى اى وكانت أربعا ركعتين عن نفسه وركعتين عن أمه اى فقد اشترك عيسى ويعقوب وداود فى صلاة المغرب وفى كلام بعضهم اول من صلى الفجر آدم والظهر ابراهيم اى وعليه فقد اشترك ابراهيم واسحق وداود فى صلاة الظهر واول من صلى العصر يونس اى وعليه فقد اشترك سليمان وعزير ويونس فى صلاة العصر وأول من صلى المغرب عيسى وأول من صلى العتمة التى هى العشاء موسى اى وعليه فقد اشترك موسى ويونس ونبينا صلى الله وسلم عليهم فى صلاة العشاء وفى الخصائص الكبرى خص صلى الله عليه وسلم بأنه أول من صلى العشاء ولم يصلها نبى قبله ومن لازمه أنه لم يصلها أحد من الامم وقد جاء التصريح به فى بعض الروايات انكم فضلتم بها اى العشاء على سائر الامم وعليه فهى من خصائصنا ومن خصائص نبينا صلى الله

عليه

الناس لسماعه وكانوا زهاء مائة من رجال ونساء فما سمعت شيأ فنزلت أسفله فسمعت من سقف الكثيب صوتا كهيئة الطبل الكبير سماعا محققا بلا شك مرارا متعددة وسمعه الناس كلهم كما سمعت وكان ذلك الصوت يجيء تارة من تحتنا ثم ينقطع وتارة من خلفنا ثم ينقطع وتارة من قدامنا وتارة من شمالنا فسمعناه سماعا محققا وكان الوقت صحوا رائقا لا ريح فيه اه (وقد جاء) فى فضل أهل بدر احاديث وآثار فمنها أن جبريل عليه السلام أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ما تعدون أهل بدر فيكم قال من أفضل المسلمين او كلمة نحوها قال جبريل عليه السلام وكذلك من شهد بدرا من الملائكة وفى رواية ان الملائكة الذين شهدوا بدرا فى السماء افضل على من تخلف منهم وروى الطبرانى بسند جيد عن ابى هريرة رضى الله عنه قال

عليه وسلم وقد تقدم عند بناء الكعبة أن جبريل صلى بابراهيم صلى الله على نبينا وعليه وسلم الصلوات الخمس فليتأمل قال قيل فرضت الصلوات الخمس فى المعراج ركعتين ركعتين اى حتى المغرب ثم زيدت فى صلاة الحضر فاكملت أربعا فى الظهر اى فى غير يوم الجمعة وأربعا فى العصر والعشاء وثلاثا فى المغرب وأقرت صلاة السفر على ركعتين اى حتى فى المغرب فعن عائشة رضى الله تعالى عنها فرضت صلاة الحضر والسفر ركعتان اى فى الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء فلما أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة اى بعد شهر وقيل وعشرة أيام من الهجرة زيد فى صلاة الحضر ركعتان ركعتان وتركت صلاة الفجر اى لم يزد عليها شئ لطول القراءة اى فانها يطلب فيها زيادة القراءة على الظهر والعصر المطلوب فيهما قراءة طوال المفصل وصلاة المغرب اى تركت صلاة المغرب فلم يزد فيها ركعتان بل ركعة فصارت ثلاثة لانها وتر النهار اى كما فى الحديث فتعود عليه بركة الوترية ان الله وتر يحب الوتر والمراد أنها وتر عقب صلاة النهار وتركت صلاة السفر فلم يزد فيها شئ اى فى غير المغرب هذا هو المفهوم من كلام عائشة رضى الله تعالى عنها وهو يفيد ان صلاة السفر استمرت على ركعتين اى فى غير المغرب اى وحينئذ يلزم أن يكون القصر فى الظهر والعصر والعشاء عزيمة لا رخصة ولا يحسن ذلك مع قوله تعالى فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة وفى كلام الحافظ ابن حجر المراد بقول عائشة فأقرت صلاة السفر باعتبار ما آل اليه لا من التخفيف اى لانه لما استقر فرض الرباعية خفف منها اى فى السفر لانه استقر أمرها بعد قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة بشهر أو باربعين يوما ثم نزلت آية القصر فى ربيع الاول من السنة الثانية الا أنها استمرت منذ فرضت فلا يلزم من ذلك أن القصر عزيمة وقيل فرضت اى الصلوات الخمس فى المعراج أربعا الا المغرب ففرضت ثلاثا والا الصبح ففرضت ركعتين اى والا صلاة الجمعة ففرضت ركعتين ثم قصرت الاربع فى السفر اى وهو المناسب لقوله تعالى ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ومن ثم قال بعضهم ان هذا هو الذى يقتضيه ظاهر القرآن وكلام جمهور العلماء ويمكن أن يكون المراد من كلام عائشة رضى الله تعالى عنها أنها فرضت ركعتان بتشهد ثم ركعتان بتشهد وسلام وفيه ان هذا لا يأتى فى الصبح والمغرب وقال بعضهم ويبعد هذا الحمل ما روى عنها كان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى اى الصلوات الخمس التى فرضت بالمعراج بمكة ركعتين ركعتين فلما قدم المدينة اى وأقام شهرا أو وعشرة أيام فرضت الصلاة اربعا أو ثلاثا وتركت الركعتان تماما اى تامة للمسافر وعن يعلى ابن أمية قال قلت لعمر بن الخطاب ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم وقد أمن الناس قال عمر عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته اى فصار سبب القصر مجرد

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلع الله على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم أو فقد وجبت لكم الجنة اى غفرت لكم ما مضى وما سيقع من الذنوب يقع مغفورا وقيل ان ذلك كناية عن الحفظ من الوقوع فى الذنوب فى المستقبل ولو فرض حصول شئ منها يلهمون توبة عنها تكفر أو يوجد ما يكفر عنهم فليس فيه اباحة الذنوب ولا الاغراء عليها وقد كان صلى الله عليه وسلم يكرم اهل بدر ويقربهم على غيرهم ومن ثم جاء جماعة من اهل بدر للنبى صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى صفة ضيقة ومعه جماعة من اصحابه فوقفوا بعد ان سلموا ليفسح لهم القوم فلم يفعلوا فشق قيامهم على النبى صلى الله عليه وسلم فقال لمن لم يكن من اهل بدر من الجالسين قم يا فلان قم يا فلان بعدد الواقفين فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم

السفر لا الخوف وهذا قد يخالف ما في الاتقان سأل قوم من بني النجار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله انا نضرب في الارض فكيف نصلي فأنزل الله عز وجل واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ثم انقطع الوحي فلما كان بعد ذلك غزا النبي صلى الله عليه وسلم فصلى الظهر فقال المشركون لقد أمكنكم محمد وأصحابه من ظهورهم هلا شددتم عليهم فقال قائل منهم ان لهم أخرى مثلها في أثرها فأنزل الله عز وجل بين الصلاتين ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا الى قوله عذابا مهينا فنزلت صلاة الخوف فتبين بهذا الحديث أن قوله ان خفتم شرط فيما بعده وهو صلاة الخوف لا في صلاة القصر قال ابن جرير هذا تأويل في الآية حسن لو لم يكن في الآية اذا قال ابن الفرس يصح مع اذا على جعل الواو زائدة قلت ويكون من اعتراض الشرط على الشرط وأحسن منه أن يجعل اذا زائدة بناء على قول من يجيز زيادتها هذا كلامه فليتأمل وقيل فرضت اى الرباعية اربعا في الحضر وركعتين في السفر فعن عمر رضي الله تعالى عنه صلاة السفر ركعتان وصلاة الجمعة ركعتان وصلاة العيد ركعتان غير قصر اى تامة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم اى وفيه بالنسبة لصلاة السفر ما تقدم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فرضت في الحضر أربعا وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة اى وفيه في صلاة السفر ما تقدم وقوله في الخوف ركعة اى يصليها مع الامام وينفرد بالاخرى وذلك في صلاة عسفان حيث يحرم بالجميع ويسجد معه صف اول ويحرس الصف الثاني فاذا قاموا سجد من حرس ولحقه وسجد معه في الركعة الثانية وحرس الآخرون فقد صلى كل صف مع الامام ركعة ولا يقال ان في كلام ابن عباس ما يفيد أن صلاة الفجر تقصر وفرض التشهد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم متأخر عن فرض الصلاة فعن ابن مسعود كنا نقول قبل أن يفرض علينا التشهد السلام على الله قبل عباده السلام على جبريل السلام على ميكائيل السلام على فلان اى من الملائكة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقولوا السلام على الله فان الله هو السلام وقال له بعض الصحابة كيف نصلي عليك اذا نحن صلينا عليك في صلاتنا فقال قولوا اللهم صل على محمد الى آخره ولم أقف على الوقت الذي فرض فيه التشهد والصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فيه ولا على أن قولهم السلام على الله الى آخره هل كان واجبا أو مندوبا قال بعضهم والحكمة في جعل الصلوات في اليوم والليلة خمسا ان الحواس لما كانت خمسة والمعاصي تقع بواسطتها كانت كذلك لتكون ماحية لما يقع في اليوم والليلة من المعاصي اى بسبب تلك الحواس وقد أشار الى ذلك صلى الله عليه وسلم بقوله أرأيتم لو كان بباب احدكم نهر يغتسل منه في اليوم والليلة خمس مرات أكان ذلك يبقى من درنه شيأ قالوا لا قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا قيل وجعلت مثنى وثلاث ورباع ليوافق أجنحة الملائكة

الكراهة في وجه من أقامه فقال رحم الله رجلا يفسح لاخيه فنزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم واذا قيل انشزوا فانشزوا الآية فجعلوا يقومون لهم بعد ذلك ويجلسونهم وجاء عن كثير من العلماء ان تلاوة أسمائهم والتوسل بها وكتابتها وحملها وتعليقها في الدور سبب للحفظ والنصر والفتح والسلامة من كيد الاعداء وظلم الظالمين الى غير ذلك من الفوائد والخواص وقد أفردت بالتأليف تلك الخواص مع بقية مناقبهم وكذلك غزوة بدر وذكر ما وقع فيها قد أفردت بالتأليف وفي هذا القدر كفاية والله سبحانه وتعالى اعلم

كأنها

كأنها جعلت أجنحة للشخص يطير بها الى الله تعالى وسئل ابن عباس رضى الله تعالى
عنهما هل تجد الصلوات الخمس فى كتاب الله تعالى فقال نعم وتلا قوله تعالى فسبحان الله
حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والارض وعشيا وحين تظهرون
أراد بحين تمسون المغرب والعشاء وبحين تصبحون الفجر وبعشيا
العصر وبحين تظهرون الظهر واطلاق التسبيح بمعنى
الصلاة جاء فى قوله تعالى فلولا أنه كان من المسبحين
قال القرطبى اى من المصلين وفى الكشاف
عن ابن عباس رضى الله تعالى
عنهما كل تسبيح فى القرآن
فهو صلاة والله سبحانه
وتعالى اعلم
بالصواب
تم

*(تم الجزء الاول ويليه الجزء الثانى أوله باب عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم
نفسه على القبائل من العرب أن يحموه ويناصروه على ما جاءبه من الحق)*